

اللَّهُ تَعَالَى أَلَمُ الْكَرِيمِ مِنْ خَلْقِ الْبَحْرِ

مِنْ آيَاتِ

اللَّهِ عَجَائِزِ الْوَيْبِ وَالْتَمَاحِي

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

[النساء: 164 - 166]



جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة لدار المعرفة - بيروت - لبنان

Copyright © All rights reserved
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**
Beirut - Lebanon

ISBN: 9953 - 85 - 325 - 8

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع

DAR AL-MAREFAH

Printing & Publishing



جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢

فاكس: ٨٣٥٦١٤ * ص.ب: ٧٨٧٦ - بيروت - لبنان

Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332

Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon

Email: info@marefah.com * www.marefah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَئِكَ اللَّهُ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾﴾
[آل عمران: 62].
- 2 - ﴿بِمَعَشَرَ الْآلِينَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ مَا يَتَّبِعُونَ وَيُذَرُّوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَزَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾
[الأنعام 130 - 131].
- 3 - ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾
[الأعراف: 6 - 7].
- 4 - ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾﴾
[الأعراف: 101].
- 5 - ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾
[هود: 49].
- 6 - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١١٢﴾﴾
[هود: 100 - 102].
- 7 - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْلَفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ

كَلِمَةً رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

[هود: 117 - 120].

8 - ﴿الرَّيَّةَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَيْسَ لِي بِآيَاتٍ أَنْزَلْتُهَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيَةَ ﴿٣﴾﴾

[يوسف: 1 - 3].

9 - ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

[يوسف: 111].

10 - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

[النمل: 76].

11 - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصِّصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[غافر: 78].

12 - ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ

أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

[طه: 99 - 101].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشني عليه الخير كله، ونصلي ونسلم على كافة أنبياء الله ورسله أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونخص منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم خاتمهم أجمعين: سيدنا محمد بن عبد الله، وهو النبي العربي الأمين، الذي ختم الله - تعالى - ببعثته النبوات، وأكمل برسالته كل رسالات السماء ووصف ذلك مخاطباً المسلمين جميعاً بقوله العزيز: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

فالإسلام هو دين الله الذي علمه ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، والذي عاشت به البشرية عشرة قرون كاملة (بين آدم ونوح عليه السلام) على التوحيد الخالص لله - تعالى - ويؤكد ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»⁽¹⁾.

ويفصل ابن عباس هذه الحقيقة فيقول: «إن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَخ

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد حديث رقم (73).

العلم عبدة»⁽¹⁾. وكانت هذه الردة في قوم نوح أول وثنية في تاريخ البشرية.

ولما تفتت هذه الوثنية بعث الله - تعالى - عبده ونبيه «نوحاً» ليرد قومه إلى الإسلام القائم على التوحيد الخالص لله ﷻ. وبعد ألف سنة إلا خمسين عاماً من دعوة نوح لقومه، لم يستجب منهم لدعوته إلا القليل، فعاقب الله الذين أشركوا بالطوفان الذي أبادهم، ونجى بقدرته نوحاً والذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول ربنا - وقوله الحق -:

● ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٦١﴾ أَلَيْغَ لَكُمْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاجْتَنِبْهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عِيبًا ٦٤﴾ [الأعراف: 59 - 64].

ويقول ﷻ:

● ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٦٥﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٦٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنِ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِبِينَ ٦٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَبَاءُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ٦٨﴾ [يونس: 71 - 74].

(1) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن حديث رقم (4920).

ويقول - عز من قائل :-

● ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

[العنكبوت: 14، 15].

وهاجر النَّاجون مع عبد الله نوح عليه السلام إلى مكة المكرمة وعاشوا على الإسلام الخالص حتى جاء من نسلهم «قوم عاد» الذين سكنوا جنوب الجزيرة العربية، ثم جاءهم الشيطان موسوساً لهم بالشرك فأطاعوه، وجدّدوا عبادة الأصنام، فبعث الله - تعالى - لهم نبياً من بين أظهرهم هو هود عليه السلام لردّهم إلى الإسلام القائم على التوحيد الخالص لله، ولدعوتهم إلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها، فما آمن معه إلا قليل. وأشركت غالبية قوم عاد، وبالغوا في شركهم، وأفحشوا في عداوتهم لنبئهم، وأسرفوا في خروجهم على أوامر ربهم، فأرسل الله - تعالى - عليهم الريح عاصفة فأهلكتهم، ونجى الله عليه السلام نبيه هوداً والذين آمنوا معه، فرحلوا إلى مكة المكرمة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَتَبَدُّوا لَإِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَزَلْنَا فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أُتِيتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْعَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْبَدْنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَٰبٌ تُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطٰنٍ فَاَنْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

[الأعراف: 65 - 72].

ويقول:

● ﴿وإلى عاد آحاهم هوداً قال ينقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ إن أنتم إلا مفلون ﴿٥٠﴾ ينقوم لا أسئلكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على الذي فطرنى أفلا تعقلون ﴿٥١﴾ وينقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴿٥٢﴾ قالوا يهود ما جئنا بينة وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴿٥٣﴾ إن تقول إلا اعتراضك بعض الهتنا يسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا آتى برىءٍ منا تشركون ﴿٥٤﴾ من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تظرون ﴿٥٥﴾ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم ﴿٥٦﴾ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم وستنخلف ربي قوماً غيركم ولا ضرؤنهم شيئاً إن ربي على كل شىء حفيظ ﴿٥٧﴾ ولما جاء أمرنا نجيتنا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ونجيتهم من عذابٍ عظيمٍ ﴿٥٨﴾ وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسلهم واتبعوا أمر كل جبارٍ عنيدٍ ﴿٥٩﴾ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيمةً ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود ﴿٦٠﴾﴾

[هود: 50 - 60].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

● ﴿كذبت عاد المرسلين ﴿١١٢﴾ إذ قال لهم آخوهم هودٌ ألا تتقون ﴿١١٤﴾ إني لكم رسولٌ أمينٌ ﴿١١٥﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١١٦﴾ وما أسئلكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على رب العالمين ﴿١١٧﴾ أتنبون بكل ربيعٍ آيةٍ تفتنون ﴿١١٨﴾ وتتخذون مصانعٍ لعلكم تخلدون ﴿١١٩﴾ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴿١٢٠﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٢١﴾ واتقوا الذي أمركم بما تعلمون ﴿١٢٢﴾ أمركم بأنعصم وبين ﴿١٢٣﴾ وحنثت وعيون ﴿١٢٤﴾ إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ ﴿١٢٥﴾ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴿١٢٦﴾ إن هذا إلا خلق الأولين ﴿١٢٧﴾ وما نحن بمعلمين ﴿١٢٨﴾ فكذبوه فاهلكهم إن في ذلك لآيةٌ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٢٩﴾ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿١٣٠﴾﴾

[الشعراء: 123 - 140].

ويقول - وقوله الحق -:

● ﴿وأذكر آحاهم عادٍ إذ أنذر قومهم بالآحفاف وقد حلت النذر من بين يديه ومن خلفه

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنْ آهَاتِنَا
فَأَيْنَا بِمَا تَعُدُّنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
وَلَكِنِّي أَزِيدُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِرُنَا بَلْ
هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى
إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ [الأحقاف: 21 - 25].

ويقول - عزّ من قائل :-

● ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنَذِيرِ ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿٩﴾ تَزْبِجُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنَذِيرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ [القمر: 18 - 22].

ويقول ربنا - جلّت قدرته :-

● ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا فَاصْبِرُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَلَمِيئَةٍ
أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ
بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ [الحاقة: 6 - 8].

وجاء «قوم ثمود» من نسل الناجين من «قوم عاد» ولذلك عُرفوا باسم «عاد
الثانية» تمييزاً لهم عن أسلافهم «عاد الأولى». وسكن قوم ثمود «منطقة الحجر» في
الركن الشمالي الغربي من أرض الحجاز، على الطريق القديم بين مدينتي يثرب
وتبوك.

كانت «منطقة الحجر» منطقة مُحَصَّنَة تحصيناً طبيعياً هائلاً، وغنيّة بكل من
الماء وخصوبة التربة، وعاش فيها قوم ثمود عيشة هنية على التوحيد الخالص لله
- تعالى - ثم جاءت الشياطين فاجتالتهن عن دينهم فأشركوا بالله، وعادوا إلى
عبادة الأصنام والأوثان. لذلك بعث الله - تعالى - إليهم من بينهم نبيّه صالحاً ﷺ
يدعوهم إلى الإسلام، ذلك الدين القائم على التوحيد الخالص لله - تعالى - وإلى
الالتزام بمكارم الأخلاق، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارته وإقامة

شرع الله وعده فيها فعارضوه، ورفضوا دعوته إلا أقل القليل منهم. وبعد سنوات عديدة من دعوة عبد الله ونبيه صالحاً لقومه أصرت الغالبية العظمى منهم على ما كانوا قد انزلقوا إليه من شرك في العبادة، وفساد في الأخلاق، وسوء في المعاملات، فأنزل الله - تعالى - بهم عقابه في شكل صيحة صاعقة طاغية: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾. نجى الله ﷻ كلاً من نبيه صالحاً والذين آمنوا معه، فلجأوا إلى مكة المكرمة، ومنها انتقلوا إلى الطائف، وكان من ذريتهم قبيلة ثقيف، الذين عاشوا على التوحيد، ثم اجتالتهم شياطين الإنس والجن فعادوا إلى عبادة الأصنام والأوثان وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَدَيْتُهُمْ نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلِكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ آتَمَلِكُونَ أَنْتُمْ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَكَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آثِنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: 73 - 79].

● ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَشْأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ مُّجِيبٌ ﴿١١﴾ قَالُوا يُصَلِّحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴿١٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٣﴾ وَيَقَوْمِ هَدَيْتُهُمْ نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلِكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَعُّوا فِي

دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيًّا ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا
 رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

[هود: 61 - 68].

● ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ ﴿٤١﴾ إذ قال لهم آخوهم صالحُ ألا تنفون ﴿٤٢﴾ إني لكم رسولٌ
 أمينٌ ﴿٤٣﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿٤٤﴾ وما استألكم عليه من أجرٍ إن أجرى إلا على ربِّ العالمين
 ﴿٤٥﴾ أتتركون في ما ههنا ءامنين ﴿٤٦﴾ في جنتٍ وعيونٍ ﴿٤٧﴾ ورزوعٍ ونخلٍ طلعها هضيمٌ
 ﴿٤٨﴾ وتنجثون من الجبالِ يوتًا فدهين ﴿٤٩﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿٥٠﴾ ولا تطيعوا أمرَ المسرفين
 ﴿٥١﴾ الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴿٥٢﴾ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴿٥٣﴾ ما أنت إلا
 بشرٌ مثلنا فأتِ بآيةٍ إن كنت من الصّٰدِقِينَ ﴿٥٤﴾ قال هذيه ناقةٌ لها شربٌ ولكم شربٌ يوم
 معلومٍ ﴿٥٥﴾ ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذكم عذابٌ عظيمٌ ﴿٥٦﴾ فمقرؤها فأصبحوا نذابين ﴿٥٧﴾
 فأخذهم العذابُ إن في ذلك لآيةٌ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿٥٨﴾ وإن ربك لهو العزيزُ
 الرحيمُ ﴿٥٩﴾

[الشعراء: 141 - 159].

ويقول:

● ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود آخاهم صالحًا أن أعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾
 ﴿٤٥﴾ قال يقول لِمَ ستعجلون بالسنة قبل الحسنة لولا ستغفرون الله لعلكم ترحموت
 ﴿٤٦﴾ قالوا أطربنا بك وبين معك قال طربكم عند الله بل أنتم قومٌ تقتنون ﴿٤٧﴾ وكان في
 المدينة سبعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴿٤٨﴾ قالوا تقاسموا بالله لنبيسته
 وأهلها ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإننا لصديقون ﴿٤٩﴾ ومكروا مكراً ومكرنا
 مكراً وهم لا يشعرون ﴿٥٠﴾ فانظر كيف كان عقبة مكرهم آنا دمرناهم
 وقومهم جميعين ﴿٥١﴾ فتلك بيوتهم حاوية بما ظلموا إن في ذلك لآيةٌ لقومٍ
 يعلمون ﴿٥٢﴾ وأنجينا الذين ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾

[النمل: 45 - 53].

ويقول:

● ﴿كَذَبَتْ نَمُودُ بِالنَّذْرِ ٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ: إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرِ ٢٤
 أَهْلَفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ٢٦ إِنَّا
 مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِنَّةً لَهُمْ فَأَرْزِقْنَهُمْ وَأَصْطِرِّ ٢٧ وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْضَرٌ ٢٨
 فَادْرَأْ صَاحِبَهُمْ فَمَطَى فَمَعَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبْحَةً وَجَدَةً فَكَانُوا
 كَهَشِيرِ الْمُحْضِرِ ٣١ وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٣٢﴾

[القمر: 23 - 32].

وقد ظلت البشرية على هذا المنوال: تتأرجح بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج الله - تعالى - والخروج عليه، والله - من رحمته بعباده - يرسل النبيّ تلو النبيّ، والرسول تلو الرسول، من أجل إنقاذ الناس من ضلالتهم، وتفهمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عباداً لله، مكلفين بعبادة خالقهم بما أمر، وبالارتقاء بأنفسهم خلقاً وسلوكاً إلى مقامات التكريم التي كرمهم بها الله، ومستخلفين مؤتمنين في الأرض مُطالبين بعمارته، وبقامة شرع الله وعدله في ربوعها حتى يأتيهم أمر الله، وليس لهم من بعد ذلك إلا القبر وحسابه، (والذي إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)، ثم البعث، والحشر والحساب، والجزاء بالخلود إمّا في الجنة وإما في النار.

ونعلم من أنبياء الله ورسله كلاً من ساداتنا آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسى، هارون، ذو الكفل، داود، سليمان، أيوب، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، ومحمد - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وهؤلاء نماذج من بين عشرات الآلاف من الأنبياء، ومئات المرسلين الذين بعثهم الله - تعالى - لإنقاذ البشرية في صراعها الأزلي الطويل مع الشيطان وجنوده وأعدائه.

وفي ذلك أخرج الإمام أحمد رحمته عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله! أي الأنبياء كان أول؟ قال صلى الله عليه وسلم: «آدم» قلت:

يا رسول الله! ونبيّ كان؟ قال: «نعم نبيّ مكلم»، قال: قلت يا رسول الله! كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر، جمًّا غفيراً»⁽¹⁾. وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه قال أبو ذر: (... قلت يا رسول الله! كم وقى عدد الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً»⁽²⁾). وقد أخبرنا القرآن الكريم عن خمسة وعشرين فقط من أنبياء الله ورسله، مؤكداً أنهم جميعاً بُعثوا بالإسلام العظيم القائم على التوحيد الخالص لله الخالق، وتنزيهه عن الشريك والشبيه، والمنازع، والصاحبة والولد، لأن الخالق سبحانه منزّه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

كذلك يؤكد القرآن الكريم أنّ كلّ نبيّ وكل رسول دعا قومه إلى عبادة الله - تعالى - وحده بما أمر، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق حتى يتمكنوا من حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، ويتزودوا بالصّواب التي تمكنهم من مقاومة وساوس شياطين الإنس والجن، ونفسهم، ومؤامراتهم، وإغواءاتهم المتوافرة في الحياة الدنيا - وهي دار ابتلاء واختبار وامتحان.

كلّ ذلك يؤكّد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً، فكما أنّ إلهنا واحد فلا بدّ وأن تكون هدايته للبشرية واحدة، ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

● ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

[البقرة: 213].

(1) مسند أحمد - حديث رقم (1438، 21444).

(2) مسند أحمد - حديث رقم (22189).

وقال - وقوله الحق :-

● ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْسِنَةٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُمْ وَعَلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينِينَ أَسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

[آل عمران: 18 - 20].

وقال - عز من قائل :-

● ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْحُوثُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران: 81 - 85].

وقال - وهو أحكم القائلين :-

● ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

[سبا: 34 - 36].

وقال - تعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ:

● ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يَكذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

[فاطر: 24 - 26].

ثُمَّ أَخَذَتْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرًا ﴿٦٦﴾

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في حديث طويل جاء فيه: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»⁽¹⁾...

وباستعراض تاريخ البشرية على الأرض نجد أن فترات النبوة والالتزام بدين الله (الإسلام) كانت ومضات بارقة سريعة من النور وسط ظلمات الجاهلية الحالكة. والإنسان كأنه لم يتعلم من هذه التجربة الطويلة التي استمرت لعشرات الألوف من السنين، والتي تخللتها الهداية الربانية التي أنزلها الله - تعالى - على مائة وأربعة وعشرين ألف نبي، اصطفاهم من بين عباده الصالحين، واصطفى من بينهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، وبعث بهم إلى مختلف الأمم والشعوب. وكل واحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين أكد لقومه أن الحياة الدنيا لا تستقيم بغير دين، وأن الدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وذلك لأن الدين يقوم على ركائز من الغيب في مجال العقيدة، ومن الأوامر الإلهية بالعبادة، ومن ضوابط الأخلاق والسلوك، والتاريخ يؤكد عجز الإنسان عن وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه في أي من هذه المجالات، ومن هنا كانت ضرورة الدين لاستقامة الحياة على الأرض، ووجب أن يكون الدين وحياً ربانياً خالصاً لا تداخله أية تصورات بشرية.

وبعد جهود هذه السلسلة الطويلة من الأنبياء والمرسلين، فقد أهل الأرض اتصالهم بالهداية الربانية فيما عدا آحاد متناثرة من الأحناف الذين علم الله ﷻ فيهم

(1) نص الحديث ومرجه: أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة في كتاب الفضائل حديث رقم (6085) أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهْلِكُ اللهُ في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهْلِكُ اللهُ في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والثئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

خيراً فثبتهم على الدين الحق. وكان ضياع رسالات السماء من بين أيدي الناس هو السبب في فقدان الاتصال بهداية الله. ومع بقاء بعض الذكريات الباهتة عن تلك الرسائل السماوية السابقة ظل أتباعها يتناقلونها مشافهة من الآباء إلى الأبناء، من الأجداد إلى الأحفاد في صور شتى من التراث الشعبي الذي أضيف إليه من خيالات رواته ما أضيف، وحذف منه ما حذف، ونُسي منه ما نُسي، وحُرِّف ما حُرِّف. وعندما جاء وقت التدوين بعد أعداد متطاولة من السنين (من العقود في بعض الحالات، ومن القرون في حالات أخرى) تم ذلك بأيدي أناس مجهولين، ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فلم يكونوا معصومين في التبليغ بأمر الدين، فزادوا الأمر سوءاً، وزادوا الطين بلةً، كما زادوا العقيدة فساداً وبلبلة. وظل الشيطان يغوي غالبية أهل الأرض بتلك المعتقدات المحرفة، ويمدّمهم بالعديد من الخرافات والأساطير، وبالانحرافات الشديدة عما أنزل رب العالمين لهداية خلقه. ونتيجة لذلك ضلّ غالبية أهل الأرض وأضلوا، وملأوا المجتمعات الإنسانية فساداً وانحرافاً. ومن ثم بالغ الناس في ظلم أنفسهم، وظلم غيرهم، وأغرقوا الأرض في بحار من الكفر والشرك والضلال، وأدخلوا أهلها في دوّامات من الهواجس الظنية، والخرافات المصطنعة، والأساطير الوهمية. وبذلك فسدت المعتقدات، وحُرِّفت العبادات، وتدثت الأخلاق والمعاملات إلى ما دون المستويات المقبولة من الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكرم، المكلف، صاحب الإرادة الحرة، وصاحب الرسالة المحددة على الأرض.

ثم شاءت إرادة الله - تعالى - إنقاذ البشرية ممّا تردّت فيه من ضلال، وإعادة نور الهداية الربانية إليها من جديد، وإعطاء بني آدم فرصتهم الأخيرة من أجل الاستقامة على منهج الله في الدنيا، والنجاة من عذابه في الآخرة، فمَنَّ على البشرية ببعثة الرسول الخاتم (الذي ليس من بعده نبي ولا رسول)، وجعله رحمة للعالمين، ولذلك تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ رسالته الخاتمة فقال - عزّ من قائل -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجر: 9].

وكان هذا العهد بحفظ القرآن الكريم حفظاً كاملاً في نفس لغة وحيه - اللغة العربية - إلى ما شاء الله من أجل تحقيق العدل الإلهي الذي وصفه ربنا - تبارك اسمه - بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [١٥]. [الإسراء: 15].

فبقاء القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، يمثل وجوداً معنوياً لرسول الله ﷺ بين أهل الأرض جميعاً إلى قيام الساعة، يأمرهم بأوامر الله، وينهاهم بنهيه حتى تقوم الحجة على العباد، ويتحقق عدل الله المطلق الذي ألزم ذاته العلية به.

ولمّا كان القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، المحفوظ بحفظه - تعالى -، في نفس اللغة التي أوحى بها (اللغة العربية) كان لا بدّ وأن يكون معجزاً للبشر في كل أمر من أموره، بمعنى عجز البشر جميعاً، بل الإنس والجن - فرادى ومجتمعين - عن الإتيان بشيء من مثله. فما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلّا ويرى منها وجهاً من أوجه الإعجاز فيه، ولذلك قال - تعالى -:

● ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٨٢]. [النساء: 82].

وقال - عزّ من قائل -:

● ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [١٦٦]. [النساء: 166].

وقال - وقوله الحق -:

● ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [١٧٤].

[النساء: 174].

وقال - سبحانه - مادحاً محكم كتابه:

● ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 37، 38].

وقال ﷺ متحدياً بالقرآن:

● ﴿قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88].

ولمّا كان القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام ربّ العالمين المحفوظ بين أيدي الناس اليوم، بعهد من الله ﷻ، والذي بقي محفوظاً بحفظ الله على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، والذي تعهد الله - تعالى - تعهداً مطلقاً بحفظه إلى ما شاء الله، فلا بدّ وأن يكون هذا الكتاب العزيز هو المرجع الوحيد للإنسانية كلها في أمر الدين، وفي كل الأمور الغيبية التي أنزلها الله - تعالى - إلى عباده هداية لهم وإرشاداً. وانطلاقاً من ذلك فلا بد وأن يكون القرآن الكريم مُعَايِراً مُعَايِرَةً كاملة لكلام البشر، ولا بدّ وأن يكون معجزاً في كل أمر من أموره، وأن تتعدّد جوانب الإعجاز فيه بتعدد زوايا النظر المحايد إليه (بمعنى عجز الإنس والجن - فرادى ومجتمعين - عن الإتيان بشيء من مثله).

ومن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ما يمكن إيجازه فيما يلي:

1 - الإعجاز اللغوي: ويشمل فيما يشمل الإعجاز البياني، والبلاغي، والنظمي، واللفظي، والدلالي لكل حرف، وكلمة، وآية، وسورة من سور القرآن الكريم، وللقرآن كله.

2 - الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة): بمعنى فضل الإيمان بالله - تعالى - وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك أو ببعضه. وفضل توحيد الله - تعالى - توحيداً مطلقاً على الشرك بالله. وفضل

تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، على الانحطاط بمدلول الألوهية إلى مستويات الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد. وفضل الإيمان بوحدة رسالة السماء وبالأخوة بين الأنبياء على التحلق حول نبيّ واحد من الأنبياء والمبالغة في تقديسه إلى حدّ عبادته من دون الله، أو الشرك به في عبادة الله.

والإيمان بالأخوة بين الأنبياء أفضل من الإيمان ببعض والتنكّر للبعض الآخر. والإيمان بالأخوة بين الناس (باعتبار أن نسبهم جميعاً ينتهي إلى أب واحد وأم واحدة) أفضل من دعاوى التمييز العرقي، أو الطبقي، أو العنصري، أو العقدي أو المذهبي، أو الطائفي الذي يمزق أهل الأرض اليوم، ويشعل الحروب والفتن بينهم، ويغرقهم في بحور من الدماء والأشلاء والخراب والدمار. وأنّ الإيمان بكل من القضاء والقدر، وبالغيب، وبالأخرة أفضل من إنكار كل ذلك أو بعضه، أو التنكّر له، وكله من حقائق الدين.

3 - الإعجاز التعبدي (الإعجاز في كل عبادة أمرنا بها الله): بمعنى إثبات المردود الإيجابي على الفرد لكل فريضة فرضها الله - تعالى - على عباده المسلمين (من الإعلان بالشهادتين، إلى كل من الصلاة والزكاة، والصيام، وحج بيت الله) ولكل سنة سنّها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ؛ وذلك لأنّ العبادة لا بدّ وأن تكون أوامر إلهية صريحة، ومن هنا كان كل ابتداء في العبادة أمراً مرفوضاً ومردوداً رفضاً ورداً كامليين.

4 - الإعجاز الأخلاقي (إعجاز الدستور الأخلاقي): بمعنى كماله في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومواءمته لما تقبله الطبيعة البشرية السوية من ضوابط تنظيمية، بغير غلو ولا إقلال.

5 - الإعجاز التشريعي: بمعنى إظهار الحكمة من كل تشريع شرعه الله - تعالى - لعباده، خاصة في مجال الأحكام العملية من العبادات والمعاملات وذلك بالدراسات العلمية التي تثبت صحة المقاصد من مثل هذه التشريعات والمصالح المترتبة على تطبيقها. ويتّضح ذلك من عدم إمكانية المماثلة بين

الشريعة الإلهية والقانون الوضعي بأي شكلٍ من الأشكال، لأن الشريعة تتسم بالكمال والسُّمو والدوام، وحكمتها واضحة فوق جميع القوانين الوضعية التي تتسم بالقصور والعجز والحاجة إلى المراجعة باستمرار.

6 - الإعجاز النبائي: ويشمل الإخبار بالعديد من الأحداث والحقائق الغيبية غيبية مطلقة، ومن الوقائع التي تمت فيما قبل التاريخ (أي قبل عشرة آلاف سنة) كما يشمل الإنباء بأحداث قبل وقوعها وجاء وقوعها مطابقاً لإنباء القرآن الكريم بها، أو لم تقع بعد ولا زلنا ننتظر وقوعها.

7 - الإعجاز التاريخي: ويشمل الدقة الفائقة في استعراض عدد من المواقف التاريخية الهامة في سير عدد من أنبياء الله ورسله، وفي تفاعل أممهم معهم سلباً أو إيجاباً، وسير عدد من الصالحين، وعدد من الطالحين من بني آدم (رجالاً ونساءً). ويتضح وجه الإعجاز هنا بمقارنة القصص القرآني مع ما جاء في التراث الإنساني الموجود بأيدي الناس اليوم، ومع ما أثبتته الكشوف الأثرية والتاريخية المتعددة.

8 - الإعجاز العلمي: ويقصد به سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد من حقائق العلم، في إيجاز وشمول وكمال لم تبلغه المعارف المكتسبة بعد. وهذه الحقائق لم تصل المعارف المكتسبة إلى شيءٍ منها إلا في القرنين الماضيين، ولم تصل إلى معظمها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. وهذا سبق العلمي جاء في أكثر من ألف ومائتي آية قرآنية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى تقترب دلالتها من الصراحة، دون خطأ علمي واحد. وورود هذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في كتاب هو في حقيقته كتاب هداية ربانية في أمر الدين (بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات) هو من أنصع صور الإعجاز في كتاب الله وأنسبها للدعوة إلى دين الله في زمن العلم الذي نعيشه.

9 - الإعجاز النفسي: ويتضح في خطاب القرآن الكريم إلى النفس الإنسانية خطاب الخبير بها، العليم بدخائلها، ولذلك يرتقي بتلك النفس في

معارج الله كما لا يقوى على ذلك أي خطاب آخر، مُفصلاً في ذلك دقائق النفس الإنسانية، ومزاياها، وأمراضها، وعللها وطرائق علاجها.

10 - الإعجاز الاقتصادي: وذلك بإبراز الحكمة من العديد من التشريعات القرآنية من مثل تشريع الزكاة، وتحريم الربا بمختلف أشكاله وصوره (ومنها: الغش في الصناعة، وتطفيف الكيل والميزان في التجارة)، ووضع الضوابط الربانية لكافة المعاملات المالية، والتشديد في إجراءات الإثبات في التعاقد عند كتابة العقود، وإثبات الحقوق، (ومنها: كتابة الديون والإشهاد عليها، ومنها: العدل البين في تطبيق أحكام الموارث).

11 - الإعجاز الإداري: ويتجسد في إبراز ما يأمر الإسلام به من الحرص على حُسن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات بتولية الكفاءات العالية، وفي المحافظة على إنسانية الإنسان، والعمل المستمر على تطوير قدراته، والأمر بالعدل بين المرؤوسين، والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات، والحرص على احترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على المصالح العامة والخاصة، والقيام بحسن الائتمان عليها، وحسن التدبير لها.

12 - الإعجاز التربوي: ويتضح في توصية القرآن الكريم على تنمية المتربي تربية متكاملة، تشمل كلاً من النفس والعقل والبدن والأخلاق والقيم والسلوك، كما تُعوّده الحرص على اكتساب المعارف النافعة، وعلى تطبيقها أمراً واقعاً في حياة الناس، وعلى تأصيلها تأصيلاً إسلامياً صحيحاً، والدعوة إلى شمولية المعرفة مع احترام التخصص، وإلى فهم كل من المربي والمتربي لحقيقة رسالته في الحياة من أجل تربية الإنسان الصالح.

13 - إعجاز الشمول: بمعنى قدرة القرآن الكريم على تناول العديد من قضايا الوجود دون خطأ واحد، تناولاً لكليات الأشياء، مع ترك التفاصيل لاجتهاد الناس جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة.

14 - الإعجاز الصوتي: ويتضح ذلك في روعة الجرس الذي ييسر الحفظ،

ويُحرِّك القلب، ويُطرب السمع، ويُمتع العقل، ويجذب انتباه كل من القارئ والسَّامع له، وينقل له سلسلة من المعاني المتَّصلة بكل من الكلمة والآية، فتتداعى الكلمة مع غيرها في الآية الواحدة، وتتداعى الآيات في السورة الواحدة في تكامل للمعنى، وانسجام في الصوت، وجمال في الجرس والإيقاع لا تستطيعه أساليب المخلوقين - فرادى ومجتمعين - مهما اجتهدوا في إتقان ذلك.

15 - إعجاز رسم الحروف: يتميز الحرف العربي - بصفة عامة - بالجمال، والتَّناسق، والطواعية للتشكيل. وقد وُضعت لكتابة المصحف العثماني قواعد لخطه، ولرسم حروف كلماته (وذلك من مثل: الحذف، الزيادة، الهمزة، البدل، الفصل والوصل وغير ذلك من القواعد). ويستوعب ذلك كل اللهجات العربية، ويحقق إمكانية حمل الآية الواحدة لأكثر من معنى واحد (كلها يتحملها النص القرآني) في تكامل لا يعرف التنافر أو التضاد، وليس هذا لغير القرآن الكريم.

16 - إعجاز الحفظ: حفظ كتاب الله على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) دون إضافة أو حذف حرف واحد منه، ودون خطأ واحد في اللغة أو في المحتوى - على تعدد موضوعاته - ممَّا يمثل واحداً من أعظم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم. وبذلك يسَّر الله - تعالى - لأعداد كبيرة جداً من المسلمين حفظ كتاب الله عن ظهر قلب في مختلف أقطار الأرض، وفي كل زمن من الأزمنة بعد تمام الوحي به.

17 - إعجاز التحدي: جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدى كلاً من الإنس والجن - فرادى ومجتمعين - أن يأتوا بشيء من مثله، دون أن يستطيع عاقل التقدم بشيء من مثل القرآن الكريم، ولو من مثل أقصر سوره. وقد ظهر هذا العجز البشري حتى من فصحاء العرب في زمن الوحي، وقد كان زمن إتقان اللغة وحسن التمكن منها، وزمن كثرة الفصحاء والبلغاء من أبنائها.

18 - الإعجاز في وصف مشاهد الساعة: والمقصود بالساعة اللحظات الأخيرة

من عمر الكون الحالي أثناء تَهْدُومِهِ. ومن هنا يمكن تفسير عملية تَهْدُومِ الكون في ضوء القوانين الحاكمة للكون القائم، وذلك لأن «الساعة» مغايرة لكل من «القيامة» و«الأخرة»، وإن اختلطت هذه الألفاظ الثلاثة في مفاهيم الناس لسرعة متابعتها، وحددها القرآن الكريم تحديداً معجزاً.

هذا، وقد سبق لنا معالجة بعض جوانب الإعجاز العلمي في كتاب الله، وصدر ذلك في ستة مجلدات بالعناوين التالية:

- 1 - السماء في القرآن الكريم (نشر دار المعرفة - بيروت).
- 2 - الأرض في القرآن الكريم (نشر دار المعرفة - بيروت).
- 3 - النبات في القرآن الكريم (نشر دار الشروق الدولية - القاهرة).
- 4 - الحيوان في القرآن الكريم (نشر دار المعرفة - بيروت).
- 5 - خلق الإنسان في القرآن الكريم (نشر دار المعرفة - بيروت).
- 6 - الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم (نشر دار المعرفة - بيروت).

وفي هذا الكتاب (بجزأيه) ناقش بعض جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، مع التأكيد على أن القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية ربانية للإنسان في قضايا كل من العقيدة (وهي من أمور الغيب المطلق)، والعبادة (وهي من الأوامر التوقيفية الخالصة)، ودستور الأخلاق وفقه المعاملات (وكلاهما من ضوابط السلوك)، والتاريخ يؤكد عجز الإنسان عجزاً كاملاً عن وضع أية تصورات صحيحة لنفسه في أي من هذه القضايا كما أسلفنا.

وقد شجع على هذه الدراسة تبجح عدد من غلاة كل من اليهود والنصارى بالادعاء الباطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن كل من «العهد القديم والجديد». وينسى هؤلاء الغلاة أن دين الله - تعالى - واحد، وأن هذا الإله الواحد الأحد الذي أنزل كلاً من «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل»، هو الذي أنزل «القرآن الكريم»، وأنه - تعالى - لم يُنزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو

«العهد الجديد»، وكلاهما صناعة بشرية خالصة، لا علاقة لها بوحى السماء، وإن تحدثت عنه. كذلك فإن كلاً من «العهدين القديم والجديد» عبارة عن خليط من الكتابات التي خَطَّت بأيدي مجهولين - ممن هم ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فلم يكونوا معصومين. وهذه الكتابات خَطَّت بأقلام مختلفة، وفي أزمنة متباعدة، وفي أماكن متفرقة، ثم جُمعت بعد ذلك بقرون، ومن هنا فقد شابها ما شابها من تناقضات، وتحريفات، وأخطاء في كل أمر من أمورها، خاصة في الجوانب العقديّة والعلمية والتاريخية كما اتضح من كل مقارنة سابقة وكما سيتضح في هذا الكتاب.

وليواري كل من غلاة اليهود والنصارى سوءاتهم عند اعترافهم الصريح بأن كتبهم لها تاريخ، بدأوا في الادعاء بأن القرآن الكريم أيضاً له تاريخ، وأنه تأثر بما عندهم من قصص!! وازدادت نبرات حناجرهم حدة بهذا الادعاء بعد اكتشاف مخطوطة للقرآن الكريم في مسجد صنعاء العتيق، وإيكال أمر تحقيقها إليهم - للأسف الشديد - وهم ليسوا بأهل كفاءة علمية أو لغوية لتحقيق ذلك. كما أنهم - في غالبيتهم - يفتقرون إلى الأمانة العلمية حين يكون للأمر علاقة بالإسلام، وللتأكيد على ذلك أسوق الواقعة التالية:

في سنة (1972م) قامت السلطات اليمنية بترميم واحد من أقدم المساجد في عاصمة اليمن (صنعاء) والذي يعرف باسم «الجامع العتيق». وهذا المسجد كان رسول الله ﷺ قد حدد قبلته وهو في مكة، وجاءت الصور المأخوذة بواسطة الأقمار الصناعية مؤكدة دقة هذا التحديد وذلك بقوله الشريف: «إذا بنيت مسجد صنعاء فاجعله عن يمين جبل يقال له: ضين»⁽¹⁾. وفي أثناء عملية الترميم اكتشف

(1) أبو نعيم: «في معرفة الصحابة»، ج 5، ص 2732، حديث رقم 6516؛ عن عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري (واللفظ له) وعن ابن حجر (في الإصابة ج 6، ص 468 أن كلاً من ابن السكن، وابن منبه قد روايا هذا الحديث، وزاد ابن السكن في روايته أن ابن وبر قال: «هذا الموضع الذي أمرني به رسول الله ﷺ أن أضع فيه المسجد».

العمال في سقف ذلك المسجد مجموعة من المخطوطات الجلدية والورقية، فحملوها في مجموعة من الأكياس، ووضعوها بجوار دَرَج إحدى مآذن المسجد. وعند مرور القاضي إسماعيل الأكوغ (رحمه الله) أمام هذا المسجد العتيق - وكان آنذاك يشغل منصب مدير عام دائرة الآثار اليمنية - أدرك أهمية هذا الكنز من المخطوطات التي نقلها إلى دائرة الآثار. وعلى الفور بدأ القاضي الأكوغ في الاتصال بعدد من المنظمات الدولية للمساعدة في ترميم ما تمّ العثور عليه من مخطوطات. ولكنه فوجيء في سنة 1977م بزائر ألماني يعرض عليه إمكانية التدخل لدى الحكومة الألمانية من أجل المساعدة في ترميم تلك المخطوطات، وبالفعل تطوعت «جامعة سارلاند» الألمانية (Saarland University, Saarbrücken, Germany) بالقيام بعملية الترميم، وأرسلت مجموعة من المختصين في ترميم المخطوطات القديمة بقيادة «جيرد پوين» (Gerd Ruediger Poin)، وتحت إشراف ألبرخت نوث (Albrecht Noth) الأستاذ بجامعة هامبورج. وأخذ القاضي الأكوغ على فريق الترميم الألماني تعهداً بعدم نشر أي شيء عن هذه المخطوطات، أو نقل أي شيء منها إلى خارج اليمن قبل إتمام تحقيقها بواسطة المختصين اليمنيين في داخل اليمن. استمر «پوين» ومعاونوه في عمل الترميمات للمخطوطات اليمنية طوال الفترة من 1981 إلى 1985م. وبعد ذلك انضم إليهم ألماني آخر هو «هانز - كاسبر جراف فون بوتمر» (Hans - Casper Graf von Bothmer) الذي قام سراً بتصوير (35,000) ميكروفيلم للمخطوطات اليمنية، وبتهريبها إلى ألمانيا، خيانة للعهد الذي قطعوه على أنفسهم ووقعوا عليه مع القاضي إسماعيل الأكوغ (رحمه الله)، وهكذا أعداء الإسلام في كل زمان ومكان.

هذا، وقد تمّ تحديد العمر المطلق لهذه المخطوطات بواسطة الكربون المشع (C₁₄) وثبت أنه في حدود (645 - 690م)، بينما يستتج من حروف الكتابة عمراً لها يتراوح بين (710، 715م). وقد أودعت هذه المخطوطات في دار سميت باسم «دار المخطوطات اليمنية» شيدت بجوار المسجد العتيق في سنة 1984م.

وفي الفترة ما بين (1983، 1996م) تمّ ترميم ما بين (15,000، 40,000) صفحة مكتوبة بدقة فائقة، وبفن رفيع حسب وصف «پوين» نفسه. وعلى الرغم من اعتراف «پوين» هذا في خطاب كتبه لأحد المواقع الإلكترونية بعد مقال سييء نشرته له المجلة الأمريكية المعروفة باسم «أتلاتيك الشهرية» (Atlantic Monthly) في سنة (1999م)، ومقال آخر نشرته جريدة «الجارديان» البريطانية (The Guardian) في سنة (2001م) تحت عنوان «التشكيك في القرآن» (Querying the Qur'an) وقال في هذا الخطاب ما ترجمته:

«إن ما تمّت دراسته من هذه المخطوطات اليمينية يُمثل أقدم نسخة كاملة للقرآن الكريم، وأنها لا تختلف عن النسخ الموجودة في المتاحف والمكتبات المعروفة إلا في بعض التفاصيل الدقيقة التي لا تمس نص القرآن، لأنها مجرد اختلافات في تهجئة بعض الكلمات».

وعلى الرغم من هذه الشهادة الصريحة فإن خيال «پوين» الجامح، وكراهيته الشديدة للإسلام دفعاه إلى الادعاء الباطل بأن القرآن ليس نسيجاً واحداً، وأن أغلبه لم يكن مفهوماً حتى في زمن محمد ﷺ، وأن بعض المعلومات الواردة فيه هي أقدم من الإسلام ذاته (يقصد بذلك قصص الأنبياء). وانطلاقاً من هذا التحيز الواضح للباطل الكامن في عقله الباطن فإن «پوين» أرجع القصص القرآني إلى الأصول المسيحية. كذلك ادعى هذا المرمم الألماني أن خمس القرآن الكريم كلام غير مفهوم مما يجعل أمر ترجمته إلى لغات أخرى أمراً مستحيلًا.

وهذا الحكم الجائر ناتج عن جهله بكل من الإسلام واللغة العربية وبالعديد من ترجمات معاني القرآن الكريم، خاصة وأن أساطين اللغة العربية من غير المسلمين شهدوا لهذا الكتاب العزيز بإعجاز بيانه وروعة نظمه!!

وقد تبع «پوين» هذا في غلوائه، وفي محاولة تشويه ما أثبتته مخطوطة اليمن من دقة حفظ القرآن الكريم، تبعه جيش من غلاة اليهود والنصارى من أمثال:

Carole Hillenbrand, Toby Lester, Andrew Rippin, Ursula Dreibold, Maxime Rodinson, Sujit Das, Fred Leemhuis, Michael Cook & P. Crone, E.M. & E.F.Caner, Estelle Whelan, A.Sina, The so-Called «Ibn Warraq», Sam Vaknin, R.C.Sproul & Abdul-Saleeb, Robert Spencer، وغيرهم كثير.

من هنا كان الخطأ الفادح الذي وقع فيه القاضي إسماعيل الأكوغ رَحِمَهُ اللهُ فِي تسليم هذا الكنز من المخطوطات إلى أعداء الله، وكان من الأولى اللجوء إلى بعض الجهات المسلمة المعروفة بقدرتها على التعامل مع مثل هذه المخطوطات النادرة وترميمها، وما أكثرها في عالمنا الإسلامي.

ورداً على هذه الهجمة الصهيونية/ الصليبية الحاقدة كانت هذه الدراسة الموضوعية للمقاصص القرآني، مقارناً بما جاء عنه في كل من «العهدين القديم والجديد» ليدرك كل ذي بصيرة الفرق بين كلام الله - تعالى - وكلام البشر في القصة الواحدة.

من هنا فإننا نقرر بأن كلاً من الأخبار الإنبائية، والإشارات التاريخية في كتاب الله لا تأتي من قبيل السرد التاريخي أو الإخبار المباشر، ولكنها تأتي في مقام استخلاص الدروس والعبر من الأحداث، وتقويم المواقف تقويماً إسلامياً صحيحاً يوضح سنن الله في الكون، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ، ودور الإنسان في ذلك. وتأتي هذه الآيات الإنبائية، والأخبار التاريخية أيضاً في مقام الاستدلال على صدق القرآن الكريم في كل إشارة أوردها، مما يثبت لكل ذي بصيرة بأن هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. كما تأتي هذه الآيات شاهدة على صدق نبوة الرسول الخاتم ﷺ وعلى وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً. وتأتي شاهدة كذلك على وحدانية الخالق ﷻ، وعلى نبوة خاتم أنبيائه ورسوله، وعلى طبيعة الصراع بين الشيطان والإنسان، والتحذير من غواية الشيطان ووساوسه. وتأتي مؤكدة على حتمية انتصار الحق وجنده على الباطل وأهله، مهما ساد أهل الباطل وعلوا، ومهما طال بهم الزمن.

والقصة ترد في القرآن الكريم إما كاملة في سورة واحدة (كما جاء في قصة

عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام) وإما ترد مُجزأة في عدد من المواقف التربوية المُعلّمة، كل موقف أو مجموعة مواقف منها ترد في السورة الواحدة حسب طبيعة السورة، ومناسبة الموقف أو المواقف التاريخية لها. وبذلك قد ترد القصة القرآنية الواحدة في عدد من السور القرآنية، وفي عدد من المواضع والمناسبات في السورة الواحدة، حسب السياق الذي تعرض فيه، تحقيقاً للرسالة المبتغاة من إيراد القصة أو الموقف المحدد منها.

وقد يتخيّل بعض الناس أنّ شيئاً من التكرار قد وقع عند إيراد القصة الواحدة، أو الموقف الواحد منها، في أكثر من موضع من كتاب الله، ولكن الحقيقة البينة أنّه ما أعيدت الإشارة إلى القصة أو إلى إحدى حلقاتها إلا وكان هناك رسالة جديدة تؤديها، ومن هنا تنتفي شبهة التكرار في القرآن الكريم. وانطلاقاً من ذلك فإن المناسبة الموضوعية للسور القرآنية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع من كتاب الله، كما تحدد طريقة العرض، وأسلوب الأداء وخصائصه، وذلك لأن القرآن الكريم هو كتاب تعليم لدين الله، وإعلام بهذا الدين الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه. والقرآن الكريم - في نفس الوقت - هو دستور الأمة المؤمنة، ومنهج الحياة التي يرتضيها رب العالمين من عباده الصالحين. وفي هذا الإطار الذي وضعه الله - تعالى - لمحكم كتابه، تأتي الإشارة إلى القصة أو إلى إحدى حلقاتها بالقدر المختار بدقة فائقة، وإحكام بالغ، وبالأسلوب المناسب لجو السورة القرآنية وسياقها العام. ويجيء ذلك كله في إطار من إبداع الأسلوب، ودقة العرض، وجمال الأداء، وفي تقرير للحقيقة، وتيسير لاستخلاص الدروس والعبر المستفادة من السورة كلها، أو من القصة ذاتها، أو من موقف محدد من مواقفها. وقد يكون هذا الدرس المستفاد من القصة القرآنية أو من إحدى حلقاتها هو موضوع السورة القرآنية التي أوردته، ومن هنا فإن القصة تساق، أو يساق عدد من حلقاتها، أو ترد حلقة واحدة منها في السورة القرآنية بالقدر الذي يتناسب مع موضوع السورة، ومع الدروس المستفادة منها، وذلك بالأسلوب الذي يبرز تلك الدروس ويجليها

لقارئ القرآن الكريم تجلية كاملة.

والقصص القرآني يجسد الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الالتزام بمنهج الله والخروج عليه وذلك عبر تاريخ الإنسان على الأرض. لذلك فإن قصص القرآن الكريم يشمل سير عدد من أنبياء الله ورسله، وأخبار أممهم، وتفاعل كل واحدة من تلك الأمم مع دعوة نبيها، وكيف كان جزاء المؤمنين منهم، وعقاب الكافرين. والهدف من كل ذلك هو استخلاص الدروس والعبر من سيرهم؛ واستعراض حركة الإسلام في التاريخ البشري كله من لدن أبينا آدم ﷺ إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - لعل البشرية أن تستفيد بذلك في فهم حتمية الصراع بين الإنسان والشیطان.

وفي مجال الإعجاز التاريخي سوف نقتصر على سير الأنبياء الذين عاشوا في حدود التاريخ المدون، والمحدد بعشرة آلاف سنة مضت. أمّا الذين جاؤوا قبل تدوين التاريخ من أمثال كل من أنبياء الله الصالحين: آدم وإدريس ونوح ﷺ فسوف تتم مناقشة سيرة كل واحد منهم تحت عنوان «الإعجاز الإنبائي» الذي يشمل فيما يشمل الإنبياء بالعديد من الوقائع والأحداث التي تمت فيما قبل التاريخ، كما يشمل الإنبياء بأحداث تاريخية قبل وقوعها، وجاء وقوعها موافقاً لإنبياء القرآن الكريم بها، أو لم يتم ذلك بعد ولا نزال ننتظر وقوعه.

وقصص الأنبياء في القرآن الكريم يمثل موكب الإيمان عبر التاريخ، ويجسد حاجة الإنسانية دوماً إلى هداية رب العالمين، من أجل استقامة الحياة على الأرض، وتمكين الإنسان من تحقيق رسالته في هذه الحياة. ويؤكد هذا القصص القرآني مسيرة الدعوة إلى دين الله، واستجابة المؤمنين لها، وانصراف الكفار والمشركين والعاصين عنها. ويعرض قصص القرآن الكريم كذلك أثر الإيمان في صلاح العباد في الدنيا، ويبشر بنجاتهم في الآخرة إن شاء الله، كما يعرض آثار الكفر والشرك والضلال في صداً القلوب، وانغلاق العقول التي تشقى أصحابها في

الدنيا، وتوردهم موارد التهلكة في الآخرة.

من هنا كان للقصص القرآني دور كبير في تثبيت المؤمنين على إيمانهم، وفي التأكيد على معية الله - تعالى - لهم، وتطمينهم على مستقبل حياتهم في الآخرة التي يصفها الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 88 - 89].

والقصص القرآني - في نفس الوقت - يوقظ القلوب الغافلة، وينتشلها من غفلتها، كما يُنبّه العقول الضالة، وينقذها من تيهها وانحرافها، ويردّها إلى الصواب والحق؛ وذلك لأنّ القصص له طريقته الخاصة في عرض الحقائق، وفي إيصالها إلى القلوب والعقول، بأسلوب واقعي، كما تجري الأحداث في حياة الناس، وهذا أوقع في النفس من مجرد عرض تلك الحقائق بطريقة مجردة.

والأنبياء الذين أورد القرآن الكريم ذكرهم هم:

- 1 - آدم ﷺ: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم خمسة وعشرين (25) مرة في تسع (9) من سور هذا الكتاب العزيز هي: (البقرة، آل عمران، المائدة، الأعراف، الإسراء، الكهف، مريم، طه، يس).
- 2 - إدريس ﷺ: وقد جاء ذكره مرتين (2) في القرآن الكريم، في سورتين (2) من سوره، هما: (مريم والأنبياء).
- 3 - نوح ﷺ: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين (33) مرة، في ثمان وعشرين (28) سورة من سور هذا الكتاب العزيز، وسميت إحداها باسمه وهذه السور هي: (آل عمران، النساء، الأنعام، الأعراف، التوبة، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، مريم، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، غافر، الشورى، ق، الذاريات، النجم، القمر، الحديد، التحريم، ونوح).
- 4 - هود ﷺ: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره عشر (10) مرة.

- مرات في أربع (4) من سوره، هي: (البقرة، الأعراف، هود، والشعراء).
- 5 - صالح عليه السلام: وقد جاء ذكره في القرآن الكريم تسع (9) مرات في أربع (4) من سوره، هي: (الأعراف، هود، الشعراء، والنمل).
- 6 - إبراهيم عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره تسعاً وستين (69) مرة في خمسة وعشرين (25) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، التوبة، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، مريم، الأنبياء، الحج، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الحديد، الممتحنة، والأعلى).
- 7 - لوط عليه السلام: وجاء ذكره سبعمائة وعشرين (27) مرة في كتاب الله، في أربعة عشر (14) سورة من سوره، هي: (الأنعام، الأعراف، هود، الحجر، الأنبياء، الحج، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، ص، ق، القمر، والتحريم).
- 8 - إسماعيل عليه السلام: وجاء ذكره اثنتا عشرة (12) مرة في القرآن الكريم، في ثمان (8) من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، وص).
- 9 - إسحاق عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم سبعة عشر (17) مرة، في اثنتي عشرة (12) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، الأنبياء، العنكبوت، الصافات، وص).
- 10 - يعقوب عليه السلام: وجاء ذكره في كتاب الله ثمانية عشرة (18) مرة؛ ستة عشر (16) منها باسم «يعقوب»، ومرتان (2) باسم «إسرائيل»، وذلك في عشرة (10) من السور، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، هود، يوسف، مريم، الأنبياء، العنكبوت، وص).
- 11 - يوسف عليه السلام: وقد سميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره سبعمائة

- وعشرين (27) مرة في كتاب الله، في ثلاثة (3) من سوره، هي: (الأنعام، يوسف، وغافر).
- 12 - شعيب عليه السلام: وجاء ذكره إحدى عشرة (11) مرة في كتاب الله، وذلك في أربع (4) من سوره، هي: (الأعراف، هود، الشعراء، والعنكبوت).
- 13 - أيوب عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم أربع (4) مرات في أربع (4) من سوره، هي: (النساء، الأنعام، الأنبياء، ص).
- 14 - ذو الكفل عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم مرتان (2) في سورتين (2) من سوره، هما: (الأنبياء، ص).
- 15 - موسى عليه السلام: وجاء ذكره مائة وست وثلاثين (136) مرة في كتاب الله، في أربع وثلاثين (34) سورة من سوره، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، السجدة، الأحزاب، الصافات، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الأحقاف، الذاريات، النجم، الصف، النازعات والأعلى).
- 16 - هارون عليه السلام: وجاء ذكره عشرين (20) مرة في ثلاث عشرة (13) سورة من سور القرآن الكريم، هي: (البقرة، النساء، الأنعام، الأعراف، يونس، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، القصص، والصافات).
- 17 - داود عليه السلام: وجاء ذكره ستة عشر (16) مرة في تسع (9) من سور القرآن الكريم، هي: (البقرة، النساء، المائدة، الأنعام، الإسراء، الأنبياء، النمل، سبأ، و ص).
- 18 - سليمان عليه السلام: وجاء ذكره سبعة عشر (17) مرة في كتاب الله، موزعة على سبع (7) من سوره الكريمة، هي: (البقرة، النساء، الأنعام، الأنبياء، النمل، سبأ، و ص).

- 19 - إلیاس عليه السلام: وجاء ذكره في القرآن الكريم ثلاث (3) مرات، مرتين (2) باسم (إلیاس) ومرة واحدة باسم (إل یاسین)، وذلك في سورتين کریمتین من سوره (2)، هما: (الأنعام، والصفات).
- 20 - الیسع عليه السلام: وجاء ذكره مرتين (2) فقط، وذلك في سورتين (2) من سور القرآن الكريم، هما: (الأنعام، ص).
- 21 - یونس عليه السلام: وقد سمیت باسمه إحدى سور القرآن الكريم، وجاء ذكره أربع (4) مرات في أربع (4) من سور هذا الكتاب العزيز، هي: (النساء، الأنعام، یونس، والصفات).
- 22 - زکریا عليه السلام: وجاء ذكره سبع (7) مرات في كتاب الله موزعة على أربع (4) من سوره، هي: (آل عمران، الأنعام، مریم، والأنبياء).
- 23 - یحیی عليه السلام: وجاء ذكره خمس (5) مرات في أربع (4) من سور القرآن الكريم، هي: (آل عمران، الأنعام، مریم، الأنبياء).
- 24 - المسيح عیسی ابن مریم عليه السلام: وجاء ذكره ستة وثلاثين (36) مرة في القرآن الكريم، منها خمسة وعشرين (25) مرة باسم (عیسی)، وإحدى عشرة (11) مرة باسم (المسیح) وذلك في اثنتي عشرة (12) سورة من سور القرآن، هي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، التوبة، مریم، الأحزاب، الشوری، الزخرف، الحديد، والصف).
- 25 - خاتم الأنبياء والمرسلین سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم وجاء ذكره في القرآن الكريم مئتين وثمانين عشرة (218) مرة، منها أربع (4) مرات باسم (محمد)، وذلك في سور (آل عمران، الأحزاب، محمد، والفتح)، ومرة واحدة (1) باسم (أحمد)، وذلك في سورة (الصف)، وثمان وثلاثون (38) مرة بصفته النبوية (النبي)، ومائة وخمسة وسبعون (175) مرة بصفته الرسولية (الرسول)، وسمیت باسمه إحدى سور القرآن الكريم (سورة محمد). هذا بالإضافة إلى مئات من صیغ النداء علیه وتوجيه الحديث إليه؛

لأنَّ الخطاب القرآني موجه في غالبيته إليه ﷺ.

وقصص الأنبياء جاء كذلك تثبيتاً لرسول الله ﷺ وللعصبة المؤمنة من حوله، وتسرية لهم، خاصة في أوقات الشدائد والمحن التي تعرضوا لها وابتلوا بها. فرسول الله ﷺ وصحابته الكرام والذين تبعوهم ولا يزالون يتبعونهم بإحسان إلى يوم الدين حينما يعلمون طرفاً من أخبار الابتلاءات والشدائد التي تعرّض لها أنبياء الله والصالحون من أتباعهم كان ذلك مما يهون عليهم ما يتعرضون له هم من شدة، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿تِلْكَ الْأَقْرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَذَبُوا مِنْ قَبْلِكَ كَذَبُوا مِنْ قَبْلِكَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: 101، 102].

● ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْأَقْرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: 100].

● ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120].

● ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: 1 - 3].

● ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 111].

● ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: 13].

● ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: 99].

وبالإضافة إلى قصص الأنبياء يشمل القصص القرآني سير عدد من الصالحين

من مثل كل من: لقمان الحكيم، ذو القرنين، طالوت، مؤمن آل فرعون، امرأة فرعون، مريم ابنة عمران وأبواها، وأصحاب الكهف، وغيرهم.

كذلك يشمل القصص القرآني سِيرَ عدد من الطغاة المفسدين في الأرض، والمنتجبرين على الخلق، وذلك من أمثال كل من: فرعونِي موسى: (فرعون الاضطهاد رُمسيس الثاني، وفرعون الخروج ابنه منفتح الأول) ووزيرهما هامان وجنودهما، والنمرود بن كنعان، وجالوت، ومن مثل كل من أقوام نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وكفرة بني إسرائيل، وكل: من قارون، وأصحاب السبت، والسامري، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الرس، وأصحاب الفيل، وغيرهم.

والقرآن الكريم لا يستعرض سير تلك الأمم، ولا قصص هؤلاء الأنبياء والأفراد، استعراضاً تاريخياً - على عادة الكتابات التاريخية التي تهتم بالأسماء، والتواريخ، والتفاصيل الدقيقة - ولكنه يركز على عدد من المواقف الملفتة للنظر سلباً أو إيجاباً. وذلك لأن الله - تعالى - أنزل ذلك القصص من أجل أن يتعلم قارئ القرآن الكريم الدروس والعبر المستفادة من كل موقف من تلك المواقف، ويخرج بمعرفة الحكمة من إيرادها في كتاب الله، ذلك الكتاب الذي يهتم بتهديب الأنفس وتربيتها على التواصي بالحق والتواصي بالصبر. ولذلك فإن النص القرآني غالباً ما يخلو من تفاصيل أنساب الأشخاص، وأعيان الذوات، لأنه يهتم بتصوير نماذج البشر عبر التاريخ، وأنماط الطباع المتباينة بينهم، تعليماً وتثقيفاً لقارئ القرآن الكريم. كذلك يتجاوز كتاب الله كل التفاصيل غير المهمة للحوادث التي يستعرضها، كما يستعيد كل الجزئيات الهامشية للوقائع التي يرويها، من أجل تجسيد القيم التي يريد الله - تعالى - أن يثبتها في نفس المسلم، وأن يعلمه السنن التي يقوم عليها نظام الكون. والسنن الكونية لا تتوقف، ولا تعطل، ولا تتخلف أبداً، بغض النظر عن الحوادث والأشخاص التي مروا بها، أو مرت بهم، ومن هنا كانت أهمية التذكير بها.

وسوف نعرض في هذا الكتاب بجزأيه لعدد من تلك المواقف في سير الأمم، والأنبياء، والأفراد، من أجل إبراز ما فيها من دقة تاريخية محكمة. وهذه الدقة التاريخية تسجل مواقف تفرد بها القرآن الكريم، وأخرى يصحح بها ما جاء من خلط عنها في الكتب المتداولة بين أيدي الناس اليوم (من أمثال العهدين القديم والجديد). وقد امتلأت هذه الكتب بالتصورات البشرية المريضة عن أشرف الخلق من كل من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من صالحى بني آدم، الذين رُموا في تلك الكتب بأوصاف لا تليق بأراذل الناس، وهم المفروض فيهم أنهم المثل العليا للإنسانية في أرقى صورها. وذلك لأن الله - تعالى - قد أدب هذه الصفوة من خلقه فأحسن تأديبهم حتى يكونوا مثلاً علياً يقتدي بهم كل من آمن برسالتهم. كما امتلأت تلك الكتب الموضوعوعة بالأراء المريضة، والخيالات المغرقة في الخرافات والأساطير عن الذات الإلهية المنزهة عن كل نقص، والمغايرة لجميع صفات الخلق.

ومن صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله أن جميع الثوابت التاريخية والكشوف الأثرية جاءت لتؤكد كل ما ذُكرَ عنها في القرآن الكريم، وذلك من مثل كشف بقايا سفينة نوح عليه السلام فوق «جبل الجودي»، وكشف «إرم ذات العماد» بالأحقاف (في الركن الجنوبي الشرقي من الربع الخالي)، ودراسة آثار كل من قوم ثمود (مدائن صالح) في الحجر (واد القرى)، وآثار كل من عبد الله ونبيه إبراهيم، وولده النبي إسماعيل عليه السلام في مكة المكرمة، وقرى قوم لوط في جنوب البحر الميت، وآثار كل من موسى وقارون في كل من وادي النيل وشبه جزيرة سيناء، وآثار كل من كهف الفتية في الأردن، وأصحاب الأخدود في جنوب الجزيرة العربية، وغير ذلك كثير مما جاء مطابقاً لما ذكره القرآن الكريم.

وكتابتنا هذا يعرض لأكثر من مائة آية قرآنية كريمة يحتوي كلٌّ منها على معجزة، أو على أكثر من معجزة إنبائية أو تاريخية. وفي معالجتنا للإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآيات اعتمدنا أساساً على القرآن الكريم، ثم على الأحاديث

النبوة الشريفة، ثم على الكشوف الأثرية والوقائع التاريخية المثبتة، وذلك من أجل التخلص من كمّ الإسرائيليات والخرافات والأساطير التي امتلأت بها كتب الأولين عن الأنبياء والمرسلين وعن كثير من أخبار الخلق الصالحين والطارحين.

وهذا المنهج أثبت بوضوح ربانية القرآن الكريم، كما أثبت صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض، فإن أصبت في ذلك فمن الله وتوفيق منه، وإن أخطأت فمن نفسي، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الراجي رحمة ربه

زغلول راغب محمّد النجار

القاهرة في 25 / 7 / 1431 هـ - 7 / 7 / 2010 م

الباب الأول
من أنبياء وشخصيات ما قبل التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٩﴾

[هود: 49]

أولاً: عرض القرآن الكريم لقصة آينا آدم ﷺ

يقرر القرآن الكريم أن آدم ﷺ هو أبو البشر جميعاً، ويقرر حديث رسول الله ﷺ أنه كان أول الأنبياء جميعاً، وقد سمي بهذا الاسم لأنه خلق من أديم الأرض. وجاء ذكر آينا آدم ﷺ في القرآن الكريم خمسة وعشرين (25) مرة في تسع من سوره، وامتدحه الله - تعالى - بالاصطفاء والاجتباء. وعلى الرغم من مجيء قصة آينا آدم ﷺ في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم إلا أنها أجملت في عشر آيات من سورة «البقرة»، يقول فيها ربنا ﷻ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَيَحْنُ نَسِيحٌ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صٰٓدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِآلَآ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّكِدُمْ أَنۢبِئُهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَعَلَّمُ مَا تُبۢدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكَفُّونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسۢجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبۢلِيسَ أَبٰى وَاسۢتَكۢبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّكِدُمْ أَسۢكُنْ أَنْتَ وَزَوۢجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئۢتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيۢطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهۢطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمۡ فِي الْأَرْضِ مُسۢتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ ذُنُوبَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابِغُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهۢطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنۡي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحۢزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰتِنَا أُولٰٓئِكَ أَصۢحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: 30 - 39].

والخلافة هنا هي عن الله - تعالى - وجاءت إمضاءً لأحكامه وأوامره بإعطاء الإنسان حرية الإرادة ابتلاءً واختباراً له. ورد الملائكة جاء انطلاقاً من حقيقة أن الجن كانوا قد استخلفوا في الأرض من قبل، وهم خلق عاقل مكلف، منحوا

حرية الإرادة فأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً وسفكوا الدماء.

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد اصطفاء الله - تعالى - لأبينا آدم على جميع ما قد خلق من قبله من مخلوقات، وجاء ذلك في قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

[آل عمران: 33 - 34].

وليس معنى الاصطفاء هنا أنه كان من أناسي أو أشباه أناسي كما يدعي البعض، لأن التأكيد على خلقه بمعجزة خاصة جاء في قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

[آل عمران: 59].

كذلك تم استعراض قصة أبينا آدم ﷺ في سورة «الأعراف» تأكيداً على عداوة الشيطان للإنسان، وعلى حتمية الصراع بينهما إلى يوم الدين، وجاء ذلك في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَنِي مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْجُومًا مَّدْحُورًا لَّمِن تَبَعِكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَّكِدُمْ أَتَىٰكَ وَرَزَوَجَكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِرٌ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَنَفُّرٌ لَّنَا وَرَزَحْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

[الأعراف: 11 - 25].

وَفِيهَا تَمْوُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

وفي سورة «الإسراء» جاء التأكيد على ترصد الشيطان للإنسان وحرصه على إغواء بني آدم وإغرائهم بالخروج على منهج الله، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْهُم مِّنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْبِيبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾﴾

[الإسراء: 61 - 65].

وفي سورة «الكهف» جاء التأكيد على أن إبليس كان من الجن وأنه خرج على أوامر الله فأصبح من الفاسقين، وذلك في قول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

[الكهف: 50].

وجاء في سورة «طه» تحذير ربنا ﷺ لأبينا آدم ﷺ ولذريته من بعده من عداوة الشيطان لهم، كما جاء التأكيد على إمكانية تعرض الإنسان للخطأ، وعلى تمكنه من التوبة إلى الله (وهو التواب الرحيم)، وذلك في قول الحق - تبارك اسمه -:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِيٍّ وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّعَدُ مِنْ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوَانِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُ هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكُ لِآبِلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْبَنَهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ

عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٧٤﴾ [طه: 115 - 124].

وجاء في سورة «السجدة» التأكيد على أن بداية خلق الإنسان كانت من الطين، وذلك نفيًا لإرهاصات الضالين، ولتخرصات المتخرصين من دعاة أسطورة التطور العضوي، وفي ذلك يقول - تعالى - : ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ أَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 6 - 9].

وفي سورة «ص» يؤكد القرآن الكريم قصة خلق أبينا آدم من طين ومن نفخة روح، هي هبة من رب العالمين، كما يؤكد على أنه مخلوق مكرم، ولكن الشيطان الرجيم كان دوماً له بالمرصاد يحاول إنزاله عن مقامات التكريم، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنْتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: 71 - 85].

وفي شرح قوله - تعالى - أنه خلق الإنسان من تراب قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

(1) أخرجه كل من الأئمة أبو داود حديث رقم (4693)، والترمذي حديث رقم (2955).

رمزية خلق آدم ﷺ كما جاءت في القرآن الكريم:

- 1 - إنه رمز لطلاقة القدرة الإلهية المبدعة في خلق الحياة - بصفة عامة - وخلق الإنسان - بصفة خاصة - من طين الأرض، بل من سلالة من هذا الطين، ثم خلق نسله من ماء مهين ومن سلالة من طين على مراحل متتابعة وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾

[السجدة: 7].

ويقول:

● ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن رُّبَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََتَّخِذُوا شُيُوعًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتَوَىٰ مِن قَبْلِ وِلْدَانِهِمْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَعَلَّامًا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

[غافر: 67].

- 2 - إنه رمز لكمال الخلق، لأنَّ الله - تعالى - خلقه بعد تمام خلق جميع المخلوقات الأخرى، وهو كذلك رمز للقدرة على المحافظة على هذا الكمال أو التخلي عنه، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

● ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾

[التين: 4 - 6].

- 3 - إنَّ خلق آدم ﷺ وخلق زوجه من نفس واحدة هو رمز لوحداية الخالق ﷻ الذي خلق جميع خلقه من أصل واحد، وخلقهم في زوجية واضحة (من اللبنة الأولية للمادة إلى الإنسان) حتى يبقى ربنا - تبارك وتعالى - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

- 4 - إنه رمز للمخلوق المعد إعداداً خاصاً للاستخلاف في الأرض وذلك بنص القرآن الكريم الذي جاء فيه:

● ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[البقرة: 30].

5 - إنه رمز للاستعداد الفطري في الإنسان لاكتساب المعارف والعلوم بمختلف مجالاتها، وقد أوتي الأدوات اللازمة لتحقيق ذلك، ومن هنا كان تفضيل الله تعالى - له على كثير ممن خلق وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

● ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

[البقرة: 31].

فقد علمه الله تعالى - مسميات وحقائق الأشياء، والسنن التي تحكمها، وتضبط خيرها وشرها، وأقدره على وضع اسم على كل شيء تقع عليه عينه.

6 - إنه رمز لوحدة اللغات وتآصلها في لغة واحدة هي اللغة العربية التي أنطقه الله تعالى - بها، والتي تفرعت عنها جميع لغات أهل الأرض بعد ذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ ﴿٤﴾﴾

[الرَّحْمَنُ: 1 - 4].

7 - إنه رمز للطبيعة البشرية المعرضة للوقوع في الخطأ ثم المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى - ومن هنا كانت مخالفته لأوامر الله، ثم توبته، وإخراجه من الجنة، وذلك انطلاقاً من قول الحق - تبارك اسمه -:

● ﴿فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

[البقرة: 37، 38].

● ويقول - تعالى -: ﴿ثُمَّ آخَضْنَاهُ رُبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَيْنَاهُ ﴿١٢٢﴾﴾

[طه: 122].

8 - إنه - كغيره من أنبياء الله - كان رمزاً لتلقي العلم الموهوب عن طريق الوحي من الله ﷻ ثم تعليمه لغيره من بني آدم، كما كان مؤهلاً لكسب المعارف بعقله وحواسه (العلم المكتسب) وفي ذلك تأكيد على حاجة

الإنسان إلى الهداية الربانية، وإلى الاجتهاد في كسب العلم، وفي ذلك يقول ربنا - جلّ وعلا - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

● ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: 1 - 5].

9 - في نبوته المعصومة من الخطأ كان آدم ﷺ رمزاً للاصطفاء والاجتباء وللنبوة الموصولة برب العالمين، وفي ذلك يقول الحق ﷻ:

● ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: 33، 34].

10 - إنه رمز لتأصل البشرية وردها إلى أب واحد وأم واحدة وذلك لقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

أي أن كلاً من آدم وحواء قد خلق من طينة واحدة، وخلق كل منهما خلقاً مستقلاً بذاته من أصل واحد، وذلك انطلاقاً من قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: 49].

● وقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13].

- وقال ﷺ: «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب»⁽¹⁾:

والإيمان بالأصل الواحد للبشر جميعاً، بمعنى ردهم إلى أب واحد وأم واحدة، يلغي جميع أوجه العصبية العرقية، والاعتقادية، والمذهبية، والاجتماعية

التي عانت منها البشرية طويلاً، ولا تزال تعاني منها إلى اليوم.

11 - إنه رمز لتأصل الإيمان بالله، ذلك الإيمان الفطري المزروع في الجبلة الإنسانية التي شهدت على نفسها في عالم الذر، وذلك انطلاقاً من قوله - تعالى -:

● ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾
[الأعراف: 172].

وعلى ذلك فإن الإنسان خلق عالماً عابداً ناطقاً، ولم يبدأ وجوده جاهلاً، ولا كافراً، ولا أبكماً كما يدعي أغلب علماء الدراسات الإنسانية المعاصرون والذين يعرفون باسم (Modern Anthropologists).

12 - إنه رمز للتكريم الإلهي للإنسان:

فقد خلقه الله - تعالى - بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأدخله الجنة، وأسجد الملائكة له، ثم استخلفه في الأرض، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً من الله - تعالى - القائل:

● ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾
[الإسراء: 70].

ويؤكد ربنا ﷻ ذلك بقوله الكريم:

● ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾
[ص: 71 - 73].

ونسبة الروح إلى الله - تعالى - هنا ليست إلا تشريفاً لآدم ﷺ فروح الإنسان من خلق الله، وإضافتها إلى الله - تعالى - هي إضافة تكريم وتشريف، لأن (من) هنا هي للتشريف والتكريم، وليست للتبعيض، والله - تعالى - كل لا يتجزأ، ومنزه

عن كل إضافة. وكذلك (السجود) هنا هو سجد تكريم، وليس سجد عبادة، لأنَّ سجود العبادة لا يكون إلا لله - تعالى - وحده.

وعلى ذلك فإنَّ سجود الملائكة لأبينا آدم ﷺ كان طاعة لأمر الله، وتكريماً لأبينا آدم ﷺ، ولم يكن عبادة لآدم الذي خلقه الله - تعالى - لعبادة رب العالمين وحده بما أمر، وللتبليغ عن الله - تعالى - بما علمه الله بواسطة الوحي المنزل عليه (كما أنزل على أنبياء الله ورسله، من بعده)، وللقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض حسب هذا العلم الذي وهبه الله - تعالى - إياه، والذي علمه لبيه وأحفاده من بعده.

13 - في بشريتهما التي تخطئ وتصيب، وتستغفر وتتوب، بواسطة الإرادة الحرّة التي وهبها الله ﷻ إياها، كان كل من أبوينا آدم وحواء ﷺ رمزاً للصراع بين الحق والباطل، وللمعركة المحتممة بين الشيطان والإنسان على مر الزمان، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: 20].

● ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23].

● ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْنَىٰ كُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 27].

● ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: 115].

● ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَصَوَّىٰ ءَادَمُ رَبُّهُ فَوَوَّىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْبَنَاهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: 121، 122].

● ﴿قُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرِجْلِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117].

- وقال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»⁽¹⁾.
- وقال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإيائي، إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرَنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»⁽²⁾.

- وقال: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَاتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَاتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ»⁽³⁾.

14 - إِنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي سَكَنَهَا أَبُو آدَمَ وَحَوَّاءَ ﷺ كَانَتْ جَنَّةً فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ تَكُنْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا بَعْدَ التَّكْلِيفِ وَالْوَفَاءِ، وَذَلِكَ جَزَاءٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا، وَرَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَفَضْلٌ. وَجَنَّةُ الْآخِرَةِ لَا يَغَادِرُهَا مَنْ يَدْخُلُهَا أَبَدًا، وَلَا يَدْخُلُهَا الشَّيْطَانُ أَبَدًا، وَيَأْتِي هَذَا الْاِسْتِنَاجُ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -:

- ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَمِنْهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿٥٥﴾ [طه: 55].
- وقوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ﴿٨﴾ [نوح: 17، 18].

- وقوله - عَزَّ مَنْ قَاتَلَ -: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأعراف: 25].

15 - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - خَلَقَ آدَمَ ﷺ خَلْقًا خَاصًّا عَلَى صُورَتِهِ الْآدَمِيَّةِ وَذَلِكَ انْتِطَاقًا مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي عَرَضْنَاهَا أَنْفَاءً، وَمِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»⁽⁴⁾. وَأَخْرَجَ كُلَّ مِنَ الْإِمَامِينَ الْبُخَارِيِّ وَأَحْمَدَ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالضَّمِيرُ فِي (صُورَتِهِ) عَائِدٌ عَلَى الْأَخ

(1) أخرجه الإمام البخاري حديث رقم (21).

(2) أخرجه الإمام مسلم، حديث رقم (7039).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (2166).

(4) أخرجه الإمام مسلم، حديث رقم (6598).

المضروب، وذلك تكريماً لآدم ﷺ.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تعالى - خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً،... فلم يزل الخلق ينقص بعد»⁽¹⁾.

16 - كان أبوانا آدم وحواء - كما كان غيرهما من مختلف المخلوقات - رمزاً لمرحلية الحياة الدنيا التي لا بد وأن يتبعها الموت. وذلك لأن الله - تعالى - الذي فرضه ربنا - تبارك وتعالى - على جميع خلقه، ليبقى وحده متفرداً بصفات الألوهية ومنها التنزيه عن حدود كل من المادة والطاقة، والمكان والزمان، وعن جميع صفات المخلوقين، وعن كل وصف لا يليق بجلال الله الذي وصف ذاته العلية بقوله: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

17 - أما عن وفاة آدم ﷺ فيذكر ابن كثير رحمته الله في كتابه «البداية والنهاية» أن آدم ﷺ توفي في سن متقدمة جداً، وعندما فُضِّضَ غسلته الملائكة وكفنوه وحنطوه، وصلوا عليه صلاة الجنازة، ثم أدخلوه قبره فلحدوه ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا: «يا بني آدم هذه سُنَّتُكُمْ». وذكر أنه دُفِنَ في مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ في غار بجبل أبي قبيس يقال له: «غار الكنز». كذلك ذكر أن حواء ماتت بعده بفترة قصيرة ودفنت بالقرب من قبره (رحم الله أبونا آدم وحواء برحمته الواسعة وجعل مستقرهما جنَّات النعيم وألحقنا بهما على الإيمان الكامل اللهم آمين يا رب العالمين).

الدروس المستفادة من قصة آدم ﷺ كما جاءت في القرآن الكريم:

1 - الإيمان بالله - تعالى - رباً واحداً أحداً، فرداً صمداً (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد)، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (6227)، ومسلم حديث رقم (7092).

- الآخر، وبالجن صالحهم وطالحهم.
- 2 - اليقين بأن الله - تعالى - هو خالق كل شيء في زوجية كاملة، حتى يبقى - سبحانه - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وأنه - تعالى - خلق أبونا آدم وحواء بعد أن أتم خلق كل شيء فتوح بخلقهما جميع ما قد خلق.
- 3 - التسليم بأن الله - تعالى - خلق آدم ﷺ في صورته الآدمية، خلقاً خاصاً، (لا علاقة له بالخلق الحيواني من قبله)، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأدخله الجنة، وأسجد له الملائكة، ثم استخلفه في الأرض وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.
- 4 - الإيمان بكل من الروح، والملائكة، والجن، وكلها من عوالم الغيب التي لا يعلمها إلا الله - تعالى - الذي قد يُعلم من يرتضي من الأنبياء والمرسلين شيئاً من تلك الغيوب.
- 5 - اليقين في حتمية الصراع بين الإنسان والشیطان وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

● ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفُودَنَّ لَهُمْ سِرَطَكَ الْمَسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنبِتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16، 17].

● ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا تُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧٧﴾﴾ [طه: 116، 117].

● ﴿فَدَلَّهِمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22].

● ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: 168، 169].

6 - التسليم بأن مسؤولية الخضوع لوسوسة الشيطان، والوقوع في معصية الرحمن، والخروج من الجنة تقع على كاهلي آدم وحواء معاً، وليس على كاهل حواء وحدها، كما يدعي كاتبو «العهد القديم». والخطاب القرآني في هذا الأمر موجه إليهما معاً [البقرة: 35، 36، 286؛ الأعراف: 20 - 23 - 27].

7 - إن خطأ آدم وحواء لا ينال أيًا من أفراد نسلهما (كما يدعي كل من العهدين القديم والجديد)، فكل فرد منّا يتحمل مسؤولية أعماله، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
[الأنعام: 164].

● ويقول عز وجل: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا لِبَنِيهِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزَرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كَأْمُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15].

● ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: 38].

ويقول - عز من قائل -: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: 124].

● ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: 97].

● ويقول - وقوله الحق -: ﴿وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزَرَّ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: 18].

● ويقول - جل شأنه -: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: 7].

● ويقول ﷺ: ﴿أَلَا نَزْرُ وَزْرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [٢٨] [النجم: 38].

8 - إن الله - تعالى - منزّه تنزيهاً كاملاً عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، بينما يحاول نفر من بني آدم الانحطاط بمدلول الألوهية عن هذا التنزيه، فقد جاء في سفر «التكوين» (الإصحاح الأوّل: 27، 28) ما نصّه: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم».

وانطلاقاً من ذلك فإن كثيراً من أهل الكتاب يعتقدون أنّ الله الخالق يشبه في شكله الإنسان (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) بل تجاوز بعض الوثنيين هذا الحد باعتبار ملوكهم آلهة أو أبناء آلهة. وقد ساد هذا التصور الخاطئ مختلف المجتمعات الوثنيّة القديمة، كما ساد بعض المجتمعات الوثنيّة الحديثة من مثل كل من المجتمع الياباني والمجتمع الهندي. ففي المجتمع الياباني ظلّ الفرد يعبد إمبراطور بلاده، انطلاقاً من الاعتقاد الخاطئ أنّه من نسل الآلهة. واستمر هذا الشرك بالله حتى نهاية الحرب العالميّة الثانية (1945م) حين ظهر الإمبراطور على شاشة التلفاز معترفاً بكذبه، وببطلان ادعائه بعد هزيمة بلاده في تلك الحرب. وعلى الرّغم من ذلك فلا يزال اليابانيون يسجدون لإمبراطور بلادهم عند لقائه إلى يومنا الرّاهن.

ونحن ننزّه الله - تعالى - عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وقد وصف ذاته العلية بقوله العزيز:

● ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وقال أمراً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وأمراً كل مؤمن به من بعده بتوحيد الله - تعالى - وتنزيهه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله وذلك

بالأمر القاطع الذي يقول ﷺ فيه :

● ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدًا ۝٤﴾

[الإخلاص: 1 - 4].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ﷺ بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذرّ ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أو تقولوا - إلى قوله - ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾»⁽¹⁾.

وقال ﷺ: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال، فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي»⁽²⁾.

9 - إن آدم أبو البشر، وأول الأنبياء كان مثلاً أعلى للإنسانية، كما كانت زوجته أمانة حواء، وإن كان «العهد القديم» يصفهما بغير ذلك، فقد جاء في سفر التكوين (24/2، 25) ما ترجمته: «لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويصيران جسداً واحداً. وكان آدم وامرأته عريانيين، ولم يعترهما الخجل».

وهذا الكلام يناقض ما جاء في سفر التكوين (6/3، 7) مما ترجمته:

«وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل، وشهية للعيون، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضاً فأكل معها، فانفتحت للحال أعينهما، وأدركا أنهما عريانان، فخاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين».

فهل كان آدم وزوجه عريانيين قبل الأكل من الشجرة أم بعد ذلك؟

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (2451).

(2) مسند أحمد رقم (23).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ
مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُقِضَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ

[غافر: 78]

﴿ ٧٨ ﴾ الْمُبْطِلُونَ

ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم
لقصة أبينا آدم ﷺ

1 - ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾

[الإنسان : 1].

أثبتت دراسات علوم الأرض والفضاء أننا نحيا في كون يقدر عمره بحوالي الأربعة عشر ألف مليون سنة (13.7 b.y.) وعلى أرض يقدر عمر أقدم صخورها بأكثر من أربعة آلاف وستمئة مليون سنة (4.6 b.y.)، وأن أقدم أثر للحياة على الأرض يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة مليون سنة مضت (3.8 b.y.)، وقد وجد هذا الأثر على هيئة جزيئات لمركبات عضوية متأخرة تشبه العديد من الخلايا الحيّة المعاصرة. وقد اكتشفت هذه البقايا في صخور جزيرة جرينلاند في سنة 1978م بواسطة سيريل بونامبروما (Cyril Ponnampereuma) الأستاذ بجامعة ميريلاند الأمريكية.

وقد أدى هذا الكشف إلى اعتبار الفترة من (4.6) بليون سنة مضت إلى (3.8) بليون سنة مضت (وقدرها 800 مليون سنة) فترة إعداد وتهيئة للأرض من أجل استقبال الحياة، ويطلق عليها اسم «زمان (أو أبد)» ما قبل خلق الحياة، أو زمان انعدام الحياة» (The Azoic Eon).

وتلى ذلك اكتشاف أحافير لكائنات وحيدة الخلية تشبه البكتيريا في صخور يرجع عمرها إلى نحو ثلاثة بلايين ونصف البليون سنة في جنوب غربي أستراليا.

وبالمثل تم اكتشاف عدد من الأحافير لكائنات وحيدة الخلية شبيهة بالطحالب والبكتيريا المعاصرة وذلك في تتابع من الصخور الرسوبية غير المتحولة يعرف باسم

متكون شجرة التين (The Fig Tree Formation) وذلك في جنوب إفريقيا .

ثمّ تمّ اكتشاف بقايا للطحالب الخضراء المزرقّة (Blue green-Algae) في روديسيا (Rhodesia)، وذلك في صخور جيوية يرجع عمرها إلى (2.7 بليون سنة) وتمّ اكتشاف بقايا مشابهة في منطقة أنتاريو (Ontario) (كندا) في صخور يرجع عمرها إلى (1.9 بليون سنة مضت).

وبالمثل تمّ اكتشاف العديد من أحافير الطحالب والبكتيريا والفطريات الأولية، وذلك في صخور من الصوّان الكربوني الظاهرة في وسط أستراليا والتي قدر عمرها بألف مليون سنة مضت.

وهذه الكائنات القديمة تصنف تحت أمة واحدة تعرف باسم «أمة أوليات الأنوية» (Domain Prokaryota)، وتحت مملكة واحدة هي مملكة البدائيات (Kingdom Monera) التي تشمل كلاً من البكتيريا، والطحالب الخضراء المزرقّة. وأفراد هذه الأمة الأولية بسيطة التركيب، ويتكوّن الفرد منها من خلية واحدة، أو من عدد من الخلايا، ولكن هذه الخلايا لا تتمايز إلى أنسجة، ولا إلى أعضاء، مهما تعدّدت، ولكنها قد تتفرّع إلى عدّة أفرع. والفرد من أفراد هذه الكائنات ليست له نواة محدّدة، ولكن تنتشر محتويات النواة في سائل الخلية دون أن تتركز على هيئة نواة أو نوية تحمل الصبغيات الحاملة للصفات الوراثية.

ووجدت بقايا أوّل خلية حية ذات نواة محدّدة في «أمة ذوات الخلايا محدّدة النواة» (Domain Eukaryota) في صخور يرجع عمرها إلى نحو (1.4 بليون سنة) في شرقي ولاية كاليفورنيا الأمريكية. والكائنات وحيدة الخلية وذات النوى المحدّدة المحاطة بغشاء نووي يفصلها عن سائل الخلية (السييتوبلازم) تصنف في عدد من الممالك خاصة منها «مملكة الطلائعيات» (Kingdom Protista)، وتضم العديد من الكائنات البسيطة مثل السوطيّات (Flagellata)، والجرثوميّات أو البوغيات (Sporozoa)، والهدبيات (Ciliata)، والطحالب (Algae) وغيرها؛ ومن الطلائعيات كذلك «مملكة الفطريات» (Kingdom Fungi).

أمّا مملكة الحيوانات (Kingdom Animalia) والتي تضم أكثر من عشرين قبيلة

من قبائل الحيوانات غير الفقارية وحدها فقد وجدت أولى بقاياها في صخور يقدر عمرها المطلق بنحو (600 مليون سنة) مضت. وبناءً على ذلك تعتبر الفترة من (3.8 بليون سنة) مضت إلى (600 مليون سنة) مضت زماناً خاصاً يعرف باسم «زمان (أو أبد) الحياة المستترة» (The Cryptozoic Eon) وقد دام لأكثر من ثلاثة بلايين سنة (3.2 بليون سنة). وبالمثل اعتبرت الفترة من (600 مليون سنة) إلى اليوم زماناً آخر يعرف باسم «زمان (أو أبد) الحياة الظاهرة» (The Phanerozoic Eon) ازداد فيه تنوع مختلف صور الحياة النباتية والحيوانية التي عمرت الأرض بالتدرج حتى وصلت الحياة الأرضية إلى صورتها الحالية. وبذلك تعددت صور النباتات من الطحالب، إلى الحزازيات، إلى ذيل الحصانيات، إلى السراخس، ثم النخيليات، والمخروطيات (الصنوبريات)، إلى النباتات المزهرة. وقد خلقت أول النباتات الأرضية منذ نحو (400 مليون سنة) في مطلع العصر السيليوري، بينما بقيت الحياة في الماء لأغلب تاريخ الأرض (من 3.8 بليون سنة وحتى اليوم).

وتنوعت مجموعات الحياة الحيوانية غير الفقارية لتشمل أكثر من عشرين قبيلة متميزة، ثم خلق الله ﷻ الأسماك، ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم الطيور، ثم الحيوانات اللبونة ذات الأثداء (Mammals). ونوع الخالق - جلّت قدرته - خلق الحيوانات اللبونة تنوعاً مذهلاً حتى خلقت الثدييات المشيمية (Placental Mammals)، وكان منها آكلات الحشرات (Insectivores)، والخفاشيات، وذوات الحوافر (الحافريات) ومنها كل من الخيول، والغزلان، والماشية، وغيرها. وكان منها الحيوانات المفترسة المفترسات أو الضواري (Carnivores)، والحيوانات القارضة أو القوارض (Rodentia)، وذوات الخرطوم أو الخرطوميات مثل الفيلة، وكان منها كل من الحيتان والدلافين. ومن الثدييات المشيمية الرئيسيات (The Primates) ومنها القردة العادية، والشمبانزي، والغوريللا، وغيرها. وبعد أن تمّ خلق جميع أنواع الحياة النباتية، والحيوانية، خلق الله - تعالى - الإنسان الذي توج الله ﷻ به جميع خلقه.

وقد أثبتت المعارف المكتسبة أنّ عمر الإنسان على الأرض يتراوح بين (40، 50) ألف سنة فقط، وهو ما يمثل حوالي الواحد من خمسين ألف من العمر المقدر لأقدم

الصخور المعروفة على الأرض، بينما يرجع أقدم أثر للحياة على الأرض إلى قرابة الأربعة بلايين من السنين (3.8 بليون سنة). وهنا تتضح ومضة الإعجاز العلمي والإنبائي في قول ربنا - تبارك اسمه - : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ إِلْهَاسٍ مِّنَ اللَّذَّهِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان: 1]. ويتضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي وضوحاً أشد إذا قارنا هذه الحقيقة القرآنية التي أنزلت من قبل ألف وأربعمائة سنة بما جاء في العهد القديم عن خلق الإنسان، أو بما ذكره القس الإنجليزي جيمس أشر (James Ussher) الذي شغل منصب كبير أساقفة أرماغ في إيرلندا (Archbishop of Armagh)، وعاش في الفترة من 1581 - 1656م. فقد أعلن هذا القس في سنة 1625م أن الأرض قد خلقت في تمام الساعة العاشرة من صباح الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة 4004 قبل الميلاد. إذا قارنا ذلك بنص الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصدها، أدركنا فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب، وفضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات، وفضل خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ على غيره من أنبياء ورسول الله. ويرز ذلك الفضل لصفة خاصة إذا علمنا أن هذا التاريخ الذي أعلنه «جيمس أشر» ظلّ مثبتاً في معظم كتب العهدين القديم والجديد حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

ويقسم العلماء زمان الحياة المستترة (The Cryptozoic Eon) إلى حقبتين متتاليتين هما من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 - **حقب الحياة السحيقة (The Archaeozoic Era):** وقد امتد طوال الفترة من (3.8) بليون سنة مضت إلى (1.4) بليون سنة مضت (أي أنه دام لمدة ألفين وأربعمائة مليون سنة، وقد تميّز بوجود بقايا لكائنات غاية في البساطة والندرة تنتمي إلى مملكة البدائيات (Kingdom Monera).

2 - **حقب الحياة الابتدائية (The Proterozoic Era):** وقد امتد طوال الفترة من (1.4) بليون سنة مضت إلى حوالي ستمائة مليون سنة (590 مليون سنة) مضت، أي أنه دام لحوالي ثمانمائة وعشرة (810) مليون سنة. وقد تميّز هذا الحقب بوجود بقايا قليلة لكائنات وحيدة الخلية من طلائعيات الحياة التي تنتمي إلى أمة ذوات الخلايا محددة النواة (Domain Eukaryotes) وإلى

كل من مملكتي الفطريات (Kingdom Fungi) والطلائعيات (Kingdom Protista) والتي تضم العديد من الكائنات البسيطة التركيب من مثل السوطيات (Flagellata)، والهدبيات (Ciliata)، والجراثيميات أو البوغيات (Sporozoa)، والطحالب (Algae).

أمّا زمان الحياة الظاهرة (The Phanerozoic Eon) فيتميز ببدء وجود بقايا الكائنات متعددة الخلايا ذات الأنوية المتميّزة ومنها الحيوانات البعدية (Metazoa)، ويقسم إلى الأحقاب الثلاثة التالية:

(أ) حقبة الحياة القديمة (The Paleozoic Era):

ويمتد من حوالي (590 - 600 مليون سنة مضت) إلى حوالي (245 - 250 مليون سنة مضت) أي أنّه دام لحوالي (345 - 350 مليون سنة)، ويقسم إلى سبعة عصور من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 - العصر الإدياكاري (The Ediacarian Period): وامتد (من حوالي 590 مليون سنة إلى حوالي 570 مليون سنة مضت) أي أنّه دام لمدة عشرين مليون سنة، وتميز ببدء تواجد بقايا الحيوانات متعدّدة الخلايا المميّزة بأنوية محدّدة.

2 - العصر الكمبري (The Cambrian Period): وقد امتد (في الفترة من 570 مليون سنة مضت إلى 510 مليون سنة مضت) أي أنّه دام لفترة تقدر بحوالي ستين مليون سنة وتميز بوجود بقايا لحياة حيوانيّة بحرية مميزة من القشريات (Crustacea) تعرف باسم ثلاثيات الفصوص (Trilobita)، ومن عضديات الأقدام (Brachiopoda)، ومن شوحيات الجلد (Echinodermata)، ومن الرخويات الصدفيّة (Shelled Mollusca).

3 - العصر الأوردوفيشي (The Ordovician Period): وقد امتد (من حوالي 510 مليون سنة مضت إلى حوالي 439 - 440 مليون سنة مضت)، وتميز بوجود بقايا المرجانيات الرباعية (Tetra-Corals) لأول مرة، والأسماك عديمة الفكوك (جمع فك).

4 - العصر السيلوري (The Silurian Period): وقد امتد (من حوالي 439 إلى 440 مليون سنة مضت إلى حوالي 408.5 إلى 410 مليون سنة مضت) أي أنه دام لحوالي ثلاثين مليون سنة، وتميّز بوجود بقايا كل من الأسماك العظمية والنباتات الأرضية لأول مرة.

5 - العصر الديفوني (The Devonian Period): وقد امتد (من حوالي 410 أو 408.5 مليون سنة مضت إلى حوالي 362.5 أو 365 مليون سنة مضت) أي أنه دام لحوالي (45 - 46 مليون سنة)، وتميز بوفرة من بقايا الأسماك، وبوجود بقايا كل من سمك القرش والبرمائيات لأول مرة.

6 - العصر الكربوني أو الفحمي (The Carboniferous Period): وقد امتد (من حوالي 362.5 أو 365 مليون سنة مضت إلى 290 مليون سنة مضت)، أي أنه دام لحوالي (72.5 - 75 مليون سنة)، وتميّز بتجمع كميات هائلة من الفحم الحجري وبوجود بقايا لكل من الزواحف والحشرات المجنحة لأول مرة.

7 - العصر البرمي (The Permian Period): وقد امتد (في الفترة من 290 مليون سنة مضت إلى 245 مليون سنة مضت) أي أنه دام لمدة 45 مليون سنة)، وتميز بالزحف الجليدي في نصف الكرة الجنوبي، وباندثار كل من المرجان الرباعي، وشوكيات الجلد الكيسانية (Blastoidea)، والحوصلانية (Cystoidea)، والفقاريات حاملة الدروع في الجلد أو درعيات الجلد (Placoderms).

(ب) حقبة الحياة المتوسطة (The Mesozoic Era):

ويمتد (من 245 مليون سنة إلى 65 مليون سنة مضت) أي أنه دام لمدة (180 مليون سنة) ويقسم إلى ثلاثة عصور من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

1 - العصر الترياسي أو الثلاثي (The Triassic Period): وقد امتد (من 245 مليون سنة مضت إلى 208 مليون سنة مضت) أي أنه دام لفترة 37 مليون

سنة، وتميز بوجود بقايا الزواحف العملاقة الديناصورات (Dinosaurs)، والعظاءات أو السحالي (Lizards)، والسلاحف (Turtles) وبعض الثدييات الصغيرة (Small Mammals) لأول مرة في تاريخ الأرض.

2 - العصر الجورجي (The Jurassic Period): وقد امتد (من 208 مليون سنة مضت إلى حوالي 145.6 أو 146 مليون سنة مضت)، أي أنه دام لحوالي 62 مليون سنة، وتميّزت صخوره بكثرة بقايا كل من الزواحف العملاقة (Dinosaurs)، والأمونيات (Ammonites)، والطيور.

3 - العصر الطباشيري (The Cretaceous Period): وقد امتد (من حوالي 146 مليون سنة مضت إلى 65 مليون سنة مضت) أي أنه دام لفترة 81 مليون سنة، وقد تميّزت صخوره بوفرة في بقايا كل من الديناصورات (Dinosaurs) والأمونيدات (Ammonoidea) والبلمنيدات (Belemnoida)، والمنخربات الهائمة (Planktonic Foraminiferida).

(ج) حقبة الحياة الحديثة (The Cenozoic or the Cainozoic Era):

ويمتد من 65 مليون سنة مضت إلى اليوم، ويقسم إلى ثلاثة عصور من القديم إلى الحديث كما يلي:

1 - عصر الأصول القديمة للحياة الحديثة (The Paleogene Period):

وقد امتدّ (من 65 مليون سنة مضت إلى حوالي 23.3 أو 25 مليون سنة مضت) أي أنه دام لحوالي أربعين مليون سنة، وتتميّز صخوره بكثرة بقايا الثدييات السرية (Placental Mammals)، وأوائل الرئيسيات (Primates) وبانتشار بقايا النباتات المزهرة (Flowering Plants).

2 - عصر الأصول المتوسطة للحياة الحديثة (The Mesogene Period):

وقد امتد في الفترة (من حوالي 25 أو 23.3 مليون سنة مضت) إلى حوالي مليوني سنة مضت أو 1.64 مليون سنة مضت) أي أنه دام لحوالي (21.66 إلى 23 مليون سنة)، وتميّزت صخوره ببدايات الزحف الجليدي في نصف الكرة

الشمالي، وكثرة بقايا الثدييات السرية (Placental Mammals).

3 - عصر الأصول الحديثة للحياة المعاصرة (The Caenogene Period):

ويمتد (من حوالي مليوني سنة مضت أو 1.64 مليون سنة مضت إلى اليوم)، وقد تميّزت صخوره بآثار الزحف الجليدي في نصف الكرة الشمالي، وقد انتهى هذا الزحف الجليدي في حدود بدايات العشرين ألف سنة الأخيرة، وتميّزت صخوره بوجود آثار الإنسان (منذ حوالي أربعين إلى خمسين ألف سنة مضت).

وبهذا التسلسل الموجز لعمارة الأرض بمراحل متتالية من خلق الحياة والذي بدأ منذ (3.8) بليون سنة مضت، وختم بخلق الإنسان منذ فترة لا تتجاوز (40 - 50 ألف سنة مضت) يتّضح لنا وجه من أوجه الإعجاز العلمي والنبائي في قول ربنا - تبارك وتعالى -:

● ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1].

وعن رسول الله ﷺ «أن الله - تعالى - خلق آدم يوم الجمعة»، وفي رواية أخرى: «في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة»⁽¹⁾ إشارة إلى أنه كان آخر الخلق.

وهذا التابع في تدرج عمارة الأرض بمراحل متتالية من الخلق لم يدرك إلا في القرنين الماضيين، ولم يتم التصور الصحيح له إلا بعد مجاهدة استغرقت آلاف العلماء. وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الحقيقة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز النبائي والعلمي في كتاب الله، خاصة إذا ما قورن ذلك بما جاء في «العهد القديم» تحت عنوان «بدء الخليقة» والذي يقول بالنص ما يلي:

(1) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (6985).

Genesis

كِتَابُ التَّكْوِينِ

The Beginning

1 In the beginning God created the heavens and the earth. ²Now the earth was formless and empty, darkness was over the surface of the deep, and the Spirit of God was hovering over the waters.

³And God said, "Let there be light," and there was light. ⁴God saw that the light was good, and he separated the light from the darkness. ⁵God called the light "day," and the darkness he called "night." And there was evening, and there was morning—the first day.

⁶And God said, "Let there be an expanse between the waters to separate water from water." ⁷So God made the expanse and separated the water under the expanse from the water above it. And it was so.

⁸God called the expanse "sky." And there was evening, and there was morning—the second day.

⁹And God said, "Let the water under the sky be gathered to one place, and let dry ground appear." And it was so. ¹⁰God called the dry ground "land," and the gathered waters he called "seas." And God saw that it was good.

¹¹Then God said, "Let the land produce vegetation: seed-bearing plants and trees on the land that bear fruit with seed in it, according to their various kinds." And it was so. ¹²The land produced vegetation: plants bearing seed according to their kinds and trees bearing fruit with seed in it according to their kinds. And God saw that it was good. ¹³And there was evening, and there was morning—the third day.

¹⁴And God said, "Let there be lights in the expanse of the sky to separate the day from the night, and let them serve as signs to mark seasons and days and years, ¹⁵and let them be lights in the expanse of the sky to give light on the earth." And it was so.

¹⁶God made two great lights—the greater light to govern the day and the lesser light to govern the night. He also made the stars. ¹⁷God set them in the expanse of the sky to give light on the earth, ¹⁸to govern the day and the night, and to separate light from darkness. And God saw that it was good. ¹⁹And there was evening, and there was morning—the fourth day.

²⁰And God said, "Let the water teem with living creatures, and let birds fly above the earth across

بدء الخليقة

1 في البدء خلق الله السموات والأرض. ²وإذ كانت الأرض مشوشة ومفرغة وتكتفي الظلمة وجم

الحياء، وإذ كان روح الله يزولف على سطح المياه. ³أمر الله، ليكن نور. فكان نور، ورأى الله النور فاستحسنه وفصل بينه وبين الظلام. ⁴وسمى الله النور نهاراً، أما الظلام فسمته ليلاً. وهكذا جاء مساء أغقبه صباح. فكان اليوم الأول.

⁵ثم أمر الله، ليكن جلد يجمع بين مياه ومياه. ⁶فخلق الله الجلد، وفرق بين المياه التي تحمها السحب والمياه التي تملأ الأرض. وهكذا كان. ⁷وسمى الله الجلد سماء. ثم جاء مساء أغقبه صباح فكان اليوم الثاني.

⁸ثم أمر الله، ليتجمع المياه التي تحت السماء إلى موضع واحد، وتظهر اليابسة. وهكذا كان. ⁹وسمى الله اليابسة أرضاً والمياه المتجمعة بحاراً. ورأى الله ذلك فاستحسنه. ¹⁰وأمر الله، ليثبت الأرض عشباً ونباتاً مثبواً، وشجراً مثمراً فيه برزخ الذي ينتج ثمراً كجسيمه في الأرض. وهكذا كان. ¹¹فأثبت الأرض كل أنواع الأعشاب والنبات التي تحبل ثمرها من جبهها، والأشجار التي تحبل الثماراً ذات ثمر من جبهها. ورأى الله ذلك فاستحسنه. ¹²وجاء مساء أغقبه صباح فكان اليوم الثالث.

¹³ثم أمر الله، ليكن أنوار في جلد السماء يفرق بين النهار والليل، وليكون علامات يتخديم أربعة وأيام وسنين. ¹⁴وتكون أيضاً أنواراً في جلد السماء يضيء الأرض. وهكذا كان. ¹⁵وخلق الله نورين عظيمين، النور الأكبر ليشرق في النهار، والنور الأصغر ليضيء في الليل. كما خلق النجوم أيضاً. ¹⁶وجعلها الله في جلد السماء يضيء الأرض. ¹⁷ليثبتكم بالنهار والليل والفرق بين النور والظلام. ورأى الله ذلك فاستحسنه. ¹⁸وجاء مساء أغقبه صباح فكان اليوم الرابع.

¹⁹ثم أمر الله، ليتزعج المياه بشئ الحيات الخفية وتخلق الطيور فوق الأرض غير قضاء السماء.

the expanse of the sky.”²¹ So God created the great creatures of the sea and every living and moving thing with which the water teems, according to their kinds, and every winged bird according to its kind. And God saw that it was good.²² God blessed them and said, “Be fruitful and increase in number and fill the water in the seas, and let the birds increase on the earth.”²³ And there was evening, and there was morning—the fifth day.

²⁴And God said, “Let the land produce living creatures according to their kinds: livestock, creatures that move along the ground, and wild animals, each according to its kind.” And it was so.

²⁵God made the wild animals according to their kinds, the livestock according to their kinds, and all the creatures that move along the ground according to their kinds. And God saw that it was good.²⁶ Then God said, “Let us make man in our image, in our likeness, and let them rule over the fish of the sea and the birds of the air, over the livestock, over all the earth, and over all the creatures that move along the ground.”²⁷ So God created man in his own image, in the image of God he created him; male and female he created them.

²⁸God blessed them and said to them, “Be fruitful and increase in number; fill the earth and subdue it. Rule over the fish of the sea and the birds of the air and over every living creature that moves on the ground.”²⁹ Then God said, “I give you every seed-bearing plant on the face of the whole earth and every tree that has fruit with seed in it. They will be yours for food.”³⁰ And to all the beasts of the earth and all the birds of the air and all the creatures that move on the ground—everything that has the breath of life in it—I give every green plant for food.” And it was so.³¹ God saw all that he had made, and it was very good. And there was evening, and there was morning—the sixth day.

وَمَعَكُمْ خَلَقَ اللهُ الْحَيَوَاتِ الْمَائِيَّةَ الضَّخْمَةَ وَالكَتَابِتِ الْمَحْيَةَ الَّتِي أَكْثَلَتْ بِهَا الْمِيَاهُ، كُلًّا حَسَبِ أَجْنَاسِهَا، وَأَيْضًا الطُّيُورَ وَفَمَا لِأَنْوَاجِهَا، وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَسَخَّسَهُ. ^{٢١} وَتَرَكَهَا اللهُ قَلِيلًا، أَنْجِي، وَتَكَافِرِي وَفَلَايَ مِيَاهِ الْبَحْرِ، وَتَتَكَثَّرِ الطُّيُورُ قَوْقَ الْأَرْضِ. ^{٢٢} لَمْ يَجَأْ مَسَاءٌ أَقْبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسَ.

^{٢٤} لَمْ أَمُرْ اللهُ، بِإِخْرَاجِ الْأَرْضِ كِتَابِتِ حَيَّةٍ، كُلًّا حَسَبِ أَجْنَاسِهَا، مِنْ تِيَلَمِمْ وَزَوَاجِفِ وَوَحُوشِ وَفَمَا لِأَنْوَاجِهَا. وَمَعَكُمْ كَانِ. ^{٢٥} فَخَلَقَ اللهُ وَحُوشَ الْأَرْضِ، وَالنَّهْيَمِ وَالرَّوْاجِفِ، كُلًّا حَسَبِ تَوَجِهَا، وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ فَسَخَّسَهُ. ^{٢٦} لَمْ قَالَ اللهُ، بِإِصْغِ الْإِنْسَانِ عَلَى صُورَتَا كِمَيْلَانَا، فَيَسْلُطَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ، وَعَلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى كُلِّ رَاجِفٍ يَرْحَفُ عَلَيْنَاهَا. ^{٢٧} فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ^{٢٨} وَتَرَكَهُمُ اللهُ قَلِيلًا لَهُمْ، أَنْ يَمِيرُوا وَتَكَثَّرُوا وَفَلَاوَا الْأَرْضَ وَأَخْضَعُوا، وَتَسْلُطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ، وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ. ^{٢٩} لَمْ قَالَ لَهُمْ، إِنْ سِي قَدْ أُعْطِيْتُمْ كُلُّ احْتَابِ الْقَبُولِ الْمُبْتَدِئَةِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى كُلِّ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَكُلُّ شَجَرٍ مُبْتَدِئِ مُبْتَدِئِ يَتَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. ^{٣٠} أَمَّا الْغَشْبُ الْأَخْضَرُ فَهَذَا جَعَلْتُهُ طَعَامًا لِكُلِّ مِنْ وَحُوشِ الْأَرْضِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَالْحَيَوَاتِ الرَّاجِفَةِ، وَكُلُّ مَا فِيهِ نَسْمَةٌ حَيَاةٍ. وَمَعَكُمْ كَانِ. ^{٣١} وَرَأَى اللهُ مَا خَلَقَ فَسَخَّسَهُ جَدًّا، لَمْ يَجَأْ مَسَاءٌ أَقْبَهُ صَبَاحٌ فَكَانَ الْيَوْمُ الْسَّادِسَ.

2 - ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: 71].

جاء ذكر خلق أبينا آدم ﷺ، وخلق نسله من بعده في العديد من آي القرآن الكريم وأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - ومن ذلك نختر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التالية:

(أ) خلق آدم ﷺ من تراب:

1 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

2 - ﴿بَنَّايَهَا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَبْحَلٌ مِّسْمَىٰ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَيْنَا أَرْدَلِ السُّمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: 5].

3 - ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: 20].

4 - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ﴾ [فاطر: 11].

5 - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ﴾ [غافر: 67].

(ب) خلق آدم ﷺ من طين (أي بإضافة الماء إلى التراب فصار طيناً):

1 - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

2 - ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 12].

3 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴿٦١﴾

[الإسراء: 61].

4 - ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7].

5 - ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَعْمُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

[ص: 71 - 76].

(ج) خلق آدم ﷺ من سلالة من طين (أي باختيار ما يناسب من خلاصة الطين لخلق آدم ﷺ):

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 12].

(د) خلق آدم ﷺ من طين لازب (أي بالجفاف النسبي للطين حتى أصبح لازباً أي ملتصقاً ببعضه ببعض):

- ﴿فَاسْتَفِينِهِمْ أَهْمُ أَسَدٌ خَلَقْنَا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

[الصافات: 11].

(هـ) خلق آدم ﷺ من صلصال من حمأ مسنون (وهي مرحلة جفاف الطين حتى اسودَّ لونه وأنتنت رائحته):

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣١﴾ وَالْبَاطَانَ خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ

السُّمُورِ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ ﴿٣٤﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَعْمُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: 26 - 33].

(و) خلق آدم ﷺ من صلصال كالفخار (وهي مرحلة تيبس الطين على هيئة صلصال كالفخار):

- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِّن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحْمَن: 14].

(ز) الإشارة إلى خلق الإنسان من الأرض:

جاءت الإشارات القرآنية العديدة إلى خلق الإنسان من الأرض وذلك من مثل

قوله - تعالى -:

- ﴿مِنَّا خَلَقْنَكُمْ فِيهَا وَبِهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55].

- ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٧٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٧٨﴾﴾

[نوح: 17، 18].

(ح) التأكيد على أن بني آدم جميعاً كانوا في صلب أبيهم آدم لحظة خلقه: وذلك

من مثل قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ

[الأعراف: 11].

يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

(ط) التأكيد على تسلسل البشر من أبوين اثنين بعملية التزاوج:

وجاء ذلك في قوله - تعالى -:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وجاء تفسير ذلك في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

كذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تعالى - خَلَقَ آدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» وفي رواية أخرى: «في آخر ساعة من يوم الجمعة»⁽²⁾، مما يؤكد على أن خلقه كان خلقاً خاصاً بالأمر الإلهي «كن فيكون».

(1) أخرجه كل من الأئمة أبو داود حديث رقم (4693)، والترمذي حديث رقم (2955).

(2) تقدم تخريجه.

(ي) تسوية الإنسان ونفخ الروح فيه: وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

[السجدة: 7، 9].

ونسبة الروح إلى الله - تعالى - هي من قبيل التشريف لها، لا من قبيل التبعيض، وذلك لأنَّ الله ﷻ كلُّ لا يتجزأ، فهو واحد أحد، فرد صمد، منزّه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والروح التي نفخت في آدم هي من جنس ما استأثر الله بعلمه لقوله - تعالى -:

- ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

[الإسراء: 85].

وللتأكيد على أنَّ الخلق عملية مغايرة للتسوية والتصوير جاء قول ربنا - جلَّت قدرته -:

- ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

[الانفطار: 6 - 8].

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن ابن حاتم وأبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه فإنَّ الله خلق آدم على صورته»⁽¹⁾.

والضمير في كلمة (صورته) يعود على الأخ المضروب، لا على الله - تعالى - لأنَّ الله - سبحانه - لا يشبهه أحد من خلقه. وإن كان كل من اليهود والنصارى والمشركين والوثنيين في كل عصر قد اعتقدوا خطأ أنَّ الله - تعالى - قد خلق آدم

(1) أخرجه مسلم حديث رقم (6598).

على هيئة الذات الإلهية. ومن الثابت شرعاً وعقلاً أن الله الخالق البارئ المصور منزّه عن الشبيه، والشريك، والمنازع، والصاحبة والولد، ومنزّه عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله. ويتضح ذلك من قول ربنا - عزّ من قائل - عن ذاته العلية: «... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: 11].

وإذا قارنا ذلك بما جاء في سفر التكوين (1/ 26 - 31) من الادعاء الباطل بأنّ الله - تعالى - خلق الإنسان على صورة الله (تعالى الله عن ذلك الخطل علواً كبيراً) يتضح لنا بجلاء الفرق بين كلام الله عن ذاته العلية، وكلام البشر الموضوع. وقد سبق لنا إيراد ذلك النص كما جاء في العهد القديم باللغتين العربية والإنجليزية.

ومن الغريب أنّ علماء الفلك يكادون أن يجمعوا اليوم على أن الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة، والمنضبط في كل أمر من أموره، لا بد له من مرجعية في خارجه يسمونها تجاوزاً بوصف أو باسم نقطة مرجعية (A Reference Point).

والمنطق السوي يقول: إن نقطة المرجعية تلك لا بد وأن تكون مغايرة لجميع ما في الكون من المخلوقات فلا تشكلها المادة ولا الطاقة، ولا تحدها أبعاد أي من المكان أو الزمان، وفي ذلك تعبير دقيق عن الوصف القرآني للذات الإلهية بالمغايرة الكاملة لجميع صفات خلقه.

الإعجاز العلمي والإنبائي في تقرير حقيقة خلق الإنسان من طين:

يتّضح من هذا الاستعراض السريع لقضية خلق الإنسان في القرآن الكريم وفي السنّة النبوية المطهرة أنّ الإنسان مخلوق مكرم، خلقه ربنا - تبارك وتعالى - في أحسن تقويم، وسواه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأدخله الجنة، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه الأسماء كلها، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً. وبعد إخراجه من الجنة حمّله ربنا - تبارك وتعالى - أمانة الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة عدل الله فيها، وعبادة خالقه بما أمر. والإنسان هو المخلوق

المتميّز بالعقل والذكاء، وبالقدرة على كسب المعارف وتعليمها، وعلى كسب المهارات وتطبيقها، وعلى التفكير والإبداع، وعلى الشعور والانفعال، وعلى البيان المنطقي المرتب، وعلى التعبير عن الذات وعن المشاعر بدقّة ووضوح، ومن ثم كان مكلفاً بمسؤولية الاستخلاف في الأرض، ومحاسباً على أقواله وأعماله وعلى مختلف نشاطاته فيها.

والإنسان هو توازن دقيق بين المادة والنفس، وميزانه في ضبط هذا التوازن هو عقله الذي يعينه على تحصيل المعارف المكتسبة، وعلى تفهّم القوانين الحاكمة للكون ولسنن الله فيه. والإنسان مطالب بتوظيف ذلك كله في عمارة الأرض، وفي التعرف على الخالق العظيم من خلال التعرف على بديع صنعه في خلقه، كما هو مطالب بتلقي الهداية الربانية في الأمور التي لا يقوي على وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها من مثل ركائز الدين (من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات). وبذلك يخضع الإنسان لخالقه بالطاعة والعبادة بما أمر، وبالالتزام بمكارم الأخلاق وطيب المعاملات، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض حتى يصل إلى كسب رضا الله، وهي الغاية المرجوة من وجوده في هذه الحياة الدنيا.

والإنسان بالإضافة إلى نفسه وعقله هو جسد مادي حُلقَ من عناصر الأرض، ولذلك فهو خاضع لقوانين المادة ولسنن الله فيها. وهذا الجسد الإنساني يتكوّن أساساً من الماء (بنسبة 54% إلى أكثر من 70%) بالإضافة إلى قدر من المواد البروتينية (من 11% إلى 17%) والدهون (14% إلى 26%) وإلى عدد من العناصر والمركبات غير العضوية (5% إلى 6%) وتشمل الكالسيوم، الفوسفور، الكبريت، البوتاسيوم، الصوديوم، الكلور، الماغنيسيوم، بالإضافة إلى آثار طفيفة من كلٍّ من اليود والفلور، والبروم والحديد والنحاس، والمنجنيز، والزنك، والكروم، والكوبالت، والنيكل، والموليبدينوم، والقصدير، والفاناديوم، والسيليكون، والألومينيوم، وكلها من عناصر الأرض. ولو اختلفت نسب تلك المواد في جسم الإنسان قليلاً ما استقام بناؤه، وحتى شوارد العناصر التي توجد بنسب في حدود الآحاد من الألف في المائة فإنّ أقل خلل في نسبها بالزيادة أو النقصان في جسم

الإنسان قد يؤدي إلى اعتلاله أو إلى فنائه.

ويتكون جسم الإنسان من ألف تريليون (أي: ألف مليون مليون) خلية حيّة في المتوسط، وهي خلايا متخصصة تتنوع بتنوع وظائفها، وتنظم كل مجموعة متخصصة من تلك الخلايا في أنسجة متخصصة، ثم في أعضاء متخصصة، ثم في أجهزة ونظم متخصصة، تتعاون كلها في خدمة هذا الكيان المبهر في دقة بنائه. والعلماء يعجزون اليوم عن إدراك كيفية تعرف الخلايا المتخصصة على بعضها بعضاً لبناء الأنسجة المتخصصة، وعن تعرف الأنسجة المتخصصة على بعضها بعضاً لتكون كلاً من الأعضاء المتخصصة، والأجهزة المعقدة، وعن توافق الأجهزة المختلفة لبناء هذا الجسد الدقيق البناء والمحكم الأداء، ولكنه تدبير الخالق العظيم ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَيَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝۷﴾ [السجدة: 7].

والخلية الحية في جسم الإنسان لا يتعدى قطرها في المتوسط 0.03 من المليمتر، ولا يتعدى وزنها جزءاً من مليار جزء من الجرام وهي - على الرغم من دقتها تلك - تعتبر فائقة التعقيد في البناء، وفائقة الكفاءة في الأداء. فبناء الخلية الحية يفوق في تعقيد جميع المصانع التي أقامها الإنسان، بل التي فكر في إقامتها ولم يتمكن من تحقيق ذلك بعد. فالخلية البشرية لها جدار حي يتبادل مع الخلايا الحية المحيطة كلاً من الغازات والعناصر التي تحتاجها الخلية أو تريد التخلص منها. ولها سائل خاص يعرف باسم الهيولى السيتوبلازم (Cytoplasm)، ولها نواة (Nucleus) تمثل مركز التحكم في الخلية (عقل الخلية)، ويغلف النواة غشاء خاص يسمح بتبادل المعلومات والبروتينات النووية مع هيولى الخلية، بدقة وإحكام بالغين. وللخلية جسيمات حية متناهية الضآلة في الحجم تعوم في سائل الخلية وتعرف باسم العضيات (Organelles)، ومنها مولدات الطاقة أو المتقدرات (Mitochondria)، ومراكز تصنيع البروتينات أو الريباسات (Ribosomes) وغيرها. والغشاء الخلوي المحيط بالخلية الحية له كفاءة عالية في المحافظة على كيان الخلية كوحدة مستقلة دون عزلها عمّا حولها من الخلايا التي تتعايش معها في تفاعل حيوي كامل.

وفي داخل النواة توجد الشيفرة الوراثية (The Genetic Code) المكونة من الصبغيات (Chromosomes) على هيئة شبكة صبغية تحمل نوية واحدة. وعدد الصبغيات في الخلية الحية هو عدد محدد لكل نوع من أنواع الحياة، والصبغيات تحمل الصفات الوراثية كما تحمل مراكز توجيه صنع البروتينات المختلفة التي يحتاجها الجسم.

وتستطيع الخلية الحية إنتاج ثمانين ألف صنف من البروتينات يكفي الجسم منها ألف بروتين أساسي، ويعجز الإنسان بجميع إمكاناته العلمية والتقنية الراهنة عن إنتاج هذا العدد من البروتينات في الزمن الذي تنتجه الخلية الحية.

ويختلف بناء الجزيء البروتيني (Protein Molecule) باختلاف عمله، فهناك بروتينات خاصة لكل من الغضاريف، والعضلات، والأوعية الدموية، والأنسجة الرئوية، وبروتينات خاصة كذلك لكل من الجلد والشعر، والدم وسرعة تجلطه، وهناك الإنزيمات والهرمونات المختلفة، وغيرها من المركبات الكيميائية، والفيتامينات المختلفة التي يحتاجها الجسم، والتي تنتجها الخلية الحية حسب الحاجة إلى كل منها بدقة وكفاءة بالغين.

هذه العجالة تؤكد لكل ذي بصيرة أن تكوّن خلية حية واحدة، لا يمكن أن يتم بعشوائية أو بمصادفة، فما بالنّا بألف تريليون خلية حية - في المتوسط - في جسد الفرد الواحد من بني آدم! إنّ ذلك بالقطع يحتاج إلى تقدير الخالق البارئ المصوّر ﷻ. وليس هذا فقط، بل إنّ العلم التجريبي يجزم بأنّ تكون جزيء بروتيني واحد من بلايين الجزيئات المكونة للخلية الحية بمحض الصدفة هو أمر مستحيل، بل إنّ تكون جزيء واحد من جزيئات الأحماض الأمينية المكونة للجزيء البروتيني، لا يمكن أن يتم إلاّ بتقدير مسبق وتديير حكيم، وعلى ذلك فإنّ المصادفة لا تجدي في إنتاجه أبداً.

وإذا قرر العلم التجريبي ذلك، فلا مفر من الاعتراف بحقيقة الخلق، وتديير الخالق ﷻ، وعليه فإنّ الخالق العظيم إذا قال: ﴿... إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ فإنّ

المخلوقين من العقلاء المكلفين لا يملكون التمحك في تفسير ذلك مهما توافرت المشاهدات، لأنهم لم يشهدوا خلق أنفسهم، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

[الكهف: 51].

عَصَا ﴿٥١﴾

ويقول ربنا - عز من قائل -:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ

[العنكبوت: 20].

اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

وندره شواهد الخلق، وتناثرها في صفحة الكون، يجعل من مناقشتها بمعزل عن الهداية الربانية مضیعة للوقت والجهد دون أدنى طائل. وهنا يتضح فضل كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في تجلية مثل هذه الأمور الغيبية، والتي تشغل بال الإنسان قلَّت ثقافته أو زادت. وتبقى هذه التجليات في تأكيد خلق أبينا آدم ﷺ من طين قائمة في خلق كل فرد من بني آدم إلى اليوم. فالمولود منا يولد من خليتين من خلايا التناسل مورثتان من أبينا آدم وحواء ﷺ. وبالتصاق الجنين الناتج عن التحام هاتين الخليتين بجدار رحم أمه يتغذى وينمو جسده من دمائها، والدماء مستمدة من غذائها، وغذاؤها مستمد من عناصر طين الأرض. وبعد ميلاده يتغذى الوليد على لبن الأم، أو على لبن بديل، واللبن مستمد من الغذاء المستمد من تراب الأرض ومائها (أي من طين الأرض). وبعد الفطام يتغذى الجنين على منتجات الأرض النباتية والحيوانية، وجميعها مستمد من عناصر الأرض. من هنا فإن الإشارة إلى خلق أبينا آدم ﷺ من طين تأتي وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله، لا ينكرها إلا جاحد. وهذا الكلام ينطبق على خلق أمنا حواء ﷺ وذلك لأن الله - تعالى - خلق كل شيء في الوجود (من اللبنة الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا ﷺ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ولذلك قال - عز من قائل -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي ساء لونه والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴿١﴾

[النساء: 1].

وإذا قارنا هذا الكلام مع ما جاء عن خلق أبينا آدم ﷺ في سفر التكوين (1/2 - 14) اتضح لنا بجلاء الفرق بين كلام الله وكلام البشر.

2 Thus the heavens and the earth were completed in all their vast array.

²By the seventh day God had finished the work he had been doing; so on the seventh day he rested from all his work. ³And God blessed the seventh day and made it holy, because on it he rested from all the work of creating that he had done.

Adam and Eve

⁴This is the account of the heavens and the earth when they were created. When the LORD God made the earth and the heavens—⁵and no shrub of the field had yet appeared on the earth and no plant of the field had yet sprung up, for the LORD God had not sent rain on the earth and there was no man to work the ground,⁶ but streams came up from the earth and watered the whole surface of the ground—⁷the LORD God formed the man from the dust of the ground and breathed into his nostrils the breath of life, and the man became a living being. ⁸Now the LORD God had planted a garden in the east, in Eden; and there he put the man he had formed. ⁹And the LORD God made all kinds of trees grow out of the ground—trees that were pleasing to the eye and good for food. In the middle of the garden were the tree of life and the tree of the knowledge of good and evil.

¹⁰A river watering the garden flowed from Eden; from there it was separated into four headwaters.

¹¹The name of the first is the Pishon; it winds through the entire land of Havilah, where there is gold. ¹²(The gold of that land is good; aromatic resin and onyx are also there.) ¹³The name of the second river is the Gihon; it winds through the entire land of Cush. ¹⁴The name of the third river is the Tigris; it runs along the east side of Asshur. And the fourth river is the Euphrates.

٢ وَكَذَا اكْتَمَلَتْ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِكُلِّ مَا فِيهَا. ٣ رُفِيَ الطُّمُ السَّالِعُ أَمَّ اللهُ عَمَلُهُ الَّذِي قَامَ بِهِ. ٤ فَتَمَّزَّجَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ. ٥ وَتَوَكَّنَ اللهُ الْيَوْمَ السَّالِعَ وَقَدَّمَهُ، لِأَنَّهُ اسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَلْقِ.

أدم وحواء. ١ هَذَا وَصْفُ مَبْنِيِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَوْمَ خَلَقَهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ. ٢ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ نَبَتَ نَبْذٌ فِي الْأَرْضِ شَجَرٌ بَرِيٌّ وَلَا عُشْبٌ بَرِيٌّ، لِأَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَرْسَلَ مَطَرًا عَلَى الْأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَهَا، إِلَّا أَنْ ضَبْنَا كَانَ يَتَّسَعَدُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَسْقِي سَطْحَهَا كُلَّهُ. ٣ لَمْ يَجِبَلِ الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ وَيَقْعَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ، فَضَرَّ آدَمَ نَسْفَ حَيَاةٍ. ٤ وَأَقَامَ الرَّبُّ الْإِلَهَ جَنَّةً فِي شَرْقِيِّ عَدْنِ وَوَضَعَ فِيهَا آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. ٥ وَأَسْتَبْتِ الرَّبُّ الْإِلَهَ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ نَهِيَةً لِلنَّظَرِ، وَلَيَمْدَةً لِلأَكْلِ، وَعَرَسَ أَيْضًا شَجَرَةَ الْحَيَاةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ. ٦ وَكَانَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي عَدْنِ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمَا بَلَيْتُ أَنْ يَتَّقِيمَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَنْهَارٍ: ٧ الْأَوَّلُ بِهَا يُدْعَى فَيْشُونَ، الَّذِي يَلْفُحُ حَوْلَ كُلِّ الْحَوَالَةِ حَيْثُ يُوجَدُ الْذَّهَبُ. ٨ وَتَهْبُ بِذَلِكَ الْأَرْضِ جَبَلُهُ، وَفِيهَا أَيْضًا الْمَنْطَلُ وَحَجَرُ الْجَزَعِ. ٩ وَالنَّهْرُ الثَّلَاثِي يُدْعَى جِيحُونُ الَّذِي يَحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. ١٠ وَالنَّهْرُ الثَّلَاثِي يُدْعَى جِدْفِيلُ وَهُوَ الْجَلْفَرِيُّ فِي شَرْقِيِّ أَسُورَ، وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ هُوَ الْفُرَاتُ.

3- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: 30].

يؤكد هذا النص القرآني الكريم على أن أصل البشرية كلها زوج واحد خلقه ربنا - تبارك وتعالى - خلقاً خاصاً، وسماه بـ(الخليفة) لأنه - تعالى - وضع في بنائه القدرة على التزاوج وإنتاج سلالة خصبة ملأت الأرض ببلايين من الأفراد الذين عاشوا وماتوا، وبالبلايين الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والبلايين الذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة.

وهذا من معاني لفظة (الخليفة) لأن البشر يخلف بعضهم بعضاً على الأرض، ولأن كل فرد منهم مستخلف من الله - تعالى - على الأرض استخلاف تخويل وإنابة، وذلك من باب الابتلاء والامتحان لكل فرد من بني الإنسان.

وحقيقة الخلق الخاص للإنسان طمرتها الحضارة المادية المعاصرة تحت ركام فكرة «التطور العضوي»، وهي فكرة أشاعها عدد من شياطين الإنس للتخلص من الإيمان بالخلق، ومن السجود للخالق ﷻ في طاعة وعبودية كاملين. وقد أغواهم الشيطان بذلك عن طريق السجل الأحفوري الذي يشير إلى قدم الحياة على الأرض (نحو 3800 مليون سنة) وإلى قصر عمر سلالة الإنسان عليها (نحو أربعين إلى خمسين ألف سنة فقط) وإلى تدرج عمارة أرضنا بموجات متتابعة من صور الحياة التي بدأت بقلّة في العدد، وببساطة في البناء والتركيب، ثم تزايدت عدداً، وتعقدت بناءً وتركيباً مع الزمن، على الرغم من عدم تكامل السجل الأحفوري، وكثرة الثغرات فيه.

وهذه الملاحظة العلمية الصحيحة استخدمتها الحضارة المادية المعاصرة في محاولة يائسة لنفي عملية الخلق، والتنكر للخالق ﷻ انطلاقاً من ادعاءات ثلاثة:

أولها: الادعاء الباطل بعشوائية تخلق الصور الباكّة للحياة، وقد أثبت العلم

استحالة ذلك.

وثانيها: الادعاء بعشوائية التدرج في تتابع الحياة، علماً بأن هذا التابع يسير دوماً إلى تكامل في الخلق، والعشوائية تعجز عن تحقيق ذلك التكامل.

وثالثها: الادعاء الباطل بأن الإنسان منبثق عن سلسلة الحياة الحيوانية السابقة على وجوده، وهذا ما لم يستطع أحد إثباته من أدعياء التطور العضوي إلى اليوم. وذلك لتميز الصفات التشريحية والوراثية الخاصة بالإنسان عن جميع المخلوقات السابقة على وجوده، مع التسليم بوحدة البناء في الخلائق جميعاً وهي تشهد على وحدانية الخالق ﷻ. وإذا أضفنا إلى ذلك الذكاء الواضح في الإنسان وقدراته الذهنية الحاضرة، وتمكنه من الإدراك، والشعور، والانفعال بدرجات متميزة، ومن التعبير عن انفعالاته ومشاعره بوضوح، ومن النطق بالكلام المنطقي المرتب، بالإضافة إلى قدراته على اكتساب المعارف وتعليمها، وعلى إتقان المهارات وتوريثها، وغير ذلك من القدرات التي اختص الله - تعالى - بها الإنسان، يتضح زيف المحاولات اليائسة لربط الإنسان بسلسلة الحيوانات السابقة على وجوده. ومن أبرز الأدلة على نفي الفكرة الخاطئة التي تنادي بأن الإنسان متسلسل عما قبله من الحيوانات هو حقيقة التسلسل الوراثي الذي ينتهي بنسب البشر جميعاً إلى أب واحد، وأم واحدة هما أبوانا آدم وحواء ﷻ اللذان وصفهما ربنا - تبارك اسمه - مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بقوله العزيز:

● ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوْۤا اَجْعَلْ فِيْهَا مَنۢ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30].

وأكد ربنا - تبارك وتعالى - على حقيقة خلق أبويننا آدم وحواء من نفس واحدة فقال - عزٌّ من قائل -:

● ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْۤا رَبَّكُمُ الَّذِىۤ خَلَقَكُمْ مِّنۢ نَّفْسٍ وَّوٰحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَّنِسَاءً وَاَتَقُوْۤا اللّٰهَ الَّذِىۤ لَسَّآءُ لُوْنَ بِهٖۤ ۗ وَالْاَرْحَامُ اِنْ اللّٰهَ كَانَ عَلَیْكُمْ رَقِيْبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

كذلك أكد الله الخالق - سبحانه وتعالى - على خلافة البشر لبعضهم البعض، وهم من أصل واحد فقال - وقوله الحق -: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنۢ ذَكَرٍ وَّاُنثٰى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[الحجرات: 13].

ويؤكد القرآن الكريم أن البشر جميعاً (إلى قيام الساعة) كانوا في صلب أبيهم آدم ﷺ لحظة خلقه، وأن الله - تعالى - قد أسجد الملائكة لأبي البشر ونحن جميعاً في صلبه، فكأنما أسجدهم لنا جميعاً نحن الخلفاء في الأرض، (آدم وجميع نسله إلى آخر فرد من هذا النسل)، ولذلك قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11].

ومن هنا تتضح ومضة الإعجاز الإنبائي والعلمي في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وذلك بالتأكيد يدل على الحقيقة التاريخية لأبينا آدم وحواء ﷺ واللذان أرادت الحضارة المادية المعاصرة إنكار وجودهما إنكاراً تاماً، ورد البشرية إلى عدد من الأصول الحيوانية المختلف عليها، دون دليل قاطع.

ويؤكد القرآن الكريم أن آدم ﷺ هو أبو البشر جميعاً، وأول أنبياء الله جميعاً، وأن الله - تعالى - خلقه من أديم الأرض بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأسجد له الملائكة سجود احترام وتوقير، وأدخله هو وزوجه الجنة، ثم استخلفه ونسله في الأرض، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

ولفظه (خليفة) في هذا النص القرآني الكريم، جاءت بالإفراد مما دفع بعدد من المفسرين إلى اعتبار الخليفة هو آدم ﷺ وحده، ولكن لما كانت ذرية آدم جميعها قد خلقت في صلبه لحظة خلقه، كانت خلافة الأرض لآدم ولجميع بنيه من بعده إلى قيام الساعة. وعلم الوراثة يقول عن الفرد منا (والذي يتكون جسده من ألف تريليون خلية في المتوسط)، أنه يُرَدُّ إلى خليتين تناسليتين لا تريان بالعين المجردة (إحدهما من الأب والأخرى من الأم). ويرد جسد كل واحد من الآباء والأمهات بالتسلسل الزمني حتى يصل بكل واحد منهم إلى خلية تناسلية من أبينا

آدم ﷺ وأخرى من أمنا حواء - عليها رضوان الله - . ومعنى ذلك أن البشر جميعاً (الذين عاشوا وماتوا، والذين يملأون جنبات الأرض اليوم، والذين سيأتون من بعدنا إلى قيام الساعة) كانوا في صلب أبويننا آدم وحواء ﷺ لحظة خلقهما، لذلك عبر النص الكريم - الذي نحن بصدده - عن هذه البلايين التي لا تعد ولا تحصى باللفظ المفرد (خليفة).

ولما كان علم الوراثة هو من أحدث المعارف المكتسبة، فإن سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى تلك الحقيقة العلمية من قبل ألف وأربعمائة سنة يعد واحداً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله الذي أكد على حقيقة وجود بني آدم جميعاً في صلب أبيهم آدم ﷺ لحظة خلقه، وذلك بوصف استخلاف آدم وذريته في الأرض بالإفراد (خليفة). وزاد القرآن الكريم في تأكيد هذا المعنى بقوله - تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وبمقارنة هذه الحقائق بما جاء عن خلق الإنسان في العهد القديم يتضح الفارق بين كلام الله وكلام البشر.

second river is the Gihon; it winds through the entire land of Cush. ¹⁴The name of the third river is the Tigris; it runs along the east side of Asshur. And the fourth river is the Euphrates.

¹⁵The LORD God took the man and put him in the Garden of Eden to work it and take care of it.

¹⁶And the LORD God commanded the man, "You are free to eat from any tree in the garden; ¹⁷but you must not eat from the tree of the knowledge of good and evil, for when you eat of it you will surely die."

¹⁸The LORD God said, "It is not good for the man to be alone. I will make a helper suitable for him."

¹⁹Now the LORD God had formed out of the ground all the beasts of the field and all the birds of the air. He brought them to the man to see what he would name them; and whatever the man called each living creature, that was its name. ²⁰So the man gave names to all the livestock, the birds of the air and all the beasts of the field. But for Adam no suitable helper was found. ²¹So the LORD God caused the man to fall into a deep sleep; and while he was sleeping, he took one of the man's ribs and closed up the place with flesh. ²²Then the LORD God made a woman from the rib he had taken out of the man, and he brought her to the man.

²³The man said, "This is now bone of my bones and flesh of my flesh; she shall be called 'woman,' for she was taken out of man." ²⁴For this reason a man will leave his father and mother and be united to his wife, and they will become one flesh. ²⁵The man and his wife were both naked, and they felt no shame.

¹⁴وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليطلعها وتفتيها بها. ¹⁵وأمر الرب الإله آدم قديلاً، كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة، ولكن إن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت.

¹⁶ثم قال الرب الإله، ليس منجسناً أن يبقى آدم وحيداً. سأصنع له مغيماً نظيره. ¹⁷وكان الرب الإله قد جعل من الأتراب كل وحوش البرية وطيور السماء وأخضرها إلى آدم ليرى بأي أسماء يدعوها. فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حياً اسماً له. ¹⁸ومكناً أطلق آدم أسماء على كل الطيور والحيوانات والبهائم غير أنه لم يجد لنفسه مغيماً نظيره. ¹⁹فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، ثم تناول جلعاً من أضراسه وسد مكانها بالأمس. ²⁰وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم. ²¹فقال آدم، ههنا الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، فهي تدعى امرأة لأنّها من امرئ، أجدت. ²²فإن الرجل تترك أباه وأمه وتلتصق بامرأته، ويصيران جسماً واحداً. ²³وكان آدم وامرأته عريانين، ولم يفتراهما الحجل.

سفر التكوين (2 - 15 / 25)

4 - ﴿... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30].

يشير هذا النص القرآني الكريم إلى الحوار الذي جرى بين رب العالمين وملائكته، وهو من أمور الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إلى شيء منه إلا بإنباء من الله - تعالى - أو بإبلاغ من رسوله ﷺ. وذلك لأن الإنسان لا يملك الوسيلة المناسبة للوصول إلى أي من القضايا الغيبية غيبة مطلقة إلا بهذا الإنباء الإلهي، أو التبليغ النبوي. ولولا أن الله - تعالى - قد أخبرنا في محكم كتابه بهذا الموقف الذي جرى بينه وبين ملائكته، ما كان لأحد من بني آدم وسيلة من الوسائل البشرية يمكن أن تعينه في الوصول إلى معرفة ذلك، ومن هنا كان هذا النص القرآني صورة من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

وقد اختلف المفسرون في فهم فحوى سؤال الملائكة، وفي كيفية علمهم بأن الإنسان المستخلف في الأرض يمكن أن يفسد فيها وأن يسفك الدماء؟

وغالب الرأي أن الملائكة قاست الإنس بالجن، لأن كلاهما خلق عاقل، حر، مكلف، صاحب إرادة، وأن الجن كانوا قد سبقوا الإنس في عمارة الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء في غالبيتهم. وعلى ذلك فإن فحوى سؤال الملائكة هو الاستعلام والاستفسار عن أن الله - تعالى - قد وهب الجن حرية الإرادة، وهم خلق عاقل مكلف، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، وتظالموا فيما بينهم، فما هي الحكمة من تكرار الأمر مع خلق آخر عاقل مكلف ذي إرادة حرة؟ وما هو الهدف من استخلاف الإنسان في الأرض إذا كان الذين قد استخلفوا من قبل قد أفسدوا وسفكوا الدماء؟ والملائكة خلق مفطورون على طاعة الله وعبادته، يصفهم القرآن الكريم لرسول الله ﷺ بقول ربنا - تبارك وتعالى - له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الأعراف: 206].

وكان الملائكة رأوا أن الاستخلاف في الأرض لخلق مفطورين على طاعة الله - تعالى - وعبادته من أمثالهم هو أولى من خلق الإنسان، خشية أن يستخدم إرادته الحرة في الإفساد وإراقة الدماء في الأرض كما فعلت الجن من قبل، ولذلك قالوا: ﴿... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَنَسْفُكُ الدِّمَاءِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

ومن المحتمل أن تكون الملائكة قد علمت ذلك من معنى الاستخلاف ذاته، لأن المستخلف على الشيء مؤتمن عليه، وإذا كان هذا المؤتمن ذا إرادة حرة فيما أن يؤدي الأمانة أو أن يخونها، وهم مشفقون على أهل الأرض من تضييع الأمانة، ومن عواقب تضييعها.

ومن المحتمل أيضاً أن يكون الملائكة - حين أمرهم الله - تعالى - بالسجود لآدم ﷺ - قد سألوا عن هذا الخلق المستخلف على الأرض، فأخبرهم الله ﷻ بأنه خلق عاقل، مكلف، مكرم، ذو إرادة حرة، وأنه يستخلف في الأرض للابتلاء والاختبار حتى يثبت كل فرد منهم - بعمله - استحقاقه لرحمة الله، وإدخاله الجنة، وخلوده فيها، أو عقابه بإدخاله في النار. والله - تعالى - أعلم بكل فرد من خلقه، ولكنه - من عدله المطلق - أراد أن يقيم الحجة على كل فرد من بني آدم، وأن يشهده على نفسه بعمله الذي يسجله الله - تعالى - له أو عليه، استعداداً ليوم الحساب والفصل، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَعْمُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الحجر: 28 - 31].

وقال - تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 1، 2].

وقال رسول الله ﷺ لأمته: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها

فينظر كيف تعملون»⁽¹⁾. ومن هنا جاء الرد الإلهي على سؤال الملائكة بقوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

[البقرة: 30].

ومن معاني هذا النص القرآني الكريم أن الله - تعالى - استخلف آدم وذريته في الأرض للابتلاء والاختبار بأعمالهم، وهو - سبحانه - أعلم بكل فرد منهم علماً أكمل وأشمل من علم أي منهم بنفسه وذلك لكي يقيم الحجة على كل فرد منهم بعمله. وقد استخلف آدم ﷺ ذريته على التوحيد الكامل لله ﷻ، وعلى الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في الحياة الدنيا: عبداً لله الخالق البارئ المصور، شاهداً لجلاله بالألوهية والربوبية، والخالقية، وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وبالتنزيه الكامل عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وقد عاشت البشرية عشرة قرون كاملة (بين آدم ونوح ﷺ) دون أن يتمكن الشيطان من إخراج فرد واحد من التوحيد إلى الشرك، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ.

وانطلاقاً من ذلك فإنه يجب على كل مستخلف في الأرض الخضوع لله بالعبادة بما أمر، وبالطاعة لكل ما أمر به، وباجتناب كل ما نهى عنه، وذلك طيلة فترة استخلافه في الأرض (وهي أجله). والآجال محددة في علم الله، وليس للإنسان بعدها إلا الموت، وحياة البرزخ، ثم البعث والحشر، والحساب والجزاء وذلك بالخلود إما في الجنة وإما في النار.

وهذا هو الإسلام الذي استخلف الله - تعالى - به أبانا آدم ﷺ في الأرض، والذي استخلف آدم به ذريته. وظل بنو آدم يستخلف بعضهم بعضاً إلى يومنا هذا،

(1) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات، حديث رقم (6883).

وسوف يبقون كذلك إلى قيام الساعة. وكل إنسان خليفة لمن سبق من أسلاف، ومستخلف لمن لحق به أو انحدر عنه من ذرية حتى تأتي نفخة الصور الأولى التي يفنى على إثرها كل حي، فينتهي هذا الوجود الدنيوي بالكامل. ثم تأتي نفخة الصور الثانية التي يبعث على إثرها كل ميت، فيحشرون للحساب الذي من بعده ينتقل الخلق إلى الحياة الآخرة بخلود لا موت فيه، إما في الجنة وإما في النار.

وفي رحلة الاستخلاف تلك ينجو من التزم بشرع الله وأوامره، ويهلك من انحرف عن الهداية الربانية، وهذا هو الهدف من عملية الاستخلاف في الأرض الذي خفي على علم الملائكة فجاءهم الرد الإلهي المباشر:

﴿ ... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30].

وقد فصل القرآن الكريم هذا الأمر في مقام آخر بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾

[الإنسان: 1 - 3].

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٦ لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٧ ﴾ [الأحزاب: 72، 73].

وقد أعطى ربنا - تبارك اسمه - الإنسان عقلاً يفكر به، ويميز الخير من الشر، والحق من الباطل، كما أعطاه الإرادة الحرة التي يختار بها ويدع، ويفعل ويترك، ووهبه كل المقومات اللازمة لحمل أمانة التكليف، ومن هنا وجب حسابه، وتحددت أسباب استخلافه في الأرض من أجل الابتلاء والاختبار. فالإنسان مؤتمن على ملك الله في الأرض، ومسؤول أمام الله - تعالى - عن أمانته في التعامل مع ملك الله وخالقه، ومطالب بعبادة الله بما أمر. وبذلك فإن عمارة الأرض، وعبادة الله - تعالى - بما أمر صارتا وجهان لعملة واحدة هي

صك الاستخلاف في الأرض الذي وقعه أبونا آدم وذريته كانت لا تزال في عالم الذر الذي قال عنه ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

وهذا الإخبار الإلهي للملائكة، واستفسارهم من الله ﷻ عنه هو من الأمور الغيبية غيبة مطلقة عن علم الإنسان، ومن هنا كان إخبار القرآن الكريم عنه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وهو وجه لا يدركه كثير من الناس. فمن أخبار القرآن الكريم ما يقع تحت مسمى الإعجاز التاريخي، ومنها ما يجمع تحت مسمى الإعجاز الإنبائي، ومنه الإعجاز الإنبائي المستقبلي الذي قد يدركه الناس عند وقوعه، ومنه الإعجاز الإنبائي الماضي الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إليه إلا ببيان من الله - تعالى - أو ببلاغ من رسوله ﷺ.

ويشير هذا النص القرآني الكريم إلى حقيقة من حقائق الغيب الماضي، لأن الحوار الذي دار بين الله - تعالى - وملائكته بخصوص استخلاف آدم في الأرض هو غيب قديم، لم يشهده أي من بني آدم. وكل الغيوب المطلقة ستبقى محجوبة عن الإنسان طيلة فترة استخلافه في الأرض، ما لم يخبره الله - تعالى - أو رسول من رسله بها أو ببعضها. والغيب بالنسبة إلى الإنسان غيبان: أحدهما غيب مرحلي قد يصل إليه الإنسان بأساليب الكشف العلمي المتأنية، وثانيهما غيب مطلق لا سبيل للإنسان في الوصول إلى شيء منه إلا ببيان من الله - تعالى - أو من أحد أنبيائه أو رسله، ومن هنا كانت ضرورة إنزال وحي السماء.

والتأكيد على حقيقة الغيب أصبح من النتائج العلمية المؤكدة، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن علماء الفلك - بكل التقنيات المتطورة التي استخدموها في الزمن الراهن - يعترفون بأن ما يدركونه من مختلف صور المادة والطاقة في الجزء المدرك من السماء الدنيا هو أقل من 1% مما تشير الحسابات في مجال الفيزياء الفلكية إلى وجوده. وذلك لأن أغلب مادة وطاقة الكون موجودة بهيئات لا تستطيع

وسائل الإنسان إدراكها ولذلك أطلقوا عليها أسماء من مثل «المادة السوداء» أو «المادة الداكنة»، و«الطاقة الخفية أو غير المدركة». ويعترف علماء الفلك اليوم بحقيقة الغيوب التي لا يستطيع الإنسان الوصول إليها في كون شاسع الاتساع، يلفه الظلام، ويمتلئ بالغيوب المرحلية والمطلقة.

من هنا امتدح ربنا - تبارك وتعالى - في مطلع سورة «البقرة» الذين يؤمنون بالغيوب، وأكد حاجة الإنسان إلى بيان من الله الخالق عن هذه الغيوب المطلقة (من أمثال الذات الإلهية، الملائكة، الروح، الجن، وقت الساعة، حياة البرزخ، البعث، الحشر، الحساب، الميزان، الصراط، الجنة والنار، وغيرها كثير).

وهذه القضايا لو لم يصل إلى الإنسان فيها بيان من الله - يكون بياناً ربانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية - فإما أن ينكر الإنسان كل الغيب (مع وجوده)، أو أن يبتدع عنه أعداداً من التصورات الفاصرة من عنده، فيضل ضلالاً بعيداً، كما ضلّ كل منكري الوحي السماوي عبر التاريخ، وكما أغرق أصحاب الخيال الجامح في بحار من الخرافات والأساطير عن هذه الغيوب.

وهنا تتضح ومضة الإعجاز الإنبائي في إيراد هذا الحوار بين رب العالمين وملائكته، والذي لو لم يخبرنا به الله ﷻ في محكم كتابه، ما كان أمام الإنسانية كلها من سبيل إلى معرفته، خاصة إذا علمنا أنه لم ترد أدنى إشارة إلى هذا الحوار في أي من العهدين القديم أو الجديد!!!.

5- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ [البقرة: 31].

يؤكد هذا النص القرآني الكريم أن الإنسان بدأ عالماً، عابداً، ناطقاً، متكلماً بلغة منطقية مفهومة، في الوقت الذي ينادي أغلب علماء الدراسات الإنسية (الأنثروبولوجيا Anthropology) بأن الإنسان الأول لم تكن له قدرة على الكلام، ولم تكن له لغة يتكلم بها مع غيره سوى لغة الإشارة باليد الواحدة أو باليدين. كذلك يصر علماء الدراسات الإنسية اليوم على أن الإنسان الأول لم تكن له أية عقيدة محددة، أو أية معرفة بذاته أو بالكون من حوله، ثم تعلم اللغة من الطيور ومن غيرها من الحيوانات، وتعرف على الله - تعالى - بعد ذلك من خلال خوفه من الظواهر الطبيعية وفزعه من آثارها. وانطلاقاً من هذا الفهم الخاطئ كتب (مايكل كورباليس) الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية كتاباً بعنوان: «في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم».

Corballis, Michael C. (2002):

«From Hand To Mouth: The Origins Of Language»; Princeton University Press, Princeton U.S.A.

وجاء في هذا الكتاب ما ترجمته: «وأنا أزعم أن اللغة في معظم هذه الفترة كانت إشارية في الدرجة الأولى، على الرغم من أن الأصوات أخذت تتخللها بصورة متزايدة...» ويضيف: «... وقد يكون إصدار الأصوات قد خدم جزئياً - في نشأة اللغة - لكونه إضافة إلى إشارات الوجه والفم واليدين، وجعل الإشارات غير المنظورة لكل من اللسان والتجويف الفمي مسموعة. واللغة بالطبع - حتى لغة اليوم - نادراً ما تكون صوتية خالصة».

وهذا التضارب في تحقيق قضية غيبية مطلقاً كقضية نشأة اللغة عند الإنسان سببه الانخداع بفكرة التطور العضوي التي فندتها الكشوف العلمية أخيراً ودحضتها دحضاً كاملاً، خاصة في مجالات مثل مجالات علوم الوراثة، وعلم الخلية الحية، وعلم الأحياء الجزيئي.

وجميع ما وضع من نظريات وفروض لتفسير نشأة اللغة بعيداً عن حقيقة خلق آيينا آدم ﷺ خلقاً خاصاً، وتعليم خالقه له الأسماء كلها لحظة خلقه، وعن تهئية جسد الإنسان تشريحياً للنطق بالكلام، هي نظريات وفروض باطلة. ويدحض تلك الفروض والنظريات التقارب الشديد بين جميع لغات أهل الأرض، وشيوع العديد من الألفاظ بينها، خاصةً بين اللغات القديمة منها، مع تسليمنا بأن اللغة تنمو وتتطور كما ينمو وتتطور كل كائن حي. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن أكثر من خمسين في المائة من ألفاظ كل من اللغتين السريانية والعبرية هي ألفاظ عربية الأصل. وبالتحليل الدقيق للغات أهل الأرض (التي يقدر عددها اليوم بأكثر من خمسة آلاف لغة ولهجة) يمكن ردها إلى أصل واحد هو لغة أبويننا آدم وحواء ﷺ، وقد كانت هي اللغة العربية، كما جاء في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة والآثار الإنسانية التي تم الكشف عنها. ومن أقوال ربنا - تبارك وتعالى - المؤيدة لهذا الاستنتاج ما يلي:

1 - ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾ [البقرة: 31].

2 - ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۙ﴾

[الرحمن: 1 - 4].

3 - ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۙ ۱ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۙ ۲ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۙ ۳ الَّذِي

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۙ ۴ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۙ ۵﴾ [العلق: 1 - 5].

كذلك؛ فإن خلق الإنسان مزوداً بأجهزة للسمع والنطق، (منها الأذنان، واللسان، والتجويف الفمي، والأحبال الصوتية المرتبطة بجهاز عصبي غاية في دقة البناء، وإحكام الأداء) ينفي بشكل قاطع جميع ادعاءات الدهريين بأن الإنسان بدأ وجوده جاهلاً، كافراً، أبكماً، ثم تعلم النطق بتقليد أصوات الحيوانات من حوله، كما تعرف على الله من خلال فزعه من الظواهر الطبيعية. وعلى الرغم من وضوح ذلك فإن كثير من الملاحدة والمشركين الذين زادت أعدادهم زيادة مفزعة في ظل الحضارة المادية المعاصرة لا يزالون يتكبرون لخالقهم، وينسبون كل شيء إلى

الطبيعة، دون أن يتمكنوا من تحديد دقيق لمدلول لفظة «الطبيعة» الذي ابتدعوه للتهرب من نسبة الخلق إلى الخالق ﷻ.

أما نحن معشر المسلمين فنؤمن بأن الإنسان خلق عالماً، عابداً، ناطقاً، مفكراً، مزوداً بكل صفات التكريم التي كرمه بها خالقه، ومزوداً كذلك بكل الأدوات اللازمة لتأهيله بالقدرات المطلوبة لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض، والقيام بكل تكاليفها. ونؤمن كذلك بأن أبوين آدم وحواء ﷺ قد خلقا وهما يتكلمان العربية الفصحى (أم اللغات كلها) التي علمها لهما ربهما بتقديره ومثته وإحسانه، وعلم كلا منهما حقيقة وجوده، وفضل موجهه عليه وعلى نسله من بعده، وتفاصيل رسالة الإنسان على الأرض، ومسؤولية استخلافه فيها، وحمل أمانة التكليف بكل ذلك.

ومن معاني كلمة (العربية) الإبانة والإيضاح، ومن هنا سمي الإعراب (إعراباً) لتبيينه الأمر وإيضاحه. ومن ذلك قول المسلمين في الجزيرة العربية أنهم كانوا يستحبون أن يلقنوا الصبي حين يعرب - أي حين ينطلق ويتكلم - أن يقول: لا إله إلا الله سبع مرات.

ومن أحاديث رسول الله ﷺ باب خاص في مناقب فضل العرب جاء فيه ما يلي: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا سلمان لا تبغضني فتفارق ديني»، قلت: يا رسول الله؛ كيف أبغضك! وبك هدانا الله، قال: «تبغض العرب فتبغضني»⁽¹⁾.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي»⁽²⁾.

من ذلك يتضح فضل اللغة العربية على جميع لغات أهل الأرض، لأنها

(1) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3927).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3928).

أصل هذه اللغات جميعاً، وهي لغة أبونا آدم وحواء ﷺ التي علمهما إياها ربّ العالمين الذي (علم آدم الأسماء كلها)، أي أسماء كل شيء بمسمياته. لذلك فلا بدّ وأن تكون جميع لغات أهل الأرض (المقدرة اليوم بأكثر من خمسة آلاف لغة ولهجة) قد انبثقت عن اللغة العربية، التي أنزل بها ربنا - تبارك وتعالى - رسالته الخاتمة إلى الثقلين (الإنس والجن)، وتعهد بحفظ هذه الرسالة الخاتمة في نفس لغة الوحي بها (اللغة العربية)، فحفظت في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين ﷺ على مدى فاق الأربعة عشر قرناً. كذلك تعهد ربنا - تبارك اسمه - بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاءت إرادته، حتى يبقى الإسلام - الذي اكتمل في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسوله - حجة لله على جميع خلقه إلى يوم الدين.

من هنا فإن الإشارة القرآنية إلى تعليم الله ﷻ لأبينا آدم ﷺ الأسماء كلها (أي أسماء كل شيء بمسمياته) تبقى لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي الغيبي التي لو لم يخبرنا بها ربنا - تبارك وتعالى - ما كان أمام الإنسان من سبيل للوصول إليها. وتضطرب آراء غير المسلمين في تفسير نشأة اللغة عند الإنسان، كما ضربنا مثلاً واحداً على ذلك بكتاب مايكل «كورباليس» الذي سبقت الإشارة إليه (وغيره كثير). فقد خلق الله ﷻ أبونا آدم وحواء ﷺ وفي فم كل واحدٍ منهما لسان ينطق به، وجعل لكل منهما حنجرة، وعدداً من الأوتار الصوتية، وشفيتين، وصفين من الأسنان، ورتتين، وهذه هي المكونات الأساسية للنطق، التي يحركها المخ والجهاز العصبي، وينظم حركاتها في أثناء الكلام حتى تخرج الحروف والألفاظ جلية واضحة. والمنطق السوي يحكم بأن الله - تعالى - لم يزود أبونا آدم وحواء ﷺ بهذا الجهاز المتقن للكلام ثم يدعهما أبكيمين لا يعرفان لغة يتكلمان بها، ولا يجدان إلا الإشارة كوسيلة للتفاهم بينهما.

وتكفي في ذلك أيضاً الإشارة إلى أن اللسان البشري يتألف من سبع عشرة عضلة متشعبة في مساحته بالكامل (ثمانية عضلات منها مزدوجة، وعضلة واحدة مفردة)، ويتخلل هذه العضلات ويحيط بها أعداد من الخلايا والأنسجة المتخصصة

التي من بينها أنسجة دهنية وليمفاوية، وأعداد من الغدد اللعابية التي تبقى اللسان رطباً باستمرار. ويغلف ذلك كله بغشاء مخاطي رقيق. وبناءً على هذا التركيب المرن جداً يستطيع الإنسان تحريك لسانه في كل الاتجاهات بمرونة كبيرة، كما يستطيع تغيير شكل هذا اللسان وحجمه ووضعه بمرونة كبيرة كذلك. وترتبط عضلات وأنسجة اللسان بالفك الأسفل بواسطة عظمة ذات رأسين تحكم حركته ولا تعوقها.

أما الشفتان اللتان يستكمل وجه الإنسان بهما جماله، وإحساسه، وقدرته على النطق فهما مليئتان بالأوعية الدموية التي تتفرع بكثافة عالية في الأغشية المخاطية المكونة لهما، ولذلك يبدوان باللون الأحمر. وهناك حزمة متمركزة من العضلات اللافة حول الشفتين لتمثل واحدة من مجموع العضلات المعقدة المعينة على النطق بالكلام والمحددة لتعبيرات الوجه. وتلعب الشفتان في الإنسان دوراً مهماً في النطق، فعند الكلام تجمع الحبال الصوتية في مكان واحد، وتهتز جراء حركة تيار الهواء الخارج عند الزفير، كما يتحرك كل من اللسان والشفتين والأسنان، فيتمكن الإنسان من النطق بالكلام.

وكذلك صممت القدرة الإلهية المبدعة كلاً من الأنف والفم في الإنسان، على أن يعطيا جميع المواصفات الخاصة بإطلاق الصوت. وفي الوقت الذي تبدأ فيه الكلمات بالخروج من الفم بسلاسة، فإن اللسان يأخذ وضعاً بين الاقتراب والابتعاد من سقف الفم بمسافات محددة، وتقلص الشفتان أو تتوسعان، ويتحرك في هذه العمليات العديد من العضلات بشكل سريع حتى يتحقق النطق عند الإنسان.

ولولا هذا البناء المحكم لجهاز النطق ما استطاع الإنسان الكلام، على الإطلاق، ومن هنا يَمُنُّ اللهُ - الخالق البارئ المصور - على الإنسان بقوله العزيز: ﴿اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ۙ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۗ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 8 - 10].

وهل يمكن لعاقل أن يتصور خلق أجهزة الكلام المعقدة في الإنسان بغير

تقدير الله؟ وهل يمكن أن يقدر الله ﷻ للإنسان هذا كله ثم لا يعلمه لغة يعرف بها أسماء الأشياء؟ ومن هنا يأتي هذا النص القرآني الكريم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ معجزة علمية حقيقية، كما يأتي معجزة إنبائية غيبية، تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه - اللغة العربية -، وحفظه (دون نقص أو زيادة حرف واحد) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى أن يشاء الله، حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وإذا قارنا هذا النص القرآني الكريم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ بما جاء عن هذه الحقيقة في «العهد القديم» يتضح لنا بجلاء الفرق الهائل بين كلام الله - تعالى - وصياغة البشر. فقد جاء في سفر التكوين (2/19، 20) ما نصه:

سَأَصْنَعُ لَهُ مَعِينًا نَظِيرَهُ. ¹⁸وَكَانَ الرَّبُّ الْإِلَهُ قَدْ جَبَلَ مِنَ التُّرَابِ كُلِّ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ الْفَصَاءِ وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى بِأَيِّ أَسْمَاءٍ يَدْعُوهَا، فَصَارَ كُلُّ شَيْءٍ أَطْلَقَهُ آدَمُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ اسْمًا لَهُ. ¹⁹وَهَكَذَا أَطْلَقَ آدَمُ أَسْمَاءَ عَلَى كُلِّ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّهَائِمِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ مَعِينًا نَظِيرَهُ. ²⁰فَأَرْفَعُ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، ثُمَّ تَنَاوَلَ ضِلْعًا مِنْ أَعْضَائِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِاللَّحْمِ، ²¹وَعَمِلَ مِنْ هَذِهِ الضِّلْعِ أُنْثَى وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.

good and evil, for when you eat of it you will surely die.”

¹⁸The LORD God said, “It is not good for the man to be alone. I will make a helper suitable for him.”

¹⁹Now the LORD God had formed out of the ground all the beasts of the field and all the birds of the air. He brought them to the man to see what he would name them; and whatever the man called each living creature, that was its name. ²⁰So the man gave names to all the livestock, the birds of the air and all the beasts of the field. But for Adam no suitable helper was found. ²¹So the LORD God

6 - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾ [البقرة: 35].

يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 35].

وأكد ربنا - تبارك اسمه - على نفس المعنى في مقام آخر من القرآن الكريم فقال - عز من قائل -: ﴿وَيَتَّكِدُمْ آسَكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: 19].

وقد اختلف المفسرون في تحديد الجنة التي أدخل إليها أبوانا آدم وحواء عليهما السلام، هل هي «جنة المأوى» المعروفة باسم «جنة الخلد»؟ وهي دار جزاء وخلود، لا يخرج داخلها منها أبداً!! أم هي جنة في الأرض أعدها الله تعالى لهما، وجعلها دار ابتلاء واختبار؟

والواضح من كل من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أنها كانت جنة على الأرض، أي: منطقة مرتفعة على هيئة ربوة تعلو ما حولها من السهول والوديان، وكانت محاطة بالأشجار، زاخرة بمختلف الثمار، ذات ظلال وارفقة، ونضرة ناعمة، وبهجة دائمة، ولذلك وصفها ربنا - تبارك وتعالى - بقوله العزيز - موجهاً الخطاب إلى أينا آدم عليه السلام قائلاً له:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٩﴾﴾

[طه: 118 - 119].

هذا بالإضافة إلى أن الجنة التي أسكنها الله تعالى - أبوانا آدم وحواء كانت دار ابتلاء واختبار تم تكليفهما فيها ألا يأكلا من شجرة معينة، وابتليا فيها بذلك، والأرض هي دار الابتلاء، وجنة الخلد هي دار الجزاء التي وعد الله تعالى المتقين بدخولها في الآخرة، وهي ليست دار ابتلاء أبداً.

كذلك فإن إبليس دخل على أبونا آدم وحواء جنتهما الأرضية، لأنه محروم من الدخول إلى جنة المأوى، وأن مجرد إخراج أبونا آدم وحواء من الجنة التي كانا قد أسكنا فيها ينفي عنها أن تكون هي جنة الخلد التي لا يخرج منها من دخلها أبداً.

والاحتجاج بتعريف (الجنة) التي سكنها أبونا آدم وحواء ﷺ بـ (أل) التعريف لا يدل أبداً على أنها هي جنة المأوى، وذلك لأن الألف واللام هنا للتعريف، وليسا للتعميم، ويستدل على ذلك من وصف القرآن الكريم لعدد من جنات الأرض بالتعريف، وذلك من مثل قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَمْحَبَّ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَوْا لَبِئْرُومَهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [٧] [القلم: 17].

وكذلك فإن الاحتجاج بأن ذكر (الهبوط) من الجنة التي أدخل إليها أبونا آدم وحواء ﷺ يمكن أن يشير إلى النزول من السماء إلى الأرض لا سند له على الإطلاق، وذلك لأن الهبوط قد يكون من مرتفع على الأرض إلى ما دونه، كما قد يكون هبوطاً معنوياً وذلك من مثل قوله - تعالى -:

1 - ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٣٦]

[البقرة: 36].

2 - ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ

[البقرة: 38].

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢٨]

3 - ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٢٤]

[الأعراف: 24].

والهبوط قد يكون من مرتفع إلى منخفض، كما قد يكون من السفينة إلى البر، ودليلنا على ذلك أقوال ربنا - تبارك وتعالى - التي منها:

1 - ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ لَهَا سَائِغَةٌ ﴾ [البقرة: 61].

2 - ﴿ قِيلَ يَنْتَحِبْ أَهْبِطْ بِسَلْمِ مِثْنَا ﴾ [هود: 48].

ومما يؤكد أن الجنة التي أدخلها أبوانا آدم وحواء ﷺ كانت جنة أرضية
أنهما خلقا من طين الأرض، وخلقاً للخلافة في الأرض، ولم يرد أنهما رُفعا إلى
السماء، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

- 1 - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].
- 2 - ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: 7].
- 3 - ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 71].

ويؤكد ذلك أيضاً أقوال المصطفى ﷺ التي منها قوله الشريف: «إن الله
- تعالى - خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وجاء بنو آدم على قدر
الأرض: فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وما بين ذلك، والسهل
والحزن، والخبيث والطيب»⁽¹⁾.

ليس هذا فقط، بل إن هناك من أقوال ربنا - تبارك وتعالى - ما يشير إلى أن
جنة الخلد ستكون في الأرض الجديدة التي سوف تتبدل عن أرضنا الحالية وسوف
تحتوي كل ذراتها بالكامل، وذلك من مثل آياته - تعالى - التي منها:

- ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣]
- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25].
- ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٤٨]
- ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنَّا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [٥٥]
- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ
نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [٧٤]

[الزمر: 74].

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧١﴾ ﴾ [الحديد: 21].

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [نوح: 17، 18].

كل هذه الأدلة تؤكد أن الجنة التي سكنها أبوانا آدم وحواء ﷺ كانت ربوة مرتفعة على الأرض ذات أشجار نضرة، وثمار يانعة، وظلال وارفة، تتوافر لهما فيها جميع حاجاتهما دون عناء أو تعب، فلما خالفا أمر ربهما وأكلا من الشجرة التي نُهيأ عنها أهبطا إلى أرض الابتلاء والنصب، والشقاء والتعب، والكدر والنكد، ولذلك قال - تعالى -:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: 35، 36].

وهذا الحين هو أجل كل منهما، وأجل كل فرد من ذريتهما إلى قيام الساعة. ولا يعني ذلك أبداً أنهما كانا خارجين عن حدود الأرض، فقد خلقا منها، وأدخلا الجنة عليها، وأهبط بهما من تلك الجنة الأرضية. وكان هذا الهبوط هبوطاً معنوياً من مقومات الرعاية الإلهية الكاملة التي لا تكلف الفرد أية مسؤولية عن توفير احتياجاته كلها (الضرورية منها والكمالية) إلى واقع الكدح الحقيقي من أجل توفير شيء من تلك الاحتياجات، وتحمل المسؤولية الكاملة عن تحقيق ذلك، لأن أبوانا آدم وحواء خلقا من تراب هذه الأرض، وللحياة عليها ولذلك قال - تعالى -:

﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30].

والتجربة التي مر بها أبوانا آدم وحواء ﷺ كانت تربية لهذين المخلوقين اللذين استخلفهما الله في الأرض، وإعداداً لهما من أجل فهم حقيقة رسالة الإنسان

في هذه الحياة: عبداً لله، يعبده بما أمر، ومستخلفاً في الأرض مطالباً بعمارتها وبإقامة عدل الله فيها. وفي فترة الاستخلاف الأرضية فإن كل إنسان مطالب بمقاومة كل محاولات الشيطان من أجل إغوائه عن تحقيق رسالته في هذه الحياة الدنيا، حتى تكون هذه الحياة بحق هي دار ابتلاء للإنسان، وفترة اختبار وامتحان يثبت لنفسه في نهايتها استحقاقه بالخلود في الجنة أو في النار. وبذلك يقيم الله - تعالى - الحجة على كل فرد من بني آدم بعمله على نفسه، وإلا فإن علم الله المحيط بكل شيء غني عن هذا الاختبار حتى يميز أهل الجنة عن أهل النار.

من هنا كانت حكمة الله - تعالى - من إدخال أبونا آدم وحواء عليهما السلام في الجنة الأرضية حتى يدركا شيئاً من نعيمها، ثم يعرضهما ربهما لمحاولة من إبليس لإغوائهما عن الالتزام بأوامر الله، وذلك من أجل تحذيرهما وتحذير ذريتهما من بعدهما منه. ثم يسر الله - تعالى - لأبونا آدم وحواء سبيل التوبة، والندم على مخالفة أمره، ومعرفة حقيقة العداوة بين الشيطان والإنسان، حتى يحتاط كل إنسان عاقل لنفسه من غواية شياطين الجن والإنس. وكان من أهداف هذه التجربة أن يعرف الإنسان كيف يعود إلى ربه إذا غلبه الشيطان على نفسه، حتى لا ييأس من رحمة الله، ويتعلم كيف ينتصر على عدوه الأول إذا شاء الانتصار عليه، ويعرف مصيره إذا سمح للشيطان بالانتصار عليه!!.

وقصة أبونا آدم وحواء عليهما السلام هي من أوجه الإعجاز الإنبائي في القرآن الكريم، وهو إنباء غيبية لأن أيّاً من بني آدم لم يشهد خلق أبويه آدم وحواء.

من هنا يتضح أن فتنة إبليس لكل من أبونا آدم وحواء عليهما السلام كما جاءت في القرآن الكريم لم تنقل من كتب الأقدمين، وإن كان بعض التشابه في القصة يؤكد أن أصلهما واحد، وإن كان أحدهما قد تعرض للتشويه البشري، وبقي الآخر بروايته الربانية. ويتضح ذلك بجلاء بمقارنة الرواية القرآنية الكريمة مع ما جاء عنها في «سفر التكوين» من «العهد القديم» بالنص التالي:

The Fall of Man

3 Now the serpent was more crafty than any of the wild animals the LORD God had made. He said to the woman, "Did God really say, 'You must not eat from any tree in the garden?'"
2The woman said to the serpent, "We may eat fruit from the trees in the garden, but God did say, 'You must not eat fruit from the tree that is in the middle of the garden, and you must not touch it, or you will die.'"
4"You will not surely die," the serpent said to the woman. **5**"For God knows that when you eat of it your eyes will be opened, and you will be like God, knowing good and evil."
6When the woman saw that the fruit of the tree was good for food and pleasing to the eye, and also desirable for gaining wisdom, she took some and ate it. She also gave some to her husband, who was with her, and he ate it. **7**Then the eyes of both of them were opened, and they realized they were naked; so they sewed fig leaves together and made coverings for themselves.

8Then the man and his wife heard the sound of the LORD God as he was walking in the garden in the cool of the day, and they hid from the LORD God among the trees of the garden. **9**But the LORD God called to the man, "Where are you?"
10He answered, "I heard you in the garden, and I was afraid because I was naked; so I hid."
11And he said, "Who told you that you were naked? Have you eaten from the tree that I commanded you not to eat from?"
12The man said, "The woman you put here with me—she gave me some fruit from the tree, and I ate it."
13Then the LORD God said to the woman, "What is this you have done?" The woman said, "The serpent deceived me, and I ate."
14So the LORD God said to the serpent, "Because you have done this, 'Cursed are you above all the livestock and all the wild animals! You will crawl on your belly and you will eat dust all the days of your life.'
15And I will put enmity between you and the woman, and between your offspring and hers;

سقوط الإنسان

وكانت الحية أذكى وحوش البرية التي صنعها الرب الإله، فسالت المرأة، «أفأنا لم نؤمر الله ألا نأكل من جميع فواكه الجنة؟» فأجبت المرأة، «لمنعنا أن نأكل من ثمرة الجنة كلها، ما عدا ثمرة الشجرة التي في وسطها، فقد قال الله، لا تأكلوا منها ولا تلمسوها، لكن لا تموتون.» فأقلت الحية للمرأة، «لن تموتين، بل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمرة هذه الشجرة تفتح أعينكما فتصبحان مثله، فتدركان على التمييز بين الخير والشر.»
 وأبصرت المرأة أن الشجرة لذية للتعاطل ونورية للعينين، وثميرة للظفر فطقت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضاً فأكل منها، فأنفتحت لجلل أعينهما، وأدركتا أنهما عريانان، فغطتا لأنفسهما ما تروا من أزدان الثياب.

ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند شروق يوم الثلاثاء، فاختفا من حضرة الرب الإله بين شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، «أين أنت؟» فأجبت، «سمعت صوتك في الجنة فأخفيت جشنة منك لأني عريان.» فسأله، «من قال لك أنك عريان؟» هل أكلت من ثمرة الشجرة التي نهيتك عنها؟» فأجبت آدم، «إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي، هي التي أطعمتني من ثمرة الشجرة، فأكلت.» فسأل الرب الإله المرأة، «ملاكاً فعلت؟» فأجبت، «الحواري الحية فأكلت.» فقال الرب الإله للحية، «لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت بين نهن جميع الأنهار، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، ومن الأرباب تأكلين طرول حنايك.»
 وأبصر عدوة دائمة بينك وبين المرأة، وتبذل بينك وبينكم، هو يمشق رأسك وأنت تلدعين عيونه.

Genesis 3,4

5 / 0

التكوين ٤،٣

he will crush your head, and you will strike his heel." ¹⁶To the woman he said, "I will greatly increase your pains in childbearing; with pain you will give birth to children. Your desire will be for your husband, and he will rule over you." ¹⁷To Adam he said, "Because you listened to your wife and ate from the tree about which I commanded you, 'You must not eat of it,' 'Cursed is the ground because of you; through painful toil you will eat of it all the days of your life. ¹⁸It will produce thorns and thistles for you, and you will eat the plants of the field. ¹⁹By the sweat of your brow you will eat your food until you return to the ground, since from it you were taken; for dust you are and to dust you will return."

²⁰Adam named his wife Eve, because she would become the mother of all the living. ²¹The LORD God made garments of skin for Adam and his wife and clothed them.

²²And the LORD God said, "The man has now become like one of us, knowing good and evil. He must not be allowed to reach out his hand and take also from the tree of life and eat, and live forever."

²³So the LORD God banished him from the Garden of Eden to work the ground from which he had been taken. ²⁴After he drove the man out, he placed on the east side of the Garden of Eden cherubim and a flaming sword flashing back and forth to guard the way to the tree of life.

لَمْ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «أَكْثُرْ تَكْثِيرًا أُوجِعَ تَحَاضِكِ فَتَجِيبِينَ بِأَلْأَلَمِ أَوْلَادِكِ. وَالسُّؤَالَاتُ تُكُونُ أَتَشْتِاقُكَ وَهُوَ يَسْلُطُ عَلَيْكِ.» ^{١٦} وَقَالَ لِآدَمَ: «لِأَنَّكَ أَدْعَيْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ، وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَيْتُكَ عَنْهَا، فَأَلْأَرْضُ مَلْعُونَةٌ بِسَبَبِكَ وَيَأْتِيكَ مِنْهَا عُسْرٌ طَوِيلٌ. فَتَأْكُلُ مِنْهَا عَشْبَ الْحَقْلِ.» ^{١٧} وَتَأْتِيكَ حَتَّى تَقُودَ إِلَى الْأَرْضِ، فَمِنْ تَرَابٍ أُجِذْتُ. وَالسُّؤَالَاتُ تَقُودُ..

«وَسَمَى آدَمُ زَوْجَتَهُ حَوَاءَ. لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ.» ^{١٨} وَكَسَى الرَّبُّ الْإِنْسَانَ

«لَمْ قَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ، هَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَمَا جِئْتُ بِمَا، يُسَيِّرُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ مِنَ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَتَأْكَلُ، فَبَجِئْنَا إِلَى الْأَبَدِ.» ^{١٩} فَخَرَجَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَفْلِحَ الْأَرْضَ الَّتِي أُجِذَ مِنْ تَرَابِهَا. ^{٢٠} وَهَكَذَا طَرَدَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ. وَأَقَامَ مَلَائِكَةَ الْكَرُوبِيمِ وَسَيْفًا نَارِيًّا مُتَقَلِّبًا سَوْرِيًّا الْجَنَّةِ لِجِرَاسَةِ الطَّرِيقِ الْمُنْفِصِيَةِ إِلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ..

7 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل إحدى الوقائع الغيبية الهامة في قصة خلق آيينا آدم ﷺ لم يشهدا أحد من ذريته، وإيرادها في كتاب الله يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي فيه. ويتضح هذا الوجه من حقيقة أن «سفر التكوين» لم يورد شيئاً عن تلك الواقعة، بل صور إبليس في صورة الحية التي أغوت حواء أولاً بمخالفة أمر الله، ثم ادعى أن حواء قامت بإغواء آدم فأدت إلى سقوط الإنسان، وهذا مما لا يوجد دليل واحد عليه في كتاب الله ولا في سنة خاتم أنبيائه ورسوله.

ومعنى هذه الآية الكريمة يؤكد ربنا - تبارك اسمه - في أربعة مواضع أخرى من محكم كتابه فيقول:

1 - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11].

2 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ
طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: 61].

3 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

4 - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾﴾ [طه: 116].

وكما سبق أن ذكرنا فإن سجود الملائكة لآيينا آدم ﷺ هو سجود تكريم واحترام وتوقير، لا سجود خضوع وعبادة وتسليم كسجود العباد لخالقهم ﷻ، وذلك لأن الله - تعالى - خص ذاته العلية بعبادة جميع خلقه له وحده، وأمرهم بعدم الخضوع بالسجود أبداً لغيره ﷻ واعتبر السجود لغيره - سبحانه - ضرباً من الشرك بالله.

والملائكة خلق غيبي بالنسبة لنا، وخلقهم سابق لخلق الإنسان، وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم خلقوا من نور، وذلك انطلاقاً من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»⁽¹⁾.

والملائكة يصفهم القرآن الكريم بأنهم عباد الله المكرمون، وبأنهم هم الملائكة الأعلى، وهم السفرة، الكرام البررة.

والإيمان بالملائكة واجب إسلامي لقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَرُقُّ بِبَيْتٍ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

[البقرة: 285].

ويؤكد ذلك قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

[النساء: 136].

ويصف القرآن الكريم الملائكة بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

[النحل: 49، 50].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

[الأنبياء: 19، 20].

ويضيف القرآن الكريم في وصف الملائكة قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ بَزِيدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

[فاطر: 1].

ويؤكد القرآن الكريم طاعة الملائكة الفطرية لله بقول ربنا - تبارك وتعالى -

(1) أخرجه الإمام أحمد (11143)، كما ذكره كل من الإمامين مسلم والبخاري.

عنهم بأنهم: ﴿... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6].

والأمر الإلهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم ﷺ (وذريته جميعاً إلى قيام الساعة موجودون في صلبه) هو إعلان من الله - تعالى - بتكريم الإنسان، ذلك المخلوق الذي خلقه الله ﷻ بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه من علمه، وأدخله جنته، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً. وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70].

ومبعث هذا التكريم أن الله - تعالى - توج الحياة الأرضية بخلق الإنسان، وجعله أشرف هذه المخلوقات جميعاً، وميزه بكل من البيان والعقل، وبالقدرة على التفكير الإيجابي، وعلى اكتساب المعارف والمهارات، وعلى تعليمها. ومن ثم جعل الإنسان مخلوقاً عاقلاً، مكلفاً، مسؤولاً، ومحاسباً عن كل عمل يعمله في هذه الحياة الدنيا.

فهناك العالم المادي (بجوامده، وسوائله، وغازاته)، وهناك عوالم الحياة غير المكلفة: النباتية والحيوانية، وعوالم الحياة العاقلة غير المحسوسة، ومنها المسخر (كالملائكة) والمكلف (كعالم الجن)، وهناك الإنسان. والإنسان مخلوق له القدرة على التفكير وعلى إدراك ما يفكر فيه، كما يستطيع الإدراك في نفسه لمعانٍ وقيم للأشياء والأفعال تجعله قادراً على العيش في عالم من التصورات، والذكريات، والعواطف، والمشاعر، والأحاسيس، والتعبير عن ذلك كله تعبيراً يقبله العقل السوي. وقد مكن ذلك كله الإنسان من إدراك ذاته بصورة متميزة عن كل ما سواه من الكائنات الحية، رغم ما بينه وبينها من شبه في البناء يشير إلى وحدانية الخالق ﷻ، ومن تمايز في مستوى هذا البناء يشير إلى طلاقة القدرة الإلهية في إبداع خلق الإنسان، كما يشير إلى مبررات التكليف الذي فرضه عليه خالقه.

والإنسانية في الإنسان ليست بجسده المادي المعقد البناء، ولا بصفاته

الجسدية الظاهرة، ولا بخصائصه التشريحية الخفية، لأن ذلك كله تحكمه قوانين المادة ومظاهر الحياة. والإنسانية في الإنسان ليست كذلك بنسبته إلى سلالة معينة من الكائنات الحية هي السلالة البشرية (بمعنى كونه بشراً، أي مخلوقاً ظاهراً على جميع الكائنات الحية الأرضية) أو بكونه إنسياً من الإنس (أي غير الجن)، فهذه كلها صفات مادية محضة. ولكن الإنسانية في الإنسان تتجسد في قدرته على الارتقاء بذاته إلى الدرجة التي تؤهله للقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، واحتمال تبعات التكليف الإلهي الذي كلفه به الله - تعالى - وذلك بقوله العزيز: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: 30]، والارتقاء بذاته كذلك إلى الدرجة التي تؤهله لحمل الأمانة التي وصفها ربنا - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [٧٢]. [الأحزاب: 72].

وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان هو - في الحقيقة - توازن دقيق بين طبيعته المادية وروحه التي نفثها فيه خالقه، وجعل له عقلاً يحول دون طغيان أحد جانبيه هذين على الآخر. فالإنسان يعلو على متطلبات جسده بعقله، ويعلو على أحكام عقله بروحه، لأنه يتصل بدوافع الحياة بواسطة كل من جسده وعقله، ويتصل بخالقه عن طريق روحه. وواجب العقل البشري أن يدرك ما وسعه إدراكه من العوالم المحسوسة من حوله، ولكنه لا يستطيع إدراك ما فوق ذلك من عوالم الغيب المطلق إلا ببيان من الله - تعالى - عن طريق الوحي المنزل على أنبياء الله ورسله. من هنا كانت ضرورة الدين لاستقامة حياة الإنسان على الأرض، وتمكينه من تحقيق رسالته فيها بنجاح.

والدين الذي يرتضيه ربنا - تبارك وتعالى - من عباده علمه ﷺ لأينا آدم ﷺ لحظة خلقه، وأنزله على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين من بعده، وأتمه وحفظه في الرسالة الخاتمة التي بعث بها الرسول الخاتم - سيد الأولين والآخرين من ولد آدم، سيدنا محمد النبي العربي الأمين ﷺ. ولما كان كل من النبوة

والرسالة قد انقطع من بعد هذا الرسول الخاتم، فقد تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً فحفظت في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم المرسلين ﷺ. واستمر هذا الحفظ مدى أربعة عشر قرناً إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله - تعالى - في نفس لغة الوحي بهما (اللغة العربية) حتى يبقى حجة الله البالغة على خلقه إلى يوم الدين.

وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يحيا على هذه الأرض حياةً سوية بغير الدين، والدين لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، لقيامه على عدد من ركائز الغيب المطلق (كقضية العقيدة) وعلى عدد من الفرائض التعبدية التي لا بد للإنسان من تلقي أوامرها من الله ﷻ، وعلى دستور أخلاقي وفقه للمعاملات، وهذه من القضايا التي لا تقوى الطبيعة البشرية على وضع أية ضوابط صحيحة فيها، ومن هنا كانت ضرورة الدين.

والإنسان بفضل عقله، وإرادته الحرة المستنيرة بالعقل يستطيع التمييز بين معتقد صحيح وآخر غير صحيح، وذلك بدقة حفظ الوحي السماوي الذي أنزل بهذا المعتقد. وذلك لأنه هو الكائن المتميز بالقدرة على تحصيل العلم، وبالاستعداد لكسب المعارف عن طريق ذلك التحصيل، وبالقدرة على التفكير والاستعداد للإلهام والالتزام بوحي السماء. لذلك كان الإنسان قادراً على تدبير حياته، وعلى توجيه قواه وملكاته المادية والنفسية، وعلى تسخير ما في الأرض من قوى وكائنات، وما في الكون من سنن وقوانين لعمارة الحياة على الأرض. ومن هنا كان الإنسان قادراً على التعرف على خالق الكون ومبدع الوجود، وعلى فهم الرسالة التي كلفه «بها» في هذه الحياة: بكونه عبداً لله، مطالباً بعبادته بما أمر، ومستخلفاً ناجحاً في الأرض، مطالباً بعمارته وإقامة شرع الله وعدله فيها. وكان هذا كله من مبررات الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم ﷺ وفي صلبه جميع بني (من لحظة خلقه إلى قيام الساعة).

أما إبليس فهو من الجن، كما جاء في سورة «الكهف»، والجن من عالم

الغيب الذي لا نراه، وهم قد عمروا الأرض قبل الإنس، وأساءوا في غالبيتهم، وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء قبل أن يسفكها بنو آدم. وقد سمي الجن جنأ لاستتارهم عن أبصار الإنس. والجن خلق عاقل مكلف كالإنس، ومنهم المؤمن والكافر، وهم يأكلون ويتناسلون ويموتون. والإنس قد عرفوا عن الجن من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ، فقد جاء ذكر الجن في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وفي العديد من أحاديث سيد المرسلين، ومن هنا وجب الإيمان بوجودهم وإن لم نستطع رؤيتهم.

وقد شمل أمر الله - تعالى - إلى الملائكة بالسجود لأبينا آدم ﷺ كل من كان معهم - على الرغم من كون الأمر للملائكة خاصة - وقد كان معهم إبليس وكان يعبد الله ﷻ بعبادة الملائكة، فشملة الأمر بالسجود لآدم، ولكنه أبى حسداً لأبينا آدم ﷺ وحقداً عليه.

هذه الواقعة لم يشهدا أي من بني آدم، ولم يسمع بها كفار ومشركو قريش، ولم ترد لها أية إشارة في «العهد القديم»، ومن هنا فإن عرضها في خمسة مواضع مختلفة من القرآن الكريم (في كل من سورة «البقرة»، «الأعراف»، «الإسراء»، «الكهف»، و«طه») يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب المجيد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

8 - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: 11، 12].

وأصل (الخلق) هو الإبداع والتقدير الدقيق المستقيم، ويستعمل في التعبير عن الإبداع للشيء على غير مثال سابق أي: من غير أصل ولا احتذاء، وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 73]. أي أبدعهما على غير مثال سابق بدلالة وصفه لذاته العلية بقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117].

ويستعمل الفعل (خلق) كذلك في التعبير عن إيجاد شيء من شيء آخر وذلك من مثل قوله تعالى: ... ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1]. و (الخلق) الذي يقصد به الإبداع (أي الإيجاد من العدم على غير مثال سابق) لا يكون إلا لله ﷻ الذي وصف ذاته العلية بـ(الخالق) و(الخالق)، وفرق بين الخالق والمخلوق بقوله العزيز:

﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: 17].

وفعل (الخلق) لا يستخدم في حق المخلوقين إلا على وجهين أحدهما يعني التقدير لشيء من شيء آخر، والثاني في التعبير عن الكذب ويسمى (الاختلاق) بمعنى الافتراء، وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا تَقْبُذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17].

أما قوله - تعالى -: ... ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: 14]. فمعناه أحسن المقدرين لأن الله ﷻ هو خالق كل شيء، وغيره لا يخلق وإن استطاع التقدير أي استطاع تحويل شيء عن شيء آخر.

ولفظة (الخلق) تقال في معنى (المخلوقين)، ولفظتا (الخلق) و(الخُلُق) في الأصل واحد، ولكن حُصَّ (الخلق) بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر، وحُصَّ (الخُلُق) بالسجايا المدركة بالبصيرة أي (الأخلاق). و(الخلاق) هو ما يكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه، و(الخليقة) و(الخلاق) هم خلق الله، و(الخالقة) هي الفطرة. يقال: فلان (خليق) بكذا أي: جدير به، كأنه مخلوق فيه ذلك، أو كأنه مجبول بفطرته على ذلك، أي: مدعو إليه بالفطرة، و(الخلاق) هو النصيب، و(الخُلُق) ضرب من الطيب.

والفعل (صَوَّرَ) معناه: صنع (صورة)، و(الصورة) هي الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة التي خصَّ بها كل مخلوق؛ أو هي الهيئة التي يوجد عليها الشيء، ومنها الصور المحسوسة التي يدركها كل من الخاصة والعامة بالمعاينة والمشاهدة الحسية وذلك من مثل الصور المادية الملموسة المجسمة لكل من الإنسان والحيوان والنبات والجماد). ومنها الصور المستنتجة (أي: غير المدركة بالحواس) كالصور الضمنية التي اختصَّ الإنسان بها من مثل قدرات الذكاء الفائق، والإدراك الدقيق، والمشاعر المرهفة، والأحاسيس العميقة، والانفعال المباشر، والتعبير الصادق، والقدرة على كسب كل من العلم والمهارات اليدوية وتعليمهما، وغير ذلك من الملكات التي اختصَّ الله ﷻ بها الإنسان. وقد أشار القرآن الكريم إلى هاتين الصورتين بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [6]

[آل عمران: 6].

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [11]

[الأعراف: 11].

- ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [64]

[غافر: 64].

- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُوَرَهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [3]

[التغابن: 3].

- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

[الانفطار: 7، 8].

ووصف ربنا - تبارك وتعالى - ذاته العلية بالمصوّر فقال - عزّ من قائل -:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ...﴾ [الحشر: 24].

وجمع (الصورة): (الصُور) بضم الصاد وكسرها. يقال (صوَّره) (تصويراً) (فتصوّر)، وتصوَّرت الشيء: توهمت (صُورته) (فتصوِّر) لي، و(التصاویر) هي: التماثيل.

و(السجود) أصله الخضوع والتطامن والتذلل لله - تعالى - وعبادته بما أمر، ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض، وهناك السجود الإرادي الاختياري للمخلوقات المكلفة ذات الإرادة الحرّة كالإنس والجن، وهناك السجود الفطري، التسخيري، وهو للمخلوقات غير المكلفة كالملائكة والجمادات والنباتات والحيوانات.

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي في الآيتين الكريمتين (11، 12) من سورة «الأعراف» ما يلي:

(أ) الناس جميعاً يردون إلى أب واحد، وأم واحدة هما آدم وحواء ﷺ :

فالخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصددنا مُوجّه إلى الناس كافة بقول

ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11].

والآية السابقة مباشرة تؤكد ذلك الفهم وتدعمه إذ يقول فيه الحق ﷻ:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

[الأعراف: 10].

ولكن تكملة الآية الحادية عشرة تتحدّث عن أبينا آدم ﷺ مما يشير إلى

حقيقة أنّ ذريته جميعاً كانوا في صلبه لحظة خلقه بدليل قوله - تعالى - في نفس

السورة:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

[الأعراف: 172].

وبدليل قوله - عزَّ من قائل - في نفس السورة أيضاً:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

[الأعراف: 189].

ودراسات علم الوراثة الحديثة تشير إلى دقة هذه الحقيقة القرآنية، وذلك لأن الشيفرة الوراثية تتكدس في حيز لا يتعدى حجمه واحداً من نصف المليون من المليمتر المكعب في داخل نواة الخلية. والخلية الحية في جسم الإنسان لا يتعدى قطرها (0,03م) في المتوسط، وتحتوي هذه الشيفرة على 46 جسيماً صبغياً، يتكوّن كل منها من تجمعات لعدد من البروتينات والحمض النووي. وتشكل هذه الصبغيات على هيئة لفائف مزدوجة الجانب لافة حول محور وهمي بهيئة حلزونية تعرف باسم «لفائف الحلزون المزدوج للحمض النووي الريبسي غير المؤكسد» (Double Helix DNA Strands or Templets). وبلغ سمك جدار هذه اللفيفة (1/50 مليون مم)، وبلغ قطرها (1/500,000 مم)، ويصل طولها إذا فردت إلى قرابة المترين، وتحمل كل واحدة منها ما يزيد على الأربعمئة مليون قاعدة كيميائية بمجموع (404,347,800 × 46 صبغي = 18,6 بليون قاعدة كيميائية) مرتبة ترتيباً محكماً دقيقاً، لو اختلّت قاعدة واحدة منها عن مكانها فإنّ هذا البناء ينهار تماماً أو يُسوّه. ويقسم كل صبغي على طوله بعدد من العلامات المميزة (Markers) إلى عدد من المورثات (Genes) تنتشر على مسافات محددة من بعضها بعضاً، ويحمل كل مورث عدداً من الأوامر لإنتاج كل من الأحماض الأمينية، والإنزيمات، والهرمونات، والمضادات الحيوية، وغيرها من البروتينات اللازمة لبناء مختلف خلايا الجسم. ويتحكّم كل مورث في عدد من صفات الفرد من بني آدم، بما يميزه عن غيره من البشر. وقد وهب الله ﷻ الخلية الحية الواحدة من خلايا جسم الإنسان القدرة على إنتاج أكثر من ثمانين ألف نوع من أنواع البروتينات اللازمة

لبناء ذلك الجسم، والتي تحضر بأوامر من الشيفرة الوراثية داخل جسيمات ميكروسكوبية خاصة من عضيات الخلية الحية تعرف باسم الريباسات (Ribosomes).

وتحتوي كل خلية من خلايا جسم الإنسان على (46) صبغياً موزعة في (23) زوجاً، منها (22) زوجاً مهمتها الانقسام المتكرر لبناء مختلف خلايا الجسم، وزوج واحد من هذه الصبغيات للتناسل. ويتكوّن زوج التناسل من صبغين متماثلين في الأنثى (XX)، وغير متماثلين في الذكر (XY). وفي الوقت الذي يتم فيه انقسام الخلايا الجسدية انقاسماً طويلاً يعرف باسم الانقسام الفتيلي (Mitosis) يحافظ على عدد الصبغيات في كل خليتين وليدتين بالانقسام، فقد شاءت إرادة الخالق العظيم أن تتكوّن الخلايا التناسلية من الخلايا الجسدية بانقسام انتصافي (Meiosis) ليعطي لكل خلية تناسلية نصف عدد الصبغيات في الخلية الجسدية، حتى إذا ما اتّحدت خليتان تناسليتان (إحدهما من الأب والأخرى من الأم) تكامل عدد الصبغيات المحدّد للنوع في النطفة الأمشاج (المختلطة)، مما يؤكد على حتمية التزاوج بين الجنسين (الذكر والأنثى) من أجل استمرار الحياة على الأرض.

وببدأ تخلّق جنين الإنسان من اندماج نطفتي الزوج والزوجة لتكوين «النطفة الأمشاج» التي تنشط في الانقسام فتكرر ذاتها لمرات عديدة مكونة «التوتية» (Morula) التي تتحوّل إلى «الكرة الأرومية» بمزيد من الانقسام، ثم تنقسم الكرة الأرومية كي تنغرس ببطانة الرحم لتنمو في عدد من الأطوار المحددة حتى يتم الوضع للجنين (الميلاد).

وبالرجوع بعمليات انقسام الخلايا التناسلية إلى الوراء مع الزمن فإنّ نسل أبينا آدم ﷺ من بداية خلقه وحتى قيام الساعة يلتقي كله في صلبه لحظة خلقه، (ويشمل ذلك كل بلايين البشر الذين يملأون جنات الأرض اليوم، والبلايين التي عاشت من قبل وماتت، وتلك التي سوف تخلق إلى قيام الساعة). ومن هنا فإنّ الخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصدها كما هو موجه إلى أبينا آدم ﷺ، فإنه

موجّه إلى جميع نسله إلى قيام الساعة. وعلى ذلك فإنَّ المقصود بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿تَحْنُ خَلَقْتَكُمْ﴾ هو خلق أبينا آدم ﷺ من طين ثم إكرامه بنفخة الروح فيه، وخلق جميع ذريته في صلبه لحظة خلقه.

وتفاصيل قوانين الوراثة لم تُدرَك إلا في أوائل القرن العشرين، والإشارة إليها في هذا النص الكريم لما يقطع بأنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق، ولما يشهد بالنبوة وبالرسالة للنبي الخالق الذي تلقاه، فضلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

ويبقى الإخبار بحقيقة الخلق والتصوير، وبالأمر الإلهي للملائكة بالسجود لأبينا آدم ﷺ (وذريته جميعاً في صلبه)، وتحقق سجودهم بالفعل، وتمرد إبليس على الأمر الإلهي بالسجود، ومحاولة تبريره لذلك الموقف، يبقى كل ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا علمنا أنه لم ترد أية إشارة إليه في أي من العهدين القديم أو الجديد.

(ب) الإشارة إلى تقدير صفات الجنين عبر مراحل متتالية بوصف التصوير:

وذلك انطلاقاً من قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاهُمْ﴾ أي: قدّرنا صفاتكم الوراثةية تقديراً كاملاً وأنتم في عالم الذر في صلب أبيكم آدم ﷺ حتى يكون كل فرد منكم على صورته التي خصه الله - تعالى - بها، ووضعنا الأوامر بذلك في الشيفرة الوراثةية الخاصة بكل فرد منكم. وقد جاء هذا الإخبار العلمي الدقيق بتقدير الصفات الوراثةية في الإنسان، والعالم تسوده الخرافات والأساطير عن خلق الجنين. وكان من هذه الخرافات التصور الخاطيء بخلق الجنين كاملاً بصورة مصغرة في ماء الرجل (وقد سادت هذه الخرافة حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي أي إلى سنة 1694م)، أو في ماء المرأة (كما ساد ذلك الوهم حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي أي إلى سنة 1745م). واستمرت المعارك بين أنصار كل من هاتين الأسطورتين حتى ثبت دور كل من الذكر والأنثى في تكوين

الجنين، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولم يتم الإجماع على تلك الحقيقة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الميلاد. وكان القرآن الكريم قد نزل من قبل أربعة عشر قرناً مؤكداً هذه الحقيقة، وواصفاً مراحل خلق الجنين البشري بدقة وشمول بالغين يفتقر إليهما حتى العلم الحديث، وقد أجمل ذلك في التعبير القرآني ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ﴾ الذي جاء في الآية الكريمة التي نحن بصدددها.

فربنا - تبارك وتعالى - قد قدّر صفات كل فرد من بني آدم في علمه الأزلي وضمّن صلب أبينا آدم ﷺ تلك الصفات لحظة خلقه، وأظهرها في الوقت الذي حدّده لظهورها، على هيئة شيفرة مبرمجة نصفها في صلب الأب الموعود، ونصفها الآخر في صلب الأم المختارة، فإذا التقيا في زواج تكاملت الصفات المحددة في النطفة الأمشاج التي تستقر في الرحم فتمر بعدد من المراحل المقدّرة بدقة فائقة (العلاقة، المضغ، ثم تخلق العظام وتكسى لحماً، ثم ينشأ الجنين خلقاً آخر). ومن الأمور المبهرة حقاً في عملية التصوير التي تتم من خلال تلك المراحل هو الاختيار الدقيق لنطفة محددة من بلايين النطف التي يهبها الخالق العظيم للزوج، لتلتقي مع بيضة محددة من بين آلاف البيضات التي يهبها الله - تعالى - للزوجة، لتتخلق منهما نطفة أمشاج محددة الصفات تحديداً مسبقاً في علم الله الحكيم الخبير، ولعل ذلك من مقاصد عملية التصوير التي جاءت في الآية الكريمة التي نحن بصدددها، وفي العديد غيرها من آيات القرآن الكريم.

والانقسامات السريعة للنطفة الأمشاج من أجل تكوين «التوتة» ثم «الكرة الأرومية» التي هيأها الله - تعالى - بعدد من الخلايا الآكلة التي تحفر لها طريقاً في بطانة الرحم فتغرس فيه بعد انشطارها، وتثبت به، لكي تغذى على دم الأم بعد نفاد غذائها، حتى تأخذ طور «العلاقة». ثم يظهر «الشريط الأولي» على سطح العلاقة فتتخلق كل خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة الجسم من الخلايا الجذعية لتلك المرحلة، والتي يهبها الخالق العظيم قدرات فائقة على التشكّل والتكيف لكل عضو

حسب وقت ظهوره، وهو ما يمكن أن يدخل تحت «عملية التصوير» التي وصفها القرآن الكريم بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ﴾. وهذا التصوير يتم على مستوى الصفات المحددة في المورثات وهو أمر مقدر سابقاً، ثم على مستوى الخلايا والأنسجة والأعضاء التي يتم تصويرها عبر الأطوار المتتالية التي حددها القرآن الكريم بدقة بالغة قبل أن تصل العلوم المكتسبة إلى معرفة شيء عنها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الميلاد.

والجنين البشري لا يبدأ في اكتساب الملامح الإنسية إلا بعد نفخ الروح فيه، وذلك بنهاية الأسبوع السادس من عمره، وتبقى فترة الحمل إلى وضع الجنين (بنهاية الأسبوع الثامن والثلاثين) مرحلة للنمو والتكامل في بناء الأعضاء والأجهزة المختلفة. وهذه الأطوار من «النطفة الأمشاج» إلى اكتمال نمو الجنين يمكن إدخالها في مرحلة التصوير التي قدرها الخالق ﷻ في الشيفرة الوراثية لكل فرد منا، والتي كانت موجودة في صلب أبينا آدم ﷺ، والتي يفرزها الله - تعالى - بعملية الانقسام، ويطلقها إلى حيِّز الوجود عند لحظة تخلق كل فرد من بني آدم.

ومن أوجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة الإنباء بأنَّ الله - تعالى - خلق جميع بني آدم وصوّرهم (بمعنى أنه ﷻ أعطى كل فرد منهم وجوده وصفاته الوراثية) وهم في صلب أبيهم آدم لحظة خلقه. وفي الإخبار بأنَّ الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود (سجود التحية والتكريم) لأبينا آدم ﷺ، ومن خلاله لجميع بني آدم الذين كانوا جميعاً في صلبه لحظة خلقه، واستجابة الملائكة لأمر الله بذلك هو كذلك وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، خاصة إذا علمنا أنه لا يوجد ذكر لتلك الواقعة في أي من العهدين القديم أو الجديد. والإخبار بامتناع إبليس عن السجود لأبينا آدم ﷺ بحجة أنه مخلوق من نار وآدم مخلوق من طين، يجسد صورة من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله لأنَّ أحداً منا لم يشهد هذا الموقف العظيم، ولم تدونه أي من كتب السابقين المتداولة بين أيدي الناس اليوم.

وإنباء القرآن الكريم بهذا الغيب المطلق، وتضمينه ذلك بالعديد من الحقائق العلمية التي لم يتمكن الإنسان من الوصول إلى شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين، وذلك من قبل أربعة عشر قرناً، وفي زمن لم تتوافر فيه أية وسيلة من وسائل التكبير أو التصوير أو الكشف العلمي لمِمَّا يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه - اللغة العربية - وحفظه حفظاً كاملاً: كلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ القرآن الكريم تعهداً مطلقاً حتى يبقى ذلك الكتاب الخالد حجة الله على جميع الخلق إلى يوم الدين.

9 - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 36].

هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن غواية إبليس اللعين لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام ، وأكد ربنا - تبارك وتعالى - تلك الواقعة في كل من سورتي «الأعراف» و«طه» فقال - عز من قائل :-

● ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَنَا تَفَوُّرًا لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنَؤُ عَادَمٌ فَذُ أُنزِلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا بِوَرَى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسِ النَّوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنَؤُ عَادَمٌ لَا يَفْنَيْتَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 20 - 27].

وقال - وقوله الحق - :

● ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُعِدْ لَهُ عِزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلُ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَخْبَلَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضِ عَدُوٍّ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِدُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٧٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾

[طه: 115 - 124].

والفعل (أزلهما) أي: أزلقهما، بمعنى أذهبهما، من (الزلل) وهو عثور القدم، ثم استعمل اللفظ في ارتكاب الخطيئة مجازاً؛ يقال (زل)، (يزل)، (زلاً)، (زللاً) و(زليلاً) بمعنى سقط منزلقاً في طين، و(الإزال) هو (الإزلاق). والاسم (الزلة)، كذلك يقال: (أزله) غيره و(استزله) بمعنى أزلقه في الطين أو الوحل، أو أوقعه في خطيئته. وقد يكون اللفظ مستمداً من (الإزالة) بمعنى التنحية والإبعاد. و(المزلة) بفتح الزاء وكسرهما هي المكان الدحض، وهو موضع (الزلل) أي الوقوع على الأرض لعثرة القدم؛ و(الزلل) و(الزلق) بمعنى واحد تقريباً.

والضمير في قوله - تعالى - (فأزلهما) عائد على أبونا آدم وحواء ﷺ، وكانا قد أسكنا الجنة ثم طردا منها، بمعنى أن الشيطان بوسوسته إليهما قد أوقعهما في الخطأ الذي كان سبباً في إخراجهما من الجنة وتنحيتهما عنها.

والتعبير يوحي بصورة الشيطان وهو يجرحهما بغوايته، ويلقي بهما إلى خارج الجنة إلقاء بعنف، ويدفع بهما إلى خارجها دفعاً عنيفاً، فتزل أقدامهما من تحتها لشدة الدفع، وتهوي بهما من مقامات التكريم في الجنة إلى كدح الحياة الأرضية وشظفها؛ وهنا يأتي الأمر الإلهي بالنص التالي:

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣٦﴾﴾

[البقرة: 36].

(والهبوط) هو النزول من أعلى إلى أسفل؛ وتستخدم اللفظة مجازاً بمعنى النزول من مقامات التكريم والدعة والتنعيم، إلى مقامات المسؤولية والكدح والعرق والجهد والنصب الذي قدر لكل من أبونا آدم وحواء أن يعيشا فيه، ثم لذراريهما من بعد إلى يوم الدين. وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة بين الشيطان والإنسان من جهة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، وذلك بواسطة الشيطان الذي

يصر دوماً على صرف الإنسان عن الحق، وإغوائه بالباطل، وعلى إيقاع العداوة والبغضاء بين بني آدم في كل زمان ومكان.

و(المتاع) هو اسم لما يستمتع به من أكل وشرب ولبس وأنس، واللفظة مستمدة من (المتوع) وهو الامتداد والارتفاع. و(المتاع) انتفاع ممتد الوقت، يقال: (متعته) الله بكذا، و(أمتعته) فتمتع أو استمتع به، وكل ما يتمتع به أو ينتفع به على وجه من الوجوه فهو (متاع) و(متع)، و(المتاع) هو كل ما يمتع.

و(الحين) الوقت أو وقت بلوغ الشيء وحصوله، ويقصد به هنا الأجل المقسوم لكل من آدم وحواء، ولكل فرد من ذريتهما إلى يوم القيامة.

وجاء في مقام آخر قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَيْهِمَا مَا أُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 20 - 22].

و(الوسوسة) هي الصوت الخفي المكرر، ويقصد به الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في وعي الإنسان ليقارف ذنباً من الذنوب. ﴿... لِبَدَيْهِمَا مَا أُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَئِهِمَا...﴾ أي ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا يراها أحدهما من الآخر.

و(ووري) من (المواراة) وهي الستر، وسميت العورة سوءاً لأن انكشافها يسوء صاحبها.

﴿... إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ...﴾ أي كراهة ذلك، وأقسم أنه من الناصحين لهما، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: 21].

﴿فَدَلَّهُمَا يَغْرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُمَا سَوْءُهُمَا...﴾ [الأعراف: 22]. أي أنزلهما من رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرهما به من القسم، و(التدللية) هي إنزال الشيء من أعلى إلى أسفل، و(الغرور) هو إظهار النصح مع إبطان الغش، وهذا هو أسلوب الشيطان دوماً في تغريه بالإنسان.

﴿... وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ أي أخذوا يلزقان على عوراتهما من ورق الجنة لسترهما، ورقة فوق أخرى.

وعاتبهما ربهما قائلاً: ﴿...أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: 22].

فلما سمع آدم وزوجه عتاب ربهما لهما على مخالفة أمره، ألهمهما التوبة والاستغفار من ذنبهما، فتاب الله عليهما وهو الثواب الرحيم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: 23].

فأمرهما الله - تعالى - بالنزول من مقامات التكريم والتنعيم والدعة التي كانا يتمتعان بها في الجنة إلى حياة الكدح والنصب وتحمل المسؤولية في الحياة الدنيوية، وذلك كي ينفذ الله - تعالى - ما أَرَادَهُ من استخلاف آدم وحواء وذريتهما على الأرض، وعمارتهما بهم إلى الأجل المسمى لكل واحد منهم حتى قيام الساعة. وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة بين الخير والشر، الخير الممثل في الفطرة التي فطر الله - تعالى - عليها عباده، والشر المجسد في شياطين الجن والإنس، وعلى رأس أهل الشر جميعاً إبليس اللعين ولذلك جاء القرار الإلهي بالنص التالي:

﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: 24، 25].

وجاءت القصة في مقام آخر من كتاب الله في سورة «طه» وذلك بخطاب من الله (تعالى) إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يقول له فيه إنه - تعالى - كان قد

أوصى أباه الأول آدم ﷺ من قبل ألا يخالف لله أمراً، فنسي العهد وخالف أمر الله، مثبتاً ضعف عزيمته. والحكم هنا مطلق على آدم وجميع نسله من بعده إلا من رحم الله، فلم يثبت لأبينا آدم أنه صبر على الطاعة، حتى لا يمكن الشيطان من الوصول إليه بوسوسته، وكذلك كانت الغالبية من نسله.

وتُذَكَّر الآيات خاتم المرسلين ﷺ بواقعة حدثت قبل بعثته الشريفة بعشرات الآلاف من السنين، ومؤداها أن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لأبينا آدم ﷺ سجود تكريم واحترام وتوقير (وليس سجود خضوع وعبادة وتسليم) فامتثل الملائكة أجمعون لأمر الله - تعالى - وكان معهم إبليس فأبى السجود، أي: امتنع عنه حسداً لآدم، وغروراً واستكباراً عليه. وعلى الفور خاطب الله - تعالى - آدم محذراً إياه من عداوة الشيطان له ولزوجه، (ولذريتهما من بعد إلى قيام الساعة) كما هو واضح في كثير من آيات القرآن الكريم. وهذا التحذير الإلهي لأبونا آدم وحواء جاء صريحاً قاطعاً حتى لا يوسوس الشيطان لهما بالمعصية، وعلى الرغم من ذلك وقعا فيها فكان ذلك مبرراً كافياً لإخراجهما من الجنة. وتؤكد الآيات أن الشيطان احتال على أبينا آدم بوسوسته إليه بصوت خفيض متكرر، مرغباً له ولزوجه في الأكل من الشجرة التي نهاهما الله - تعالى - عن الأكل منها بدعوى أنها تهب الأكل منها خلوداً وملكاً لا يفنى ولا يزول. فانخدع آدم وزوجه بوسوسة إبليس وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله - تعالى - عن الأكل منها، فظهرت لهما عورتهما، وأخذوا يقطعان من أوراق شجر الجنة ما يحاولان به ستر عورتهما، وكان ذلك قبل نبوة آدم ﷺ.

وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ اجْنَبْتُهُ رَبُّهُ فَأَنبَأَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٣﴾
[طه: 116 - 122].

والفعل (غوي) من الغواية أي الضلال والفساد، يقال: (غوي) (يغوي) (غياً)، و(غوي) (غواية)، أي: ضلَّ ضلالاً.

و(الاجتباء) هو الاصطفاء والتقريب، والمقصود هنا منح أبينا آدم النبوة، بعد أن قبل الله - تعالى - توبته، وهداه إلى الاستغفار عن زلته. وبالرغم من ذلك فقد أخرجه وزوجه من الجنة التي كانا فيها، وحكم عليهما وعلى ذراريهما (الموجودون في صليهما) بالنزول من مقامات التكريم والرعاية الإلهية إلى أرض الكدح وتحمل المسؤولية، وذلك بصدور الأمر الإلهي الذي حسم به ربنا - تبارك وتعالى - الموقف بحكمة الذي جاء فيه: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَا أَبْنَاءَ اللَّهِ اتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾
[طه: 123، 124].

وهذه الآيات - وأمثالها كثيرة في كتاب الله - تؤكد أن الصراع بين الحق وجنده من جهة، والباطل وأهله من جهة أخرى هو من سنن وجود الإنسان في الحياة الدنيا.

وهذا الموقف من سيرة أبينا آدم وحواء ﷺ لم يشهده أي من أبنائهما ولا ذراريهما، ولم يكن كفار ومشركو مكة على علم به، ولم تورده أي من الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب، ولذلك يبقى وصفه في القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز النبائي فيه، خاصة إذا ما قورن مع ما جاء في «العهد القديم» تحت عنوان «سقوط الإنسان» والذي يقول ما يلي:

The Fall of Man

3 Now the serpent was more crafty than any of the wild animals the LORD God had made. He said to the woman, "Did God really say, 'You must not eat from any tree in the garden?'"² The woman said to the serpent, "We may eat fruit from the trees in the garden, but God did say, 'You must not eat fruit from the tree that is in the middle of the garden, and you must not touch it, or you will die.'" ⁴"You will not surely die," the serpent said to the woman. ⁵"For God knows that when you eat of it your eyes will be opened, and you will be like God, knowing good and evil."⁶ When the woman saw that the fruit of the tree was good for food and pleasing to the eye, and also desirable for gaining wisdom, she took some and ate it. She also gave some to her husband, who was with her, and he ate it. ⁷Then the eyes of both of them were opened, and they realized they were naked; so they sewed fig leaves together and made coverings for themselves.

⁸Then the man and his wife heard the sound of the LORD God as he was walking in the garden in the cool of the day, and they hid from the LORD God among the trees of the garden. ⁹But the LORD God called to the man, "Where are you?" ¹⁰He answered, "I heard you in the garden, and I was afraid because I was naked; so I hid."¹¹ And he said, "Who told you that you were naked? Have you eaten from the tree that I commanded you not to eat from?" ¹²The man said, "The woman you put here with me—she gave me some fruit from the tree, and I ate it."¹³ Then the LORD God said to the woman, "What is this you have done?" The woman said, "The serpent deceived me, and I ate."¹⁴ So the LORD God said to the serpent, "Because you have done this, 'Cursed are you above all the livestock and all the wild animals! You will crawl on your belly and you will eat dust all the days of your life.' ¹⁵And I will put enmity between you and the woman, and between your offspring and hers;

سقوط الإنسان
 وكفأت الحية أنكر وحوش البرية التي صنعها
 الرب الإله، فسألت المرأة، أسألاً أمرتكم الله ألا
 تأكلوا من جميع شجر الجنة؟ فأجبت المرأة، مبتكفاً
 أن تأكل من ثمرة الجنة كلها، أما عند ثمرة الشجرة التي
 في وسطها، فقد قال الله، لا تأكلوا منه ولا تلمسوا بهي
 لا تموتوا. فأقالت الحية للمرأة، لن تموتوا، بل إن الله
 يعرف أنه حين تأكلان من ثمرة هذه الشجرة تفتح
 أعينكما فتصيران مقلتين، فليزمن على التمييز بين الخير
 والشر. وأعدت المرأة أن الشجرة أن الشجرة لذيذة
 للأكل وشهوة للعينين، وبصيرة للظفر قلدت من ثمرها
 وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضاً فأكل منها، فأنفتحت
 لأجل أعينهما، وأدركتا أنهما عريانان، فدخلا لأنفسهما مازر
 من أوراق الشجر.

لم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند
 هبوب ريح الكهار، فاطفئا من عسرة الرب الإله بنين
 شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، أين أنت؟
 فأجبت، مسجفةً صوتك في الجنة فأخفيت عيشة
 منك لأنني عريان. فسأله، من قال لك أنك عريان؟
 هل أكلت من ثمرة الشجرة التي تنهى عنها؟ فأجبت
 آدم، إنها المرأة التي جعلها ربيغة لي، هي التي
 أطعمتني من ثمرة الشجرة، فأكلت. فسأل الرب الإله
 المرأة، لماذا فعلت؟ فأجبت، أهوتني الحية فأكلت.
 فقال الرب الإله للحية، لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت
 من بين جميع الأنعام ومن جميع وحوش البرية، على
 بطنك تسقين، ومن الغراب تأكلين طوال حياتك،
 وأسير عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وتحتك بين
 نسلكما، هو ي سحق رأسك وأنت تلدغين عقه.

ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في ذكر القرآن الكريم لقصة ولدي آدم ﷺ

10 - ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾ [المائدة: 27].

هذه الواقعة لم يشهدها من البشر أحد سوى آدم وزوجه وولديه وبنتيه، ولولا أن القرآن الكريم قد سجلها بهذا التفصيل الدقيق الذي يُمكن من استخلاص العبرة منها، ما علم بها أحد من البشر بعد، وما كان أمام العلماء والمؤرخين من وسيلة للوصول إلى معرفة شيء من تلك الواقعة التي طواها الزمن في أستاره.

من أوجه الإعجاز الإنبائي في النصّ الكريم:

يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ بِعَجْرَتٍ أَنْ أكونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: 27 - 31].

والخطاب هنا موجه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ يقول له

فيه رب العالمين: اقرأ يا محمد على اليهود في المدينة حقيقة خبر ابني آدم ﷺ

حين تقرب كل منهما إلى الله (تعالى) بقربان، فتقبل ربنا - تبارك وتعالى - قربان أحدهما (لإخلاصه وتقواه)، ولم يتقبل من الآخر (لعدم توافر الإخلاص فيه). من هنا حسد فاقد الإخلاص أخاه التقي المخلص، وتوعده بالقتل، فردّ عليه أخوه التقي الصالح مؤكداً أن الله - تعالى - لا يتقبل العمل إلا من عباده الأتقياء المخلصين. وأضاف قائلاً لأخيه المعتدي: لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوي لتقتلني، فأنا لن أمدّ إليك يدي لأقتلك، وذلك لأنني أخاف الله رب العالمين، وسوف أتركك تفعل ما تريد لتحمل ذنب قتلي بغير إثم جنيته، فتكون من أهل النار، والنار هي جزاء الظالمين في الآخرة.

وعلى الرغم من هذا الأدب في الحوار، والتحذير الشديد من النار، فإنّ الأخ الظالم سوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين.

وبعد وقوع أوّل جريمة قتل لأدمي على وجه الأرض، أصابت القاتل مختلف ضروب الحسرة والحيرة والندم. وذلك لأنّه فوجئ بأخيه جثة هامدة أمامه بلا حراك، ولم يدر ماذا يصنع بها بعد أن قتل صاحبها، وبدأت الجثة في التعفن أمامه. وإخراجها من حيرته أرسل الله - تعالى - إليه غراباً ينبش أمامه في تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً كي يُعلّم هذا القاتل الأول من بني آدم كيف يوارى جثة أخيه في تراب الأرض سترّاً لها. ولما رأى ذلك المنظر انفجر هذا القاتل باكياً، ومتحسراً على جريمته، ومستشعراً سوء عمله وعجزه وحيرته قائلاً: ﴿... يَوَلِّيكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي ...﴾ فقام بدفن جثة أخيه وهو يبكي ندماً على جريمته.

وكما كانت هذه هي أوّل جريمة قتل يقترفها الإنسان، كانت عملية دفن جثة هذا القتيل هي أوّل عملية دفن في تاريخ البشرية. والدفن في تراب الأرض كان بأمر من الله - تعالى - عن طريق عمل الغراب إكراماً للميت، ومنعاً لانتشار الأمراض والأوبئة في الأرض إذا بقيت جثث الموتى معرضة للهواء.

وعقاباً لقاتل أخيه بغير ذنب. وتجريماً لعملية القتل ظلماً، روى الإمام أحمد

بسنده عن ابن مسعود، رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كفل من دمها لأنه كان أوّل من سنّ القتل»⁽¹⁾.

وكطبيعة القرآن الكريم، أوردت الآيات (27 - 31) من سورة «المائدة» قصة ابني آدم، دون الدخول في التفاصيل كالأسماء، والأماكن، والتواريخ، وذلك من أجل إبراز الدروس والعبر المستفادة من عرض القصة. والقصة تعرض لنموذجين من نماذج البشرية: أولهما النموذج النقي الصالح، وثانيهما النموذج الشقي الطالح، وكلاهما في موقف من مواقف العبادة لله - تعالى - إذ يقدم كل واحد منهما قربانه إلى ربه... فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. وبراءة الذي تقبل منه قربانه واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، حيث لم تكن له يد في قبوله، ومن هنا لم يكن لأخيه مبرر في الغضب منه أو الحنق عليه حتى يجيش في نفسه خاطر قتل أخيه. ولكن في ثورة من الغضب هدد أخاه بالقتل قائلاً: «لأقتلنك»، فلم يكن عند صاحب التقوى والورع من جواب إلا أن يقول: «إنما يتقبل الله من المتقين»، وهذا هو الدرس الأوّل المستفاد من عرض القرآن الكريم لهذه القصة.

ويضيف الأخ الصالح قائلاً لأخيه: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾. ولما أصر الأخ الشرير على قتل أخيه وهدده بذلك، بدأ في تحذيره من الوقوع في جريمة القتل، قائلاً: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، والإثم الأول: هو إثم قتل أخيه الذي كانت تراوده به نفسه الأمانة بالسوء، والإثم الثاني: هو إثم عدم الإخلاص لله الذي أدى إلى عدم قبول القربان منه، وإن كان الإثم الأوّل قد جاء لاحقاً للإثم الثاني.

وما قاله الأخ الصالح التقي للأخ الطالح الشقي كان من أجل إقناعه بخطورة جريمة القتل، في محاولة لصدّه عن الوقوع فيها دون جدوى، وقد سجّل القرآن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک والإمام أحمد حديث رقم (3630).

الكريم ذلك، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، وهذا هو الدرس الثاني المستفاد من إيراد هذه الواقعة، لأنه قتل نفساً بغير حق، فأورد نفسه موارد المسؤولية أمام الله. وكان المقتول هو أخوه شقيقه، المفروض فيه أنه عونه ونصيره في الحياة الدنيا في أيامها الأولى، حين لم يكن على وجه الأرض سوى أسرة واحدة هي أسرة أبونا آدم وحواء عليهما السلام. وقيام الأخ بقتل أخيه ظلماً أدى إلى خسرانه الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن توقف هذا الشقيق القاتل أمام عجزه عن كيفية التخلص من جثة أخيه الذي قتله بيده، وتركه مسجياً على الأرض جثة هامدة تتعفن أمام ناظره، وهو لا يدري ماذا يفعل بها. والموت له رهبة لا يستطيع القلم وصفها، لأن الإنسان مخلوق مكرم حياً وميتاً، وهذا ما أوقع القاتل لأخيه في حيرة شديدة. وبينما الأخ القاتل في حيرته هذه، وسط دوامة من المشاعر والأحاسيس المتضاربة بين الندم والحيرة، بعث الله - تعالى - إليه غراباً يعلمه كيف يوارى سوء أخيه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتَلَقَّ
أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وهنا قام هذا الشقيق القاتل بدفن جثمان أخيه كما علمه الغراب، فأصبح دفن أموات بني آدم سنة ألهمها الله - تعالى - لعباده من الغراب، ذلك الطائر الصغير، وهذا هو الدرس الثالث المستفاد من إيراد قصة ولدي آدم في القرآن الكريم، وهي تؤكد تصارع الخير والشر في الحياة الدنيا، حتى بين الأشقاء، وبين أبناء الأنبياء.

وتبين الواقعة كذلك أن الباطل لا منطق له ولا حجة تدعمه، ولذلك فسلح أهل الباطل هو دوماً البطش والقتل والطغيان، دفاعاً عن مواقفهم الهزيلة، كما يحدث اليوم على أرض فلسطين، وفي كل من سوريا، وليبيا، واليمن. وكما حدث ولا يزال يحدث على أراضي كل من البوسنة والهرسك، والعراق،

وأفغانستان، والصومال، والسودان، وكشمير، وأراكان، وإنجوشيا، والشيشان، وفي غيرها من بلاد المسلمين حيث يبطش أهل الباطل بأهل الحق دون ذنب جنوه، أو إثم ارتكبه!! وهذا هو الدرس الرابع المستفاد من إيراد تلك الواقعة، وإيرادها هو من أوجه الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، لأنَّ الواقعة لم يشهدها أي من الناس سوى أبونا آدم وحواء وأبناؤهما المباشرون. ولم يكن لأحد من أهل الجزيرة العربية في زمن الوحي إلمام بهذه الحادثة على الإطلاق، وكانت قد وقعت من قبل عشرات الآلاف من السنين.

وإذا علمنا أنَّ العرب في زمن الجاهلية لم يكونوا أهل علم وتدوين، بل كانوا في غالبيتهم من الأميين، وكذلك كانت غالبية أهل الكتاب الذين كانوا موجودين في عدد من الجيوب المعزولة على أطراف شبه الجزيرة العربية كالمنافرة (الذين سكنوا كلاً من شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، وكانوا عرباً اعتنقوا النصرانية وتحالفوا مع الفرس، ثم دخلوا الإسلام بعد الفتح الإسلامي)، وكالغساسنة (وهم سلالة عربية كذلك، يمنية الأصل هجرت بلادها عند انهيار سدّ مأرب في القرن الثالث الميلادي، واستوطنت كلاً من بلاد حوران، وشرقي الأردن، وفلسطين ولبنان، واعتنق عدد من أبنائها الديانة النصرانية، ثم أسلمت غالبيتهم بعد الفتح الإسلامي) وكيهود كل من خيبر، ويثرب، والذين أسلم بعضهم بعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ويهود ونصارى كل من نجران واليمن.

إذا علمنا ذلك، أدركنا ومضة الإعجاز الإنبائي في إيراد القرآن الكريم لقصة ولدي آدم بالصورة التي اتَّسم بها هذا الكتاب العزيز في إيراد القصة - لا بتفاصيلها التاريخية (المكانية والزمانية)، ولا بكثرة أسماء وأعمار الأشخاص الواردة أسماؤهم فيها، ولكن بإيراد الدروس والعبر المستفادة منها - وهذا هو الفارق بين الوحي السماوي الذي حفظ بعهد من الله - تعالى - وبين قصص التراث الشعبي الذي نقل مشافهة عبر آلاف السنين فأضيف إليه ما أضيف وحذف منه ما حذف.

ففي «العهد القديم» جاء تحت عنوان «تقدمتا قابين وهابيل» في «سفر

التكوين» (1/4 - 16) عن قصة ولدي آدم ما ترجمته:

Cain and Abel

4 Adam lay with his wife Eve, and she became pregnant and gave birth to Cain. She said, "With the help of the LORD I have brought forth a man."² Later she gave birth to his brother Abel. Now Abel kept flocks, and Cain worked the soil.³ In the course of time Cain brought some of the fruits of the soil as an offering to the LORD. ⁴But Abel brought fat portions from some of the firstborn of his flock. The LORD looked with favor on Abel and his offering, ⁵but on Cain and his offering he did not look with favor. So Cain was very angry, and his face was downcast.⁶ Then the LORD said to Cain, "Why are you angry? Why is your face downcast? ⁷If you do what is right, will you not be accepted? But if you do not do what is right, sin is crouching at your door; it desires to have you, but you must master it."

⁸Now Cain said to his brother Abel, "Let's go out to the field." And while they were in the field, Cain attacked his brother Abel and killed him.

⁹Then the LORD said to Cain, "Where is your brother Abel?" "I don't know," he replied. "Am I my brother's keeper?" ¹⁰The LORD said, "What have you done? Listen! Your brother's blood cries out to me from the ground. ¹¹Now you are under a curse and driven from the ground, which opened its mouth to receive your brother's blood from your hand. ¹²When you work the ground, it will no longer yield its crops for you. You will be a restless wanderer on the earth." ¹³Cain said to the LORD, "My punishment is more than I can bear. ¹⁴Today you are driving me from the land, and I will be hidden from your presence; I will be a restless wanderer on the earth, and whoever finds me will kill me." ¹⁵But the LORD said to him, "Not so; if anyone kills Cain, he will suffer vengeance seven times over." Then the LORD put a mark on Cain so that no one who found him would kill him. ¹⁶So Cain went out from the LORD's presence and lived in the land of Nod, east of Eden.

تقلعتا قايين وهابيل

وَعَاشَرَ آدَمُ حَوَاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ. وَوَلَدَتْ قَايِينَ إِذْ قَالَتْ: «أَقْتَنَيْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ». أَلَمْ غَلَدَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ زَاعِيًا لِلنَّعْمِ. أَمَا قَايِينَ فَقَدْ عَمِلَ فِي فَلَاحَةِ الْأَرْضِ. وَحَدَتْ بَعْدَ سُورٍ أَيْمَامَ أَنْ قَدَّمَ قَايِينَ مِنْ جَمَارِ الْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ. وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَنْصَابًا مِنْ خَيْرَةِ أَهْكَارِ عَنَمِهِ وَأَسْمَنَهَا. فَتَقَبَّلَ الرَّبُّ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَضِيَ عَنْهُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانَ قَايِينَ وَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ. فَانْتَظَرَ قَايِينَ جَدًّا وَجَهَّمَ وَجْهَهُ كَسَدًا. فَسَأَلَ الرَّبَّ قَايِينَ: «لِمَ لَمْ أَتَقَبَّلْ؟ لِمَ آذَى جَهَّمَ وَجْهَكَ؟ لَوْ أَحْسَنْتُ فِي قَضَائِكَ أَلَا يَسْرِقُ وَجْهَكَ قُرْحًا؟ وَإِنْ لَمْ تُجِيبْ الْكُضُوفَةَ، فَعِنْدَ الْأَنْبَاءِ خَطِيئَةٌ تَنْتَظِرُكَ. تَنْشَوُقُ أَنْ تَسْتَلْطَ عَلَيْهِ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَحْكُمَ فِيهَا».

^٨وعاد قايين يتظاهر بالود لأخيه هابيل. وحدث إذ كانا معاً في الحقل أن الحقل أن قايين هجم على أخيه هابيل وقتله. ^٩وسأل الرب قايين: «أين أخوك هابيل؟» فأجاب: «لا أعرف. هل أنا حارس لأخي؟» «قال الرب له: «ماذا فعلت؟ إن صوت دم أخيك يصرخ إلي من الأرض. قمسند الآن، حيل عليك لعنة الأرض التي فتح فمها وأبتلع دم أخيك الذي سفكته يدك. «عندما تلمحها لن تعطيك خبزها وتكون شهيداً وطريداً في الأرض.» «قال قايين للرب: «عقوبتي أعظم من أن تحتمل. «ها أنت اليوم قد طردتني عن وجه الأرض، ومن أمام حضرتك الخبيثي. وأكون شهيداً وطريداً في الأرض، ويتلصق كل من يجيئني.» «قال الرب له: «سأعاقب كل من يقتلك بسبعة أضغاف العقوبة التي عاقبتك بها.» ووسم الرب قايين بعلامة عظم على من يلقاه أفتياله. «وكذلك خرج قايين من حضرة الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن.»^{١٦} وعاشر قايين زوجته فحبلت وأنجبت ابناً دعاة حنوك.

Cain went out from the LORD's presence and lived in the land of Nod, east of Eden.

¹⁷Cain lay with his wife, and she became pregnant and gave birth to Enoch. Cain was then building a city, and he named it after his son Enoch. ¹⁸To Enoch was born Irad, and Irad was the father of Mehujael, and Mehujael was the father of Methushael, and Methushael was the father of Lamech. ¹⁹Lamech married two women, one named Adah and the other Zillah. ²⁰Adah gave birth to Jabal; he was the father of those who live in tents and raise livestock. ²¹His brother's name was Jubal; he was the father of all who play the harp and flute. ²²Zillah also had a son, Tubal-Cain, who forged all kinds of tools out of bronze and iron. Tubal-Cain's sister was Naamah. ²³Lamech said to his wives, "Adah and Zillah, listen to me; wives of Lamech, hear my words. I have killed a man for wounding me, a young man for injuring me." ²⁴If Cain is avenged seven times, then Lamech seventy-seven times."

²⁵Adam lay with his wife again, and she gave birth to a son and named him Seth, saying, "God has granted me another child in place of Abel, since Cain killed him." ²⁶Seth also had a son, and he named him Enosh. At that time men began to call on the name of the LORD.

¹⁷وَعَاشَرَ قَايِنُ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ وَأَخْبَتِ ابْنًا دَعَاهُ حَتُّوكَ..
وَكَانَ قَايِنُ ابْنَهُ يَبْنِي مَدِينَةً فَسَمَّاهَا حَتُّوكَ، عَلَى اسْمِ
أَبْنِهِ. ¹⁸ثُمَّ وُلِدَ حَتُّوكَ عِيرَادَ، وَوُلِدَ عِيرَادُ مَحُوَائِيلَ، وَوُلِدَ
مَحُوَائِيلُ مَهُوشَائِيلَ، وَوُلِدَ مَهُوشَائِيلُ لَامَكَ. ¹⁹وَتَزَوَّجَ لَامَكَ
أَمْرَاتَيْنِ، اسْمُ الْوَأَحَدِ عَادَةَ، وَاسْمُ الْأُخْرَى صِيلَةَ. ²⁰وَوُلِدَتْ
عَادَةُ كُلًّا مِنْ «جَابَالَ» أَوَّلَ رَعَاةِ الْمَوَاشِي وَسَاكِنِي
الْخِيَامِ. ²¹وَأَخِيهِ يُوبَالَ أَوَّلَ الْغَارِفِينَ بِالْقَوْدِ وَالْبَيْزَمَلِ.
²²وَوُلِدَتْ صِيلَةُ «يُوبَالَ» قَايِنَ، أَوَّلَ صَانِعِي آلاتِ الْخَلْسِ
وَالْحَبِيدِ. كَمَا وَوُلِدَتْ «نَعْمَةَ» أُخْتُ يُوبَالَ قَايِنَ. ²³وَقَالَ
لَامَكَ لِزَوْجَتَيْهِ، «مَا عَادَةُ وَصِلَةَ، اسْمَعَا قَوْلِي، يَا زَوْجَتَي لَامَكَ
أَضْفِيَا لِكَلَامِي، إِنِّي قَتَلْتُ رَجُلًا جَرَحَنِي وَشَابًا كَسَرَنِي.
²⁴إِن كَانَ يَنْتَقَمُ لِقَايِنَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ، فَإِنَّهُ يَنْتَقَمُ لِلَامَكَ
سَبْعَةَ وَسَبْعِينَ ضِعْفًا».

²⁵وَعَاشَرَ آدَمُ زَوْجَتَهُ حَوَاةَ مَرَّةً أُخْرَى فَانْحَبَتَ لَهُ ابْنًا اسْمُهُ
«سِيثَا»، إِذْ قَالَتْ، «قَدْ عَوَّضَنِي اللَّهُ نَسْلًا أُخْرَى عَوَّضًا عَنْ هَابِيلَ
الَّذِي قَتَلَهُ قَايِنُ». ²⁶وَوُلِدَ لِسِيثَا ابْنًا اسْمُهُ «نُوشَ»
وَعِنْدَئِذٍ ابْتَدَأَ النَّاسُ يَدْعُونَ بِاسْمِ الرَّبِّ.

سفر التكوين (17/4 - 26)

والفارق بين روايتي كل من «العهد القديم» والقرآن الكريم لقصة ولدي آدم هو الفارق بين كلام الله - تعالى - وتعبير البشر عن الواقعة الواحدة، وذلك بكل ما لله - تعالى - من صفات الكمال المطلق، والعلم المحيط بكل شيء، وما للبشر من محدودية العلم، وقصور الحواس، وعرضة النسيان والنقص في كل شيء، أو الرغبة في التديس، والتزوير في كثير من الأحيان.

11 - ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ

يُنَوِّلتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي

فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ [المائدة: 31].

من الدلالات العلمية والإنبائية لهذا النص القرآني الكريم أن الغراب طائر شديد الذكاء، ومن أوضح الأدلة على ذلك أنه يدفن موتاه، ولا يتركها نهباً للجوارح من الطيور، ولغيرها من الحيوانات المفترسة، أو للتعفن والتحلل في الجو صوتاً لكرامة الميت، وترفقاً بالبيئة والأحياء فيها. وقد ثبت أن الغراب يقوم بحفر الأرض بواسطة كل من مخالبه ومنقاره ليكون حفرة عميقة فيها، ثم يقوم بطي جناحي الغراب الميت وضمهما إلى جنبه، ورفع برفق لوضعه في قبره، ثم يهيل عليه التراب حتى يخفي جسد الميت تماماً، كما يفعل المسلمون اليوم بموتاهم احتراماً لهذا الجسد حياً وميتاً.

والغراب (Crow) طائر من الجوارح، أسود اللون، خشن الصوت، يأكل الخضراوات واللحوم، وإن كان ميله لأكل اللحوم أكبر. ويعرف العلماء اليوم من أنواع الغراب أكثر من خمسة وثلاثين نوعاً، تنتشر في مختلف بيئات الأرض، وهو يتبع جنس (Corvus) وعائلة (Corvidae). وللغراب قدرة فريدة على صناعة الأدوات الحجرية لاستخدامها في الحفر، وفي التنقيب على الحشرات في شقوق الأرض لافتراسها والتغذي عليها، كما تستخدم الأدوات الحجرية في حفر القبور من أجل دفن موتاه.

وقد ثبت علمياً - بالدراسة والملاحظة - أن الغراب هو أذكى الطيور وأمكرها على الإطلاق، ولا يدانيه في الذكاء والمكر إلا بعض الببغاوات. ويعلل ذلك بأن الغراب يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنسبة إلى حجم الجسم

في كل الطيور المعروفة، والتي يقدر عددها بأكثر من عشرة آلاف نوع، ويقدر عدد أفرادها بعشرات البلايين. ولذلك تظهر علامات الذكاء المتميز على الغراب من مجالات مثل مجالات المعرفة، الإدراك، الذاكرة، القدرة على الاتصال، التحايل على حل المشكلات، بناء مجتمعات دقيقة التنظيم، والقيام بالعديد من الأعمال الجماعية (من مثل الصيد، والدفاع، والرعاية للصغار، واللعب، والبناء للأعشاش، والمحاکمات الجماعية) والقدرة على المحاكاة، والفضول وحب الاستطلاع، وشدة اليقظة والانتباه، وقوة الملاحظة، والقدرة على التحايل في اختطاف الطعام وفي طرائق إخفائه، وعلى التمييز في التعامل بين القريب والغريب.

فقد شوهدت الغربان وهي تلقي على الطرق العامة ما لم تستطع فتحه من الثمار والأصداف الصلدة مثل جوز الهند، وأصداف بلح البحر، وبعض الحيوانات الكبيرة الحجم مثل السنجاب كي تقوم السيارات المارة بدهسها وإعدادها لقمة سائغة لها. كذلك شوهدت الغربان وهي تقلد الصيادين في عمليات صيد السمك بمهارة فائقة، وفي ترطيب الطعام الجاف بالماء.

وللغربان محاكم تلتزم قوانين العدالة الفطرية، تحاكم الجماعة فيها أي فرد يخرج على نظامها من مثل محاولات التعدي على حرمان غراب آخر من أنثى، أو بيض، أو فراخ أو عش، أو طعام. ولكل جريمة من هذه الجرائم عند جماعة الغربان عقوبتها الخاصة بها، ففي حالة اغتصاب طعام الفراخ الصغار تقوم جماعة الغربان بنتف ريش الغراب المعتدي حتى يصبح عاجزاً عن الطيران كالفراخ الصغار قبل اكتمال نمو ريشها. وفي حالة اغتصاب العش وتهدمه في مراحل الدفاع عنه تكتفي محكمة الغربان بإلزام المعتدي ببناء عش جديد لصاحب العش المعتدي عليه. وقد يتبع ذلك بالطرد من الجماعة إذا تكررت الأخطاء من هذا النوع. وفي حالة اغتصاب أنثى غراب آخر فإن جماعة الغربان تقضي بقتل المعتدي ضرباً بمناقيرها حتى الموت.

وتتعدد محاكم الغربان عادةً في حقل من الحقول الزراعية أو في أرض فضاء واسعة، تتجمع فيه هيئة المحكمة في الوقت المحدد، وينحى الغراب المتهم تحت حراسة مشددة، وتبدأ محاكمته فينكس رأسه، ويخفض جناحيه، ويمسك عن النعيب اعترافاً بذنبه.

فإذا صدر الحكم بالإعدام، وثبت جماعة الغربان على المذنب توسعه تمزيقاً بمناقيرها العادة حتى الموت، وحينئذٍ يحمله أحد الغربان بمنقاره ليحفر له قبراً يتواءم مع حجم جسده، يضع فيه جسد الغراب القتيل بعد ضم جناحيه إلى جنبه وإرقاده في قبره ثم يهيل عليه التراب احتراماً لحرمة الموت.

وهكذا تقيم الغربان العدل الإلهي في الأرض أفضل مما يقيمه كثير من بني الإنسان. وتطبيق العدل عند الغربان هو من الأمور الغريزية الفطرية، لأنها لا تشرع لنفسها، ولكنها تتحرك بفطرتها المسلمة بأن الحاكمة لله وحده. والتشريع هو أهم بنود الحاكمة، لأن المشرع هو الله ﷻ، الذي شرع لكل الخلائق، وغرس شريعته في جبلة كل مخلوق غير مكلف، حتى أصبح العدل الإلهي جزءاً لا يتجزأ من تكوينه وفطرته. أما الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكلف إذا لم يكن ملتزماً بشرع الله فإنه يحاول التشريع من عنده بعلمه المحدود، وقدراته المحدودة في محاولة لإقامة عدل نسبي من عنده فظلم نفسه وظلم غيره كثيراً، وملاً الأرض جوراً وفساداً.

والغربان من الطيور آكلة كل من النبات والحيوان، وإن كان ميلها لأكل الحيوان أكبر، فهي تأكل الحبوب والشمار، والفراشات، والجراد، والضفادع، والفتران، والبيض، وفراخ الطيور الأخرى، كما تأكل النفايات والجيف، وبذلك تلعب دوراً مهماً في تنظيف وتطهير البيئة. وفي كل عام تزيل الغربان وأشباهاها من الطيور الجارحة آلاف الأطنان من الجيف المتجمعة على الأرض، وملايين الحشرات والديدان، خاصة الحشرات البوائية التي تصيب العديد من المحاصيل الزراعية فتحد من انتشارها.

وعلى الرغم من هذه الميزات العديدة للغربان فقد درج بعض الناس على التشاؤم من رؤيتها، وذلك بسبب التقاطها البذور المبدورة في الأرض من قبل إنباتها، أو قضائها على بعض المحاصيل الزراعية من قبل جمعها، أو أثناء وجود تلك المحاصيل في مراحل الدرس والتذرية، وبسبب افتراس الغربان لبعض الحيوانات الأليفة مثل الدجاج وفراخه وبيضه.

والغربان تجمع في ما يسمى باسم طائفة الطيور (Class aves)، وهي طائفة من الحيوانات الفقارية تتميز بالريش الذي يغطي جسمها، وبوجود عدد من أجهزة العزل الحراري الجيد. ويعمل الريش على تجميع الهواء بداخله، وتدفئته ليساعد بذلك على حفظ درجة حرارة الجسم التي تتميز بالثبات، وبالارتفاع إلى ما هو أعلى من درجة حرارة جسم الإنسان بعدة درجات. ولتحقيق ذلك جعل الله - تعالى - للطيور عدداً من الأكياس الهوائية بالإضافة إلى الرئتين، وتنتشر هذه الأكياس في مختلف أجزاء جسم الطائر (بما في ذلك العظام الكبيرة) مما يعين على تخفيف وزنه، ومساعدته على الطيران، كما يزيد من حجم الحيز المتوافر لتخزين الهواء إلى عشرة أضعاف حجم الرئتين، ويساعد على الاحتفاظ بدرجة حرارة ثابتة في داخل جسم الطائر. كذلك فإن مرور كميات كبيرة من الأكسجين المصاحب لهذا الهواء يعين على ارتفاع معدل التمثيل الغذائي، وعلى دوران الدم بشكل سريع وفعال في الجسم، ويحفظ الدم المؤكسد بعيداً عن الدم غير المؤكسد، مما يعين بعض الطيور على العيش في المناطق الباردة والمتجمدة. وهناك أكثر من عشرة بلايين طائر بري تعيش على مختلف قارات الأرض، بالإضافة إلى بلايين الطيور البحرية التي تعيش على محيطاتها وعلى الجزر المنتشرة في تلك المحيطات.

وتتميز الطيور عموماً بالعيون التي وهبها الله (تعالى) القدرة على الرؤية من ارتفاعات شاهقة ولمسافات شاسعة. كذلك تتميز الطيور بعدد من مراكز التنظيم الحركي على درجة كبيرة من الكفاءة، ويتضح ذلك في الغراب بشكل خاص.

ويرجع تاريخ الطيور على الأرض إلى نحو 150 مليون سنة مضت (في العهد الجوري المتأخر)، وإن لم تنتشر انتشاراً واسعاً إلا في العهد الطباشيري المتأخر (أي منذ تسعين مليون سنة مضت تقريباً). ولم تخلق الطيور الحديثة إلا منذ ستين (60) مليون سنة فقط تقريباً (أي في العهد القديم لفجر الحياة الحديثة) أو ما يعرف باسم الباليوسين (Paleocene period)، ولم تنتشر انتشاراً واسعاً إلا في عهد الإيوسين (Eocene period) أي: منذ خمسة وخمسين مليون سنة مضت.

وعلى ذلك فالغراب سابق في وجوده للإنسان على الأرض بأكثر من 55 مليون سنة على أقل تقدير، وسابق لغيره من الطيور بذكائه وملكاته الفطرية التي وهبها إياها الله، ولذلك كان من الحق له أن يقف من ابني آدم موقف المعلم الذي علم «قاييل» قاتل أخيه «هابيل» كيفية دفن أول قتيل من بني آدم. والدفن في التراب بالإضافة إلى ما فيه من تكريم للميت، يمنع انتشار الكثير من الأمراض والأوبئة، ويحافظ على نظافة البيئة وطهارتها.

ومن صور ذكاء الطيور بصفة عامة - وذكاء الغربان بصفة خاصة - تلك القدرة الفائقة للطيور المهاجرة في التعرف على أماكن كل من فقسها وتربيتها، والعودة إلى كل منها مهما كانت أبعاد المسافات بينها. وما زالت البحوث العلمية دائبة على دراسة نظم هجرة الطيور، في محاولة لفهم الطرق التي تتعرف بها على الاتجاهات في مثل هذه الرحلات الطويلة. والمراقبون للطيور والدارسون لسلوكها لا يستطيعون تفسير عملية تواجد أعداد الطيور من نوع معين في مكان محدد، في زمن محدد من أزمنة السنة، وبقاء هذا العدد ثابتاً ثباتاً نسبياً. ولا يستطيعون تفسير كيفية تحديد مناطق النفوذ لكل نوع من أنواع الطيور.

ومعظم الطيور - ومنها الغربان - لها أرض خاصة لجمع الغذاء أو الصيد، غير الأرض التي تعيش فيها. وعادةً ما تكون أرضاً مألوفة لها، تمتد على مساحة من عشرات إلى مئات الكيلومترات المربعة، لا تغيرها إلا مع تغير الظروف البيئية، وتأثير ذلك على وفرة الطعام.

والطيور في تحركها من أوكارها إلى مناطق صيدها أو رعيها، أو في هجراتها المختلفة تعتمد على اتجاه الرياح، وعلى غير ذلك من الظروف الجوية، كما تعتمد على كل من موقع الشمس، والمجالات المغناطيسية للأرض. وهذا يعني وجود ساعة حياتية تعطي للطائر إحساساً بالوقت وبالتغيرات الفصلية، كالتغير النسبي في طول كل من النهار والليل مع تغير الفصول المناخية. ويبقى هذا التوازن ثابتاً حتى تحت ظروف التجارب المصطنعة كالظلام المستمر أو النور المستمر.

والطيور - ومنها الغربان - كما تستخدم حواسها المختلفة في التوجيه كالنظر الحاد، والشم لأقل نسب من الروائح، والإحساس بفروق درجات الحرارة، وغير ذلك، من المتغيرات المناخية، فإنها تتأثر بالمجال المغناطيسي للأرض، وبأية تغيرات فيزيائية أو كيميائية أخرى في غلافها الغازي.

والغراب - كغيره من الطيور - له قدرة فائقة على تحويل وسائل إدراكه من حاسة إلى أخرى بمنتهى السهولة، وذلك بالإلهام والفترة (Instinct)، وبالتوجيه (Orientation)، وبالتعود (Habitation)، وبخاصية من مثل خاصية الارتباط بالجماعة أو التعلم من الجماعة (Learning by Association)، والتعلم بالتمييز بين الأشياء (Learning by Discrimination)، والتعلم بالتجربة والخطأ (Learning by Trial and Error)، والتعلم بحل المشكلات (Learning by Problem-Solving)، وبالانطباق في الذاكرة (Memory Imprinting)، أو بتأثير البيئة المثالية للنوع (Effect of the Species- Typical Environment). وهذا كله يؤكد أن الطيور - ومنها الغربان - لها عقل، وذاكرة، وقدرات إدراكية واعية تحكم سلوكها الاجتماعي بالتعاون، والمنافسة، والتأقلم، ولها مهارات اتصال فائقة. (Excellent Communication Skills) منها الاتصال الصوتي اللفظي، والسمعي، والبصري، والإشاري، واللوني (أي بتغيير الألوان) وبالتحفيز المتبادل، أو بالإثارة المتبادلة (Reciprocal Stimulation).

وبتطبيق هذه المهارات على مدى يزيد على 55 مليون سنة تكونت عند

الغربان حصيلة تجربة هائلة تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل حتى جاء خلق الإنسان - ذلك المخلوق المكرم - ولكنه كان قليل الخبرة في بدء الخلق فأرسل الله - تعالى - إليه غرباً يعلمه كيف يواري سوءة أخيه .

ويقرر القرآن الكريم في آيات عديدة أن الطيور تسبّح الله - تعالى -، وهي ليست وحدها في ذلك، فجميع الكائنات الحية، بل وكل الجمادات، بل الكون (بكل ما فيه) يعبد الله - تعالى - ويحمده ويسبحه ويمجده إلا عصاة الإنس والجن .

كذلك يقرر القرآن العظيم أن جميع الدواب والطيور وغير ذلك من المخلوقات هي أمم كأمثال الأمم الإنسية (لها منطق - أي لغات - تتفاهم بها فيما بينها، وتقوم بتنسيق روابطها الفردية والجماعية بواسطتها). وتتمتع هذه الكائنات بقدر من الشعور والإدراك الخاص الذي يتفاوت من كائن إلى آخر، وتعاون الفطرة السليمة، والإلهام والتسخير تلك المخلوقات غير المكلفة في الثبات على منهج الله، وعدم الخروج عنه .

من هنا تتضح روعة الإشارة القرآنية إلى الغراب، معلم الإنسان الأول كيفية الدفن الصحيح للموتى . ويأتي العلم المكتسب - في قمة من عطاءه - ليؤكد لنا أن الغراب قد وهبه الله - تعالى - من المواهب الحسية والمعنوية ما جعله أذكى الطيور على الإطلاق، وأقدرها على التحايل . وربما كان من مبررات ذلك أنه يملك أكبر حجم لنصفي المخ بالنسبة إلى حجم الجسم في جميع الطيور المعروفة لنا، والتي يزيد عدد أنواعها على العشرة آلاف نوع، وأن له من حدة البصر ما يمكنه من التقاط التفاصيل الدقيقة من الارتفاعات الشاهقة على مساحات تقدر بمئات الكيلومترات المربعة، وبتفاصيل تفوق قدرة الإنسان بثلاث إلى أربع مرات .

وهذه الواقعة التي تعلّم فيها أحد ولدي آدم كيفية دفن الموتى من الغراب هي من جوانب الإعجاز الإنبائي في كتاب الله حيث لم يشهدا إلا «قائيل» وحده، وليس لها ذكر في أي من أسفار «العهد القديم» أو «العهد الجديد» .

رابعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام في سورتين من كتاب الله هما «مريم» (56، 57)، والأنبياء (85).

● وفي سورة مريم يقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم: 56، 57].

أما في سورة الأنبياء فجاءت الإشارة إلى عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام على النحو التالي:

● ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰدِقِيْنَ ٨٥﴾ [الأنبياء: 85].

12 - ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦﴾

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم: 56، 57].

في هاتين الآيتين الكريمتين يصف الله - تعالى - عبده ونبيه إدريس عليه السلام بأنه كان صديقاً نبياً. والصديق هو المؤمن إيماناً كاملاً يجعله يصدق كل ما جاءه من الحق تصديقاً لا ريبة فيه. والنبوة هي الاتصال بوحى السماء، والقيام بالتبليغ عن الله ﷻ، والجهد في سبيله من أجل هداية الخلق إلى معرفة الحق، ومنه معرفة الله وإدراك كل من حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وحتمية مصيره من بعدها.

وكان عبد الله ونبيه إدريس عليه السلام رمزاً للرفعة الإلهية لعبد من عباد الله، سواء كانت تلك الرفعة حسية أو معنوية أو الاثنتين معاً، فقد قال عنه ابن عباس عليه السلام: «هو أول نبي بُعث بعد آدم عليه السلام، وكان يصعد له في اليوم من العبادة ما لا يصعد

لبنى آدم من أهل الأرض جميعاً - في زمانه - في السنة، فحسده إبليس، وعصاه قومه، فرفعه الله مكاناً علياً، وأدخله الجنة. وقد ذكره رسول الله ﷺ، في حديث الإسراء والمعراج حيث مرّ به في السماء الرابعة).

وقيل عن إدريس عليه السلام أنه كان أول من خطّ بالقلم، وخاط الثياب، وأول من اتخذ المكييل والموازين والأسلحة، وأول من نظر في النجوم ووضع منها حساب الزمن، ورفع وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين (365) سنة إلى السماء الرابعة (والله - تعالى - هو أعلى وأعلم).

وكان إدريس عليه السلام رمزاً لإخلاص العبادة لله - تعالى - والتفاني في أداؤها ولذلك رفعه الله مكاناً علياً.

وفي تفسير قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ قيل أن المقصود بذلك هو شرف النبوة، والتكريم عند الله - تعالى - من علو الشأن، ورفعة القدر وحسن الثواب، فليس أرفع من درجة النبوة شيء في بني آدم - بصفة خاصة - وفي خلق الله - بصفة عامة - فالأنبياء هم صفوة الله - تعالى - من خلقه، وأعلامه مكاناً عنده.

وقيل في ذلك كلام كثير لم يثبت عن رسول الله ﷺ شيء منه، وعلى ذلك فلا حجة له لأنّ الظاهر أنّ أغلبه من الإسرائيليات، ومن ذلك ما ذكره القفطي في كتابه المعنون «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» (ص 1) من أن إدريس النبي ﷺ ولد بمصر وسموه «هرمس».

وفي «سفر التكوين» من «العهد القديم» جاء ذكر إدريس عليه السلام مرة باسم حنوك (Enoch) ابن قابيل، وحفيد آدم (التكوين: 17/4، 18)، ومرة أخرى باسم «أخنوخ» على أنه ابن يارد بن مهللئيل (التكوين: 18/5 - 24). وإشارة القرآن الكريم إليه تبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا ما قورنت بما جاء عنه في «العهد القديم» والذي ترجمته كما يلي:

¹⁷Cain lay with his wife, and she became pregnant and gave birth to Enoch. Cain was then building a city, and he named it after his son Enoch. ¹⁸To Enoch was born Irad, and Irad was the father of Mehujael, and Mehujael was the father of Methushael, and Methushael was the father of Lamech. ¹⁹Lamech married two women, one named Adah and the other Zillah. ²⁰Adah gave birth to Jabal; he was the father of those who live in tents and raise livestock. ²¹His brother's name was Jubal; he was the father of all who play the harp and flute. ²²Zillah also had a son, Tubal-Cain, who forged all kinds of tools out of bronze and iron. Tubal-Cain's sister was Naamah. ²³Lamech said to his wives, "Adah and Zillah, listen to me; wives of Lamech, hear my words. I have killed a man for wounding me, a young man for injuring me. ²⁴If Cain is avenged seven times, then Lamech seventy-seven times."

¹⁷وعاشر قايين زوجته فضلت وأنجبت ابناً دعهـا ـخلوكـ .
 وكان قايين انبأ بني مدينة فسماها ـخلوكـ . على اسم
 ابنه . ¹⁸ثم ولد خلوك عيراد ، وولد عيراد مهوئائيل ، وولد
 مهوئائيل مئوشائيل ، وولد مئوشائيل لامك . ¹⁹وتزوج لامك
 اثنتين ، اسم الواحدة عاده ، واسم الأخرى جيله . ²⁰وولدت
 عاده حملاً من ابنته اول زعمو السواحي وساحبي
 الخيتام . ²¹واحد يوبال اول الغارفين بالعود والجرنار .
²²وولدت جيله مئوتال قيين ، اول ضابي آلات الخمس
 والخبيد . كما ولدت نغمة ، لحت يوبال قيين . ²³وقال
 لامك لزوجتي ، «يا عاده وصيلة ، انصتا قلبي ، يا زوجتي لامك
 احبنا لكلامي ، اسي قتل رجلاً جرحني وشلتا كسرني .
²⁴فان كان يتقم قايين سبعة اضغاب ، فانه يتقم للامك
 سبعة وسبعين ضغاباً .»

سفر التكوين (17/4 - 24)

¹⁸When Jared had lived 162 years, he became the father of Enoch. ¹⁹And after he became the father of Enoch, Jared lived 800 years and had other sons and daughters. ²⁰Altogether, Jared lived 962 years, and then he died. ²¹When Enoch had lived 65 years, he became the father of Methuselah. ²²And after he became the father of Methuselah, Enoch walked with God 300 years and had other sons and daughters. ²³Altogether, Enoch lived 365 years. ²⁴Enoch walked with God; then he was no more, because God took him away.

¹⁸وكان عمر يارد مئة وأثنين وستين سنة عثما أنجب
 اخنوخ . ¹⁹وعاش بعد ذلك خمسي مئة سنة ، ولد له فيها بنون
 وبنات . ²⁰ومات يارد وله من العمر تسع مئة وأثنتان وستون
 سنة .
²¹وكان عمر اخنوخ خمساً وستين سنة عثما أنجب مئوشالغ .
²²ثم عاش اخنوخ بعد ذلك ثلاث مئة سنة سار فيها مع الله .
 وولد له بنون وبنات . ²³وتكثت كل ايام اخنوخ ثلاث مئة
 وخمسا وستين سنة . ²⁴وسار اخنوخ مع الله ، ثم توارى من
 الوجود ، لأن الله نقله إليه .

سفر التكوين (18/5 - 24)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۙ

﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ۗ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ

الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْنَا بِهِ ۖ فَوَاقِدَ فُجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۗ وَمَوْعِظَةٌ

وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

[هود: 117 - 120]

خامساً: من الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه نوح ﷺ

يعتبر نوح ﷺ أول من بلغنا خبره من أنبياء الله بعد كل من آدم وإدريس ﷺ ، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم (43) مرة، في ثمان وعشرين سورة من سور هذا الكتاب العزيز، وسميت باسمه إحدى سوره وهي (سورة نوح) ورقمها (71) في المصحف الشريف، وهو أول من نعرف من أولي العزم من الرسل.

أُرْسِلَ نوح ﷺ إلى قومه، وكانوا يعيشون على أرض العراق بين نهري دجلة والفرات. ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي. وبعد عشرة قرون من زمن آدم ﷺ كان الناس فيها على التوحيد الخالص لله، جاء الشيطان فاجتال قوم نوح عن دينهم، وأغراهم بالشرك وعبادة الأصنام، فتبعوه حتى عم الفساد.

بُعِثَ نوح ﷺ إلى قومه، ولبث في دعوتهم (950) عاماً، وعلى الرغم من طول هذه المدة لم يؤمن من قومه إلا أقل القليل، وفي ذلك يأمر ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن يُذَكِّرَ قومه بما نزل بقوم نوح من عذاب فيقول:

﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ لَّهِ فَقُلِيَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْتَهُ وَمَنِ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا آخَرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: 71 - 73].

ويفصل ربنا ﷻ حوار نوح مع قومه وتلطفه معهم، وجفاءهم وغلظتهم في

الرد عليه، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنِكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِن رَّبِّي وَءَالَيْتِي رَحْمَةً مِن عِندِهِ فَعُمِيتْ عَلَيْكُمُ الظُّلُمَاتُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِن أُجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذُرِّيَّتِي تُجَاهِلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ بَصُرْتُم مِّنَ اللَّهِ فَإِن يَصْرَفِي مِّنَ اللَّهِ إِن يَطْرُقُهُمْ فَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: 25 - 31].

ويعاود القرآن الكريم إلى ذكر تبجح الكفار والمشركين من قوم نوح في الرد على دعوته، واستكبارهم عليه، واستعجالهم نزول عذاب الله بهم فيقول:

﴿قَالُوا يَنْتَهِزُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَا بِنَا تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَفْعَلُوكُمُ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود: 32 - 35].

وتصف الآيات لحظة الأمر الإلهي إلى نوح عليه السلام بصناعة السفينة التي سوف ينجيه الله - تعالى - والذين آمنوا معه فيها وقت الطوفان، وسخرية الكفار والمشركين من قومه على هذا الصنيع العجيب فتقول:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوكُم مِّن يَّأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 36 - 40].

ثم يأتي وصف لحظة المفارقة بين إنجاء نوح ﷺ والقلة القليلة من الذين آمنوا معه، وإغراق الكفار والمشركين من قومه بحادثة الطوفان التي كانت إحدى المعجزات الكبرى في تاريخ الأرض ويرويه ربنا - تبارك وتعالى - موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا امْكُتْ مِنْهَا مِنْ كُلِّ ذِي عَيْنٍ إِنَّهَا لَبِئْسَ لَكُم مِّن دِينٍ حَكِيمًا ۝٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا وَمُرْسَلُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ۝٤٢﴾ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۖ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءَهُ أَقْبَلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۝٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٤٧﴾

والتنور الذي أشارت إليه الآيات في سورة «هود» هو البركان الذي كذف بكميات هائلة من بخار الماء ليغذي السحب الممطرة. ويبدو أن تلك الثورة البركانية الهائلة قد صحبتها هزات أرضية عنيفة دفعت بتيارات الماء إلى ارتفاعات هائلة حملت سفينة نوح إلى الرسو على سفح جبل الجودي الذي يزيد ارتفاعه على ألفي متر (سبعة آلاف قدم).

وفي مقام آخر يستعرض القرآن الكريم قصة نوح ﷺ مع قومه، ورفضهم دعوته، واستكبارهم على الحق الذي جاءهم به، رغم أدبه في دعوتهم، وفي تبيان حجته لهم، ورغم تعدد أساليب ذلك فيقول:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ قَالَ

يَقْوِرَ إِيَّايَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ فِي مَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْنَ بِيَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

[نوح: 1 - 9].

وفي وصف البغاة من قوم نوح يقول ربنا - تعالى -:

﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: 46].

وفي وصف استعلاء الكافرين من قوم نوح وصلفهم يقول ربنا - وقوله الحق :-

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَّقُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَتْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[الأعراف: 59 - 64].

ونظراً لكفر قوم نوح برسالته، بعد كل مواعظه التي أسداها لهم على فترة طويلة من الزمن، فإنه شكاً إلى ربه مكرهم وإصرارهم على الشرك، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِأَهْلِيكُم مِّن قَبْلِ هَذَا مَا لَمْ نَذِرْ وَلَا لَكَ مِن شَيْءٍ إِنِّي خَشِيتُكَ مِنَ الْإِنسَانِ ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُكَ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُكَ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يِعُوتُ وَيُعُوقُ وَشَرًّا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾

[نوح: 21 - 24].

ثم دعا نوح على الكفار والمشركين من قومه بعد يأسه من هدايتهم، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾﴾ [نوح: 26، 27].

واستجاب الله - تعالى - لدعاء عبده ونبية نوح، وأمر بإغراق الكافرين من قومه، ولذلك أمره ببناء السفينة التي سوف ينجيه الله ﷻ فيها هو ومن آمن معه، وما اصطحبه من صنوف النبات والحيوان.

وتلخص الآيات في سورة «الشعراء» قصة نوح ﷺ مع قومه فتقول:

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنْزَلْنَاكَ مِنَ الْأَرْضِ لَوْلَا أَنْزَلْنَاكَ بِعَمَلِكِ إِن جَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رِبِّ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَجْمِنْتُهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء: 105 - 122].

وجاء الطوفان عقاباً للكفار والمشركين من قوم نوح ففضى عليهم، ونجى الله عبده نوحاً والذين آمنوا معه من واحدة من أخطر الكوارث التي نزلت بالأرض، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسِتْنَهُمْ ثُمَّ يَمْسَتُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: 48، 49].

وذكرنا القرآن الكريم بحقيقة أن نوح ﷺ لبث يدعو قومه لفترة طويلة من الزمن، مما يشير إلى طول أعمار البشر في الأزمنة الغابرة فيقول:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيصَ عَامًا فَآخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾﴾
 [العنكبوت: 14، 15].

وتصف الآيات أن عملية إغراق الكافرين من قوم نوح كانت نتيجة تكذيبهم
 لنبِيِّهم، وأن إغراقهم كان بالماء العذب فنقول:

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْجَاجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾
 [القمر: 9 - 17].

وتشير الآيات في سورة الأنبياء إلى ضخامة الشدائد التي لقيها نوح ﷺ في
 مواجهة الكفار والمشركين من قومه فنقول:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَضَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَعْرِضْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾
 [الأنبياء: 76، 77].

وتشير الآيات في سورة «المؤمنون» إلى دعوة نوح ﷺ قومه برفق شديد،
 وإلى صلفهم في الردّ عليه، واتهامهم إيّاه بالجنون، وتسجل شكواه إلى الله منهم،
 وتنحية الله - تعالى - له وللقلة التي آمنت معه، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَاَتَّبِعُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَن اصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾﴾

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ أَعِزُّدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ تَرُؤْ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾

[المؤمنون: 23 - 31].

وكجميع ما جاء في القرآن من قصص فإن لقصة عبد الله ونبته نوح ﷺ رسالة ذات ثلاث شعب أولها استخلاص الدروس والعبر من القصة، وثانيها ضرورة استخدام التحقيق الموضوعي للقصة جغرافياً وتاريخياً وعلمياً في الدعوة إلى دين الله في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، وثالثها إثبات دقة حفظ القرآن الكريم وضياع أصول كل صور الوحي السابقة على نزوله (بلا استثناء).

أولاً: الدروس المستفادة من إيراد قصة نوح ﷺ في القرآن الكريم:

1 - التأكيد على وحدة رسالة السماء القائمة على الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وعلى الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبحقيقة الوحي الذي ينزله الله ﷻ هداية لعباده، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك اسمه - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ إِنَّا أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾

[النساء: 163].

والتأكيد كذلك على أن الإنسان بدأ عالماً عابداً ثم أغواه الشيطان بالشرك فأشرك بالله، وعبد الأصنام والأوثان، كما عبد النجوم والكواكب، وأن أول الشرك كان في قوم نوح بعد عشرة أجيال من التوحيد الخالص بين كل من آدم ونوح ﷺ، وأن قوم نوح أشركوا بعبادة كل من «ود» و«سواع» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر».

وذكر الطبري بسنده عن محمد بن قيس أن هذه الأسماء كانت أسماء أقوام صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا صور الشيطان لنفر من بعدهم أن يضعوا لهم

نصباً أمام البيوت التي عاشوا فيها ولبسوها شيئاً من ثيابهم لعلهم يتذكرونها، فيعملوا بأعمالهم. وقالوا: لو صورناهم كانوا أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصورهم، وظلّ الناس يتقربون إليهم حتى عبدوهم من دون الله، والشيطان يوسوس إليهم أن أسلافهم كانوا يعبدونهم ويسقطون بهم المطر، ومن هنا نشأت فكرة الوثنية وعبادة الأصنام والأوثان من دون الله - تعالى - وقد ظلت هذه الأسماء معروفة في جزيرة العرب طوال زمن الجاهلية.

2 - التأكيد على وحدانية الخالق ﷻ، والتحذير من الكفر أو الشرك به، وأن هذه كانت دعوة كل نبي من أنبياء الله، وكل رسول من رسله، وفي ذلك يقول الحق - جلّ شأنه -:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 23].

3 - ضرورة استخدام التحقيق الموضوعي للقصة في الدعوة إلى دين الله:

فقد جاءت قصة طوفان نوح ﷺ في «العهد القديم» كما جاءت في القرآن الكريم، والذي يقرأ القصتين بشيء من الموضوعية والحيدة يدرك الفرق جلياً بين كلام البشر وحديث ربّ العالمين. وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما جاء في الإصحاح الثاني من «سفر التكوين» أنّ الطوفان قد عمّ الأرض جميعها، وغمر قمم الجبال بأكثر من عشرين قدماً، والدراسات المتأخرة تثبت أنه أغرق المنطقة بين نهري دجلة والفرات فقط، إلى حدود الجبال المحيطة بهذين النهرين؛ ومن جبال جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي حيث كان يقطن قوم نوح. كذلك ذكر «العهد القديم» أنّ سفينة نوح ﷺ رست فوق «جبل أراط»، وظلّ كل الناس يرددون هذا الزعم إلى يومنا هذا. ولكن في سنة 1980م أثبت الأثري دكتور تشارلز ويليس (Dr. Charles Willis). أنّ الموقع الصحيح الذي وجدت فيه بقايا سفينة نوح هو «جبل الجودي» (Mount Cudi or Judy Dagh) على بعد 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أراط». و«جبل الجودي» يمثل قمة عالية في سلسلة جبال

جنوب تركيا إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: 44].

ويذكر سفر التكوين أنَّ عموم الأرض كان قد أغرق بالطوفان، وأنَّ الماء علا قمم الجبال 15 ذراعاً، ونتيجة ذلك أبيدت كل صور الحياة من إنسان ووحش وطيور ودبابات على وجه الأرض، بينما يؤكد القرآن الكريم على إغراق العاصين من قوم نوح فقط، وكانت فيهم كل من امرأته وأحد أبنائه. وكذلك يؤكد القرآن الكريم على ضرورة حفظ سفينة نوح حتى تبقى آية لمكتشفها إلى يوم الدين فقال - تعالى -: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدْرِكٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: 13 - 15].

وأكد القرآن الكريم ذلك في مقام آخر بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِ كَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 15].

والآيات القرآنية الكريمة تؤكد كذلك أنَّ الله - تعالى - جعل ذرية كل من نوح ومن نجا معه هم الباقين، وقوانين الوراثة تؤكد ذلك وتدعمه.

4 - التأكيد على تحقيق الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، وهو من سنن الله الجارية في الحياة الدنيا دون توقف أو تخلف أو تعطل:

فقد بينت قصة نوح ﷺ ما اقترف قومه من ذنوب ومعاصي عديدة، فعاقبهم الله - تعالى - في الدنيا بذنوبهم، وتوعدهم بعذاب الآخرة، وهو أشد وأنكى. وفي المقابل كانت نجاة نوح والذين آمنوا معه بمعجزة كبرى، ضرباً من التكريم الإلهي، ويؤكد القرآن الكريم أنَّ أجرهم في الآخرة أعظم وأوفى، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَبُوا أَرْسُلَ أَرْسُلَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

[الفرقان: 37].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

[هود: 49].

﴿قَالُوا لَيْن لَر تَنْتَه يَنْتُوخ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

[الشعراء: 116].

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّى حِينِ ﴿٢٥﴾﴾

[المؤمنون: 25].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَضَّرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[الأنبياء: 76، 77].

﴿قَالُوا يَنْتُوخ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جَدَلَنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[هود: 32، 33].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

[يونس: 73].

وبذلك تؤكد الآيات القرآنية الكريمة على حتمية نزول عقاب الله بالكفار والمشركين وبالعاصين المنتطعين في الدنيا قبل الآخرة، كما تؤكد على تنجية الله - تعالى - لعباده الصالحين من كل سوء، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -

﴿فَأَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

[الشعراء: 119، 120].

5 - الإشارة إلى إصرار الكافرين والمشركين على كفرهم وشركهم بالرغم من تسليمهم بوجود الله - تعالى - ووجود ملائكته. وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿٢٤﴾﴾

[المؤمنون: 24].

ويقول - عزّ من قائل -:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَحْدِلُوا إِلَّا بِطِلَالٍ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

[غافر: 5، 6].

6 - التأكيد على مرحلة الحياة الدنيا، فهذا نوح ﷺ كان من أطول بني آدم عمراً على الأرض، ولما جاءه ملك الموت بعد أن عاش لأكثر من ألف سنة سأله: كيف رأيت الدنيا؟ قال نوح ﷺ مثل رجل بنى بيتاً له بابان فدخل من أحدهما وخرج من الآخر.

7 - التأكيد على حقيقة كل من الغيب المرحلي، والغيب المطلق، فقصة نوح ﷺ من أمور الغيب المرحلي، فلم يكن يعلم بها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من قبل أن يأتيه الوحي بها، ولم يكن يعلم بها أحد من قومه، ولم يكن الأمر متداولاً في زمانه، ولذلك يبقى الإخبار بهذه القصة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

8 - الإشارة إلى أنه ليس بالضرورة أن يخرج الأبناء على مثال أبويهم، ولا أن تتبع الزوجة زوجها الصالح حتى ولو كان نبياً مرسلأ، فهذا ولد نوح يعصي أباه ويرفض النجاة معه في الفلك، وهو يعلم أن أباه نبي مرسل، وكذلك فعلت زوجة نوح، وعلى ذلك فإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

[التحريم: 10].

وفي «سفر التكوين» من العهد القديم جاءت قصة عبد الله ونبية نوحاً ﷺ بالنص الذي ترجمته ما يلي:

Genesis 5

7 / 7

التكوين •

From Adam to Noah

5 This is the written account of Adam's line. When God created man, he made him in the likeness of God.² He created them male and female and blessed them. And when they were created, he called them "man."

³When Adam had lived 130 years, he had a son in his own likeness, in his own image; and he named him Seth. ⁴After Seth was born, Adam lived 800 years and had other sons and daughters. ⁵Altogether, Adam lived 930 years, and then he died.

⁶When Seth had lived 105 years, he became the father of Enosh. ⁷And after he became the father of Enosh, Seth lived 807 years and had other sons and daughters. ⁸Altogether, Seth lived 912 years, and then he died.

⁹When Enosh had lived 90 years, he became the father of Kenan. ¹⁰And after he became the father of Kenan, Enosh lived 81 years and had other sons and daughters. ¹¹Altogether, Enosh lived 905 years, and then he died.

¹²When Kenan had lived 70 years, he became the father of Mahalalel. ¹³And after he became the father of Mahalalel, Kenan lived 840 years and had other sons and daughters. ¹⁴Altogether, Kenan lived 910 years, and then he died.

¹⁵When Mahalalel had lived 65 years, he became the father of Jared. ¹⁶And after he became the father of Jared, Mahalalel lived 830 years and had other sons and daughters. ¹⁷Altogether, Mahalalel lived 895 years, and then he died.

¹⁸When Jared had lived 162 years, he became the father of Enoch. ¹⁹And after he became the father of Enoch, Jared lived 800 years and had other sons and daughters. ²⁰Altogether, Jared lived 962 years, and then he died.

²¹When Enoch had lived 65 years, he became the father of Methuselah. ²²And after he became the father of Methuselah, Enoch walked with God 300 years and had other sons and daughters. ²³Altogether, Enoch lived 365 years. ²⁴Enoch walked with God; then he was no more, because God took him away.

Methuselah and Noah

²⁵When Methuselah had lived 187 years, he became the father of Lamech. ²⁶And after he became the father of Lamech, Methuselah lived

قصة آدم

٥ هذا سجلُ بمزاوليد آدم. يؤم خلق الله الإنسان. صنّفه الله على مثال. ^٢وقد خلقه ذكراً وأنثى. وبؤم خلقه. بؤركه وصنّفه آدم. ^٣كان عمر آدم مئة وثلاثين سنةً حينما أنجب وألد كشميه وشميله. وصنّفه شيتاً. ^٤وعاش آدم بعد مؤلبد شيت ثمانين سنةً. وولد له ثون وثنت. ^٥ومات آدم وله من العمر تسع مئة وثلاثون سنةً. ^٦كان عمر شيت مئة وخمسين سنةً حينما أنجب أنوش. ^٧وعاش شيت بعد ذلك ثمانين سنةً وسبع سنون. وولد له فيها ثون وثنت. ^٨ومات شيت وله من العمر تسع مئة وأثنتا عشرة سنةً.

^٩وكان عمر أنوش تسعين سنةً حينما أنجب فينان. ^{١٠}وعاش أنوش بعد ذلك ثمانين مئة وخمسين سنةً. وولد له فيها ثون وثنت. ^{١١}ومات أنوش وله من العمر تسع مئة وخمسين سنون. ^{١٢}وكان عمر فينان تسعين سنةً حينما أنجب مهليل. ^{١٣}وعاش فينان بعد ذلك ثمانين مئة وأربعين سنةً. وولد له فيها ثون وثنت. ^{١٤}ومات فينان وله من العمر تسع مئة وعشر سنون. ^{١٥}وكان عمر مهليل خمسين سنةً حينما أنجب نازد. ^{١٦}وعاش مهليل بعد ذلك ثمانين مئة وثلاثين سنةً. وولد له فيها ثون وثنت. ^{١٧}ومات مهليل وله من العمر ثمانين مئة وخمسين سنةً.

^{١٨}وكان عمر نازد مئة وأثنتين وسبعين سنةً حينما أنجب أخنوخ. ^{١٩}وعاش بعد ذلك ثمانين مئة سنةً. وولد له فيها ثون وثنت. ^{٢٠}ومات نازد وله من العمر تسع مئة وأثنتين وسبعين سنةً.

^{٢١}وكان عمر اخنوخ خمسين سنةً حينما أنجب متوشلح. ^{٢٢}لم عاش اخنوخ بعد ذلك ثلاث مئة سنةً سار فيها مع الله. ^{٢٣}وولد له ثون وثنت. ^{٢٤}وتحدث كل أيام اخنوخ ثلاث مئة وخمسين سنةً. ^{٢٥}وسر اخنوخ مع الله. لم تزل من الوعود. لأن الله نقله إليه.

مروشالح ونوح

^{٢٥}وكان عمر متوشلح مئة وستين سنةً حينما أنجب لامك. ^{٢٦}وعاش متوشلح بعد ذلك سبع مئة وأثنتين وثلاثين

Genesis 5,6

8 / A

التكوين ٦: ٥

782 years and had other sons and daughters.

²⁷Altogether, Methuselah lived 969 years, and then he died. ²⁸When Lamech had lived 182 years, he had a son. ²⁹He named him Noah and said, "He will comfort us in the labor and painful toil of our hands caused by the ground the LORD has cursed." ³⁰After Noah was born, Lamech lived 595 years and had other sons and daughters.

³¹Altogether, Lamech lived 777 years, and then he died.

³²After Noah was 500 years old, he became the father of Shem, Ham and Japheth.

Noah Builds an Ark

6 When men began to increase in number on the earth and daughters were born to them, ²the sons of God saw that the daughters of men were beautiful, and they married any of them they chose. ³Then the LORD said, "My Spirit will not contend with man forever, for he is mortal; his days will be a hundred and twenty years."

⁴The Nephilim were on the earth in those days—and also afterward—when the sons of God went to the daughters of men and had children by them. They were the heroes of old, men of renown.

God's Punishment of Mankind

⁵The LORD saw how great man's wickedness on the earth had become, and that every inclination of the thoughts of his heart was only evil all the time.

⁶The LORD was grieved that he had made man on the earth, and his heart was filled with pain. ⁷So the LORD said, "I will wipe mankind, whom I have created, from the face of the earth—men and animals, and creatures that move along the ground, and birds of the air—for I am grieved that I have made them." ⁸But Noah found favor in the eyes of the LORD.

⁹This is the account of Noah. Noah was a righteous man, blameless among the people of his time, and he walked with God. ¹⁰Noah had three sons: Shem, Ham and Japheth. ¹¹Now the earth was corrupt in God's sight and was full of violence. ¹²God saw how corrupt the earth had become, for all the people on earth had corrupted their ways.

¹³So God said to Noah, "I am going to put an end

عقبة. ^{٢٧}وولد له فيها ثون وثلاث. ^{٢٨}ومات مئوسالخ وله من العمر تسع مئة وستة وستون سنة. ^{٢٩}كان عمر لامك مئة واثنين وثمانين سنة. ^{٣٠}سنة نوحا فولاد. وهذا نوحنا عن اعمالنا وتشفقنا ابينا في الارض التي لعنتها الرب. ^{٣١}وعاش لامك خمس مئة وخمسا وتسعين سنة بعد ولادة نوح. ^{٣٢}ولد له فيها ثون وثلاث. ^{٣٣}ومات لامك وله من العمر سبع مئة وستون سنة. ^{٣٤}كان عمر نوح خمس مئة وخمسا وتسعين سنة.

نوح يصنع قوفا

٦ وحَدَّثَ لَمَّا انبَغَا الْبَشَرُ يَتَكَابَرُونَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُنَّ بَنَاتٌ. ^٢انْتَهَلَتْ أَبْطَارُ أَبْنَاءِ اللَّهِ إِلَى بَنَاتِ الْبَشَرِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلَاتٌ فَانْقَلَبُوا إِلَى سَوْسَمٍ مِنْهُنَّ زَوَاجَاتٍ حَسَبَ مَا حَلَبَ لَهُنَّ. ^٣أَقْبَلَ الرَّبُّ. ^٤لَنْ نَمُتَّكَ زَوْجِي تَجَلِيدًا فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ. ^٥هُوَ يَسْرِي زَوْجِي. ^٦لِيَكُنْ لَنْ تَطُولُ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً قَطًّا. ^٧وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ فِي الْأَرْضِ عِبْرَةٌ. ^٨وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ ابْنَاءُ اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ الْبَشَرِ وَوُلِدْنَ لَهُنَّ أَبْنَاءُ. ^٩صَارَ حَوْلَهُمُ الْأَبْنَاءُ الْقَبِيحَةُ الْمُجْتَرِمَةُ الْمُشْتَهَرِينَ مِنْ قَدِيمٍ.

عقاب الله للبشرية

^٥وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ. ^٦وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ يَكُونُ قَلْبِهِ يَسُومُ كَلِمًا بِالْإِلْمِ. ^٧أَمَلًا قَلْبُهُ الْأَسْفُ وَالْحِرَانُ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ. ^٨وَقَالَ الرَّبُّ. ^٩أَمْحُو الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ مَعَ سَائِرِ الْبَشَرِ وَالْحَيَوَانِ وَالزَّوْجِيفِ وَطَعْرِ السَّمَاءِ. ^{١٠}لَأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ. ^{١١}أَمَّا نُوْحٌ فَهُوَ حَقِيْقٌ بِرُضَى الرَّبِّ.

^{١٢}وَهَذَا مِجَالُ مَقَالِدِ نُوْحٍ. ^{١٣}كَانَ نُوْحٌ صَالِحًا كَامِلًا فِي زَمَانِهِ. ^{١٤}وَسَارَ نُوْحٌ مَعَ اللَّهِ. ^{١٥}وَأَنْجَبَتْ نُوْحٌ ثَلَاثَةَ أَبْنَاءٍ هُمْ شَمٌ وَهَامٌ وَيَافِثٌ. ^{١٦}وَأَمَّا شَادُ الْكَلْبُ الْأَرْضِ أَمَامَ اللَّهِ وَعَشِيهَا كَلْبٌ. ^{١٧}تَطَّرَ اللَّهُ رَأْيًا بِهَا فَطَبِقَ لِأَنَّ كُلَّ بَشَرٍ عَلَى الْأَرْضِ قَدْ سَلَكَ فِي طَرَفِ الْإِلْمِ.

^{١٨}أَقْبَلَ اللَّهُ لِنُوْحٍ. ^{١٩}فَمَا أُرِيتُ بِنِقَةِ الْبَشَرِ جَمِيعًا أَسَاسِي. ^{٢٠}لَأَنْتُمْ

Genesis 6,7

9 / 4

التكوين ٧:٦

to all people, for the earth is filled with violence because of them. I am surely going to destroy both them and the earth. ¹⁴So make yourself an ark of cypress wood; make rooms in it and coat it with pitch inside and out. ¹⁵This is how you are to build it: The ark is to be 450 feet long, 75 feet wide and 45 feet high. ¹⁶Make a roof for it and finish the ark to within 18 inches of the top. Put a door in the side of the ark and make lower, middle and upper decks. ¹⁷I am going to bring floodwaters on the earth to destroy all life under the heavens, every creature that has the breath of life in it. Everything on earth will perish. ¹⁸But I will establish my covenant with you, and you will enter the ark—you and your sons and your wife and your sons' wives with you. ¹⁹You are to bring into the ark two of all living creatures, male and female, to keep them alive with you. ²⁰Two of every kind of bird, of every kind of animal and of every kind of creature that moves along the ground will come to you to be kept alive. ²¹You are to take every kind of food that is to be eaten and store it away as food for you and for them." ²²Noah did everything just as God commanded him.

Entering the Ark

7 The LORD then said to Noah, "Go into the ark, you and your whole family, because I have found you righteous in this generation. ²Take with you seven of every kind of clean animal, a male and its mate, and two of every kind of unclean animal, a male and its mate, ³and also seven of every kind of bird, male and female, to keep their various kinds alive throughout the earth. ⁴Seven days from now I will send rain on the earth for forty days and forty nights, and I will wipe from the face of the earth every living creature I have made." ⁵And Noah did all that the LORD commanded him.

⁶Noah was six hundred years old when the floodwaters came on the earth. ⁷And Noah and his sons and his wife and his sons' wives entered the ark to escape the waters of the flood. ⁸Pairs of clean and unclean animals, of birds and of all creatures that move along the ground, ⁹male and female, came to Noah and entered the ark, as God had commanded Noah.

تَمَلَأُوا الْأَرْضَ ظُلْمًا. لِذَلِكَ سَأبِيدُهُمْ مَعَ الْأَرْضِ. ¹⁴أَنْتَ لَنْ تَكُنْ فَتَكُنَا مِنْ خَشَبِ الْكَسْبِ. وَأَجْعَلْ فِيهِ حُرُفًا تَطْلُبُهَا بِالكَرْمِ مِنْ الدَّجَالِ وَالْخَارِجِ. ¹⁵أَسْتَفْئِدْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ، لِيَكُن طُولُهُ ثَلَاثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ (نَحْوَ مِئَةِ وَخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ مِثْرًا)، وَعَرْضُهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا (نَحْوَ اثْنَيْ وَعِشْرِينَ مِثْرًا) وَتَضْفِ الْبُيُوتَ وَأَرْضَاعَهُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا (نَحْوَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ مِثْرًا وَتَضْفِ الْبُيُوتَ). ¹⁶وَأَجْعَلْ لَهُ نَافِذَةً عَلَى أُنْفِصَافِ ذِرَاعٍ (نَحْوَ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ سِتِينَ مِثْرًا) مِنْ كَسْفِ، وَتَبَا قَبِيمَةٍ فِي جَانِبِهِ. وَلِيَكُنْ لِلذَّلِكَ طَوَائِقُ سَلْبِيَّةٌ وَمَتَوَسِّطَةٌ وَعُلْيَاهُ. ¹⁷فَهَا أَنَا أَعْرِقُ الْأَرْضَ بِطُوفَانٍ مِنَ الْمِيَاهِ الْأَبِيدِ كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ فِيهَا مِمَّنْ تَحْتَ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ لَأَبْدُ أَنْ يَمُوتَ. ¹⁸وَلَكِنِّي سَأَجْعِلُ مَعَكَ عَهْدًا، فَتَدْخُلُ أَنْتَ مَعَ بَنِيكَ وَامْرَأَتِكَ وَتَسَاءُ بَنِيكَ إِلَى الْفُلِّكِ. ¹⁹وَتَأْخُذُ مَعَكَ فِي الْفُلِّكِ زَوْجَيْنِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ فِي جَنْدِ، لِأَسْتَبْقِيهَا مَعَكَ. ²⁰تَدْخُلُ مَعَكَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ صَفِيٍّ مِنَ الطُّيُورِ وَالْهَيَاكِلِ وَالزُّوْجِيفِ عَلَى الْأَرْضِ، جِافًا عَلَى أَسْتَبْرَارٍ مَقَالِهَا. ²¹وَتُدْجِرُ لِقَسَمِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَتَحْرُثُهُ جِذْدَكَ لِيَكُونَ لَكَ وَلِهَا عِيَادًا. ²²وَفَعَلَ نُوحٌ تَمَامًا بِمَقْتَضَى كُلِّ مَا أَمَرَ الرَّبُّ بِهِ.

الأمر بملء الفلك

وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ، هَئِنَا أَدْخُلُ أَنْتَ وَأَهْلُكَ بِبَنِيكَ جَمِيعًا إِلَى الْفُلِّكِ لِأَنِّي وَجَدْتُكَ وَحَدِكَ صَالِحًا لِنَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ. ²أَخُذْ مَعَكَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَاتِ الطَّاهِرَةِ سَبْعَةَ ذُكُورٍ وَسَبْعَ إِنثَاتٍ، وَزَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَاتِ الْأَخْرَى غَيْرِ الطَّاهِرَةِ. ³وَأَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الطُّيُورِ سَبْعَةَ ذُكُورٍ وَسَبْعَ إِنثَاتٍ لِأَسْتَبْقَاهُ نَسْلَهَا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ. ⁴فَلِئَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَنْطُرُ عَلَى الْأَرْضِ اثْنَيْعِنَ يَوْمًا، لَيْلًا وَنَهَارًا، فَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ كُلَّ مَخْلُوقٍ حَيٍّ. ⁵وَفَعَلَ نُوحٌ بِمُوجِبِ كُلِّ مَا أَمَرَهُ الرَّبُّ بِهِ.

⁶وَكَانَ عُمرُ نُوحٍ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ إِذْجَاءَ حُدُثُ طُوفَانِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ. ⁷فَدَخَلَ نُوحٌ إِلَى الْفُلِّكِ مَعَ زَوْجِيهِ وَأَبْنَائِهِ وَزَوْجَاتِهِمِ (لِلنِّسَاءِ) مِنَ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. ⁸وَكَذَلِكَ الْحَيَوَاتِ الطَّاهِرَةِ وَغَيْرِ الطَّاهِرَةِ، وَالطُّيُورِ وَالزُّوْجِيفِ، كَدَخَلَتْ مَعَ نُوحٍ إِلَى الْفُلِّكِ زَوْجَيْنِ زَوْجَيْنِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ نُوحًا.

The Flood

¹⁰And after the seven days the floodwaters came on the earth. ¹¹In the six hundredth year of Noah's life, on the seventeenth day of the second month—on that day all the springs of the great deep burst forth, and the floodgates of the heavens were opened. ¹²And rain fell on the earth forty days and forty nights. ¹³On that very day Noah and his sons, Shem, Ham and Japheth, together with his wife and the wives of his three sons, entered the ark. ¹⁴They had with them every wild animal according to its kind, all livestock according to their kinds, every creature that moves along the ground according to its kind and every bird according to its kind, everything with wings. ¹⁵Pairs of all creatures that have the breath of life in them came to Noah and entered the ark. ¹⁶The animals going in were male and female of every living thing, as God had commanded Noah. Then the LORD shut him in. ¹⁷For forty days the flood kept coming on the earth, and as the waters increased they lifted the ark high above the earth. ¹⁸The waters rose and increased greatly on the earth, and the ark floated on the surface of the water. ¹⁹They rose greatly on the earth, and all the high mountains under the entire heavens were covered. ²⁰The waters rose and covered the mountains to a depth of more than twenty feet. ²¹Every living thing that moved on the earth perished—birds, livestock, wild animals, all the creatures that swarm over the earth, and all mankind. ²²Everything on dry land that had the breath of life in its nostrils died. ²³Every living thing on the face of the earth was wiped out; men and animals and the creatures that move along the ground and the birds of the air were wiped from the earth. Only Noah was left, and those with him in the ark. ²⁴The waters flooded the earth for a hundred and fifty days.

The Receding of the Water

8 But God remembered Noah and all the wild animals and the livestock that were with him in the ark, and he sent a wind over the earth, and the waters receded. ²Now the springs of the deep and the floodgates of the heavens had been closed, and the rain had stopped falling from the sky. ³The water receded steadily from the earth. At the end of the hundred and fifty days the water had gone down, ⁴and on the seventeenth day of the

الطوفان
¹⁰وَمَا إِذْ أَنْفَضْنَا الْأَمْثَالَ كَشَفْنَا حَتَّى فَاغَبَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الْأَرْضِ الْهِيَ سِتَّةٌ سِتًّا مِائَةً مِنْ عَشْرِ نُوْحٍ، فِي الشُّهُرِ الْكَلْبِيِّ. فِي الْيَوْمِ السَّلْعِ عَشْرٌ مِائَةً، فَصَجَرَتِ الْمِيَاهُ مِنَ اللَّجَجِ الْعَمِيْقَةِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَهَطَلَتِ أَنْطَارُ السَّمَاءِ الْفَتِيْرَةِ. ¹¹وَأَنْشَمَرْنَا هَذَا الطُّوفَانَ عَلَى الْأَرْضِ لَيْلًا وَنَهَارًا مِئَةً أَرْبَعِينَ نَوْمًا. ¹²فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ الطُّوفَانُ دَخَلَ نُوحٌ وَرُؤَسَاؤُهُ وَأَبْنَاؤُهُ سَامٌ وَخَامٌ وَشَامُثٌ وَرُؤَسَاؤُهُمْ لِلثَّلَاثِ إِلَى الْفُلِّكِ. ¹³وَدَخَلَ مَعَهُمْ أَيْضًا مِنَ الْوَحُوشِ وَالنَّهَائِمِ وَالرُّؤُوجِفِ وَالطُّيُورِ وَذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ كُلُّ حَسَبِ أَصْلَابِهِمَا. ¹⁴مِنْ جَمِيعِ الْمَطْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ إِلَى الْفُلِّكِ. وَدَخَلَتْ مَعَ نُوحٍ زَوْجَتَيْنِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى دَخَلَتْ، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ. ثُمَّ أَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ بَابَ الْفُلِّكِ. ¹⁵وَبَدَأَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ نَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ، وَطَفَّتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتْ الْفُلَّكَ فَوْقَ الْأَرْضِ. ¹⁶وَتَكَثَّرَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الْأَرْضِ وَطَفَّتْ جِدًّا. فَكَانَ الْفُلُّكُ يَطُوفُ فَوْقَ الْمِيَاهِ. ¹⁷وَتَغَطَّتْ الْمِيَاهُ جِدًّا فَوْقَ الْأَرْضِ حَتَّى أَغْرَقَتْ جَمِيعَ الْجِبَالِ السَّالِبَةِ الَّتِي نَحْتُ السَّمَاءَ كُلَّهَا. ¹⁸وَبَلَغَ أَرْبَاعُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ فِرْسًا (تَسَوُّ سِتْفَةَ أَسْثَارٍ) عَنِ أَعْلَى الْجِبَالِ. ¹⁹فَدَاثَ كُلُّ كَلْبَيْنِ حَيٍّ يَتَحَرَّكُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ طُيُورٍ وَنَهَائِمٍ وَوَحُوشٍ وَرُؤُوجِفٍ وَكُلِّ بَشَرٍ حَيٍّ مَا يَحْيَا وَيَتَنَفَّسُ عَلَى النَّبَاسَةِ. ²⁰وَتَدَّ مِنْ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ كُلُّ كَلْبَيْنِ حَيٍّ سِوَاهُ مِنَ الْكَلْبِ أَمْ النَّهَائِمِ أَمْ الرُّؤُوجِفِ أَمْ الطُّيُورِ، كُلُّهَا أَمِيدَتْ مِنَ الْأَرْضِ. وَكَمْ تَمَّتْ سِوَى نُوحٍ وَسَمْنُ مَعَهُ فِي الْفُلِّكِ. ²¹وَظَلَّتِ الْمِيَاهُ عَالِيَةً عَلَى الْأَرْضِ مِئَةً وَبَعْرًا وَخَمْسِينَ نَوْمًا.

تناقص المياه

8 ثُمَّ أَنْفَضْنَا اللَّهُ نُوحًا وَمَا مَعَهُ فِي الْفُلِّكِ مِنَ الْوَحُوشِ وَنَهَائِمِ، فَارْتَسَلَ رِيحًا عَلَى الْأَرْضِ فَتَقَطَّضَتِ الْمِيَاهُ، وَأَسْلَمَتْ بِتَلْبِيحِ اللَّجَجِ وَمِنَارِيْبِ السَّمَاءِ، وَأَخْتَمَتِ الْحَطَرُ. ²وَوَاجَهَتْ الْمِيَاهُ عَنِ الْأَرْضِ تَدْرِيْجًا، وَتَدَّ مِئَةً وَخَمْسِينَ نَوْمًا تَقَطَّضَتِ الْمِيَاهُ، وَأَنْشَمَرْنَا الْفُلَّكَ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاتٍ فِي الْيَوْمِ السَّلْعِ عَشْرٌ مِائَةً مِنَ الشُّهُرِ السَّلْعِ لِلطُّوفَانِ.

destroy all living creatures, as I have done.²² As long as the earth endures, seedtime and harvest, cold and heat, summer and winter, day and night will never cease."

God Blesses Noah

9 Then God blessed Noah and his sons, saying to them, "Be fruitful and increase in number and fill the earth.²³ The fear and dread of you will fall upon all the beasts of the earth and all the birds of the air, upon every creature that moves along the ground, and upon all the fish of the sea; they are given into your hands.²⁴ Everything that lives and moves will be food for you. Just as I gave you the green plants, I now give you everything.²⁵ But you must not eat meat that has its lifeblood still in it.²⁶ And for your lifeblood I will surely demand an accounting. I will demand an accounting from every animal. And from each man, too, I will demand an accounting for the life of his fellow man.²⁷ Whoever sheds the blood of man, by man shall his blood be shed; for in the image of God has God made man.²⁸ As for you, be fruitful and increase in number; multiply on the earth and increase upon it."

God's Covenant With Noah

29 Then God said to Noah and to his sons with him:
30 "I now establish my covenant with you and with your descendants after you³¹ and with every living creature that was with you—the birds, the livestock and all the wild animals, all those that came out of the ark with you—every living creature on earth.
31 I establish my covenant with you: Never again will all life be cut off by the waters of a flood; never again will there be a flood to destroy the earth."
32 And God said, "This is the sign of the covenant I am making between me and you and every living creature with you, a covenant for all generations to come:³³ I have set my rainbow in the clouds, and it will be the sign of the covenant between me and the earth.³⁴ Whenever I bring clouds over the earth and the rainbow appears in the clouds,³⁵ I will remember my covenant between me and you and all living creatures of every kind. Never again will the waters become a flood to destroy all life.
36 Whenever the rainbow appears in the clouds, I will see it and remember the everlasting covenant

خلفتي ولن أقديم على إبلاك كل شيء كما فعلت.²² وتكون كل أيام الأرض مواسم زرع وحصاد وبرد وحر وضرب وشتاء وحر وألح. لن يتطأ أبداً.

الله يبارك نوحاً

9 وتبارك الله نوحاً وأبناءه قديلاً لهم، والحيوانات وتكاثروا وأنشأوا الأرض. الخشية منكم ودهشتكم على كل حيوانت الأرض وطيور السماء، وعلى كل ما يتحرك على الأرض، وعلى سمك البحر، فإنها كلها قد أصبحت خاضعة لكم. "ولتكن كل شيء متحرك طعاماً لكم، فتأكلون كل شيء كما تأكلون الثور الخضراء التي أعطيتكم، ولكن لا تأكلوا لحماً بدمه. وأطيب لنا بدمكم لأنفسكم، من دم كل حيوان أطيب به، ومن دم الإنسان أيضاً أطيب الأخ يتسبب أذى الإنسان. فسيفك دم الإنسان يحكم عليه بدمك دمه لأن الله خلق الإنسان على صورته. أما أنتم فاكثروا وتكاثروا وتوالدوا في الأرض..

عهد الله مع نوح

29 وخطب الرب نوحاً وأبنائه معه قديلاً،
30 "وأنا أنا أبرم ميثاق معكم ومع ذريتكم،
31 "وتع جميع المخلوقات الحية التي معكم، من طيور وتهديم، ومن كل حيوانات الأرض التي خرجت معكم من القلح، مع كل المخلوقات الحية على الأرض.
32 أبرم ميثاق معكم بأن لا نبيد الطوفان كل ذي جسد لينة، وأن لا يكون هناك طوفان يطغى على الحياتة في الأرض..
33 وقال الرب، وهو لهي هي علامة الميثاق الأبدي الذي أقيم بيني وبينكم وبين المخلوقات الحية التي معكم،
34 "أضع قوسي في السحاب لتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض.
35 "فبكون حينئذ أحيتم بالسحاب فوق الأرض، وتظهر القوس،
36 "أني أذكر ميثاق الذي بيني وبينكم وبين كل المخلوقات الحية من ذوات الجسد، فلا تتحول المياه إلى طوفان يبيد كل حياء.
37 "وتكون القوس في السحاب، فأبصرها، وأذكر

Genesis 8

11 / 11

التكوين ٨

seventh month the ark came to rest on the mountains of Ararat. ⁵The waters continued to recede until the tenth month, and on the first day of the tenth month the tops of the mountains became visible.

⁶After forty days Noah opened the window he had made in the ark ⁷and sent out a raven, and it kept flying back and forth until the water had dried up from the earth. ⁸Then he sent out a dove to see if the water had receded from the surface of the ground. ⁹But the dove could find no place to set its feet because there was water over all the surface of the earth; so it returned to Noah in the ark. He reached out his hand and took the dove and brought it back to himself in the ark. ¹⁰He waited seven more days and again sent out the dove from the ark. ¹¹When the dove returned to him in the evening, there in its beak was a freshly plucked olive leaf! Then Noah knew that the water had receded from the earth. ¹²He waited seven more days and sent the dove out again, but this time it did not return to him.

¹³By the first day of the first month of Noah's six hundred and first year, the water had dried up from the earth. Noah then removed the covering from the ark and saw that the surface of the ground was dry. ¹⁴By the twenty-seventh day of the second month the earth was completely dry.

Noah Comes Out of the Ark

¹⁵Then God said to Noah, ¹⁶"Come out of the ark, you and your wife and your sons and their wives. ¹⁷Bring out every kind of living creature that is with you—the birds, the animals, and all the creatures that move along the ground—so they can multiply on the earth and be fruitful and increase in number upon it."

¹⁸So Noah came out, together with his sons and his wife and his sons' wives. ¹⁹All the animals and all the creatures that move along the ground and all the birds—everything that moves on the earth—came out of the ark, one kind after another.

²⁰Then Noah built an altar to the LORD and, taking some of all the clean animals and clean birds, he sacrificed burnt offerings on it. ²¹The LORD smelled the pleasing aroma and said in his heart: "Never again will I curse the ground because of man, even though every inclination of his heart is evil from childhood. And never again will I

وطلبت المياه تتقلص فنخرجنا حتى الشهر العاشر. وفي
الأيام الأولى من الشهر العاشر بذت قِمْم الجبال.

^٦وتعد أربعين يوماً الحزى فتح نوح الطائفة التي كان قد
عيلها في الفلك. ^٧وأطلق غراباً، فخرج وظل يحوم
متردداً إلى الفلك حتى جفت المياه عن الأرض. ^٨ثم
أطلق نوح حمامة من الفلك ليرى إن كانت المياه قد
تقلصت عن وجه الأرض. ^٩ولكن الحمامة لم تجد موضعاً
تستقر عليه رجلاً فرجعت إليه في الفلك. لأن المياه ظلت
تلمس سطح الأرض. ^{١٠}فمد يده وأخذها، وأدخلها عنده إلى
الفلك. ^{١١}والتظر سبعة أيام أخرى ثم عند ما طلق الحمامة
من الفلك. ^{١٢}فرجعت إليه عند الغشاء تحمل في فمها
ورقة زيتون خضراء. فاذن نوح أن المياه قد تقلصت عن
الأرض. ^{١٣}فتحت سبعة أيام الحزى ثم أطلق الحمامة فلم
ترجع إليه هذه المرة.

^{١٤}وفي الأيام الأولى من الشهر الأول من السنة الواحدة
والسنت مئة من عمر نوح. جفت المياه عن الأرض. فرفع
نوح سفت الفلك وتقلع حوله. فرأى أن سطح الأرض قد
أخذ في الجفاف. ^{١٥}ولكن الأرض لم تجف تماماً إلا في
الأيام السبع والعشرون من الشهر الثاني.

الخروج من الفلك

^{١٥}وخطب الله نوحاً قولا. ^{١٦}الخروج من الفلك أنت وامراتك
وبنوك ونساء نساء منك. ^{١٧}وأخرج كل ما منك من
الحيوانات الحية. من طيور وبهائم وكل ما يزحف على
الأرض لتتوالد وتتكاثر على الأرض. ^{١٨}وأخرج نوح وثور
وامرأته وزوجات نبيه معه. ^{١٩}وتحذيك خرجت معه كل
الحيوانات. والواجد والطيور. وكل ما تدب على الأرض.
كل ما فيها حياها.

^{٢٠}فبنى نوح مذبحاً للرب ثم اختار بعضاً من جميع البهائم
والطيور الطاهرة وقربها تحرقات على المذبح. ^{٢١}فتشأها
الرب برحمة. وقال في نفسه. لأن النع الأرض مرة الحزى
من أجل الإنسان. لأن أعواد قلب الإنسان شجرة مثل

between God and all living creatures of every kind on the earth.”¹⁷ So God said to Noah, “This is the sign of the covenant I have established between me and all life on the earth.”

The Sons of Noah

¹⁸The sons of Noah who came out of the ark were Shem, Ham and Japheth. (Ham was the father of Canaan.)¹⁹ These were the three sons of Noah, and from them came the people who were scattered over the earth.

²⁰Noah, a man of the soil, proceeded to plant a vineyard.²¹ When he drank some of its wine, he became drunk and lay uncovered inside his tent.

²²Ham, the father of Canaan, saw his father's nakedness and told his two brothers outside.²³ But Shem and Japheth took a garment and laid it across their shoulders; then they walked in backward and covered their father's nakedness.

Their faces were turned the other way so that they would not see their father's nakedness.²⁴ When Noah awoke from his wine and found out what his

youngest son had done to him,²⁵ he said, “Cursed be Canaan! The lowest of slaves will he be to his brothers.”²⁶ He also said, “Blessed be the LORD, the God of Shem! May Canaan be the slave of Shem.”²⁷ May God extend the territory of Japheth; may Japheth live in the tents of Shem, and may Canaan be his slave.”

²⁸After the flood Noah lived 350 years.²⁹ Altogether, Noah lived 950 years, and then he died.

الْمِيثَاقِ الْأَبَدِيِّ الْمَعْرُومِ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ. ¹⁷ وَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: هَذَا هِيَ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الْأَبَدِيِّ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ.

أبناء نوح
¹⁸ إِنَّمَا أَبْنَاءُ نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ الْفُلِّ فَكَانُوا: شَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو الْكَانَعَانِيِّينَ. ¹⁹ هَؤُلَاءِ كَانُوا أَبْنَاءَ نُوحٍ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ نَفَرَتْ مِنْهُمْ شُعُوبُ الْأَرْضِ كُلِّهَا.

²⁰ وَأَسْتَقْبَلَ نُوحٌ بِالْفَلَاخَةِ وَغَرَسَ كَرْمًا. ²¹ وَتَسَرَّبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى فَاجْلَسَ فِي خِيَمَتِهِ. ²² فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَانَعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ. فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ الَّذِينَ كَانُوا خَارِجًا. ²³ فَاتَّخَذَ

شَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهَا عَلَى أكتفَيْهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْخِيَمَةِ. وَسَرَّأَ عُرْيَ أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَلِيمَا بِوُجْهِهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَتَهُ. ²⁴ وَعِنْدَمَا أَتَى نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ²⁵ قَالَ: لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُونًا. وَلِيَكُنْ عَبْدًا لِعَبِيدِ إِخْوَتِهِ. ²⁶ ثُمَّ قَالَ: بَارِكْ اللَّهُ

إِلَهَ شَامٍ. وَلِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُ. ²⁷ لِيُوسِعَ اللَّهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي خِيَامِ شَامٍ. وَلِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُ.

²⁸ وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَ مِئَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً. ²⁹ ثُمَّ مَاتَ وَهُوَ مِنْ الْعُمُرِ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

والأخطاء في هذا النص أكثر من أن تحصى، ونذكر منها ما يلي:

- 1 - الادعاء بأن الله - تعالى - صنع الإنسان على مثله، أي على صورته، والله - تعالى - منزّه عن جميع صفات خلقه.
- 2 - كثرة إيراد الأسماء والأعمار بدون أدنى توثيق، وبدون أدنى مناسبة، مع التكرار المُخل والمُمل.
- 3 - الإشارة إلى أن الناس كانوا قد بدأوا يتكاثرون على سطح الأرض، علماً بأنه لم يكن موجوداً على سطح الأرض في هذا الزمان سوى قوم نوح.
- 4 - الادعاء بأن الله - تعالى - ملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان، فقرر محوه من على وجه الأرض، مع سائر الناس، والحيوانات، والزواحف، وطيور السماء. وكأن الإنسان ليس من الناس، وكأن الزواحف والطيور ليست من الحيوانات!!
- 5 - الادعاء بأن الله - تعالى - قال: «قد أزفت نهاية البشر جميعاً أمامي» دون استثناء، فكأن نوحاً والذين آمنوا معه ليسوا من البشر!!
- 6 - الادعاء بأن سفينة نوح كانت (135م) في الطول، (22.5م) في العرض، (13.5م) في الارتفاع، والكشف الأثري عن حطام السفينة يؤكد أنها كانت أصغر من هذه الأبعاد كثيراً.
- 7 - الادعاء بأن الطوفان قد أباد كل حي في الأرض مما تحت السماء. والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف بقيت أحياء المناطق النائية كالأمريكتين، وكل من أوروبا وأفريقيا وأستراليا ونيوزلندا، والقارتين الآسيوية والقبطية الجنوبية؟
- 8 - الادعاء بنجاة كل من امرأة نوح وجميع بنيه وزوجاتهم، دون الإشارة إلى الذين آمنوا معه، والقرآن الكريم يؤكد أن امرأته وأحد أبنائه لم يرافقه.
- 9 - الادعاء بأن نوحاً أخذ معه في السفينة زوجين اثنين (ذكراً وأنثى) من كل

كائن حي ذي جسد، وهذا عملياً أمر يستحيل على نوح تحقيقه. كذلك فإن الادعاء بأنه أقرّ بحمل سبعة ذكور وسبع إناث من كل نوع من أنواع الحيوانات الطاهرة، وزوجين ذكراً وأنثى من كل نوع من أنواع الحيوانات غير الطاهرة فهو كلام متناقض ومستحيل التطبيق.

10 - يذكر النص في «سفر التكوين» أن مياه الطوفان تفجرت من اللجج العميقة في باطن الأرض، والماء تحت سطح الأرض مخزون في قشرتها فقط، وعلى هيئة خيوط شعرية دقيقة بين حبيبات الصخر وليس على هيئة لجاج عميقة.

11 - الادعاء بأن مياه الطوفان أغرقت جميع الجبال العالية التي تحت السماء كلها، وأن ارتفاعها بلغ نحو عشرين قدماً (أي حوالي سبعة أمتار) عن أعلى الجبال فمات كل كائن حي يتحرك على الأرض. وهذا الكلام باطل تماماً، لأن الطوفان كان محصوراً في المنطقة بين نهري دجلة والفرات بحدود الجبال المحيطة بهما، ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي كما أثبتت ذلك الدراسات الأثرية. وهو باطل كذلك إذا علمنا بأن مساحة سطح الأرض تقدر بحوالي (510) مليون كم²، وأن أعلى القمم على سطحها (قمة إفرست) يقدر ارتفاعها بحوالي تسعة كيلومترات (8848م) وعلى ذلك فإن جميع ماء الأرض المقدر بحوالي (1400) مليون كم³ لا يمكنه تغطية جميع الجبال العالية التي تحت السماء كلها بسبعة أمتار (أو بعشرين قدماً) كما ذكر «العهد القديم»!! تحقيق ذلك!!

12 - الادعاء بأن الله - تعالى - افتقد نوحاً ومن كان معه في الفلك!! والله ﷻ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

13 - الادعاء بأن سفينة نوح استوت على جبل أراط، وحطامها وجد فوق جبل الجودي كما جاء في القرآن الكريم، والمسافة بين هذين الجبلين تزيد على (250) ميلاً، وهما مفصولان ببحيرة عظيمة (بحيرة فان) وطبيعتهما مختلفة تماماً لأن جبل «أارات» جبل بركاني ثار عدة مرات منذ زمن نوح ﷺ فلو

رست عليه سفينة نوح لكانت قد احترقت، بينما جبل «الجودي» جبل رسوبي وجدت بقايا سفينة نوح على سفحه مطمورة في رسوبيات للماء العذب.

14 - النص التكويني القائل: «وليكن كل حي متحرك طعاماً لكم فتأكلون كل شيء» هو كلام واضح الخطأ والعوار، لأنه ليس كل حي يتحرك يصلح طعاماً للإنسان!!

15 - الادعاء الباطل بأن عبد الله ﷺ ونيبه نوح شرب الخمر فسكرو، وتعرى داخل خيمته (سفر التكوين: 9/20، 21) وهو كلام لا يليق بالأنبياء الذين بعثهم الله - تعالى - مثلاً علياً للبشر، يدعون إلى الخير، ويحملون دين الله - تعالى - إليهم، ويطبقونه تطبيقاً عملياً لأمرهم.

16 - التزوير الواضح بلعن «كنعان» لمجرد أنه أصبح بعد ذلك أباً للفلسطينيين، وذلك لغرض مبيت في نفسية اليهود الحاقدة على غير اليهود عامة، وعلى الفلسطينيين بصفة خاصة، وهو من الأدلة الدامغة على تزوير اليهود للعهدين القديم والجديد.

17 - ذكر أن عبد الله ﷺ ونيبه نوحاً ﷺ مات عن (950) سنة، والقرآن الكريم يؤكد أنه ظل يدعو قومه بعد بعثته الشريفة ألف سنة إلا خمسين عاماً، وأنه عاش بعد ذلك لفترة لا يعلمها إلا الله عقب نجاته والذين آمنوا معه من الطوفان.

13 - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلَمِ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: 25، 26].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تؤكدان كلا من الحقيقة الإنبائية عن قصة عبد الله ونبيه نوحاً وقومه، وحقيقة العقيدة التي علمها ربنا - تبارك وتعالى - لأبويننا آدم وحواء عليهما السلام، كما علمها لسيدنا نوح عليه السلام ولكل نبي من أنبياء الله. وقد عاشت البشرية بعقيدة التوحيد الكامل لله - تعالى - عشرة قرون كاملة بين آدم ونوح عليهما السلام. وقد أكد لنا نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله الشريف: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»⁽¹⁾.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا، فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت»⁽²⁾. فكانت هذه هي أول عبادة وثنية قام بها إنسان على وجه الأرض، ثم تفتشت الوثنية بعد ذلك في قوم نوح، فبعثه الله - تعالى - إليهم ليردهم إلى توحيد الله من جديد، فلم يستجب لدعوته إلا أقل القليل من قومه، ولذلك قال - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلَمِ ﴿٢٦﴾﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْسُكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْسُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاننِّي رَحْمَةً مِّن

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَعَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَتَقْوِيهِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنْ
 أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا
 تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَتَقْوِيهِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَفْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ
 يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ [هود: 25 - 31].

وهذه الآيات تؤكد وحدة الرسالة السماوية من آدم إلى محمد - صلى وسلم
 وبارك عليهما وعلى أنبياء الله أجمعين - والتي مؤداها: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.
 وقد جاء أنبياء الله ورسله أجمعون بتقرير هذه الحقيقة، داعين إلى الإيمان الكامل
 بها، ومحذرين من غواية الشيطان للإنسان حتى يوقعه في وحل الشرك بالله،
 والشرك بالله هو الظلم المبين للنفس الإنسانية التي يسعى الشيطان دوماً للإيقاع بها
 فيه.

وتصور الآيات القرآنية الكريمة من سورة «هود» (25 - 31) رد الفعل عند
 مشركي قوم نوح حينما دعاهم إلى توحيد الله - تعالى -، وإلى تنزيهه عن جميع
 صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وهكذا كان المشركون - في كل
 العصور - وقد اغتالتهم شياطين الجن والإنس، وحرقتهم عن دين الله، وعن الفطرة
 السوية التي فطرهم عليها الله، كانوا يندفعون إلى رفض دعوة الأنبياء، وإلى
 التطاول عليهم، والاستعلاء على أشخاصهم وأشخاص الذين آمنوا معهم. كما
 يندفعون بكل طاقاتهم من أجل تكذيب ما يدعو أنبياءهم إليه، ومنتكرين لوحي
 السماء، ولنبوذة الأنبياء، ولكل صفة علوية نبيلة جعلها الله - تعالى - أساساً
 للمفاضلة بين عباده. وهؤلاء المكذبون بالدين، المشركون بعبادة رب العالمين، قد
 التصقوا بماديات هذه الحياة الدنيا، وغفلوا عن حقيقة رسالة الإنسان في الأرض:
 عبداً لله - تعالى - الذي خلقه، ومستخلفاً في هذه الحياة، مطالباً فيها بعبادة الله
 بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله
 وعدله في ربوعها حتى يلقي ربه وهو راضٍ عنه. وكل من يغفل عن معرفة الدين

الحق الذي يفصل هذه الرسالة بوضوح، يستنذله الشيطان بإغراقه في بحار الشرك بالله، ويغريه بالإغراق في ماديات الحياة، وبالإفساد في الأرض، فلا يرى وجهاً للحق أبداً حتى يطويه الموت في تراب الأرض.

والآيات توضح بجلاء كيف كان نوح عليه السلام يتلقى سفاهة المكذبين من قومه بالرد عليهم بسماحة النبوة ومودتها، واستعلائها في غير كبر، وبصدق الإيمان بالله - تعالى - وباليقين في الوحي الذي كان يتلقاه من ربه، وبالاطمئنان إلى صحة ما يدعو إليه، في غير مبالغة أو افتعال. ويتعامل معهم بالفهم العميق لما غرق فيه قومه من جهل برسالتهم في هذه الحياة، مؤكداً لهم أن الأصل في الدين الحق هو حرية الاختيار بعد إتمام البلاغ إلى الناس، دون أدنى إكراه أو إجبار.

وبالرغم من كل هذه السماحة من العبد الصالح والنبى الصالح نوح عليه السلام فإن مشركي قومه قابلوا سماحته بالسخرية منه، والاستهزاء به، وبالتهوين من كل ما حذرهم منه، وأنذرهم به من ألوان العقاب الإلهي، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهم: ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا يَوْمَئِذٍ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمُ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٣٤﴾

[هود: 32 - 34].

وهذا التحدي السافر من كفار قومه لم يخرج عبد الله ونبيه نوحاً عن وقار النبوة، فأخبرهم بأنه رسول مبلغ عن رب العالمين الذي له الأمر كله، والذي لا دخل لأحد من الخلق في قراره. كذلك أكد لهم نبيهم نوح عليه السلام أنهم ليسوا بمعجزين في الأرض ولا بعيدين عن أن ينالهم قدر الله، فإذا كان مقدرًا لهم الهلاك بغوايتهم في هذه الحياة الدنيا فإن قدر الله - تعالى - ماضٍ فيهم لا محالة، مهما بذل لهم نوح من النصح. وليس ذلك لأن الله تعالى سيصدهم عن قبول هذا النصح، ولكن تصرفاتهم هم بأنفسهم تقتضي نفاذ قدر الله فيهم. والخلق جميعاً لا مفر لهم من الرجوع إلى الله - تعالى - بعد الموت ثم البعث، والحشر، والعرض

الأكبر أمام خالقهم ومدبر أمورهم، والخضوع لحسابه الدقيق، وجزائه العادل بالخلود إما في الجنة وإما في النار.

وتأكيداً على ومضة الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لهذا العدد من المواقف في سيرة عبد الله ﷺ ونبية نوح ﷺ، تتوجه الآيات بالخطاب إلى مشركي قريش مؤكدة أن الرسول الخاتم محمداً ﷺ تلقى هذه الأخبار عن رب العالمين، ولم يبتدعها من عنده، وفي ذلك تأكيد لنبوته، واستنكار لتكذيبهم له، منزهة إياه تنزيهاً كاملاً عن كل ذلك فتقول:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[هود: 35].

وتأتي هذه الآية الكريمة تأكيداً لنفس المعنى الذي سبق في نفس السورة بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَيْهِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

[هود: 13، 14].

وبعد ذلك تستمر الآيات في استعراض موقف آخر من سيرة عبد الله ﷺ ونبية نوح ﷺ مع قومه فتقول:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ ﴿٣٩﴾﴾

[هود: 36 - 39].

وهذه المواقف كلها لم يرد لها ذكر في «العهد القديم» مما يجعل من عرض القرآن الكريم لها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

14 - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ
مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: 40].

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى وقوع كارثة طوفان «نوح»، وإلى أن الذي لعب الدور الرئيس في إحداث الطوفان هو ثورة البراكين بأمر من الله - تعالى - .
وبعض البراكين في زماننا تبعث بأكثر من (70%) مما يندفع من فوهاتها من غازات وأبخرة، على هيئة بخار الماء الذي يرتفع إلى الجو ليتكثف ويعود مطراً إلى الأرض. كما أنه قد ثبت أن كل ماء الأرض المقدر بحوالي (1400 مليون كم مكعب) قد أخرجه الله - تعالى - كله في الأصل من داخل الأرض بانصهار مكوناتها، ثم بثورة البراكين، ولذلك قال - تعالى - :

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: 30، 31].

وعلى ذلك فإن في قول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، إشارة إلى ثورة البراكين، وهي من المعجزات العلمية والإنبائية في هذا النص الكريم.

وفي قوله - تعالى - : ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: 40].

إشارة إلى ما أمر نوحٌ بحمله معه من أنواع النبات والحيوان المتوافرة من بيئته، حتى يعيد بها إعمار الأرض التي كان يقطنها وقومه بعد زوال آثار الطوفان عنها. وليس من معاني ذلك أبداً أن نوحاً قد حمل معه في السفينة كل نوع من أنواع الحياة الأرضية، لاستحالة تحقيق ذلك، وإنما قيل هذا الكلام لمجرد دعم الادعاء الباطل في «العهد القديم» بأن الطوفان كان قد غمر كل الأرض، وعلا كل قمم الجبال لعشرين قدماً أو يزيد، وهو ادعاء مستحيل التحقيق.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: 40].

إشارة إلى أن نقرأ من أهله لم يركب معه سفينته . ويوضح القرآن الكريم في مقامات أخرى أن كلاً من امرأة نوح وأحد أبنائه قد رفض ركوب السفينة معه فأهلكهما الله - تعالى - فيمن أهلك بإغراق الطوفان لهم . وهذا وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله ، حيث لا يوجد ذكر لتلك الحقيقة في «العهد القديم» الذي يؤكد نجاة امرأة نوح وجميع أبنائه وزوجاتهم معه .

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40].

تأكيد على أن الغالبية العظمى من قوم نوح آثرت الكفر على الإيمان، وفضلت الشرك على التوحيد، وفرحت بالخروج على منهج الله وبالإفساد في الأرض، بدلاً من الإلتزام بأوامر ربها وحسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها، فاستحقت الاستئصال الكامل بعقاب من الله تعالى . ولذلك كان الطوفان الذي أغرق الكفار والمشركين من قوم نوح وقضى عليهم ؛ وهذه اللفظة القرآنية الكريمة هي من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله ، الذي جاء فيه قول ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَأَرْحَمَ إِلَىٰ نُوْحٍ أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ وَأَصْنَعِ الْفُلَٰكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ ٣٧ وَيَصْنَعِ الْفُلَٰكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ بَأْيِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٣٩ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُوْرُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٤٠ ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرِيهَا وَمُرْسُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ ٤١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِيْنَ﴾ ٤٢ قَالَ سَوَاءٌ يَأْتِيَنِي مِنَ الْجِبِلِّ يَعْصِيَنِ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَعَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِيْنَ﴾ ٤٣ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَسَمَّاءِ اقْبَلِي وَعِضْ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾ ٤٤ وَنَادَىٰ نُوْحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنَىٰ مِنْ

أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنَوحُ أَهَيْطَ إِسْلَمِ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّمْ سَمْعَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَا عَذَابِ الْيَوْمِ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٩﴾

[هود: 36 - 49].

ومن معاني هذه الآيات الكريمة أن نوحاً ﷺ أرسل إلى قومه نذيراً مبيناً، وهي رسالة كل أنبياء الله، التي تؤكد على وحدة الرسالة السماوية المنطلقة من وحدانية الخالق ﷻ. وفحوى هذه الرسالة: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، ومن مبرراتها ما قاله نوح لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ وبذلك تتم الرسالة بهذا الإبلاغ وهذا الإنذار. فيرد الطغاة المتكبرون من قومه (بنفس ردود أمثالهم في كل عصر) فيرفضون نبوته، ويسخرون من دعوته، ويحرقون من شأن تابعيه متهمينه ومن تبعه بالكذب.

ويتلقى عبد الله ونبيه نوحاً ﷺ كل هذه الإهانات بسماحة النبوة، واستعلائها على كل باطل، ويقينها بالوحي الذي تتلقاه عن الله - تعالى - وباستشعار أمانة التبليغ دون إكراه أو التزام من جانبه. كما يتضمن رد نوح أن لا يمكنه القيام بطرد الذين آمنوا معه، وإن كانوا من فقراء القوم، وأقلمهم وجاهة في مجتمعهم، دون ادعاء من جانبه بأية ميزة له فوق بشريته، مع اصطفاء الله - تعالى - له بالنبوة وبالرسالة.

وفي مقابل هذا الأدب الجرم، والتواضع الشديد من عبد الله ونبيه نوحاً ﷺ، فإن كفار قومه أخذتهم العزة بالإثم حتى طالبوه بإنزال ما حذرهم منه، وما أنذرهم به من صنوف العذاب، إن كان من الصادقين في نبوته، وفي التبليغ عن رب العالمين. ومرة أخرى يرد عليهم نوح بأدب النبوة، مؤكداً أن إنزال العذاب هو بأمر من الله - تعالى - وليس منه هو، وذلك لأن الله ﷻ هو المقدر لكل شيء، والذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعند هذا المقطع من قصة نوح ﷺ يوجه السياق القرآني دعوة لمشركي قريش الذين كذبوا بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، مدعين أنه افترى القرآن على رب العالمين، نافيةً تلك التهمة الباطلة عنه. ثم تنتقل الآيات لاستكمال قصة نوح مع قومه بوحي من الله - تعالى - بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن - وهو تعالى أعلم بقلوب عباده - ولذلك فإنه لم يبق مجال للمضي في دعوة هؤلاء المتكبرين، المعاندين، المكذبين، المصيرين على الشرك بالله. وتنصح الآيات نوحاً ﷺ بعدم الاكتراث بهم، أو الحزن على ما ينتظرهم من مصير، كما تنصحه بصناعة السفينة برعاية من الله - تعالى - وتوجيه منه، وبعدم التشفع لمشركي قومه في شيء، لأن الله - تعالى - قد قرر إغراقهم جميعاً.

وعندما جاء أمر الله بإغراق المشركين من قوم نوح فحجر الأرض بشورة بركانية، عبر عنها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى - ﴿وَقَارَ السُّورُ﴾ وبعض البراكين المعاصرة تنفث بخار الماء بنسب تزيد على 70% مما يتصاعد من فوهاتها من غازات وأبخرة، ويرتفع هذا البخار إلى الطبقات العليا في نطاق المناخ، وهي طبقات باردة، حيث يتكثف ويعود للأرض مطراً غزيراً.

ويأتي الأمر الإلهي للنبي نوح ﷺ أن يحمل معه على سفينته من كل نبات وحيوان في بيئته زوجين اثنين (ذكراً وأنثاً) ليعاود بكل زوج منها إعمار الأرض التي كان يسكنها بعد جفافها من مياه الطوفان. كما أمر بأن يحمل أهله (إلا من سبق عليه القول) في إنباء له بأن كلاً من امرأته وأحد أبنائه لن يقبل بالصعود إلى السفينة معه. ويحمل نوح معه من آمن من قومه، وتقرر الآيات ما قاله ربنا - تبارك وتعالى -: في محكم كتابه ﴿وَمَا أَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

ثم تقرر الآية الكريمة (رقم 41 من سورة «هود») ما قاله نوح لأصحابه، وذلك بقول ربنا - سبحانه -:

﴿وَقَالَ آتِكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبَهَا مُرْسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ... ﴾ فيه إشارة ضمنية رائعة إلى مصاحبة الهزات الأرضية العنيفة لثورة ذلك البركان (التنور) العنيف، والتي صاحبها موجات مدّ عنيفة وغير عادية لمياه الطوفان تشبه موجات المدّ البحري التي تحدث نتيجة للهزات الأرضية تحت قيعان المحيطات (Tsunamis) وهذه الموجات العنيفة هي التي حملت سفينة نوح حتى أرستها على سفح جبل الجودي، الذي يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم (2133م) فوق مستوى سطح البحر في سلاسل جنوب تركيا.

ثم يقول الله - تعالى - : ﴿ ... وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْوِي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِي مِنْ أَمْرِهِ لَا غَاصِمَ لِيَوْمٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: 42، 43].

وفي ذلك تأكيد على أن أحد أبناء نوح ﷺ لم يركب معه في الفلك وغرق مع الغارقين، على عكس ما ورد في «العهد القديم» [سفر التكوين (6/17 - 22، 1/7)].

وفي الإشارة إلى استواء سفينة نوح على «جبل الجودي» لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي والأثري في كتاب الله سوف نناقشها بعد ذلك.

ثم يأتي أمر الله: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّعُهُمْ ثُمَّ يُمَسِّحُهُمْنَا بِعَذَابٍ آَلِيمٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: 48].

وفي هذا النص من لمحات الإعجاز الإنبائي والعلمي ما لا نجد له نظيراً في «العهد القديم». والنص يقول لنوح ﷺ: اهبط من السفينة بسلامة وأمن من الله - تعالى -، وبما أفاء عليك وعلى من معك من الخيرات، وبما قدر من الخير على بعض ذرياتهم المؤمنة، وأما ذرياتهم المشركة أو الكافرة فسوف يمتنعهم الله متاع الحياة الدنيا، ثم يذيقهم العذاب الأليم في الآخرة. وقوانين الوراثة تؤكد أن البلايين من البشر الذين عمروا الأرض من بعد طوفان نوح إلى اليوم، كانوا كلهم من نسل عبد الله ونبيه نوحاً، ونسل الذين نجوا معه في السفينة. والتاريخ يؤكد أن

هذه الأمم تأرجحت بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك ولا تزال تتأرجح بين هذه المعايير إلى اليوم، وسوف تستمر كذلك إلى قيام الساعة.

وعلى الرغم من ضخامة حدث «طوفان نوح»، وعلى ضرورة بقائه عالماً في الأذهان، ولو من قبيل التراث الشعبي الذي يحمله الناس شفاهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، إلا أن أهل الأرض جميعاً - في زمن الوحي المحمدي، بعد آلاف السنين من طوفان نوح ﷺ وكان منهم العرب في زمن الجاهلية - كانوا في جملتهم قد فقدوا الصلة تماماً بوحي السماء، وشاع بينهم العديد من صور الكفر والشرك والضلال، حتى نسوا تاريخهم القديم، وامتلأت حياتهم بالخرافات والأساطير.

من هنا يأتي ذكر عبد الله ونبية نوحاً ﷺ في ثلاثة وأربعين موضعاً من كتاب الله، كما تأتي تفاصيل قصته مع عصاة قومه حتى تم القضاء عليهم بالطوفان في عشرات من الآيات التي جاءت في ثمان وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وتأتي تسمية إحدى سور هذا الكتاب العزيز باسم عبد الله ونبية نوحاً ﷺ (وهي السورة الحادية والسبعون في ترتيب سور المصحف الشريف)، يأتي ذلك كله وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله. وتأكيداً على ذلك فإن الله - تعالى - يوجه الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ [هود: 49].

ثم تأتي الكشوف الأثرية مؤخراً لتثبت صدق كل خبر جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك واقعة طوفان نوح، واستواء سفينته على جبل الجودي، وحفظ بقاياها في رسوبيات للماء العذب على سفح هذا الجبل حتى تبقى شاهدة لأهل عصرنا بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن سيدنا محمداً ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض، وأنه ما كان ينطق عن الهوى بل عن وحي يوحى إليه من عند رب العالمين.

ففي منتصف شهر مايو من سنة 1948 اكتشف أحد رعاة الغنم الأتراك [وكان اسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan)] بقايا خشبية على سفح جبل الجودي (Mount Judi or Cudi Dagh) مطمورة في طبقة من الرسوبيات، وعلى إثر هذا الاكتشاف تتابعت دراسات الموقع بدءاً من سنة (1953) إلى وقتنا الراهن، وتم إصدار العديد من النشرات عنه من أمثال أعمال كل من مارتن روي (Martin Wroe, 1994)، تشارليس ويليس (Charles Willis, 1980) وجون وارويك مونتجومري (John Warwick Montegomry) في السبعينيات من القرن العشرين، التي أثبتت جميعها أن هذه البقايا الخشبية هي بقايا سفينة نوح ﷺ.

وعلى الرغم من هذا الاكتشاف، ومن إخبار القرآن الكريم برسو السفينة على جبل الجودي، ومن وجود بعض الكتابات التاريخية القديمة التي تم اكتشافها أخيراً، والتي تسجل رسو سفينة نوح فوق جبل الجودي وذلك من مثل كتابات كل من بيراسوس (Berasus) وهو من كهان الحضارة البابلية، وأبيدينوس (Abydenus) أحد تلامذة سقراط، وهو من رموز الحضار اليونانية القديمة، فقد ظلت محاولات الغربيين مستميتة في إثبات رسو سفينة نوح على «جبل أرارات» (أراراط أو غري داج). وقد ظلّ الحال كذلك حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس بتاريخ 25/3/2005 في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأنباء (The Interfax News Agency) أنه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على «جبل أرارات»، وأنّ جميع العينات الصخرية التي درست من هذا الجبل تؤكد ذلك، وقد أعلن هذه النتائج فادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborov) الذي أوفد مجموعة العلماء تلك للقيام بدراسة جبل أرارات.

15 - ﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود: 42].

هذه الآية القرآنية الكريمة تحوي عدداً من الحقائق الغيبية التي تشهد للقرآن الكريم بالإعجاز الإنبائي، وبأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك لتناسقها مع الآيات السابقة عليها واللاحقة بها، ولاحتوائها على عدد من الأخبار التي تفردت بها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾:

هذا النص القرآني الكريم يشير إلى وقوع عدد من الهزات الأرضية العنيفة التي حركت أمواج طوفان نوح مغرقة الكافرين من قومه. وكانت هذه الأمواج على هيئة جبال من الماء المتلاطم الأمواج ذات القمم السامقة، التي حملت سفينة نوح حتى أرسنها فوق أحد سفوح «جبل الجودي» الذي يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، ولذلك قال - تعالى -:

﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42] وهذا الوصف القرآني المعجز يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله، وذلك لأن الآيات السابقة مباشرة في نفس السورة أشارت إلى ثورة بركان عظيم سمته الآيات بكنية «التور» قائلة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...﴾ [هود: 40].

واندفعت الأبخرة والغازات من فوهة هذا البركان الثائر لتوفر كمًا هائلاً من بخار الماء الذي تكثف في طبقات الجو العليا الباردة من نطاق المناخ ثم عاد إلى الأرض مطراً هائلاً، يجري على سطحها سيولاً جارفة، تحركها الهزات الأرضية في موجات مد عنيفة، غير عادية، ومتكررة تشبه موجات المد البحري التي تحدث نتيجة للهزات الأرضية تحت قيعان المحيطات في أيامنا هذه، والتي تعرف بالاسم

الياباني تسونامي (Tsunami). وموجات المدّ العنيفة تلك كانت تتحرك وسط مياه طوفان نوح في موج كالجبال هو الذي حمل سفينة نوح وأرساها فوق أحد سفوح «جبل الجودي»، لتحفظ بإذن الله حتى يتم الكشف عنها فتكون إحدى آلاف الوثائق التي تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين.

وقد ثبت ذلك اكتشاف بقايا سفينة نوح ﷺ في منتصف شهر مايو سنة 1948م بواسطة أحد رعاة الغنم الأتراك فوق «جبل الجودي» وهو واحد من أعلى القمم الجبلية في سلسلة جبال جنوب تركيا على الحدود الفاصلة بين تلك الدولة وكل من سوريا والعراق. وتتابع دراسة الموقع بدءاً من سنة 1953م وحتى اليوم مما أكد حقيقة أنها بقايا سفينة نوح، وقد زاد من هذا التحقيق أن بقايا تلك السفينة وجدت مطمورة في كم من رسوبيات المياه العذبة كما أوضحت دراسات كل من «جون وارويك مونتمجيري» في السبعينات من القرن العشرين (John Warwick Montgomery, 1970)، و«تشارلس ويلليس» في سنة 1980م (Charles Willis, 1980) و«مارتن روي» في سنة 1994م (Martin Wroe, 1994) ولذلك قال - تعالى -:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءَ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَأَسْوَتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

[هود: 44].

وقد زاد من هذا التأكيد أن الرسوبيات المتجمعة من مياه الطوفان وجدت منتشرة بين نهري دجلة والفرات من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي بسمك يتراوح بين (8) و(11) قدماً، وهي خالية من الآثار الإنسية، وتغمر آثاراً لقرى قديمة يعتقد بأنها قرى قوم نوح. وقد استمر التنقيب عن تلك الآثار من سنة 1854م إلى سنة 1932م، وثبت أن رسوبيات الماء العذب هذه والخالية من أية آثار إنسية تعلوها رسوبيات غنية ببقايا عدد من الحضارات القديمة التي تتراوح أعمارها بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد (Woolley, Sir Charles Leonard, 1934). وبالفحص المجهرى للعينات

التي أخذت من طبقة الغرين الخالية من الآثار البشرية في منطقة مدينة «أور» اتضح أنها تتكون من مواد جرفتها المياه العذبة على هيئة طوفان عظيم على منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات إلى حدود سلسلتي الجبال المحيطة بهما شرقاً وغرباً. وقد وجدت رسوبيات مشابهة لتتابعات منطقة «أور» في أربعة مواقع على الأقل بسهولة ما بين النهرين، كما وجدت في أحد كهوف شمال العراق ويعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave). وقد تفرد القرآن الكريم بالإشارة إلى أن مصدر مياه الطوفان كانت ثورة البراكين المصاحبة بالهزات الأرضية العنيفة مما ساعد على رفع سفينة نوح إلى سفح جبل «الجودي» وجعل من هذا النص القرآني وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله.

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿... وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [42].

نجد أن القرآن الكريم قد تفرد بإيراد هذا الموقف من قصة نوح ﷺ، فلا يوجد لها نظير في «العهد القديم». والهدف من إيراد هذا الموقف الغريب هو التأكيد على حقيقة أن روابط بني آدم ليست مقصورة على رابطة الدم والنسب، أو رابطة الأرض والوطن، أو رابطة العشيرة والقبيلة، بل يسمو المسلم فوق ذلك كله برابطة الإيمان والعقيدة التي يجب أن تعلق على كل ما سواها من روابط. وتروي الآيات في سورة «هود» هذا الموقف بقول ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَمِيمًا ۖ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [41] وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [42] قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [43] وَقِيلَ يَتَّزِلُ أَلْبَىٰ مَاءُكَ وَيَسْمَأُ أَفْلَىٰ وَيَعْصِ الْمَاءُ وَفِي الْأَمْرِ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [44].

[هود: 41 - 44].

وقيل أن ابن نوح هذا كان كافراً أو منافقاً، ولذلك كان في معزل عن أبيه، وعن الذين آمنوا مع هذا النبي الكريم. انعزل عنهم عزلة مادية بوجوده خارج السفينة، وعزلة معنوية بخروجه على دعوة أبيه، والتحاقه بالمشركين من معارضي الدين الذي أنزله الله - تعالى - على أبيه، ولذلك قال هذا الابن العاق لأبيه: ﴿سَأَوِّى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ أي سوف أُلجأ إلى جبل يحميني بارتفاعه من وصول الماء إليّ، ويرد الأب المكلم بفقد ابنه على الفور قائلاً:

﴿... لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

[هود: 43].

وهذه الآيات بالإضافة إلى كونها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، فإنها تبقى كذلك وجهاً من أوجه الإعجاز التربوي في هذا الكتاب العزيز، والتربية هي إحدى أهداف القصص القرآني إن لم تكن هدفه الرئيس. ولذلك جاءت هذه الواقعة مؤكدة أنه ليس بالضرورة أن يكون الابن على منوال أبيه، حتى لو كان هذا الأب نبياً مرسلًا، كما جاءت مؤكدة مسؤولية كل فرد من بني آدم عن أعماله، «فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»!!! وجاءت الآيات كذلك مؤكدة على حقيقة أن أساس الرابطة بين بني آدم هي رابطة العقيدة الصحيحة، التي يجب أن تتجاوز روابط العرق والدم، وروابط اللغة واللون، وروابط الأرض والوطن، وروابط العشيرة والنسب، وغيرها من الروابط القائمة على أساس من المصالح الدنيوية الفانية. وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتُوخُ أَهِيْطُ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ وَمَنْ مَعَهُ وَأُمَّمٌ سَنَمْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

[هود: 45 - 48].

والآية الأخيرة [هود: 48] تأمر النبي نوحاً بالهبوط من السفينة بسلام وأمن من الله - تعالى - وبما أفاء الله عليه وعلى الناجين معه من خير، وبما كان قد قدر في علمه القديم من الخير لذراريهم المؤمنة. وأما ما خرج من أصلابهم من الكفار والمشركين فقد قدر الله - تعالى - أن يمتعهم في الدنيا ثم يوفيهم حسابهم في الآخرة. وقوانين الوراثة تؤكد تحقق ذلك بتفاصيله، وهو وجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في قصة سيدنا نوح كما أوردها القرآن الكريم.

ويختتم هذا المقطع من قصة سيدنا نوح ﷺ بتوجيه الحق - تبارك وتعالى - الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ [49]

[هود: 49].

وهذه الآية الكريمة صريحة في التأكيد على أن أيًا من رسول الله ﷺ وقومه من أهل مكة لم تكن لديهم هذه المعلومات عن طوفان نوح، ومن هنا فإن الإخبار بها يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لم يرد لها ذكر في «العهد القديم». هذا بالإضافة إلى الدروس التربوية العديدة التي يمكن الاستفادة بها في تربية ناشئة المسلمين عند استعراض المواقف المتتالية في ذكر هذا النبي والرسول الصالح الذي جاهد جهاداً طويلاً في إصلاح قومه، وفي تبليغهم رسالة التوحيد والتي مؤداها: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

ومن قبيل التَّخْفِيفِ عن رسول الله ﷺ في مواجهة كفر الكافرين، وشرك المشركين المكذِّبين بالدين الحق، أشارت الآيات في سورة «الفرقان» إلى عدد من أنبياء الله - تعالى - وإلى تفاعل أقوامهم معهم سلباً وإيجاباً، وإلى جزاء كل منهم على موقفه، ومنهم أقوام كل من أنبياء الله موسى وهارون، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وأقوام غيرهم من أنبياء الله الذين أهلكهم الله بذنوبهم ودمر ديارهم تدميراً وفي ذلك تقول الآية: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [37].

[الفرقان: 37].

وجاءت الإشارة إلى طوفان نوح في العديد من الأسفار القديمة من مثل كتب كل من اليهود، والمجوس، والآثار البابلية القديمة، وكتب العقائد اليونانية القديمة وغيرها، حتى لا تكاد تخلو أدبيات أي من الحضارات الإنسانية من ذكر لواقعة الطوفان. ولكن الفارق بين تلك الروايات القديمة وما جاء به القرآن الكريم هو الفارق بين كلام البشر وبيان رب العالمين. وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما جاء في «الإصحاح الثاني» من «سفر التكوين» في «العهد القديم» من أن الطوفان قد عمَّ كلَّ الأرض، والدراسات العلمية تؤكد أنه كان سيلاً عظيماً أغرق المنطقة بين نهري دجلة والفرات فقط، من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي.

كذلك أشار «سفر التكوين» إلى أن سفينة نوح رست فوق «جبل أراط»، بينما يؤكد القرآن الكريم رسوها على «جبل الجودي» وقد اكتشفت بقايا السفينة فعلاً فوق هذا الجبل الذي يقع على مسافة 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبل أراط.

ويذكر «سفر التكوين» أن الطوفان قد علا الأرض كلها بارتفاع (15) ذراعاً، ونتيجة لذلك أبيدت كل صور الحياة من إنسان ووحش وطيور ودبابات على وجه الأرض بالكامل، بينما يؤكد القرآن الكريم أن الطوفان كان محدوداً بحدود أرض قوم نوح، وتؤكد الدراسات العلمية أن أكثر من مليون ونصف المليون نوع من مختلف أنواع الحياة التي لا تزال تعمر الأرض لم تتعرض لهذه الإبادة الجماعية.

ومن غريب القول أن يذكر «العهد القديم» أن سفينة نوح كانت تضاء بغير الشمس والقمر لأنهما كانا قد استراحا!! وهو ما ينفيه العلم تماماً، كما يذكر أسباباً لهلاك قوم نوح لا يقبلها المنطق السوي. ومن هنا لا يمكن للقرآن الكريم الذي وصف طوفان نوح بتفاصيله الدقيقة أن يكون قد استقى هذه الواقعة من أي من تلك الكتب القديمة التي ملئت بالأساطير الموضوعية، والخرافات المبتدعة!!.

ومن ملامح الدقة القرآنية في وصف الطوفان أنه كان ناجماً عن تفجر مكان

المياه الأرضية، في منطقة قوم نوح، وعن اندفاع كميات مهولة من بخار الماء إلى جو الأرض عبر فوهات بركان عظيم، وعن هطول الأمطار بمعدلات غير عادية. وتشير الآيات إلى مصاحبة ثورة ذلك البركان العظيم بهزات أرضية عنيفة أدت إلى حدوث موجات مد غير عادية ومتكررة في مياه الطوفان تشبه موجات المد الناتجة عن الزلازل العنيفة التي تحدث في قيعان المحيطات اليوم والتي تعرف بالتعبير الياباني تسونامي (Tsunami). ويبدو أن أمواج ذلك المد المائي الهائلة والتي يصفها القرآن الكريم بتعبير ﴿وَهُوَ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾ هي التي رفعت سفينة نوح إلى أحد سفوح «جبل الجودي» الذي يزيد ارتفاعه عن سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر.

وفي سنة 1854م بدأت أعمال البحث عن طوفان نوح بالحفر في منطقة مدينة «أور» في جنوب العراق على رأس الخليج العربي، ثم تجددت في الفترة من 1920م إلى 1932م بواسطة بعثة مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية تحت قيادة «تشارلس ليونارد وولي» الذي نشر نتائج البحث في سنة 1934م في مجلدين تحت عنوان «أور الكلدانية والمقبرة الملكية»: (Woolley, Sir: Charles Leonard (1934): «Ur of the Chalidees, and the Royal Cemetery»; in 2 vols.)

وفي هذا البحث عثرت البعثة على طبقة من الطين الجاف في تل العبيد شمال مدينة «أور» يبلغ سمكها (3) أقدام تعود إلى العصر الحجري، وتحتوي على أدوات صوانية، وأوانٍ فخارية، وبقايا من المرو والزجاج البركاني الأسود (Obsidian). كذلك تم العثور على ستة عشر قبراً من القبور الملكية، ووجدت بها أدوات زينة، وأحجار كريمة، وحلى ذهبية، وأوانٍ فخارية متقنة الصنع. وتحت مستوى هذه القبور وجدت طبقة اختلط فيها مع الغرين العديد من النفايات البشرية، وقطع الآجر، والرماد البركاني، والأواني الفخارية المهشمة. وتحت هذه الطبقات زالت فجأة كل آثار للبقايا الإنسية، وظهرت طبقة من الغرين لا أثر فيها للإنسان، وهذه الطبقة يتراوح سمكها بين (8) و(11) قدماً، وقد ترسبت من وسط مائي

عذب، فترجح لدارسي الموقع أن هذه الطبقة الغرينية الخالية من أية آثار بشرية تمثل فترة طوفان نوح، خاصة أنه قد وجد أسفل منها آثار عديدة للقوم الذين كان الطوفان قد جاء لإغراقهم، ومنها بقايا قراهم المدمرة.

ومن الفحص المجهري للعينات التي أخذت من طبقة الغرين الخالية من الآثار البشرية اتضح أنها تتكون من مواد جرفتھا المياه من نهر الفرات على هيئة فيضان عظيم يقدر أنه قد بلغ حوالي (25) قدماً في الارتفاع على أقل تقدير. واستقر رأي «السير وولى» على أن هذا الطوفان لم يشمل الأرض كلها كما يذكر «العهد القديم»، ولكنه كان سيلاً مغرقاً طغى على المنطقة ما بين النهرين (دجلة والفرات)، وأغرق المنطقة ما بين الجبال المحيطة بهما شرقاً وغرباً، ومن جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي.

وفي أربعة مواقع - على الأقل - في منطقة ما بين النهرين وجدت رسوبيات مشابهة لتتابعات منطقة «أور»، كما وجدت هذه التتابعات في أحد كهوف شمال العراق ويعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave).

وتتكون هذه التتابعات من رسوبيات للمياه العذبة يقدر عمرها بحوالي مائة ألف سنة مضت، وتحوي بقايا إنسية قام بدراستها الدكتور رالف سولسكي (Dr. Ralph Solecki). وهذه الآثار تثبت واقعة الإغراق بمياه الطوفان العذبة كما سجل القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة، بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا أَرْسِلْ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 37]، وهذه الإشارة تعتبر من معجزات القرآن التاريخية والإنبائية.

(أ) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾:

انطلاقاً مما جاء في «سفر التكوين» أن سفينة نوح رست على «جبل أراراط» في أقصى الشمال الشرقي من تركيا (على الحدود مع أرمينيا) بذل علماء الآثار

جهوداً مضنية للبحث عن أثر للسفينة على هذا الجبل دون جدوى، ثم أثبتت إحدى البعثات العلمية الروسية في سنة 2005م استحالة بقاء أي أثر للسفينة على «جبل أراراط» نظراً لكونه جبلاً بركانياً نشطاً، ولانفجار بركان فيه في سنة (1840م)، وأن ما ظنّه بعض المتوهّمين أخشاباً من بقايا السفينة لم يكن سوى بقايا نباتية متحجرة بفعل النشاط البركاني بالمنطقة، الذي كان حتماً يقضى على أية بقايا خشبية عليّة.

وقبل ذلك بربع قرن (أي في سنة 1980م) فاجأ الدكتور تشارلس ويلليس (Dr. Charles Willis) العالم بإعلانه أن البقايا الخشبية التي كان أحد الرعاة الأتراك قد اكتشفها من قبل في سنة 1948م على أحد سفوح جبل الجودي تمثل بقايا سفينة نوح مطمورة في رسوبيات للمياه العذبة. ويقع هذا الجبل على الحدود التركية مع كلٍّ من العراق وسوريا على بعد (250) ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أراراط».

ثم تأكد هذا الكشف بواسطة إحدى البعثات العلمية الأمريكية التي قادها رون وايت (Ron White) الذي قام بتصوير طبعة السفينة كاملة وهي محفوظة في رسوبيات للمياه العذبة، وبجوارها بعض الألواح الخشبية المتحجرة وعدة نقالات (Pallets)، ومرساة السفينة، وبعض المسامير المعدنية (الدرس) المكونة من سبيكة من عدد من الفلزات. وقد أعلنت نتائج هذا الكشف في سنة (2005م) بعد عمل استمر لقرابة ثلاثين عاماً.

ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ [الفرقان: 37] وأكد ذلك في مقام آخر بقوله العزيز: ﴿فَأَجْنِبْنَاهُ وَاصْحَبْ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٥]. [العنكبوت: 15].

وكذلك قال في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا

الْأَرْضَ عِيُونًا فَالْنَفَى الْمَاءَ عَلَيَّ أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْتُهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ [القمر: 9 - 17].

وكما سبق أن أشرنا إلى أن قصة الطوفان جاءت في العديد من مدونات الأمم السابقة، سواء ما كانت له علاقة بالمعتقدات أو بالتراث الشعبي وهنا تتضح ومضة كل من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾، وفي قوله - عز من قائل -: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾﴾.

(ب) في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

الواضح من هذا النص القرآني الكريم أن المقصود بوصف (الظالمين) هم المشركون من قوم نوح، ومن تابعهم على الشرك بالله إلى يومنا هذا وحتى يوم الدين، ولكن النص يحتمل كذلك أن يشمل المكذبين بهذه الواقعة التاريخية الكبيرة، وما أكثرهم، خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه، وما أجراهم على الله ورسوله!!

فعلى الرغم مما تم إعلانه من كشوف إلا أن كثيراً من العلماء المعاصرين لا يزالون ينفون حادثة الطوفان، أو محاولين ردها إلى أحداث طبيعية لا علاقة لها بالعقاب الإلهي للعاصيين من العباد. ومن هؤلاء المكابرين اثنان من علماء البحار الأمريكيين هما: «وليام ريان»، وزميله «والتر بتمان» اللذان اندفعا إلى نفي واقعة الطوفان بالكامل، وردها إلى حدث من الأحداث الأرضية المتكررة وذلك في كتاب لهما بالعنوان التالي:

William Ryan & Walter Pitman 1998: «Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event That Changed History»; Simon & Schuster, New York, N.Y. 10020.

وقد حاول هذان العالمان نفي قصة طوفان نوح من أساسها انطلاقاً من دراسة قاما بها حول البحر الأسود. وقد أثبتنا في هذه الدراسة أن فيضانات حدث

من قبل (7600) سنة بسبب التغيرات المناخية السريعة التي أدت إلى انخفاض منسوب المياه في البحر الأبيض المتوسط حتى جف بالكامل، وتحول قاعه إلى صحراء جرداء. ثم ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات فجأة فاندفع الماء من المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق ليملاً حوض البحر الأبيض المتوسط بالماء من جديد، وكان ذلك قبل خمسة ملايين من السنين. ومنذ (7600) سنة تكرر ارتفاع منسوب المياه في جميع بحار ومحيطات الأرض، وكان منها البحر الأبيض المتوسط الذي وصل منسوب الماء فيه إلى مستوى وادي البوسفور فاندفع منه الماء المالح بتدفق شديد ليغمر موقع البحر الأسود، وكان من قبل بحيرة عذبة الماء، محاطة بالمروج والمزارع الخضراء العامرة بالسكان فدمر الطوفان كل ما اعترض طريقه من منشآت وأحياء، فمات من مات وهلك من هلك، وهاجر من نجا من هذه الكارثة، ثم تصحرت المنطقة بالكامل مرة أخرى من جديد.

وهذه الدورات المناخية تختلف اختلافاً كاملاً عن المعجزات الإلهية التي تتم بأمر من الله - تعالى - بـ «كُنْ فَيَكُونُ». إلا أن هذه الرؤية القاصرة عند هذين الكاتبين قد أكدتها المبالغة في المادية المفرطة، ورفض الدين انطلاقاً من الأخطاء الكثيرة التي أوردتها رواية «العهد القديم» عن واقعة طوفان نوح، ولكن عدداً من الألواح الصلصالية التي كانت قد اكتشفت في خربة نينوي من قبل أكثر من قرن من الزمان تحمل أخباراً مكتوبة عن فيضانات مشابهة أقدم من هذا الفيضان المذكور بكثير من الزمن، ولعلها تشير إلى طوفان نوح.

وتبقى رواية القرآن الكريم عن هذا الطوفان (طوفان نوح) هي أدق الروايات وأحكمها بياناً، ونظماً، وهداية، وتربية، وعلماً من جميع الروايات التي تعرضت لهذا الأمر.

16 - ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءِ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: 44].

في هذه الآية الكريمة عدد من الدلالات العلمية والإنبائية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

(أ) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: 44]:

وفي هذا النص القرآني الكريم نُسِبَ الماء إلى الأرض، وأرضنا هي أغنى الكواكب المعروفة لنا بالماء الذي تقدر كميته عليها بحوالي 1,400 مليون كيلومتر مكعب، ولذلك سميت الأرض باسم الكوكب المائي أو الكوكب الأزرق.

وقد احتار العلماء منذ القدم في تفسير مصدر هذه الكمية الهائلة من الماء، والتي بدونها لم يكن ممكناً للحياة التي نعرفها أن توجد على الأرض. وقد وضعت فروض ونظريات عديدة من أجل تفسير أصل ماء الأرض. ومن ذلك كانت فرضية اصطدام المذنبات بالأرض، والتي ظلت سائدة لفترة طويلة، ثم انهارت كما انهار غيرها من الفروض والنظريات. وكان ذلك باكتشاف علماء البراكين أن أكثر من 70% مما يتصاعد من فوهات بعض البراكين من أبخرة وغازات يتكوّن من بخار الماء. وبحسبة رياضية بسيطة لعدد فوهات البراكين على سطح الأرض، ومعدّل ثورة كلّ منها، ومتوسط ما يتصاعد من بخار الماء في كلّ ثورة وصل العلماء إلى نفس كمية الماء المتجمّعة على سطح الأرض وفي صخور ورسوبيات قشرتها، وفي الغلاف الغازي المحيط بها (أي حوالي 1,400 مليون كيلومتر مكعب)، وبذلك ثبت أن كل ماء الأرض قد أخرجه ربّنا تبارك وتعالى أصلاً من داخل الأرض وفي ذلك قال عزّ من قائل: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: 30، 31].

وتحدّث القرآن الكريم عن دورة الماء حول الأرض في آيات أخرى عديدة، منها

نسبة الماء إلى الأرض في الآية الرابعة والأربعين من سورة «هود» وهو سبق قرآني واضح حيث لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفة ذلك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. وفي هذا النص القرآني كذلك إشارة إلى اشتراك عيون الأرض المتفجرة في إحداث طوفان نوح ﷺ وهو ما يؤكده القرآن الكريم بقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ۙ ٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۙ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ۙ ١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۙ ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۙ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ۙ ١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ۙ ١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُدِّرُ ۙ ١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ۙ ١٧﴾ [القمر: 9 - 17].

(ب) في قوله تعالى: ﴿وَنَسَمَاءَ أَقْلِي﴾ [هود: 44]:

يؤكد هذا النص القرآني الكريم أن طوفان نوح ﷺ كان بالماء العذب، تمييزاً له عن العديد من صور الطغيان البحري الذي تعرضت له الأرض عبر تاريخها الطويل. وعلى الرغم من ذلك يأتي اثنان من علماء فيزياء الأرض وعلوم البحار الأمريكيين في سنة 1998م وهما وليام ريان، ووالتر بتمان ليجزما بأن الطوفان كان بماء البحر، وذلك في كتابهما المعنون «طوفان نوح: الاكتشافات العلمية الجديدة عن الحدث الذي غير مجرى التاريخ»، ويؤكد هذان العالمان أن ما وصفاه من طوفان بحري فوق بحيرة من الماء العذب كان حدثاً طبيعياً لا علاقة له بما جاء من أخبار قوم نوح ﷺ.

William Ryan, & Walter Pitman (1998):

«Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event that Changed The History»; Simon Schuster, NewYork, NY 10020.

وفي هذا المؤلف الذي ناقشناه من قبل يذكر الكاتبان أن هذا الحدث قد تم قبل 7600 سنة حين أدى ارتفاع منسوب الماء في البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادي البوسفور ليدمر كل شيء مرّ به، ويؤدي إلى عدد من الهجرات البشرية الكبيرة. ولكن اكتشاف بقايا سفينة نوح ﷺ على سفح «جبل الجودي»، مطمورة وسط طبقات من رسوبيات الماء

العذب التي تمتد من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي، مروراً بالمساحة الهائلة من أرض ما بين النهرين (دجلة والفرات)، ينفي مزاعم الكاتيبين الأمريكيين أن ما ذكروه من طوفان بحري له علاقة بطوفان نوح، ويؤكد دقة الوصف القرآني لواقعة الطوفان وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة.

(ج) في قوله تعالى: ﴿وَعِصَ الْأَمَّةَ وَقُصِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: 44]:

في اللغة العربية يقال: (غاض) الماء أي: غار في الأرض حتى قلّ ونضب، و(انغاض) الماء مثله، و﴿وَعِصَ الْأَمَّةَ﴾ أي: فَعِلَ به ذلك بمعنى (غاضه) أو (أغاضه) الله تعالى، و(الغيضة) هي الأجمة بمعنى مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، والجمع (غياض) و(أغياض). وفي هذا النصّ القرآني إشارة واضحة إلى انحسار الماء عن اليابسة بابتلاع الأرض لجزء منه ولفيض الباقي إلى منخفضات الأرض، بينما تذكر الترجمة العربية لـ«سفر التكوين» ما نصّه: «وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه..» ولست أدري ما علاقة الريح بانحسار الماء عن الأرض!! وهنا يثار سؤال هام مؤداه: هل عمّ طوفان نوح جميع الكرة الأرضية، أم كان محدوداً بالمنطقة التي سكنها قوم نوح؟ وهذه المنطقة يجمع الأثريون والمؤرخون على كونها المنطقة الممتدة من جبال جنوب تركيا إلى ما بين نهري دجلة والفرات والسهول المنبسطة من حولهما إلى حدود المرتفعات التي تحدها. وكل من اليهود والنصارى يؤمنون بعالمية الطوفان (سفر التكوين: 19/7 - 24؛ 1/8 - 14). والمنطق يناهض بمحدوديته بأرض قوم نوح حيث كان استقرار جميع بني آدم، ثم تفرق أبناء الناجين من الطوفان بعد ذلك إلى مختلف مناطق الأرض.

وطوفان نوح ﷺ كان من معجزات هذا النبي، والأصل في المعجزات أنّها لا تعلق لأنّها خوارق للسنن، والذي يخرق السنن لا تستطيع السنن تفسيره، من هنا فإن التوقف عند حدود ما جاء في كتاب الله تعالى من معجزات، (ومنها معجزة طوفان نوح) يصبح واجباً على المؤمنين من العباد أن يؤمنوا بها، دون الخوض في التفاصيل التي لا طائل من ورائها، وذلك من مثل ما جاء في سفر

التكوين (الإصحاح السادس إلى التاسع). ففي الإصحاح السابع من هذا السفر جاء ما قراءته: «وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض، وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض. وتعاضمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض، فكان الفلك يسير على وجه المياه، وتعاضمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. خمس عشر ذراعاً في الارتفاع تعاضمت المياه، فتغطت الجبال». وأنا أعجب كيف أمكن لخمس عشرة ذراعاً من الماء أن تغطي جميع الجبال الشامخة!!؟ أو كيف ارتفعت المياه حتى غطت قمم الجبال الشامخة بمقدار خمسة عشر ذراعاً!!؟.

أمّا ما جاء في النصّ القرآني الذي نحن بصدده فيوحي بأن عدداً من الهزّات الأرضية العنيفة قد رافقت ثورة البركان العظيم (التنور)، فأحدثت أعداداً من الموجات المائية العنيفة والمتتابعة والتي تشبه تحرك أمواج المحيط الذي تحدث في قاعه هزة أرضية عنيفة تحدث أمواج المدّ البحري المدمرة والتي تعرف اليوم بالوصف الياباني تسونامي (Tsunami).

وبعد إغراق الكافرين من قوم نوح أمر الله - تعالى - كلاً من الزلازل والبراكين وأمواج المدّ المائي بالتوقف، كما أمر كلاً من مياه الأمطار وعيون الأرض بالتوقف كذلك، وأمر بابتلاع الأرض لجزء من مياه الطوفان، وتسرب الباقي إلى منخفضات الأرض بعد أن حقق الطوفان الغاية منه وهي القضاء على كفّار ومشركي قوم نوح، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُصِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: 44].

(د) في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: 44].

في هذا النصّ القرآني الكريم تأكيد على أنّ سفينة نوح ﷺ استقرت على جبل اسمه «الجودي»، وهذا الجبل يقع حقيقة في جنوب شرقي تركيا إلى الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر (على ضفاف نهر دجلة) بالقرب من الحدود التركية/العراقية/السورية، وإلى الشمال من مدينة الموصل. وقد أثبتت الدراسات الأثرية التي استعرضنا طرفاً منها من قبل صحة ذلك ودقته.

ففي منتصف شهر مايو من سنة 1948م اكتشف أحد رعاة الغنم من الأكراد واسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan) بقايا من أخشاب سفينة نوح ﷺ مطمورة في كم من الرسوبيات في قمة جبل «الجودي». وتتابع دراسات الموقع بعد ذلك في السنوات 1953، 1959م، 1980م، 1987م، 1994م، وظلّت تتتابع إلى يومنا هذا. كذلك وجد سُكُّ هائل من رسوبيات المياه العذبة في سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتي كانت مهذاً لعدد من الحضارات القديمة التي تمّ اكتشاف بعضها، والتي يتراوح عمرها بين ثلاثة وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد. ومن المرجح أن تكون هذه الرسوبيات تالية لرسوبيات الطوفان التي وجدت أسفل منها، ووجدت خالية من الآثار الإنسية وغامرة لحضارات سابقة وذلك لانتشارها الأفقي على مساحات شاسعة من الأرض. ولسُمِّكها الذي يزيد على عشرة أقدام، ولطمرها للعديد من القرى القديمة التي استمر التنقيب عنها في الفترة من 1922م إلى 1934م، وتتابع هذا التنقيب عن تلك الحضارات القديمة متقطعاً بعد ذلك إلى اليوم. وقد تأكّدت هذه الاستنتاجات بدراسة الرسوبيات المتجمعة في أحد كهوف شمال العراق والمعروف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave)، ويرجع عمر الرسوبيات فيه إلى حوالي مائة ألف سنة مضت، وتحوي رسوبياته عدداً من البقايا الإنسيّة التي قام بدراستها دكتور رالف سولسكي (Ralph S. Solecki) من معهد سمشونيان بالولايات المتحدة الأمريكية.

هذا مع العلم بأنّ الترجمة العربية للإصحاح الثامن من «سفر التكوين» تذكر ما يلي: (واستقرّ الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل «أراراط» وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أوّل الشهر ظهرت رؤوس الجبال). ولكن العديد من الروايات التاريخية القديمة التي تمّ اكتشافها مؤخراً تشير إلى رُسُو سفينة نوح ﷺ فوق «جبل الجودي»، وذلك من مثل كتابات كل من بيراسوس (Berasus) من كهان الحضارة البابلية، وأبيدنوس (Abydenus) من تلامذة سقراط، ومن رموز الحضارة اليونانية القديمة. وعلى الرّغم

من ذلك ظلت محاولات كل من اليهود والنصارى مستميتة في إثبات رُسُو سفينة نوح على «جبل أراط» دفاعاً عما جاء في «عهدهم القديم». وظل الحال كذلك حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس في يوم الجمعة الموافق 2005/3/25م في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأخبار (The Interfax News Agency) أنه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على «جبال أراط». وأنَّ جميع العينات التي درست تؤكِّد ذلك. كما أكَّده دراسات فادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborv) مدير مركز كوزموبويسك للأبحاث العلميَّة (Cosmopoisik Center For Scientific Research) الذي أوفد مجموعة العلماء هذه للقيام بتلك الدراسة، وقاد المؤتمر الصحفي المشار إليه قائلاً: بعد الثورة البركانية التي وقعت في «جبل أراط» سنة 1840م فإنَّ كل شيء في هذا الجبل قد تمزَّق بما في ذلك الكتل النباتية المتحجرة (والتي ظنَّها نفر من السابقين خطأً على أنها قد تكون من بقايا سفينة نوح، ومن هنا فلا يمكن القول بأية إكمانية لوجود بقايا محفوظة لتلك السفينة فوق «جبال أراط». وقد قامت هذه المجموعة العلميَّة بدراسة «جبل أراط» في خريف سنة 2004م وعادت بالكثير من أشرطة الفيديو والعينات الصخرية (من مثل النباتات المتحجرة، وكتل الصخور التي شكلتها عوامل التعرية على هيئة مصنعة أو شبه مصنعة) وأثبتت دراسة ذلك أنها من فعل النشاط البركاني، ولا علاقة لها بسفينة عبد الله ونبية نوح ﷺ التي ثبت رسوها على «جبل الجودي».

(ه) في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: 44].

هذا النصّ القرآني الكريم يوحي بأنَّه بالقضاء على كفار ومشركي قوم نوح فإنَّ الله تعالى قد عافى البشريَّة من أشر شرار بني آدم. وهؤلاء لو قدرت لهم النجاة لأفسدوا في الأرض إفساداً عظيماً، ولتبعثهم في هذا الإفساد ذراريهم. لذلك اجتث الله ﷻ شأفتهم بالطوفان لعلمه بهم وبما يحملون في أصلابهم من ذراري، ولذلك قال موجهاً الخطاب إليهم: ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: 44]. وبذلك هلك شطر من مخزون الوراثة الذي كان في صلب أينا آدم ﷺ ووصل إلى

أصلا ب قوم نوح، وقد تم ذلك أثناء طوفان نوح، وقوانين الوراثة تؤكد ذلك وتقف من ورائه. كذلك فإن في قوله - تعالى - : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤٤] تأكيد على أنه لم يكن على وجه الأرض من بني آدم في هذا الزمن إلا قوم نوح. وهذا ينفي الحاجة إلى عموم الطوفان جميع الأرض كما جاء في «العهد القديم».

هذه الحقائق مجتمعة ومتفرقة لم تكن معروفة للناس في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين لمما يثبت لكل ذي بصيرة أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وامتد حفظه له على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وهذه الواقعة جاءت الإشارة إليها في (الإصحاح 1/8 - 14) من «سفر التكوين» تحت عنوان (تناقص الماء) وبمقارنته بالنص القرآني [هود: 36 - 49] يتضح الفرق بين كلام الله وكلام البشر.

17 - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَمَلَنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 14، 15].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تتحدثان عن عدد من الحقائق الغيبية التي لم تكن معروفة في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعد زمن الوحي، مما يجعل منهما وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله؛ ويمكن عرض ذلك في النقاط التالية:

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾:

لا يعرف المؤرخون شيئاً عن نبي الله نوح ﷺ الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وذلك في مواضع عديدة من هذين المصدرين الكريمين من مصادر الإسلام.

وصحيح أن «العهد القديم» أشار إلى نوح ﷺ وإلى الطوفان الذي عاقب الله - تعالى - به كفار ومشركي قومه، ولكن رواية «العهد القديم» مختلفة تماماً عن رواية القرآن الكريم لسيرة هذا الرسول الصالح، ثم إن العرب في زمن الجاهلية لم يكونوا أهل اطلاع على ما عند اليهود من أخبار.

ويوضح القرآن الكريم أن الله - تعالى - بعث عبده ونبيه نوحاً إلى قومه وسجل هذا الكتاب العزيز حواراته معهم في أماكن متفرقة منه أشرنا سابقاً إلى شيء منها.

ثانياً: في قوله - تعالى -: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾:

في هذا النص القرآني الكريم معجزتان إحداهما غيبية، والأخرى علمية. أما المعجزة الغيبية فهي الإخبار عن أن نوحاً ﷺ عاش بين قومه تسعمائة وخمسين

سنة يدعوهم إلى توحيد الله - تعالى - ونبذ الشرك. وذلك قبل أن يغرقهم الله ﷻ بالطوفان لرفضهم الهداية الربانية، بينما يذكر «العهد القديم» أن نوحاً مات وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة فقط.

والمعجزة العلمية تتلخص في إثبات طول الأعمار للأجيال المتقدمة من بني آدم، وذلك لأن الشيفرة الوراثية في صلب أبينا آدم ﷻ أعطت بالانقسام الموجة الأولى من البشر إلى عهد نوح ﷻ وكانت على هيئة عشرة أجيال، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ، ثم جاءت موجة البشر الثانية من صلب نوح وأصلاب الذين نجوا معه والذين عمروا الأرض منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

وعلم الوراثة تؤكد ضعف الشيفرة الوراثية بالانقسام المستمر من عهد أبينا آدم إلى اليوم وحتى قيام الساعة مما يشير إلى أن البشر في عهودهم الأولى كانوا بالقطع أضخم أجساماً وأطول أعماراً، ومن هنا تأتي هذه اللمحة القرآنية ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله. كذلك يأتي تأكيد رسول الله ﷺ على هذه الحقيقة في حديثه الذي قال فيه: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً... فلم يزل الخلق ينقص بعد إلى الآن»⁽¹⁾.

ثالثاً: في قوله - تعالى - : ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

في هذا النص القرآني الكريم تأكيد على وقوع طوفان نوح الذي حاول كثير من الدهريين إنكاره، وردة إلى عدد من الأحداث الطبيعية المتكررة من مثل السيول الجارفة، أو طغيان البحار على اليابسة، كما فعل الأمريكيان وليام ريان، وزميله والتر بتمان اللذان سبقت الإشارة إليهما. وقد جاء نفيهما لحادثة طوفان نوح وردها إلى واحدة من التغيرات المناخية التي تؤدي إلى طغيان البحار على اليابسة ثم انحسارها عنها وذلك في كتابهما المعنون: «طوفان نوح: الاكتشافات العلمية الجديدة عن الحادثة التي غيرت التاريخ» والذي نشره بمدينة نيويورك في سنة 1998م:

(1) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان، حديث رقم (5759).

William Ryan & Walter Pitman (1998): «Noah's Flood: The New Scientific Discoveries About The Event that Changed History»; Simon & Schuster, New York, N.Y.

وينفي هذا الفكر الخاطئ من أساسه اكتشاف بقايا سفينة نوح فوق جبل الجودي في سنة 1948م بواسطة أحد الرعاة الأتراك وتأكيد هذا الكشف بدراسات استمرت لقرابة ثلاثين عاماً. وقد سبق ذلك دراسات لآثار العراق منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (1854م) في منطقة «أور» أثبتت وجود طبقة من الصلصال تعود للعصر الحجري يبلغ سمكها ثلاثة أقدام، وتحتوي على أدوات من الصوان، وعلى أوانٍ فخارية، وبقايا من المرو والزجاج البركاني الأسود. وتحت هذا المستوى وجدت طبقة من الغرين المختلط بالنفائيات البشرية، والرماد البركاني. ودون هذا المستوى وجدت طبقة من الغرين لا أثر للإنسان فيها، يتراوح سمكها بين (8)، (11) قدماً، وثبت ترسبها من وسط مائي عذب. وقد أدى ذلك إلى الاستنتاج الصحيح بأن هذه الطبقة تمثل طوفان نوح، الذي قال - تعالى - فيه:

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

وهذا النص القرآني الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة إذا قورنت رواية القرآن الكريم عن هذا الحدث الجلل بما جاء عنه في العهد القديم.

رابعاً: في قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 15].

وفي هذا النص الكريم إشارة إلى أن البشر جميعاً من بعد نوح إلى اليوم، وحتى قيام الساعة هم من نسل هذا النبي ونسل الذين نجوا معه، وفيه تأكيد على حتمية اكتشاف السفينة حتى يجعلها ربنا - تبارك وتعالى - آية للعالمين، وقد تحقق ذلك بالفعل في سنة 1948م، وفي الدراسات التي تلت ذلك التاريخ إلى اليوم، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين، وللرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

18 - ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتَكُمُ فِي الْبَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً

وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحاقة: 11 ، 12].

كان طوفان قوم نوح واحداً من أخطر أحداث العقاب الإلهي للمشركين من أهل الأرض، لأن تفجر البراكين ساعد على خروج بخار الماء بكميات هائلة مما شجع على هطول الأمطار، وإغراق الأرض بالماء. كذلك كان في تفجر الأرض بعيون الماء ما زاد هذا الإغراق زخماً، وكان في رجفة الأرض المصاحبة لثورة البراكين ما حرك أمواج الماء بعنف جعلها كالجبال، وساعدها على رفع سفينة الناجين مع عبد الله ونبيه نوح ﷺ وإرسائها على «جبل الجودي» في سلسلة جبال جنوب تركيا.

من الدلالات العلمية والإنبائية للآية الكريمة:

أولاً: في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتَكُمُ فِي الْبَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: 11].

خطاب من الله - تعالى - موجه إلى البشر من بعد نوح وحتى قيام الساعة، باعتبار أن الذين حُمِلُوا مع عبد الله نوح ﷺ في السفينة هم الأصول التي انحدر منها أهل الأرض من بعد نوح إلى اليوم، وذلك لكي يجعلها ربنا - تبارك وتعالى - تذكرة (أي: عبرة وعظة) للناس جميعاً، لما كان فيها من نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين، ولكي تحفظها كل أذن حافظة لما تسمع من تلك الأخبار، من (الوعي) بمعنى الحفظ في الذاكرة.

و(الجارية) هي سفينة نوح ﷺ، التي جرت في ماء الطوفان الذي أغرق المنطقة فيما بين دجلة والفرات بماء المطر، وبتفجر الأرض عن مخزونها المائي في الصخور بعدد هائل من العيون. وقد علا الماء الأرض فأغرق كل حي في منطقة ما بين النهرين إلا نبي الله نوح ومن حملهم معه من البشر والحيوان والنبات في السفينة.

فقد أثبت الأثري دكتور تشارلز ويليس (Dr. Charles Willis) في سنة 1980م - كما سبق وأن ذكرنا - أن بقايا سفينة نوح قد تم اكتشافها فوق «جبل الجودي» (Mount Cudi or Judy Dagh) على بعد 250 ميلاً إلى الجنوب الغربي من «جبل أرارات». و«جبل الجودي» يمثل أعلى قمة في سلسلة جبال جنوب تركيا، إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، وقد وجدت بقايا السفينة مطمورة في رسوبيات تواضعت من مياه عذبة تعلو سفح ذلك الجبل.

كذلك فإن سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتي كانت مهذاً لعدد من الحضارات القديمة سجلت خبر الطوفان الذي وجدت آثاره على هيئة سمك من رسوبيات الماء العذب تغطي المساحة ما بين النهرين، وقد تم الحفر عليها في أربعة مواقع على الأقل هي «أور» (UR)؛ «إيريك» (Erech)؛ «كيش» (Kish) أو تل الأحمر؛ و«شورباك» (Shuruppak) أو تل العقدة. ويتراوح عمر هذه الرسوبيات بين ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد قام بدراسة هذه المواقع مجموعات متتابعة من العلماء منهم هول (R.H.Hall)، وليونارد وولي (Leonard Woolley) في مشروع مشترك بين المتحف البريطاني بلندن وجامعة بنسلفانيا (University Of Pennsylvania). وقد استمرت هذه البحوث في الفترة من 1922م إلى 1934م، وكشفت عن بقايا حضارات قديمة على عمق عشرة أقدام، تتكون من رواسب الماء العذب: كالغرين والصلصال والرمل التي تمتد أفقياً لآلاف الكيلومترات المربعة، والتي لا يمكن أن تنتج إلا عن طوفان غامر. وقد تأكد ذلك بدراسة تمت في كهف يقع في شمال العراق يعرف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave) يحوي قطاعاً من الرسوبيات يعود عمرها إلى مائة ألف سنة مضت ويحوي بقايا إنسية قام بدراستها دكتور رالف سونسكي (Dr. Ralph Sonecki).

وقد حملت كل رسالات السماء التي أنزلت من بعد نبي الله نوح - على نبينا وعليه من الله السلام - أخبار هذا الطوفان حتى تكون فيه العبرة لبني الإنسان، ويكون فيه التحذير من الوقوع في أحوال الشرك - دون جدوى -!!.

ويبقى وصف طوفان نوح كما جاء في القرآن الكريم هو المرجع الحق عن هذه الواقعة الكبرى في تاريخ الإنسانية، وقد لخصها القرآن الكريم في عشرات الآيات الكريمة: (يونس: 71 - 73؛ هود: 25 - 49؛ المؤمنون: 23 - 30؛ الشعراء: 105 - 122؛ العنكبوت: 14، 15؛ القمر: 9 - 17؛ التحريم: 9، 10؛ نوح: 1 - 28).

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]

والضمير في (حملناكم) يعود على البشرية كلها من بعد طوفان نوح ﷺ وذلك منه ومن ذراريه وممن حملهم معه في سفينته ومن ذراريهم، أي: إلى البشرية كافة من بعد طوفان نوح إلى اليوم وحتى قيام الساعة. وذلك لأن الآية الكريمة تشير إلى حمل أصول تلك البشرية الثانية في صلب نوح ﷺ وفي أصلاب صحبه الذين نجاهم الله ﷻ معه من نازلة الطوفان. والمعارف المكتسبة في علم الوراثة تؤكد أن البشرية كلها من لدن أبينا آدم ﷺ وحتى قيام الساعة كانت في صلبه لحظة خلقه، ثم بدأت في التوزع إلى زوجه حواء ﷺ، ثم إلى أبنائهما وأحفادهما الذي مثلوا الموجة الأولى من بني آدم. ولما انحرف الناس عن منهج الله بعد عشرة قرون من خلق آدم، أرسل الله - تعالى - إليهم عبده ورسوله نوحاً ﷺ واستعصى على غالبية قومه قبول هدايته، فعاقبهم الله ﷻ بالطوفان الذي قضى عليهم. وبقيت فضلة من مجموع المورثات التي خلقها الله (الخالق البارئ المصور) في أول الأمر، وأودعها صلب أبينا آدم ﷺ حتى وصل جزء منها إلى أصلاب كل من نوح ﷺ والناجين معه، ليخلق الله - تبارك وتعالى - من تلك الأصلاب موجة البشرية الثانية إلى قيام الساعة. ومن هنا كان الخطاب في الآية الكريمة التي نحن بصددتها موجهاً إلى تلك الموجة الثانية من البشرية التي نجت من طوفان نوح، واستمرت في التكاثر إلى اليوم، وستبقى مستمرة في ذلك إلى قيام الساعة بانقسام الشيفرات الوراثية عند تكون الخلايا التناسلية وتكاملها بالتزاوج.

وبالرجوع بعمليات انقسام الخلايا التناسلية إلى الوراء مع الزمن فإن جميع

الشفيرات الوراثية في خلايا السبعة بلايين إنسان الذين يملأون جنبات الأرض اليوم، وفي خلايا ذراريهم إلى قيام الساعة، تلتقي مع الشفيرات الوراثية التي كانت في صلب نوح ﷺ وفي أصلاب الناجين معه، ومن هنا كان الخطاب لجميع أفراد موجة البشر الثانية بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُّكِ فِي الْبَارَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبًا أَدْنَىٰ وَرِجَاءَ ۙ ﴾ [الحاقة: 11، 12].

ولما كان علم الوراثة من أحدث المعارف المكتسبة (لأن قوانين الوراثة لم تتبلور إلا في أوائل القرن العشرين)، ولما كان مرسى سفينة نوح لم يحدد إلا في نهاية القرن العشرين، كانت هاتان الومضتان المبهرتان في الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة «الحاقة» تمثلان حقيقتين علميتين صحيحتين، تشهدان للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وهاتان الآيتان الكريمتان تمثلان كذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، لأن أحداً من الخلق لم يكن يعلم شيئاً عن تلك الحقائق في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعده. كذلك فإن في الآية الثانية عشرة من هذه السورة المباركة إعلام من الله - تعالى - بأن كشف سفينة نوح سوف يتم في المستقبل، وقد تم ذلك بالفعل في سنة 1948م، حتى يبقى هذا الحادث الجلل تذكرة للبشر جميعاً تعيه عقولهم وتستوعبه آذانهم وهو من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

19 - ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

في عدد من الآيات الكونية المبهرة التي ساقتها سورة «يس» للاستدلال على حقيقة الألوهية، وعلى طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في الخلق، وشهادة ذلك على إمكانية البعث وحتميته، جاءت هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

والخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى كل الناس بأن ذريتهم جميعاً: من البلائين التي عاشت وماتت من بعد طوفان نوح إلى اليوم، والبلائين التي تملأ جنبات الأرض حالياً، وممن سوف يخلفوننا إلى قيام الساعة، كل هؤلاء كانوا محمولين في الفلك المشحون في صلب عبد الله ونبيه نوح - على نبينا وعليه من الله السلام -، وفي أصلاب الذين آمنوا برسالته، فنجاهم الله - تعالى - في معية هذا العبد الصالح والنبي الصالح. فالموجة الثانية من ذرية آدم إلى آخر من يُعَقَّب كانت في سفينة نبي الله نوح ﷺ، وعلى ذلك فإن هذا النبي وصحبه الكرام يمثلون الأبوّة الثانية للبشرية، بعد هلاك جميع من كفر من قوم نوح بالطوفان.

والمعارف المكتسبة من علم الوراثة تؤكد على حقيقة أن بني آدم جميعاً كانوا في صلب أبيهم آدم ﷺ لحظة خلقه، أي في شيفرته الوراثية المتخلقة في خلاياه التكاثرية، والتي يخلقها ربنا - تبارك وتعالى - من موضع دقيق بين الصلب والتراث. وهذا المخزون الوراثي (Genetic Pool) الذي كان في صلب أيينا آدم ﷺ شاركته فيه أمنا حواء ﷺ التي خلقها الله ﷻ من نفس الأصل الذي خلق منه أبانا آدم ﷺ لأن الله - تعالى - خلق كل شيء في زوجية واضحة حتى يبقى - سبحانه - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. ثم جعل ربنا - تبارك وتعالى - من التزاوج بين بني آدم سُنَّة من سنن الحياة، وسبباً في تكاثر الخلق وعمارة الأرض. لذلك جعل هذا الخالق (العظيم الحكيم) الشيفرة الوراثية

للإنسان في معظم خلاياه، وجعلها محمولة على عدد محدد من الصبغيات هو (46) صبغياً في الإنسان، وجعل الخلايا الجسدية - أي التي يبني منها الجسد - تحمل عدد الصبغيات كاملاً (46 صبغياً)، بينما شاءت إرادته الحكيمة أن تحمل خلايا التكاثر النطف أو الحيامن (Sperms)، والبييضات (ocytes) نصف عدد الصبغيات (23 صبغياً فقط) في كل خلية تكاثرية، حتى إذا اتحدا وتمت عملية الإخصاب بنجاح تكامل عدد الصبغيات إلى (46)، وهو العدد المحدد للنوع الإنساني.

والنطفة المخصبة (Fertilized ovum or Zygote)، والتي يسميها القرآن الكريم باسم النطفة الأمشاج - أي المختلطة - تبدأ في الانقسام المستمر حتى تكون التوتية (Morula) الحوصلة الأريمية (Blastocyst) التي تنغرس في جدار الرحم، بعد انشطارها، وتستطيل مكونة مرحلة العلقه (Leech-like stage)، أو الأريمة المنغرسه (Implanted Blastula). ثم تتحول العلقه بالتدرج إلى مرحلة المضغة التي تشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ (An embryo in the shape of a chewed piece of meat) وتتحول المضغة إلى مرحلة العظام (The Skeletal Stage) ثم تتم كسوة العظام باللحم، وتحويل الجنين (Embryo) وإنشائه خلقاً آخر حين ينتقل إلى مرحلة الحمل (Fetus) بعد نهاية الأسبوع الثامن من ليلة الإخصاب. ويخرج هذا الحمل عند ميلاده بعد فترة تتراوح بين 177 ليلة إلى 266 ليلة - أي بعد ستة إلى تسعة أشهر قمرية - حاملاً نصف صفاته عن أبيه وأسلاف أبيه إلى آدم ﷺ، والنصف الآخر عن أمه وأسلافها إلى حواء ﷺ.

وإذا علمنا أن الشيفرة الوراثية في الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان تتكون من 18.6 بليون جزيء من ثلاثة مركبات كيميائية موزعة عليها بالتساوي (6.2 بليون جزيء لكل واحد من هذه المركبات الكيميائية الثلاث)، وهذه المركبات هي القواعد النيتروجينية، والفوسفات، والسكر. وتتجمع هذه البلايين من الجزيئات، في 3.1 بليون نويدة (Nucleotide)، حيث يجتمع لكل

نويذة زوج من القواعد النيتروجينية يستند كل واحد منهما إلى جزيئين أحدهما من السكر والآخر من الفوسفات، وتتوزع هذه النويدات في أكثر قليلاً من بليون شفرة (Codon) تتكون كل واحدة منها من ثلاث نويدات. وتتوزع هذه الشيفرات في حوالي أربعين ألف مورث (Gene). وتنتشر الجينات على طول الصبغيات الستة والأربعين المحددة لنوع الإنسان. وإذا علمنا أن هذا الحشد من 18.6 بليون قاعدة كيميائية تكتب الصفات الوراثية للإنسان، وأنه إذا اختلف وضع جزيء واحد من هذه البلايين من الجزيئات عن وضعه المحدد له، فإن صاحبه إما أن يشوه خلقياً أو لا يكون. وإذا علمنا كذلك أن هذه الشيفرة الوراثية تتكدس في حيز لا يزيد على الواحد من نصف مليون من المليمتر المكعب، وأن قطر الخلية الحية من خلايا جسم الإنسان لا يزيد على 0.03 من المليمتر في المتوسط، وأن الصبغيات تنقسم باستمرار لتكوين خلايا التكاثر العجيبة (المنطف)، وأنه إذا عدنا بعملية الانقسام لتكوين تلك الخلايا التكاثرية إلى الوراء مع الزمن، فإن الشيفرات الوراثية لجميع بني آدم الذين تم خلقهم ثم ماتوا، وبلايين الأحياء (الذين يموت منهم الملايين في كل يوم)، والبلايين من بني آدم الذين سوف يخلقون من بعدنا إلى قيام الساعة، كل هؤلاء كانوا في صلب أبينا آدم ﷺ لحظة خلقه. ومن هذا المخزون الوراثي الأول انتقل جزء إلى صلب نوح ﷺ، وإلى أصلاب من آمن به ونجا معه، وهذا الجزء يشكل المخزون الوراثي الثاني الذي خلق منه، ولا يزال يخلق، وسوف يظل يخلق منه كل البشر من بعد طوفان نوح إلى قيام الساعة، ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - مخاطباً الناس من بعد نوح: ﴿وَأَيُّكُمْ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: 41]، وقال - عزّ من قائل -: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْوَجِّ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: 11]، وقال - وهو تعالى أصدق القائلين -: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: 3].

ومن معاني هذه الآيات القرآنية الكريمة الثلاث: أن جميع أفراد الدورة الثانية للبشرية (من لدن نجاة عبد الله ونبية نوح ﷺ)، والذين آمنوا معه من نازلة الطوفان إلى قيام الساعة) كانوا جميعاً في الفلك المشحون (أي في سفينة نوح ﷺ)، ولم يكن ممكناً تصور هذه الحقيقة إلا بعد التطور المذهل في علوم الوراثة مع بداية القرن العشرين. وسبق القرآن الكريم بالإشارة الضمنية إلى هذه الحقيقة، والتأكيد على أنها من آيات الله في الخلق يشهد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، كما يشهد للآية الحادية عشرة من سورة «يس» بأنها وجه من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله القائل:

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

[يس: 41 - 44].

The Table of Nations

10 This is the account of Shem, Ham and Japheth, Noah's sons, who themselves had sons after the flood.

The Japhethites

²The sons of Japheth: Gomer, Magog, Madai, Javan, Tubal, Meshech and Tiras. ³The sons of Gomer: Ashkenaz, Riphath and Togarmah. ⁴The sons of Javan: Elishah, Tarshish, the Kittim and the Rodanim. ⁵(From these the maritime peoples spread out into their territories by their clans within their nations, each with its own language.)

The Hamites

⁶The sons of Ham: Cush, Mizraim, Put and Canaan. ⁷The sons of Cush: Seba, Havilah,

سلالات أبناء نوح
هذا سجل مواليد شام وحام وياثف أبناء نوح
ومن ولد لهم من بعد الطوفان.

أبناء ياثف
أبناء ياثف، جومر وماجوج وماداي وتباوان وتوبال ومشك
وتيراس. ²وأبناء جومر، أشكناز وريفات وتوغمز. ³وأبناء
تباوان، أليشا، تارشيش وكثيم وتودايم. ⁴وتفرغ بن هؤلاء
سكان الجزائر وتفرقوا في مناطقهم حسب قبائلهم
وألسونهم، ولغاتهم.

أبناء حام
وأبناء حام، كوش وميزرايم وتوط وكنعان. ⁶وأبناء كوش،

Sabtah, Raamah and Sabteca. The sons of Raamah: Sheba and Dedan.⁹ Cush was the father of Nimrod, who grew to be a mighty warrior on the earth. "He was a mighty hunter before the LORD; that is why it is said, "Like Nimrod, a mighty hunter before the LORD."¹⁰ The first centers of his kingdom were Babylon, Erech, Akkad and Calneh, in Shinar.¹¹ From that land he went to Assyria, where he built Nineveh, Rehoboth Ir, Calah¹² and Resen, which is between Nineveh and Calah; that is the great city.¹³ Mizraim was the father of the Ludites, Anamites, Lehabites, Naphtuhites,¹⁴ Pathrusites, Casluhites (from whom the Philistines came) and Caphtorites.¹⁵ Canaan was the father of Sidon his firstborn, and of the Hittites,¹⁶ Jebusites, Amorites, Girgashites,¹⁷ Hivites, Arkites, Sinites,¹⁸ Arvadites, Zemarites and Hamathites. Later the Canaanite clans scattered¹⁹ and the borders of Canaan reached from Sidon toward Gerar as far as Gaza, and then toward Sodom, Gomorrah, Admah and Zeboiim, as far as Lasha.²⁰ These are the sons of Ham by their clans and languages, in their territories and nations.

The Semites

²¹Sons were also born to Shem, whose older brother was Japheth; Shem was the ancestor of all the sons of Eber. ²²The sons of Shem: Elam, Asshur, Arphaxad, Lud and Aram. ²³The sons of Aram: Uz, Hul, Gether and Meshech. ²⁴Arphaxad was the father of Shelah, and Shelah the father of Eber. ²⁵Two sons were born to Eber: One was named Peleg, because in his time the earth was divided; his brother was named Joktan. ²⁶Joktan was the father of Almodad, Sheleph, Hazar-maveth, Jerah, ²⁷Hadoram, Uzal, Diklah, ²⁸Obal, Abimael, Sheba, ²⁹Ophir, Havilah and Jobab. All these were sons of Joktan. ³⁰The region where they lived stretched from Mesha toward Sephar, in the eastern hill country. ³¹These are the sons of Shem by their clans and languages, in their territories and nations.

³²These are the clans of Noah's sons, according to their lines of descent, within their nations. From these the nations spread out over the earth after the flood.

سبتا، وسوبلة، وسبتة وزعمة وسبتكا، وأبناء زعمة، شبا ودنان. ⁹وأنجب كوش نمرود الذي ما لبث أن أصبح عيباً في الأرض. ¹⁰كان ضياعاً عيباً أمام الرب، لذلك يقال، كيمرود جئلاً ضياعاً أمام الرب. ¹¹وقد تكونت ملكته أول الألس من بابل وأرك وأكد وكلفه في أرض شينار. ¹²ومن تلك الأرض خرج إلى أشور وبني مدن بيتوى ودخوت غير وكلف، ¹³ودرسن أوثيقة بين بيتوى وكلف. وهي المدينة الكبيرة. ¹⁴ومن مضرهم تحذرت هذه القبائل: اللوذيون والفلبثيون، واللاهثيون والكفتوريون والكلسوريون، والكلسوريون، ومنهم تحذرت الفيلسطينيون والكفتوريون. ¹⁵وأنجب كنعان سيبون أبنه الأكبر ثم جتا، ¹⁶ومثى تحذرت قبائل الفلبثيين والأموريين والأجزعاشيين، ¹⁷والحوثيين والفرقيين والسبثيين، ¹⁸والأرواديين والفصاريين والحمثيين. وبعد ذلك انتشرت القبائل الكنعانية ¹⁹في الأراضي الوثيقة بين سيبون وغزة مروراً بجوزان، وبين سيبون ولاشع مروراً بسدوم وعمورة وأثمة وضويوم. ²⁰كان هؤلاء هم المنحدرون من حام بحسب قبائلهم ولغابهم وتلغابهم وشعويهم.

أبناء سام

²¹وأنجب شام، أخو يافث الأكبر، أبناء. ومنه تحذرت جميع نبي عابر. ²²أما أبناء سام لهم: عيلام وأشور وأركشاد ولوذ وأرام ²³وأبناء آرام، عوص، وحول، وجاثر وتلار. ²⁴وأنجب أركشاد شالخ، وولد شالخ عابر. ²⁵وولد لعابر أبتان، اسم أحدهما فالج (وتعناه اتيسام) لأن أهل الأرض اتقسما في أيامه. واسم أجدى بطلان. ²⁶وأنجب بطلان الموناذ وشالف وحضرمت وتبارح، ²⁷وهنوزام وأوزال ودقلا، ²⁸وعوثاك وإيسليل وسبتا، ²⁹وأوفير وسوبلة وتوناب، هؤلاء جميعهم أبناء بطلان. ³⁰وقد استوطنوا في الأراضي الوثيقة بين ميسا واللال الكرفية من جبل سفار. ³¹هؤلاء هم المنحدرون من سام بحسب قبائلهم ولغابهم وتلغابهم وشعويهم.

³²هذه هي القبائل المنحدرة من أبناء نوح بحسب شعويهم، وتلغابهم وانتشرت الأمم في الأرض بعد الطوفان.

الباب الثاني

من أنبياء وشخصيات فترة التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا

ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

[طه: 99].

أولاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه هود عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه هود عليه السلام سبع (7) مرّات، في أربع من سور القرآن الكريم، (هي: الأعراف: 65؛ هود: 50، 53، 58، 60، 89؛ والشعراء: 124)، وسميت باسمه إحدى سور هذا الكتاب العزيز (سورة «هود») وهي السورة الحادية عشرة في ترتيب سور المصحف الشريف، كما سميت باسم المنطقة التي عاش فيها سورة أخرى هي سورة «الأحقاف»، وهي السورة رقم (46) في المصحف الشريف، وجاء ذكر عبد الله ونبيه هود عليه السلام فيها بوصف «أخو عاد» حيث يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَأَذَكَّرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّي لَنَافٍ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا آجِنَّا لِأَافِكِنَّا عَنْ ءِٰلِهِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُّكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا بَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن نَّكُنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِي نَحْنُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِٰلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

[الأحقاف: 21 - 28].

وجاء ذكر قوم (عاد) في القرآن الكريم (24) مرة، وكانوا من العرب العاربة (البائدة)، وكانت مساكنهم بالأحقاف (جمع حِفْيف) وهي تجمعات كثبان

الرمال السافية المستطيلة المتموجة. وتقع الأحقاف في أطراف الجزء الجنوبي الشرقي من الربع الخالي بين كل من عمان، وظفار (اليمن)، والمملكة العربية السعودية. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَذْكُرُ أَنَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: 21].

وجاء ذكر (الأحقاف) في القرآن الكريم كله مرة واحدة فقط، وذلك في هذه الآية الكريمة التي سميت باسمها السورة (سورة الأحقاف).

وعبد الله ونبيه هود عليه السلام هو من نسل سيدنا نوح عليه السلام، وكان أشبه ولد آدم بآدم عليه السلام كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ⁽¹⁾. وهذا النبي الكريم وقومه (عاد الأولى) لم يرد لهما ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، مما يجعل ذكر القرآن الكريم لهما وجهاً من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله، وينفي التهمة الباطلة، التي لا سند لها، ولا دليل عليها، والتي يتشدد بها غلاة كل من اليهود والنصارى اليوم بأن القصص القرآني كله منقول عن «العهد القديم»!!

وكان قوم عاد يسكنون الخيام ذات الأعمدة الضخمة، كما بنوا المدن الفاخرة مثل مدينة (إرم ذات العماد).

والقرآن الكريم يشير إلى أن موسى عليه السلام قد أخبر قومه محذراً من عقاب مثل الذي حدث لكل من أقوام نوح، وعاد، وشمود، والذين من بعدهم حيث يقول: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُورًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4074).

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنثَىٰ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

[إبراهيم: 8 - 12].

وقوم عاد: هم من نسل الذين نجوا مع عبد الله نوح عليه السلام ولجأوا إلى مكة المكرمة، ومنها إلى الأحقاف في أقصى الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وكانوا مسلمين على التوحيد الخالص. ثم خلف من بعدهم خلف ضعف إيمانهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم، وأغرتهم بعبادة الأصنام. وكان «قوم عاد» عمالقة شداداً، وكان الله - تعالى - قد أفاء عليهم بخير كثير، فأترفتهم النعمة، وكانت سبباً في طغيانهم، بدلاً من أن تكون سبباً لشكر الله - تعالى - عليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَوْ عَجِبْتَ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

[الأعراف: 69].

وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أُولَئِكَ بَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت: 15].

ونظراً لردة قوم عاد فإن الله - تعالى - أرسل نبيه «هوداً» عليه السلام ليرد قومه من الشرك إلى التوحيد الخالص، وكان عربياً، ولسانه العربية، كما كان كل من جاء بعده من الأنبياء العرب: من أمثال كل من أنبياء الله صالح، وشعيب، ومحمد - صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم وعلى أنبياء الله جميعاً - وفي ذلك تقول الآيات القرآنية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُنُوكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَننظُّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَتَيْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنَا
لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

[الأعراف: 65 - 68].

وتقول: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن
أَسْتُرُ إِلَّا مُفْتَرُوتٌ ﴿٥٠﴾ يَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكَ عَلَيْهِ جَزَاءً إِن أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

[هود: 50 - 52].

وعلى الرغم من هذا الإلحاح من عبد الله ونبيه هود عليه السلام إلا أن غالبية قومه
أنكروه، ورفضوه، وتمردوا على دعوته، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَا نُنْفَخُونَ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١٣٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ أَتَنْتُونُ بِكُلِّ رِيحٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٠﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِمْ وَبَيْنَ ﴿١٤٣﴾ وَحَنَّتِ
وَعْيُونِ ﴿١٤٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٥﴾

[الشعراء: 123 - 135].

وعلى الرغم من كل هذا النصح الخالص من هود عليه السلام لقومه، والتحذير
الواضح لهم من مغبة الشرك بالله، إلا أن غالبية قوم «عاد الأولى» أعرضوا عن
دعوة سيدنا هود عليه السلام وناصبوه العدا، وسخروا منه، واستهزأوا بدعوته، فتوعدهم
بوقوع عذاب الله بهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ
وَحَدِيثَهُ وَنَدَّرَ مَا كَانَ يُعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ
وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَيبٌ أُنزِلُوا فِي سَمَاءٍ سَبَّأَتْهَا أُتْرُ وَأَبَاؤُكُمْ مَا
نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾

[الأعراف: 70، 71].

وعلى الرغم من وضوح حجة عبد الله ونبيه هود عليه السلام، إلا أن قومه اتهموه
بأن بعض أصنامهم قد أصابته بشيء من المس فأصبح يهذي بغير وعي، وفي ذلك
تقول الآيات على لسان كفار قوم عاد: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا أَعْرَابَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا

يُسْوِءُ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [هود: 53، 54].

وبعد إصرارهم على الشرك، ورفضهم لدعوة الحق، وإنكارهم للعذاب، وتكذيبهم الواضح لنبيهم، نزل عقاب الله بالكافرين من قوم عاد، وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: 136 - 140].

ويروى لنا كل من الأئمة: الترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري أن رسول الله ﷺ ذكر أن قوم عاد عندما أصرّوا على الشرك بالله واستمروا في عبادة الأصنام أمسك الله - تعالى - عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك. ثم بعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم، وكان تقديس الحرم المكي من عادات أهل ذلك الزمان، ومن بقايا الحق القديم. ولكن لم يستجب الله - تعالى - لدعائهم، وأتى يستجاب لهم وقد بقوا مقيمين على الاستكبار في الأرض، وعلى الشرك بالله، يعبدون أصناماً وأوثاناً لهم، مصرين عليها، فأهلكهم الله - تعالى - بالريح السُموم أي شديدة الحر القاتل أو شديدة البرودة المهلكة، من الصّـر (بالفتح) وهو شدة الحر، أو الصّـر (بالكسر) وهو شدة البرد الذي يصير (أي يجمع ظاهر جلد الإنسان ويقبضه) أو هي الريح شديد الصوت (من صرّ، يصرّ، صراً، وصريراً (أي علا صوته بشدة)، واللفظة تجمع كل ذلك. وعلى الرغم من عنف الواقعة، فإن الله - تعالى - نجّى عبده هوداً والذين آمنوا معه. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنَّهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: 15، 16].

ويفصل القرآن الكريم عقاب قوم عاد بعد تكرار إنذار نبيهم «هود» لهم، وتكرار تحديهم له بطلب إنزال عقاب الله بهم فيقول:

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرٰكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَآهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُّطْمَئِنًّا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَنْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

[الأحقاف: 22 - 26].

ويزيد القرآن الكريم وصف ما نزل بقوم عاد من عذاب تفصيلاً فيقول:

﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَّرَّصًا فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٩﴾ تَرِيحُ النَّاسِ كَانْتَهُمُ أَصْعَاجًا نَّخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿١٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾

[القمر: 18 - 22].

وقال - عز من قائل -: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَّرَّصٍ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُصْعَاجُ نَخْلِ حَآوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

[الحاقة: 6 - 8].

وقال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾﴾

[الفجر: 6 - 8].

وفي غمرة إنزال العذاب بقوم عاد نجى الله ﷻ عبده ونبيه هوداً عليه السلام والذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان رب العالمين:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ ءَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ ءَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

[هود: 58 - 60].

وفاة نبي الله هود

بعد هلاك الكافرين من قوم عاد أمر نبي الله هود والذين آمنوا معه بالارتحال إلى مكة المكرمة، فعاشوا فيها ما قدر الله - تعالى - لهم العيش. واختلف المؤرخون في تحديد مكان وفاة سيدنا هود كما اختلفوا في تحديد مكان قبره. فمنهم من قال بأن قبره بمكة المكرمة ما بين الحجر الأسود وبئر زمزم، ومنهم من قال بأرض الشحر من بلاد حضرموت، ومنهم من قال بدمشق، والله - تعالى - هو أعلم. ولكن أغلب الرأي هو القائل بأن عبد الله ونبيه هوداً دفن بأرض حضرموت لرواية رواها عامر بن وائل قال: سمعت من علي بن أبي طالب أنه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيراً أحمر تخالطه مدرة حمراء ذات أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت؟ هل رأيت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنتعته نعت رجل قد رآه! قال: لا، ولكني قد حدثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود - صلوات الله عليه - . وقد تكرر ورود ذلك عنه مراراً (1).

اكتشاف «إرم» ذات العماد:

في سنة 1975م تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سورية باسم مدينة إبلا (Ebla) تم تحديد عمرها بحوالي 2500 سنة قبل الميلاد (أي قبل 4500 سنة مضت). وفي بقايا مكتبة قصر الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة كبيرة من الألواح الصلصالية حوالي (15) ألف لوح تحمل كتابات بإحدى اللغات القديمة التي تم معرفة مفاتيحها فتمت قراءة الألواح كما جاء في مقال «هوارد لافاي» المنشور بالمجلة الجغرافية الأهلية في عددها الصادر في شهر ديسمبر سنة 1978م تحت عنوان: «روعة إمبراطورية غير معروفة» كما يلي:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4062).

Howard La Fay (1978): «Ebla: Splendour of an unknown empire»; National Geographic Magazine, v. 154, n. 6, PP. 731- 759, 1978).

وأشار هذا الكاتب إلى أن من الأسماء التي وجدت على ألواح مدينة «إبلا» الاسم «إرم»، وأضاف قوله أنه اسم لمدينة غير معروفة، جاء ذكره في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

وبعد ذلك بعام واحد (أي في سنة 1979م) نشر اثنان من الأثريين الأمريكيين هما «حايم بيرمانت»، و«ميخائيل فيتزمان» كتاباً عن هذا الكشف ذكرا فيه أن الأسماء الثلاثة: «شاموتو» (أو ثمود) و«عاد» و«إرم» التي ذكرت في السورة رقم (89) من القرآن الكريم وجدت على ألواح «إبلا»، والكتاب عنوانه كما يلي: «إبلا: فتح في مجال علم الآثار القديمة».

Chaim Bermant & Michael Wetzman (1979). «Ebla: A Revelation in Archaeology».

وأضاف هذان الكاتبان أن «ثمود» هو اسم لقبيلة مندثرة ذكرها سارجون الثاني (Sargon-II) في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما الاسم «إرم» قد اختلف فيه. فبعض المؤرخين اعتبره اسماً لإحدى القبائل المندثرة، ومنهم من اعتبره اسماً لمدينتهم. أما عن الاسم الثالث «عاد» فقد اعتبروه اسماً أسطورياً. وربما كان ذلك من قبيل تزيف التاريخ الذي برع فيه الصهاينة منذ القدم. وفي تاريخ الجزيرة العربية - على وجه التحديد - سبقت جيوش من مزيقي التاريخ، كان على رأسهم توماس برترام (Thomas Bertram) الذي قام في الثلاثينيات من القرن العشرين بنشر كلام مشابه لما ذكره كل من «حايم بيرمانت» و«ميخائيل فيتزمان».

وفي يوليو سنة 1990م تشكل فريق بحث من كل من وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) ومعهد الدفع النفاث (J.P.L) بكاليفورنيا للبحث عن مدينة «إرم» ولكن المهمة تأجلت بسبب حرب الخليج الأولى (سنة 1990م).

وفي يناير (1991م) بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حدّدها الصور المأخوذة بواسطة الأقمار الصناعيّة واسمها منطقة (الشيصار)، واستمر البحث حتى سنة (1998م) حين أعلن فريق البحث عن اكتشاف قلعة ثمانية

الأضلاع، سميكة الجدران، بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلى تسعة أمتار، ويصل قطره إلى ثلاثة أمتار كما جاء في كتابات كل من:

- 1 - Ricahrd Ostling (1992): «Arabia's Lost Sand Castle»: Time (17/12/1992).
- 2 - Bill Harris (1993): «Lost Civilizations».
- 3 - Nicholas Clapp (1998): «The Road to Ubar».
- 4 - Pico Iyer (1999): «Falling Off The Map: Some Lonely Places In The World».

وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدوليّة بما يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد ومنه:

- 1 - أنهم كانوا في نعمة وافرة سبق أن وصفها كل من بطليموس الإسكندري وبليني الكبير، ووصفوا فيها الأنهار المتدفقة والبحيرات المزدهرة بالحياة والثروات التي لم يكن لها نظير في زمانهم.
- 2 - أنهم سكنوا منطقة «الأحقاف» في الطرف الجنوبي الشرقي من الربع الخالي، على الحدود بين كل من المملكة العربية السعودية، وعمان وحضرموت، وأنهم أنشأوا فيها مدينة باسم «إرم» تميّزت بأعمدة قلاعها، وكانت أعمدة فارهة في الطول، عظيمة في السمك.
- 3 - أن هذه الحضارة الزاهرة طمرتها عاصفة رملية غير عادية.

بعض الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم قصة عبد الله ونبيه هود عليه السلام:

- 1 - ضرورة الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإلّا وقع عذاب الله على المتكبرين لذلك.
- 2 - حتمية التطهر من الشرك بكل أشكاله وألوانه وصوره، لأنه كان - ولا يزال - سهم الشيطان الأول الذي يستخدمه في تدمير الإيمان في العقول والقلوب.
- 3 - إن من الإيمان بالله - تعالى - تذكر نعمه بالشكر، فبالشكر تدوم النعم، وإلّا فإن زوالها يصبح من الأمور الحتمية.

- 4 - إنَّ من أجمل صور الإيمان بالله - تعالى - هو حسن التوكُّل عليه، كما فعل عبد الله ونبيه هوداً عليه السلام، وفعل غيره من الأنبياء والصالحين.
- 5 - إنَّ على الداعية لدين الله ﷻ أن يتجَمَّل بالصبر، وسعة الصدر، في مواجهة الضالين من الكفار والمشركين، ومن الظالمين الجائرين المفسدين في الأرض.
- 6 - إنَّ التوبة إلى الله - تعالى - والإكثار من استغفاره وطلب العفو منه يشكل طوق النجاة للمؤمنين، لأنَّ كل بني آدم خطَّؤون وخير الخطَّائين التَّوابون.
- 7 - انطلاقاً من الإيمان بوحدانية الخالق ﷻ يتحتم الإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء وبالأخوة بين الناس أجمعين.
- 8 - ضرورة التسليم بكل ما وقع بعصاة الأمم السابقة من العذاب، ومن صور عذاب الكافرين من قوم عاد بالريح الصرصر العاتية التي دمرتهم وطمرت مساكنهم، بأكوام هائلة من الرمال السافية التي لا يعرف لها نظير على وجه الأرض، في كمِّها وكثافتها والمساحة التي تغطيها اليوم في منطقة الربع الخالي - بصفة عامة - وفي الأحقاف منه - بصفة خاصة.
- 9 - أنَّ الله - تعالى - يمهل ولا يهمل، ولكنَّه إذا أخذ فإنَّ أخذه شديد.
- 10 - إنَّ أجيال بني آدم الأولى كانت تتمتع بأجساد أضخم، وبأعمار أطول، وبقدرات بدنية أعظم من الأجيال المتأخرة التي تتجه بصفة عامة إلى تناقص في الحجم، وتناقص في الأعمار، وإلى قدرات بدنية أقل، وإن رافق ذلك تقدم علمي وتقني مطرد، ما لم تنتكس الحضارة الإنسانية، أو تدمرها الحروب. وعلوم الوراثة - في تقدمها المذهل - تؤيد ذلك وتدعمه.
- 11 - إنَّ عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه هوداً عليه السلام يجسد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنَّ كتب الأولين من مثل «العهد القديم والجديد» لا تذكر شيئاً عنه. وهذه الحقيقة وحدها كافية لدحض كل ادعاء باطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم».

20 - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦٤﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٦٥﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ

مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الفجر: 6، 8].

جاء ذكر «قوم عاد» في سورتين من سور القرآن الكريم، سميت إحداهما باسم نبيهم «هود» عليه السلام، وسميت الأخرى باسم موطنهم «الأحقاف»، كما جاء في عشرات الآيات القرآنية الأخرى التي تضمها ثماني عشرة سورة من سور القرآن الكريم والتي نختار منها ما يلي من أقوال الحق - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿وَالِكَادِ عَادٍ إِخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَيْلُغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِننَّا بِمَا نَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَبَّيْتُمُوهَا أَشْرَءَ آبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجِيبْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: 65 - 72].

2 - ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَأَيَّةٌ تَعْبُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَسْتَجِدُّونَ مَصَافِعَ لَعَلَّكُمْ تَقْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتِ وَعْيُونِ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لَد تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا

خُلِقَ الْوَالِدِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ [الشعراء: 123 - 140].

3 - ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٣٧﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٣٨﴾ فَآرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَفَهُمْ فَعَذَابُ الْغُرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [فصلت: 13 - 16].

4 - ﴿وَأَذْكُرُ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنْ الْعِلْمِ فَأَجِئْنَا بِمَا بَدَّلْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرْتِكُمْ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿١٣٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأحقاف: 21 - 26].

5 - ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٣٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٣٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿١٤٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٤١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [القمر: 18 - 22].

6 - ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿١٣٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاقِيَةٍ ﴿١٣٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٣٨﴾﴾ [الحاقة: 6 - 8].

7 - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٣٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١٣٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿١٣٨﴾﴾ [الفجر: 6 - 8].

وفي غير هذه الآيات جاء ذكر قوم عاد في كل من سورة (التوبة: 70)، (هود: 50، 60)، (إبراهيم: 9)، (الحج: 42)، (ص: 12)، (غافر: 31)، (ق: 13)، (الذاريات: 41)، (الفرقان: 38)، (العنكبوت: 38)، و(النجم: 50).

﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ في التراث الإسلامي:

في تفسير ما جاء عن (قوم عاد) في القرآن الكريم نشطت أعداد من المفسرين والجغرافيين والمؤرخين وعلماء الأنساب المسلمين، من أمثال الطبري، والسيوطي، والقزويني، والهمداني، وياقوت الحموي، والمسعودي في الكشف عن حقيقة هؤلاء القوم، فذكروا أنهم كانوا من (العرب البائدة)، وهو تعبير يضم كثيراً من الأمم التي اندثرت قبل بعثة المصطفى ﷺ بمئات السنين، ومنهم قوم عاد، وثمود، والوبر، وغيرهم كثير. وواضح من آيات القرآن الكريم أن مساكن قوم عاد كانت بالأحقاف - (جمع جحُف: وهو كثيب الرمل السافي المستطيل المتموج أي: ما اعوج من الرمال السافية واستطال). والأحقاف - هي جزء من جنوب شرقي الربع الخالي، بين حضرموت جنوباً، ومعظم الربع الخالي (المملكة العربية السعودية) شمالاً، وعمان شرقاً. والقرآن الكريم يثبت أن النبي الذي بعثه الله - تعالى - إلى قوم «عاد» كان هو سيّدنا هود ﷺ، وأنه بعد هلاك الكافرين، من قومه سكن هود أرض حضرموت حتى مات، ودفن فيها قرب (وادي برهوت) إلى الشرق من مدينة تريم، وإن قيل أنه هاجر إلى مكة المكرمة حيث عاش إلى أن مات ودفن في حجر المسجد الحرام بين الحجر الأسود وبئر زمزم.

أما عن ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ فقد ذكر كلُّ من الهمداني (المتوفى سنة 334هـ/946م)، وياقوت الحموي (المتوفى سنة 627هـ/1229م) أنها كانت من بناء شداد بن عاد، ثم اندرست - أي: طُمِرَت بالرمال - فهي لا تعرف الآن، وإن ثارت من حولها كثير من الأساطير.

الكشف الحديث عن ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾:

في سنة 1984م زوّدت وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) أحد مكوكات

الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار (يعرف باسم جهاز رادار اختراق سطح الأرض (Ground Penetrating Radar Or GPR)، فكشف هذا الجهاز عن العديد من المجاري المائية الجافة والمدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً. وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة بواسطة هذا الجهاز، تقدم أحد هواة دراسة الآثار الأمريكيان - واسمه نيكولاس كلاب (Nicholass Clapp) - إلى مؤسسة بحوث الفضاء الأمريكية (NASA) يطلب الصور التي أخذت بتلك الوساطة لجنوب الجزيرة العربية. واستجابت الهيئة إلى طلبه، ومنحته الصور المطلوبة، وعند دراستها اتضح له وجود آثار مدقات طرق قديمة يعتقد بأنها كانت تؤدي إلى مدن مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي. وقد شجع على هذا الاستنتاج وجود عدد من أودية الأنهار القديمة، والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلومترات مدفونة برمال الربع الخالي، وهي رمال سافية.

وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى الكتابات القديمة الموجودة في إحدى المكتبات المتخصصة في ولاية كاليفورنيا، وتعرف باسم مكتبة هنتنجتون (Huntington Library)، كما لجأوا إلى عدد من المتخصصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، وفي مقدمتهم الأمريكي جويس زارينز (Juris Zarins)، والبريطاني رانولف فينيس (Ranulph Fiennes). أجمع الدارسون على أن آثار منطقة «الشيصار» هي آثار عاصمة قوم عاد، الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم الذي ذكر اسم مدينتهم (إرم) في «سورة الفجر»، وهي السورة رقم (89) في تسلسل سور القرآن الكريم. وقد قدر عمر مدينة «إرم» بالفترة من 3000ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية. وعلى الفور قام معمل الدفع النفاث، وهو أحد المكونات الأساسية لمعهد كاليفورنيا للتقنية بولاية كاليفورنيا الأمريكية (The Jet Propulsion Laboratories (J.P.L.), California Institute of Technology) بإعداد تقرير مطوّل يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي قد تملأ فراغاً في

تاريخ البشرية. وكان عنوان التقرير هو: البعثة عبر الجزيرة العربية (The Trans-Arabia Expedition)، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآيتان الكریمتان رقما (7، 8) من سورة الفجر. وقد أُرسِلَ إليَّ هذا التقرير لدراسته، وقلت بذلك فعلاً، وقدمت رأيي فيه كتابة إلى المسؤولين بالمملكة العربية السعودية.

وقد ذكر هذا التقرير أن اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة أرض «قوم عاد» في أواخر عهدها. وكتب هذان العالمان أن المنطقة كانت لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات زاخرة بالحياة، والأرض مكسوة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة فيها، وذلك قبل أن يهلكهم الله - تعالى - بفترة قصيرة. وكان أحد هذين العالمين هو بليني الكبير [Pliny the Elder = Caius Plinius Secundus C.C.A.] وهو أحد كبار علماء الحضارة الرومانية، والذي عاش في الفترة من 23م إلى 79م، والآخر كان هو الفلكي والجغرافي المصري بطليموس الإسكندري (Ptolomy of Alexandria) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية، وعاش في الفترة (من 100م إلى 170م تقريباً). قام بطليموس الإسكندري هذا برسم خريطة لمنطقة «الأحقاف» بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المتشعبة، والتي تلتقي حول مساحة واسعة من الأرض، سماها باسم (سوق عمان).

ووصف بليني الكبير حضارة «عاد الأولى» بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها. فقد عاشت هذه القبيلة على مفترق طرق التجارة بين كلٍّ من الصين والهند من جهة، وبلاد الشام وأوروبا من جهة أخرى، والتي كانت قبيلة عاد تصدّر إليها كلاً من البخور، والعمور، والأخشاب، والفواكه المجفّفة، والذهب، والحريز وغيرها. ونظراً لما يسود منطقة الربع الخالي اليوم من قحولة وجفاف، فإن كثيراً من المتأخرين قد علّق على كتابات كلٍّ من بليني الكبير وبتليموس الإسكندري، ووصفوها بأنها ضرب من الخرافات والأساطير. كذلك لا يزال يتشكك فيها بعض

المعاصرين، ممن لم يستطيعوا تصوّر أن الربع الخالي - وهو من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافاً اليوم - كان مليئاً في يوم من الأيام بالأنهار والبحيرات والعمران. ولكن الصور التي أخذها المكوك الفضائي مؤخراً جاءت مطابقة لخريطة بطليموس الإسكندري، ومؤكدة لما كان قد كتبه من قبل، ولما كان قد كتبه أيضاً بليبي الكبير، وقد جاء ذلك بالتفصيل في تقرير معهد الدفع النفاث المعنون بعنوان «البعثة عبر الجزيرة العربية» (The Trans-Arabia Expedition).

إرهاصات قبل الكشف عن مدينة «إرم»:

في سنة 1975م تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سوريا باسم مدينة (إبلا) (Ebla)، تم تحديد تاريخها بحوالي 4500 سنة مضت، وفي بقايا مكتبة قصر الحكم في هذه المدينة القديمة وجدت مجموعة كبيرة من الألواح الصلصالية (حوالي 15,000 لوح) تحمل كتابات بإحدى اللغات القديمة التي تم معرفة مفاتيحها وتمت قراءتها. وفي عددها الصادر بتاريخ ديسمبر 1978م نشرت المجلة الجغرافية الأهلية (National Geographic Magazine) مقالاً بعنوان: «إبلا: روعة إمبراطورية غير معروفة» (vol. Ebla: Splendour of an unknown Empire) (154, No 6, PP 731-759) لكاتب باسم هوارد لافاي (Howard la Fay) جاءت فيه الإشارة إلى أنّ من الأسماء التي وجدت على ألواح مدينة إبلا الاسم (إرم) على أنّه اسم لمدينة غير معروفة جاء ذكره في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

بعد ذلك بعام واحد - أي في سنة 1979م - نشر اثنان من الأثريين الصهاينة الأمريكيين هما: حايم برمانت، وميخائيل ويتزمان Chaim Bermant and Michael Wetzman (1979) كتاباً بعنوان: «(إبلا) فتح في مجال علم الآثار» «Ebla-A revelation In Archaeology» ذكرا فيه أسماء ثلاثة وجدت مكتوبة على ألواح الصلصال المكتشفة في (إبلا) هي: شاموتو (أو ثمود)، و(عاد)، و(إرم) وذكرنا أنّ هذه الأسماء الثلاثة ذكرت في السورة رقم (89) من القرآن الكريم.

وأضاف هذان الكاتبان أنَّ (ثمود) هو اسم قبيلة مندثرة ذكرها سارجون الثاني (Sargon II) في القرن الثامن قبل الميلاد، بينما الاسم (إرم) قد اختلف فيه، فمن المؤرخين من اعتبره اسماً لإحدى القبائل، ومنهم من اعتبره اسماً لمكان، أما عن الاسم الثالث (عاد) فقد اعتبره اسماً أسطورياً، وهذا من قبيل تزيف التاريخ الذي برع فيه الصهاينة منذ القدم، وقد سبقهم في ذلك جيش من مزيفي تاريخ الجزيرة العربية كان على رأسهم «توماس برترام» (Thomas Bertram) الذي نشر في الثلاثينيات من القرن العشرين كلاماً مشابهاً.

في يوليو سنة 1990م تشكل فريق من البُحّاث في وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) برئاسة «تشارليس إيلاشي» (Charles Elachi)، ومن معهد الدفع النفاث (J.P.L) برئاسة «رونالد بلوم» (Ronald Blom) للبحث عن «إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» تحت رعاية وتشجيع عدد من الأسماء البارزة التي كان منها كل من: (Armand Hammar, Sir Ranoulph Fiennes, George Hedges) ولكن البحث تأجل بسبب حرب الخليج الأولى (1990م).

ماذا بعد الكشف عن إرم؟:

في يناير سنة 1991م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية، واسمها الحالي «الشيصار»، واستمر العمل إلى مطلع سنة 1998م، وأُعلن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع، سمكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة، يصل ارتفاع كل منها إلى 9 أمتار، وقطره إلى 3 أمتار.

- في 17/2/1992م نشر في مجلة تايم (Time) الأمريكية مقال بعنوان: «القلعة الرملية المفقودة في جزيرة العرب» بقلم الكاتب رتشارد أوستلنج (Arabia's Lost Sand Castle) By Richard Ostling ذكر فيه الكشف عن مدينة إرم.

- بتاريخ 10/4/1992م كَتَبْتُ مقالاً بعنوان (اكتشاف مدينة إرم ذات العماد)

نُشِرَ بجريدة الأهرام القاهرية لخصت فيه ما وصلني من أخبار ذلك الكشف حتى تاريخه .

- في سنة 1993م نشر «بيل هاريس» كتابه المُعْتَوَن بعنوان «حضارات مفقودة» (Bill Harris: Lost Civilizations).

- بتاريخ 23 / 4 / 1998م نشر «نيكولاس كلاب» (Nicholas Clapp) كتابه المُعْتَوَن: «الطريق إلى أوبار» «The Road to Ubar»، ويعتبر «أوبار» اسماً بديلاً لمدينة «إرم».

- بتاريخ 16 / 6 / 1999م نشر «بيكو إير» (Pico Iyer) كتابه المُعْتَوَن: «سقوط من الخارطة: بعض الأماكن المعزولة في العالم» (Falling off The Map: Some Lonely Places in The World).

وتوالت الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدولية منذ ذلك التاريخ، ولكن تكتم القائمون على الكشف نشر المزيد من أخباره حتى يتمكنوا من تزييفه، وإلحاقه بأساطير اليهود، كما فعلوا من قبل في كل من لفائف البحر الميت، وآثار (إبلا)، وفي غيرهما من المواقع. وكل ما نشر - على قلته - يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم عن «قوم عاد»، والذي يمكن تلخيصه فيما يلي:

1 - أن قوم «عاد» كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنهم بطروها ولم يشكروها، ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنها لم يكن يدانيها في غناها حضارة أخرى، (In its affluence it was next to nothing) وجاء ذلك كأنه ترجمة لمنطوق الآية الكريمة: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ ٨.

2 - أن هذه الحضارة قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية، وهو ما سبق القرآن الكريم بالإشارة إليه، وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُخْلِ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨﴾

[الحاقة: 6 - 8].

3 - أن هناك محاولات مستميتة من اليهود لتزييف تاريخ تلك المنطقة، ونسبة كل حضارة تكتشف فيها إلى تاريخهم المُحرّف، ولذلك كان هذا التكتُّم الشديد على نتائج الكشف حتى يفاجئوا العالم بما قد زيفوه، ومن ذلك محاولة تغيير اسم (إرم) إلى اسم عبري هو أوبار (Ubar).

هذه قصة ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، مدينة قوم عاد التي جاءت الكشوف الأثرية الحديثة بإثبات ما ذُكر عنها في القرآن الكريم. وإذا كان نفر من الأقدمين قد حاول إنكار ذلك تطاولاً على الله وكتابه، فإن نفرًا من المحدثين قد حاول إنكاره تطاولاً على العلم وأهله في زمن (يتكلم فيه الروبوضة)⁽¹⁾ كما أخبرنا رسول الله ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن كل ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لقوم عاد ولمدینتهم ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، ولما أصابها وأصابهم من دمار بعاصفة رملية غير عادية يبقى صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، تشهد لهذا الكتاب العزيز بصفائه الربّاني، وإشراقاته النورانيّة، وبأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(1) مسند أحمد حديث رقم (13298).

21 - ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: 24، 25].

هاتان الآيتان القرآنتان الكريمتان تشيران إلى ما أنزل الله - تعالى - بقوم عاد من عقاب قبل عدة آلاف من السنين. ولم يعرف معظم المؤرخين وعلماء الآثار شيئاً عن «قوم عاد» إلا ما أورده القرآن الكريم عنهم، حتى كانت سنة 1984م حين تمّ تزويد إحدى مركبات الفضاء بجهاز رادار له قدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عشرات الأمتار فكشف عن العديد من البحيرات والمجاري المائية الجافة المدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً كما سبق وأن أشرنا. وتحليل الصور المأخوذة لجنوب الجزيرة العربية بواسطة تلك المركبة أتضح وجود أعداد من تلك الأودية والأنهار والبحيرات الجافة المطمورة بواسطة رمال الربع الخالي، كما أتضح آثار طرق برية قديمة تؤدي إلى عديد من الأبنية المدفونة التي تمّت نسبتها إلى آثار «قوم عاد» ولعاصمة ملكهم «إرم». وقد اهتم معهد الدّفع النفاث بولاية كاليفورنيا وهو جزء من معهد كاليفورنيا للتقنية بإعداد تقرير مطوّل عن نتائج دراسة تلك الصور، ويدعو التقرير في ختامه كلاً من الحكومات العربية ورجال الأعمال العرب إلى دعم عملية الكشف عن تلك الآثار التي لا يعرف الأثريون والمؤرخون شيئاً عنها. على الرّغم من أن اثنين من قدامى المؤرخين قد أوردا في مدوناتهما أنّ كلاً منهما قد زار أرض «قوم عاد» منفرداً في أواخر عهدها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة مادية زاهرة، الأنهار فيها متدفقة بالمياه، والبحيرات عامرة بالحياة، واليابسة مكسوة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة في زمانهم قبل أن يهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم وشركهم. وكان أحد الزائرين هو

بلييني الكبير (Pliny the Elder) وهو من مؤرخي الحضارة الرومانية (عاش في الفترة من 23م إلى 79م تقريباً)، وكان الآخر هو بطليموس الإسكندري (Ptolomy of Alexandria) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية (وعاش في الفترة من 100م إلى 170م تقريباً). وقد قام بطليموس هذا برسم خارطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سمّاها باسم «سوق عُمان». كذلك وصف بلييني الكبير حضارة عاد بقوله: إنّها لم يكن يداينها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها المادية، حيث كانت على مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند شرقاً، وبلاد الشام وأوروبا غرباً.

وكانت قبيلة «عاد» تصدر كلاً من البخور والعطور والأخشاب والفواكه المجففة والذهب، والحريز، وغيرها إلى كل الدول من حولها.

وقد علّق كثير من المتأخرين على كتابات كل من هذين المؤرخين واصفين إياها بالأساطير والخرافات، لأنّهم لم يستطيعوا تصور أنّ منطقة الربع الخالي وهي من أكثر مناطق الأرض قحولةً وجفافاً اليوم (إن لم تكن أكثرها على الإطلاق) كانت مليئة بالماء والحياة والعمران في يوم من الأيام.

ولكن في يناير سنة 1991م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية، واستمر العمل بها حتى سنة 1998م، ثم توقف بسبب حرب الخليج الثانية، وتم استئنافه بعدها وظل مستمراً إلى اليوم. وخلال هذه الفترة تمّ الإعلان عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سمكة الجدران بأبراج مراقبة في زواياها قائمة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلى تسعة أمتار، ويصل قطره إلى ثلاثة أمتار ونسبت القلعة إلى مدينة «إرم» التي وصفها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِرمَ ذاتِ الْعِمَادِ ۖ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: 7، 8].

وكما سبق وأن أشرنا توالى بعد ذلك نشر العديد من الكتب والمقالات

والمواقع على شبكة المعلومات الدولية عن هذا الكشف الأثري الفريد الذي يؤكد الحقيقة التاريخية عن «قوم عاد»، وأنهم كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنهم بطروها ولم يشكروها فعاقبهم الله - تعالى - ب: «رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»، والدراسات على آثارهم تؤكد أن مناطق سكناهم طمرت بعاصفة رملية غير عادية.

من الإشارات التاريخية والعلمية في النص الكريم:

في الآيتين رقم (24)، (25) من سورة «الأحقاف» عدد من الحقائق التاريخية والعلمية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا آودِيْنِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا...﴾ [الأحقاف: 24]:

يسجل هذا النص القرآني الكريم أن الله - تعالى - حبس عن «قوم عاد» المطر بعد أن كانت الأنهار متدفقة في أراضيهم، والبحيرات زاخرة بالحياة، فأصاب منطقة «الأحقاف» دورة من دورات الجفاف والتصحر الشديد، وكان ذلك عقاباً لهم على مغالاتهم في الشرك، وقسوتهم في الرد على نبيهم سيدنا «هود» عليه السلام، واستهتارهم بما حذرهم به من العذاب، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَأَذَكَّرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحقاف: 21، 22].

ومن معاني هاتين الآيتين الكريمتين أن سيدنا هود عليه السلام لم يكن أول منذر لقومه، فقد سبقه العديد من الرسل إلى أقوامهم، لأن وحي السماء كان متصلاً من زمن آدم إلى زمن هود، ومن زمن هود إلى زمن محمد - صلى الله عليه وسلم وبارك عليهم وعلى كافة أنبياء الله ورسله أجمعين - . وإنذار الرسل كان واحداً، وهو التحذير من مغبة الشرك بالله: ﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ﴿أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنْ الْعَمَلِ إِنَّا بِمَا تَعُدُّونَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي قالت «عاد» جواباً لتحذير نبيهم هود لهم: أجيئنا يا هود لتصرفنا عن عبادة أصنامنا؟ وهو استفهام يراد به التسفيه والتجهيل والاستهتار بما أنذرهم به، ولذلك أضافوا قولهم المتحدي: ﴿فَأِنَّا بِمَا تَعُدُّونَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: أنهم استعجلوا نزول عقاب الله بهم، استبعاداً منهم لإمكانية وقوعه.

ويروي عدد من أئمة الحديث والتفسير من أمثال كل من الترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري أن رسول الله ﷺ ذكر أن «قوم عاد» عندما أصرُّوا على الشرك بالله، واستمروا في عبادة الأصنام، أمسك الله - تعالى - عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك. وعندما طال عليهم الجفاف بعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم المكي، ولكن أتى يستجاب لهم في شركهم واستكبارهم في الأرض؟

ثم فوجئوا بالسحاب معترضاً في أفق السماء متجهاً نحو أوديتهم، فاستبشروا به، ظناً منهم بأنه السحاب الحامل للمطر إليهم. ويثبت القرآن الكريم هذه الواقعة بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرًا...﴾.

وربما كان ذلك هو بدايات تصحُّر جنوب الجزيرة العربية، وإشارة القرآن الكريم إليه هو سبق علمي وتاريخي مشهود.

ثانياً: في قوله - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا...﴾ [الأحقاف: 24، 25]:

أي قال لهم نبيهم هود ﷺ: ليس الأمر كما زعمتم أنه المطر، بل هو ما استعجلتم به من العذاب، ثم فسره بقوله: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا...﴾ أي تخرب وتدمر وتهلك كل شيء أتت عليه من الأحياء والجمادات والعمران. وهي الريح الصرصر العاتية التي جاء وصفها في سورة «فصلت» بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّتَذِيقَهُمْ عَذَابَ

الْحَزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ ﴿١٦﴾ [فصلت: 16].

وجاء في سورة «الذاريات» قول ربنا - سبحانه -: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: 41، 42].

وجاء في سورة «القمر» قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَاؤِي وَنُدْرِي ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر: 18 - 20].

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، فقلت: يا رسول الله! الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فقال: «يا عائشة! ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرَانٌ﴾»⁽¹⁾.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 25]:

أي فأصبح كفار ومشركو «قوم عاد» صرعى لا ترى إلا مساكنهم، لأن هذه الريح الصرصر العاتية لم تبق منهم إلا الديار الخاوية، التي طمرتها الرمال السافية بعد ذلك حتى تمّ الكشف عن بعضها في أواخر القرن العشرين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما جاءت الريح على «قوم عاد» كانت تأتي على الرجال والمواشي فترفعهم من الأرض وتطير بهم إلى السماء حتى يصبح الواحد منهم كالريشة، ثم تضربهم على الأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وتركت مساكنهم قائمة خاوية موحشة حتى طمرتها الرمال.

وتختتم الآيات بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4829).

أي أن هذه هي سنة الله في الذين أدمنوا الإجرام، وأفسدوا في الأرض، وهي سنة لا تتوقف، ولا تتبدل، ولا تتعطل أبداً.

وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى «قوم عاد»، وأنهم أشركوا بالله - تعالى - بعد كل ما كانوا فيه من نعيم العيش ورغده، وتحديد اسم النبي الذي بعثه الله - تعالى - إليهم وهو «هود» ﷺ، ووصف موقفهم من دعوته، ووصف عقاب الله تعالى لهم بالتدمير الكامل بـ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ تَدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم. وذلك لأن الدراسات الحديثة على موقع «إرم» أثبتت أن «حضارة عاد» قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية بعد أن كانت أغنى الحضارات في زمانها، وأوفرها ثراءً وعمراً. ومع عدم وجود أي ذكر لهذه الأمة أو لنبيها في أي من «العهدين القديم أو الجديد» فيه الردّ الدافع ببطلان دعوى المدعين بأن القرآن الكريم أخذ قصصه عن تلك الكتب. وفي ذلك ما يؤكد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الموحى به إلى خاتم أنبيائه، ورسله، والمحفوظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، والذي سوف يبقى محفوظاً بحفظ الله - تعالى - إلى ما شاء الله، تحقيقاً للوعد الإلهي المطلق الذي قطعه ربنا - تبارك وتعالى - على ذاته العلية فقال - عزّ من قائل -:

[الحجر: 9].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

[الأعراف: 101]

ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه صالح ﷺ

جاء ذكر اسم عبد الله ونبيه صالح ﷺ في القرآن الكريم تسع (9) مرّات في أربع من سور هذا الكتاب العزيز هي: «الأعراف»، «هود»، «الشعراء»، و«النمل». وكان هذا العبد الصالح، والنبي الصالح قد بُعث إلى قومه قبيلة «ثمود»، وهم بقية قوم (عاد الأولى) ولذلك يُطلق عليهم اسم (عاد الثانية). ويقال بأنهم كانوا قد سمّوا على اسم جدّهم (ثمود) بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ﷺ، وكانوا من العرب العاربة، الذين سكنوا منطقة الحجر (بوادي القرى، على الطريق القديم بين مدينتي يثرب وتبوك) في محافظة «العلا». وقد اختلف المؤرّخون في ذكر نسب عبد الله ونبيه صالح اختلافاً كبيراً قبل جده (ثمود)، واتفقوا على ما بعد ذلك. وقال أبو عمرو بن العلاء أن (ثموداً) سميت بهذا الاسم لقلّة مائها، لأن (الثمد) في اللغة العربية هو الماء القليل، وإن كانت آثارهم في «وادي القرى» تشير إلى غير ذلك.

وقد جاء ذكر «قوم ثمود» في القرآن الكريم (26) مرة، كما جاء ذكر مكان إقامتهم (الحجر) مرّة واحدة في القرآن الكريم وسمّيت باسمه إحدى سور ذلك الكتاب العزيز (سورة «الحجر»)، وفيها يقول - تعالى -:

[الحجر: 80].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾

وكثيراً ما يقرون القرآن الكريم بين كل من قومي «عاد» و«ثمود»، وذلك لأنّ «ثمود» هم نسل الذين نجوا مع عبد الله ونبيه هود ﷺ من عذاب قوم «عاد»، فهاجروا من منطقة «الأحقاف» إلى مكّة المكرّمة، ثم بعد ذلك سكنت ذراريهم منطقة «الحجر».

ولا يوجد ذكر لأي من قبيلتي «عاد» أو «ثمود» في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، علماً بأن القرآن الكريم يؤكد على علم موسى ﷺ بأخبارهم، ويسجل القرآن الكريم ذلك حين وجه عبد الله ونبيه موسى ﷺ إنذاره إلى قومه الذين عاندوه وجحدوا هدايته قائلاً لهم: إن تجحدوا نعم الله عليكم ولا تشكروها، فإن الله - تعالى - غني عنكم وعن جميع من في الأرض، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفِي حَيْدٍ ۗ﴾ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۗ﴾ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۗ﴾ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۗ﴾ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۗ﴾ (١٢)

[إبراهيم: 8 - 12].

هذا وقد تم اكتشاف آثار قوم «ثمود»، وهي قرية تقع في محافظة «العللا»، على الطريق القديم بين المدينة المنورة ومدينة «تبوك». كذلك تم العثور على عدد من الإشارات القديمة إلى «قوم ثمود» في ألواح الصلصال التي وجدت في أطلال مدينة إبلا (Ebla) الأثرية المكتشفة سنة 1985م في شمال غربي سوريا، وقد تم تحديد عمر هذه الألواح بحوالي 4500 سنة مضت كما جاء في المقال الذي سبق وأن أشرنا إليه والمعنون:

Howard la Fay (1978): «Ebla: Splendour Of An Unknown Empire»; National Geographic Magazine, V. 154, N: 6, pp. 731-759).

وتقرر طائفة من المراجع القديمة القول بوجود اسم «ثمود» في عدد من الآثار القديمة، وذلك من مثل نقش الملك الآشوري «سرجون»، ويرجع تاريخ هذا النقش إلى سنة 715 ق.م. ويشير إلى حروب قامت بين قوم ثمود والأشوريين. ومن ذلك أيضاً كتابات كل من أرسطو، وبطليموس الإسكندري، وبليني الكبير، الذين ذكروا من منازل ثمود مناطق عديدة سموها بأسماء «دمثة» (Domutha) و«هجرة» (Hegra). وقد استشهد عدد من شعراء الجاهلية (من مثل الأعشي وأمية بن أبي الصلت) بما حدث لكل من «عاد» و«ثمود» على زوال متاع الدنيا عند الاغترار بها، وعند جحود نعم الله وعدم شكرها.

ويذهب «جليزر» (Glaser) إلى أن ثمود كانوا وثيقي الصلة بقبيلة (لحيان) التي ذكرها بليني الكبير باسم (لشيني). ولا يزال اسم (لحيان) يطلق على حيين من أحياء قبيلة هذيل إلى اليوم، وذلك لأن هلاك «ثمود» - كما يقول جليزر - يتفق ونهاية مملكة لحيان (فيما بين عامي 400م، 600م).

وينسب علماء الآثار النقش المحفور على الصخرة التي وجد عليها صور كل من (هوبر) و(يوننج) وغيرهما في منطقتي «العلا» و«الحجر» وما جاورهما إلى «قوم ثمود»، أو إلى «قوم لحيان». كذلك يربط المؤرخون بين الذين نجوا من قوم صالح ﷺ وبين قبيلة «ثقيف» الذين سكنوا منطقة الطائف فيما بعد.

قصة ناقة صالح ﷺ:

سبق وأن ذكرنا بأن الذين نجوا من عذاب قوم «عاد الأولى» مع نبيهم هود ﷺ لجأوا إلى مكة المكرمة، ومنها انتقلت ذراريهم إلى منطقة العلا (الحجر) في «وادي القرى» على الطريق القديم بين المدينة وتبوك. و«وادي القرى» تميز بوفرة نسبية في كل من الماء وخصوبة التربة، في منطقة محمية حماية طبيعية بسلاسل الجبال المحيطة بها. وقد قامت «ثمود» بنحت مساكنهم في السلاسل الجبلية المحيطة بجانبَي الوادي، كما أتوا بكتل هائلة من صخورها إلى بطن الوادي

ونحتوها قصوراً. وكان النَّاجون من «قوم عاد الأولى»، ومَن جاء من نسلهم (عاد الثانية أو ثمود) على التوحيد الخالص، ثم اجتالت الشياطين نفراً من ذراريهم عن دينهم، وأغوتهم بالشرك فعبدوا الأصنام والأوثان حتى عمَّ ذلك قبيلة «ثمود» بأسرها، فأرسل الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه صالحاً ﷺ ليردَّهم إلى التوحيد من جديد، فكفروا برسالته، وقاوموا دعوته، وحاربوه، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً.

كان صالح ﷺ من أشرف أبناء «قبيلة ثمود» نسباً، وأكثرهم حِلماً، وأصفاهم عقلاً، ولكن عندما آتاه الله النبوة جفاه قومه، وحاربوه، وسَفَّهوا رأيه وسخروا من دعوته. وعلى الرغم من ذلك كله استمر صالح ﷺ في دعوة قومه إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وإلى تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، واستمر قومه في معارضته، ومقاومة دعوته، وتسفيه قوله، فصبر على جهالتهم وفسادهم. وبقي يحذِّرهم من مخاطر الشرك، ومن عواقب الإفساد في الأرض والاعتزاز بالدنيا الفانية، ويذكِّرهم بضرورة التوبة إلى الله من المعاصي التي كانوا قد وقعوا فيها، وبضرورة الشكر لله على النعم التي كان قد أغدقها عليهم، خشية زوالها، فلم يؤمن معه إلا القليل من قومه، وظلَّت الأغلبية الساحقة منهم في محاربه والاستهزاء به، والسخرية منه.

ولمَّا طال صبر نبيِّهم على كفرهم واستكبارهم، سألهم ماذا يريدون إثباتاً لصدق نبوتهم؟ فطلبوا منه - من قبيل التعجيز - إخراج ناقة لهم من صخرة أشاروا إليها، وذكروا أوصافاً محدَّدة للناقة، وتعتتوا في تحديد تلك الأوصاف، ومن ذلك أن تكون عشاء (أي مضى على حملها عشرة أشهر). فقال لهم صالح ﷺ: إن رأيتم إن أحببتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به؟ قالوا: نعم، فأخذ منهم العهود والمواثيق على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلَّى ودعا ربَّه ﷻ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فانفطرت الصخرة عن ناقة بنفس المواصفات التي طلبوها، ومنها أنَّها كانت عشاء، فأمن من قوم صالح من آمن،

ولكن بقيت غالبيتهم على كفرهم وشركهم. وفي ذلك يقول ربنا - سبحانه -:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُ مِنَ اللَّهِ إِِنْ عَصَيْتُمْهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: 61 - 64].

وقال - تعالى -:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا الْآيَةَ الَّتِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا مِنْكُمْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَقْتُلُونَ أَمْ كُنْتُمْ لَكُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْمُرُ بِكَ اللَّهُ فَمَا يَفْعَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ قَالَ إِيَّاكُمْ يَفْعَلُ مَا كُنْتُمْ مُكَفِّرُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَبُوا النَّاقَةَ وَعَكَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَآخَذَتْهُمْ رِجْفَةٌ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَشِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: 73 - 79].

وقال - عزَّ من قائل -: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ فَمَنْ جَاءَكُمْ مِنْكُمْ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِمْ لَمَمًا ﴿٤٦﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ ﴿٤٧﴾ وَذَرُوا ذُرُبًا وَمَخْلِبًا طَلَمَهَا هَٰضِمٌ ﴿٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَاهِينَ ﴿٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٥٢﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِنَبَأٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَذِهِ

نَاقَةٌ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْؤُهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ [الشعراء: 141 - 159].

عقرت «ثمود» الناقة، على الرغم من أن نبيهم صالحاً ﷺ كان قد أمرهم ألا يمسوها بسوء، وأن يجعلوا الماء لها ولفصيلها يوم ولهم يوم، وكانوا يأخذون من لبنها كفايتهم. ولكن الشيطان سؤل لهم عقر الناقة فعقرها أحد أشقيائهم، وهرب فصيلها إلى قمة الجبل، ورغا ثلاث مرّات، وامتنع عنهم، فأنذرهم صالح ﷺ بعذاب قريب. هددت ثمود بقتل نبيهم صالحاً وقتل أهله، فجاءت الصيحة من السماء فأهلكت الكافرين من قوم «ثمود»، ويصف القرآن الكريم ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى :-

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٦٧﴾ كَانَتْ لَمْ يَنْفَعُوا فِيهَا آلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا لِثَمُودٍ ﴿٦٨﴾ [هود: 65 - 68].

ويقول - عزّ من قائل :-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْفَوِرَ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْسَبِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتِنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ [النمل: 45 - 53].

بعد أيام الإمهال الثلاثة، جاءت «قوم ثمود» صيحة من السماء وفي صبيحة

اليوم الرابع، فاضت أرواحهم، وزهقت نفوسهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَجِدًا نَبَّعُهُ؛ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَهْلَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٥) سَيَعْمُونَ عَدَا مِنْ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَى لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ (٢٧) وَيَتَّبِعُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمًا يَنْتَهُمُ كُلُّ شَرِبٍ مُخَضَّرٌ (٢٨) فَادَّوَّا صَاحِبَهُمْ فَمَعَاظِي فَمَعَرٌ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ (٣١) وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢)﴾ [القمر: 23 - 32].

وفي هذا الصدد روى الإمامان البخاري ومسلم - كل في صحيحه - أن رسول الله ﷺ لما نزل بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت «ثمود»، فاستقى الناس من الآبار، التي كانت تشرب منها «ثمود» فعجنوا منها ونصبوا القدور، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، فأمرهم أن يستقوا منها. ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، وقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم» وتقنع بردائه وهو على الرحل⁽¹⁾.

ويروى أيضاً في الصحيحين أنه ﷺ قال وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم»⁽²⁾.

الدروس المستفادة من قصة عبد الله ﷺ ونبيه صالح مع قومه «ثمود»:

1 - إن الله - تعالى - أعلم جميع خلقه بضرورة الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فبعث النبيين، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وسخر الوحي، وحذر العاصين لأوامره من نزول عقابه بهم في الدنيا قبل

(1) مسند أحمد حديث رقم (5984).

(2) أخرجه مسلم حديث رقم (7389)، والبخاري حديث رقم (433).

- الآخرة، إن لم يؤمنوا برّبهم، ويستقيموا على أوامره، ويجتنبوا نواهيهِ .
- 2 - إنَّ الناس منذ زمن نوح عليه السلام إلى اليوم ظلّوا ينتقلون بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج الله والخروج عنه، وسيقون كذلك حتى قيام الساعة. والعاقل هو الذي يثبت على الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وينجو بنفسه من وساوس الشيطان، لأنَّ الشيطان متربّص دوماً بالإنسان.
- 3 - إنَّ الأجيال المتقدّمة زمنياً من البشر كانت تتمتع بأجساد أضخم، وبأعمار أطول، وبقدرات بدنية أكبر من الأجيال المتأخرة التي تتجه بصفة عامة إلى قلّة في حجم الجسم، وقصر في العمر، وبقدرات بدنية أقل، وقدرات ذهنيّة ومعرفيّة أكبر، وهذا ما تؤيّدّه قوانين الوراثة.
- 4 - إنَّ الله - تعالى - قادر على كل شيء، ومن ذلك قدرته على خلق ما يشاء، وقت ما يشاء، وأينما يشاء، وبالكيفية التي يشاء، وذلك من مثل خلق ناقة صالح عليه السلام من صخرة في الجبل، فأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون.
- 5 - إنَّ التنكر لأنعم الله - تعالى - هو من أسباب زوالها، ومن موجبات نزول عقاب الله في الدنيا قبل الآخرة، فبالشكر تدوم النعم.
- 6 - ضرورة الإيمان بكلِّ صور العقاب التي أنزلها الله - تعالى - بالبغاة الكافرين من الأمم السابقة من أمثال قوم «ثمود».
- 7 - إنَّ كافة صور الوحي السابقة على تنزل القرآن الكريم قد ضاعت، وما بقي من ذكريات عن القليل منها نقلت شفاهاً، ثم دوّنت بعد انتقال المرسلين الذين تلقّوها بقرون عديدة، وكتبت بأيدي مجهولين ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين ومن هنا لم يكونوا معصومين من الخطأ فيما كتبوا، وكتبت بلغات غير لغة الوحي، ومن هنا فإنّها لا يمكن أن تكون مصدر هداية لأتباعها، مهما تعلقوا بها.

22 - ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۙ﴾ [الفجر: 9].

تقرر هذه الآية الكريمة حقيقة تاريخية مؤداها أن قوم «ثمود» - الذين عاشوا في الألفية الثانية قبل الميلاد - قد قاموا بجلب كتل هائلة من الصخور إلى بطن «وادي القرى» ثم قاموا بتجويف تلك الكتل على هيئة القصور، والدواوين، والمساكن، وغيرها، وعملوا على تزيينها بقدر هائل من الأعمدة والزخارف والنقوش المتقنة، وذلك بالحفر اليدوي في ذلك الزمن الموغل في القدم. وذكر القرآن الكريم لهذه الحقيقة هو وجه من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله. وهنا قد يقول قائل: إن مدائن صالح قائمة منذ ذلك التاريخ القديم، ولكن سورة «الفجر» مكية، ورسول الله ﷺ لم يمر بمدائن صالح إلا في السنة التاسعة للهجرة، وهو في طريقه إلى تبوك.

وتقع «مدائن صالح» في منطقة «الحجر» بوادي «القرى» على الطريق القديم بين المدينة المنورة وتبوك، في إقليم العلا. والمنطقة تتكون أساساً من صخور رملية عالية المسامية والنفاذية، تتبع «مجموعة جبل الساق» التي تمثل أهم خزان للمياه تحت سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية. وتحد المنطقة من الغرب «حرة عويرض» المكونة من الصخور البازلتية، والتي ينتج عن تعريتها رواسب طينية غنية بالمواد اللازمة للإنبات، تملأ الأودية العديدة التي تقطع أراضي المنطقة. من هنا كانت منطقة «الحجر» مهياًة تهيئة كاملة للإعمار، كما كانت منطقة آمنة لإحاطتها بالجبال من كل جانب. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان صالح ﷺ، موجهاً الخطاب إلى قومه قائلاً لهم:

﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْنَا ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٧﴾ وَرُزُوعٍ وَنَحْلِ طَلْمَهَا هَضِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَتَنَحْتُونَ مِنْ أَلْجَالِ بُونًا قَرِهِينَ ﴿٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٢﴾﴾

[الشعراء: 146 - 152].

وكان القوم عمالقة، جبارين، مفسدين في الأرض، وكان الله - تعالى - قد ابتلاهم ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، فأصابهم شيء من الغرور، والبطر، والاستعلاء على الخلق، فأشركوا بالله - تعالى - بعد أن كانوا موحدين. أشركت «ثمود» على الرغم من أن أسلافها كانوا قد حملوا ذكرى هلاك قوم عاد بسبب شركهم. ولذلك يجمع القرآن الكريم بين عاد وثمود في العديد من الآيات من مثل ما جاء في سور «الأعراف»، «التوبة»، «إبراهيم»، «الفرقان»، «ص»، «ق»، «النجم»، و«الفجر»، ومن ذلك قوله - تعالى - على لسان نبيه صالحاً عليه السلام موجهاً الخطاب إلى قومه «ثمود» قائلاً لهم:

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

[الأعراف: 74].

وبالرغم من أن ذكرى هلاك قوم «عاد» كانت لا تزال ماثلة في أذهان «قبيلة ثمود»، إلا أن غالبية أفراد هذه القبيلة كانت قد انحرفت عن منهج الله، وعبدت الأصنام والأوثان والشهوات فأرسل الله - تعالى - إليهم نبيه صالحاً ليصلح لهم دينهم، وليردهم إلى التوحيد من جديد، فما آمن معه إلا أقل القليل منهم، ولذلك استحقوا نزول عقاب الله الصارم بهم.

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَتُؤَمِّدُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾

[الفجر: 9].

ومضة تاريخية وعلمية معجزة، وذلك لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي وإلى أواخر القرن العشرين يعلم شيئاً عن قوم «ثمود» غير ما جاء عنهم في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين -، وذلك على الرغم من بقاء آثارهم شاخصة للعيان.

و(الجواب) في اللغة هو القطع، والتجويف، والخرق، ، يقال: (جَابَ) (جَوِباً) و(تَجَوَّباً) الصخرة أي: فرقها، وكذلك (اجتاب) الصخرة أي: جابها، و(اجتاب) البئر أي حفرها، و(الجوبة) هي الحفرة وجمعها (جُوب). وعمليات تجويف الصخر في وادي القرى هي عمليات قام بها قوم «ثمود» في الجبال المحيطة على جانبيه، ففتحوا فيها البيوت والقبور، والنوادي، والمنتزهات. ولم يكتفوا بذلك، فكانوا يجلبون كتلاً ضخمة من الصخور إلى بطن الوادي، ثم ينحتون منها القصور، والدواوين، والمسكن من طابقين وثلاثة طوابق. وزودوا كل ذلك بالدرج الخارجي، والمداخل المقامة على الأعمدة المزدانة بأدق النقوش والزخارف، والدرج الداخلي، وتجاويف كل من الغرف، والممرات، والأبواب، والنوافذ، والشرفات. وقد ساعدهم على ذلك قلة تماسك الصخور الرملية، وسهولة تشكيلها، مع تباين ألوانها من البياض إلى كل من الصفرة والحمرة. وقد وصف القرآن الكريم تلك الأعمال الخارقة للعادة بقول ربنا - تبارك وتعالى - مخاطباً قوم «ثمود» على لسان نبيهم صالح ﷺ قائلاً لهم:

﴿وَتَنَحَّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

[الشعراء: 149].

ومدائن صالح: بقصورها، ودواوينها، ومسكنها، وقبورها المنحوتة في الجبال المكونة لجانبي وادي القرى، وفي الكتل الصخرية الهائلة المجلوبة إلى بطن الوادي تمثل نموذجاً معمارياً فريداً. فالمدينة مقسمة بعدد من الشوارع الفسيحة، المستقيمة، والمنظمة تنظيمًا دقيقاً، والمقطوعة في الكتلة الجبلية المكونة للمنطقة مما يدل على الجهود الجبارة التي بذلت في تخطيط وإنشاء تلك المدينة العجيبة. وعلى منوال مدائن صالح أقام الأنباط «مدينة البترا» (مدينة الصخر أو المدينة الوردية أو «سلع»، أو «رقيمو» كما تسمى باللغة النبطية) وكان ذلك في سنة (400ق.م). وتم اكتشاف «البترا» في سنة 1812م على يد الأثري السويدي «يوهان بيركاردت»، ثم انتهت دولة الأنباط سنة (105ق.م) بسبب الغزو الروماني للمنطقة العربية.

ودراسة منطقة «الحجر» تؤكد أن بعض جبالها مفرغة من الداخل تفرغاً

هندسياً رائعاً، يجعل منها السكن، والستر، والحصن، والوقاية، ومناطق الدفاع عن المدينة، وممرات التحرك والتنزه فيها، وأماكن دفن الموتى بها.

وفي الأودية التي تقطع جبال المنطقة تم حفر عدد من الآبار بواسطة «قوم ثمود»، وبذلك تمت تهيئتها للزراعة في زمن قوم ثمود (وإن كان أغلبها قد صار مطموراً الآن).

ولا يمكن لزائر المنطقة أن يتخيل كيف تم نقل الكتل الصخرية الهائلة من الجبال إلى بطن الوادي، ولا إمكانية تشكيل تلك الكتل على هيئة القصور، والدواوين، والمسكن، والقبور، بالحفر اليدوي، ولا يمكنه أن يتخيل إمكانية تزيينها بهذا القدر من الأعمدة والزخارف والنقوش المتقنة في ذلك الزمن البعيد الذي لم يكن متوفراً فيه شيء من أدوات وأجهزة اليوم.

ومن ومضات الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى - ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۙ﴾ [الفجر: 9] هو التمييز بين النحت في الجبال، والنحت في الكتل الصخرية المجلوبة إلى بطن الوادي، وهو ما لا يقدر على تمييزه إلا الخبراء في علوم الأرض. وذلك لأن هناك فروقاً كبيرة بين الكتل الصخرية الثابتة في مكانها، والكتل المنقولة من أصولها إلى بطون الأودية بواسطة السيول العارفة أو الإنسان. ويؤكد هذا الوجه من أوجه الإعجاز أن أغلب الآيات القرآنية التي تتحدث عن قوم ثمود وعن نبيهم صالح عليه السلام هي من الآيات المكيّة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمر بمدائن صالح إلا وهو في طريقه لغزوة تبوك في السنة التاسعة بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة.

روى الإمام أحمد عن عمرو (عامر) بن سعد رضي الله عنه أنه لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى في الناس: «الصلاة جامعة». قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ممسك ببعيره وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم»، فناداه رجل: نعجب منهم يا رسول الله! قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم

وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعاباً بعدابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدعون عن أنفسهم شيئاً»⁽¹⁾.

وقد اختلف الباحثون في تحديد زمن قوم «ثمود» كما اختلفوا في تحديد زمن أسلافهم قوم «عاد»، ولكن الإشارات القرآنية تؤكد أنهم كانوا قبل زمن عبد الله ونبيه موسى ﷺ بفترة طويلة. ويؤكد ذلك تحذير مؤمن آل فرعون قومه من العذاب الذي نال أقوام كل من نوح وعاد وثمود والذي جاء نصه في القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَّبِعُونَ آيَةَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِ ﴿٣١﴾﴾
[غافر: 30، 31].

ولما كان الأثريون يؤرخون فترة حكم فرعون موسى «رئيس الثاني» (المعروف باسم فرعون الاضطهاد) بالفترة من (1301ق.م) إلى (1234ق.م) فإن «قوم ثمود» لا بد وأنهم عاشوا في النصف الأول من الألفية الثانية من قبل الميلاد على أقل تقدير (من 2000 - 1500ق.م).

ووجود العديد من النقوش الثمودية والنبطية والآرامية في أجزاء كثيرة من الجزيرة العربية (بما فيها مدائن صالح) يشير إلى أن المنطقة كانت قد سكنت بالعديد من الأقوام من بعد هلاك «قوم ثمود» لأن القرآن الكريم يؤكد هلاك المشركين من هؤلاء القوم هلاكاً تاماً وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَأَنذَرْتُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٤﴾ فَمَسَّهَا مَا غَشَىٰ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾
[النجم: 50 - 56].

وكذلك قال - تعالى - : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

(1) مصنف ابن أبي شيبة، المغازي (36320).

يَرْحَمَةٌ مِّنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنَّ لَمْ يَكُنُوا فِيهَا إِلَّا نُجُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

[هود: 66 - 68].

أما وجود إشارات إلى «قوم ثمود» في نقش للملك الآشوري (سرجون الثاني، 722 - 705 ق.م) سجل فيه انتصارات للجيش الآشوري على عدد من القبائل الثمودية في شمال الجزيرة العربية فإن هذه الآثار تشير بالتأكيد إلى سلالات الناجين من دمار «قوم ثمود». ويدعم ذلك الزعم أن هناك ما يشير إلى أن عدداً من الذين نجوا مع نبي الله ﷺ قد نزحوا إلى كل من منطقة الطائف في جنوب الحجاز، ومنطقة الرس في شمال شبه الجزيرة العربية، بعد إقامتهم في مكة المكرمة.

من هذا الاستعراض تتضح ومضة الإعجاز العلمي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾، فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

23 - ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: 61].

في هذه الآية القرآنية الكريمة عدد من الحقائق الإنبائية، والتاريخية، والعلمية التي تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، ويمكن استعراض ذلك في النقاط التالية:

أولاً: في قوله - تعالى - : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...﴾ [هود: 61]

في هذا النص القرآني الكريم إثبات تاريخي لنبوة صالح ﷺ، فالخطاب في هذا النص موجه إلى قبيلة «ثمود» من نبيهم صالح ﷺ. والآثار الباقية من «العهدين القديم والجديد» لا تذكر شيئاً عن هذا النبي الصالح، ولا عن قومه، وهنا تسقط الحجة الكاذبة التي كثيراً ما يثيرها غلاة كل من اليهود والنصارى مدّعين أن رسول الله ﷺ قد نقل القصص القرآني عن هذين العهدين، وبالذات عما جاء في الأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم»، وهي لا تحوي شيئاً عن اثنين من أنبياء الله هما هود ﷺ النبي المبعوث إلى قوم عاد، وصالح ﷺ وقد بعث إلى قوم «ثمود».

والقرآن الكريم كثيراً ما يقرن بين ذكر عاد وثمود (كما جاء في كل من سور التوبة، إبراهيم، الفرقان، ص، ق، النجم، والفجر) لتقاربهما الزمني، ولكون «ثمود» ممن نجوا من إهلاك «قوم عاد» حتى ليطلق عليهم أحياناً اسم «عاد الثانية». وكل من «العهدين القديم والجديد» لا يذكر شيئاً عن هاتين الأمتين، وإن أثبت القرآن الكريم معرفة موسى ﷺ بهما كما جاء في سورة [إبراهيم: 8، 9].

وأفراد قبيلة ثمود - في مرحلة من مراحل انحرافهم عن منهج الله - تعالى -

عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نبياً منهم هو صالح عليه السلام، الذي اصطفاه الله ﷻ من بينهم بعلمه وحكمته وقدرته، فاشتهر عندهم برجاحة العقل، واستقامة الفكر، وطهارة السلوك.

ويقال بأن هذا النبي الصالح كان الحفيد الرابع لمؤسس «قبيلة ثمود»، وعندما أتاه الله - تعالى - النبوة، وبدأ في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وإلى نبذ عبادة الأصنام والأوثان، عارضه قومه، وسخروا من دعوته، واتهموه بالسحر، وحاربوه، وحاولوا قتله، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك. ثم طالبوه بالمعجزات والخوارق التي تشهد على صدق ما جاءهم به، وكان من بين ذلك أن طالبوه - من قبيل التعجيز - أن يخرج لهم من صخرة منعزلة عن الجبل ناقة بمواصفات خاصة وضعوها. أخذ عبد الله ونبيه صالحاً العهود والمواثيق على قومه إن جاءهم بما طلبوا أن يؤمنوا بما جاءهم به وعند استجابتهم لذلك شرع صالح في الصلاة والدعاء لله - تعالى - حتى تمخضت الصخرة عن ناقة بالمواصفات التي طلبوها، ثم وضعت هذه الناقة فصيلاً يشبهها ضخامةً وهيبَةً فأمن من آمن، وكفر من كفر، وما آمن منهم إلا أقل القليل.

قال عبد الله ونبيه صالح عليه السلام لقومه: هذه ناقة الله لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، ولكن الكفار لم يصبروا على ذلك، فعمقوا الناقة بواسطة تسعة رهط من المفسدين في الأرض، فأنذرهم نبيهم بعذاب عاجل من الله - تعالى - قائلاً لهم: لكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب بعد ذلك. وفي ضحى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم وهم في ديارهم جاثمين، ونجى الله ﷻ نبيه صالحاً والذين آمنوا معه فلجأوا أولاً إلى بلاد الشام، ثم إلى مكة المكرمة حيث عبدوا الله - تعالى - حتى أتاهم اليقين. وكان من نسل الناجين كل من «الأنباط» في الشمال و«قبيلة ثقيف» التي سكنت جبال الطائف في الجنوب.

وكان في تسجيل القرآن الكريم، لنبوة صالح عليه السلام ولقصته مع قومه شهادة

صدق على ربانية القرآن الكريم وعلى نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعليهم أجمعين - لأن أيًّا من آثار أهل الكتاب المتوافرة بين أيديهم اليوم لا يشير إلى هذا النبي، ولا إلى قومه، كما لا يشير إلى أسلافهم (عاداً الأولى) ولا إلى نبيهم هود ﷺ.

ثانياً: في قوله - تعالى - على لسان عبده ونبيه صالح ﷺ: ﴿...قَالَ يَوْمَ يَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ...﴾ [هود: 61].

في هذا النص الكريم تأكيد على حقيقة وحدانية الله ﷻ وهي حقيقة يقبلها المنطق السوي، كما يدعمها العلم.

فقد أثبتت الدراسات العلمية أننا نعيش في كون له بداية تقدر بحوالي (13,700) مليون سنة مضت، وكل ما له بداية لا بد وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية. وكل ما له بداية ونهاية لا يمكن أن يكون خالقاً، بل هو مخلوق لخالق عظيم هو الله، الخالق، الباري، المصور الذي هو فوق حدود كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة.

كذلك أثبتت الدراسات العلمية أن الأصل في مادة هذا الكون المخلوق هو غاز الهيدروجين الذي اتحدت نوى ذراته في درجات عالية جداً من الضغط والحرارة لتكون أغلب العناصر البانية للكون، وتعرف هذه العملية باسم عملية «الاندماج النووي» التي تستمر حتى تخلق عنصر الحديد في داخل النجوم العملاقة فينفجر النجم. أما العناصر التي هي أعلى في وزنها الذري من الحديد فإنها تتكون في صفحة السماء باصطياد نوى ذرات الحديد للبنات الأولية للمادة. وقد أدى ذلك إلى الاستنتاج الصحيح بتأصل العناصر جميعاً من أصل واحد، يشير إلى وحدانية الخالق ﷻ.

وذرة الهيدروجين - على ضآلتها - تتكون من بروتون واحد في نواتها يحمل شحنة كهربائية موجبة، وإلكترون واحد يدور في فلك حولها، حاملاً شحنة سالبة

مكافئة. وهذه الزوجية في ذرة الهيدروجين تشهد للخالق بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه الذين خلقهم جميعاً في زوجية كاملة: من اللبنة الأولية للمادة إلى الإنسان حتى يبقى ربنا - تبارك وتعالى - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. والذرة تشبه في بنائها المجموعة الشمسية: نواة في الوسط تشبه الشمس وإلكترونات تدور في فلكها كما تدور الكواكب في فلك الشمس.

وصخور الأرض - مهما تباينت أنواعها - فأصلها واحد هي الصخور النارية التي تتكون أساساً من المعادن، وتتكون المعادن من العناصر والمركبات، وعناصر الأرض فاقت المائة بقليل. وليست المعادن وحدها هي التي تتكون من العناصر، فكل شيء مادي يتكون من تلك العناصر: النجوم والكواكب، والأقمار، والمذنبات، والشهب، والنيازك، الأرض وأغلفتها الصخرية، والمائية، والهوائية، والحيوية، والمادة بين كل من الكواكب والنجوم، وغير ذلك من مختلف صور المادة التي ترد كلها إلى غاز الهيدروجين. ومن المركبات، البسيط، ومنها ما هو غاية في تعقيد البناء، وكلها يرد إلى العناصر التي ترد إلى غاز الهيدروجين. وكل ذلك يشير إلى وحدانية الخالق ﷻ.

وتبلغ الذرة من الدقة أن أبعادها تقاس بجزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر، وتقدر كتلتها بجزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام. وإذا مست نواة الذرة بشعاع من النيوترونات فإنها تنقسم، وإذا انقسمت النواة انفصم كل من البروتونات والنيوترونات عن بعضها بعضاً، وبانفصامها تخرج منها الطاقة الرابطة لهذه الجسيمات وتعرف باسم «القوة النووية الشديدة»، وهي قوة هائلة للغاية.

وفي الوقت الذي ترد المادة إلى لبنات ثلاث هي: البروتون، والإلكترون، والنيوترون، وهي تتكون من جسيمات أدق تعرف باسم اللبنة الأولية للمادة (أو الكواركات) مما يرد المادة كلها إلى أصل واحد، وإن تعددت أشكالها، فإن مختلف صور الطاقة ترد أيضاً إلى أصل واحد هو «الجاذبية العظمى».

وتأتي النظرية النسبية الخاصة لتكافئ بين المادة والطاقة، وتنادي بأنهما سواء، وتصدق التجارب هذه النظرية، وفي مقدمة ذلك انفلاق الذرة في القنبلة اليورانيومية. وإذا تساوت المادة والطاقة، لم يبق من أشياء هذا الكون إلا القوى والمكان والزمان. وتحاول النظرية النسبية العامة أن تربط بين الزمان والمكان فتجعل منهما شيئاً متواصلاً، فلا يوجد مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان، كما لا يوجد مكان وزمان بغير مادة وطاقة.

كذلك تحاول نظرية الحقل الواحد أن تسوي بين كل من القوتين النوويين الضعيفة والشديدة، وكل من الطاقة الكهربائية/ المغناطيسية، وقوة الجاذبية فيما يعرف باسم «الجاذبية العظمى». وهكذا يتحلل الكون أجمع إلى مركباته من المادة، والطاقة، والزمان، والمكان إلى شيء واحد يمثل الوحدة العظمى التي تجري في الكون كله، شاهدة للإله الخالق ﷻ بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه التي أمر بها ربنا - تبارك وتعالى - جميع أنبيائه ورسله ليبلغوها كل إلى أمته، كما جاء على لسان عبد الله ونبيه صالح ﷺ لقومه: ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ...﴾.

والإيمان بالله الخالق الباري المصور يستلزم توحيد توحيداً كاملاً في ربوبيته (بمعنى التسليم بأنه - تعالى - رب كل شيء ومليكه، ولا ربَّ سواه)، كما يستلزم توحيد ﷻ توحيداً كاملاً في ألوهيته (بمعنى الإيمان بأنه وحده المستحق للعبادة الخالصة لجلاله دون سواه) ويستلزم توحيداً كاملاً لله في أسمائه وصفاته (بمعنى ألا يدعى الله أبداً إلا بما أثبت لذاته العلية من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأن يُنزّه - جلّ شأنه - عن أسماء وصفات خلقه أجمعين).

وهذا الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، عرّف ذاته العلية لأبويننا آدم وحواء ﷺ لحظة خلقهما، وأشهد ذريتهما جميعاً على ربوبيته وهم في عالم الذر في أصلاب آبائهم. من هنا كان الإيمان بالله - تعالى - رباً واحداً أحداً، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله هو من البدهيات الفطرية

التي يدركها الإنسان السوي بغير عناء أو مشقة. ولكن الإنسان إذا تلوثت فطرته بنزغات الشياطين من الإنس والجن فإنه يفقد هذا الإيمان فقداناً جزئياً بالشرك، أو كلياً بالكفر. من هنا يخبرنا المصطفى ﷺ أنه: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق». ويروي ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً صالحين من قوم نوح رضي الله عنهم هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عدت»⁽¹⁾. وكانت هذه أول صورة من صور الشرك بالله، وأول وثنية في تاريخ البشرية.

ولما تفتت الوثنية في قوم نوح بعثه الله ﷻ إليهم ليردهم إلى التوحيد فلم يستجب لدعوته إلا القليل فعاقبهم الله - تعالى - بالطوفان، ونجّى نوحاً والذين آمنوا معه. ومن ذرية هؤلاء جاء «قوم عاد» الذين كانوا على التوحيد ثم اجتالهم الشياطين فأشركوا بالله وعبدوا الأصنام والأوثان، فبعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه هوداً عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد فلم يؤمن معه إلا أقل القليل فعاقبهم الله - تعالى - بالرياح التي طمرتهم بالرمال، ونجا الله - تعالى - نبيه هوداً والذين آمنوا معه. وجاء من ذرية هؤلاء «قوم ثمود» الذين عاشوا على التوحيد، ثم اجتالهم الشياطين عن دينهم فأشركوا بالله، وعبدوا الأصنام والأوثان فعاقبهم الله - تعالى - بالصاعقة التي قضت عليهم، ونجا عبده ونبيه صالحاً والذين آمنوا معه. وجاء من نسل هؤلاء «قوم ثقيف» الذين كانوا على التوحيد ثم وسوست إليهم الشياطين فأشركوا بالله وعبدوا الطواغيت من الأصنام، والأوثان، والنجوم والكواكب. وظلت البشرية تتأرجح بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على منهج الله تارة، وبين الكفر والشرك والخروج على منهج الله تارات إلى اليوم، وسوف تظل كذلك إلى قيام الساعة. ولذلك قال - تعالى - في الحديث القدسي: «... خلقت

(1) تقدم تخريجه.

عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»⁽¹⁾.

والكون كله بمن فيه وما فيه يشهد للإله الخالق بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. فعلماء الفلك يقرون بأن هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المحكم الحركة لا بد له من مرجعية في خارجه. وأن هذه المرجعية لا بد وأن تكون فوق كل من المكان والزمان، وفوق كل من المادة والطاقة، وكأنهم يترجمون وصف الحق - تبارك وتعالى - لذاته العلية بقوله العزيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. فالكون يشهد لخالقه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه ويتضح ذلك في الانتقال من الذرة، إلى المجموعة الشمسية، إلى المجرة، إلى المجموعات المحلية، إلى الحشود المجرية، إلى التجمعات المحلية العظمى، إلى الحشود المجرية العظمى وإلى الكون كله. وذلك يؤكد أن الكون مبني على نظام واحد يشهد لخالقه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. والبناء الدقيق للسماء - وهي دائمة الاتساع - تحكمه قوانين شديدة الانضباط حيث يدور كل جرم سماوي حول محوره، ويجري في مدارات محددة له دون توقف أو تعطل، ودون اصطدام أو ارتطام، أو خروج أو حيود إلى أن يرث الله - تعالى - الكون بكل ما فيه ومن فيه مما يشهد له تعالى بالربوبية الحققة. ووحدة البناء في الكون تؤكد على أن توحيد الخالق أفضل من الشرك به، وأن تنزيهه ﷻ فوق جميع خلقه أفضل من الانحطاط بمدلول الألوهية إلى الحجر أو الشجر أو البشر أو أجرام السماء، وكل ذلك يوجب الخضوع له بالألوهية والربوبية والخالقية وبالعبادة لذاته العلية دون سواه.

ثالثاً: في قوله - تعالى -: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ...﴾:

هذا الخطاب من عبد الله ﷻ ونبيه صالح ﷺ إلى قومه من قبيلة «ثمود» يمن

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، حديث رقم (7136).

عليهم فيه أن الله - تعالى - قد أنشأهم من الأرض أي من عناصرها المختلفة. وهذه الحقيقة تنطبق على كونهم من نسل آدم ﷺ، وكانوا جميعاً في صلبه لحظة خلقه، وقد خلقه الله ﷻ من تراب الأرض. كما تنطبق على كون أجسادهم قد نمت أصلاً من عناصر الأرض.

والقرآن الكريم يؤكد لنا فيه الخالق ﷻ أنه خلق الإنسان على مراحل متتالية كما يلي:

- 1 - ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59، الكهف: 37، الحج: 5، الروم: 20، فاطر: 11، غافر: 67].
- 2 - ﴿مِنْ طِينٍ﴾ - وهو التراب المعجون بالماء - [الأنعام: 2، الأعراف: 12، السجدة: 7، ص: 71 و76، الإسراء: 61].
- 3 - ﴿مِنْ سُلَلَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ - أي من خلاصة منتزعة من الطين برفق - [المؤمنون: 12].
- 4 - ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ - أي لاصق بعضه ببعض - [الصفات: 11].
- 5 - ﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْتُونٍ﴾ - أي أسود منتن - [الحجر: 26 و28 و33].
- 6 - ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14].
- 7 - ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ [الطلاق: 12].
- 8 - ﴿مِنْ الْمَاءِ﴾ [الفرقان: 54].
- 9 - ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6].
- 10 - ﴿مِنْ مَّاءٍ تَهِينٍ﴾ [المرسلات: 20].
- 11 - ﴿مِنْ سُلَلَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود

وبين ذلك، والخيث والطيب وبين ذلك»⁽¹⁾.

ولما كان الإنسان قد خلق أصلاً من تراب الأرض، ويحيا على خلاصة من عناصره تجهزها له النباتات في ثمارها وحبوبها، كما تجهزها له المباحات من الحيوانات ومنتجاتها التي تستمد أجسادها من عناصر الأرض عن طريق ما تأكله من نباتات أو تستخلصه من مياه البحار والمحيطات قال ربنا: (وقوله الحق) ممتناً على العصاة المتجبرين من قوم ثمود: ﴿هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ بمعنى كيف تعصون الله - تعالى - وتعصون رسوله، وترفضون هدايته وقد خلقكم ونماكم من تراب الأرض؟! وهو سؤال تقريرى، تقريعى، توبيخي، يدرك كل إنسان حقيقة الإجابة عليه!!.

رابعاً: في قوله - تعالى - : ﴿وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا﴾ :

والخطاب هنا موجه إلى كفار ومشركي قوم «ثمود»، يمتن الله - تعالى - عليهم فيه بأن نجى أسلافهم من العذاب الذي أهلك به كفار ومشركي قوم «عاد»، ومكنهم من الهجرة شمالاً إلى مكة المكرمة، ثم إلى أرض «منطقة الحجر» بوادي القرى. وأعانهم الله - تعالى - على إعمار منطقة وادي القرى (الحجر) بما هيأ لهم فيها من أسباب. وكان من تلك الأسباب: وفرة الماء، وخصوبة التربة، وتباين التضاريس، وحماية طبيعية بإحاطة الجبال بهذا الوادي الحصين. وكان منها ما وهب الله صخور تلك المنطقة الرملية من مسامية ونفاذية عاليتين لخزن الماء تحت سطح الأرض، وطراوة متوسطة مكنتهم من نحت بيوتهم فيها، وفواصل طبيعية مكنت عوامل التعرية من تحريك كتل كبيرة من تلك الصخور إلى بطن الوادي لتفريغها وتجويها على هيئة قصور فارهة، ويذكرهم الله - تعالى - بتلك النعم فيقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ نَتَقَدُّونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَنْجُوْنَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا

(1) تقدم تخريجه.

[الأعراف: 74].

نَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

ويقول - عز من قائل -: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَيَّدْنَاهُمْ
عَائِلَتَنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا ءَامِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ
مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

[الحجر: 80 - 84].

وهذا كله مما يشهد للقرآن الكريم بالإعجاز الإنبائي والتاريخي حيث لم
تدرك هذه الحقائق إلا بعد دراسة مدائن صالح في القرن العشرين.

خامساً: في قوله - تعالى -: ﴿... فَاسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تَوَبَّأُ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾:

في تقرير هذا النص الكريم بأن الله - تعالى - قريب مجيب تأكيد على حقيقة
سمو الله على حدود كل من المكان والزمان، وعلى غير ذلك من الحدود التي
وضعها الخالق العظيم ليحكم بها خلقه. وكل من المنطق السوي والعلم التجريبي
يؤكد على ضرورة ذلك، فالله الذي خلق كلاً من المادة والطاقة والمكان والزمان
لا بد وأن له من صفات الألوهية والربوبية والخالقية والوحدانية ما ينزهه عن جميع
صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. والمنطق السوي والعلمي يناهز
بضرورة وجود مرجعية للكون، ويؤكد على حتمية تنزيه تلك المرجعية على حدود
كل من المادة والطاقة والمكان والزمان، وهو ما نادى به القرآن الكريم من قبل
ألف وأربعمائة سنة فوصف الخالق ﷻ بقوله العزيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾

[الشورى: 11].

وهذا النص القرآني الكريم الذي جاء في الآية رقم (61) من سورة «هود»
بما جاء فيه من حقائق إنبائية، وتاريخية، وعلمية يكفي وحده للشهادة بأن القرآن
الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه
على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة
وحية (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً
مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

24 - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: 23].

تؤكد هذه الآية الكريمة أن «قوم ثمود» كذبوا نُذَرَ رَبِّهِم التي جاءهم بها نبينهم صالحاً ﷺ. وبذلك استحقوا نزول العذاب بهم من الصيحة، والصاعقة، والطاغية التي تركتهم في ديارهم جثثاً هامدة، جاثمة على ركبها بسبب الهول والرعب والذل الذي عاشوه أثناء نزول العقاب الإلهي بهم. وهذه من الحقائق القائمة التي لم ترد في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، ولم يدون التاريخ شيئاً عنها.

وفي هذه الآية القرآنية الكريمة وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه صالح ﷺ مع قومه قبيلة «ثمود». وهذا الوجه لا يقتصر على مجرد ذكر هذا النبي الصالح وذكر قومه، ولكن يتجلى في ذكر عدد من أحداث هذه القصة، وقد كان بينها وبين بعثة المصطفى ﷺ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، ولم يكن العرب يومئذ أمة تدوين أو توثيق للتاريخ.

وقد جاءت قصة ثمود في سورة «القمر»، بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذآ لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٢٤
أَلَفِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ٢٥ سَيَعْمُونَ عَلَدًا مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشِرِّ ٢٦ إِنَّآ
مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَى لَهُمْ فَارْتَفَبَهُمْ وَأَصْطَرَّ ٢٧ وَبَنَى لَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ٢٨
فَادَّوَا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَلَدِي وَنُذِرٌ ٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا
كَهَشِيرِ الْحُمْرِ ٣١ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ٣٢﴾ [القمر: 23 - 32].

وهذا الإيجاز المعجز للقصة في سورة «القمر» فصلته آيات أخرى عديدة في عدد من سور القرآن الكريم، كما سبق وأن أشرنا. ففي سورة «الأعراف» جاء التفصيل بأن صالحاً ﷺ كان معروفاً لدى قومه «ثمود» بصلاحه واستقامته ونبيل خلقه. وعندما بعثه الله - تعالى - لهداية قومه وكانوا قد أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان، ذكَّروهم بأنهم بقية الناجين من قوم عاد. كما ذكَّروهم بأن الله - تعالى -

قد منَّ عليهم ببسطة في الجسم، وسعة في الرزق، وبخيرات كثيرة في المنطقة التي عاشوا فيها (وادي القرى). وأن ذلك قد ساعدهم على نحت كل من القصور والبيوت والقبور في الجبال المحيطة بالوادي الذي عاشوا فيه، كما مكَّنتهم من جلب كتل صخرية هائلة إلى بطن الوادي، ومن نحتها على هيئة الدواوين والقصور الفارهة. ونصحهم نبيهم بأنَّ من قبيل الشكر لله - تعالى - على هذه النعم ضرورة توحيدِه توحيداً كاملاً، وحمده على نعمائه، والاجتهاد من أجل الإصلاح في الأرض وعدم الإفساد فيها، وإقامة عدل الله - تعالى - في ربوعها.

وتؤكد الآيات أنَّ عبد الله ونبيه صالحاً ظل يدعو قومه إلى عبادة الله - تعالى - وحده فلم يؤمن معه إلا قليل من ضعفاء القوم وفقرائهم. أما أصحاب المال والجاه والسلطان فقد استكبروا على دعوته، وأعرضوا عن هدايته، وقاوموا وصيته، وكذبوا نبوتَه، وحاولوا فتنه الذين آمنوا معه، واتهموه بالسحر. ثم طالبوه بالمعجزات الخارقة كي تشهد له بالنبوة، وكان من ذلك أنَّهم طالبوه بناقة عشراء، تخرج من صخرة في جبل محدد، ثم تلد سقياً (وهو ولد النَّاقة ساعة أن يولد). فدعا عبد الله ونبيه صالحاً ربه أن يحقق طلبهم فاستجاب الله - تعالى - لدعائه، وخرجت النَّاقة العشراء من نفس الكتلة الصخرية التي حدوها، وبركت بين أيديهم وولدت سقياً كما طلبوا. ثم حذرهم نبيهم من أن يَمَسُّوا النَّاقة بسوء فيأخذهم عذاب أليم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم عقروا النَّاقة - مخالفين أمر الله - وتندروا بما وعدهم به نبيهم من عذاب حتى استعجلوه به، فأخذهم العذاب الذي توعدهم به الله - تعالى - ونجَّى نبيَّ صالحاً والذين آمنوا معه.

وتؤكد سورة «هود» أنَّ كفار ثمود أمهلوا ثلاثة أيام فقط بعد أن عقروا النَّاقة ثم جاءهم عذاب الله (الصَّيحة، والصَّاعقة، والطَّاغية) فتركهم في ديارهم جثثاً هامدة جائمة على ركبها، وذلك من قبيل الإذلال لعصاة قوم ثمود بعد أن كانوا متكبرين، شامخين على نبيهم، ومتمردين على هدايته لهم، في عتوٍّ وغرور بالغين.

كذلك تؤكد الآيات في سورة «الشعراء» ما كان الله - تعالى - قد وهب قوم

ثمود من سعة في الرزق، وبسطة في الجسم، وبدلاً من شكر هذه النعم فإنها أبطرتهم، وجعلتهم يتكبرون على رسول ربهم، ويتهمونه بأنه مسحور، حتى نزل بهم إنذار من الله في صورة قحط أصابهم لعلهم يرجعون.

وتذكر الآيات في سورة «النمل» انقسام «قوم ثمود» إلى قلة مؤمنة مع نبيهم، وكثرة فاجرة ضده وقد تشاءمت الكثرة الفاجرة بنبيهم وبمن معه، وبرز من بين المشركين تسعة رهط (أي تسعة أشخاص) من المفسدين في الأرض والذين كانوا قد غلبوا بالتشاؤم لما أصابهم من قحط بسبب كفرهم وشركهم فخططوا لعقر الناقة، وتآمروا على قتل نبيهم وأهله والذين آمنوا معه، بمباغتتهم وغدرهم ليلاً حتى لا يُعرف قاتلوهم، ثم ينقلوا لولي الدم أنهم ما شهدوا مقتلهم، فدمرهم الله - تعالى - وقومهم بالصيحة، والصاعقة، والطاغية حتى أصبحوا في ديارهم جاثمين.

ومضمون الآية الكريمة أن الدمار في الدنيا قبل الآخرة هو جزاء كل كافر ومشرك وظالم ومفسد في الأرض في كل زمان ومكان، وذلك لأن سنة الله في خلقه واحدة لا تتبدل ولا تتغير. وفي المقابل فإن موقف الناس من الهداية الربانية ينقسم إلى مؤمن وكافر، وإلى موحد ومشرك. وأن نصرة الله لعباده المؤمنين، وتدميره للكفار والمشركين يجب أن يكون دافعاً لمعرفة الناس بخطورة الخروج على منهج الله، وهذا هو أحد أهداف ورود قصص الأولين في كتاب رب العالمين. فهذه ديار «قوم ثمود» بخرابها، وهجرها، وبقايا الهياكل العظمية فيها، لا تزال قائمة، شاهدة على شدة ما نزل بهؤلاء القوم الكافرين من عذاب. وكفار «ثمود» كانوا قد انخدعوا بما وهبهم الله - تعالى - من سعة في الرزق وبسطة في الجسم، فغفلوا عن شكر تلك النعم، ويطروا بها، فكفروا بربهم، وأشركوا به، وتكروا لهديته، وحاربوا كلاً من نبيه، ودعوته وأولياء الله الصالحين، فاستحقوا ما نزل بهم من عقاب قضى عليهم أجمعين، ونجى الله - تعالى - نبيه صالحاً والذين آمنوا معه، لتبقى آثار كفار قوم «ثمود» آية لكل من جاء بعدهم من الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

وفي ذلك دعوة للاعتبار بآثار الأمم البائدة، وإشارة خاصة إلى بيوت قوم «ثمود» الخربة، والمعروفة باسم «الحجر» أو «مدائن صالح»، والتي أبقاها الله - تعالى - عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين إلى يوم الدين: بأنَّ جزاء المعرضين عن هداية ربِّ العالمين هو التدمير الكامل في الدنيا، والخلود في عذاب الآخرة.

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا مرَّ رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات فقد سألهما قوم صالح، فكانت (يعني النَّاقَة) ترد من هذا الفجِّ وتصدر من هذا الفجِّ، ففتوا عن أمر ربهم فعقروها. وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة، أخذ الله بها كل من كان منهم تحت أديم السماء إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله فقالوا: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رغال» فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»⁽¹⁾.

هذه التفاصيل عن قصة عبد الله ونبيه صالح عليهما السلام وعن موقف قومه (قبيلة ثمود) منه لم تكن معروفة لأحد من الناس في زمن الوحي، ولم يذكر المؤرخون عنها شيئاً، والنزر اليسير الذي اكتشفه الآثاريون مؤخراً لا يروي الغليل من محاولة التعرف على أسرار الحجر (أو مدائن صالح). من هنا فإن قصة قوم «ثمود» مع عبد الله ونبيه إليهم صالح عليهما السلام تبقى كما تبقى كل قصص القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز في كتاب الله نسميه باسم الإعجاز الإنبائي والتاريخي، وهذا الوجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهده بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على خلق الله أجمعين إلى ما شاء الله ربِّ العالمين.

(1) مسند أحمد حديث رقم (14160).

25 - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ [الحاقة: 4].

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن كلا من قبيلتي «عاد» و«ثمود» - في غالبتهما - كانوا قد كذبوا بالقارعة، والقارعة هي الساعة التي تفرع القلوب بأهوالها، وتفرع الكون بتدميره وطيه على ذاته، وتحطيم كل ما فيه ومن فيه، إلا ما شاء الله، فيعود الكون إلى سيرته الأولى: نقطة واحدة متناهية الضالة في الحجم إلى ما يقرب من العدم. واتساع الكون اليوم يشير إلى حقيقة بدئه من نقطة مشابهة، كما يؤكد حتمية عودته إليها. ثم يحول الخالق ﷻ هذه النقطة إلى سحابة من دخان يخلق منه أرضاً غير أرضنا، وسُمُوات غير السُمُوات المحيطة بنا. ولسوف تحتوي الأرض الجديدة كل ذرات الأرض القديمة وفيها بقايا الخلق التي سوف يبعثون منها. وكانت قضية البعث عبر التاريخ هي حجة الكفار المعاندين، والمتنطعين المتكبرين الذين يقيسون قدرة الله - تعالى - بمعايير البشر، وشتان ما بين القدرتين!!.

وقد لخص القرآن الكريم قضية خلق الكون وإفناؤه وإعادة بعثه في خمس آيات كما يلي:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: 47].

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: 30].

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104].

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: 11].

﴿يَوْمَ بُدِّلَ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٤٨]

[إبراهيم: 48].

من الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

من الثابت أن الناجين من «عاد الأولى» كانوا على التوحيد الخالص، ثم اجتالت الشياطين نسلهم (قوم ثمود)، عن دينهم، وأغوتهم بالشرك، فعبدوا الأصنام والأوثان. ومن رحمة الله - تعالى - بهم أرسل إليهم نبيه صالحاً عليه السلام ليردهم إلى الإسلام - القائم على التوحيد الخالص لله، وعلى تنزيهه عليه السلام عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله - فرفضوا دعوته إلا قليلاً منهم. ثم أغوى الشيطان غالبية قومه، بمحاربته ومقاومة دعوته حتى سخروا منه وأنكروا المعجزات التي أيدها الله - تعالى - بها ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه. فأمهلهم الله - تعالى - ثلاثة أيام، وفي صبيحة اليوم الرابع جاءتهم صيحة من السماء ففاضت أرواح الكافرين، وزهقت نفوسهم، فأصبحوا في ديارهم جائمين. وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [٤] فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَقْبَكُوا بِالطَّاغِيَةِ [٥] وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [٦] [الحاقة: 4 - 6].

«وعاد» - كما سبق وأن ذكرنا - هم قوم نبي الله «هود» عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم سبع (7) مرات وسميت باسمه إحدى سور القرآن الكريم «سورة هود»، كما سميت سورة أخرى باسم المنطقة التي عاش هو وقومه فيها «الأحقاف».

والنبي «هود» عليه السلام كان من نسل عبد الله ونبيه «نوح» عليه السلام، وكان أشبه ولد آدم بأبي البشرية «آدم» عليه السلام. وجاء ذكر قوم (عاد) في القرآن الكريم خمساً وعشرين (25) مرة، وكانوا من العرب العاربة «البائدة»، وكانت مساكنهم بالأحقاف (جمع حِقْف) وهي كثبان الرمال السافية المستطيلة المتموجة، وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من الربع الخالي بين كلٍّ من عمان، واليمن، والمملكة العربية السعودية.

وقوم «عاد» هم نسل الذين نجوا مع نوح عليه السلام وكانوا مسلمين موحدين، ثم خلف من بعدهم خلفٌ اجتالتهم الشياطين، وأغرتهم بعبادة الأصنام والأوثان،

فانحرفوا عن دين الله. وكان قوم عاد عمالقة شداداً، وكان الله - تعالى - قد أفاء عليهم بخير كثير، فغرثهم النعمة، وكانت سبباً في طغيانهم، فاستكبروا في الأرض بغير حق. ثم أرسل الله - تعالى - إليهم نبيه «هوداً» ﷺ ليردهم إلى التوحيد الخالص لخالقهم، ولكنهم أبوا إلا الشرك بالله، وعبادة الأصنام. كان هود ﷺ عربياً، وكانت لغته هي العربية، كما كان من بعده كل بقية الأنبياء العرب وكان منهم صالح، وشعيب، ومحمد (صلى الله وسلم وبارك عليهم وعلى كافة أنبياء الله).

أعرضت غالبية قوم عاد عن دعوة نبيهم هود ﷺ وأصروا على عبادة الأصنام، فأمسك الله - تعالى - عنهم المطر ثلاث سنوات حتى أجهدهم الجفاف، فبعثوا وفداً قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة، وكانت هذه من عادات العرب، ومن بقايا الحق القديم عندهم، رغم انحرافهم عن التوحيد إلى الشرك. لم تنفعهم صلوات استسقائهم بسبب شركهم فلم ينزل الله مطراً عليهم، ثم سخر عليهم الريح العقيم الذي أهكلهم ونجى الله - تعالى - عبده هوداً والذين آمنوا معه، وأمرهم بالارتحال إلى مكة المكرمة التي عاشوا فيها ما قدر الله - تعالى - لهم من السنين. جاء من نسل الناجين من قوم عاد من عرفوا باسم «قوم ثمود» الذين ارتحلوا من مكة إلى وادي القرى حيث سكنوا منطقة «الحجر» لوجود الماء فيها وخصوبة تربتها.

وكان غالبية المؤرخين ينكرون وجود قوم «عاد» رغم عدد من الإشارات الأثرية إلى سابق وجودهم. ونزل القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة مسجلاً قصتهم مع نبيهم هود ﷺ في خمسة وعشرين (25) موضعاً من هذا الكتاب العزيز، كما سمي باسم كل من نبيهم والأرض التي سكنوها سورتين من سوره الكريمة هما سورتا «هود» و«الأحقاف».

والكشوف الأثرية تؤكد صدق كل ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد ومنه ما

يلي:

(أ) أنهم كانوا في نعمة وافرة سبق وأن أشار إليها كل من بطليموس الإسكندري (أمين مكتبة الإسكندرية في القرن الميلادي الأول)، وبليني الكبير (أحد مؤرخي الحضارة الرومانية) ووصف كل منهما الأنهار التي كانت متدفقة، والبحيرات التي كانت زاخرة بالحياة، والثروات التي لم يكن لها نظير في زمانها والتي وصفها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿أَوْعَيْتُهُمْ أَنْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

2 - ﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفُونَ ﴿١١٤﴾ إِنِّي لَكُرُّ رَسُولٍ أَمِينٌ ﴿١١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ أَنْتَبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١١٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَعْنَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٢٣﴾ وَحَنَّتِ وَعْيُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: 123 - 135].

3 - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6 - 8].

(ب) إن حضارة قوم عاد بدأت بالاضمحلال بانقطاع المطر وإصابة أرضها بالجفاف والتصحر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقُولُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوتُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: 50 - 52].

(ج) أن حضارة قوم «عاد» دمرتها عاصفة رملية غير عادية، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 - ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾﴾
[فصلت: 15 - 18].

2 - ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾
[القمر: 18 - 22].

3 - ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَاهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَاهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ حَاقِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾
[الحاقة: 5 - 8].

وهذه الإشارات القرآنية الكريمة وأمثالها في كتاب الله ﷻ تؤكد أن كلاً من قبيلتي «عاد» و«ثمود» كان قد أنكر حتمية الساعة وما يصاحبها من تهدم الكون، واندفع وراء غواية شياطين الإنس والجن بدعوى أزلية الكون وأبديته، وهو باطل ينكره المنطق السوي، كما أنكرته جميع رسالات السماء والصحيح من المعارف المكتسبة. وتبقى الإشارة إلى هاتين الأمتين (عاد وثمود) في القرآن الكريم، وإلى من بعث إلى كل منهما من الأنبياء، وإلى إنكار غالبية القوم لنبوتهما، ولما بعث به من الحق، احتجاجاً بإنكار الساعة، يبقى كل ذلك واحداً من أبرز جوانب الإعجاز التاريخي في هذا الكتاب العزيز الذي حفظه الله ﷻ - تعالى - بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه - اللغة العربية - على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهده بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله ﷻ، حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله ﷻ البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

[الأنبياء: 51]

ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام

جاء ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم تسعة وستين (69) مرة، في خمسة وعشرين (25) سورة، وسُميت باسمه إحدى سور هذا الكتاب العزيز (سورة إبراهيم) وهي السورة الرابعة عشرة في ترتيب سور المصحف الشريف. ويُذكر أنَّ عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام جاء من نسل سام بن نوح، وأنه وُلد في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد، بمدينة (أور) من أرض بابل، في جنوب بلاد ما بين النهرين (العراق). وكان ميلاد إبراهيم في زمن النمرود بن كنعان بن كوش ملك (أور)، وكان «النمرود» جباراً، مستبدّاً، مُستعليّاً في الأرض، ومُتجبراً على الخلق، وكان ضالّاً تائهاً في أمر الدين. فقد غرّه من أمور الدنيا سعة مُلكه، واستكانه شعبه، وضياع أصول الوحي السماوي من قبله، فأقام من نفسه إلهاً لأهل (أور)، وأجبرهم على عبادته وعلى عبادة ما كان قد اتخذ لهم من الأصنام والأوثان.

وقد ظهرت على إبراهيم استقامة الفطرة، مع الذكاء والنبوغ منذ صغره، فاستنكر عبادة قومه للأصنام والأوثان، أو للشمس أو القمر أو النجوم أو الكواكب، كما استنكر خضوعهم للذليل للنمرود. وانطلاقاً من ذلك بدأ إبراهيم مُتأملاً في ذاته وفي الكون من حوله، حتى تعرّف على خالقه بالفطرة السوية التي وهبها الله - تعالى - إيّاه، والتي أكّدها ربنا - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: 51]، وقد تمثل هذا الرشد في عدد من المواقف التي وقفها إبراهيم، والتي كان منها ما يلي:

(أ) تفكّر إبراهيم عليه السلام في الكون:

عندما سئم إبراهيم عبادة قومه للأصنام، أو للنجوم والكواكب، أو «ملكهم

النمرود»، رفع بصره إلى السماء فرأى فيها جانباً من جوانب عظمة الخالق - سبحانه - وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأٰ كَوْكَبًا قَالِ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْاٰفِلِيْنَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالِ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَأَكُوْنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالِ هٰذَا رَبِّيْ هٰذَا اَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالِ يَقُوْمُ اِيَّيْ بِرِيْءٍ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ ﴿٧٨﴾ اِيَّيْ وَجْهَتْ وَجْهِيْ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴿٧٩﴾ وَمَعَاجِرُهُ قَوْمُهُ قَالِ اَتَّخِذُوْنِيْ فِيْ اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰنِيْ وَلَا اَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهِؕ اِلَّا اَنْ يَّشَآءَ رَبِّيْ شَيْئًا وَسِعَ رَبِّيْ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ اَخَافُ مَا اَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُوْنَ اَنْتُمْ اَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا قَالِ الْفَرِيْقَيْنِ اَحَقُّ بِالْاٰمِنِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿٨١﴾ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْا اِيْمٰنَهُمْ بِظُلْمٍ اُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْاٰمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا اِبْرٰهِيْمَ عَلٰى قَوْمِهِ زَفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشْءٍ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ ﴿٨٣﴾﴾

[الأنعام: 75 - 83].

وخلاصة كلام المفسرين في هذه الآيات الكريمة، أنها كانت نوعاً من النظر والمناظرة. فالذين رأوا أنها كانت نوعاً من التأمل والنظر، قالوا أن دليل ذلك قول إبراهيم ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَأٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالِ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَأَكُوْنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ ﴿٧٧﴾﴾. والذين قالوا أنها كانت نوعاً من المناظرة، استشهدوا بقول ربنا - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا اِبْرٰهِيْمَ عَلٰى قَوْمِهِ زَفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشْءٍ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ ﴿٨٣﴾﴾. والأمر في الحقيقة كان في الأول نظراً ثم كان بعد ذلك مناظرة.

(ب) موقف إبراهيم ﷺ من أبيه:

كان والد إبراهيم ﷺ من صنّاع وعبدة الأصنام والأوثان، فدعاه ابنه إبراهيم برفق واحترام بالغين إلى عبادة الله الواحد القهار، وبين له زيف عبادة الأصنام

والأوثان، وانتهى الحوار بطرد إبراهيم من بيت أبيه الذي هدده بالقتل رجماً بالحجارة إن لم يتوقف عن دعوته التي يدعو إليها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ ۙ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ ۙ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ ۙ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ۗ ۙ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۗ ۙ وَأَعِزَّنَاكَ وَمَا نَدْعُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ آلَا أَكُونُ بِدَعَاؤِ رَبِّي شَاقِيًّا ۗ ۙ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ وَمَا يَنْبَغُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمُ اسْمَاقًا وَيَعْقُوبَ وَكَوَلَّا جَمَلًا نَبِيًّا ۗ ۙ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ۗ ۙ﴾

[مریم: 41 - 50].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ اتَّخَذَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۗ ۙ وَإِنِّي أَنزَلْتُكَ وَوَعَدْتُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ ۙ﴾ [الأنعام: 74].

وبذلك اعتزل إبراهيم أباه، لكنه لم يتخل عن دعوته إلى دين الله الحق، وإلى عبادة الله - تعالى - وحده.

(ج) موقف إبراهيم ﷺ من قومه:

وقف إبراهيم ﷺ من قومه (عبدة كل من الأصنام والأوثان وأجرام السماء) موقف المفاصلة والمواجهة والتحدّي الواضح القوي، مُستنكراً ما يفعلون، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۗ ۙ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الصَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۗ ۙ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ۗ ۙ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ ۙ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۗ ۙ قَالَ بَلْ رَبِّي رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۗ ۙ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

أَصْلَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْرِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِزْرِهِمْ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِزْرِهِمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَشَاوَرْتُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَازُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِزْرِهِمْ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[الأنبياء: 51 - 70].

وقال - تعالى - :

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِزْرِهِمْ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلْ لَهَا عَنكِيبِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَسِّحُنِي إِذْ يَمُوتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذِّكْرِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن رَّبِّكَ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيَّتِي نَسِيتُ إِنَّكَ كَانَ مِنِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشعراء: 69 - 89].

وقال - عزَّ من قائل - :

﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَصْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَآتَ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِزْرِهِمْ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَاكُمُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُورِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْرِبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطْقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرِيحًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُدُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا أَبْنَاؤُنَا لَهُم بَنِينَ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ [الصفافات: 79 - 99].

ويفهم من هذه الآيات أن إبراهيم ﷺ تظاهر بالمرض، كي لا يخرج مع قومه في احتفالهم بعيد من أعيادهم الوثنية. وواضح الأمر أنه أراد أن يحطم أصنامهم في غيبتهم، ليثبت لهم - بطريقة عملية - أن تلك الأصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تملك من أمرها شيئاً، فتركوه وراءهم في المدينة، ومضوا خارجين إلى ساحة الاحتفال بعيدهم، بعد أن تركوا لأصنامهم كمية من الطعام كعادة الوثنيين من قديم الزمن وحتى اليوم.

وبعد أن خلعت المدينة من أهلها، توجه إبراهيم على الفور إلى معبد الأصنام وبيده فأس، فقدم إلى الأصنام الطعام في سخرية قائلاً لهم: «ألا تأكلون؟»، ثم قام بتحطيم تلك الأصنام تحطيماً شديداً بالفأس، وترك أكبر الأصنام لم يحطمه ليعلق الفأس في رقبته. وكان هدفه من ذلك أن يسخر من قومه، ويحتج عليهم بأن كبير الأصنام هو الذي حطم بقتيتهم، لعلهم يرجعون إليه فيسألونه: من الذي حطم أصنام المعبد؟ فلا يجيبهم، فيكون ذلك سبباً في يقظتهم من غفلتهم التي دفعتهم إلى عبادة الأصنام. ولكن القوم حين عادوا ورأوا أصنامهم مُحطمة، أدركوا أن ذلك من فعل إبراهيم، فتسارعوا إلى اعتقاله لمحاسبته على فعلته.

(د) محاولة حرق إبراهيم ﷺ في النار:

ناظر إبراهيم ﷺ قومه - وفيهم أبوه أزر - حتى أفحمهم، ثم دعاهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وسفّه لهم عبادة غير الله من مثل الأصنام، أو الأوثان، أو أجرام السماء، وأثبت لهم بطلان ذلك كله. وعلّل لهم تحطيمه للأصنام بأنها محاولة عملية يثبت لهم بها عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن ذواتها، وعن فعل أي شيء للإنسان. حينئذٍ قرّر القوم معاقبة إبراهيم بإحراقه حياً في النار، ولذلك قاموا

بتقييد كل من يديه وقدميه، ووضعوه في كفة المنجنيق، وألقوه في حفرة كانوا قد ملئوها بجذوع الأشجار وفروعها التي أضرموا فيها النيران حتى صارت جمرًا. وعندما وقع إبراهيم في حفرة النيران أخذ يردد: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك المُلْك، لا شريك لك، حسبنا الله ونعم الوكيل». فنجاه الله - تعالى - من النار التي لم تحرق سوى قيوده فقط، وذلك بالأمر الإلهي العزيز الذي يصفه القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: 69، 70].

وفوجئ القوم بخروج إبراهيم ﷺ سليماً من وسط النيران، ممَّا أذهلهم وحير عقولهم، فأمن معه من آمن، وكفر من كفر!

(هـ) حوار إبراهيم ﷺ مع النمرود ذلك الملك الكافر مدعي الربوبية:

اهتزَّ النمرود حين رأى مُعجزة نجات إبراهيم ﷺ من النيران، فدعاه إليه ليُحاوِّره، وعندما ذهب إليه إبراهيم ﷺ داعياً وهادياً، ورفض النمرود قبول دعوته، وحاجه كما ذكر القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

وبذلك أفحم إبراهيم ﷺ، النمرود بعد أن تخيل هذا الملك الطاغية أنه بالآتيان بسجينين كانا محكوماً عليهما بالإعدام، فقتل أحدهما وعفى عن الآخر، أنه بذلك قادر على الإحياء والموت، وهو يعلم تمام العلم أنه عاجز كل العجز عن ذلك. وبدلاً من مطالبة إبراهيم له بإحياء من قتله، نقله نقلة أخرى إلى إيداع الله في الكون، وإلى عجز النمرود عن تغيير أي شيء في نظام هذا الكون، وبذلك انكشفت دعواه المُزيفة بالألوهية، وانكشف عوار استسلام قومه لهذا الزعم الباطل الذي لا يقبله عقل سليم، ولا يُقره منطق سوي.

بعد هذا التحدي بدأ النمرود في التضييق على عبد الله ونبيه إبراهيم، ليحول دون تمكنه من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، فلم يبق أمام إبراهيم إلا الهجرة. هاجر إبراهيم ﷺ ومن آمن معه أولاً إلى حرّان، ثم إلى فلسطين ومعه زوجته سارة، وابن أخيه لوط وزوجه. وقبل أن يهاجر دعا والده مرّة أخرى إلى الإيمان بالله فرفض، وتبين لإبراهيم أنّ أباه عدوٌّ لله فتبرأ منه، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَمَا كَانَتْ آسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فُلْمًا بَيْنَ لَهُمَا ۖ أَثَمٌ ۚ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾
[التوبة: 114].

(و) سؤال إبراهيم لربه ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى:

وهذا الموقف يصفه القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾﴾
[البقرة: 260].

وسؤال إبراهيم ﷺ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، لا يدل على شك في قدرة الله على ذلك، وإنما يدل على عجز العقل البشري عن إدراك كيفية وقوع ذلك. من هنا يتضح أن الدافع وراء طلب سيدنا إبراهيم ﷺ من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، هو لتمكينه من تأكيد ذلك للخلق من أمته التي كُلف بدعوته إلى الإيمان بالبعث، كما كُلف بدعوته إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. لذلك قال حينما سأله الله - تعالى - وهو أعلم به: ﴿أُولَٰئِمَّا تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾.

والتعبير باطمئنان القلب أبلغ من الإيمان العقلي والتسليم المنطقي بذلك فقط، وهو نوع من الإيمان بالغيب الذي امتدحه ربنا - تبارك وتعالى - في القرآن الكريم في أكثر من موضع واعتبره من شروط التقوى، فقال - عزَّ من قائل -: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لَٰلِئْلَافِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةُ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ ﴿٣﴾

[البقرة: 1 - 3].

. ولا يزال في «مزارع شبعا» اللبنانية المُحتلة من قبل الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين أربعة قمم جبليَّة، يُطلق عليها أهل تلك المزارع اسم «مشهد الطير». كما أثبت ذلك فضيلة (الشيخ محمَّد طه الولي من مؤرخي لبنان وعلمائه)، ويعتقد بأنَّها هي القمم الأربع التي وضع إبراهيم ﷺ جزءاً من الطيور الأربع التي ذبحها وجزَّأها ووزع أجزاءها على كل جبل من تلك الجبال الأربع، ثم دعاهن فأتين سعيّاً إليه.

(ز) هجرة إبراهيم ﷺ إلى أرض فلسطين :

مع تضيق النمرود وزبانيته على عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ، ومنعه من دعوة الناس إلى عبادة الله - تعالى - وحده، لم يبقَ أمام سيدنا إبراهيم إلاَّ الهجرة والرحيل عن أهله وبلده. هاجر إبراهيم ﷺ أولاً إلى حرَّان، وكان أهلها من عبدة النجوم والكواكب، فلبث فيهم مدة يدعوهم إلى عبادة الله وحده فلم يستجيبوا لدعوته، فسار بأهله وبالقلَّة التي آمنت معه (وكان منهم ابن أخيه لوط وزوجته) من حرَّان إلى بلاد الشام، حتى نزلوا بأرض فلسطين. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وإبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن كُذِّبُوا فَقَدْ كَدَّبَ أُمُّهُ مِن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَتُلَوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾
 وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ
 بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَنْصِرِينَ ﴿٢٥﴾
 ﴿٢٦﴾ فَفَإِنَّ لَمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

[العنكبوت: 16 - 26].

(ح) هجرته ﷺ إلى مصر:

بعد أن أقام إبراهيم في بلاد الشام مدة من الزمن، حدثت مجاعة اضطرتته إلى الهجرة وكانت هجرته هذه المرة إلى أرض مصر، وكانت معه زوجته السيدة (سارة)، وابن أخيه لوط وزوجته، وقد شجعه على ذلك أن غالبية أهل الشام لم يستجيبوا لدعوته، وظلوا على شركهم وضلالهم.

أقام سيدنا إبراهيم وصحبه في مصر ما شاء الله لهم أن يُقيموا، وأهداه ملك مصر فتاة مصرية اسمها (هاجر)، ثم عاد إلى أرض فلسطين ليستقر في مدينة الخليل التي سُميت بـلقبه، ويستقر ابن أخيه لوط في قرى سدوم إلى الجنوب من البحر الميت.

(ط) ابتلاء إبراهيم وسارة بعدم الذرية لفترة زمنية طويلة:

عاش النبي إبراهيم ﷺ مع زوجه السيدة سارة حتى قارب التسعين من عمره ولم تنجب. وشعرت سارة بأن زوجها حُرِمَ الذرية بسبب عقمها، وأدركت بحسها أن نفسه تتوق أن يكون له ولد، فأشارت على زوجها إبراهيم بالزواج من الفتاة المصرية (هاجر)، لعلَّ الله - تعالى - أن يرزقه منها طفلاً. وبالفعل قبل إبراهيم اقتراح زوجته سارة وتزوج بالشابة المصرية (هاجر)، فحملت وبعد شهر معدودات ولدت السيدة هاجر أول ابن لإبراهيم، وسمياه إسماعيل، بعد سنوات من الدعاء الذي ظلَّ إبراهيم يُرذده بلا يأس قائلاً: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ».

(ي) ابتلاء إبراهيم بالأمر الإلهي بوضع زوجته هاجر ورضيعها إسماعيل في وادي مكة المهجور من الناس والمحروم من الماء ومن الزرع:

أمر الله - تعالى - عبده إبراهيم عليه السلام بوضع زوجته السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل، عند قواعد البيت الحرام في وادي مكة، وكان آنذاك وادياً مُقفرًا، لا ماء فيه ولا حياة، ولا بناء ولا بشر. امثل إبراهيم لأمر الله ووضع زوجته هاجر ورضيعها إسماعيل هنالك، وترك عندهما جراباً فيه شيء من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء وودعهما عائداً إلى الخليل. فَجَرَّت وراءه أم إسماعيل قائلة: يا إبراهيم إلى من تتركنا في هذا الوادي القفر؟ وإبراهيم لا يردّ عليها، وكرّرت ذلك ثلاث مرّات وهو لا يردّ عليها، فأدركت بحسّها الفطري أنّ ذلك قد يكون أمراً من الله - تعالى -، خاصّة وهي تعلم أنّ زوجها من أولي العزم من الرّسل. فسألته: الله أمرك بهذا؟ فأدار وجهه إليها وقال: نعم! وبفطريّة عجيبة وإيمان راسخ قالت: إذن لن يضيعنا، وعادت إلى رضيعها. سار إبراهيم حتى وصل إلى ثنية بوادي مكة ورفع يديه إلى السماء بهذا الدعاء الذي سجّله القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

[إبراهيم: 37].

تحرك إبراهيم في طريقه إلى بلاد الشام، وعادت هاجر إلى رضيعها تأكل من التمر، وتشرب من الماء، وترضع صغيرها حتى نفذ الماء، وبدأ الرضيع في البكاء. ركضت أم إسماعيل بين الصفا والمروة، ترقى على تلك التلّة مرّة، وعلى التلّة الأخرى مرّة ثانية، لعلّها أن ترى طيراً يحطّ على شيء من الماء، أو قادماً يحمل معه شيئاً منه. ركضت سبعة أشواط بين الصفا والمروة حتى أجهدت، فبعث الله - تعالى - إليها جبريل عليه السلام ليطمئنّها من الضيعة، وليضرب بعقبه أو بجناحه أرض مكة الصمّاء فانفجرت عين زمزم. جرت أم إسماعيل إلى عين الماء تحوطها بالرّمال والحصى وهي تقول: زُمِّي زُمِّي، ومن هنا كانت التسمية (زمزم).

ثم جاءت قبيلة جرهم اليمنية إلى مكة من رحلة تجارة في بلاد الشام، واستأذنت أم إسماعيل في التزوّد من ماء زمزم، ثم في الاستقرار حولها، وعمرت المنطقة استجابة لدعوة إبراهيم ﷺ.

(ك) ابتلاء إبراهيم ﷺ بالأمر بذبح وحيدته:

كبر إسماعيل حتى بلغ مبلغ الشباب، وتعلّق قلب أبيه بحبه، ثم فوجئ بالأمر الإلهي بذبحه، وكان الأمر في المنام حتى يكون الانصياع له أعظم ابتلاء وامتحاناً. وكان المقصود هو اختبار إخلاص قلب إبراهيم لربه، واختبار طاعة إسماعيل لأوامر الله - تعالى - ولأوامر أبيه. فلما امتثل كلّ من إبراهيم ووحيدته إسماعيل للأمر الإلهي، فدى الله - تعالى - عبده إسماعيل بذبح عظيم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان إبراهيم:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي كُنْتُ نَبِيًّا وَإِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَةِ رَبِّي وَصَدَّقْتُ وَعْدَهُ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَتَى اللَّهَ بِخَبْرِهِ إِتَىٰ يَاقُونَِبُ ﴿١٠٤﴾ فَذَكَرَ إِلَهُهُ إِنَّهُ وَقَدَّحْتُكَ لِلرَّوْبِ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْتَوْنَا أَلْمِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَيْنَا إِبرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّن الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

[الصفات: 100 - 113].

والآيات تُصوّر حجم الابتلاء، الذي تعرّض له كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، ومدى استسلامهما لأوامر الله - تعالى - بصبر ورضاء كاملين. وانطلق ذلك من إيمانها التام بالله، إيماناً لا يداخله أدنى قدر من الشك أو الارتياب، وطاعة وتسليماً ليس فيهما أدنى قدر من التردد. لذلك أكرمهما الله - تعالى - في اللحظة التي كان السكّين يتهيأ لإنفاذ الأمر الإلهي، فأوحى الله إلى إبراهيم أنه قد صدّق الرّوْيا، وفدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وأصبح ذلك اليوم عيداً للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

(ل) الملائكة تُبشِّرُ كلاً من إبراهيم وسارة بميلاد إسحاق :

أرسل الله ﷻ وفداً من ملائكته إلى عبده إبراهيم، ليخبروه بأنهم أرسلوا لتدمير الفاسقين من قوم لوط، وليبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وكان هو وزوجته سارة قد بلغا من الكبر عتياً. وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيَّ قَوْمِهِ نَزَعُ دَرَجَاتٍ مَن شَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾
[الأنعام: 83، 84].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعَجِلٍ حَبِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَتُولَتِي أَوْلَادٌ وَإِنَّا لَعَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَجِدِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابَرَّهُمْ أَغْرَضَ عَن هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾
[هود: 69 - 76].

ويقول - عز من قائل - على لسان عبده ونبيه إبراهيم:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾
[إبراهيم: 39، 40].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذِ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ

﴿٧٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ [الذاريات: 24 - 30].

(م) تلقى إبراهيم الأمر من الله - تعالى - برفع القواعد من البيت (الكعبة):

أمر ربنا - تبارك وتعالى - عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام برفع القواعد من البيت العتيق، فذهب إلى مكة وتعاون هو وولده إسماعيل عليه السلام، على إعادة بناء أول بيت وُضِعَ للناس في الأرض، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ أَبْتَلْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاجْعَدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِيسَ الْمَصِيدِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ [البقرة: 124 - 132].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

[آل عمران: 96، 97].

ويقول - عزَّ من قائل -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آيَاتٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَهُمْ وَلِيَبْطِؤُوا بِآلِيَتِ
الْعَمِيقِ ﴿٢٩﴾

[الحج: 26 - 29].

(ن) وفاة كل من سارة وإبراهيم:

تُوفِيَتِ السَّيِّدَةُ سَارَةُ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي سَنٍ مُتَقَدِّمَةٍ، ثُمَّ تُوْفِي إِبْرَاهِيمَ
بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا. تَارِكًا لِأُمَّتِهِ مَا كَانَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَالَّذِي
سَمَّاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ بِاسْمِ «صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ». وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ بَلْ تُؤَْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦﴾
وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿٩﴾﴾

[الأعلى: 14 - 19].

وَيُذَكَّرُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ عَاشَ قَرَابَةَ الْمَائَتِي سَنَةٍ، وَأَنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ
الْخَلِيلِ. وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي يَزُورُهَا النَّاسُ فَقَالَ:
«... الْقَبْرُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ هُوَ قَبْرُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَقَبْرُ الْخَلِيلِ فِيهِ نِزَاعٌ، لَكِنِ
الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ قَبْرُهُ». فَيَنْبَغِي بِنَاءً عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ تُرَاعَى حُرْمَةُ
مَدِينَةِ الْخَلِيلِ، وَأَلَّا تُتْرَكَ لِأَنْجَاسِ الصَّهَابِيَّةِ يُدَنِّسُونَهَا بِجَرَائِمِهِمْ وَشِرْكِهِمْ
وَخُرُوجِهِمْ عَلَىٰ مَنَهِجِ اللَّهِ - تَعَالَى - مَهْمَا كَلَّفَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ
ثَمَنِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ يَهُودَ الْيَوْمِ هُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ، وَلَا حَقَّ لَهُمْ فِي التَّوَاجِدِ عَلَى
أَرْضِ فِلَسْطِينَ: لَا دِينًا، وَلَا عِرْقًا وَلَا لُغَةً، وَلَا تَارِيخًا، وَلَا قَانُونًا، وَلَا بِأَيِّ
مَبَرِّرٍ مَنْطِقِيٍّ آخَرَ. وَهَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ قَدْ أَحْتَلَوْا مَدِينَةَ الْخَلِيلِ، وَاقْتَسَمُوا مَسْجِدَ
أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَاقْتَرَفُوا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمُؤِيقَاتِ
مَا يَتَنَافَى مَعَ حُرْمَةِ الْمَكَانِ.

مكانة إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم:

كان من فضل الله - تعالى - على عبده ورسوله إبراهيم أن جعله إماماً للناس، وجعل في ذريته النبوة، واتخذهُ خليلاً. ويقول - تبارك وتعالى - في امتداح عبده ونبيه إبراهيم ﷺ آيات كثيرة، منها أقواله - تعالى -:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠)

[البقرة: 130].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥)

[البقرة: 135].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧)

[آل عمران: 67].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (١٢٥)

[النساء: 125].

﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١١)

[الأنعام: 161].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْبَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١١١) وَأَعَانْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١١٣)

[النحل: 120 - 123].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَبِيرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٨﴾

[الحج: 77، 78].

● ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيْنَا مَثَلُنَا وَإِلَيْكَ آتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

[المتحنة: 4].

من أوصاف القرآن الكريم لإبراهيم ﷺ:

وصف القرآن الكريم عبد الله، ونبية إبراهيم بالعديد من الأوصاف الطيبة التي منها:

1 - أنه حلِيمٌ أَوَّاهٌ، والحليم هو الذي يملك نفسه عند الغضب، وكثيرُ الحُلم على الجاهلين؛ والأواه هو كثير التأوه خِشْيَةً لِلَّهِ - تعالى - وخوفاً من أهوال يوم القيامة، وفي ذلك يقول:

● ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعَدَةٍ وَعَدَّهَا ۗ وَإِنَّمَا بَيْنَ لهُمُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرُّاً ۗ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

[التوبة: 114].

2 - ومنها أنه (مُنِيب)، أي كثير الإنابة والتوبة إلى الله - تعالى - وفي ذلك يسجّل القرآن الكريم قول ربنا - تبارك وتعالى - .

● ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

[هود: 75].

3 - ومنها أنه (حنيف)، أي مُستقيم على طاعة الله، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

● ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

[البقرة: 135].

4 - ومنها أن الله - تعالى - شرفه هو وولده إسماعيل ﷺ، برفع قواعد الكعبة المباركة، بعد أن كانت قد تهدّمت بالكامل، وأنزل إليهما كُلاً من الحجر الأسعد ومقام إبراهيم، وفي ذلك يقول ربنا - عزّ من قائل -:

● ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 127، 128].

5 - ومنها أنه العبد الذي وفى، وزاد على الوفاء بالإحسان، ولذلك قال - تعالى -:

● ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: 37].

أي الذي تمّ وأكمل ما أمره الله - تعالى - به، وبالغ في وفائه في تنفيذ جميع أوامر الله ﷻ له حتى بلغ درجة الإحسان.

إبراهيم ﷺ في أحاديث رسول الله ﷺ:

1 - امتدح خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ كثيراً، وكان من ذلك ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل، بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: يا خير البرية، فقال ﷺ: «ذاك إبراهيم ﷺ»⁽¹⁾.

2 - ويذكر سيدنا محمد ﷺ أن إبراهيم كان أشبه الناس به، فقال: «رأيت عيسى ابن مريم وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم». قالوا: فإبراهيم؟ قال ﷺ: «انظروا إلى صاحبكم»، يعني نفسه⁽²⁾.

3 - لذلك كان إبراهيم ﷺ أحد الخمسة الكبار من رسل الله، الذين وُصفوا بوصف أولي العزم من الرسل، وهم إبراهيم، ونوح، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلى الله وسلم وبارك عليهم أجمعين).

(1) مسند أحمد حديث رقم (12826).

(2) الإمام الزوار رقم (9539).

4 - أكد رسول الله ﷺ وصف القرآن الكريم لعبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ بأنه (خليل الرحمن)، وفي هذا الوصف من التكريم ما لم ينله إلا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، الذي قال: «لو كنت مُتَّخِذاً من أهل الأرض خليلاً، لَاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله»⁽¹⁾.

فخلة الله - تعالى - اختص بها عبدي، إبراهيم ﷺ ومحمد - صلوات الله وسلامه عليه -. ويُسمى الخليلُ خليلاً، لأنَّ محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه مكاناً إلا ملأته، وهي مرتبة تبلغ كمال المحبة وتمامها، أي: هي فوق المحبة، ولذلك قال رسولنا ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»⁽²⁾.

وعلى ذلك فإنَّ خلة الله - تعالى - اختصت كلاً من خليليه إبراهيم وحفيده محمد - عليهما الصلاة والسلام -، لما بذلاه من جهادٍ في سبيل تبليغ كلمة الله للعباد، وما تحملاه من المشاق من أجل تحقيق ذلك.

الدروس المُستفادة من عرض قصّة إبراهيم ﷺ في القرآن الكريم:

- 1 - ضرورة تحكيم العقل في أمور الدين بمجرد بلوغ سنّ الرشد، دون الاتّباع الأعمى لدين الآباء والأجداد، أو التأثر بالسائد الشائع من المُعتقدات.
- 2 - أنّ النظر في خلق الله - تعالى - بعين الاعتبار، هو من وسائل التعرّف على الخالق ﷻ، ومعرفة جانب من طلاقة قدرته في إبداعه لخلقه. والنظر المُعتبر في الخلق هو وسيلة من وسائل البحث عن الحقّ، الذي إذا تغلغل في قلب وعقل العبد، صنع منه إنساناً يرقى إلى مقامات التكريم التي كرّمه بها الله.

(1) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (6125).

(2) مسند أحمد حديث رقم (13959).

- 3 - أنه إذا ضيقَ على مؤمن في بلدٍ من البلاد، إلى الحدِّ الذي لا يُمكنه من ممارسة دينه والتبليغ عنه، فعليه بالهجرة إلى غيره من بلدان أرض الله الواسعة.
- 4 - أن صاحب الدين الحقّ عليه أن يجهرَ به في حكمة، وأن يدعو إليه بالموعظة الحسنة وبالْحُجَّةِ البالغة المُقنعة، وألاّ يكتفي بالصمت على ذاته، لأنَّ اللهَ - تعالى - سوف يُسأله يوم القيامة عن الضالين من حوله.
- 5 - ضرورة التآدب في التعامل مع الوالدين، حتى لو كانا على الكفر أو الشرك بالله - تعالى -، وضرورة الحرص على إكرام الضيف، لأن هذه من أخلاق المؤمنين.
- 6 - أن الابتلاءات الربانية هي وسيلة من وسائل تربية النفس الإنسانية، والصبر على الابتلاءات وطاعة الله فيها، تعتبر من أعظم العبادات له (تعالى).
- ابتلي إبراهيم ﷺ بكفر كل من أبيه وقومه، أو شركهم بالله - تعالى -، وكفر أو شرك غالبية الناس من حوله، ولم يمنعه ذلك من الدعوة إلى توحيد الله، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصف لا يليق بجلاله. وهذا درس لكل أصحاب الدعوة.
- وابتلي بمحاولة قومه تحريقه في النار، ولكن الله - تعالى - نجاه منها بمعجزة، وهو درس في حسن التوكل على الله.
- وابتلي بالنمرود وتألّفه وتجبره على الخلق، ومطاردته له، ومحاربة أتباعه، فناظره إبراهيم وحاجه حتى انتصر عليه بالحجة البالغة وبهته.
- وابتلي إبراهيم بالهجرة من بلاده، والبعد عن أهله وقومه، وبكثرة الترحال بين فلسطين والحجاز ومصر، امثالاً لأوامر الله، وهذا درس لكل أصحاب الدعوات.
- وابتلي بالاصطبار على زوجة عاقر لسنين عديدة، وهو درس لكل من ابتلي بذلك.

- وابْتُلِيَ بِالْأَمْرِ بِوَضْعِ زَوْجِهِ هَاجِرٍ وَرَضِيعِهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ وَحِيدَهُ الَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ - تعالى - إياه على الكبر في قفر وادي مكة، فامتثل وفعل.
- وابْتُلِيَ بِالْأَمْرِ بِذَبْحِ وَحِيدِهِ الَّذِي رَزَقَهُ عَلَى الْكَبْرِ - وقد شَبَّ وَصَارَ صَبِيًّا - ، بعد أن أَلَحَّ عَلَى اللَّهِ - تعالى - بالدعاء أن يرزقه إِيَّاهُ. وكان الأمرُ في المنام ليكون قبول تنفيذهِ أعظم ابتلاءً؛ وامتثل إبراهيم لأمر اللَّهِ، وقَدَّمَ طاعة اللَّهِ على محبَّته لوحيده، فافتدى اللَّهُ - تعالى - وحيدَهُ بذبح عظيم.
- وابْتُلِيَ بِتَكْلِيفِ اللَّهِ - تعالى - له برَفْعِ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ هُوَ وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ، فَقَامَا بِالْأَمْرِ وَأَتَمَّاهُ وَحَدَّاهُمَا دُونَ مُسَاعَدَةٍ، وَهُوَ عَمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى جُهْدِ عَشْرَاتِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَشْدَاءِ.
- وابْتُلِيَ بِالْمَوْتِ كَغَيْرِهِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ - وهو خليل الرَّحْمَنِ - ، فمات وقبر؛ وقيل أن قبره في مدينة الخليل، بأرض فلسطين.
- وكانت ابتلاءات اللَّهِ - تعالى - له في غير تلك المجالات عديدة، فتقبَّلها بالرضى والصبر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:
- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: 124].
- 7 - اليقين بأنَّ دعوى كل من اليهود والنصارى باتِّباع دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، هي دعوى باطلة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰؤُلَاءِ حَجَجْتُكُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: 65 - 68].
- 8 - ضرورة الشكر على نعم اللَّهِ كي تدوم (فبالشكر تدوم النعم) ولذلك كان

إبراهيم ﷺ دائم الشكر لله - تعالى - وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان عبد الله ونيه إبراهيم ما نصه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [39]

[إبراهيم: 39].

9 - إن روابط العقيدة أعز عند الله - تعالى - من روابط الدم، مع الحرص عليها، وعدم قطعها حتى في حالات الكفر أو الشرك بالله (تعالى).

10 - التسليم بقدرة الله - تعالى - على إحياء الموتى بعد أن ترم أجسادهم وتبلى، وبأن الله - تعالى شأنه - على كل شيء قدير.

هذا، وقد جاءت قصة عبد الله ونيه إبراهيم في «العهد القديم» على النحو التالي:

The Call of Abram

12 The LORD had said to Abram, "Leave your country, your people and your father's household and go to the land I will show you. ²"I will make you into a great nation and I will bless you; I will make your name great, and you will be a blessing. ³I will bless those who bless you, and whoever curses you I will curse; and all peoples on earth will be blessed through you." ⁴So Abram left, as the LORD had told him; and Lot went with him. Abram was seventy-five years old when he set out from Haran. ⁵He took his wife Sarai, his nephew Lot, all the possessions they had accumulated and the people they had acquired in Haran, and they set out for the land of Canaan, and they arrived there. ⁶Abram traveled through the land as far as the site of the great tree of Moreh at Shechem. At that time the Canaanites were in the land. ⁷The LORD appeared to Abram and said, "To your offspring I will give this land." So he built an altar there to the LORD, who had appeared to him. ⁸From there he went on toward the hills east of Bethel and pitched his tent, with Bethel on the west and Ai on the east. There he built an altar to the LORD and called on the name of the LORD. ⁹Then Abram set out and continued toward the Negev.

دعوة أبرام

12 وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ، مَا أَنْزَلْتُ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَأَهْبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنبَأْتُكَ، فَأَجْعَلُ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكُكَ وَأَعْظِمُ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَةً (لِكَثِيرِينَ). وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَالْعَنُ لِعَيْنِيكَ، وَتَبْتَازُكَ فِيكَ جَمِيعُ أَسْمِ الْأَرْضِ. فَأَنْزَلَ أَبْرَامَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَرَافَقَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ فِي الْخَامِسَةِ وَالسَّنِينَ مِنْ عُمرِهِ عِنْدَمَا غَادَرَ حَارَانَ. وَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَائَ زَوْجَتَهُ وَلُوطًا ابْنَ أُخِيهِ وَكُلَّ مَا جَمَعَهُ مِنْ مُمْتَلَكَاتِهِ وَكُلَّ مَا ائْتَلَكَاهُ مِنْ نَفُوسٍ فِي حَارَانَ، وَأَنْزَلُوا جَمِيعًا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَنْ وَصَلُوهَا.

أَفْتَرَعَ أَبْرَامُ يَتَنَقَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ نَلَعَ مَوْضِعَ شَكِيمَ إِلَى سَهْلِ مِوْرَةَ، وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ تَسْتَلِطُونَ بِمَلِكِ الْأَرْضِ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ، مَا سَأْطَلِي هَذِهِ الْأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ. فَبَنَى أَبْرَامُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ، وَأَنْزَلَ مِنَ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِهْلٍ حَيْثُ نَصَبَ خِيَامَهُ مَا بَيْنَ بَيْتِ إِهْلٍ غَرْبِيًا وَعَمَائِ شَرْقِيًا وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِهِ. ثُمَّ تَلَعَ أَبْرَامُ أَرْضَ نَجُودِ.

Genesis 12.13

17 / ١٧

التكوين ١٢.١٣

Abram in Egypt

¹⁰Now there was a famine in the land, and Abram went down to Egypt to live there for a while because the famine was severe. ¹¹As he was about to enter Egypt, he said to his wife Sarai, "I know what a beautiful woman you are. ¹²When the Egyptians see you, they will say, 'This is his wife.' Then they will kill me but will let you live. ¹³Say you are my sister, so that I will be treated well for your sake and my life will be spared because of you."

¹⁴When Abram came to Egypt, the Egyptians saw that she was a very beautiful woman. ¹⁵And when Pharaoh's officials saw her, they praised her to Pharaoh, and she was taken into his palace. ¹⁶He treated Abram well for her sake, and Abram acquired sheep and cattle, male and female donkeys, menservants and maidservants, and camels. ¹⁷But the LORD inflicted serious diseases on Pharaoh and his household because of Abram's wife Sarai. ¹⁸So Pharaoh summoned Abram. "What have you done to me?" he said. "Why didn't you tell me she was your wife? ¹⁹Why did you say, 'She is my sister,' so that I took her to be my wife? Now then, here is your wife. Take her and go!" ²⁰Then Pharaoh gave orders about Abram to his men, and they sent him on his way, with his wife and everything he had.

Abram and Lot Separate

13 So Abram went up from Egypt to the Negev, with his wife and everything he had, and Lot went with him. ²Abram had become very wealthy in livestock and in silver and gold. ³From the Negev he went from place to place until he came to Bethel, to the place between Bethel and Ai where his tent had been earlier ⁴and where he had first built an altar. There Abram called on the name of the LORD.

⁵Now Lot, who was moving about with Abram, also had flocks and herds and tents. ⁶But the land could not support them while they stayed together, for their possessions were so great that they were not able to stay together. ⁷And quarreling arose between Abram's herdsmen and the herdsmen of Lot. The Canaanites and Perizzites were also living in the land at that time. ⁸So Abram said to Lot, "Let's not have any quarreling between you and me, or between your herdsmen and mine, for we

أبرام في ديار مصر
وَعَسَتْ بِتِلْكَ الْبِلَادِ جَمَاعَةٌ. فَانْحَدَرَ اَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ
لِيَتَنَزَّهَ فِيهَا لِأَنَّ الْمَجَاعَةَ كَانَتْ شَدِيدَةً فِي الْأَرْضِ.
وَمَا إِنْ اقْتَرَبَ مِنْ مَخِيمِ مِصْرَ حَتَّى قَالَ لِزَوْجَتِهِ سَارَائِي:
أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ. ¹¹فَمَا إِنْ تَرَكَ الْمِصْرِيِّونَ حَتَّى
يَقُولُوا: هَذِهِ هِيَ زَوْجَتِي فَيَقْتُلُونِي وَيَسْتَحْيُونَكَ. ¹²إِذْكَ قُولِي
بِتُكِ اخْتِي. فَيُحْسِنُوا مُعَامَلَتِي مِنْ أَجْلِكَ وَتَنَجُو حَيَاتِي
بِفَضْلِكَ..

¹⁴وَلَمَّا اقْتَرَبَ اَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ اسْتَرْعَى جَمَالَ سَارَائِي أَنْظَرَ
الْمِصْرِيِّينَ. ¹⁵وَشَاهَدَهَا أَيْضاً رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ فَاسْتَادُوا بِهَا أَمَانَةً.
فَأَجَدَتْ امْرَأَتَهُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. ¹⁶فَأَحْسَنَ إِلَى اَبْرَامَ
بَسْبِهَا وَأَعْزَلَ لَهُ الْفُلْهَاءَ مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْحَمِيرِ وَالْقَبِيدِ
وَالْإِنْسَاءِ وَالْأَتْنِ وَالْجَمَالِ. ¹⁷وَلَكِنْ لَرُبِّ اَبْرَامَ فِرْعَوْنَ وَاهْلَهُ
بِبِلَائِي عَظِيمَةٍ سَبَبَ سَارَائِي زَوْجَةَ اَبْرَامَ. ¹⁸فَلَسْتَدْعِي
فِرْعَوْنَ اَبْرَامَ وَسَأَلَهُ: مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي
أَنَّهَا زَوْجَتُكَ؟ ¹⁹وَلِمَاذَا أَعْرَيْتَ أُمَّهُ اَهْلَكَ حَتَّى أَخَذْتَهَا
لِتَكُونَ زَوْجَةً لِي؟ وَالْآنَ هَا هِيَ زَوْجَتُكَ. خُذْهَا وَأَنْصُرْ فِي
طَرَفِكَ.. ²⁰وَأَوْضَى فِرْعَوْنَ رِجَالَهُ بِاَبْرَامَ، فَسَبَّحُوهُ
وَأَسْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ بِسَلْكَ.

افتراق أبرام ولوط

وَعَادَرَ اَبْرَامُ مِصْرَ وَزَوْجَتَهُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَلُوطُ وَكُلُّ
١٣ مَا كَانَ لَهُ. نَحْوُ بِلْطَفَةِ الْقَلْبِ وَكَانَ اَبْرَامُ
بَسِيكًا ثَرِيحًا طَابِلَةً مِنَ الْمَوَاشِي وَالْفَيْضَةِ وَالذَّهَبِ. ²وَوَطَّ
بِثَقْلٍ فِي بِلْطَفَةِ الْقَلْبِ مُجْهًا إِلَى بَيْتِ اِبِلِ. إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي كَانَ قَدْ نَصَبَ فِيهِ حَيَامَهُ أَوَّلًا بَيْنَ بَيْتِ اِبِلِ
وَعَاي. ³أَحْيَتْ كَمَا قَدْ شَيْدَ الْمَنْفُوحِ أَوَّلًا. وَدَعَا هُنَاكَ
اَبْرَامَ بِاسْمِ الرَّبِّ.

⁴وَكَانَ لِلُوطِ الْمَرَاقِقُ لِاَبْرَامَ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَيَامٌ أَيْضاً.
أَفْضَقَتْ بَيْنَهُمَا الْأَرْضُ لِكثْرَةِ أَسْلَاحِهِمَا فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا
مَعاً. ⁵وَنَشَبَ نِزَاعٌ بَيْنَ رِعَاةِ مَوَاشِي اَبْرَامَ وَرِعَاةِ مَوَاشِي
لُوطَ. فِي أَلْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ
يَقِيمُونَ فِي الْأَرْضِ. ⁶فَقَالَ اَبْرَامُ لِلُوطَ: لَا تَكُنْ نِزَاعٌ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ. وَلَا تَكُنْ رِعَايَتِي وَرِعَايَتِكَ لِأَنَّ نَحْنُ أَخْوَانٌ.

Genesis 13,14

18 / 18

التكوين 14، 13

are brothers. ⁹Is not the whole land before you? Let's part company. If you go to the left, I'll go to the right; if you go to the right, I'll go to the left."

Lot Chooses Sodom

¹⁰Lot looked up and saw that the whole plain of the Jordan was well watered, like the garden of the LORD, like the land of Egypt, toward Zoar. (This was before the LORD destroyed Sodom and Gomorrah.) ¹¹So Lot chose for himself the whole plain of the Jordan and set out toward the east. The two men parted company: ¹²Abram lived in the land of Canaan, while Lot lived among the cities of the plain and pitched his tents near Sodom. ¹³Now the men of Sodom were wicked and were sinning greatly against the LORD.

¹⁴The LORD said to Abram after Lot had parted from him, "Lift up your eyes from where you are and look north and south, east and west. ¹⁵All the land that you see I will give to you and your offspring forever. ¹⁶I will make your offspring like the dust of the earth, so that if anyone could count the dust, then your offspring could be counted. ¹⁷Go, walk through the length and breadth of the land, for I am giving it to you."

¹⁸So Abram moved his tents and went to live near the great trees of Mamre at Hebron, where he built an altar to the LORD.

Abram Rescues Lot

14 At this time Amraphel king of Shinar, Arioch king of Ellasar, Kedorlaomer king of Elam and Tidal king of Goiim ²went to war against Bera king of Sodom, Birsha king of Gomorrah, Shinab king of Admah, Shemeber king of Zeboim, and the king of Bela (that is, Zoar). ³All these latter kings joined forces in the Valley of Siddim (the Salt Sea). ⁴For twelve years they had been subject to Kedorlaomer, but in the thirteenth year they rebelled. ⁵In the fourteenth year, Kedorlaomer and the kings allied with him went out and defeated the Rephaites in Ashteroth Karnaim, the Zuzites in Ham, the Emmites in Shaveh Kiriathaim ⁶and the Horites in the hill country of Seir, as far as El Paran near the desert. ⁷Then they turned back and went to En Mishpat (that is, Kadesh), and they conquered the whole territory of the Amalekites, as well as the Amorites who were living in Hazazon Tamar.

أَلَيْسَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا أَمَامَكُمْ؟ فَامْتَدَّ عَيْ. إِنْ أَتَيْتَ شِمَالاً، أَتَيْتَ أَمَا يَمِيناً، وَإِنْ مَتَّوَلَّتَ يَمِيناً، أَتَمَّوَلَّتَ أَمَا شِمَالاً.

لوط يختار سدوم
وَقَلَّتْ لوط حَوْلَهُ فَشَاهَدَ الشُّهُونَ الْمَحِيضَةَ بِهَرِ الْأُرْدُنِّ وَإِنَّا بِهَا رِيَاءَةٌ كُلُّهَا، قَبْلَمَا نَزَرَ الْكُرْبُ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَكَانَتْهَا جَنَّةً الْكُرْبُ كَأَرْضِ مِصْرَ الْمَشْتَقَّةِ إِلَى حَوْزِ. "لَلْحَقِّ لوط يُنْقِصِهِ حَوْزِ الْأُرْدُنِّ كُلَّهُ وَأَزْجَلَ-شَرْقاً، وَغَدَا أَمْتَمَلَّ أَحَدَئِهَا عَنِ الْأَحْرِ. "وَسَكَنَ أَمْرَامُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَقَامَ لوطُ فِي مَدِينِ الْكُشَلِ حَيْثُ نَصَبَ جَنَانَهُ بِحَوْلِ سَدُومَ. "وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ مُتَوَطِّئِينَ فِي الْكُفْرِ وَخُلَاطِيئِينَ جِدًّا لَدَى الْكُرْبِ.

"وَقَالَ الْكُرْبُ لِأَمْرَامَ بَعْدَ أَنْ أَمْتَمَلَّ عَنْهُ لوطاً، "أَرْفَعْ عَيْنَيْكَ وَقَلَّتْ حَوْلَكَ مِنَ التَّوَضُّعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، شِمَالاً وَجَنُوباً، شَرْقاً وَغَرْباً، "فَإِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ أَتَيْتَ تَرَاهَا، سَأُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ إِلَى الْأَبَدِ. "وَسَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، فَإِنْ انْتَضَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَحْصِيَ ثَرَابِ الْأَرْضِ بِتَقْدِيرِ تَبِيءٍ أَنْ يَحْصِيَ نَسْلَكَ "فَمُ وَأَنْفَسِ فِي طَوْلِ الْأَرْضِ وَعَوَّضِهَا لِأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا. "لَتَقْتُلَ أَمْرَامُ جَنَانَهُ وَنَصَبَهَا فِي سَهْلِ تَمْرَا فِي حَبْرُونَ، وَهَكَذَا شَيْءٌ لِلْكُرْبِ مَذْبَحاً.

إنقاذ لوط من الأسر

وَحَدَّثَ فِي زَمَانِ أَمْرَامَفَلْ-مَلِكِ شِنْعَارَ وَأَرِيوَكْ-مَلِكِ أَلِاسَارَ وَكَدُورْلَامُومَرِ-مَلِكِ عِيلَامَ وَيَتِدَالِ-مَلِكِ جُومِيمِ، "أَنَّ حَرْباً نَشَبَتْ بَيْنَهُمْ وَتَوَجَّهَ مَلِكُ سَدُومَ وَبُورْشَاخَ-مَلِكِ عَمُورَةَ وَيَتَابَ-مَلِكِ أَدْمَةَ وَيَشْمِيبِرَ-مَلِكِ صَبُومِ، وَمَلِكُ بَلَعِ الْمَعْمُورَةِ بِسُومَرِ. "هَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ أَحْتَمَلُوا فِي وَادِي السَّلْتِمْ، وَهُوَ بَحْرُ الْمِلْحِ (الْبَحْرُ الْمَيِّتُ)، وَكَانَ كَدُورْلَامُومَرِ قَدْ انْتَفَضِعَ عَنْهُمْ طَوَالَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِي السَّنَةِ الْكَالِئَةِ عَشْرَةَ تَمَرَّدُوا عَلَيْهِ. "وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ اجْتَمَعَ كَدُورْلَامُومَرُ وَخُلَفَاؤُهُ الْمَلُوكُ وَفَتَرُوا الْكُرْبِيِّينَ فِي عَشْرَتِوَاتِ فَرْتَمِمْ، وَالرُّوْمِيِّينَ فِي هَامَ، وَالْأَمُورِيِّينَ فِي سَهْلِ كِيرِيَاثَايمِ، وَالْحَوِيزِيِّينَ فِي جَيْلِمْ سَمِيرَ حَتَّى بَلْعَةَ مَرَانَ عَلَى حُدُودِ الْكُشْرَاوِ. "لَمُ لَمْتَمَلُّوْا حَتَّى أَتَمَّوَلُّوا عَلَى عَيْنِ مِشْطَا، الَّذِي هِيَ قَادَشُ، فَهَزَمُوا بِلَادَ الْأَمَلِئِقِيِّينَ كُلُّهَا وَالْأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حَصُونِ تَمَارَ.

Genesis 14

19 / 11

التكوين ١٤

⁸Then the king of Sodom, the king of Gomorrah, the king of Admah, the king of Zeboiim and the king of Bela (that is, Zoar) marched out and drew up their battle lines in the Valley of Siddim ⁹against Kedorlaomer king of Elam, Tidal king of Goiim, Amraphel king of Shinar and Arioch king of Ellasar—four kings against five. ¹⁰Now the Valley of Siddim was full of tar pits, and when the kings of Sodom and Gomorrah fled, some of the men fell into them and the rest fled to the hills.

¹¹The four kings seized all the goods of Sodom and Gomorrah and all their food; then they went away.

¹²They also carried off Abram's nephew Lot and his possessions, since he was living in Sodom.

¹³One who had escaped came and reported this to Abram the Hebrew. Now Abram was living near the great trees of Mamre the Amorite, a brother of Eshcol and Aner, all of whom were allied with Abram. ¹⁴When Abram heard that his relative had been taken captive, he called out the 318 trained men born in his household and went in pursuit as far as Dan. ¹⁵During the night Abram divided his men to attack them and he routed them, pursuing them as far as Hobah, north of Damascus. ¹⁶He recovered all the goods and brought back his relative Lot and his possessions, together with the women and the other people.

Melchizedek Blesses Abram

¹⁷After Abram returned from defeating Kedorlaomer and the kings allied with him, the king of Sodom came out to meet him in the Valley of Shaveh (that is, the King's Valley). ¹⁸Then Melchizedek king of Salem brought out bread and wine. He was priest of God Most High, ¹⁹and he blessed Abram, saying, "Blessed be Abram by God Most High, Creator of heaven and earth. ²⁰And blessed be God Most High, who delivered your enemies into your hand." Then Abram gave him a tenth of everything. ²¹The king of Sodom said to Abram, "Give me the people and keep the goods for yourself." ²²But Abram said to the king of Sodom, "I have raised my hand to the LORD, God Most High, Creator of heaven and earth, and have taken an oath ²³that I will accept nothing belonging to you, not even a thread or the thong of a sandal, so that you will never be able to say, 'I made Abram rich.' ²⁴I will accept nothing but what my men have eaten and the share that belongs to

⁸فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك زيبويم وملك بلع، التي هي صوغر، في غسق الشمس وخاضوا حزبا مع كدورلاومر ملك عيلام وتيدال ملك جويم وأمراफल ملك شينار وأريوخ ملك الإلسار، فكفروا أربعة ملوك ضد خمسة. ¹⁰وكان وادي الكسليم مليئا ببقار الزفت، فاندحز ملكا سدوم وعمورة وتسقطا نبتهما، أما الباقون فهزبوا إلى الجبال. ¹¹فقدم المنتصرون جميع ما في سدوم وعمورة من متعلقات ومؤن ومضوا. ¹²واستروا لوطا ابن أخي أبرام المقيم في سدوم، وتبوا أملاكه ثم ذهبوا.

¹³وجاء أحد الفارين إلى أبرام العبري الذي كان ملازما فقيما عند بلوطات ممرا أخي لشكول وعليز خلفه أبرام وأبلغه بما جرى. ¹⁴فلما سمع أبرام أن ابن أخيه قد أسيروا جرد ثلاث مئة وثلاثة عشر من عبيدو المملوكين المملوكين في تيبو وتفقتهم حتى بلغ دان ¹⁵وفي لئاه الليل قسم رجاله، وهاجمهم وقهرهم، ثم عادهم حتى حوبة شمالي دمشق. ¹⁶واسترد كل الغنائم، واسترجع ابن أخيه لوطا وأملاكه، واكتشاه أيضا وسبواهم من الأسيروا.

ملكى صادق يبارك أبرام

¹⁷وجاء ملك سدوم ليقاء أبرام في وادي شوي المنفرد في وادي الملك، بعد عوبيو من كسرة كدورلاومر والملوك خلفيه. ¹⁸وتكذلك حمل إليه ملكي صادق ملك سالم، الذي كان كاهنا لله العلي، لحنزا وحمرا. ¹⁹وتبركه قائلا، ليتكن عليك يا أبرام بركة الله العلي، ملك السموات والأرض. ²⁰وتبارك الله العلي الذي دفع أعداك إلى يديك. ²¹فأعطاه أبرام عشر الغنائم كلها. ²²وقال ملك سدوم لأبرام، اعطني الأسيرو المنفردين أما الغنائم فاحتفظ بها لنفسك. ²³فأجابته أبرام، لقد أقسمت بالله الإله العلي، ملك السموات والأرض، وعاهدتكم ألا أخذ شيئا مما هو لك، ولو كان خيطا أو شريطا جذا، لئلا أقول، أما اغتبت أبرام ²⁴لأن الحد غير ما أكله أبلطنان. أما

Genesis 14,15

20 / ٢٠

التكوين ١٤، ١٥

the men who went with me—to Aner, Eshcol and Mamre. Let them have their share."

تبعيت كرجالي الذين ذهبوا معي، عابر وأشحول وممره، فليأثم بأخذونهم.

God's Covenant with Abram

15 After this, the word of the LORD came to Abram in a vision: "Do not be afraid, Abram. I am your shield, your very great reward."² But Abram said, "O Sovereign LORD, what can you give me since I remain childless and the one who will inherit my estate is Eliezer of Damascus?"³ And Abram said, "You have given me no children; so a servant in my household will be my heir."⁴ Then the word of the LORD came to him: "This man will not be your heir, but a son coming from your own body will be your heir."⁵ He took him outside and said, "Look up at the heavens and count the stars—if indeed you can count them." Then he said to him, "So shall your offspring be."⁶ Abram believed the LORD, and he credited it to him as righteousness.⁷ He also said to him, "I am the LORD, who brought you out of Ur of the Chaldeans to give you this land to take possession of it."⁸ But Abram said, "O Sovereign LORD, how can I know that I will gain possession of it?"⁹ So the LORD said to him, "Bring me a heifer, a goat and a ram, each three years old, along with a dove and a young pigeon."¹⁰ Abram brought all these to him, cut them in two and arranged the halves opposite each other; the birds, however, he did not cut in half.¹¹ Then birds of prey came down on the carcasses, but Abram drove them away.

¹²As the sun was setting, Abram fell into a deep sleep, and a thick and dreadful darkness came over him.¹³ Then the LORD said to him, "Know for certain that your descendants will be strangers in a country not their own, and they will be enslaved and mistreated four hundred years.¹⁴ But I will punish the nation they serve as slaves, and afterward they will come out with great possessions.¹⁵ You, however, will go to your fathers in peace and be buried at a good old age.¹⁶ In the fourth generation your descendants will come back here, for the sin of the Amorites has not yet reached its full measure."¹⁷ When the sun had set and darkness had fallen, a smoking firepot with a blazing torch appeared and passed between the pieces.

¹⁸On that day the LORD made a covenant with Abram and said, "To your descendants I give this

عهد الله مع أبرام
وتعد عهداً للأمر قال الرب لأبرام في الرؤيا،
لا تخف يا أبرام. أنا لربك نك. وأجرتك عظيم
جنته. فقال أبرام، ما لي بالشدة الرب أي خير في ما
تعطيني وأنا من غير عقب وذوكت قتي هو العبد
الدمشقي؟ وقال أبرام له، وأنت لم تعطيني نسلاً
وفا هو عبد متولد في قتي تكون وراثتي، فأجابته الرب،
من يكون هذا لك ورحا، بل الذي يخرج من ضلبيك
تكون وراثتك. وأخرجته الرب إلى الخارج وقال، انظر
إلى سماء وعد النجوم إذ انتظعت لك. ثم قال له،
معداً تكون نسله. فاقن بالرب كعنة له بوا.
وقال له، أيا هو الرب الذي أتى بك من أيد
الكلدانيين ليعطينك عهد الأرض ميراثاً. فسأل، وكيف
أعلم أي إله؟ فأجابته الرب، هل لي عجلة وعثرة
وتدشا، عجز كل ما فيها فأتت ستورتي، وبمئة وخمسة،
فأخذ عهداً وأنا وبق النجوم من الزبط إلى طهرني،
وجعل كل طهر بها مقابل الطهر الآخر. لما أظن ظم
بشكراً، وبعثنا لهدم كنعان الجارية تقع على الجسد
وغيرها أبرام.

¹²ولما سالت الشمس إلى المغرب غرق أبرام في نوم
عميق، وأثام بالظلمة والكثرة تكثرت. فقال له الرب،
كفرت أن تسلك مستغرب في أرض ليست لهم،
فتستعبدهم أهلها وتذلواهم أربع مئة سنة. وتكفي
سائرين تلك الأمة التي استعبدهم، ثم بعد ذلك يخرجون
بملازك عابدين. أما أنت فتستور بسلام وتلدن بسلام
صليحة. أما هم فتستورون بعد أربعة أجيال إلى هنا،
لأن إثم الأموريين لم يتكسر بعد. وبعثنا عرتو
الظلمة وحقم الظلم (ظلمة) ثور دخان ويشعل نار يتعذر
بين تلك القطع.

¹⁸في ذلك اليوم عقد الله ميثاقاً مع أبرام قديلاً، متعاطي
تسلك عهد الأرض من ذابني العيشي إلى الكبر الكبير تهر

Genesis 15,16

21 / ٢١

التكوين ١٥، ١٥

land, from the river of Egypt to the great river, the Euphrates.¹⁹ the land of the Kenites, Kenizzites, Kadmonites, ²⁰Hittites, Perizzites, Rephaites, ²¹Amorites, Canaanites, Girgashites and Jebusites.”

Abram Marries Hagar

16 Now Sarai, Abram's wife, had borne him no children. But she had an Egyptian maidservant named Hagar;² so she said to Abram, "The LORD has kept me from having children. Go, sleep with my maidservant; perhaps I can build a family through her." Abram agreed to what Sarai said.³ So after Abram had been living in Canaan ten years, Sarai his wife took her Egyptian maidservant Hagar and gave her to her husband to be his wife.⁴ He slept with Hagar, and she conceived. When she knew she was pregnant, she began to despise her mistress.⁵ Then Sarai said to Abram, "You are responsible for the wrong I am suffering. I put my servant in your arms, and now that she knows she is pregnant, she despises me. May the LORD judge between you and me."⁶ "Your servant is in your hands," Abram said. "Do with her whatever you think best." Then Sarai mistreated Hagar; so she fled from her.

Hagar and the Angel of the LORD

⁷The angel of the LORD found Hagar near a spring in the desert; it was the spring that is beside the road to Shur.⁸ And he said, "Hagar, servant of Sarai, where have you come from, and where are you going?" "I'm running away from my mistress Sarai," she answered.⁹ Then the angel of the LORD told her, "Go back to your mistress and submit to her."¹⁰ The angel added, "I will so increase your descendants that they will be too numerous to count."¹¹ The angel of the LORD also said to her: "You are now with child and you will have a son. You shall name him Ishmael, for the LORD has heard of your misery."¹² He will be a wild donkey of a man; his hand will be against everyone and everyone's hand against him, and he will live in hostility toward all his brothers."¹³ She gave this name to the LORD who spoke to her: "You are the God who sees me," for she said, "I have now seen the One who sees me."¹⁴ That is why the well was called Beer Lahai Roi; it is still there, between Kadesh and Bered.

الفرزيون. ¹⁹أرض القنيزيين والقنيزيين. والقنمونييين والجدونييين والقنونييين والأمووييين والكنعانييين والجزعالييين والنصوبييين.

زواج أبرام من هاجر
وَأَمَّا سَرَايُ زَوْجَةُ اأَبْرَامَ فَكَانَتْ عَائِلًا، وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ تُدْعَى هَاجِرَ. **١٦** فَأَقَامَتِ سَرَايُ لِأَبْرَامَ، هَذِهِكَ الْكُرْبُ قَدْ حَرَمْتَنِي مِنَ الْوَلَدَةِ، فَادْخُلِي عَلَيَّ لَعَلِّي أُنْزِلُ لِي مِنْهَا بَنِينَ. فَسَمِعَ اأَبْرَامُ بِكَلَامِ زَوْجَتِهِ. وَهَكَذَا بَدَأَ اأَبْرَامُ عِشْرَ سَنَاتٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، أَخَذَتْ سَرَايُ جَارِيَتَهَا الْجِصْرِيَّةَ هَاجِرَ وَأَعْطَاهَا لِزَوجِهَا اأَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ. فَحَضَرَ هَاجِرُ فَحَبِلَتْ بِمِثْلِهِ. وَلَمَّا اأَزْرَكَتْ اأَبَا حَبِيلَ حَفَّتْ مِزْجَلَهَا فِي عَيْنَيْهَا. فَقَالَتْ سَرَايُ لِأَبْرَامَ، ايْبِقْ ظُلْمِي عَلَيْكَ، لَمَّا قَدْ زَوَّجْتَنِي مِنْ جَارِيَتِي وَجِئْتُ اأَزْرَكَتْ اأَبَا حَبِيلَ حِينَ فِي عَيْنَيْهَا. لِيُظْهِرَ الْكُرْبُ تَنِي وَتِنِكَ. ^١فَأَجَابَهَا اأَبْرَامُ، مَا هِيَ جَارِيَتُكَ حَفَّتْ فَضْرُوكِ، فَالْظُلْمِي بِهَا مَا يَجْلُو لَكَ. فَادْلَلْتُهَا سَرَايُ حَتَّى هَرَبَتْ مِنْهَا.

ملاك الرب وهاجر
فَوَجَدَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ بِالْقَرْيَةِ مِنَ عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ إِلَى شُورَ. ^٨فَقَالَ، يَا هَاجِرُ جَارِيَةَ سَرَايَ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟ وَأَيْسَ أَمِنْ قُلُوبِيْنَ؟. فَاجَبَتْ، اأَبِي هَارِيَةَ مِنْ وَجْدِ سَرَايَ سَرَايَ. ^٩فَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ، عَوْدِي إِلَى مَوْلَايَكَ وَالْحَضِي نَهَا. ^{١٠}وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ، لِأَنَّكَ تَكُونُ نَسْلَكَ فَلَا تَهْرُؤِي بِخُضْرِي. ^{١١}وَأَضَلَّ مَلَاكُ الرَّبِّ، هَذِهِكَ اأَبَا حَبِيلَ، وَتَسْتَلِيمُونَ اأَبَا قَدْصِيَّةَ اإِسْمَاعِيلَ (وَتَسْتَلِيمُونَ أَنَّهُ يَسْتَمِعُ) لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَايِكَ. ^{١٢}وَيَكُونُ اإِسْمَاعِيلُ وَحِيدًا يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعْرِشُ مُشْتَرِشًا مُتَحَلِّيًا كُلَّ يَوْمِيَّةٍ. ^{١٣}فَدَعَتْ اأَبَا حَبِيلَ الَّذِي خَالَطَهَا، أَنْتَ اللهُ الَّذِي رَأَيْتِي، لِأَنِّي قُلْتُ، أَحَسًا رَأَيْتُ هَذَا (حَلَفَ) الَّذِي رَأَيْتِي؟. ^{١٤}لِذَلِكَ سَمَّيْتُ الْبَيْتَ بِبَيْتِ لَحْيِ رَيْ، (وَتَسْتَلِيمُونَ بَيْتَ لَحْيِ الَّذِي رَأَيْتِي) وَهِيَ وَابْنَةُ بَنِي قَدِشَ وَتَمْرَدَ.

Genesis 16,17

22 / ٢٢

التكوين ١٦: ١٧

The Birth of Ishmael

¹⁵So Hagar bore Abram a son, and Abram gave the name Ishmael to the son she had borne.

¹⁶Abram was eighty-six years old when Hagar bore him Ishmael.

مولد إسماعيل
لَمْ وَلَدَتْ هَاجَرَ لِأَبْرَامَ ابْنًا، فَدَعَا أَبْرَامُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْ لَهُ
هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ. ¹⁵ وَكَانَ أَبْرَامُ فِي الْكِبَرِ وَالْكَثْمَانِ مِنْ
عُشْرِهِ عِشْرَةً وَوَلَدَتْ لَهُ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ.

The Covenant of Circumcision

17 When Abram was ninety-nine years old, the LORD appeared to him and said, "I am God Almighty; walk before me and be blameless. ²I will confirm my covenant between me and you and will greatly increase your numbers." ³Abram fell face down, and God said to him, ⁴"As for me, this is my covenant with you: You will be the father of many nations. ⁵No longer will you be called Abram; your name will be Abraham, for I have made you a father of many nations. ⁶I will make you very fruitful; I will make nations of you, and kings will come from you. ⁷I will establish my covenant as an everlasting covenant between me and you and your descendants after you for the generations to come, to be your God and the God of your descendants after you. ⁸The whole land of Canaan, where you are now an alien, I will give as an everlasting possession to you and your descendants after you; and I will be their God."

⁹Then God said to Abraham, "As for you, you must keep my covenant, you and your descendants after you for the generations to come. ¹⁰This is my covenant with you and your descendants after you, the covenant you are to keep: Every male among you shall be circumcised. ¹¹You are to undergo circumcision, and it will be the sign of the covenant between me and you. ¹²For the generations to come every male among you who is eight days old must be circumcised, including those born in your household or bought with money from a foreigner—those who are not your offspring. ¹³Whether born in your household or bought with your money, they must be circumcised. My covenant in your flesh is to be an everlasting covenant. ¹⁴Any uncircumcised male, who has not been circumcised in the flesh, will be cut off from his people; he has broken my covenant."

God's Promise to Sarah

¹⁵God also said to Abraham, "As for Sarai your wife, you are no longer to call her Sarai; her name

المهد والحتان
وَعِنَّمَا كَانَ أَبْرَامُ فِي الْكِبَرِ وَالْكَثْمَانِ مِنْ عُشْرِهِ،
١٧ ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلًا: يَا أَبَا هُوَ اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ
أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا. ^٢ فَأَجْعَلْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثِرْ نَسْلَكَ
جِدًّا. ^٣ فَسَطَعَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَاطَبَهُ اللَّهُ قَائِلًا:
^٤ مَا لَنَا لَنَا الْفِعْلُ لَكَ عَهْدِي، فَتَكُونُ أَبَا أُمَّمٍ كَثِيرَةٍ. ^٥ وَتَنْ
تُدْعَى أُمَّمًا تَبْدَأُ الْآنَ أَبْرَامَ (وَمَعْنَاهُ الْأَبُ الْكَرِيمُ) نَبْل
تَكُونُ أُمَّمًا كَثِيرَةً لِأَبْرَامِ (وَمَعْنَاهُ أَبُ الْبَنِينَ) لِأَنِّي أَجْعَلُكَ
أَبَا بَنِينَ مِنْ الْأُمَّمِ وَأَصْرِيكَ مُلْكًا جِدًّا. وَأَجْعَلُ أَسْمَا
تَقْرَأُ بِكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. ^٧ وَأَقِيمَ عَهْدِي الْأَبَدِي
بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَدَيْكَ جِدًّا تَبْدَأُ جِدًّا، فَتَكُونُ
إِلَهًا لَكَ وَتَقْسَمُكَ مِنْ بَدَيْكَ. ^٨ وَأَقْبَلْتُ أَنْتَ وَوَدَّعْتُكَ مِنْ
بَدَيْكَ بِجَمِيعِ أَرْضِ كَنْعَانَ، أَنِّي نَزَّلْتُ فِيهَا عَرَبِيًّا، مُلْكًا أَبَدِيًّا.
وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا.

^٩ وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ، يَا أَبَا أَنْتَ فَاسْطِطْ عَهْدِي، أَنْتَ وَوَدَّعْتُكَ
مِنْ بَدَيْكَ مَدَى أُمَّمَاتِهِمْ. ^{١٠} هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ
وَبَيْنَ وَدَّعْتِكَ مِنْ بَدَيْكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ، أَنْ يَحْفَظْتُمْ
كُلَّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ "تَقْبِضُونَ زَمَانَ قَلْبِهِ عَزْمِيكُمْ فَتَكُونُ عِلْمًا
الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" "تَقْبِضُونَ عَلَى مَدَى أُمَّمَاتِكُمْ كُلَّ
ذَكَرٍ مِنْكُمْ كَبْنَ قَلْبِيهِ أَلْهَامَ سَوَاءَ كَلَنْ الْمَوْلُودِ مِنْ وَدَّعْتِكَ أَمْ
كَانَ أَبَا يَمْسِيهِ مَشْتَرَى بِمَالِكَ بِمَنْ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ.
^{١١} فَكُلُّ كَلِّ وَوَدَّعْتِكَ سَوَاءَ وَوَدَّعْتِكَ أَمْ أَشْرَقِي بِمَالٍ أَنْ
يَحْفَظْتُمْ، فَتَكُونُ عَهْدِي فِي أَسْوَابِكُمْ عِنْدًا أَبَدِيًّا. ^{١٢} أَمَّا الْكَذَّابُ
الَّذِي لَمْ يَحْفَظْ، فَسَيُخْتَلَفُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ لِأَنَّهُ نَكَثَ
عَهْدِي.

وعد الله لسارة

^{١٥} وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ، يَا سَارَى سَارَى سَارَى، فَدَعَا سَارَى

will be Sarah. ¹⁶I will bless her and will surely give you a son by her. I will bless her so that she will be the mother of nations; kings of peoples will come from her."

¹⁷Abraham fell facedown; he laughed and said to himself, "Will a son be born to a man a hundred years old? Will Sarah bear a child at the age of ninety?" ¹⁸And Abraham said to God, "If only Ishmael might live under your blessing!"

¹⁹Then God said, "Yes, but your wife Sarah will bear you a son, and you will call him Isaac. I will establish my covenant with him as an everlasting covenant for his descendants after him. ²⁰And as for Ishmael, I have heard you: I will surely bless him; I will make him fruitful and will greatly increase his numbers. He will be the father of twelve rulers, and I will make him into a great nation. ²¹But my covenant I will establish with Isaac, whom Sarah will bear to you by this time next year. ²²When he had finished speaking with Abraham, God went up from him.

The Circumcision of Abrahams' Household

²³On that very day Abraham took his son Ishmael and all those born in his household or bought with his money, every male in his household, and circumcised them, as God told him. ²⁴Abraham was ninety-nine years old when he was circumcised, ²⁵and his son Ishmael was thirteen; ²⁶Abraham and his son Ishmael were both circumcised on that same day. ²⁷And every male in Abraham's household, including those born in his household or bought from a foreigner, was circumcised with him.

The Three Visitors

18 The LORD appeared to Abraham near the great trees of Mamre while he was sitting at the entrance to his tent in the heat of the day. ²Abraham looked up and saw three men standing nearby. When he saw them, he hurried from the entrance of his tent to meet them and bowed low to the ground. ³He said, "If I have found favor in your eyes, my lord, do not pass your servant by. ⁴Let a little water be brought, and then you may all wash your feet and rest under this tree. ⁵Let me get you something to eat, so you can be refreshed and then go on your way—now that you

ساراي تبتد الآن. نل يتكون لسنها سارة (وتغفلة أسيرة).
¹⁶وأبركها وأعطيت أبا وبها. سألركها وأعطتها أما يشعوب.
 وبها يتخذ ملوك أمم. ¹⁷فانطرح إبراهيم على وجهه
 وضحك قهقرا في نفسه: «أولاد أبن لمن تبلغ الـهئة من
 عشوره؟ وهل تلجب سارة وهي في الكشمين من عشورها؟»
¹⁸وقال إبراهيم لله: «أبنت إسماعيل يمتا في رعيتك.»
¹⁹فأجاب الرب: «إن سارة زوجتك هي التي تلد لك أبنا
 وتدعو اسمه إسحاق (وتغفلة بضحك). وأقيم عهدي معك
 ومع ذريته من غدو عهدا أبديا. أما إسماعيل: قد
 استجبت لطلبك من أجلي. سأبركه حقا، وأعطه مئسرا.
 وأكثر ذريته جملا فيكون لها اثني عشر رئيسا. وتصبح أمة
 كبيرة. ²⁰فغير أن عهدي أبرمه مع إسحاق الذي تلجبه لك
 سارة في مثل هذا الوقت من السنة القادمة.» ²¹ولما
 انتهى من محادثته فارق الله إبراهيم.

تشهد عهد اللتان
²³وفي ذلك اليوم يقصو أخذ إبراهيم إسماعيل وجميع
 المؤلودين في بيته وقتل من أشقرق يتل: كل ذكر من
 أهل بيته وقصن لحم غزلهم كما أمره الرب. ²⁴وكان إبراهيم
 في الكسبة والتشمين من عشوره عتعا حين في لحم غزليه.
²⁵أما إسماعيل: أبته قد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين
 في لحم غزليه. ²⁶وهكذا حين إبراهيم وإسماعيل: أبته في
 اليوم نفسه. ²⁷وقد ذلك حين مع كل رجال بيته المؤلودين
 فيه والمتعابين يتل من الفريسي.

الزوارون الثلاثة

١٨ لم ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بؤرعت
 تمرا وقت السيل حو الكهلو. أوقف عتبه ولما
 به نرى ثلاثة رجال ملطين لمتو. فاسترح لأستقبلهم من
 باب الخيمة وصجد إلى الأرض. ^٢وقال: «ما سألني، إن
 كنت قد حظيت برحمتك فلا تغف عن عنيك. أبل فغني
 أقمم لكم بعض ماء فسيلون به أرجلكم وتتكون تحت
 الشجرة. ^٤لم أبي لكم بلقمة خبز فسيلون بها قلوبكم. وبعد

Genesis 18

24 / 74

التكوين 18

have come to your servant." "Very well," they answered, "do as you say."

⁶So Abraham hurried into the tent to Sarah. "Quick," he said, "get three seahs of fine flour and knead it and bake some bread." ⁷Then he ran to the herd and selected a choice, tender calf and gave it to a servant, who hurried to prepare it. ⁸He then brought some curds and milk and the calf that had been prepared, and set these before them. While they ate, he stood near them under a tree.

⁹"Where is your wife Sarah?" they asked him. "There, in the tent," he said. ¹⁰Then the LORD said, "I will surely return to you about this time next year, and Sarah your wife will have a son." Now Sarah was listening at the entrance to the tent, which was behind him. ¹¹Abraham and Sarah were already old and well advanced in years, and Sarah was past the age of childbearing. ¹²So Sarah laughed to herself as she thought, "After I am worn out and my master is old, will I now have this pleasure?" ¹³Then the LORD said to Abraham, "Why did Sarah laugh and say, 'Will I really have a child, now that I am old?'" ¹⁴Is anything too hard for the LORD? I will return to you at the appointed time next year and Sarah will have a son." ¹⁵Sarah was afraid, so she lied and said, "I did not laugh." But he said, "Yes, you did laugh."

Abraham Pleads for Sodom

¹⁶When the men got up to leave, they looked down toward Sodom, and Abraham walked along with them to see them on their way. ¹⁷Then the LORD said, "Shall I hide from Abraham what I am about to do? ¹⁸Abraham will surely become a great and powerful nation, and all nations on earth will be blessed through him. ¹⁹For I have chosen him, so that he will direct his children and his household after him to keep the way of the LORD by doing what is right and just, so that the LORD will bring about for Abraham what he has promised him." ²⁰Then the LORD said, "The outcry against Sodom and Gomorrah is so great and their sin so grievous ²¹that I will go down and see if what they have done is as bad as the outcry that has reached me. If not, I will know."

²²The men turned away and went toward Sodom, but Abraham remained standing before the

ملك كوايملون سموتكم. لانكم قد بلتم ابي بيت عبدكم. فاجابوه، حسناً، ليكن كما قلت.

⁶فلنزع ابراهيم ابي داخل الخبز اى ذمجه ساره وقال، عسا اسوي والوجي ثلاث كتلات من افضل القمح والخبز. ⁷ثم انزع ابراهيم نحو قطيعه واخذ جديلاً رخصاً طيباً واعطاه لبلام كمن يخدمه. ⁸ثم اخذ زبناً ولبناً والوجن الذي طهقه، وضاعاً امامهم، وقى وايها في جنبهم تحت الشجرة وهم يأكلون.

⁹ثم سألوه، اين زوجك؟ فاجاب، هنا هي في الخبز. ¹⁰قال، ابي ارجع اتيك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون ساره اتيك قد ولدت لك ابناً. وتكثرت ساره وزاده، عند باب الخبز، فسبحت خبيثه. ¹¹وكان ابراهيم وساره طامعين في السن وقد انقضت عن ساره عادة الكسار. ¹²فضحكت ساره في نفسها قائله، انهد ان لي غمري واضمح زوجي شيخاً يكون لي هذا كتناسل؟ ¹³قال الرب لابراهيم، اينما ضحكت ساره قائله، انهد انهد ابناً وقد بلغت سن الشيخوخه؟ ¹⁴انتهل على الرب شي؟ سارجع اتيك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون ساره قد اتيحت ابناً. ¹⁵فكذبت ساره وانكثرت قائله، لم اضحك. فقال، لا، بل ضحكت.

تضرع ابراهيم لاجل سدوم وجمورة

¹⁶ثم تهرس الرجلان وتطلعا نحو سدوم. فتمشى ابراهيم معهم ليؤدبهم. ¹⁷قال الرب، انكتم عن ابراهيم ما انا فاعله؟ ¹⁸فابراهيم ابد ان يضح انة كبير وقوي، وانه يتصورك شعوب الارض جميعاً. ¹⁹الاني قد اخترت ابي ابراهيم نبيه واهل بيته ومن بعدهم كي يخطوا طريق الرب، عابدين الرب والعدل، حتى يبلج الرب ما وعد به ابراهيم. ²⁰وقال الرب، لان لكثري جيد مظلوم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيتهم قد عظمت جداً انزل اذرى ان كتفت اعنهم مملية لكثري جيدكم ولا فاعله. ²¹وانطلق كوايملان من هناك نحو سدوم، وقى ابراهيم متايلاً امام الرب.

LORD. ²³Then Abraham approached him and said: "Will you sweep away the righteous with the wicked? ²⁴What if there are fifty righteous people in the city? Will you really sweep it away and not spare the place for the sake of the fifty righteous people in it? ²⁵Far be it from you to do such a thing—to kill the righteous with the wicked, treating the righteous and the wicked alike. Far be it from you! Will not the Judge of all the earth do right?" ²⁶The LORD said, "If I find fifty righteous people in the city of Sodom, I will spare the whole place for their sake." ²⁷Then Abraham spoke up again: "Now that I have been so bold as to speak to the Lord, though I am nothing but dust and ashes, ²⁸what if the number of the righteous is five less than fifty? Will you destroy the whole city because of five people?" "If I find forty-five there," he said, "I will not destroy it." ²⁹Once again he spoke to him, "What if only forty are found there?" He said, "For the sake of forty, I will not do it." ³⁰Then he said, "May the Lord not be angry, but let me speak. What if only thirty can be found there?" He answered, "I will not do it if I find thirty there." ³¹Abraham said, "Now that I have been so bold as to speak to the Lord, what if only twenty can be found there?" He said, "For the sake of twenty, I will not destroy it." ³²Then he said, "May the Lord not be angry, but let me speak just once more. What if only ten can be found there?" He answered, "For the sake of ten, I will not destroy it." ³³When the LORD had finished speaking with Abraham, he left, and Abraham returned home.

فَاتَقَرَّبَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ، أَلَيْسَ الْبَارِعُ مِنَ الْبَارِعِينَ؟ لَوْ وُجِدَ فِي الْمَدِينَةِ خَمْسُونَ بَارًا، فَهَلْ نُدَمِّرُهَا وَلَا نَضْفَحُ عَنْهَا مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًا الَّذِينَ فِيهَا؟ فَتَرَهَّتَ عَنْ أَنْ تُبْلِكَ الْبَارِعَ مِنَ الْبَارِعِينَ، فَتَكُونُ الْبَارِعَ كَالْبَارِعِينَ، حَافِظًا لَكَ. أَتَبَانُ الْأَرْضَ كُلَّهَا لَا يَجْرِي عَذَابًا، أَفَقَالَ كَرُبُّهُ، إِنْ وَجِدْتُ فِي سُدُومَ خَمْسِينَ بَارًا فَإِنِّي أَضْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَطْلَبِهِمْ. ^{٢٦} فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمَ، هَا أَنَا قَدْ أَخَذْتُ فِي مَخَاطَبَةِ الْمَوْلَى، مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِسَوَى تُرَابٍ وَرَمَادٍ. ^{٢٨} مَاذَا لَوْ نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًا خَمْسَةً؟ أَفَتَبْلُكَ الْمَدِينَةَ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِ الْخَمْسَةِ؟ فَأَجَبَهُ، إِنْ وَجِدْتُ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ بَارًا لَا أَهْلِكُهَا. ^{٢٩} فَخَاطَبَهُ لِثَلَاثَةِ، وَمَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ بَارًا قَطًّا؟. فَأَجَبَهُ، لَا أَهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الْأَرْبَعِينَ. ^{٣٠} وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ، لَا تَغْضَبِ الْمَوْلَى، بَلْ دَعْنِي أَتَكَلَّمُ. مَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ ثَلَاثُونَ بَارًا؟. فَأَجَبَهُ، لَا أَهْلِكُهَا إِنْ وَجِدْتُ ثَلَاثِينَ. ^{٣١} وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ، هَا أَنَا قَدْ اشْتَرَسَلْتُ فِي الْكَلَامِ أَسْمَ الْمَوْلَى، فَمَاذَا لَوْ وَجِدْتُ هُنَاكَ عِشْرِينَ بَارًا؟، فَقَالَ، لَا أَهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ. ^{٣٢} وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ، لَا تَغْضَبِ الْمَوْلَى، فَاتَكَلَّمْ مَرَّةً أُخْرَى، مَاذَا لَوْ وُجِدَ هُنَاكَ عَشْرَةٌ؟. فَأَجَبَهُ كَرُبُّهُ، لَا أَهْلِكُهَا مِنْ أَجْلِ الْعَشْرَةِ. ^{٣٣} وَعَيْنَمَا فَرَعَ كَرُبُّهُ مِنْ مَخَانَدَةِ إِبْرَاهِيمَ مَضَى، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ.

والادعاءات الباطلة في هذه المقتطفات من «سفر التكوين: 18/12» بأن الله تعالى - ظهر لإبراهيم في هيئة رجل، وكذلك ظهرت له الملائكة، وأن الله تعالى - أعطى إبراهيم عهداً بملك أبدي لأرض فلسطين له ولذريته من بعده، وأن إبراهيم إدعى أن زوجته سارة هي أخته لكل من فرعون مصر و«ملك شاليم»... كل ذلك يوضح يد اليهود في الافتراء على الله!!

Abraham and Abimelech

20 Now Abraham moved on from there into the region of the Negev and lived between Kadesh and Shur. For a while he stayed in Gerar,² and there Abraham said of his wife Sarah, "She is my sister." Then Abimelech king of Gerar sent for Sarah and took her.³ But God came to Abimelech in a dream one night and said to him, "You are as good as dead because of the woman you have taken; she is a married woman." Now Abimelech had not gone near her, so he said, "Lord, will you destroy an innocent nation?"⁴ Did he not say to me, "She is my sister," and didn't she also say, "He is my brother"? I have done this with a clear conscience and clean hands."⁶ Then God said to him in the dream, "Yes, I know you did this with a clear conscience, and so I have kept you from sinning against me. That is why I did not let you touch her.⁷ Now return the man's wife, for he is a prophet, and he will pray for you and you will live. But if you do not return her, you may be sure that you and all yours will die."

⁸Early the next morning Abimelech summoned all his officials, and when he told them all that had happened, they were very much afraid.⁹ Then Abimelech called Abraham in and said, "What have you done to us? How have I wronged you that you have brought such great guilt upon me and my kingdom? You have done things to me that should not be done."¹⁰ And Abimelech asked Abraham, "What was your reason for doing this?"¹¹ Abraham replied, "I said to myself, 'There is surely no fear of God in this place, and they will kill me because of my wife.'¹² Besides, she really is my sister, the daughter of my father though not of my mother; and she became my wife."¹³ And when God had me wander from my father's household, I said to her, "This is how you can show your love to me: Everywhere we go, say of me, 'He is my brother.'"

¹⁴Then Abimelech brought sheep and cattle and male and female slaves and gave them to Abraham, and he returned Sarah his wife to him.¹⁵ And Abimelech said, "My land is before you; live wherever you like."¹⁶ To Sarah he said, "I am giving your brother a thousand shekels of silver. This is to cover the offense against you before all who are with you; you are completely vindicated."

¹⁷Then Abraham prayed to God, and God healed

إبراهيم وسارة وأبيمالك

٢٠ وَأَرْحَلَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ النَّصْبِ، وَأَقَامَ بَيْنَ كَادَشَ وَشُورَ، وَتَقَرَّبَتْ فِي جَرَارَ. وَأَمَّا ذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَنِ سَارَةَ زَوْجَتِهِ، «هِيَ أختي». فَارْتَسَلَ أَيْمَيْلَاحَ مَلِكَ جَرَارَ وَأَخْضَرَ سَارَةَ إِلَيْهِ. «وَلَكِنْ اللهُ يَجْلِسُ لِأَيْمَيْلَاحَ فِي حُلْمٍ فِي اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ، «إِنَّكَ سَتَمُوتُ بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَ، فَإِنَّهَا مَتَزَوَّجَةٌ». أَوَلَمْ يَكُنْ أَيْمَيْلَاحَ قَدْ مَشَاهَا تَقَدُّمًا، فَقَالَ لِلرَّبِّ، «أَتَمِيتُ أُمَّةً بَرِيئَةً؟ أَلَمْ يَقُلْ لِي إِنَّهَا أختي وَهِيَ تَقْضِيهَا أَذْعَتُ أَنَّهُ الْخَوْفُ؟ مَا فَعَلْتُ هَذَا إِلَّا بِسَلَامَةِ ظَنِّي وَطَهَارَةِ نِيَّتِي». فَأَجَابَهُ الرَّبُّ، «أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلَامَةِ قَلْبِكَ قَدْ فَعَلْتَ هَذَا، وَأَنَا أَيْضًا مَتَفَكَّرْتُ مِنْ أَنْ أُخْطِيكَ فِيَّ وَأَلَمْ أَدْعُكَ تَعْلَمُهَا. وَالآنَ، رُدِّ لِلرَّجُلِ زَوْجَتَهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَعُدِّي مِنَ أَيْمَيْلَاحَ فَخَتَا. وَإِلَّا لَمْ تَرُدِّهَا فَتَكُوتُ وَكُلُّ مَنْ لَكَ حَتْمًا تَمُوتُونَ».

فَتَنَجَّرَ أَيْمَيْلَاحَ فِي الصَّبَاحِ وَأَسْتَدْعَى جَمِيعَ عِبِيدِهِ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى خِيَلِيَةِ الْأَمْرِ، فَأَعْرَضَهُمْ خَوْفٌ عَظِيمٌ. كَيْفَ دَعَا أَيْمَيْلَاحَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ، «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا أَوْ خَطَا أَرْتَكِبُهُ فِي حَتْمِكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى تَمَلِكْتِي هَذَا الْكُتْبَ الْعَظِيمَ؟ لَقَدْ أَعْرَضْتُ فِي حَتْمِي أَمْوَالًا مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَهَا». «وَسَأَلَ أَيْمَيْلَاحَ إِبْرَاهِيمَ، «مَاذَا بَدَا لَكَ حَتَّى أَرْتَكِبْتَ هَذَا الْفِعْلَ؟» فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ، «لَقَدْ فَعَلْتُ هَذَا لِأَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بَلْشَيْءٌ خَوْفٌ اللهُ فَخَشِيتُ أَنْ تَقْتُلُونِي مِنْ أَجْلِ زَوْجَتِي». «وَهِيَ بِالْحَقِيقَةِ أختي، أَنْتَهُ لِي، غَيْرَ أَنِّي لَيْسْتُ أَنْتَهُ أَمِّي فَالْخَطَايَا زَوْجَتِي لِي». «وَعِنَّمَا دَعَايَ اللهُ لِأَعْرَضَتْ نِيَّةً عَنِ نِيَّتِ أَبِي قُلْتُ لَهَا، «حَيْثَمَا نَدَعَتْ قَوْلِي إِنْ أَعْرَضَتْ فَهِيَ عَوَّ الْمَعْرُوفِ الَّتِي تَقْضِيَتُ لِي».

فَأَهْدَى أَيْمَيْلَاحَ حَتْمًا وَتَقَرَّرَ وَعَبِيدًا وَنِسَاءً وَقَرَمَهَا لِإِبْرَاهِيمَ، وَأَرْجَعَ إِلَيْهِ سَارَةَ زَوْجَتَهُ. «وَقَالَ أَيْمَيْلَاحَ، «مَا هِيَ أَرْضِي أَسْتَأْذِنُكَ فَأَقِمَ حَيْثُ طَلَبَ لَكَ». «وَقَالَ لِسَارَةَ، «مَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ أَلْفَ شَهْدَرٍ مِنَ الْفِضَّةِ، فَخَرِّفِي لَكَ مِنْ كُلِّ إِسَاءَةٍ أَسْمَ الْأَيْمَنِ مَعَكَ، فَأَنْتِ بَرِيئةٌ أَسْمَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَهَكَذَا تَكُونِينَ قَدْ أَتَمَمْتِ». «فَأَتَيْتَهُمْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى اللهِ، فَشَفَى

Abimelech, his wife and his slave girls so they could have children again,¹⁶ for the LORD had closed up every womb in Abimelech's household because of Abraham's wife Sarah.

The Birth of Isaac

21 Now the LORD was gracious to Sarah as he had said, and the LORD did for Sarah what he had promised.² Sarah became pregnant and bore a son to Abraham in his old age, at the very time God had promised him.³ Abraham gave the name Isaac to the son Sarah bore him.⁴ When his son Isaac was eight days old, Abraham circumcised him, as God commanded him.⁵ Abraham was a hundred years old when his son Isaac was born to him.⁶ Sarah said, "God has brought me laughter, and everyone who hears about this will laugh with me."⁷ And she added, "Who would have said to Abraham that Sarah would nurse children? Yet I have borne him a son in his old age."⁸ The child grew and was weaned, and on the day Isaac was weaned Abraham held a great feast.

Hagar and Ishmael Sent Away

⁹But Sarah saw that the son whom Hagar the Egyptian had borne to Abraham was mocking,¹⁰ and she said to Abraham, "Get rid of that slave woman and her son, for that slave woman's son will never share in the inheritance with my son Isaac."¹¹ The matter distressed Abraham greatly because it concerned his son.¹² But God said to him, "Do not be so distressed about the boy and your maidservant. Listen to whatever Sarah tells you, because it is through Isaac that your offspring will be reckoned.¹³ I will make the son of the maidservant into a nation also, because he is your offspring."

¹⁴Early the next morning Abraham took some food and a skin of water and gave them to Hagar. He set them on her shoulders and then sent her off with the boy. She went on her way and wandered in the desert of Beersheba.¹⁵ When the water in the skin was gone, she put the boy under one of the bushes.¹⁶ Then she went off and sat down nearby, about a bows' length away, for she thought, "I cannot watch the boy die." And as she sat there nearby, she began to sob.

¹⁷God heard the boy crying, and the angel of God

أبئمالك وتزوجته وجعلها فولدت. ¹⁶ لأن الرب كان قد أضاف نساء نبت أبئمالك بالقمم من أجل سارة زوجة إبراهيم:

مولد إسحاق

٢١ وألتفت الرب سارة كما قال، وأجرت لها ما وعد به. ^٢ فحملت سارة وولدت لإبراهيم في شيخوخته ابناً، في الوقت الذي وعده الله له. ^٣ فدعا إبراهيم ابنة الذي أنجبه له سارة، إسحاق. ^٤ ولما كان ابنه إسحاق قد بلغ الثماني أيام، أقرن إبراهيم له، كما أمر الله. ^٥ وقامت سارة وقالت: "لقد أحسن لي الرب. كل من يسمع هذا الأثر يضحك مني." ^٦ وأضافت: "من كان ينبغي أن يقول لإبراهيم إن سارة سترضع بني؟ لها أنا قد أنجبت له ابناً في شيخوخته." ^٨ وكبر إسحاق وطعم. فلما قام إبراهيم في يوم يطمع من لبنه عظيمة.

طرد هاجر وإسماعيل

^٩ ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذي أنجبه لإبراهيم يتخذى من ابنتها إسحاق. ^{١٠} فقالت لإبراهيم: "اطرد هاجر الأجنبية وابنتها، فإن ابن الأجنبية لن يرث مع ابني إسحاق." ^{١١} ففزع هذا القول في نفس إبراهيم من أجل أنبيد. ^{١٢} فقال الله له، "لا تسوه في نفسك أمر كسبي، أو أمر جديتك، وأسمع كلام سارة في كل ما تقول به عليك لأنه إسحاق يدعى لك نسل." ^{١٣} وسأله من ابن الأجنبية أنه أيضاً لأنه من ذريتك.

^{١٤} فلما كان إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزاً ولبناً ماء وتفتناً إلى هاجر، ووضعها على كتفها، ثم صر لها مع الكسبي. فقامت على زوجها في نومة بئر سبع، ووضعها فرج الماء من الأوزة طرحت الكسبي تحت إحدى الأشجار. ^{١٥} وتفتت وجلست مقابلته، على بعد نحو يتر يتر، لأنها قالت، "لا ألهة موت كسبي. فجلست متغلبة ودفعت صوتها وتكت."

^{١٧} وسمع الله بكاء الكسبي، فكانت ملاك الله هاجر من

called to Hagar from heaven and said to her, "What is the matter, Hagar? Do not be afraid; God has heard the boy crying as he lies there. ¹⁸Lift the boy up and take him by the hand, for I will make him into a great nation." ¹⁹Then God opened her eyes and she saw a well of water. So she went and filled the skin with water and gave the boy a drink. ²⁰God was with the boy as he grew up. He lived in the desert and became an archer. ²¹While he was living in the Desert of Paran, his mother got a wife for him from Egypt.

The Treaty at Beersheba

²²At that time Abimelech and Phicol the commander of his forces said to Abraham, "God is with you in everything you do. ²³Now swear to me here before God that you will not deal falsely with me or my children or my descendants. Show to me and the country where you are living as an alien the same kindness I have shown to you." ²⁴Abraham said, "I swear it." ²⁵Then Abraham complained to Abimelech about a well of water that Abimelech's servants had seized. ²⁶But Abimelech said, "I don't know who has done this. You did not tell me, and I heard about it only today." ²⁷So Abraham brought sheep and cattle and gave them to Abimelech, and the two men made a treaty.

²⁸Abraham set apart seven ewe lambs from the flock, ²⁹and Abimelech asked Abraham, "What is the meaning of these seven ewe lambs you have set apart by themselves?" ³⁰He replied, "Accept these seven lambs from my hand as a witness that I dug this well." ³¹So that place was called Beersheba, because the two men swore an oath there.

³²After the treaty had been made at Beersheba, Abimelech and Phicol the commander of his forces returned to the land of the Philistines. ³³Abraham planted a tamarisk tree in Beersheba, and there he called upon the name of the LORD, the Eternal God. ³⁴And Abraham stayed in the land of the Philistines for a long time.

Abraham Tested

22 Some time later God tested Abraham. He said to him, "Abraham!" "Here I am," he replied. ²Then God said, "Take your son, your only son, Isaac, whom you love, and go to the region of Moriah. Sacrifice him there as a burnt

الضحية وقال لها، ما أليتي يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى، فقومى وأخذي الصبي، وتثبيتي به يدي ساجدة لآلة عظيمة. ثم فتح عينها فبصرت بئر ماء، فلذبت وسالت البئر وسقت الصبي، وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء Paran، وتزوج في زمر القوس. وأخذت له آية زوجة من مصر.

الميثاق بين إبراهيم وأبيمالك
²²وفي ذلك الزمان خاطب أبيمالك ويكول جيشه إبراهيم قائلين، إن الله معك في كل ما تقوم به، فاطلقت لي الآن يدي إن لا أفعل بهي ولا يبسط يدي، بل نجوت إلى وإلى شعبي الذي نزلت بيته كما أحسنتم إتيانكم. فقال إبراهيم، أنا أخطئ. ²⁴وعقب إبراهيم أبيمالك من أجل البئر التي اقتصتها عبد أبيمالك، فاستأجرت من أبيمالك من أوتيت هذا الأمر، وأنت لم تخبرني به، وأنت أنتع عن يدي أظوم. ²⁷ثم أحصى إبراهيم أبيمالك غنما وبقراً وتعقد بئلاًهما ميثاقاً.

²⁸وقدّر إبراهيم سبع نعاج من الغنم وخلفها. فقال أبيمالك لإبراهيم، ماذا قصد بئلاً النعاج السبع التي فرزتها جدياً، فأجاب، هي سبع نعاج أقمنا لك يدي شهادة لي أنني حظرت هذه البئر. ³¹لذلك دعا ذلك المكان بئر سبع (وتعقل بئر الخلف) لأن إبراهيم وأبيمالك وكلاهما خلفا خلفاً.

³²وتفككاً انزما ميثاقاً في بئر سبع، ثم تهنن إبراهيم ويكول زعيم جيشه ورجعوا إلى أرض الفيلسطينيين. ³³وخرس إبراهيم شجر اللؤلؤ في بئر سبع، ودعا هناك باسم الرب الإله الشرموني. ³⁴وتنحت إبراهيم في بلاد الفيلسطينيين فترة طويلة.

الله يصحن إبراهيم

٢٢ وقد هذا لتحنن الله إبراهيم، فكانه، ما إبراهيم، فأجابه، آتيتك. فقال له، اخذ ابنك وحيدك، إسحاق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة

offering on one of the mountains I will tell you about.”³ Early the next morning Abraham got up and saddled his donkey. He took with him two of his servants and his son Isaac. When he had cut enough wood for the burnt offering, he set out for the place God had told him about.⁴ On the third day Abraham looked up and saw the place in the distance.⁵ He said to his servants, “Stay here with the donkey while I and the boy go over there. We will worship and then we will come back to you.”⁶ Abraham took the wood for the burnt offering and placed it on his son Isaac, and he himself carried the fire and the knife. As the two of them went on together, Isaac spoke up and said to his father Abraham, “Father?” “Yes, my son?” Abraham replied. “The fire and wood are here,” Isaac said, “but where is the lamb for the burnt offering?”⁷ Abraham answered, “God himself will provide the lamb for the burnt offering, my son.” And the two of them went on together.

Isaac is the Sacrifice

⁸When they reached the place God had told him about, Abraham built an altar there and arranged the wood on it. He bound his son Isaac and laid him on the altar, on top of the wood.¹⁰ Then he reached out his hand and took the knife to slay his son.¹¹ But the angel of the LORD called out to him from heaven, “Abraham! Abraham!” “Here I am,” he replied.¹² “Do not lay a hand on the boy,” he said. “Do not do anything to him. Now I know that you fear God, because you have not withheld from me your son, your only son.”¹³ Abraham looked up and there in a thicket he saw a ram caught by its horns. He went over and took the ram and sacrificed it as a burnt offering instead of his son.¹⁴ So Abraham called that place The LORD Will Provide. And to this day it is said, “On the mountain of the LORD it will be provided.”

¹⁵The angel of the LORD called to Abraham from heaven a second time¹⁶ and said, “I swear by myself, declares the LORD, that because you have done this and have not withheld your son, your only son,¹⁷ I will surely bless you and make your descendants as numerous as the stars in the sky and as the sand on the seashore. Your descendants will take possession of the cities of their enemies,¹⁸ and through your offspring all nations on earth

على أحد الجبال الذي اهديتك إليه. ³ فاستيقظ إبراهيم متكرراً في الصباح التالي، وأسرج حماره، وأخذ اثنين من غلمانه، وابنه إسحاق. وجهر حطباً للحرقة، وأطلق ناسياً إلى الموضع الذي قال له الله عنه. ⁴ وفي اليوم الثالث، تطلع إبراهيم فمشاهد المكان من بعيد، فقال إبراهيم لخدامته: «أمكنا هنا مع الحمار، ريثما أضعد أنا والضيء إلى هناك لتتعبد لله ثم نعود إليكم». ⁵ فمشغل إبراهيم إسحاق حطب الحرقة، وأخذ هو يديه الكثر والكثيرون وخبأ كلاهما معاً. ⁶ وقال إسحاق لإبراهيم أبه: «يا أبي.. فاجعة، نعم يا أبي.. فسالته، ما هي الكثر والأحطب». ولكن ابن خروف الحرقة؟ ⁷ فرد عليه إبراهيم: «إن الله يمدد لكيب الخروف للحرقة يا أبي.. وتفتحا مسيرهما معاً».

إسحاق هو المحرقة

ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شديد إبراهيم ملجأ هناك، وتعد الحطب، ثم أوثق إسحاق ابنة ووضعها على المنبح فوق الحطب. ¹⁰ وأمد إبراهيم يده وتناول الكثرين ليذبح ابنة. ¹¹ فناداه ملاك الرب من السماء قبيلاً، إبراهيم، إبراهيم، فاجاب، نعم. ¹² فقال: «لا تمد يدك إلى الضيء ولا تؤيع به ضرراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك ووحيدك عني». ¹³ وإذا تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد غلق بضرع الشجار الفاتية، فذهب وأخضره وأضغده حرقة عوضاً عن ابنته. ¹⁴ ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان: «هؤة براه» (ومعناه، الرب يمدد). ولذلك يقال حتى اليوم: «في جبل الرب الإله يمدد».

¹⁵ وندى ملاك الرب إبراهيم من السماء مرة ثانية، ¹⁶ وقال: «ها أنا أقسم بذاتي يقول الرب، لأنك صنعت هذا الأمر، ولم تمنع ابنك ووحيدك عني. ¹⁷ لأباركك وأكثرت ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرميل شاطيء البحر، وترب ذريتك مدن أعمالها. ¹⁸ وبذريتك تتبذلك جميع

will be blessed, because you have obeyed me."¹⁹ Then Abraham returned to his servants, and they set off together for Beersheba. And Abraham stayed in Beersheba.

Nahor's Sons

²⁰Some time later Abraham was told, "Milcah is also a mother; she has borne sons to your brother Nahor: ²¹Uz the firstborn, Buz his brother, Kemuel (the father of Aram), ²²Kesed, Hazo, Pildash, Jidlah and Bethuel."²³ Bethuel became the father of Rebekah. Milcah bore these eight sons to Abraham's brother Nahor. ²⁴His concubine, whose name was Reumah, also had sons: Tebah, Gaham, Tahash and Maacah.

The Death of Sarah

23 Sarah lived to be a hundred and twenty-seven years old. ²⁵She died at Kiriath Arba (that is, Hebron) in the land of Canaan, and Abraham went to mourn for Sarah and to weep over her. ³Then Abraham rose from beside his dead wife and spoke to the Hittites. He said, ⁴"I am an alien and a stranger among you. Sell me some property for a burial site here so I can bury my dead."⁵ The Hittites replied to Abraham, ⁶"Sir, listen to us. You are a mighty prince among us. Bury your dead in the choicest of our tombs. None of us will refuse you his tomb for burying your dead."⁷ Then Abraham rose and bowed down before the people of the land, the Hittites. ⁸He said to them, ⁹"If you are willing to let me bury my dead, then listen to me and intercede with Ephron son of Zohar on my behalf" so he will sell me the cave of Machpelah, which belongs to him and is at the end of his field. Ask him to sell it to me for the full price as a burial site among you."¹⁰ Ephron the Hittite was sitting among his people and he replied to Abraham in the hearing of all the Hittites who had come to the gate of his city. ¹¹"No, my lord," he said. ¹²"Listen to me; I give you the field, and I give you the cave that is in it. I give it to you in the presence of my people. Bury your dead."¹³ Again Abraham bowed down before the people of the land ¹⁴and he said to Ephron in their hearing. ¹⁵"Listen to me, if you will. I will pay the price of the field. Accept it from me so I can bury my dead there."¹⁶ Ephron answered Abraham, ¹⁷"Listen to me, my lord; the land is worth four hundred

أثم الأرض، لأنتك أملتني..¹⁹ ثم رجع إبراهيم إلى غلانس، وعادوا جميعاً إلى بئر شبع حيث أقيم إبراهيم.

قوية ناصور
²⁰وقيل لإبراهيم بعد ذلك الأوس، هوداً وملكة أيضاً قد ولدت ثين لأجيك ناصور. ²¹عمراً البكر، وأخاه بوزاً وشميريل أما أرام. ²²وكاسد وشوزا وهداشن وهداش وبتويل. ²³وولدت بتويل ربة، علاه كلسية أنجبهم ملكة لئاصور أجي إبراهيم. ²⁴فذلك أنجبت له شركية المدغوية رؤوسه طابع وبعاهم وكاشن وشمعة.

موت سارة ودفنها
٢٣ وعاشت سارة بنتاً وثماناً وبعشرين سنة. ^{٢٥}ماتت سارة في قرية أربا، أي حبرون، في أرض كنعان، فحزن إبراهيم حزنًا عظيماً على سارة. ^٣ثم قام إبراهيم من عند زوجته الميتة وقال للحيثيين: ^٤أنا أجنبي وأجنبي بينكم. ابيعوا لي بعضاً من أراضيتكم لأدفن زوجتي في أرضكم. ^٥فأجابوا إبراهيم قائلين: ^٦يا سيدي، انصت إلينا. أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع. ^٧أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع. ^٨فقال إبراهيم: ^٩إن كنتم ترضونني فليدفنوا موتي في القبر الذي يختارونه من قبوركم. ^{١٠}فقال إبراهيم: ^{١١}يا سيدي، انصت إلينا. أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع. ^{١٢}فأجابوا إبراهيم قائلين: ^{١٣}يا سيدي، انصت إلينا. أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع. ^{١٤}فأجابوا إبراهيم قائلين: ^{١٥}يا سيدي، انصت إلينا. أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع. ^{١٦}فأجابوا إبراهيم قائلين: ^{١٧}يا سيدي، انصت إلينا. أنت رئيس بيننا وبيننا، فاحسن لنا ما نستطيع.

shekels of silver, but what is that between me and you? Bury your dead."¹⁶ Abraham agreed to Ephron's terms and weighed out for him the price he had named in the hearing of the Hittites: four hundred shekels of silver, according to the weight current among the merchants.

¹⁷So Ephron's field in Machpelah near Mamre—both the field and the cave in it, and all the trees within the borders of the field—was deeded ¹⁸to Abraham as his property in the presence of all the Hittites who had come to the gate of the city. ¹⁹Afterward Abraham buried his wife Sarah in the cave in the field of Machpelah near Mamre (which is at Hebron) in the land of Canaan. ²⁰So the field and the cave in it were deeded to Abraham by the Hittites as a burial site.

شابل (حوالي خمسة كيلو خمرامات من الفضة). وهو (تمن) لا قيمة له بيني وبينك. فأذفن ميثك. ¹⁶فقبل إبراهيم عرض عفرון. ووزن له الفضة التي ذكرها في مسامع الحثيين. أربع مئة شابل زينة نون النجر.

¹⁷وبمقتضى ذلك أصبح حقل عفرن الذي في المكبلية مقابل تمرا. والمغارة التي فيه. وجميع الأشجار القريبة في كل الخلود المحيطة به. ¹⁸ملكاً لإبراهيم. بمشهد من الحثيين وسائر الحاضرين في مجلس مدينته. ¹⁹وتعد ذلك دفن إبراهيم زوجته سارة في مغارة المكبلية. مقبل تمرا. وهي حثيون في أرض كنعان. ²⁰فأقانتلك إبراهيم من الحثيين الحقل والمغارة التي فيه ليكونا مدفناً له.

25 Abraham took another wife, whose name was Keturah. ²She bore him Zimran, Jokshan, Medan, Midian, Ishbak and Shuah. ³Jokshan was the father of Sheba and Dedan; the descendants of Dedan were the Asshurites, the Letushites and the Leummites. ⁴The sons of Midian were Ephah, Epher, Hanoch, Abida and Eldaah. All these were descendants of Keturah. ⁵Abraham left everything he owned to Isaac. ⁶But while he was still living, he gave gifts to the sons of his concubines and sent them away from his son Isaac to the land of the east.

The Death of Abraham

⁷Altogether, Abraham lived a hundred and seventy-five years. ⁸Then Abraham breathed his last and died at a good old age, an old man and full of years; and he was gathered to his people. ⁹His sons Isaac and Ishmael buried him in the cave of Machpelah near Mamre, in the field of Ephron son of Zohar the Hittite, ¹⁰the field Abraham had bought from the Hittites. There Abraham was buried with his wife Sarah. ¹¹After Abraham's death, God blessed his son Isaac, who then lived near Beer Lahai Roi.

٢٥ وعَدَّ إبراهيم فَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ زَوْجَةً تُدْعَى قَطُورَةَ. فَاتَّجِبَتْ لَهُ زَمْرانُ وَيَشَّانُ وَدَدانُ وَمِيدانُ وَيَشواهُ وَيُوشواهُ. وَاتَّجِبَتْ يَشَّانُ شَبانَ وَدَدانَ. أَمَّا ابْناءُ دَدانَ فَهُمْ أَشوريمُ وَطُوشيمُ وَلاميمُ. وَأبْناءُ مِيدانَ هُمْ: عِفْطُ وَعَفْرُ وَحَنوكُ وَأَيْباجُ. وَالدَّعَةُ. وَهؤلاءُ جميعاً مِنْ ذُرِّيَةِ قَطُورَةَ. وَوَدَّتْ إبراهيمُ إِسحاقَ كُلَّ ماله. أَمَّا ابْنائُهُ مِنْ سَرابِهِ فَأَعْطاهُمْ إبراهيمُ عَطايا. وَصَرَفَهُمْ فِي أبنائِهِ حَيَّاهِ نَحْوَ أرضِ المَشْرِقِ نَجيداً عَنِ إِسحاقَ أبنِهِ.

موت إبراهيم

⁷وعاش إبراهيم مئة وخمسة وسبعين سنة. ⁸ثم مات بشيخة ضليحةً وأخضع إلى أسلافه. ⁹فدفنه أبناءه إسحاق وإسماعيل في مغارة المكبلية. في حقل عفران بن زوحر الحثي مقابل تمرا. وهو الحقل الذي اشتراه إبراهيم من الحثيين. وفيه دفن إبراهيم وزوجته سارة. ¹⁰وتعد وفاة إبراهيم نازك الله إسحاق أبنه. وأقام إسحاق عند بئر لحي ربي.

26 - ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ [الأنعام: 75].

هذه الآية القرآنية الكريمة تشير إلى أن تدبر الإنسان في الكون (السموات والأرض) هو وسيلة من وسائل التعرف على خالقهما وخالقه، وهو - تعالى - خالق كل شيء، وكل شيء مخلوق بأمره. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن كبار علماء الفلك المعاصرين يقررون بأن كوننا الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المنضبط الحركات، المحكم في الجزئيات والكليات، لا بد له من مرجعية في خارجه يسمونها نقطة مرجعية (A Reference Point). وهذه المرجعية العليا لا بد وأن تكون مغايرة للكون (بكل ما فيه ومن فيه) مغايرة كاملة، فلا يحدها أي من أبعاد المكان أو الزمان، ولا يشكّلها أي من صور المادة أو الطاقة، وكأنهم ينطقون بالحق الذي أنزله ربنا - تبارك وتعالى - عن ذاته العلية بقوله العزيز: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

عاش نبي الله إبراهيم ﷺ في حدود الألفية الثانية قبل الميلاد (1861 - 1686 ق.م) وبعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في حدود سنة 610م، أي أنه قد مرّ بين هذين النبيين الصالحين أكثر من ألفي عام. وعلى الرغم من ذلك فقد سجل القرآن الكريم أكثر من عشرين موقفاً بارزاً في حياة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ، كان من أولها تعرّفه على خالقه العظيم من خلال تأمله في ملكوت السموات والأرض وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلْأَيْلُ رءَا كَوْكَبًا قَالِ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالِ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفْلٰكِ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّآ رءَا ٱلْقَمَرَ

بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَمَى
السَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾
وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي
شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَتَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ
﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَبْنَا
يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْبَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا
بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَفِدَةٌ قُلٌ لَّا آسَأْتُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْمَلِئِكَةِ ﴿٩٠﴾

[الأنعام: 75 - 90].

ولم يكن العرب في زمن الجاهلية أهل علم، وتوثيق، وتدوين، فلم يدونوا شيئاً عن سيرة عبد الله ونبية إبراهيم ﷺ، على الرغم من وجود آثار عديدة له ولابنه النبي إسماعيل ﷺ في الحرم المكي. من هنا فإن إيراد القرآن الكريم للعديد من الأحداث والمواقف الكبرى في حياة عبد الله ونبية إبراهيم ﷺ يعتبر جانباً من جوانب الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. خاصة وأن واقعة تأمل إبراهيم ﷺ في الكون لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ووصفها القرآن الكريم بالتفصيل في الآيات: (75 - 83) من سورة «الأنعام».

التأمل في ملكوت السموات والأرض (أي: في الكون) وسيلة من وسائل التعرف على الله (تعالى):

الكون يشمل مجموع المخلوقات الكائنة، وما يرتبط بها من قوى وعمليات متعددة، في المكان والزمان. ويشمل ذلك فيما يشمل كل المعارف الإنسانية عن الوجود؛ ولذلك خرج الناس عن هذا المفهوم الواسع عن الكون إلى مدلول أكثر تحديداً. ويقتصر هذا المفهوم على ذلك النظام الشامل للأجرام السماوية - المدرك منها حسياً وغير المدرك -: أشكالها وأحجامها، كثافتها وكتلتها المتباينة، مادتها وصفاتها، أبعادها وقوى الترابط فيما بينها، بناؤها وهيئات المختلفة التي تتظمها، وغير ذلك من صفاتها. وفوق ذلك كله يأتي التفكير في كيفية نشأة الكون ومراحل خلقه، وتقدير ما مضى من عمره، والتأكد من حتمية زواله وفنائه، واستبداله بكون غيره في مستقبل الحياة الآخرة الذي لا يعلمه إلا خالق الكون ومبدع الوجود.

ولا شك أن التفكير في الكون قد شغل بال الإنسان منذ أن تفتحت عليه عيناه، ولكن لم يُدَوَّن من هذا التفكير إلا النزر اليسير، ولم يصل إلينا من ذلك إلا أقل القليل من ذلك النزر اليسير.

والأفكار الإنسانية الأولى التي وصلت إلينا عن الكون مليئة بالخرافات والأساطير التي اختلطت فيها الحقيقة بالخيال. وتأثرت بمعتقدات قديمة مختلفة من وضع الإنسان ودسّ الشيطان، ولو أنها لا تخلو أحياناً من محاولات علمية منهجية لتفسير بعض الظواهر الكونية.

فقد سجّل التاريخ أن كلاً من الحضارتين المصرية القديمة والبابلية، قد اهتمتا برصد حركات الأجرام السماوية، واستخدمتا العمليات الرياضية لمعرفة الروابط بينها، وتوصلتا إلى بعض المعلومات الدقيقة عن الشمس ومجراها، وعن مراحل القمر المختلفة، وعن ظهور واختفاء بعض أجرام السماء بصورة دورية، وإن كان قد صاحب هذه الملاحظات بعض التفسيرات الموهلة في الخيال.

ودراسة الكون أثبتت أنه مذهل في اتساعه، مذهل في دقة بنائه، وفي وحدة هذا البناء. والكون يشمل أرضنا وشمسنا وقمرنا، كما يشمل غير ذلك من الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات والشهب والنيازك في مجموعتنا الشمسية، ويشمل غير ذلك من النجوم وتجمعاتها المختلفة الممتدة إلى نهاية السماء الدنيا (ما ندرك منها وما لا ندرك). أما باقي السموات السبع فلولا أن الله تعالى قد أخبرنا عن وجودها ما كان أمام الإنسان من وسيلة إلى معرفة ذلك أبداً. ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

[الأنعام: 75].

وفي هذا النص القرآني الكريم تأكيد على أن تأمل الكون هو من أعظم الوسائل لإقناع العقل البشري بضرورة الإيمان بالله، إيماناً يقينياً راسخاً لا يداخله أدنى قدر من الشك. وهو أيضاً من أعظم الوسائل لتعريف العقل البشري بشيء من أوجه الإعجاز في خلق الله، والتي تنطق بعظمة الخالق ﷻ، وهنا يتجلى وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة. فتأمل الكون بشيء من الموضوعية والحيدة هو من أيسر الوسائل لتمكين اليقين في القلوب والعقول بأن هذا الكون الشاسع الاتساع، الدقيق البناء، المنضبط في كل أمر من أموره، لا يمكن أن يكون قد أوجد ذاته بذاته، أو أن يكون نتاج الصدفة!! بل لا بد له من موجد عظيم له من صفات الكمال والجلال والجمال، والعلم والقدرة والحكمة ما مكنته من إبداع هذا الكون، وهذا الاستنتاج هو من أهم ما يمكن أن يصل إليه الإنسان الجاد المحايد المتعمق في أي مجال من مجالات العلم. وإخبار القرآن الكريم عن عبد الله ونبيه إبراهيم أنه تعرف على خالقه العظيم من خلال النظر في السماء، وتأمل خلق الله فيها، هو درس لكل طالب حق في هذه الحياة، وهو - في نفس الوقت - وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي، خاصة وأن هذا الموقف لا أثر له في «العهد القديم»، ولا في أي من كتب أصحاب المعتقدات الأخرى.

27 - ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: 41، 42].

جاء ذكر حوار إبراهيم ﷺ مع أبيه في أربع من سور القرآن الكريم هي: (الأنعام: 74 - 78؛ مريم: 41 - 50؛ الأنبياء: 51 - 73؛ والشعراء: 69 - 98؛ والزخرف: 26 - 28).

ففي سورة «الأنعام» يقول ربنا ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزْرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَءلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رءَا كُوكُبًا قَالِ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالِ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالِ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَينَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رءَا ٱلشَّمْسَ بَازِعَةً قَالِ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالِ يَنقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلذِي فَطَرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَءلْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالِ أُنحِتُوا فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدِنْتُ وَلَا آخَافُ مَآ تُشْرِكُونَ بِهِ ءلَا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ آخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِٱللَّهِ مَآ لَمْ يُزَلِّ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ءلِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءآمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مِّنْ نَّشَآءِ ءلِن رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام: 74 - 83].

وفي سورة «مريم» يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴿٤٢﴾﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَآ لَمْ يَأْتِكَ

فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
 يَتَّابِتْ إِنْجِ أَنْعَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ
 ءَالِهَتِي يَتَّبِرُهُمْ لِئِنْ لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ
 رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
 أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

[مریم: 41 - 50].

كذلك أشار القرآن الكريم إلى حوار إبراهيم مع أبيه في سورة «الأنبياء» حيث

يقول:

﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ
 كُنْتُمْ أَشْرَءَ ءِآبَاءُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ
 رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ
 أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
 ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
 إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا
 بِآلِهَتِنَا يَتَّبِرُهُمْ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ
 مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
 ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
 فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِضِينَ ﴿٧٠﴾ وَفَجَّعْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
 وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾

[الأنبياء: 51 - 73].

وفي سورة الشعراء يقول الحق - تبارك وتعالى :-

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عُنُقَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَأَبَىٰ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ تُمًّا يُجِيبُنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذِّكْرِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِّنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ يَقَلِّبْ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشعراء: 69 - 89].

وفي سورة الزخرف جاء قول ربنا - تبارك وتعالى :-

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

[الزخرف: 26 - 28].

من أوجه الإعجاز التاريخي في حوار نبي الله إبراهيم مع أبيه:

هذا الحوار على أهميته وموضوعيته لم يتعرض له «العهد القديم» الذي تعرض لنسب إبراهيم ولأعمار أسلافه، ولأسماء أبناء إخوته، وزوجاته، دون التعرض للخلاف العقيدي بينه وبين والده من جهة، وبينه وبين قومه من جهة أخرى. وهذا الخلاف العقيدي كان من الأمور الفاصلة في حياة إبراهيم ﷺ، وكان السبب الذي دفعه إلى الخروج من أرضه، ومفارقتها لقومه.

وعلى العكس من ذلك أفاض «العهد القديم» في ذكر خروج كل من إبراهيم وزوجه ووالده وابن أخيه لوط من بلدة «أور» عاصمة الكلدانيين للذهاب إلى أرض الكنعانيين (فلسطين)، ويذكر أنهم توقفوا في مدينة «حاران»، حيث مات والد إبراهيم ودفن، ثم واصل هو ومن كان معه السير إلى أرض الكنعانيين (فلسطين).

ثم يذكر «العهد القديم» أن إبراهيم ﷺ انتقل بعد ذلك إلى النقب، ومنه إلى مصر. ثم عاد إلى فلسطين ليدخل في معركة عسكرية لإنقاذ ابن أخيه لوط. وأسهب «العهد القديم» في الادعاء بحصول إبراهيم على عهد من الله - تعالى - بجعل أرض فلسطين ملكاً أبدياً له ولذريته من بعده (وهذا بالطبع من نسج خيال الصهاينة، ومن دسهم على الله). بينما لم ترد إشارة واحدة في «العهد القديم» عن سبب مغادرة إبراهيم ﷺ لأرض ميلاده ومسقط رأسه، أو عن مخالفته لمعتقدات أبيه، أو عن حوار معه.

كذلك جاء في «العهد القديم» أن إبراهيم أمر بذبح ابنه إسحاق (وليس إسماعيل)، وهذا أيضاً من دس الصهاينة، لأن «العهد القديم» يذكر أن إسماعيل وُلِدَ وأبوه إبراهيم في السادسة والثمانين من عمره (سفر التكوين 16/15، 16)، وأن إسحاق وُلِدَ وأبوه إبراهيم كان قد بلغ المائة من عمره (سفر التكوين 21/1 - 8)، ومعنى ذلك أن إسماعيل كان في الرابعة عشر من عمره حين ولد إسحاق. ولأكثر من مرة يشير «العهد القديم» إلى أن الأمر الإلهي لإبراهيم كان بذبح ولده وحيدة (سفر التكوين 22/1 - 19) فمن يكون الولد الوحيد لإبراهيم غير ابنه إسماعيل؟

كذلك ذكر «العهد القديم» أن إبراهيم ﷺ ذهب إلى بئر السبع، وتزوج امرأة باسم كيتوراه (Keturah) أنجبت له عدداً من الأبناء لم يرد لهم ذكر من بعده، ثم مات ودفن في مقبرة المكفيلة بمدينة الخليل الفلسطينية.

ولم يذكر «العهد القديم» شيئاً عن علاقة إبراهيم ﷺ بأبيه، ولا عن خلافه الديني معه، ولا عن حوار حول ذلك الأمر مع كل من أبيه وقومه، ولا عن حسن القيام بمفارقتة، ولا عن الحكم المستفادة من حوار مع أبيه. وهنا يتضح الفارق بين كلام الله ﷻ المحفوظ بحفظه، وبين كلام البشر الذي ظل يتناقله الناس مشافهة جيلاً بعد جيل عبر مئات من السنين، أضافوا إليه ما أضافوا، وحذفوا منه ما حذفوا، ونسوا ما نسوا، وحرّفوا وبدّلوا وغيروا!! ثم دون هذا التراث الشعبي

حين دَوّن بأيدي نفر من بني آدم لم يكونوا بأنبياء ولا بمرسلين، ومن ثم فهم لم يكونوا بالمعصومين فيما كتبوا. لذلك ظلت كتاباتهم عرضة للمراجعة تلو المراجعة، وللتحرير والتطوير، وللحذف والزيادة إلى يومنا هذا، وستبقي كذلك إلى أن يشاء الله ربّ العالمين.

من هنا يتضح أن تسجيل القرآن الكريم لحوار إبراهيم ﷺ مع أبيه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وينفي عن هذا الكتاب العزيز نفياً قاطعاً ادعاء عدد من غلاة اليهود والنصارى أن القصص فيه منقول عن «العهد القديم»، لأن هذا «العهد» لم يشر إلى تلك الواقعة التي كانت السبب الرئيس في مغادرة إبراهيم ﷺ لأرض ميلاده ومسقط رأسه. بل على النقيض من ذلك جاء في «العهد القديم» (11/27 - 32) أن والد إبراهيم ﷺ والذي أطلقوا عليه اسم «تارح» هو الذي ارتحل بأسرته وفيها ابنه أبرام (أو إبراهيم) وحفيده لوطاً بن هاران، وساراي (أو سارة) كنته وزوجة ابنه أبرام وارتحل بهم من «أور» الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. لكنهم وصلوا إلى حاران (أو قرآن) واستقروا فيها. وهناك مات «تارح» وله من العمر مئتان وخمس سنين. وهذا الكلام لا يوحى بأدنى خلاف عقدي بين إبراهيم وأبيه كما وضحه القرآن الكريم. (انظر عرض قصة إبراهيم ﷺ كما جاءت في «العهد القديم» والتي سبق وأن أشرنا إليها في الصفحات 284 - 299 من هذا الكتاب الذي بين يدي قارئه).

28 - ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ [العنكبوت: 16].

كانت أول وثنية في تاريخ البشرية ما كان من قوم نوح، وعلى الرغم من العقاب الشديد الذي نالوه بالطوفان، إلا أن البشرية من بعدهم ظلت تنتقل من التوحيد لله الخالق ﷻ إلى عبادة كل من الأصنام، أو الأوثان، أو النجوم والكواكب. لذلك بعث الله ﷻ عدداً كبيراً من أنبيائه ورسله لهداية الضالين من عباده. وقد جاء الأنبياء والمرسلون جميعاً برسالة واحدة مؤداها أن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إلا أن الشيطان بقي بالمرصاد للإنسان في محاولات دائبة لإخراجه من التوحيد إلى الشرك، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن الاستقامة على منهج الله إلى الخروج عنه خروجاً جزئياً أو كلياً حتى جاء زمن سادت فيه مختلف أشكال الوثنيات الموضوعة فبعث الله - تعالى - عبده ونبيه إبراهيم لهداية قومه، فعادوه وحاربوه حتى هجرهم إلى أرض فلسطين.

وتأتي الآيات في سورة «العنكبوت» مؤكدة تلك الوقائع التاريخية بقول ربنا

- تبارك وتعالى -:

﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفكًا إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧﴾ وَإِنْ كَذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمْرٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨﴾

[العنكبوت: 16 - 18].

وفي هذه الآيات ينصح إبراهيم ﷺ قومه بعبادة الله - تعالى - وحده وتقواه، والشكر له، مستنكراً إفك عبادة الأصنام، ومؤكداً أن الرزق من الله ﷻ وحده، وأن الخلق جميعاً راجعون إلى بارئهم. وجاءت هذه الآيات الثلاث بعد ذكر قصة نوح ﷺ مع قومه إلى لحظة إغراقهم بالطوفان، ونجاة نوح ومن كان معه. من هنا

فإن الإشارة إلى تكذيب الأمم من قبل قوم إبراهيم ﷺ يمثل جانباً من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

ومن الدروس المستفادة من هذا الموقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ ما يلي:

1 - الجزم بأن عبادة غير الله - تعالى - هي من الإفك، و(الإفك) في اللغة هو كل مصروف عن الحق إلى الباطل في مجال الاعتقاد، ومن الصدق إلى الكذب في القول، ومن الجميل إلى القبيح في الفعل، ولذلك قال - تعالى - على لسان نبيه إبراهيم مخاطباً المشركين من قومه قائلاً لهم:

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت: 17].

2 - التقرير الصحيح بأن جميع الأصنام والأوثان، والنجوم والكواكب، وكل ما عبد من دون الله غير ذلك، لا يملكون رزقاً لأنفسهم، فضلاً عن القدرة على إعطائه لأحد من عبدتهم، ومن هنا كان من السفه عبادتهم، والشرك بهم في عبادة الله الواحد القهار، ولذلك جاء قول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان إبراهيم ﷺ مخاطباً قومه قائلاً لهم:

﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت: 17].

3 - الأمر بابتغاء الرزق من الله - تعالى - وحده، وبعبادته وشكره على عظيم نعمه، وجاء ذلك في توجيهات إبراهيم ﷺ لقومه التي يوردها القرآن الكريم على لسانه بقول ربنا - تبارك وتعالى:

﴿ فَأَبْنِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ [العنكبوت: 17].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «أجملوا في طلب الدنيا، فإن كلاً ميسر لما خُلق له»⁽¹⁾.

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، حديث رقم (2142).

4 - تأكيد حتمية الرجوع إلى الله - تعالى - وموت جميع المخلوقات من مختلف صور المادة والطاقة، إلى جميع الأحياء (وعلى رأسها الإنسان) هو خير شاهد على ذلك. من هنا جاء تحذير إبراهيم عليه السلام لقومه بضرورة الاستعداد لتلك الرجعة إلى خالقهم للحساب والجزاء قائلاً ومؤكداً لهم بقول ربنا - تبارك وتعالى: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17].

ونحن نرى الموت في كل شيء: من النجوم والكواكب، والأقمار، والمذنبات، والأحياء (من النبات إلى كل من الحيوان والإنسان) وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن شمسنا تفقد من كتلتها في كل ثانية من ثواني عمرها على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي (4,6) مليون طنأ من المادة. وهذه الملاحظة وحدها تكفي للتدليل على حتمية فناء الشمس. ونحن نعلم أن تناقص كم الطاقة الواصلة إلى الأرض من الشمس ينذر بفناء كل شيء على الأرض. وهذا واحد من آلاف الأدلة التي تقطع بحتمية الرجوع إلى الله.

5 - تقرير حقيقة أن الإنسان تحت وطأة وسوسة الشيطان يميل دوماً إلى تكذيب الحق، والخروج عليه، ومسيرة الإنسان عبر التاريخ تؤكد ذلك وتدعمه، ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - على لسان عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام مخاطباً قومه مؤكداً هذا الواقع لهم بقوله: ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمْرٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [العنكبوت: 18].

6 - تأكيد حرية الإنسان في اختيار الدين الذي يدين به نفسه لخالقه، لأنه على أساس من هذا الاختيار سيكون خلوده في الآخرة إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً، وجاء هذا التقرير على لسان إبراهيم عليه السلام لقومه بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُ أَلْمِيحٌ﴾ [العنكبوت: 18].

هذه القضايا من سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ومن هنا فإنها بالإضافة إلى كونها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي

والتاريخي في كتاب الله، فإنها تبقى برهاناً قاطعاً على أن القصص القرآني لم ينقل عن «العهد القديم»، بل هو كلام الله رب العالمين. في صفائه الرباني وإشراقته النورانية، وإنبائه بالحق في كل أمر أورده.

29 - ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [79].

هذه الآية القرآنية الكريمة تؤكد عدداً من الحقائق الفطرية والعلمية والتاريخية والإنبائية. في كتاب الله، ومن حقائقها الفطرية أن الإيمان بالله الخالق مطبوع في الجبلة الإنسانية التي تنكر العبودية لغير الله، والتي تنزه الله الخالق عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله.

ومن حقائقها العلمية أن الكون بضخامة أبعاده، ودقة بنائه، وانتظام حركاته وكتله وأبعاده، وسرعاته وبكل صفة من صفاته يشهد لخالقه بالربوبية والألوهية والخالقية وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

ومن حقائقها الإنبائية والتاريخية أنها السجل الوحيد الموجود بين أيدينا اليوم لهذا الموقف الذي وقفه إبراهيم عليه السلام متأملاً في ملكوت السموات والأرض. وقد دفعه هذا الموقف المتأمل في الكون إلى التعرف على خالقه من خلال التأمل في بديع صنعه في الكون. كما دفعه ذلك إلى إنكار جميع صور الشرك التي كان قومه قد غرقوا فيها إلى آذانهم. وهذا الموقف الكريم يبقى دعوة للعقلاء من أهل الأرض أن يقفوا هذا الموقف ولو لمرة واحدة في عمر كل واحد منهم، ولذلك قال - تعالى -:

﴿وَكَذَلِكَ بَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [75] فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفَلِينَ [76] فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ [77] فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِنِّي بَرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ [78] إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [79]

[الأنعام: 75 - 79].

وهذا هو أحد المواقف والأحداث الكبرى في حياة نبي الله إبراهيم ﷺ والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- 1 - استنكار إبراهيم ﷺ لعبادة أبيه وقومه للأصنام، وقيامه بتحطيم تلك الأصنام، ومحاكمته على ذلك، والحكم عليه بالحرق حيًّا، وتنجية الله - تعالى - له من النيران (الأنبياء: 51 - 73، الشعراء: 69 - 89، الصافات: 83 - 113، العنكبوت: 16 - 27).
- 2 - واقعة تعرّف إبراهيم على خالقه من خلال التأمل في الكون (الأنعام: 74 - 90).
- 3 - واقعة الحوار بين إبراهيم ﷺ وأبيه (الأنعام: 74 - 87، مريم: 41 - 50، الأنبياء: 51 - 73، الشعراء: 69 - 89).
- 4 - إتياء إبراهيم النبوة، واستغفاره ﷺ لأبيه (البقرة: 124 - 130، آل عمران: 33، مريم: 41 - 48) ثم تبرؤه منه ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114].
- 5 - حوار إبراهيم ﷺ مع الملك الكافر مدعي الربوبية (البقرة: 258).
- 6 - طلب إبراهيم من ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى (البقرة: 260).
- 7 - إيمان لوط مع عمه إبراهيم، وهجرته معه إلى أرض فلسطين (العنكبوت: 26، الأنبياء: 71).
- 8 - تعدد الابتلاءات التي تعرض لها إبراهيم، وكان منها أمر الله ﷻ إلى عبده ونبيه إبراهيم ﷺ بوضع زوجه السيدة هاجر - عليها رضوان الله - ورضيعها إسماعيل ﷺ عند مكان البيت (إبراهيم: 35 - 41).
- 9 - استجابة الله ﷻ لدعوة عبده ونبيه إبراهيم ﷺ بجعل أفئدة من الناس تهوى إلى منطقة البيت الحرام، حيث كان قد وضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل (إبراهيم: 37).

10 - زيارة عدد من الملائكة في هيئة البشر لنبي الله إبراهيم عليه السلام مبشرة إياه وزوجته (سارة) - على الكبر - بسلام هو إسحاق، وتخبره عن إهلاك قوم لوط.

11 - أمر الله - تعالى - لعبده ونبيه إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل، ثم فداء الله - تعالى - له (الصفافات: 102 - 107).

12 - أمر الله - تعالى - إلى كل من عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج (الحج: 26 - 29).

13 - ثناء الله - تعالى - على عبده ونبيه إبراهيم عليه السلام مع التأكيد على وحدة رسالة السماء وعلى الأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً (آل عمران: 84، النساء: 163، النحل: 120 - 123، مريم: 58).

وورود هذه الوقائع بتفاصيلها، ووجود الأدلة المادية على عدد منها (وذلك من مثل قيام بناء الكعبة المشرفة إلى اليوم، ووجود كل من الحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيل، وبئر زمزم، ومجر الكباش، ورجوم الشيطان، ومسجد الخيف بمنى، والمشعر الحرام بالمزدلفة، ومشهد الطير في مزارع شعبا، وغيرها من الآثار الباقية) لما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية لأنّ «العهد القديم» لم يدون شيئاً عن ذلك البتة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في هذه الآيات الخمس (75 - 79) من سورة «الأنعام» ما يلي:

1 - التمييز الدقيق بين كلّ من الكوكب، والقمر، والشمس، في زمن لم يكن لأحد من المخلوقين القدرة على هذا التمييز، خاصة في الجزيرة العربية، وكانت غالبية أهلها من الأميين.

2 - التأكيد على أنّ أفول (أي: غياب) أي جرم سماوي هو دليل على أنه حادث، وكل حادث من هذه الجمادات هو مخلوق مسخر، ومن ثم فهو لا

يمكن أن يكون مؤلّهاً كما فعل الضّالون من قوم إبراهيم ﷺ ومن قبل زمانه، ومن بعده. وهذا استنتاج إنبائي وعلمي رصين، وذلك لأنّ حدوث الكون يحتم فناءه، كما يؤكد حدوث جميع المخلوقات، وحتميّة فنائها، والحدّاث الفاني محتاج إلى خالق أزلي باقي منزّه فوق كل صفات خلقه (من مثل حدود كل من المكان، والزمان، والمادة، والطاقة، التي تحدّد كافة المخلوقين من الجمادات، والأحياء (من النبات، والحيوان، والإنسان، والملائكة، والجن) حتى يكون الخالق مغايراً لخلقته مغايرة كاملة.

3 - الإشارة إلى أنّ الله - تعالى - هو خالق الخلق، ومبدع الوجود على غير مثال سابق لأنّه هو (الذي فطر السموات والأرض)، والعلوم المكتسبة تحتم وجود مرجعيّة عليا للكون الذي نعيش فيه، وتتعرف بضرورة مغايرة صفات تلك المرجعيّة لكل صفات المخلوقين فرادى ومجتمعين.

4 - إعطاء النموذج العلمي للتعرف على الخالق ﷻ من خلال التأمل في بديع خلقه من مثل ملكوت السموات والأرض. وذلك لأنّ الإبداع في الخلق هو من أوضح الأدلّة على الخالق ﷻ. والكون بكلّ ما فيه من موجودات، وظواهر، وحركات منضبطة انضباطاً شديداً، يشهد بضرورة وجود خالق عظيم له من صفات الألوهيّة، والربوبيّة، والوحدانيّة، والخالقيّة ما مكّنه من إبداع كل ذلك.

5 - الإشارة إلى أنّ الإيمان بالله - تعالى - مزروع في الجبلة الإنسانيّة، وأنّ الإنسان محتاج إلى إيقاظ هذا الإيمان الفطري بالتأمّل العاقل في خلق الله - تعالى -، وبالاستماع إلى وحي السماء، ما دامت الفطرة لم تفسد بانحرافات الإنسان وفساد تصوراته. فكلما بقيت فطرة الإنسان سليمة استطاعت أن تستشف دلائل الإيمان بالإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المنزّه في أسمائه، وصفاته، وأفعاله عن جميع خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وذلك من خلال تأمل الإنسان في إتقان خلقه هو، وفي إحكام خلق الكون الفسيح من حوله.

6 - إنَّ الشرك بالله - تعالى - هو من نقائص الإيمان به، وهو من القصور في فهم مدلول الألوهية، خاصّة وأنَّ المتأمل في الكون يرى وحدة البناء التي تشملها في ثنائية ظاهرة ممّا يشهد لخالقه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

7 - ضرورة النظر في الكون للتعرف على شيء من بديع صنع الله فيه، تأكيداً على الإيمان بالخالق العظيم عن طريق الإدراك الحسي والوعي الملموس. وهذا الإيمان الحسي هو دعم للإيمان الفطري الذي غرسه الله - تعالى - في جبلة كل مخلوق، ثم علّمه لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، وبعد ذلك أنزله على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، وأكمّله، وأتمّه، وحفظه في القرآن الكريم وفي سنّة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ولو قام كل إنسان عاقل بذلك، ما بقي على وجه الأرض كافر أو مشرك، أو متردد في اعتقاده أو متشكك في الإيمان بالله ﷻ.

هذه هي بعض جوانب الإعجاز العلمي، والإنبائي، التاريخي فيما أورده القرآن الكريم عن عبد من عباد الله هو إبراهيم ﷺ الذي نشأ في بيئة وثنية تعبد الأصنام والأوثان كما تعبد النجوم والكواكب، وتعبد ملوكها من دون الله ﷻ. وتعرض الآيات لموقف الفطرة السليمة عند إبراهيم ﷺ حين وقف متأملاً في الكون من حوله، فعرف ربه من خلال التعرف على بديع صنعه في خلق الكون من حوله، فاصطفاه الله - تعالى - وجعله نبياً رسولاً.

وكل من الوقائع التاريخية والحقائق العلميّة التي جاءت في الآيات (75 - 79) من سورة «الأنعام» تشهد للقرآن الكريم بأنّه لا يمكن أن يكون قد استعار شيئاً من «العهد القديم»، وأنّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وحفظه بعهد، الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وتعهّد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجّة الله البالغة على جميع خلقه إلى يوم الدين.

30 - ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل أهم حدث في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ حين استنكر - بفطرته السليمة، وبما وهبه الله - تعالى - من بصيرة ورشد - ما كان أبوه وقومه قد وقعوا فيه من أخطاء عبادة الأصنام والأوثان، بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين. لذلك قرر إبراهيم تحطيم تلك الأصنام في غيبة عابديها. وبعد عودتهم إلى معبدهم، ومشاهدتهم معبوديهم محطمين أدركوا أن من فعل ذلك هو إبراهيم، فقدموه للمحاكمة، وحكموا عليه بالتحريق حياً، ولكن الله - تعالى - نجّاه من إحراق النار لبدنه بمعجزة أذهلت جميع من كانوا حوله، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الصَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَحْتَسِنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَبَّكَ رَبُّكَ تَوَلَّى الصَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَيَّ أَعْيُنَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَشَاؤُهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَيَّ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

[الأنبياء: 51 - 70].

أولاً: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في النص الكريم:

هذه الآية القرآنية الكريمة تصف أعظم موقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ. فبعد أن بين لكل من أبيه وقومه ضلالهم البعيد في الشرك بالله، وعبادة الأصنام بحجة أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، توعدهم بالكيد لتلك الأصنام. وبعد خروجهم في يوم من الأيام إلى خارج حدود المدينة للاحتفال بأحد أعيادهم الوثنية، توجه إبراهيم إلى معبد الأصنام فوجد أكداً من الطعام عند قدمي كل تمثال مقدمة من قومه الجاهلين قرباناً إليه. قام إبراهيم بتقريب الطعام إلى تلك التماثيل وقال لها هازناً ساخراً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ ولما لم يسمع من التماثيل جواباً قال مستهزئاً بها: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٤٢)؟ ثم تناول فأساً وأهوى به على التماثيل تحطيماً وتكسيراً حتى جعلهم جذاً أي فتاتاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾. وعلق إبراهيم الفأس في عنق الصنم الأكبر ليقيم الحجة على قومه بعجز تلك الأصنام عن دفع الضر عن نفسها، وإذا أثبت لهم ذلك، أقام الحجة عليهم بأن تلك الأصنام لا تنفع غيرها، ومن ثم فإنها لا تستحق أن تعبد!!.

وعندما رجع القوم من عيدهم وجدوا أصنامهم محطمة فبهتوا متسائلين: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩).

فجاءهم الجواب من بعضهم: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ فأمر رؤساؤهم بإحضار إبراهيم على رأى من الناس لمحاكمته على فعلته بأصنامهم ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ﴾ فجاؤوا به ليسألوه: ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢)؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣) ونزل هذا الجواب عليهم كالصاعقة التي نبتتهم من غفلتهم فلاموا أنفسهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَرِحُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ثم نُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥) فرد عليهم إبراهيم بحجته البالغة:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ أَوَيْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

ولما لم يجدوا رداً على حجة إبراهيم المنطقية لجأوا إلى محاولة البطش والتنكيل به: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ فأعدوا حفرة عميقة وكدسوا الحطب فيها ومن حولها وأضرموا النار في حطب الحفرة حتى تحوّل جمراً، ثم أوثقوا إبراهيم بالحبال، ووضعوه في كفة المنجنيق وألقوا به في النار وهو يردد الشهادة لله - تعالى - وحده بالألوهية والربوبية والتنزيه عن جميع صفات خلقه قائلاً: «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك».

وهنا تتدخل الإرادة الإلهية بتعطيل إحدى السنن الكونية وهي سنة الإحراق بالنار، وذلك بالأمر الإلهي الذي سجله القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿قُلْنَا يَنَّاؤُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

وظلّ عبد الله ونبيه إبراهيم يذكر الله - تعالى - وسط النيران المتأججة التي لم تحرق إلا وثاقه فقط، وإبراهيم في وسط النيران لم يصبه أي أذى، والناس من حوله في ذهول، وهو يردد: «حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير، اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك، فجاءه جبريل ﷺ قائلاً له: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: أما إليك فلا!! فقال جبريل: فاسأل ربك فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي».

ثم تحرك عبد الله ونبيه إبراهيم خارجاً من حفرة النيران سليماً معافى، لم يصبه أي أذى، والناس من حوله في ذهول من هذه المعجزة التي عايشوها بكل حواسهم، وإن أنكرتها عقولهم الضالة الآثمة. وأمام هذه المعجزة الكبرى انفتحت قلوب نفر قليل من قوم إبراهيم للإيمان بدعوته، وإن كتموا ذلك خوفاً من بطش حكامهم الظلمة.

وتسجيل القرآن الكريم لهذه الواقعة التي تمثل أعظم وأخطر المواقف في سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. كذلك يعتبر هذا التسجيل شهادة صدق لنبوة سيدنا محمد عليه السلام الذي بعث بعد موت إبراهيم عليه السلام بأكثر من ألفي عام؛ فمن أين له بسيرة جده إبراهيم إلا بوحى من الله عليه السلام؟ خاصة وأن الناس في زمانه عليه السلام كانوا قد نسوا سيرة إبراهيم عليه السلام إلا من رحم ربك، وأن «العهد القديم» لم يذكر شيئاً عن تلك الواقعة على الإطلاق.

ثانياً: من أوجه الإعجاز الاعتقادي في النص الكريم:

- 1 - وصف عبادة الله وحده بالرشد، و(الرشد) لغة هو خلاف (الغي)، وعلى ذلك فالرشد هو الهداية إلى عبادة الله - تعالى - وحده، لأن الشرك بالله الخالق ظلم للنفس، وحيود عن الحق ولذلك وصف القرآن الكريم عبد الله ونبيه إبراهيم بالرشد وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [51]. [الأنبياء: 51].
- 2 - التأكيد على أن الدين لا بد وأن ينبثق عن قناعة قلبية وعقلية كاملة من كل إنسان بالغ، عاقل، حر، سوي، ولا يجب أن يكون عن مجرد الاتباع الأعمى للآباء، دون إعمال للعقل، وبذل للجهد، وقيام بالتمحيص اللازم.
- 3 - الجزم بأن الشرك بالله فيه إهدار لكرامة الإنسان، وانحطاط به عن مقامات التكريم التي رفعه إليها الله عليه السلام، وذلك لأن مناط التكريم في الإنسان يتجسد في خضوعه بالعبادة لله - تعالى - وحده.
- 4 - الإشارة إلى أن في خلق السموات والأرض شهادة للخالق عليه السلام بالألوهية والربوبية والخالقية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.
- 5 - التأكيد على أن الصراع بين الحق والباطل هو سُنَّة من سنن الحياة الدنيا، وإن حاول الباطل دوماً الاستعلاء بالقوة المادية على أهل الحق.

- 6 - النصح بضرورة الحوار مع الضالين من بني آدم بالمنطق الهادئ وبالحجة الواضحة، وبالحكمة والموعظة الحسنة حتى يحقق الداعي إلى الله هدفه.
- 7 - ضرورة الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية المبدعة في الخلق، والحاكمة لكل شيء في الكون. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فلا بد من التسليم بأن الله ﷻ قادر على إيقاف السنن الحاكمة في الكون وتعطيلها، أو قلبها وعكس مفعولها كلما أراد ذلك. فالنار التي تحرق جعلها ربي بقدرته برداً وسلاماً على إبراهيم، كما أجرى العديد من المعجزات الحسية لأنبيائه، وذلك باختراق السنن الكونية وتجاوزها بالكامل.
- 8 - التأكيد على قيمة العقل (الرشد) في الحكم على الأشياء المادية والمعنوية وذلك لأن العقل الراشد هو وسيلة الإنسان لتحصيل العلم النافع.
- 9 - الحض على التأمل في السموات والأرض وذلك للتعرف على شيء من صفات الخالق ﷻ والإيمان به، والعلوم المكتسبة تؤكد على الحكمة البالغة في كل أمر من أمور الكون المدرك.
- 10 - الجزم بأن الله - تعالى - هو النافع والضار، ومن هنا وجبت عبادته وحده دون غيره، لأن كل معبود لا يستطيع جلب النفع ودفع الضرر لا يستحق أن يعبد. من هنا كانت عبادة غير الله - تعالى - (من الأصنام والأوثان والسلطان والشهوات وغير ذلك من المخلوقات) يمثل انحطاطاً بالإنسان عن مقامات التكريم التي رفعه إليها خالقه.
- 11 - التأكيد على أن أمور الكون والكائنات جميعها هي بيد الله الخالق البارئ المصور، الذي خلق الكون بكل ما فيه ومن فيه، ووضع السنن والقوانين الحاكمة له، وهو وحده القادر على إيقافها وتعطيلها أو قلبها وانعكاسها. وعلوم الفلك تؤكد ضرورة وجود مرجعية للكون في خارجه تكون مغايرة له مغايرةً كاملة في كل شيء، وقادرة على تصريف كل أمر من أموره.
- 12 - ضرورة التسليم بحقيقة المعجزات والخوارق التي أجراها الله - تعالى - لعدد

من أنبيائه ورسله، وإن عجزت العلوم المكتسبة عن تفسيرها بأدواتها المحدودة. فالكون بكل ما فيه ومن فيه هو خارقة من الخوارق، ولكن انتظام السنن والقوانين الحاكمة له هي التي مكنت الإنسان (بقدراته المحدودة) من التعرف على شيء منها. وتبقي الغيوب أمام الإنسان أكثر مما يدرك من عالم الشهادة بأضعاف لا يكاد العقل البشري أن يتصورها.

هذه هي بعض جوانب الإعجاز في وصف القرآن الكريم لمشهد من مشاهد الحوار الذي دار بين عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وقومه، وهذا المشهد لا نجد له مصدرًا في زماننا إلا فيما أورده القرآن الكريم عنه. وهذا يجعل من الآيات (51 - 70) في سورة «الأنبياء» ومن أمثالها في القرآن الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي/ الاعتقادي في كتاب الله. وهذه الآيات تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله عليه السلام وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، ولذلك قال - تعالى -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9].

وتسجيل القرآن الكريم لمحاكمة إبراهيم عليه السلام على أيدي غلاة قومه، وحكمهم عليه بالتحريق حياً، ورميه بالفعل في نار هائلة كانوا قد أضرموها له، فنجاه الله - تعالى - منها، وأخرجه من النار سالمًا معافى بمعجزة أذهلت جميع من كانوا حوله. ويعتبر تسجيل القرآن لتلك الواقعة واحدة من أوضح أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنه لم يرد لهذه الواقعة ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

31 - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

تحدّث هذه الآية القرآنية الكريمة عن حوار قصير دار بين عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ وأحد الملوك الطّغاة، ويقال أن اسمه كان «النمرود بن كنعان»، وأنه كان أحد المتجبرين الكافرين في زمانه. وقد حاج «النمرود» إبراهيم في ربه حين دعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله، وذلك انطلاقاً من اغتراره بالملك، واستعلائه على الخلق، وتعنّته في التعامل مع رعيته. وقد نسي النمرود أنّ الله - تعالى - الذي خلقه هو الذي آتاه الملك، وجعل في يده السلطان. ولكن بدلاً من شكر الله على نعمائه، واستشعار جسامته المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه شعبه، فإن الملك قد أطغاه وأبطره، فسوّل له الشيطان أنّه هو الأمر النَّاهي على العباد، ولا سلطان لأحد عليه. ونتيجة لذلك فإنه طغى وبغى، وتجبر على خلق الله من رعيته، ناسياً أو متناسياً فضل الله - تعالى - عليه بتمكينه من هذا الملك.

ويعرض القرآن الكريم في الآية رقم (258) من سورة «البقرة» قصة هذا الطاغية في عجالة على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، كما يعرضها على كل قارئ لهذا الكتاب العزيز في تعجب من أمر هذا الحاكم الظالم، ومن أمر كل طاغية متجبر مثله في كل زمان ومكان.

والآية الكريمة تستهجن إدعاء عبد من عباد الله القدرة على الإحياء والإماتة، وهي من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله. وقد اختار عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ قضيتي الإحياء والإماتة في محاجة هذا الملك الكافر لأنهما من الأمور الواضحة

البيئة، والواقعة أمام أنظار الناس في كل لحظة نرى فيها مولوداً قادمًا إلى الدنيا، أو ميتاً مفارقاً للحياة، ولا يقوى على ذلك أي من المخلوقين. وحقيقة الأمر أن الله - تعالى - هو الذي قدر الخلق، والآجال، والأرزاق منذ الأزل، ولا يملك أيًا منها أحد غيره. لذلك فإن عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ عَرَفَ رَبَّهُ في حوارهِ مع الملك الطاغية بصفة من صفات الكمال المطلق التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه، ألا وهي صفة القدرة على الخلق والإفناء والبعث. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيْتُ...﴾ [البقرة: 258].

ولكن هذا الملك الكافر الذي أطعاه سلطان الملك، وغرّه جبروت الحكم، وأصله تحكّمه في شعبه، وظنّه أنّه قادر على إنفاذ حكمه في أي فرد منهم بالموت وتنفيذ الحكم أو إعفائه منه، واعتبر ذلك قدرة على الإحياء والموت، وهو ليس بذلك أبداً، وفي ذلك جاء رده الباطل: ﴿...قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...﴾. وهنا أجمه عبد الله إبراهيم الحجة قائلاً له: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

وواضح الأمر أنّ عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ لم يشأ أن يسترسل في جدل عقيم مع هذا الملك الطاغية المتجبر على شعبه، والذي اعتبر أنّ الحكم على فرد من أفراد هذا الشعب بالموت وتنفيذه أو العفو عنه يشبه خلق الله - تعالى - الحياة من العدم، ثم إفناءها، وإعادة بعثها.

ولما كانت المقارنة بين الحاليين لا وجه لها على الإطلاق، انتقل أبو الأنبياء إلى سُنَّة كونية أخرى مؤداها أنّ أهل الأرض يرون الشمس طالعة عليهم من جهة الشرق، وغائبة عنهم في جهة الغرب، فطلب من هذا الملك المدّعي الرّبوبيّة أن يغيّر هذه السُنَّة إن كان هو حقاً قادراً على ذلك. ولما لم يستطع هذا الكافر اللعين تحقيق ذلك بُهِتَ، أي: أُخْرِسَ وانقطعت حجته، وظهر عجزه وقهره، وبدت حيرته وغلبته. وذلك لأن (البهت) في اللغة العربية هو الانقطاع والحيرة. يقال: (بَهَتَهُ)

(بَهْتًا) أي: أخذه بغتة، ويقال: (بَهْت)، و(بُهْتًا)، و(بُهَيْتَ) (بُهْتًا) و(بَهْتًا) أي: دَهَشَ وسكت متحيراً. و(باهته) أي: حيره وأدهشه و(بُهَيْتَ) أي: خُرِسَ لعجزه عن الرد. ولظلم هذا الملك الطاغية بادّعاءه الرُبُويَّةَ كذباً وافتراءً على الله لم يلهمه الله حجة يرد بها، ولا برهاناً يقدمه، ولذلك ختم الله - تعالى - الآية بقوله العزيز: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، لأنَّ الظالمين حَجَّتْهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب من الله - تعالى - ولهم عذاب شديد.

من هنا كان استشهاد عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ بعملية الإحياء والإماتة (أو الخلق والإفناء والبعث) التي لا يقدر عليها إلا ربُّ العالمين، فلما حاول هذا الملك المدّعي الرُبُويَّةَ التحايل على هذا الأمر بخدعة كاذبة، انتقل عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ إلى الاستشهاد بسُنَّةٍ كونيَّةٍ مشاهدة ومتكرِّرة، وهي الحركة الظاهرية للشمس بالنسبة لأهل الأرض وهي تطلع عليهم من الشرق، وتغيب عنهم في الغرب، فسأله إبراهيم ﷺ هل يستطيع تغييرها؟ وفي ذلك تقول الآية الكريمة: ﴿...إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي أَلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

[البقرة: 258].

وكعادة القرآن الكريم في استعراضه لقصص السابقين، وعرضها على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى أمته من بعده، لاستخلاص الدروس والعبر منها، ركزت هذه الآية الكريمة على العبر المستقاة من حوار عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ مع هذا الملك الذي كان يدّعي الرُبُويَّةَ لنفسه، دون أن يذكر القرآن الكريم اسمه. ولكن حاول بعض المؤرخين باستعراض الوضع في منطقة ما بين النهرين في الفترة التي عاشها عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ والمقدرة بأوائل الألفية الثانية قبل الميلاد (في حدود 1861 - 1686 ق.م) فوجدوا أنَّ هذه التواريخ تتوافق مع الحضارة البابلية (التي امتدت في حدود 1900 ق.م - 1300 ق.م)، ومع ملك كان يدعى نمرود بن كنعان الذي حكم الآراميين بأرض العراق، وكان يمثل رأس الطواغيت

في زمانه، لأنه كان أول من ادّعى الرُّبوبيّة. ويقال إنّ «النمرود» هذا كان من أحفاد حام بن نوح ﷺ، وكان قائداً عسكرياً ذا بطش وطغيان، فاتسع ملكه ليشمل مدن أكاد، وبابل، وأوروك، كما أنشأ في شمال العراق كلاً من مدينة نينوى، التي تقع إلى الغرب من مدينة الموصل، ومدينة نمرود (كلخ) التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها، ولكن لا يستطيع أحد الجزم بذلك.

هذه الواقعة من سيرة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، وإيرادها في القرآن الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/التاريخي الذي يدحض دعوى المدّعين بأن القصص القرآني مستمد من بعض المصادر القديمة، كالعهد القديم علماً بأنه إذا وجد شيء من التشابه فهو حجة للقرآن الكريم وليست عليه، لأن مصدر الوحي السماوي واحد هو الله ﷻ. والفارق الجلي هنا هو بين وحي تعهد الله ﷻ بحفظه تعهداً مطلقاً فتم حفظه على مدى يزيد على الأربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ووحى ضاعت أصوله، ثم تمّ تدوينه في لغات غير لغة الوحي، وبأيدي أناس غير معروفين وغير معصومين، مما عرّض الوحي السماوي للتحريف والتزوير والتزييف والتضليل ولا يزال، وسوف يظل كذلك إلى أن يشاء الله.

32 - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ...﴾ [البقرة: 260].

يروى لنا القرآن الكريم عن حديث دار بين إبراهيم ﷺ وربّه - تبارك وتعالى - فيقول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: 260].

ومن معاني هذه الآية الكريمة أن أبا الأنبياء إبراهيم ﷺ سأل الله - تعالى - أن يُبَصِّرَهُ بكيفية إحيائه للموتى، وسؤاله هذا ليس من قبيل الشك، ولكن من قبيل التيقن الكامل، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال ربّ أرنني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي»⁽¹⁾.

فالسبب في سؤال نبي الله ﷺ وعبدّه إبراهيم ﷺ هو حبّه العميق للانتقال بنفسه من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين، وذلك بالرؤية المباشرة، خاصة وأنه كان قد وصف ربّه في جداله مع «النمرود» قبل ذلك بآيتين (في الآية رقم 258 من السورة نفسها) قائلاً: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. فأراد أن يرى عملية الإحياء من الموت رأى العين، وأن يرى طلاقة القدرة الإلهية بعينه، ويلمسها بيديه، حتى يستطيع الدفاع عنها بأقوى ما يملك من الحجّة، رغم إيمانه العميق، وتسليمه الكامل بأن الله - تعالى - على كل شيء قدير.

فسأله الحق - تبارك وتعالى - قائلاً: ﴿أُولَئِمُتُؤْمِنٌ﴾ فرد على الفور: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي﴾.

فأمره الله - تعالى - بأن يأخذ أربعة من الطير فيقرهنّ منه، ويميلهن إليه حتى يتعرف عليهن، وعلى مميزات كل طائر منهن فلا يخطئه إذا عاد إليه. ثم أمره أن

(1) مسند أحمد حديث رقم (8328).

يذبح هذه الطيور الأربع، وأن يقطع أجسادهن إلى عدة قطع، ثم يفرق تلك القطع على قمم الجبال المحيطة به. وبعد ذلك أمره أن يدعوهم فلتجتمع قطع أجسادهن الممزقة مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إلى عبد الله ونبيه إبراهيم. وقد قام إبراهيم ﷺ بتنفيذ ما أمره به الله، وتحقق ذلك بالفعل، فرأى عبد الله إبراهيم رأى العين كيف يحيي الله الموتى، ورأى صورة من صور طلاقة القدرة الإلهية التي لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

ومن الغريب أن إبراهيم ﷺ الذي تعرّف على خالقه من خلال التأمل في بديع صنع الله في الكون - هو الذي يسأل هذا السؤال، وهو سؤال لم ينطلق من منطلق الشك كما أشارتا، ولكنه تشوق المحب لربه، المؤمن بطلاقة قدرته أن يرى جانباً من هذه القدرة الإلهية يتحقق أمام عينيه. وهذا الشوق إلى مزيد من التعرف على قدرة الله البالغة يتحرك في قلوب وعقول الكثيرين من عباد الله الصالحين - لا شكاً في الأمر - ولكن رغبة في المزيد من اليقين الحسي، الذي يزيد العبد تعرفاً على شيء من صفات الله الخالق البارئ المصور، وذلك حباً له، وتقرباً منه بمزيد الإيمان به عن طريق التعرف على المزيد من طلاقة قدرته. وهذا لا يشكك في استقرار الإيمان وثبوتته، ولا في تمام اليقين ورسوخه، ولكنه بلوغ اليقين الحسي عند المؤمن الذي آمن بالغيب، خاصةً عند واحد من أولي العزم من الرسل مثل خليل الرحمن، الذي جاء من نسله جيل من الأنبياء الكرام الموصولين بالله. وهل بعد إيمان الأنبياء إيمان؟ وهل إيمان أمثالهم يحتاج إلى برهان؟ ولكنه الشوق لمشاهدة طلاقة القدرة الإلهية المبدعة وهي تعمل المعجزات التي لا يقوى على مثلها أحد من المخلوقين!!

ومن مبررات هذا السؤال الذي سأله عبد الله ونبيه إبراهيم لربه ﷻ أن قضية البعث بعد الموت كانت عبر التاريخ، ولا تزال حتى اليوم، وستبقى إلى أن يشاء الله، هي حجة الكفار والمتشككين، وذريعة الضالين الضائعين من بني الإنسان، إما لكفرهم بالله - تعالى - أو لقياسهم الخاطئ على الله بمعايير البشر.

والمنطق السوي يقول بتميز الخالق على المخلوقين بقدرات وصفات لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها، لأنها فوق قدراته بالكامل. ومن هنا كان من ركائز العقيدة الإسلامية تنزيه الله ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. لذلك سَخِرَ القرآن الكريم من دعوى المشككين في أمر البعث، وأورد في الرد عليهم العديد من آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من ذلك كان رجاء عبد الله ونبيه إبراهيم أن يريه ربّه طلاقة القدرة الإلهية على إحياء الموتى، وهي طلاقة يشهد بها الخلق كله إلا عصاة الإنس والجن. والمتأمل في الأحياء التي تملأ جنبات الأرض (من الكائنات وحيدة الخلية عبر أكثر من مليون نوع من أنواع النباتات، وأكثر من مليون ونصف المليون نوع من أنواع الحياة الحيوانية حتى يصل إلى كمال الخلق في الإنسان) فإنه يدرك إدراكاً كاملاً استحالة أن يتكون بمحض الصدفة جزيء واحد من عشرين جزيئاً من جزيئات الأحماض الأمينية التي تبني منها مئات الآلاف من جزيئات البروتين التي تتكون منها الخلية الحية. هذا فضلاً عن تعقيد بناء، وكفاءة أداء تلك الخلية الحية بصورة تفوق أكبر المصانع التي بناها الإنسان، بل التي فكر في إنشائها ولم يتمكن من تحقيق ذلك بعد. فما بالنّا بمائة تريليون (مائة مليون مليون) خلية حية في جسد كل فرد من بني آدم (في المتوسط) من الخلايا المتخصصة التي تنتظم في أنسجة، وأعضاء، وأجهزة، ونظم متخصصة، تتعاون كلها في تناغم مذهل من أجل مصلحة الجسد الذي يحملها.

كذلك فإن المتأمل في الكون (من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته) يدرك وحدة البناء، ودقة الأداء وانتظامه، مما ينفي احتمال العشوائية أو الصدفة، ويؤكد التدبير والحكمة في الخلق. وذلك مما يشهد للخالق ﷻ بالألوهية، والربوبية، وبالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وكل ذلك يشهد للكون ببداية يحاول العلماء تقديرها، وكل ما له بداية لا بدّ وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية، مما يجزم بحقيقة الخلق، وبطلاقة قدرة الخالق ﷻ على إفناء خلقه وعلى إعادة بعثه.

وقد شرح رسول الله ﷺ عملية البعث بعد الموت في عدد من أحاديثه الشريفة التي منها ما يلي:

- 1 - «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»⁽¹⁾.
- 2 - «وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»⁽²⁾.
- 3 - «ما بين النفختين أربعون... ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»⁽³⁾.

وتشير هذه الأحاديث إلى أن سر الإنسان يتركز في عظمة واحدة في حجم حبة الخردل بنهاية عموده الفقري (العصعص) سمّاها رسول الله ﷺ باسم (عجب الذنب)، وكل ما زاد على ذلك من البناء الجسدي الذي ينمو من كل من عناصر الأرض ومائها يعود بعد موت الإنسان إلى تراب الأرض ومائها، ويبقى عجب الذنب ليعيد الله ﷻ بعث كل مخلوق حي منه في لحظة البعث. ولذلك قال - تعالى -: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِدْنَاكَ كِتَابَ حَفِيطٍ﴾ [ق: 4].

وعلى الرغم من توضيح رسول الله ﷺ هذه السنّة الكونيّة إلا أن إرادة الله - تعالى - لا تحتاج إلى هذه السنن لقوله - عزّ من قائل -: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٨٣]

[يسر: 82، 83].

وهكذا رأى نبي الله إبراهيم عليه السلام صورة من صور طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في قضية الخلق والإفناء والبعث: ومن أهمها عملية إحياء الموتى، رآها أمراً واقعاً

(1) صحيح مسلم حديث رقم (7341).

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد حديث رقم (4266).

(3) صحيح البخاري حديث رقم (4935).

بين يديه. والحياة والموت يتكرر حدوثهما في كل لحظة من لحظات هذا الوجود، ولا يرى الناس من تلك الأحداث الهامة إلا آثارها البادية لهم، فيؤمن من يؤمن، ويكفر من يكفر، ويبقى إيجاد الحياة من العدم وإفناؤها إلى العدم، والقدرة على إعادة بعثها من جديد واحدة من أعظم الشهادات على طلاقة القدرة الإلهية التي لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

وفي «مزارع شعبا» اللبنانية، والتي يحتلها عنوة الكيان الصهيوني الغريب المحتل للأراضي الفلسطينية لا يزال يوجد بها أربعة قمم جبلية يطلق عليها أهل تلك المنطقة اسم «مشهد الطير»، ويعتقدون أنها هي القمم الأربع التي وزع عليها إبراهيم ﷺ أجزاء الطيور الأربع التي ذبحها وجزأها، ووضع على كل جبل من هذه الجبال الأربع أجزاء منها، ثم دعاهن فأتين سعيًا إليه.

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] تسجيل لتلك الواقعة التاريخية المهمة في حياة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ، والتي لم يرد لها ذكر في «العهد القديم». ومن الغريب حقاً أن يتناول أهل الباطل بالادّعاء الكاذب الذي أشاعوه، وملأوا به أسماع أهل الأرض بأن القصص القرآني منقول عن كتب الأولين. وهذه هي الواقعة الكبرى الثالثة التي تبطل هذا الادّعاء الكاذب من أساسه، وذلك من بين عشرات الوقائع والمواقف والأحداث التي أوردها القرآن الكريم في تاريخ سيدنا إبراهيم ﷺ. وإيراد مثل هذه الواقعة التاريخية في كتاب الله بصيغة توثيقية رصينة لهو بحق أحد أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم.

33 - ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] [الذاريات: 24].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل إحدى الوقائع الهامة في سيرة عبد الله ونبية إبراهيم ﷺ وهي تخبر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بوقوعها. والفاصل الزمني بين تلك الواقعة ونزول الوحي القرآني بخبرها يتعدى الألفي عام (2296 سنة) مما يجعل من الإخبار بها وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

والواقعة جاءت الإشارة إليها في «العهد القديم» تحت عنوان: «الزائرون الثلاثة» وجاء فيها من الأخطاء الشيء الكثير، وذلك من مثل أن الملائكة الثلاثة أكلوا من الطعام الذي قدّمه إليهم إبراهيم ﷺ، والملائكة لا يأكلون الطعام.

ثم تحدثت الرواية عن الملائكة الثلاثة بصيغة المفرد مرات عديدة، وهم جمع كما تحدثت عن الملائكة، بوصف الرب، والله - تعالى - منزه عن حدود كل من المكان والزمان، والمادة والطاقة. وهنا يتضح ثبوت الواقعة، مع الفرق بين كلام الله - تعالى - عنها في القرآن الكريم، ورواية البشر لها في «العهد القديم».

وفي استعراض القرآن الكريم لسيرة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ جاء ذكر تلك الواقعة في كل من سورة «هود» (69 - 76)، وسورة «الحجر» (51 - 58)، وسورة «الذاريات» (24 - 34). وفي كل موضع من هذه المواضع الثلاثة في كتاب الله عرضت الواقعة من زاوية خاصة تناسب مع سياق السورة. ونخص بالذكر هنا ما جاء عنها في سورة «الذاريات» حيث يعرض ربنا - تبارك وتعالى - تلك الواقعة موجهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٢٥] فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [٢٧] فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفُ وَبَشِّرُوهُ بِعَلْمٍ عَلِيمٍ [٢٨] فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَحَهِمَا وَقَالَتْ عَجْرٌ عَقِيمٌ [٢٩] قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ [٣٠]

[الذاريات: 24 - 30].

ومن معاني هذه الآيات الكريمات ما يلي: هل وصل إلى سمعك يا محمد خبر ضيوف إبراهيم المكرمين؟ والاستفهام هنا هو للتشويق وللتفخيم من شأن تلك الواقعة الموعلة في قدم التاريخ. وجاء في تفسير القرطبي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في هؤلاء الضيوف الذين زاروا عبد الله ﷺ ونبيه إبراهيم ﷺ أنهم كانوا: جبريل، وميكائيل وإسرافيل ﷺ، وأنهم سموا بالمكرمين لكرامتهم عند رب العالمين. وقد سلموا على إبراهيم حين وصلوا إليه بسلام المسلمين، فردّ عليهم التحية بمثلها قائلاً: (سلام قوموا منكرون) أي قال وعليكم السلام، أنتم قوم غرباء عن هذه الأرض، فمن أنتم؟ وربما قال بالتعبير (قوم منكرون) في نفسه فقط دون أن يسمعهم حرصاً على عدم إيذاء مشاعرهم. وبعد الترحيب بهم مضى إلى أهله دون أن يشعر ضيوفه بذلك، وهذا من معاني الفعل (راغ) فجاءهم بعجل سمين مشوي على سبيل إكرامهم، فأدناه منهم ولكنهم لم يمدوا أيديهم إليه، فأضمر في نفسه الخوف منهم لما رأى إعراضهم عن تناول طعامه. وذلك إما لأن الضيف الذي لا يأكل طعام مضيفه يبنى عن نية شر كما هو معروف في عادات العرب، وإما لأنه لمح فيهم شيئاً غريباً فسألهم في تلطف قائلاً: ألا تأكلون هذا الطعام؟ فكشفوا عن هويتهم، وعرفوا أنفسهم بأنهم ملائكة أرسلهم رب العالمين إليه، فقالوا: لا تخف. وأضافوا أنهم قد جاؤوا ليشروه بولد يولد له من زوجته سارة، وكان كلاهما قد بلغ من العمر عتياً، مما أثار دهشته وذهول زوجته. وكان من ضمن البشرى أن هذا الغلام الذي سوف يولد لهما سيكون (عليماً) عند بلوغه سن الرشد، وقد كان إسحاق ﷺ فعلاً كذلك. وعند سماع السيدة سارة تلك البشارة أذهلتها المفاجأة، فأقبلت نحو هؤلاء الضيوف في دهشة وذهول فصكت وجهها (على عادة النساء عند التعجب) مستغربة من الأمر الغيبي المفاجيء قائلة: (عجوز عقيم!!) أي: كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟ والمرأة العقيم هي التي لم تلد من قبل قط، على الرغم من زواجها الذي ربما يكون قد طال. وكان ذلك الاستغراب بسبب المفاجأة العنيفة التي لم تكن السيدة سارة تتوقعها أبداً. فجاء رد الملائكة الثلاثة عليها على النحو التالي: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠)

[الذاريات: 30]. ومن معاني هذه الآية الكريمة أن الملائكة قالوا للسيدة سارة: إن هذا الأمر هو من قضاء ربك ﷻ، وقضاؤه لا يرد، فلا تعجبي منه، ولا تشككي في حتمية وقوعه، لأن الله تعالى قادر على كل شيء، وهو الحكيم في جميع صنعه، العليم بتفاصيل أحوال خلقه.

وبعد الانتهاء من تلقي تلك البشارة السارة سأل إبراهيم ﷺ ضيوفه الكرام عن سبب مجيئهم إلى الأرض وهم لا ينزلون إلا لأمر خطير!!؟: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الذاريات: 31، 32].

والمقصود بالقوم المجرمين هنا هم قوم لوط، أي أن الملائكة قالوا إن الله أرسلنا لإهلاك قوم «لوط» الذين كانوا قوماً فاسقين. فقد كانوا يقطعون الطريق على أبناء السبيل، ويخونون الأمانات، وينحطون بسلوكياتهم إلى ما دون مستوى الحيوانات. فقد كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي وأشاعوا به، وارتكبوا أفحش الجرائم من الكفر بالله أو الشرك به، إلى عصيان النبي الذي أرسله الله تعالى إليهم لانتشالهم من أحوال الرذائل التي كانوا قد غاصوا فيها إلى آذانهم. وبدلاً من أن يستجيبوا لدعوته فإنهم سخروا منها، وتناولوا عليها وعارضوها، وأنكروا نبوته، وتجاوزوا كل الحدود في فجورهم، وفسوقهم، وإسفافهم أمامه. لذلك استحقوا العذاب الذي قرره الله (تعالى) لهم، ووصفته الآيات في سورة «الذاريات» بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَرَكَعًا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: 33 - 37].

أي: لنهلكهم بحجارة من طين، وصفت في مقام آخر من كتاب الله بوصف «السجيل» وهو الطين المحروق. وكل واحدة من تلك الحجارة التي أرسلت على قوم «لوط» كانت معلمة من عند الله باسم الذي سوف يهلك بها، وقد كانوا قوماً مسرفين، أي مجاوزين الحد في الفجور.

ويضيف الملائكة قولهم: فبدأنا بالبحث عن المؤمنين في قرى قوم «لوط»

لإخراجهم منها قبل إنزال العقاب بأهلها، حتى لا يهلك المؤمنون في عملية تدمير الفاسقين من أهل تلك القرى. ويزيدون قولهم: فما وجدنا فيها غير بيت واحد من المسلمين هو بيت عبد الله ونبيه «لوطاً ﷺ»، فأخرجناهم من مسكنهم إلى خارج حدود تلك القرى، ثم نزل عقاب الله بأهلها الظالمين الفاسقين، فتم القضاء عليهم ونجى الله تعالى «لوطاً عليه السلام» وبنتيه. وبعد نزول عذاب قوم لوط أبقى الله تعالى في قراهم المدمرة علامة على حقيقة إهلاكهم، وهذه العلامة تتمثل في قلب تلك القرى رأساً على عقب، حتى يبقى ذلك عبرة لمن يأتي بعدهم من العباد الذين يحذرون من الوقوع في معاصي الله حتى لا يصبحوا عرضة لعذابه الأليم.

وبقيت هذه الواقعة آية بينة من آيات الله الكبرى في تاريخ الرسالات السماوية. وقد ذكّر ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بواقعة هلاك قوم لوط، كما ذكّره بأمثالها من صور العذاب الذي أنزله الله - تعالى - بالعصاة المتجبرين في كل عصر من عصور تاريخ البشرية على الأرض. وكان في ذلك مواسة لرسول الله ﷺ ولصحابته المؤمنين، وتثبيتاً لهم في وجه ما كانوا يلقونه من كفر ومشركي الجزيرة العربية من شذائد. وكان في عرض هذا القصص تحذيراً للمعارضين من مشركي قريش، ومن الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين: أن يصيبهم ما أصاب قوم لوط أو أصاب غيرهم من الكفار والمشركين، والفاسقين المتمردين على هداية رب العالمين منذ عهد عبد الله ونبيه نوحاً ﷺ وحتى قيام الساعة.

أولاً: من أوجه الإعجاز الإنبائي في هذه الواقعة القرآنية:

تعدد أوجه الإعجاز الإنبائي في واقعة إنزال الملائكة على عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

(أ) القطع بوجود الملائكة: وقد شكك في وجودهم الملاحدة والكافرون والمتحيرون من بني آدم عبر التاريخ. والملائكة أجسام نورانية لا يراها الإنسان، وهم من عباد الله المكرمين، وهم السفرة الكرام البررة، وهم أهل الملاء الأعلى.

والملائكة هم خلق مفطورون على عبادة الله - تعالى -، وطاعة أوامره، فلا نوازع عندهم ولا شهوات، وهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتغوطون. وقد ذكرهم الله - تعالى - في محكم كتابه مؤكداً أنهم خلقوا قبل خلق الإنسان، وأنهم متفاوتون في الخلق، وفي الدرجات، وفي عدد الأجنحة التي خص الله - تعالى - بها كلاً منهم. وهم أيضاً خلق كثير، لا يعلم عددهم إلا الله ﷻ الذي أعطاهم القدرة على التشكل، فقد جاءت الملائكة كلاً من أنبياء الله إبراهيم ولوط ومحمد - صلى الله وسلم وبارك عليهم أجمعين - في صورة الرجل، كذلك جاء جبريل ﷺ للسيدة مريم - عليها رضوان الله - ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

والإيمان بالملائكة هو من صميم عقيدة المسلم، وإن كانوا من الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان إليه إلا عن طريق وحي السماء المنزّل على أنبياء الله ورسله. وعلى الرغم من تشكك بعض الملاحدة في وجود الملائكة، فإن جميع الملاحظات العلمية تؤكد اليوم حقيقة الغيب، وانقسام الوجود إلى عالمين هما: عالم الشهادة المنظور: (ويشمل كل ما يراه الإنسان بعينه المجردتين أو بالاستعانة بالعدسات المكبرة، أو يدركه بواسطة وسائل للإدراك غير المباشر مثل المقربات (التليسكوبات) وأجهزة الرادار وغيرها)، وعالم الغيب غير المنظور. والغيب غيبان:

1 - غيب مرحلي (أي مؤقت): يصل إليه الإنسان على مراحل متتالية مع اتساع دائرة علومه وبحوثه وكشوفه، وهو الذي تجري كل المعارف العلمية وراءه من أجل الكشف عنه.

2 - غيب مطلق: وهو الذي لا سبيل للإنسان في معرفة شيء عنه إلا عن طريق وحي السماء، لأن الله - تعالى - قد استأثر بعلمه، أو اختص نفرًا من خلقه بطرف علم عنه. ومن الغيوب المطلقة: كل من الذات الإلهية، الملائكة، الجن، الروح، وقت الساعة (أي: الساعة الآخرة من الدنيا)، حياة البرزخ، البعث، الحشر، الصراط، الميزان، الحساب، الجنة، النار، وغيرها مما لا نعلم من خلق الله.

وقد ثبت أن المواد المرئية أي المدركة بواسطة الضوء (Luminous Matter) لا

تشكل سوى (1%) من مادة الكون المنظور، منها حوالي (0.5%) نجوم، (0.3%) نيوتريونات (Neutrinos)، (0.03%) عناصر ثقيلة، بينما تشكل المواد الخفية (Nonluminous Matter) حوالي (99%)؛ تمثل الطاقة الخفية (Dark Energy) حوالي (70%)، وتمثل المادة الخفية حوالي (25%) منها، ويمثل كل من غازي الإيدروجين الحر والهيليوم الحر حوالي (4%) من مادة الجزء المدرك من الكون. وعلى ذلك فإن غالبية الكون بالنسبة للإنسان هو من أمور الغيب. فنحن لا نرى الشمس، ولكننا نرى مواقع مرت بها، ولا نرى من ضوئها إلا النذر اليسير. وذلك لأن ضوء الشمس عبارة عن سلسلة متصلة من أمواج الطيف الكهرومغناطيسي التي لا تختلف فيما بينها إلا في تردداتها، وأطوال موجاتها التي تمتد من جزء من تريليون جزء من المتر (بالنسبة إلى أشعة جاما) إلى عدة كيلومترات بالنسبة لموجات الراديو (الموجات غير السلوكية). وتميز عين الإنسان من موجات أشعة الشمس سبعة أطياف فقط تعرف باسم الضوء المرئي (وتشمل: الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، والبنفسجي) والتي يمتد طولها الموجي بين واحد من مائة من الميكرون، ومائة ميكرون (والميكرون يساوي جزءاً من مليون جزء من المتر). ويضم إلى هذا الحيز كل من الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء. وإن كانت عين الإنسان لا تستطيع رؤية أي منهما، ولا أي من موجات أشعة الشمس الأخرى.

وحسابات الجاذبية بين مجرات السماء تؤكد أن نسبة المدرك للإنسان من الكون لا تكاد تتعدى (1%) من مجموع المادة والطاقة الموجودة فعلاً فيه، ويطلق على الباقي اسم المادة الداكنة أو المظلمة (Nonluminous or Dark Matter) أو اسم المادة الخفية أو مادة الظل (Unseen or Shadow Matter) والتي أمكن التكهن بوجودها على أساس من حسابات الكتل الناقصة (The Missing Masses) وحسابات معدلات انحناء الضوء من حولها (Gravitational Lensing).

فإذا كان الإنسان لا يرى أكثر من (1%) من مادة الجزء المدرك من الكون المحيط به، فإذا أخبره الخالق ﷻ عن وجود خلق غيبي اسمهم الملائكة، وأعطى شيئاً من أخبارهم وصفاتهم في محكم كتابه، وعلى لسان خاتم أنبيائه ورسله ﷺ

وأوجب علينا الإيمان بهم، فليس أمام الإنسان إلا التسليم بوجودهم وبالأدوار التي كلفهم الله - تعالى - بها. لذلك أكد ربنا - تبارك تعالى - وجود الملائكة، كما أكد قدرتهم على التشكل بهيئة الإنسان موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ...﴾، ومن هنا فإن ذكر القرآن الكريم للملائكة في هذا النص الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

(ب) في الإشارة إلى أن الملائكة لا يأكلون:

الملائكة خلق من نور كما أسلفنا، وذلك انطلاقاً من قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»⁽¹⁾.

والخلق الذي من نور لا يحتاج إلى ما نحتاج إليه نحن - بني آدم - من طعام وشراب، وعلى ذلك فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتغوطون، ولا يتناسلون، ولا ينامون. وقد أعطى الله ﷻ الملائكة القدرة على التشكل، فلما جاؤوا إبراهيم عليه السلام في هيئة الرجال، وقدم لهم الطعام لم تمتد أيديهم إليه، فخاف منهم إبراهيم. وكان من دوافع خوفه أن العرب كانوا قد تعودوا على أن من لا يأكل طعامك فقد أضمرك لك شراً، أو أن إبراهيم أدرك في ضيوفه شيئاً غريباً! عندئذ كشفوا عن هويتهم وأخبروه بأنهم رسل ربه من الملائكة - والملائكة لا يأكلون (على عكس ما جاء عنهم في «العهد القديم») - كما بشره بسلام عليهم وفي ذلك قال - تعالى -: ﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا نَحْفَظُ وَبَشَرُوهُ بِعُلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: 26-28] والإخبار بهذه الحقيقة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأن «العهد القديم» يذكر أن الزائرين الثلاثة لإبراهيم أكلوا طعامه.

(1) تقدم تخريجه.

The Three Visitors

18 The LORD appeared to Abraham near the great trees of Mamre while he was sitting at the entrance to his tent in the heat of the day. ²Abraham looked up and saw three men standing nearby. When he saw them, he hurried from the entrance of his tent to meet them and bowed low to the ground. ³He said, "If I have found favor in your eyes, my lord, do not pass your servant by. ⁴Let a little water be brought, and then you may all wash your feet and rest under this tree. ⁵Let me get you something to eat, so you can be refreshed and then go on your way—now that you have come to your servant." "Very well," they answered, "do as you say."

⁶So Abraham hurried into the tent to Sarah. "Quick," he said, "get three seahs of fine flour and knead it and bake some bread." ⁷Then he ran to the herd and selected a choice, tender calf and gave it to a servant, who hurried to prepare it. ⁸He then brought some curds and milk and the calf that had been prepared, and set these before them. While they ate, he stood near them under a tree.

الزائرون الثلاثة

١٨ ثم ظهر الرب لإبراهيم وهو جالس عند بلوطات
تمرا وقت اشتداد حر النهار، فترفع عينيه وإذا
به تزي ثلاثة رجال مائلين لديه. فأسرع لأشقيالهم من
باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: «ها سيدي، إن
كنت قد حظيت برضاك فلا تغبر عن عبدك. بل دعني
أقدم لكم بعض ماء تغسلون به أرجلكم وتكفون تحت
الشجرة. ثم اتي لكم بلقمة خبز تشربون بها قلوبكم، وتغد
ذلك تؤصلون مسيرتكم، لأنكم قد بلتم إلى بيت عبديكم.

فاجابوه، «حسنًا، ليكن كما قلت».

فأسرع إبراهيم إلى داخل الخيمة إلى زوجته سارة وقال:
«هيا اسرعِي وأعجني ثلاث كيلاتٍ من أفضل الدقيق
وأخبزها». ثم أسرع إبراهيم نحو قطيعه وأختار عجلاً
رخصاً طلياً وأعطاه لإلام كتي يجهزه. ثم أخذ زبدًا ولبنًا
والعجّل الذي طبخه، ومدّها أمامهم، وبقي واقفاً في
خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون.

سفر التكوين (18/1 - 8)

(ج) في قدرة الله - تعالى - على جعل عجوز عقيم تلد:

يتكوّن الجهاز التناسلي في أنثى الإنسان من كل من المبيضين، وأنبوب الرحم، والرحم، والمهبل، والأعضاء الخارجية، والغدد الدهليزية العظمية، وغدد الثديين.

ويتم تخلق النطف الأنثوية، بينما الأنثى لا تزال جنيناً في بطن أمها، وبلغ عددها قرابة المليونين، ويتناقص هذا العدد عند البلوغ إلى ما بين ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف خلية ابتدائية للنطف الأنثوية. ثم تبدأ هذه الخلايا في الانقسام الانتصافي على مرتين لتكون أرومة البيضة (Ootid) التي تنمو إلى البيضة (Ovum). والبيضة الناضجة تحمل نصف عدد الصبغيات المحدد لنوع الإنسان. وكل من المبيضين ينتج بيضة ناضجة واحدة كل شهرين بالتبادل من بداية سن

البلوغ وحتى سن اليأس. وتنتج أنثى الإنسان طوال فترة خصوبتها ما بين ثلاثمائة وخمسمائة بيضة ناضجة، ولا يتم إخصاب إلا آحاد منها إن أراد الله - تعالى - ذلك. فعند الوصول إلى سن البلوغ تفرز الأنثى بيضة واحدة في منتصف دورتها الشهرية، تندفع إلى قناة المبيض كي تتحرك في اتجاه الرحم. فإذا تواجدت الحيامن في هذه اللحظة فإن أحدها فقط قد يتمكن من اختراق جدار البيضة في محاولة لإخصابها. وبإتمام عملية الإخصاب تتكون النطفة الأمشاج (أي المختلطة) التي تعرف باسم اللقيحة (Zygote) والتي يتكامل فيها عدد الصبغيات إلى (46) صبغياً، وهو العدد المحدد لنوع الإنسان. تتعلق اللقيحة بجدار الرحم، متغذية على دم الأم فتبدأ دورة الجنين البشري من مرحلة العلقة إلى الحمل الكامل. وفي مقابل كل بيضة يفرزها المبيض فإن الخصية تفرز بليون حيوان منوي (حيمن) على أقل تقدير. وتحتاج هذه الحيامن إلى زمن يقدر بست ساعات إلى أربع وعشرين ساعة لتقطع رحلتها من المهبل إلى الرحم، فلا يصل منها إلى الرحم أكثر من خمسمائة حيمن. يقدر الخالق ﷻ لواحد من هذه الحيامن - له صفات وراثية محددة - أن يخترق جدار البيضة ليتم إخصابها مكوناً النطفة الأمشاج (اللقيحة) التي تبدأ في الانقسام حتى تكون التويطة التي تلتصق بجدار الرحم لتكتمل مشوار الحمل بإذن الله.

ولا يصل إلى مرحلة الإنجاب من هذه الأجنة إلا أقل القليل، لأن أي خلل يحدث أثناء هذه الرحلة الشاقة لكل من البيضة والحيامن إلى مختلف مراحل الجنين، ثم الحمل، قد يعوق عملية الإنجاب ويؤدي إلى فشلها بالكامل. والخالق الذي قدر ذلك كله هو وحده الذي يتحكم في عملية الإنجاب، ولذلك قال - عز من قائل - : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾﴾

[الشورى: 49 - 50].

وما دام الأمر كله بيد الله - تعالى - فهل يعجزه أن يهب غلاماً عليمًا لعجوز

عافر كزوج إبراهيم ﷺ الذي كان هو وهي قد بلغ من العمر أُرذله؟ والجواب بالقطع لا!! ولذلك جاء جواب الملائكة قاطعاً: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠)

[الذاريات: 30].

والإخبار بهذه الواقعة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي في القرآن الكريم، على الرغم من ورود إشارة إليه في «العهد القديم» تحت عنوان «الزوار الثلاثة» (تكوين: 1/18 - 8) وتحت عنوان «مولد إسحاق» (تكوين: 1/21 - 8) ولكن الفارق بين كلام الله، ورواية البشر أوضح من أن يغفل.

فقد ذكر سفر التكوين (1/18 - 8) تحت عنوان «الزوار الثلاثة» أن الذي ظهر لإبراهيم ﷺ هو الله ﷻ، والإنسان لا يستطيع أن يرى الله - تعالى - جهرة طالما كانت روحه محبوسة في جسده الطيني في الحياة الدنيا. ثم يذكر هذا السفر أن إبراهيم رأى ثلاثة من الرجال ولم يذكر أنهم كانوا ملائكة متشكلين بهيئة الرجال، ويذكر أن إبراهيم سجد لهم، والسجود لا ينبغي لغير الله - تعالى -، وذكر أن الرجال الثلاثة أكلوا، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

من كل ذلك يأتي النفي القاطع للدعاء الباطل بأن رواية القرآن الكريم عن هذه الواقعة مأخوذة عن «العهد القديم»، فالفرق بين الروایتين أوضح للعين من نور النهار.

34 - ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]

هذه الآية الكريمة جاءت على لسان عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ لتسجل انصياعه لأمر الله - تعالى - في أحد الابتلاءات التي عرّضه لها الله، تربيةً، وتركيةً، وتطهيراً، ورفعاً للدرجات. فبعد أن ألح على الله ﷻ بالدعاء أن يرزقه الذرية الصالحة وهو الغريب، المهاجر في سبيل الله، المفارق لأهله ولعصبته، والذي بلغ به العمر مبلغاً كبيراً، استجاب الله - تعالى - دعاءه ورزقه بولده إسماعيل. ثم وهو في قمة السعادة بمولوده الجديد يفاجأ بالأمر الإلهي بإبعاد زوجه السيدة هاجر ورضيعها الصغير إسماعيل إلى وادي مكة، وهذا الوادي كان حينئذٍ أرضاً قفراً، لا ماء فيها ولا ثمر، ولا مؤنس من البشر. فالكعبة المشرفة كانت قد هدمت قبل بعثة إبراهيم ﷺ، وبقيت قواعدها، فبوأها الله - تعالى - له، ولذلك أمره بوضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل عند قواعد البيت الحرام كي يعيدا بناءه بعد أن يبلغ إسماعيل أشده. وكان من حكمة هذا القرار الإلهي - وحكمة الله لا تنفذ - ان يأتي من نسل إسماعيل ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ الذي يولد بمكة المكرمة (أشرف بقاع الأرض على الإطلاق) التي نزل بها أول الخلق، وأول الأنبياء، وأبو البشر جميعاً سيدنا آدم ﷺ ليلتقي خاتم النبوة بأولها. ويكون في ذلك تأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً. وهذا التوحيد منطلق من وحدانية الخالق ﷻ التي يشهد بها جميع خلقه الذين خلقوا في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا - تبارك وتعالى - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وهنا يستجيب إبراهيم ﷺ لأمر ربه، فيأخذ السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل ويضعهما عند قواعد البيت، تاركاً عندهما جراباً فيه قليل من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء، وودعهما وانصرف عائداً في طريقه إلى أرض فلسطين. جرت السيدة هاجر خلف زوجها إبراهيم وهي تقول له: إلى من تكلنا؟ وإبراهيم لا يرد عليها، ثم أدركت بحسّها أن

زوجها نبي مرسل فقالت: آله أمرك بهذا، فأدار إبراهيم وجهه وقال: نعم، فردت هاجر على الفور بقولها: إذن لن يضيعنا، وقفلت راجعة إلى صغيرها. أخذ إبراهيم في السير خارجاً من مكة ووقف عند الثنية من وادي مكة متجهاً إلى مكان البيت رافعاً يديه إلى السماء، مردداً هذا الدعاء الذي يسجله القرآن الكريم على لسانه بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ٣٥﴾
 رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦﴾
 رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكْتُ مِنْ دُزِّيْتِي يَوْمَئِذٍ وَبَنِيَّ عِزِّي ذِي ذَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ٤١﴾

[إبراهيم: 35 - 41].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآيات:

أولاً - في قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: 35].

أي: اجعل مكة بلداً آمناً، يأمن ساكنوه بوائق المعتدين من الإنس والجن، وجرائمهم وإفسادهم في الأرض. واستجابة لهذا الدعاء جعل الله - تعالى - الحرم المكي إلى يومنا هذا بلداً آمناً، بمعنى أن كل من دخل إلى هذا الحرم صار آمناً على نفسه، مطمئناً على ماله، ولو كان مطلوباً للثأر فلاذ بالحرم، فلا يستطيع أحد أن يقربه بسوء حتى يخرج منه. وكان هذا العرف سائداً حتى في زمن الجاهلية، وكان ذلك من بقايا إجلال الناس لهذا المكان الذي حرّمه الله - تعالى - يوم خلق السموات والأرض، أما اليوم فمن اقترف جرماً فيه من جرائم الحدود أقيم عليه الحد الشرعي.

والأمن في الحرم المكي ليس للإنسان فقط، بل هو أيضاً لجميع الكائنات من حيوان ونبات وجماد، فقد حرّم رسول الله ﷺ أن يعضد شوكة، أو أن يقلع نبتة، أو أن يقطع شجرة الفطري، أو أن ينفر صيده، أو أن تلتقط لقطته إلا لمن أراد أن يعرف بها. وقد لاحظ المراقبون أن الحيوانات الضارية لا تصطرع مع بعضها البعض، ولا مع غيرها في الحرم المكي، بل تخالط من الحيوانات ما تعودت على افتراسه خارج حدود الحرم المكي، فإذا رأته في هذه البقعة المباركة لم تتعرض له بأذى.

ويروي لنا التاريخ أن كل جبار قصد الحرم المكي بسوء أهلكه الله - تعالى - ولم يمكنه من تحقيق هدفه، وذلك من مثل ما حدث مع أصحاب الفيل. فربنا - تبارك وتعالى - قد تعهد بحماية بيته العتيق وحرمة فقال - عزّ من قائل -: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظَلَمِ بُطْلَمٍ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25].

وتحقيقاً لهذا الوعد الإلهي فإن العقوبة تُعَجَّل لكل من انتهك حرمة في الحرم المكي الذي حرّمه الله - تعالى - يوم خلق السموات والأرض. وتأكيداً على حماية ربّ العالمين لهذا الحرم الشريف قال المصطفى ﷺ: «الدَّجَال يطوي الأرض كلها إلا مكة والمدينة»⁽¹⁾ وقال - صلوات الله وسلامه عليه في يوم فتح مكة «لا تغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً»⁽²⁾.

ومن الشواهد المادية على كرامة الحرم المكي توسطه من اليابسة، وانتفاء الانحراف المغناطيسي على مسار خط طول مكة المكرمة، وحماية الله - تعالى - له من كل من الهزات الأرضية المدمرة والثورات البركانية العنيفة، على الرغم من قربه من خسوف البحر الأحمر. ويبقى الإخبار القرآني عن دعوة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ للحرم المكي بالأمن واستجابة الله - تعالى - لهذا الدعاء إلى يومنا

(1) مسند أبي شيبة، حديث (32828).

(2) مسند أحمد حديث رقم (15408).

الحاضر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لا يوجد ذكر لهذا الموقف في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

ومن معاني هذه الدعوة الكريمة أن إبراهيم ﷺ يرجو من الله - تعالى - أن يحميه ويحمي أبنائه من بعده من نزغات الشياطين التي تحاول دوماً إخراج الإنسان من التوحيد إلى الشرك. واستجابة لهذه الدعوة الصادقة من عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ فإن الله - تعالى - حفظه وحفظ بنيه من عبادة الأصنام، فكان منهم عدد كبير من الأنبياء الذين آمنوا بالتوحيد الخالص لله - تعالى - أمثال ساداتنا إسماعيل، إسحاق، يعقوب، الأسباط، ويوسف، وبقية الأنبياء إلى خاتمهم أجمعين، سيد الأولين والآخرين من ولد آدم، سيدنا محمد - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أجمعين -، ويبقى ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

ثالثاً: في قوله - تعالى - : ﴿رَبِّ إِيْتَهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36].

أي أن وسوسة الشيطان للإنسان بعبادة الأصنام قد كانت سبباً في ضلال كثير من بني آدم. فمن الثابت تاريخياً أن البشرية بعد إيمانها بالتوحيد الخالص لعشرة قرون كاملة بين آدم ونوح ﷺ جاء الشيطان فوسوس إلى نفر من قوم نوح أنه مات منكم صالحون كثيرون، فلو نصبتهم إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباباً وسميتموها بأسمائهم، لتذكرهم الناس، واقتدوا بهم. ففعلوا ذلك ولم تعبد تلك الأنصاب، حتى إذا هلك هذا الجيل من قوم نوح، وتنسخ العلم عبت. وكانت هذه هي أول وثنية في تاريخ البشرية التي بقيت تتردد بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر من زمن عبد الله ونبيه نوح ﷺ وحتى اليوم، وسوف تظل كذلك إلى قيام الساعة.

ويبقى هذا النص الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

رابعاً: في قوله - تعالى - على لسان عبده ونبيه إبراهيم ﷺ : ﴿فَمَنْ يَعْنِي فِئْتَهُمْ

[إبراهيم: 36].

مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾

في هذا النص الكريم تأكيد على أن عدداً من ذرية إبراهيم ﷺ سوف يلتزم نهجه، وأن عدداً آخر لن يلتزم هذا النهج، وقد تحقق ذلك بالفعل. وفي النص تأكيد كذلك على أن مَنْ أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، كما أشار نبينا المصطفى ﷺ وهي حقيقة من حقائق الشرع الحنيف لأن الله - تعالى - يفاضل بين عباده المكلفين على أساس من تقوى الله والعمل الصالح، وليس على أساس من العرق والدم والنسب كما يدعي اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه مهما كانت أعمالهم!! وقد كذبهم القرآن الكريم، كما كذبهم أحداث التاريخ في دعواهم الباطلة تلك. ولذلك يتبرأ عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ من كل فرد يأتي من نسله، ثم لا يؤمن بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وينزهه - تعالى - عن الشبيه، والشريك، والمنازع، والصاحبة والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. فإذا ادعى اليهود أن (عزيراً) هو ابن الله، أو ادعى النصارى ذلك للمسيح عيسى ابن مريم فقد خرجوا عن ملة إبراهيم، وعصوا تعاليمه وخرجوا على دعوته حتى لو كانوا من صميم نسله. وبذلك تسقط كل دعاوي اليهود والنصارى بأن لهم نسباً بإبراهيم ﷺ، ويبقى هذا النص الكريم وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وتبقى أبواب الرحمة والمغفرة الإلهية مفتوحة لمن يشاء الله له الهداية من عباده.

خامساً: في قوله - تعالى - على لسان عبده ونبيه إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي

[إبراهيم: 37].

أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴿٣٧﴾

في هذا النص الكريم وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله وذلك في ورود التعبير (من ذريتي) لأن فرعاً واحداً من ذرية إبراهيم هو الذي أسكن عند بيت الله الحرام، وهو فرع سيدنا إسماعيل، الذي ختم ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَنْبِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ -، وهو من الحقائق التاريخية الراسخة.

سادساً: وفي قوله - تعالى - : ﴿بَوَادٍ عَرِيٍّ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾

[إبراهيم: 37].

وهذه ومضة أخرى من ومضات الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في هذا النص الكريم، وذلك لأن وادي مكة في ذلك الزمان كان قفراً، لا زرع فيه ولا ثمر، ولا ماء ولا أثر لبشر، ولذلك لم يقل القرآن الكريم: (بوادي غير ذي نبت) لأن الزرع لا يتحقق إلا في الأماكن الآهلة بالسكان، الذين منهم من يستطيع القيام بالزراعة إذا توافرت شروطها. ولما لم يكن في الحرم المكي كله أي مقيم ساعة أن أمر عبد الله ونبوه إبراهيم ﷺ بوضع زوجه السيدة هاجر - عليها رضوان الله - ورضيعها إسماعيل ﷺ عند قواعد البيت الحرام فقد انتفت إمكانية وجود أية زراعة، ولم تنتف إمكانية وجود بعض النباتات الفطرية من مثل العضاة، والسلم، والسمر وغيرها، لأن لفظة (نبات) كلمة عامة تشمل كل ما تنبت الأرض بالفطرة أو بالزراعة.

سابعاً: في قوله - تعالى - : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ

تَهْوِي إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾

[إبراهيم: 37].

وهذا النص القرآني الكريم يمثل دعوة أطلقها عبد الله ونبوه إبراهيم ﷺ منذ حوالي أربعة آلاف سنة، فاستجاب الله - تعالى - دعوته وتحققت، ولا تزال تتحقق إلى اليوم، وإلى ما شاء الله ﷻ. فمن الثابت تاريخياً أنه لم يكن هناك ساكن واحد في وادي مكة زمن بعثة إبراهيم ﷺ، واليوم وصل تعداد سكانه المقيمين قرابة مليون نسمة، ووصل أعداد الحجاج والمعتمرين إلى عدة ملايين في كل عام. ولا تزال قلوب مئات الملايين من المسلمين تهفو لزيارة مكة المكرمة سواء استطاعوا تحقيق ذلك أو لم يستطيعوا، والتعبير القرآني: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: يا ربنا إني طاعة لك وانصياعاً لأمرك أسكنت من ذريتي: ولدي إسماعيل وأمه بوادٍ قفر عند بيتك المحرم، وهو وادي مكة، الذي لم يكن فيه ماء ولا بشر، ولا زرع ولا ثمر، فيا ربنا اجعل قلوب عدد من الناس

تقبل عليهم في مودة، وحنان، وسلام ليؤنسوا وحدتهم، ويعمروا المكان من حولهم حتى يحسنوا عبادتهم وخضوعهم بالصلاة لجلالك. ومن معاني ﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ تسرع الخطى إليهم شوقاً وتلهفاً ومحبةً وتودداً، وهي بشرى عمارة الحرم المكي وجعله آمناً، وانتشار الإسلام بين جميع أجناس الأرض، وهو ما تحقق بالفعل. ومن معجزات هذا النص القرآني الكريم الإنباء بهذه الدعوة، واستخدام حرف الجر (من) للتبويض لأنه لو قال (فاجعل أفئدة الناس) لانهاه عليهم المسلمون من كل صوب حتى يعجز المكان عن استيعابهم.

ثامناً: قوله - تعالى - : ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

هذا النص القرآني الكريم هو من بقية دعاء إبراهيم ﷺ لمن أسكن من ذريته بوادي مكة. وقد استجاب الله ﷻ لهذا الدعاء، فزرق أهل هذا الوادي غير ذي الزرع ثماراً تجبى إليه من كل أماكن الأرض، ليكون في ذلك عوناً لهم على طاعة الله - تعالى - وعبادته، وعلى شكره وحمد نعمه، وعلى الاستمرار في رعاية بيته الحرام، وخدمة الحجاج إليه والمعتمرين به. وكانت هذه الثمار ولا تزال يوتى بها من جميع بقاع الأرض إلى أهل مكة المكرمة وإلى من جاورهم من أهل الجزيرة العربية، وهنا تتضح ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي في كتاب الله.

تاسعاً: في قوله - تعالى - : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [38]. [إبراهيم: 38].

في هذه الآية الكريمة ما يثبت إحاطة علم الله - تعالى - بكل شيء، والعلوم المكتسبة تؤكد حتمية وجود مرجعية للكون في خارجه. كما تؤكد على أن هذه المرجعية لا بد وأن تكون مغايرة مغايرة كاملة للكون ولجميع الكائنات، فلا يحدها أي من المكان أو الزمان، ولا يشكلها أي من المادة أو الطاقة. وهذه المرجعية لوجودها خارج الكون فلا بد وأن تكون محيطة بكل صغيرة وكبيرة فيه، ومن ذلك أمور الكائنات جميعاً، ومنها الإنسان الذي يعلم ربنا - تبارك وتعالى - ما يخفى كل فرد منا وما يعلن. ومن باب التأكيد على محدودية علم الإنسان تشير المعارف

المكتسبة إلى أن نسبة المعروف من مادة الكون المنظور هي في حدود (1%) فقط، والباقي يعرف باسم المادة الداكنة (الخفية)، ومن هنا كان التأكيد الجازم على حقيقة علم الله - تعالى - لما هو موجود في كل قلب من قلوب عباده، سواء أسره العبد من عباد الله أو أعلنه، وأن الله - تعالى - لا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهي من الحقائق التي تقررها هذه الآية الكريمة التي تجسد وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله بحقيقة يجهلها كثير من الناس.

عاشراً: في قول ابراهيم ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [39].
[إبراهيم: 39].

أي: الحمد لله الذي رزقني - على كبر سني وشيخوختي - إسماعيل وإسحاق، استجابة لإلحاحي عليه بالدعاء، فإن الله - تعالى - مجيب لدعاء من دعاه. وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى قدرة الله على إعطاء الذرية لمن يشاء حتى في السن الطاعنة في الكبر، وهو ما حدث مع كل من أنبياء الله: إبراهيم، وزكريا، وأيوب ﷺ، ومع غيرهم ممن استجاب الله - تعالى - دعاءهم وهو - تعالى - سميع مجيب الدعوات. وهذه الآية الكريمة تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله كما تؤكد حقيقة تاريخية يجهلها كثير من الناس.

حادي عشر: في قوله - تعالى - على لسان عبده ونبيه إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [41] رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [41].
[إبراهيم: 40، 41].

وهذه هي الدعوة السادسة التي يخبرنا القرآن الكريم بأن عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ قد توجه إلى الله - تعالى - بالدعاء بها. ومضمون هذه الدعوة: أن يا رب اجعلني ممن يحافظون على الصلاة، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها، وذلك لأن إبراهيم كان يعلم تمام العلم أن الصلاة هي عماد الدين، ولا يضمن أن يكون جميع أفراد ذريته ممن يحافظون عليها. وكذلك قال: (ومن ذريتي)، و(من)

هنا للتبويض، وإن كان إبراهيم عليه السلام يتمنى على الله - تعالى - أن يكون جميع أفراد ذريته من المحافظين على الصلاة.

وفي هاتين الآيتين الكريمتين تأكيد على أن نسل إبراهيم عليه السلام لن يكون كله مقيماً للصلاة، ولذلك قال: (ومن ذريتي)، وفيهما أيضاً تذكرة لضرورة طلب المغفرة للوالدين، وللمؤمنين باستمرار خاصة في يوم الحساب.

وهذه الوقائع لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، وإن جاءت به إشارات متناثرة إلى جبال «باران» أو جبال «فاران» وهي جبال مكة المكرمة. كما جاءت في «العهد القديم» إشارات مبهمة إلى بئر وضع عندها إبراهيم زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل، لكن ورود الواقعة في القرآن الكريم بهذا التفصيل الدقيق يعتبر إعجازاً إنبائياً وتاريخياً مفرداً، كما أن الدقة العلمية البالغة التي صيغت بها الواقعة تعتبر من صميم الإعجاز العلمي في كتاب الله [قارن الرواية القرآنية بما جاء عنها في «العهد القديم» (1/21 - 21) ليتضح الفرق بين كلام الله ورواية البشر!!].

وهذا الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام ربّ العالمين، الذي حفظ بإرادته على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، في صفائه الرباني وإشراقته النورانية، كما أوحاه ربنا - تبارك وتعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسوله عليه السلام. وقد تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ آخر رسالاته السماوية في نفس لغة وحيها - اللغة العربية - فحفظت على مدى تجاوز الأربعة عشر قرناً دون أن يضاف إليها أو أن يختصر منها حرف واحد. وتعهد ربنا عليه السلام بحفظ القرآن الكريم تعهداً مطلقاً حتى يبقى هذا الكتاب المجيد شاهداً على الخلق أجمعين إلى ما شاء الله بأنه كلام ربّ العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

35 - ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: 26].

هذه الآية القرآنية الكريمة تشير إلى أن أول بيت وضع للناس في الأرض (وهو الكعبة المشرفة) كان قد تهدم قبل بعثة عبد الله ونبه إبراهيم ﷺ. ولذلك عرف الله - تعالى - عبده إبراهيم بقواعد البيت، وأمره برفعه من تلك القواعد. وأكد عليه أن هذا البيت - هو أول بيت عبد الله - تعالى - فيه على هذه الأرض. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإن هذا البيت يجب أن يكون خالصاً لله - تعالى - وحده دون سواه، وأن يحافظ على طهارته من دنس الشرك والمشركين، وأن تستمر تلك الطهارة لكل من الطائفين والقائمين والركع السجود وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٣٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٣٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: 26 - 29].

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا النص الكريم ما يلي:

1 - في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي ساوينا له وهياتناه، أو جعلناه (مباعة) أي مرجعاً له ﷺ يرجع إليه بين الفترة والفترة للعمارة والعبادة. والأمر بتطهير بيت الله من الأرجاس الحسية والمعنوية من مختلف صور الشرك، والكفر، والابتداع، والضلال كان أمراً لازماً، لأن الناس كانوا قد غرقوا فيها إلى آذانهم من قبل زمن عبد الله ونبه إبراهيم ﷺ. والمقصود بمكان البيت هنا هو موضع أساسات الكعبة

المشرفة، بيت الله الحرام الذي حرّمه ربنا - تبارك وتعالى - يوم خلق السموات والأرض. وهذا البيت هو أول بيت وُضع للناس في الأرض، وذلك لقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96].

والواضح من كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أن الذي بنى هذا البيت ابتداءً هم الملائكة الذين بنوه بأمر من الله ﷻ في هذه البقعة المباركة التي حرّمها الله بعلمه وحكمته وإرادته يوم خلق السموات والأرض. وكان بناء الكعبة المشرفة تهيئة لخلق أبونا آدم وحواء - عليهما من الله السلام - ويقدر تاريخ خلقهما على الأرض بحدود أربعين ألف سنة مضت، بينما يقدر عمر الكون بحوالي 13.7 بليون سنة. لذلك يخبرنا رسول الله ﷺ بأن أول من طاف بالبيت الحرام هم الملائكة، وتلى ذلك طواف آدم ﷺ، ومن بعده طواف أنبياء الله الذين كان منهم كل من نوح، وهود، وصالح وشعيب ﷺ ونفر من الذين آمنوا معهم.

وإذا كان أبو البشرية آدم ﷺ قد عاش في حدود 40,000 سنة مضت، وكان إبراهيم ﷺ قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، فإن الفارق الزمني بينهما يكون في حدود 36000 سنة. وفي خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة لا بد وأن البيت الحرام كان قد تهدّم وبُني عدة مرات، ثم ضاعت معالمه، ولذلك بعث الله ﷻ ملائكته الكرام لتبين لعبده ونبيه إبراهيم مكان البيت حتى يعيد بناءه من جديد هو وولده إسماعيل عندما يبلغ أشده، ولذلك قال ربنا - وهو أصدق القائلين -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾ [الحج: 26].

أي: أظهرنا له قواعد البيت الحرام بشيء من السوية حتى يسهل تعرفه عليها، فيبدأ برفع قواعد البيت منها عندما نامره بذلك انطلاقاً من قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

وجميع الآثار في الحرم المكي تؤكد أن الذي رفع القواعد من البيت هو إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، خاصة وأن بالحرم المكي مقام إبراهيم، ويثر زمزم، والحجر الأسود، وقبر كل من عبد الله ونبيه إسماعيل وأمه ﷺ في حجر إسماعيل، والعديد من الآثار المتعلقة بهذين النبيين الكريمين من أنبياء الله. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يرد في أي من «العهد القديم» أو «العهد الجديد» أية إشارة إلى أن كلاً من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ هما اللذان رفعا القواعد من الكعبة المشرفة، مما يجعل من هذه الآيات القرآنية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وينفى نفيًا قاطعاً ادعاء عدد من المبطلين من غلاة اليهود والنصارى أن القصص القرآني منقول عن «العهد القديم».

وجاء الحديث عن بناء الكعبة على لسان ابن عباس رضي الله عنهما على النحو التالي:

أول ما اتخذ الناس المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند مكان البيت، عند دوحة فوق مكان زمزم في أعلى مكان من موضع المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: أله أمرك بهذا؟ فقال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونها استقبل بوجهه مكان البيت، ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يده قائلاً:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ الْمُحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من سقاء الماء حتى إذا نفذ ما في سقاء الماء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم ترَ أحداً، وفعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعي الناس بينهما»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: لقد سمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيديها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً». وأضاف ابن عباس قوله: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله»⁽¹⁾.

وقد جاء في «العهد القديم» تحت عنوان «ملاك الربّ وهاجر» (سفر التكوين: 7/16 - 16) كلام فيه شيء من الشبه مع كلام ابن عباس رضي الله عنه لأن الروايتان لهما أصل واحد، ولكن شتان بين كلام الله ورواية البشر، وعلى ذلك فإن الآيات القرآنية في هذا المقام تبرز كوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي فيما سجله هذا الكتاب العزيز من أن عبد الله ونبيه إبراهيم وابنه النبي إسماعيل رضي الله عنه هما اللذان رفعوا القواعد من البيت الحرام في مكة المكرمة.

2 - في قول ربنا ﷻ لعبده ونبيه إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: 27] نرى

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم (3364).

وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله، لأن عدد الحجيج إلى بيت الله ظل في تزايد مستمر على مدى القرون الأربعة عشر الماضية حتى وصل إلى قرابة أربعة ملايين حاجاً سنوياً في زماننا، بالإضافة إلى عشرات الملايين من المعتمرين على مدار السنة. والذي ينظر إلى واقع مكة المكرمة في كل من زمن عبد الله ونبيه إبراهيم، وزمن خاتم المرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وفي زمننا الراهن ما كان يمكن له أن يتنبأ بمثل هذا التزايد المطرد في عدد الحجاج والمعتمرين أبداً. وسوف يظل عددهم في تزايد مستمر إلى ما شاء الله ﷻ، تحقيقاً لهذا الإنباء القرآني الكريم.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أي ناد فيهم وأعلمهم بفريضة الحج، وهي من أركان الإسلام. وفي قوله - تعالى - : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي مشياً على أرجلهم، ورجالاً هو جمع راجل أو رجل، وهو من ليست له وسيلة من وسائل الركوب أو المواصلات، أي من ليس له ظهر يركبه، وقد تحقق ذلك بالفعل.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي ويأتوك ركبانا على كل حيوان مهزول (بعير أو غيره) أنهكته المسافات الطويلة التي سارها، نظراً لبعده الشقة فصار هزيبلاً. واللفظ (ضامر) هو اسم فاعل من (ضمر) (يضممر) (ضموراً) فهو (ضامر)؛ أو من (ضمر) (ضمراً) فهو (ضامر). وهذا الاسم يطلق على كل من الذكر والأنثى من الإبل ومن غيرها، وهذا من بلاغة التعبير القرآني. وقد تحقق ذلك أيضاً بالفعل ف جاء الحجيج إلى بيت الله الحرام على سهوة الحيوانات التي أضعفتها المسافات الطويلة التي قدمت عبرها.

3 - في قوله - تعالى - : ﴿يَأْتِيكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إشارة واضحة إلى مجيء الحجاج لبيت الله الحرام من جميع أطراف الأرض، وقد تحقق ذلك بالفعل. فالحجاج اليوم يأتون من مسافات بعيدة، فيأتون من دول مثل كل من كندا والولايات المتحدة شمالاً إلى كل من أمريكا الجنوبية وجنوب

إفريقيا وأستراليا ونيوزلنده جنوباً، ومن كل من روسيا والصين واليابان والفلبين واندونيسيا وماليزيا شرقاً إلى الأمريكيتين غرباً.

هذا بالإضافة إلى أن بالنص القرآني إشارة واضحة إلى كروية الأرض في زمن شيوع انبساطها وامتداداتها الأفقية نظراً لضخامة أبعادها. ويستنتج ذلك من حقيقة أن (الفج) في اللغة هو الشقة الفسيحة بين جبلين، وجمعه (فجاج)، ووصف الفج بالعميق (أي البعيد سفلًا) فيه إشارة ضمنية إلى كروية الأرض، لأن الامتداد البعيد السفلي لا يكون إلا إذا كانت الأرض على هيئة الكرة، أو شبه الكرة، وهو ما أثبتته العلم مؤخرًا.

والتعبير القرآني: ﴿يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ فيه إشارة أيضاً إلى ضخامة أبعاد الأرض، لأن عميق يعني بعيداً (من العمق)، وأصله البعد سفلًا كما سبق وأن أشرنا، ومنه بئر عميقة، أي غائرة أو غائر قاعها إلى أسفل. وبالإضافة إلى أن وصف الفج بالعمق فيه إشارة إلى كل من كروية الأرض، وضخامة أبعادها، فإن التعبير فيه إشارة أيضاً إلى أن الناس سوف يقصدون الحج من مختلف أماكن الأرض المكورة، مهما تباعدت المسافات، واختلفت وسائل المواصلات، وقد تحقق ذلك بالفعل أيضاً، مما يجعل من هذا النص وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله خاصة وأنه لم ترد أية إشارة إلى هذه الواقعة في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

وأوجه الإعجاز التاريخي، والإنبائي، والعلمي في هذه الآيات الأربع، مع روعة البيان، وجمال النظم، والدقة البالغة في اختيار الألفاظ مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهدته الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه - اللغة العربية -، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى أن يشاء الله - تعالى - حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين - إلى يوم الدين - بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

36 - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

تؤكد هذه الآية الكريمة أن عبد الله ونبيه إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ هما اللذان رفعوا القواعد من البيت الحرام القائم إلى اليوم في مكة المكرمة.

وقد فصلت آيات القرآن الكريم قصة هذين النبيين الكريمين اللذين عاشا في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد تفصيلاً غير مسبوق. ولو سلمنا بأن العرب كانوا يعرفون - هذه الحقيقة بواسطة الأخبار المتناقلة عبر الأجيال - فمن أين لدينا الأمي ﷺ هذه التفاصيل الدقيقة عن هذين النبيين الكريمين لو لم يكن موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض؟ ومن هنا فإن القصص القرآني كله يمثل جانباً من جوانب الإعجاز في كتاب الله نسميه باسم الإعجاز الإنبائي والتاريخي.

وتبدأ قصة هذين النبيين الكريمين في سورة «البقرة»، قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رُؤْيُؤُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [١١٢] وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكْبِتِينَ وَارْكَعِ الشُّجُودَ [١١٥] وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِي سَاسِ أَلْمَصِيرِ [١١٦] وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١١٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [١١٨] رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [١١٩] وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [١٢٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ

أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ نَسِيكَكُمْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَكَ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَكَ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[البقرة: 124 - 141].

وفي هذه الآيات عدد من المعجزات الإنبائية والتاريخية نذكر منها ما يلي:

أولاً: التأكيد على أن الذي رفع القواعد من البيت الحرام هما النبيان الكريمان إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأن الواضح من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المشرفة أن الذي بنى هذا البيت ابتداءً هم الملائكة، الذين بنوه بأمر من الله - تعالى - في هذه البقعة المباركة التي حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والأرض. وفي الفترة الزمنية الطويلة بين آدم وإبراهيم عليهما السلام تهدم البيت الحرام وأعيد بناؤه عدة مرات، حتى انتهى به الأمر إلى الهدم الكامل قبل بعثة عبد الله وبنيه إبراهيم عليهما السلام. ونتيجة لذلك بعث الله تعالى ملائكته لتبين لعبده وبنيه إبراهيم مكان البيت، ولذلك قال - وهو أصدق القائلين -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الحج: 26].

وقال - تعالى - : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: 127].

ثانياً: الإنباء بأن الله - تعالى - قد استجاب دعوة عبده ونبيه إبراهيم ﷺ التي يسجلها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126].

فقد قدر الله ﷻ أن يجعل من مكة المكرمة بلداً آمناً كاملاً في مختلف المجالات: الفطرية، والاجتماعية، والاقتصادية. لذلك حفظها الله بقدرته من كثير من الكوارث الطبيعية المحيطة بها، وساق إليها الرزق بعد أن عمَّرها، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها. فأصبحت مكة المكرمة اليوم حاضرةً من أهم حضرات العالم، إن لم تكن أهمها على الإطلاق (بالنسبة للمسلمين على أقل تقدير). وأصبحت الأرزاق تساق إليها من مختلف بقاع الأرض على مدار السنة دون انقطاع، ويجتمع فيها الملايين من البشر في الحج والعمرة فلا يقصر دونهم شيء من طعام، أو شراب، أو كساء، أو دواء أو وسائل مواصلات واتصال. وقد تحقق ذلك كله بالفعل استجابةً لدعوة عبد الله ﷻ ونبيه إبراهيم ﷺ، وتشريفاً لإقامة كل من نبي الله إسماعيل ﷺ وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فيها، وتقديراً لمباركتها وتحريمها يوم خلق الله السموات والأرض. من هنا فإن تسجيل القرآن الكريم لحقيقة أن الذي رفع القواعد من «البيت الحرام» هما عبد الله ﷻ ونبيه إبراهيم ﷺ وولده إسماعيل ﷺ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، خاصة وأن «العهد القديم» قد أغفل ذكر هذه الحقيقة بالكامل.

ثالثاً: الإخبار عن دعوة كل من النبيين إبراهيم ﷺ وولده إسماعيل ﷺ أن يجعل الله ﷻ من ذريتهما أمة مسلمة ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: 128]، وقد تحقَّق لهما ذلك في حياتهما، ومن بعدهما حتى اليوم، وسيبقى محققاً إلى أن يشاء الله ﷻ. وبقاء أمة الإسلام ممثلة بقراة ربع مجموع سكان الأرض اليوم، واعتراف جميع أجهزة الاستخبارات العالمية بأن الإسلام هو أسرع

الأديان انتشاراً في عالم اليوم يمثل تحقيقاً واقعاً لهذه الدعوة النبوية المجابة، ويمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

رابعاً: الإنباء باستجابة دعوة هذين النبيين الكريمين (سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل عليهما السلام). هذه الدعوة التي عبر عنها القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ الْحَكِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129]. وقد تحققت هذه الدعوة في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة، وجاء وهو يحمل الكتاب والحكمة، ويزكي الناس بهما. وتسجيل القرآن الكريم لتلك الدعوة المستجابة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، كما أن فيه تأكيد على وحدة رسالة السماء القائمة على أساس من دين الله (الإسلام) الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه، وتأكيد كذلك على الأخوة بين الأنبياء، وقد أمرنا أن نؤمن بهم جميعاً دون أدنى تفریق.

خامساً: إعادة التأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء جميعاً، وقد كان دينهم واحداً. (هو الإسلام العظيم). وهذا الدين - الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه، علمه ربنا لأينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، ثم أنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وفي النهاية أكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم - وبارك عليه وعليهم أجمعين ولذلك قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَكُم مَّسْلُومُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 130 - 133].

سادساً: التأكيد على أن إبراهيم عليه السلام كان مسلماً، ولم يكن يهودياً، ولا

نصرانياً، وقد تطهر من عبادة كل شيء إلا الله (من مثل الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب، وغير ذلك من مختلف صور الشرك بالله)، وهكذا كان جميع رسل الله وأنبيائه الذين قال فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ نَسَبِكُمْ لَكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُمْ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: 135 - 138].

وإقرار القرآن الكريم لتلك الحقيقة في وجه ادعاء كل من المشركين من كفار مكة، ومن يهود ونصارى اليوم انتسابهم إلى إبراهيم ﷺ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

فقد كانت قريش في جاهليتها تعزز بنسبتها إلى إبراهيم ﷺ عن طريق ولده إسماعيل ﷺ، وتستمد من ذلك كلاً من القوامة على البيت الحرام، وسلطانها على العرب جميعاً. ثم يأتي خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ليؤكد أن الناس سواسية كأسنان المشط، وأنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. كما جاء ليؤكد أن إبراهيم ﷺ والصالحين من ذريته، وجميع أنبياء الله ورسله كانوا على الإسلام القائم على التوحيد الخالص لله - تعالى -، وأن هذا الدين الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه ليس احتكاراً لأحد من الخلق. ولذلك استحق عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ أن يكون إماماً للناس. ولكن قبل البعثة المحمدية الشريفة كان أغلب الناس قد انحرفوا عن ملة إبراهيم، ثم جاء الرسول الخاتم ﷺ بملة إبراهيم (وهي الإسلام العظيم في تمامه وكماله) استجابةً لدعوة كل من عبد الله ونبيه إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ فاستحق الصالحون من أمة محمد ﷺ هذا الميراث الديني الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه. ويؤكد ذلك أن إبراهيم ﷺ حين استمع إلى

تشريف الله - تعالى - له بقوله العزيز: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال إبراهيم: ﴿وَيَوْمَ ذُرِّيَّتِي﴾ فجاء الرد الإلهي قاطعاً حاسماً: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. وهذه الواقعة تعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، خاصة وأنه لم يرد لها ذكر في «العهد القديم».

سابعاً: إثبات أن الله ﷻ قد تعهد لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالنصر، وبأنه - تعالى - سوف يكفيه شر كل كافر ومشرِك ومنافق وظالم، وقد تحقق له ذلك بالفعل، كما تحقق لأُمَّته من بعده، رغم كيد الكائدين، وتآمر المتآمرين من شياطين الإنس والجن. وفي ذلك يوجه ربنا - تبارك وتعالى - الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿نَسِيكَكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137].

ويضيف قوله الحق: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمُ أَعْمَلِكُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُخْلِصُونَ﴾ [١٣٩] أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١٤٠] تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٤١]

وكل واحدة من الآيات التي استشهدنا بها هنا تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وذلك لأن ملة إبراهيم ﷺ كانت قد محيت من ذاكرة الناس في زمن الجاهلية التي سادت العالم قبل البعثة المحمدية الشريفة. وبعد مرور قرابة ألفين وخمسمائة سنة، بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في أوائل القرن السابع الميلادي (610 - 632م) ليعيد للبشرية كلها سيرة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، ونور الإسلام الذي حمله مئات الآلاف من الأنبياء ومئات المرسلين من قبل، ويؤكد من جديد.

وإن كانت سيرة عبد الله ﷻ ونبه إبراهيم ﷺ قد ذكرت في «العهد القديم» إلا أن ذلك قد جاء بوضع إشارات ركيكة مفككة، مليئة بالأخطاء العقديّة والتاريخية. وبذلك يبقى الفارق بين رواية القرآن الكريم وتلك الإشارات هو الفارق بين

كلام الله المحيطة علمه بكل شيء، وكلام البشر بكل ما فيه من القصور، والنقص، والبعد عن الكمال، وبالخلط بين الوقائع والأماكن، والتواريخ للقصور المعروف في طبيعة الذاكرة الإنسانية، خاصة مع ضياع أصول التوراة، وإعادة كتابتها من الذاكرة بأيدي من هم ليسوا بالرسول ولا بالأنبياء، وكان ذلك قد وقع بعد وفاة عبد الله ونبيه موسى ﷺ بأكثر من ثمانية قرون. [انظر عرض «العهد القديم» لقصة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ والتي صورناها في الصفحات (287 - 296) من كتابنا هذا الذي بين يدي قارئه الكريم].

ونص رواية القرآن الكريم لقصة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ تشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما نشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

37- ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

هذه الآية القرآنية الكريمة تمثل أمراً من الله - تعالى - إلى عبده ورسوله إبراهيم ﷺ أن يؤذن في الناس بالحج أي: يدعوهم إلى أداء هذه الفريضة التي فرضها الله - تعالى - على جميع عباده المؤمنين. وفي ذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قيل له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب! وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليّ الإبلاغ، فصعد إبراهيم على (جبل أبي قبيس) وصاح: يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليشيكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار فحجّوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال، وأرحام النساء: ليك اللهم ليك»⁽¹⁾. ويعتبر ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، لا نظير له في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في الآية الكريمة:

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾.

الحج يعني قصد مكة المكرمة لأداء عبادة الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، وما يتبع ذلك من مناسك يؤديها كل مسلم، بالغ، عاقل، حر مستطيع، ولو مرة واحدة في العمر، وذلك استجابةً لأمر الله، وابتغاء مرضاته. والحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو فرض من الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة، وحق لله - تعالى - على المستطيعين من عباده ذكوراً وإناً لقوله - تبارك وتعالى -:

(1) رواه البيهقي في الشعب حديث رقم (3734).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾
[آل عمران: 97].

والحج هو عبادة من أجل العبادات وأفضلها عند رب العالمين لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور»⁽¹⁾ (والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم).

وأصل (العبادة) الطاعة، والتعبد هو التنسك. والطاعة المبنية على أساس من الطمأنينة العقلية والقلبية الكاملة لا تحتاج إلى تبرير، ولكن إذا عرفت الحكمة من ورائها أداها العبد بإتقان أفضل، وكان سلوكه في أداها أنبل وأجمل، وكان أجره على حسن أداها أوفى وأوفر. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في أداء فريضة الحج، وذلك لشدة الزحام، ولمحدودية كل من الوقت والمكان، ولكثرة التكاليف الشرعية في هذه الفترة المحدودة. ولكن إذا فهمت الحكمة من أداء هذه الفريضة العظيمة أداها العبد أحسن الأداء وأكملها، وأعان غيره من إخوانه على حسن أداها، وذلك بالفهم الصحيح، والإيمان العميق، والالتزام بالنظام، والإيثار على النفس، تقرباً إلى الله - تعالى - وتضرعاً، وحباً في عون عباده والمبادرة إلى نجدتهم، واعتبار ذلك من تمام أداء هذه الفريضة التي يساويها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالجهاد، وذلك بقوله الشريف: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة: الحج»⁽²⁾.

ومن مقاصد الحج ما يلي:

(أ) تعريض كل من حج البيت - ولو لمرة واحدة في العمر - لكرامة أشرف بقاع الأرض في أشرف أيام السنة، فيتضاعف الأجر إن شاء الله أضعافاً كثيرة.

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الإيمان حديث رقم (26).

(2) أخرجه النسائي في كتاب الحج حديث رقم (2625).

فألله - تعالى - خلق كلاً من المكان والزمان، وجعلهما أمرين متواصلين، فلا يوجد مكان بلا زمان، ولا زمان بلا مكان. وكما فضل الله بعض الرسل على بعض، وبعض الأنبياء على بعض، وبعض أفراد البشر العاديين على بعض، فضل ﷺ بعض الأزمنة على بعض، وبعض الأماكن على بعض. فمن تفضيل الأزمنة جعل ربنا - تبارك وتعالى - يوم الجمعة أفضل الأيام الأسبوع، وجعل شهر رمضان أفضل شهور السنة، وجعل الليالي العشر الأخيرة من هذا الشهر الفضيل أشرف ليالي السنة، وجعل أشرفها على الإطلاق «ليلة القدر» التي جعلها الله - تعالى - خيراً من ألف شهر. ومن بعد رمضان يأتي فضل أشهر الحج، ومن بعدها تأتي بقية الأشهر الحرم.

ومن أيام السنة جعل ربنا - تبارك وتعالى - أشرفها الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وجعل أشرفها على الإطلاق يوم عرفة، وفي ذلك يروى عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل: هذا أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ قال ﷺ: هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي. جاؤوني شعناً غيراً ضاحين جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يرَ يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة، ولذلك كان الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم»⁽¹⁾.

ومن تفضيل الأماكن، فضل ربنا - تبارك وتعالى - مكة المكرمة، وحرمتها الشريف على جميع بقاع الأرض، ومن بعدها فضل مدينة رسول الله ﷺ، ومن بعدها فضل بيت المقدس، كما جاء في العديد من أحاديث رسول الله

(1) أخرجه ابن حبان حديث رقم (3853).

- صلوات الله وسلامه عليه .- فإذا اجتمع فضل المكان وفضل الزمان، تضاعفت البركات والأجور إن شاء الله.

ومن هنا كان من حكم فريضة الحج - بالإضافة إلى كونها طاعة للأمر الإلهي - هو تعريض كل مسلم بالغ عاقل حر، مستطيع، ذكراً كان أو أنثى - ولو لمرة واحدة في العمر - لبركة أشرف بقاع الأرض - الحرم المكي الشريف - في بركة أشرف أيام السنة - الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة - فيتضاعف الأجر إن شاء الله أضعافاً كثيرة، ولذلك قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 97].

وقال المصطفى ﷺ: «هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر، كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده رده بأجر وغنيمة»⁽¹⁾.

وروى كل من الإمامين البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»⁽²⁾.

وروى كل من الإمامين الترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»⁽³⁾.

(ب) تذكير الحاج بمرحلة الحياة، وبحتمية الرجوع إلى الله - تعالى - :
على الرغم من حقيقة الموت الذي كتبه الله - تعالى - على جميع خلقه،

(1) المعجم الأوسط للطبراني رقم (9033).

(2) أخرجه البخاري حديث رقم (1773)، ومسلم حديث رقم (3276).

(3) أخرجه النسائي (2629)، والترمذي (810).

والذي يشهده أو يسمع به كل حي في كل لحظة، وعلى الرغم من إيماننا - نحن معشر المسلمين - بحتمية البعث والحساب والجزاء، ثم الخلود في الحياة القادمة، إما في الجنة أبداً، وإما في النار أبداً (وهي من الأصول الإسلامية التي أكدها القرآن الكريم وروتها أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ) إلا أن دوامة الحياة ومشاعلها تكاد تسي الناس هذه الحقائق التي هي من صلب الدين.

وعلى الرغم من أن الموت ليس انتهاءً إلى العدم المحض والفناء التام، لأن الروح لا تبلى بل تصعد إلى بارئها، ويبلى الجسد ويتحلل، وتبقى منه فضلة يعاد بعث كل حي منها وهي «عجب الذنب» كما سماها رسول الله ﷺ، إلا أن الموت يبقى مصيبة - كما سماه القرآن الكريم - ويبقى الأخطر من مصيبة الموت غفلة الناس عنه، وإعراضهم عن ذكره، وقلة تفكيرهم فيه، وانصرافهم عن العمل له، وانشغالهم بالدنيا حتى أنستهم إياه أو كادت.

وهنا تأتي شعيرة الحج لتخرج الناس من دوامة الحياة - ولو لفترة قصيرة - وتذكرهم بحتمية العودة إلى الله - تعالى - وذلك على النحو التالي:

- 1 - غسل الإحرام يذكر الحاج بغسله ميتاً وهو لا يملك لنفسه شيئاً بين أيدي مغسله، وهو رمز للتطهر من الذنوب والآثام.
- 2 - الإحرام يذكر الحاج بالخروج من الدنيا بلا أدنى زينة أو ملك، كما يذكر بالكفن الذي سوف يلف فيه جسده بعد تغسيله.
- 3 - النية بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً هي عهد بين العبد وربّه بالاستقامة على منهج الله.
- 4 - الوقوف عند الميقات يذكر الحاج بأجله الذي حدده الله - تعالى - له، والذي يقول فيه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا مُوَجَلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

والانتقال من الحل إلى الحرم عبر الميقات يذكر بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة عبر الموت؛ والتلبية جعلت نداءً إلى الله، واستنجاداً برحمته، واحتماءً بحماه.

5 - والطواف حول الكعبة المشرفة يذكر بضرورة الانتظام مع حركة الكون في خضوعه لأوامر الله - تعالى - وانصياعه لقوانين هذا الخالق العظيم وسننه، في عبادة وذكر دائمين، كما أن بداية الطواف ونهايته تؤكدان بداية الأجل ونهايته، وهي حقيقة يغفل عنها كثير من الناس.

6 - والصلاة في مقام إبراهيم تذكر بجهد الأنبياء والمرسلين، وبمقام الصالحين عند رب العالمين، ومن هؤلاء أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ.

7 - والشرب من ماء زمزم بنية العلم النافع، والرزق الواسع، والشفاء من كل داء وسقم، يؤكد قدرة رب العالمين التي لا حدود لها، ولا عائق يقف في سبيلها من أجل إكرام عباده الصالحين.

8 - والسعي بين الصفا والمروة يذكر بأمر إسماعيل ﷺ وهي تركض بين هاتين التلتين؛ بحثاً عن الماء لصغيرها. ونتيجة لإخلاصها، ولثقتها في قدرة ربها ورحمته، أكرمها الله - تعالى - بجبريل يضرب الأرض بجناحه، أو بعقبه فيفجر ماء زمزم من صخور مصمطة لا مسامية لها، وتظل هذه البئر المباركة؛ والمعجزة تفيض على مدى أربعة آلاف سنة.

9 - والنفرة إلى منى ثم إلى عرفات تذكر بيوم البعث في زحامه وشدته.

10 - والوقوف بعرفات يذكر بالعرض الأكبر بين يدي الله - تعالى - في يوم الحشر.

11 - والمبيت بالمزدلفة يذكر بالآلاف الأنبياء ومئات المرسلين الذين حجوا من قبل، والذين نزلوا بهذا المنزل؛ تأكيداً على وحدة الدين، وعلى الأخوة بين أنبياء رب العالمين، وإحياءاً لسنة خاتمهم - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين -.

12 - والنحر يذكر بفداء الله - تعالى - لنبية إسماعيل؛ إكراماً لطاعته و طاعة أبيه إبراهيم لأوامر رب العالمين وإحياء لسُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك عليه وعليهم أجمعين - .

13 - والحلق أو التقصير يرمز للتطهر من الذنوب والآثام.

14 - ورمي الجمار فيه تأكيد على حتمية مجاهدة العبد المؤمن من أجل الانتصار على الشيطان الذي يقف له دوماً بالمرصاد، والرجم رمز لذلك الانتصار، وعهد مع الله - تعالى - على الاجتهاد من أجل تحقيقه.

15 - والتحلل من الإحرام وطواف كل من الإفاضة والوداع رمز لانتهاء هذه الشعيرة العظمى، وعودة إلى دوامة الحياة من جديد بذنب مغفور، وعمل صالح مقبول، وتجارة مع الله - تعالى - لن تبور إن شاء الله.

ومن هنا كان واجب كل عائد من أداء فريضة الحج أن يبدأ مع ربه صفحة جديدة، إظهارها الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة: عبداً لله - تعالى - يعبده بما أمر، ويجاهد بصدق من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة دين الله وعدله على سطحها، والدعوة إلى هذا الدين بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة والمنطق السوي.

16 - وفي تحرك جموع الحجاج من كل عرق، ولون، وجنس، ولغة، في موكب واحد لأداء هذه الفريضة الكبرى؛ تأكيد على وحدة الجنس البشري المنبثق من أب واحد وأم واحدة، هما آدم وحواء - عليهما من الله السلام - وتأكيد كذلك على وحدة رسالة السماء - وهي الإسلام العظيم - وعلى الأخوة بين الأنبياء، (وهم أبناء علات، دينهم واحد وأمها تهم شتى)، وعلى وحدانية ربّ السموات والأرض.

17 - والحج يمثل أول صورة من صور المؤتمرات الدولية قبل أن تعرفها المنظمات العالمية.

ومن الغريب أن يرد ذكر كل من الحج وبكة (أي مكة) وجبالها (جبال پاران

أو فاران) أكثر من مرة في «العهد القديم». ويبقى هذا الذكر في النصوص غير العربية لهذا العهد - على تعدد لغاتها - ولكنها حينما تنقل إلى العربية تمحى، أو تُزَوَّر، وتُبَدَّل، ومن ذلك ما جاء في المزمور الرابع والثمانين من «العهد القديم» والذي جاء فيه باللغة الإنجليزية ما يلي:

«How lovely is your dwelling place, O LORD Almighty! My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD; my heart and my flesh cry out for the living God... O LORD Almighty, my King and my God. Blessed are those who dwell in your house, they are ever praising you.

Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs...».

(Psalms/Psalm 84/1-7).

وفي المقابل تماماً نجد الترجمة العربية محرفة تحريفاً هائلاً عن قصد لتقرأ: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود! تتوق بل تحن نفسي إلى ديار الرب. قلبي وجسمي يرنمان بفرح للإله الحي... يا ملكي وإلهي: طوبى لمن يسكنون في بيتك، فإنهم يسبحونك دائماً.

«طوبى لأناس أنت قوتهم. المتلهفون لاتباع طرقتك المفضية إلى بيتك المقدس. وإذا يعبرون في وادي البكاء الجاف، يجعلونه ينابيع ماء...».

(سفر المزامير/ المزمور رقم 84) «الكتاب المقدس كتاب الحياة» (عربي/ إنجليزي).

Holy Bible (New international Version).

Arabic/ English.

1999, by International Bible Society; 5th Print 2006.

1820, Jet Stream Drive, Colorado Springs.

Co. 80921-3696, U.S.A.

والفرق بين النصين الإنجليزي والعربي يؤكد التحريف، والهدف من التحريف

غني عن التعليق.

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ :

في هذا النص القرآني الكريم إعجاز إنبائي بغيب لم يكن متوقفاً في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، ويتمثل ذلك في فيض الحجاج والمعتمرين إلى بيت الله الحرام بالملايين في كل عام منذ بعثة المصطفى ﷺ وحتى اليوم، وإلى أن يشاء الله. فلم يكن بمقدور أحد من الخلق أن يتخيل إمكانية استجابة المؤمنين من عباد الله الصالحين لدعوة عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ والتي أمره الله - تعالى - بالأذان بها من قبل حوالي أربعة آلاف سنة. وكان الناس في أزمنة الجهالة والانحطاط، وقد نسوا هذه الدعوة التي تجددت على السنة عدد من الأنبياء والمرسلين من بعد إبراهيم - عليه وعليهم السلام - ثم نسيها الناس، إلى أن تجددت وتجسدت في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - واستمرت إلى اليوم. وقد أفاد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باستمرار الدعوة إلى حج بيت الله الحرام إلى ما شاء الله - تعالى - . لذلك يتقاطر الحجاج والمعتمرون بالملايين في كل عام من جميع أنحاء الأرض، وقلوبهم تهفو إلى أداء هذه الفريضة المقدسة. ومن هؤلاء القادمون للحج فقراء معدمون لا يجدون وسيلة إلى تحقيق ذلك إلا بالسير على الأقدام لآلاف من الكيلومترات حتى يبلغوا بيت الله الحرام. ومنهم الذين يركبون الدواب أو يتخذون مختلف وسائل المواصلات لقطع هذه الآلاف من الكيلومترات حتى يجهدون وتنهك قواهم. والنص القرآني فيه كناية عما يعانيه المسافر لأداء فريضة الحج من مشقة ومجاهدة، مهما تطورت وسائل المواصلات، واستبدل بالأقدام وظهور الأنعام، القطارات والسيارات والسفن والطائرات، ومهما تطورت وسائل الاتصال، ومهما انتشر العمران في مناطق الحج المباركة وفيما حولها. وهنا يتساوى الفقراء والأغنياء وعوام الناس وأمرأؤهم.

وهذا النص القرآني الكريم: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يبقى من صور الإعجاز الإنبائي الغيبي في كتاب الله، ظل يتحقق على مدى الأربعة عشر

قرناً الماضية في تزايد متواصل، وسوف يبقى كذلك إلى ما شاء الله - تعالى -، وفيه من الشهادة على صدق القرآن الكريم وإعجازه ما لا ينكره إلا جاحد.

ثالثاً: في قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِينَكُم مِّن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾:

سبق أن أشرنا إلى أن (الفج) في اللغة هو الشق بين جبلين، ويستعمل في وصف الطريق الواسع، لأن الأصل في الأرض أنها بدأت بتضاريس معقدة للغاية، ثم سخر الله - تعالى - عوامل التعرية المختلفة من المياه الجارية، والرياح العاصفة، والمجالد الزاحفة في شق الفجاج والسبل في الصخور، كما ساعد على ذلك العديد من العوامل الداخلية من مثل عمليات الطي والتصدع والخسف. وجمع (الفج) (الفجاج)، ووصف الفج بالعميق كناية عن البعد، وإشارة إلى كروية الأرض لأن الأصل في العمق هو البعد إلى أسفل كعمق البئر، ومع بعد المسافة الأفقية على سطح مكور كسطح الأرض فإن العمق يزداد بازدياد تلك المسافة الأفقية بعداً. وفي ذلك إشارة إلى كل من كروية الأرض، والمسافات البعيدة التي يفد حجاج بيت الله منها لأداء الحج أو العمرة، لأن المسافات القصيرة على سطح مكور تبدو للناس كأنها مستوية. والآية الكريمة تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله، خاصة وأنه لم ترد الإشارة إلى تلك الواقعة في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ويبقى قدوم ملايين المسلمين لأداء فريضة الحج في كل عام من مختلف بقاع الأرض هو تحقيق عملي للوصف القرآني ﴿مِّن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، وشهادة للقرآن الكريم بأنه كلام الله رب العالمين، فالحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه - اللغة العربية - وحفظه على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد - سبحانه - بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله على عباده إلى قيام الساعة، وشهادة للرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة، فصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Psalm 84,85

934 / ٩٣٤

للزامير: ٨٤، ٨٥

Psalm 84

For the director of music. According to gittith.

Of the Sons of Korah.

A psalm.

How lovely is your dwelling place, O LORD Almighty! ²My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD; my heart and my flesh cry out to the living God. ³Even the sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young—a place near your altar, O LORD Almighty, my King and my God. ⁴Blessed are those who dwell in your house; they are ever raising you.

Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. ⁵As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the autumn rains also cover it with pools.

They go from strength to strength, till each appears before God in Zion. ⁸Hear my prayer, O LORD God Almighty; listen to me, O God of Jacob. ⁹Look upon our shield, O God; look with favor on your anointed one. ¹⁰Better is one day in your courts than a thousand elsewhere; I would rather be a doorkeeper in the house of my God than dwell in the tents of the wicked. ¹¹For the LORD God is a sun and shield; the LORD bestows favor and honor; no good thing does he withhold from those whose walk is blameless.

O LORD Almighty, blessed is the man who trusts in you.

المزمور الرابع والثمانون
لِقَائِدِ الْفُلْسِطِينَ عَلَى الْجَيْتِ
مزمور لبني كورح

أما أخلى مساكنك يا رب الجؤودا أتوق بل حين نفسي
إلى ديار الرب. قلبي وجسدي مرثمان يفرح للإله الحي.
الغصنور أيضا وجد له وكرا. والتمامة عثرت لنفسها
على عش تضع فيه فراخها، بجوار مذبحك يا رب الجؤود.
تاملكي والهي. طوى لمن تسكنون في بيتك، فإنهم
يسبحونك دائما.

طوى لأناس أنت قوتهم. المتلهثون لأجباع طربك
المفجبة إلى بيتك المقدس. وأذ تغربون في وادي البكاء
الجفاف، يجعلونه ينابيع ماء. وتغمرهم المطر الخريف
بالبركات. يشمون من قوة إلى قوة، إذ يشعل كل واحد أمام
الله في صهيون. يا رب إله الجؤود أسمع صلاتي، وأضع
إلي ناله بقلوب. يا الله مجتهدا، انظر بعين الرحمة إلى من
مسخته ملكا. إن يوما واجدا أفضيه داخل ديارك خير
من ألف نوم خارجها. أحقرت أن أكون بولها في بيت الهي
على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب الإله شمس
وقوس. الرب يعطي نعمة ويجدد، لا يمنع أي خفي عن
السالكين بالاشيعة. يا رب الجؤود، طوى للإنسان
المتكل عليك.

رابعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبیه لوط عليهما السلام

عبد الله ونبیه لوط عليهما السلام هو ابن أخ إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في سبعة وعشرين (27) موضعاً، من أربع عشرة سورة هي: [الأنعام: 86]؛ (الأعراف: 80)؛ (هود: 70، 74، 77، 81، 89)؛ (الحجر: 59، 61)، (الأنبياء: 71؛ 74)؛ (الحج: 43)؛ (الشعراء: 160، 161، 167)؛ (النمل: 54، 56)؛ (العنكبوت: 26، 28، 32، 33)؛ (الصفاء: 133)؛ (ص: 13)؛ (ق: 13)؛ (القمر: 33، 34)؛ (التحریم: 10)]. وقد آمن لوط عليه السلام مع عمّه ثم هاجر معه من أرض الكلدانيين (العراق)، إلى أرض الكنعانيين (فلسطين)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّن لَّمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾﴾

[العنكبوت: 26].

وقد جاء من سيرة عبد الله ونبیه لوط عليهما السلام في القرآن الكريم عدد من المواقف التي نوجزها في النقاط التالية:

أولاً: بعثة لوط إلى قومه:

أرسل الله - تعالى - عبده ونبیه لوطاً عليه السلام إلى قري سدوم وما حولها، وكان قومها من أفجر الناس وأخبثهم طوية، وأقبحهم سيرة. فقد كانوا يقطعون الطريق على المسافرين، ويأتون في ناديهم من المنكرات ما لم تعرفه البشرية من قبل وذلك بابتداعهم جريمة الشذوذ الجنسي التي لم يكن قد سبقهم إليها أحد من أهل الأرض. فبعث الله - تعالى - إليهم نبیه لوطاً عليه السلام لهدايتهم، فنهاهم عن الفسوق والعصيان، ودعاهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وأمرهم بالتوبة عن المعاصي،

وحذرهم من وقوع عذاب الله بهم. ولكن ذلك لم يزدهم إلا تمادياً في المعاصي، وعتواً في المجاهرة بالفساد، وتحدياً باستعجال عذاب الله - تعالى -، وإنكاراً لدعوة لوط عليه السلام، وتكذيباً لنبوته حتى رفضوه وهددوه بالطرد والإخراج من بين أظهرهم. وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِسَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الرِّجَالُ شَهْوَةٌ مِنَ الدُّنْيَا الْيَسَاءُ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأعراف: 80 - 84].

2 - ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١١٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَانقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١١٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٥﴾ [الشعراء: 160 - 175].

3 - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِسَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالُ شَهْوَةٌ مِنَ الدُّنْيَا الْيَسَاءُ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَٰجِبِلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ [النمل: 54 - 58].

4 - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَلْحِسَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

[العنكبوت: 28 - 30].

5 - ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَانكَّرَ لَنُورٍ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِأَيُّ آفَافٍ لَقَّوْا ﴿١٣٨﴾﴾

[الصافات: 133 - 138].

وهذه الآيات القرآنية الكريمة، تؤكد خبث قوم لوط وفجورهم، وخروجهم على أبسط آداب السلوك الإنساني، فقد كانوا قطاع طرق، يعتدون على أبناء السبيل بقسوة بالغة، وكانوا خونة للأمانة، كما كانوا محترفين للجرائم الجماعية، ولاقتراف الآثام الكلية المتجاوزة لكل الحدود الإنسانية، وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. ومن أخط جرائمهم أنهم كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وهي جريمة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

ثانياً: الملائكة تبليغ إبراهيم عن هلاك قوم لوط:

سأل لوط ﷺ ربه أن ينصره على قومه المجرمين بعد أن يش من هدايتهم. فأرسل الله - تعالى - ملائكته لمُعاقبة قوم لوط. وأمرهم بالمرور على نبيه إبراهيم ﷺ قبل الوصول إلى قري قوم لوط، فنزلوا على إبراهيم، وكان مشهوداً له بالكرم، وكان الله - تعالى - قد وسَّع عليه في الرزق، ففرح بضيوفه، وأمر أهله بإعداد الطعام لهم، وجاءهم بعجل سمين، حنيد (أي: مشوي على الحجارة المحمّاة)، وقدمه إليهم. فلمَّا رأى أيديهم لا تصلُّ إليه أوجس منهم خيفة، (وذلك لأنَّ من تقاليد العرب أن امتناع الضيوف عن تناول الطعام، أو الشراب يعني أنهم يقصدون شراً). فأفصحوا عن هويتهم وأخبروه بأنهم رسل الله الذين أنزلهم لعقاب قوم لوط، وطمانوه قائلين: لا تخف، وبشروه بغلامٍ عليم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا

لَنُنَجِّيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَّضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَيَّ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

[العنكبوت: 31 - 35].

2 - ﴿هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا فَمَا نَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا نَدْمُكُمْ أَتُكْفَرُ بِهِ ۚ إِنَّ لَكَ إِلَهًا غَيْرَ إِلَهِهِمْ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعِجْلٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَخٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴿٣٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

[الذاريات: 24 - 37].

ثالثاً: هلاك قوم لوط:

اتَّجَهَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمُكَلَّفُونَ بِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ إِلَى قَرْيِ «سَدُومَ»، حَتَّى لَقُوا لُوطاً عليه السلام فَأَصَابَهُ الْقَلْقُ عَلَيْهِمْ لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ صِفَاتِ قَوْمِهِ السَّيِّئَةِ. لِذَلِكَ جَعَلَ يَفْضَلُ لَهُمْ سُوءَ أَخْلَاقِ قَوْمِهِ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِفُونَ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَصْرُوا عَلَى زِيَارَتِهِ فِي بَيْتِهِ. عَلِمَ الْقَوْمُ بِوَصُولِ الضِّيُوفِ إِلَى بَيْتِ لُوطٍ عليه السلام فَهَرَعُوا إِلَيْهِ، فِي مُحَاوَلَةٍ يَأْتِيهَا لِيَفْعَلُوا الْفَاحِشَةَ فِيهِمْ، فَأَخَذَ لُوطٌ عليه السلام يَسْتَشِيرُ فِيهِمْ النَّخْوَةَ وَحَقَّ الْجَوَارِ، وَلَكِنْ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْفَسَاقِ، شَيْءٌ مِنَ النَّخْوَةِ أَوْ أَنْ يَعْرِفُوا لِلجَارِ حَقًّا؟ لِذَلِكَ لَمْ يَسْتَجِبِ الْقَوْمُ لِنِدَائِهِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَبِثَاءَ وَمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَمُجَاهِرُونَ بِالْمَعَاصِي، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

1 - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَّضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَرَنَ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ

أَطَهَّرْ لَكُمْ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزِرُونِ فِي صَبِيغِ الْبَيْسِ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا زِيدٌ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْتِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ ﴿٨٣﴾

[هود: 77 - 83].

2 - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا تَدْرَأُ إِنَّا لَعَنَ الْعَاقِبِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْتِ وَاتَّبِعْ أَزْوَاجَهُمْ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُوْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ صَبِيغِي فَلَا نَفْضَحُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزِرُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَسْهَلِكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُّشْرِفِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لِسَبِيلِ مُّصِيبٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

[الحجر: 57 - 77].

3 - ﴿وَلُوطًا إِذْ أَنْبَأْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْتَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

[الأنبياء: 74، 75].

4 - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا لَيْن لَّمْ تَنْتَهَ بِلُوطٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١١٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٠﴾

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

[الشعراء: 160 - 175].

5 - ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْتَكُمْ لَنَاؤُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ حَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَدَرَرْنَا مِنْ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

[النمل: 54 - 58].

6 - ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنُّذْرِ ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾﴾

[القمر: 33 - 40].

وهذه الآيات الكريمة، تدلّ على أنّ الملائكة فقأت عيون الفاسقين من قوم لوط، فخرجوا يتخبّطون، يطلبون النجاة فيدوس بعضهم بعضاً. وأخبرت الملائكة لوطاً ﷺ أنّهم رُسل الله، وأنهم مأمورون بإهلاك قومه، كما أخبروه بضرورة مُغادرته هو وأهله سدوم وقراها في آخر الليل، وأن يسيروا، ولا يلتفت أحد منهم عند سماع صوت العذاب إذا حلّ بقومه. فطالبهم لوط ﷺ بإهلاكهم في الحال، فقالوا: لم نُؤمر إلا بإهلاكهم بالصبح. سرى لوط وأهله بآخر الليل خروجا عن سدوم وما حولها من قرى حتى بعدوا عنها بمسافة كبيرة. ولما جاء الصبح رفعت الملائكة أرض سدوم وقراها، ثم قلبوها رأساً على عقب حتى جعلوا عاليها سافلها، فهلك كل من كان فيها من الفاسقين، ولذلك سُميت قراهم باسم (المؤتفكات) أي المُقلبات. وأمطرت السماء حجارة من سجيل، فأهلكت من لم يكن موجوداً منهم في قراهم. وسمعت امرأة لوط الهدهة، فالتفتت وقالت: «واقوماه». فأدركها حجر من أحجار السماء فأهلكها في الحال، وبذلك نجى الله لوطاً وأهله إلا امرأته، فقد

كانت من الهالكين، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَأَمَّا جِنَّةُ وَآهْلُهُ إِلاَّ أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: 83].

- ويقول - عز من قائل -:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَافَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَتَزَيَّمْ أَبَتُ عِمْرَانَ آلَتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَّهَا فَفَخَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُقَنِّينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحریم: 10 - 12].

رابعاً: وفاة لوط ﷺ:

عاش عبد الله ونبيه لوط ﷺ بضعاً وعشرين سنة في قري سدوم، ثم عمّر طويلاً بعد خروجه منها، ولكنه توفي قبل عمّه إبراهيم ﷺ بعدد من السنين، ودُفن في إحدى القرى من أعمال مدينة الخليل، وقبره ظاهر فيها كما يقول أهل هذه المدينة.

خامساً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لفضة عبد الله ونبيه لوط مع قومه:

1 - إنَّ الشذوذ الجنسي يعتبر واحداً من أشبح الجرائم التي يُغري الشيطان بالوقوع فيها. وذلك لما في هذه الجريمة من إهدار لكرامة الإنسان، وقضاء على ما عنده من مروءة، ومُخالفةٍ للفطرة التي فطر الله خلقه عليها. وكان أول من ابتدعها هم قوم لوط، ولذلك دمر الله - تعالى - عليهم قراهم، وتركها عبرة للمُعتبرين، لأن الخروج عن الفطرة هو انحطاط بالإنسان عن مقامات التكريم التي رفعه إليها الله، مما يستوجب نزول العقاب الإلهي بكل خارج منها.

2 - إنَّه مع انحراف الفطرة تنقلب الموازين، فيصبح الباطل حقاً ويصبح الحق باطلاً، وتُصبح الطهارة عيباً، بينما يصبح الولوغ في النجاسات أمراً مدوحاً، ويصبح الذكران أهدافاً جنسية مرغوبة من أمثالهم، بدلاً من الإناث، والعكس صحيح، كما يصبح الحياء أمراً مفقوداً من المجتمعات. ومن هنا كانت ضرورة نزول عقاب الله - تعالى - بكل خارج عن الفطرة.

- 3 - إن السبب الرئيس للخروج عن الفطرة هو البعد عن الدين الصحيح الذي علمه الله - تعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أتمه وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - .
- 4 - إن الشذوذ الجنسي يشكل خطراً داهماً على الإنسان، وعلى أسرته، ومجتمعه من النواحي الصحية والنفسية والأخلاقية، ومن هنا فإنه يستوجب أن يقوم المجتمع بأسره على محاربتة، كما يستوجب نزول سخط الله وعقابه بالواقعين في وحله .
- 5 - إنَّ العلاقة بين بني آدم، يجب أن تقوم على أساس من الاستقامة على منهج الله، والمحافظة على أوامره، واجتناب نواهيه، ولا يجب أن تقوم على أساس من علاقات القربى، وصلات العرق والدم والرَّحم وحدها - على أهمية تلك العلاقات، وضرورة المحافظة عليها -، ولكن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . فهذه زوجة لوط ﷺ وهو نبي من أنبياء الله، أصابها ما أصاب قومها من العذاب، لعدم الإيمان بنبوَّة زوجها، والخروج على أوامر الله - تعالى - إليه .
- هذا وقد جاءت قصة عبد الله ونبيه لوط ﷺ في «العهد القديم» على النحو التالي (سفر التكوين 19/1 - 20؛ 19/21 - 38):

Sodom and Gomorrah Destroyed

19 The two angels arrived at Sodom in the evening, and Lot was sitting in the gateway of the city. When he saw them, he got up to meet them and bowed down with his face to the ground. ²“My lords,” he said, “please turn aside to your servant’s house. You can wash your feet and spend the night and then go on your way early in the morning.” “No,” they answered, “we will spend the night in the square.” ³But he insisted so strongly that they did go with him and entered his house. He prepared a meal for them, baking bread without yeast, and they ate.

⁴Before they had gone to bed, all the men from every part of the city of Sodom—both young and old—surrounded the house. ⁵They called to Lot, “Where

إهلاك سدوم وعمورة

١٩ وَأَقْبَلَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى سَدُومَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. وَكَانَ لُوطٌ جَالِساً عِنْدَ بَابِ سَدُومَ، فَمَا إِنْ رَأَاهُمَا حَتَّى تَهَضَّنَ لِأَسْفِئْتِهِمَا، وَتَسَجَّدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ. وَقَالَ: «هَيَّا سَيِّدَيَّ، أَنْزِلَا فِي بَيْتِي عَبْدِكُمَا لِنُقْفِئَا لَيْلَتِكُمَا، وَأَعْمِلَا أَرْجُلِكُمَا، وَفِي الْمَتَاعِ الْبَاكِرِ تَمَضِيانِ فِي طَرِيقِكُمَا. لِكَيْتَهُمَا قَالَا: «لَا، بَلْ نَمُكُّثُ الْلَيْلَةَ فِي السَّاحَةِ». فَأَضْرَبَ عَلَيْهِمَا جِدًّا حَتَّى قَبِلَا اللَّعَابَ مَعَهُ وَاللُّزُولَ فِي بَيْتِهِ. فَأَعَدَّ لَهُمَا مَائِدَةً وَخَبَزَ خُبْزاً فَكَلَا.

^٤وَقَبْلَ أَنْ يَذْهَبَا، حَاصَرَ رِجَالٌ مَدِينَةَ سَدُومَ مِنْ أَهْلِهَا وَشَبَّانٍ. وَدَعَا لُوطاً، «أَيْنَ الْرُجُلَانِ الَّذِينَ

Genesis 19

26 / ٧٦

التكوين 19

are the men who came to you tonight? Bring them out to us so that we can have sex with them." Lot went outside to meet them and shut the door behind him and said, "No, my friends. Don't do this wicked thing. Look, I have two daughters who have never slept with a man. Let me bring them out to you, and you can do what you like with them. But don't do anything to these men, for they have come under the protection of my roof." "Get out of our way," they replied. And they said, "This fellow came here as an alien, and now he wants to play the judge! We'll treat you worse than them." They kept bringing pressure on Lot and moved forward to break down the door. But the men inside reached out and pulled Lot back into the house and shut the door. Then they struck the men who were at the door of the house, young and old, with blindness so that they could not find the door.

The Rescue of Lot and His Family

¹²The two men said to Lot, "Do you have anyone else here—sons-in-law, sons or daughters, or anyone else in the city who belongs to you? Get them out of here, because we are going to destroy this place. The outcry to the LORD against its people is so great that he has sent us to destroy it."

¹³So Lot went out and spoke to his sons-in-law, who were pledged to marry his daughters. He said, "Hurry and get out of this place, because the LORD is about to destroy the city!" But his sons-in-law thought he was joking. With the coming of dawn, the angels urged Lot, saying, "Hurry! Take your wife and your two daughters who are here, or you will be swept away when the city is punished."

¹⁴When he hesitated, the men grasped his hand and the hands of his wife and of his two daughters and led them safely out of the city, for the LORD was merciful to them.

¹⁵As soon as they had brought them out, one of them said, "Flee for your lives! Don't look back, and don't stop anywhere in the plain! Flee to the mountains or you will be swept away!" But Lot said to them, "No, my lords, please! Your servant has found favor in your eyes, and you have shown great kindness to me in sparing my life. But I can't flee to the mountains; this disaster will overtake me, and I'll die. Look, here is a town near enough to run to, and it is small. Let me flee to it—it is very small, isn't it? Then my life will be

لنصلنهما الليلة! المرحبهما ليلاً لئلا يصاحبهما. اخرج إليهم لوط بعد أن أغلق الباب خلفه. وقال: لا تفعلوا شيئاً يا إخوتي. هربوا إليّ ابنتين عذراوات المرحبهما إليكم فالتفوا بيما ما نيلو لكم. أما هذان الرجلان فلا ليسوا إيهما لأيهما نلنا إلى جس شرابي. فقلوا: متح بيما. واضفوا. لقد جاء هذا الإنسان ليحترق بيتنا. وما هو يتحكّم بنا. لأنّ فضل بك شيئاً أكثر بهما. وقدلفوا حول لوط وقدموا ليحترقوا الباب. فصر أن الرجلين منّا ابنتينا وابعتنا لوطاً إلى داخل البيت. وأغلقا الباب. ألم هربوا للرجال ضيقهم وكبرهم. والذين أمام باب البيت بالعمى. فمضوا عن المخرج على العمى.

إنقاذ لوط وماله

¹²وقال الرجلان للوط: ألمك القرية في هذه المدينة؟ أهنا وأبنائك وتنت أو أي شخص آخر نمتك إليك بهلنا؟ اخرجهم من هنا. لأننا عزمنا على تدمير هذه المدينة. إذ أن شراخ الكثرة من شرور قد تقاطع أمام الكثرة. فأرسلنا الكثرة ليتمروا. ففضى لوط وطمأنت أهله الزوج بتايه. فقبلا. هبنا. فوموا والمخرجوا من هذا المكان. لأن الكثرة سئموا هذه المدينة. فبنا مخاض في أهلي أهله. فبنا إن الحار الحار حتى خلق الملاكين ليحادي على لوط فليقن. هبنا أنهن وحدا زوجتك وابنتيك كالتين هبنا. بلنا تلك بالم المدينة. ¹³وإذ ترقى لوط. امتسك الرجلان يديه وأيدي زوجته وابنتيه وقادهم إلى خارج المدينة. لأن الكثرة ألقوا عليهم.

¹⁴فبنا إن المرحبهم بهما حتى قال أحد الملاكين: أخرج بحياتك. لا تلتفت وراءك ولا تتوقف في كل منطقة كسبل. اهرب إلى الجبل لئلا تهللك. ¹⁵فقال لوط: ما بين ههنا وبيننا. فما عيناك قد حظي برحمتك. وما أنت قد عطيت لملك إذ أهدت حياتي. وما لا أتعجب الكثرة إلى الجبل لئلا يلحقني تكروه فأسرت. ¹⁶ها هي المدينة قريبة نهلنا الهرب إليها. إنها مدينة صغيرة. فلهي الجا إليها. أليس هي مدينة صغيرة جداً فالجو فيها بحياتي؟

Genesis 19

27 / ٢٧

التكوين ١٩

spared.”²¹ He said to him, “Very well, I will grant this request too; I will not overthrow the town you speak of.²² But flee there quickly, because I cannot do anything until you reach it.” (That is why the town was called Zoar.)

²³By the time Lot reached Zoar, the sun had risen over the land.²⁴Then the LORD rained down burning sulfur on Sodom and Gomorrah—from the LORD out of the heavens.²⁵Thus he overthrew those cities and the entire plain, including all those living in the cities—and also the vegetation in the land.²⁶But Lot’s wife looked back, and she became a pillar of salt.

²⁷Early the next morning Abraham got up and returned to the place where he had stood before the LORD.²⁸He looked down toward Sodom and Gomorrah, toward all the land of the plain, and he saw dense smoke rising from the land, like smoke from a furnace.²⁹So when God destroyed the cities of the plain, he remembered Abraham, and he brought Lot out of the catastrophe that overthrew the cities where Lot had lived.

Lot and His Daughters

³⁰Lot and his two daughters left Zoar and settled in the mountains, for he was afraid to stay in Zoar. He and his two daughters lived in a cave.³¹One day the older daughter said to the younger, “Our father is old, and there is no man around here to lie with us, as is the custom all over the earth.³²Let’s get our father to drink wine and then lie with him and preserve our family line through our father.”³³That night they got their father to drink wine, and the older daughter went in and lay with him. He was not aware of it when she lay down or when she got up.³⁴The next day the older daughter said to the younger, “Last night I lay with my father. Let’s get him to drink wine again tonight, and you go in and lie with him so we can preserve our family line through our father.”³⁵So they got their father to drink wine that night also, and the younger daughter went and lay with him. Again he was not aware of it when she lay down or when she got up.³⁶So both of Lot’s daughters became pregnant by their father.³⁷The older daughter had a son, and she named him Moab; he is the father of the Moabites of today.³⁸The younger daughter also had a son, and she named him Ben-Ammi; he is the father of the Ammonites of today.

”فقال له الملاك، «إني قد قبلت طلبتك بشأن هذا الأمر، ولن أدحر عليه المدينة التي ذكرتها «سرج» والمغرب إليها، لأنني لا أستطيع أن أصنع شيئاً إلا أن تبلغها. لذلك دعي اسم تلك المدينة سوجر (وتغلغها ضميرة).

”وما إن أشرق الشمس على الأرض حتى كان لوط قد دخل إلى سوجر.^{٢٤} فانظر الرب على سدوم وعمورة بجثها ونارا، من جلدو من السماء.^{٢٥} وقلب تلك المدن والكاشحين فيها، والكسحل الممجط بها وكل سروجيات الأرض.^{٢٦} وقلبت زوجة لوط الكسولة خلفه وزادها، فتحولت إلى عمود من الملح.

^{٢٧} ونسى إبراهيم متكرراً في الصباح إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب.^{٢٨} وطلع نحو سدوم وعمورة ونظر أرض السهل، فأبصر المدخان يتصاعد منها كما لأتون.^{٢٩} وعكنا حينما تضر الله مدن السهل لذكر إبراهيم، فالخرج لوطاً قتل وقوع الكارثة حين قلب المدن التي قلن فيها لوط.

خطية ابني لوط

”وفاقر لوط وأبنتاه بعد ذلك سوجر، وانصرفوا في الجبل لأنه خاف أن ينكح في سوجر، فلجأ هو وأبنتاه إلى كهف هناك.^{٣١} فقلت الابنة الأكبر لأختها الصغيرة، «إن أبنا قد شاخ وليس في الأرض حولنا رجل نتزوجنا فحادي كل الناس.» فقضيت نسبيته خراً ونطسج نعه فلا تظنح ذرية أينا.^{٣٢} فسنقنا في تلك الليلة أياً خراً، وأقبلت الابنة الكبرى وضاجعت أبنا فلم تعلم باحجابها ولا بقيامها.^{٣٣} وفي اليوم التالي قلت الابنة الأكبر لأختها الصغيرة، «إني قد اضطجعت مع أبي ليلة أمس، فقضيت نسبيته الليلة أيضاً خراً ثم أدخلني واضطجعت نعه فلتخين من أينا نسلاً.»^{٣٤} فسنقنا أياً خراً في تلك الليلة أياً وأقبلت الابنة الصغيرة وضاجعت أبنا. فلم تعلم باحجابها ولا بقيامها.^{٣٥} وهكذا حفت الابنتان جثنا من لوطهما.^{٣٦} فولدت الكبرى ابناً دعة مواب (وتعنة من الأب)، وهو أبو الموابين إلى اليوم.^{٣٧} أما الصغرى فولدت ابناً دعة من عسي، (وتعنة من قومي) وهو أبو بني عمون إلى اليوم.

38 - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي﴾ [القمر: 33].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واقعة تاريخية هامة، تتمثل في تكذيب قوم لوط بجميع الإنذارات التي أُنذروا بها من قِبَلِ نبيه لوط ﷺ. لذلك أنزل الله - تعالى - بهم عقابه الذي استهانوا به حتى تعجلوا نزوله، وجاءهم على هيئة (الحاصب) وهو الريح الشديدة التي تثير الحصباء من فوق سطح الأرض لشدتها. وكانت هذه الريح الحاصب تحمل الحجارة التي وصفت في مقام آخر بوصف (السجيل المنضود) وهو الطين المحروق قذفوا به من السماء بصورة متتابعة حتى هلكوا. وبعد ذلك حمل جبريل ﷺ قري قوم لوط بعد هلاكهم وقلبها رأساً على عقب، حتى تبقى آية للمعتبرين من بعدهم. ونجى الله - تعالى - عبده لوطاً وأهله إلا امرأته، فقد قدر الله - تعالى - هلاكها لعدم إيمانها. وكان عقاب قوم لوط عقاباً على فسقهم وتكذيبهم لنبيهم، واستهانتهم بتحذيراته المتكررة لهم، كما كانت نجاة لوط وبنتيه من وسط هذا العذاب هو جزاء إيمانهم بربهم، ومداومتهم على شكر نعمه.

وتفصل الآيات القرآنية الكريمة في سورة «القمر» وفي غيرها من سور القرآن الكريم ما وقع بين تكذيب قوم لوط لنبيهم وبين نزول عذاب الله بهم. وفي ذلك تذكر الآيات أن لوطاً ﷺ أُنذر قومه عاقبة ولوغهم في معاصي الله، وإفسادهم في الأرض، وانحطاطهم في الأخلاق والسلوكيات إلى ما دون مستوى الحيوانات، وابتداعهم الشذوذ الجنسي حتى أشاعوا به، وكانوا أول من غاص في أحواله. فخالفوا بذلك الفطرة التي فطرهم الله - تعالى - عليها، وسئوا للبشرية خطلاً في السلوك يحملون وزره إلى اليوم، وحتى قيام الساعة. وكان من جرائم قوم لوط أنهم كذبوا نبيهم، وشككوا في تحذيره لهم من إمكانية نزول عقاب الله بهم، وارتابوا في كل ما قاله لهم، وأكثروا من الجدل معه دفاعاً عن مفسادهم، حتى بلغ بهم فجورهم واستهتارهم إلى حد مراودة لوط ﷺ عن ضيوفه من الملائكة، دون حياء أو خجل، يريدون فعل فواحشهم معهم، وقد ظنّوهم من البشر.

وحينئذٍ تتحرك الملائكة لأداء الواجب الذي كلفوا به، وجاءوا من أجله فقاموا بطمس أعين هؤلاء المعتدين بفقئها، حتى عادوا لا يرون شيئاً. فخرجوا من بيت عبد الله ونبيه لوطاً وهم يتدافعون ويتخبطون على غير هدى، يدوس بعضهم بعضاً في محاولة للهرب مما لم يتوقعوه من عقاب ثم يأتي أمر الله بنزول عذابه بهم، وهو - تعالى - يقول لهم: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٦﴾﴾ أي: فهذا هو عذابي الذي حذرکم نبيکم لوط منه فاستهترتم به، وهذه هي النذر التي أنذرکم بها، فلم تستمعوا لنصحه، واستهتتم بتحذيره لكم من سوء أعمالکم.

وكان ذلك كله في المساء وقوم لوط يتهمونه بأنه قد أتى بسحرة للقيام بطمس أعينهم حتى يصرفونهم عنه وعن ضيوفه، وتوعدوا لوطاً بالعقاب إذا أصبح الصبح. فلما علم لوط أن أضيافه من الملائكة، وأنهم أرسلوا من أجل القيام بإهلاك قومه لفسقهم ومبالغتهم في انحطاط السلوك والإفساد في الأرض، طالبهم بإهلاك قومه في الحال، فقال له جبريل ﷺ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، ثم أمره أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته، لأن الله - تعالى - قدر عليها العذاب. فلما كان السحر (أي قبيل الصبح) خرج لوط وأهل بيته (وهم امرأته وبناته)، فنزل عقاب الله بقرى سدوم وسكانها من قوم لوط، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نَعْمَةً مِنَّا عِنْدَئِكَ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْكُرُوءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾﴾

[القمر: 33 - 40].

(أ) عن تكذيب قوم لوط لإنذارات نبيهم:

يروى لنا القرآن الكريم أن عبد الله ونبيه لوطاً ﷺ بُعِثَ إلى أهل سدوم وما حولها من القرى التي عرفت فيما بعد باسم «قرى قوم لوط». وهذه القرى كانت مقامة في وادٍ إلى الجنوب من البحر الميت، وكان أهلها قد ساءت أخلاقهم

وسلوحياتهم إلى مستوى من التدني غير المسبوق في تاريخ البشر. فقد كان قوم لوط من أفجر الناس، وأكفرهم بالله، وأسوأهم طوية، وأرذئهم سريرة، ومن أخطهم سلوكاً وسيرة. كانوا يقطعون الطريق، ويأتون في ناديهم كل صور التبذل والانحطاط، ولا يتناهون عن منكر فعلوه. فكان قوم لوط قد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من الخلق، وهي المماثلة في العلاقات الجنسية التي لم يكن إنسان قد اقترفها من قبل، ولم يكن حيوان قد تدنى إليها بعد. فبعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه لوط ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بالله - تعالى - وحده، وبالتطهر من أرجاس سلوكياتهم المنحطة، وينهاهم عن كل من الفواحش والمنكرات والقبائح التي كانوا قد ابتدعوها، والآثام التي كانوا قد وقعوا فيها، والجرائم التي كانوا قد تعوّدوا على ارتكابها وعلى الإعلام بها، والمحارم التي كانوا قد تعدّوا عليها..، فلم يستمعوا لنصحه، ولم يستجيبوا لدعوته، بل همّوا بإخراجه من قراهم ونفيه بعيداً عنها. ولكن الله - تعالى - أخرجهم سالماً هو وبعض أهله، وأهلك قومه، بعد أن أذّلتهم إذلال الصاغرين المهانين.

وجاء في الأثر أن جبريل ﷺ حين خرج على قوم لوط، ضرب وجوههم بطرف جناحه فطمست أعينهم مما أجبرهم على الفرار وهم يتحسسون الطريق مع حيطان المباني، ويتوعدون عبد الله ونبيه لوطاً ﷺ بالويل والثبور وبعظائم الأمور.

(ب) من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الرواية القرآنية لقصة عبد الله ونبيه لوطاً ﷺ مع قومه:

جاء القرآن الكريم - على عادته - بقدر هائل من الدقة الفائقة التي عرض بها قصة عبد الله ونبيه لوطاً ﷺ مع قومه، وكان قد انقضى على وقوعها أكثر من ألفي سنة قبل ميلاد رسول الله ﷺ. وورود هذه القصة - وورود غيرها من قصص القرآن الكريم - في كتاب الله بهذه التفاصيل الدقيقة هو من المعجزات الإنبائية والتاريخية في هذا الكتاب العزيز. وإن قال قائل بأن القصة لها ذكر في كتب الأولين فهذا تأكيد على وحدة رسالة السماء، وإن كان الفارق بين رواية القرآن الكريم وما جاء

عنها في «العهد القديم» (سفر التكوين: 16/18 - 33، 19/1 - 38) يوضح الفارق بين كلام الله وكلام البشر، ومن ذلك ما يلي:

1 - الادعاء في «سفر التكوين» بأن عبد الله ونبيه لوطاً ﷺ قد عرض بنتيه على أهل قريته ليفعلوا فيهما الفاحشة، وهو أمر لا يليق برجل من عوام الناس، فضلاً عن نبي من أنبياء الله. والحقيقة أن «لوطاً» كان قد أرشد أهل قريته إلى غشيان نسائهم، وعبر عنهم بيناته، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد لجميع أبنائها وبناتها. ويدعم ذلك أنه عرض البنات بصيغة الجمع، ولم يكن عنده سوى بنتين فقط.

2 - زعم «العهد القديم» أن الملائكة كانوا اثنين وفي عنوان «الزوار الثلاثة» (سفر التكوين: 18) ما يكذب ذلك، وأنهم تناولوا طعام العشاء عند لوط ﷺ، ومن المعلوم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وأن الرب كان معهم، والبشر لا يرون الله في الحياة الدنيا، وأن لوطاً سجد بوجهه إلى الأرض، والسجود لا يكون إلا لله - تعالى - وحده، فماذا عن كل هذه التناقضات؟

3 - جاء في «العهد القديم» (تكوين/19) ما يقول: «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً...» والقرآن الكريم يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مِّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 82، 83].

(السجيل) هو الصلصال المحروق، القوي الشديد الصلادة، وهي لفظة فارسية معرّبة، و(منضود) أي متتابع في نزوله، و(مُسَوِّمَةٌ) أي مُعَلِّمَةٌ، بمعنى أنه مكتوب على كل حجر منها اسم الذي يهبط عليه ويدمغه بالقتل.

4 - كذلك جاء في سفر التكوين (14/19) «أن لوطاً خرج وكلم أصحابه الأخذيين بناته... فكان كمازح في أعين أصحابه». وقبل ذلك بأسطر قليلة (تكوين: 8/19) جاء قول لوط: يا إخوتي! هو ذا لي ابنتان لم تعرفا

رجلاً أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم»، فمن أين جاؤوا له بأصهار؟

5 - جاء في «سفر التكوين» أن امرأة لوط نظرت من ورائها فصارت عمود ملح...!! والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: 81].

6 - وجاء في «العهد القديم» (سفر التكوين: 19/30 - 38) ما يدعي أن ابنتي لوط ﷺ سقتاه الخمر، وفعلتا الفاحشة معه، وهو تصرف لا يليق بأحط العوام من حثالات البشر، فما بالكم بنبي من أنبياء الله!!!.

ومن ذلك وغيره يتضح لكل ذي بصيرة مدى التحريف الذي تعرض له «سفر التكوين» حتى أخرجته عن إطاره الرباني، كما يتضح فساد الادعاء الباطل بأن القصص القرآني مأخوذ عن «العهد القديم» وهو ادعاء لا سند له على الإطلاق، ولا حجة تدعمه.

(ج) من أوجه الإعجاز العلمي في الرواية القرآنية لقصة عبد الله ونبيه لوط ﷺ:

1 - استنكار المماثلة في العلاقات الجنسية لأنه شذوذ عن الفطرة، وانحراف عنها، وانحطاط بالإنسان إلى ما دون الحيوانية. وقد أثبت التاريخ أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع هذا الانحراف عن الفطرة السوية. وقد أثبتت دراسات كل من الطب، والطب النفسي، والاجتماع، خطورة الشذوذ الجنسي على الصحة والحالة النفسية لكل من الفرد، والأسرة، والمجتمع، ولذلك روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽¹⁾.

2 - لا بدّ من دراسة تتابع طبقات الصخور في منطقة جنوب البحر الميت لإثبات أنها مقلوبة رأساً على عقب حسب ما جاء في النص القرآني الذي يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا

(1) أخرجه أبو داود حديث رقم (4462)، والترمذي حديث رقم (1455).

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ [هود: 82].

3 - جاء في سورة «العنكبوت» قول الحق - تبارك اسمه -: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَكُمۥ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: 35].

وجاء في سورة «الذاريات» قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَرَكَّابًا فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: 37].

ومنطقة «قرى قوم لوط» مليئة بالآثار الدالة على ما وقع بهؤلاء الكافرين من العذاب الذي أنزله عليهم رب العالمين، والكشف عن تلك الآثار بدراسة منهجية دقيقة يقدم ورقة دعوة للإسلام بلغة العلم، وهي اللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا.

من هنا جاء التأكيد القرآني بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ﴿٢٣﴾﴾ [القمر: 33]، وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله والذي فيه من الحق ما يلي:

1 - التأكيد التاريخي للواقعة، وكان قد انقضى على وقوعها أكثر من ألفي عام قبل ميلاد المصطفى ﷺ.

2 - إثبات تدمير قرى قوم لوط بجعل عاليها سافلها.

3 - تحريم عملية المماثلة في العلاقات الجنسية تحريماً قاطعاً لأضرارها الصحية والنفسية على الناس (أفراداً ومجتمعات) مما دفع بعدد من أئمة المسلمين من أمثال الشافعي وأحمد بن حنبل إلى مطالبة حكام المسلمين بقتل الشاذ جنسياً استناداً إلى حديث رسول الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»⁽¹⁾.

ولا يمكن الحد من فوضى الشذوذ الجنسي الذي يجتاح عالم اليوم إلا

(1) تقدم تخريجه.

بتطبيق هذا الحد، بعد أن استمرراً كثير من الشواذ هذا السلوك المهدر لإنسانية الإنسان، والمضيّع لكرامته. خاصة وأن أعداداً من الحكومات المعاصرة قد بدأت في التشريع له، والدفاع عنه، والتشجيع عليه، بدعوى باطلة بأنه أمر وراثي، لا حيلة للمبتلى به فيه، أي: أنه مدوّن في الشيفرة الوراثية للشواذ وهذا الغرض الخاطئ قدمه شياطين الإنس ليجدوا تبريراً لهذا السلوك الشائن. ولكن الدراسات العلمية تؤكد أنه عادة مكتسبة بانحطاط السلوك تحت غواية الشيطان، والأمور المكتسبة لا تورث، ولا علاقة لها بالشيفرة الوراثية. ويؤكد ذلك أن قوم لوط كانوا هم أول من ابتدع الشذوذ الجنسي، وأن البشرية عاشت من قبلهم آفاقاً من السنين دون الوقوع في أحوال هذه الفاحشة الشنعاء. وعلى ذلك فإن قوم لوط يحملون وزر الشرك بالله، والانحراف عن الفطرة السوية، وابتداع الشذوذ الجنسي، كما يحملون وزر كل من وقع فيه من بعدهم.

وقد ترك ربنا - تبارك وتعالى - آثار تدمير قرى قوم لوط عبرة لكل من سولت له نفسه الخروج على الفطرة السوية التي فطره الله عليها، كما جعلها عظة لكل من خاف عذاب الآخرة، وخشي الرحمن بالغيب، وخاف مقام ربه فنهى النفس عن الهوى، ولذلك قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الصافات: 137، 138].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الصافات: 137، 138].

39 - ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ

أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الأعراف: 80]

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل حقيقة تاريخية مؤداها أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي الذي غرقوا في أحواله إلى آذانهم حتى استحقوا العقاب العادل من رب العالمين باستئصالهم من على وجه الأرض.

ولم يذكر أي من «العهدين القديم أو الجديد» تلك الحقيقة، وإن أشار «العهد القديم» إلى مظالم وخطايا أهل سدوم وعمورة دون تفصيل، وذكر محاولتهم للاعتداء الجنسي على ضيوف لوط. ومن هنا تعتبر هذه الآية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. والآية جاءت إخباراً بتلك الحقيقة التي لم يكن يعلم بها أحد من أهل مكة في زمن الوحي. ومن معاني هذه الآية الكريمة، والخطاب فيها موجّه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: أتذكر يا محمد قول لوط ﷺ لأهل سدوم - على سبيل الإنكار والتوبيخ -: أتقعون في تلك الخطيئة الشنعاء، والفاحشة المتناهية في القبح، والتي ابتدعتها أنتم، وما عملها أحد من قبلكم، في أي زمن من الأزمان السابقة عليكم، ألا وهي الشذوذ الجنسي!!؟ والفاحشة هنا جاءت معرفة للتأكيد على قبحها البالغ، وذلك بخلاف الزنا الذي مع تحريمه جاء وصف فحشه بغير تعريف وذلك في قول ربنا - تبارك وتعالى - ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ [الإسراء: 32].

والجملة المنفية ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ تسجل أن قوم لوط كانوا أول من فعل تلك الفعلة الشنيعة القبيحة، وأنهم كانوا مبتكريها. ويؤكد ذلك قول ربنا - تبارك اسمه - ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ حيث زيدت ﴿مِنْ﴾ لتأكيد نفي الجنس، والجملة تؤكد أن هذه الجريمة البالغة في القبح، والمغالية في إهدارها لكل معاني المروءة، والرجولة ومكارم الأخلاق، وفي هدمها لكل

موجبات الكرامة لم يرتكبها أي من الجن أو الإنس قبل قوم لوط، فكان في ارتكابهم لها ابتداءً ما يُجسّد صورة من صور الانحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله خلقه عليها. فقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن يخلق كل شيء في الوجود في زوجية واضحة أو مستترة (وذلك من اللبنة الأولى للمادة إلى الإنسان) حتى يبقى ربنا - تبارك وتعالى - متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ومنزهاً عن صفات المخلوقين جميعاً. وكان من ذلك خلق الإنسان: ذكراً وأنثى، كي يتم التزاوج بينهما. لذلك بنى الخالق ﷻ أجساد كل من الذكور والإناث بصورة صالحة لإتمام تلك العملية التي تعمر بها الحياة على سطح كوكبنا الأرض، وجعل بين الجنسين من صور التكامل العاطفي والنفسي والعقلي والجسدي ما يعين على استمرار الحياة البشرية إلى أن يشاء الله. وجعل ربنا - تبارك وتعالى - من الرغبة والمتعة التي ينالها كل من الجنسين بهذا التكامل، أمراً فطرياً في كل منهما حتى تتحقق مشيئة الله الخالق في امتداد الحياة على الأرض إلى قيام الساعة. ثم يكون في هذا الميل الفطري بين الذكر والأنثى، والتكامل الطبيعي الذي يجمع بينهما برباط الزواج، ومتعة أنس كل منهما بالآخر في بيت الزوجية، ما يعين على مواجهة مسؤوليات ومتاعب الإنجاب، وتكاليف الذرية من نفقة، وتربية، ورعاية، وكفالة، وغير ذلك من متطلبات الحياة. كما جعل الخالق ﷻ في هذا التكامل والترابط الفطري ما يضمن قيام الحياة الزوجية على أسس من المودة والرحمة. كما يضمن قيام الزوجين بتحمل تكاليف تربية الأبناء ورعايتهم حتى ينشأوا والتنشئة الصحيحة. وهذه هي الفطرة التي فطر الله - تعالى - جميع خلقه عليها، وألزم غير المكلفين إلزاماً فطرياً بها، وترك الإنسان، ذلك المخلوق العاقل، المكرم، المكلف، صاحب الإرادة الحرة، لاختياره، فإن اختار الفطرة سعد في الدنيا، ونجا في الآخرة، وإن خرج عن الفطرة شقي في الدنيا، وهلك في الآخرة.

وكان قوم لوط كما أسلفنا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي، وهو من أشنع صور الانحراف عن الفطرة، لآثاره الصحية، والنفسية، والاجتماعية المدمرة

للإنسان، والمجردة له عن دوره المنوط به في هذه الحياة الدنيا، والمسقطه عنه كل صفات الرجولة، والمروءة، وموجبات الاحترام والتكريم، وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا جَنَّتُهُ وَاهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْعَذِيبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

[الأعراف: 80 - 84].

والإسراف الذي يصفهم به نبيهم لوط عليه السلام هو المبالغة في تجاوز الحدود الفطرية التي وضعها الخالق العظيم للإنسان، وفي إهدار المخزون البشري من خلايا التناسل في شهوة شاذة صورها لهم الشيطان، حيث لا طائل من ورائها، ولا فائدة تجنى من بعدها إلا دمار الصحة، وإهدار الكرامة، وضياع الأخلاق، والولوغ في المفاسد والقاذورات وذلك بوضع هذه الشهوة في غير محلها الطبيعي الذي حدده لها الله وجعل المتعة الحقيقية في تحقيق ما فطر خلقه عليه. ولكن إذا انحرف مخلوق مكلف عن حدود الفطرة صور له الشيطان أن في ذلك شيئاً من المتعة، وهي متعة زائفة، هدفها تدمير الإنسان فرداً، وأسرةً، ومجتمعاً، وخراب الأرض من تحت أقدامه، وذلك بمخالفة السنن التي وضعها الله - تعالى - لإعمارها بالمستخلفين من بني آدم.

ويتجلى صلف قوم لوط، وانعدام المروءة في رجالهم، وانحطاط الأخلاق والسلوكيات بينهم أنهم كانوا يجاهرون بمعصية الشذوذ الجنسي ويعلنون بها في غير حياء ولا خجل. وعندما لامهم عبد الله ونبيه لوط على ذلك طالبوه بإنزال عذاب الله الذي أندرهم به، في سخرية واستهزاء واضحين. ثم طالبوا بإخراج كل من لوط وأهله من قريتهم بدعوى أنهم أناس يتطهرون. وهنا تتضح صورة أخرى من صور انحراف الفطرة حيث تنقلب الموازين، فيصبح التطهر عيباً، يستوجب إخراج الإنسان من أرضه، بينما يصبح الولوغ في أقذر النجاسات أمراً ممدوحاً،

كما يصبح الذكران أهدافاً جنسية مرغوبة من أمثالهم بدلاً من الإناث!! ويصبح الحياء عيباً، بينما تصبح المجاهرة بالشذوذ الجنسي أمراً مقبولاً يتباهى به!! وهنا تتدخل الإرادة الإلهية بإنجاء لوط وأهله إلا امرأته، وإهلاك قوم لوط بعذاب بييس لم تشهد أمة من قبل ولا من بعد.

وهنا يتضح أيضاً أن من أمور الفطرة ضرورة الفصل بين بني آدم على أساس من العقيدة والمنهج، لا على أساس من علاقات الدم والعرق والنسب. فهذه امرأة عبد الله ونبيه لوط - وهي من المفروض أن تكون ألصق أفراد أسرته به - نراها تهلك مع الهالكين من قومه الفاسدين، بأمر من رب العالمين، وذلك لأنها كانت قد جعلت من صلتها بقومها، على الرغم من سوء سلوكهم - أمراً يعلو فوق صلتها بزوجها، فأهلكها الله - تعالى - مع الهالكين.

وبعث عبد الله ونبيه لوط في زمن أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، وكان ابناً لأحد إخوانه كما جاءت به الروايات، وكانا قد خرجا من أرض بابل اعتزلاً لقومهما الذين رفضوا التوحيد الخالص لله - تعالى - وأصروا على عبادة الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب، فنزل إبراهيم في أرض فلسطين، ونزل لوط في المنطقة إلى الجنوب من البحر الميت، لأن الله - تعالى - بعثه إلى أهلها، وكانوا قد كفروا بالله - تعالى - وانحرفوا عن الفطرة التي فطر الله خلقه عليها، وبالغوا في فحشهم إلى حد ابتداع الشذوذ الجنسي، ولم يكن قد سبقهم إليه أحد من الخلق، ولذلك قال فيهم ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: 80].

وجاء على لسان عبد الله ونبيه لوط ﷺ قوله لقومه: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَفَنَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: 29].

وتؤكد الآيات القرآنية العديدة التي عرضت قصة عبد الله ونبيه لوط مع قومه أن الانحراف عن الفطرة السوية ناتج عن الانحراف عن الدين الذي أنزله الله

- تعالى - هداية لخلقه وتحديداً لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله
 - تعالى - مطالباً بعبادة خالقه بما أمر، كما هو مطالب بالالتزام بمكارم الأخلاق
 حتى يرقى بنفسه في معارج الله إلى مقامات التكريم التي رفعه إليها الله. والإنسان
 مطالب أيضاً بحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارته وإقامة
 شرع الله وعدله في ربوعها، وهو المخلوق العاقل، المكرم، المكلف، ذو الإرادة
 الحرة. وكلما التزم الإنسان بأوامر ربه ارتقى في معارج الله حتى يصل إلى منازل
 من التكريم لا يرقى إليها أحد من الخلق سواه. وعلى النقيض من ذلك، فإن
 الإنسان كلما خرج عن أوامر ربه انحط إلى ما دون الحيوان الأعجم من
 مستويات، وذلك لأن الحيوان يلتزم بالفطرة التي فطره خالقه عليها، وخروج
 الإنسان عن الفطرة إهدار كامل لكرامته وإنسانيته.

ومن هنا كان خروج قوم لوط عن الإيمان بالله خروجاً عن الفطرة، وقد دفعهم
 هذا الخروج عن الفطرة إلى الانحطاط بآدميتهم إلى حد ابتداء الشذوذ الجنسي،
 والتبذل في الإعلام به، والتعدي به على كل من أبناء السبيل، وزوار بلدهم. وكان
 قوم لوط يأتون بالمنكر في نواحيهم، وعلى قارعة الطريق، وكانوا يقذفون المارين
 بهم بالحجارة، ويسخرون من كل من يستنكر انحطاطهم إلى الحد الذي أيأس
 عبد الله ونبيه لوطاً من إمكان إصلاحهم، ودفعه إلى الإعلان بأنه يشهد بأن قريتهم
 لهي شر قرية في الأرض، وأنه لا يعلم على وجه الأرض أناساً أحبث منهم.
 فقلب الله - تعالى - قراهم رأساً على عقب بعد أن أمر لوطاً بالخروج منها ليلاً مع
 أهله، وأمرهم بالألّا يلتفت منهم أحد، فالتفت امرأته فأصابها ما أصابهم، ولذلك
 سميت قراهم بالمؤتفكات (أي: المنقلبات)، وقال فيهم الله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَ
 أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ
 رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

[هود: 82، 83].

وهذا العقاب الشديد الذي أنزله الله - تعالى - بقوم لوط كان جزاءً وفاقاً لهم
 لأنهم كانوا في زمانهم أفجر الناس وأكفرهم بالله، وأسوأهم طوية، وأردأهم سيرة

وسريرة، فبعث الله - تعالى - إليهم نبيه لوطاً يدعوهم للعودة إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وإلى الارتقاء بسلوكياتهم إلى مستوى الفطرة التي فطر الله عباده عليها، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق التي تليق بكرامة الإنسان، ونهاهم عن المحرمات والفواحش والمنكرات التي أغواهم الشيطان بالوقوع فيها حتى غرقوا إلى أذانهم في أحوالها. لم يستجب قوم لوط لنصح نبيهم، وتمادوا في ضلالهم وفسادهم وخبثهم وفجورهم وفحشهم حتى هموا بإخراج عبد الله ونبيه لوطاً من بين ظهرانيهم، فأنزل الله - تعالى - بهم من ألوان العقاب ما جعلهم عبرة لغيرهم على مر التاريخ، وذلك بعد أن تحدوا نبي الله لوطاً وطلبوا منه إنزال ما حذرهم به من العذاب وذلك بقولهم:

﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29].

وعندئذ دعا عليهم نبي الله لوطاً، وسأل ربه أن ينصره على القوم المفسدين، فنزل بهم من ألوان العذاب ما لم ينزل بأمة من الأمم الكافرة من قبل ولا من بعد. وذلك لأنهم حاولوا الاعتداء على ضيوف بينهم من الملائكة، فنصحهم لوط بغشيان، نسائهم (وهن بناته مجازاً لأن النبي لأمة بمنزل الوالد لجميع أبنائها وبناتها)، فأفصحوا عن سوء نياتهم بما يخططونه للاعتداء الجنسي على ضيوفه من الملائكة الذين طمأنوه بقولهم له: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [٨١]

[هود: 81].

فطمس الله أعين هؤلاء الفاسقين، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود (أي: متتابع في النزول)، ثم قلب قراهم رأساً على عقب.

وخرجت امرأة لوط مع بنتيها وزوجها، ولكنها عندما سمعت الصيحة، ورأت تدمير قرى قوم لوط خالفت أمر الله والتفتت تجاه الديار قائلة: واقوماه! فسقط عليها حجر قضى عليها، إذ خانت زوجها بقيامها بدور العين لقومها عليه وعلى ضيفانه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ

وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

[التحریم: 10].

والخيانة هنا هي خيانة الدين الذي لم تتبعه أي منهما، لأن الله - تعالى - لم يقدر على نبي من أنبيائه أن تكون امرأته من البغاة.

وقد شدد الإسلام العظيم في عقاب جريمتي الزنا والشذوذ الجنسي، ولذلك قال - تعالى -: ﴿الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

[النور: 3].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽¹⁾.

ولا تزال آثار العقاب الإلهي الذي نزل بقوم لوط باقية إلى يومنا هذا، وعلى علماء المسلمين أن يعيدوا دراسة المنطقة إلى جنوب البحر الميت من جديد ليثبتوا ما ذكره القرآن الكريم من قلب الأرض رأساً على عقب، ومن آثار السجيل المنضود، وذلك تحقيقاً لقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

[الذاريات: 37].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في رواية القرآن الكريم لقصة لوط ﷺ:

عاش عبد الله ونبيه لوط ﷺ في الألفية الثانية قبل الميلاد، بينما بعث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في مطلع القرن السابع الميلادي، وبعث في زمن كان أهل الأرض جميعاً قد فقدوا الصلة بوحى السماء، وابتدعوا في الدين ما ابتدعوا، وحرّفوا ما حرّفوا، وزوّروا ما زوّروا. ثم نزل القرآن الكريم بقصص عدد من أنبياء الله الذين كان منهم عبد الله ونبيه لوط ﷺ، وجاءت قصته مع قومه بهذا التفصيل الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد

(1) تقدم تخريجه.

لسيدنا محمد ﷺ بالنبوة وبالرسالة. وجاءت القصة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، لأن أحداً من أهل مكة لم يكن يذكر شيئاً عن تلك الواقعة، ولم يكن أحد من أهل الأرض يعلم أن قوم لوط كانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي ومارسوه وأعلموا به فعاقبهم الله - تعالى - بالاستئصال الكامل من فوق سطح الأرض.

40 - ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَدِكُمُ الْمُكْرَبِ﴾ [العنكبوت: 29].

هذا النص القرآني الكريم يسجل حقيقة تاريخية لا يعرفها كثير من الناس، ومؤداها أن قوم لوط كانوا قد سمحوا للشيطان أن يستذلهم حتى استشرى الفساد في مجتمعهم بكل أشكاله وألوانه، وبصورة لم يسبق لها مثل في تاريخ بني آدم. فمن انحطاطهم الأخلاقي والسلوكي، كان قوم لوط أول من ابتدع الشذوذ الجنسي الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين. وهذا الشذوذ - كان ولا يزال - يعتبر من أفحش الفواحش السلوكية التي تنحط بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوانية. ومع قذارة تلك الفاحشة، وانحرافها عن الفطرة السوية التي فطر الله - تعالى - خلقه عليها، ومع انتزاعها من فاعليها لكل مقومات الحياء، ومؤهلات الرجولة والمروءة، وموجبات التكريم الذي رفع الله - تعالى - الإنسان إليه، فإن قوم لوط لم يكتفوا بالوقوع في أحوالها، بل أعلنوا بها. فكانوا يفعلونها بصورة جماعية علناً، جهاراً، نهاراً، في منندياتهم ومجالسهم العامة، بلا أدنى قدر من الحياء أو الخجل، فأضافوا إلى قبح السلوك الفاحش، فجر الإعلام الخالي من الحياء، والإعلان به، وإظهاره على الملأ من الناس، يرى بعضهم بعضاً في عمل بلغ من الانحطاط أن الحيوانات لا تفعله. وكانوا يرمون بالحصى كل من يمر بهم، وهم في تلك الأوضاع المشينة التي استذلهم الشيطان بالوقوع فيها. وكانوا يكشفون عن عوراتهم وسوءاتهم بلا حياء ولا خجل، مع الفحش في الكلام، والغناء بالمرذول من الألفاظ، والرقص والصفير في عري أو شبه عري كامل، والمزاح بالمكشوف من الكلمات التي لا يجوز أن تقال. ولما بلغوا من الانحراف مبلغه بعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه لوطاً لاستفادهم مما كانوا قد انهاروا إليه من فحش في السلوك، وفساد في الاعتقاد، وضياع للأخلاق، وانحطاط عن مستوى الحيوان، فرفضوا دعوته، وكذبوا نبوته، وسخروا منه باستعجال نزول عذاب الله بهم، ثم هددوه بالطرد من قريتهم.

وظل لوط ﷺ ثابتاً على دعوته لهم، مكرراً تحذيره من نزول سخط الله عليهم، إلا أن جوابهم كان يأتي في سخرية واستهزاء قائلين: (ائتنا بعذاب الله) وهو كفر واضح، وتحدي سافر لنبي من أنبياء الله.

وبالرغم من ذلك استمر لوط ﷺ في إلحاحه عليهم بضرورة الاستقامة على منهج الله الذي يحرم كل أشكال الخروج عن الفطرة، (ومن ذلك تحريم الشذوذ الجنسي)، والتطهر من جميع أرجاسه وأنجاسه وأوساخه، والارتقاء إلى مقامات التكريم التي كرم الله - تعالى - بني آدم بها. كما دعاهم إلى ضرورة الخضوع لله الخالق بالعبادة والطاعة، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، واحترام آدمية الإنسان، والمحافظة على كرامته. ولكن قوم لوط لم يقبلوا نصائح نبيهم وقد صاروا مستعبدين من قبل الشيطان استعباداً كاملاً فقالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56].

ولما يئس عبد الله ونبيه لوطاً من إمكانية هداية قومه، وعانى من تطاولهم، وفسقهم، وفجورهم، وتبجحهم بالمعاصي المعلنه، ورفضهم هداية الله لهم طلب النصره عليهم من رب العالمين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 30].

أي: يا رب أهلكهم وانصرنى عليهم، فإنهم قد بلغوا من سفاهتهم، وإفسادهم في الأرض ما لم يبلغه قوم من بني آدم قبلهم. ويا رب! إنني وصلت إلى القناعة التامة بأنهم أصبحوا لا يرجى منهم أي قدر من الإصلاح، وقد غرقوا إلى آذانهم في أحوال الكفر والشرك والضلال، وبالغوا في الإفساد في الأرض، وفي التحلل من كل قيمة إنسانية كريمة، وفي الانخلاع التام من كل الضوابط الفطرية التي أودعها الله - تعالى - في خلقه حتى أصبحوا مسخاً للإنسان. ويا رب! لقد أصبح إفناء هؤلاء الفساق خيراً من وجودهم على ظهر الأرض، لأن شرورهم لم تقتصر على إهدار كرامة الإنسان في أشخاصهم، بل امتد إلى غيرهم من بني آدم، فقد كانوا يقطعون السبيل، ويروعون المارة بقراهم، وينهبون

أموالهم، ويتهددونهم في أعراضهم كرهاً وعدواناً، وإفساداً في الأرض. وهنا يستجيب الله - تعالى - لدعاء عبده ونبيه لوطاً، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَوَاءً بِهِمْ مَضَافٌ بِهِمْ ذَرْبًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُزَلِّمُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[العنكبوت: 31 - 35].

وكان ذلك هو جزاء التبجح في اعتراف الرذائل، والإعلان بها، في سفور لا يعرف الحياء ولا التحرج من فعلها. وكان في ذلك أيضاً عقاباً للانحدار بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوان بالخروج عن الفطرة التي فطر الله - تعالى - خلقه عليها، وعقاباً لتكذيب نبي من أنبياء الله، والتطاول على هدايته، والاستهتار بما كان يحمل لهم من بشارة وإنذار، لعل أن يكون في ذلك عبرة لمن يأتي بعدهم من الأمم، فلا يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء السفهاء من قوم لوط.

عرضت سورة «العنكبوت» لقصص عدد من أنبياء الله ورسله، وخصص نفر من الشخصيات والأمم الطاغية المتجبرة وكيف أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، ومن ذلك ما جاء في الآية التاسعة والعشرين من إنكار لكل خروج عن الفطرة ولكل صورة من صور الإعلان بالفواحش في المجتمعات الإنسانية، وفي مقدمة تلك المنكرات جريمة الشذوذ الجنسي التي ابتدعها العصاة من قوم عبد الله ونبيه لوط عليه السلام، ثم أشعلها الشيطان في مختلف المجتمعات الإنسانية حتى أصبحت اليوم كالنار في الهشيم. ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة يتضح بجلاء أن الكافرين من قوم لوط كانوا أول من ابتدع فاحشة الانحراف الجنسي بين الذكور من بني آدم والمعروفة باسم (اللواط)، أما الانحراف الجنسي بين الإناث فغير معروف من الذي ابتدعه من الأمم، فقد يكونون هم قوم لوط كما قد يكون غيرهم من الأمم.

ومرور عشرات الآلاف من السنين على بني آدم من قبل زمن قوم لوط دون أن تظهر بينهم هذه الفواحش التي تنحط بالإنسان إلى ما دون مستوى الحيوان ينفي تمام النفي الادعاء الباطل بأنها من الصفات الموروثة، ويؤكد أنه انحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله - تعالى - الناس عليها، اقترفه قوم لوط بإرادتهم الشريرة استجابة لغواية الشيطان. وانطلاقاً من ذلك فلا يمكن الاحتجاج بأن الوقوع في اقتراف هذه الجريمة يعود إلى شيء من الاضطراب الوراثي، أو الاضطراب في الغدد أو في إفراز الهرمونات الجنسية لأن كل هذه المبررات التي يقدمها الآثمون من شواذ اليوم لم تثبت علمياً.

ويصف النص القرآني الكريم (الوقوع في جريمة الشذوذ الجنسي بوصف (المنكر) وهو واحد (المناكير) أي كل ما أنكرته الفطرة السليمة ومجته، وحكمت العقول الصحيحة بقبحه. وأنكره كل من القلب، واللسان، ولذلك حرّمته الشريعة المنزلة لخطره على حياة الإنسان وعلى نفسيته وعلى احترامه لذاته واحترام الآخرين له، وعلى المجتمعات الإنسانية بأكملها.

والقرآن الكريم سمي هذا (المنكر) في مقام آخر باسم (الفاحشة)، و(الفحش) هو كل شيء جاوز حده. وألفاظ (الفحش) و(الفحشاء)، و(الفاحشة) تصف كل ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، ولذلك يعبر بها عن جريمة (الزنا) كما يعبر بها عن جريمة الشذوذ الجنسي التي وصف القرآن الكريم الواقعين فيها في مقام آخر بوصف (الظالمين). والظالمون هم المتجاوزون حدود الإنصاف بوضع الشيء في غير موضعه. كما وصفهم كتاب الله العظيم بوصف (المجرمين) أي المذنبين، لأن (الجرم) و(الجريمة) هو الذنب أو الاكتساب المكروه؛ وبوصف (المفسدين) وهو عكس المصلحين، وبوصف (المسرفين) أي المتجاوزين الحد في أمورهم، ووصف عملهم بـ(الفسق) وهو الخروج عن الشرع.

وكل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد حرّمًا الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله وألوانه وصوره تحريماً قاطعاً، فهذا رسول الله ﷺ يلعن الواقع في

هذه الجريمة النكراء ثلاث مرات فيقول: «لعن الله مَن عمل عمل قوم لوط، ولعن الله مَن عمل عمل قوم لوط، ولعن الله مَن عمل عمل قوم لوط، ولعن الله مَن عمل عمل قوم لوط»⁽¹⁾.

و(اللعن) هو الطرد من رحمة الله، ومسكين ذلك المطرود من رحمة الله حتى يتوب ويعود إلى رحاب رحمته ﷻ، ولذلك قال المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه -: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽²⁾.

وواضح الأمر أن جريمة الشذوذ الجنسي أصبحت اليوم أشد خطراً على المجتمعات الإنسانية من جريمة الزنا - على قبحها - لأن الشذوذ محرم عقلاً وطبعاً وشرعاً، وحرمة لا تزول أبداً، ولذلك فكل من يبيحه يعتبر مرتدأ عن شرع الله، واقعاً في حد من أخطر حدوده. وقد انتشر الشذوذ الجنسي في عالم اليوم انتشار النار في الهشيم حتى ليقدر عدد الشواذ من الجنسين اليوم في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية بنحو (10%) من مجموع تعداد السكان البالغ ما يزيد على الثلاثمائة مليون نسمة [وإن حاولت الجهات الرسمية إنكار هذه النسبة العالية وإنقاصها إلى نحو (2.3%) فقط] مع الاعتراف بأن هذه هي نسبة الذين يعلنون عن أنفسهم بذلك، وأن الغالبية العظمى من الشواذ لا يستطيعون الإعلان عن أنفسهم لما في ذلك من فضيحة لهم ولذويهم.

وهذه النسب التي تصل إلى أكثر من ثلاثين مليون شاذ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، يعلن عن نفسه من بينهم أربعة ملايين من الشواذ الذكور، ومليونين من الشواذ الإناث. وقد تضاعفت هذه النسب اليوم أضعافاً كثيرة، خاصة بعد رفع الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقلية في سنة 1970م. كما يتضح من عدد من الدراسات المنشورة من مثل دراسة ألفرد كينساي (Alfred Kinsay) التي جاءت فيها المعلومات التالية:

(1) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (2913).

(2) تقدم تخريجه سابقاً، وهو ضعيف.

1 - أن 10% من مجموع الذكور البيض الذين تتراوح أعمارهم بين (16، 55 سنة) كانوا شواذاً جنسياً طوال الثلاث سنوات السابقة للدراسة والتي غطت الفترة من أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

2 - أن نحو 5% من مجموع الإناث البيض اعترفوا اعترافاً علنياً بأنهن شواذ جنسياً.

3 - أن 50% فقط من الذكور أعلنوا أنهم لم يمارسوا الشذوذ الجنسي ولا يجدون في أنفسهم ميلاً إليه.

وفي دراسة أخرى بعنوان الشذوذ الجنسي وابتزاز الأطفال جنسياً، لمؤلفها ت.ج. ديلي [Timothy J. Dailey (2005): «Homosexuality and Child Sexual Abuse», Issue No: 247] ذكر واضح الدراسة أن نسبة الشواذ جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية تتراوح بين 1%، 3% من مجموع تعداد السكان المقدر بنحو (260) مليون نسمة في منتصف التسعينيات من القرن العشرين. ومن هذه الأعداد بلغت نسبة الشواذ 46% من الذكور، 22% من الإناث الذين تعرضوا لتحرش جنسي شاذ أثناء طفولتهم، في مقابل 7% فقط من غير الشواذ الذكور، 1% فقط من الإناث غير الشاذات.

والشيوع المذهل لذلك السلوك المنحرف جعل الشذوذ الجنسي أمراً مقبولاً اليوم في معظم الدول الغربية كنظام بديل للحياة العادية، إذا كان بين البالغين، ووقع بدون إكراه. لذلك تعترف به الحكومات، وتشرع له الدساتير، وتحميه القوانين، وترحب به الكنائس التي أقرت بزواج الأمثال فيها، وصرحت لهم بالتبني. وتنفق الدول الغربية إعانات مالية على الشواذ جنسياً في حالات البطالة أو العجز عن العمل، وتسمح بقيام آلاف الجمعيات والمنظمات التي ترعى شؤونهم، وتحمل قضاياهم. كذلك خصص العديد من الجامعات الغربية منحاً دراسية للشواذ جنسياً من كل من الذكور والإناث تشجيعاً لهذا الانحراف المهين لكرامة الإنسان.

وتبقى الفطرة السليمة في بعض الأفراد الذين حرّموا على أبنائهم وبناتهم

الذهاب إلى المدارس صوتاً لهم من الوقوع في مثل هذه الرذائل من أقرانهم أو معلمهم أو حتى من الإداريين في المدارس، وفضلوا تعليمهم في البيوت إلى أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم.

وينتشر الشذوذ الجنسي بين الرهبان والراهبات وغيرهم من الذكور والإناث المنخرطين في أديان لا تسمح لهم بالزواج، وبين المسجونين والمسجونات، وبين كل من البحارة والكشافة عند فقدان الجنس الآخر، وانعدام التربية الصحيحة.

من الإعجاز القرآني في وصف الشذوذ الجنسي بوصف المنكر:

إن الوصف القرآني للشذوذ الجنسي بأنه منكر، وبأنه فاحشة من الفواحش، ووصف الواقعيين فيه بالمجرمين والفاسقين، وبالظالمين، والمسرفين، والمفسدين يدل على مدى خطر هذا السلوك البشع على المجتمعات الإنسانية أفراداً وجماعات. وهذا ما أثبتته جميع الدراسات المكتسبة والتي تلخص أضرار هذه الجريمة النكراء فيما يلي:

أولاً: من الأضرار الصحية للشذوذ الجنسي:

يؤدي الشذوذ الجنسي إلى الإصابة بكل الأمراض التي تصيب الزناة، وبغيرها من الأمراض التي يصعب علاجها، بل يستحيل في كثير منها، حتى يفضي إلى الموت، بعد معاناة طويلة وتشوهات خلقية عديدة، وآلام مبرحة. وأكتفي هنا بالنتائج المعلنة التالية والمأخوذة عن بحث للدكتور فرانك جوزيف والمعنون: الشذوذ الجنسي ورجال الكنيسة.

Joseph, Frank (2000-2003): «Homosexuality and the Clergy.

Every one Should Know these Statistics on Homosexuals»; International Organization of Heterosexual Rights.

وعلى كل فرد أن يعلم بهذه الإحصائيات عن الشواذ جنسياً:

1 - إن الشواذ جنسياً يمثلون (60%) من مرضى المرض الجنسي المعروف باسم

«الإفرنجي» أو «الزهري» (Syphilis)، (3 - 4%) من مرضى السيلان؛ (Gonorrhea)، (17%) من داخلي المستشفيات، هذا عدا الذين يلجأون للأطباء النفسيين.

2 - إن الشواذ جنسياً يحيون حياة غير صحية، ولذلك يمثلون غالبية المصابين بأمراض الجنسية الخطيرة وغيرها من أمراض الجسد من مثل الوباء الكبدي - (Hepatitis-B) الذي يحمل الشواذ نسباً تتراوح بين (26)، (80%) من مرضاه، ومرض متلازمة إمعاء الشواذ (The Gay Bowel Syndrome) الذي يهاجم الأمعاء ويؤدي إلى إصابتها بإصابات خطيرة، وأمراض كل من السل (Tuberculosis) والحمى المضخمة للخلايا (Cytomegalo virus)، وأمراض نقص المناعة مثل مرض الإيدز (AIDS) الذي لم ينتشر في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية إلا عن طريق الشذوذ الجنسي، ويمثل الشواذ فيه أكثر من 50% من المصابين بهذا المرض الخطير.

3 - إن (25 - 33%) من الشواذ جنسياً مدمنون للخمر، (64%) مدمنون على المخدرات.

4 - إن (39%) إلى (59%) من الشواذ جنسياً مصابون بالعديد من الطفيليات التي لا تتوافر إلا في أقدار الأوساط البيئية.

5 - إن الشذوذ الجنسي يؤدي بصاحبه إلى التعاسة، والشعور بالنقص، والسادية التي قد تنتهي بقتل الشريك في الجريمة، ويتم ذلك [بنسبة (37%) من الحالات].

6 - إن (50%) من المنتحرين هم من المنحرفين جنسياً.

7 - إن متوسط عمر الشواذ جنسياً من الذكور هو نحو (42) سنة، ومن الإناث هو حوالي (45) سنة، بينما قد يفلت من الموت نحو (9%) فقط من مجموع الشواذ الذكور، 24% من الشواذ الإناث ليصلوا إلى سن ما بعد الخامسة والستين يقضونها في معاناة صحية ونفسية وآلام جسدية لا تطاق.

وينزل هذا المعدل إلى (39) سنة فقط إذا أصيب الشاذ بمرض الإيدز.

ثانياً: من الأضرار الاجتماعية للشذوذ الجنسي:

(أ) نقص تعداد السكان لقناعة الشواذ بإشباع شهواتهم الدنيئة دون وعي لضرورة الإنجاب، وهي ظاهرة سائدة اليوم في أغلب الدول الغربية وتصيبها في مجموعها بالشيخوخة.

(ب) زيادة نسبة كل من كبار السن، والمقعدين، والعجزة عن نسبة الشباب المنتج في غالبية المجتمعات الغربية، وأضرار ذلك الاقتصادية والاجتماعية معروفة.

(ج) ارتفاع معدلات العنف والجريمة من مثل جرائم الاعتداء على الأطفال، واغتصاب الكبار، والإيذاء البدني والقتل للشركاء في مثل هذه الرذائل. ففي دراسة دكتور فرانك جوزيف التي سبقت الإشارة إليها جاء ما يلي:

1 - إن الشواذ جنسياً معرضون للقتل أكثر مائة مرة في الذكور، (53.4) مرة في الإناث من غيرهم وعادة ما يتم ذلك بواسطة شركائهم في هذه الجريمة البشعة. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن (50%) من حوادث قتل النساء في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية هي للشاذات جنسياً.

2 - إن الشواذ جنسياً معرضون للانتحار أكثر (25) مرة من غيرهم، وللقتل عن طريق حوادث الطرق أكثر (19) مرة من غيرهم.

3 - إن (33%) من الشواذ جنسياً يعترفون بالاعتداء على كل من الصغار والكبار. وهناك مجموعات عديدة مكونة من آلاف الشواذ جنسياً في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية منها مجموعة تسمى نفسها باسم:

The North American Man and Boy Love Association (NAMBLA).

وهي مجموعة متخصصة في الاعتداء جنسياً على الأطفال الصغار، وتمثل أكثر من (33%) من تلك الحوادث البشعة، ويعترف (53%) منهم باقتراف هذه الجريمة مع من هم دون التاسعة عشرة من العمر.

4 - أن (59.6%) من الشواذ جنسياً في دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية هم من خريجي الجامعات، (49%) منهم يحتلون مراكز تخصصية وإدارية بارزة في مجتمعاتهم للأسف الشديد.

(د) تدمير مؤسسة الأسرة، وإشاعة الفواحش في المجتمعات الإنسانية، ومحاربة الأديان التي تجرم فحشهم.

(هـ) يتسلل الشواذ جنسياً في مختلف المجتمعات لإفساد غيرهم من أجل زيادة أعداد المفسدين في الأرض، نصرة لشذوذهم وانحرافاتهم، ولزيادة المطالبة بحقوق لهم. وهم في ذلك يصيبون الأبرياء بما يحملون من مسببات المرض.

(و) الشذوذ الجنسي إما يصيب الواقع فيه بالشعور بالدونية الشديدة، أو بالوقاحة الشديدة، وقلة الحياء والاستهتار بكل المعتقدات والآداب والقيم، وبالعديد من الاضطرابات والعقد النفسية، والقلق وتشتت الفكر، والاكنتاب، والشراسة، والكراهية، وغيرها من الأمراض العصابية، كما قد يصابون بالعجز الجنسي المؤقت أو الدائم، ولذلك يخدعون أنفسهم بتسمية أنفسهم بالفرحين (Gays) وهم عكس ذلك تماماً لأنهم من أكثر أهل الأرض تعاسةً وبؤساً.

(ز) إن حياة الشواذ جنسياً هي حياة غير مستقرة، والسماح لهم بالتبني وتربية الأطفال بينهم هو تدمير لفطرة هؤلاء الأطفال السليمة. ومن ثم فهو تدمير لمستقبل الأمة التي تسمح لمثل هذه الفواحش بالشيوع بين أبنائها.

ويحزننا أن يأتي عدد من الأفلام المصرية اليوم ليدعو علناً إلى مثل هذا الفحش بدعوى حرية التعبير.

ثالثاً: من الأضرار الاقتصادية للشذوذ الجنسي:

1 - تعتمد الحضارات الإنسانية على الأجيال الشابة من أبنائها، والشذوذ الجنسي يحرم الأمة من إنتاج هذه الأجيال، فيؤدي إلى تناقص تعداد السكان باستمرار،

- وإلى تناقص الأجيال الشابة وزيادة أعداد المتقاعدين عن العمل.
- 2 - إن تفشي الأمراض المستعصية بين الشواذ جنسياً يضعف من إنتاجيتهم ويستهلك من ميزانية الدولة جزءاً كبيراً لعلاجهم.
- 3 - كذلك فإن تفشي الأمراض المستعصية بين الشواذ جنسياً قد يصيب أعداداً منهم بالعجز عن العمل مما يجعلهم حملاً على ذويهم وعلى الدولة التي تؤويهم.
- 4 - إنه نتيجة لعدم الاستقرار بين «زواج الأمثال» لمنافاته للفطرة فإن ذلك يساعد على ارتفاع معدلات الجريمة، وإلى تكديس قضاياها أمام المحاكم بمختلف أشكالها وأحجامها، وقضايا الطلاق وما تقتضيه من إنفاق يعجز كثير من الأفراد والدول عن تحمله.
- 5 - إن العنف الذي يسود مثل هذه العلاقات المشينة، وما ينتج عنه من إصابات بدنية ونفسية خطيرة، ودمار أخلاقي، واجتماعي واقتصادي كبير، لا يستطيع مواجهته أي مجتمع معاصر، ولا أي نظام أمني من مثل الشرطة وغيرها، مما يؤدي إلى فوضى اجتماعية، وتحلل أخلاقي وانهيار اقتصادي خطير.

رابعاً: من أوجه الإعجاز التشريعي في تحريم الشذوذ الجنسي:

خلق الله ﷻ جميع خلقه في زوجية كاملة حتى يبقى ربنا ﷻ منفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وهذه الزوجية تشمل كلاً من الجمادات (من اللبنة الأولية للمادة إلى الكون كله)، والأحياء من كل من النبات والحيوان والإنسان). وجعل الله - تعالى - التزاوج بين الأحياء وسيلة من وسائل التكاثر من أجل إعمار الأرض بالحياة إلى أن يشاء الله، وجعل بين الجنسين (الذكر والأنثى) من الميل والتجاذب الفطري ما يعين على تحقيق ذلك، كما جعل التجاذب بين الشحنات الكهربائية المختلفة والتنافر بين الشحنات المتشابهة دليلاً على ذلك. ولقد عاشت البشرية من لدن أبينا آدم ﷺ إلى زمن كل من النبيين إبراهيم، وابن أخيه النبي لوط ﷻ على هذه الفطرة السوية.

ومنذ أربعة آلاف سنة فقط كانت هناك أعداد من القرى في أقصى الجنوب من البحر الميت عرفت باسم «قرى سدوم وما حولها». وكان أهل هذه القرى قد وقعوا فريسة سهلة للشيطان الذي أخرجهم من دائرة الاستقامة على منهج الله إلى الخروج عنه، حتى أصبحوا أكثر أهل الأرض مجوناً وانحطاطاً، وكانوا أول من ابتدع الشذوذ الجنسي الذي لم يُعرف في أي من بني آدم من قبل. لذلك فإن ربنا - تبارك وتعالى - بعث إليهم نبيه لوطاً ﷺ لينهاهم عن هذا الخروج على الفطرة السوية التي فطر خلقه عليها، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، ولكنهم سخروا منه ولم يستجيبوا لدعوته، وأنذروه وأهله بالطرد من قراهم. وبلغ بهم التبجح في مواجهة نبيهم إلى أن طالبوه بإنزال عذاب الله الذي تهددهم به، فأهلكهم الله بذنوبهم، وجاء ذكر إفسادهم في الأرض وإهلاك الله - تعالى - لهم في سبعة وعشرين موضعاً من كتاب الله. وهذه الآيات تؤكد أن الانحراف عن الفطرة السوية ناتج عن إنكار الدين الذي أنزله الله - تعالى - هداية لخلقهم، وبياناً لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا. والإنسان مطالب في ذلك بالالتزام بمكارم الأخلاق حتى يرتقي بنفسه إلى مقامات التكريم التي هيأها الله - تعالى - له. وعلى النقيض من ذلك فإن الإنسان إذا خرج عن أوامر ربه انحط إلى مستويات دون منازل الحيوان الأعجم لأن هذا الحيوان يلتزم بالفطرة التي فطره الله - تعالى - عليها. من هنا كان في خروج الإنسان بإرادته عن الفطرة السوية التي فطره الله عليها إهدار لكرامته، وطمس كامل لإنسانيته.

من هنا كان خروج أهل «سدوم» وما جاورها من قرى جنوب البحر الميت عن الفطرة إلى حد الابتذال في السلوك، والإعلان بالشذوذ الجنسي، والتعدي به على من يمر بديارهم على قارعة الطريق أو في نواديهم، ساخرين من كل من يستنكر انحطاطهم تجسيداً للمصير الأسود الذي ينتظر كل خارج على الفطرة التي فطر الله خلقه عليها. وقد أيأس ذلك عبد الله ونبيه لوطاً من إمكانية إصلاح قومه، ودفعه إلى الإعلان ببراءته منهم ومن أعمالهم، وبإشهاده الله - تعالى - بأنهم أشر أهل الأرض في زمانه وأخبثهم، فأمر الله - تعالى - ملائكته بطمس أعينهم، ثم بقلب قراهم رأساً

على عقب وبرجمها بوابل من سجيل منضود بعد أن أمر لوطاً بالخروج منها ليلاً مع أهله، وأمرهم بالآ يلتفت منهم أحد، فالتفت امرأته فأصابها ما أصابهم. وفي ذلك قال ﷺ: «مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»⁽¹⁾.

ومن الغريب أنه في سنة 390م أصدر الإمبراطور الروماني قانوناً يحرم الشذوذ الجنسي، وظل هذا القانون معمولاً به إلى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي حين تحولت العقوبة من القتل حرقاً إلى القتل شنقاً. وقد طبق هذا القانون أولاً في فرنسا، ثم في بريطانيا، ثم ألغي في سنة 1791م. واستبدلت بريطانيا في سنة 1861م إعدام الشواذ بالسجن سجنناً نافذاً لمدة عشر سنوات. ثم في سنة 1962م ألغت الولايات المتحدة الأمريكية عقوبة الشذوذ الجنسي، وتبعها في ذلك كل من بريطانيا (سنة 1967م) وكندا (سنة 1968م)، وفرنسا (سنة 1981م)، وفي سنة 1990م قامت منظمة الصحة العالمية بحذف الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقلية، وفي سنة 2003م قام المجلس الأعلى للقضاء بالولايات المتحدة الأمريكية بحذف كل القوانين السابقة بحق الشواذ جنسياً. ثم في سنة 2004م قامت أعداد من كل من أوروبا وكندا وأمريكا بالاعتراف بزواج المثليين بشكل قانوني. وتتم بعض هذه الزيجات الشاذة إلى اليوم في الكنائس، ويسمح لهؤلاء الشواذ بتبني الأطفال الذين تدمر نفسياتهم تدميراً كاملاً في هذه المحاضن الآسنة النجسة. وأصبح الشذوذ الجنسي اليوم سمة للمجتمعات التي تزعم لنفسها التحضر، ومرضاً وبائياً وسلوكياً يحتاج إلى المعالجة الراشدة. وقد بلغ الفجور ببعض أبناء هذه المجتمعات إلى إقامة كنائس لكل من الشواذ والشاذات تحمل اسم السيد المسيح (شرفه الله عن هذا الانحطاط وأمثاله). وتقرأ اليوم في دليل التليفون الأمريكي عناوين مقززة من مثل: "Christ Church for Lesbian" "Christ Church for Homosexuals" وفيه من الإهانة إلى واحد من أولي العزم من الرسل ما فيه، ويعكس مستوى التدني في أخلاق وسلوكيات أهل عصرنا.

(1) تقدم تخريجه.

وقد جعل الله للناس آية أخرى في مدينة رومانية قديمة اسمها «بومبي» بسفح بركان «فيزوف»، قرب مدينة نابولي الإيطالية حيث طمر الرماد البركاني والحرم مدينة «بومبي» في ثورة ذلك البركان سنة 79م. وعندما قام الأثريون بالكشف عن هذه المدينة أثبتت الدراسة أن أهلها كانوا على قدر من الترف والفساد، والتحلل الأخلاقي يشابه سلوك قوم لوط في شذوذهم الجنسي، وانحرافهم عن الفطرة السوية. وعندما ثار بركان فيزوف فجأة طمرهم برماده فلم يستطع أحد من أهل هذه المدينة الفرار، وتحجرت أجسادهم بالكامل في الأوضاع والهيئات التي كانوا عليها والتي تشهد على إعلانهم بمختلف أشكال الشذوذ الجنسي الذي جسده أوضاعهم التي ماتوا عليها. كما جسدت كل من النقوش والرسوم الخليعة الفاضحة العديدة التي وجدت على جدران المنازل والنوادي والحانات في مدينة «بومبي» ما يشهد بذلك. وقد وضعت هذه النقوش والرسوم اليوم في متحف خاص لا يسمح لزواره باصطحاب الأطفال معهم. وكما سبق وأن أشرنا ثبت أن الشذوذ الجنسي يتسبب لممارسيه في العديد من الأمراض العضوية والنفسية المستعصية العلاج، والتي من أخطرها مرض نقص المناعة (الإيدز)، والذي لم يكتشف إلا في سنة 1981م، فصرع الملايين من البشر، وسكن أجساد الملايين الآخرين سكناً ينتظر لحظة الانقراض عليهم والقضاء على وجودهم.

ومن هنا تأتي ومضة الإعجاز التشريعي في تحريم الشذوذ الجنسي الذي انتشر اليوم في سكان الأرض انتشار النار في الهشيم.

هذا قليل من الكثير الذي من أجله حرم الإسلام العظيم جريمة الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله وألوانه وصوره، ومن هنا كان الإعجاز العلمي والتشريعي واللغوي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ

[العنكبوت: 28].

مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

41 - ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا

حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ [هود: 82].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واحدة من أخطر صور العقاب التي أنزلها ربنا - تبارك وتعالى - بالأقوام العاصين من عباده. وقد حلت هذه الكارثة بقوم لوط، بعد أن أشركوا. وانحرفوا عن الفطرة السوية التي فطر الله - تعالى - عباده عليها. ونتيجة لهذا الانحراف عن الفطرة ماتت كل صور النخوة، والمروءة، والعفة في قلوبهم، وأعانوا شياطين الجن والإنس على أنفسهم حتى عششت في عقولهم، وغلفت قلوبهم بالسواد فأعمتهم عن الحق، وأقنعتهم بالوقوع في وحل الفواحش. وكان على رأس تلك الفواحش الشذوذ الجنسي الذي ابتدعه قوم لوط لأول مرة في تاريخ البشرية، وغاصوا في أحواله إلى آذانهم، فبعث الله - تعالى - إليهم نبيه لوطاً من أجل هدايتهم، فلم يستجيبوا لدعوته، بل سخروا منه، وأهانوه، وعارضوه معارضة شديدة، وهددوه بالطرد من قراهم، وبالاعتداء على ضيوفه من الملائكة فأرسل الله ملائكته لتدميرهم بالكامل، وفي ذلك يقول ﷻ:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُوْرُهُؤْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأْتِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَكُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ ﴿٨٣﴾ [هود: 77 - 83].

من أوجه الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

يقدر الفارق الزمني بين عبد الله ﷺ ونبية لوط، وخاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلم وبارك عليهما) بأكثر من ألفي سنة (2296 سنة)، فمن أين لرسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - كل هذه التفاصيل عن نبي مثل لوط ﷺ لو لم يكن نبينا موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض؟ خاصة وأن العرب في زمن الوحي لم يكونوا أمة تدوين، ورسولنا ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب حتى لا يدعي أحد أنه استقى ذلك القصص من «العهد القديم». وكثير من التفاصيل التي أوردها القرآن الكريم عن عبد الله ﷺ ونبية لوط ﷺ وعن قومه، لم ترد في ذلك الكتاب. وكان قوم لوط قوماً فاسقين، فبعث الله - تعالى - إليهم نبية لوطاً يدعوهم إلى الإقلاع عن تلك الفواحش التي كانوا يرتكبونها، وإلى الاستقامة على منهج الله وعبادته ﷻ وحده، فلم يستجيبوا لدعوته. وبالغ قوم لوط في معاصيهم حتى يئس نبيهم من هدايتهم، فتوجه إلى ربه العزيز بالدعاء سائلاً هلاكهم لاستعصانهم على الهداية. استجاب الله - تعالى - دعاء نبية لوطاً، فأرسل إليه عدداً من الملائكة في هيئة رجال حسان الوجوه لينفذوا ما أمروا به من عقاب قوم لوط، وقبل قدومهم إلى قرى قوم لوط مروا على عبد الله ﷺ ونبية إبراهيم لبيشروه بمقدم ولده إسحاق.

وعندما وصل الملائكة إلى قرى قوم لوط لجأوا إلى بيت هذا النبي الصالح، وجاء قومه سراعاً إلى بيته يريدون بضيوفه سوءاً، فذكّرهم لوط بحق الضيف على المضيف، ولكنهم أصروا على إفسادهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرَبُوا ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الحجر: 67 - 70].

فما كان أمام لوط ﷺ إلا أن يعرض عليهم الزواج من بنات القرية، وهن بمثابة بناته (لأن كل نبي يعتبر أباً لأبناء وبنات أمته) ولكنهم لم يصغوا لدعوته، فأسقط في يد لوط، وأحس بضعفه أمام هجمة هؤلاء الفاسدين، ونطق وهو في

حالة من الكرب الشديد: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠) وغاب عن لوط وهو في كربته أنه يأوي إلى ركن شديد، وهو ركن الله العلي، القوي، العزيز، الذي لا يتخلى عن أوليائه أبداً. وحينئذ أعلن له الملائكة بأنهم رسل الله الذين جاؤوا لإهلاك قومه الفاسقين. وفجأة طمست أعين قوم لوط فعموا وفرّوا مذعورين وهم خائبون.

وطلبت الملائكة من لوط ﷺ أن يغادر هو وزوجه وابنتاه تلك القرية الفاجرة قبل طلوع الفجر. وعند مقدم الصبح نزل عقاب الله بالفاسقين من قوم لوط، فقامت الملائكة باقتلاع قراهم الواقعة إلى الجنوب من البحر الميت وقلبوها جاعلين عاليها سافلها، ثم أتبعهم الرجم بالحجارة الشديدة الصلابة، المتتابعة حتى قضت عليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذَا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آءَالُ لُوطٍ نَجَّيْنَهُمْ بِسِحْرِ ۖ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنَّا بِذَلِكَ لِكُلِّ قَوْمٍ شَاكِرٌ ۖ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۖ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۖ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۖ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْكُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ (٤٠)

[القمر: 33 - 40].

وقصة سيدنا لوط ﷺ مع قومه - كبقية قصص القرآن الكريم تبقى واحدة من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي في كتاب الله، ولو أن المسلمين وعوا إلى أهمية هذا القصص فقاموا بتحقيق كل الأحداث التي جاء ذكرها في القرآن الكريم تحقيقاً جغرافياً، وتاريخياً، وجيولوجياً وبغير ذلك من العلوم، وقدموا نتائج تلك الدراسات للناس (مسلمين وغير مسلمين) لكانت ورقة دعوة راقية نقدمها لأهل عصرنا باللغة الوحيدة التي يفهمونها وهي لغة العلم، والتحقيق العلمي.

خامساً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إسماعيل عليه السلام

عبد الله ونبيه إسماعيل هو ابن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقد جاء ذكره اثنتا عشرة (12) مرة في القرآن الكريم، على النحو التالي:

- 1، 2 - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانخُدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِذْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 125 - 129].
- 3 - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133].
- 4 - ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: 136].
- 5 - ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَن أظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: 140].
- 6 - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

- مَنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ [آل عمران: 84].
- 7 - ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء: 163].
- 8 - ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنعام: 83 - 86].
- 9 - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴾ ﴿٣٩﴾ [إبراهيم: 39].
- 10 - ﴿ وَأَذْكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مریم: 54، 55].
- 11 - ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ [الأنبياء: 85].
- 12 - ﴿ وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٤٨﴾ [ص: 48].
- وهذا الابن الصالح (إسماعيل)، رزقه الله - تعالى - لعبده ورسوله إبراهيم على الكبر، من زوجته السيدة هاجر عليها السلام، وذلك بمعجزة إلهية تشهد لله - تعالى - بأنه هو واهب الذرية لمن يشاء من عباده، وفي أي عمر يشاء. وقد جاء مولد إسماعيل استجابة لدعوة أبيه المتكررة لله - تعالى - والتي كان يقول فيها ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ [الصافات: 100].

وكما تعرّض إبراهيم عليه السلام لسلسلة طويلة من الابتلاءات، كذلك ابتلي كل من إسماعيل وأمه بسلسلة من الابتلاءات، وذلك منذ اللحظة الأولى لولادته. فلم يكد إبراهيم يفرح بميلاد ابنه البكر ووحیده، حتى أمر بوضعه هو وأمه في وادي مكة عند قواعد البيت، والوادي في هذا الزمن كان أرضاً قفراً لا ماء فيها ولا زرع،

ولا أثر لإنسان.

وعلى الفور قام إبراهيم باصطحاب زوجته السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل، في رحلة طويلة إلى وادي مكّة، ووضعهما عند قواعد البيت، وترك عندهما جراباً من التمر، وسقَاء فيه ماء، وودّعهما تاركاً إياهما وراءه، وقفل راجعاً. فتبعته أم إسماعيل قائلة له: يا إبراهيم! أين تذهب وتركننا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ وقالت له ذلك مراراً وإبراهيم لا يلتفت إليها! فأدركت بحسّها الفطري أنّ ذلك لا بدّ وأن يكون أمراً من الله - تعالى -، لكون زوجها من الأنبياء الموصولين بالوحي. فسألته قائلة: الله أمرك بهذا؟ فأدار وجهه إليها قائلاً: نعم، وبفطرية سليمة ردّت عليه قائلة: إذاً لا يُضيعنا، ثم عادت إلى رضيعها، وانطلقت إبراهيم في طريقه حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونها، استقبل بوجهه موضع قواعد البيت حيث ترك زوجته ورضيعها، ورفع يديه إلى السماء داعياً الله - تعالى - لهما بدعاء دونه القرآن الكريم بالنص التالي:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

[إبراهيم: 37].

وبقيت أم إسماعيل تأكل التمر من الجراب، وتشرب الماء من السقَاء، وتُرضع صغيرها حتى نفذ ما في السقَاء من ماء، وجفّ لبن الأم، وبدأ الصغير في البكاء من شدة الجوع والعطش، في جوّ وادي مكّة الحارّ. وبدأت أم إسماعيل تجري في الوادي بحثاً عن الماء، وترقى تلة صغيرة على طرف الوادي هي «الصفاء»، بحثاً عن طائر يحط على شيء من الماء، أو عن قادم قد يكون حاملاً معه شيئاً من الزاد والماء، فلم تر شيئاً من ذلك. ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى بطن الوادي، راحت تسعى سعي الإنسان المُجهد، حتى وصلت إلى تلة أخرى هي «المروة»، فارتقتها في محاولة للبحث عن مُنقذ ولكنها لم تر أحداً، وراحت تسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط. وقد سنّ لنا ربنا - تبارك وتعالى - السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة، وجعلها شعيرة من شعائر عبادة

الحج والعمرة، كي تبقى إحياءً لذكرى جهاد هذه المرأة المؤمنة الصابرة على قضاء الله وقدره، الراضية بهما رضاً كاملاً، وفي ذلك روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «فذلك سعي الناس بينهما»⁽¹⁾.

عادت أم إسماعيل بعد الشوط السابع وهي مُجهدة، تلهث من شدة التعب والعطش، ورضيعها يبكي، وفي هذه اللحظات الحرجة نزلت عليها رحمة السماء، فأرسل الله ﷻ إليها جبريل عليه السلام ليقول لها: «لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيت الله، بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضيع أهله»⁽²⁾. ثم ضرب جبريل الأرض بجناحه أو بعقبه فانفجرت عين زمزم، وفرحت أم إسماعيل بانفجارها فرحاً شديداً، فأخذت تحيطها بالحصى والرمال وهي تقول: زُمِّي زُمِّي، ومن هنا صار اسمها زمزم. وأتاهم جبريل بشيء من الطعام، وطمأن أم إسماعيل برعاية الله لها ولرضيعها.

وبعد ذلك حدث أن مرّ نفرٌ من قبيلة «جرهم» اليمانية بوادي مكة، وهم في طريق عودتهم من بلاد الشام إلى بلاد اليمن، وعندما رأوا الطيور تحط في الوادي، اتَّجهوا إلى حيث تحط الطيور فوجدوا بئر زمزم، ولم يسبق لهم أن أدركوا بئراً من قبل في هذا الوادي. استأذن القادمون من قبيلة جرهم أم إسماعيل أن يجاوروها بسكنى الوادي، فأذنت لهم بذلك، وأرسلوا إلى أفخاذٍ من قبيلتهم في اليمن فلحقوا بهم، وعُمر الوادي استجابةً لدعوة عبد الله ونبيه إبراهيم عليهما السلام.

كبر إسماعيل، وكان كلما كبر زاد تعلق أبيه به، وحبّه له، والأب طريد شريدٌ عن قومه، بعيد عن أهله، فلا عزوة له، ثم رزقه الله - تعالى - هذا الابن على الكبر، فتعلق قلبه به، وامتلاً بحبّه وأصبح يمثل رجاءً كبيراً عنده.

وفي نشوة الفرح بهذا الابن الوحيد، والعقب الوحيد، أوحى الله - تعالى - إلى عبده ورسوله إبراهيم في المنام، أن يذبح وحيداً، وهو ابتلاء لا يقوى عليه

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

أعظم البشر إيماناً وأرسخهم عقيدة. ولما كانت رؤيا الأنبياء حق، فقد قرّر إبراهيم إبلاغ أمر الله - تعالى - إلى ولده الوحيد، الذي انصاع إلى قبول أمر خالقه في شيء من الرضا والصبر والتسليم للأمر الإلهي.

وفي اللحظة التي رقد فيها إسماعيل ووجهه إلى الأرض، استعداداً لذبحه بيد أبيه، الذي رفع السكين ليقتضي ما أمر الله - تعالى - به، جاء الوحي إلى إبراهيم بالتوقف، لأن اختبار وفاء كل منه ووحيد إسماعيل لأمر الله قد تحقق. وفدى رب السموات والأرض ومن فيهنّ عبده إسماعيل بذبح عظيم، وجعل من هذا الموقف الكريم عيداً للمسلمين إلى يوم الدين، يُذكّرهم بمعنى من معاني طاعة الله، والرضا بقضائه الذي حققه كل من إبراهيم وولده إسماعيل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم، على لسان عبد الله ورسوله إبراهيم ما نصه:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبِّحِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَبْنَؤُا أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ وَتَذَيَّنَّهُ أَن يَتَّبِعَهُ أَن يَتَّبِعَهُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءٌ أَلْبَسُوا اللَّيْلُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمْ عَلَيَّ إِزْرَاهِمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات: 99 - 111].

كبر إسماعيل وتزوج من قبيلة «جرهم»، ورزقه الله - تعالى - الذرية التي نسا منها العرب المستعربة، ثم نبأ الله ﷻ إسماعيل، وبعثه إلى كل من جرهم، والعماليق، وإلى غيرهم من قبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأصنام والأوثان، وأمرهم بعبادة الله ﷻ وحده، فأمنت معه طائفة، وكفرت طوائف عديدة منهم.

رفع القواعد من البيت:

أمر الله ﷻ عبده ونبیه إبراهيم، أن يُعيد بناء الكعبة التي كانت قد تهدمت وبقيت قواعدها، وأن يُعيد رفع جدر البيت من تلك القواعد. استعان إبراهيم بولده إسماعيل في تنفيذ تلك المهمة، التي ينوء بها عشرات الرجال، حتى تمت،

وشملت تقطيع الصخور وتسويتها ونقلها، وبناء جوانب الكعبة ورفعها، وتكملة سقفها وبابها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 127 - 129].

وبعد جهاد طويل في الدعوة إلى دين الله، وبعد وفاة كل من إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، توفي إسماعيل عليه السلام ودُفن في حجر الكعبة مع أمه السيدة هاجر التي كانت قد سبقته بالدفن في ذلك الحجر، ولذلك عُرف باسم «حجر إسماعيل». من الدروس المُستفادة من استعراض القرآن الكريم لسيرة النبي إسماعيل عليه السلام:

1 - إنَّ الإنسان إذا حُرِم شيئاً من خير الدنيا دون تقصير من جانبه، فعليه أن يتوجه بالدعاء الصادق إلى الله - تعالى - لعل الله أن يستجيب لدعائه. فقد قارب عبد الله ورسوله إبراهيم أرذل العمر دون أن يُرزق الولد، فألحَّ على الله بالدعاء أن يهبه الذرية الصالحة، فاستجاب الله الخالق البارئ المصور دعاء عبده ونبيِّه إبراهيم، ورزقه ابنه إسماعيل على الكبر من زوجته الثانية السيدة هاجر - عليها رضوان الله -.

2 - إنَّ الثقة في الله - تعالى - هي مصدر كل خير؛ فقد ابتلي نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام بالأمر الإلهي أن يضع زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل في بقعة محددة من وادي مكة عند قواعد البيت الحرام، وهي يومئذٍ أرض قفر لا ماء فيها، ولا زرع، ولا بشر، وترك عندهما جراباً فيه شيء من التمر، وسقاءً فيه قليل من الماء، ثم قفل راجعاً في طريقه إلى فلسطين، وهو يدعو الله - تعالى - لهما. فاستجاب الله عليه السلام لدعوة عبده ونبيِّه إبراهيم عليه السلام وأكرم زوجه السيدة هاجر - عليها رضوان الله - جزاء ثقتها المطلقة في رحمة الله، فأرسل عبده جبريل عليه السلام قائلاً: «لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله»، ثم قام بضرب الأرض بجناحه أو بعقبه فانفجرت بئر زمزم.

- 3 - إن الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان واختبار، وأنَّ النَّجَاح في الابتلاءات الدنيوية هو الطريق إلى جنة الخلد بإذن الله، وعلى ذلك فإن الإنسان إذا تعرَّض لشيء من الابتلاء فرضي بقضاء الله وقدره، وصبر عليهما، فإمَّا أن يرفع الله - تعالى - عنه البلاء، أو أن يبين له خير هذا القضاء أو القدر.
- 4 - إنَّ الدُّعاء هو مَخَّ العبادة، وإذا صدر من القلب بإخلاص وتجرُّد لله - تعالى - استحقَّ الإجابة، وإن عَزَّ الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة قائمان على درجة إيمانه بالله - تعالى - وإسلامه الوجه له، وعلى الخضوع بالطاعة لجلاله، والاستعداد لسرعة التوبة إليه، والثقة الكاملة بطلاقة القدرة الإلهية، واليقين الجازم بأنَّه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله.
- 5 - إنَّ الله - تعالى - يصطفي من عباده الصالحين من يُبلِّغ هدايته إلى الناس، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كَارِهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج: 49 - 51].
- ولهذا الاصطفاء الإلهي ضوابطه: من سلامة الجسد، ورجاحة العقل، وطهارة القلب، وسلامة الفطرة. ولتوفر هذه الصفات في عبد الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم فقد منَّ الله - تعالى - عليه بالنبوة وبالرسالة، وبعثه إلى كلِّ من العماليق وقبيلة جرهم، وإلى غيرهما من قبائل اليمن.
- وعلى كلِّ من يريد أن يحظى برضاء ربِّه أن يتأسَّى بنبيال الصفات التي وصف بها ربنا - تبارك وتعالى - عبده ورسوله إسماعيل بن إبراهيم ﷺ ومنها: صدق الوعد، والاجتهاد في الدعوة إلى دين الله، والحرص على أمر الأهل بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة.
- 6 - التأكيد على فضل صدق الوعد، وعلى قيمة أمر الأهل بالصلاة والزكاة، طلباً لمرضاة الله. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:
- «لا دين لمن لا أمانة له»⁽¹⁾.

(1) أخرجه أبو شيبة حديث رقم (30326).

- وقال: «إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً»⁽¹⁾.
- وقال: «إنَّ أوَّل ما يحاسب عليه العبد المسلم يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»⁽²⁾.
- وقال: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»⁽³⁾.
- 7 - التأكيد على ضرورة طاعة الأبناء للوالدين، وعلى استشارة الوالدين للأبناء فيما يخصهم من أمور.
- 8 - الثقة في أن الله - تعالى - هو رازق الذرية، فلا يقنط شابٌ من تأخر حصوله عليها، والسبيل إلى ذلك هو الدعاء، والإلحاح فيه على الله - تعالى - بالإجابة.
- 9 - اليقين بأن الدنيا هي دار ابتلاء واختبار، وإنَّ أشدَّ الناس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل.

هذه الدروس المستفادة من استعراض القرآن الكريم لسيرة عبد الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم هي من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله؛ وذلك لنبل مقاصدها التربوية، ولعدم وجود أية إشارة لها في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، خاصة وأنَّ نبيَّ الله إسماعيل قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، أي قبل تنزّل القرآن الكريم بأكثر من ألفي سنة.

هذا وقد أشار «العهد القديم» إلى سيدنا إسماعيل عليه السلام بأوصاف لا تليق بنبي، وذكر أنه سكن صحراء «فاران» أو "Paran"، ومراجع المسيحية تؤكد أن

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (6094).

(2) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (16954).

(3) أخرجه أبو داود حديث رقم (1308).

المقصود بهذا الاسم هو صحراء مكة، ولكن الاختلاف الكثير في رواية «العهد القديم» قد حرفها عن أصلها كثيراً، كما يتضح من نصوص (سفر التكوين: 21 / 9 - 21).

طرد هاجر وإسماعيل

⁹But Sarah saw that the son whom Hagar the Egyptian had borne to Abraham was mocking, ¹⁰and she said to Abraham, "Get rid of that slave woman and her son, for that slave woman's son will never share in the inheritance with my son Isaac." ¹¹The matter distressed Abraham greatly because it concerned his son. ¹²But God said to him, "Do not be so distressed about the boy and your maidservant. Listen to whatever Sarah tells you, because it is through Isaac that your offspring will be reckoned. ¹³I will make the son of the maidservant into a nation also, because he is your offspring."

¹⁴Early the next morning Abraham took some food and a skin of water and gave them to Hagar. He set them on her shoulders and then sent her off with the boy. She went on her way and wandered in the desert of Beersheba. ¹⁵When the water in the skin was gone, she put the boy under one of the bushes. ¹⁶Then she went off and sat down nearby, about a bowshot away, for she thought, "I cannot watch the boy die." And as she sat there nearby, she began to sob.

¹⁷God heard the boy crying, and the angel of God

طرد هاجر وإسماعيل
⁹رَأَتْ سَارَةُ أَنَّ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ
يَسْتَهْزِئُ مِنْ أَبْنَائِهَا إِسْمَاعِيلَ. ¹⁰فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ
الْمِصْرِيَّةَ وَأَبْنَاءَهَا. لِأَنَّ ابْنَ الْمِصْرِيَّةِ لَنْ يَرِثَ مَعِ ابْنِي
إِسْمَاعِيلَ». ¹¹فَسَخَّ حَذَا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَجْلِ
أَبْنِهِ. ¹²فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: «لَا تَحْزَنْ فِي تَسْوِئَةِ امْرَأَتِكَ أَوْ
أَمْرِ عِبْدَتِكَ. وَاسْمَعْ بِكَلَامِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُسَيِّرُ بِهِ
عَلَيْكَ لِأَنَّ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ يُدْعَى لَكَ نَسْلًا». ¹³وَتَسْلُوهُمْ مِنْ ابْنِ
الْمِصْرِيَّةِ أُمَّةً كَمَا أَنَّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ.

¹⁴فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاطِرِ وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْنَةَ مَاءٍ
وَوَضَعَهُمَا عَلَى كَتِفَيْهَا. ثُمَّ حَزَنَتْهَا
مَعَ الشَّيْءِ. فَجَلَسَتْ عَلَى وَجْهِهَا فِي بَيْرِ سَبْعِ
¹⁵وَعَلَمْنَا فَرَقَ الْمَاءَ مِنَ الْقِرْنَةِ حَرَحَتْ الشَّيْءِ فَجَلَسَتْ
إِخْفَى الْأَشْجَارِ. ¹⁶وَنَفَسَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ عَلَى بَعْدِ نَحْوِ
بَيْرِ مِغْرٍ. لِأَنَّهَا قَالَتْ: «لَا أَشْهَدُ مَوْتَ الشَّيْءِ». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ
وَبَكَتُ حَتَّى رَجَتْ.

¹⁷وَسَمِعَ اللَّهُ نَجْدًا الشَّيْءِ. فَكَلَّمَ مَلَكُ اللَّهِ هَاجَرَ مِنْ

Genesis 21:22

30 / 30

التكوين 21:21

called to Hagar from heaven and said to her, "What is the matter, Hagar? Do not be afraid; God has heard the boy crying as he lies there. ¹⁸Lift the boy up and take him by the hand, for I will make him into a great nation." ¹⁹Then God opened her eyes and she saw a well of water. So she went and filled the skin with water and gave the boy a drink. ²⁰God was with the boy as he grew up. He lived in the desert and became an archer. ²¹While he was living in the Desert of Paran, his mother got a wife for him from Egypt.

السَّمَاءِ وَقَالَ لَهُ: «مَا الَّذِي يُبْزِئُكَ يَا هَاجَرَ؟ لَا تَخَفِي. لِأَنَّ اللَّهَ كَفَّ سَوْخَ نَجْدِ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ هُوَ يَلِئُ. ¹⁸أَرِيسِي وَأَخْبِطِي كَتِفَيْهِ بِرِ الْيَدِ لِأَنَّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمًا». ¹⁹لَمَّا فَتَحَ عَيْنَيْهَا فَكَشَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ. فَجَلَسَتْ وَتَمَلَّاتِ الْقِرْنَةَ وَوَضَعَتْ الشَّيْءِ. ²⁰وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الشَّيْءِ فَكَبُرَ. وَتَسَكَّنَ فِي حَضْرَاءِ پارَانَ. فَتَزَوَّجَ فِي زَمَرِ الْمِصْرِ. ²¹وَكَوَدَتْ لَهُ أُمَّةٌ زَوْجَةً مِنْ مِصْرَ.

42 - ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ

وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ [مريم: 54].

هذه الآية القرآنية الكريمة تقرر حقيقة إنبائية/ تاريخية مؤداها أن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام كان رسولاً نبياً، أي أن الله - تعالى - جمع له بين النبوة والرسالة كما جمعهما لكل من أبيه إبراهيم عليه السلام وحفيده سيد الخلق، خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين من بني آدم، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداة ودعا بدعوته إلى يوم الدين -.

والرسالة التي حملها سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى قومه كانت بالقطع هي الإسلام العظيم الذي حملة أبوه إبراهيم عليه السلام من قبل، كما حملة كل أنبياء الله ورسله من قبل ومن بعد، وإن كنا لا نعلم اسم الكتاب الذي أنزل إليه.

ولكننا نعلم أنه كان في جزيرة العرب كما كان في بلاد الشام أفراد موحدون قبيل البعثة المحمدية الشريفة، وكانوا يعرفون باسم «الأحناف»، الذين كانوا على دين إبراهيم وإسماعيل، ويذكر منهم كل من «زيد بن عمرو بن نفيل العدوي» (من بني عدي، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أصبح أميراً للمؤمنين فيما بعد)، و«أمية بن أبي الصلت»، و«قس بن ساعدة الإيادي» (المتوفى قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات، والذي قال عنه هذا الرسول الخاتم: «رحم الله قساً، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده»⁽¹⁾، وكان منهم «أبو قيس صرمة بن أبي أنس» (وهو من بني النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة). وكان أبو قيس هذا قد فارق عبادة قومه للأصنام والأوثان، وهمم بقبول النصرانية ديناً، ثم أمسك عنها، ودخل بيتاً له فاتخذة مسجداً، وأمر بالآ يدخل إليه طامث ولا جنب،

(1) عيون الأثر، ابن سيد الناس (1/87).

وقال: «أعبد ربَّ إبراهيم وإسماعيل»، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم أبو قيس على يديه وحسن إسلامه. وكان منهم كل من «عامر بن الظرب العدواني» الذي كان من حكماء العرب وخطبائهم، و«ورقة بن نوفل»، و«عثمان بن الحويرث»، و«عبد الله بن جحش»، و«قيس بن عاصم التميمي»، و«عبد المطلب بن هاشم» (جد رسول الله ﷺ). وقد نوّه كل من ابن إسحاق، وابن هشام في استعراضهما للسيرة النبوية الشريفة بهؤلاء الأحناف، وذكرنا طرفاً من تاريخ وأقوال ومواقف كل واحد منهم، وأكدنا قيامهم على التوحيد الخالص لله الذي دعا إليه كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. وكانوا يؤمنون بالبعث، والحساب، والجنة والنار، ولذلك اعتزلوا أقوامهم في رفق ولين وموادعة، وحرّموا على أنفسهم ما شاع في زمانهم من المفاسد، والعادات السيئة، والأخلاق الذميمة، والسلوكيات الخاطئة.

وكان هؤلاء «الأحناف» ممن بقي على ملّة كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، وكان العرب - على وثنيّتهم في الجاهلية - يعظّمون البيت الحرام، ويقومون على سدّانته وخدمته، والذود عنه، وإكرام قاصديه، وإجارة المستجير بجواره، وإحياء بعض شعائره. وكان هذا كله من بقايا تعاليم كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. وهذا مما يجعل الآية رقم (54) من سورة «مريم» وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي يعلم بأن إسماعيل ﷺ كان رسولاً نبياً، بينما كان كل من إسحاق وولده يعقوب ﷺ من أنبياء الله فقط، وذلك بنص القرآن الكريم الذي يقول الله - تعالى - فيه: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَفْتُمُوهُمَا وَبَدَوْنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: 49].

ويقول ﷺ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الصافات: 112].

بينما يقول ﷺ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: 54، 55].

ولكن غلاة اليهود حاولوا تفضيل إسحاق على أخيه إسماعيل بدعوى بشرية باطلة كاذبة، مؤداه أن إسماعيل هو ابن الجارية، وأن إسحاق هو ابن سيدة البيت، ولذلك زعموا كذباً بأن إسحاق كان هو الذبيح دون دليل واحد على ذلك الزعم (سفر التكوين: 9/22 - 19). وينسى هؤلاء أن الفارق بين ابن الجارية وابن سيدة البيت - إن صح هذا الزعم وهو غير صحيح - لا يشكل معياراً في ميزان الله - تعالى - للتمييز بين الناس، لأن معايير الله قائمة على التقوى وحسن الفهم وصلاح العمل، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

من أوجه الإعجاز التاريخي والتربوي في النص القرآني الكريم:

الآيتان (54، 55 من سورة «مریم») فيهما أمر من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن يذكر للناس ما أنزل عليه من قصة رسول الله إسماعيل بن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام. ويؤكد القرآن الكريم أن عبد الله ونبيه إسماعيل كان مثلاً في صدق الوعد. وقد أثبت ذلك حين وعد أباه بالصبر على ذبحه له، وفاءً بأمر الله - تعالى - لأبيه أن يذبحه. ووفى إسماعيل بوعد وفاءً كاملاً، ففداه الله الكريم بذبح عظيم، وأكرمه وشرفه بالنبوة وبالرسالة عندما بلغ سن النبوة. وصدق الوعد هو لازمة من لوازم النبوة، وصفة من صفات الصالحين من عباد رب العالمين، ولكن التركيز عليها في وصف عبد الله ورسوله إسماعيل عليه السلام يؤكد أن هذه الصفة الطيبة كانت بارزة فيه بروزاً مميّزاً بها تمييزاً حقيقياً.

وتذكر الآيتان الكريمتان من مناقب هذا الرسول الكريم أنه كان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى بلغ مقاماً كريماً من رضا ربه عليه أي: أنه كان يحث أهله على طاعة الله وعبادته بما أمر من أداء الصلاة (وهي عماد الدين)، وإيتاء الزكاة (وهي حق الله - تعالى - في المال الفائض عن الحاجة) وإنفاقه في الأوجه التي حددها الله، حتى يصبح ذلك وسيلة من وسائل تحقيق التكافل في المجتمع والعمل على إبعاده. والآيتان (54، 55 من سورة «مریم») تؤكدان وحدة العبادة عبر التاريخ، لأنها منبثقة من وحدانية صاحب الدين وهو الله ﷻ.

43 - ﴿وَقَدَيْنَهُ بَذِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107].

من أخطر الوقائع في سيرة عبد الله ﷺ ورسوله إبراهيم ﷺ كان أمر الله - تعالى - له بذبح وحيده إسماعيل الذي رزقه على الكبر، وبعد أن كان الغلام قد بلغ السعي مع أبيه، أي شبَّ وصار يسعى في مصالحه. وقد رأى إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده ووحيده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق، ففي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً: «رؤيا الأنبياء وحي»⁽¹⁾، ولذلك امتثل إبراهيم ﷺ لأمر ربه، وسارع إلى وحيده يعرض أمر الله - تعالى - عليه، فتقبله الفتى إسماعيل برباطة جأش، رضى بقضاء الله، وثقة في نبوة أبيه. وإسماعيل هو الغلام الذي وصفه الله - تعالى - بالحلم، ويروي لنا القرآن الكريم هذا الموقف الصعب بقول ربنا - وقوله الحق -: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١١٦) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١١٣) وَتَدَيْنَهُ أَن يَتَّبِعَهُ﴾ (١١٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥) إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْتَوْنَا أَلْمِينُ﴾ (١١٦) وَقَدَيْنَهُ بَذِيحٍ عَظِيمٍ﴾ (١١٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١١٨) سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْهِيمَ﴾ (١١٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢٠) إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١٢٣)

[الصافات: 101 - 113].

وواضح من هذه الآيات أن عبد الله ﷺ ورسوله إبراهيم ﷺ كان قد تهيأ لذبح ولده إسماعيل، انصياعاً لأمر ربه، وقد جاءه الأمر في رؤيا منامية على الرغم من صعوبة ذلك الأمر على قلب أب مفارق لقومه، غريب عن أرضه، يؤمر بذبح

(1) تفسير البغوي (37/4)، من كلام عبيد بن عمير.

وحيدة الذي رزقه الله - تعالى - به على الكبر، وبعد أن شبَّ ذلك الابن وصار فتى يافعاً يأنس به أبوه، ويرافقه في الحياة. لم يتردد إبراهيم لحظة في تنفيذ أمر ربه، على الرغم من أن الأمر كان مجرد إشارة في رؤيا منامية، ولم يكن وحياً صريحاً، ولا أمراً مباشراً، ولكن كلاً من عبد الله ورسوله إبراهيم ووحيدهم إسماعيل اعتبروا هذه الإشارة المنامية كافية للإجابة وتنفيذ الأمر مهما كان صعباً على النفس.

ولما عزم إبراهيم على ذبح ولده إسماعيل، وأنامه على شقه، وسمى وكبر، وتشهد إسماعيل قبل موته، ثم توجه بالحديث إلى أبيه قائلاً: «يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي، فتراه أمي فتحزن، وأحد شفرتك، وأسرع بها على حلقي ليكون الموت أهون عليّ، وإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام، وإن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني!»⁽¹⁾. وبصبر النبي الصابر المحتسب الراضي بقضاء الله وقدره أجابه أبوه: نعم العون أنت يا بني على أمر الله.

ثم شرع إبراهيم في إتمام عملية ذبح وحيده ومرّ بالسكين على حلق ابنه مرات ولكن السكين لم تصبه بأذى، فكانت تلك معجزة أخرى لعبد الله ورسوله إبراهيم، فقد أبطل الله ﷻ لإبراهيم قانون القطع بالسكين، كما أبطل له من قبل قانون الإحراق بالنار. وفجأة سمع كل من الذابح والذبيح النداء الإلهي العظيم بالفداء: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَلَاءُ الْمَيْنُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

[الصفات: 104 - 107].

(1) حاشية الصاوي على الجلالين، عن ابن عباس.

والتفت إبراهيم حوله فإذا بجواره كبش سمين، فأمره الله - تعالى - بذبح ذلك الكبش فداءً لولده إسماعيل. قام إبراهيم على الفور وذبح الكبش بنفس السكين التي أبت ذبح ابنه إسماعيل. من هنا صار ذبح الضحايا سنةً للمسلمين في كل عام إحياءً لذكرى فداء الله لنبية ورسوله إسماعيل، وإكرامه له ولأبيه عبد الله ونبية إبراهيم - عليهما من الله السلام - وبذلك مضت سنة الذبح في عيد الأضحى من كل عام.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تؤكد بما لا يرقى إليه شك أن الذبيح هو إسماعيل ﷺ بكر عبد الله ونبية إبراهيم ووحيدة، لأنه لم يكن قد رزق بإسحاق بعد. وفي ختام الآيات التي أوردت قصة الذبح والفداء مباشرة جاءت البشرية بإسحاق وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَدَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ١١٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١١٨ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١١٩ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢٠ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢١ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ١٢٢ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ١٢٣﴾

[الصافات: 107 - 113].

والآية الأخيرة تؤكد أن وراثه هذين النبيين والرسولين الصالحين إبراهيم وإسماعيل ﷺ ليست وراثه الدم والنسب كما يدعي اليهود، ولكنها هي وراثه العقيدة الصحيحة، والعبادة المفروضة، والالتزام بضوابط السلوك التي شرعها الله - تعالى - وبمكارم الأخلاق التي يحبها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعم البعض أنه إسحاق وكذبوا، وادّعوا أن الذبيح هو إسحاق وليس بإسماعيل، وقد حملهم على ذلك حسدهم للعرب، وحبهم للاستثناء بكل تكريم، وقد ردّ عليهم عدد من علماء المسلمين مكذبين ادعاءهم الباطل، ومستشهادين بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾

[هود: 71].

وكانت هذه البشارة قبل تدمير قرى قوم لوط مباشرة، والذي حدث في وقت متأخر من حياة عبد الله ورسوله إبراهيم ﷺ، وبعد الأمر بذبح بكره ووحيدته إسماعيل ﷺ بعدد من السنين. وكيف تقع البشارة بحمل السيدة سارة زوجة إبراهيم بإسحاق، ومن وراء إسحاق بشارة أخرى بميلاد يعقوب، ثم يأتي الأمر بذبح من لم يكن قد ولد بعد؟ وكيف يبشر إسحاق بذرية والأمر الإلهي صادر بذبحه، ولم يكن الأمر قد تم تبديله بعد؟

وروى محمد بن إسحاق أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل إلى أحد علماء اليهود بالشام، عُلِمَ عنه أن الله - تعالى - كان قد شرح صدره للإسلام فأسلم وحسن إسلامه، فلما جاءه سأله أمير المؤمنين: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين.

فمن الثابت أن إسماعيل ولد قبل ميلاد إسحاق بأربعة عشر سنة، كما جاء في «العهد القديم». وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون الابن الذي أمر إبراهيم بذبحه سوى إسماعيل، خاصة وأن الأمر إلى إبراهيم بذبح ابنه جاء في أكثر من موضع «بسفر التكوين/22» بالنص الصريح:

«اذبح ابنك الوحيد»، والابن الوحيد كان هو إسماعيل الذي خلق وترعرع قبل ميلاد إسحاق بأربعة عشر سنة. كما يذكر «العهد القديم» في النصين التاليين:

The Birth of Ishmael

¹⁵So Hagar bore Abram a son, and Abram gave the name Ishmael to the son she had borne.

¹⁶Abram was eighty-six years old when Hagar bore him Ishmael.

مولد إسماعيل
¹⁵كَمْ وَوَلَدَتْ هَاجَرَ لِأَبْرَامَ ابْنًا. فَدَعَا أَبْرَامُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْ لَهُ
 هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ. ¹⁶وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّابِثَةِ وَالسَّاتِمَةِ مِنَ
 عَشْرِهِ عِشْرِينَ وَوَلَدَتْ لَهُ هَاجَرَ إِسْمَاعِيلَ.

The Birth of Isaac

21 Now the LORD was gracious to Sarah as he had said, and the LORD did for Sarah what he had promised. ²Sarah became pregnant and bore a son to Abraham in his old age, at the very time God had promised him. ³Abraham gave the name Isaac to the son Sarah bore him. ⁴When his son Isaac was eight days old, Abraham circumcised him, as God commanded him. ⁵Abraham was a hundred years old when his son Isaac was born to him. ⁶Sarah said, "God has brought me laughter, and everyone who hears about this will laugh with me." ⁷And she added, "Who would have said to Abraham that Sarah would nurse children? Yet I have borne him a son in his old age." ⁸The child grew and was weaned, and on the day Isaac was weaned Abraham held a great feast.

مولد إسحاق
 ٢١ وَأَقْبَحَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَأَحْبَزَ لَهَا مَا وَعَدَ
 بِهَا. ^٢وَحَمَلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ إِبْرَاهِيمَ فِي
 شِبْطِهَا أَنَّهُ، فِي الْوَلَدَةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ لَهُ. ^٣فَدَعَا
 إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ سَارَةُ، إِسْحَاقَ. ^٤وَخَتَنَهُ فِي
 الْيَوْمِ الثَّمَانِينَ بِمُوجِبِ أَمْرِ اللَّهِ. ^٥وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ بَلَغَ
 الْهَيْئَةَ مِنْ عَشْرِ عِشْرِينَ وَوُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ. ^٦وَقَالَتْ سَارَةُ
 هَلْ قَدْ أَحْضَكَنِي الرَّبُّ. ^٧كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ هَذَا الْآنَ يَضْحَكُ
 مِنِّي. ^٨وَأَضَافَتْ أَيْضًا: وَمَنْ كَانَ يُنَبِّئُنِي أَنْ يَقُولَ
 لِإِبْرَاهِيمَ إِنَّ سَارَةَ سَتَرْضِعُ بَنِينَ؟ فَهَا أَنَا قَدْ أَنْجَبْتُ لَهُ
 ابْنًا فِي شِبْطِهَا. ^٩وَكَبُرَ إِسْحَاقُ وَطُيْمَ. ^{١٠}فَلَمَّا كَبُرَ إِبْرَاهِيمَ
 فِي يَوْمِ طُيْمِهِ مَأْتِيَةً عَظِيمَةً.

سفر التكوين (1/21 - 8)

من هنا يتضح أن عرض القرآن الكريم لهذا الموقف العظيم من سيرة أبي الأنبياء إبراهيم وولده النبي والرسول إسماعيل ﷺ يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب المجيد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ

[مریم: 49 - 50]

صِدْقٍ عَلَيَّا ﴿٥٠﴾﴾

سادساً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام

عبد الله ونبيه إسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم الخليل عليه السلام، الذي وهبه الله - تعالى - إياه على الكبر، استجابة لدعوته المتكررة التي كان يُرذدها كثيراً، ويقول فيها: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: 100].

ولقد جاء ذكر عبد الله ونبيه إسحاق في القرآن الكريم سبع عشرة (17) مرة، منها أقواله - تعالى -:

1 - ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِزْهَمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 133].

2 - ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ إِزْهَمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136].

3 - ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِزْهَمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: 140].

4 - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: 84].

5 - ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهُدْرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِكُمْ وَإِنَّمَا تَحْكُمُ بِآيَاتِنَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [النساء: 163].

6 - ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: 39].

7 - ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: 113].

8 - ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِيهِ فَجَاءَهُ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّيَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْتَحَسَ مِنْهُمْ خِيَفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُمْ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ [الذاريات: 24 - 30].

9 - ﴿ فَلَمَّا أَعْرَضْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٥٠﴾ [مريم: 49، 50].

10 - ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ [البقرة: 140].

وفي المرآت السبعة عشر، التي أورد فيها القرآن الكريم ذكر عبد الله ونبيه إسحاق عليه السلام، لم يفصل سوى معجزة ميلاده، الذي بشرت به الملائكة كلاً من أبيه الشيخ الهرم، وأمه العاقر الطاعنة في السن. وأوردت الآيات في البشري ذكر ابنه يعقوب - عليهم جميعاً من الله السلام - . وذلك تأكيداً على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة، وتعظيماً لها.

وأكدت إحدى هذه الآيات على أن إسحاق كان من الصالحين، وكان نبياً

مُباركاً، وأنّ هذا الصلاح، وتلك البركة، لا تُورَث بمُجرّد علاقة النّسب، ولكن لا بدّ من الاستقامة على منهج الله - تعالى - . ولذلك قال ربّنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

[الصفات: 113].

ونحنُ لا نعلمُ أيّة تفاصيل عن حياة عبد الله ونبيه إسحاق ﷺ، ولا عن تفاعل قومه معه، وإن قيل أنّه مات ودُفن في المغارة التي كان أبوه إبراهيم ﷺ قد دُفن فيها من قبل، في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

ومن الدروس المستفادة، من حديث القرآن الكريم عن نبيّ الله وعبدّه إسحاق، التأكيد على أنّ الذريّة من الرزق، وأنّ الرزق من الله - تعالى - وحده، وعلى ذلك فإنّه يُطلب بالطاعة والإلحاح على الله بالدعاء الصادق، لأنّه ﷻ هو الذي يُصوّر الخلق في الأرحام، كيف يشاء.

هذا وقد جاء ذكر إسحاق ﷺ في «العهد القديم» (سفر التكوين: 22، 24،

.26).

Isaac Settles in Gerar

26 Now there was a famine in the land—besides the earlier famine of Abraham's time—and Isaac went to Abimelech king of the Philistines in Gerar. ²The LORD appeared to Isaac and said, "Do not go down to Egypt; live in the land where I tell you to live. ³Stay in this land for a while, and I will be with you and will bless you. For to you and your descendants I will give all these lands and will confirm the oath I swore to your father Abraham. ⁴I will make your descendants as numerous as the stars in the sky and will give them all these lands, and through your offspring all nations on earth will be blessed, ⁵because Abraham obeyed me and kept my requirements, my commands, my decrees and my laws." ⁶So Isaac stayed in Gerar.

⁷When the men of that place asked him about his wife, he said, "She is my sister," because he was afraid to say, "She is my wife." He thought, "The men of this place might kill me on account of Rebekah, because she is beautiful." ⁸When Isaac had been there a long time, Abimelech king of the Philistines looked down from a window and saw Isaac caressing his wife Rebekah. ⁹So Abimelech summoned Isaac and said, "She is really your wife! Why did you say, 'She is my sister?'" Isaac answered him, "Because I thought I might lose my life on account of her." ¹⁰Then Abimelech said, "What is this you have done to us? One of the men might well have slept with your wife, and you would have brought guilt upon us." ¹¹So Abimelech gave orders to all the people: "Anyone who molests this man or his wife shall surely be put to death."

¹²Isaac planted crops in that land and the same year reaped a hundredfold, because the LORD blessed him. ¹³The man became rich, and his wealth continued to grow until he became very wealthy. ¹⁴He had so many flocks and herds and servants that the Philistines envied him. ¹⁵So all the wells that his father's servants had dug in the time of his father Abraham, the Philistines stopped up, filling them with earth. ¹⁶Then Abimelech said to Isaac, "Move away from us; you have become too powerful for us."

¹⁷So Isaac moved away from there and camped in the Valley of Gerar and settled there. ¹⁸Isaac reopened the wells that had been dug in the time of his father Abraham, which the Philistines had

إسحاق يقم في مدينة جرار
وَحَدَّثَ فِي الْأَرْضِ جُوعٌ عَظِيمٌ الْجُوعِ الْأَوَّلِ الَّذِي
كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ. فَانزَلَ إِسْحَاقَ إِلَى مَدِينَةِ
جَزَارَ حَيْثُ لَيْمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ^٢ظَهَرَ لَهُ الْكَوْنُ
قَائِلًا، لَا تَنْصُرْ إِلَى مِصْرَ، بَلْ تَبْقُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي
أَعْتَبْتُ لَكَ. ^٣أَقِمْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ فَأَكُونُ مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ،
لَأَنْتِي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَقَدْ بَقَسِي
الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. ^٤وَأَكْثُرُ ذُرِّيَّتَكَ كَجُجُومِ
السَّمَاءِ وَأَهْبِطُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَلْبَادِ. وَتُبَارِكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعَ
أَسْمِ الْأَرْضِ. ^٥لَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَعَ قَوْلِي، وَخِطَّ أَوْسُرِي
وَوَضَّعَ أَمْرًا وَتَرْتِيبًا. ^٦لَقَامَ إِسْحَاقَ فِي مَدِينَةِ
جَزَارَ.

^٧وَعِنَّمَا سَأَلَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ زَوْجِهِ قَالُوا، هِيَ أُخْتِي،
لَأَنَّ خَافَ أَنْ يَقُولَ، هِيَ زَوْجَتِي، يُتَلَا بِقَتْلِهِ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ مِنْ أَجْلِ رِفْقَةٍ، لِأَنَّهَا كَانَتْ رَافِعَةَ الْجَنَانِ.
^٨وَحَدَّثَ بَعْدَ أَنْ طَالَ مُكُونُهُ هُنَا، أَنَّ لَيْمَالِكَ مَلِكَ
الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَهْلًا مِنْ الْغَائِبَةِ، فَشَهِدَ إِسْحَاقَ بِمُنَاجَبِ
امْرَأَتِهِ رِفْقَةَ. ^٩فَلَمَّا نَدَعَا إِلَيْهِ وَقَالَ، إِنَّهَا بِالنَّحِيقَةِ زَوْجَتُكَ،
فَكَيْفَ قُلْتَ هِيَ أُخْتِي؟ فَاجَابَ إِسْحَاقُ، لِأَنِّي قُلْتُ،
لَعَلِّي أَقْتُلُ بِسَبَبِهَا. ^{١٠}قَالَ لَيْمَالِكُ، مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ
بِنَا؟ فَقَدْ كَانَ يُسِيرُ عَلَيَّ أَيُّ وَاجِدٍ مِنْ الشُّعْبِ أَنْ
تَضْلِجَ مَعِ زَوْجِيكَ فَتُجْلِبَ بِذَلِكَ عَلَيْنَا إِيْمًا. ^{١١}وَأَنْذَرَ
لَيْمَالِكُ كُلَّ الشُّعْبِ قَائِلًا، كُلُّ مَنْ يَمَسُّ هَذَا الرَّجُلَ أَوْ
زَوْجَتَهُ فَحَتْمًا مَمُوتٌ.

^{١٢}وَنَزَعَ إِسْحَاقَ فِي بِلْدِ الْأَرْضِ، فَخَصَدَ فِي بِلْدِ كِسْفَةِ مِئَةِ
ضِعْفٍ لِأَنَّ اللَّهَ بَارَكَهُ. ^{١٣}وَعَظُمَ شَأْنُ الرَّجُلِ، وَتَرَابَدَ غِنَاهُ
وَأَصْبَحَ وَاسِعَ الْكِرَامِ وَالْكَوْبِ. ^{١٤}وَصَارَتْ لَهُ مَالِيَّةٌ، غَنَمٌ
وَمُخْلَطَانُ بَشَرٍ وَعَبِيدٌ كَثِيرُونَ. ^{١٥}فَحَسَدَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ، ^{١٦}وَدَفَنُوا
الْفِلِسْطِينِيُّونَ بِالْأَرْبَابِ جَمِيعَ الْآبِلِ الَّتِي حَفَرَهَا عبيدُ أَبِيهِ فِي
أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ. ^{١٧}وَقَالَ لَيْمَالِكُ لِإِسْحَاقَ، انزَحْ عِنَّا لِأَنَّكَ
أَمْتَحِنْتَ أَكْثَرَ قُوَّةٍ مِنَّا. ^{١٨}فَانصَرَفَ إِسْحَاقُ مِنْ هُنَا
وَضَرَبَ خِيَامَهُ فِي وَايِ جَزَارَ حَيْثُ أَقَامَ.

^{١٩}وَأَعَادَ إِسْحَاقَ حَفَرَ آبِلِ الْجِنَانِ الَّتِي كَانَ قَدْ تَمَّ حَفَرُهَا
فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ وَدَفَنَهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ بَعْدَ مَمُوتِ أَبِيهِ.

stopped up after Abraham died, and he gave them the same names his father had given them.¹⁹ Isaac's servants dug in the valley and discovered a well of fresh water there.²⁰ But the herdsmen of Gerar quarreled with Isaac's herdsmen and said, "The water is ours!" So he named the well Esek, because they disputed with him.²¹ Then they dug another well, but they quarreled over that one also; so he named it Sitnah.²² He moved on from there and dug another well, and no one quarreled over it. He named it Rehoboth, saying, "Now the LORD has given us room and we will flourish in the land."²³ From there he went up to Beersheba.²⁴ That night the LORD appeared to him and said, "I am the God of your father Abraham. Do not be afraid, for I am with you; I will bless you and will increase the number of your descendants for the sake of my servant Abraham."²⁵ Isaac built an altar there and called on the name of the LORD. There he pitched his tent, and there his servants dug a well.

The Treaty Between Isaac and Abimelech

²⁶Meanwhile, Abimelech had come to him from Gerar, with Ahuzzath his personal adviser and Phicol the commander of his forces.²⁷ Isaac asked them, "Why have you come to me, since you were hostile to me and sent me away?"²⁸ They answered, "We saw clearly that the LORD was with you; so we said, 'There ought to be a sworn agreement between us'—between us and you. Let us make a treaty with you²⁹ that you will do us no harm, just as we did not molest you but always treated you well and sent you away in peace. And now you are blessed by the LORD."³⁰ Isaac then made a feast for them, and they ate and drank.³¹ Early the next morning the men swore an oath to each other. Then Isaac sent them on their way, and they left him in peace.³² That day Isaac's servants came and told him about the well they had dug. They said, "We've found water!"³³ He called it Shibah, and to this day the name of the town has been Beersheba.

³⁴When Esau was forty years old, he married Judith daughter of Beeri the Hittite, and also Basemath daughter of Elon the Hittite.³⁵ They were a source of grief to Isaac and Rebekah.

ودعاها بالأشمام التي أطلقها عليها أبوه.¹⁹ وعيننا حفر عبيد إسحاق في الوادي وعكروا على بئر ماء جارٍ.²⁰ فخاضم رعاة مدينة جزار رعاة إسحاق قائلين: «هنا الماء لنا». فدعا ألبتر عبيق: «لأنهم نازحوه علينا». ثم حفرُوا بئراً أخرى وتخاصموا عليها. فدعاها «سبطنة» (وتفائلها عفاوة).²¹ وانتقل بعد ذلك من هناك وحفر بئراً أخرى ولم يتنازلوا عنها. فدعا اسمها «رهوبوث». (وتفائلها الأماكن الواسعة) قائلًا: «لأن الرب قد أرحب الآن لنا والتمزنا في الأرض». ثم مضى من هناك إلى بئر سنج. «فطلب له الرب في تلك الليلة وقال: «أنا اله إله إبراهيم أبوك. لا تخف لأني معك وأبركك وأكثر ذريتك من أجل عبيدي إبراهيم». فتعبّد إسحاق هناك ملتحماً ودعا باسم الرب. ثم نصب هناك خيمته. وحفر عبيده بئراً.

الميثاق بين إسحاق وأبيمالك

²⁶والتقى عليه من مدينة جزار أبيمالك وأحزات مستشاره. وبيقول رئيس عبيده.²⁷ فقال لهم إسحاق: «ما بلكم قد أتيتم إلي، وأنتم قد أبغضتموني وصرتكموني من عديكم؟»²⁸ فأجابوه: «لقد تبين لنا أن الرب معك. فلنا، ليكن بيننا حلف وتطبخ معك عهداً،²⁹ أن لا نسيء إينا كما لم نمتك بشراً ولم يمتك منا سوى الخبز. ثم صرناك سلاماً. وما أتت الآن مباركة من الرب». «فأقم لهم مأدبة فاكلوا وشربوا». ثم تجوزوا في الصباح وحلف بعضهم لبعض، وشبعهم إسحاق ما أضرهموا بسلاماً.³⁰ وفي نفس ذلك اليوم جاء عبيد إسحاق والخبروا قائلين: «إننا عكروا على ماء في البئر التي حفرناها». فدعاها شيبه. لذلك سميّت المدينة بئر سنج إلى هذا اليوم.

³⁴ولما بلغ عيسو الأربعين من عمره تزوج ثلثاً من عهوديت بنت ييري الحثي، وتسمت بنت يليون الحثي.³⁵ فأنجست حواء إسحاق ورفقة.

The Death of Isaac

²⁷Jacob came home to his father Isaac in Mamre, near Kiriath Arba (that is, Hebron), where Abraham and Isaac had stayed. ²⁸Isaac lived a hundred and eighty years. ²⁹Then he breathed his last and died and was gathered to his people, old and full of years. And his sons Esau and Jacob buried him.

موت إسحاق
²⁷وقدم يعقوب على إسحاق أبيه إلى بئر في قرية أربع
المنفردة يسمون حيث تقرب إبراهيم وإسحاق. ²⁸وعاش
إسحاق مئة وثمانين سنة. ²⁹لم أشلم روحه وتجرى نفوسه شهياً
طاعياً في السن ودفعته أمته يعسو ويعقوب.

44 - ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١١٢] ﴿الصَّافَات: 112﴾.

يقول ربنا - تبارك اسمه - في محكم كتابه عن عبده ونبيه إبراهيم ﷺ بعد ابتلائه بالأمر بذبح وحيدته إسماعيل، وانصياعه وولده لأمر الله ما نصّه: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [١١٨] سَلَّمَ عَلَيَّ إِزْهِيمَ [١١٩] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [١١٠] إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١١١] وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ [١١٢] وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ [١١٣] ﴿الصَّافَات: 108 - 113﴾.

فبعد أن استجاب الله - تعالى - لدعاء عبده ونبيه إبراهيم ﷺ الذي قال فيه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن الصَّالِحِينَ﴾ [١١٠] ﴿الصَّافَات: 100﴾، قال - تعالى -: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [١١١] ﴿الصَّافَات: 101﴾، وكان الغلام الحليم هو إسماعيل ﷺ الذي ملأ على أبيه حياته كلها بعد أن كان قد هاجر بدينه عن أهله، وكان قد طعن في السن. ولنا أن نتصور فرحة هذا الشيخ الوحيد الغريب عن أرضه، الطاعن في العمر بمولوده الذي يصفه ربه بأنه حليم. وما كاد عبد الله ﷻ ورسوله إبراهيم أن يأنس بوحيدته هذا حتى يُبتلى بالأمر الإلهي بإبعاده وأمه عنه، وإسكانهما بوادٍ غير ذي زرع عند قواعد البيت الحرام. وما كاد الغلام ينمو، ويتفتح صباه حتى يؤمر أبوه في المنام بذبحه. ولما كانت رؤيا الأنبياء حق، عرض الوالد الأمر على ابنه الوحيد فقبل قضاء الله على الفور بالرضى والتسليم والصبر. ويشرع كل من الأب والابن في تنفيذ أمر الله - تعالى - الذي فداه بذبح عظيم.

وتقديرًا لهذا الموقف الفريد الذي جسّد حقيقة الإيمان بالله - تعالى - والرضى بقضائه، والتسليم لأمره كرم الله كلاً من عبده إبراهيم وولده إسماعيل تكريماً فائقاً فجعلهما المذكوران على مر الزمان بالذكر الحسن، وترك لهما الثناء على ألسنة المؤمنين من خلقه إلى يوم الدين.

ثم يتجلى فضل الله - تعالى - على عبده إبراهيم مرة أخرى، فيهبُّ له ابناً

آخر في شيخوخته هو الابن الثاني لإبراهيم والذي سمّاه باسم إسحاق. وبارك الله - جلّت قدرته - على كل من إبراهيم وإسحاق وعلى الصالحين من ذريتهما قائلاً: ﴿وَشَرَّحْنَا بِسَبْحَةِ نَبِيٍّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصّافات: 112، 113].

وهذه الوراثة ليست وراثة الدم والنسب فحسب، كما يدّعي كثير من المبطلين، إنما هي - قبل كل شيء - وراثة الدين الحق (عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ومعاملات). فمن التزم بهذا الدين الحق فهو محسن، ومن انحرف عنه فهو ظالم لنفسه، لا ينفعه نسب، ولا تشفع له قرابة.

ومن الدروس المستفادة من ميلاد إسحاق لأب شيخ طاعن في السن وأُمّ عجوز عقيم ما يلي:

1 - الإيمان بأنّ الدنيا هي دار ابتلاء، وأنّ النجاح في الابتلاءات الدنيوية هو الطريق الموصل إلى جنة الخلد بإذن الله، وأنّ كل ابتلاء يقود إلى الفرج إذا تحمّله العبد بشيء من الرضى، والصبر، والتسليم بقضاء الله وقدره، مع القناعة التامة بأنّه الخير كل الخير. وجزاء الصبر على الابتلاء عظيم في الدنيا قبل الآخرة ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أشدّ الناس بلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه لين خُفّف عنه البلاء»⁽¹⁾. وقال: «عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير له، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»⁽²⁾.

2 - الإيمان بأنّ الذرية من الرزق، وأنّ الرزق من الله - تعالى - وحده القائل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْتَأًا وَيَهَبُ لِمَن

(1) مسند أحمد حديث رقم (12906).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، حديث رقم (7425).

يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْسَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[الشورى: 49، 50].

والقائل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

[آل عمران: 6].

والقائل: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

[الرعد: 8].

وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك»⁽¹⁾.

فالذي يخلق النطف هو الله، والذي يُزَوج بينها في الأرحام هو الله، والذي يُحدّد جنس الجنين ويرعاه في جميع مراحلها هو الله الذي وصف ذاته العلية بوصف الخالق البارئ المصور.

3 - الإيمان الجازم بأنَّ الله - تعالى - على كل شيء قدير: لذلك جاء ميلاد إسحاق عليه السلام حدثاً خارقاً للعادة، بَشَّرت به الملائكة كما جاء في قول ربنا - تبارك وتعالى - مُوجِّهاً الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم بالنص القرآني التالي: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

[الذاريات: 24 - 30].

وقوله - تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر، حديث رقم (6668).

وَتَقَبَّلَ دُعَاءَهُ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

[إبراهيم: 39 - 41].

والإعجاز العلمي هنا يتلخص في ميلاد طفل من أب شيخ كبير ومن أم عجوز عاشت طيلة حياتها عاقراً، مما يؤكد أن الخلق عمل إلهي محض، لا دخل لمخلوق فيه، وهو ما أكدته كل المشاهدات العلمية الراشدة.

ويتمثل الإعجاز التربوي بضرورة ترويض النفس الإنسانية على قبول قضاء الله وقدره بنفس راضية، وقناعة كاملة بأن في ذلك الخير كل الخير، حتى وإن بدا في ظاهره غير ذلك. وتعويد النفس الإنسانية كذلك على التوجه بالدعاء إلى الله - تعالى - فالدعاء هو مخ العبادة، لأنه يُجسد مقام عبودية العبد لخالقه ﷻ وأبلغ تجسيد.

أما الإعجاز الإنبائي والتاريخي؛ فيتمثل في سرد معجزة ميلاد عبد الله ونبيه إسحاق ﷺ خاصة إذا علمنا أن هذا النبي قد عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، وأن الرسول الخاتم الذي تلقى القرآن الكريم بعث في مطلع القرن السابع الميلادي.

والقرآن الكريم لم يُفصل قصة هذا النبي الصالح كما فصل غيرها من قصص الأنبياء، على الرغم من ورود اسمه سبعة عشرة مرة في كتاب الله، وكأن المقصود من ذلك هو إبراز الدرس المستفاد من معجزة ميلاده من أبوين كانا قد جاوزا القدرة على الإنجاب، إثباتاً لقدرة الله المطلقة التي لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق، والتي وصفها الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

[يس: 82، 83].

والإيمان بطلاقة القدرة الإلهية هو ركن من أركان الإيمان بالله.

ولا يُقلل الإنباء بهذه المعجزة التاريخية القديمة وجود شيء من التوافق بين ما جاء عنها في كتاب الله، وما أورده «العهد القديم»؛ لأن ذلك يدعم صدقها

التاريخي، مع الفوارق الهائلة بين إخبار الله، وسرد البشر للقصة الواحدة.

فسرد البشر مليءً بالنقص والتضارب والاختلال، بينما إخبار الله - تعالى - مُتَّصِفٌ بِالْكَامالِ الْمَطْلُوقِ. ويكفي للدلالة على ذلك أنَّ القرآن الكريم يؤكِّد أنَّ الابن الذي أُمِرَ إبراهيم ﷺ بذبحه هو إسماعيل ﷺ وقد كان ولده الوحيد الذي وهبه الله - تعالى - إِيَّاهُ على الكبر بعد أن كان قد طعن في السن كثيراً.

وجزاءً على الموقف النبيل لكل من إبراهيم ووحيدِه إسماعيل بقبول الوالد أن يذبح وحيدِه، وقبول الابن أن يُذبح انصياعاً لأمر الله، فدى ربنا - تبارك وتعالى - عبده إسماعيل بذبح عظيم. وأثنى الله ﷻ على كلِّ من إبراهيم وولده إسماعيل أفضل الثناء، وأكرمهما أعظم الكرم وذلك بالمباركة عليهما وعلى ذريتهما ويجعل ختام النبوة في ذرية إسماعيل ﷺ. وبعد فترة من الزمن بُشِّرَ إبراهيم بابنٍ آخر هو إسحاق، وإبراهيم طاعن في السن وزوجه عجوزٌ عقيم، وبارك الله - تعالى - عليه وعلى إسحاق. ويأتي ميلاد إسحاق في وقت كان إسماعيل فتىً يافعاً، قد قارب الرابعة عشر من العمر، وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون الابن الذي أمر إبراهيم بذبحه هو إسحاق، خاصة وأنَّ الأمر كما جاء في أكثر من موقع من «العهد القديم» (سفر التكوين) جاء بالنص الصريح: «اذبح ابنك الوحيد»، ولم يكن ابنه الوحيد سوى إسماعيل ﷺ لأن الابن الوحيد لا يمكن إلا أن يكون الأكبر سنًّا (سفر التكوين/ 22).

ولكن الذين زيفوا الحق هم شياطين الإنس من الكفار والمشركين الذين كذبوا على الله، وحرَّفوا الدين، وعبدوا العجل على زمن موسى، وانحرفوا عن هديه في حياته ومن بعد مماته، وكفروا بأنبيائهم فقاتلوهم وقتلوهم، وكفروا بنبي الله عيسى ابن مريم ﷺ وأوغروا صدور الرومان عليه حتى كادوا أن يقتلوه صلباً، لولا أن رفعه الله إليه. ثم قاوموا نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فخانوا كل العهود والمواثيق التي أبرموها معه، وتعاونوا مع الكفار والمشركين ضده، وحاولوا سمِّه وقتله، وأكثروا من الدسِّ عليه في حياته ومن بعد مماته. هؤلاء هم

كفرة أهل الكتاب الذين ادّعوا كذباً بأنّ الذبيح كان إسحاق دون أدنى دليل منطقي على ذلك، بينما يؤكد القرآن الكريم على أنّ الذبيح كان إسماعيل وهو ما يدعمه المنطق ويؤكدّه الدليل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

وتأكيد القرآن الكريم على أن الذبيح كان إسماعيل ﷺ هو من المعجزات الإنبائية والتاريخية في كتاب الله، ومن الأدلة القاطعة على تحريف كل من «العهدين القديم والجديد»، وعلى دقة حفظ القرآن الكريم.

وما جاء في سفر التكوين 9/22 - 19 هو تزيف واضح كما يتبين من

النص التالي:

إسحاق هو المحرقة

Isaac is the Sacrifice
⁹When they reached the place God had told him about, Abraham built an altar there and arranged the wood on it. He bound his son Isaac and laid him on the altar, on top of the wood. ¹⁰Then he reached out his hand and took the knife to slay his son. ¹¹But the angel of the LORD called out to him from heaven, "Abraham! Abraham!" "Here I am," he replied. ¹²"Do not lay a hand on the boy," he said. "Do not do anything to him. Now I know that you fear God, because you have not withheld from me your son, your only son." ¹³Abraham looked up and there in a thicket he saw a ram caught by its horns. He went over and took the ram and sacrificed it as a burnt offering instead of his son. ¹⁴So Abraham called that place The LORD Will Provide. And to this day it is said, "On the mountain of the LORD it will be provided."

¹⁵The angel of the LORD called to Abraham from heaven a second time ¹⁶and said, "I swear by myself, declares the LORD, that because you have done this and have not withheld your son, your only son, ¹⁷I will surely bless you and make your descendants as numerous as the stars in the sky and as the sand on the seashore. Your descendants will take possession of the cities of their enemies, ¹⁸and through your offspring all nations on earth

أولنا بلقاً الموضّح الذي أشار إليه الله شديد إبراهيم منذها هناك. وتضدّ الخطب. ثم أولق إسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الخطب. "وعد إبراهيم بذه وتناول الشكين لينتح ابنه." فتأذاه ملاك الرب من السماء قيلاً، إبراهيم، إبراهيم، فأجاب، نعم. "قال، لا تمدّ يديك إلى الصبي ولا توضع به ضرراً لأنني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وجيدك عني.. "وإذ تطلّع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة. فذهب وأحضره وأضغده محرقة عوضاً عن ابنه. "ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان، هيوة يراه (ومغناه، الرب ينفذ). ولذلك يقال حتى اليوم، في جبل الرب الإله نرى..

¹⁹وتأذى ملاك الرب إبراهيم من السماء مرة ثانية، "وقال، لها أنا أقسم بلذي يقول الرب، لأنك صنعت هذا الأمر، ولم تمنع ابنك وجيدك عني، ²⁰لأنك تكفون ذريتك فتكون كنجوم السماء وتزمنل شاطيء البحر، وترب ذريتك مدن أغنيها. ²¹وسدريتك تتسرك جميع أسم الأرض، لأنك أعطيتي.. ²²ثم رجع إبراهيم إلى غلانيه وعادوا جميعاً إلى بئر سبع حيث أقام إبراهيم.

سابعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم

لقصة عبد الله ونبه يعقوب ﷺ

هو عبد الله ونبه، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليهم جميعاً من الله السلام -، ويُعرف باسم «إسرائيل» أي: عبد الله، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، ستة عشر (16) مرة تحت هذا الاسم (يعقوب)، ومرتان تحت اسم «إسرائيل». ومن هذه الآيات ما يلي:

1 - ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 130 - 133].

2 - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ رَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ اللَّهُ بِهِنَّ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّآ فَعَدَّ وَعَدَّ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكْفِيرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتِدَةٌ قَدْ لآ آسَأَكُم عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذَكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 83 - 90].

3 - ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجَلٍ

حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَجَّكَتْ فَنَشَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أُنْعِمِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

[هود: 69 - 73].

4 - ﴿وَكَذَلِكَ يَجَنَّبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

[يوسف: 6].

5 - ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

[يوسف: 38].

6 - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

[يوسف: 68].

7 - ﴿ذَكَرُ رَحِمْتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءُ خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِيئِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

[مريم: 2 - 6].

8 - ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾

[الأنبياء: 69 - 72].

9 - ﴿٤٥﴾ فَتَمَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[العنكبوت: 26, 27].

10 - ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ

ذِكْرِي الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِيْتَهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ [ص: 45 - 47].

وفي الأثر أن يعقوب ﷺ وُلد على أرض فلسطين، ثم رحل إلى «آرام» من أرض بابل بالعراق، حيث تزوج من بنات خاله، ورزقه الله ﷻ باثني عشر (12) ولداً، عُرفوا ونسلهم من بعدهم باسم «أسباط بني إسرائيل». ويذكر أن معظم أبناء يعقوب ﷺ ولدوا بأرض العراق، ما عدا بنيامين الذي وُلد على أرض فلسطين. وقد تعرّض يعقوب لسلسلة من الابتلاءات بغياب ولديه يوسف وبنيامين عنه، حتى كَفَّ بصره.

وفي زمن القحط الذي أصاب بلاد الشام، رحل يعقوب ﷺ هو وعائلته إلى أرض مصر، للحاق بولده يوسف الذي كان الله - تعالى - قد مَكَّن له فيها، وجعله على خزائنها. وعاش يعقوب وعائلته على أرض مصر، وقد ردَّ الله عليه بصره حتى مات. ويذكر أن جثمانه نُقل إلى أرض فلسطين، حيث دُفن مع توأمه عيص في مقبرة آبائه إبراهيم وإسحاق، بمدينة الخليل. وعاش بنو إسرائيل من بعده على أرض مصر لفترة طويلة، حتى تمَّ خروجهم منها على أيدي كل من هارون وموسى ﷺ.

وكما فعل إبراهيم ﷺ من قبل، أوصى يعقوب ﷺ أبناءه وهو في لحظات الاحتضار، أن يعيشوا بالإسلام وألاً يموتوا إلاً عليه، لأنَّه هو الدين الوحيد الذي يرتضيه ربنا - تبارك وتعالى - من عباده، ولا يرتضي منهم ديناً سواه.

ومن الدروس المُستفادة، من ذكر القرآن لعبد الله ونبية يعقوب ﷺ، الإيمان بأنَّ الحياة الدُّنيا هي دار ابتلاء واختبار، وأنَّ رؤيا الصالحين حق، وأنَّ من واجب الوالدين عدم التمييز بين أبنائهما، حتى لا يُثيروا الفتن بينهم.

هذا، وقد جاء ذكر عبد الله ونبية يعقوب ﷺ في «العهد القديم» [تكوين (25 - 50)]، حيث وصف بالكاذب، والسارق، والمخادع، والماكر، وساقى الخمر (تكوين - 18/27 - 46) وليست هذه أبداً من صفات الأنبياء.

45 - ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ [مريم: 49].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل أن إبراهيم عليه السلام اعتزل أباه وقومه لعبادتهم الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب من دون الله، ورفضهم توحيد الله - تعالى -، وتزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وقد دعا إبراهيم أباه وقومه إلى التوحيد الخالص فأنكروا عليه ذلك، وهددوه وتوعده، وحاولوا حرقه في النار حياً، ولكن الله - تعالى - نجاه من كيدهم. ولما يسس إبراهيم من هدايتهم، غادر ديارهم إلى بلاد الشام، واستقر في فلسطين بعيداً عن أهله وقومه وبني جلدته، ولم تكن له ذرية حتى بلغ به العمر مبلغاً كبيراً، وحينئذٍ وهبه الله - تعالى - ابنه إسماعيل عليه السلام من زوجه الثانية السيدة هاجر - عليها رضوان الله - ثم أصلح له زوجته الأولى السيدة سارة عليها السلام وكانت عجوزاً عقيماً، فوهبه منها إسحاق ووهبه من إسحاق يعقوب عليه السلام. فأنس الله - تعالى - عبده ونبيه إبراهيم بولديه وحشته في غربته، بعد أن كان قد فارق أهله وقومه وديارهم. وعاش كل من إسحاق وولده يعقوب في بيت عبد الله ونبيه إبراهيم عليه السلام وترى الابن والحفيد على الإسلام الخالص في بيت الوالد والجد، ثم أكرمهما الله - تعالى - بالنبوة عند بلوغ كل منهما السن اللازمة لحمل أمانة التبليغ عن الله - تعالى - ولذلك قال - تعالى -:

﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ [مريم: 49، 50].

ويتلخص وجه الإعجاز الإنبائي في هاتين الآيتين الكريمتين في التأكيد على نبوة كل من إسحاق ويعقوب عليه السلام، بينما تؤكد الآية رقم (54) من نفس السورة على أن إسماعيل عليه السلام كان نبياً رسولاً. كذلك تشير الآية رقم (19) من سورة

«الأعلى» إلى أن خليل الله وكليمه إبراهيم ﷺ كان نبياً رسولاً، وهذه من الحقائق التي لم يرد لها ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد» ولذلك لا يعلمها كثير من الناس. ووجود أعداد من الأحناف في كل من جزيرة العرب وبلاد الشام حتى بعثة المصطفى ﷺ، مما يؤكد أثر الرسالتين الإسلاميتين العظيمتين اللتين حملهما كل من إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ، وجهود من تبعهما من الأنبياء والصالحين.

والآيتان الكريمتان (49، 50 من سورة «مریم») جاءتا بعد حوار إبراهيم ﷺ مع أبيه، ذلك الحوار الهادئ الرصين من جانب إبراهيم، صاحب الرسالة السماوية الذي يحاول جهده هداية أبيه إلى الحق الذي جاءه من عند الله - تعالى - وذلك بأرقّ عبارة ممكنة، وبأفضل أساليب التودّد من ابن وفيّ لحقوق الأبوة، بارّاً بها، والرّد القاسي الجافي المشبّع بالاستنكار والتهديد والوعيد من جانب الأب المشرك عابد كل من الأصنام، والأوثان، والنجوم، والكواكب، الذي طرد ابنه من حضرته مُهدّداً إياه بالقتل إن لم يُعَدّ إلى عبادة ما يعبد كل من أبيه وقومه.

ويرد الابن المؤمن البارّ الوفيّ إبراهيم ﷺ على أبيه بقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسانه: ﴿وَأَعْتَرَكُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مریم: 48].

وهنا تنزّل رحمت الله وفضله على عبده إبراهيم الذي اعتزل أباه وأهله وقومه، وهجر دياره فراراً بدينه من بطش الجاهلين، وجهالة الكفار والمشركين من قومه فقال - تعالى - عنه: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ مَّا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مریم: 49، 50].

وإسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم الذي رزقه الله - تعالى - إياه بمعجزة خارقة للعادة استجابة لدعائه؛ لأنه وُهب ذاك الابن الصالح على الكبر من زوجته سارة التي كانت عجوزاً عقيماً.

ويعقوب هو ابن إسحاق، وابن الابن يعتبر ابناً، خاصة إذا وُلد في حياة

جده، وهكذا كان يعقوب الذي نشأ في حجر جده، فتعلّم منه الإسلام من قبل أن تأتيه النبوة، وهكذا كان أبوه إسحاق من قبله ولذلك قال - تعالى - : ﴿وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾ [مریم: 50].

أي فكانوا ثلاثتهم (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) صادقين في دعوتهم، مُصدِّقين من الذين آمنوا معهم، محفوفين منهم بما يليق بمقام نبوتهم من الطاعة والاحترام، والتكريم والتبجيل، وإن حاربهم أهل الكفر والشرك والضلال كما هي طبيعة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل عبر التاريخ.

ولم يذكر القرآن الكريم أية تفاصيل عن حياة عبد الله ونبية يعقوب ﷺ، على الرغم من ورود ذكره ست عشر مرة في كتاب الله. وتشير بعض الآثار إلى أنه ولد في فلسطين، ثم رحل إلى آرام من أرض بابل بالعراق، وتزوج هنالك من بنتين من بنات خاله، ورزقه الله - تعالى - اثني عشر ولداً عرفوا باسم «أسباط بني إسرائيل». ثم رحل يعقوب ﷺ في آخر عمره إلى مصر بسبب القحط الذي كان قد أصاب بلاد الشام، وذلك للحاق بولده يوسف ﷺ الذي كان الله - تعالى - قد جعله على خزائن مصر. وقد مات يعقوب بمصر، ولكن ولده يوسف نقل جثمانه إلى مدينة الخليل حيث تم دفنه فيها مع توأمه عيص (Esau).

وعلى الرغم من إجمال القرآن الكريم لإشاراته عن عبد الله ونبية يعقوب ﷺ إلا أن هذا الكتاب العزيز يسجل موقفاً هاماً، يعتبر درساً هائلاً في العقيدة، وهو موقف عبد الله ونبية يعقوب ﷺ مع بنيه لحظة احتضاره والذي يصفه القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُنَا وَحَنُّنٌ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: 132، 133].

وتمندح أولى هاتين الآيتين الكريمتين كلاً من عبد الله ﷺ ونبيه إبراهيم وحفيده يعقوب ﷺ إذ أمر الله - تعالى - عبده ورسوله إبراهيم بالإسلام فاستجاب على الفور لأمر ربه، وبدأ في الدعوة إلى دين الله بمجاهدة كبيرة، وتضحية عظيمة، وإخلاص وتجرد كاملين. ولم يكتفِ بذلك، فذكر أبناءه بأنَّ الله - تعالى - قد اصطفى لهم الإسلام ديناً، ولذلك أوصاهم بالاستمسك بهذا الدين القويم الذي لا يرتضي ربُّنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه. وأخذ عليهم العهد ألا يموتوا إلا على الإسلام الخالص القائم على التوحيد الكامل لله - تعالى - وعلى تنزيهه - سبحانه - عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وكذلك فعل حفيده يعقوب ﷺ مع بنيه وهو على فراش الموت فأوصاهم بالاستمسك بالإسلام وتطبيقه نظاماً كاملاً شاملاً للحياة، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله، والحرص على لقاء الله - تعالى - على الإسلام الخالص.

أما الآية الثانية فتوجه بالخطاب إلى كل من اليهود والنصارى الذين يدعون كذباً نسبهم إلى هذا النبي الصالح: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم جميعاً من الله السلام - فتقول لهم: هل كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ففرتم العقيدة التي مات عليها؟ ألا فلتعلموا أيها الضالون عن الحق أنَّ يعقوب ﷺ حينما حضره الموت دعا إليه جميع بنيه وقال لهم: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

وفي ذلك إعلان صريح بوحدة رسالة السماء المنبثقة من وحدانية الخالق ﷻ، وتأكيد على الأخوة بين الأنبياء، وهاتان الحقيقتان هما من القيم اللازمة لاستقامة الحياة على الأرض، خاصة في زمن الفتن الذي يعيشه إنسان اليوم.

واليهود الذين يتشدقون كذباً بالنسبة إلى إبراهيم ﷺ تارة، وإلى يعقوب ﷺ تارة أخرى، عليهم أن يقرأوا هاتين الآيتين الكريمتين ليدركوا أنَّ الدين ليس ميراثاً يورث بالعرق والنسب والدم. وذلك لأن الدين يمثل قناعة قلبية وعقلية كاملة لا علاقة لها بالدم والنسب. فالدين قرارٌ يتخذه كل راشد بعد دراسة وتمحيص دقيق

يصل به إلى تلك القناعة القلبية والعقلية الكاملة. وتبقى التنشئة على الدين الصحيح مسؤولية الآباء تجاه الأبناء قبل بلوغهم سنّ الرشد، وتبقى بعد ذلك مسؤولية كل بالغ، عاقل، راشد، أن ينظر في معتقده بمعيار العقل - لا بمعيار العاطفة - لأنه على أساس من هذا المعتقد سيكون الخلود في الآخرة إما في الجنة وإما في النار. ولم يكن أبناء يعقوب صغاراً حينما دعاهم أبوهم لتأكيد عقيدتهم في الله. ولكنه الحرص على الدين الواحد الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه.

ويُردّ ربنا - تبارك وتعالى - على هؤلاء الذين يتخيلون أنّ الإيمان يمكن أن يُكتسب بمجرد النسب بقوله الحق الذي يقول فيه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

مما سبق يتضح أنّ هذا الموقف الجليل من يعقوب عليه السلام وهو يعظ بنيه في لحظة احتضاره هو الدرس الأساسي المستفاد من عرض القرآن الكريم لسيرة هذا النبي الصالح. فيعقوب عليه السلام قد حضره الموت، وجاءته ساعة الاحتضار، وهي لحظة رهيبية، تُعدُّ أصعب اللحظات التي يمكن للإنسان أن يمرّ بها في حياته؛ فهو يغادر الدنيا، يغادر الأهل والأبناء والأصحاب، يترك ثروته من ورائه - إن كانت له ثروة - لا يدري ماذا سيفعل بها، يترك داره إلى ظلمة القبر ووحشته، وإلى هول الحساب وصعوبته. يتذكر أعماله فيستغفر ويتوب عن السيئات، ويرجو قبول الحسنات، وترتجف فرائضه من المستقبل المجهول!! ولكن نبي الله يعقوب عليه السلام لم يشغل باله شيء من ذلك بقدر ما شغله تثبيت أبنائه على الإسلام الذي تعلّمه من آباءه في الصغر، وعلمه الله - تعالى - إياه في الكبر. وأدرك عبد الله ونبيه يعقوب عليه السلام أنّ هذا الدّين هو طوق النجاة للإنسان في الدنيا والآخرة، فأراد أن يكون الإسلام الخالص القائم على التوحيد الكامل لله هو الميراث الذي يورثه لأبنائه، ووصيته الأخيرة لهم وهو في سكرات الموت، ولحظات الاحتضار. فأخذ العهد منهم على أن يعيشوا بالإسلام، وأن يدعوا إليه، ويجاهدوا في سبيله حتى يلقوا الله - تعالى - عليه. وبذلك يكون هو قد أبرأ ذمته أمام الله، وحملهم أمانة

المسؤولية عن الإسلام، وكذلك يجب أن يفعل كل أب مسلم. فالدرس المستفاد من هذا الموقف الكريم هو إشعار كل والد بمسؤوليته عن أولاده (صغاراً وكباراً). وأن من أولويات تلك المسؤولية أن يعرف الوالد كل واحد من أبنائه عقيدته الصحيحة معرفة دقيقة، حتى يعيش بها، ويموت عليها فيحقق الهدف من وجوده في الحياة الدنيا. وهذا لا يمكن أن يتم بغير الهداية الربانية التي علمها الله - تعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، وأنزلها على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكملها وأتمها، وحفظها في القرآن الكريم، وفي سُنَّة خاتم الأنبياء والمرسلين، وسماها باسم «الإسلام»، ولذلك قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: 19].

وفي نفس السورة قال - عزَّ من قائل -: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

وهذه الحقيقة هي من أروع جوانب الإعجاز العقدي في كتاب الله؛ لأنَّ كلَّ شيء في الوجود قد خلق في زوجية كاملة من أصل واحد هو غاز الإيدروجين المبني على الزوجية الكاملة كذلك، مما يشير إلى الوحدانية المطلقة للخالق ﷻ التي يقوم على أساسها الكون كله، ويدعو إليها «الإسلام» العظيم دين الله رب العالمين.

وموقف يعقوب ﷺ مع بنيه لحظة احتضاره يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله؛ لأنَّ يعقوب ﷺ عاش في الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا الموقف الكريم منه استأثر به القرآن المجيد وحده، حيث لم يرد له ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد» على الرغم من كثرة ما ورد في «العهد القديم» عن عبد الله ونبيه يعقوب ﷺ، مما يسيء إلى سيرته العطرة، وهو النبي ابن النبي الذي كرمه القرآن الكريم بهذا الموقف النبيل في لحظات احتضاره. بينما يصفه «سفر التكوين» (27/ 18 - 46) بالكاذب، السارق، المخادع، الماكر الذي خدع أباه، وكذب عليه، وسقاه الخمر، وسرق بركة أخيه مدعيًا أنه هو.

Jacob and Esau

¹⁹This is the account of Abraham's son Isaac. Abraham became the father of Isaac, ²⁰and Isaac was forty years old when he married Rebekah daughter of Bethuel the Aramean from Paddan Aram and sister of Laban the Aramean. ²¹Isaac prayed to the LORD on behalf of his wife, because she was barren. The LORD answered his prayer, and his wife Rebekah became pregnant. ²²The babies jostled each other within her, and she said, "Why is this happening to me?" So she went to inquire of the LORD. ²³The LORD said to her, "Two nations are in your womb, and two peoples from within you will be separated; one people will be stronger than the other, and the older will serve the younger."

²⁴When the time came for her to give birth, there were twin boys in her womb. ²⁵The first to come out was red, and his whole body was like a hairy garment; so they named him Esau. ²⁶After this, his brother came out, with his hand grasping Esau's heel; so he was named Jacob. Isaac was sixty years old when Rebekah gave birth to them.

Esau Sells His Birthright

²⁷The boys grew up, and Esau became a skillful hunter, a man of the open country, while Jacob was a quiet man, staying among the tents. ²⁸Isaac, who had a taste for wild game, loved Esau, but Rebekah loved Jacob.

²⁹Once when Jacob was cooking some stew, Esau came in from the open country, famished. ³⁰He said to Jacob, "Quick, let me have some of that red stew! I'm famished!" (That is why he was also called Edom.) ³¹Jacob replied, "First sell me your birthright."

³²"Look, I am about to die," Esau said. "What good is the birthright to me?"

³³But Jacob said, "Swear to me first." So he swore an oath to him, selling his birthright to Jacob.

³⁴Then Jacob gave Esau some bread and some lentil stew. He ate and drank, and then got up and left. So Esau despised his birthright.

مولد عيسو ويعقوب

¹⁹وهذا سجل مواليد إسحاق بن إبراهيم. أحب إبراهيم إسحاق. ²⁰وكان إسحاق في الأربعين من عمره عندما تزوج ربة بنت بتوئيل الأرامية من سهل آرام. وألحت لآبان الأرامية. ²¹ووصل إسحاق إلى الكروب من أجل أمرائه لأنها كانت عاقرا. فلستجاب له الرب. فحملت ربة زوجة. ²²وإذ تصارع الطفلان في بطنها قالت: "إن كان الأمر هكذا فما لي والحمل؟" ونصت لتسفيهم من الكروب ²³فقال لها الرب: "وفي أحشائك أمتان. يتفرع منهما شعبان. شعب ينسوي على شعب. وكبير يستغبد لصغير.

²⁴وعندما اكتملت أمها لتلد إذا في أحشائها توأمان. ²⁵فخرج الأول مكسوا بكشعر وكانه يرتدي فروة حمراء. فدعوه عيسو (ومعناه أشقر). ²⁶كلم خرج أخوه بعده قبيضة على عقب عيسو فدعوه يعقوب (ومعناه منقصب). وكان إسحاق في الستين من عمره عندما أنجبتهما له ربة.

عيسو يبيع بكريته

²⁷وكبر الولدان. فأصبح عيسو ضيادا ماهرا ورجل بزوة. بينما كان يعقوب رجلا هادئا يقيم في الخيام. ²⁸وأحب إسحاق عيسو لأنه كان يأكل من ضيابه. أما ربة فقد أحببت يعقوب. ²⁹وذات مرة عاد عيسو من الحقل مرهقا فوجد يعقوب قد طبخ طعاما. ³⁰فقال عيسو ليعقوب: "اطعمني من هذا الطبخ الأحمر لأنني جائع جدا. لهذا ذيعي عيسو بالذوم." ³¹فقال يعقوب: "بيني أولا امتيازات بكريتك." ³²فقال عيسو: "أنا لآند ماتت، فإني نفع لي من بكريتي؟" فأجبه يعقوب: "أطيف لي أولا." فحلف له. ³³وباع امتيازات بكريته ليعقوب. ³⁴فأعطي يعقوب عيسو خبزا وطبخ عدس. فأكل وشرب ثم قام ونص في سبيله. وهكذا احتقر عيسو امتيازات بكريته.

Isaac Wants to Bless Esau

27 When Isaac was old and his eyes were so weak that he could no longer see, he called for Esau his older son and said to him, "My son." "Here I am," he answered. Isaac said, "I am now an old man and don't know the day of my death. Now then, get your weapons—your quiver and bow—and go out to the open country to hunt some wild game for me. Prepare me the kind of tasty food I like and bring it to me to eat, so that I may give you my blessing before I die."

Rebekah's Plot

Now Rebekah was listening as Isaac spoke to his son Esau. When Esau left for the open country to hunt game and bring it back, Rebekah said to her son Jacob, "Look, I overheard your father say to your brother Esau, 'Bring me some game and prepare me some tasty food to eat, so that I may give you my blessing in the presence of the LORD before I die.' Now, my son, listen carefully and do what I tell you: Go out to the flock and bring me two choice young goats, so I can prepare some tasty food for your father, just the way he likes it. Then take it to your father to eat, so that he may give you his blessing before he dies." Jacob said to Rebekah his mother, "But my brother Esau is a hairy man, and I'm a man with smooth skin. What if my father touches me? I would appear to be tricking him and would bring down a curse on myself rather than a blessing." His mother said to him, "My son, let the curse fall on me. Just do what I say; go and get them for me." So he went and got them and brought them to his mother, and she prepared some tasty food, just the way his father liked it. Then Rebekah took the best clothes of Esau her older son, which she had in the house, and put them on her younger son Jacob. She also covered his hands and the smooth part of his neck with the goatskins. Then she handed to her son Jacob the tasty food and the bread she had made. He went to his father and said, "My father." "Yes, my son," he answered. "Who is it?" Jacob said to his father, "I am Esau your firstborn. I have done as you told me. Please sit up and eat some of my game so that you may give me your blessing." Isaac asked his son, "How did you find it so quickly, my son?" "The LORD your God gave me

إسحاق يطلب لباركة عيسو

٢٧ ولما ضاع إسحاق وضعف بصره فاستدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: ها أنا قد جئت. وثقت أفرق متى حين يؤم وتلي. فألان لحك منك: مجنتك وقوسك. وأضري إلى التزود وأقتصم لي صنيداً. وأجهز لي طعاماً شويهاً كما أحب وأقتي به لأكل. ليتباركك تليي قبل أن أموت.

مؤامرة ربة

وسمعت ربة حين سمعت إسحاق يدعو عيسو. فولمنا أنطلق عيسو إلى التزود ليضطد صنيداً وتلجي به. فألت ربة لئيهما يقرب، سمعت أنك تقول لعيسو أحبك أقتصم لي صنيداً. وأجهز لي أطعمة شهية لأكل ولتباركك أمام الرب قبل موته. والآن يا تليي أطلع قولي في ما سمرك به. وألعب إلى طبع الضافية. وألحز جملتين لأجهز لأهلك أطعمة شهية كما يحبه. فطعمها لأهلك ليأكل. فتباركك قبل وتليي. قال يقرب ربة أهد: أحبي عيسو زجل أهدن. ولما زجل أنلسن. وقد يمشي أبي فتبتن جناصي. وألتللب على تليي لفة لا تزكك. فقلت له أهد. ففتلك على يا تليي. فاطع قولي هذا. وألعب وأخضر الجنين لي. فلعب وألحزها وأخضرها لأهد. فاعدت ربة الأطعمة الملعبة كما يحبه أبوه. فقلدت ياب بجرها عيسو ألفايرة المجموعة. جعلها في التبت والتست يقرب لئها الأشخر. وتجدك طعت نهد وتلاصق عليه بجلد الجنين. واللعبة ما أعلته من الأطعمة الشهية والأختر. فقلت على أهد وقال: هاألي. فاعدته. فتم يا تليي. من أنتاه. قال يقرب. ها عيسو بركك. وقد قلعت كما طلبت. والآن تم وأجلس وكل من ضدي حتى تتبركني. قال إسحاق. وكيف استطعت أن تجد صنيداً يمشي على الشرفة نارديها. فأجابته. لأن الرب

success," he replied. ²¹Then Isaac said to Jacob, "Come near so I can touch you, my son, to know whether you really are my son Esau or not." ²²Jacob went close to his father Isaac, who touched him and said, "The voice is the voice of Jacob, but the hands are the hands of Esau." ²³He did not recognize him, for his hands were hairy like those of his brother Esau; so he blessed him. ²⁴"Are you really my son Esau?" he asked. "I am," he replied. ²⁵Then he said, "My son, bring me some of your game to eat, so that I may give you my blessing." Jacob brought it to him and he ate; and he brought some wine and he drank. ²⁶Then his father Isaac said to him, "Come here, my son, and kiss me." ²⁷So he went to him and kissed him. When Isaac caught the smell of his clothes, he blessed him and said, "Ah, the smell of my son is like the smell of a field that the LORD has blessed. ²⁸May God give you of heaven's dew and of earth's richness— an abundance of grain and new wine. ²⁹May nations serve you and peoples bow down to you. Be lord over your brothers, and may the sons of your mother bow down to you. May those who curse you be cursed and those who bless you be blessed."

The Plot is Discovered

³⁰After Isaac finished blessing him and Jacob had scarcely left his father's presence, his brother Esau came in from hunting. ³¹He too prepared some tasty food and brought it to his father. Then he said to him, "My father, sit up and eat some of my game, so that you may give me your blessing." ³²His father Isaac asked him, "Who are you?" "I am your son," he answered, "your firstborn, Esau." ³³Isaac trembled violently and said, "Who was it, then, that hunted game and brought it to me? I ate it just before you came and I blessed him—and indeed he will be blessed!" ³⁴When Esau heard his father's words, he burst out with a loud and bitter cry and said to his father, "Bless me—me too, my father!" ³⁵But he said, "Your brother came deceitfully and took your blessing." ³⁶Esau said, "Isn't he rightly named Jacob? He has deceived me these two times: He took my birthright, and now he's taken my blessing!" Then he asked, "Haven't you reserved any blessing for me?" ³⁷Isaac answered Esau, "I have made him lord over you and have made all his relatives his servants, and I

إلهك فد نسر لي ذلك.. ²¹وقال إسحاق، أقرب مني لأجسك يائني لأرى إن كنت حقاً ابني عيسو أم لا.. ²²فدنا بقفوب من ليه إسحاق فحسه وقال، كطشوت صوت بقفوب، أما أليدين فهما نفا عيسو.. ²³وتم بغرفه لأن يديه كفتا مشمرتين كيتاي أجيه عيسو، فتوكه. ²⁴وسال، هل أنت ابني عيسو، فأجاب، أنا هو.. ²⁵ثم قال، قدّم لي من ضيّدك حتى أكل وأباركك.. فأخسر بقفوب إليه الطعام فأكل، ثم قدّم له خراً فشرب. ²⁶فقال له إسحاق أبوه، فقال وقبلي بنا وليسي.. ²⁷فأقرب منه وقبله، فتشم ريحة ثيابه وتراكه قليلاً، لما إن ريحة آني كرابحة حقل باركة كرتب. ²⁸فلينعم عينك كرتب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيجكو لك الحنطة والخمر. ²⁹يتخضعنك القلوب، وتخذ لك القبول، إنكن سيداً على إخوتك، وتو أشك لك يتخون، وليكن لأجسوك ملغونين، ومباركوك مباركين..

اكتشاف المؤامرة

³⁰ولما فرغ إسحاق من مباركة بقفوب، وخرج بقفوب من عند ليه، رجع عيسو من ضيده، فجهز هو أيضاً أطيمة طيبة وأخضرها إلى ليه وقال، ليغم أبي وتأكل من ضيّد آني فتباركني نفسك.. ³¹فقال إسحاق، من أنت؟ فأجابته، أنا أبك بكرك عيسو.. ³²فأرتقد إسحاق بغلب وقال، من هو إذا الذي اضطاد ضيّدنا وأخضره لي فأكلت من الكلّ قبل أن يجي، وتراكه؟ وحقاً يكون مباركاً.. ³³فما إن سمع عيسو كلام ليه حتى أطلق صرخة هائلة وشره جداً وقال، باركني أنا أيضاً ثايي.. ³⁴فأجاب، لقد نكر بي إخوك وعلت بركتك.. ³⁵فقال، ألم يدع اسمك بقفوب؟ لقد فقطني مرتين، أخذ بكوثي، وهما هو ينسليي الآن بركتي.. ثم قال، أما اضطلت لي بركك؟ ³⁶فأجاب إسحاق، لقد جعلت سيداً لك، وصرت جميع إخوتك له خداماً، وبالحنطة والخمر استذلكتك، فلما أكلت لك الآن

have sustained him with grain and new wine. So what can I possibly do for you, my son?"³⁸ Esau said to his father, "Do you have only one blessing, my father? Bless me too, my father!" Then Esau wept aloud.³⁹ His father Isaac answered him, "Your dwelling will be away from the earth's richness, away from the dew of heaven above.⁴⁰ You will live by the sword and you will serve your brother. But when you grow restless, you will throw his yoke from off your neck."⁴¹ Esau held a grudge against Jacob because of the blessing his father had given him. He said to himself, "The days of mourning for my father are near; then I will kill my brother Jacob."⁴² When Rebekah was told what her older son Esau had said, she sent for her younger son Jacob and said to him, "Your brother Esau is consoling himself with the thought of killing you."⁴³ Now then, my son, do what I say: Flee at once to my brother Laban in Haran.⁴⁴ Stay with him for a while until your brother's fury subsides.⁴⁵ When your brother is no longer angry with you and forgets what you did to him, I'll send word for you to come back from there. Why should I lose both of you in one day?"⁴⁶ Then Rebekah said to Isaac, "I'm disgusted with living because of these Hittite women. If Jacob takes a wife from among the women of this land, from Hittite women like these, my life will not be worth living."

بأولدي؟^{٣٨} فقال يعسُو، ألك بركةٌ واجدةٌ قطُّ
بأبي؟ بركتي أنا أيضاً بأبي.. وأجهدش يعسُو بالبقاء
بصوتٍ عالٍ. ^{٣٩} فأجابته أبوه، وما مستحكك بكوني في أرض
جنتها لا يَطْلُ عَلَها ندى السَّماء. ^{٤٠} بسيفك تعيش وأخيك
تكون عبداً، ولكن حين تَجْمَح تَطْم نيرة عن حنكك..
^{٤١} وحقد يعسُو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة
أبيه. فتأجى نفسه، وقربها يموت أبي، وتغليذ أقتل
أخي يعقوب.. ^{٤٢} فبلغ رقةً زعيداً عيسو أنها الأكر،
فأرسلت وأشدتعت يعقوب أنها الأضرر وقالت له،
يعسُو يحطط لقتلك.. ^{٤٣} والألآن بآبني أضغ لقولي، وقم
أهرب إلى أخي لآبان إلى حاران، ^{٤٤} وأتكت عندة ألبا
فلا تلب زلبما تهدأ شخط أخيك. ^{٤٥} ومشي سكن غضبه
وسمي ما صنعت به، عتغليذ أبعث إليك ليعود من
هناك. فلباناً أحرزم ويتكما كلتكما في نوم واجدء..
^{٤٦} لم قالت رقة لإسحاق، قد كرهت حباتي من جزاء
اللبات الحيات، فإن تزوج يعقوب من الحيات بنات
هذه الأرض الممفلات لزوجتي يعسُو، فإن موتي خير
من حباتي..

Jacob Wrestles With God

²²That night Jacob got up and took his two wives, his two maidservants and his eleven sons and crossed the ford of the Jabbok. ²³After he had sent them across the stream, he sent over all his possessions. ²⁴So Jacob was left alone, and a man

wrestled with him till daybreak. ²⁵When the man saw that he could not overpower him, he touched the socket of Jacob's hip so that his hip was wrenched as he wrestled with the man. ²⁶Then the man said, "Let me go, for it is daybreak." But Jacob replied, "I will not let you go unless you bless me." ²⁷The man asked him, "What is your name?" "Jacob," he answered. ²⁸Then the man said, "Your name will no longer be Jacob, but Israel, because you have struggled with God and with men and have overcome." ²⁹Jacob said, "Please tell me your name." But he replied, "Why do you ask my name?" Then he blessed him there.

³⁰So Jacob called the place Peniel, saying, "It is because I saw God face to face, and yet my life was spared." ³¹The sun rose above him as he passed Peniel, and he was limping because of his hip. ³²Therefore to this day the Israelites do not eat the tendon attached to the socket of the hip, because the socket of Jacob's hip was touched near the tendon.

يعقوب يصارع في فنييل
²²لَمَّا قَامَ فِي بَلَدِ اللَّيْلَةِ وَصَجِبَتْ مَعَهُ زَوْجَتَاوَهُ وَجَارَتَاوَهُ
 وَأَوْلَادُهُ الْوَاحِدَ عَشَرَ. وَعَبَّرَ بِوَجْهِ نَهْرِ يَبُوكَ. ²³وَلَمَّا أَجْلَزَهُمْ
 وَكُلَّ مَا لَهُ عِزَّ الْوَالِدِيِّ. ²⁴وَبَقِيَ وَخْدَهُ. صَارِعَةً إِنْسَانٌ حَتَّى

تَطْلُعِ الْفَجْرِ. ²⁵وَعِنَّمَا رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى يَعْقُوبَ،
 حَزَنَتْهُ عَلَى حَقِّ لَحْيِهِ، فَانْخَلَعَ بِفَضْلِ فَخْدِ يَعْقُوبَ فِي
 مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ²⁶وَقَالَ لَهُ، أَلَيْفِي، قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ.
 فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ، وَلَا أَطْلُيكَ حَتَّى تُبَارِكَنِي. ²⁷فَسَأَلَهُ،
 مَا اسْمُكَ؟ فَأَجَابَهُ، يَعْقُوبُ. ²⁸فَقَالَ، وَلَا تُدْعَى اسْمُكَ
 فِي مَا بَعْدَ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ (وَمَعْنَاهُ، يُجَاهِدُ مَعَ
 اللَّهِ). لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. ²⁹فَسَأَلَهُ
 يَعْقُوبُ، أَلَيْفِي مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ، لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِّي
 اسْمِي؟ وَتَبَارِكُهُ هُنَاكَ.

³⁰وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فِينِيَلَ (وَمَعْنَاهُ، وَجْهَ اللَّهِ) إِذْ
 قَالَ، لِأَنِّي شَاهَدْتُ اللَّهَ وَجْهًا لِوَجْهِهِ وَبَقَيْتُ حَيًّا. ³¹وَمَا إِذْ
 عَبَّرَ فَنُوبِلَ حَتَّى اشْرَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَسَارَ وَهُوَ عَارِجٌ
 مِنْ فُلْدِي ³²لِذَلِكَ يَمْتَنِعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنِ أَكْلِ عِزْقِ الْتَسَا
 الَّذِي عَلَى حَقِّ الْفَخْدِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. لِأَنَّ الْكُرْبُلَ حَزَبَ
 حَقِّ فَخْدِ يَعْقُوبَ عَلَى عِزْقِ الْتَسَا.

ثامناً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ويُذكر أنه وُلد في فدان - أرام من أرض العراق. وكان جميل الصورة بشكل ملحوظ، وقد توفيت أمه بعد ولادة أخيه الأصغر منه مباشرة، فاستأثر بحب أبيه دون بقية إخوته.

جاء ذكر يوسف عليه السلام في (26) آية من آيات القرآن الكريم، وسُميت باسمه سورة كاملة هي سورة «يوسف»، ذكر فيها في (24) آية، كما جاء ذكره في آيتين أخريين من «آيات كتاب الله»، جاءت إحداهما في سورة «الأنعام» والأخرى في سورة «غافر».

وتبدأ القصة برؤيا منامية، وتنتهي بتحققها أمراً واقعاً في حياة أبطالها. فقد كان يوسف صغيراً حين رأى في منامه أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، فروى الرؤيا لأبيه الذي فسرها له، وأوصاه بكتمانها عن إخوته كي لا يدخل الشيطان في علاقتهم به بالغيرة والحسد. ويذكر القرآن الكريم ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَفْعُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 4 - 6].

وكان استئثار يوسف وأخيه بحب زائد من أبيهما، سبباً في حقد إخوته عليهما، وفي عدد من المحن التي تعرّض لها يوسف بالذات، والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

المحنة الأولى: كيد إخوته له حتى تمّ إلقاؤه في غيابة الجُبِّ:

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وأخيه ما أغاظهم وأحقد قلوبهم عليه، فأضرموا له الشرّ، وبشرح القرآن الكريم ذلك قائلاً:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف: 7، 8].

وهنا يُسَوَّلُ الشيطان لإخوة يوسف ﷺ أن أفضل الحلول للتغلب على استئثار يوسف بحب أبيه هو التخلص منه فقالوا: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: 9، 10].

وليحققوا هذا المخطط الشيطاني - وهم أبناء نبي، وأحفاد سلسلة من أنبياء الله - تحايلوا على أبيهم لكي يسمح ليوسف بالخروج معهم إلى المرعى. ويرد الأب المتعلق بصغيره بأنه لا يطيق فراقه، وأنه يخشى أن يأكله الذئب وإخوته غافلون عنه. وعلى الرغم من ذلك نجح أبناء يعقوب في إقناع أبيهم باصطحابهم لأخيهم الصغير يوسف إلى حيث المرعى، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَبِخْرُتِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَّيْرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: 11 - 15].

وقام إخوة يوسف بوضعه في غيابة الجُبِّ (البئر)، الذي كان به قليل من الماء، وذهبوا إلى أبيهم باكين في وقت العشاء بدعوى أن يوسف قد أكله الذئب.

وجاءت قافلة فأرسلوا واردهم ليحصل لهم على شيء من ماء ذلك البئر. فأدلى دلوهُ في الجُبِّ فتعلّق به يوسف، فلمّا نزع وارد البئر الدلوّ يحسبها قد

امتلات ماء، فإذا بـغلام وسيم قد تعلق بالدلو، فاستبشر به رجال القافلة، ورحلوا به إلى مصر وباعوه بثمن بخس. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعَانَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا عَلَّمَهُ وَسُرُّهُ يُضَعُّ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

[يوسف: 16 - 19].

المحنة الثانية: بيعه رقيقاً بثمن بخس وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم:

بيع يوسف إلى عزيز مصر أو رئيس الشرطة فيها، وأغلب الظن أن ذلك كان في مدينة (صان) بأرض محافظة الشرقية، وكان ملك مصر آنذاك من العرب العمالقة (الهكسوس أو الرعاة)، الذين شغلوا تاريخ مصر من الأسرة (13) إلى الأسرة (17). ولذلك استخدمت سورة «يوسف» لقب (الملك) لحاكم مصر بدلاً من لقب (الفرعون) طوال عرض أحداث قصة يوسف ﷺ. وفي زمن الأسرة (18) التي كان منها الملك أحمس، تم طرد العمالقة من مصر، وكان ذلك في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولذلك وصف القرآن الكريم حاكم مصر طوال عرضه لقصة موسى بوصف (الفرعون)، وهذا من الدقة الفائقة في كتاب الله.

وفي بيع يوسف بثمن بخس يقول القرآن الكريم: ﴿وَسُرُّهُ بِشْرٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

[يوسف: 20].

أحب رئيس شرطة مصر عبده يوسف، فجعله رئيس خدمه، والمُتصَرِّف في بيته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[يوسف: 21، 22].

المحنة الثالثة: كيد امرأة العزيز ليوسف:

أحبَّت امرأة العزيز يوسف إلى أن غلبها حبُّه على حياتها، فأخذت تداعبه وهو يعرض عنها، فزادها إغراضه عنها تعلقاً به وحرصاً عليه، ممَّا دفعها إلى التخطيط للإيقاع به. فانتهزت فرصة غيبة زوجها عن البيت، فأخرجت الخدم منه إلا يوسف، وأغلقت جميع الأبواب وراودته صراحة عن نفسه. فجرى يوسف إلى الباب وهي تجذبه من ثوبه، حتى تمزَّق الثوب من خلفه وهو يجري كي يُفلت من يدها. وظلا يستبقان: يوسف وزوجة العزيز إلى الباب الخارجي للبيت، ليجدا سيده لدى الباب ومعه أحد من أهل زوجته. تقدّمت امرأة العزيز إلى زوجها في لؤم ووقاحة ظاهرين، وهي باكية شاكية، مُدّعية أنّ يوسف حاول الاعتداء عليها، فصدّته وأبت عليه. وأرادت بذلك الإيقاع به والانتقام منه بتحريض زوجها عليه كي يسجنه أو يعذبه عذاباً شديداً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿رَوَدَّتْهُ آتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ. وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا أَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْأَبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَمَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[يوسف: 23 - 29].

المحنة الرابعة: تأمر نسوة المدينة على يوسف:

شاع خبرُ امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة، ولاكته ألسنة النساء، ممَّا أساءَ إليها، فأرسلت إلى من تعرف منهنّ وأعدّت لهنّ مجلساً، وقدمت لهنّ طعاماً

يحتاج إلى القطع بالسكين، وآتت كل واحدة منهن سكيناً، وأمرت يوسف بالخروج عليهن، فبهرن جماله الذي شدهن إليه، فصرن يُقطعن أيديهن، بدلاً من تقطيع الطعام الذي كنّ يتناولنه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَمَاتَتْ كُلَّ وَجَدٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمُ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ مِنَّا لَمَكِينًا ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

[يوسف: 30 - 34].

المحنة الخامسة: يوسف يُسجن ظلماً:

رأى العزيز أنه لا يخلصه من عار امرأته، ولا يكفّ ألسنة الناس عنه وعنها، إلا الزجّ بيوسف في السجن لفترة معينة، على الرغم من وضوح براءته وطهره، وفي ذلك يقول رب العالمين:

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

[يوسف: 35].

سُجن يوسف بغير ذنب، ودخل معه السجن فتيان: أحدهما كان رئيس الخبّازين عند ملك مصر، والثاني كان رئيس سقّاته. وبعد فترة، جاء كل منهما برؤيا رآها، يريد من يوسف أن يُفسرها له. جاء صاحب شراب الملك وأخبره، أنه رأى في منامه أنه يعصر الخمر في كأس الملك، وجاء رئيس الخبّازين وقال له: إني رأيت فوق رأسي طبقاً من الخبز، والطيّر تاكل من ذلك الخبز، طلب كل منهما تأويل رؤياه. وانتهز يوسف الفرصة لدعوة زميلاه إلى الإيمان بالله - تعالى -، وإلى توحيده وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي
 أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾
 قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمْتَنِي رَبِّي إِنِّي
 تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
 النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَبْصِحِي السِّجْنَ عَرَبَاتٌ مُتَفَرِّقَاتٌ فَخِرٌ أَرَى
 اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَشْرًا وَابْتِئْتُمُوهَا مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: 36 - 40].

ثم يفسر يوسف لكل واحد منهما رؤياه فيقول:

﴿يَبْصِحِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ
 مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي
 عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنُكَ الشَّيْطَانَ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجَنِ بَضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: 41، 42].

وتحقق تأويل المنامين كما عبر يوسف تماماً، ولكن الناجي من رفيقي
 السجن، نسي أن يكلم الملك في أمر يوسف، فلبث في السجن بضع سنين.

المحنة السادسة: فرج الله يأتي ليوسف وهو في السجن ثم تبدأ معه محنة الابتلاء
 بالسلطان:

رأى ملك مصر في منامه ﴿...وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
 سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...﴾، وطلب الملك تعبير هذه
 الرؤيا التي أزعجته كثيراً، فقال له مَنْ في حاشيته إنها أضغاث أحلام. ولما عجز
 جميع من كان حول الملك عن تعبير رؤياه، تذكّر ساقى الملك قصته مع يوسف
 ورواها للملك، فطلب منه الذهاب إلى يوسف في السجن، لسؤاله عن تعبير رؤيا
 الملك. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوبِي إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قَالُوا أَضَعَفْتُ أَحَلِّمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[يوسف: 43 - 49].

عاد رئيس السقاة إلى الملك بتأويل رؤياه فسرَّ بها، وطلب الإتيان بيوسف إليه، ولكن يوسف أبى أن يخرج من السجن، حتى تثبت براءته من التهمة التي ألصقت به زوراً وبُهتاناً. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأْسَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَا أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنَّهُ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

[يوسف: 50، 51].

وهنا يرد يوسف ﷺ بقوله:

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

[يوسف: 52، 53].

ويطلب ملك مصر يوسف ليستلخصه لنفسه، أي ليجعله من خاصته وخلصائه، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ اسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ وَلَا تَجْرُ

[يوسف: 54 - 57].

الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾

المحنة السابعة: محنة اللقاء بإخوته وأبويه:

1 - رحلة أبناء يعقوب الأولى إلى أرض مصر:

مرّت السنوات السبع المُخصبة، وكان يوسف قد أعدّ عدّته لخزن الفائض عن حاجة البلاد من الغلال في سنا بلها، ثم جاءت السبع المُجدبة، ففتح المخازن وباع لأهل مصر ما يكتفيهم. علم أهل فلسطين بما في مصر من مخزون الغلال، فأرسلوا من يجلب لهم نصيباً منها، وكان من هؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام. وعندما رآهم يوسف عرفهم، وهم لم يعرفوه، ولم يجد بينهم أخاه الشقيق الأصغر بنيامين، فأخذ في استدراجهم، حتى علم منهم أن أباهم لم يسمح بمفارقة بنيامين له. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ آتَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

[يوسف: 58 - 62].

ولمّا جهّزهم يوسف بغلالهم، قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، أعا مِلِكُمْ مرّة أخرى، فإذا لم تأتوني به، فلا كَيْلَ لكم عندي. فقالوا: ستراد عنه أباه. وكان يوسف قد أمر بردّ بضاعتهم التي دفعوها ثمناً للطعام، في أوعيتهم، كي يعودوا بها إليه، لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم.

2 - رحلة أبناء يعقوب الثانية إلى أرض مصر:

عاد إخوة يوسف إلى بلدهم، وأخبروا أباهم أن مُتصرّف مصر قرّر ألا يبيعههم غللاً بعد ذلك، حتى يأتوه بأخ لهم من أبيهم، فعاودته لوعته على فراق يوسف، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُمْ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

[يوسف: 63، 64].

ثم فتح إخوة يوسف أمتعتهم لاستخراج ما شروه من غلال، فوجدوا الثمن الذي دفعوه فيها قد رُدَّ إليهم، فشجعهم ذلك على العودة إلى مصر، وطلبوا صُحبة بنيامين لهم. ونظراً لشدة القحط ولإلحاح الأبناء على أبيهم يعقوب في طلبهم اصطحاب أخاهم بنيامين في رحلتهم الثانية إلى مصر، وافق الأب المكلوم، واشترط عليهم شروطاً حتى يُؤتوه موثقاً من الله، أن يعودوا به سالماً إلا أن يُحاط بهم، أيّ إلا أن يُغلبوا على أمرهم، وأوصاهم بعدد من الوصايا الخاصة بهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا يَضَعْنَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ يَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوِ عَلِيمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

[يوسف: 65 - 68].

عاد إخوة يوسف إلى مصر ومعهم أخوهم بنيامين، فأكرم يوسف وفادتهم، وأمر بأن تملأ أوعيتهم بالغلل، كما أمر برَدِّ أثمانها فيها، وأن يُوضع صواع الملك (وهي الطاس التي يشربُ فيها) في رحل أخيه بنيامين.

ارتحل إخوة يوسف غير بعيد، ثم نوذي عليهم بدعوى أنهم سرقوا صواع الملك، فأظهروا البراءة من ذلك، وقالوا: من وُجِدَ صواع الملك في رحله، يُؤخذُ عبداً للملك. وبالتفتيش وُجد الصواع في رحل بنيامين، فبادروا بالرجاء أن يُؤخذ

أحدهم مكانه، فأبى يوسف إلا أن يؤخذ من وجد صواع الملك في رحله. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسْرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَتَّابِئُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا نَظَلُمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[يوسف: 69 - 79].

الْح إخوة يوسف في رجائه أخذ أحدهم مكان أخيهم بنيامين الذي كانوا قد عاهدوا أباهم على أن يعودوا به سالماً إلا أن يغلبوا على أمرهم. ولما يشسوا من قبول رجائهم اعتزلوا الناس جانباً للتشاور في الأمر، ومدارسة ماذا يقولون لأبيهم. وفي أثناء ذلك قال الأخ الأكبر أنه لن يبرح أرض مصر حتى يأذن له أبوه، وأشار على إخوته بالرجوع إلى أبيهم، وإخباره بما كان من أمر بنيامين، الذي صار عبداً للملك بسبب السرقة. فعادوا وأخبروا أباهم بالأمر، فلم يقتنع بروايتهم، وأحاله إلى أمر دبروه بليل، كما دبروا لأخيهم يوسف من قبل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا

شَهْدَانَا إِلَّا يَمَّا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِ الْقَرِيبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
وَالْعَمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرًا جَمِيلًا
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِينِ
عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا تَذَكَّرُ
يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حُرًّا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّفَ إِلَى
اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنَئِي أَدْهُبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا
تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

[يوسف: 80 - 87].

لام أولاد يعقوب أباهم على تذكّر يوسف، فأمرهم بالعودة إلى مصر
ليتحسّسوا شأن يوسف وأخيه، وأمرهم بعدم اليأس من رحمة الله، فإنه لا ييأس
من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

3 - الرحلة الثالثة لأبناء يعقوب إلى أرض مصر:

جاء إخوة يوسف للمرة الثالثة إلى مصر، طالبين الغلال، وذكروا ليوسف ما
أصاب عائلتهم من أضرار باحتجاز أخيهم بنيامين في أرض مصر حتى فقد أبوهم
بصره من كثرة البكاء على كل من بنيامين وأخيه يوسف، ورجوه إطلاق سراح
أخيه بنيامين. ومن خلال الحوار تعرّف إخوة يوسف عليه، واعترفوا بخطئهم في
حقه، فعفا عنهم، وأعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه فيعود إليه بصره. كما
طلب إليهم أن يحضروا أهلهم أجمعين إلى أرض مصر. وفي ذلك يقول ربنا -
تبارك وتعالى - في مُحكم كتابه:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفٍ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ إِذْ كُنَّا جَاهِلِينَ قَدْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَعْفُرُ اللَّهُ

لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بِصِيرًا
وَأَتُوفِ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ [يوسف: 88 - 93].

وعند خروج العير منطلقاً من أرض مصر في اتجاه بلاد الشام، قال يعقوب ﷺ لمن حوله من أهله إنني لأشم رائحة يوسف، لولا أن تتخيلوا أنني أخرف. فقالوا له: إنك لفي خطئك القديم، وفي بعد كامل عن الصواب، وذلك لاعتقادهم بأن يوسف كان قد مات منذ زمن بعيد. فلما وصلت العير، وجاء المبشر يخبرهم بأن يوسف لا يزال حيًّا، وطرح قميصه على وجه يعقوب ارتد إليه بصره، واعترف إخوة يوسف بأخطائهم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

4 - الرحلة الرابعة لأبناء يعقوب، والأولى له ولآله إلى أرض مصر:

شدَّ يعقوب وأله أجمعون رحالهم إلى أرض مصر، فلمَّا جاؤوها دخلوا على يوسف، فأوى إليه أبويه، فسجد له كل من أبيه وأمه وإخوته الأحد عشر، وكان في ذلك تأويل لرؤياه التي سبق وأن رآها في صباه. وفي ذلك يقول رب العالمين: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

[يوسف: 99 - 101].

ثم تتوجّه الآيات إلى ختام السورة، بالخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين

- صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - قَائِلَةً لَهُ:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مِنَ النَّشْأَةِ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢١﴾﴾

[يوسف: 102 - 111].

الدروس المُستفادة من رواية القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه يوسف ﷺ:

1 - مع الإيمان الكامل بأن قدر الله نافذ، وأن قضاءه ماضٍ لا محالة، يجب أخذ الحذر واستخدام الكتمان، وعدم التباهي بالنعم خشية الحسد والغيرة، حتى بين الإخوة، وذلك من مثل تحذير يعقوب ﷺ لابنه يوسف ﷺ، من ذكر رؤياه لإخوته:

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾﴾

[يوسف: 5].

2 - التأكيد على قيمة الأسرة المسلمة، وعلى التذكير بالأسلاف الصالحين، من أجل التنشئة السليمة للذرية الصاعدة، ومن ذلك تذكير يعقوب ﷺ لولده يوسف بأجداده الصالحين، ويسجل القرآن الكريم ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَكذَلِكَ يَجْجِبُكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَبِسْمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَىٰ آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِزْهَيْمٍ وَلاِصْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 6].

3 - ضرورة عدم التفرقة بين الأبناء، وإن اندفع الوالدان - أحدهما أو كلاهما - في حب أحد الأبناء فوق حبهما للآخرين، فيجب عدم إظهار ذلك أمامهم حتى يظهر بمظهر العدل، ولا يتسببا في إيقاع الفتنة بينهم. ومع أن حبّ الوالدين لأبنائهما مطلوب المساواة فيه - رغم صعوبة تحقيق ذلك - إلا أن المغالاة في التفرقة بين الأبناء، قد تكون مدمرة للأسرة، كما جاء على ألسنة إخوة يوسف بنص القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهًا أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِيهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف: 8، 9].

4 - إن الشر لا ينتج إلا شراً، وإن الخير لا ينتج إلا خيراً، فلا يجوز لمسلم أن يخدع أخاه المسلم، أو أن يخدع نفسه باختلاق المبررات للوقوع في الخطأ كما حدث من إخوة يوسف حينما قالوا:

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهًا أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِيهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف: 9].

5 - لا يجوز للأباء الدخول في مُمارةٍ أو خصومةٍ مع أبنائهم، حتى مع التأكد من خطئهم، وذلك من مثل موقف يعقوب عليه السلام مع أبنائه، بعد تخلصهم من أخيهم يوسف، فقد فوّض الأمر إلى الله - تعالى - دون محاسبتهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَيْصِيهِ يَدْمِرُ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: 18].

6 - الدعوة إلى الصبر على المكاره وفي الأزمات، لأن الصبر من أعظم القيم الإسلامية، ومن أفضل الوسائل التربوية، والعاقبة دوماً للصابرين

الصّادقين، كصبر كل من يعقوب ﷺ على فقد ابنه، وصبر يوسف ﷺ على ما تعرّض له من فتن. وكان المعين على ذلك في الحالين هو الثقة في الله، والرضا بحكمه، والتسليم بقضائه وقدره، إيماناً بعدله المُطلق ورحمته بعباده. علماً بأنّ بُكاء المُبتلى لا يتعارض مع كونه صابراً، (إذا لم يُكن البكاء مُصاحباً بشيء من الجزع واليأس)، وذلك كبكاء يعقوب ﷺ على فقد ولده، حتى ابيضّت عيناهُ من الحزن. ومن هنا جاءت قصة نبيّ الله وعبدّه يوسف، مناسبة للفترة الحرجة التي عاشها المسلمون في مكّة، قبل الهجرة، وما كانت تحتاجه من صبر.

7 - الدّعوة إلى العفّة في السلوك، والوفاء بالعهود، ومراقبة الله - تعالى - في السرّ والعلن، وقد تجلّت كل هذه الصفات الطيبة في موقف يوسف من امرأة العزيز، فكان عفيفاً، وافيّاً بالعهد، واعياً لمراقبة الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ بِخُلُوِّهَا مِنْ غِيَابِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْيَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: 23].

8 - التحذير من خطورة الخلوة بالمرأة الأجنبية، تحت أيّ ظرف من الظروف، ولأيّ سبب من الأسباب، خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه، وقد خرجت المرأة من خدرها، وأعلنت سفورها، وزاد جهلها بدينها.

9 - إنّ اعتزاز المؤمن بإيمانه، وانعكاس ذلك على سلوكه حتى لو كان مسجوناً، هو من أكثر وسائل الدّعوة إلى الله تأثيراً في نفوس الناس، ويمثّل ذلك التفاف أصحاب السجن حول يوسف ﷺ.

10 - إن التأكيد على وحدانية الله - تعالى - ونفي الشرك، هو من أعظم وسائل الدعوة إلى دين الله، وهذا كان موقف يوسف ﷺ مع صاحبي السجن، ذلك الموقف الذي يصفه القرآن الكريم بالنص التالي:

﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ۖ أَبْوَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُوِيَهُ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
[يوسف: 39، 40].

11 - الإيمان بقدرة الصالحين من أهل العلم على تعبير الرؤى المنامية، وهي من حقائق الوجود الإنساني على هذه الأرض. فبعض الرؤى تحمل نبوءاتٍ عن المستقبل القريب أو البعيد، وهي نوع من الشفافية (الاستشفاف). وكان من ذلك رؤيا يوسف في طفولته التي تحققت في آخر قصته، وتعبير يوسف لرؤى كل من رفيقه في السجن وملك مصر. والرؤيا الأخيرة سجلها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْمُرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ أَلَمَلِكُ أُنْتَوِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ
قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَعَلَهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾
[يوسف: 47 - 50].

12 - الحرص على تطهير النفس الإنسانية من الشبهات، ولهذا لم يقبل يوسف بالخروج من السجن، إلا بعد تبرئته من جميع التهم التي وُجِّهت زوراً إليه، ولذلك حرص ملك مصر على أن يسأل نسوة المدينة عن الأمر، وهذا ما سجله القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾
[يوسف: 51].

13 - الأصل في الإسلام أن طالب الولاية لا يولى، ولكن في مواقف الشدة يجوز طلب الولاية، لمن علم في نفسه الكفاءة في مواجهتها، والأمانة على القيام بها، ولذلك جاء على لسان يوسف عليه السلام قوله:

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾﴾
[يوسف: 55].

14 - إنَّ النجاح في الابتلاءات، له مردود عظيم في الدنيا قبل الآخرة، فنجاح يوسف في كل ما تعرض له من ابتلاءات كان سبباً في عزّه في الدنيا، ورضاء الله عليه، وجزاؤه في الآخرة سيكون أوفى وأعظم إن شاء الله، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾
[يوسف: 56].

15 - إنَّ قلب الوالد يحن على أبنائه دوماً - حتى لو كانوا خاطئين - فهذا يعقوب ﷺ مع حزنه على تصرف أبنائه مع أخيهم يوسف، ويقينه بأنهم أسأؤوا إليه، ومع إيمانه بأنَّ قضاء الله نافذ، وأنَّ قدره ماضٍ لا محالة، فإنه يوصيهم بقوله:

﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: 67].

16 - التأكيد على أن الإيمان الصادق بالله - تعالى - لا بد وأن يكون خالصاً لجلاله، مُجرداً عن كل غاية دنيوية، كما تجلّى في قلبي كل من عبد الله ونبيه يعقوب، وولده النبي يوسف ﷺ.

17 - ضرورة العفو عن المُسيئ، واليقين بعدل الله - تعالى -، والشكر له على نعمائه كما يتجلّى ذلك في موقف يوسف ﷺ من إخوته حين عادوا إليه مع أبيه، والذي يصفه القرآن الكريم بقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾﴾
[يوسف: 100 - 101].

18 - التصديق بنبوة الرسول الخاتم ﷺ، وبأنه كان موصولاً بالوحي، ومُعَلِّماً من

قبل خالق السموات والأرض، على الرغم من تكذيب كفار قريش لنبوته ﷺ، وتكذيب غيرهم من الكفار والمشركين في مختلف الأماكن والأزمنة من بعده لبعثته الشريفة. ويؤكد القرآن الكريم على أن الإنباء بقصة يوسف ﷺ وبغيرها من القصص الذي لم يدونه المؤرخون هو من أوضح الشهادات على صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وفي ذلك بوجه ربنا - تبارك وتعالى - الخطاب إليه قائلاً له:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

[يوسف: 102 - 104].

19 - التأكيد على ضرورة الاعتبار بآيات الله في السموات وفي الأرض، والتحذير من أن أكثر الناس معرضون للوقوع في حبال الشريك، مما يستوجب نزول عذاب الله في الدنيا، قبل الآخرة، والتذكير بأحوال الساعة، والتنبيه إلى حتمية الاهتمام بالدعوة إلى دين الله الحق، وفي ذلك يقول رب العالمين:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

[يوسف: 103 - 108].

20 - ضرورة الإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالآخوة بين الأنبياء، وبين الناس جميعاً. والتصديق بما نزل من عقاب للأمم السابقة جزاء كفرهم أو شركهم وإفسادهم في الأرض، مع اليقين بالآخرة، والإيمان بأن النصر من الله الذي لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضَ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ [يوسف: 109 - 110].

21 - التأكيد على استخلاص العبر من قصة عبد الله ونبيه يوسف ﷺ، ومن جميع القصص القرآني، وعلى أن الصدق في هذا القصص هو من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وهذا الإعجاز يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه، بالنبوة وبالرسالة، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن أغلب هذه المواقف لم ترد في «العهد القديم» رغم توسعه في ذكر قصة يوسف ﷺ (سفر التكوين 37 - 50). فقد جاء في هذا السفر من الأخطاء في عرض قصة يوسف ما يربو على الحصر، وما يمكن إيجاز بعضه فيما يلي:

- 1 - الادعاء بأن يوسف حينما ألقى في غيابة الجب، كان في سنّ السابعة عشر، ولا يعقل أن شاباً في مثل هذه السن يمكن إلقاءه في غيابة الجب.
- 2 - الادعاء الباطل بأن يعقوب صارع الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).
- 3 - الادعاء الباطل بالاعتداء على عرض ابنة يعقوب، وبخداع أبناء يعقوب لأهل الأرض وقتلهم، وباعتداء أحد أبناء يعقوب، على سرية أبيه.
- 4 - الادعاء بأن يوسف أخبر إخوته برؤياه.
- 5 - الادعاء بأن إخوة يوسف، هم الذين باعوه للإسماعيليين المُقبلين من أرض جلعاد (فلسطين).

- 6 - الادّعاء بأنَّ يعقوب مرَّق ثيابه، وناح على ابنه يوسف أياماً كثيرة، وأبى أن يقبل العزاء فيه.
- 7 - الادّعاء بأنَّ يهوذا ابن النَّبِيِّ يعقوب، وشقيق النبي يوسف ﷺ، زنى بأرملة ابنه المدعوّة «ثامار»، على قارعة الطريق (سفر التكوين 38).
- 8 - الادّعاء بأنَّ القحط الذي كان قد أصاب بلاد الشام في زمن عبد الله ونبيه يوسف عمّ جميع الأرض.
- 9 - الادّعاء بأنَّ يوسف أقسم بحياة «فرعون»، وأنَّه كان بينه وبين إخوته مُترجم!
- 10 - الادّعاء بأنَّ بنيامين كان لا يزال غلاماً، وبأنَّ يوسف كان قد تجاوز الثلاثين، والحقيقة أن الفرق بينهما في العمر كان ستان فقط.
- 11 - الادّعاء بأنَّ بني إسرائيل الذين نزلوا مصر، كانوا سبعين نفساً.
- 12 - الادّعاء بأنَّ يعقوب بارك فرعون.
- 13 - تكرار الادّعاء بالوعد المُفترى على الله - تعالى -، بأنَّه أعطى أرض فلسطين لإبراهيم ومن بعده لإسحاق ثمَّ ليعقوب ولنسله من بعده، ملكاً أبدياً، وهو من افتراءات اليهود على الله.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في استعراض القرآن الكريم لقصة النبي يوسف:

- 1 - لأن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ عاش في مصر في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بعث في مطلع القرن السابع الميلادي، فإنَّ الفترة الزمنية بينهما كانت أكثر من عشرين قرناً. ولما لم يكن العرب في زمن البعثة المحمدية الشريفة أهل علم وتدوين كانت التفاصيل الدقيقة التي سجلها القرآن الكريم في قصة يوسف وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. ولا يمكن الاحتجاج بما جاء

عن قصة يوسف ﷺ في «العهد القديم» للفوارق الهائلة بين الروائيتين، وللأخطاء العديدة في رواية «العهد القديم».

2 - استعمال لقب «الملك» لحاكم مصر خلال كل السورة بدلاً من لقب «الفرعون»، وذلك لأن دخول يوسف ﷺ ومن بعده أسرته إلى أرض مصر كان في عهد ملوك الهكسوس (الرعاة) الذين لم يستخدموا لقب الفرعون، بل استخدموا لقب الملك.

3 - الإشارة إلى إخوة يوسف ووالديه بتعبير: أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يتوافق تماماً مع ما أثبتته علم الفلك من أن عدد كواكب المجموعة الشمسية هو أحد عشر كوكباً، وأن الشمس لا يمكنها جذب شيء إليها بعد الكوكب الحادي عشر الذي يقع على بعد (90) وحدة فلكية عن الشمس، والذي تم اكتشافه في 14/11/2003م وتم الإعلان عنه في 15/3/2004م وعرف باسم الكوكب سيدنا (Sedna).

4 - الإنباء بأن أفضل وسيلة لحفظ الحبوب التي تنبت في سنابل من مثل القمح، والشعير، والذرة، والشوفان، وغيرها هو حفظها في سنابلها بدلاً من حفظها مفروطة في صوامع الغلال حيث تفسد، وهو ما أثبتته التجارب العلمية مؤخراً.

5 - وورود هذه القصة في القرآن الكريم بهذا التفصيل، وبهذه الدقة، هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

قصة يوسف عليه السلام كما جاءت في سفر التكوين:

Joseph's Dreams

37 Jacob lived in the land where his father had stayed, the land of Canaan.

²This is the account of Jacob. Joseph, a young man of seventeen, was tending the flocks with his brothers, the sons of Bilhah and the sons of Zilpah, his father's wives, and he brought their father a bad report about them. ³Now Israel loved Joseph more than any of his other sons, because he had been born to him in his old age; and he made a richly ornamented robe for him. ⁴When his brothers saw that their father loved him more than any of them, they hated him and could not speak a kind word to him.

⁵Joseph had a dream, and when he told it to his brothers, they hated him all the more. ⁶He said to them, "Listen to this dream I had: ⁷We were binding sheaves of grain out in the field when suddenly my sheaf rose and stood upright, while your sheaves gathered around mine and bowed down to it." ⁸His brothers said to him, "Do you intend to reign over us? Will you actually rule us?" And they hated him all the more because of his dream and what he had said. ⁹Then he had another dream, and he told it to his brothers. "Listen," he said, "I had another dream, and this time the sun and moon and eleven stars were bowing down to me." ¹⁰When he told his father as well as his brothers, his father rebuked him and said, "What is this dream you had? Will your mother and I and your brothers actually come and bow down to the ground before you?" ¹¹His brothers were jealous of him, but his father kept the matter in mind.

The Plot Against Joseph

¹²Now his brothers had gone to graze their father's flocks near Shechem, ¹³and Israel said to Joseph, "As you know, your brothers are grazing the flocks near Shechem. Come, I am going to send you to them." "Very well," he replied. ¹⁴So he said to him, "Go and see if all is well with your brothers and with the flocks, and bring word back to me." Then he sent him off from the Valley of Hebron. When Joseph arrived at Shechem, ¹⁵a man found

حلم يوسف وحسد إخوته

٣٧ وسكن بقنوب في أرض كنعان، حيث تقرب أبوه. وهذا سجل بيسرة بقنوب. إذ كان يوسف غلاماً في السابعة عشرة من عمره، راح يرعى الغنم مع إخوته أبناء بلهة وزلفة زوجتي أبيه، فأتبع يوسف أباه بنوهم الرعيين. وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من باقي إخوته، لأنه كان ابن شيخوخته، فصنع له قميصاً ملوناً، ولما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم كرهوه وأسأفوا إليه بكلامهم.

^٢وحلم يوسف حُلماً قسماً على إخوته، فأزادوا له بغساً. أقال لهم، اشمعوا هذا الحلم الذي حلمته. رأيت وكأنتا نخريم خرباً في الحقل، فلما بخرتني وقفت ثم انتصبت، فأحاطت بها خربتكم وأنحنت لها. فقال له إخوته، ألمالك نملك علينا أو نخكمنا؟ وزاد بغضهم له بسبب أخلاجه وكلامه. ألم حلم حُلماً آخر سرده على إخوته، قال، حلمت حُلماً آخر، وإذا كشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي. وقضه على أبيه وإخوته، فأثمة أبوه وقال، أأى حلم هذا الذي حلمته؟ أنظر حفا أنني وأنت وإخوتك ساجدي وتلحني لك إني الأرض؟ فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه.

التأمر على حياة يوسف

^{١٢}وأطلق إخوته ليترعوا غنم أبيهم عند شكيم، فقال إسرائيل ليوسف، ألا ترعى إخوانك الغنم عند شكيم؟ فقال، لأرسلك إليهم. فذهب وأطمئن على إخوانك وعلى أقموتهم، لم تعد وأخبرني عن أخبارهم، فمضى من وادي خيبرون حتى أتيت إلى شكيم. وألقاه رجل فوجده

him wandering around in the fields and asked him, "What are you looking for?"¹⁶ He replied, "I'm looking for my brothers. Can you tell me where they are grazing their flocks?"¹⁷ "They have moved on from here," the man answered. "I heard them say, 'Let's go to Dothan.'"

So Joseph went after his brothers and found them near Dothan.¹⁸ But they saw him in the distance, and before he reached them, they plotted to kill him.¹⁹ "Here comes that dreamer!" they said to each other.²⁰ "Come now, let's kill him and throw him into one of these cisterns and say that a ferocious animal devoured him. Then we'll see what comes of his dreams."²¹ When Reuben heard this, he tried to rescue him from their hands. "Let's not take his life," he said.²² "Don't shed any blood. Throw him into this cistern here in the desert, but don't lay a hand on him." Reuben said this to rescue him from them and take him back to his father.²³ So when Joseph came to his brothers, they stripped him of his robe—the richly ornamented robe he was wearing—²⁴and they took him and threw him into the cistern. Now the cistern was empty; there was no water in it.

Yosef Sold to the Ishmaelites

²⁵As they sat down to eat their meal, they looked up and saw a caravan of Ishmaelites coming from Gilead. Their camels were loaded with spices, balm and myrrh, and they were on their way to take them down to Egypt.²⁶ Judah said to his brothers, "What will we gain if we kill our brother and cover up his blood?"²⁷ "Come, let's sell him to the Ishmaelites and not lay our hands on him; after all, he is our brother, our own flesh and blood." His brothers agreed.²⁸ So when the Midianite merchants came by, his brothers pulled Joseph up out of the cistern and sold him for twenty shekels of silver to the Ishmaelites, who took him to Egypt.²⁹ When Reuben returned to the cistern and saw that Joseph was not there, he tore his clothes.³⁰ He went back to his brothers and said, "The boy isn't there! Where can I turn now?"

³¹Then they got Joseph's robe, slaughtered a goat and dipped the robe in the blood.³² They took the ornamented robe back to their father and said, "We found this. Examine it to see whether it is your son's robe."³³ He recognized it and said, "It is my son's robe! Some ferocious animal has

أكلها في الحقل، فسألته، «عمن تبحث؟»¹⁶ فاجابته، «أبحث عن إخوتي. أريهم أن تجوزي لأن تزعوني مواشيتهم؟»¹⁷ فقال الرجل، «لقد انتقلوا من هنا، وسيفتقهم يقولون: لنذهب إلى دوثان.» فالتفت يوسف في إثر إخوته حتى قدم عليهم في دوثان.

¹⁸وتما إذ رآه من بعيد، وقبل أن يقرب منهم حتى قاموا عليه ليقتلوه.¹⁹ وقال بعضهم لبعض، «ها هو صاحب الأحلام متبعنا. ها هنا نقتله ونلقى به في إحدى الآبار، ونسب أن وشنا ضلها الحمرنة، لئلا نرى ما كنا نجهل أخلاقه.»²⁰ ولم يسمع زاووبن حديثهم، أراد أن يخلصه، قال، «لا تقتله، ولا تفسدوا دمًا، بل أطرحوه في غدير البئر في البئر، ولا تلمسوا إليه يداً بائسًا.» وقد أشاد زاووبن بهذا لأنه أراد أن يخلصه منهم وتزوجه إلى أبويه.²¹ وعلمنا قديم على إخوته، نزعوا عنه قميصه المثلون الذي كان يرتديه،²² وأخذوه وألقوا به في البئر، وكففت البئر فارغة من الماء.

Yosef Sold to the Ishmaelites

²⁵وجين جلسوا ليأكلوا شاهدوا عن بعد قافلة من الإسماعيليين قاصدين من جلعاد في طريقهم إلى مصر. ورحلتهم مقلدة بالكتوبل والبستان واللاذني.²⁶ قال يهوذا لإخوته، «ما جدوى قتل أخينا ونسبناه دمياً؟» فقالوا نبيعه إلى الإسماعيليين ونزويه إيماننا من دم لأنه أخونا ومن لحمنا. فوافق إخوته على وأبويه.²⁷ وعلمنا دنا منهم أنشأوا الميدياتيين، سخبوا يوسف من البئر وتاخروا لهم بمسورين قطعة من البض، فحملوه إلى مصر.²⁸ ثم ذهب زاووبن إلى البئر ليبحث يوسف فلم يجده، فمزق ثيابه،²⁹ فراجع إلى إخوته، فقال، «أولدت لئس منجوماً، وأنا الآن إلى أين أتوجه؟»

³¹فأخذوا قميص يوسف المثلون، ونزحوا نيساً من الميديزي وعسروا القمصين في الدم،³² وأرسلوه إلى أبويه فإلطين، فقد وعشنا هذا القمصين، فحقن يده، أهو قميص بريك لم لا،³³ فتعرفت بقوم عليه وقال، «هذا قميص ابني.»

devoured him. Joseph has surely been torn to pieces.”³⁴ Then Jacob tore his clothes, put on sackcloth and mourned for his son many days.³⁵ All his sons and daughters came to comfort him, but he refused to be comforted. “No,” he said, “in mourning will I go down to the grave to my son.” So his father wept for him.³⁶ Meanwhile, the Midianites sold Joseph in Egypt to Potiphar, one of Pharaoh’s officials, the captain of the guard.

The Marriage of Judah

38 At that time, Judah left his brothers and went down to stay with a man of Adullam named Hirah.² There Judah met the daughter of a Canaanite man named Shua. He married her and lay with her;³ she became pregnant and gave birth to a son, who was named Er.⁴ She conceived again and gave birth to a son and named him Onan.⁵ She gave birth to still another son and named him Shelah. It was at Kezib that she gave birth to him.⁶ Judah got a wife for Er, his firstborn, and her name was Tamar.⁷ But Er, Judah’s firstborn, was wicked in the LORD’s sight; so the LORD put him to death.⁸ Then Judah said to Onan, “Lie with your brother’s wife and fulfill your duty to her as a brother-in-law to produce offspring for your brother.”⁹ But Onan knew that the offspring would not be his; so whenever he lay with his brother’s wife, he spilled his semen on the ground to keep from producing offspring for his brother.¹⁰ What he did was wicked in the LORD’s sight; so he put him to death also.¹¹ Judah then said to his daughter-in-law Tamar, “Live as a widow in your father’s house until my son Shelah grows up.” For he thought, “He may die too, just like his brothers.” So Tamar went to live in her father’s house.

Judah and Tamar

¹²After a long time Judah’s wife, the daughter of Shua, died. When Judah had recovered from his grief, he went up to Timnah, to the men who were shearing his sheep, and his friend Hirah the Adullamite went with him.¹³ When Tamar was told, “Your father-in-law is on his way to Timnah to shear his sheep,”¹⁴ she took off her widow’s clothes, covered herself with a veil to disguise herself, and then sat down at the entrance to Enaim, which is on the road to Timnah. For she

وَحَسُنَ ضَارِبَ أَمْرَتَهُ وَتَرَافَهُ أَشْلَاءً..³⁴ فَشَقَّ يَهُوُدُ بِتَقْوَبِ بِيَانِهِ، وَأَذْنَى الْمَسُوحَ عَلَى حَقْوَتِهِ، وَتَبَّحَ عَلَى ابْنِهِ أَيْامًا عَمِيدَةً.³⁵ وَجَمَعْنَا قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ لِتَعَزُّوهُ أَمَّا أَنْ يَتَمَرَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْتَبِئُ إِلَى ابْنِي نَاجِحًا إِلَى الْهَابِئَةِ. وَتَكْسُ عَلَيْهِ أَمْوَهُ.»³⁶ وَتَبَّحَ الْمِدْيَانِيُّونَ يُوسُفَ فِي بَصْرَى لِبُوطِيفَارَ حَاشِيِ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الْحَرَسِ.

يهودا يتزوج ابنة شوع

٣٨ وَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنَّ يَهُودًا أَفْرَقَ عَنْ إِخْوَتِهِ وَأَقَامَ عِنْدَ زَجَلِ عَدْلَامِي يُدْعَى جِيرَةَ^٢ وَشَاعَدَ هُنَاكَ ابْنَةَ كَنْعَانِيٍّ سَمِعَهُ شُوعٌ، فَتَزَوَّجَهَا. فَحَمَلَتْ وَأَلْجَبَتْ لَهُ ابْنًا دَعَاهُ عِيرًا. ثُمَّ حَمَلَتْ أَيْضًا وَأَلْجَبَتْ ابْنًا سَمِعَهُ أُونَانَ. ثُمَّ عَادَتْ فَأَلْجَبَتْ فِي كَزِيبِ ابْنًا دَعَاهُ شَيْلَةَ.^٦ وَأَخَذَ يَهُودًا لِعَمْرٍ بِكَرْمٍ زَوْجَةً تُدْعَى تَمَارَ. وَإِذْ كَانَ عِيرٌ يَكْرُمُ يَهُودًا شِرْمَرًا، سَمِعَهُ الرَّبُّ.^٨ فَحَالَ يَهُودًا لِأُونَانَ، «ادْخُلْ عَلَى زَوْجَةِ أُجْحَكِ وَتَزَوَّجْهَا وَإِقِمْ لِأُجْحَكِ نَسْلًا.»^٩ وَعَرَفَ أُونَانَ أَنَّ النَّسْلَ لَا يَكُونُ لَهُ، فَكَانَ كُلَّمَا عَاشَرَ امْرَأَةً أُجِيمِ تَسْبِدُ عَلَى الْأَرْضِ، كَيْلَا يُقِيمَ لِأُجِيمِ نَسْلًا. «فَسَاءَ عَمَلُهُ هَذَا فِي عَيْنِي الرَّبِّ فَسَاءَةٌ أَيْضًا.»^{١٠} فَحَالَ يَهُودًا لِتَمَارَ كَثِيرًا: «انْكَبِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَمْرِكَ وَتَمَامًا يَكْرُمُ شَيْلَةَ ابْنِي.» لِأَنَّهُ قَالَ: «بَلَلًا يَمُوتُ شَيْلَةَ أَيْضًا كَمَا مَاتَ عَوْنُهُ.» فَحَمَلَتْ تَمَارَ وَوَلَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا.

يهودا وتامار

^{١٢}وَعِنْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ مَاتَتْ زَوْجَةُ يَهُودًا ابْنَةَ شُوعٍ. وَإِذْ تَمَرَّى يَهُودًا تَسْلَعًا أَتَانَتْ إِلَى جِرَالِ عَمِيمٍ فِي بَيْتَةٍ بِوَقْفَةِ جِيرَةَ صَاحِبِ عَدْلَامِيٍّ. «الْحَمْلُ لِلنَّسْلِ، هَهُوَذَا حَمْرُكَ قَادِمٌ لِبَيْتِي لِكْرُمِ عَمِيمِي.»^{١٣} فَتَزَوَّجَتْ عَنْهَا يَهُودًا تَزَوُّجًا، وَتَمَرَّقَتْ وَتَلَفَّفَتْ وَجَلَسَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ عَيْنَتَيْهِمُ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ بَيْتَةٍ، لِأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ شَيْلَةَ قَدْ كَرِمَ

saw that, though Shelah had now grown up, she had not been given to him as his wife. ¹⁵When Judah saw her, he thought she was a prostitute, for she had covered her face. ¹⁶Not realizing that she was his daughter-in-law, he went over to her by the roadside and said, "Come now, let me sleep with you." "And what will you give me to sleep with you?" she asked. ¹⁷"I'll send you a young goat from my flock," he said. "Will you give me something as a pledge until you send it?" she asked. ¹⁸He said, "What pledge should I give you?" "Your seal and its cord, and the staff in your hand," she answered. So he gave them to her and slept with her, and she became pregnant by him. ¹⁹After she left, she took off her veil and put on her widow's clothes again.

²⁰Meanwhile Judah sent the young goat by his friend the Adullamite in order to get his pledge back from the woman, but he did not find her. ²¹He asked the men who lived there, "Where is the shrine prostitute who was beside the road at Enaim?" "There hasn't been any shrine prostitute here," they said. ²²So he went back to Judah and said, "I didn't find her. Besides, the men who lived there said, 'There hasn't been any shrine prostitute here.'"

²³Then Judah said, "Let her keep what she has, or we will become a laughingstock. After all, I did send her this young goat, but you didn't find her."

The Birth of Perez and Zerah

²⁴About three months later Judah was told, "Your daughter-in-law Tamar is guilty of prostitution, and as a result she is now pregnant." Judah said, "Bring her out and have her burned to death!"

²⁵As she was being brought out, she sent a message to her father-in-law. "I am pregnant by the man who owns these," she said. And she added, "See if you recognize whose seal and cord and staff these are."

²⁶Judah recognized them and said, "She is more righteous than I, since I wouldn't give her to my son Shelah." And he did not sleep with her again.

²⁷When the time came for her to give birth, there were twin boys in her womb. ²⁸As she was giving birth, one of them put out his hand; so the midwife took a scarlet thread and tied it on his wrist and said, "This one came out first." ²⁹But when he drew back his hand, his brother came out, and she said, "So this is how you have broken out!" And he

وَأْتَا لَيْنَ كَرِيْفٍ إِلَيْهِ. ¹⁵فَلَمَّا رَأَاهَا يَهُودَا ظَنَّمَهَا زَانِيَةً لِأَنَّهَا كَفَتَتْ تَجْبِيئَةً. ¹⁶فَقَالَ نَحْوَهَا إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَقَالَ: «ذَعْصِي أَعْلَيْكَ». وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَنَّهَا كَتَلَتْ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُطْعِمِي لِكَيْ تَعْلَمِيَنِي؟» ¹⁷قَالَ: «أَبْعَثُ إِلَيْكَ جَدِي يَغْرِي مِنَ الطَّيْبِ». قَالَتْ: «أَطْعِمِي زَهْنًا حَتَّى تَبْتَدِيَ بِهِ.» ¹⁸فَسَأَلَهَا: «أَيُّ زَهْنٍ أَعْطَيْكِ؟ فَأَجَابَتْ: «حَافِلُكَ وَصَفْرِيكَ وَزَعْفَرَانٌ. فَأَعْطَاهَا مَا طَلَبَتْ. وَغَابَرَهَا فَحَمَلَتْ بِهِ.» ¹⁹لَمَّا قَامَتْ وَنَضَتْ، وَطَلَعَتْ يُوقِفَهَا وَأَزْدَدَتْ بِنَاتٍ تَرْمُلُهَا.

²⁰وَعَلَّمَنَا أُرْسَلُ الْجَدِي مَعَ صَاحِبِهِ الْعَدْلَامِيِّ لِيَسْتَرِدَّ الْزَهْنَ مِنْ بَدِ الْمَرْأَةِ لَمْ يَجِدْهَا. ²¹فَسَأَلَ أَهْلَ الْمَكَانِ: «أَيْنَ الْزَانِيَةُ الَّتِي كَفَتَتْ تَجْبِيئِينَ عَلَى الطَّرِيقِ فِي عَيْنَيْهِ؟» فَجَابُوا: «لَمْ تَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ زَانِيَةً.» ²²فَعَادَ إِلَى يَهُودَا وَقَالَ: «لَمْ أَجِدْهَا، وَكَلَّمَكَ قَالَ أَهْلُ الْمَكَانِ: لَمْ تَكُنْ هُنَا زَانِيَةً.» ²³فَأَجَابَ يَهُودَا: «طَلَعْتُ بِهَا عِنْدَهَا، فَكَيْفَ أُرِيدُ أَنْ تَسْخَرَ النَّاسُ مِنِّي. لَقَدْ تَعَثَّ بِهَذَا الْجَدِي أَجْرَةً لَهَا وَلِكَيْ لَمْ يَجِدْهَا.»

مولد فارص ويزارح ²⁴وَبَعْدَ ثَلَاثِ أَشْهُرٍ قِيلَ لِيَهُودَا: «لَمَّا رَأَى كَتَلَتْ زَهْنًا، وَحَمَلَتْ مِنْ زَهْنِهَا.» قَالَ يَهُودَا: «أُخْرِجُوهَا لِتُخْرَقَ.» ²⁵وَعَلَّمَنَا الْمَرْجُوحَةُ أُرْسَلَتْ إِلَى حَيْثَمَا فَابِلَةٌ. أَنَا حَيْثَى مِنْ صَاحِبِ هَلِيبِ الْأَشْيَاءِ. فَحَقَّقْ لِمَنْ هَذَا الْخَطَمُ وَالْبِضَابَةُ وَالنِّصَابُ؟» ²⁶فَأَقْرَبَ بِهَا يَهُودَا وَقَالَ: «مَنْ حَقًّا أُرِي مِنِّي. لِأَنِّي لَمْ أَرَوْهَا مِنْ أُنثَى سِوَلَهُ.» وَلَمْ يَعْلَمِيَنَهَا فِي مَا تَعَدَّ.

²⁷وَعَلَّمَنَا أُرْفُ مَرْتَدٍ وَأَزْدَدًا إِذَا فِي أَحْسَابِهَا نَوَامِنًا. ²⁸وَفِي الْوَأْتِ وَأَزْدَدًا أُخْرِجَ أَحَدُهُمَا بِنَا مَرْتَدٍ الْقَابِلَةَ حَوْلَهَا حَيْثَمَا أُخْرِجَ، وَقَالَتْ: «هَذَا خَرَجَ أَوَّلًا.» ²⁹فَمَرَّ أَيْ سَحَبَ بِنَا لِمَرْجُوحِ أَمْرِهِ، فَقَالَتْ: «أَيُّ أَحْفَامٍ أَحْتَمَسَتْ لِيَسْكَا؟ لِذَلِكَ ذَعِي اسْمُهُ قَرَمٌ (وَتَعْنَى: أَحْفَامٌ).

was named Perez. ³⁰Then his brother, who had the scarlet thread on his wrist, came out and he was given the name Zerah.

Joseph in Potiphar's House

39 Now Joseph had been taken down to Egypt. Potiphar, an Egyptian who was one of Pharaoh's officials, the captain of the guard, bought him from the Ishmaelites who had taken him there. ²The LORD was with Joseph and he prospered, and he lived in the house of his Egyptian master. ³When his master saw that the LORD was with him and that the LORD gave him success in everything he did, ⁴Joseph found favor in his eyes and became his attendant. Potiphar put him in charge of his household, and he entrusted to his care everything he owned. ⁵From the time he put him in charge of his household and of all that he owned, the LORD blessed the household of the Egyptian because of Joseph. The blessing of the LORD was on everything Potiphar had, both in the house and in the field. ⁶So he left in Joseph's care everything he had; with Joseph in charge, he did not concern himself with anything except the food he ate.

Now Joseph was well-built and handsome, ⁷and after a while his master's wife took notice of Joseph and said, "Come to bed with me!" ⁸But he refused. "With me in charge," he told her, "my master does not concern himself with anything in the house; everything he owns he has entrusted to my care. ⁹No one is greater in this house than I am. My master has withheld nothing from me except you, because you are his wife. How then could I do such a wicked thing and sin against God?" ¹⁰And though she spoke to Joseph day after day, he refused to go to bed with her or even be with her. ¹¹One day he went into the house to attend to his duties, and none of the household servants was inside. ¹²She caught him by his cloak and said, "Come to bed with me!" But he left his cloak in her hand and ran out of the house. ¹³When she saw that he had left his cloak in her hand and had run out of the house, ¹⁴she called her household servants. "Look," she said to them, "this Hebrew has been brought to us to make sport of us! He came in here to sleep with me, but I screamed. ¹⁵When he heard me scream for help, he left his cloak beside me and ran out of the house."

وَتَمَدَّ ذَلِكَ خِزْيَ الْحَمَى فَوَ الْمَيْعِضِ الْمَطْوِقِ بِالْغَنَظِ الْأَخْضَرِ
فَسَمَّيَ زَارَحَ (وَمَفْتَاةً، أَحْمَرَ، أَوْ إِسْرَاقًا).

يوسف في بيت فوطيفار

وَأَخَذَ الْإِسْمَائِيلِيُّونَ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ، فَاشْتَرَاهُ
بِهِمْ مِصْرِيُّ يُدْعَى فُوطِيفَارَ، كَانَ حَبِيبِي يُزْعَوْنَ
ذَلِيلِينَ الْحَرَمِ. ^٢وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ، فَانْتَلَحَ فِي
أَعْمَالِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ، ^٣وَرَأَى مَوْلَاهُ أَنَّ
الرَّبُّ مَعَهُ وَأَنَّهُ يَكْتَلِمُ كُلَّ مَا تَضَعُهُ يَدَاهُ بِكَلِمَاتِهِ،
فَاحْتَبَى يُوسُفَ بِرُضَى سَيِّدِهِ، فَجَعَلَهُ وَكِيلاً عَلَى بَيْتِهِ وَوَلَاةً
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ^٤وَتَرَاكَ الرَّبُّ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ وَكُلَّ شَيْءٍ
مِنْ مَقْتَبَاتِهِ فِي أَيْدِيهِ وَالْحَقْلَ بِفَضْلِ يُوسُفَ، فَتَمَوَّدَ
بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَى يُوسُفَ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّفُ مَعَهُ شَيْئاً إِلَّا
الْحَبْزَ الْأَبْيَضَ تَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفَ يَجْمَلُ الْهَيْبَةَ وَيَسِمُ
الْوَجْهَ.

لَمْ تَكُنْ أَنْ أَمْرَتِ بِهِ زَوْجَةً مَوْلَاهُ فَصَلَّتْ،
فَطَلَّجَتْهُ تَمِي. ^٨فَأَلْسَى وَقَالَ لَهَا: «هُوَئِلَا سَيِّدِي قَدْ عَاهَدَ
إِلَيَّ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَلَمْ يُشْفِئْ تَشْتِ
بِأَيِّ شَيْءٍ فِيهِ. ^٩وَلَيْسَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ
مِنِّي. وَلَمْ يَمْنَعْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكَ لِأَنَّكَ زَوْجَتِي. فَكَيْفَ
أَفْرَفُ هَذَا كَلْبُورَ الْعَظِيمِ وَالْحَبِيبِ إِلَى اللَّهِ؟ ^{١٠}وَلَمْ
يُدْعِنِ يُوسُفَ لَهَا مَعَ أَيِّهَا فَحَدَّثَ يُحِبُّ عَلَيْهِ نَوْمًا يَمَدُّ
أَخْرَ.

وَوَحَدَتْ نَوْمًا أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَقُومَ بِعَمَلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
الْمَنْزِلِ أَحَدٌ. ^{١٢}فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ مِنْ رِجَائِهِ وَقَالَتْ، فَطَلَّجَتْ
نَمِي. ^{١٣}فَفَرَكَ رِجَاءَهُ بِتَيْبِهَا وَهَرَبَ خَارِجًا تَارِكًا رِجَاءَهُ بِتَيْبِهَا
وَعِيلَتَمَا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ رَفَعَتْ وَهَرَبَ خَارِجًا تَارِكًا رِجَاءَهُ
بِتَيْبِهَا ^{١٤}فَنَادَتْ أَمَلْنَ تَيْبَتَا وَقَالَتْ، «انظُرُوا مَا جَرَى؟ هَذَا
الْجِيرَانِيُّ الْأَبْيَضُ جَاءَ بِهِ زَوْجِي إِلَى الْبَيْتِ. شَرَعَ مَزَاوِدِي
عَنْ تَلْسِي. دَخَلَ حُرْفَتِي وَحَاوَلَ الْفَيْضِي، فَضَرَحْتُ بِالْعَلَى
ضَوْبِي. ^{١٥}وَعِيلَتَمَا سَمِعْتِي قَدْ رَفَعْتُ ضَوْبِي وَضَرَحْتُ.
فَرَكَ رِجَاءَهُ نَمِي وَهَرَبَ خَارِجًا.»

¹⁶She kept his cloak beside her until his master came home. ¹⁷Then she told him this story: "That Hebrew slave you brought us came to me to make sport of me. ¹⁸But as soon as I screamed for help, he left his cloak beside me and ran out of the house."

Joseph in Prison

¹⁹When his master heard the story his wife told him, saying, "This is how your slave treated me," he burned with anger. ²⁰Joseph's master took him and put him in prison, the place where the king's prisoners were confined. But while Joseph was there in the prison, ²¹the LORD was with him; he showed him kindness and granted him favor in the eyes of the prison warden. ²²So the warden put Joseph in charge of all those held in the prison, and he was made responsible for all that was done there. ²³The warden paid no attention to anything under Joseph's care, because the LORD was with Joseph and gave him success in whatever he did.

The Cupbearer and the Baker

40 Some time later, the cupbearer and the baker of the king of Egypt offended their master, the king of Egypt. ²Pharaoh was angry with his two officials, the chief cupbearer and the chief baker, ³and put them in custody in the house of the captain of the guard, in the same prison where Joseph was confined. ⁴The captain of the guard assigned them to Joseph, and he attended them. After they had been in custody for some time, ⁵each of the two men—the cupbearer and the baker of the king of Egypt, who were being held in prison—had a dream the same night, and each dream had a meaning of its own.

⁶When Joseph came to them the next morning, he saw that they were dejected. ⁷So he asked Pharaoh's officials who were in custody with him in his master's house, "Why are your faces so sad today?" ⁸"We both had dreams," they answered, "but there is no one to interpret them." Then Joseph said to them, "Do not interpretations belong to God? Tell me your dreams."

Joseph Explains the Cupbearer's Dream

⁹So the chief cupbearer told Joseph his dream. He said to him, "In my dream I saw a vine in front of me, ¹⁰and on the vine were three branches. As soon

¹¹والثقت رفاهة إلى جانيها حتى قدم مزلاة إلى نبيي.
¹²فقصت عليه بكل هذا الحديث قليلاً، ودخل العبد
ألميراني الذي جئت به إلينا ليرؤيني عن نفسي،¹³ وجين
وأهتضت ضوئي وضرحت، فزك لونه بجلبتي وفر خارجاً.

يوسف يزوج في السجن

¹⁴فلما سمع سئدة كلام زوجته وما أتتهت به يوسف
أضغمت غضبه،¹⁵ فحبس على يوسف وزوجه في السجن،
حيث كان أشرف الملوك المعتقلين، فمكث هناك.
¹⁶وأكره كرؤف كان مع يوسف، فالتفت عليه ورحمته، فقال
يوسف لربيس السجن،¹⁷ "حتى عهد إلى يوسف بكل
المتساجين المعتقلين، وجمعه مشولاً عن كل ما يجري
هناك."¹⁸ ولم يجاب ربيس السجن يوسف بأن يجري
أمره إلا، لأن كرؤف كان معه، وبهما فعل كان كرؤف
يكلله بالنجاح.

ساقى فرعون وخيازه في السجن

٤٠ وألق بعد ذلك لؤ ساقى ملك مصر وأختار
ألقنا إلى سبيها ملك مصر،^٢ فغضب فرعون
على خبيثيه، ربيس السقاء وربيس الخبازين،^٣ وجمعهما
في معتقل بيت ربيس الحرس في السجن، في المعتقل
الذي كان يوسف محتوساً فيه،^٤ فولى ربيس الحرس
يوسف أمرهما، فقام على خدمتهما فمكثا في المعتقل
أههما.

^٥وعلم كل من ساقى ملك مصر وخبازه المعتقلين في
السجن علماً في ليلة واحدة، وكان يلهم كل منهما تفلة
الخاص بضيقه،^٦ فلقن عليهما يوسف في الصباح
فوجدهما متكبين،^٧ فسألهما، أينما وجهنا متكبلين
في هذا النوم،^٨ فاجاباه، علم كل منا علماً ونحن من
بفسره، فقال يوسف، ألبت تقاسم الأسلام بلو؟
حكلي بهما.

يوسف يفسر حلم ساقى فرعون

^٩فسرد ربيس السقاء حلمه على يوسف، قال، رأيت في
حلمي وثلا كومة أعماي،^{١٠} إليها ثلاثة أغصان المزخنة ثم

as it budded, it blossomed, and its clusters ripened into grapes.¹¹ Pharaoh's cup was in my hand, and I took the grapes, squeezed them into Pharaoh's cup and put the cup in his hand."¹²

"This is what it means," Joseph said to him. "The three branches are three days.¹³ Within three days Pharaoh will lift up your head and restore you to your position, and you will put Pharaoh's cup in his hand, just as you used to do when you were his cupbearer.¹⁴ But when all goes well with you, remember me and show me kindness; mention me to Pharaoh and get me out of this prison.¹⁵ For I was forcibly carried off from the land of the Hebrews, and even here I have done nothing to deserve being put in a dungeon."

Joseph Explains the Baker's Dream

¹⁶When the chief baker saw that Joseph had given a favorable interpretation, he said to Joseph. "I too had a dream: On my head were three baskets of bread.¹⁷ In the top basket were all kinds of baked goods for Pharaoh, but the birds were eating them out of the basket on my head."¹⁸ "This is what it means," Joseph said. "The three baskets are three days.¹⁹ Within three days Pharaoh will lift off your head and hang you on a tree. And the birds will eat away your flesh."

²⁰Now the third day was Pharaoh's birthday, and he gave a feast for all his officials. He lifted up the heads of the chief cupbearer and the chief baker in the presence of his officials:²¹ He restored the chief cupbearer to his position, so that he once again put the cup into Pharaoh's hand,²² but he hanged the chief baker, just as Joseph had said to them in his interpretation.²³ The chief cupbearer, however, did not remember Joseph; he forgot him.

Pharaoh's Dreams

41 When two full years had passed, Pharaoh had a dream: He was standing by the Nile,² when out of the river there came up seven cows, sleek and fat, and they grazed among the reeds.³ After them, seven other cows, ugly and gaunt, came up out of the Nile and stood beside those on the riverbank.⁴ And the cows that were ugly and gaunt ate up the seven sleek, fat cows. Then Pharaoh woke up.

أُذْهِرَتْ، وَمَا لَيْتَ عَقْلِيْهَا أَنْ الْمَرْثُ عَيْبًا نَاصِحًا. ¹¹ وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَتَنَاوَلْتُ الْعَيْبَ وَعَصْرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَوَضَعْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِهِ. ¹² أَقَالَ لَهُ نَوْسُفٌ، «بَيْنَكَ ظَمِيرَةٌ، الْأَعْصَانُ الثَّلَاثَةُ هِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. ¹³ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يُرْضِي عَنكَ فِرْعَوْنُ، وَتَرْدُكَ إِلَى مَنَزَلَتِكَ حَيْثُ تَنَاوَلْتُ فِرْعَوْنَ كَأْسَهُ، فَسَمَا كَمَا كُنْتَ مُفْتَادًا أَنْ تَقْعَلَ عَيْنَمَا كُنْتَ سَاقِيَهُ. ¹⁴ إِذَا إِذَا أَصْبَحْتَ حَيًّا فَادْكُرْنِي وَأَحْسِنْ إِلَيَّ. اذْكُرْنِي لَدَى فِرْعَوْنَ وَأَخْرِجْنِي مِنْ هَذَا السِّجْنِ، ¹⁵ لِأَنِّي جُمِلْتُ عَقْرًا مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهَنَا أَهْضَا لَمْ أَحِمْ شَيْئًا لِيُرْجَعُوا بِي فِي هَذَا السِّجْنِ».

يوسف يفسر حلم خياز فرعون ¹⁶ وَعَيْنَمَا رَأَى زَيْسَ الْخَبَائِثِ أَنَّ نَوْسُفَ أَحْسَنَ التَّفْسِيرِ، قَالَ لَهُ، «وَأَنْتَ أَيُّهَا الْهَاضِمُ، وَإِنَّا بِثَلَاثَةِ سَلَالٍ نَبْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. ¹⁷ وَكَانَ السَّلُّ الْأَعْلَى مَلْبِيًا مِنْ طَعَامِ فِرْعَوْنَ بِمَا يُؤَدُّهُ الْخَبَائِثُ، إِلَّا أَنَّ الطُّيُورَ كَثَّتْ تَلْتَهُمْ مِنْ السَّلِّ الْأَلْفِي عَلَى رَأْسِي. ¹⁸ أَقَالَ نَوْسُفٌ، «بَيْنَكَ ظَمِيرَةٌ، الثَّلَاثَةُ السَّلَالُ هِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَطْعَمُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَطْلُقُكَ عَلَى خَشْبَةٍ فَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ.»

¹⁹ وَكَانَ الْيَوْمُ الْكَلْبُ هُوَ يَوْمٌ عِيدِ مِيلَادِ فِرْعَوْنَ، فَعَاقَمَ سَائِبَةً لِجَمِيعِ رِجَالِهِ، وَأَخْضَرَ مِنَ السِّجْنِ زَيْسَ السَّقَاةِ وَزَيْسَ الْخَبَائِثِ مِنْ أَسْمَائِهِمْ. ²⁰ وَرَدَّ زَيْسَ السَّقَاةَ إِلَى عَمَلِهِ، فَضَارَ بِقَدَمِ الْكَأْسِ لِيَدِ فِرْعَوْنَ. ²¹ «لَمَّا زَيْسَ الْخَبَائِثِ قَدَّ عَقْفًا (عَلَى خَشْبَةٍ) بِعِلْمَا فَشَرَّ لَهُمَا نَوْسُفٌ حُلْمَهُمَا. ²² وَلَكِنْ زَيْسَ السَّقَاةَ لَمْ يَذْكُرْ نَوْسُفَ نِلَ نَسِيَةً.»

أحلام فرعون

وتقد أنقضاء سنتين رأى فرعون حلمًا، وإذا به **41** واقف بجوار نهر النيل، وإذا بسبع بقرات حسنان المنظر وتسمينات الأبدان، صاعدهن من النهر أخذت ترعى في المنرج، لم إذا بسبع بقرات أخرى فيبحات المنظر وهيلات ضعفت وزادها من كثر وكيف إلى جوار البقرات الأولى على ضفة النهر، وألتهمت البقرات الفبحات البقرات الكسنة الحسنة المنظر والكسنة. ولفاق فرعون.

⁵He fell asleep again and had a second dream: Seven heads of grain, healthy and good, were growing on a single stalk. ⁶After them, seven other heads of grain sprouted—thin and scorched by the east wind. ⁷The thin heads of grain swallowed up the seven healthy, full heads. Then Pharaoh woke up; it had been a dream. ⁸In the morning his mind was troubled, so he sent for all the magicians and wise men of Egypt. Pharaoh told them his dreams, but no one could interpret them for him.

⁹Then the chief cupbearer said to Pharaoh, "Today I am reminded of my shortcomings. ¹⁰Pharaoh was once angry with his servants, and he imprisoned me and the chief baker in the house of the captain of the guard. ¹¹Each of us had a dream the same night, and each dream had a meaning of its own. ¹²Now a young Hebrew was there with us, a servant of the captain of the guard. We told him our dreams, and he interpreted them for us, giving each man the interpretation of his dream. ¹³And things turned out exactly as he interpreted them to us: I was restored to my position, and the other man was hanged."

Pharaoh Tells His Dreams to Joseph

¹⁴So Pharaoh sent for Joseph, and he was quickly brought from the dungeon. When he had shaved and changed his clothes, he came before Pharaoh. ¹⁵Pharaoh said to Joseph, "I had a dream, and no one can interpret it. But I have heard it said of you that when you hear a dream you can interpret it." ¹⁶"I cannot do it," Joseph replied to Pharaoh, "but God will give Pharaoh the answer he desires."

¹⁷Then Pharaoh said to Joseph, "In my dream I was standing on the bank of the Nile, ¹⁸when out of the river there came up seven cows, fat and sleek, and they grazed among the reeds. ¹⁹After them, seven other cows came up—scrawny and very ugly and lean. I had never seen such ugly cows in all the land of Egypt. ²⁰The lean, ugly cows ate up the seven fat cows that came up first. ²¹But even after they ate them, no one could tell that they had done so; they looked just as ugly as before. Then I woke up. ²²In my dreams I also saw seven heads of grain, full and good, growing on a single stalk. ²³After them, seven other heads sprouted—withered and thin and scorched by the east wind.

⁵لَم تَامَ، فَحَلَمَ ثَانِيَةً، وَإِنَّمَا بِسَنَعِ سَبَائِلٍ تَابَسَتْ مِنْ سَائِلٍ وَاحِدَةٍ زَاهِيَةٍ وَيَتَمَيَّنُّ لِمُ رَأَى سَبْعَ سَبَائِلٍ عَجَلَةً قَدْ لَحَقَتْهَا الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ نَارِيَةً وَرَاغَةً، فَاتَلَقَتْ السَّبَائِلُ الضَّعِيفَةَ السَّنْعَ السَّبَائِلِ الرَّابِيَةَ الْمُتَمَيَّنَّةَ، وَاتَّلَقَ بُرْعُونُ، وَاتُّرِكَ أَنَّهُ حَلَمَ. وَأَمَّا كَانَ السَّنْعُ لَمَسَلَى الْأَبْرَعَاءَ عَلَى بُرْعُونِ فَارْتَضَلُوا وَاسْتَدْعَى بِجَمِيعِ سَحَرَةِ مِصْرَ وَكُلِّ سَحَرَتِهَا، وَسَرَدَ عَلَيْهِمْ حَلْمَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْ تَفْسُرِهِ لَه.

⁹عِنْدَئِذٍ قَالَ زَيْسُ السَّنْعَاءِ لِبُرْعُونِ، أَيُّي الْأَكْرَبِ الْيَوْمَ لِيُوسَى، "لَقَدْ سَخَطَ بُرْعُونُ عَلَى عِبْدِي، فَارْتَضَى قَدُوسِ الْأَعْيَانِ فِي مَفْظَلِ نَهْرِ زَيْسِ الْحَرَسِيِّ، فَحَلَمَ كُلُّ مِنَّا حَلْمًا فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ تَلْمِيزُ كُلِّ حَلْمٍ بِحَقِّ مَعِ أَحْوَالِ زَاهِيَةٍ." وَكَانَ مَعَنَا هُنَاكَ حَلَامٌ عِبْرَانِيٌّ، عِنْدَ زَيْسِ الْحَرَسِيِّ، فَسَرَدْنَا عَلَيْهِ حَلْمَاتِنَا فَتَفْسَّرَهَا بِكُلِّ مِنَّا حَسَبَ تَلْمِيزِ حَلْمِهِ." وَقَدْ مَنَّا قِسْوَةً لَنَا، فَزَيْسِي بُرْعُونُ إِلَى وَطَنِيهِ وَإِنَّمَا ذَاكَ لَفَلْحَهُ (عَلَى خَشْيَةٍ).

فرعون يقصص أحلامه على يوسف

¹⁴فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ وَأَسْتَدْعَى يُوسُفَ، فَاسْتَرَعَا وَاتَّلَقَا بِهِ مِنْ السَّجْنِ، فَتَلَقَّ وَاسْتَكْتَفَلَ زَيْتَانَةً وَرَسَلُ اسْمُ فِرْعَوْنِ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ، "لَقَدْ زَاهَيْتُ حَلْمًا وَتَلْسَمْتُ هُنَاكَ مِنْ تَفْسُرِهِ، وَقَدْ سَمِعْتُ عَنكَ حَبِيبًا أَنَّنَا إِنْ سَمِعْتَ حَلْمًا فَظَلِمَ أَنْ تَفْسُرَهُ." فَأَجَابَ يُوسُفَ، "لَا أَفْعَلُ لِي فِي ذَلِكَ، بَلْ إِنْ أَنَا هُوَ الَّذِي يُعْطِي فِرْعَوْنَ الْجَوَابَ السَّابِتَ."

¹⁷فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ، "رَأَيْتُ نَفْسِي فِي الْحَلْمِ، وَإِنَّمَا بِي أَبْفَ عَلَى عَجَلَةٍ لِكَلْبِي." وَإِنَّمَا بِسَنَعِ بَقَرَاتٍ جَسَانِ الْمَنْظَرِ وَسَبِينَاتِ الْأَبْعَانِ ضَائِعَاتٍ مِنَ الْكَلْبِ تَرَعَى فِي الْمَرْجِ." لَمُ إِنَّمَا بِسَنَعِ بَقَرَاتٍ أُخْرَى قَبِيحَاتِ الْمَنْظَرِ وَفَرِيحَاتٍ نَعْفَةً وَرَاغَةً مِنَ الْكَلْبِ، لَمُ أَرَى فِي أَرْضِي بِمِصْرَ كُلَّهَا ظُهُورَهَا فِي الْقَبِيحَةِ." فَاتَلَقَتْهُنَّ الْبَقَرَاتُ الْفَرِيحَاتُ الْقَبِيحَاتُ السَّنْعَ الْبَقَرَاتِ الْأُولَى السَّابِتَاتِ." وَرَمَعَ إِنَّمَا أَتَلَقَتْهَا ظَلَّتْ عَجَلَةً وَتَأَمَّتْهَا لَمْ يَتَلَقَّهَا وَتَلْسَمَتْهَا قَبِيحًا كَمَا كَفَتْ، وَاسْتَقَطَّتْ." لَمُ زَاهَيْتُ فِي حَلْمِي وَإِنَّمَا بِسَنَعِ سَبَائِلٍ زَاهِيَةٍ وَيَتَمَيَّنُّ نَابَسَتْ مِنْ سَائِلٍ وَاحِدَةٍ، لَمُ إِنَّمَا بِسَنَعِ سَبَائِلٍ تَابَسَتْ عَجَلَةً قَدْ لَحَقَتْهَا

²⁴The thin heads of grain swallowed up the seven good heads. I told this to the magicians, but none could explain it to me."

Joseph Explains Pharaoh's Dreams

²⁵Then Joseph said to Pharaoh, "The dreams of Pharaoh are one and the same. God has revealed to Pharaoh what he is about to do. ²⁶The seven good cows are seven years, and the seven good heads of grain are seven years; it is one and the same dream. ²⁷The seven lean, ugly cows that came up afterward are seven years, and so are the seven worthless heads of grain scorched by the east wind: They are seven years of famine.

²⁸"It is just as I said to Pharaoh: God has shown Pharaoh what he is about to do. ²⁹Seven years of great abundance are coming throughout the land of Egypt, ³⁰but seven years of famine will follow them. Then all the abundance in Egypt will be forgotten, and the famine will ravage the land. ³¹The abundance in the land will not be remembered, because the famine that follows it will be so severe. ³²The reason the dream was given to Pharaoh in two forms is that the matter has been firmly decided by God, and God will do it soon.

³³"And now let Pharaoh look for a discerning and wise man and put him in charge of the land of Egypt. ³⁴Let Pharaoh appoint commissioners over the land to take a fifth of the harvest of Egypt during the seven years of abundance. ³⁵They should collect all the food of these good years that are coming and store up the grain under the authority of Pharaoh, to be kept in the cities for food. ³⁶This food should be held in reserve for the country, to be used during the seven years of famine that will come upon Egypt, so that the country may not be ruined by the famine."

Joseph in Charge of Egypt

³⁷The plan seemed good to Pharaoh and to all his officials. ³⁸So Pharaoh asked them, "Can we find anyone like this man, one in whom is the spirit of God?" ³⁹Then Pharaoh said to Joseph, "Since God has made all this known to you, there is no one so discerning and wise as you. ⁴⁰You shall be in charge of my palace, and all my people are to submit to your orders. Only with respect to the throne will I be greater than you." ⁴¹So Pharaoh

الربيع الشريفة نابتة وراهها، ²⁴فالتفتت السنبلة الصغرى الشنع الكراهية. ولقد سردت على السخرة هذين الحلمين. فلم أجد بينهم من يفسرهما لي..

يوسف يفسر أحلام فرعون

²⁵فقال يوسف لفرعون، «حلما فرعون هما حلم واحد. وقد أطلع الله فرعون عما هو قاعيل. ²⁶السبع البقرات الجسنا هي سبع سنوات. والسبع السنبلة الكراهيات هي أيضا سبع سنوات. فالحلما هما حلم واحد. ²⁷والسبع البقرات القبيحات الهزيلة التي صودت وراهها هي سبع سنوات. والسبع السنبلة الفارغات المفلوحت بالرياح الشريفة ستكون سبع سنوات مجوع ²⁸والأمر هو كما أخبرت به فرعون، قد أطلع الله فرعون عما هو صريع ²⁹لهؤلاء سبع سنين رخاء عظيم قابضة على كل أرض مضر، ³⁰فقطها سبع سنوات مجوع، حتى نسي الناس كل الرخاء الذي عم أرض مضر، وتلفت الجوع الأرض. ³¹وتنفي كل أثر للرخاء في البلاد من جزاء الجماعة التي تقضي، لأنها ستكون قاسية جدا ³²لأننا نقرر الحطم على فرعون مرتين فلأن الأمر قد حتمه الله، ولأنه أن يجربه سريعا.

³³والآن ليبحث فرعون عن رجل بصير حكيم يؤلفه على البلاد. ³⁴ولتقيم فرعون نظارا على أرض مضر يتجرون حسن علفها في سنوات الرخاء السبع. ³⁵وليجتمعوا كل طعام سنوات الخمر المقبلة، وتخزنوا القمح بظهورها من فرعون وتخفظوه في السدن لتكون طعاما. ³⁶وتؤونة لأهل الأرض في سنوات الجماعة الشنع التي ستسود أرض مضر فلا يهلكون جوعا.

يوسف يصبح حاكم مصر

³⁷فالتقتسن فرعون ورجاله جميعا هذا الكلام، ³⁸وقال فرعون ليعبيدو، «هل نجد نظيرا هذا رجلا فيه روح الله؟» ³⁹فقال فرعون ليوسف، «من حيث أن الله قد أطلعك على كل هذا، فلمن هناك بصير وحكيم نظيرك. ⁴⁰لذلك أولئك على نفسي، وتدين شعبي لكل أمر تضلوه، وإن تكون أعظم منك سواي أنا ضاجب العرش. ⁴¹للم قال فرعون ليوسف، «ها أنا

said to Joseph, "I hereby put you in charge of the whole land of Egypt."⁴² Then Pharaoh took his signet ring from his finger and put it on Joseph's finger. He dressed him in robes of fine linen and put a gold chain around his neck.⁴³ He had him ride in a chariot as his second-in-command, and men shouted before him, "Make way!" Thus he put him in charge of the whole land of Egypt.

⁴⁴Then Pharaoh said to Joseph, "I am Pharaoh, but without your word no one will lift hand or foot in all Egypt."⁴⁵ Pharaoh gave Joseph the name Zaphenath-Paneah and gave him Asenath daughter of Potiphra, priest of On, to be his wife. And Joseph went throughout the land of Egypt.

⁴⁶Joseph was thirty years old when he entered the service of Pharaoh king of Egypt. And Joseph went out from Pharaoh's presence and traveled throughout Egypt.⁴⁷ During the seven years of abundance the land produced plentifully.⁴⁸ Joseph collected all the food produced in those seven years of abundance in Egypt and stored it in the cities. In each city he put the food grown in the fields surrounding it.⁴⁹ Joseph stored up huge quantities of grain, like the sand of the sea; it was so much that he stopped keeping records because it was beyond measure.

Joseph's Sons

⁵⁰Before the years of famine came, two sons were born to Joseph by Asenath daughter of Potiphra, priest of On.⁵¹ Joseph named his firstborn Manasseh and said, "It is because God has made me forget all my trouble and all my father's household."⁵² The second son he named Ephraim and said, "It is because God has made me fruitful in the land of my suffering."

The Seven Years of Famine

⁵³The seven years of abundance in Egypt came to an end,⁵⁴ and the seven years of famine began, just as Joseph had said. There was famine in all the other lands, but in the whole land of Egypt there was food.⁵⁵ When all Egypt began to feel the famine, the people cried to Pharaoh for food. Then Pharaoh told all the Egyptians, "Go to Joseph and do what he tells you."⁵⁶ When the famine had spread over the whole country, Joseph opened the storehouses and sold grain to the Egyptians, for

قَدْ وَأَيْتِكَ عَلَى كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ. ⁴² وَتَرَى فِرْعَوْنَ خَائِئاً مِنْ نَدْوِهِ وَوَضَعَهُ فِي نَدْوِ يُوْسُفَ، وَأَتَمَّتْ بَابَ كِتَابِ فَابِرَةَ وَطَوَّقَ غِقَّةَ بَطْرِقٍ مِنْ لُحْيِهِ. ⁴³ وَأَرْتَقَهُ فِي مَرْكَبِيهِ الْخَفِيَّةِ، وَتَأَدَّوْا مَا رَكِبُوا أَمَانَةً، وَأَقَامَتْهُ وَوَلِيًّا عَلَى كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ. ⁴⁴ وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوْسُفَ، مَاذَا فِرْعَوْنُ، وَلَا أَخَذَ يُتَكِنُ أَنْ يَحْرَمَ سَاكِنَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ مِنْ غَيْرِ إِيَّاكَ.

⁴⁵ وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوْسُفَ ضَفْنَاتٍ مُدْيِيحٍ (وَمَعْنَاهُ بِالْمِصْرِيِّهِ الْقَدِيمَةِ خَلْعُ الْمَلِكِ أَوْ حَاطِطُ الْحَيَاةِ).

وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاثَ بِنْتِ لُوطِي فَرَحَ كَتَابِي أُونِ، فَذَاعَ اسْمُ يُوْسُفَ فِي بَجِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ.

⁴⁶ وَكَانَ يُوْسُفَ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ عَشْرِ وَجِنْتَا مِثْلِ أَمَلِ فِرْعَوْنَ مَلِكاً مِصْرَ، وَتَعَدَّ أَنْ خَرَجَ مِنْ حَضْرَةِ فِرْعَوْنَ شَرَعَ يَجُولُ فِي بَجِيعِ أَرْجَاءِ الْبِلَادِ.

⁴⁷ وَفِي سِتِّينَ السَّنَةِ اسْتَمِعَ عَلَتْ الْأَرْضُ يَوْفُورَ، فَجَمَعَ كُلَّ خَلْقِ السَّنَاتِ السَّبْعِ الْمَتَوَالِيَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَخَرَّتْ فِي أَلْمُنَى، فَالْمَنْزَنَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ خَلَاةَ مَا حَوْلَهَا مِنْ حَقْلِهِ. ⁴⁸ وَتَخَرَّ يُوْسُفَ كَمَالِيَتِ حَقْلِهِ مِنَ الْقَمْحِ حَتَّى كَفَّ عَنْ إِحْصَائِهَا لِوُجُوهِهَا الْعَظِيمَةِ.

أبنائه يوسف

⁵⁰ وَأَنْجَبَتْ أَسْنَاثُ بِنْتُ لُوطِي فَرَحَ كَتَابِي أُونِ لِيُوْسُفَ ابْنَيْنِ قَبْلَ حَقْلِهِ سِتِّينَ السَّنَةِ. ⁵¹ فَدَعَا يُوْسُفَ اسْمَ الْبِكْرِ مَنَسَّى (وَمَعْنَاهُ، مَنْ نَسِيَ أَوْ النَسِيَّةُ) وَقَالَ، لِأَنَّ اللَّهَ أَنْسَى كُلَّ مَشَقَّتِي وَكُلَّ مَذَبَذَبِ أَبِي. ⁵² وَأَمَّا الْغُلِيِّ فَدَعَا اسْمَهُ إِفْرَائِيْمَ (وَمَعْنَاهُ، الْإِسْتِوَارُ مُضَاعَفًا) وَقَالَ، لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي ثَمَرًا فِي أَرْضِ مَلْئِي.

بدلية سبع سنوات الجوع

⁵³ كَمُ انْقَضَتْ سَبْعُ سِنِينَ الْإِزْهَامِ الَّتِي عَمَّ أَرْضَ مِصْرَ، وَحَلَّتْ سَبْعُ سِنِينَ الْجَمَاعَةِ كَمَا أَنْبَأَ يُوْسُفَ، فَجَمَعَتْ جَمَاعَةٌ فِي بَجِيعِ الثَّلَاثِينَ، أَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَكَدَّ تَوَلَّفَتْ فِيهَا الْخُبْزَ. ⁵⁴ وَجِئْنَا عَشِيَتِ الْجَمَاعَةِ بِبَجِيعِ أَرْضِ مِصْرَ حَرَجَ الشُّعْبِ إِلَى فِرْعَوْنَ طَالِبِينَ الْخُبْزَ، فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ، مَا لَكُمْ إِلَى يُوْسُفَ وَالْعُلَمَا كَمَا يَقُولُ لَكُمْ، وَطَلَسَتْ الْجَمَاعَةُ عَلَى كُلِّ أَرْجَاءِ الْبِلَادِ فَطَقَّ يُوْسُفَ

the famine was severe throughout Egypt.⁵⁷ And all the countries came to Egypt to buy grain from Joseph, because the famine was severe in all the world.

Joseph's Brothers Go to Egypt

42 When Jacob learned that there was grain in Egypt, he said to his sons, "Why do you just keep looking at each other?"² He continued, "I have heard that there is grain in Egypt. Go down there and buy some for us, so that we may live and not die."³ Then ten of Joseph's brothers went down to buy grain from Egypt.⁴ But Jacob did not send Benjamin, Joseph's brother, with the others, because he was afraid that harm might come to him.

Joseph Meets His Brothers

⁵So Israel's sons were among those who went to buy grain, for the famine was in the land of Canaan also.⁶ Now Joseph was the governor of the land, the one who sold grain to all its people. So when Joseph's brothers arrived, they bowed down to him with their faces to the ground.⁷ As soon as Joseph saw his brothers, he recognized them, but he pretended to be a stranger and spoke harshly to them. "Where do you come from?" he asked. "From the land of Canaan," they replied, "to buy food."⁸ Although Joseph recognized his brothers, they did not recognize him.⁹ Then he remembered his dreams about them and said to them, "You are spies! You have come to see where our land is unprotected."

¹⁰"No, my lord," they answered. "Your servants have come to buy food."¹¹ We are all the sons of one man. Your servants are honest men, not spies."¹² "No!" he said to them. "You have come to see where our land is unprotected."¹³ But they replied, "Your servants were twelve brothers, the sons of one man, who lives in the land of Canaan. The youngest is now with our father, and one is no more."¹⁴ Joseph said to them, "It is just as I told you: You are spies!¹⁵ And this is how you will be tested: As surely as Pharaoh lives, you will not leave this place unless your youngest brother comes here.¹⁶ Send one of your number to get

المتخزون ونباع الطعام للبعثيين. ولكن ولاة الجوع اتتحت في ارض مصر. ⁵⁷ واقتل اهل البلدان الاخرى في مصر. في ارض يوسف، ليتباعوا فمعا لان المجاعة كانت شديدة في كل الاراضي.

إخوة يوسف في مصر

٤٢ وعلمنا زاي بتقرب ان القمح متوافر في مصر، قال لابنائه، ما بالكُم تظلمون بعضكم إلى بعض؟ لقد سمعت ان القمح متوافر في مصر، فأتخذوا في ارض هناك واشترؤوا لنا فمعا ليتقى على قيد الحياة ولا نموت. ^٣ فذهب عشرة من اخوة يوسف ليشتروا فمعا من مصر، اما بنجامين اخو يوسف فلم يُرسله بتقرب مع إخوته خوفا من ان ينقله متخزوة.

لقاء يوسف الأول بإخوته

^٥قدم أبناء إسرائيل إلى مصر مع جملة القديسين ليشتروا فمعا، لان المجاعة كانت قد أصابت ارض كنعان أيضا. ^٦ وكان يوسف هو المتسلط على مصر، وألقى على بيع القمح لأهلها جميعا. فاقبل إخوة يوسف وسجدوا له بوضوئهم إلى الارض. ^٧ فلما رآهم عرفهم، ولكنه تنكر لهم وخاطبهم بجهل وسألهم، من أين جئتم؟ فأجابوه، من ارض كنعان ليشتري طعاما. ^٨ ومع ان يوسف عرفهم، إلا أنهم لم تعرفوه.

^٩ ثم تذكر يوسف أحلامه التي حلمها بشبابه، فقال لهم، أنتم جواسيس، وقد جئتم لاكتشاف ثورتنا غير المحميّة. ^{١٠} فقالوا له، لا ياسيدي إنما قدم عبيدك ليشراء الطعام. ^{١١} فمضى كلنا أبناء رجل واحد، نحن أبناء وليس عبيدك جواسيس. ^{١٢} ولكنه قال لهم، لا! أنتم قد جئتم لاكتشاف ثورتنا غير المحميّة، فأجابوه، إن عبيدك اثنا عشر أبا. ^{١٣} أبناء رجل واحد مقوم في ارض كنعان. وقد بقي أخونا الضعيف عند أبيتنا المتوفى، والأخسر مفقود. ^{١٤} فقال لهم، إن الأسمر كما قلت لكم! أنتم جواسيس. ^{١٥} وخمسة فرعون إنكم لن تغادروا هنا حتى تأتوا بأخيتكم الأصغر، وبذلك تثبون صدقكم. ^{١٦} وإيذوا واحدا منكم ليأتي

your brother; the rest of you will be kept in prison, so that your words may be tested to see if you are telling the truth. If you are not, then as surely as Pharaoh lives, you are spies!"¹⁷ And he put them all in custody for three days.

¹⁸On the third day, Joseph said to them, "Do this and you will live, for I fear God: ¹⁹If you are honest men, let one of your brothers stay here in prison, while the rest of you go and take grain back for your starving households. ²⁰But you must bring your youngest brother to me, so that your words may be verified and that you may not die." This they proceeded to do. ²¹They said to one another, "Surely we are being punished because of our brother. We saw how distressed he was when he pleaded with us for his life, but we would not listen; that's why this distress has come upon us."

²²Reuben replied, "Didn't I tell you not to sin against the boy? But you wouldn't listen! Now we must give an accounting for his blood."²³ They did not realize that Joseph could understand them, since he was using an interpreter. ²⁴He turned away from them and began to weep, but then turned back and spoke to them again. He had Simeon taken from them and bound before their eyes.

Joseph's Brothers Return to Jacob

²⁵Joseph gave orders to fill their bags with grain, to put each man's silver back in his sack, and to give them provisions for their journey. After this was done for them, ²⁶they loaded their grain on their donkeys and left. ²⁷At the place where they stopped for the night one of them opened his sack to get feed for his donkey, and he saw his silver in the mouth of his sack. ²⁸"My silver has been returned," he said to his brothers. "Here it is in my sack." Their hearts sank and they turned to each other trembling and said, "What is this that God has done to us?"

²⁹When they came to their father Jacob in the land of Canaan, they told him all that had happened to them. They said, ³⁰"The man who is lord over the land spoke harshly to us and treated us as though we were spying on the land." ³¹But we said to him, "We are honest men; we are not spies." ³²We were twelve brothers, sons of one father. One is no more, and the youngest is now with our father in Canaan." ³³Then the man who is lord over the land said to us, "This is how I will know whether you are

بأجركم، أما ببيئتكم فتشككون في الشجن حتى تثبت صحة كلامكم إن كنتم صادقين، وألا فوحيًا فيرعون أأنم لنسب يسوي جوابيسن." ¹⁷وظرحهم في الشجن معاً ثلاثة أيام. ¹⁸وفي اليوم الثالث قال لهم، ما أقبلت ما أطلبه منكم فاحفظوا، فلما رجع إليّ أبي الله، ¹⁹إن كنتم حقاً صادقين فليبق واحد منكم رهينة، بينما يأخذ ببيئتكم ألتصح وتطلقون إلى بيوتكم الخاصة. ²⁰ولكن إن لم يأتني بأجركم الأصغر فلتحقق بذلك من صدقكم ولا تموتوا. فوافقوا على ذلك. ²¹وقالوا، حقاً إننا ألقينا في حق أخينا، لقد رأينا عينة نبيه علمنا أن نرخصنا فلم نسمع له. لذلك اضربنا عليه العقوبة. ²²قال راعوب، ألم أقل لكم لا تجنوا عليه فلم تسمعوا! والآن ما نحن مطلقون بدمه. ²³ولم تعلموا أن يوسف كان قائماً خبيئهم، لأنه كان يجلسهم عن طريق مترجم. ²⁴فتحول عنهم ونكس، ثم رجع إليهم وخطبهم، وأخذ سيمون وقبضه أمام عيونهم.

عودة أبناء يعقوب إلى أبيهم ²⁵لم أمر يوسف موظفيه أن ينزلوا أكياسهم بأقنص، وأن يردوا بقية كل واحد منهم إلى عنقه، وأن يعطوهم زناً للطريق، ففعلوا ذلك. ²⁶فحملوا حميرهم أقنص وأطلقوا من هناك. ²⁷وعين فتح أكيسهم عدل في الخان ليغلف حمارة، فتح بقية لأبنا كفت موشوعة في فم البعير. ²⁸قال لإحوية، لقد ردت إليّ فضي، أنظروا ما هي في عنقي. ففاضت قلوبهم، وطلع بعضهم إلى بعض مترجمين وقالوا، ما هذا الذي فعله الله بنا.

²⁹وعندما قدموا على أبيهم يعقوب في أرض كنعان فطرو عليه ما حل بهم، وقالوا، ³⁰الرجل المستط على مضر خعلينا بجهنم، ونحن أنا جوابيسن على الأرض. ³¹قلنا له، نحن أبناء وألسنا جوابيسن. ³²نحن اثنا عشر أبا أبنه أينا، اخذنا مفقود، والأصغر بقي المزم مع أبنا في أرض كنعان. ³³قال لنا الرجل عهد البلاء، لكني أتحقق

honest men: Leave one of your brothers here with me, and take food for your starving households and go.³⁴ But bring your youngest brother to me so I will know that you are not spies but honest men. Then I will give your brother back to you, and you can trade in the land."³⁵

³⁵As they were emptying their sacks, there in each man's sack was his pouch of silver! When they and their father saw the money pouches, they were frightened. ³⁶Their father Jacob said to them, "You have deprived me of my children. Joseph is no more and Simeon is no more, and now you want to take Benjamin. Everything is against me!" ³⁷Then Reuben said to his father, "You may put both of my sons to death if I do not bring him back to you. Entrust him to my care, and I will bring him back."³⁸ But Jacob said, "My son will not go down there with you; his brother is dead and he is the only one left. If harm comes to him on the journey you are taking, you will bring my gray head down to the grave in sorrow."

The Second Journey to Egypt

43 Now the famine was still severe in the land. ²So when they had eaten all the grain they had brought from Egypt, their father said to them, "Go back and buy us a little more food."³ But Judah said to him, "The man warned us solemnly, 'You will not see my face again unless your brother is with you.'"⁴ If you will send our brother along with us, we will go down and buy food for you. ⁵But if you will not send him, we will not go down, because the man said to us, 'You will not see my face again unless your brother is with you.'

⁶Israel asked, "Why did you bring this trouble on me by telling the man you had another brother?"⁷ They replied, "The man questioned us closely about ourselves and our family. 'Is your father still living?' he asked us. 'Do you have another brother?' We simply answered his questions. How were we to know he would say, 'Bring your brother down here?'"

⁸Then Judah said to Israel his father, "Send the boy along with me and we will go at once, so that we and you and our children may live and not die. ⁹I myself will guarantee his safety; you can hold me personally responsible for him. If I do not bring him back to you and set him here before you, I will bear the blame before you all my life."¹⁰ As it

أنتكم أمتاء. ادعوا أحاً واحداً منكم عيني زهينة وخذوا طعاماً لبوتكم الجائعة وانصروا. ³⁴ أنتم اخصروا إلي احاكم الأضر. وتذلك اعرف انكم لستم جواسيس بل فوما أمتاء. فاطلق لكم احاكم وتجزون في الأرض. ³⁵ واذا شزعوا في طرغ عذلبهم وجد كل واحد منهم فضة في عذلبه. وما إن رأوا هم وأبوهم ذلك حتى استنبد يوم الخوف.

³⁶ قال لهم أبوهم، لقد اكلتكموني أولادي. يوسف مفقود، وسمنون مفقود، وما أنتم فاحذون سبامين نبمداً كل هذه الكلوبم حلت بي. ³⁷ قال له رابون، اقتل ابني إن لم أرجع به إليك. اعهد به إلي وأنا أؤده إليك. ³⁸ قال، لمن تلعب ابني معكم، قد مات اخوه، وهو وحده باق. فون نأله مكررة في الكلوبم التي تخذون فيها، فإنتكم نزلون شيتي بحرزن إلى قبري.

التأهب للرحلة الثانية إلى مصر

٤٣ وتقلقت الجماعة في الأرض. ^١ ولما استهلكوا أمتهم، أزعجوا وأشترؤا لنا قليلاً من الطعام. ^٢ قال لهم يهوذا، لقد حذرنا الرجل أشد تحذير وقال، لن نروا وجهي ما لم يكن اخوكم معكم. ^٣ فإن كنت نرسل اخنا معنا، نمضي ونشترى لك طعاماً. ^٤ وإلا فلن نذهب لأن الرجل قال لنا، لا نروا وجهي ما لم يكن اخوكم معكم.

^٥ قال إسرائيل، لماذا أسألت إلي فأخبرتكم الرجل أن لكم أحاً أيضاً. ^٦ فاجابوا، إن الرجل قد ذلق في شجوبنا عن أنفسنا وعن عشيرتنا سلباً، هل أمتهم شيء بعد؟ هل لكم أخ؟ ما جئنا حسب استليلي. ^٧ فمن أين لنا أن نعرف أنه سيقول، اخصروا احاكم إلي هنا.

^٨ وقال يهوذا لإسرائيل أبوه، أرسل الألام معي فتقوم وتذهب فحيا ولا نموت نحن وأنت وأولادنا جميعاً. ^٩ وأنا ضامن له، من يدي تطلبه. ^{١٠} فإن لم أؤده إليك وأوقفه أمامك، أكون سلباً إليك كل الأيام. ^{١١} فلو لم نتران في السفر لكنا قد زعجنا مرتين.

is, if we had not delayed, we could have gone and returned twice."

¹¹Then their father Israel said to them, "If it must be, then do this: Put some of the best products of the land in your bags and take them down to the man as a gift—a little balm and a little honey, some spices and myrrh, some pistachio nuts and almonds. ¹²Take double the amount of silver with you, for you must return the silver that was put back into the mouths of your sacks. Perhaps it was a mistake. ¹³Take your brother also and go back to the man at once. ¹⁴And may God Almighty grant you mercy before the man so that he will let your other brother and Benjamin come back with you. As for me, if I am bereaved, I am bereaved."

Joseph's Brothers Take Benjamin to Egypt

¹⁵So the men took the gifts and double the amount of silver, and Benjamin also. They hurried down to Egypt and presented themselves to Joseph. ¹⁶When Joseph saw Benjamin with them, he said to the steward of his house, "Take these men to my house, slaughter an animal and prepare dinner; they are to eat with me at noon."

¹⁷The man did as Joseph told him and took the men to Joseph's house. ¹⁸Now the men were frightened when they were taken to his house. They thought, "We were brought here because of the silver that was put back into our sacks the first time. He wants to attack us and overpower us and seize us as slaves and take our donkeys."

¹⁹So they went up to Joseph's steward and spoke to him at the entrance to the house. ²⁰"Please, sir," they said, "we came down here the first time to buy food. ²¹But at the place where we stopped for the night we opened our sacks and each of us found his silver—the exact weight—in the mouth of his sack. So we have brought it back with us. ²²We have also brought additional silver with us to buy food. We don't know who put our silver in our sacks."

²³"It's all right," he said. "Don't be afraid. Your God, the God of your father, has given you treasure in your sacks; I received your silver." Then he brought Simeon out to them.

²⁴The steward took the men into Joseph's house, gave them water to wash their feet and provided fodder for their donkeys. ²⁵They prepared their gifts for Joseph's arrival at noon, because they had heard that they were to eat there.

¹¹فَقَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ لَمْ يَدْرُ مِنْ ذَلِكَ فَالْقُلُوبِ. وَخَذُوا مِنْكُمْ حَبِيَّةً لِلرَّجُلِ، وَثَمَلًاوًا أُرِيْتُمْ مِنْ خَيْرِ حَشَى الْأَرْضِ وَقَلْبًا مِنْ التَّلَسَانِ وَالْقَمَلِ وَالكَبْشِ وَاللَّابِنِ وَالْفَسْتَقِ وَالزُّبُرِ. ¹²وَخَذُوا مِنْكُمْ يَشَّةً آخَرَى، وَالْيَشَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي الْوَابِ عِيَالِكُمْ وَأَعِيْبَتِهَا، قَلْعَلٌ فِي الْأَثَرِ سَهْوًا. ¹³وَأَتَمَّضْتُمْ مَعَكُمْ أَيْضًا حَاكِمًا وَقَوْمًا أَرْجَعُوا إِلَى الرَّجُلِ. ¹⁴وَأَيْتَمُّمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ الْعَلِيْمُ بِالرَّحْمَةِ لَنَى الرَّجُلِ، فَيُطَلِّقَ لَكُمْ حَاكِمًا آخَرَ وَتَتَابِعِينَ أَيْضًا. وَآيَا إِنْ كَيْلَهُمَا، أَمْرًا فَذَكِّلْهُمَا.»

عودة إخوة يوسف مع بنيامين إلى مصر ¹⁵فَأَخَذَ الرَّجُلُ يَدَكَ الْهَبِيَّةَ، وَضَعَفَ الْيَشَّةَ، وَتَتَابَعِينَ، وَسَلَفُوا إِلَى بَيْتِ وَيَسَّى وَتَمَلُّوا أَسْمًا يُوسُفَ. ¹⁶وَعَلَّمْنَا شَاهِدَ يُوسُفَ تَتَابِعِينَ مَعَهُمْ قَالَ لِشَاهِدِ تَتَابِعِينَ، «أَدْخِلِ الرَّجُلَ إِلَى الْبَيْتِ وَارْبِعْ لَيْسَةً وَقَتِيهَا، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّجُلَ سَيَتَتَابَعُونَ مَعِيَ الطَّعَامَ فِي سَاعَةِ الْعَدَاةِ.» ¹⁷فَعَدَلَ الرَّجُلُ كَمَا أَمَرَ يُوسُفَ، وَأَدْخَلَ الرَّجُلَ إِلَى بَيْتِ وَيَسَّى.

¹⁸وَلَمَّا أَدْخَلُوا إِلَى بَيْتِ وَيَسَّى اعْتَرَفَهُمْ الْعُرُوفُ وَقَالُوا: «لَقَدْ جِئْنَا إِلَى هُنَا لِنَبْذِمَ عَلَيْهَا وَنَقَعْ بِنَا وَنَسْتَفِيئَنَا وَتَسْتَتَلِّي عَلَيَّ عِيَابًا، بِسَمِيَةِ الْيَشَّةِ الْأُولَى الْمَرْدُودَةَ فِي عِيَالِنَا.» ¹⁹فَقَالُوا إِلَى مُدَبِّرِ بَيْتِ وَيَسَّى وَقَالُوا لَهُ: «جَدِّ مَدْخُلِ الْبَيْتِ، «أَسْتَعِينُ بِأَسْلَابِي، لَقَدْ قَبِلْنَا إِلَى هُنَا فِي الْمَرْءِ الْأُولَى لِنَشْرِي طَعَامًا.» ²⁰وَلَكِنَّتُ جِئْنَا نَزَلْنَا فِي الْخَدَانِ وَنَسَخْنَا عِيَالَنَا عَنَّا كُلُّ رَجُلٍ بِنَا عَلَى يَشَّةٍ بِكَامِلٍ وَرَبِيَا فِي فَمِ جَعَلِيهِ، فَاحْضَرْنَا لَهَا مَعَنَا لِنَرْكَبَهَا.» ²¹وَجِئْنَا مَعًا بِيَشَّةٍ آخَرَى لِنَشْرِي طَعَامًا، وَلَمَّا نَدَوِي مِنْ رَضَعِ يَشَّتَا فِي عِيَالِنَا.»

²²فَقَالَ: «سَلَامٌ لَكُمْ، لَا تَحْزَنُوا، لِإِنَّ إِيَّانَكُمْ وَرَبَّ إِيَّانَكُمْ قَدْ وَجَدْتُ عِنْدًا فِي عِيَالِكُمْ، إِنَّمَا فَضَّلْتُكُمْ قَدْ وَجَدْتُ إِلَى. ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ سَيْمُونَ.» ²³وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَقَدَّمَ لَهُمْ مَاءً لِيَسْتَلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَعَلِيْقًا لِحِمَمِهِمْ. ²⁴وَأَعَدُوا الْهَبِيَّةَ فِي أَنْطَلِجِ، يُوسُفَ عِنْدَ الطَّهْرِ، لِأَنَّهُمْ سَيَبْرُونَ الطَّعَامَ هُنَاكَ.»

Joseph Eats With His Brothers

²⁶When Joseph came home, they presented to him the gifts they had brought into the house, and they bowed down before him to the ground. ²⁷He asked them how they were, and then he said, "How is your aged father you told me about? Is he still living?" ²⁸They replied, "Your servant our father is still alive and well." And they bowed low to pay him honor.

²⁹As he looked about and saw his brother Benjamin, his own mother's son, he asked, "Is this your youngest brother, the one you told me about?" And he said, "God be gracious to you, my son." ³⁰Deeply moved at the sight of his brother, Joseph hurried out and looked for a place to weep. He went into his private room and wept there.

³¹After he had washed his face, he came out and, controlling himself, said, "Serve the food." ³²They served him by himself, the brothers by themselves, and the Egyptians who ate with him by themselves, because Egyptians could not eat with Hebrews, for that is detestable to Egyptians. ³³The men had been seated before him in the order of their ages, from the firstborn to the youngest; and they looked at each other in astonishment. ³⁴When portions were served to them from Joseph's table, Benjamin's portion was five times as much as anyone else's. So they feasted and drank freely with him.

Silver Cup in a Sack

44 Now Joseph gave these instructions to the steward of his house: "Fill the men's sacks with as much food as they can carry, and put each man's silver in the mouth of his sack. ²Then put my cup, the silver one, in the mouth of the youngest one's sack, along with the silver for his grain." And he did as Joseph said.

³As morning dawned, the men were sent on their way with their donkeys. ⁴They had not gone far from the city when Joseph said to his steward, "Go after those men at once, and when you catch up with them, say to them, 'Why have you repaid good with evil?' ⁵Isn't this the cup my master drinks from and also uses for divination? This is a wicked thing you have done.' "

The Cup is Found in Benjamin's Sack

⁶When he caught up with them, he repeated these words to them. ⁷But they said to him, "Why does

يوسف يأكل مع إخوته
²⁶فلما أتوا يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التي
 حملوها معهم إلى البيت. وأتوا أمامه إلى الأرض.
²⁷فقال لهم عن آباءهم، ثم قال، هل أبوكم الشيخ الذي
 أخبرتم عنه بخبره أمزال حياً؟²⁸ فأجابوا، دعيتك أبونا
 بخير، وهو مازال حياً. وأتوا وسجدوا.
²⁹وتلفت فرأى أخاه الشقيق بنيامين، فقال، أأخذ أخوكم
 الأصغر الذي أخبرتموني عنه؟ ثم قال، ليقيم الله عليك
 نائبي..³⁰ وأندفع يوسف إلى مخيمه وبكى هناك لأن
 غواطفه حثت إلى أخيه.

³¹ثم غسل وجهه وخرج وتخلد. وقال، فادعوا الطعام..
³²فقدموا له وحده، ولهم وحدهم، وللبصريين الأكلين معه
 وحدهم، إذ أنه تظلم على البصريين أن يأكلوا مع
 البصريين، لأن ذلك رجس عندهم. فجلسوا في حضرة
 كل واحد أمامه، من الأكبر حتى الأصغر. فظفروا بفضههم إلى
 بقية منهنهم. ³³وقدم إليهم حصصاً من سنابغ، فكانت
 حصة بنيامين خمسة أضعاف حصص إخوته. وأحفظوا
 وشربوا معه.

الكأس الفضية المفقودة

٤٤ وأمر يوسف مملوك بيته قديلاً، قائلاً، أولاً عدل
 الرجال بالطعام بقدر وسعها، وادع فضة كل رجل
 إلى قم عدليه. اوضع في قم عدلي الفضة
 ولقم فضيه. فقد أمر يوسف. وما إن أشرق الصباح
 حتى انطلق الرجال، هم ومخيمهم. وما كانوا يتبعون
 عن المدينة قليلاً حتى قال يوسف لمملوك بيته، اشرح
 خلف الرجال، وما إن تروكهم حتى تقول لهم، لماذا
 تكافئون الخير بالشر؟ ألم تستعديب من الكأس التي
 تشرب فيها سيدي وتتبادل بالفضية؟ لقد ما أسأتم في
 ما صنعتم.

المشور على الكأس في عدل بنيامين
⁶فلما ألتحق بهم بهذا القول، فأجابوه، لماذا يتكلم

my lord say such things? Far be it from your servants to do anything like that! ⁸We even brought back to you from the land of Canaan the silver we found inside the mouths of our sacks. So why would we steal silver or gold from your master's house? ⁹If any of your servants is found to have it, he will die; and the rest of us will become my lord's slaves." ¹⁰"Very well, then," he said, "let it be as you say. Whoever is found to have it will become my slave; the rest of you will be free from blame." ¹¹Each of them quickly lowered his sack to the ground and opened it. ¹²Then the steward proceeded to search, beginning with the oldest and ending with the youngest. And the cup was found in Benjamin's sack. ¹³At this, they tore their clothes. Then they all loaded their donkeys and returned to the city.

Joseph's Brothers Humble Themselves

¹⁴Joseph was still in the house when Judah and his brothers came in, and they threw themselves to the ground before him. ¹⁵Joseph said to them, "What is this you have done? Don't you know that a man like me can find things out by divination?"

¹⁶"What can we say to my lord?" Judah replied. "What can we say? How can we prove our innocence? God has uncovered your servants' guilt. We are now my lord's slaves—we ourselves and the one who was found to have the cup."

¹⁷But Joseph said, "Far be it from me to do such a thing! Only the man who was found to have the cup will become my slave. The rest of you, go back to your father in peace."

Judah Pleads for Benjamin

¹⁸Then Judah went up to him and said: "Please, my lord, let your servant speak a word to my lord. Do not be angry with your servant, though you are equal to Pharaoh himself. ¹⁹My lord asked his servants, 'Do you have a father or a brother?' ²⁰And we answered, 'We have an aged father, and there is a young son born to him in his old age. His brother is dead, and he is the only one of his mother's sons left, and his father loves him.'

²¹"Then you said to your servants, 'Bring him down to me so I can see him for myself.' ²²And we said to my lord, 'The boy cannot leave his father; if he leaves him, his father will die.' ²³But you told your servants, 'Unless your youngest brother

سوي يجر هذا الكلام؟ حلفاً لبيديك أن نتركوا هذا الأمر. ⁸هؤلاً الفضة التي عثرنا عليها في أفواهنا زدناها لك نعتاً من أرض كنعان. فكيف نسرقة أو نلصقاً من بيت سيدي؟ ⁹أمن نجد معة الكأس من عبيدك نمت، وتكون نحن أيضاً عبيداً لسيدي... ¹⁰قال، فليكن كما تقولون. فالذي أجدها معة يضح عبداً لي، والباقيون يكونون أحراراً... ¹¹فذاق كل منهم إلى عبلي وحطه على الأرض وثبته. ¹²فشئ منيبتاً من جلد الكبر حتى انتهى إلى جلد الصغير، فمتر على الكأس في جلد بنيامين. ¹³فمزقوا ثيابهم وحمل كل منهم عبلة على جابه ورجعوا إلى المدينة.

إخوة يوسف يسجدون له ¹⁴ونزل يهوذا وسائر إخوته إلى بيت يوسف إذ كان ما برح هناك، فارتضوا أمتعة إلى الأرض. ¹⁵قال لهم يوسف، أي جتهد أقرقتم؟ أنا علمت أن رجلاً يليي يستطيع كلسه في معرفة الغيب. ¹⁶قال يهوذا، ماذا نقول لسيدي، وبماذا نخاطبه، وكيف نبري أنفسنا؟ إن الله قد فضح إثم عبيدك، فنحن ونحن غير معة على الكأس عبيد لسيدي... ¹⁷قال، خاشا لي أن أفعل هذه، إنما الرجل الذي غير معة على الكأس هو يكون لي عبداً. أما أنتم فامضوا إلى أبيكم بأمان.

يهوذا يتشفع لبنيامين ¹⁸فقدم يهوذا وقال، يا سيدي، فح عنك تطلق بكلمة في شمس سيدي، ولا يتختم غضبك على عبيدك، لأن سلطاننا لا يسلطه إلا على إخوتنا. ¹⁹قال سيدي، عبيدك، الكأس أو إضع؟ فأجبنا سيدي، لنا أب شيخ، وأبنا شيخوخة خبير مات الغرة الشيوخ وبني هو وحده من أمه وأبوه يجره. ²⁰قللت لبيديك، أخضروا لي لأراه بدمتي. ²¹قلنا لسيدي، لا يترى الفلام أن نترك أباه لئلا يموت أبوه إذا فترقه. ²²قللت لبيديك، ما لم نخضروا لأحكم لي لا نترن ونجسي نمد.

comes down with you, you will not see my face again.²⁴ When we went back to your servant my father, we told him what my lord had said.²⁵ Then our father said, 'Go back and buy a little more food.'²⁶ But we said, 'We cannot go down. Only if our youngest brother is with us will we go. We cannot see the man's face unless our youngest brother is with us.'²⁷ Your servant my father said to us, 'You know that my wife bore me two sons.²⁸ One of them went away from me, and I said, "He has surely been torn to pieces." And I have not seen him since.²⁹ If you take this one from me too and harm comes to him, you will bring my gray head down to the grave in misery.'³⁰ So now, if the boy is not with us when I go back to your servant my father and if my father, whose life is closely bound up with the boy's life,³¹ sees that the boy isn't there, he will die. Your servants will bring the gray head of our father down to the grave in sorrow.³² Your servant guaranteed the boy's safety to my father. I said, 'If I do not bring him back to you, I will bear the blame before you, my father, all my life!'³³ Now then, please let your servant remain here as my lord's slave in place of the boy, and let the boy return with his brothers.³⁴ How can I go back to my father if the boy is not with me? No! Do not let me see the misery that would come upon my father."

Joseph Makes Himself Known

45 Then Joseph could no longer control himself before all his attendants, and he cried out, "Have everyone leave my presence!" So there was no one with Joseph when he made himself known to his brothers.² And he wept so loudly that the Egyptians heard him, and Pharaoh's household heard about it.³ Joseph said to his brothers, "I am Joseph! Is my father still living?" But his brothers were not able to answer him, because they were terrified at his presence.

⁴Then Joseph said to his brothers, "Come close to me." When they had done so, he said, "I am your brother Joseph, the one you sold into Egypt!"⁵ And now, do not be distressed and do not be angry with yourselves for selling me here, because it was to save lives that God sent me ahead of you.⁶ For two years now there has been famine in the land, and for the next five years there will not be plowing and reaping.⁷ But God sent me ahead of you to

²⁴فبئسنا قينما على عبدك أبي، أخبرتة بخبرتي سيدي.
²⁵قال أبونا، أرجعوا واشترؤا لنا بعض الطعام. فأجابنا، لا يمكننا أن نذهب إلى هناك ما لم نأخذ أخنا معنا، لأننا لا نسير إن تقابل كرجل ما لم يكن أخونا الصغير معنا. قال لنا عبدك أبونا، أنتم تعلمون أن زوجتي قد أنجبت لي اثنين. هذت أحدهما وقلت، وما هو قد أفترس أفترسا، ولم أره إلى الآن. فإن أخذتم هذا بي، ولعبة متكروه، نزلوني إلى القبر بشيئة شقية. فلما عدت إلى عبدك أبي الذي تفلقت نفسه بفس السلام، ولم يكن السلام معنا. وراى أن السلام مفقود، فإنة يموت، وتواري عبدك شيئة عبدك أبوم بشيء في القبر. لأن عبدك ضمن السلام لأبي، وقلت، إن لم أرجع إليك أكن مذبذباً إليك مدى الحياة. فأرجو من سيدي أن يضمنني عبداً له بدلاً من السلام، وبع السلام بفضي مع بقية إخوتي. إذ كيف يمكنني أن أرجع إلى أبي والسلام ليس معي وأشهد ما يحل به من الشر؟..

يوسف يكشف عن نفسه

٤٥ فلم يستطع يوسف أن يتفكك نفسه أمام المصريين أمامه، فصرخ، ليخرج الجميع من هنا. فلم يبق أحد مع يوسف حين كشف عن نفسه لإخوته. وركى بضوت غل سمع المصطرون كما سمع نبث فرعون. وقال يوسف لإخوته، أنا يوسف. فهل أبي سائل خذاء، فلم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم امتلأوا زعماً منه.

قال يوسف لإخوته، ائتوا بي.. فأقربوا مني، قال: أنا يوسف أخوكم الذي بعثتموه إلى مصر. فلا تتأسفوا الآن، ولا تصعب عليكم أنكم بعثتموني إلى هنا، لأن الله أرسلني أمامكم حفاظاً على حياتكم. لقد صار للمجاعة في هذه الأرض سنتان، وبقية خمس سنوات لن يكون فيها فلاحاً ولا خضاداً. وقد أرسلني الله أمامكم ليكمل

preserve for you a remnant on earth and to save your lives by a great deliverance. ⁸So then, it was not you who sent me here, but God. He made me father to Pharaoh, lord of his entire household and ruler of all Egypt. ⁹Now hurry back to my father and say to him, 'This is what your son Joseph says: God has made me lord of all Egypt. Come down to me; don't delay. ¹⁰You shall live in the region of Goshen and be near me-you, your children and grandchildren, your flocks and herds, and all you have. ¹¹I will provide for you there, because five years of famine are still to come. Otherwise you and your household and all who belong to you will become destitute. ¹²You can see for yourselves, and so can my brother Benjamin, that it is really I who am speaking to you. ¹³Tell my father about all the honor accorded me in Egypt and about everything you have seen. And bring my father down here quickly.'

¹⁴Then he threw his arms around his brother Benjamin and wept, and Benjamin embraced him, weeping. ¹⁵And he kissed all his brothers and wept over them. Afterward his brothers talked with him. ¹⁶When the news reached Pharaoh's palace that Joseph's brothers had come, Pharaoh and all his officials were pleased. ¹⁷Pharaoh said to Joseph, 'Tell your brothers, 'Do this: Load your animals and return to the land of Canaan, ¹⁸and bring your father and your families back to me. I will give you the best of the land of Egypt and you can enjoy the fat of the land.' ¹⁹You are also directed to tell them, 'Do this: Take some carts from Egypt for your children and your wives, and get your father and come. ²⁰Never mind about your belongings, because the best of all Egypt will be yours.'

The Return to Canaan

²¹So the sons of Israel did this. Joseph gave them carts, as Pharaoh had commanded, and he also gave them provisions for their journey. ²²To each of them he gave new clothing, but to Benjamin he gave three hundred shekels of silver and five sets of clothes. ²³And this is what he sent to his father: ten donkeys loaded with the best things of Egypt, and ten female donkeys loaded with grain and bread and other provisions for his journey. ²⁴Then he sent his brothers away, and as they were leaving he said to them, "Don't quarrel on the way!"

²⁵So they went up out of Egypt and came to their

لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الْأَرْضِ وَتَكُونُوا حَيَاتِكُمْ بِخَلَّاصٍ عَظِيمٍ. ^٨لَقَدْ سَأَلْتُكُمْ إِذَا أَنْتُمْ أُرْسِلْتُمْ إِلَى هُنَا بَلَى اللَّهُ الَّذِي جَعَلَنِي مَلِكًا مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَجْلِ فَتَاكُمُوسَى وَهَارُونَ عَلَى جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ. ^٩فَاسْرِعُوا وَارْجِعُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: إِنَّكَ يَوْسُفُ يَقُولُ: لَقَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ سَيِّدًا عَلَى كُلِّ مِصْرَ. فَهَاتُوا إِلَيَّ وَتَأْتِيكُمْ. ^{١٠}فَتَقَسِّمُ فِي أَرْضِ جِشْتَنَ لِكَيْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي وَأَنْتُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَخِزَانَتُكُمْ وَخِزَانَةُ كُلِّ مَنَّاكَ. ^{١١}وَأَعْلَمُكَ هُنَاكَ لِأَنَّ الْجُوعَ سَيَسْتَمِيرُ خَسْرَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى. فَلَا تَحْتَاجُ أَنْتَ وَعِيَالُكَ وَبَهَائِمُكَ. ^{١٢}وَهَلْ أَنْتُمْ وَأَخِي بَنِيامينُ شَاهِدُونَ أَنِّي أَنَا حَقًّا الَّذِي أَتَيْتُكُمْ. ^{١٣}وَأَخْبِرْكَونَ أَبِي عَنِ كُلِّ تَجَدِّي فِي مِصْرَ وَعَسَىٰ سَمِعْتُمْوه. وَاسْرِعُوا فِي إِخْتِصَارِ أَبِي إِلَى هُنَا.

^{١٤}ثُمَّ تَفَاتَقَ يَوْسُفُ وَبَنِيامينَ وَتَكَفَّرَا. وَقَتَلَ يَوْسُفُ بَقِيَّةَ إِخْوَتِهِ وَبَنَى مَقْبَرَتَهُمْ. وَجَعَلَ قَطْعَ خَيْطًا لِحِمْلَتِهِ.

^{١٥}وَأَمَرَ الْخَيْرَ إِلَى نَيْتِ فِرْعَوْنَ وَقِيلَ: نَدَّ جَاءَ الْحَيَاةَ يَوْسُفَ. فَسَرَّ ذَلِكَ فِرْعَوْنَ، وَعَسِيْدَهُ إِضْرًا. ^{١٦}وَقَالَ فِرْعَوْنَ لِيَوْسُفَ: أَمْلَأْ مِنْ إِخْوَتِكَ أَنْ يَحْمِلُوا ذَوَابِحَهُمْ بِالْقَمِيحِ وَتَرْجِعُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. ^{١٧}لِيَحْمِلُوا أَنْعَامَهُمْ وَأَسْرَعَهُمْ وَيَجِئُوا إِلَيَّ. فَأَعْلَمُهُمُ الْفَضْلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ لِيَسْتَنْتَبِعُوا بِخَيْرٍ إِنَّمَا. ^{١٨}وَقَدْ صَدَرَ أَمْرٌ إِلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ لِهَيْبَتِهِمْ عَزَمَاتٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيَحْمِلُوا عَلَيْنَا أَوْلَادَهُمْ وَذَوَابِحَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ وَيَحْمِلُوا إِلَى هُنَا. ^{١٩}لَا تَحْتَرِضُوا لَنَا بِحَمْلَتَيْهِمْ مِنْ مَتَاعٍ فَخَرَاتٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ كُلِّهَا مِنْ لِهَيْبَتِهِمْ.

الرجوع إلى أرض كنعان

^{٢١}فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَكَفَّرُوا. وَأَعْلَمَهُمْ يَوْسُفُ عَزَمَاتٍ حَسَبَ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَتَوَدُّةَ الْطَبِيقِ. ^{٢٢}وَأَمْلَأَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمْلًا نِيَابًا. إِنَّمَا بَنِيامينَ خَمْسَةَ مِئَاتٍ مِثْلَ مِثْلِ الْبَيْضَةِ وَخَمْسَ حَمْلٍ نِيَابًا. ^{٢٣}وَأُرْسِلَ إِلَى أَبِيهِ عَشْرَةُ حَمِيرٍ مَحْمَلَةٍ بِالْفَضْلِ خَرَاتٍ مِصْرَ وَعَشْرُ أُنثَى مَحْمَلَةٍ بِالْجِذَعِ وَخَيْرًا وَطَعَامًا بِشَاتٍ مِنْهَا فِي الطَّبِيقِ. ^{٢٤}وَعَدَّهَا صَوْفَ إِخْوَتِهِ نَدَّ أَنْ أَرْضَهُمْ. لَا تَحْتَرِضُوا فِي الطَّبِيقِ.

^{٢٥}وَأَتَلَّفُوا مِنْ مِصْرَ حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَبِيهِمْ

father Jacob in the land of Canaan. ²⁶They told him, "Joseph is still alive! In fact, he is ruler of all Egypt." Jacob was stunned; he did not believe them. ²⁷But when they told him everything Joseph had said to them, and when he saw the carts Joseph had sent to carry him back, the spirit of their father Jacob revived. ²⁸And Israel said, "I'm convinced! My son Joseph is still alive. I will go and see him before I die."

Jacob Goes to Egypt

46 So Israel set out with all that was his, and when he reached Beersheba, he offered sacrifices to the God of his father Isaac. ²And God spoke to Israel in a vision at night and said, "Jacob! Jacob!" "Here I am," he replied. ³"I am God, the God of your father," he said. "Do not be afraid to go down to Egypt, for I will make you into a great nation there. ⁴I will go down to Egypt with you, and I will surely bring you back again. And Joseph's own hand will close your eyes."

⁵Then Jacob left Beersheba, and Israel's sons took their father Jacob and their children and their wives in the carts that Pharaoh had sent to transport him. ⁶They also took with them their livestock and the possessions they had acquired in Canaan, and Jacob and all his offspring went to Egypt. ⁷He took with him to Egypt his sons and grandsons and his daughters and granddaughters—all his offspring.

The Descendants of Jacob

⁸These are the names of the sons of Israel (Jacob and his descendants) who went to Egypt: Reuben the firstborn of Jacob.

⁹The sons of Reuben: Hanoch, Pallu, Hezron and Carmi.

¹⁰The sons of Simeon: Jemuel, Jamin, Ohad, Jakin, Zohar and Shaul the son of a Canaanite woman.

¹¹The sons of Levi: Gershon, Kohath and Merari.

¹²The sons of Judah: Er, Onan, Shelah, Perez and Zerah (but Er and Onan had died in the land of Canaan). The sons of Perez: Hezron and Hamul.

¹³The sons of Issachar: Tola, Puah, Jashub and Shimron.

¹⁴The sons of Zebulun: Sered, Elon and Jahleel.

¹⁵These were the sons Leah bore to Jacob in Paddan Aram, besides his daughter Dinah. These sons and daughters of his were thirty-three in all.

بِغُفُوبٍ. ^{٢٦}قَالُوا لَهُ، إِنَّ يُوسُفَ مَا أَلَّا حَيًّا. وَهُوَ أَلْتَسَلَطُ عَلَى كُلِّ أَرْضِي مِصْرَ. فَخِشِيَ عَلَى قَلْبِ يَغُفُوبَ لِأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّقْهُمْ. ^{٢٧}كَمَ حَسَلُوكَهُ بِكَلَامِ يُوسُفَ. وَجَلَدْنَا عَيْنِي بِغُفُوبَ أَلْعَرَبَاتِ أَلَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفَ لِتَنْقَلَهُ. أَلْتَعَشَشْتُ رُوحَهُ. ^{٢٨}وَقَالَ، كَلِمَى يُوسُفَ أُنْبِي حَيٌّ بَعْدُ. سَأَذْهَبُ لِأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ..

يعقوب يرحل إلى مصر

٤٦ وَأَرْتَحَلُ بِإِسْرَائِيلَ وَكُلِّ مَا لَهُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى بَثْرَ سَعِيحَ. قَدَّمْتُ ذَبَائِحَ إِلَى إِلَهِي إِسْحَاقَ. ^٢وَقَالَ إِلَهُهُ لِإِسْرَائِيلَ فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ، بِغُفُوبَ. بِغُفُوبَ. فَأَجَابَ، هَا أَنَا، هَاهَا. أَمَا هُوَ إِلَهُهُ، إِلَهُ أَبِيكَ. لَا تَخَفْ مِنْ أَلْعَرَابِ إِلَى مِصْرَ لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. ^٤أَنَا أَصْحَبُكَ إِلَى مِصْرَ. وَأَنَا أُزْجِعُكَ أَيْضًا. وَتُغَمِّسُ يَدُوكَ فِي يَدَيْهِ عِنْدَ مَوْتِكَ.

^٥فَأَنْطَلَقَ بِغُفُوبَ مِنْ بَثْرَ سَعِيحَ. وَحَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِغُفُوبَ وَأَسْمَاءَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَذَوَابِحَهُمْ فِي أَلْعَرَبَاتِ أَلَّتِي أَرْسَلَهَا فِرْعَوْنُ لِتَقْلِيهِ. ^٦وَأَخَذُوا مَعَهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَمَقْتَنَاتِهِمْ. أَلَّتِي أَقْتَنَوْهَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَجَاءُوا جَمِيعًا إِلَى مِصْرَ. ^٧فَهَذَا صِجْبُ بِغُفُوبَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ أُنْبَاءَهُ وَأَخْفَانَهُ مِنْ بَنِيهِ زَوَاتِي. وَسَيَأْتِي ذُرِّيَّتِي.

فرية يعقوب

^٨وَهَلِوهُ أَسْمَاءُ أُنْبَاءِ إِسْرَائِيلَ أَلَّذِينَ قَبِلُوا مَعَهُ إِلَى مِصْرَ. بِغُفُوبَ وَأَبْنَاؤُهُ، زَاوِينُ وَبَكْرُ بِغُفُوبَ. ^٩وَأَبْنَاءُ زَاوِينُ، حَنُوكَ وَقَلُو وَحِضْرُونُ وَكَرْمِي. ^{١٠}وَأَبْنَاءُ شِمْغُونُ، نَمُونِيلُ وَنَامِيْنُ وَأُوهدُ وَنَاجِيْنُ وَصُوحْرُ وَشَاوُلُ أُنْبُو أَلْكَنْعَانِيَّةِ. ^{١١}وَأَبْنَاءُ لَوِي، جِرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمِرَارِي. ^{١٢}وَأَبْنَاءُ يَهُوذَا، عِيرُ وَأُونَانُ وَيَسَلِيَّةُ وَقَارصُ وَزَارَحُ. وَنَاتِ عِيرُ وَأُونَانُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَأَمَا أُنْبَا فَارصُ فَهَمَا حِضْرُونُ وَحَامُولُ. ^{١٣}وَأَبْنَاءُ إِسْحَاقَ، نُولَاحُ وَقَلُوهُ وَتُوبُ وَشِمْرُونُ. ^{١٤}وَأَبْنَاءُ زَبُولُونُ، سَرَدُ وَهَلُونُ وَجَاهْلِيلُ. ^{١٥}هُؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ أُنْبَاءُ لَيْئَةَ أَلَّذِينَ أَلْتَبْتُهُمْ بِغُفُوبَ فِي سَهْلِ أَرَامَ. فَضَلًّا عَنِ كَنْعَانِ بَيْتَةَ. لَكِنَّا نَحْمُوعُ عِنْدَ بَنِيهِ وَتَسْتَبِيهِ وَأَخْفَانِهِ مِنْ لَيْئَةَ وَنَلَايِينُ.

¹⁶The sons of Gad: Zephon, Haggi, Shuni, Ezbon, Eri, Arodi and Areli.

¹⁷The sons of Asher: Inah, Ishvah, Ishvi and Beriiah. Their sister was Serah. The sons of Beriiah: Heber and Malkiel.

¹⁸These were the children born to Jacob by Zilpah, whom Laban had given to his daughter Leah—sixteen in all.

¹⁹The sons of Jacob's wife Rachel:

Joseph and Benjamin. ²⁰In Egypt, Manasseh and Ephraim were born to Joseph by Asenath daughter of Potiphara, priest of On.

²¹The sons of Benjamin: Bela, Beker, Ashbel, Gera, Naaman, Ehi, Rosh, Muppim, Huppim and Ard.

²²These were the sons of Rachel who were born to Jacob—fourteen in all.

²³The son of Dan: Hushim.

²⁴The sons of Naphtali: Jahziel, Guni, Jezer and Shillem.

²⁵These were the sons born to Jacob by Bilhah, whom Laban had given to his daughter Rachel—seven in all.

²⁶All those who went to Egypt with Jacob—those who were his direct descendants, not counting his sons' wives—numbered sixty-six persons. ²⁷With the two sons who had been born to Joseph in Egypt, the members of Jacob's family, which went to Egypt, were seventy in all.

Jacob's Family Settles in Egypt

²⁸Now Jacob sent Judah ahead of him to Joseph to get directions to Goshen. When they arrived in the region of Goshen, ²⁹Joseph had his chariot made ready and went to Goshen to meet his father Israel. As soon as Joseph appeared before him, he threw his arms around his father and wept for a long time.

³⁰Israel said to Joseph, "Now I am ready to die, since I have seen for myself that you are still alive."

³¹Then Joseph said to his brothers and to his father's household, "I will go up and speak to Pharaoh and will say to him, 'My brothers and my father's household, who were living in the land of Canaan, have come to me. ³²The men are shepherds; they tend livestock, and they have brought along their flocks and herds and everything they own.' ³³When Pharaoh calls you in and asks, 'What is your occupation?' ³⁴you

وأبنة جاد صفيون وشحبي وشوني وعزون وأرودي وأريلي. ¹⁷وأبنة أشير: إناه، إشباه، إشي وبيريا. أختها سراه. أبناء بيريا: هبر ومالكيل. ¹⁸هؤلاء هم بنو زلفة جارية لينة التي وهبها لابان. فكان عدد ذريتها التي أنجبها يعقوب ست عشرة نسلاً.

¹⁹أما أبناء زليخا زوجة يعقوب فهما يوسف وبنيامين. ²⁰وولد يوسف في أرض مصر بنات منسى والأبنان أنجبتهما له امثات ابنة لوطي فتزوج كاهن أون. ²¹وأبنة بنيامين: بلع، بكر، أشبل، جيرا، نايمان، إهي، روش، مبيب، هبيب وأرد. ²²هؤلاء بنو زلفة زوجة زليخا الذين ولدوا ليعقوب. وعددكم جميعاً أربعة عشر شخصاً.

²³وأبن دان هو حوشيم. ²⁴وأبنة نفتالي: ياحيزيل، جوني وشليم وشلم. ²⁵هؤلاء بنو بليغوب الذين أنجبهم له بليغ جارية زليخا التي أعطها لابان لراحيل. وعددكم جميعاً سبعة أشخاص.

²⁶لكان عدد جميع الأشخاص الخارجين من سلسل يعقوب، بمن وبناته في مصر، ستة وستين شخصاً ماعدا زوجات أبناء يوسف اللذان ولدوا له في مصر هما شخصان. فيكون عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر سبعين نسلاً.

الاستيطان في مصر

²⁸وأرسل يعقوب يهوذا أمامه إلى يوسف ليأخذ على الطريق الموكلة إلى غاشان. ²⁹فأعد يوسف مركبته وصعد لإلقاء أبوه إسرائيل في غاشان. ³⁰وما إن أقبل عليه حتى علقه يوسف وتكى رأساً طويلاً. ³¹وقال إسرائيل ليوسف: ذهبي أموت الآن إذ قد أبصرت وجهك وتزالت أنك متولت حياً.

³²وأخاطبت يوسف ليهوذا وتبت إليه، أما ناصي الآن إلى فيرعون لأخبره أن الخويجي تبت أبي المتقيمين في أرض كنان قد قداموا إلي. ³³وقم زعماً عنهم وقدمهم وعلمهم وأخبرهم، ليملك أرضهم معهم وعلمهم وقدمهم وكل ما لهم. ³⁴فلما دعاهم وسألهم، ما جرتلكم؟ قولوا، جرتلكنا

should answer, 'Your servants have tended livestock from our boyhood on, just as our fathers did.' Then you will be allowed to settle in the region of Goshen, for all shepherds are detestable to the Egyptians."

Joseph's Brothers Meet Pharaoh

47 Joseph went and told Pharaoh, "My father and brothers, with their flocks and herds and everything they own, have come from the land of Canaan and are now in Goshen."² He chose five of his brothers and presented them before Pharaoh.³ Pharaoh asked the brothers, "What is your occupation?" "Your servants are shepherds," they replied to Pharaoh, "just as our fathers were."⁴ They also said to him, "We have come to live here awhile, because the famine is severe in Canaan and your servants' flocks have no pasture. So now, please let your servants settle in Goshen."

Jacob Meets Pharaoh

⁵Pharaoh said to Joseph, "Your father and your brothers have come to you,⁶ and the land of Egypt is before you; settle your father and your brothers in the best part of the land. Let them live in Goshen. And if you know of any among them with special ability, put them in charge of my own livestock."⁷ Then Joseph brought his father Jacob in and presented him before Pharaoh. After Jacob blessed Pharaoh,⁸ Pharaoh asked him, "How old are you?"⁹ And Jacob said to Pharaoh, "The years of my pilgrimage are a hundred and thirty. My years have been few and difficult, and they do not equal the years of the pilgrimage of my fathers."¹⁰

¹¹Then Jacob blessed Pharaoh and went out from his presence.

¹²So Joseph settled his father and his brothers in Egypt and gave them property in the best part of the land, the district of Ramses, as Pharaoh directed.¹³ Joseph also provided his father and his brothers and all his father's household with food, according to the number of their children.

Joseph and the Famine

¹⁴There was no food, however, in the whole region because the famine was severe; both Egypt and Canaan wasted away because of the famine.

¹⁵Joseph collected all the money that was to be

رعاة المَوَاشِي مُذْ صِبَا إِلَى الْآنَ، كَذَلِكَ نَحْنُ وَهَكَذَا كَانَ آبَاؤُنَا جَمِيعًا. لَكِنِّي تَقِيمُوا فِي أَرْضِ جَشانَ، لِأَنَّ كُلَّ رَاعِي عَتَمٍ نَجِسٌ لَدَى الْمِصْرِيِّينَ.

لقاء إخوة يوسف بفرعون

٤٧ وَشَكَلَ يُوسُفُ أَسْمَاءَ فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ، مَلَقَدْ جَاءَ أَبِي وَإِخْوَتِي مَعَ لُطْلُطِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَكُلُّ مَا لَهُمْ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَهَاهُمْ الْآنَ فِي أَرْضِ جَشانَ. وَأَخَذَ خَمْسَةً مِنْ إِخْوَتِي وَقَدَّمَهُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ. فَسَأَلَهُمْ فِرْعَوْنُ، مَا هِيَ حِرْفَتُكُمْ؟ فَأَجابُوهُ، رَاعِيكَ وَآبَاؤُهُمْ رَاعَاةٌ عَتَمٌ. وَمَلَقَدْ جِئْنَا لِتَقْرُبَ فِي الْأَرْضِ إِذْ لَيْسَ لِقَتْمِ عِيبيدِكَ مَرْعَى مِنْ جِزَاهِ وَطَلَا الْجُوعُ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، فَذَعَّ عِيبيدِكَ تَقِيمُونَ فِي أَرْضِ جَشانَ.

لقاء يعقوب بفرعون

^٥قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ، مَلَقَدْ جَاءَ إِلَيْكَ أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ، وَالْأَرْضُ بِمِصْرَ أَمْسَانَتْ، فَانزِلْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ فِي الْمِثْلِ الْأَرْضِ. ذَعَبُهُمْ تَقِيمُونَ فِي أَرْضِ جَشانَ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ بَقِيَّتَهُمْ ذَوِي خِيَرَةٍ فَاطْعِدْهُمْ فِي الْإِشْرَافِ عَلَى مَوَاشِي.

^٦ثُمَّ أَخَضَرَ يُوسُفُ أَبَاهُ بِعُقُوبِ وَأَوْقَعَهُ أَسْمَاءَ فِرْعَوْنَ، فَبَارَكَ بِعُقُوبِ فِرْعَوْنَ. ^٧وَسَأَلَ فِرْعَوْنُ بِعُقُوبِ، كَمْ هُوَ عُشْرُونَ؟ فَأَجابَ بِعُقُوبِ فِرْعَوْنَ، سِتَوَاتُ عُشْرَتِي مِئَةً وَثَلَاثُونَ سَنَةً، قَلِيلَةٌ وَشَاقَّةٌ، وَلَمْ تَبْلُغْ سِنِي عُزْبَةِ آبَائِي. ^٨ثُمَّ بَارَكَ بِعُقُوبِ فِرْعَوْنَ وَخَرَجَ مِنْ لَدُنْهِ.

^٩وَأَنْزَلَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ فِي مِصْرَ وَتَمَلَّكَهُمْ فِي رَعْنَسِيسَ اجْوَدِ الْأَرْضِ كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنَ. ^{١٠}وَأَمَدَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَهْلًا تَمَّتْ أَيْهَهُ بِالطَّعَامِ عَلَى حَسَبِ عِيَالِهِمْ.

سياسة يوسف الزراعية

^{١١}وَمَلَقَدْ أَخْضَرُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ لِشِدَّةِ الْمَنْجَاعَةِ، وَأَمْعَلَتْ أَرْضُ مِصْرَ وَأَرْضُ كَنْعَانَ مِنْ الْجُوعِ. ^{١٢}فَقَاتَمَتْ يُوسُفُ الْقَنْحَ الَّذِي يَبِحُ بِكُلِّ الْبِقْصَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ

found in Egypt and Canaan in payment for the grain they were buying, and he brought it to Pharaoh's palace.¹⁵ When the money of the people of Egypt and Canaan was gone, all Egypt came to Joseph and said, "Give us food. Why should we die before your eyes? Our money is used up."¹⁶ Then bring your livestock," said Joseph. "I will sell you food in exchange for your livestock, since your money is gone."¹⁷ So they brought their livestock to Joseph, and he gave them food in exchange for their horses, their sheep and goats, their cattle and donkeys. And he brought them through that year with food in exchange for all their livestock.

¹⁸When that year was over, they came to him the following year and said, "We cannot hide from our lord the fact that since our money is gone and our livestock belongs to you, there is nothing left for our lord except our bodies and our land."¹⁹ Why should we perish before your eyes—we and our land as well? Buy us and our land in exchange for food, and we with our land will be in bondage to Pharaoh. Give us seed so that we may live and not die, and that the land may not become desolate."

²⁰So Joseph bought all the land in Egypt for Pharaoh. The Egyptians, one and all, sold their fields, because the famine was too severe for them. The land became Pharaoh's,²¹ and Joseph reduced the people to servitude, from one end of Egypt to the other.²² However, he did not buy the land of the priests, because they received a regular allotment from Pharaoh and had food enough from the allotment Pharaoh gave them. That is why they did not sell their land.

²³Joseph said to the people, "Now that I have bought you and your land today for Pharaoh, here is seed for you so you can plant the ground."²⁴ But when the crop comes in, give a fifth of it to Pharaoh. The other four-fifths you may keep as seed for the fields and as food for yourselves and your households and your children."

²⁵"You have saved our lives," they said. "May we find favor in the eyes of our lord; we will be in bondage to Pharaoh."

²⁶So Joseph established it as a law concerning land in Egypt—still in force today—that a fifth of the produce belongs to Pharaoh. It was only the land of the priests that did not become Pharaoh's.

وفي أرض كلثان، وعملها إلى خزينة فرعون،¹⁵ وعملنا تقدمت البضاعة من أرض ميسر ومن أرض كلثان قبل جمع المصريين إلى يوسف قليلين، وأعطنا خبزاً، فلبنا ما نموت أمام عيانتك إن بضاعتنا قد نفذت،¹⁶ فاجعلهم، وإن تقدمت بضاعتكم، فها هو مزابيتكم ألبضاعتكم بها طعاماً،¹⁷ فأثرو بمزابيتهم، فلبتهم يوسف خبزاً بالخيول ومزابي الغنم والبقر والحمير، وهكذا فلبهم جميع مزابيتهم بالخبز في تلك السنة.

¹⁸وعندما انقضت تلك السنة، أتوا فرعون في السنة الثالثة قليلين، ولا نظفي عن سيدي إن بضاعتنا قد نفذت، وإن مزابي ألبضاعة قد أصبحت عند سيدي، ولم يبق أمامنا إلا أبداننا وأرضنا، فلبنا ما نموت نحن، وأرضنا أمام عيانتك، اقتربنا نحن وأرضنا إياه الخبز فطبخ نحن وأرضنا عبداً لفرعون، وأعطنا بئراً لنزرعها قخباً ولا نموت ولا تصير أرضنا مقبرة.

¹⁹وهكذا اشترى يوسف لفرعون كل أرض ميسر، لأن جميع المصريين باعوا حقولهم من جراء المجاعة التي ألت بهم، وصارت كل الأرض ملكاً لفرعون،²⁰ إنما الكهنة قد ظفروا إلى السهم من أقصى حدود ميسر إلى أصفاء،²¹ إلا أن أرض الكهنة لم يشترها، إذ كان للكهنة حصصاً معينة اجزأها عليهم فرعون، فكيفوا يأكلون منها، فلم يبيعوا أرضهم.

²²ثم قال يوسف للشعب، ما قد اشترتكم اليوم أنتم وأرضكم فيسرتكم ملكاً لفرعون، فلبتكم البذر لنزرعوا الأرض،²³ وتكون في موسم الحصاد أنتم تطعمون لفرعون خمس القلة وتحتفظون لكم بالاربعه الأخرى لتكون بذراً للتحلil وتطعموا لكم ولبن في بيوتكم وأزواجكم.

²⁴فاجابوا، لقد أفلدت حياتنا، فما لبنا نخشى بوضي سدينا فتكون عبداً لفرعون،²⁵ ومن ذللك الجدين إلى نؤمينا هذا جعل يوسف فريضة الخمس عليه ضريبة على كل أرض ميسر، تجنى لفرعون، بلشترها أرض الكهنة التي لم تطبخ ملكاً لفرعون.

Joseph's Promise to Jacob

²⁷Now the Israelites settled in Egypt in the region of Goshen. They acquired property there and were fruitful and increased greatly in number.

²⁸Jacob lived in Egypt seventeen years, and the years of his life were a hundred and forty-seven.

²⁹When the time drew near for Israel to die, he called for his son Joseph and said to him, "If I have found favor in your eyes, put your hand under my thigh and promise that you will show me kindness and faithfulness. Do not bury me in Egypt, ³⁰but when I rest with my fathers, carry me out of Egypt and bury me where they are buried." "I will do as you say," he said. ³¹"Swear to me," he said. Then Joseph swore to him, and Israel worshiped as he leaned on the top of his staff.

Manasseh and Ephraim

48 Some time later Joseph was told, "Your father is ill." So he took his two sons Manasseh and Ephraim along with him. ²When Jacob was told, "Your son Joseph has come to you," Israel rallied his strength and sat up on the bed.

³Jacob said to Joseph, "God Almighty appeared to me at Luz in the land of Canaan, and there he blessed me ⁴and said to me, 'I am going to make you fruitful and will increase your numbers. I will make you a community of peoples, and I will give this land as an everlasting possession to your descendants after you.' ⁵"Now then, your two sons born to you in Egypt before I came to you here will be reckoned as mine; Ephraim and Manasseh will be mine, just as Reuben and Simeon are mine. ⁶Any children born to you after them will be yours; in the territory they inherit they will be reckoned under the names of their brothers. ⁷As I was returning from Paddan, to my sorrow Rachel died in the land of Canaan while we were still on the way, a little distance from Ephrath. So I buried her there beside the road to Ephrath" (that is, Bethlehem).

⁸When Israel saw the sons of Joseph, he asked, "Who are these?" ⁹"They are the sons God has given me here," Joseph said to his father. Then Israel said, "Bring them to me so I may bless them." ¹⁰Now Israel's eyes were failing because of old age, and he could hardly see. So Joseph brought his sons close to him, and his father kissed

وعد يوسف ليعقوب

^{٢٧}وأقام بنو إسرائيل في مصر في أرض جاشان. وأثقتوا فيها أملاكاً وأثمروا وتكاثروا. ^{٢٨}وعاش يعقوب في أرض مصر سبع عشرة سنة حتى بلغ من العمر مئة وستة وأربعين عاماً. ^{٢٩}وعلمنا قرب يوم وفاته. استدعى ابنة يوسف وقال له: إن كنت قد حظيت برضاك، فضع يدك تحت فخذي، وأشد يدي مرفوعاً وأمانة، لا تدفني في مصر بل دفني مع آبائي. ^{٣٠}وأشد يدي مرفوعاً وأمانة، لا تدفني في مصر بل دفني مع آبائي. ^{٣١}وأشد يدي مرفوعاً وأمانة، لا تدفني في مصر بل دفني مع آبائي. فقال: أنا أفعل حسب قولك. فقال يعقوب: أخلف لي. فحلف له. فوجد يعقوب (شاكراً) على زاسي الشهيدي.

يعقوب يبارك ابني يوسف

٤٨ لمّا ما لبث أن قيل ليعوسف: أبوك مريض، فاضطجبت معه أنتو منسى وألرايم. وقيل ليعقوب: أبوك يوسف قادم إليك. فالتجمّع قوّة وجلس على الشهيدي.

وقال يعقوب ليعوسف: تجلسي الله أقديم لي في لوز في أرض كنعان وتباركي. وقال لي: ها أنا أبعثك مكرماً، وأكثرك ويخرج من ضلوك جهوز شعوب وأصب ذريتك هدير الأرض ملكاً أبدياً. ^٥والآن: إن أبنتك اليرليم ومنسى اللذين أنجبتهما في مصر قبل مجيبي إليك هنا هما لي يرليتي كزاريون وبنيمون. ^٦وأما أولادك اللذين تلجهم بعد ذلك: فيكونون لك. وما يرلونه يكون تحت اسم آلهم. ^٧لأنني فيما كنت زاجعاً من سهل لرام، ماتت زاجيل في أرض كنعان في الطيب على مفرزة من المرفقة. فدفنتها في الطيب المرفقة إلى المرفقة، التي هي بيت لحم.

^٨وأبصر إسرائيل ابني يوسف فقال: من هذان؟ فأجابه يوسف: هما ابناي اللذان رزقي إياهما الله هنا. فقال: اذينا يدي فباركهما. ^٩وكففت عينا إسرائيل قد كلفنا من الشيخوخة. فلم يكن قادراً على النظر، فتربها إليه

them and embraced them. ¹¹ Israel said to Joseph, "I never expected to see your face again, and now God has allowed me to see your children too."

¹² Then Joseph removed them from Israel's knees and bowed down with his face to the ground.

¹³ And Joseph took both of them, Ephraim on his right toward Israel's left hand and Manasseh on his left toward Israel's right hand, and brought them close to him. ¹⁴ But Israel reached out his right hand and put it on Ephraim's head, though he was the younger, and crossing his arms, he put his left hand on Manasseh's head, even though Manasseh was the firstborn.

¹⁵ Then he blessed Joseph and said, "May the God before whom my fathers Abraham and Isaac walked, the God who has been my shepherd all my life to this day, ¹⁶ the Angel who has delivered me from all harm—may he bless these boys. May they be called by my name and the names of my fathers Abraham and Isaac, and may they increase greatly upon the earth."

¹⁷ When Joseph saw his father placing his right hand on Ephraim's head he was displeased; so he took hold of his father's hand to move it from Ephraim's head to Manasseh's head. ¹⁸ Joseph said to him, "No, my father, this one is the firstborn; put your right hand on his head." ¹⁹ But his father refused and said, "I know, my son, I know. He too will become a people, and he too will become great. Nevertheless, his younger brother will be greater than he, and his descendants will become a group of nations." ²⁰ He blessed them that day and said, "In your name will Israel pronounce this blessing: 'May God make you like Ephraim and Manasseh.'" So he put Ephraim ahead of Manasseh. ²¹ Then Israel said to Joseph, "I am about to die, but God will be with you and take you back to the land of your fathers. ²² And to you, as one who is over your brothers, I give the ridge of land I took from the Amorites with my sword and my bow."

Jacob Blesses His Sons

49 Then Jacob called for his sons and said: "Gather around so I can tell you what will happen to you in days to come. ² Assemble and listen, sons of Jacob; listen to your father Israel. ³ Reuben, you are my firstborn, my might, the first sign of my strength, excelling in honor, excelling in

قَهْلَهُمَا وَأَحْتَضَهُمَا ¹¹ وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: مَا كُنْتُ أظُنُّ أَنِّي أَرَىٰ وَجْهَكَ. وَهَؤُلَاءِ اللَّهُ قَدْ آرَانِي ذُرِّيَّتَكَ أَنفَاءً. ¹² ثُمَّ أَمَدَّهَا يُوسُفُ عَنْ حُضْنِ أَبِيهِ وَسَجَدَ فِي حُضْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ.

¹³ وَأَخَذَ يُوسُفُ الْفَرَايِمَ بِيَمِينِهِ وَأَوَّلَهُ إِلَى تَسَارِ إِسْرَائِيلَ، وَأَخَذَ مَنَسَّى بِيَسَارِهِ وَأَوَّلَهُ إِلَى يَمِينِهِ. ¹⁴ فَصَدَّ إِسْرَائِيلُ يَمِينَهُ، مُعَمِّدًا، وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ الْفَرَايِمِ وَهُوَ الْكُصْبِيُّ، وَتَسَارَهُ عَلَى رَأْسِ مَنَسَّى مَعَ أَنَّهُ الْكَبِيرُ.

¹⁵ وَتَبَارَكَ يُوسُفُ قَلِيلاً، إِنَّ اللَّهَ الَّذِي سَلَكَ أَسْمَاءَ أَبَوَائِهِ إِسْرَائِيلَ وَنَسْحَقَ، اللَّهُ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا النَّهْمِ، ¹⁶ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي أَقْدَمَتْنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ تَبَارَكَ الْمَلَائِكَةُ، وَتَبَارَكَ عَلَيْهِمَا نَسَمِي وَأَسْمَاءُ أَبَوَيْ إِسْرَائِيلَ وَنَسْحَقَ، وَتَبَارَكَ كَثِيراً فِي الْأَرْضِ..

¹⁷ وَعِنَّمَا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ الْفَرَايِمِ سَاءَةً ذَلِكَ، فَامْتَسَكَ بِيَدِ أَبِيهِ لِيَنْقُلَهَا مِنْ رَأْسِ الْفَرَايِمِ إِلَى رَأْسِ مَنَسَّى. ¹⁸ وَقَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ: لِمَ تَفْعَلُ هَكَذَا يَا أَبِي. قَدْ هُوَ الْكَبِيرُ، ضَع يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِي.. ¹⁹ فَجَنَّبَنِي أَبُوهُ وَقَالَ: إِنَّا نَعْرِفُ هَذَا يَا ابْنِي، إِنَّا نَعْرِفُ هَذَا، فَإِنَّهُ أَيْضاً يَضِيعُ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَكِنْ أَحِبُّ أَحِبُّ الْكُصْبِيُّ نَضِيعُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَذُرِّيَّتُهُ كَصِيرٍ جَهْدُوراً مِنَ الْأُمَّةِ. ²⁰ وَتَبَارَكَ فِي ذَلِكَ النَّهْمِ قَلِيلاً، بَلْ تَبَارَكَ نَبُو إِسْرَائِيلَ قَلِيلِينَ، لِيَجْعَلَكَ اللَّهُ يَسَلُّ الْفَرَايِمَ وَيَسَلُّ مَنَسَّى.. وَهَكَذَا قَدَّمَ الْفَرَايِمَ عَلَى مَنَسَّى. ²¹ ثُمَّ قَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: إِنِّي مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ اللَّهُ سَيَجْعَلُكَ مَعَكُمْ وَتَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. ²² وَهَذَا أَنَا قَدْ وَضَعْتُ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ سَهْماً وَاحِداً عِلاوةً عَلَى إِطْرَاقِكَ، أَخْلَقْتُ مِنَ الْأَمْوَالِ بَنِي يَسْطَافِي وَتَوُوسِي..

يعقوب يبارك أبناءه

٤٩ ثُمَّ اسْتَدْعَى يَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُ وَقَالَ: ائْتُوا حَوْلِي لِأَتَكَلِّمَنَّكُمْ بِنَا سَيَحْدُثُ لَكُمْ فِي الْأَيَّامِ الْمُتَقَدِّمَةِ. اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا تَأْتِيَاءَ يَعْقُوبَ، وَأَضَعُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَيْدِيَكُمْ. ^٢ زَاوِينُ أَسْتُ بَكْرِي وَتَوُوسِي وَأَوَّلُ مَطْهَرُ زُجُولَتِي.

power. ⁴Turbulent as the waters, you will no longer excel, for you went up onto your father's bed, onto my couch and defiled it. ⁵Simeon and Levi are brothers—their swords are weapons of violence. ⁶Let me not enter their council, let me not join their assembly, for they have killed men in their anger and hamstring oxen as they pleased. ⁷Cursed be their anger, so fierce, and their fury, so cruel! I will scatter them in Jacob and disperse them in Israel. ⁸Judah, your brothers will praise you; your hand will be on the neck of your enemies; your father's sons will bow down to you. ⁹You are a lion's cub, O Judah; you return from the prey, my son. Like a lion he crouches and lies down, like a lioness—who dares to rouse him?

¹⁰The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

¹¹He will tether his donkey to a vine, his colt to the choicest branch; he will wash his garments in wine, his robes in the blood of grapes. ¹²His eyes will be darker than wine, his teeth whiter than milk. ¹³Zebulun will live by the seashore and become a haven for ships; his border will extend toward Sidon. ¹⁴Issachar is a rawboned donkey lying down between two saddlebags. ¹⁵When he sees how good is his resting place and how pleasant is his land, he will bend his shoulder to the burden and submit to forced labor. ¹⁶Dan will provide justice for his people as one of the tribes of Israel. ¹⁷Dan will be a serpent by the roadside, a viper along the path, that bites the horse's heels so that its rider tumbles backward. ¹⁸I look for your deliverance, O LORD.

¹⁹Gad will be attacked by a band of raiders, but he will attack them at their heels. ²⁰Asher's food will be rich; he will provide delicacies fit for a king. ²¹Naphtali is a doe set free that bears beautiful fawns. ²²Joseph is a fruitful vine, a fruitful vine near a spring, whose branches climb over a wall. ²³With bitterness archers attacked him; they shot at him with hostility. ²⁴But his bow remained steady, his strong arms stayed limber, because of the hand of the Mighty One of Jacob, because of the Shepherd, the Rock of Israel, ²⁵because of your father's God, who helps you, because of the Almighty, who blesses you with blessings of the heavens above, blessings of the deep that lies

فصل الرُّفعةَ وَفصلَ أَلْمُرِّ لَيْكُنْ فَاجِرٌ كَأَلْمَاءِ لِيَذِيكَ
لَنْ تَقْلُ مُتَوَفَا. لِأَنَّكَ اضْطَلَجْتَ فِي فِرَاشِ أَبِيكَ.
ضَجِدْتَ عَلَى سَهْرِي فِدُنْسَةً. ⁵سِيمُونُ وَلَوي أَخَوَانِ
سُيُوفُهُمَا أَلْتٌ ظَلِمٌ. ⁶فَبَانَفْسِي لَا تَدْخُلِي فِي تَجْلِيهِمَا.
فَتَارُوجِي لَا تَضْمِي إِلَى تَجْمَعِيهِمَا. ⁷لَأْتِيهَا فِي غَضَبِهَا
أَفْتَالًا إِسْتِيًّا. وَفِي غَيْبِهَا عَزَقْنَا ثَوْرًا. مَلْفُونٌ سَخَطُهَا لِأَنَّهُ
غَيْفٌ وَغَضَبُهَا لِأَنَّهُ ضَارٍ. أَفْرَقْهُمَا فِي تَغْضُوبٍ وَأَشْتَتَهُمَا
فِي إِسْرَائِيلِ. ⁸يَهُودَا. إِثْنُ تَحْمَدُ إِخْوَانِكَ. وَتَكُونُ يَدُكَ
عَلَى عُنُقِ أَعْدِيائِكَ. وَتَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ. ⁹يَهُودَا سَيْلٌ
أَسْبَدُ. عَنِ فَيْسَةَ قَتَلَتْ تَابَئِي. لِمَ جِئَا وَرَبَّنْ كَلَسِدِ أَوْ
كَلْتَوِي. فَمَنْ يَجُورُ عَلَى إِثْرِهِ؟ ¹⁰لَا يَزُولُ سَوْجَانُ الْمَلِكِ
مِنْ يَهُودَا وَلَا تُشْتَرَعُ مِنْ ضَلِيبٍ حَتَّى يَبْلُغَ سَيْلُهُ
(وَمَنْتَاهُ. مِنْ لَهِ الْأَمْرِ) قَطِيفَةَ السُّفُوفِ.

¹¹مُرْبُطٌ بِالكَزْمَةِ جَحْشُهُ. وَيُفَضِّلُ جُنْدَهُ أَنْبَ أَعْيَابِهِ. بِالْأَخْضَرِ
يُغْسِلُ لِبَاسَهُ وَيَتَمَّ الْعَيْبَ ثَوْبَهُ. ¹²تَكُونُ عَيْنَاهُ أَشَدَّ سَوَادًا
مِنْ الْأَخْضَرِ. وَأَسْنَفُهُ أَكْثَرَ بَيَاضًا مِنْ اللَّسَنِ. ¹³تَبُولُونُ
بَنَكُنْ جِنْدُ سَوَاجِلِ الْبَحْرِ. وَتَضِيحُ مَقَرُّهُ مَرْفَأًا لِلسُّفِينِ.
وَتَمْتَدُّ نَحْمُوهُ نَحْوَ صَيْدَا ¹⁴يُشَاكِرُ جِئَارَ قَوِي زَابِيحِ نَيْنِ
الْحِطَّاوِي. ¹⁵عِنْدَمَا تَبْرِي حُضُونَهُ مَرْتَبِعِهِ وَتَهْجَةَ أَرْضِهِ.
تَشْتَكِيهِ كَيْطَاهُ لِلْأَقْدَالِ. وَتُسْتَفْتَدُ لِلْعَمَلِ الشَّقِيِّ. ¹⁶كَانَ
بِقِيْسِي لِشَفِيحِي كَأَحَدِ أَشْبَاهِ إِسْرَائِيلِ. ¹⁷كَانَ يَكُونُ كُفَيْفًا
عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَالْمَفْرُوتَا عَلَى الشَّجِيلِ. يَلْسَعُ غَضَبِي
الْفَرَسِ فَهَيَّوِي رَاكِبَهُ إِلَى التَّوَادِ. ¹⁸إِنِّي أَنْظَرْتُ خِلَاصَكَ
تَارِبًا.

¹⁹جَادٌ يَتَجَمَّعُ الْفَرَاةُ. وَتَكْتَبُهُ يَطْرُدُ قُلُوبَهُمْ وَيَحْمَنُهُمْ.
²⁰أَقْعَامُ أَسِيرِ دَيْسِمٍ. وَأَطْيَبِيَةُ ضَالِحَةٌ لِسُؤَالِيهِ الْمَلُوكِ.
²¹نَافْطَالِي عَزَالَةٌ طَلِيقَةٌ يَزِدُّ أَقْوَالًا جَمِيلَةً. ²²يُوشَفُ كَزْمَةٌ
مُتَوَرِّةٌ إِلَى جِوَارِ عَيْنٍ. تَسَلَّتْ أَغْصَانُهُ الْحَائِطَ. ²³نَهَاجَةٌ
كَلِيمَةٌ بِمَرَاةٍ. وَتَلْفُفُونَ سِيَاهَتَهُمْ عَلَيْهِ بِعَنَاوَةٍ. ²⁴وَلَكِنْ
قَوْسُهُ ظَلَّتْ مَتِينَةً. وَتَشَدَّدَتْ سَوْاعِدُ يَدَيْهِ بِفَضْلِ سَوْاعِدِ
غَوِيهِ بِغَفُوبِ. كَرَامِي ضَحْرُ إِسْرَائِيلِ. ²⁵بِفَضْلِ إِلَهِ أَبِيكَ
الَّذِي يَبْرِكُكَ. بِفَضْلِ الْقَدِيمِ الَّذِي يَبَارِكُكَ بِرَكَاتِ
السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقِ. وَبِرَكَاتِ الْأَخْضَرِ مِنْ تَحْتِ. وَبِرَكَاتِ

below, blessings of the breast and womb. ²⁶Your father's blessings are greater than the blessings of the ancient mountains, than the bounty of the age-old hills. Let all these rest on the head of Joseph, on the brow of the prince among his brothers. ²⁷"Benjamin is a ravenous wolf; in the morning he devours the prey, in the evening he divides the plunder."

²⁸All these are the twelve tribes of Israel, and this is what their father said to them when he blessed them, giving each the blessing appropriate to him.

The Death of Jacob

²⁹Then he gave them these instructions: "I am about to be gathered to my people. Bury me with my fathers in the cave in the field of Ephron the Hittite, ³⁰the cave in the field of Machpelah, near Mamre in Canaan, which Abraham bought as a burial place from Ephron the Hittite, along with the field. ³¹There Abraham and his wife Sarah were buried, there Isaac and his wife Rebekah were buried, and there I buried Leah. ³²The field and the cave in it were bought from the Hittites."

³³When Jacob had finished giving instructions to his sons, he drew his feet up into the bed, breathed his last and was gathered to his people.

Jacob's Body Is Embalmed

50 Joseph threw himself upon his father and wept over him and kissed him. ²Then Joseph directed the physicians in his service to embalm his father Israel. So the physicians embalmed him, ³taking a full forty days, for that was the time required for embalming. And the Egyptians mourned for him seventy days.

The Burial of Jacob in Canaan

⁴When the days of mourning had passed, Joseph said to Pharaoh's court, "If I have found favor in your eyes, speak to Pharaoh for me. Tell him, ⁵"My father made me swear an oath and said, 'I am about to die; bury me in the tomb I dug for myself in the land of Canaan.' Now let me go up and bury my father; then I will return." ⁶Pharaoh said, "Go up and bury your father, as he made you swear to do."

⁷So Joseph went up to bury his father. All Pharaoh's officials accompanied him—the dignitaries of his court and all the dignitaries of

الشمالي والرجيم: ¹¹إن نركات أبك اعظم من نركات الجبال القديمة، واعظم من ذخير كلال القديمة. فلنحل جميعها على زريك يابوسف وعلى جبين الذي اقتضل عن الجوهير. ¹⁷بنامين ذئب ضار، يمزج ضجيتة في الصباح، وتفرق الغنيمات في المساء.

¹⁸هؤلاء جميعاً هم رؤساء أسباط إسرائيل الاثني عشر. وهذا ما خاطبهم به أبوهم ولذاتهم، كل واحد بالبركة المناسبة له.

وفاة يعقوب

²⁹ثم أوصاهم فعلاً، فجمعهم إلى أبيه، فاذنوبني إلى مجازيم في بئر حقل عفران الحثي. ³⁰التي في حقل المحجلة المواجهة لعمرا في أرض كنان. ³¹التي اشترأها إبراهيم مع الحقل من عفران الحثي لتكون مذبحاً لحطاب. ³²فيها دفن إبراهيم وذوجته سارة، ثم إسحاق وذوجته ربة، وأيسا ذلكت لية. ³³وقد اشترى إبراهيم الحقل والمقبرة التي فيه من الحثيين. ³⁴وقد فرغ يعقوب من توصية أبنائه فمد على سبوره، وضم رجله نوماً، ثم اسلم روحه وألحق بآبائه.

تحنيط جثمان يعقوب

فألقى يوسف يثيمه على جثمان أبيه، وتكى رقبته. ²ثم أمر يوسف عبيده الأطباء أن يحفظوا أباه. ³وقد استغرق ذلك أربعين يوماً، وهي الأيام المطلوبة لاستكمال التحنيط. وتكى المصريون على سبعين يوماً.

دفن يعقوب في كنان

⁴وبعدما انقضت أيام الكوارح عليه، قال يوسف لأهل بيت فرعون، إن كنت قد حظيت برؤساكم، فتكلموا في مسامح فرعون قائلين، قد استخلفني أبي وقال، أنا مشرف على الموت، فاذنوبي في القبر الذي حفرتة لثمسي في أرض كنان، فلتسبح لي الآن بأن انصبي لأذنين أبي ثم أعوده. ⁵أقال فرعون، اذهب واذفن أبك كما استخلفك.

⁶فأطلق يوسف يندجن أباه، ورافقته خالصة فرعون من

Egypt⁹ besides all the members of Joseph's household and his brothers and those belonging to his father's household. Only their children and their flocks and herds were left in Goshen. ⁹Chariots and horsemen also went up with him. It was a very large company. ¹⁰When they reached the threshing floor of Atad, near the Jordan, they lamented loudly and bitterly; and there Joseph observed a seven-day period of mourning for his father. ¹¹When the Canaanites who lived there saw the mourning at the threshing floor of Atad, they said, "The Egyptians are holding a solemn ceremony of mourning." That is why that place near the Jordan is called Abel Mizraim. ¹²So Jacob's sons did as he had commanded them: ¹³They carried him to the land of Canaan and buried him in the cave in the field of Machpelah, near Mamre, which Abraham had bought as a burial place from Ephron the Hittite, along with the field.

¹⁴After burying his father, Joseph returned to Egypt, together with his brothers and all the others who had gone with him to bury his father.

Joseph Reassures His Brothers

¹⁵When Joseph's brothers saw that their father was dead, they said, "What if Joseph holds a grudge against us and pays us back for all the wrongs we did to him?" ¹⁶So they sent word to Joseph, saying, "Your father left these instructions before he died: ¹⁷This is what you are to say to Joseph: I ask you to forgive your brothers the sins and the wrongs they committed in treating you so badly. Now please forgive the sins of the servants of the God of your father." When their message came to him, Joseph wept. ¹⁸His brothers then came and threw themselves down before him. "We are your slaves," they said. ¹⁹But Joseph said to them, "Don't be afraid. Am I in the place of God? ²⁰You intended to harm me, but God intended it for good to accomplish what is now being done, the saving of many lives. ²¹So then, don't be afraid. I will provide for you and your children." And he reassured them and spoke kindly to them.

²²Joseph stayed in Egypt, along with all his father's family. He lived a hundred and ten years ²³and saw the third generation of Ephraim's children. Also the children of Makir son of Manasseh were placed at birth on Joseph's knees. ²⁴Then Joseph said to

أخيه بنو ويصيه مصر، ⁹وتخذلك أهل بنو ويصيه وإخوتك وأهل بنو أبيه. ¹⁰ولم يخلّفوا وراءهم في أرض جاشان سوى صغارهم وغنومهم وقطيعهم. ¹¹وصاحبتهم أيضاً مركبات وفرسان، فكلّموا مؤبياً عظيماً. ¹²ولما وصلوا إلى بئر الحاد في غير الأردن أقام يوسف أبه منأحة عظيمة سبعة نأحو فيها عليه طول سبعة أيام ¹³وعندما شاهد الكنعانيون للسائرون هناك المنأحة في بئر الحاد قالوا، ههنا منأحة هائلة للمصريين. ¹⁴وسموا الكنعان الذي في غير الأردن، «أهل مصرزم»، (ومعناه: منأحة المصريين). ¹⁵وتقد أبناء يعقوب وصية أبيهم، ¹⁶فقلّوه إلى أرض كنعان وقفّوه في مغارة حقل المنأحة مقابل تمرا أبي أشرفها إبراهيم مع الحقل من يعقرون أحيي يتكون منأنا خاصاً.

¹⁷وتقد أن قدن يوسف أبه، رجع هو وإخوته وسائر الذين ولّفوه إلى مصر.

إحسان يوسف لإخوته

¹⁵ولما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا، لنقل يوسف الآن نأشر في أضطهادنا ونأنتقم منا لإساءتنا إليه. ¹⁶فبعثوا إليه رسولا قائلين، لقد أوصى أبوك قبل موته وقال، ¹⁷هكذا تقولون ليوسف، اغفر لإخوتك قتلهم وعظمتهم، فلأنت قد أساءوا إليك. فألأن أضفح عن إثم عبيد إله أبيك. فلما بلغته رسالتهم بكى يوسف. ¹⁸وجاء إخوته أيضاً وأنظرخوا أمامه وقالوا، ها نحن عبيدك. ¹⁹فقال لهم، لا تخافوا، هل أنا أقوم مقام الله؟ ²⁰أنتم نأتمن لي شرّاً، ولكن الله قصد بالسّر خيراً، ليأجر ما تمّ الآن، لإخباته قسرو كثير. ²¹لذلك لا تخافوا، فلأ اعولكم أنتم وأولادكم. فلأنا أأتمن وعدنا نؤعهم.

²²وأقام يوسف في مصر هو وأهل بنو أبيه. وعاش يوسف مئة وعشر سنين. ²³حتى شهيد الجبل الثالث من ذرية إبراهيم، وكذلك أولاد مآكير بن منسى الذين أضضتهم عند ولادتهم. ²⁴لثم قال يوسف لإخوته، أنا مؤبىك على

his brothers, "I am about to die. But God will surely come to your aid and take you up out of this land to the land he promised on oath to Abraham, Isaac and Jacob."²⁵ And Joseph made the sons of Israel swear an oath and said, "God will surely come to your aid, and then you must carry my bones up from this place."

The Death of Joseph

²⁶So Joseph died at the age of a hundred and ten. And after they embalmed him, he was placed in a coffin in Egypt.

النُّبُوتِ، وَلَكِنْ اللهُ سَيُعِينُكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِنْ أَرْضِ
تَمُوتُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا بِنَسَمِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ..²⁵ وَأَسْتَظْفَتِ يُوسُفُ أَبْنَاءَ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: إِنَّ اللهُ
سَيُعِينُكُمْ فَأَنْظِلُوا عِظَامِي مِنْ هُنَا..

موت يوسف
الَّتِي مَاتَ يُوسُفُ وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ مِئَةً وَعَشْرَ سِنِينَ.
فَحُطِّلُوهُ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِ فِي بَطْنِ

سفر التكوين (37 - 50)

46 - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: 4].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل واحدة من الأحداث الهامة في سيرة عبد الله ونبه يوسف ﷺ، والآية يتوجه الحديث فيها إلى الرسول الخاتم ﷺ تقول له: اذكر يا محمد حين قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم: يا أبي إنني رأيت في المنام هذه الرؤيا العجيبة، رأيت أحد عشر كوكباً من كواكب السماء والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. كان يوسف حين رأى تلك الرؤيا غلاماً صغيراً، فاستغرب أبوه أن يرى ابنه مثل هذه الرؤيا لأنها ليست من رؤى الغلمان. ولكن بحس النبوة وبصيرة الأنبياء أدرك يعقوب ﷺ أن وراء هذه الرؤيا أمراً مستقبلياً عظيماً لابنه يوسف، ولذلك نصحه بالألّا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها من خير فيحسدوه، أو يحقدوا عليه، أو يغاروا منه. خاصة وأن شدة تعلقه بيوسف، وحبده عليه كانا قد أوغرا صدور إخوته عليه. وفي ظل هذه الغيرة من يوسف قد يجد الشيطان فرصة للوسوسة إلى إخوته بارتكاب جريمة في حق أخيهام لا تليق بأبناء الأنبياء، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿قَالَ يَبْنُو لِي قَنْصَصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: 5 - 6].

وواضح من رد يعقوب ﷺ على رؤيا غلامه الصغير يوسف أنه استشف شيئاً من الاصطفاء والاختيار الإلهي له في المستقبل بالنبوة، وبتعليمه تأويل الأحاديث، وبإتمام نعم الله - تعالى - عليه وعلى آل يعقوب، كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق (والجد يقال له أب). ومن شفافية النبوة وإشراقاتها أن يقول يعقوب ﷺ لصغيره يوسف جملة تحققت فيما بعد، أنطقه الله إياها ليحققها له بعد

سنوات عديدة فقال له: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾. والتأويل هو معرفة المآل، بمعنى أن الله سوف يهب ليوسف من نفاذ البصيرة، وصدق الحس، وعمق الرؤيا، والقدرة على التحليل، وسرعة الإلهام ما يمكنه من إدراك ما تنتهي إليه الأحاديث من أول بدئها. وقد يكون المقصود بتعبير (تأويل الأحاديث) هو القدرة على تعبير الرؤى المنامية كما تحقق له من بعد، ولذلك ختمت الآية بالشهادة لله - تعالى - بإحاطة العلم وشمول الحكمة، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وفي ختام سورة «يوسف» ﷺ يأتي تحقيق رؤياه التي رآها في صباه فإن يعقوب ﷺ وآله أجمعون شدوا الرحال إلى مصر، فلما وصلوها دخلوا على يوسف فأوى إليه أبويه، وعلى الفور سجد له كل من أبيه، وإحدى زوجات الأب، وإخوانه الأحد عشر. وكان سجودهم هو سجود الاحترام والتوقير، لا سجود العبادة التي لا تجوز لغير الله - تعالى - وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكَ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٢﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

[يوسف: 100 - 103].

ورؤيا يوسف جاءت إشارة لها في الترجمة العربية للعهد القديم (Copyright, 1999 by the International Bible Society) تحت عنوان «حلم يوسف وحسد إخوته» جاء فيه ما يلي: (وسكن يعقوب في أرض كنعان حيث تغرب أبوه، وهذا سجل بسيرة يعقوب. إذ كان يوسف غلاماً في السابعة عشرة من عمره. راح يرمى الغنم مع إخوته أبناء بلهة وزلفة زوجتي أبيه. فأبلغ يوسف أباه بنميتهم الرديئة. وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من بقية إخوته لأنه كان

ابن شيوخوته، فصنع له قميصاً ملوناً. ولما رأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم كرهوه وأسأؤوا إليه بكلامهم. وحلم يوسف حلماً قصه على إخوته، فازدادوا له بغضاً. قال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمته: رأيت وكأننا نحزم حزمياً في الحقل، فإذا بحزمتي وقفت ثم انتصبت، فأحاطت بها حزمكم وانحنت لها. فقال له إخوته: «لعلك تملك علينا أو تحكمننا؟» وزاد بغضهم له بسبب أحلامه وكلامه. ثم حلم حلماً آخر سرده على إخوته، قال: «حلمت حلماً آخر، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي». وقصه على أبيه وإخوته، فأبوه أبوه وقال: «أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقاً أنني وأمك وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟» فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه.

[العهد القديم/ سفر التكوين/ (37)]

وبمقارنة النص القرآني بما جاء في العهد القديم تتضح المفارقات التالية:

- 1 - تحديد عمر يوسف بالسابعة عشر وقت أن رأى رؤياه يناقض مجريات الأحداث في بقية القصة، ومنها إلقاءه في غيابة الجب دون أدنى مقاومة، ثم خروجه في دلو الماء وهو ما لا يمكن تحقيقه في هذا العمر والوزن الكبيرين (17 سنة).
- 2 - الادّعاء بأن يوسف كان يرعى الغنم مع إخوته يناقض تحايل الإخوة على أبيهم لاصطحابه معهم.
- 3 - الادّعاء بأن يوسف أبلغ أباه بنميمة إخوانه الرديئة، يناقض أنه لم يكن قد خرج معهم قبل يوم تأمرهم عليه.
- 4 - الادّعاء بأن إسرائيل صنع لابنه يوسف قميصاً ملوناً، وهو شاب في السابعة عشرة من عمره كما ذكروا، وقد رأى إخوة يوسف في ذلك تمييزاً له عليهم فكرهوه، وأسأؤوا إليه بكلامهم.
- 5 - الادّعاء بأن يوسف رأى رؤيتين مناميتين، والقرآن الكريم يقرر أنه رأى رؤيا واحدة. والتوافق في رؤيته أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم يوسف له ساجدين يوحي بنقل الرؤيا الثانية في «سفر التكوين» عن القرآن الكريم لأن

- في مصادرهم القديمة لهذا السفر لم ترد هذه الرؤيا.
- 6 - الادعاء بأن يوسف روى الرؤيتين لإخوته يناقض رواية القرآن الكريم، كما يناقض التسلسل المنطقي للقصة.
- 7 - محاولة تفسير الأحد عشر كوكباً بإخوة يوسف، والشمس والقمر بأبويه منقولة عن القرآن الكريم، لأن سفر التكوين لم يذكر سجود إخوة يوسف ووالده وزوجة أبيه له عند وصولهم إلى مصر، بينما يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُويْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْذُرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾
- [يوسف: 99 - 103].
- 8 - على الرغم من أن ختام قصة يوسف ﷺ يشير إلى أن المقصود بتعبير الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر هم إخوة يوسف وأبوه وإحدى زوجات أبيه، إلا أن توافق عدد إخوته مع عدد كواكب المجموعة الشمسية وذلك باكتشاف الكوكب «سيدنا» (Sedna) في 14/11/2003م، والإعلان عنه في 15/3/2004م، ثم إثبات أن الشمس لا يمكنها جذب أي كوكب بعد الكوكب الحادي عشر الذي يقع على بعد (90) وحدة فلكية عن الشمس، لا يمكن أن يكون أمراً عفوياً بل يمثل ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله.
- 9 - إن رصانة الأسلوب القرآني في عرض هذا الموقف من قصة يوسف في ثلاث آيات فقط، لا يتجاوز عدد كلماتها (55) كلمة في إيجاز ووفاء معجز

إذا قورن بركاكة الأسلوب وكثرة التكرار في صياغة هذا الموقف من قصة يوسف كما عرضها «العهد القديم»، يوضح لكل ذي بصيرة الفرق الشاسع بين كلام الله - تعالى - وكلام البشر. كما يوضح وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن لهذا الموقف وحده من قصة سيدنا يوسف عليه السلام. وهنا يجب التأكيد على أنه لا يمكن الاحتجاج بالدعوى الباطلة عن نقل القرآن الكريم لقصة يوسف عليه السلام عن «سفر التكوين» لأن الفارق بين الروايتين أكبر من أن يوصف بكلمات، وقد عرضنا شيئاً من ذلك في الأسطر السابقة. والحقيقة أن كُتَّاب «سفر التكوين» هم الذين نقلوا عن القرآن الكريم وليس العكس خاصة في أثناء ترجمة هذه السفر إلى اللغة العربية والاستعانة في ذلك بالقرآن الكريم.

والدروس المستفادة من هذا الموقف في حياة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام

تتلخص فيما يلي:

- 1 - الدعوة إلى العفو عن المسيء.
- 2 - اليقين بأنَّ الله - تعالى - قد تكفل بنصرة المظلوم ولو بعد حين.
- 3 - التأكيد على ضرورة الاعتبار بقصص القرآن الكريم.
- 4 - التحذير من الكفر أو الشرك بالله لأن أكثر الناس يقعون في حبائل الشيطان الذي يغويهم بذلك، ممَّا يستوجب نزول عقاب الله في الدنيا قبل الآخرة.
- 5 - التأكيد على أنَّ البشرية تآرجحت عبر تاريخها الطويل بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الاستقامة على منهج الله والخروج عليه.
- 6 - ضرورة القيام بالدعوة إلى دين الله القائم على التوحيد الخالص لجلاله، ونفى الشرك نفيًا كاملاً، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.
- 7 - ضرورة التسليم بوحدة رسالة السماء وبالأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً، وبنبوة الرسول الخاتم عليه السلام، والاعتبار بعقاب المكذبين لرسول الله في كل زمان ومكان.

47 - ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ

وَسَبْعٌ سُئِبَلَتْ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَأْسَتٌ يَأْتِيهَا أَمْلَأُ أَقْتُونِي فِي رُءْيَايَ

إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ [يوسف: 43].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل حدثاً هاماً في سيرة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب ﷺ ، وهي رؤيا ملك مصر التي كان حسن تأويل يوسف لها سبباً في إخراجه من السجن، ثم في كسبه لثقة الملك حتى جعله على خزائن أرض مصر. وهناك التقى يوسف بإخوته في ثلاث رحلات متتابعات، وفي الرحلة الرابعة التقى بأبيه وإخوته وأهله أجمعين، الذين جاؤوا للعيش معه على أرض مصر.

وفي تسجيل القرآن الكريم لهذا الموقف من سيرة النبي الصالح يوسف بن يعقوب وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله ﷻ يشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وإن قيل إن للقصة شبه في «سفر التكوين»، قلنا أن التشابه يؤكد صحة أهل الرواية، ويبقى الفرق شاسعاً بين رواية القرآن الكريم في روعة بيانها، وإعجاز شمولها وإيجازها، ودقة كل إشارة فيها، وبين روايات بشرية منقوصة، ركيكة العبارة، مكررة الكلمات، مليئة بالأخطاء اللغوية والتاريخية، وغير معروفة المصدر ومنعدمة التوثيق.

من الدلالات الإنبائية في الآية الكريمة:

أولاً: في قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ﴾ :

يعجب قارئ القرآن الكريم من وصف حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ بلقب (الملك) الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، بينما جاء وصفه في زمن موسى ﷺ بلقب (فرعون مصر) أو (الفرعون). وقد أورد

القرآن الكريم لقب فرعون أربعة وسبعين (74) مرة في عرض قصة عبد الله ونبيه موسى ﷺ. والسبب في ذلك أن يوسف ﷺ عاش في مصر أيام حكم الهكسوس (أي الملوك الرعاة)، وذلك في حدود الفترة من (1730 ق.م إلى 1580 ق.م). وكان حكام الهكسوس يلقبون بالملوك وليس بالفراعنة، بينما عاش موسى ﷺ في زمن الفراعنة الذين كان منهم رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة المعروف باسم «فرعون الاضطهاد» أو «فرعون التسخير»، الذي حكم مصر في الفترة المقدره بحدود (1301 ق.م إلى 1234 ق.م)، ومات بينما كان موسى في مدين عند أصهاره (شعيب ﷺ وآله). وبعد وفاة رمسيس الثاني خلفه في حكم مصر ولده «مرنبتاح» أو «منفتاح» أو «منفتا» المعروف باسم «فرعون الخروج»، وحكم مصر في حدود الفترة من (1234 ق.م إلى 1224 ق.م)، ومات غارقاً في أثناء مطاردته لعبد الله ونبيه موسى ﷺ كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

عاش عبد الله ونبيه يوسف ﷺ في زمن ملك من العمالقة يعرف باسم «الريان بن الوليد»، كما ذكره مؤرخو العرب، ووجد اسمه منقوشاً على بعض الآثار المصرية القديمة. وكان ذلك في الأسرة الخامسة عشر لدولة «الهكسوس» أو الرعاة في مصر. وكانت السلالة السابقة عليها في حكم مصر، وهي الأسرة الرابعة عشرة من الفراعنة المصريين، الذين حكموا في وادي النيل سنة (2000 ق.م)، بينما كانت السلالة الرعوية المعروفة باسم «شاسو أو الهكسوس»، أي: البدو الرعاة، ينتقلون في شرقي مصر على حدود البادية فيما يعرف اليوم باسم محافظة الشرقية (أرض جاسان في الكتب القديمة)، وكانوا يتكلمون لغة متفرعة عن اللغة العربية، وكانت قريبة جداً منها. وكان الهكسوس يترقبون ضعف الفراعنة ليغزوهم، وكان الفراعنة حريصين على مسالمتهم والاستعانة بهم في حروبهم لشجاعتهم، وشدتهم، وجلدهم، وقوة أبدانهم، شأن البدو في كل العصور. وظل الصراع بين ملوك الرعاة وفراعنة مصر حتى سنحت الفرصة لهؤلاء الرعاة بالانتصار عليهم، فاستولوا على دلتا مصر وحكموها باسم «ملوك الهكسوس» في أثناء فترة

الاضطرابات والفتن التي سادت في أواخر عهد الأسرة الرابعة عشر. استعمر «الهكسوس» الوجه البحري كله وبعض أجزاء من صعيد مصر، واستولوا على مدينة (منف أو منفيس) وولّوا على الأراضي التي احتلوها ملكاً من بينهم. ونتيجة لذلك انحسر حكم الفراعنة إلى جنوب مصر، الذي كانت عاصمته مدينة طيبة (الأقصر)، بينما حكم الهكسوس أغلب شمال مصر، ودامت سيطرتهم عليه لنحو خمسة قرون. ثم قام الفراعنة بإسقاط حكم «الهكسوس» في حدود أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد، وعاد الفراعنة لحكم كل من شمال وجنوب مصر من جديد، موحدين أرض مصر تحت حكمهم مرة ثانية.

وفي فترة دخول عبد الله ونبيه يوسف ﷺ إلى أرض مصر كانت «مملكة الهكسوس» في دور انحسارها فتقلصت مساحتها إلى مثلث تألفت رؤوسه من «مينا القمح» و«بوسطة» القريبة من مدينة «الزقازيق»، وبلدة «صان الحجر». ولم يجد يوسف ﷺ صعوبة في التحدث مع «الهكسوس» الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغته. وهنا تأتي أولى ومضات الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة التي نحن بصددنا في قول ربنا - تبارك وتعالى -: «وقال الملك...» ولم يقل: «وقال الفرعون»، لأن يوسف ﷺ لم يعمل لدى أحد من فراعنة مصر، الذين كان ملكهم في زمن وجوده بمصر قد انحسر إلى جنوب البلاد، وكانت عاصمتهم طيبة (الأقصر)، كما سبق وأن أشرنا، وكانت لغتهم هي الهيروغليفية (المصرية القديمة) التي لم يكن يوسف ﷺ يعرفها.

وهذا الوصف الدقيق لحاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ بوصف «الملك» هو من الأدلة الناطقة على الدقة المطلقة لكل حرف، وكلمة، وآية أوردتها القرآن الكريم. وهذه الدقة القرآنية تتحقق لكل قاعدة عقدية، أو أمر تعبدية، أو دستور أخلاقي، أو تشريع سلوكي، أو خبر تاريخي، أو إشارة علمية، أو خطاب إلى النفس الإنسانية أو غير ذلك من القضايا المحكمة التي جاءت في ثنايا آياته. ومن الثابت أن رسول الله ﷺ بعث خاتماً للأنبيا والمرسلين في سنة (610م)، أي

بعد أكثر من (2200 سنة) من وفاة أخيه يوسف بن يعقوب عليه السلام ، فمن غير الله الخالق تعالى يمكن أن يكون قد أخبره بتفاصيل قصة يوسف عليه السلام بهذه الدقة والشمول، والإيجاز المعجز دون ترك شيء من أساسياتها؟ وإن قيل إنه كان لليهود بعض الجيوب في الجزيرة العربية على عهده عليه السلام فإن التاريخ يثبت أن غالبية هؤلاء اليهود كانوا من البدو الذين لم يكونوا على قدر كافٍ من الثقافة الدينية أو الدنيوية، وكانت صحفهم قد تعرضت للكثير من التغيير، وإن بقيت بها بعض بقايا الحق القديم.

ثانياً: في قوله - تعالى - على لسان ملك مصر: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ حُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسِئْتُ﴾:

هذه الرؤية المنامية رأها ملك مصر على عهد يوسف عليه السلام. وكان المصطفى عليه السلام لا يحسن القراءة أو الكتابة، وكان ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى ومنها ألا يصدق على هذا الرسول الخاتم دعاوى النقل عن كتب السابقين، وفي ذلك يقول له ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِمِصْرِكَ إِذَا لِأَرْتَابِ الْمُطَّلُونِ﴾ [48].

والمتتبع لقصة النبي يوسف عليه السلام، كما جاءت في القرآن الكريم يدرك بوضوح وحدة رسالة السماء المنطلقة من وحدانية الخالق تعالى، كما يدرك دقة حفظ الوحي السماوي في صورته الخاتمة كما جاءت في القرآن الكريم الذي تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظه، فحفظ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه - اللغة العربية -، وسيظل محفوظاً كذلك إلى ما شاء الله، تحقيقاً لوعده الذي قطعه على ذاته العلية. فقال - عزَّ من قائل -: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [9].

ثالثاً: في قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي رُءُوبِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾:

إن اختيار القرآن الكريم للفظ (الملا) في هذا النص يعتبر من معجزاته البيانية

والإنبائية، وذلك لأنه من المسلمات أنه لا يوجد ملك بدون حاشية. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحاشية بتعبير (الملاء)، أي الجماعة، وجمعه (أملاء)، و(الملاء) جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون بمجرد الاستماع إليهم، أو هم على قدر من الهيبة بحيث يملأون العيون بمجرد النظر إليهم. وعلى ذلك يكون (ملاً) هنا بمعنى مالىء أو مليء أو مملوء، لأن لفظة (ملاً) لا تطلق إلا على النخبة المختارة من مثل الحاشية التي تختار لبلاط الملوك بدقة كبيرة من العلماء، والحكماء، والأدباء، وأهل الرأي. ومن المنطقي أن يتوجه الملك أول ما يتوجه بالسؤال إلى خاصته وحاشيته في كل أمر من الأمور التي تعرض له، ولذلك قال - تعالى - على لسان ملك مصر: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٌ فِي رُؤْيَىٰ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: 43].

وعلى النقيض من ذلك فقد جاء في رواية «العهد القديم» أن الملك استدعى «جميع سحرة مصر وكل حكمائها» والسحرة ليسوا من الملاء، ولا من الحكماء، وهنا يتضح الفارق بين كلام الله ﷻ وكلام البشر.

وهذه الرؤية المنامية لملك مصر جاءت إشارة لها في «سفر التكوين»، وتصفها الترجمة العربية «للعهد القديم» على النحو التالي:

أحلام فرعون:

وبعد انقضاء سنتين رأى فرعون حلمًا، وإذا به واقف بجوار نهر النيل، وإذا بسبع بقرات حسان المنظر وسمينات الأبدان صاعدات من النهر أخذت ترعى في المروج، ثم إذا بسبع بقرات أخرى قبيحات المنظر وهزيلات تصعد وراءها من النهر وتقف إلى جوار البقرات الأولى على ضفة النهر، والتهمت البقرات القبيحات البقرات السبع الحسنات المنظر والسمينات. وأفاق فرعون ثم نام، فعلم ثانية، فإذا بسبع سنابل نابثة من ساق واحدة زاهية وممتلئة، ثم رأى سبع سنابل عجفاء قد لفحتها الريح الشرقية نابثة وراءها، فابتلعت السنابل العجفاء السبع السنابل الذهبية الممتلئة. وأفاق فرعون، وأدرك أنه حلم. ولما كان الصباح استولى

الانزعاج على فرعون فأرسل واستدعى جميع سحرة مصر وكل حكمائها، وسرد عليهم حلمه، فلم يجد من يفسره له. عندئذ قال رئيس السقاة لفرعون: إني أذكر اليوم ذنوبي. لقد سخط فرعون على عبديه، فزجني ورئيس الخبازين في معتقل بيت رئيس الحرس. فحلم كل منا حلماً في نفس الليلة، وكان تفسير كل حلم يتفق مع أحوال رائيه. وكان معنا هناك غلام عبراني، عبد لرئيس الحرس، فسررنا عليه حلمينا ففسّرهما لكل منا حسب تعبير حلمه. وقد تم ما فسره لنا. فردني فرعون إلى وظيفتي وأما ذاك فعلقه (على خشبة)».

وبمقارنة رواية القرآن الكريم لتلك الواقعة من سيرة عبد الله ونبيه يوسف عليهما السلام وما جاء عنها في «العهد القديم» ندرك الفوارق التالية:

- (أ) روعة البيان القرآني في إيجاز وشمول معجزين، وركاكة رواية «العهد القديم» مع التكرار المخل والقصور وعدم الشمول.
- (ب) الدقة الفائقة في الرواية القرآنية والأخطاء العديدة في رواية «العهد القديم»، ومن ذلك.

1 - إشارة القرآن الكريم إلى حاكم مصر في زمن النبي المكرم يوسف بن يعقوب بلقبه الصحيح وهو لقب (الملك) الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، والإشارة إليه في رواية «العهد القديم» بلقب الفرعون «سبع مرات» والتاريخ يؤكد أن الفراعنة لم يحكموا مصر في زمن يوسف عليه السلام بل كان حكامها من الملوك الرعاة المعروفين باسم «الهكسوس».

2 - وصف رواية «العهد القديم» ليوسف عليه السلام بوصف «غلام عبراني»، وقد ذكر في أول القصة أن عمره كان سبع عشرة سنة عندما رماه إخوته في البئر، ثم لبث عدة سنوات في بيت عزيز مصر، ثم بعد سنتين في السجن كما تقول رواية العهد القديم، بقي غلاماً!!!.

3 - ذكر رواية «العهد القديم» أن السنابل العجفاء السبع ابتلعت السنابل الزاهية الممتلئة، وهو ما لا يقبله منطق، حتى في رؤيا منامية.

4 - ذكر النص في «سفر التكوين» أن الملك استدعى جميع سحرة مصر، وكل حكمائها، والسحرة ليسوا من الحكماء ولا يستطيعون الإفتاء في مثل هذه القضية.

(ج) إن التشابه بين الروایتين يؤكد أن للقصة أصلاً واحداً، كما يؤكد الفارق الكبير بين كلام رب العالمين في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية كما هو محفوظ في القرآن الكريم، وبين رواية ظلت تنقل مشافهة من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون متتالية حتى تم تدوينها بعد أكثر من ثمانية قرون من وفاة الرسول الذي تلقى الوحي بها وهو موسى ﷺ. وبعد تلك القرون الطويلة دوّنت القصة في لغة غير لغة الوحي الذي أنزلت فيه، وكتبت بأيدي مجهولين ممن هم ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين فتعرضت الرواية لهذا القدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الأصلي، فجاء القرآن الكريم ليثبتها.

وبهذه الفوارق الواضحة التي تؤكد لكل ذي بصيرة أن رواية القرآن الكريم لم تنقل عن «العهد القديم» كما يدّعي المدّعون بناءً على قدر من التشابه بين الروایتين.

48 - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل بداية تفسير عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام لرؤيا ملك مصر فقال: تزرعون سبع سنين متتالية، دائبين بجذ وعزيمة، وهي السنوات السبع المخصبة المرموز لها بالبقرات السبع السمان في رؤيا الملك. ثم يضيف قوله: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ أي: فما حصدتم من محاصيل تلك السنوات السبع المخصبة فذروه في سنبله (أي: فاتركوه) في سنابله وذلك لحفظه من التسوس ومن المؤثرات الجوية، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ [47] أي: إلا ما أردتم أكله فادرسوه لتجريده من سنابله، وليكن ذلك في أقل الحدود الممكنة، واحتفظوا بالبقية للسنوات المجذبة القادمة المرموز لها بالسبع البقرات العجاف في رؤيا ملك مصر، والتي عبرت عنها الآيات بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ [48] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاتُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [49]. [يوسف: 48، 49].

ومن معنى هذه الآيات أنه سيأتي بعد سني الرخاء السبع هذه، سبع سنين عجاف أي مجذبات شديدة القحط، لا زرع فيهن، تأكلون فيهن مما ادخرتم من محاصيل السنين السبع السابقة التي كانت شديدة الخصوبة. وكأن هذه السنوات السبع الشداد هي التي تأكل بذاتها كل ما تم ادخاره من قبل لشدة جفافها وقحطها، إلا قليلاً مما تحفظونه وتصنونه لكل من الطعام والزراعة.

ثم بعد سني القحط والجذب السبع العصبية تلك، يأتي عام رخاء كثير الخير، غزير النعم يغاث الناس فيه بوفرة الماء، وازدهار الزراعة، والبركة في المحاصيل حتى تفيض عن حاجة الطعام المباشر فيعصرون ما يقبل الاعتصار منه شراباً كالأعناب، وزيتاً كالزيتون، والسمسّم وغيرها. وعام الرخاء الخامس عشر

هذا لم ترد له إشارة في رؤيا ملك مصر، فلا بد وأن يكون مصدره وحي السماء الذي منَّ الله - تعالى - به على عبده ونبيه يوسف ﷺ فبشر به موفد الملك ليبشره وشعب مصر بالخلاص من سنوات الجذب السبع العجاف، وبالسنبلات السبع اليابسات.

وإشارة القرآن الكريم إلى واقعة تاريخية أصابت أرض مصر من قبل اثني عشر قرناً من بعثة المصطفى ﷺ، وبهذه الدقة البالغة التي أيدتها الدراسات الأثرية، وجاء ذكرها في «العهد القديم» مما يشهد لتلك الآيات (47 - 49) من سورة «يوسف» ﷺ بأنها وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. ويتضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز في كتاب الله بشكل أوضح إذا ما قورنت الآيات تلك بما جاء عن نفس الواقعة في «سفر التكوين»، وهو أول أسفار «العهد القديم». فقد جاء في «سفر التكوين» إشارة إلى تفسير يوسف لرؤيا ملك مصر تحت العنوان: «يوسف يفسر أحلام فرعون» جاء فيه ما يلي: فقال يوسف لفرعون: «حلما فرعون هما حلم واحد، وقد أطلع الله فرعون عما هو فاعل. السبع البقرات الحسان هي سبع سنوات، والسبع السنابل الزاهيات هي أيضاً سبع سنوات. فالحلمان هما حلم واحد. والسبع البقرات القبيحات الهزيلات التي صعدت وراءها هي سبع سنوات. والسبع السنابل الفارغات الملفوحات بالريح الشرقية ستكون سبع سنوات جوع، والأمر هو كما أخبرت به فرعون: فقد أطلع الله فرعون عما هو صانع هو ذا: سبع سنين رخاء عظيم قادمة على كل أرض مصر، تعقبها سبع سنوات جوع حتى ينسى الناس كل الرخاء الذي عمَّ أرض مصر، ويتلف الجوع الأرض، ويختفي كل أثر للرخاء في البلاد من جراء المجاعة التي تعقبه، لأنها ستكون قاسية جداً، أما تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر قد حتمه الله، ولا بد أن يجريه سريعاً».

والتشابه بين النصين يؤكد حقيقة الواقعة، ويشهد للآيات القرآنية الكريمة (47)

– 49 من سورة يوسف) بالإعجاز الإنبائي والتاريخي، ويبقى الفارق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار.

ويمكن تلخيص الفارق بين النص القرآني ورواية «سفر التكوين» في النقاط التالية:

- 1 – روعة البيان القرآني في إيجاز وشمول معجزين في مقابلة ركافة أسلوب «سفر التكوين» في تكرار محل وأخطاء لغوية وتاريخية عديدة.
- 2 – استخدام القرآن الكريم لتعبير (رؤيا) واستخدام سفر التكوين تعبير (حلم)، (الرؤى) هي حالة استشفاف تتجاوز حاجزَي المكان والزمان معاً، فتحمل نبوءات عن المستقبل القريب أو البعيد كما حدث في رؤى كل من يوسف عليه السلام ورؤى صاحبيه في السجن، ورؤيا ملك مصر. أما (الأحلام) فهي صور من الرغبات المكبوتة تظهر للنائم في حالة من حالات عدم الوعي، ولا علاقة لها بالتنبؤ المستقبلي في المكان أو الزمان، أو فيهما معاً.
- 3 – استخدام القرآن الكريم وصف حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام بلقب «الملك» الذي جاء خمس مرات في سورة «يوسف»، واستخدام سفر التكوين لقب «الفرعون» الذي جاء عشرات المرات في سرده لقصة يوسف، والتاريخ يؤكد أنه عليه السلام سكن مصر في زمن ملوك البدو الرعاة الذين عرفوا باسم «الهكسوس» أو «شاسو» والذين لم يستخدموا لقب «فرعون» على الإطلاق، وكانوا يستخدمون لغة قريبة من اللغة العربية كان الساميون يفهمونها.
- 4 – يسجل القرآن الكريم أن تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا ملك مصر كان لكبير سقاة الملك، الذي نقل تعبير الرؤيا للملك، ولم يكن ذلك التعبير من يوسف للملك مباشرة، ويقول «سفر التكوين» أن الكلام كان مباشرة من يوسف إلى الفرعون، وكرر ذلك أكثر من مرة.
- 5 – يسجل القرآن الكريم أن رؤيا ملك مصر كانت واحدة، بينما يذكر سفر

التكوين حلمان لفرعون جعلهما حلماً واحداً، وذكر أن التكرار كان للجزم، والحثم، والتوكيد.

6 - ركافة أسلوب «سفر التكوين» توحى بمضاعفة كل من سنوات الرخاء وسنوات القحط إلى ضعف أعدادها أي: إلى أربعة عشر سنة بدلاً من كونها سبع سنوات فقط لكل من حالتي الرخاء والشدة.

7 - لم يذكر سفر التكوين شيئاً عن العام الذي يغاث الناس فيه ويعصرون، كما جاء وصفه في القرآن الكريم.

وهذه الفوارق تنفي الدعوى الباطلة بأن القصص القرآني منقول عن نظيره في «العهد القديم»، كما تؤكد الدقة الفائقة للرواية القرآنية عن تفسير عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام لرؤيا ملك مصر، بل وتؤكد قصة يوسف كاملة كما جاءت في كتاب الله. وأغلب الظن أن الكتاب المتأخرين «لسفر التكوين» قد نقحوا القصة المنقولة عندهم شفاهاً عبر ثمانية قرون أو يزيد؛ مستفيدين بما جاء عنها في القرآن الكريم، وليس العكس.

جاءت الآية الكريمة التي نحن بصددنا إلهاماً من الله ﷻ لنبيه يوسف عليه السلام لكي ينصح ملك مصر بخزن المحاصيل الزراعية كالقمح والشعير، والأرز، والشوفان في سنابلها، وقد أثبتت التجربة أنه أفضل نظام لحفظ تلك المحاصيل مهما طالت مدة ذلك الحفظ. وقد طبق يوسف عليه السلام هذه الطريقة لحفظ الغلال لمدة وصلت إلى خمس عشرة سنة دون أن تفسد، وبقيت طوال هذه المدة محافظة على قيمتها الغذائية كاملة، وعلى حيويتها، وقدرتها على الإنبات والنمو والإثمار.

ولقد قام الأستاذ الدكتور عبد المجيد بلعابد - من جامعة وجدة بالمغرب العربي - بتجربة عملية للتأكد من ذلك فترك حبوب القمح في سنابلها لمدة عامين تحت ظروف عادية لم يراعَ فيها أية شرط من شروط تخزين الحبوب، ووجد بعض الحبوب من سنابلها وتركها أيضاً تحت نفس الظروف ولنفس المدة الزمنية. ثم بدراسة هذين المخزونين من حبوب القمح لاحظ أن الحبوب في السنابل لم يطرأ

عليها أي تغيير، لا في محتواها من المواد الغذائية ولا في قدرتها على الإنبات، سوى فقدتها لجزء من محتواها المائي مما جعلها أكثر جفافاً وأصلح للحفظ وللإنبات لأن وجود الماء يسهل من تعفن القمح، خاصةً وأن نسبة الماء في بذوره تصل إلى (20.3%).

في نفس الوقت لاحظ الباحث أن حبوب القمح التي جرّدت من سنابلها فقدت (20%) من محتواها من المواد البروتينية بعد سنة من تخزينها، وفقدت (32%) من هذا المحتوى بعد سنتين. كما لاحظ أنها فقدت نسبة كبيرة من قدرتها على الإنبات والنمو الإثمار. وبذلك ثبت بالتجربة أن أفضل طريقة لتخزين المحاصيل النباتية التي تنتج في سنابل هو حفظها في سنابلها التي خلقها الله - تعالى - فيها. وهذا هو الوحي الذي أوحاه الله تعالى - إلى نبيه يوسف عليه السلام. ولا يزال القمح يخزن في أيامنا هذه مفروطاً من سنابله ومجمعاً فيما يعرف باسم «صوامع الغلال» مما يعرضه لفساد كبير عند خزنه لمدد طويلة، على الرغم من الاحتياطات الكثيرة التي تتخذ في صوامع ومخازن الغلال.

ويا ليت المسلمين يتعلمون من قصة سيدنا يوسف عليه السلام كيف يخزنون محاصيلهم من الحبوب في سنابلها حتى يحفظوها لأطول مدد ممكنة دون أن تفقد شيئاً من محتواها الغذائي أو من قدرتها على الإنبات.

49 - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتَبَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100].

من معاني هذا النص القرآني الكريم أن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ حين دخل عليه أبوه النبي الكريم يعقوب بن إسحاق ﷺ وأبناؤه وأهلهم بعد وصولهم إلى أرض مصر، فإن يوسف سارع بإجلاس أبيه على سرير الملك، ثم سجد له كل من أبيه، وزوجة أبيه وإخوته، سجد تحية وإكرام، لا سجد خضوع وعبادة، لأن العبادة لا تكون لغير الله - تعالى - . ولا بد أن هذا المعنى كان واضحاً عندهم جميعاً لأن كلاً من يوسف وأبيه كانا نبيين كريمين، ومن نسل نبيين كريمين هما - إسحاق وإبراهيم - عليهم جميعاً من الله السلام، فلا تغيب عنهم ضرورة إفراد الله - تعالى - وحده بالعبادة، وهم جميعاً قد حملوا لواء الدعوة إلى توحيد الله. وكان لقاء يوسف ﷺ بأسرته بعد هذه الغيبة الطويلة عنهم موقفاً فريداً في حياته، وفي حياة أبيه وإخوته، بعد فراق دام لعدد طويل من السنين التي امتلأت بالأحداث الجسام، كما امتلأت بالابتلاءات والآلام، خاصة لكل من يوسف وأبيه ﷺ. وعلى ذلك فلا بد وأنه كان لقاءً حافلاً بالعواطف والمشاعر والانفعالات الظاهرة والخفية، مما لا تقدر الكلمات على وصفه.

ووسط هذه المشاعر المتلاطمة، يتذكر يوسف ﷺ الرؤيا التي رآها في صباه من قبل عشرات السنين، فيخفق قلبه، استشعاراً لنعم الله - تعالى - عليه، وهو يرى تأويل رؤياه أمراً واقعاً بين يديه، متمثلاً في سجد كل من إخوته ووالديه أمامه، فيتذكر الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر وقد رآهم له ساجدين فينطق بكلمة الحق التي سجلها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتَبَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ
 قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ [يوسف: 100، 101].

وتنتقل الآيات بعد ذلك بتوجيه الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ
 مؤكدة وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم لقصة
 يوسف ﷺ ولقد كانت في زمن الوحي من أبناء الغيب. فلم يكن رسول الله ﷺ
 ولا أحد من أهل مكة، ولا من أهل الجزيرة العربية، ولا من أهل الأرض جميعاً
 يتذكر شيئاً عن تفاصيل تلك القصة، على الرغم من أن اليهود كانوا قد احتفظوا
 برواية عنها من التراث الشعبي الذي اختلطت فيه الخرافة بشيء من الواقع. وظلت
 القصة تتناقلها أفواه اليهود لأكثر من ثمانية قرون قبل تدوينها، الذي ظل يتعرض
 للتفتيح والتطوير حتى اليوم الراهن. لذلك يتضح النقل عن القرآن الكريم في بعض
 فقرات رواية «سفر التكوين» كما سبق وأن أشرنا، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:
 ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا
 أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا تَسَاءَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٢٥﴾
 وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٢٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ
 تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا
 وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
 إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٢٩﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا
 أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ فَضْرًا فَنُجِيَ مِنَ الشَّأْنِ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣٠﴾ لَقَدْ
 كَانَتْ فِي قِصَّتِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾ [يوسف: 102 - 111].

ويلتقي هذا الختام الرائع لسورة «يوسف» مع بدايتها التي يوجه فيها الحق

- تبارك وتعالى - الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ
الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: 1 - 3].

و(أكر) من الحروف الهجائية المقطعة التي جاءت في مطلع ثمانية وعشرين من سور القرآن الكريم لتشهد لهذا الرسول الخاتم بالنبوة وبالرسالة، لأنه ﷺ كان أمياً، والأمي لا يعرف أسماء الحروف العربية، وإن نطق بها. كما تشهد هذه المقطعات للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه - اللغة العربية -، على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهده بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله البالغة على الناس أجمعين إلى أن يشاء الله رب العالمين ولذلك قال - تعالى -: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: 1، 2] أي: أن هذه الأحرف من حروف الهجاء العربية، المعروفة للناطقين بها تنبني منها آيات القرآن الكريم. وقد عجز كل من الإنس والجن - فرادى ومجتمعين - على أن يأتوا بشيء من مثله. والقرآن الكريم أنزله الله - تعالى - كتاباً عربياً لعل العرب أن يعقلوه، فيقيمونه دستوراً لهم، ونظاماً شاملاً كاملاً لحياتهم، حتى يضرّبوا بتطبيقه الصحيح المثل لغيرهم من الأمم أن القرآن الكريم يصنع من البشر - أفراداً ومجتمعات - نماذج أفضل للبشرية، فيكون في ذلك دعوة عملية إلى الالتزام بدين الله الذي لا يرتضي من عباده ديناً سواه.

ومن معاني استخدام لفظة «العقل» هنا هو إدراك أن القرآن المعجز في كل أمر من أموره لا يمكن إلا أن يكون وحيّاً من لدن رب العالمين، لأن طاقات الثقلين مجتمعة لا تقوى على الإتيان بشيء من مثله. وأتبع ربنا - تبارك وتعالى - ذلك بتوجيه الخطاب إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف: 3]. وذلك يؤكد أن قصص القرآن الكريم - ومنه قصة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب عليه السلام يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، لأن البشر لا يملكون تلك التفاصيل الدقيقة عن القصص العديدة التي أوردها ذلك الكتاب العزيز.

ومن معاني قوله - تعالى - : ﴿وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: كنت أحد الأعمىين في قومك الذين لم يكن لهم إدراك بشيء من التفاصيل الدقيقة التي جمعها القصص القرآني حتى تبقى - إلى آخر الزمان - شاهدة له بأنه بيان من رب العالمين.

والتقاء مطلع سورة «يوسف» مع ختامها يؤكد أن القصة لم تكن متداولة في الوسط الذي نشأ فيه رسول الله ﷺ، وأن فيها من دقائق الأمور ما لم يعلمه إلا الذين عايشوها قبل أكثر من عشرين قرناً من بعثة الرسول الخاتم. من هنا لا يمكن أن يكون لرواية القرآن الكريم عن تلك التفاصيل الدقيقة من مصدر غير وحي السماء، لأنها كانت في ذلك الوقت من أمور الغيب الذي لا يعلمه أحد من معاصري الوحي بالقرآن الكريم.

وكان من أهداف الوحي القرآني بتفاصيل قصة عبد الله ونبيه يوسف عليه السلام ما

يلي:

1 - التثبيت لرسول الله ﷺ في وقت الشدائد التي واجهها من كفار ومشركي قريش، خاصة بعد وفاة كل من زوجته الوفية أم المؤمنين السيدة خديجة وعمه أبو طالب، وبعد تخلي أهل الطائف عن مناصرته.

2 - الشهادة للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين وإن قال قائل بأن «سفر التكوين» يحوي طرفاً من قصة يوسف عليه السلام، قلنا له إن هذا يؤكد صحة القصة وأصلها الواحد، وإن كان مجرد المقارنة بين سورة «يوسف» في القرآن الكريم، وما جاء عنها في «سفر التكوين» يوضح الفارق بين كلام الله

وتراث البشر. كما يوضح كيف نقل المتأخرون من كاتبي «العهد القديم» الكثير من رواياتهم عن القرآن الكريم. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن واقعة سجود والدي يوسف وإخوته له لم ترد أبداً في «العهد القديم»، ولكنهم استعاروها من القرآن الكريم، ووضعوها في أول القصة التي أوردوها تحت عنوان: «حلم يوسف وحسد إخوته» والتي جاء فيها ما يلي: «... ثم حلم حلاماً آخر سرده على إخوته، قال: حلمت حلاماً آخر إذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي، وقصه على أبيه وإخوته، فأنبه أبوه وقال: أي حلم هذا الذي حلمته؟ أتظن حقاً أنني وأمك وإخوتك سنأتي وننحني لك إلى الأرض؟ فحسده إخوته. أما أبوه فأسر هذا الكلام في قلبه».

والنقل عن القرآن واضح وضوح الشمس، وتأويل يعقوب للرؤيا في أول الأمر تزييف واضح للحقيقة المنقولة عن القرآن الكريم.

فمن الثابت تاريخياً أن الكنيسة الأمريكية أوفدت المستشرق والطبيب الأمريكي الجنسية، والهولندي الأصل، فان ديك [Van Dyck, c. (1895- 1818)] والذي كان أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية في بيروت، وعمل أستاذاً بجامعة أمريكا من أجل ترجمة العهدين القديم والجديد إلى اللغة العربية. وقد اشترك معه في القيام بهذا العمل عدد من قيادات الكنيسة اللبنانية كان على رأسهم الأديب اللبناني فارس يوسف الشدياق أحد رواد الصحافة العربية الذين تميزوا بمقدرة كبيرة على إتقان اللغة العربية. وأثناء القيام بعملية الترجمة «للعهدين القديم والجديد» لاحظ الأستاذ الشدياق كثرة الأخذ من القرآن الكريم، والاعتماد عليه في تصحيح العديد من الوقائع والقصص في هذين العهدين. وبعد ختمه لقراءة القرآن الكريم أسلم وهاجر إلى تركيا وغير اسمه إلى أحمد فارس الشدياق (1804 - 1888م) رحمه الله رحمة واسعة (أمين).

تاسعاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه شعيب عليه السلام

جاء ذكر شعيب عليه السلام في القرآن الكريم إحدى عشرة (11) مرة في أربع (4) من سور هذا الكتاب العزيز (هي «الأعراف»، «هود»، «الشعراء»، و«العنكبوت»). وجاء ذكر قومه ست (6) مرات في ست من سور القرآن الكريم بوصف (مدين) أو (أصحاب مدین) أو (أصحاب الأيكة) وهي شجرة عبدوها من دون الله. و(الأيكة) في الأصل هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر، وجاء ذلك في كل من سورة «التوبة»، «طه»، «الحج»، «الشعراء»، «ص»، «ق». ومن هذه الآيات ما يلي:

﴿وإلى مدین آخاهم شعيباً قال یقوموا عبدوا الله ما لكم من إله غیره قد جاءکم بینه من ربکم فأوفوا الکیل والیزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فی الأرض بعد إصلاحها ذالکم خیر لکم إن كنتم مؤمنین ﴿٨٥﴾ ولا تقعدوا بكلی صراطی توعدون وتصدون عن سبیل الله من آمن به واتبعونها عوجاً وأذکروا إذ كنتم قلیلاً نكذرتکم وأنظروا کیف كان عقبة المفسدین ﴿٨٦﴾ وإن كان طایفة منکم ءامنوا بالذی أرسلت به وطایفة لمریضوا فأصبروا حتی یحكم الله بیننا وهو خیر الحكمین ﴿٨٧﴾ قال الملأ الذین استکبروا من قومه لنخرجک یسمعیه والذین ءامنوا معک من قریتنا أو لنعودن فی ملیتنا قال أولو کنا کرهین ﴿٨٨﴾ قد افترنا علی الله کذباً إن عدنا فی ملیکم بعد إذ بجننا الله منها وما یکون لنا أن نعود فیها إلا أن یشاء الله ربنا وسیع ربنا کل شیء علماً علی الله توکلنا ربنا أفصح بیننا وبن قومی بالحق وأنت خیر الفریقین ﴿٨٩﴾ وقال اللأ الذین کفروا من قومی لئن اتعتم شعیباً إنکم إذا لخیرون ﴿٩٠﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فی داریهم جنحین ﴿٩١﴾ الذین کذبوا شعیباً کان لهم یعتوا فیها الذین کذبوا شعیباً کانوا هم

الْخَسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَسْتُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

[الأعراف: 85 - 93].

ومنها قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَاقَوْمِ أَتُوفُّوهُمُ الْأَمْزَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُيْ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَتٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُلَاقِيَكُمْ إِلَّا مَا أَنهَلِكُمْ عَنْهُ إِن آُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ نِئْلٌ مَّا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُيْ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَاقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَجِلُّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَ لَرَّ يَفْنُو فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

[هود: 84 - 95].

ومنها قوله - تعالى -:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْتَوْنُ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ أَتُوفُّوهُمُ الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٤﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ

وَالْجِلَّةَ الْأُولَى ﴿٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَسْقَطْ عَلَيْنَا كِفَاةً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾

[الشعراء: 176 - 191].

وقوله ﷻ:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

[العنكبوت: 36، 37].

ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة يتضح أنّ كلاً من الأفراد والأمم يشقى شقاءً مرهقاً إذا فقد الفهم الصحيح لرسالته في هذه الحياة. وهذه الرسالة مضمونها أن يعيش الفرد من بني آدم: عبداً لله، خلقه ربنا - تبارك وتعالى - لرسالة محددة ذات وجهين: أولهما: الإيمان بالله الخالق الباري المصور وعبادته بما أمر، وثانيهما: حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها. والإنسان إذا لم يفهم هذه الرسالة، أو إذا فهمها ثم أغوته شياطين الإنس والجن بالخروج عليها فإنه يشقى في هذه الأرض ويشقى غيره، ويكثر من الإفساد فيها حتى يأتي أمر الله بتدميره، واسترجاع نفسه، ليحاسبه أدق الحساب، وقد خسر الدنيا والآخرة.

وعلى الرغم من تكرار هذا الدرس عبر تاريخ البشرية الطويل فإن قوم شعيب - كغيرهم من الأمم الضالة الفاسدة - لم يعتبروا به!! فبعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبية شعيباً ﷻ يدعوهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وإلى تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وإلى الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه. وذلك لأنّ من هذه العقيدة الصحيحة تنبثق قواعد العبادة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، وضوابط المعاملات العادلة، وكلّها لا تستقيم إلا

بعبادة الله وحده
والتوجه به
في كل شأن

باستقامة العقيدة. وأهل مدين - كغيرهم من الأمم الضالة - لم يفسدوا إلا بفساد عقيدتهم. من هنا بدأ شعيب عليه السلام بدعوتهم إلى تصحيح عقيدتهم في الله، وإلى إفراذه عليه السلام بالألوهية، وإلى الدينونة له وحده. واستصحب شعيب في دعوته لقومه تذكيرهم بنعم الله - تعالى - عليهم، وتحذيرهم من عقاب الأمم الضالة المشركة والمفسدة في الأرض من قبلهم. كذلك طالبهم شعيب بعدم محاولة فتنة المؤمنين عن دينهم، وذلك لأنهم لم يكتفوا بكفرهم وإفسادهم هم، بل كانوا يجلسون على الطرقات ليصدوا كل من قصد شعيباً ليعلم إيمانه بما جاء به، بدعوى أنه كاذب مسحور، فإن لم يستجب هؤلاء لهم كانوا يتهددونهم بالقتل أو يخيفونهم بمعاقتهم بالإبعاد عن أرضهم. فحتى مجرد التعايش مع أهل الإيمان رفضه الكفار من قوم شعيب. فقد كانوا طواغيت، لا يرضيهم أن يكون للإيمان وجود على سطح الأرض، لأن أهل الباطل لا يمكنهم التعايش مع أهل الحق أبداً. وعند هذه النقطة من تحدي أهل الباطل لأهل الحق راحوا يطالبون نبيهم بأن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين، ويتحدونه بإنزال غير ذلك من صور عذاب الله الذي تهددهم بنزوله. فدعا شعيب ربه أن يهلك الكافرين من قومه الذين هدّوه بالإخراج من أرضه إذا لم يرتد عن دينه، فأوحى الله - تعالى - إليه أن يخرج مع الذين آمنوا بدعوته من هذه القرية الظالم أهلها. خرج شعيب والذين آمنوا معه، وجاء أمر الله بإنزال عقابه الذي قضى على الظالمين من أهل مدين (أصحاب الأيكة) وجعلهم عبرة للذين جاؤوا من خلفهم إلى يوم الدين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمًا﴾ [٩٤]

[هود: 94].

ويقال إن عبد الله ونبه شعيباً كان من نسل إبراهيم عليه السلام، وأن الله - تعالى - بعثه إلى «أهل مدين» الذين كانوا يقطنون المنطقة المحصورة بين نهاية خليج العقبة والطرف الشمالي من البحر الأحمر.

وكان «أهل مدين» عرباً مسلمين موحدين على ملة إبراهيم عليه السلام، وكانوا أصحاب

زراعة وافرة الثمار، وتجارة واسعة الانتشار، وعاشوا في رغد من الحياة كان يغبطهم عليها الكثيرون من جيرانهم. ثم اغتالت الشياطين بعض أجيالهم، فأخرجتهم من التوحيد إلى الشرك، ومن عبادة الله - تعالى - وحده إلى عبادة الأيكة، ومن الاستقامة في السلوك والمعاملات إلى الانحراف في كل شيء. ونتيجة لذلك تفشت المنكرات في أهل مدين وشاعت بينهم المظالم العديدة التي كان منها الغش في التجارة والصناعة، والإفساد في الأرض حتى قطعوا الطريق وأخذوا المكوس والعشور، ورؤعوا المارة، وأخافوهم، وطففوا المكيال، والميزان، وبخسوا الناس حقوقهم، فاستزادوا في الأخذ، وأنقصوا في العطاء. ولما تفاقم السوء في أهل مدين بعث الله - تعالى - إليهم عبده ونبيه شعيباً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وإلى تنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وأمرهم بالعدل بين الناس، ونهاهم عن الظلم، وتوعدهم على خلاف ذلك، كما دعاهم إلى ترك السلوكيات الهابطة (التي كانوا قد غرقوا فيها إلى الآذان) وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، والاستعداد ليوم الحساب، فما آمن معه إلا قليل.

وحذر النبي شعيباً قومه من مصائر العصاة والجاحدين من الكفار والمشركين من أبناء الأمم السابقة عليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانه: ﴿وَيَقُولُ لَا يَحْرِمَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنكُمْ يَبْعِدُونَ﴾ [٨٩]. [هود: 89].

ومعنى ذلك أن قوم شعيب كانوا قريبي عهد بقوم لوط زماناً ومكاناً، ولا بد وأنه قد بلغهم ما حلَّ بقوم لوط من العذاب الذي دمرهم تدميراً.

ثم مزج شعيب ﷺ هذا التهديد والوعيد بالترغيب والتحبيب في طاعة رب العالمين، وفي ذلك قال القرآن الكريم على لسانه: ﴿وَأَسْتَفِرُّوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيْمٌ وَدُوْدٌ﴾ [٩٠]. [هود: 90].

وعلى الرغم من ذلك استمر الغلاة من قوم شعيب في كفرهم وعنادهم وتطاولهم على الحق، فكذبوا نبيهم وسخروا منه، واتهموه بالسحر والكذب،

وهددوه بالرحم وبالإخراج من أرضهم. وفي تحدٍ واضح سألوه إنزال العذاب الذي تهددهم بوقوعه حتى أنزل الله - تعالى - بهم كلا من الرجفة، والصيحة، وعذاب يوم الظلة (وهي صيحة جاءتهم في غمامة) فمحققتهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنَّ اللَّهُ لَكُمْ لَعْنَةً إِذْ جَاءَتْكُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا يَفْنَوْنَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَّلْنَاهُمْ مِنْهُم قَوْلَ الْعَبْرَةِ قَوْلًا لَدِيبًا لَقَدْ أَهْلَكْنَاكُمْ بِرِيسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: 90 - 93].

وفي مقام ثالث يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَذُلَّيْنِ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَأْمُرُونَ بِالْبُغْيِ ﴿٧٩﴾﴾ [الحجر: 78، 79].

ففي سورة «الأعراف» أكد القرآن الكريم أن الكافرين من قوم شعيب (أخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾. وفي سورة «هود» أشار القرآن الكريم أنهم عوقبوا بالصيحة ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾.

وفي «سورة الشعراء» جاء تأكيد القرآن الكريم أنهم أهلكوا بعذاب (يوم الظلة) لما تناولوا على نبيهم وطالبوه - في سخرية واضحة - أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان من الصادقين. و(الظلة) هي سحابة أظلت عدداً من كفار أهل مدين يوماً فوجدوا لها ظلاً بارداً بعد أن سلط الله - تعالى - عليهم الحرّ أياماً، فاجتمع منهم تحتها من اجتمع، ثم ألهبها الله عليهم ناراً فأحرقتهم. ومن بقي منهم في بيوتهم فقد أصابتهم الصيحة التي أصمت آذانهم، ثم الرجفة (أي الزلزلة) التي قضت عليهم فأصبحوا في دارهم جاثمين، أي: قضت على كل كافر منهم وهو جاثم على وجهه في مكانه، وتركتهم بلا حياة ولا حراك، عبرة للمعتبرين وهذا هو جزاء الظالمين. ووسط هذه الكوارث الشديدة نجّى الله عبده ونبيه شعيباً والذين آمنوا معه.

وبعد ذلك وقف شعيب على أطلال مدين ينعي الكافرين الهالكين من قومه،

وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَنَوَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 93].

وجه الإعجاز التاريخي في ذكر عبد الله ونبيه شعيباً في القرآن الكريم:

يذكر المفسرون أن نبي الله شعيباً عاش في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، وأنه عاش في منطقة «مدين»، في زاوية التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر حيث لا يزال يوجد بئر باسم «بئر شعيب». ويوجد في الأردن قرية باسم «وادي شعيب» تقع في محافظة البلقاء على مسافة أقل من أربعة كيلومترات إلى الجنوب من مدينة السلط في الطريق المتجهة إلى البحر الميت. كذلك تعرف أعلى قمة في جبال السراة باسم «جبل شعيب»، وهي قمة تصل إلى (3760م) فوق مستوى سطح البحر، وتقع في أرض اليمن إلى الشرق من مدينة صنعاء، ولقد عرفت هذه القمة من قبل باسم «حضور النبي شعيب».

والعرب في زمن الجاهلية لم يكونوا أمة علم وتدوين، وكانت قصة (قوم مدين) قد اندثرت من ذاكرتهم، وطوتها الأيام، خاصة وأن رسول الله ﷺ كان قد بعث بعد القضاء على قوم مدين بأكثر من ألفي سنة، وأن شعيباً ﷺ لم يرد له ذكر في كتب الأولين بهذا التفصيل القرآني، وإن كان ذكره قد جاء في «العهد القديم» باسم يترو (Jethro). فمن أين للنبي محمد ﷺ بهذه التفاصيل التي جاءت في عشرات الآيات في عشر من سور القرآن الكريم إن لم يكن موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض؟! ومن هنا فإن قصة عبد الله ونبيه شعيباً في القرآن الكريم تعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي/ التاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة النبي شعيب ﷺ:

1 - التأكيد على أن الدين كما يهتم بقضايا العقيدة والعبادة، فإنه يعظم قضايا الأخلاق والمعاملات، ولذلك فإن شعيباً الذي جاء ليخرج قومه من الشرك

إلى التوحيد، ومن عبادة الأيكة إلى عبادة الله الواحد القهار، أتبع ذلك مباشرة بضوابط المعاملات في كل من المكيال، والميزان، وإعطاء كل ذي حق حقه، والإصلاح في الأرض، وعدم الصد عن سبيل الله، وهذه القيم العليا وصفها القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى :-

﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَعُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَاذِبَةٌ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

[الأعراف: 85 - 86].

وأكد القرآن الكريم على ضرورة الالتزام بهذه القيم العليا في المعاملات بقول ربنا - تبارك وتعالى :-

﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَعُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنَّهُ أَرْسَلَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَنْفَعُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ [هود: 84 - 86].

و(العتو) هو تعمد الإفساد والقصد إليه، وقوله تعالى: ﴿...وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أي فلا تفسدوا في الأرض قاصدين متعمدين، و(بقية الله خير لكم) أي ما عند الله خير لكم (إن كنتم مؤمنين).

2 - إثبات أن رسالة الأنبياء هي التبليغ عن الله - تعالى - دون إكراه أو إجبار، ولذلك قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

3 - إن توحيد الخالق تعالى وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله كانت رسالة جميع أنبياء الله ورسله ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

50 - ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ أَعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85].

هذا النص القرآني الكريم يسجل حقيقة نبي من أنبياء الله اسمه شعيب، بعثه الله - تعالى - إلى «أهل مدين»، وهم «أصحاب الأيكة»، كانوا عرباً سكنوا الأطراف الشمالية الغربية من أرض الحجاز، في المثلث المتكون عند التقاء خليج العقبة بالبحر الأحمر على هيئة كتلة صخرية كبيرة تعرف في «علوم الأرض» باسم «كتلة مدين».

وأهل «مدين» كانوا على دين إبراهيم ﷺ، وهو الإسلام العظيم المعروف بالحنيفية السمحة، ويقال أنهم من نسل مدين بن إبراهيم ﷺ، ولكن بمرور الزمن نسى نسلهم الدين، واجتالتهم الشياطين، فضلوا وأضلوا، وفسدوا وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. وكان من ضلالهم عبادة شجرة من «الأيك» وسط غيضة ملتفة بها، ولذلك عرفوا باسم «أصحاب الأيكة». وكان من إفسادهم في الأرض أنهم كانوا يبخسون المكيال ويطففون الميزان، كما كانوا يقطعون الطريق على المسافرين، ويأخذون الإتاوات والعشور من المارة، وكانوا أول من سَنَّ ذلك. بعث الله ﷻ إليهم نبيّه شعيباً ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وينهاهم عن الشرك بالله، وعن أعمالهم الفاضحة وسلوكياتهم الخاطئة. وذكرهم بنعم الله - تعالى - عليهم بأن كثّرهم من بعد قلة، وأغناهم من بعد فقر. ونصحهم النبي شعيب ﷺ بأنّ القناعة بالرزق الذي قسمه الله - تعالى - لهم هي أفضل من أكل أموال الناس بالباطل، وأنّ ما يبقى لهم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير من تطفيفهما، وأنّ دين الله الذي أنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله، وجاءهم به نبيّه شعيب هو خير لهم من معتقداتهم الفاسدة. ولكنهم لم يستمعوا لنصحه، بل سخروا منه، وهدّوه ومن آمن معه بالطرد من قريتهم إن لم يعودوا إلى شركهم

وفسادهم. وعقاباً لهم على ذلك أنزل الله - تعالى - بهم رجفة قضت على أغلبهم وهم في بيوتهم، ونجى الله - تعالى - شعبياً والذين آمنوا معه من قومه، وكانوا قلة قليلة وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه: ﴿وإلى مدبرنا أحاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيري قد جاءكم بينة من ربكم فآذفوا الكيل واليزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴿٨٥﴾ ولا تفعدوا بكل صرط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبعونها عوجاً وأذكروا إذ كنتم قليلاً فكركم وأنظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴿٨٦﴾ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لا يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴿٨٧﴾ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجك يشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كرهين ﴿٨٨﴾ قد أقرتنا على الله كذباً إن عدنا في ملككم بعد إذ بجننا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسيع ربنا كل شيء علماً على الله فوكلنا ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفلحين ﴿٨٩﴾ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخسرون ﴿٩٠﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثيمين ﴿٩١﴾ الذين كذبوا شعيباً كان لهم ينوناً فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخسرين ﴿٩٢﴾ فنولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالت ربي ونصحت لكم فكيف آمنوا على قوم كفرون ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: 85 - 93].

وجاء ذكر عبد الله ونبية شعيباً وذكر قومه في خمسين آية من آيات القرآن الكريم منها الآيات السابقة (85 - 94) من سورة «الأعراف» ومنها الآيات (84 - 95) من سورة «هود» والآيتان (78، 79) من سورة «الحجر»، والآيات (176 - 191) من سورة «الشعراء»، والآيتان (36، 37) من سورة «العنكبوت» بالإضافة إلى ثلاث آيات في سورة «القصص»، وآية واحدة في كل من السور «طه»، «الحج»، «ص»، «ق».

وفي هذه الآيات أكد القرآن الكريم على انحراف أصحاب الأيكة إلى الشرك

بالله، فدعاهم شعيب إلى التوحيد الخالص، واستنكر شيوع تطيف الكيل والميزان في مجتمعهم على الرغم مما كانوا فيه من سعة في الرزق، فدعاهم إلى الرجوع عن ذلك. وهذدهم شعيب بعذاب يوم القيامة نظراً لشركهم، وإفسادهم في الأرض، وذكرهم بمصائر أشباههم من مشركي الأمم السابقة عليهم من مثل أقوام كل من نوح، وهود، وصالح، ولوط مضيفاً: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أن قوم لوط لم يكونوا بعيدين عن قوم شعيب في أي من الزمان أو المكان. وحذّره نبيهم من مغبة الخروج على أوامر الله، وأمرهم بضرورة استغفار الله والتوبة إليه وهو - تعالى - الرحيم الودود، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب.

وفي مقابل هذه النصائح الغالية هدّده قومه بالرجم لولا عشيرته الأقربين، فأنذرهم شعيب بنزول عذاب الله، فأخذتهم الصيحة: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (٩١) أي موتى هامدين لا حراك بهم. ولذلك قال - تعالى - في سورة «الحجر»: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ (٧٨) ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٩)

[الحجر: 78، 79].

والثنائية بقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ في ختام هذه الآية الكريمة تشمل كلاً من أصحاب الأيكة وقوم لوط، لتقاربهما في الزمان والمكان كما سبق وأن أشرنا.

وانطلاقاً من هذه الآيات القرآنية الكريمة ندرك أنّ عقاب الكافرين من أصحاب الأيكة كان رجفة (جاءت في سورة «الأعراف»)، وصيحة (جاءت في سورة «هود»)، وظلة (جاءت في سورة «الشعراء») فاجتمعت عليهم هذه النقم الثلاث في لحظة واحدة، وجاءت كل واحدة منها في السياق الذي يناسبها. فلمّا كان تهديد كفار أهل مدين للنبي شعيب والذين آمنوا معه في سورة «الأعراف» بالإخراج من قريتهم جاء ذكر الرجفة، ولمّا كان تهديدهم في سورة «هود» بالرجم بالحجارة جاء ذكر الصيحة، ولمّا كان تحديدهم في سورة «الشعراء» بقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ عوقبوا بعذاب «يوم الظلة»،

وهي ثلاثة صور من التعذيب اجتمعت عليهم: رجفة، وصيحة، وظلة، توالى عليهم فأصبحوا في ديارهم جثثاً هامدة لا حراك فيها. ومن بين هذه الكوارث المتلاحقة بأهل مدين نَجَّى اللهُ - تعالى - نبيّه شعيباً والذين آمنوا معه. ولا تزال في قلب «كتلة مدين» الصخرية قرية تسمى (البدع)، بها بئر يطلق عليها اسم (بئر نبيّ الله شعيب)، وهذه البئر بقيت علامة تاريخية تشهد بصدق كل ما جاء في كتاب الله من حديث عن نبي الله شعيب وقومه.

هذا التفصيل عن النبي شعيب وقومه (أصحاب الأيكة) أو (أهل مدين) والذي جاء في (50) آية قرآنية كريمة، جاء فيها ذكر نبيهم شعيب (11) مرة، ومدين (10) مرات، وأصحاب الأيكة (4) مرات، كل ذلك أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيّ أميِّ ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين وهو - صلوات الله وسلامه عليه - لم يثبت في سيرته الشريفة أنه وصل إلى منطقة مدين أبداً، وأن قصة شعيب مع قومه كانت قبل بعثة المصطفى ﷺ بقرابة ألفي عام (من 1244 ق.م - 610م) فمن أين له هذه التفاصيل إن لم تكن وحياً من رب العالمين؟ خاصة وأنّ العرب لم يكونوا أمة تدوين في زمانه ولا من قبل زمانه!!

وإن قيل أنه سمع ذلك من أهل الكتاب ردنا عليهم بأن ذكر النبي شعيب لم يرد في «العهد القديم» كله إلا مرتين فقط في ثنايا قصة موسى ﷺ، مرة باسم «رعوثيل» (Reuel) كاهن مدين (سفر الخروج 16/2 - 22) وأخرى باسم يثرون (Jethro) كاهن مديان (سفر الخروج 1/3).

من هنا كان في إيراد قصة عبد الله ونبيه شعيباً ﷺ في القرآن الكريم، وفي وصف أحوال قومه، ونعتهم بأصحاب مدين أو أصحاب الأيكة، كان في ذلك كله إعجازاً تاريخياً يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية. وذلك لأنّ المؤرخين لا يعرفون شيئاً عن النبي شعيب ﷺ، والكتب المتوافرة لدى أهل الكتاب لا تعرف عنه سوى أنه كان كاهناً لأهل مدين، لجأ إليه موسى ﷺ وتزوج من إحدى بناته السبعة، بينما يسجل القرآن الكريم أنهما كانتا ابنتين فقط. من هذا

الاستعراض يتضح لكل ذي بصيرة أنه لولا ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه شعيباً، وذكر قومه، ما كان أمام الناس من وسيلة للتعرف على هذا النبي الصالح، ولا على هذه الأمة من الأمم، ولا على ما أصابها من صنوف العذاب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهنا يتضح فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب، وفضل الإسلام العظيم على غيره من المعتقدات، وفضل النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ على غيره من أنبياء الله وقد تعهد الله ﷻ بحفظ الوحي الذي أنزله عليه، بينما ضاعت كل صور الوحي السابقة على كثرتها. ومن هنا أيضاً يثبت وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 85].

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

[الأنبياء: 83 - 84]

عاشراً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام

يذكر أن عبد الله ونبيه أيوب كان من نسل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت أمه من ذرية لوط عليه السلام ، وعاش في زمن يعقوب عليه السلام ، وورد أنه تزوج إحدى بناته ، وعاش ومات في البثينة من أرض الشام. كان أيوب عبداً صالحاً، اختصه الله - تعالى - بالنبوة، وبالرزق الواسع، فكان براً رحيماً، يكفل اليتامى والأرامل، ويحمل المقطوعين، ويقوم بالإصلاح بين الناس. وكان - كجميع أنبياء الله ورسله - على الإسلام القائم على التوحيد الخالص لله - تعالى - وعبادته بما أمر، كما كان كثير المال والأولاد، وكان عبداً شكوراً لربه، كريماً مع قومه، عطوفاً على الفقراء والمساكين، وعوناً للمحتاجين (فعلية من الله السلام).

وقد جاء ذكر عبد الله ونبيه أيوب عليهما السلام في القرآن الكريم في أربعة مواضع على النحو التالي:

- 1 - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].
- 2 - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84].
- 3 - ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83، 84].

4 - ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَى السَّيْلُ نُبِّصِ وَعَدَابِ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بَرِّجِكَ هَذَا مُعْتَسِلُ بَارِدٍ وَشَرَابِ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتِثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

[ص: 41 - 44].

وقد امتحن الله - تعالى - عبده ونبيه أيوب عليه السلام في ماله، وأهله، وعافيته، فصبر صبراً جميلاً، واحتسب احتساباً طويلاً. وكان بلاؤه مما يعجز الصابرون عند حمله، فقد اعتلت صحته حتى ابتعد الناس عنه، وذهب ماله حتى أصبح في فقر شديد، ومات جميع أولاده حتى لم يبق له أحد يقوم على أمره إلا زوجته. وعلى الرغم من كل هذه الابتلاءات ظلَّ أيوب صابراً محتسباً، وظلت زوجته الصالحة وفية له، قائمة على خدمته ورعايته، اعترافاً بقديم إحسانه إليها وشفقته عليها. واستمر الحال كذلك بها حتى ضعف حالها، وقلَّ مالها، وهي صابرة على مرض زوجها، وعلى ذهاب ماله وأولاده عنها، محتسبة ذلك عند ربها، حتى نفذ صبرها، وضاعت ذرعاً بحالها. ولما تبين لأيوب شيئاً من تبرمها توعدها بعقاب منه إذا شفاه الله. ألحَّ أيوب على الله بالدُّعاء طالباً الشفاء حتى استجاب له ربه، وكشف عنه ضره، وردَّ إليه عافيته، وماله، وولده الذين كان قد فقدهم جميعاً بعد مرضه، وأعطاه الله - تعالى - مثلهم معهم، وأثنى عليه ثناءً جميلاً في محكم كتابه.

ورخص الله - تعالى - لعبده أيوب في التحلل من يمينه الذي كان قد أقسمه ليعضرين امرأته بعدد من الشياطين، فأوحى إليه أن يأخذ قبضة من القش (بعدد الشياطين التي أقسم عليها) ويضربها بها جميعاً ضربة واحدة، وفاءً لقسمه، ورحمة بها. ويذكر أنَّ أيوب عليه السلام توفي في البثينة من أرض الشام، ويقال أنَّ قبره ظاهر بها.

ويأتي ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه أيوب عليه السلام وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، خاصة وأنَّ كلاً من اليهود والنصارى مختلفون في حقيقة شخصه، فمنهم من أنكر وجوده ونفى قصته بالكامل، واعتبرها ضرباً من

الخيال، ومنهم من أثبت وجوده، واختلف في زمانه ومكانه، ولذلك اختلفوا في اسم الذي قام بكتابة «سفر أيوب» في «العهد القديم».

أولاً: ذكر أيوب ﷺ في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيه أيوب ﷺ في كل من سورة «النساء» (163)، سورة «الأنعام» (84)، سورة «الأنبياء» (83، 84)، وسورة «ص» (41 - 44) كما سبق وأن أشرنا. وجاء في سورة «ص» قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ أي: اضرب الأرض برجلك، وبامثاله لما أمره الله به نبعت بقدرة الله - تعالى - عين من الماء البارد، وأمر أن يغتسل فيها، وأن يشرب منها فأذهب الله ﷻ عنه كل ما كان بجسده من الأدواء الظاهرة والباطنة، وعاد سليماً معافى كما كان قبل الابتلاء.

ثم وهبه الله - تعالى - أهله وماله مضاعفين - وكانا قد سلبا منه - وذلك لقوله - تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 43]. أي: وجمعنا شمله بأهله الذين كانوا قد تفرقوا عنه أثناء ابتلائه، وأيام محنته، أو الذين كانوا قد ماتوا فعوضه الله ﷻ عنهم وزاد عليهم مثلهم. وجعل ربنا - تبارك وتعالى - ذلك رحمة منه بعبده أيوب جزاء صبره على البلاء، واحتسابه ذلك في سبيل الله. كما جعله عظة لأصحاب العقول السوية، ليدركوا أن بعد العسر اليسر، وأن بعد الشدة الفرج، جزاءً على صبر الصابرين واحتساب المحتسبين. وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته أو أحداً من أهله عدداً من الضربات على خطأ كان قد ارتكبه، فحلل الله - تعالى - له يمينه بأن يأخذ حزمة من القش، فيها العدد الذي أقسم أن يضرب به، فيضرب به ضربة واحدة، وفاءً بيمينه دون أن يصاب المضروب بألم يذكر. وقد من الله - تعالى - على عبده أيوب بهذه النعم جزاء صبره على البلاء، وتذكرة لكل من ابتلي في جسده أو ماله أو ولده كي يصبر ويحتسب، لأن الصبر من منازل المؤمنين بالله، المتقين لجلاله كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ.

ثانياً: ذكر أيوب عليه السلام في السنة النبوية المطهرة:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلّا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين! قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول؟ غير أن الله ﷻ يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ﷻ فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكر الله ﷻ إلّا في حق». .. وقال ﷺ: «وكان أيوب يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع. فلما كان ذات يوم أبطأت امرأته عليه، فأوحى الله ﷻ إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأت امرأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ﷻ ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رآته قالت: أي بارك الله ﷻ فيك! هل رأيت نبي الله ﷻ هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو»⁽¹⁾.

وقال ﷺ عن نبي الله أيوب: وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله ﷻ سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت عليه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق (أي الفضة) حتى فاض⁽²⁾.

وقصة النبي أيوب عليه السلام هي من نماذج الصبر على الابتلاء الذي يقدره الله تعالى - على عبد من عباده فيصبر ويحتسب، ويكون له العطاء الوافر في الدنيا - وله في الآخرة جزاء الصبر والاحتساب. وقد طال صبر أيوب على الابتلاء بغير ضرر ولا ضجر حتى لأصبح يضرب بصره المثل، وأصبحت قصة صبر أيوب

(1) أخرجه الحاكم، حديث رقم (4115).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

على كل لسان. إلا أن القصة قد شابهها من الإسرائيليات ما شابهها، حتى تم تشويهها بالكامل، وأصبحت ضرباً من القصص الشعبي. ويبقى الحق عن قصة هذا النبي هو ما جاء في كتاب الله - تعالى - وفي سُنَّة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، كما عرضناه في الآيات القرآنية الكريمة التي تم الاستشهاد بها أعلاه، وفي الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه آنفاً. وخلاصة ذلك أن أيوب ﷺ كان عبداً من عباد الله الصالحين، وقد ابتلاه الله - تعالى - في عافيته وولده وماله فصبر صبراً جميلاً، وبقي واثقاً في ربه، راضياً بقضائه، محتسباً لابتلائه. ولكن الشيطان كان يوسوس لزوجته ولعدد من خالصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له بأن الله - تعالى - لو كان راضياً عن عبده أيوب ما ابتلاه هذا الابتلاء الذي طال لقرابة العشرين عاماً. وكان بعض هؤلاء الخالصاء يسرون إلى أيوب بذلك فتؤذيه أقوالهم في نفسه أشد ما يؤذيه المرض وغيره من صور الابتلاء، لأنه كان يعلم أن ذلك من وساوس الشيطان إلى البقية الباقية من خالصائه حتى ينصرفوا عنه.

ولما تكاثرت أحاديث خالصائه عليه، توجه أيوب ﷺ إلى ربه بالشكوى مما يلقي من إيذاء الشيطان، ومن نفثه في آذان من بقي حوله من أهله وأصدقائه فقال: ﴿...إِنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِضَبِّ وَعَذَابٍ﴾ فاستجاب الله دعوته، وأدرکه برحمته، فأنهى ابتلاءه، ورد عليه كلاً من عافيته وأهله وماله.

وكان في ذلك تأكيد على رحمة الله وفضله على عباده الصالحين الذين يعرضهم لشيء من الابتلاء فيصبرون ويحتسبون رضاً بقضاء الله وقدره، ويقيناً بأنه الخير كل الخير. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، وقال: يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه»⁽¹⁾. ولذلك عقب القرآن الكريم على قصة عبد الله ونبيه أيوب بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

(1) مسند أحمد حديث رقم (3250).

وذلك الإنعام من الله - تعالى - على عبده ونبيه أيوب كان جزاءً وافرًا على صبره على البلاء الذي لم يُقنِظْه من رحمة ربه، ولم يوقفه عن حسن الالتجاء إلى الله ليكون في ذلك درساً لغيره من عباد الله الصالحين، وعبرة وعظة للمعتبرين. وعلى النقيض من ذلك تماماً، فإن «العهد القديم» الذي أورد سفرًا كاملاً باسم «سفر أيوب» يظهر هذا النبي الصابر - الذي ضرب المثل بصبره - يظهره في صورة المتبرم، الضَّجِر، المحتج على الله - تعالى - في أكثر من مقام، وهذا ليس من أخلاق الأنبياء أبداً (سفر أيوب 9/ 25 - 35؛ 1/ 10 - 22).

ثالثاً: ومضة الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

يذكر كل من علماء التفسير وتاريخ الأديان أن أيوب عليه السلام كان من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وأنه كان عبداً صالحاً من الله - تعالى - عليه بالعافية والأهل والمال، ثم ابتلاه بسلب ذلك كله منه. وعلى الرغم من ذلك فإن عبد الله ونبيه أيوب ظل محتسباً وصابراً ثمانية عشر عاماً حتى ردَّ الله - تعالى - إليه كل ما كان قد سلب منه في فترة الابتلاء والاختبار. وعاد أيوب عليه السلام أصح عافية، وأغنى بالأهل والمال ممّا كان عليه من قبل. بذلك جعل ربنا - تبارك وتعالى - عبده أيوب مثلاً للصابرين المحتسبين، وعبرة للمعتبرين، وذلك لأن الابتلاء هو من سنن الحياة الدنيا، والصبر على الابتلاء كان ولا يزال من شيم أصحاب الدعوات، من عباد الله الصالحين، عبر التاريخ. لذلك جعل الله - تعالى - النصر مع الصبر، وجعل عاقبة الصابرين الفوز المبين في الدنيا قبل الآخرة، وما عند الله خير وأبقى. وبذلك الفهم يهون الابتلاء - مهما عظم - على كل قلب عامر بالإيمان بالله، مؤمن بقضائه وقدره، موقن بأنه الخير كل الخير، وأن عاقبته الجزاء الأوفى في الدنيا قبل الآخرة، وإن بدا لأعين الناس غير ذلك. وهذا هو الدرس المستفاد من قصة أيوب عليه السلام في القرآن الكريم وهذا على عكس ما جاء عنه في «العهد القديم».

ويذكر علماء كل من التفسير وتاريخ الأديان أن أيوب عليه السلام عاش في منتصف

الألفية الثانية قبل الميلاد (في حدود 1600 - 1500 ق.م)، وأن خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات ربي وسلامه عليه - بعث في أوائل القرن السابع الميلادي، وعلى ذلك فالفارق الزمني بين هذين النبيين الكريمين يفوق الألفي عام. وبالإضافة إلى ذلك فإن خاتم النبيين ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، حتى لا يتهمه أحد بأنه نقل القصص القرآني عن كتب الأولين، وهو ﷺ - فوق ذلك كله - لم يزر أرض حوران، التي يقال إنها كانت بلاد أيوب ﷺ. من هنا فإن الإشارة إلى قصة النبي أيوب ﷺ في القرآن الكريم، تعتبر من المعجزات التاريخية في كتاب الله، وإن جاءت في الأصل مواساة لرسول الله ﷺ وللذين آمنوا معه في وقت ابتلائهم بمظالم مشركي وكفار قريش، وجاءت كذلك مواساة لكل داعية إلى دين الله يتعرض لظلم الطغاة المتجبرين من الحكام الظالمين في كل زمان ومكان إلى يوم الدين.

ولما لم يكن لأحد من أهل مكة إمام بقصة أيوب ﷺ في زمن الوحي، فإن هذه القصة تأتي - على عادة القرآن الكريم - بالدروس والعبر المستفادة منها، لا من قبيل السرد التاريخي المجرد، لأن القرآن الكريم هو - في الأصل - كتاب هداية، وليس كتاب تاريخ. ولكن بما أنه كلام رب العالمين - في صفاته الرباني وإشراقاته النورانية - فإن كل حرف، وكلمة، وآية، وسورة منه تأتي بالحق المبين في أي مجال تتعرض له، على تعدد مجالاته وتشعبها. وقصة عبد الله ونبيه أيوب ﷺ - كغيرها من قصص القرآن الكريم - تبرز كوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي التاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه - اللغة العربية -، وحفظه على مدى أربعة عشر قرناً ويزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

7 مقدمة

الباب الأول

- 41 من أنبياء ما قبل التاريخ
- 43 أولاً: عرض القرآن الكريم لقصة أبينا آدم ﷺ
- 59 ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة أبينا آدم ﷺ
- 125 ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في ذكر القرآن الكريم لقصة ولدي آدم ﷺ
- رابعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إدريس ﷺ
- 139
- 143 خامساً: الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه نوح ﷺ

الباب الثاني

- 205 من أنبياء فترة التاريخ
- أولاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه هود ﷺ
- 207
- ثانياً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه صالح ﷺ
- 233
- ثالثاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ
- 267
- رابعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه لوط ﷺ
- 379
- خامساً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إسماعيل ﷺ
- 421
- سادساً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه إسحاق ﷺ
- 439
- سابعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه يعقوب ﷺ
- 451
- ثامناً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه يوسف بن يعقوب ﷺ
- 465
- تاسعاً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه شعيب ﷺ
- 537
- عاشراً: من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه أيوب ﷺ
- 551
- 559 فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حادي عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة النبيين الكريمين موسى وهارون عليهما السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه موسى في القرآن الكريم (136) مرة في (34) سورة، وجاء ذكر أخيه النبي هارون (20) مرة في (13) سورة من سور هذا الكتاب العزيز. وهذان النبيان الكريمان وُلدا في مصر في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد (في حدود سنة 1264 - 1260 ق.م) وكانا من نسل لاوي بن يعقوب أخو عبد الله ونبيه يوسف الصديق عليهما السلام، وجاء بعد وفاة هذا النبي بحوالي قرن من الزمان.

وكان حاكم مصر في هذه الفترة فرعوناً، كافراً، وكان طاغية جباراً في الأرض، ولكن زوجته (السيدة آسية بنت مزاحم) كانت مؤمنة بالله، كريمة الخلق، ضرب الله - تعالى - بها المثل في الإيمان فقال عز من قائل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحریم: 11].

وفي إحدى الليالي رأى فرعون مصر رؤيا أزعجته، وباستشارة كهنته فسروها بأن مولوداً يُولد في بني إسرائيل يكون على يديه هلاك الفرعون، فأمر بقتل جميع الغلمان الذين يولدون في بني إسرائيل، مع ترك الإناث للخدمة لدى المصريين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

- 1 - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَمَسْتَحِينُونَ نِسَاءَكَ فِي ذَلِكُمْ بَلَائًا مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: 49].
- 2 - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَسَجَلَكُمْ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ [إبراهيم: 6].

3 - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدْبِحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [القصص: 4].

ونتيجة لتطبيق هذه السياسة الجائرة نقص عدد الأيدي العاملة من الذكور بشكل ملحوظ، فاشتكى أهل مصر للفرعون من ذلك فأمر بأن يكون ذبح الغلمان من بني إسرائيل عاماً بعد عام (أي صاروا يذبحونهم عاماً، ويتركونهم عاماً). وُلد هارون في سنة لا ذبح فيها لغلمان بني إسرائيل فكتب الله - تعالى - له النجاة، ثم وُلد أخوه موسى في السنة التي يذبحون فيها. احتارت أم موسى ماذا تفعل به، فألهمها الله ﷻ أن تضع وليدها في صندوق وتضع الصندوق في النيل بعد ربطه بحبل إلى بيتها المتاخم لهذا النهر، وكانت أم موسى تسترجعه لبيتها كي ترضعه، ثم تردّه إلى النيل خشية من مفاجآت فرق التفتيش الفرعونية. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَاكْلِيهِ فِي إِلْيَٰرٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص: 7].

ثم شاءت إرادة الله - تعالى - أن تنسى أم موسى في يوم من الأيام شد وثاق صندوق رضيعها موسى إلى بيتها، أو أن تيار الماء اشتد فجأة فقطع هذا الوثاق وحمل الصندوق في النيل إلى نقطة تقع أمام بيت فرعون مصر، فالتقطه الخدم والحراس، ونقلوه إلى داخل البيت. وعندما فتح الصندوق رأوا طفلاً رضيعاً فيه، فأدرك الفرعون أنه من بني إسرائيل، وأراد قتل الرضيع، ولكن زوجته ألحّت عليه أن يستبقيه، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿فَالْقَطْعَةُ ءَأَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَا وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [القصص: 8، 9].

وبهذا التدبير الإلهي رأينا فشل تدبير كل من فرعون ووزيره «هامان» وجنودهما الذين ذبحوا آلاف المواليد الذكور من بني إسرائيل، على أمل أن يكون الوليد الذي

يتوقعونه واحداً منهم، فإذا بهذا الوليد بين أيديهم، وهم لا يدركون حقيقته. وأنزل الله - تعالى - محبة هذا الرضيع في قلوبهم - رغم أنوفهم - تحقيقاً لقوله ﷻ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِكَ مَا يُوْحَىٰ﴾ (٢٨) ﴿أَن آفَظِفِهِ فِي التَّأْوِبِ فَأَقْظِفِهِ فِي الْبِرِّ فَلْيَلْفِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٢٩) [طه: 38، 39].

جاء الطفل، وبدأ في البكاء، فأرسلت زوجة الفرعون من أحضر عدداً من المرضعات لإرضاعه، ولكن الله - تعالى - حرّمهنّ جميعاً عليه، فلم يقبل الرضاعة من أيّ منهنّ. وفجأة دخلت أخت موسى إلى القصر، وعرضت إحصار من ترضعه لهم، وقبلوا ذلك منها دون أن يدركوا هويتها. ذهبت أخت موسى إلى بيتها لتحضر أمها إلى قصر الفرعون، وعندما وصلت الأم حاولت إرضاع ابنها فأقبل عليها ورضع منها، فأعطوها إياه ترضعه حتى الفطام ثم ترده إليهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْكَ أُهَيْبًا كَىٰ نَقَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَتَعَلَّمَ أَنك وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) [القصص: 10 - 13].

بعد فطام الطفل ردّ إلى بيت فرعون الذي اتّخذه ولدًا فسمي باسم (ابن فرعون)، وتربّى موسى هنالك حتى بلغ أشده، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) [القصص: 14].

وذات يوم دخل الشاب موسى إلى مدينة منف (ميت رهينة - مركز البدرشين - محافظة الجيزة)، وكانت عاصمة مصر في ذلك الوقت، فوجد رجلين يقتتلان أحدهما من العبرانيين والآخر مصري، فاستنجد به العبراني، فوكز موسى الشاب المصري فقتله، ثم استغفر ربه لأنّه ما كان يقصد قتله.

وفي اليوم التالي دخل موسى إلى نفس المدينة (منف) فإذا بالذي استنصره بالأمس يستنجد به مرّة أخرى على رجل مصري آخر، فصاح موسى عليه موبّخاً

إياه، وقائلاً له: (إنك لغوي مبين) فتملك الذعر السامري حين أقدم موسى لفق الاشتباك بينه وبين المصري ظاناً أن موسى قد قدم لضربه هو، فصاح السامري قائلاً: ﴿يَمُوسَىٰ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19].

وقد يكون الذي قال ذلك هو المصري الذي ربّما كان قد وصله خبر معركة الأمس؛ واللّه - تعالى - أعلم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوُّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْمَعْفُورُ الرَّجِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَىٰ أُتْرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 15 - 19].

حزقيل (مؤمن آل فرعون) يظهر على الساحة:

وذاع الخبر بين الناس، فأخذوا في البحث عن موسى لقتله جزاء جريمته، فجاءه رجل يقال أنه حزقيل (مؤمن آل فرعون) ونصح موسى بالخروج من المدينة لينجو بنفسه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ اَلْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 20، 21].

وقال ﷺ: «سبأقو الأمم ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب يس، وعلي بن أبي طالب»⁽¹⁾.

(1) تفسير الدر المنثور، (7/ 53).

الخروج الأول لموسى من أرض مصر:

خرج موسى مهاجراً من مصر، هرباً من بطش فرعون وجنده، حتى وصل إلى «أرض مدين». وعند مائها وجد جماعة من الناس يسقون، ما عدا امرأتين تمنعان غنمهما من الاختلاط بغنم الناس، أو تمنعانها عن الماء، فتقدم منهما وسألهما عن شأنهما، ولماذا لا تسقيان كبقية الناس؟ فذكرتا أنهما ينتظران حتى يسقى الرعاة وينصرفون، لأنهما لا تريدان مزاحمة الرجال، وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على سقيا غنمه.

فأسرع موسى لمساعدتهما، فسقى لهما، ثم التجأ إلى مكان ظليل يدعو الله - تعالى - أن يفرج كربه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا وَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الزَّعَاةُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الفصص: 23، 24].

فلما رجعت الفتاتان إلى أبيهما ذكرتا أن رجلاً صالحاً سقى لهما، فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه إليّ حتى أوفيه أجره، فأتته تمشي على استحياء حتى وصلت إلى مكانه، وطلبت منه الحضور إلى أبيها الذي يدعو ليجزيه أجر ما سقى لهما.

ذهب عبد الله ونبيّه موسى مع ابنة عبد الله ونبيّه شعيباً إلى منزل الأخير، وعندما التقى الأب قصّ عليه موسى قصّته فهذأ من روعه، وأكد له أنه قد نجا من القوم الظالمين، فلا سلطان لهم على أرض مدين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي بِدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الفصص: 25].

وحضت إحدى الابنتين أباهما أن يتخذ من هذا الغريب أجيراً عنده يساعده

في أعماله، فهو قوي وأمين. استساغ الأب الفكرة وأراد تحصيماً لبيته أن يتخذ من موسى زوجاً لإحدى ابنتيه. وافق موسى على ذلك العرض، وتعاهدا عليه. فعرض الأمر عليه مقابل أن يخدمه ثماني سنوات، فإن أتمها عشرًا فذلك كرم منه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ سَكَجِدَاتٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾﴾ [الفصص: 27، 28].

وعندما أتم موسى السنوات العشر في خدمة والد زوجته، استأذنه في العودة بأهله إلى مصر فأذن له بذلك.

موسى يتلقى كلام الله ويكلف بالرسالة:

رحل موسى ومعه أهله من مدين قاصدين أرض مصر، وبعد أن جاوزوا العمران تاهوا في جنوب سيناء لعدة أيام. وفي ليلة مظلمة شديدة البرودة من ليالي هذا التيه خيم موسى إلى جانب الطور الأيمن، وأبصر على البعد ناراً تتأجج، فاستأذن أهله أن يذهب إلى حيث النار عساه أن يجد على ضوئها هداة، أو أن يأتيهم بجذوة منها تدفئهم. فلما قصدها وجدها تضطرم في شجرة خضراء، وكلما تأججت النار ازدادت الشجرة خضرة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ:

1 - ﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْخَلِعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِسَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ

فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيْثُ نَسَعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

[ظه: 9 - 23].

2 - وقال - تعالى - : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْدَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنَّتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[الفصص: 30 - 32].

وحمل الله - تعالى - عبده موسى الرسالة إلى فرعون وقومه أمراً إياه بقوله العزيز:

3 - ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهٖ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَىٰ نُسِخَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

[ظه: 24 - 35].

فاستجاب الله - تعالى - دعوته بنص القرآن الكريم الذي جاء فيه:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾﴾

[ظه: 36].

وبذلك حمل كل من موسى وأخوه هارون أمانة التبليغ لفرعون بالأسلوب الذي يرضيه ربنا - تبارك وتعالى - من كل الدعاة قائلًا: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنِسَاءِ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾﴾

[ظه: 42 - 44].

ورد كل من موسى وهارون قائلين: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ

يَطْعَنِي ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ [طه: 45 - 48].

موسى وهارون في مواجهة فرعون:

بعد وصول عبد الله ونبيه موسى بن عمران إلى منف، ولفائه بأهله سار مع أخيه هارون حتى انتهيا إلى فرعون، وأخبراه بأنهما رسولا رب العالمين إليه وإلى قومه، ودعواه إلى عبادة الله - تعالى - وحده، فكذبهما، واتهمهما بالسحر وبالجنون، وتحداهما بسحرته وهددهما بالسجن، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْلِفَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَقِفُوا مَا أَنْتُمْ مُثْقَلُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: 75 - 82].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: 23 - 29].

وقال فرعون متسائلاً مرة أخرى: ﴿قُلْ فَأَنبَاؤُا يَكْتُوبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَمِنَ الْفَالِقِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الفصص: 49 - 52].

وأضاف فرعون قوله الساذج: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَيْكَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الفصص: 38].

وصارت «الفرعونية» مثلاً على تسلط الحاكم، وعلى غفلة الأمة، وتخليها عن مسؤولية الرقابة على الحكومة ممّا أدى إلى طغيان الحاكم وتجبره في الأرض وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

- ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: 54].

- ويقول: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١١٦﴾ فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿١٢١﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: 104 - 112].

المواجهة مع سحرة فرعون في يوم الزينة:

لَمَّا رَأَى فِرْعَوْنَ الْمَعْجَزَاتِ الْحَسِيَّةَ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا مُوسَى ﷺ عَلَى صِدْقِ نَبَوِّتِهِ، اسْتَنْكَرَهَا قَائِلًا وَمُتَحَدِّيًا: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: 57 - 59].

ويستكمل القرآن الكريم وصف واقعة التحدي بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَجَاءَ السّٰحِرَةُ وَعَرَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِنِ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلِقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ فغلبوا

هَذَاكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِتَايِبَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴿[الأعراف: 113 - 126].

ألقي السحرة حبالاً وعصياً وأدخلوا من الحيل ما يعرفون زيفه، فأخافوا الناس وأرهبوهم، ثم ألقى موسى عصاه فإذا بها تبتلع حبال وعصي السحرة بمعجزة هزّت الحضور من الأعماق حتى سجد السحرة لله رب العالمين وآمنوا بنبوة كل من موسى وهارون وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿قَالَ قَرَأَ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿[الشعراء: 45 - 48].

فرعون يهدد موسى وهارون والذين آمنوا معهما بالويل والثبور:

يروى القرآن الكريم ردّ فرعون على إيمان سحرته برّب العالمين، ونبوة كل من موسى وهارون، وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرٌ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَتْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿[الشعراء: 49 - 51].

ويسجل القرآن الكريم، واستنكار سحرة فرعون للسحر الذي كان فرعون قد أجبرهم على الخوض في أحواله، فردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٦﴾ إِنَّا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتْنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾﴾ ﴿[طه: 72 - 73].

للمرة الثانية حزقيل يظهر على الساحة واعظاً قومه:

تجبر فرعون ومعه كل من هامان وقارون، وتكبروا، وازدادوا كفراً وعناداً لموسى ودعوته. وحينئذ وقف حزقيل هادياً ومرشداً، ومدكراً بأن الدنيا الفانية هي مزرعة للأخرة الباقية، ومحدراً من عقاب الله الذي كان قد نزل بعدد من الأمم السابقة التي كانت قد تنكرت لخالقها من قبل. رفض فرعون نصيحة حزقيل، وتنكر لدعوته حتى نزل عقاب الله - تعالى - به ويقومه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمٰنَ وَقٰرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا اٰنْبَاءَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ وَاَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُوْنِيْ اَقْتُلْ مُوسٰى وَلْيَدْعُ رَبَّهُٗٓ اِنِّىْٓ اَخَافُ اَنْ يُبَدِّلَ دِيْنَكُمْ اَوْ اَنْ يُظٰهَرَ فِي الْاَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسٰى اِنِّىْٓ عُدْتُ بِرَبِّىْ وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ اِيْمٰنَهُۥ اَنۡقُلْتُوْنَ رَجُلًا اَنْ يَقُوْلَ رَبِّىَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِنْ رَبِّكُمْؕ وَاِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَاِنْ يَكُ صٰدِقًا يُصِْبِكُمْ بِعَضِّ الَّذِيْ يَعِدُكُمْ اِنَّ اللهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذٰبٌ ﴿٢٨﴾ يَقُوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظٰهِرِيْنَ فِي الْاَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْۢ بَاسِ اللهِ اِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا اُرِيْكُمْ اِلَّا مَا اَرٰى وَمَا اَهْدِيْكُمْ اِلَّا سَبِيْلَ الرَّشٰدِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِيْ ءَامَنَ يَقُوْمُ اِنِّىْٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْاَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدَ وَالَّذِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعٰبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُوْمُ اِنِّىْٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنٰادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّوْنَ مُدْبِرِيْنَ مَا لَكُمْ مِنْ اللهِ مِنْ عٰصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِيْ سَبْكِ وَمَا جَاءَكُمْ بِهٖٓ حَتّٰىٓ اِذَا هَلٰكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْۢ بَعْدِهٖ رَسُوْلًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِيْنَ يُجَدِّلُوْنَ فِيْٓ ءَايٰتِ اللهِ بِعِيْرِ سُلْطٰنٍ اَنْتَهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا كَذٰلِكَ يَطۡعُ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يٰهٰمٰنُ اٰبَنِ لِىْ صَرَخًا لَعَلِّىْٓ اَتَّبِعُ الْاَسْبٰبَ ﴿٣٦﴾ اَسْبَبَ السَّمٰوٰتِ فَاطَّلَعَ اِلَىٰٓ اِلٰهِ مُوسٰى وَاِنِّىْٓ لَاطۡلُقُهُ كَذِبًا وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهٖ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيْلِ وَمَا

كَيْدٍ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورِ أَنْبِئُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُورِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ
عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَنْقُورِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى
وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ
لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا
مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُرًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

[غافر: 23 - 46].

عقاب الله - تعالى - لفرعون وقومه :

أنزل الله ﷻ العديد من صور العقاب بفرعون وقومه، وكان من ذلك عموم
القحط لانقطاع المطر حتى ساد الجفاف والجذب، ونقصت المحاصيل والثمار،
وهلكت الأنعام والدواب، وتبادل ذلك مع تكرّر الطوفانات المغرقة التي أتلفت
مساكنهم ومزارعهم ومحاصيلهم.

وسلّط الله - تعالى - على فرعون وقومه الجراد فأكل زروعهم وثمارهم، كما
سلّط عليهم القمل الذي آذاهم ونقل إليهم العديد من الأمراض، وأرسل عليهم
الضفادع بأعداد هائلة حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت، وجعلت حياتهم بنقيتها
المتواصل بالليل نكدًا لا يُطاق. ثم سلّط الله - تعالى - عليهم الدم حتى صارت
مياهم حمراء بلون الدم الذي تعافه النَّفْس حتى اشتدَّ بهم الظمُّ وأجبروا على
مضغ أوراق الشجر.

وفي كل مصيبة من هذه المصائب كان فرعون وملؤه يستنجدون بموسى كي
يسأل الله - تعالى - كشف العذاب عنهم، ويعطوه من العهود والمواثيق ما يؤكّد أنّهم

سوف يؤمنون بالله - تعالى - وحده، وأن يوافقوا على إخراج العبرانيين من أرض مصر. ولكن بمجرد أن يرفع الله - تعالى - العذاب عنهم كانوا ينكثون بأيمانهم، وينقضون عهودهم - ويعودون إلى طغيانهم وتجبرهم. وظل موسى عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله لفترة زمنية طويلة بعد لقاء يوم الزينة، وهم يعرضون عن دعوته، ويبالغون في إيذائه وإيذاء الذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُ مُوسَى وَوَقَوْمِهِ يُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ وَيَإْتِيَنَّكَ أُنْبَاءُ هُمْ وَسَتَجِيءُ رَبُّهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا بِالْأَرْضِ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ يَا مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنَّا غَفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

[الأعراف: 127 - 136].

وقال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا يُرِيدُ مِنْ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا

قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

[الزخرف: 46 - 56].

مرّت سنوات عديدة وكل من النبيين موسى وهارون يدعوان فرعون وقومه إلى الإيمان بالله ربًا واحدًا أحدًا، فرداً صمدًا، وهم معرضون عن دعوة الحق إعراضاً كاملاً، على الرّغم ممّا نزل بهم من ألوان العقاب، وما شاهدوه بأعينهم من معجزات وكرامات.

وعلم كلُّ من النبيين الكريمين موسى وهارون بطريق الوحي أنّه لن يؤمن معهما أكثر ممّن قد آمن، فاعتزلا فرعون وملاه، ولحقا بقومهما العبرانيين الذين كانوا يسكنون خارج العاصمة «منف»، يعظانهم ويأمرانهم بعبادة الله - تعالى - وحده، والتوكّل عليه، وبعدم التأثر بوثنية الفراعنة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَبْعَايَ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

[يونس: 83 - 89].

الخروج الثاني لموسى من أرض مصر:

صدر الأمر الإلهي إلى موسى ﷺ أن يسري بالذين آمنوا معه ليلاً، وأن يتوجّهوا شرقاً نحو خليج السويس لكي يخرجوا من مصر بالكامل، فخرجوا ومعهم كل ما استطاعوا حمله من أمتعتهم. ولم يمض وقت طويل على هذا الخروج حتى علم به فرعون وجنوده، فخرجوا لمطاردة موسى ومّن خرج معه. وكان مع موسى

كل من حزقييل (مؤمن آل فرعون)، ويوشع بن نون وهو من أحفاد يوسف عليه السلام، ومن علماء العبرانيين وعُبادهم. ومع طلوع الشمس كانت طلائع جيش فرعون على مرمى البصر من موسى وهارون ومن معهما، فخالط قلوب العبرانيين خوف شديد وفتح هائل، من إمكانية لحاق جيش فرعون بهم، والبحر من أمامهم والعدو المدجج بالسلاح والخيول من خلفهم. أوحى الله - تعالى - إلى عبده ونبيه موسى، أن يضرب بعصاه البحر، وعند فعله ذلك امتثالاً لأمر الله، انفلق البحر انفلاق الوادي بين جبلين، وجف ماء هذا الوادي حتى سهل عبور موسى وهارون ومن معهما الذين اندفعوا في هذا الفالق العظيم حتى جاوزوه وعبروا إلى البر الشرقي من خليج السويس وكان ذلك في العاشر من شهر الله المحرم.

وبعد خروج آخر فرد من جماعة موسى، وصل فرعون وجنوده وذهلوا من رؤية انفلاق ماء خليج السويس بتلك الهيئة المعجزة. تردّد فرعون في العبور ظناً منه أن ذلك قد يكون سحراً. فلما رأى موسى ذلك رفع عصاه كي يضرب البحر بها مرة أخرى من أجل إغلاق الطريق أمام فرعون وجنوده فلا يتمكنوا من اللحاق بهم. ولكن الله - تعالى - أمره أن يترك البحر على حاله، إغراءً لفرعون وجنوده باقتحام البحر كما اقتحمه موسى ومن معه من قبل لحظات، فأنزل موسى عصاه إلى جانبه، وانتظر تدخل الإرادة الإلهية، في الحيلولة بينه ومن معه وبين فرعون وجنوده.

وبالفعل تقدّم فرعون على جواده ومن خلفه جنوده، واقتحموا الشق الذي أحدثه الله - تعالى - في خليج السويس كرامة لنبيه موسى ومن معه. وبعد أن تجمّع جيش الفرعون كلّه في وسط ذلك الخليج، أمر الله - تعالى - جانبي مياه الخليج بالانطباق على بعضهما ليعود كحالته الأولى، وبذلك أغرق الله - تعالى - فرعون وجميع جنوده، بنص القرآن الكريم الذي يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدِيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعْفُلُونَ
 ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ [يونس: 90 - 93].

ويقول ربنا - تبارك اسمه -:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ
 دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾﴾ [ظه: 77 - 79].

ويقول - عزَّ من قائل -:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ
 حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَشَرٌّ لِمَنْ لَبِثَ فِيهَا ﴿٥٤﴾ وَإِنَّمَا لَنَا لِعَاطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾
 فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَتُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾
 قَالِ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ
 فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْمَعْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
 أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: 52 - 68].

وتوضح الآيات أن فرعون وهو يغالب الموت، ويصارع أمواج البحر (خليج السويس) ذهب عنه غروره واستعلاؤه. وتألهه الكاذب على الخلق، وتجبره في الأرض، حتى إذا أيقن أنه غارق لا محالة صرخ بأعلى صوته:

﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنفِي لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ءَأَلْقَنَ
 وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدِيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعْفُلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90 - 92].

وبذلك هلك فرعون وجنوده غرقاً، ثم أمر الله أمواج البحر بدفع بدن فرعون

إلى الشاطئ بملابسه ودرعه. ويقال إنَّ «فرعون الخروج» هو مرتبناح (أو منفتاح) الأول الذي حكم مصر في الفترة من حوالي 1213 ق.م. إلى 1203 ق.م. وهو ابن رمسيس الثاني المعروف باسم «فرعون الاضطهاد» والذي حكم مصر من حوالي 1279 ق.م. إلى 1213 ق.م. وهلك رمسيس الثاني بينما كان موسى ﷺ في أرض مدين. ولا تزال جثتا هذين الفرعونين محفوظتان بالتحنيط في دار الآثار المصرية بالقاهرة إلى اليوم.

تفجّر الأرض بالماء في منطقة «عيون موسى»:

بعد أن تمَّ عبور كلِّ من موسى وهارون ومَن صحبهما من قومهما شحَّ الماء ونذر الطعام فاستغاثوا بموسى طالبين منه الماء، فدعا موسى ربّه طالباً منه الماء، فأمره الله - تعالى - أن يضرب بعصاه الحجر الذي كانوا يقفون عليه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً (بعدد أسباطهم حتى لا يتنازعا على الماء)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: 60].

ولا يزال عدد من هذه العيون باقياً إلى اليوم على الشاطئ الشرقي لخليج السويس، في منطقة تعرف باسم «عيون موسى».

تظليل قوم موسى بالغمام، وإنزال المَن والسلوى عليهم:

شكا الناجون مع كل من موسى وهارون من حرِّ الشمس، فأرسل الله - تعالى - عليهم الغمام يظللهم حيث ساروا. ثم طلبوا الطعام بعد أن أدركهم الجوع، فسأل موسى ربّه الطعام لقومه، فأرسل الله - تعالى - إليهم الرياح الطيبة تحمل إليهم أسراباً من طائر السلوى (السماني) الذي كان يحطّ أمامهم على الأرض فيجمعون منه ما شاؤوا. كذلك فجّر الله - تعالى - لهم سيقان الأشجار (بالمَن) وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ

طَبَّيْتِ مَا رَزَقْتِكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ [البقرة: 57].

ويقول، ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ
وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَبَّيْتِ مَا رَزَقْتِكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأعراف: 160].

ويقول، - عزَّ من قائل -:

﴿يَبْنَیٰ إِسْرَءِیْلَ قَدْ أَبْغَيْتَكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدَنَّاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ
وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُّوا مِنْ طَبَّيْتِ مَا رَزَقْتِكُمْ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجْعَلْ عَلَيْكُمُ غَضَبِي وَمَنْ يَجْعَلْ عَلَيْهِ
غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 80 - 82].

شرك بني إسرائيل:

على الرغم من كل هذه النعم فإنَّ العبرانيين مرّوا في طريقهم على قوم
يعبدون الأصنام فطالبوا موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه، فغضب موسى لذلك
ونهاهم وزجرهم، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِیْلَ
الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ
إِلَٰهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مَثَبٌ مِّمَّا فِيهِ وَنَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: 138 - 140].

ذهاب موسى للقاء ربه:

أمر الله - تعالى - موسى باختيار سبعين رجلاً من أصلح قومه، يصعد بهم
إلى «جبل الطور» حيث يصومون ثلاثين يوماً، ويمكنون ثلاثين ليلة. فلما أتموها،
زادها الله - تعالى - عشرة ليالٍ آخر. استبطأ قوم موسى عودته، وخرجوا على
أوامر أخيه هارون وعبدوا العجل، وكان موسى قد استخلفه عليهم قبل أن يصعد

إلى الجبل تنفيذاً لأمر ربّه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نٰظِرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 51 - 57].

ويقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ لِيَمْلِكُنَا وَقَلَّمَ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلٰكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَوَىٰ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ نَجْمًا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمَلًا دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 142 - 145].

ويقول الحق - وهو أحسن القائلين -:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ [طه: 83 - 85].

وتلقّى موسى الألواح من ربّه وبها التوراة ووصاياها العشر، ورجع إلى قومه ليجدهم قد تحوّلوا إلى عبادة العجل من بعده، فغضب عليهم واشتدّ حزنه من تصرّفات أخيه وضعف موقفه منهم.

فتنة السامري لقوم موسى:

طالت غيبة موسى أربعين يوماً، فوجد السامري فيها فرصة للارتداد بقومه إلى الوثنية، فجمع الحلي التي كان نساء العبرانيين قد استعرنها من المصريات، ثم هربن بها أثناء خروجهن من مصر. ثم ادعى السامري أنه يريد التخلص من حلي المصريات بدعوى أنها مسروقة، والسرقات تجلبن اللعنة على سارقها، وعلل لهم السامري أن موسى قد احتبس عنهم بسبب ذلك. وعلى الفور قام السامري بجمع تلك الحلي وقام بصهرها وصنع منها عجلاً له خوار البقر، فعبده الإسرائيليون، ضد كل نصائح هارون ونهيه لهم عن الشرك بالله. وعندما عاد موسى إليهم ورأى ما صاروا إليه غضب غضباً شديداً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رِيبِكُمْ وَأَلْفَى الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتِهِمْ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتَّبِلُكُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْكَ قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

[الأعراف: 150 - 156].

ويقول هذا الكتاب العزيز: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ

فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهتَرُونَ بِمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَآذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

وبمجرد عودة موسى من لقاء ربه قام إلى العجل الذي كان السامري قد صنعه فحطمه، ورماه في مياه البحر وأخذ في محاكمة السامري بعد أن عاتب أخاه هارون على ما كان السامري قد فعل بقومه. بدأ السامري يروي لموسى أنه التقط حفنة من التراب من تحت حوافر فرس جبريل ﷺ حين أتى للقاء موسى، ثم لاحظ أنه ما ألقى من هذا التراب على شيء إلا ودبت فيه الحياة، فزيت له نفسه أن يفعل ذلك مع العجل الذي صنعه من الذهب المسروق. أجاب موسى بأن الله - تعالى - فرض على السامري عقاباً أنه لا يمسّ أحداً أو يمسه أحد إلا أصابتهما الحمى، فكان السامري يمشي صارخاً يقول: لا مساس!! لا مساس!! فتحاشاه الناس واجتنبوه إلى أن مات.

وأمر موسى الموحددين من قومه بقتل المشركين منهم الذين عبدوا العجل فقتلوهم، ثم قام كل من موسى وهارون بالتضرع إلى الله - تعالى - أن يعفو عن الباقيين من قومهما، وأن يغفر للذين قُتلوا منهم فاستجاب الله دعاءهما. ثم جمع موسى بقية قومه ليدكرهم بنعم الله - تعالى - عليهم، وبما أظهرهم

عليه من المعجزات، وأمرهم بالتحرك إلى أرض فلسطين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَىٰ الْحَيْبِ وَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ كَبْرًا﴾ [البقرة: 58، 59].

ويخاطب ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ مشيراً إلى هذه الواقعة فيقول له:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا بِنَايَ مُوسَىٰ سُلْطَنًا مُّبِينًا﴾ [البقرة: 247] ورَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 153، 154].

ويقول - عز من قائل -:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَنَافِقَ مِمَّا رَزَقْتُمْ وَأَخَذُوا الْأَغْيَابَ فِي دُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [البقرة: 247] وَيَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [البقرة: 248] قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [البقرة: 249] قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَخَافُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250] قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [البقرة: 251] قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 252] قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْعَابَ سِنَةٍ يَبْتَهِمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 253].

ويقول ربنا - وهو أحكم القائلين -:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَىٰ الْحَيْبِ وَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ كَبْرًا﴾ [البقرة: 58، 59].

وَمِنْهُمْ قَوْمًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَيْنَا رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّعْرِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَوَّا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبِّكَ لِيُعَذِّبَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الْأَصْلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ وَرَوُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُمْ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهم واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾

[الأعراف: 161 - 171].

ومدلول هذه الآيات أن غالبية بني إسرائيل تمردت على أوامر نبيهم موسى تمرّد الجبناء الخائفين من الدخول إلى أرض فلسطين، وفجأة قام رجلان مؤمنان ببحرّضان قومهما على الانصياع إلى أوامر الله، ودخول المدينة من بابها، ولكن الغالبية الساحقة منهم رفضت مقاتلة العماليق من أهل فلسطين رفضاً كاملاً.

عَلِبَ موسى وهارون على أمرهما فدَعَوَا الله - تعالى - أن يفرّق بينهما وبين الظالمين من بني إسرائيل. استجاب الله - تعالى - دعوتهما فحرّم على هؤلاء الجبناء الفاسقين دخول أرض فلسطين مدّة أربعين سنة. فتأهوا في شبه جزيرة سيناء لا يهتدون إلى الخروج منها، حتى مات أغلبهم في أرض التيه، عقوبة لهم على عصيانهم لأوامر الله - تعالى -، ولم يدخل إلى أرض فلسطين أحد من الذين قالوا: «إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها».

توفي هارون قبل موسى ودُفن في شبه جزيرة سيناء، ويقال إنَّ قبره قريب من جبل موسى (جبل الطور) في وسط جنوب سيناء. وبعد ذلك بفترة قصيرة مات موسى دون أن يدخل إلى أرض فلسطين، ودُفن على مشارفها، وقبره غير معروف، وتولَّى أمر العبرانيين من بعده خادمه «يوشع بن نون».

ويحوي «سفر التكوين» كلاً من كتب «الخروج» و«الأعداد» و«التثنية» التي جاء بها كلام عن كلِّ من عبد الله ونبيه موسى وأخيه النبي هارون، ولكن هذه الكتب مليئة بالتشويه، والتحريف، والتزييف على الله، وبالأنانية المطلقة لليهود الذين يعتبرون أنَّ الربَّ هو ربَّ اليهود فقط، وأنَّه قد وهب أرض فلسطين ملكاً أبدياً لهم ولذريتهم من بعدهم إلى يوم القيامة. وهذا ممَّا يؤكِّد على أنَّ كل ما في «العهد القديم» هو كلام موضوع لا علاقة له بوحى السماء وإن تحدث عنه بكلام بشري خالص، ظلَّ اليهود يتناقلونه مشافهة جيلاً بعد جيل، يضاف إليه ما يضاف، ويحذف منه ما يحذف، ويتذكر من أحداثه وينسى!! وفيما يلي بعض المقتطفات الشاهدة على ذلك:

قصة موسى وهارون ﷺ في العهد القديم :

The Israelites Oppressed

⁸Then a new king, who did not know about Joseph, came to power in Egypt. ⁹"Look," he said to his people, "the Israelites have become much too numerous for us. ¹⁰Come, we must deal shrewdly with them or they will become even more numerous and, if war breaks out, will join our enemies, fight against us and leave the country."

¹¹So they put slave masters over them to oppress them with forced labor, and they built Pithom and Rameses as store cities for Pharaoh. ¹²But the more they were oppressed, the more they multiplied and spread; so the Egyptians came to dread the Israelites ¹³and worked them ruthlessly. ¹⁴They made their lives bitter with hard labor in brick and mortar and with all kinds of work in the fields; in all their hard labor the Egyptians used them ruthlessly.

The Male Children of Israel Killed

¹⁵The king of Egypt said to the Hebrew midwives, whose names were Shiphrah and Puah, ¹⁶"When you help the Hebrew women in childbirth and observe them on the delivery stool, if it is a boy, kill him; but if it is a girl, let her live." ¹⁷The midwives, however, feared God and did not do what the king of Egypt had told them to do; they let the boys live.

¹⁸Then the king of Egypt summoned the midwives and asked them, "Why have you done this? Why have you let the boys live?" ¹⁹The midwives answered Pharaoh, "Hebrew women are not like Egyptian women; they are vigorous and give birth before the midwives arrive."

استعباد بني إسرائيل

⁸وَمَالَيْتُ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَلِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُن يَعْرِفُ يُوسُفَ. ⁹قَالَ لِشَعْبِهِ: هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ¹⁰فَلْتَتَمَّرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلَا يَتَكَثَّرُوا وَيَضْمُوا إِلَيَّ أَعدَائِنَا إِذَا نَسَبَ قِتَالٌ وَيَحَارِبُونَا ثُمَّ يُخْرِجُونَا مِنَ الْأَرْضِ. ¹¹فَمَهَلُوا يَوْمَ إِلَى مُشْرِفِينَ عَتَاةً لِيَسْخَرُوهُمْ بِالْأَعْمَالِ الشَّقَاةِ. فَتَبَا مَلِيئَتِي يَوْمَومٍ وَرَعْمِيسِينَ لِيَتَكُونَا مَخَارِنَ لِرِعْزُونَ. ¹²وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلَالِهِمْ، أَزِيدُوا تَكَثُّرَهُمْ وَيَوْمُهُمْ، فَتَخَوُّوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ¹³فَصَلَّاهُمْ عُنْفًا اسْتِعْبَادِ الْمُضْرِبِينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ¹⁴وَالْقَعْسُوا حَيَاتَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الشَّقَاةِ فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ كَالرِّجِينِ فِي الْحُجُورِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمُضْرِبُونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمُ الشَّقَاةِ.

مقتل الأطفال الذكور

¹⁵ثُمَّ قَالَ مَلِكُ مِصْرَ لِلْقَابِلَتَيْنِ الْعِبرَاتِيَّتَيْنِ الْمَدْعُوتَيْنِ شِفْرَةَ وَفُوعَةَ، ¹⁶«عِنَّمَا تُشْرِفَانِ عَلَى تَوْلِيدِ النِّسَاءِ الْعِبرَاتِيَّاتِ رَاقِبَاهُنَّ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلَادَةِ، فَإِنْ كَانَ الْمَوْلُودُ صَبِيًّا فَاقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَاتْرِكِيهَا حَيًّا. ¹⁷غَيْرَ أَنْ الْقَابِلَتَيْنِ كَانَتَا تَخَافَانِ اللَّهَ فَلَمْ تَتَّبِعَا أَمْرَ الْمَلِكِ، فَاسْتَحْيَا الْأَطْفَالَ الذُّكُورَ. ¹⁸فَلَسْتَدْعَى مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَسَأَلَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ وَاسْتَحْيَيْتُمَا الْأَطْفَالَ الذُّكُورَ؟» فَاجَابَتَاهُ: «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبرَاتِيَّاتِ لَسُنَّ كَالْمِضْرِبَاتِ، فَإِنَّهُنَّ قُوَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ وُصُولِ الْقَابِلَةِ إِلَيْهِنَّ.»

Exodus 1,2

90 / ٩٠

الخروج ٢٠١

²⁰So God was kind to the midwives and the people increased and became even more numerous. ²¹And because the midwives feared God, he gave them families of their own. ²²Then Pharaoh gave this order to all his people: "Every boy that is born you must throw into the Nile, but let every girl live."

The Birth of Moses

2 Now a man of the house of Levi married a Levite woman, ²and she became pregnant and gave birth to a son. When she saw that he was a fine child, she hid him for three months. ³But when she could hide him no longer, she got a papyrus basket for him and coated it with tar and pitch. Then she placed the child in it and put it among the reeds along the bank of the Nile. ⁴His sister stood at a distance to see what would happen to him.

Moses is Rescued

⁵Then Pharaoh's daughter went down to the Nile to bathe, and her attendants were walking along the river bank. She saw the basket among the reeds and sent her slave girl to get it. ⁶She opened it and saw the baby. He was crying, and she felt sorry for him. "This is one of the Hebrew babies," she said. ⁷Then his sister asked Pharaoh's daughter, "Shall I go and get one of the Hebrew women to nurse the baby for you?" ⁸"Yes, go," she answered. And the girl went and got the baby's mother. ⁹Pharaoh's daughter said to her, "Take this baby and nurse him for me, and I will pay you." So the woman took the baby and nursed him. ¹⁰When the child grew older, she took him to Pharaoh's daughter and he became her son. She named him Moses, saying, "I drew him out of the water."

Moses Flees to Midian

¹¹One day, after Moses had grown up, he went out to where his own people were and watched them at their hard labor. He saw an Egyptian beating a Hebrew, one of his own people. ¹²Glancing this way and that and seeing no one, he killed the Egyptian and hid him in the sand. ¹³The next day he went out and saw two Hebrews fighting. He asked the one in the wrong, "Why are you hitting your fellow Hebrew?"

¹⁴The man said, "Who made you ruler and judge over us? Are you thinking of killing me as you

وتكلمت الشعب وعظم جداً. ^{٢١}وإذ خافت الموليدات أنه لهما ينسل. ^{٢٢}ثم أصدر فرعون أمره لجميع شعبه قائلًا: «أطرحوا كل ابن يولد في النهر، أما البنات فامتنوهن».

ولادة موسى

٢ وتزوج رجل من بيت لاوي فتاة ابنة لاوي. ^٢فحملت المرأة وتولدت ابناً، وإذ رآها جميلة خبئته ثلاثة أشهر. ^٣ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، آتت بسفط من البردي وطلقة بالحبر والرثب وأضجعت الطفل ووضعت بين الخلفاء على ضفة النهر. ^٤ووقفت أخته من بعيد لترى ما يحدث له.

إنقاذ موسى

^٥والتفت ابنة فرعون لتسبحم في النهر، بينما راحت وصيغاتها تتمشقن على ضفة النهر. فرأت السفط بين الخلفاء فأرسلت وصيغتها لترجي به. ^٦ففتحت وراحت الطفل وإذ هو يبكي، فرقت له وقالت: «هذا من أولاد المصريين». ^٧فالتفت أخته لابنة فرعون، «هل أذهب وأدعو لك مربية من المصريين لترضع لك الولد؟» ^٨فاجابتها ابنة فرعون، «أذهب». ^٩فمضت الفتاة ودعت أم الضبي. ^{١٠}فالتفت لها ابنة فرعون، «أخذي هذا الضبي وأرضعيه لي، وأنا أعطيك أجرتك». ^{١١}فأخذت المرأة الضبي وأرضعته. ^{١٢}ولما كبر الولد، رثته إلى ابنة فرعون فتبته ودعته موسى (ومنذئذ مشتق) قائلًا: «إني أنشلته من الماء».

جريمة موسى وهربه

^{١١}وحدث بعد أن كبر موسى أنه ذهب ليقتد إحوته المصريين وتهدم مشقتهم، فلمح رجلاً يضرب رجلاً من جنسهم. ^{١٢}ففتفت حوله، وإذ لم يجد أحداً هناك قتل المصري وطمره في الرمل. ^{١٣}ثم خرج في اليوم التالي وإذ رجلا من جنسهم يتصارفان، فقال للمسيء: «لماذا تضرب صاحبك؟»

^{١٤}فاجابته: «من أمانك زيبا وقايسا علينا؟ أعازم أنت على

Exodus 2,3

91 / 91

الخروج ٢:٣

killed the Egyptian?" Then Moses was afraid and thought, "What I did must have become known."¹⁵ When Pharaoh heard of this, he tried to kill Moses, but Moses fled from Pharaoh and went to live in Midian, where he sat down by a well.

The Marriage of Moses

¹⁶Now a priest of Midian had seven daughters, and they came to draw water and fill the troughs to water their father's flock. ¹⁷Some shepherds came along and drove them away, but Moses got up and came to their rescue and watered their flock. ¹⁸When the girls returned to Reuel their father, he asked them, "Why have you returned so early today?" ¹⁹They answered, "An Egyptian rescued us from the shepherds. He even drew water for us and watered the flock." ²⁰"And where is he?" he asked his daughters. "Why did you leave him? Invite him to have something to eat." ²¹Moses agreed to stay with the man, who gave his daughter Zipporah to Moses in marriage. ²²Zipporah gave birth to a son, and Moses named him Gershom, saying, "I have become an alien in a foreign land." ²³During that long period, the king of Egypt died. The Israelites groaned in their slavery and cried out, and their cry for help because of their slavery went up to God. ²⁴God heard their groaning and he remembered his covenant with Abraham, with Isaac and with Jacob. ²⁵So God looked on the Israelites and was concerned about them.

Moses and the Burning Bush

3 Now Moses was tending the flock of Jethro his father-in-law, the priest of Midian, and he led the flock to the far side of the desert and came to Horeb, the mountain of God. ²There the angel of the LORD appeared to him in flames of fire from within a bush. Moses saw that though the bush was on fire it did not burn up. ³So Moses thought, "I will go over and see this strange sight—why the bush does not burn up."
⁴When the LORD saw that he had gone over to look, God called to him from within the bush, "Moses! Moses!" And Moses said, "Here I am."
⁵"Do not come any closer," God said. "Take off your sandals, for the place where you are standing is holy ground."

قُلِّي كَمَا قَلَّتِ الْمِصْرِيُّ؟ فَخَلَفَ مُوسَى وَقَالَ: مَخَافًا إِنَّ الْخَيْرَ قَدْ لَاحَ. ^{١٥} وَبَلَغَ الْخَيْرَ تَسْمَعُ بِرُغُوبِ، فَسَمِعَ إِلَى قَتْلِ مُوسَى، إِلَّا أَنْ مُوسَى هَرَبَ مِنْ رُجُوبِ رُغُوبِ، وَنَهَضَ لِيَقِيمَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، فَبَلَّغَهَا وَجَلَسَ عِنْدَ الْبُيُوتِ.

زواج موسى

^{١٦} وَكَانَ رِجَالِيْن مِدْيَانَ سَبْعَ قَبَائِلِ فَاتَّبَعَتْ وَأَسْقَيْنَ مَاءَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيشْقِينَ عِنَمَ أَبِيهِنَّ. ^{١٧} فَجَاءَ الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ، فَخَرَّ أَنْ مُوسَى هَمَّ بِإِجْتِنَانِ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ^{١٨} وَعَلِمْنَا رَجَعَتْ الْقَبَائِلُ إِلَى دَعْوَتِ أَبِيهِنَّ سَأَلَهُنَّ: مَا نَالَكُنَّ بِتَرْكِنَ بِالرُّجُوبِ الْيَوْمِ؟ ^{١٩} فَأَجَبَتْهُ: رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَقَلَّتْنَا مِنْ لِيَدِي الرُّعَاةِ، فَاسْتَقَى لَنَا وَلَقَمْنَا أَيْضًا. ^{٢٠} فَسَأَلَهُنَّ: وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ أَدْعُوهُ لِيَأْكُلَ عِطَامًا. ^{٢١} وَقِيلَ: مُوسَى أَنْ يَأْتِيَ مَعَ الرَّجُلِ الَّذِي زَوَّجَهُ مِنْ أَيْتِهِ صُورَةَ. ^{٢٢} فَوَلَّجَتْ لَهُ ابْنًا دَعَاهُ جِرْشُومَ (وَمَعْنَاهُ غَرِيبٌ) إِذْ قَالَ: دَكُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضِ غَرِيبَةٍ.

^{٢٣} وَبَعْدَ مُرُورِ جَيْتِ طَوِيلَةٍ مَاتَ مَلِكُ مِصْرَ، وَرَفَعَ آيِنُ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ وَصَرَاعُهُمْ مِنْ وَطْأَةِ الْعَبُودِيَّةِ، وَصَجِدَ إِلَى آدَمِ. ^{٢٤} فَتَلَمَّسَ اللَّهُ إِلَى آيِنِهِمْ، وَتَذَكَّرَ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. ^{٢٥} وَنَظَرَ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ (وَدَقَّ بِحَالِهِمْ).

ظهور الله لموسى

٣ وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ نَزَعَى عِنَمَ حَمِيهِ يَتَرَبَّنَ كَلْبِيْن مِدْيَانَ، فَخَدَّ الْقَوْمَ إِلَى مَا وَرَاءَ الْبُشْبُورِ الْأَقْصَى مِنْ الْخُرَّاهِ حَتَّى جَاءَ إِلَى حُوبِيبِ جَبَلِ آدَمِ. ^٢ وَأَمَّا تَكَّ جَلَّى لَهُ مَلَكُ الرَّبِّ بِلُؤَيْبِ نَارٍ وَسَطَ غُلْبَةٍ، فَطَرَّ مُوسَى وَوَلَّأَ بِالغُلْبَةِ تَتَبَّدَ دُونَ أَنْ يَحْتَرِقَ. ^٣ فَخَلَفَ مُوسَى: أَمِيلُ الْآنَ لِأَسْتَظْلِعَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ: لِمَاذَا لَا يَحْتَرِقُ الْعُلْبَةُ؟ ^٤ وَعَلِمْنَا رَأَى الرَّبُّ أَنَّ مُوسَى قَدْ دَنَا لِأَسْتَظْلِعَ الْأَمْرَ نَائِكًا مِنْ وَسَطِ الْعُلْبَةِ فَجَاءَ: مُوسَى. ^٥ وَقَالَ: مَا أَنَا؟ ^٥ وَقَالَ: لَا تَقْرُبْ إِلَى هُنَا، أَلْطَعُ جِدَاكَ مِنْ رَجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ.

Exodus 3

92 / ٩٢

المخرج ٣

God Calls Moses

⁶Then he said, "I am the God of your father, the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob." At this, Moses hid his face, because he was afraid to look at God. ⁷The LORD said, "I have indeed seen the misery of my people in Egypt. I have heard them crying out because of their slave drivers, and I am concerned about their suffering. ⁸So I have come down to rescue them from the hand of the Egyptians and to bring them up out of that land into a good and spacious land, a land flowing with milk and honey—the home of the Canaanites, Hittites, Amorites, Perizzites, Hivites and Jebusites. ⁹And now the cry of the Israelites has reached me, and I have seen the way the Egyptians are oppressing them. ¹⁰So now, go. I am sending you to Pharaoh to bring my people the Israelites out of Egypt."

¹¹But Moses said to God, "Who am I, that I should go to Pharaoh and bring the Israelites out of Egypt?"

¹²And God said, "I will be with you. And this will be the sign to you that it is I who have sent you: When you have brought the people out of Egypt, you will worship God on this mountain."

¹³Moses said to God, "Suppose I go to the Israelites and say to them, 'The God of your fathers has sent me to you,' and they ask me, 'What is his name?' Then what shall I tell them?"

¹⁴God said to Moses, "I AM WHO I AM. This is what you are to say to the Israelites: 'I AM has sent me to you.'"

God's Promise to Free Israel

¹⁵God also said to Moses, "Say to the Israelites, 'The LORD, the God of your fathers—the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob—has sent me to you.' This is my name forever, the name by which I am to be remembered from generation to generation. ¹⁶Go, ¹⁷assemble the elders of Israel and say to them, 'The LORD, the God of your fathers—the God of Abraham, Isaac and Jacob—appeared to me and said: I have watched over you and have seen what has been done to you in Egypt. ¹⁷And I have promised to bring you up out of your misery in Egypt into the land of the Canaanites, Hittites, Amorites, Perizzites, Hivites and Jebusites—a land flowing with milk and honey.'

¹⁸The elders of Israel will listen to you. Then you and the elders are to go to the king of Egypt and

دعوة الله لموسى
كَمْ قَالَ، «أَنَا هُوَ إِلَهُ أَبِيكَ. إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَهُ إِسْحَاقَ، وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». عِنْدَئِذٍ غَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَرَى اللَّهُ (فِيْمُوت). «قَالَ الرَّبُّ، «قَدْ صَدَدْتُ مَلَلَةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَصَبِغْتُ صَرَاحَهُمْ مِنْ جِزَاءِ عَتْوَى مُسْتَحْرَبِيْمَ وَتَرَكْتُ مَعْقَاتِهِمْ. فَذَرَلْتُ لِأَتَقَلِّبَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَالْمُخْرِجَهُمْ مِنْ بِلْدِكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَجِيَّةٍ يَبِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالنُّبُوثِيِّينَ. وَفَا هُوَ الْآنَ قَدْ وَصَلَ إِلَيَّ صَرَاحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَذَلَّتْ كَيْفَ تَضْلِيغُهُمُ الْبِصْرِيُّونَ. «لَهْلُمُ الْآنَ لِأُرْسَلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ».

¹¹«قَالَ مُوسَى لِلَّهِ، «مَنْ أَنَا حَتَّى أَنْصِبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَالْمُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» فَأَجَابَ، «أَنَا أَكُونُ مَعَكَ. وَتَمَتَّى الْمُرَجَبَةُ الشُّغْبُ مِنْ مِصْرَ تَقْدِمُونَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَتَكُونُ عَيْدُ لَكَ أَعْلَامَةٌ أَنِّي أَنَا أُرْسَلْتُكَ». ¹³«قَالَ مُوسَى لِلَّهِ، «دَيْمًا أَلْبِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقَوْلُ لَهُمْ، إِنْ إِلَهَ آبَائِكُمْ قَدْ تَخَيَّرَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَسْمُهُ، مَا أَسْمُهُ؟ فَكَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ؟» فَأَجَابَهُ اللَّهُ، «أَهْتَبِ الَّذِي أَهْتَبُ، (وَمَعْنَاهُ أَنَا الْكَاتِبِينَ الْكَلِيمِينَ). وَأَضَافَ، «مَعَكَ قَوْلُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، «أَهْتَبُ (أَنَا الْكَاتِبِينَ، هُوَ الَّذِي أُرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ».

وعد الله بتحرير بني إسرائيل
¹⁵وقال أيضاً لموسى، «مَعَكَ قَوْلُ لِشَعْبِ إِسْرَائِيلَ، إِنْ الرَّبُّ الْكَاتِبِينَ، إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ أُرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ. هَذَا هُوَ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ، وَهُوَ الْأَسْمُ الَّذِي أَدْعُو بِهِ مِنْ جِبَلِ إِلَى جِبَلِ». ¹⁶«فَقَبَّ وَاجْتَمَعَ شُيُوعُ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ، إِنْ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ تَجَلَّى لِي قَبْلًا، إِنْني حَصَا قَدْ تَقَلَّلْتُمْ، وَشَهَدْتُ مَا أَصَابَكُمْ فِي مِصْرَ. وَفَا أَنَا قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أُمْرِجَكُمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالنُّبُوثِيِّينَ. هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي يَبِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا. ¹⁸فَتَسْمِعُ الشُّيُوعُ الْكَلَامَ فَتَقْتُلُ أَنْتَ وَتَسْمِعُ إِسْرَائِيلَ أَمَامَ مَلِكِ مِصْرَ

say to him, 'The LORD, the God of the Hebrews, has met with us. Let us take a three-day journey into the desert to offer sacrifices to the LORD our God.'¹⁹ But I know that the king of Egypt will not let you go unless a mighty hand compels him.²⁰ So I will stretch out my hand and strike the Egyptians with all the wonders that I will perform among them. After that, he will let you go.

²¹"And I will make the Egyptians favorably disposed toward this people, so that when you leave you will not go empty-handed. ²²Every woman is to ask her neighbor and any woman living in her house for articles of silver and gold and for clothing, which you will put on your sons and daughters. And so you will plunder the Egyptians."

Signs for Moses

4 Moses answered, "What if they do not believe me or listen to me and say, 'The LORD did not appear to you?'"² Then the LORD said to him, "What is that in your hand?" "A staff," he replied.³ The LORD said, "Throw it on the ground." Moses threw it on the ground and it became a snake, and he ran from it.⁴ Then the LORD said to him, "Reach out your hand and take it by the tail." So Moses reached out and took hold of the snake and it turned back into a staff in his hand.⁵ "This," said the LORD, "is so that they may believe that the LORD, the God of their fathers—the God of Abraham, the God of Isaac and the God of Jacob—has appeared to you."

⁶Then the LORD said, "Put your hand inside your cloak." So Moses put his hand into his cloak, and when he took it out, it was leprous, like snow.⁷ "Now put it back into your cloak," he said. So Moses put his hand back into his cloak, and when he took it out, it was restored, like the rest of his flesh.⁸ Then the LORD said, "If they do not believe you or pay attention to the first miraculous sign, they may believe the second.⁹ But if they do not believe these two signs or listen to you, take some water from the Nile and pour it on the dry ground. The water you take from the river will become blood on the ground."

Moses Tries to Evade God

¹⁰Moses said to the LORD, "O Lord, I have never been eloquent, neither in the past nor since you have spoken to your servant. I am slow of speech

وقول له، إن الرب إله العبرانيين قد تقَدَّنا، فَعَدَّنا نَحْمِيهِمْ سَعيَةً ثَلَاثَ أَيَّامٍ فِي الْوَبْئِ وَتَقَدَّمُ نَتَبَّحَ لِلرَّبِّ إِهْنًا. ¹⁹ وَأَلْبَسِي عَلِيمَ أَنْ تَمْلِكَ بِمِضْرَ لَنْ تَمْلِقَكُمْ مَا لَمْ تُزْعِمُهُ يَدَ قُوَّةٍ. ²⁰ فَكَيْفَ تَدْرِي وَأَضْرِبُ وَمِضْرَ بِجَمِيعِ تَلَّابِي الَّتِي اسْتَفْتَا فِيهَا، وَتَعْدُ ذَلِكَ بِمَلِيقِكُمْ. ²¹ وَأَجْعَلْ هَذَا الشَّعْبَ يَتَّبِعُ بِرُحَى الْبُشْرِيِّينَ، فَلَا تَخْرُجُونَ فَاوْعِينَ جِيئًا تَنْضُونَ، ²² كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارِعَتَا أَوْ نَهْلَةٍ تَنْتَبِهَا جَوَابِرَ فِضَّةٍ وَفِضَّةٍ وَذَهَابًا فُلَيْسُوتَهَا تَبِيحَكُمْ وَتَبَايَعْتُمْ تَقْتَلْتُمُونَ ذَلِكَ مِنَ الْبُشْرِيِّينَ.

معجزات برهانية

٤ قَالَ مُوسَى، مَاذَا إِذَا لَمْ يَصَدِّقُونِي وَلَمْ يَنْصَرُوا إِلَيَّ وَقَالُوا، إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَظْهَرْ لَكَ. ^٢ أَقْسَاةَ الرَّبِّ، مَا بِكَ الَّتِي بِهَيْكَلِي؟ فَأَجَابَ، وَعَصَا. ^٣ قَالَ، أَلَيْهَا عَلَى الْأَرْضِ. ^٤ فَالْتَفَاتُ فِيمَا فِي حَيْثُ فَهَرَبَ مِنْهَا مُوسَى. ^٥ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، مَدِّ يَدَكَ وَأَخْبِضْ عَلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْعَصَا. ^٦ فَمدَّ مُوسَى يَدَهُ وَخَبَسَ عَلَيْهَا، فَكَوْنَتْ عَصَا فِي يَدِهِ. ^٧ وَقَالَ الرَّبُّ، هَذَا لِي تَلْبِسَ أَنْ الرَّبَّ إلهَ آبَائِكُمْ، إلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإلهَ إِسْحَاقَ وَإلهَ يَعْقُوبَ قَدْ ظَهَرَ لَكَ. ^٨ كَيْفَ قَالَ الرَّبُّ أَنْصَا، أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ، فَادْخُلْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ. ^٩ وَبَعَثْنَا الْخُرْجَ إِذَا جَاءَ نَزْءُهُ كَالنَّجْلِجِ وَأَسْرَةُ الرَّبِّ، وَذُ تَمَكَّ إِلَى جَيْبِكَ ثَابِتَةً. ^{١٠} فَسَرَدَ يَدَهُ إِلَى جَيْبِهِ ثَابِتَةً ثُمَّ الْخُرْجَ مِنْ جَيْبِهِ، وَإِذَا عِجَابٌ قَدْ عَانَتْ وَيَلِي جَيْبِهِ. ^{١١} وَقَالَ الرَّبُّ، إِذَا لَمْ يَصَدِّقُوا، أَوْ يَحْتَمُوا الْمُنْجِزَةَ الْأُولَى أَنْتَبَّاحَهُمْ، فَرَأَيْتُمْ يَصَدِّقُونَ الْثَابِتَةَ. ^{١٢} وَإِلَّا لَمْ يَصَدِّقُوا هَلَاكِي الْأَنْبِيَاءِ وَلَمْ يَنْصَرُوا لِكَلَامِكَ، فَانْصَرِفْ مِنْ نَهْرِ النَّهْرِ وَأَسْكُنْ عَلَى الْأَرْضِ الْخَالِقةِ، فَيَحْتَمِلُ الْمَاءَ الَّتِي عَرَفْتَهُ مِنْ النَّهْرِ إِلَى نَهْرِ الْأَرْضِ.

مهرب موسى

^{١٠} قَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ، وَضَخَ تَبَارُهُ، أَنَا لَمْ أَكُنْ فِي نَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَصِيحًا، لَا فِي الْأَمْسِ، وَلَا مُنْذُ أَنْ خَلَقْتِ

Exodus 4

94 / 91

الحروج ٤

and tongue.”¹¹ The LORD said to him, “Who gave man his mouth? Who makes him deaf or mute? Who gives him sight or makes him blind? Is it not I, the LORD?”¹² Now go; I will help you speak and will teach you what to say.”¹³ But Moses said, “O Lord, please send someone else to do it.”¹⁴ Then the LORD’s anger burned against Moses and he said, “What about your brother, Aaron the Levite? I know he can speak well. He is already on his way to meet you, and his heart will be glad when he sees you.”¹⁵ You shall speak to him and put words in his mouth; I will help both of you speak and will teach you what to do.”¹⁶ He will speak to the people for you, and it will be as if he were your mouth and as if you were God to him.”¹⁷ But take this staff in your hand so you can perform miraculous signs with it.”

عندك. إني أنا بطيء الألفظ عيب اللسان. فقال الرب له، من هو باري، فم الإنسان؟ أو من يجعله الخرس أو أحم أو بصيراً أو تجهيفاً؟ انت أنت الرب؟ قالان أطلعني فألقن فمك الألفظ، وأعلمك ماذا تقول. لكن موسى اجاب، يا سيدي، أترسل لي إنك أن ترسل من تشاء عيبي. فأخبرتهم غضب الرب على موسى وقال، واليس هرون الأديبي أخاك؟ أنا أعلم أنه يجيب الكلام، وما هو أيضاً قديم للقبلي. وحلفنا نراك يتعجب قلبه. فحمله وتلقن فمه الكلام، فأبيناكم على القول، وأعلمكم ماذا تفعلان. فبخطيب هو الشعب عنك وتكون لك بمثابة فم وتنت تكون له بمثابة أيد. وأخذ بيديك هذه أعضا لتضع بها المعجزات.

Moses Returns to Egypt

¹⁸ Then Moses went back to Jethro his father-in-law and said to him, “Let me go back to my own people in Egypt to see if any of them are still alive.” Jethro said, “Go, and I wish you well.”¹⁹ Now the LORD had said to Moses in Midian, “Go back to Egypt, for all the men who wanted to kill you are dead.”²⁰ So Moses took his wife and sons, put them on a donkey and started back to Egypt. And he took the staff of God in his hand.

رحلة العودة
¹⁸ فرجع موسى إلى ثرون حمويه وقال له، مدعني أعود إلى قومي في مضر لأرى أما زالوا بعد أخين. فأجاب ثرون موسى، اذهب بسلام.
¹⁹ وأمر الرب موسى في ميدان، هيا أرجع إلى مضر، فإنه قد مات جميع الساعين إلى القضاء عليك. فأخذ موسى امرأته وتبنيه وأزكيتهم على الحميم ونمى عبداً إلى أرض مضر. وأخذ معه عضا الله أياًها.

God Instructs Moses

²¹ The LORD said to Moses, “When you return to Egypt, see that you perform before Pharaoh all the wonders I have given you the power to do. But I will harden his heart so that he will not let the people go.”²² Then say to Pharaoh, ‘This is what the LORD says: Israel is my firstborn son,’²³ and I told you, “Let my son go, so he may worship me.” But you refused to let him go; so I will kill your firstborn son.”

تعليمات الرب لموسى
²¹ وقال الرب لموسى، حلفاً فارجع إلى مضر، فذكر أن تجري أمام فيرعون جميع العجايب التي منحتك القوة على إجزائها، وتكفي سألني قلبه لا يطلع الشعب. ثم قل لفيرعون، هذا ما يقول الرب، إسرائيل هو أبنى ألكبر. قلت لك، أطلق أبنى إغيبني، ولكمك رفضت إطلاقه. لذلك سأهلك أبنك ألكبر.

²⁴ At a lodging place on the way, the LORD met Moses and was about to kill him.²⁵ But Zipporah took a flint knife, cut off her son’s foreskin and touched Moses’ feet with it. “Surely you are a bridegroom of blood to me,” she said.²⁶ So the LORD let him alone. (At that time she said “bridegroom of blood,” referring to circumcision.)

²⁴ وفي أثناء الطريق، بالكذب من خان، ألقاه الرب وهم أن يقتله. فأخذت صخرة صوانة وقطعت قلباً أنها وتشتت بنا فتمنى موسى قبيلة، حفا إنك عريس دم لي. فلفنا الرب عنه، جيتيد قلت، عريس دم من أجل الختان.

Exodus 4,5

95 / 90

الخروج ٥:٤

Moses Performs Miracles

²⁷The LORD said to Aaron, "Go into the desert to meet Moses." So he met Moses at the mountain of God and kissed him. ²⁸Then Moses told Aaron everything the LORD had sent him to say, and also about all the miraculous signs he had commanded him to perform. ²⁹Moses and Aaron brought together all the elders of the Israelites, ³⁰and Aaron told them everything the LORD had said to Moses. He also performed the signs before the people, ³¹and they believed. And when they heard that the LORD was concerned about them and had seen their misery, they bowed down and worshiped.

موسى يجري المعجزات
 "وقال الرب لهارون، اذهب إلى الصحراء ليقابل
 موسى. فمضى وألقاه عند جبل الرب وقبّله. ^{٢٨} فأخبر
 موسى هرون على جميع كلام الرب الذي أرسله إليه، وما
 كلّفه به من آيات. ^{٢٩} ثم أتوا موسى وهرون وجميع كل
 شيوخ بني إسرائيل. ^{٣٠} فعرض لهم هرون بجميع ما قاله الرب
 لموسى. وأجروى موسى المعجزات أمامهم. ^{٣١} فلما
 الشعب، وعلما سؤلوا أن الله قد اخطبهم ونظر إلى
 شدّتهم انحسروا ساجدين.

God Speaks to Moses and Aaron

7 Then the LORD said to Moses, "See, I have made you like God to Pharaoh, and your brother Aaron will be your prophet. ²You are to say everything I command you, and your brother Aaron is to tell Pharaoh to let the Israelites go out of his country. ³But I will harden Pharaoh's heart, and though I multiply my miraculous signs and wonders in Egypt, ⁴he will not listen to you. Then I will lay my hand on Egypt and with mighty acts of judgment I will bring out my divisions, my people the Israelites. ⁵And the Egyptians will know that I am the LORD when I stretch out my hand against Egypt and bring the Israelites out of it." ⁶Moses and Aaron did just as the LORD commanded them. ⁷Moses was eighty years old and Aaron eighty-three when they spoke to Pharaoh.

الرب يخاطب موسى وهرون
 قال الرب لموسى، انا جعلتك كإله لفرعون،
 وهرون أخوك يكون نبيّ لك. ^٢ فقلبك أن تبيّنه
 بكل ما أمرك به، فيخاطب أخوك هرون فرعون كما يأمرك
 ستخرج بني إسرائيل من بلادهم. ^٣ ولكني أقسى قلب فرعون
 فأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر. ^٤ إلا أن فرعون لن
 يسمع لكما. ^٥ علني أضرب مصر وأخرج شعبي إسرائيل
 من أرض مصر بقوات أحكام عظيمة. ^٦ فلهذا أوبسروا
 حين أضرب مصر وأخرج بني إسرائيل من بينهم أنني أنا
 الرب. ^٧ ففعل موسى وهرون تماما كما أمرهما الرب.
 وكان موسى في الثمانين من عمره، وهرون في الثلاثين
 والثلاثين، علما خاطبا فرعون.

Aaron's Staff Becomes a Snake

⁸The LORD said to Moses and Aaron, "When Pharaoh says to you, 'Perform a miracle,' then say to Aaron, 'Take your staff and throw it down before Pharaoh,' and it will become a snake." ⁹So Moses and Aaron went to Pharaoh and did just as the LORD commanded. Aaron threw his

معجزة الحية
 "وقال الرب لموسى وهرون، ^٨ علما تطلب فرعون منكما
 قديلا، أجباني عجيبة فقل لفرعون، خذ عصاك وألقها
 أمام فرعون فتتحول إلى حية. ^٩ ففعل هرون وموسى أمام
 فرعون وقبلا تماما حسب أمر الرب، فالتقى هرون عصاه

Exodus 7

99 / ٩٩

٧ الخروج

staff down in front of Pharaoh and his officials, and it became a snake. ¹¹Pharaoh then summoned wise men and sorcerers, and the Egyptian magicians also did the same things by their secret arts: ¹²Each one threw down his staff and it became a snake. But Aaron's staff swallowed up their staffs. ¹³Yet Pharaoh's heart became hard and he would not listen to them, just as the LORD had said.

God's Threat to Pharaoh

¹⁴Then the LORD said to Moses, "Pharaoh's heart is unyielding; he refuses to let the people go. ¹⁵Go to Pharaoh in the morning as he goes out to the water. Wait on the bank of the Nile to meet him, and take in your hand the staff that was changed into a snake. ¹⁶Then say to him, 'The LORD, the God of the Hebrews, has sent me to say to you: Let my people go, so that they may worship me in the desert. But until now you have not listened. ¹⁷This is what the LORD says: By this you will know that I am the LORD: With the staff that is in my hand I will strike the water of the Nile, and it will be changed into blood. ¹⁸The fish in the Nile will die, and the river will stink; the Egyptians will not be able to drink its water.'"

The Plague of Blood

¹⁹The LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Take your staff and stretch out your hand over the waters of Egypt—over the streams and canals, over the ponds and all the reservoirs—and they will turn to blood. Blood will be everywhere in Egypt, even in the wooden buckets and stone jars.'" ²⁰Moses and Aaron did just as the LORD had commanded. He raised his staff in the presence of Pharaoh and his officials and struck the water of the Nile, and all the water was changed into blood. ²¹The fish in the Nile died, and the river smelled so bad that the Egyptians could not drink its water. Blood was everywhere in Egypt. ²²But the Egyptian magicians did the same things by their secret arts, and Pharaoh's heart became hard; he would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said.

Pharaoh Hardens His Heart

²³Instead, he turned and went into his palace, and did not take even this to heart. ²⁴And all the Egyptians dug along the Nile to get drinking water,

أمام فيرعون وأمام حاشيته فتحوّلت إلى حية. ¹¹فأستدعى فيرعون حكّماه وسحرته فصنع سحرة مضر على عِزّار ذلك يسخرهم. ¹²فطرح كل واحد عصاه فتحوّلت إلى حية. غير أن عصا هرون ابتلعت جميعهم. ¹³لكن قلب فيرعون أزداد تصلباً فلم يسمع لهما. تماماً كما قال الربُّ.

وعيد الرب لفرعون

¹⁴فلم قال الربُّ لموسى، «إن قلب فيرعون قد تصلب. وهو يرفض أن يطلق سراح الشعب. ¹⁵فانتقل أمام فيرعون في البدر حينما يخرج إلى الماء، واقف بالقرب عند ضفة النهر. وخذ بيدك العصا التي تحوّلت إلى حية. ¹⁶وقل له، «إن الربُّ إله العبرانيين قد أرسلني إليك قائلًا، أطلق سراح شعبي ليفتخروني في الصحراء. وما أنت حتى الآن لم تسمع. ¹⁷هكذا لك ما يقول الربُّ، سنظلم بما أجريه الآن أنني أنا الربُّ. ها أنا ضارب بيدى العصا التي في يدي على ماء النهر فتحوّل دماً. ¹⁸تموت السمك، وتنتن النهر، فيعطل المضطربون من الشرب من مائه.»

الضربة الأولى: ضربة الدم

¹⁹وتخلط الربُّ موسى، «قل لهرون، خذ عصاك وكبسط يديك على مياه المضطربين وعلى أنهارهم وعلى جداولهم وسوايلهم وخزانات المياه فتحوّل كلها إلى دم. وتكون دم في كل أرض مضر حتى في الأواني الخشبية والحجرية. ²⁰وهكذا فعل موسى وهرون كما أمر الربُّ. فرفع هرون العصا وضرب ماء النهر على مشهد من فيرعون وحاشيته فتحوّل كل ماء النهر إلى دم. ²¹ومات كل سمك وانتن النهر فلم يشرب المضطربون الشرب من مائه. وكان دم في كل أرجاء أرض مضر. ²²وكذلك فعل سحرة مضر يسخرهم، فصلب قلب فيرعون فلم يسمع لهما. تماماً حسب قول الربُّ.

تصلب فرعون

²³وانصرف فيرعون إلى منزله من غير أن يتذكر ذلك أثاراً في قلبه. ²⁴وحفر جميع المضطربين حُفراً حول النهر طلباً لماء

Exodus 7,8

100 / ١٠٠

المخرج ٨.٧

because they could not drink the water of the river.
²⁵Seven days passed after the LORD struck the Nile.

The Plague of Frogs

8 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD says: Let my people go, so that they may worship me. ²If you refuse to let them go, I will plague your whole country with frogs. ³The Nile will teem with frogs. They will come up into your palace and your bedroom and onto your bed, into the houses of your officials and on your people, and into your ovens and kneading troughs. ⁴The frogs will go up on you and your people and all your officials.'"

⁵Then the LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Stretch out your hand with your staff over the streams and canals and ponds, and make frogs come up on the land of Egypt.'" ⁶So Aaron stretched out his hand over the waters of Egypt, and the frogs came up and covered the land. ⁷But the magicians did the same things by their secret arts; they also made frogs come up on the land of Egypt.

Pharaoh's Promise to Free the Israelites

⁸Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Pray to the LORD to take the frogs away from me and my people, and I will let your people go to offer sacrifices to the LORD." ⁹Moses said to Pharaoh, "I leave to you the honor of setting the time for me to pray for you and your officials and your people that you and your houses may be rid of the frogs, except for those that remain in the Nile." ¹⁰"Tomorrow," Pharaoh said. Moses replied, "It will be as you say, so that you may know there is no one like the LORD our God. ¹¹The frogs will leave you and your houses, your officials and your people; they will remain only in the Nile."

Pharaoh Changes His Mind

¹²After Moses and Aaron left Pharaoh, Moses cried out to the LORD about the frogs he had brought on Pharaoh. ¹³And the LORD did what Moses asked. The frogs died in the houses, in the courtyards and in the fields. ¹⁴They were piled into heaps, and the land reeked of them. ¹⁵But when Pharaoh saw that there was relief, he

أشرب، لأنهم لم يستطيعوا أن يشربوا من ماء النهر.
¹⁰وأنقضت سبعة أيام منذ أن ضرب الله مياة النهر.

الغربة الثانية: صعود الضفادع

٨ ثم قال الرب لموسى، "اذهب إلى فرعون وقل له، هذا ما يقول الرب، أطلق شعبي ليخدموني. ^٢وإن أبنت أن أطلقهم فيها أنا ضاربت جميع أنهارك بالضفادع. ^٣تفيض الأنهار بالضفادع التي تصعد وتغطى بيتك وتلدغ فراشك وتسير عليك وتكون عليك وتغشى شعبك والارثان وتعاجنك. ^٤أطعنك وعلى شعبك وعلى شاعر خبزيتك تصعد الضفادع.

ثم قال الرب لموسى، "قل لهارون، امد يديك معك على الأنهار والقنوات والبحيرات والبيوت والحدائق على كل أرض مصرية. ^٦أستطخض هرون مده على مياه مصر فالتفت الضفادع وغطت أرض مصر. ^٧وقد ذلك فعل السحرة بسحرهم فاستعدوا ضفادع على أرض مصر.

وعد بإطلاق الشعب

ثم استخضع فرعون موسى وفرعون وقال، فضرعوا إلى الرب ليأخذ الضفادع على وعن شعبي، فأطلق شعبي ليعتصموا لكمع لده. فأجاب موسى فرعون، وعين لي متى أطس من أجلك ومن أجل عبيدك وشعبك. يعني تبتد الضفادع عنك وعن بيوتك، ماعدنا تلك البقية في النهر. ^{١٠}فقال فرعون، هكذا. فأجابه موسى، فليكن كذلك، لتعرف أنه لا منال للرب إلها. ^{١١}فإن الضفادع ستخرج من حولك ومن بيوتك ومن حول خبزيتك وشعبك، ولا تبقى إلا في النهر.

دعاه موسى وتصلب فرعون

^{١٢}وبعد أن أضرقت موسى وفرعون من لذل فرعون على موسى إلى الرب من أجل الضفادع التي أضعفها على فرعون. ^{١٣}فقال الرب حسب دعاه موسى، فالتفت الضفادع من البيوت والحدائق والحقول. ^{١٤}فجمعتها أكواماً كثيرة حتى اتنت منها الأرض. ^{١٥}وبينما رأى فرعون أن البلية

Exodus 8

101 / ١٠١

المخرج ٨

hardened his heart and would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said.

فقد أقتضت، أظفأ قلبه ولم ينسجع لهما، كما قال الرب.

The Plague of Gnats

The Plague of Gnats
16Then the LORD said to Moses, "Tell Aaron, 'Stretch out your staff and strike the dust of the ground,' and throughout the land of Egypt the dust will become gnats."¹⁷They did this, and when Aaron stretched out his hand with the staff and struck the dust of the ground, gnats came upon men and animals. All the dust throughout the land of Egypt became gnats.¹⁸But when the magicians tried to produce gnats by their secret arts, they could not. And the gnats were on men and animals.¹⁹The magicians said to Pharaoh, "This is the finger of God." But Pharaoh's heart was hard and he would not listen, just as the LORD had said.

الضربة الثالثة: غزو البعوض
16قال الرب لموسى، «قل لإهرون أن تبتط يدك بقصة تضرط تراب الأرض ليصلا البعوض كل أرجاء مصر.»¹⁷وهكذا فعلوا، إذ بتط هرون يدك بقصة وضرط تراب الأرض، فانتشر البعوض على الناس والبهائم. فصار كل تراب الأرض بعوضا في جميع أرجاء مصر.¹⁸وكذلك حاول السحرة بسخريهم ليطرحوا البعوض فأخطوا. وكان البعوض منتشرأ على الناس والبهائم.¹⁹قال السحرة لإرعون، هو فعل الله. ولكن قلب إرعون ظل متصلا فلم ينسجع لهما، تماما كما قال الرب.

The Plague of Flies

The Plague of Flies
20Then the LORD said to Moses, "Get up early in the morning and confront Pharaoh as he goes to the water and say to him, 'This is what the LORD says: Let my people go, so that they may worship me.²¹If you do not let my people go, I will send swarms of flies on you and your officials, on your people and into your houses. The houses of the Egyptians will be full of flies, and even the ground where they are.²²But on that day I will deal differently with the land of Goshen, where my people live; no swarms of flies will be there, so that you will know that I, the LORD, am in this land.²³I will make a distinction between my people and your people. This miraculous sign will occur tomorrow.'"²⁴And the LORD did this. Dense swarms of flies poured into Pharaoh's palace and into the houses of his officials, and throughout Egypt the land was ruined by the flies.

الضربة الرابعة: أسراب الذباب
20قال الرب لموسى، «أتهن متكرأ في الصباح وقف أمام إرعون عند خروجه إلى الماء وقل له، هكذا يقول الرب، أطلق شعبي ليشتبوني.»²¹وان لم تطلق شعبي فما أنا أوصل أسراب الذباب عليك وعلى خاسيتك وعلى شعبيك وعلى بؤيتك، فتشطي بؤوت الميضرين بالذباب، وكذلك الأرض التي يقيمون عليها.²²ولكني في ذلك اليوم أظطي أرض جاشان حيث يسكن شعبي فلا تضرها الذباب، فتترك أنني أنا الرب، كما في حيو الأرض.²³وأما بين شعبي وشعبيك، فتكون حيو تبة القيد.»²⁴وهكذا صنع الرب، فقد عزت أسراب عظيمة من الذباب بيت إرعون وبؤوت خاسيتيه، وكل أرض مصر فأضاب الذباب الأرض بالذباب.

Pharaoh's Second Promise

Pharaoh's Second Promise
25Then Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Go, sacrifice to your God here in the land."²⁶But Moses said, "That would not be right. The sacrifices we offer the LORD our God would be detestable to the Egyptians. And if we offer sacrifices that are detestable in their eyes, will they not stone us?"²⁷We must take a three-day journey into the desert to offer sacrifices to the LORD our God, as he commands us."²⁸Pharaoh

وعد ثان بإطلاق الشعب
25فاستدعى إرعون موسى وهرون وقال، «انضوا وقدموا بؤية لإلهكم في حيو الأرض.»²⁶فاجلد موسى، ليس مشتتأ أن تعمل هذه، لأن الألبع التي نقتنها للرب إلهنا هي رجس لدى الميضرين. فإن قعدنا حيو الألبع التي نكرزها الميضرين، ألا نرجموننا؟²⁷لكن نذهب مسيرة ثلاثة أيام في الصحراء، فقدم ذبائح للرب إلهنا كما أمرنا.²⁸قال

Exodus 8,9

102 / 101

said, "I will let you go to offer sacrifices to the LORD your God in the desert, but you must not go very far. Now pray for me."²⁹ Moses answered, "As soon as I leave you, I will pray to the LORD, and tomorrow the flies will leave Pharaoh and his officials and his people. Only be sure that Pharaoh does not act deceitfully again by not letting the people go to offer sacrifices to the LORD."

³⁰Then Moses left Pharaoh and prayed to the LORD,³¹ and the LORD did what Moses asked: The flies left Pharaoh and his officials and his people; not a fly remained.³² But this time also Pharaoh hardened his heart and would not let the people go.

The Plague on Livestock

9 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: "Let my people go, so that they may worship me."² If you refuse to let them go and continue to hold them back,³ the hand of the LORD will bring a terrible plague on your livestock in the field—on your horses and donkeys and camels and on your cattle and sheep and goats.⁴ But the LORD will make a distinction between the livestock of Israel and that of Egypt, so that no animal belonging to the Israelites will die."

⁵The LORD set a time and said, "Tomorrow the LORD will do this in the land."⁶ And the next day the LORD did it: All the livestock of the Egyptians died, but not one animal belonging to the Israelites died.⁷ Pharaoh sent men to investigate and found that not even one of the animals of the Israelites had died. Yet his heart was unyielding and he would not let the people go.

The Plague of Boils

⁸Then the LORD said to Moses and Aaron, "Take handfuls of soot from a furnace and have Moses toss it into the air in the presence of Pharaoh."⁹ It will become fine dust over the whole land of Egypt, and festering boils will break out on men and animals throughout the land."

¹⁰So they took soot from a furnace and stood before Pharaoh. Moses tossed it into the air, and festering boils broke out on men and animals.

¹¹The magicians could not stand before Moses because of the boils that were on them and on all

فِرْعَوْنَ، سَأَلْتِكُمْ لِقَاءِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ فِي الْبُحْرَاءِ، وَلَكِنْ لَا تَذْهَبُوا بَعِيدًا، خَلِّصْنَا لِأَجْلِی،" فَأَجَابَ مُوسَى، حَتَّىمَا أَصْرَفَ أَصْلَى إِلَى الرَّبِّ، وَغَدَا يَرْفَعُ الذَّبَابُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَنْ حَاشِيَتِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ، وَلَكِنْ عَلَى فِرْعَوْنَ أَلَّا يَخْرُجَ، نَبَلْ يَخْلُقُ الشَّعْبَ لِقَاءَ الرَّبِّ لِلذَّبَّاحِ.

"وَلَمَّا قَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ وَعَلَى إِلَى الرَّبِّ،" فَأَسْتَجَابَ الرَّبُّ لِعَهْدِ مُوسَى، فَارْتَفَعَ الذَّبَابُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَنْ حَاشِيَتِهِ وَعَنْ شَعْبِهِ، لَمْ يَبْقَ ذَبَابَةٌ وَاحِدَةٌ،" وَلَكِنْ فِرْعَوْنَ قَسَى قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا وَكَمْ يَخْلُقُ مَرَاتِحَ الشَّعْبِ.

الضربة الخامسة: إهلاك المواشي

9 ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ، هَذَا مَا يَقُولُهُ إِلَهُ الْيَهُودِيِّينَ أَخْلُقُ شَعْبِي لِيَسْتَجِيبَنِي، لِأَنَّكَ إِنِ ابْتَدَأْتَ أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَتَجْرِبْتَهُمْ لَسَأَلْتُكَ، أَفَلَا يَذُ الرَّبُّ سَهْلِيكَ مُوَالِيكَ الَّتِي فِي الْحُطُولِ، وَالْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجَمَلِ وَالْكَرْبِ وَالْقَنْمِ، بِهَوْنٍ شَدِيدٍ جِدًّا، وَأَسْأَلُ نَبِيَّ مُوَالِي إِسْرَائِيلَ وَمُوَالِي الْبُضِيِّينَ، فَلَا يَهْلِكُ شَيْءٌ مِنْ بَيْتِي إِسْرَائِيلَ.

"وَعَيَّنَ الرَّبُّ مَرْتَبَةً لِيَذُكَ قَبْلًا، غَدَا يَضَعُ الرَّبُّ هَذَا فِي الْأَرْضِ،" وَقَالَ الرَّبُّ هَذَا الْأَمْرَ، فَهَلَكَتْ جَمِيعُ مُوَالِي الْبُضِيِّينَ، أَمَّا مُوَالِي نَبِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهَا وَاحِدٌ،⁷ وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ لِيَتَّصِقَ مِنَ الْأَمْرِ، وَقَالَ مُوَالِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَهْلِكْ مِنْهَا وَاحِدٌ، وَضَلَبَ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَخْلُقْ مَرَاتِحَ الشَّعْبِ.

الضربة السادسة: التعامل المتوحشة

8 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ، لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِثْقَالَ مِنْ بَيْتِكُمْ حَفْطَةً مِنْ زَبَدِ الْأُفْقِيِّ، وَيُلْقُوا مُوسَى الزَّبَدَ نَحْوَ السَّمَاءِ بِمَزَايٍ مِنْ فِرْعَوْنَ، فَتَهْوَلُ إِلَى غَدَايَ تَهْوَلُ كُلُّ أَرْضِ مِصْرَ، فَيَضَابُ النَّاسُ وَالْأَنْهَالِمُ بِمِثْقَالٍ مَهْتَاجَةٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ،¹⁰ فَالْعَدَا زَبَدًا مِنَ الْأُفْقِيِّ، وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ ذَرَاةَ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ، فَتَهْوَلُ إِلَى نَسَائِلٍ مَهْتَاجَةٍ أَضَابَتْ النَّاسَ وَالْأَنْهَالِمَ،¹¹ وَكَمْ يَسْطَعِبُ السَّخَرَةَ أَنْ يُوَاظِبُوا مُوسَى مِنْ جَرَّاهِ

Exodus 9

103 / ١٠٣

٩ الخروج

the Egyptians. ¹²But the LORD hardened Pharaoh's heart and he would not listen to Moses and Aaron, just as the LORD had said to Moses.

The Plague of Hail

¹³Then the LORD said to Moses, "Get up early in the morning, confront Pharaoh and say to him, 'This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: Let my people go, so that they may worship me, ¹⁴or this time I will send the full force of my plagues against you and against your officials and your people, so you may know that there is no one like me in all the earth. ¹⁵For by now I could have stretched out my hand and struck you and your people with a plague that would have wiped you off the earth. ¹⁶But I have raised you up for this very purpose, that I might show you my power and that my name might be proclaimed in all the earth.

¹⁷You still set yourself against my people and will not let them go. ¹⁸Therefore, at this time tomorrow I will send the worst hailstorm that has ever fallen on Egypt, from the day it was founded till now.

¹⁹Give an order now to bring your livestock and everything you have in the field to a place of shelter, because the hail will fall on every man and animal that has not been brought in and is still out in the field, and they will die."

²⁰Those officials of Pharaoh who feared the word of the LORD hurried to bring their slaves and their livestock inside. ²¹But those who ignored the word of the LORD left their slaves and livestock in the field.

²²Then the LORD said to Moses, "Stretch out your hand toward the sky so that hail will fall all over Egypt—on men and animals and on everything growing in the fields of Egypt." ²³When Moses stretched out his staff toward the sky, the LORD sent thunder and hail, and lightning flashed down to the ground. So the LORD rained hail on the land of Egypt; ²⁴hail fell and lightning flashed back and forth. It was the worst storm in all the land of Egypt since it had become a nation. ²⁵Throughout Egypt hail struck everything in the fields—both men and animals; it beat down everything growing in the fields and stripped every tree. ²⁶The only place it did not hail was the land of Goshen, where the Israelites were.

الْمُتَعَلِّمِ، لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمِينَ لَصَبَتِ الشَّحْرَةَ وَقَالَ الْمُوسَى: هَيْهَذَا، أَكَيْفَ الرَّبُّ قَسَى قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لِهَيْهَذَا، فَتَمَامًا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى.

الضربة السابعة: سقوط البرد
¹³لَمَّا قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، «قُمْ مُبَكِّرًا فِي الصُّبْحِ وَاقْبَلْ لِقَاءَ فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ، هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ الْيَهُودِيِّينَ، أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. ¹⁴لَئِنِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَأُرْسِلُ بِجَمِيعِ ضَرْبِي إِلَى قَلْبِكَ وَإِلَى خَدَيْتِكَ وَإِلَى شَفِيئِكَ، لِيَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلِي لِي فِي كُلِّ الْأَرْضِ. ¹⁵فَلَوْ كُنْتُ بُوْشَمِي حَتَّى الْآنَ لَأَسُدَّ يَدِي وَإِصْرِيكَ وَأَصْرِيكَ وَأَصْرِيكَ فَسَبَتِكَ هَيْهَذَا بِهَيْهَذَا لِيُثْبِتَ بَيْنَ الْأَرْضِ. ¹⁶وَأَكْبَدْتِي أَقْسَمًا لِأَيَّتِكَ قُرْبِي، وَلَكِنِّي سَأُخْرِجُ اسْمِي فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ. ¹⁷وَمَا أَنْتَ مَزَلْتَ تَقَامِرُ شَعْبِي وَلَا تَطْلُقُهُ. ¹⁸لِهَذَا سَأُخْرِجُ فِي يَوْمٍ هَذَا أَوَّلَ سَيْحَةٍ تَزِدُ قُبْحًا لَمْ تَشْهَدْهُ مَضَى مُنْذُ تَمَّ قَامِرِيهَا حَتَّى الْآنَ. ¹⁹فَأُخْرِجُ الْآنَ وَأَجْعَلُ مَوَاتِيئِكَ وَكُلَّ مَالِكَ فِي الْحَقْلِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ نَبَذَتْ فِي الْحَقْلِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْهَيْكَلِ وَلَا تَلْجَأُ إِلَى سَاوِيٍّ يَهَيِّزُ عَلَيْهِ الْبَرْدَ قَبْسُوتَ.

²⁰فَكُلُّ مَنْ خَلَفَ كَلِمَةَ الرَّبِّ مِنْ رِجَالِ فِرْعَوْنَ لَأَ يَخْبِرُوا وَتَلَمَّحُوا بِالْبَسُوتِ، ²¹أَمَّا الَّذِينَ اسْتَمَطُوا بِكَلَامِ الرَّبِّ فَهَدَّ تَزَكُوا عَيْنَهُمْ وَتَوَلَّوْا فِي الْحَقْلِ.

²²وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ فَيَهَيِّزَ الْبَرْدَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَلَى الرِّجَالِ وَالْهَيْكَلِ وَعَلَى غَسْبِ الْحَقْلِ فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ. ²³فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَارْسَلَنَّ الرَّبُّ رَعْدًا وَبَرْدًا، وَأَصَابَتِ السَّوَاقِئُ الْأَرْضَ، وَأَسْفَرُ الرَّبُّ تَزَدًا عَلَى كُلِّ بِلَادِ مِصْرَ، ²⁴فَأَتَمَّتْ الْبَرْدُ، وَالخَطَطَاتُ السَّوَاقِئُ بِالْبَرْدِ، فَكَانَتْ لَشَوْا عَامِدَةً شِهَابًا أَرْضَ مِصْرَ مُنْذُ أَنْ صَدَرَتْ أُمَّة. ²⁵وَأَصَابَ الْبَرْدَ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ مِصْرَ بِجَمِيعِ مَا فِي الْحَقْلِ مِنْ نَابِيٍّ وَبَيْتِيٍّ، وَخَلَّفَتْ كُلُّ شَيْءٍ نَامٍ فِي الْحَقْلِ وَكُنَّ جَمِيعَ الْأَشْجَارِ، ²⁶أَمَّا أَرْضُ مِصْرَ حَيْثُ تَمَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا وَخَدَهَا لَمْ تَسْقُطْ فِيهَا بَرْدًا.

Exodus 9,10

104 / 104

المخرج 10:9

Pharaoh's Third Promise to Free Israel

²⁷Then Pharaoh summoned Moses and Aaron. "This time I have sinned," he said to them. "The LORD is in the right, and I and my people are in the wrong. ²⁸Pray to the LORD, for we have had enough thunder and hail. I will let you go; you don't have to stay any longer."

²⁸Moses replied, "When I have gone out of the city, I will spread out my hands in prayer to the LORD. The thunder will stop and there will be no more hail, so you may know that the earth is the LORD's. ³⁰But I know that you and your officials still do not fear the LORD God."

³¹(The flax and barley were destroyed, since the barley had headed and the flax was in bloom.

³²The wheat and spelt, however, were not destroyed, because they ripen later.)

³³Then Moses left Pharaoh and went out of the city. He spread out his hands toward the LORD; the thunder and hail stopped, and the rain no longer poured down on the land. ³⁴When Pharaoh saw that the rain and hail and thunder had stopped, he sinned again: He and his officials hardened their hearts. ³⁵So Pharaoh's heart was hard and he would not let the Israelites go, just as the LORD had said through Moses.

Moses and Aaron Request Freedom for Israel

10 Then the LORD said to Moses, "Go to Pharaoh, for I have hardened his heart and the hearts of his officials so that I may perform these miraculous signs of mine among them ²that you may tell your children and grandchildren how I dealt harshly with the Egyptians and how I performed my signs among them, and that you may know that I am the LORD."

A Threat of a Plague of Locusts

³So Moses and Aaron went to Pharaoh and said to him, "This is what the LORD, the God of the Hebrews, says: 'How long will you refuse to humble yourself before me? Let my people go, so that they may worship me.' ⁴If you refuse to let them go, I will bring locusts into your country tomorrow. ⁵They will cover the face of the ground so that it cannot be seen. They will devour what little you have left after the hail, including every tree that is growing in your fields. ⁶They will fill your houses and those of all your officials and all

الوعد الثالث بإطلاق الشعب

²⁷فَدَعَا فِرْعَوْنَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ لَهُمَا: لَقَدْ أَخْطَأْتُ هَذِهِ السَّرَّةَ وَالرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ. إِنَّمَا أَنَا وَشَعْبِي فَالضَّرُّ. فَتَضَرَّعَا إِلَى الرَّبِّ إِذْ تَجَمَّعَا مَا أَكْبَلِيْنَا بِوَيْنٍ زَعْبُورٍ وَتَبَرٍّ، فَأَطْفَقَكُمُ، وَلَا تَتَكَلَّمُونَ هُنَا بَعْدَ. فَأَجَابَ مُوسَى، وَخَلَعَ الْخُرُوجُ مِنَ السَّيْمَةِ أَنْتَسَطَ يَدِي فِي السَّلَاةِ إِلَى الرَّبِّ فَتَوَقَّفَ الرَّهْدُ وَتَطْمَئِنُّ الْبَرْدُ لِكَيْ تَعْرِفَ أَنَّ الْأَرْضَ هِيَ لِلرَّبِّ. وَأَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ أَنَّكَ أَنْتَ وَخَادِمَتِكَ مَارْلُوكُمْ لَا تَخْشَوْنَ الرَّبَّ الْإِلَهَ. ³⁰إِنَّ الْكَثَانَ وَالشُّبْرَ قَدْ تَلَقَّ، لِأَنَّ الشُّبْرَ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ ضَائِلًا، وَالْكَثَانَ كَانَ مُنْبَرًا. ³¹إِنَّمَا الْبَطْلُ وَالسُّبْرُ فَلَمْ تَلْتَفِ بَعْدَ لِأَنَّهَا تَلْمُو مُتَأَخِّرَةٌ.

³³وَأَنصَرَفَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَتَسَطَّ بِيَدَيْهِ إِلَى الرَّبِّ. فَتَوَقَّفَ الرَّهْدُ وَالْبَرْدُ وَأَتَمَطَّعَ النَّظَرُ عَنِ الْإِهْتِمَارِ عَلَى الْأَرْضِ. ³⁴وَإِذَا نَحْنُ رَأَى فِرْعَوْنَ أَنَّ النَّظَرَ وَالْبَرْدَ وَالرَّهْدَ قَدْ تَوَقَّفَتْ لِحُطَا سَرَّةِ الْهَرِيِّ وَخَلَبَتْ قَلْبَهُ هُوَ وَخَادِمَتِهِ. ³⁵وَهَكَذَا قَسَسَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ، فَلَمْ يَهْلِكْ سَرَّاحَ نَحْيِ إِسْرَائِيلَ، تَمَامًا كَمَا أَتَى الرَّبُّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى.

موسى وهرون يطالبان بإطلاق الشعب

١٠ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، أَتَمَلِكُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ لِأَنِّي قَدْ قَسَيْتُ قَلْبَهُ وَقُلُوبَ خَادِمَتِهِ لِكَيْ أَجْرِيَ أَمْرِي هَلَاكَ تَتَّيْمُ. لِكَيْ تَقْصُرَ فِي مَسَامِعِ بَنِيكَ وَأَسْفَادِكَ عَمَّا أَنْطَلَيْتَ بِهِ الْيُضْرِيحِينَ وَتُوتَلِمِي أَلْيَ اجْرَنَتِهَا تَنْتَهَمُ فَتَقْلَمُونَ أَلْيَ أَنَا الرَّبُّ.

التهديد بغزو الجراد

٣ فَتَمَلَّكُ مُوسَى وَهَارُونَ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقَالَا لَهُ، هَلَا مَا تَعْلَمُهُ الرَّبُّ إِلَهَ الْيَهُودِيِّينَ. أَلَيْسَ مَعِيَ قَائِي أَنْ تَخْضَعُ لِي؟ أَلَيْسَ شَيْئِي لِيخْتَبِي. ⁴أَرَأَيْتَ أَنْ يَهْلِكُوا سَرَّاحَ شَعْبِي، فَمَا أَنَا أَجْلِبُ عَمَّا الْجَرَادِ عَلَى تَحْوِيلِكَ. ⁵فَيَطْمِئِنُّ وَجْهَ الْأَرْضِ، فَيَهْتَرُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَرَاهَا، وَيَلْتَمِسُ الْجَرَادَ الْمَتَمَلِّقَةَ لَكُمْ عَنِ الْبَرِّ، وَكُلُّ شَجَرَةٍ نَابِتَةٍ لَكُمْ فِي السَّوْدِ، ⁶وَتَمَلَأُ بَيْوتَكُمْ وَبَيْوتَ خَادِمَتِكُمْ وَبَيْوتَ جَمِيعِ الْيُضْرِيحِينَ. الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَنْقُضْ بِقَلْبِ أَهْلِكَ وَلَا أَجْدَادِكَ مِنْذُ أَنْ اسْتَوْطَلُوا

Exodus 10

105 / ١٠٥

الحروج ١٠

the Egyptians—something neither your fathers nor your forefathers have ever seen from the day they settled in this land till now.” Then Moses turned and left Pharaoh.

Pharaoh Allows the Men of Israel to Leave

⁷Pharaoh's officials said to him, "How long will this man be a snare to us? Let the people go, so that they may worship the LORD their God. Do you not yet realize that Egypt is ruined?" ⁸Then Moses and Aaron were brought back to Pharaoh. "Go, worship the LORD your God," he said. "But just who will be going?" ⁹Moses answered, "We will go with our young and old, with our sons and daughters, and with our flocks and herds, because we are to celebrate a festival to the LORD." ¹⁰Pharaoh said, "The LORD be with you—if I let you go, along with your women and children! Clearly you are bent on evil. ¹¹No! Have only the men go; and worship the LORD, since that's what you have been asking for." Then Moses and Aaron were driven out of Pharaoh's presence.

God Sends the Plague of Locusts

¹²And the LORD said to Moses, "Stretch out your hand over Egypt so that locusts will swarm over the land and devour everything growing in the fields, everything left by the hail." ¹³So Moses stretched out his staff over Egypt, and the LORD made an east wind blow across the land all that day and all that night. By morning the wind had brought the locusts; ¹⁴they invaded all Egypt and settled down in every area of the country in great numbers. Never before had there been such a plague of locusts, nor will there ever be again. ¹⁵They covered all the ground until it was black. They devoured all that was left after the hail—everything growing in the fields and the fruit on the trees. Nothing green remained on tree or plant in all the land of Egypt.

Moses Prays for the Removal of the Locusts

¹⁶Pharaoh quickly summoned Moses and Aaron and said, "I have sinned against the LORD your God and against you. ¹⁷Now forgive my sin once more and pray to the LORD your God to take this deadly plague away from me." ¹⁸Moses then left Pharaoh and prayed to the

هلبه الأرض إلى الآن.. لم تحول وأنصرف من لدن فرعون.

الإذن بإطلاق الرجال فقط

فَقَالَتْ خَالِصَةُ فِرْعَوْنَ لَهُ، «إِلَى مَتَى تَنْظُرُ هَذَا الرَّجُلَ شِرْكًا لَنَا؟ أَطَلِقِ الشَّعْبَ لِيَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مِصْرَ قَدْ عَثِمَا الْخَرَابَ؟» فَأَسْتَجِدِّي مُوسَى وَهَارُونَ لِقِيَةِ لِلْمُؤَلِّمِ اسْمَ فِرْعَوْنَ. وَقَالَ لَهُمَا، «اغْضُوا وَأَعْبُدُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ. وَلَكِنْ مَنْ هُمُ الَّذِينَ سَيَذْهَبُونَ؟» فَأَجَابَ مُوسَى، «نَحْنُ وَبَنَاتُنَا وَبَنَاتُنَا وَشُجُونَا، نَحْنُ وَبَنَاتُنَا وَبَنَاتُنَا بِمَوَائِصِنَا وَطَلْعَتِنَا لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَعْبُدَ عِبَادًا لِلرَّبِّ.» فَقَالَ فِرْعَوْنُ، «لَيْكِنِ الرَّبُّ بِفِرْعَوْنِكُمْ إِنْ أَنَا أَطَلَقْتُكُمْ مَعَ نِسَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ. فَمِنْ الْعَجَلِي أَنُكُمُ عَارِضُونَ عَلَى الشَّرِّ.» «لَا، فَلْيَبْضِ الرَّجُلَاءُ قَطُّ لِيَعْبُدُوا الرَّبَّ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَا عَطَلْتُونَهُ.» لَمْ طَرِكَا مِنْ خِصْرَةِ فِرْعَوْنَ.

الضربة الثامنة: غزو الجراد

«قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، «أَبْسِطْ يَدَكَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ لِيَبْتَلِيَ بِالْجَرَادِ، فَيُغْطِي بِبِلَادِ مِصْرَ نَهْمَهُمْ كُلَّ نَبَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي خَلَّفَ عَنِ الْمَيْدَى.»» فَأَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ رِيحًا شَرْفِيَّةً حَوْلَ ذَلِكَ الْفَهْرِ وَاللَّيْلِ، وَمَا إِنْ أَقْبَلَ انْشِبَاعٌ حَتَّى حَمَلَتْ أَلْرِيحُ الشَّرْفِيَّةُ الْجَرَادَ. فَأَنْشَبَ الْجَرَادُ فِي كُلِّ بِلَادِ مِصْرَ، وَحَلَّ فِي جَمِيعِ مَحْوَرِيهَا بِأَسْرَابٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَنَّ مِثْلَهُ فِي مَا تَعْدُ. فَكَدَّ غَطَى وَجْهَ كُلِّ الْأَرْضِ حَتَّى أَطْلَسَتْ، وَأَلْتَهَمَ كُلَّ عَشْبٍ فِيهَا وَكُلَّ الثَّمَرِ الْأَشْجَارِ الَّتِي خَلَّفَهَا الْبَرْدُ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْخِصْرِ لَا عَلَى الْأَشْجَارِ وَلَا فِي حُفْرِ الْمَرْوَعَاتِ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ مِصْرَ.

استدعاه موسى

«فَلْيَذْهَبِ اسْرِعَ فِرْعَوْنُ فَاسْتَدْعَى مُوسَى وَهَارُونَ قَلِيلًا، وَقَدْ أَخْلَعْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ وَإِيَّاكُمْ.» فَأَضْمَحًا هَلِوُ الْمَرَّةَ قَطُّ عَنْ خَطِيئَتِي وَانْتَهَلًا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ كَمَا نَبِيْلُ عَنِّي هَذَا الْبَلَاءِ الْمُمِيتِ.» فَأَنْصَرَفَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ

Exodus 10,11

106 / ١٠٦

المخرج ١١،١٠

LORD. ¹⁹And the LORD changed the wind to a very strong west wind, which caught up the locusts and carried them into the Red Sea. Not a locust was left anywhere in Egypt. ²⁰But the LORD hardened Pharaoh's heart, and he would not let the Israelites go.

The Plague of Darkness

²¹Then the LORD said to Moses, "Stretch out your hand toward the sky so that darkness will spread over Egypt—darkness that can be felt." ²²So Moses stretched out his hand toward the sky, and total darkness covered all Egypt for three days. ²³No one could see anyone else or leave his place for three days. Yet all the Israelites had light in the places where they lived.

Freedom With Conditions

²⁴Then Pharaoh summoned Moses and said, "Go, worship the LORD. Even your women and children may go with you; only leave your flocks and herds behind." ²⁵But Moses said, "You must allow us to have sacrifices and burnt offerings to present to the LORD our God. ²⁶Our livestock too must go with us; not a hoof is to be left behind. We have to use some of them in worshipping the LORD our God, and until we get there we will not know what we are to use to worship the LORD." ²⁷But the LORD hardened Pharaoh's heart, and he was not willing to let them go. ²⁸Pharaoh said to Moses, "Get out of my sight! Make sure you do not appear before me again! The day you see my face you will die." ²⁹Just as you say," Moses replied. "I will never appear before you again."

The Plague on the Firstborn

11 Now the LORD had said to Moses, "I will bring one more plague on Pharaoh and on Egypt. After that, he will let you go from here, and when he does, he will drive you out completely. ²Tell the people that men and women alike are to ask their neighbors for articles of silver and gold." ³(The LORD made the Egyptians favorably disposed toward the people, and Moses himself was highly regarded in Egypt by Pharaoh's officials and by the people.)

⁴So Moses said, "This is what the LORD says: 'About midnight I will go throughout Egypt.

وَأَتَهَّلَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا غَرْبِيَّةً عَاصِفَةً حَمَلَتْ الْجُرَادَ وَطَرَحَتْهُ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. فَلَمْ تَبْقَ جَرَادَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيْتِهِمْ فِي مِصْرَ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ صَلَّبَ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطِيعْ نَبِي إِسْرَائِيلَ.

الضربة التاسعة: الظلام الكفيف

²¹قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أَبْسِطْ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ فَيُظِلُّ ظِلَامٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ حَتَّى يَكْفَأَ النَّاسُ لِكَفْئِهِمْ.» ²²فَبَسِطَ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ. فَظَلَّ ظِلَامٌ كَفِيفٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لثَلَاثَ أَيَّامٍ. ²³فَلَمْ يَتَسَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يَرَى أَحَدًا، وَلَا يَخْرُجَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانٍ طَوِيلًا لِثَلَاثَ أَيَّامٍ. فَخَرَّ أَنْ الْتَوَى كَانَ يَهْمُرُ نَبِي إِسْرَائِيلَ فِي أَسَاكِنِ الْإِثْمِيَّةِ.

الإذن المشروط بإطلاق الشعب

²⁴فَلَمَّا سَمِعَ فِرْعَوْنَ مُوسَى وَقَالَ: «أَتَعْبُدُوا الرَّبَّ، وَلَكِنْ أَتْرَكُوا وَرَاءَكُمْ سَابِغِيَّتِكُمْ وَقَطْعَانِكُمْ، أَمَا مَجَلَّافِكُمْ فَتَبْرِكُوا مَعَكُمْ أَيْضًا.» ²⁵قَالَ مُوسَى: «مَعْنِيكَ أَنْ تَسْتَجِبَ لَنَا بِأَخْذِ ذَبَابٍ تَحْرِفُوتِ الْبَقَعَاتِ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا.» ²⁶لِيُذَكِّبَ تَوَائِيصِنَا مَعًا أَيْضًا، فَلَا يَبْقَى مِنْهَا ظِلْفٌ وَاحِدٌ. لِأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَرِبَ مِنْهَا لِصِنَانَةِ الرَّبِّ إِلَهِنَا. وَلَا نَسْكُتُنَا أَنْ نَعْرِفَ مَاذَا نَحْتَرِبُ مِنْهَا لِتَعْبُدِ الرَّبَّ حَتَّى نَصِلَ إِلَى هُنَاكَ.» ²⁷وَلَكِنَّ الرَّبَّ صَلَّبَ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطِيعْ سَرَاحَتَهُمْ. ²⁸وَقَالَ لِمُوسَى: «أَخْرُجْ مِنْ عَيْنِي، وَاجْعَلْ مِنْ عَيْنِي مِثْرَةً أُخْرَى، فَتَرَى وَجْهِي ثَمُوثًا.» ²⁹قَالَ مُوسَى: «حَسَنًا قُلْتَ، فَإِنَّا لَنْ نَرَى وَجْهَكَ مِثْرَةً أُخْرَى.»

التهديد بالضربة الأخيرة

11 لَمْ يَلَمْ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَقِيَتْ بَلِيَّةٌ وَاحِدَةٌ أَصِيبُ بِهَا فِرْعَوْنَ وَالْمِصْرِيِّينَ، وَتَعْدُ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ مِنْ هُنَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَنْفِلُ ذَلِكَ فِيهِمْ يَطْرُدُكُمْ طَرْدًا جَيِّدًا.» ²قَالَ أَلَّا لِلشُّعْبِ، لِيُطَلِّبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ جَارِهِ، وَكُلُّ امْرَأَةٌ مِنْ جَارَتِهَا، آيَةً فَضَّةً وَذَهَبًا. ³ذَلِكَ لِأَنَّ الرَّبَّ جَعَلَ الشُّعْبَ يُحِبُّ بِرُضَى الْمِصْرِيِّينَ، فَكَمَا أَنَّ الرَّجُلَ مُوسَى كَانَ عَظِيمًا فِي مِصْرَ فِي عَيْنِ حَاكِمِيَّةِ فِرْعَوْنَ وَالشُّعْبِ. ⁴وَقَالَ مُوسَى هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: «سَأَجْتَازُ خَوَالِي نَهْضُ اللَّيْلِ

Exodus 12

109 / ١٠٩

الخرج ١٢

enter your houses and strike you down. ²⁴Obey these instructions as a lasting ordinance for you and your descendants. ²⁵When you enter the land that the LORD will give you as he promised, observe this ceremony. ²⁶And when your children ask you, "What does this ceremony mean to you?" ²⁷then tell them, "It is the Passover sacrifice to the LORD, who passed over the houses of the Israelites in Egypt and spared our homes when he struck down the Egyptians." Then the people bowed down and worshiped. ²⁸The Israelites did just what the LORD commanded Moses and Aaron.

The Death of the Firstborn

²⁹At midnight the LORD struck down all the firstborn in Egypt, from the firstborn of Pharaoh, who sat on the throne, to the firstborn of the prisoner, who was in the dungeon, and the firstborn of all the livestock as well. ³⁰Pharaoh and all his officials and all the Egyptians got up during the night, and there was loud wailing in Egypt, for there was not a house without someone dead.

³¹During the night Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Up! Leave my people, you and the Israelites! Go, worship the LORD as you have requested. ³²Take your flocks and herds, as you have said, and go. And also bless me." ³³The Egyptians urged the people to hurry and leave the country. "For otherwise," they said, "we will all die!"

The Exodus

³⁴So the people took their dough before the yeast was added, and carried it on their shoulders in kneading troughs wrapped in clothing. ³⁵The Israelites did as Moses instructed and asked the Egyptians for articles of silver and gold and for clothing. ³⁶The LORD had made the Egyptians favorably disposed toward the people, and they gave them what they asked for; so they plundered the Egyptians.

³⁷The Israelites journeyed from Rameses to Succoth. There were about six hundred thousand men on foot, besides women and children. ³⁸Many other people went up with them, as well as large droves of livestock, both flocks and herds. ³⁹With the dough they had brought from Egypt, they baked cakes of unleavened bread. The dough was

نُوتِكُمْ لِيُضْرِبَكُمْ. ²⁴فَقَاتِرُوا هَذَا الْأَمْرَ قَرِيبَةً لَكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. ²⁵وَعِنَّمَا فَتَدْخُلُونَ الْأَرْضَ الَّتِي وَعَدَ الرَّبُّ أَنْ يَنْتَهَا لَكُمْ، لِيُكُنَّ لَكُمْ عِيدَ الْقَرِيبَةِ. ²⁶وَتَكُونُ جِمْ تَسْأَلُكُمْ أَوْلَادُكُمْ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قَدِيمًا الْقَرِيبَةَ لَكُمْ؟ ²⁷فَجِيبُواهُمْ قَائِلِينَ، إِنَّهَا لِعِيدُ ضَحْيِ الرَّبِّ الَّذِي عَبَّرَ عَنْ نُورَتِ نَسِي إِسْرَائِيلَ فِي مِضْرٍ عَثَرْنَا فِيهَا أَمْكَلَتِ الْيَهُودِيِّينَ، وَأَنْقَذَ نُفُوسَنَا. فَخَسَى الشُّعْبُ نَفْسَهُمْ سَاجِدِينَ. ²⁸فَفَعَلُوا بِكُلِّ مَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ.

الطرية العاشرة: موت الأبرار

²⁹وفي منتصف الليل أهلك الرب كلَّ بكرٍ في بلاد مِضْرَ، من بكرٍ يَرِيعُونَ الشُّعْبَ عَلَى الْفُرُشِ إِلَى بَكْرِ السِّجْنِ فِي السُّجُونِ، وَبِكْرَ الْبَهَائِمِ جَمِيعًا أَجْمَعًا. ³⁰فَمَلَأَتْ كُلُّ بَيْتٍ وَخَلْبَةً وَجَمِيعَ الْيَهُودِيِّينَ وَلَا عَمَلٍ عَظِيمٍ فِي أَرْضِ مِضْرَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُجْعَدْ نَسِيٌّ فِيهَا مَنْبَتٌ.

³¹فَمَسَعَى مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلًا قَلِيلًا، فَوَسَّوْا وَأَخْرَجُوا مِنْ بَيْتِ الشُّعْبِ كُلِّ مَنْ وَثِقُوا إِسْرَائِيلَ، وَأَطْلَقُوا أَعْيُنَ الرَّبِّ كَمَا سَأَلْتُمْ، وَخَدُّوا مَعَكُمْ مَعَكُمْ وَتَقَرَّكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ وَأَنْطَرُوا وَتَلَرَكُوا أَجْمَعًا. ³²وَالْحُجُجُ الْيَهُودِيُّونَ عَلَى الشُّعْبِ لِيُسْرِعُوا فِي الْأَرْضِ عَنِ الْبِلَادِ قَلِيلًا، لِئَلَّا نَمُوتَ جَمِيعًا.

الخرج ١٢

³⁴فَعَسَى الشُّعْبُ فِي تَأْيِيمِ مَعَانِيهِمْ وَعَجِبْتَهُمْ قَائِلِينَ أَنْ يَنْقَبِزَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى أَعْتَقِهِمْ. ³⁵وَفَعَلُوا بِمَا أَمَرَ الرَّبُّ أَيْدِيَهُمْ بِضَرْ وَنَحَبًا وَتَمَامًا بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. ³⁶وَجَعَلَ الرَّبُّ الشُّعْبَ يَحْتَلِي بِرُحَى الْيَهُودِيِّينَ، فَالْمَطْلُوعُ كُلُّ مَا سَأَلُوهُ، فَكَبَّرُوا مِنْ الْيَهُودِيِّينَ.

³⁷وَأَخْرَجُوا نَسِيَّ إِسْرَائِيلَ مِنْ زَعْفَرِينٍ إِلَى سَكُوتٍ فَكَلَّفُوا نَسِيَّ سِتٍّ وَمِئَةَ الْفَرَسِ مِنَ الْبَهَائِمِ الشُّعْبِ مَا عَدَا الْبَشَرِ وَالْأَوْلَادَ. ³⁸وَتَمَلَّكَتِ النَّسَمُ الْبَهَائِمَ حَشْدًا كَبِيرًا مِنَ النَّسَمِ، نَحْ غَنَمٍ وَمَرَاثِي وَفَطَعَانٍ وَخَصِيَّةٍ. ³⁹كَمَا حَضَّرُوا النَّجِيمَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مِنْ مِضْرَ حَضَّرُوا نَسِيَّ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْتَبَرًا، إِذْ

Exodus 11, 12

107 / ١٠٧

المخرج ١٢، ١١

⁵Every firstborn son in Egypt will die, from the firstborn son of Pharaoh, who sits on the throne, to the firstborn son of the slave girl, who is at her hand mill, and all the firstborn of the cattle as well. ⁶There will be loud wailing throughout Egypt—worse than there has ever been or ever will be again. ⁷But among the Israelites not a dog will bark at any man or animal. Then you will know that the LORD makes a distinction between Egypt and Israel. ⁸All these officials of yours will come to me, bowing down before me and saying, 'Go, you and all the people who follow you!' After that I will leave." Then Moses, hot with anger, left Pharaoh. ⁹The LORD had said to Moses, "Pharaoh will refuse to listen to you—so that my wonders may be multiplied in Egypt." ¹⁰Moses and Aaron performed all these wonders before Pharaoh, but the LORD hardened Pharaoh's heart, and he would not let the Israelites go out of his country.

في وسط مصر، قُتِلَ كُلُّ بَعْرٍ فِيهَا، مِنْ بَعْرِ يَزْعُونَ الْمَشْرِعِ عَلَى الْعَرْشِ إِلَى بَعْرِ الْأَمَةِ الَّتِي وَزَّاهِ الْخِزْيِ، وَكَذَلِكَ بَعْرُ كُلِّ مَيْمَنَةٍ، فَتَمَلُّوْا سَرَاحَ عَظِيمٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، لَمْ يَطْهَدْ مِطْلَقٌ مِنْ قَبْلِ، وَلَا يَكُونُ مِطْلَقٌ أَبْصًا. أَمَّا بَيْنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ فَلَنْ يَبْجَحَ كَلْبٌ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْإِسْرَائِيلِيِّينَ. فَكُلُّ أَسْرَافِيَةِ يَأْتِي إِلَيَّ، مِنْ ثُمَّ، يَخْبُجُ عِبِيدَكَ هَؤُلَاءِ وَتَلْخُوتُونَ أَمَامِي قَائِلِينَ، اذْهَبْ أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ يَتَّبِعُكَ مِنَ الشَّعْبِ، وَتَقْبَلُ قَطْ أَمْرِي، ثُمَّ أَنْصَرِفُ مِنْ لَدُنْ يَزْعُونَ بِغَضَبٍ مُخْتَلِمٍ. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، إِنَّ يَزْعُونَ يَأْتِي الْأَسْتِخَاعَ لَكُنْمَا يَكُونُ تَتَكَذَّرُ لِقَابِي فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَأَلْفَدُ الْجَزَى مُوسَى وَهَارُونَ كُلَّ هَذِهِ الْأَهْيَاءِ أَمَامَ يَزْعُونَ، وَيَكُونُ الرَّبُّ قَسِي قَلْبَ يَزْعُونَ لَمْ يَطْلُقْ سَرَاحَ نَبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بِلَادِهِ.

³¹During the night Pharaoh summoned Moses and Aaron and said, "Up! Leave my people, you and the Israelites! Go, worship the LORD as you have requested. ³²Take your flocks and herds, as you have said, and go. And also bless me." ³³The Egyptians urged the people to hurry and leave the country. "For otherwise," they said, "we will all die!"

فَتَشْتَدَعِي مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلًا قَلِيلًا، مَقُومًا وَأَخْرَجُوا مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ أَتْنَا وَتَوُّوْا إِسْرَائِيلَ، وَأَطْلِقُوا أَهْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا طَلَبْتُمْ، ³²وَخُذُوا مَعَكُمْ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ كَمَا سَأَلْتُمْ وَأَنْضُوا وَبَارِكُونِي أَنْفُسًا، ³³وَالْعُ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى الشَّعْبِ لِيَسْرِعُوا فِي الْأَرْجَالِ عَنِ الْبِلَادِ قَائِلِينَ، بَلَا نَسُوتَ جَمِيعًا.

The Exodus

³⁴So the people took their dough before the yeast was added, and carried it on their shoulders in kneading troughs wrapped in clothing. ³⁵The Israelites did as Moses instructed and asked the Egyptians for articles of silver and gold and for clothing. ³⁶The LORD had made the Egyptians favorably disposed toward the people, and they gave them what they asked for; so they plundered the Egyptians.

³⁷The Israelites journeyed from Rameses to Succoth. There were about six hundred thousand men on foot, besides women and children. ³⁸Many other people went up with them, as well as large droves of livestock, both flocks and herds. ³⁹With the dough they had brought from Egypt, they baked cakes of unleavened bread. The dough was

المخرج
³⁴أَصْرَ الشَّعْبِ فِي نِيَامِهِمْ مَفَاجِئَهُمْ وَعَجَبْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَ، وَخَلُّوْهَا عَلَى أَكْتَابِهِمْ، ³⁵وَطَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ آتِيَةً يَضْرُ وَذَهَابًا وَتِيَابًا بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى، ³⁶وَاجْعَلُ الرَّبُّ الشَّعْبَ يَعْظِي يَرْضَى الْمِصْرِيِّينَ، فَأَعْطَوْهُمْ كُلَّ مَا طَلَبُوْهُ، فَخَيَّرُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.

³⁷وَأَرْجَلُ نَبُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمِيسَ إِلَى سُكُوتَ فَكَتَبُوا خَوْسَ يَتَوُّوْا الْعَرَبَ بَيْنَ الرَّجَالِ الْمَشَاةِ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ، ³⁸وَكَذَلِكَ أَنْضَمَ إِلَيْهِمْ حَشَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مَعَ غَنَمٍ وَتَوَاشِيٍّ وَقَطْعَانٍ كَثِيرَةٍ، ³⁹ثُمَّ خَبَزُوا الْعَجِينِ الَّذِي أَخْرَجُوْهُ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَقَةٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَخْتَبِرُ، إِذْ

Exodus 12.13

110 / ١١٠

اخراج ١٢، ١٣

without yeast because they had been driven out of Egypt and did not have time to prepare food for themselves.

أنتم طردوا من مِصر ولم تَقْبِرُوا أَنْ تَتَأَخَّرُوا فَمَا أَعَدُّوا لِنَفْسِهِمْ زَادًا.

Passover Restrictions

⁴⁶Now the length of time the Israelite people lived in Egypt was 430 years. ⁴¹At the end of the 430 years, to the very day, all the LORD's divisions left Egypt. ⁴²Because the LORD kept vigil that night to bring them out of Egypt, on this night all the Israelites are to keep vigil to honor the LORD for the generations to come.

شريعة الفصح
⁴⁶وَكَانَتْ مُدَّةُ عَزْبَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ أَرْبَعِ مِئَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. ⁴¹وَفِي أَلْتِمِ الْأَخِيرِ بِأَلْيَاتِ. فِي خَتَامِ أَرْبَعِ مِئَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً خَرَجَ جَمِيعُ أَسْبَاتِ الرَّبِّ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ⁴²هِيَ لَيْلَةُ تَخْرُوجِ الرَّبِّ إِذْ أَخْرَجَهُمْ فِيهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. يَكْرُسُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ أَسْبَابِهِمْ.

Crossing the Desert

¹⁷When Pharaoh let the people go, God did not lead them on the road through the Philistine country, though that was shorter. For God said, "If they face war, they might change their minds and return to Egypt." ¹⁸So God led the people around by the desert road toward the Red Sea. The Israelites went up out of Egypt armed for battle. ¹⁹Moses took the bones of Joseph with him because Joseph had made the sons of Israel swear an oath. He had said, "God will surely come to your aid, and then you must carry my bones up with you from this place."

عبور صحراء البحر الأحمر
¹⁷وَعِنْدَمَا أُطْلِقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ لَمْ يَهْدِهِمُ اللَّهُ فِي طَرِيقِ بِلَادِ الْفِيلِسْتِينِيِّينَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِصْرِهَا. لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَلَّا بِنَدْمِ الشَّعْبِ إِذَا تَعَرَّضَ لِحَرْبٍ وَنَزَجَ إِلَى مِصْرَ. ¹⁸إِنَّمَا أَسَدَّ اللَّهُ الشَّعْبَ عَنِ صَحْرَاءِ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ. وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ عَادَرُوا مِصْرَ مُسَلَّحِينَ مُتَأَمِّينَ لِلْقِتَالِ. ¹⁹وَخَمَلَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَحْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَلْفٍ قَائِلًا: «لَا يَدُ أَنْ يَتَّعِدَكُمُ اللَّهُ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْقُلُوا عِظَامِي مَعَكُمْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ».

The Pillars of Cloud and Fire

²⁰After leaving Succoth they camped at Etham on the edge of the desert. ²¹By day the LORD went ahead of them in a pillar of cloud to guide them on their way and by night in a pillar of fire to give them light, so that they could travel by day or night. ²²Neither the pillar of cloud by day nor the pillar of fire by night left its place in front of the people.

عمودا السحاب والنار
²⁰وَأَرْحَلُوا مِنْ سُكُوتَ وَخَبَرُوا فِي إِثَامَ عَلَى طَرَفِ الصَّحْرَاءِ. ²¹وَكَانَ الرَّبُّ يَهْدِيهِمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلًا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. ²²وَلَمْ يَتْرُكْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلًا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ.

The Desert of Shur

²²Then Moses led Israel from the Red Sea and they traveled in the desert without finding water. ²³When they came to Marah, they could not drink its water because it was bitter. (That is why the place is called Marah.) ²⁴So the people grumbled against Moses, saying, "What are we to drink?" ²⁵Then Moses cried out to the LORD, and the LORD showed him a piece of wood. He threw it into the water, and the water became sweet. There the LORD made a decree and a law for them, and there he tested them. ²⁶He said, "If you listen carefully to the voice of the LORD your God and do what is right in his eyes, if you pay attention to his commands and keep all his decrees, I will not bring on you any of the diseases I brought on the Egyptians, for I am the LORD, who heals you."

²⁷Then they came to Elim, where there were twelve springs and seventy palm trees, and they camped there near the water.

صحراء شور
²²ثم أخرج موسى بني إسرائيل من البحر الأحمر، وتوجهوا نحو صحراء شور، وظلوا يجهون الصحراء ثلاثة أيام من غير أن يجدوا ماء. ²³وعيننا وصلوا إلى مارة لم يقدرُوا أن يشربوا ماءها لمرارة، لذلك سميت مارة. ²⁴فتنمر الشعب على موسى قائلين، ماذا نشرب؟ ²⁵فالتفتت بالرب، فلما ألقى الرب شجرة فألقاها إلى الماء، فصارت عذبا، وهناك أيضا وضع الرب للشعب قريضة وشريعة، وأنتخته، وقال، ²⁶إن كنت تحرص على سماع صوت الرب إلهك، وتعمل ما هو حق أمامه، وتطيع وصاياه وتحافظ على جميع قضاياه، فلن أدعك تعاني من أي مرض من الأمراض التي أتلفت بها المصريين، فإنني أنا الرب شافيكم. ²⁷ثم بلغوا إليم حيث كانت اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فحفظوا إلى نخول عيون الماء.

سفر الخروج (22 - 15 / 27)

Exodus 16

116 / ١١٦

المخرج ١٦

In the Desert of Sin

16 The whole Israelite community set out from Elim and came to the Desert of Sin, which is between Elim and Sinai, on the fifteenth day of the second month after they had come out of Egypt. ²In the desert the whole community grumbled against Moses and Aaron. ³The Israelites said to them, "If only we had died by the LORD's hand in Egypt! There we sat around pots of meat and ate all the food we wanted, but you have brought us out into this desert to starve this entire assembly to death."

⁴Then the LORD said to Moses, "I will rain down bread from heaven for you. The people are to go out each day and gather enough for that day. In this way I will test them and see whether they will follow my instructions. ⁵On the sixth day they are to prepare what they bring in, and that is to be twice as much as they gather on the other days." ⁶So Moses and Aaron said to all the Israelites, "In the evening you will know that it was the LORD who brought you out of Egypt, ⁷and in the morning you will see the glory of the LORD, because he has heard your grumbling against him. Who are we, that you should grumble against us?" ⁸Moses also said, "You will know that it was the LORD when he gives you meat to eat in the evening and all the bread you want in the morning, because he has heard your grumbling against him. Who are we? You are not grumbling against us, but against the LORD." ⁹Then Moses told Aaron, "Say to the entire Israelite community, 'Come before the LORD, for he has heard your grumbling.'" ¹⁰While Aaron was speaking to the whole Israelite community, they looked toward the desert, and there was the glory of the LORD appearing in the cloud. ¹¹The LORD said to Moses, ¹²"I have heard the grumbling of the Israelites. Tell them, 'At twilight you will eat meat, and in the morning you will be filled with bread. Then you will know that I am the LORD your God.'"

Manna and Quail

¹³That evening quail came and covered the camp, and in the morning there was a layer of dew around the camp. ¹⁴When the dew was gone, thin flakes like frost on the ground appeared on the desert floor. ¹⁵When the Israelites saw it, they said to each other, "What is it?" For they did not know what it

في صحراء سين
١٦ لَمْ أَنْطَلَقْتُ كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ مِنْ إِيلِيمَ حَتَّى
أَقْبَلُوا إِلَى صَحْرَاءِ سِينَ الْوَاقِفَةِ بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ.
وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الْخَمْسِينَ عَشَرَ مِنْ الشَّهْرِ الرَّابِعِيِّ بَعْدَ
خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ^٢ وَهَكَذَا فِي الصَّحْرَاءِ تَقَلَّمَرَتْ بَنُو
إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. ^٣ وَقَالُوا لَهُمَا، لَوْنَتِ الرَّبُّ أَمَانَتَنَا
فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَهَتَاكَ كَمَا نَجْلِسُ حَوْلَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ
خُبْزًا حَتَّى الشَّبَعِ. وَهَذَا أَتَيْنَا قَدْ أَخْرَجْتُمَنَا إِلَى هَذِهِ
الصَّحْرَاءِ لِيَجِئَنَا كُلُّ هَلِيمٍ الْجَمَاعَةَ جَمِيعًا.

^٤ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، مَا أَنَا أَنْظِرُ عَلَيْكُمْ خُبْزًا مِنْ
السَّمَاءِ، فَتَطْرُقُ الشَّبَعُ وَتَلْقِطُ خَابِئَةً كُلُّ نَوْمٍ بِيَوْمِهِ.
لَكِنِ انْتَجِبْتَهُمْ، فَارَى إِنْ كَفَرُوا بِسُلُوكِهِمْ فِي شَرِيعَتِي أَمْ لَا.
^٥ وَكَذَلِكَ لِيَكُنْ مَا يَلْقِطُونَهُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ ضِعْفًا مَا
يَجْمَعُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. ^٦ فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونَ لِجَمِيعِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي الْمَسَاءِ تَقْلَمُونَ أَنَّ الرَّبُّ هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ^٧ وَفِي الصَّبَاحِ تَصْلِيحُونَ تَقْدِ
الرَّبِّ، لِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَقَلُّمَكُمْ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ مَنْ نَحْنُ
حَتَّى تَنْتَشِرُوا عَلَيْهِ. ^٨ وَقَالَ مُوسَى أَيْضًا، بِكُمْ سَتَقْلَمُونَ
أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ، عَيْنَمَا يَنْطِيقُ لَحْمًا فِي الْمَسَاءِ يَتَأَكَّلُوا.
وَخُبْزًا فِي الصَّبَاحِ يَلْقِطُونَهُ، لِأَنَّهُ سَمِعَ تَقَلُّمَكُمْ عَلَيْهِ.
فَمَاذَا نَحْنُ؟ بِكُمْ تَقْلَمُونَ عَلَى اللَّهِ. ^٩ وَقَالَ مُوسَى
لِهَارُونَ، قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ تَنْتَشِرُوا اسْمَ الرَّبِّ لِأَنَّهُ
قَدْ سَمِعَ تَقَلُّمَكُمْ. ^{١٠} وَبِئْسًا كَانَ خُرُوجُكُمْ يَجْلِبُ كُلَّ
جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقَائِلُوا نَحْنُ الصَّحْرَاءُ وَكَمَا بِمَجْدِ
الرَّبِّ قَدْ تَجَلَّى فِي السَّمَاءِ. ^{١١} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى،
^{١٢} سَمِعْتُ تَقَلُّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قُلْ لَهُمْ، فِي الْمَسَاءِ
تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَصْلِحُونَ خُبْزًا، فَتَقْلَمُونَ أَنِّي
أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

المن والسلوى

^{١٣} فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ أَقْبَلَتْ طُيُورُ السَّلْوَى (السَّمَقِي) وَغَطَّتْ
الْمَحِيطَةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَمَتْ حَبَّةٌ أَلْدَى الْأَرْضِ الْمَحِيطَةَ
بِالْمُخِيمِ. ^{١٤} وَعَيْنَمَا رَأَتْ حَبَّةٌ أَلْدَى إِذَا وَجَعِ الصَّحْرَاءِ
مُطْفَأِ بِشَرِّهِ رَقِيقٌ كَأَفْشِيرٍ، مِثْلِي كَأَلْيَدِي. ^{١٥} وَعَيْنَمَا رَأَتْ

was. Moses said to them, "It is the bread the LORD has given you to eat."¹⁶ This is what the LORD has commanded: 'Each one is to gather as much as he needs. Take an omer for each person you have in your tent.'

¹⁷The Israelites did as they were told; some gathered much, some little. ¹⁸And when they measured it by the omer, he who gathered much did not have too much, and he who gathered little did not have too little. Each one gathered as much as he needed.

¹⁹Then Moses said to them, "No one is to keep any of it until morning."

²⁰However, some of them paid no attention to Moses; they kept part of it until morning, but it was full of maggots and began to smell. So Moses was angry with them.

²¹Each morning everyone gathered as much as he needed, and when the sun grew hot, it melted away.

The Seventh Day

²²On the sixth day, they gathered twice as much—two omers for each person—and the leaders of the community came and reported this to Moses. ²³He said to them, "This is what the LORD commanded: 'Tomorrow is to be a day of rest, a holy Sabbath to the LORD. So bake what you want to bake and boil what you want to boil. Save whatever is left and keep it until morning.'

²⁴So they saved it until morning, as Moses commanded, and it did not stink or get maggots in it. ²⁵"Eat it today," Moses said, "because today is a Sabbath to the LORD. You will not find any of it on the ground today. ²⁶Six days you are to gather it, but on the seventh day, the Sabbath, there will not be any." ²⁷Nevertheless, some of the people went out on the seventh day to gather it, but they found none. ²⁸Then the LORD said to Moses, "How long will you refuse to keep my commands and my instructions? ²⁹Bear in mind that the LORD has given you the Sabbath; that is why on the sixth day he gives you bread for two days. Everyone is to stay where he is on the seventh day; no one is to go out." ³⁰So the people rested on the seventh day.

³¹The people of Israel called the bread manna. It was white like coriander seed and tasted like wafers made with honey.

بنو إسرائيل، قال بعضهم لبعض من هو؟ لا لهم لم يفرقوا ما هو. قال لهم موسى، وهو خبز الرب الذي أعطاكمم لتأكلوه. ¹⁷ وهذا ما يأمركم به الرب، اتقوا وخذوا كل واحد على قدر ما أكليه، بكل واحد حوضاً (نحو لوزن) ونضيف ألفاً، وفقاً بعدد أهل بيوتكم الذين معكم في خيمتكم.

¹⁸ ففعل بنو إسرائيل هكذا حينئذ من القسط متكرراً، ومنهم من القسط ميلاً. ¹⁹ ولكن حينئذ كانوا بالكثير ما اتقوا، فإن المتكثرت لم تفسد عنه، والمثل لم ينقص شيء، فجمع كل واحد على قدر ما أكليه. ²⁰ وقال موسى لهم، لا يبقى أحد منة شيئاً إلى الصباح.

²¹ وسمع ذلك، فإن بعضهم لم يسمع لموسى، بل أخذوا منة للصباح، فتولدت فيه دود وأثنت. فسخط عليهم موسى. ²² فكان كل واحد يلتقط كل صباح على قدر ما أكليه، وما إن تشتت حرارة الشمس حتى يذوب ما بقي منة على الأرض.

طعام يوم السبت

²³ أما في اليوم السادس فتكثروا لتتقوا من الخبز الضعيف، أي عوزين (نحو خمسة لوزن) لكل واحد حوضاً ووزناً الجماعة وأتوا الأمر لموسى. ²⁴ قال لهم، هذا ما أمر به الرب. غداً يكون يوم راحة، سبتاً مقدساً للرب. الحوزوا ما قريتمون خبزاً وأطعموا ما تشاءون، واحتفظوا بما تفضل إلى الصباح. ²⁵ فأتوا إلى الصباح كما أمر موسى، فلم يبق ولا خبز فيه دود. ²⁶ وقال موسى، تكلموا اليوم لأن اليوم هو سبت للرب، إذ لن تجدوا اليوم طعاماً في الحظير. ²⁷ بيعة أيام لتتقوا وأما اليوم السابع فهو سبت ولن تجدوا فيه طعاماً.

²⁸ غير أن الناس خرجوا في السبت ليلتقطوا منة، فلم يجدوا شيئاً. ²⁹ ثم قال الرب لموسى، وإلى متى تأبون حفظ وصاياي وشروطي؟ ³⁰ انظروا، فإن الرب قد أعطاكم السبت لذلك هو يفتدكم لكم في اليوم السادس خبزاً يومين، فليأت كل واحد في مكانه ولا يفتد في اليوم السابع. ³¹ فاستراح الشعب في اليوم السابع. ³² ودعا شعب إسرائيل الخبز منة، وكان أبيض كبر الكزبرة، وتذوقه كرقائق متسوية يعسل.

Exodus 16,17

118 / ١١٨

الخروج ١٦، ١٧

³¹Moses said, "This is what the LORD has commanded: 'Take an omer of manna and keep it for the generations to come, so they can see the bread I gave you to eat in the desert when I brought you out of Egypt.'"

³²So Moses said to Aaron, "Take a jar and put an omer of manna in it. Then place it before the LORD to be kept for the generations to come."

³⁴As the LORD commanded Moses, Aaron put the manna in front of the Testimony, that it might be kept. ³⁵The Israelites ate manna forty years, until they came to a land that was settled; they ate manna until they reached the border of Canaan.

³⁶(An omer is one tenth of an ephah.)

^{٣١}وقال موسى، «إنيكم ما أمر به الرب، أحفظوا بلء العومير يفة ذكري لإجيلاكم المظلمة. يحي تروا الخنز الذي أظعنتمكم يد في الصحراء عتدما أخرجتكم من أرض مصر.» ^{٣٢}وقال موسى ليهرون، «خذ إناء وأجعل فيه مقدار عير من المم وضعه أمام الرب يظلل عظوظا في أجيالكم.» ^{٣٤}وكما أمر الرب موسى وضعه هرون أمام الشهادة عظوظا عليه. ^{٣٥}وأقتتت الإسرائيلون بكمم طوال أربعين سنة حتى جافوا إلى قوم أرض كنعان العامرة بالشكآن. ^{٣٦}وأما العومير فهو عشر الإفة.

Water from the Rock

17 The whole Israelite community set out from the Desert of Sin, traveling from place to place as the LORD commanded. They camped at Rephidim, but there was no water for the people to drink. ²So they quarreled with Moses and said, "Give us water to drink." Moses replied, "Why do you quarrel with me? Why do you put the LORD to the test?" ³But the people were thirsty for water there, and they grumbled against Moses. They said, "Why did you bring us up out of Egypt to make us and our children and livestock die of thirst?" ⁴Then Moses cried out to the LORD, "What am I to do with these people? They are almost ready to stone me."

⁵The LORD answered Moses, "Walk on ahead of the people. Take with you some of the elders of Israel and take in your hand the staff with which you struck the Nile, and go. ⁶I will stand there before you by the rock at Horeb. Strike the rock, and water will come out of it for the people to drink." So Moses did this in the sight of the elders of Israel. ⁷And he called the place Massah and Meribah because the Israelites quarreled and because they tested the LORD saying, "Is the LORD among us or not?"

The Amalekites Defeated

⁸The Amalekites came and attacked the Israelites at Rephidim. ⁹Moses said to Joshua, "Choose some of our men and go out to fight the Amalekites. Tomorrow I will stand on top of the hill with the staff of God in my hands."

¹⁰So Joshua fought the Amalekites as Moses had

ماء من الصخرة
وتنزل نهر إسرائيل على مزاجل، من صحراه
١٧ حين ينفضي أمر الرب إلى أن خيموا في
رهبيم حيث لم يجدوا ماء للشرب. اقتضاهم الشعب مع
موسى قائلين، «أعطونا ماء للشرب.. فلجأب موسى،
«لماذا تخاضونني؟ ولماذا تجربون الرب؟» ولكن
الشعب كان ظمينا إلى الماء، فتكلموا على موسى
وقالوا، «لماذا أخرجتنا من مصر ليميتنا وأولادنا ومواشيها
عطشا؟» فصرخ موسى إلى الرب، «ماذا أضغ عتدا
الشعب؟ إنيم بكدون مزجوني. فأجابته الرب، «قلتم
الشعب وخذ منك قمص شيوخ بني إسرائيل، وخذ
بنيك عصاك أيضا التي ضربت بها النهر، فما أنا أيف
هناك أمامك على الصخرة في حوب. أضرب الصخرة
فتفيض منها الماء للشرب للشعب.. وهكذا فعل موسى
أمام شيوخ إسرائيل. ودعا اسم المنوضع مشة ومرية
(وتنخله الأنيحان والمخاضة) نتيجة لخاضم بني
إسرائيل وأنيحانهم للرب قائلين، «هل الرب في وسطنا
أم لا؟»

هزيمة العمالقة

^٨وأخرج العمالقة وحاربوا إسرائيل في رهبيم. فقال
موسى ليوشع، «انتخب قمص وجلبنا وأضرب لمخربة
عمالين. وما أنا أيف عدا على قبة اللؤل وعسا أله في
بني.» «فحارب يشوع العمالقة كما أمر موسى. وضعد

Exodus 17,18

119 / 119

المخرج ١٨، ١٧

ordered, and Moses, Aaron and Hur went to the top of the hill. ¹¹As long as Moses held up his hands, the Israelites were winning, but whenever he lowered his hands, the Amalekites were winning. ¹²When Moses' hands grew tired, they took a stone and put it under him and he sat on it. Aaron and Hur held his hands up—one on one side, one on the other—so that his hands remained steady till sunset. ¹³So Joshua overcame the Amalekite army with the sword.

¹⁴Then the LORD said to Moses, "Write this on a scroll as something to be remembered and make sure that Joshua hears it, because I will completely blot out the memory of Amalek from under heaven." ¹⁵Moses built an altar and called it The LORD is my Banner. ¹⁶He said, "For hands were lifted up to the throne of the LORD. The LORD will be at war against the Amalekites from generation to generation."

Jethro Visits Moses

18 Now Jethro, the priest of Midian and father-in-law of Moses, heard of everything God had done for Moses and for his people Israel, and how the LORD had brought Israel out of Egypt.

²After Moses had sent away his wife Zipporah, his father-in-law Jethro received her ³and her two sons. One son was named Gershom, for Moses said, "I have become an alien in a foreign land"; ⁴and the other was named Eliezer, for he said, "My father's God was my helper; he saved me from the sword of Pharaoh." ⁵Jethro, Moses' father-in-law, together with Moses' sons and wife, came to him in the desert, where he was camped near the mountain of God. ⁶Jethro had sent word to him, "I, your father-in-law Jethro, am coming to you with your wife and her two sons."

⁷So Moses went out to meet his father-in-law and bowed down and kissed him. They greeted each other and then went into the tent. ⁸Moses told his father-in-law about everything the LORD had done to Pharaoh and the Egyptians for Israel's sake and about all the hardships they had met along the way and how the LORD had saved them. ⁹Jethro was delighted to hear about all the good things the LORD had done for Israel in rescuing them from the hand of the Egyptians. ¹⁰He said,

"Praise be to the LORD, who rescued you from

موسى وهرون وحور على قمة التلة. ¹¹طالَمَا كَانَ مُوسَى رَافِعًا يَدَيْهِ، تَلَبَّ بُنُو إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّمَا خَفَضَهَا يَتَوَرَّ الْعَمَالِيقَةُ. ¹²وَطَلَمَا دَبَّ الْقَتَبُ فِي يَدَيْ مُوسَى أَخَذَ هُرُونَ وَحُورُ خَبِرًا وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَأَسَدَّ هُرُونَ وَحُورُ يَدَيْهِ، كُلُّ رَاجِدٍ بَيْنَهُمَا مِنْ جَيْشِهِ. وَعَدَّكَ يَدَايُكَ مَرْفُوعَتَيْنِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ. ¹³فَهَزَمَ يُشُوْعُ الْعَمَالِيقَةَ وَجَيْشَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ.

¹⁴قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، «ذَكِّرْ هَذَا فِي الْكِتَابِ لِلذِّكْرِ، وَأَقُلْ عَلَى شُوعٍ، لِأَنِّي سَأَعُو ذِكْرَ الْعَمَالِيقَةَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. ¹⁵وَسَيَبْنِي مُوسَى مَذْبَحًا لِلرَّبِّ دَعَاهُ «هَيْوَةُ نَيْشِي» (وَتَعْنَاهُ: الرَّبُّ رَافِعِي أَوْ عَلِيِّي)، «قَائِلًا: لِأَنَّ يَدَايَ أَرْفَعْتُ حَيْدَ عَرْشِي الرَّبِّ، فَإِنَّ الرَّبَّ سَيُحَارِبُ الْعَمَالِيقَةَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ».

زيارة يثرون

وَسَمِعَ يَثْرُونُ كَلِمَاتِ مِدْيَانَ وَحَمُو مُوسَى بِجَمِيعِ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ لِمُوسَى وَإِسْرَائِيلَ شَغِيرًا، وَكَيْفَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مِصْرَ، فَأَخَذَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى صِفْوَةَ زَوْجَتِهِ مُوسَى الَّتِي كَانَ قَدْ ارْتَجَعَهَا إِلَيْهَا وَأَبْنَاهَا الْكَلْبِيِّينَ بِدَعَى أَحَدَهُمَا جِرْشُومَ (وَتَعْنَاهُ: غَرِيبِي) لِأَنَّ (مُوسَى) قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضِ غَرِيبَةٍ»، وَأَسْمَ الْآخَرَ أَلِيئِيزَرُ (وَتَعْنَاهُ: إِلَهِي عَاوُنٌ لِي) لِأَنَّهُ قَالَ: «إِلَهَ أَبِي كَانَ عَاوُنِي، فَأَلْقَيْتَنِي مِنْ سَيْفِ فِرْعَوْنَ». ⁵وَقَدِمَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى وَبَعَثَ أَبْنَاءَ مُوسَى وَزَوْجَتَهُ إِلَى مُوسَى فِي الْبَحْرَاءِ حَيْثُ كَانَ مُخْتَبِئًا عِنْدَ جَبَلِ اللَّهِ. ⁶فَأَرْسَلَ إِلَى مُوسَى قَائِلًا: «أَنَا حَتُّكَ يَثْرُونُ قَائِدِ الْبَنِي وَبَعِي زَوْجَتِكَ وَأَبْنَائِكَ». فَحَفَّتْ مُوسَى لِاسْتِظْهَالِ حَمِيهِ، وَأَتَحَتَّى لَهُ أَحْتَرَامًا وَكَلَّمَهُ، وَسَأَلَ كُلُّ بَيْنَهُمَا الْآخَرَ عَنْ أُخُوْلِيهِ ثُمَّ دَخَلَا إِلَى الْخَيْمَةِ.

⁷فَسَمِعَ مُوسَى عَلَى حَمِيهِ كُلُّ مَا أَجْرَاهُ الرَّبُّ عَلَيَّ فِرْعَوْنَ وَالْمِصْرِيِّينَ لِإِقْدَالِ نَبِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا تَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَقَلَّةٍ فِي الْبَطْنِ، وَكَيْفَ أَنْقَذَهُمُ الرَّبُّ مِنْهَا. ⁸فَأَقْبَضَ يَثْرُونُ بِجَمِيعِ مَا خَصَّتْهُ الرَّبُّ مِنْ إِخْسَانِهِ إِلَى إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. ⁹وَقَالَ يَثْرُونُ: «مُبَارَكُ الرَّبُّ

the hand of the Egyptians and of Pharaoh, and who rescued the people from the hand of the Egyptians. ¹¹Now I know that the LORD is greater than all other gods, for he did this to those who had treated Israel arrogantly.” ¹²Then Jethro, Moses' father-in-law, brought a burnt offering and other sacrifices to God, and Aaron came with all the elders of Israel to eat bread with Moses' father-in-law in the presence of God.

The Selection of Judges

¹³The next day Moses took his seat to serve as judge for the people, and they stood around him from morning till evening. ¹⁴When his father-in-law saw all that Moses was doing for the people, he said, “What is this you are doing for the people? Why do you alone sit as judge, while all these people stand around you from morning till evening?” ¹⁵Moses answered him, “Because the people come to me to seek God's will. ¹⁶Whenever they have a dispute, it is brought to me, and I decide between the parties and inform them of God's decrees and laws.”

¹⁷Moses' father-in-law replied, “What you are doing is not good. ¹⁸You and these people who come to you will only wear yourselves out. The work is too heavy for you; you cannot handle it alone. ¹⁹Listen now to me and I will give you some advice, and may God be with you. You must be the people's representative before God and bring their disputes to him. ²⁰Teach them the decrees and laws, and show them the way to live and the duties they are to perform. ²¹But select capable men from all the people—men who fear God, trustworthy men who hate dishonest gain—and appoint them as officials over thousands, hundreds, fifties and tens. ²²Have them serve as judges for the people at all times, but have them bring every difficult case to you; the simple cases they can decide themselves. That will make your load lighter, because they will share it with you. ²³If you do this and God so commands, you will be able to stand the strain, and all these people will go home satisfied.”

²⁴Moses listened to his father-in-law and did everything he said. ²⁵He chose capable men from all Israel and made them leaders of the people, officials over thousands, hundreds, fifties and tens. ²⁶They served as judges for the people at all times. The difficult cases they brought to Moses, but the

الذي اقتدكم من يد الموضيين ومن يد فرعون، وحَرَّد الشَّعب من يَد الموضيين. ^{١١}الآن أعلم أن الرب هو أعظم من جميع الآلهة؛ لأنه عقلهم ببطل ما بقوا به. ^{١٢}وقدم يثرون نحو موسى محرقةً وتبائح للهِ، وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعاماً مع حبي موسى في حضرة الله.

اختيار القضاة

^{١٣}وفي الصباح جلس موسى ليَقضي للشَّعب، وظلَّ الشَّعب واقفاً لدى موسى من الصباح إلى المساء. ^{١٤}فلما رأى نحو موسى جميع ما يقوم به للشَّعب قال له، «ما هذا الذي تفعله للشَّعب؟ ولماذا تجلس وحدهم ليقضاه، بينما يظلُّ جميع الشَّعب وإيهاً لتتبع من الصباح إلى المساء؟» ^{١٥}فاجاب موسى، «لأنَّ الشَّعب يقبل إليَّ ليشْتَطِّع إرادة الله. ^{١٦}فإين كان لهم دعوى يتجاولون إليَّ للقضي نين الرجل والآخر، وأطيلهم على فرائض الله وشريعته.»

^{١٧}قال نحو موسى، «إين ما تفعله ليس بالأمر الصَّائب. ^{١٨}إذ لئذٍ لتكفل أن تعجزك أنت وكلُّ هذا الشَّعب الذي معك، لأنَّ الأمر فوق طاقتك، ولا يمكنك أن تتراه وحدهك. ^{١٩}فاصح إلى ضويي لأشيد لك نصيحة، وليكن الله معك. فلتكن أنت تمثِّل الشَّعب أمام الله، فرتكع إليه دعاوتهم. ^{٢٠}واعلمهم الفرائض والشَّرائع، وأعلم لهم الطريق الذي يتلكونه، وما يتوجب عليهم القيام به من أعمال. ^{٢١}ولكن احتر من بين الشَّعب رجالاً متقربين خائفين الله أمناه يتبصرون الرُّشوة، يهيمهم عليهم رؤساء إبنات الألوهِ والبنات والخمسين والعشرات. ^{٢٢}فحضون للشَّعب في الدعاوى الصَّغيرة في كلِّ حين. أنا أقضاه المستعصية فيوتربتها إنيك، فحفظ ذلك عنك، إذ يشاركوك في حلال ألبس. ^{٢٣}فإين فعلت هذا وأوصاك الله به، أنتكك ألوهم ينشروا إليك، وتبضي جميع هذا الشَّعب إلى مكته بسلام.»

^{٢٤}فانتفع موسى إلى نصيحة حبه، وتقد كلُّ ما قلَّ له. ^{٢٥}واختار موسى من بين جميع الإسرائيليين رجالاً متقربين وأطيلهم على الشَّعب، رؤساء ألوهِ وبنات وخمسين وعشرات. ^{٢٦}فكفوا يتبصرون للشَّعب في كلِّ الدعاوى

Exodus 18,19

121 / 121

المخرج 18، 19

simple ones they decided themselves. ²⁷Then Moses sent his father-in-law on his way, and Jethro returned to his own country.

الشيخية. أما القضاة المستعينة فكفوا بزفرتها إلى موسى.
²⁷فم شع موسى عنه، فزجع هذا إلى أرضه.

At Mount Sinai

19 In the third month after the Israelites left Egypt on the very day—they came to the Desert of Sinai. ²After they set out from Rephidim, they entered the Desert of Sinai, and Israel camped there in the desert in front of the mountain.

³Then Moses went up to God, and the LORD called to him from the mountain and said, "This is what you are to say to the house of Jacob and what you are to tell the people of Israel: ⁴'You yourselves have seen what I did to Egypt, and how I carried you on eagles' wings and brought you to myself. ⁵Now if you obey me fully and keep my covenant, then out of all nations you will be my treasured possession. Although the whole earth is mine, ⁶you will be for me a kingdom of priests and a holy nation.' These are the words you are to speak to the Israelites."

بومة سيناء
 وفي تمام الشهر الثالث من خروج بني إسرائيل
 19 من أرض مصر وصلوا إلى بؤرة سيناء. ²فقد
 ارتحل الإسرائيليون من ريفديم إلى أن جاءوا إلى بؤرة
 سيناء، فترأوا مقبل الجبل.
³فصعد موسى للجبل أمام الله، فناداه الرب من الجبل،
 فكذا يقول لآل يعقوب، وتخبر شعب إسرائيل، لقد عاينتم
 بأنفسكم ما فعلتكم على مصر، وكيف حملتكم على أجنحة
 النسور وجئت بكم إلي. ⁴إذ ذلك إن أظفتم عهدي، تكونوا
 لي ملكاً خاصاً من بين جميع الشعوب، لأن لي كل
 الأرض. ⁵وتكونون لي مملكة خاصة وأمة مقدسة. هذا هو
 الكلام الذي تخاطب به بني إسرائيل..

Warnings For the Israelites

⁷So Moses went back and summoned the elders of the people and set before them all the words the LORD had commanded him to speak. ⁸The people all responded together, "We will do everything the LORD has said." So Moses brought their answer back to the LORD. ⁹The LORD said to Moses, "I am going to come to you in a dense cloud, so that the people will hear me speaking with you and will always put their trust in you." Then Moses told the LORD what the people had said.

¹⁰And the LORD said to Moses, "Go to the people and consecrate them today and tomorrow. Have them wash their clothes ¹¹and be ready by the third day, because on that day the LORD will come down on Mount Sinai in the sight of all the people.

¹²Put limits for the people around the mountain and tell them, 'Be careful that you do not go up the mountain or touch the foot of it. Whoever touches the mountain shall surely be put to death. ¹³He shall surely be stoned or shot with arrows; not a hand is to be laid on him. Whether man or animal, he shall not be permitted to live.' Only when the ram's horn sounds a long blast may they go up to the mountain."

تحذيرات للشعب
⁷فالتفت موسى لشيوخ الشعب وقال أمامهم جميع هذا
 الكلام الذي أوصاه به الرب. ⁸فقال كل الشعب نعماً،
 كل ما نطق به الرب نعمله. ⁹فحمل موسى جوابهم
 إلى الرب. ¹⁰فقال الرب لموسى، ها أنا مقبل عليك في
 غمامة سحاب مطبق، فيستغيي الشعب حينئذ أحاطينك،
 فيصرون أيضاً بك كلاماً. ¹¹وقال موسى إلى الرب كلام
 الشعب، ¹²وقال الرب لموسى، انزل إلى الشعب
 وقدهم اليوم وغداً، ودهنهم بغسلهم بناتهم، ¹³ليكونوا
 منظمين للبحر الثالث. لأنه في اليوم الثالث تنزل أمام
 جميع الشعب على جبل سيناء. ¹⁴واقم حدوداً حول
 الجبل لا يتخطاها الشعب. ¹⁵وقل لهم، حذرو من أن
 تضعدوا إلى الجبل، أو تمسوا طرفه، فكل من تمس
 الجبل حتماً يقتل. ¹⁶ألا تمسه يد، بل مزجم زجماً أو
 نرمى بالسهام، سواء كان حيماً أم إنساناً، لا يبق عليه.
 أما عبقنا مرقده صوت فوق جبهته، فينادي قسط مضعدون
 إلى الجبل..

Exodus 19:20

122 / ١٢٢

المخرج ٢٠١٩

The Consecration of the People

¹⁶After Moses had gone down the mountain to the people, he consecrated them, and they washed their clothes. ¹⁷Then he said to the people, "Prepare yourselves for the third day. Abstain from sexual relations." ¹⁸On the morning of the third day there was thunder and lightning, with a thick cloud over the mountain, and a very loud trumpet blast. Everyone in the camp trembled. ¹⁹Then Moses led the people out of the camp to meet with God, and they stood at the foot of the mountain. ²⁰Mount Sinai was covered with smoke, because the LORD descended on it in fire. The smoke billowed up from it like smoke from a furnace, the whole mountain trembled violently, ²¹and the sound of the trumpet grew louder and louder. Then Moses spoke and the voice of God answered him.

Moses Meets With God

²⁰The LORD descended to the top of Mount Sinai and called Moses to the top of the mountain. So Moses went up ²¹and the LORD said to him, "Go down and warn the people so they do not force their way through to see the LORD and many of them perish. ²²Even the priests, who approach the LORD, must consecrate themselves, or the LORD will break out against them." ²³Moses said to the LORD, "The people cannot come up Mount Sinai, because you yourself warned us, 'Put limits around the mountain and set it apart as holy.'" ²⁴The LORD replied, "Go down and bring Aaron up with you. But the priests and the people must not force their way through to come up to the LORD, or he will break out against them." ²⁵So Moses went down to the people and told them.

تقدیس الشعب

^{١٦}فَبَعَثَ أَنْ أُنْزِلَ مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الشَّعْبِ قَسَمَهُمْ وَغَسَلُوا ثِيَابَهُمْ. ^{١٧}وَقَالَ لِلشَّعْبِ: «مُكُونُوا مُتَطَهِّرِينَ لِلثَّوْمِ الثَّلَاثِ، وَانْتَبِهُوا عَنِ مَعَاشَرَةِ نِسَائِكُمْ.» ^{١٨}وَفِي صَبَاحِ الثَّوْمِ الثَّلَاثِ حَفَّتْ رُعْدٌ وَتُرُقُوقٌ، وَخَيْمٌ سَخَابٌ كَثِيفٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَذَوَى صَوْتٌ لُوفٍ قَوِيٌّ جَدًّا، فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحْظَمِ. ^{١٩}فَالْمَرْجُ مُوسَى الشَّعْبَ مِنْ الْمَحْظَمِ لِلقاءِ اللَّهِ، فَوَقَفُوا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. ^{٢٠}وَكَانَ جَبَلُ سَيْنَاءَ كُلَّهُ مَطْبُوعًا بِدُخَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ فِي خَيْمَةٍ نَارٍ، وَتَضَاعَدَ دُخَانُهَا كَدُخَانِ الْكُوفِ، وَهَفَزَ الْجَبَلُ كُلَّهُ بِهَيْبَةٍ. ^{٢١}وَأَزَادَ ذَوَى التُّرُقُوقِ أَكْثَرَ فَمَا كَانَ مُوسَى يَتَكَلَّمُ، وَالرَّبُّ يُجِيبُهُ بِرُعْدٍ.

لقاء موسى مع الرب

^{٢٠}وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ سَيْنَاءَ، وَنَادَى مُوسَى لِيُصْعِدَ إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ إِلَيْهِ. ^{٢١}فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «انْزِلْ وَخَدِّرِ الشَّعْبَ لِئَلَّا يَفْتَحُوا الْجَبَلَ لِيَعْبُدُوا فَهَلِكُ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ.» ^{٢٢}وَأَيْضًا لِكَهَنَةِ الَّذِينَ يَقْرَبُونَ إِلِي لِئَلَّا أُطْلَسَ بِهِمْ. ^{٢٣}فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لَا يَسْتَطِيعُ الشَّعْبُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ قَدْ خَدَّرْتَنَا قَوْلًا، إِيْمٌ حُدُودًا حَوْلَ الْجَبَلِ وَقَلْبَةً.» ^{٢٤}فَأَجَابَ الرَّبُّ: «انْزِلْ وَاصْعِدْ بِأَخِيكَ هَارُونَ مَعَكَ، أَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلَا يَفْتَحُوا طَرِيقَهُمْ لِيَصْعَدُوا إِلَيَّ لِئَلَّا أُطْلَسَ بِهِمْ.» ^{٢٥}فَانْزَلَ مُوسَى إِلَى الشَّعْبِ وَتَلَوَهُمْ.

The Golden Calf

32 When the people saw that Moses was so long in coming down from the mountain, they gathered around Aaron and said, "Come, make us gods who will go before us. As for this fellow Moses who brought us up out of Egypt, we don't know what has happened to him."² Aaron answered them, "Take off the gold earrings that your wives, your sons and your daughters are wearing, and bring them to me."³ So all the people took off their earrings and brought them to Aaron.⁴ He took what they handed him and made it into an idol cast in the shape of a calf, fashioning it with a tool. Then they said, "These are your gods, O Israel, who brought you up out of Egypt."⁵ When Aaron saw this, he built an altar in front of the calf and announced, "Tomorrow there will be a festival to the LORD."⁶ So the next day the people rose early and sacrificed burnt offerings and presented fellowship offerings. Afterward they sat down to eat and drink and got up to indulge in revelry.

Moses Intercedes for the People

⁷Then the LORD said to Moses, "Go down, because your people, whom you brought up out of Egypt, have become corrupt.⁸ They have become quick to turn away from what I commanded them and have made themselves an idol cast in the shape of a calf. They have bowed down to it and sacrificed to it and have said, 'These are your gods, O Israel, who brought you up out of Egypt.'⁹ I have seen these people," the LORD said to

Moses, "and they are a stiff-necked people."¹⁰ Now leave me alone so that my anger may burn against them and that I may destroy them. Then I will make you into a great nation."¹¹ But Moses sought the favor of the LORD his God. "O LORD," he said, "why should your anger burn against your people, whom you brought out of Egypt with great power and a mighty hand?¹² Why should the Egyptians say, 'It was with evil intent that he brought them out, to kill them in the mountains and to wipe them off the face of the earth'? Turn from your fierce anger; relent and do not bring disaster on your people."¹³ Remember your servants Abraham, Isaac and Israel, to whom you swore by your own self: 'I will make your descendants as numerous as the stars in the sky and I will give your descendants all this land I promised them, and it will be their inheritance forever.'¹⁴ Then the LORD relented and did not bring on his people the disaster he had threatened.

هرون يصنع جعل الذهب

٣٢ وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى قَدْ طَالَتْ إِقْبَاتُهُ عَلَى الْجَبَلِ، اجْتَمَعُوا حَوْلَ هَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ: «هَيَّا، اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا يَتَقَدَّمُنَا فِي سَبِيلِنَا. لِأَنَّ هَذَا الْفَتَى مُوسَى الَّذِي أَخْرَجَنَا مِنْ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَا صَارَ بِهِ.»^٢ فَأَجَابَهُمْ هَارُونَ، قَائِلًا: «تَأْخُذُوا أَسْبَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِكُمْ وَتَأْخُذُوا أَسْبَاطَ بَنَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، وَأَعْمِدُونِي بِهَا.»^٣ فَتَوَضَّعُوا مِنْ أَسْبَاطِهِمْ، وَجَاءُوا بِهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ وَصَفَّرَهَا وَصَنَّاعَ جَعْلًا. فَجَلَسُوا قَوْلًا: «هَذِهِ إِلَهَاتُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخْرَجَكَ مِنَ مِصْرَ.»^٤ وَبِعَيْنِنَا شَاهِدٌ هَارُونَ ذَلِكَ شَيْئًا مَلِيجًا أَمَامَ الْجَعْلِ وَالْهَلْنِ، فَعَمِدَ هُوَ عِمْدًا لِلرَّبِّ. «غَدًا تَكُونُ لِرَبِّ فِتْنَةٌ فِي الْبُحْرِ الَّتِي تَأْخُذُونَ بِهَا تَحْرِيفَاتٍ وَقَدْ كُنْتُمْ قَرَابِينَ سَلَامٍ. لِمَ أَحْتَفِلُوا فَكَلَّمُوا وَشَرَّبُوا، وَمِنْ لَمَّا قَامُوا لِلرَّبِّ وَالْمُحْرَبِينَ.»

ابتهال موسى

^٧فَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى، «مَنْ وَأَنْزِلْ فَإِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي قَدْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. إِنْ أَنْزَلْتَهُمْ سَبِيحًا مَعِي الطَّيِّبِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، فَصَارُوا لَكُمْ جَعْلًا وَعَبَدُوهُ وَذَنَبُوا لِي إِلَهَاتٍ مَلِيجِينَ. هَذَا هُوَ إِلَهُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنَ مِصْرَ.»^٩ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى، «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَإِنَّهُمْ بِرِءٍ عَمِدٌ مُتَصَلِّبَةٌ

الْقَلْبِ. وَالْآنَ دَعْنِي وَغَضَبِي الْمُسْتَعِدِّمْ فَاتَّبِعْتُمْ. لِمَ اجْعَلَكَ أَتَيْتُ شَعْبًا عَظِيمًا.»^{١١} فَأَبْتَهَلَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «لِمَاذَا تَجْنِمُ غَضَبَكَ عَلَيَّ شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَذَلَّاعٍ مُقَدِّمَةٍ؟ إِيْمَانًا نَشِئْتُ الْمُبْصُرِينَ فِيهَا قَلِيلِينَ، لَقَدْ أَحْتَالَ عَلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ فَأَخْرَجْتَهُمْ مِنْ هُنَا لِيُنْقِذَهُمْ فِي الْأَجْنَالِ وَتَقَرَّبْتُمْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ. أَرْجِعْ عَنِّي حَمْدًا غَضَبِكَ وَلَا تَوَقَّعْ هَذَا الْقِيَامَ بِشَعْبِكَ. أَتَذَكَّرُ وَعُودَكَ لِيَمِيكَ إِسْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ الَّذِينَ اقْتَسَمْتَ لَهُمْ بِعَيْنِكَ قَلِيلًا، أَكْثَرَ نَسَلِكُمْ كَجُجُومِ السَّمَاءِ. وَأَخْبَرْتُمْ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدْتُمْ بِهَا قَدَمَيْكَ لِي وَإِلَيَّ الْآبِيَاءِ.»^{١٤} فَتَرَدَّدَ الرَّبُّ وَلَمْ يُوقِعْ بِشَعْبِهِ الْعِشَابَ الَّذِي وَوَعَدَ بِهِ.

51 - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [الفصص: 7].

في الأثر أن كلاً من الأخوين هارون وموسى وُلد على أرض مصر في زمن الفرعون المعروف باسم رمسيس (رعمسيس) الثاني، الذي حكم مصر في عهد الأسرة التاسعة عشر (في الفترة الممتدة من 1301 ق.م. إلى 1235 ق.م تقريباً) وقد عرف رمسيس الثاني باسم «فرعون الاضطهاد» لأنه كان جباراً في الأرض، ظالماً، كافراً بأنعم ربه حتى ادعى الألوهية التي سجلها القرآن الكريم عليه بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿هَلْ أُنثِيَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُنَا ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُرْبَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: 15 - 26].

وقال هذا الفرعون مخاطباً شعبه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ

غَيْرِي﴾

[الفصص: 38].

اضطهد فرعون مصر «رمسيس الثاني» كل مؤمن بالله في شعبه الذي قسّمه شيعاً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي سِنَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [الفصص: 4].

ويروي الدكتور سليم حسن (ج6، ص44، 45) أن بني إسرائيل كانوا من الذين استضعفهم واضطهدهم فرعون مصر (رمسيس الثاني) لأنهم خانوا أباه سיתי الأول، وتعاونوا مع أعدائه في بلاد الشام، كما خانوا العهد معه وعرضوه لخدعة

من اثنين من البدو كلّفته فيلقاً كاملاً من جيشه، وكادت الخدعة تودي بحياته هو في «معركة قادش» التي وقعت بينه وبين ملك الحيثيين حوالي سنة 1287 قبل الميلاد. وتقع «قادش» على الضفة الغربية لنهر العاصي جنوب بحيرة حمص في بلاد الشام.

وكان بنو إسرائيل قد وفدوا إلى مصر زمن القحط الذي ضرب منطقة المشرق العربي (سنة 1728 ق.م) بعد أن بيع يوسف بن يعقوب رقيقاً لعزير مصر، ثم أكرمه الله ﷻ بعد سلسلة طويلة من الابتلاءات بأن جعله أميناً على خزائن أرض مصر في زمن أحد ملوك الهكسوس. وهؤلاء كانوا عرباً حكموا مصر فترة من الزمن حتى حرّرها ملوك الأسرة الثامنة عشر الذين طاردوا الهكسوس إلى بلاد الشام. ولمّا عاد رمسيس الثاني من «معركة قادش» (Kadesh Barenea) بعد توقيع الصلح مع الحيثيين بدأ التنكيل بالإسرائيليين. وقد دفعه إلى ذلك كراهيته لخياناتهم المتكررة، ثم أنه رأى في منامه رؤيا فسرت له بأنّ غلاماً يولد في بني إسرائيل يتحقق على يديه هلاك فرعون مصر وزوال ملكه. وقد أزعج تفسير هذه الرؤيا منام الفرعون إزعاجاً شديداً وأفزعه على مستقبل حكمه وعلى ملك أبنائه وذريته من بعده.

وفي غمرة الخوف والفرع من المستقبل المجهول أمر «رمسيس الثاني» بقتل كل غلام يُولد في بني إسرائيل فور ولادته، وأن يترك الإناث من هؤلاء المواليد للقيام بالخدمة في بيوت المصريين. وتطبيق هذا القانون الجائر قلّت الأيدي العاملة في المجالات التي لا يقوى عليها إلاّ الذكور (من مثل استخراج الأحجار من مقالعها، وأعمال البناء، والزراعة، والصناعة، وغيرها من الأعمال الشاقّة) فاشتكى أهل مصر من ذلك النقص في اليد العاملة إلى رمسيس الثاني. وفي محاولة لعلاج ذلك النقص في الأيدي العاملة تفتق ذهن هذا الفرعون عن فكرة جهنميّة، مؤداها ذبح جميع من يولد من غلمان بني إسرائيل عاماً وإعفائهم من الذبح في العام الذي يليه، وظلّ العمل على هذا المنوال طيلة

فترة حكمه التي استمرت حوالي سبعة وستين (67) سنة (من حوالي 1301 ق.م إلى 1234 ق.م).

وُلد «هارون بن عمران» الأخ الأكبر لموسى في عام لم يكن يذبح فيه غلمان بني إسرائيل فنجَّاه اللهُ ﷻ من الذبح، ثم وُلد أخوه «موسى بن عمران» في سنة كان غلمان بني إسرائيل يذبحون. وبعد ميلاده لاحظ كل مَنْ رأى هذا الوليد المبارك أنَّ اللهُ - تعالى - قد ألقى عليه محبةً منه، فكان كلُّ مَنْ رآه يقع حبًّا لهذا الوليد الجديد في قلبه، فيساعد الأسرة المنكوبة على إخفائه، ولذلك يمتن ربُّنا - تبارك وتعالى - على عبده موسى بعد أن كبر وآتاه اللهُ النبوة فيقول له: ﴿وَأَلَقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39].

هذه المحبة التي ألقاها اللهُ - تعالى - على عبده موسى استقرت في قلوب الناس، وجعلتهم يعاونون أمه على إخفاء رضيعها من زبانية فرعون وجواسيسه الذين كانوا يجوبون حواري المناطق التي كان يسكنها بنو إسرائيل بحثاً عن المواليد الجدد من الغلمان.

ولكن مع اشتداد وطأة البحث، وانتشار كل من الجواسيس والقابلات في المدينة، زاد خوف أم موسى عليه، وفزعت فزعاً شديداً من إمكانية انتزاعه من بين أحضانها وذبحه. وفي غمرة ذلك، ألهمها اللهُ - تعالى - أن تضعه في مهده، ثم في صندوق يحميه من البلل بالماء، وأن تضع الصندوق في اليم (نهر النيل) الذي كان متاخماً لبيتها، بعد أن تربطه بحبل متين يشده إلى البيت ففعلت ذلك. وكانت تسترجع وليدها إلى البيت لإرضاعه بين الفترة والأخرى، ثم تردّه إلى مكانه في نهر النيل مخبأً بين أعشابه ونباتاته.

ولحكمة في علم اللهُ، تمكَّن تيار الماء في نهر النيل في يوم من الأيام من قطع الحبل الذي يربط صندوق موسى إلى بيت أمه (إمّا لشدة التيار، وإمّا لأنها لم توثق رباطه) فتحرك تيار الماء بالصندوق وبداخله الرضيع موسى حتى أوصله بأمر من اللهُ - تعالى - إلى شاطئ قصر الفرعون الذي كان قائماً على بحيرة متصلة

بالنيل. التقط حراس القصر وخدمه الصندوق، وتمّ فتحه في حضرة زوجة الفرعون، وكانت سيدة مؤمنة بالله، وكان اسمها «آسية بنت مزاحم» (أو إست نفرت)، وقد ضرب الله - تعالى - بها المثل على للإيمان الصادق في محكم كتابه.

وعند فتح الصندوق وقعت عينا السيدة المؤمنة «آسية» زوجة فرعون مصر على الطفل الرضيع «موسى بن عمران» فرأت في وجهه نوراً أوقع محبته في قلبها فتعلقت به. وصل الخبر إلى الفرعون فجاء إلى قصره غاضباً، وأدرك أن الرضيع هو أحد غلمان بني إسرائيل الذي حاول أهله إخفاءه عن أعين الذبّاحين من جنده وعملائه. أمر الفرعون بقتل الغلام على الفور، ولكن زوجته الصالحة ألحّت عليه بالرجاء أن يستبقه لهما فرحة ومسرة وقرّة عين، فاستجاب الفرعون لرجاء زوجته بعد إلحاح طويل منها، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْطِئِيهِ فِي الْأَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا نَقْتُلُوهَ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُمُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: 7 - 9].

وعندما فوجئت أم موسى باختفاء الصندوق الذي كانت قد خبّأت فيه رضيعها فزعت فزعاً شديداً، وأمرت أختها بالإسراع في اقتفاء أثره. جرت أخت موسى على طول ساحل النيل من بيتها إلى قصر الفرعون ففوجئت بأن الصندوق قد وصل إلى القصر، ففحق قلبها من الجزع والخوف على أخيها، كما طار عقل أمها، وفرغ قلبها وأصبح خالياً من كلّ شيء في الدنيا إلّا من ذكر موسى وكيفية إنجائه من قبضة الفرعون. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِدًّا وَإِنَّهَا كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّىٰ قَلْبَهَا لَتَأْكُفَرْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: 10، 11].

جاء الطفل موسى، وأخذ في البكاء، حتى ملأ قصر الفرعون ببكائه، فأمرت السيدة «آسية» بجلب عدد من المرضعات للطفل الباكي، ولكن كلما جاءت إحداهن لترضعه أبى الرضاعة منها. اشتد جوع الطفل وعلا صراخه، والمرضعات يترددن على القصر دخولاً وخروجاً دون أن يقبل الرضاعة من أيهن. تسلت أخت موسى إلى داخل القصر مع المرضعات الداخلات وشاهدت أخاها يبكي ويرفض الرضاعة من أية مرضعة، فتقدمت من السيدة «آسية» عارضة أن تدلها على من يمكن أن يقبل هذا الطفل الرضاعة منها فوافقت فوراً على ذلك. ذهبت الأخت وعادت لهم بأمه فأقبل عليها ورضع منها، فدفعوا بالطفل إليها، وأجروا لها راتباً من أجل إرضاعها له. عرضت السيدة «آسية» على المرضعة إمكانية الإقامة في القصر حتى لا تحرم من رؤية موسى، ولكنها اعتذرت بضرورة القيام على شؤون أسرتها، فوافقت سيدة القصر على اصطحاب أم موسى لرضيعها إلى بيتها، وأغدقت عليها بالعطايا كي لا تحرمها من رؤية الطفل من وقت إلى آخر. وعادت أم موسى إلى بيتها فرحة برضيعها الذي نجاه الله - تعالى - من الذبح، وحقق لها أولى البشريتين اللتين رأتهما في منامها، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَيْ تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

[القصص: 12، 13].

ويمن ربنا - تبارك وتعالى - على عبده ونبيه موسى بذلك قائلاً له: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَلْتَ فَنَسَا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

[طه: 37 - 40].

وبعد فطام موسى أعادته أمه إلى السيدة المؤمنة «آسية» زوجة فرعون مصر

لينشأ هذا الصغير في قصره، وليتربّى تربية أبناء الملوك تحت عطف وحب ورعاية من فرعون وزوجه، وبذلك تحقق ما أوحاه ربنا - تبارك وتعالى - إلى أمّ موسى ممّا يؤكّد وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية السابعة من سورة «القصص».

وقصّة ولادة موسى في زمن ذبح غلمان بني إسرائيل عقب ولادتهم، وإنجاء الله - تعالى - له من الذبح على أيدي جند فرعون وأعوانه، وتربية هذا الطفل في بيت عدو الله وعدوه فرعون مصر حتى بلغ أشده، هذه القصّة لها ما يشبهها في العهد القديم (سفر التكوين/ كتاب الخروج 1/2 - 10) مع الفارق الهائل بين كلام الله وكلام البشر.

ووجود هذا التشابه يؤكّد وحدة المصدر، وينفي الادّعاء الكاذب بأنّ خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قد نقل هذه القصّة عن «العهد القديم». وإذا علمنا أنه - صلوات ربي وسلامه عليه - كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وأنه كان قد بعث في أمة أميّة لا تعرف التدوين، انتفى هذا الادعاء الباطل عنه، خاصة وأنّ اليهود الذين كانوا قد لجأوا إلى الجزيرة العربيّة هرباً من جور الرومان كانوا - في غالبيتهم - من الأميين. ليس هذا فقط، بل إن اليهود بصفة عامة كانوا قد فقدوا أصول التوراة، فقامت قياداتهم الدينيّة بالابتداع في الدين ما لم ينزل به الله سلطاناً. والفارق الهائل بين رواية القرآن الكريم وما جاء في «العهد القديم»: في كل من الصياغة، ودقّة التفاصيل المقصودة من إيراد القصّة، والإيجاز المعجز يؤكّد الفارق بين وحي الله وكلام البشر.

وإذا علمنا أنّ المسافة الزمنية بين كلّ من النبيّين الكريمين محمّد بن عبد الله وموسى بن عمران ﷺ يقدر بحوالي ألفي سنة، وأنّ الرّسول الخاتم ﷺ كان الله - تعالى - قد اختار له أن يكون أمياً (لا يعرف القراءة ولا الكتابة)، وأن يبعث في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين الذين لم يكونوا يعرفون التدوين، أدركنا ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصّة ميلاد النبيّ الكريم

موسى بن عمران. ولقد جاء ذلك في روعة من الصياغة، ودقة من التفاصيل، وفي إيجاز معجز يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

52 - ﴿فَالنَّفْطَةُءُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ [القصص: 8].

من الدقة المطلقة في القرآن الكريم وصف حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ بوصف الملك، ونعته في زمن عبد الله ونبيه موسى ﷺ بلقب الفرعون كما سبق وأن أشرنا تحت قصة يوسف ﷺ. كذلك من الدقة المطلقة في كتاب الله ذكر مهندس البناء في زمن فرعون موسى باسم «هامان»، وهو اسم ورد في «العهد القديم». وقد دأب عدد من غلاة المستشرقين على استخدام هذه الإشارات ضد القرآن الكريم بدلاً من استخدامها للتأكيد على الدقة المطلقة فيه، والشهادة له بالإعجاز الإنبائي والتاريخي، ولمناقشة ذلك أورد ما يلي:

أولاً: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في نعت حاكم مصر في زمن عبد الله ونبيه يوسف ﷺ بلقب الملك، ونعته في زمن موسى ﷺ بلقب الفرعون:

يعجب قارئ القرآن الكريم من وصف حاكم مصر في زمن يوسف ﷺ بلقب الملك الذي جاء في خمسة مواضع من سورة «يوسف»، بينما جاء وصفه في زمن موسى ﷺ بلقب فرعون مصر أو الفرعون. وقد أورد القرآن الكريم لقب «الملك» في سورة يوسف خمس مرات، بينما أورد لقب «فرعون» أربعاً وسبعين (74) مرة في عرض قصة عبد الله ونبيه موسى ﷺ، والسبب في ذلك أن يوسف ﷺ عاش في مصر أيام حكم الهكسوس (أي: الملوك الرعاة)، وذلك في الفترة من (1730 ق.م) إلى (1580 ق.م)، وكان حكام الهكسوس يلقَّبون بالملوك وليس بالفراعنة. بينما عاش موسى ﷺ في زمن رمسيس الثاني (من الأسرة التاسعة عشر)، وكان معروفاً باسم «فرعون الاضطهاد»، أو «فرعون التسخير»، وحكم مصر في الفترة من (1301 ق.م) إلى (1234 ق.م). ولقد مات «رمسيس الثاني» بينما كان عبد الله ونبيه موسى في مدين. وبعد هلاك هذا الفرعون، خلفه من بعده على عرش مصر ولده الثالث عشر

منفتاح (مرنبتاح أو منفتا) المعروف باسم «فرعون الخروج». حكم فرعون الخروج مصر في الفترة من (1234 ق.م) إلى (1224 ق.م)، ومات غارقاً في أثناء مطاردته لعبد الله ونبيه موسى ﷺ ومَن كانوا معه من بني إسرائيل، كما أخبر بذلك القرآن الكريم. وفي هذه الفترة كان يطلق على حكام مصر لقب «الفراعنة»، ومن هنا جاء ذكر حاكم مصر في زمن موسى ﷺ بهذا اللقب في الآية الكريمة التي نحن بصددنا وفي كل الآيات الأربع والسبعين التي ذكر فيها القرآن الكريم حاكم مصر في زمن موسى ﷺ.

أمَّا عبد الله ونبيه يوسف ﷺ، فقد عاش في زمن حاكم لمصر من العمالقة، كان يعرف باسم «الريان بن الوليد»، كما ذكره مؤرّخو العرب، وقد وُجِدَ اسمه منقوشاً على بعض الآثار المصرية القديمة (انظر مؤتمر تفسير سورة يوسف ﷺ لفضيلة الشيخ عبد الله العلمي). وكان ذلك في الأسرة الخامسة عشر، أو السادسة عشر لدولة الهكسوس الرعاة في مصر. وقبل ذلك مباشرة كانت السلطة في حكم مصر بيد الأسرة الرابعة عشر من الفراعنة المصريين، الذين حكموا في وادي النيل سنة (2000 ق.م). وكانت السلالة الرعوية المعروفة باسم «شاسو» أو «الهكسوس» (أي: البدو الرعاة) تنتقل في شرقي مصر على حدود البادية فيما يعرف اليوم باسم محافظة الشرقية (أرض جاسان في الكتب القديمة). وكان «الهكسوس» يتكلمون لغة سامية متفرّعة من اللغة العربية، وكانوا يترقّبون ضعف الفراعنة ليغزّوهم، بينما كان الفراعنة حريصين على مسالمتهم والاستعانة بهم في حروبهم لشجاعتهم، وشدّتهم، وجلدهم، وقوّة أبدانهم (شأن البدو في كلّ العصور). وظلّ الصراع بين ملوك الرعاة وفراعنة مصر حتى سنحت الفرصة لهؤلاء الرعاة بالانتصار على الفراعنة، فاستولوا على دلتا مصر وحكموها باسم «ملوك الهكسوس» في أثناء فترة الاضطرابات والفتن في أواخر عهد الأسرة الرابعة عشر. واستعمر الهكسوس الوجه البحري كلّه وبعض أجزاء من صعيد مصر، واستولوا على مدينة (منف أو منفيس)، وولوا على الأراضي التي احتلّوها ملكاً من بينهم. ونتيجة لذلك انحسر حكم الفراعنة إلى جنوب مصر، الذي كانت عاصمته مدينة طيبة (الأقصر)، بينما

حكّم الهكسوس أغلب شمال مصر، حتى قام الفراعنة بإسقاط مملكة الهكسوس في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، وعاد الفراعنة لحكم كلّ من شمال وجنوب مصر من جديد، موحدّين أرض مصر تحت حكمهم مرّة ثانية. وفي فترة دخول يوسف ﷺ إلى مصر كانت «مملكة الهكسوس» في دور انحسارها الذي تقلّصت مساحتها فيه إلى مثلث تألّفت رؤوسه من كلّ من مدن منيا القمح، وبوبسطة (القريبة من مدينة الزقازيق)، وبلدة صان الحجر، كما سبق وأن أشرنا.

ولم يجد يوسف ﷺ صعوبة في التحدّث مع الهكسوس الذين كانوا يتكلّمون لغة ساميّة قريبة من لغته، أمّا موسى ﷺ فقد عاش في حدود الفترة الزمنيّة (1264ق.م، 1184ق.م) وهي الفترة التي انتصر فيها الفراعنة على الهكسوس وطردهم إلى خارج البلاد. ومن هنا تأتي ومضة الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة التي نحن بصدها في قول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَخُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾

[القصص: 8].

وفي وصف القرآن الكريم حاكم مصر في زمن موسى ﷺ في أربعة وسبعين آية قرآنيّة كريمة، بوصف «فرعون»، بينما ينعت في زمن يوسف ﷺ بنعت «الملك» في خمسة مواضع مختلفة من سورة «يوسف»، هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنّ يوسف ﷺ لم يعمل لدى أحد من فراعنة مصر، الذين كان ملكهم في زمن وجوده بمصر قد انحسر إلى جنوب البلاد، وكانت عاصمتهم طيبة (الأقصر)، وكانت لغتهم «الهيروغليفيّة» أي المصريّة القديمة التي لم يكن يوسف ﷺ يعرفها. وهذه اللمحة التاريخية - على بساطتها - هي من جملة البراهين على أنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العليّة، في نفس لغة وحيه (اللغة العربيّة) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهّد بهذا الحفظ تعهّداً مطلقاً ليبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنّه كلام ربّ العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقّاه بالنبوّة وبالرسالة.

ومن الثابت أن رسول الله ﷺ بعث خاتماً للأنبياء والمرسلين في سنة (610م)، أي بعد أكثر من (2200 سنة) من وفاة أخيه يوسف بن يعقوب ﷺ، وبعد أكثر من 1700 سنة من وفاة أخيه موسى بن عمران ﷺ، فمن غير الله الخالق ﷻ يمكن أن يكون قد أخبره بتفاصيل قصّة كلٍّ من هذين النبيين الكريمين بهذه الدقّة والشمول، والإيجاز المعجز؟ وإن قيل إنه كان لليهود بعض الجيوب في الجزيرة العربيّة على عهده ﷺ كما سبق وأن أسلفنا، فإنّ التاريخ يثبت أنّ غالبية هؤلاء اليهود كانوا من البدو الذين لم يكونوا على قدر كافٍ من الثقافة الدينيّة أو الدنيويّة. وكان اليهود - بصفة عامة - قد فقدوا «التوراة»، وكان كل ما بقي لديهم عنها من ذكريات قد نقل مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء لأجيال عديدة قبل أن تدوّن بأيدي مجهولين ممن هم ليسوا بأنبياء، ولا بمرسلين، من ثم لم يكونوا بمعصومين. ولذلك تعرّضت تعاليم موسى ﷺ للكثير من التحريف والتبديل والتغيير. ودليلنا على ذلك أنّ الإشارة إلى حاكم مصر في زمن كلّ من يوسف وموسى ﷺ جاءت كلّها بوصف الفرعون في «العهد القديم»، ممّا يوضح الفارق الكبير بين كلام الله - تعالى - وكلام البشر.

ثانياً: الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر اسم «هامان»:

لم يرد في «العهد القديم» ذكر لهذا الاسم «هامان»، كأحد المستشارين في أمور البناء لفرعون مصر في زمن موسى ﷺ. وانطلاقاً من ذلك أخذ عدد من غلاة المستشرقين في التهجّم على القرآن الكريم - مع اعترافهم بأنّ «العهد القديم» صناعة بشريّة كاملة، ترجع بدايتها إلى أكثر من 3500 سنة مضت، وأنّه يتحدث عن مخطوطات فقدت أصولها بالكامل. ويعترف هؤلاء المستشرقون بأن المرجع الوحيد الموجود بين أيدي الكنيسة اليوم عبارة عن نصّين موجزين باللّغة اليونانيّة القديمة أحدهما ينسب إلى شبه جزيرة سيناء (النصّ السينوي) والآخر ينسب إلى الفاتيكان (النصّ الفاتيكاني) وكلاهما يرجع إلى سنة 350م. وهناك نصوص متفرقة جاءت بعد ذلك لا تعرف هويّة كاتبها. ولا يعرف نصّ كامل باللّغة العبريّة «للعهد القديم» إلّا

ذلك الذي تَمَّتْ صياغته في القرن العاشر الميلادي (أي بعد وفاة موسى ﷺ) بأكثر من ألفي سنة).

وقد ادَّعى المهاجمون للقرآن الكريم بأنَّ الاسم «هامان» لم يذكره أي من مؤرّخي الحضارة اليونانية القديمة، ولم يرد له ذكر في أيِّ نص تاريخي قديم عن مصر، وإن ذكروا وروده في «سفر أستير» (Esther). وجاء في هذا السفر أنَّ ملك بابل «أحشويروش» أو (Xerxes)، استوزر رجلاً باسم «هامان»، وأنَّ هذا الوزير كان يبغض اليهود الذين سبق وأن أسرهم (نبوخذ نصر) ملك بابل السابق. لكن إحدى محظيات الملك كانت يهوديةً باسم (أستير) استخدمت فتنة الملك بها في الإيقاع بهذا الوزير حتى تمَّ إعدامه شنقاً. وانطلاقاً من هذه الأسطورة اندفع عدد من غلاة المستشرقين إلى الادّعاء الباطل بأنَّ (هامان) لم يكن في مصر على عهد فرعون موسى، ولكنه كان في بابل على عهد الملك «أحشويروش» أو (Xerxes) بعد حوالي ألفي سنة من وفاة موسى ﷺ. ومع تسليمنا بأنَّ قِصَّة «أستير» هذه هي قِصَّة مختلفة في التراث اليهودي الذي أراد أن يعظم من دور بنات الهوى الساقطات عندهم، انطلاقاً من عقدة تميز العرق اليهودي، وأنه لا يوجد لهذه القصة أيِّ سند تاريخي، فإنه لا يوجد ما يمنع من تكرار نفس الاسم في العهود المختلفة.

ثم جاء الطبيب الفرنسي «موريس بوكاي» ليوضح الأمر لبني جلدته في كتابه المعنون «موسى والفرعون» وفيه ما ترجمته: لقد قمت بكتابة الاسم (هامان) باللُّغة الهيروغليفية وعرضته على أحد المختصين في تاريخ مصر القديمة. ولكي لا أدعه تحت أي تأثير، لم أذكر له أنَّها وردت في القرآن، بل قلت له أنَّها وردت في وثيقة عربية قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السابع الميلادي. فقال لي المختص: يستحيل أن ترد هذه الكلمة في أي وثيقة عربية في القرن السابع، لأنَّ رموز الكتابة باللُّغة الهيروغليفية لم تكن قد حلَّت آنذاك. ويضيف الدكتور «بوكاي» قوله: ولكي أتتحقق من هذا الأمر أوصاني بمراجعة قاموس يحمل العنوان التالي: «قاموس أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة» لمؤلِّفه (اللامند رانك). نظرتُ إلى القاموس

فوجدت أنّ هذا الاسم موجود فعلاً ومكتوب باللغتين الهيروغليفية والألمانية. كذلك كانت هناك ترجمة لصاحب هذا الاسم بأنه «رئيس عمّال مقالع الحجر». وكان هذا الاسم أو اللقب يطلق آنذاك على الرئيس الذي يتولّى إدارة المشاريع الإنشائية الكبيرة. استنسخت هذه الصفحة من ذلك القاموس وذهبت إلى المختص الذي أوصاني بقراءته، ثم فتحتُ ترجمة القرآن بالألمانية وأريته اسم «هامان» فيه فاندعش ولم يستطع أن يقول شيئاً». ويضيف الدكتور «موريس بوكاي» قوله: «لو جاء ذكر اسم (هامان فرعون) في أي كتاب قبل القرآن، أو لو جاء ذكره في «العهد القديم» لكان المعترضون على حقّ، ولكن لما لم يرد هذا الاسم في أيّ نصّ آخر قبل نزول القرآن، وإن كان قد اكتشف بعد ذلك بقرون عديدة، على الأحجار الأثرية لمصر القديمة وبالخط الهيروغليفي، فإنّ ورود هذا الاسم في القرآن بهذا الشكل المذهل لا يمكن تفسيره إلاّ بأنّه معجزة، وليس ثمة أيّ تعليل آخر».

ويضيف هذا العالم الفرنسي الجليل «بوكاي» قوله: «وكما سبق القول بأنّه ما من مؤرّخ أو كاتب أشار إلى شخص اسمه «هامان» كان مقرباً من فرعون مصر في عهد موسى ﷺ، ولم يكن أحد من النّاس يعلم شيئاً من تاريخ مصر القديم، لأنّ العلماء كانوا عاجزين عن قراءة الكتابات المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية، وكانت هذه اللّغة قد اندثرت تدريجياً في مصر حتى انمحت تماماً. وكان آخر نصّ مكتوب بهذه اللّغة قد سجّل في عام 394م، ولم يعد أحد يتكلّم باللّغة الهيروغليفية أو يعرف قراءتها. واستمرّ هذا الوضع حتى عام 1822م عندما استطاع العالم الفرنسي «جان فرانسوا شامبوليون» (Jean Francois Champollion, 1790-1832) فكّ رموز تلك اللّغة باكتشاف نصّ مكتوب بها على حجر رشيد (The Rosetta stone) مع ترجمة له إلى كل من اللغتين اليونانية القديمة والديموطيقية.

وقد تمّ اكتشاف هذا الحجر من قبل ضابط فرنسي عام 1799م في أثناء الحملة الفرنسية على مصر في قرية رشيد بمحافظة البحيرة. ووجد عليه نصّ يمجد فرعون مصر ويدوّن انتصاراته، وكان هذا النصّ مكتوباً بثلاث لغات هي: اللّغة

الهيروغليفية واللغة الديموطيقية (وهي اللغة العامية المصرية القديمة) واللغة الإغريقية. وكان تاريخ الكتابة يعود إلى عام (196 ق.م.) وقد ساعد وجود هذه اللغات الثلاث على فك رموز اللغة الهيروغليفية، بواسطة شامبوليون الذي قام بمضاهاة هذا النصّ بالنصّ الإغريقي المقابل. وكان النصّ اليوناني عبارة عن أربعة وخمسين سطراً، وكان سهل القراءة، مما يدلّ على أنّ اللغات الثلاث كانت سائدة إبان حكم البطالسة الإغريق لمصر.

وبعد حلّ رموز الكتابة الهيروغليفية علمنا من الكتابات الموجودة على عدد من الأحجار الأثرية العائدة للتاريخ المصري القديم وجود شخص مقرب من فرعون مصر في عهد موسى ﷺ كان مسؤولاً عن البناء اسمه «هامان». وهناك حجر من هذه الأحجار المصرية القديمة ورد فيه هذا الاسم وهذا الحجر موجود الآن في متحف «هوف» في «فيينا» عاصمة «النمسا».

هذه شهادة عالم غربي محايد يشهد فيها بأنّ القرآن الكريم هو أعظم معجزة في تاريخ البشرية كلّها، انطلاقاً من كلمة حقّ واحدة اتّضحت له وهي اسم «هامان» مهندس بناء فرعون في عهد موسى ﷺ.

والآية الكريمة التي نحن بصدها يقول فيها ربّنا - تبارك وتعالى - :
 ﴿فَالنَّقْطَةُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8]، وهذا النصّ الكريم يسجّل واقعة تاريخية مؤداها أنّ أعوان فرعون التقطوا مهد الرضيع موسى الذي حملته تيارات ماء النيل إلى قصر الفرعون حتى يكون مصدر عداوة وحزن لهم، وسبب بلاء وقضاء عليهم. واللام في (ليكون) هي لام العاقبة والصيرورة، لأنّهم إنّما أخذوه ليكون لهم قرّة عين، فكان عاقبة ذلك أن صار لهم عدوّاً وحزناً. وختمت الآية الكريمة بقول ربّنا - تبارك وتعالى - : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَا وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: 8]. أي أنّهم كانوا متعمدين الكفر باللّه أو الشرك به وعصيان أوامرهم، واقتراف المظالم والآثام، والإفساد في الأرض، وهذه أيضاً حقيقة تاريخية تشهد للقرآن الكريم بالصدق.

53 - ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ

الْطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29].

هذا النص القرآني الكريم يسجّل واحداً من أهم الأحداث في سيرة عبد الله ونبيه موسى ﷺ، الذي تربّى في بيت فرعون مصر حتى أصبح شاباً يافعاً له شأنه في المجتمع الذي عاش فيه. وفي يوم من الأيام دخل الشاب موسى إلى مدينة «منف» في وقت ظهيرة فائظة، وأغلب أهل المدينة قد أووا إلى بيوتهم طلباً للقيولة والراحة. وفجأة وجد موسى في أحد شوارع المدينة رجلين يقتتلان، أحدهما عبراني (من شيعته) والآخر مصري (من أعدائه). وعند ظهور موسى استنجده الذي من شيعته، فوكل موسى الرجل المصري وكزة أفضت إلى وفاته (أي سدّد إليه لكمة سريعة بمجموع قبضته ففضى عليه). وحزن موسى لذلك حزناً شديداً لأنّه لم يكن يقصد قتل المصري، وندم على ذلك واستغفر ربّه، لأنّ كل الذي كان يقصده هو فضّ الاشتباك بين المتقاتلين، ولذلك بات في المدينة خائفاً يترقّب أن يذكر أحد من أهل «منف» اسمه مقروناً بتلك الجريمة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: 15 - 17].

وفي اليوم التالي فوجئ موسى بالعبراني الذي استنصره بالأمس يستنجد به مرّة أخرى على رجل آخر من أهل مصر يتعارك معه، فغضب عليه موسى قائلاً له وموبخاً إيّاه: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾. وحين أقدم موسى لفكّ الاشتباك بينهما تملّك العبراني الذعر، ظاناً أنّ موسى قد تقدّم ليضربه هو فصاح بأعلى صوته: ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾.

وقد يكون الذي قال هذا الكلام هو المصري لشيوخ الخبر في المدينة دون أن يدري موسى بذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَأَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص: 18، 19].

أدرك موسى أن سرّه قد انكشف، فلم يعد إلى قصر الفرعون، واختفى عن الأنظار، بينما بدأ جند فرعون في البحث عنه لمحاكمته على جريمته. وفي غمرة ذلك جاء حزقيل (وقد كان رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتُم إيمانه)، وعلمنا باسمه من حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «سَبَّاقُوا الْأُمَمَ ثَلَاثَةَ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: حَزَقِيلُ مَوْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ، وَحَبِيبُ النَّجَّارِ صَاحِبُ يَسٍّ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»⁽¹⁾.

نصح «حزقيل» موسى بالخروج من أرض مصر فوراً لأنّ الفرعون كان قد أصدر قراره بقتل موسى عقاباً على جريمته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا بِاتْمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: 20، 21].

واتباعاً لنصيحة «حزقيل» خرج موسى مهاجراً من أرض مصر ميمماً وجهه إلى الشرق، فعبر شبه جزيرة سيناء حتى وصل إلى أرض «مدين»، على جنوب الضفة الشرقية لخليج العقبة، عند التقائه بالبحر الأحمر. وعند بئر للماء في تلك الأرض وجد موسى جماعة من الرجال يسقون أغنامهم، ورأى من حولهم فتاتين تمنعان غنمهما عن الماء خوفاً من الاختلاط بأغنام الذين يسقون، فتقدّم منهما موسى وسألهما: لماذا لا تسقيان كما يفعل بقية الناس؟ فأجابتا بأنّ عليهما

(1) تفسير الدر المنثور، (53/7).

الانتظار حتى يسقي الرجال أغنامهم وينصرفون، وأنَّ عليهما القيام بذلك لأنَّ أباهما شيخ كبير لا يقدر على مثل هذا العمل. فأسرع موسى إلى مساعدتهما وسقى لهما، ثم التجأ إلى مكان ظليل يخلص فيه إلى الله - تعالى - بالدعاء طالباً تفريج كربه، والمعية في غربته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يَصِدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾ [القصص: 22 - 24].

عادت الفتاتان إلى أبيهما وهو عبد الله ونبيه «شعيب»، وقصتا عليه ما حدث معهما من تصرف هذا الرجل الغريب الذي سقى لهما، فأمر إحداهما بالذهاب إليه، ودعوته إلى بيت أبيها كي يكافئه على مساعدتهما، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آتِي بَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ٢٥﴾ [القصص: 25].

وفي خلوة مع الأب الشيخ اقترحت عليه إحدى ابنتيه أن يتخذ من هذا الغريب القوي الأمين أجيراً عنده يساعده في رعي غنمه، وفي بقیة أعماله، فاستساغ الوالد الفكرة لما رأى في موسى من حسن الخلق، وصلاح الحال. وبعد تفكير في الأمر رأى أن أفضل السبل لتحقيق ذلك هو أن يزوجه إحدى ابنتيه. وبعرض الأمر على موسى قبله، واشترط عليه شعيب أن يخدمه ثماني حجج (أي: ثماني سنوات) فإن أتمها عشرًا كان ذلك كرمًا منه، وتعاهدا على تنفيذ ما اتفقا عليه وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكَ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نُكَلِّمَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشَقَّ عَلَيْكَ سِتْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨﴾ [القصص: 26 - 28].

وبعد تمام السنوات العشر استأذن موسى والد زوجته في العودة بها إلى مصر، فأذن له. ارتحل موسى مع أهله متجهين إلى أرض مصر، وفي شبه جزيرة سيناء ضلّوا الطريق. وفي ليلة شديدة الظلام، وقارسة البرد، وغزيرة المطر، أبصر موسى على البعد ناراً تتأجج، فنصب خيمة لأهله، وترك إبله وغنمه من حولهم، ثم استأذن في الذهاب إلى تلك النيران المتأججة لعله أن يأتي منها بقبس يتدفأ هو وأهله به، أو يجد عندها من يرشده إلى الطريق الصحيح، أو يستوضح هو الطريق على نور تلك النار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَالْخُذْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ بِمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَاصِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا بِمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَظْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِزَيْدِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ بِفَهْمُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَؤُلَاءِ آخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِمْ أَرْزَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سُبْحَانَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ بِمُوسَى ﴿٣٦﴾﴾ [طه: 9 - 36].

وفي هذا الموقف الكريم تلقى موسى اصطفاء الله - تعالى - له بالنبوة وبالرسالة، وحُمِّلَ أمانة التبليغ إلى قومه، والتصح إلى فرعون وملئه.

وفي «العهد القديم» جاءت قصة موسى ﷺ بأحداث مشابهة لما ورد عنها في القرآن الكريم، ولكن بصياغة مشوشة، وبأغلاط كثيرة لمحاولة كاتبها الدس على الله - تعالى - بالعهد المزعوم ليعقوب وذريته من بعده بحق أبدي في أرض فلسطين - على عادة اليهود في كل ما يكتبون -.

والشبه بين الروايتين يؤكّد أنّ لهما مصدرًا واحدًا، ولكن روعة ودقّة الرواية القرآنية وركاكة وأخطاء رواية «العهد القديم» يؤكّدان الفارق الكبير بين بيان الله - تعالى - المحفوظ في نفس لغة الوحي به (وبعهد منه ﷺ) وبين روايات من التراث الشعبي ظلّت تنقل مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، حتى تمّ تدوينها بعد أكثر من ثمانية قرون من وفاة موسى ﷺ. وقد تمّ ذلك التدوين في لغات غير لغة الوحي، وبأقلام غير معروفة وغير معصومة، ولذلك جاءت مليئة بالأخطاء اللغويّة، والتاريخيّة، والعلميّة، والعقدية، والعباديّة، والسلوكيّة، مما يحول دون نسبتها إلى الله ﷻ الموصوف بالكمال المطلق.

وظلّت كتب «العهد القديم» تتعرّض للتحريف بعد التحرير، وللتطوير والتحوير، وللإضافة والحذف، حتى أصبح التطابق بين طبعيتين منها أمراً يكاد أن يكون مستحيلاً.

من هنا فإنّ النصّ القرآني في الآية رقم (29) من سورة «القصص» يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنه يعلو فوق النصّ المعنون «ظهور الله لموسى» والمترجم عن النصّ الإنجليزي الذي ترجمته «موسى والشجيرة المحترقة» (Moses and the Burning Bush)؛ وذلك لأنّ الله - تعالى - لا تدركه أبصار المخلوقين في هذه الحياة الدنيا، لأنه - تعالى - فوق حدود كل من الزمان والمكان، والمادة والطاقة، فكيف تراه عينا الإنسان؟ وتعجز تلك النصوص المحرّفة أن تداني النصّ القرآني في شيء، وبالتالي فلا يمكن لهذا النصّ القرآني أن يكون منقولاً عن تلك النصوص المحرّفة كما يدّعي بعض المدّعين، وإن تشابهت القصتان لأن أصلهما واحد.

54 - ﴿فَأَلْقَى السِّحْرَ سُبْحًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه : 70].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة تصف موقفاً فريداً من مواقف عبد الله ونبية موسى ﷺ مع فرعون مصر. وهذا الموقف لم يرد له ذكر في «العهد القديم»، ممّا يقطع بأنّ قصص القرآن الكريم لا علاقة له بما جاء في هذا «العهد». وإن وجدت أوجه من التشابه فذلك لأنّ للقصّة أصل واحد. ويبقى الفرق هائلاً بين كلام ربّ العالمين، ورواية البشر التي نقلت مشافهة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء. وبقي ذلك كجزء من التراث الشعبي الذي دُونَ بأيدي مجهولين، في لغات غير لغة الوحي، وبعد أكثر من ثمانية قرون كاملة من وفاة موسى ﷺ. لذلك جاءت رواية «العهد القديم» مليئة بالتحريف والتزييف والابتداع؛ ومن ذلك إغفال هذا الموقف الفريد في صراع موسى مع فرعون مصر وسحرته.

ويبدأ هذا الموقف الفريد بأمر من الله - تعالى - إلى موسى ﷺ على جبل الطور بأن يدعو فرعون مصر إلى الإيمان بالله - تعالى - وإلى التوقف عن طغيانه على الأرض، واستعباده للخلق، وأن يطلق سراح بني إسرائيل الذين أذلّهم بذبح أبناءهم واستحياء نساءهم. وكان استعباد بني إسرائيل صورة من صور اضطهاد الكافر للمسلم، وضرباً من الإجراءات السياسية التي يقوم بها الطغاة من الحكّام من أجل المحافظة على كراسي الحكم مهما كانت تلك الإجراءات بعيدة عن الإنسانيّة والعدل!، وما يحدث على الساحة السورية اليوم، وحدث في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن خير شاهد على ذلك.

بعد موقف مناجاة الله - تعالى - على «جبل الطور»، تحرّك موسى بعائلته إلى أهله في مصر، وكان أخوه هارون قد بلغه الوحي بنبوّته، وأخبره موسى بأمر الله - تعالى - إليهما أن يذهبا إلى فرعون لدعوته إلى ما أمره به الله. وعلى الفور ذهب كلّ من موسى وهارون إلى فرعون، وأبلغاه رسالة ربّ العالمين، واستدلاً

على نبوتهما بالمعجزات التي أجزاها الله - تعالى - على يدي موسى. ولكن بسبب كفره وغطرسته، اعتبر فرعون تلك المعجزات ضرباً من السحر الذي كان شائعاً في مجتمعه، ولذلك تحدى كلاً من موسى وهارون بسحرته، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: 56 - 59].

ولمّا جاء الموعد المحدّد احتشد الناس ليشهدوا نتيجة هذا التّحدي بين كلّ من فرعون وسحرته من جهة، وهارون وموسى من جهة أخرى. ويصف القرآن الكريم هذا المشهد بقول ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنَ الْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَتُمُ وَعَصِيْتُهُمْ يُجِئِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّمَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: 65 - 70].

وجاء رد فرعون الغاضب على سحرته بما يصفه القرآن الكريم بالنص التالي: ﴿قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَايِبُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبُنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْرِفَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ بَيْنِ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: 71 - 76].

وهذا الموقف الإيماني الرائع من سحرة فرعون لم يذكره «العهد القديم» على الرّغم من التشابه الواضح بين رواية القرآن الكريم وما جاء في ذلك «العهد» عن قصّة موسى وهارون مع فرعون وملئه. ومع وضوح الفارق الكبير بين كلام الله - تعالى - وكلام البشر، فإن استعراض القرآن الكريم لقصّة النبيين الكريمين موسى

وهارون - بصفة عامّة - ولموقف سحرة فرعون - بصفة خاصة - كما لخصتها الآية رقم (70) من سورة «طه» يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد بالنبوة وبالرسالة لسيدنا محمد ﷺ الذي تلقى القرآن الكريم وحياً من ربّ العالمين. ولا يمكن لعاقل أن يتصوّر لهذا الوحي مصدراً غير الله الخالق، وذلك نظراً للبعد الزمني الهائل (والمقدّر بنحو ألفي سنة) بين بعثتي النبيين الکریمین محمد بن عبد الله، وموسى بن عمران (عليهما وعلى جميع أنبياء الله السّلام). وكان للإرادة الإلهية في جعل خاتم النبيين أمياً (لا يقرأ ولا يكتب)، وفي تقدير أن تكون بعثته في أمة غاليّتها من الأميين، (وبذلك لم تكن أمة تدوين)، مع تنزل هذا الحق على قلبه، ما يشهد له بالنبوة وبالرسالة. وكان في إيراد القرآن الكريم لعدد من المواقف التي لم ترد في «العهد القديم»، وفي عرض القصّة بأسلوب رائع، (فيه من الدروس والعبر مع إيجاز لا يقدر عليه إلا ربّ العالمين، ما يؤكد على ربانية القرآن الكريم).

والسياق القرآني في الآية رقم (70) من سورة «طه» يصوّر ضخامة المفاجأة، وأثر وقعها في نفوس سحرة فرعون، وكانوا قد جاءوا بسحرهم لمبارزة كلّ من موسى وهارون، وكانوا أحرص الناس على الفوز في تلك المبارزة. ولكن بمجرد تأكدهم بأنّ الذي جاء به موسى ليس سحراً، وإنّما معجزة من الله - تعالى - لا يقوى عليها أحد من البشر، خرّوا لله سجّداً، في تحوّل كامل من السحر والباطل، إلى الإيمان الحق بالله - تعالى - مُقلّب القلوب والأبصار. وتسجيل هذا الموقف في كلّ من الآية رقم (70) من سورة «طه»، وفي الآية رقم (120) من سورة «الأعراف»، وفي الآية رقم (46) من سورة «الشعراء» يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

55 - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في سياق استعراض سورة «الأعراف» لألوان العذاب التي أنزلها الله - تعالى - بفرعون وملئه لكفرهم وتطاولهم وتجبرهم على الخلق بعد واقعة إسلام سحرة فرعون والتي يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [133] وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَا عَهَدْتَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف: 133 - 135].

وتؤكد الآيات أن الإيمان المفاجئ لسحرة فرعون كان هزيمة منكرة لكل من فرعون وملئه، وكان في الوقت نفسه نصراً لموسى وهارون ولمن معهما. ولقد شجّع ذلك موسى على الاستمرار في دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله - تعالى - وحده، والاستقامة على دينه، ولكن ذلك لم يزد فرعون إلا تكبراً وتجبراً، وعناداً وكفراً، ومبالغة في اضطهاد قوم موسى والذين آمنوا معه.

وأندر موسى فرعون بأنه إذا لم يقلع عن كفره، وظلمه، واضطهاده لعباد الله المؤمنين، فإنَّ الله - تعالى - سوف يوقع به وبقومه من العذاب ما لا قبل لهم به. ولكن فرعون استقبل إنذار موسى باستهتار وسخرية شديدين، فسَلَطَ الله - تعالى - عليه وعلى ملئه ألواناً من العقاب لعلهم يرجعون، فلم يعودوا عن غيهم. وبدأ عقاب الله - تعالى - لهم بانقطاع مؤقت لنزول المطر حتى عمهم القحط والجذب، فتضررت محاصيلهم وثمار بساتينهم، وهلكت أنعامهم. ثم يرفع الله - تعالى - ذلك عنهم كي يعودوا إليه، دون جدوى، بل لم يزدهم ذلك إلا تمرداً، وكفراً، وعناداً، فينسبون الخصب والرخاء لأنفسهم، وينسبون القحط والجذب إلى تشاؤمهم

بموسى وبالذين آمنوا معه، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَيِئَةٌ بِطَرَفِ مَوْسَىٰ وَمَن مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَلَمْتَهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

[الأعراف: 130 - 131].

أي أن ما كان يصيبهم من خير أو شر كان بتقدير من الله ﷻ، وليس باجتهادهم، ولا بشؤم أحد من الخلق، ولكن أكثرهم لم يكونوا يعلمون ذلك، فبالغوا في عنادهم قائلين لموسى ﷺ: ومهما جئتنا به من المعجزات فلن نؤمن بما تدعوننا إليه.

وردًا على عنادهم وكفرهم أرسل الله - تعالى - على فرعون وملئه كلا من الطوفان (وهو المطر المغرق الجارف للزروع والمسكن والمنشآت)، والجراد (الذي أكل زروعهم وثمارهم)، والقمل (الذي هاجم أجسادهم وشعورهم وامتصّ دماءهم، وتسبب لهم في العديد من الأمراض التي أصابتهم وأصابت أنعامهم ودوابهم). كذلك أرسل الله - تعالى - عليهم الضفادع بأعداد كبيرة: (فأقلت مضاجعهم بنقيقتها الذي لم يكن لينقطع). كما أرسل عليهم الدم الذي وجدوه في مصادر مياههم. وهذه كلها كانت (آيات مفصلات) أي علامات ظاهرات معبرات عن غضب الله - تعالى - وسخطه عليهم، بسبب انحرافاتهم عن منهجه ودينه الذي أرسل به كلاً من موسى وهارون لهدايتهم إليه. وهذا الدين كان - ولا يزال - هو الإسلام الذي علمه ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله إلى زمن موسى ومن بعده، حتى أكمله وأتممه وحفظه في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ومع كل ذلك استكبر فرعون وملؤه عن الإيمان بالله - تعالى - وبعثة هذين النبيين الكريمين وذلك لغلوهم في الإجماع والكفر الذي كانوا قد غرقوا فيه إلى آذانهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهم:

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

﴿الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَرَبُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 132 - 133].

ولمّا اشتدّ العذاب على فرعون وقومه حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت لجأوا إلى عبد الله ونبيّه موسى، خاشعين، ضارعين، راجين أن يدعو لهم الله - تعالى - ليكشف عنهم هذا العذاب بحق ما أكرمه به من النبوة. وأقسموا لموسى أنّه إذا رُفِعَ عنهم العذاب الذي أحاط بهم من كلّ جانب فإنّهم سوف يؤمنون بما جاء به، وسوف يطلقون سراح قومه، ولكن هؤلاء القوم الكافرين كانوا سرعان ما ينقضون وعودهم، وينكثون عنها بمجرد رفع العذاب عنهم. ويسجّل القرآن الكريم هذا الموقف بقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: 134 - 135].

ولسنوات عديدة ظلّ موسى ﷺ يدعو فرعون وقومه، ومعه أخوه هارون ﷺ، والله - تعالى - يؤيّدهما بالآيات البيّنة، والمعجزات العديدة التي تشهد لهما بالنبوة، وتقيم الحجة على هؤلاء الكافرين دون جدوى. وبعد أن نزلت بهم البلايا الواحدة تلو الأخرى ظلّوا على كفرهم دون اعتبار. ولمّا يئس موسى من إمكانية هداية فرعون وقومه، وأكّده الوحي أنّهم لن يهتدوا، أمره الله ﷻ هو وأخوه هارون ﷺ أن يعتزلا فرعون وملئه، وأن يأمر المؤمنيين معهما ببناء مساكنهم في اتجاه القبلة حتى يتمكّنوا من عبادة الله - تعالى - فيها بعد أن كان فرعون قد أمر بتخريب أماكن عبادتهم.

ودعا موسى على فرعون وملئه، وأمّن هارون على دعائه، واستجاب الله - تعالى - دعوتهما، فجاء عقاب هؤلاء الظالمين على النحو التالي:

أولاً: العقاب بالطوفان (Flood = Inundation = Deluge):

والطوفان هو كل حادثة تحيط بالإنسان، وصار متعارفاً في الماء المتناهي في

الكثرة (سواء كان هذا الماء بسبب الغالب الذي يغطى كل شيء فيدمره تدميراً كما يحدث في حالات السيول الجارفة، أو فيضانات الأنهار المغرقة، أو انصهار الجليد، أو تفجر الماء من تحت سطح الأرض، أو طغيان البحار).

ولسنا ندري على وجه التحديد أسباب الطوفان الذي أرسله الله - تعالى - على قوم فرعون، فلم نجد في الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ شيئاً عنها. لذلك نرى أنّ من الواجب الوقوف عند حدود النصّ القرآني، ما دمنا لم نجد في السُّنَّةِ المطهرة تفسيراً له، وذلك تجنّباً للوقوع في «الإسرائيليات» التي لا سند لها. ولكن الاجتهاد العلمي في تفسير سبب طوفان قوم فرعون يشير إلى كثرة الأمطار المغرقة، والسيول الجارفة التي أتلفت الزروع والأشجار ودمّرت المساكن والمنشآت والطرق، وأدّت إلى فيضان نهر النيل الذي ساعد في هذا الإتلاف والتدمير. وذلك لأنّه لا يوجد دليل من الصخور الرسوبيّة أو الرسوبيّات يشير إلى طغيان البحر الأبيض المتوسّط في ذلك الزمن على أرض مصر، ولا يوجد أثر لتفجر الماء من تحت سطح الأرض بكميات مفرقة، ولم تكن أرض مصر مكسوّة بالجليد إلّا في أزمنة غابرة تمتد إلى الفترة بين 500 مليون سنة مضت، و400 مليون سنة مضت على وجه التقريب (في الفترة الزمنية الفاصلة بين العصرين الأوردوفيشي والسيليوري). وقد وردت روايات شتى في شأن النصّ القرآني الذي نحن بصده رواها الإمام الطبري في تفسيره، وفي كتابه عن التاريخ، ولكن يبدو أنّه - على روعة الجهد الذي بذله - قد اعتمد في ذلك على عدد غير قليل من «الإسرائيليات».

ثانياً: العقاب بتسليط أسراب الجراد (Locusts):

(الجراد) اسم جنس لمجموعة من الحشرات المستقيمة الأجنحة، والتي تجمع في رتبة بهذا الاسم، أي: رتبة مستقيمات الأجنحة (Order Orthoptera) (وتضم بالإضافة إلى الجراد مجموعة كبيرة من الحشرات منها الجندب أو نطاط الحشائش (Grasshopper)، والحفّار، والصرصار (الصرصور) وغيرها.

وواحد الجراد (الجرادة) هو لفظ يطلق على كلّ من الأنثى والذكر، فيقال أنثى الجرادة، وذكر الجرادة، كما يقال ذكر الجراد وأنثى الجراد.

ويوضع الجراد مع الجنادب في عائلة واحدة تُعرف باسم عائلة الجراديات (Family Acridae) وتتميّز الحشرات فيها بالفم القارض، والأجنحة المستقيمة، وبالقدرة الفائقة على التجمّع في أسراب كبيرة، والهجرة عبر مسافات طويلة.

ويتراوح طول الحشرة البالغة من الجراد بين الستيمتر والعشرة سنتيمترات، ويصل عدد الجراد المهاجر في السرب الواحد إلى عشرات البلايين، ممّا يجعله يغطي مساحة تقدّر بأكثر من ألف كيلومتر مربع، بكتلة تقدّر بألاف الأطنان. ويأكل مثل هذا السرب في اليوم الواحد قدر وزنه من المزروعات، ومن هنا كانت تسمية هذه الحشرة الخطيرة باسم (الجراد) وهو اسم مستمد من الفعل (جرد) بمعنى أزال وكشف، وعرى، وقشر. يقال: (جرد الجراد الأرض جرداً) أي أكل جميع ما عليها من نبات حتى تجرّدت من غطائها الخضري كما (يجرد) المرء عن ثيابه. و(الجرادة) بضم الجيم ما قشر عن الشيء أي أزيل عنه، و(الجريد) هو السعف الذي (جرد) منه الخوص أي نزع عنه، و(التجريد) هو التعري من الثياب، أو من غيره، و(التجرد) هو الموضوعيّة والحيدة بمعنى البعد عن كل شيء يؤثّر على الحكم في أيّة قضية من القضايا.

وتهاجر أسراب الجراد الرّحّال (Migratory Locusts) على ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض، فمنها ما يطير على ارتفاعات منخفضة (لا تتجاوز الثلاثمائة متر) فوق مستوى سطح البحر. ويتمّ ذلك في طبقات مستوية من الجراد المتراص بكثافات تتراوح بين مليون وعشرة ملايين جرادة في الكيلومتر المربع الواحد، وتعرف هذه الأسراب باسم (الأسراب الطباقيّة). ومن الجراد ما يصعد إلى ارتفاعات تصل إلى ألف متر فوق مستوى سطح البحر، في هيئة تراكميّة، يأخذ فيها سرب الجراد شكل السحب الركاميّة فيسمى باسمها (الأسراب الركاميّة). وفي هذه الأسراب يتوزّع الجراد بنظام دقيق في أكوام منها القمم السامقة، والسفوح

الهابطة، والأودية الفاصلة التي يتجمع فيها الجراد بكثافات تتراوح بين الألف والمائة ألف جرادة في الكيلومتر المربّع. وتساعد تيّارات الحمل في الغلاف الغازي للأرض (الهواء) على إعطاء أسراب الجراد المهاجرة على ارتفاعات عالية أشكالها الركاميّة. ولذلك يختلف شكل سرب الجراد الركامي في هجرته من وقت إلى آخر باختلاف التيارات الهوائية التي تواجهه. والسبب في ذلك هو أن الجراد بفطرته يقود سربه مع الاتجاه الرئيس للرياح السائدة، أو في اتجاه ممرات الهواء التي يتحرّك الريح الرئيس عبرها. وغالباً ما تهاجر أسراب الجراد في النهار، وتحطّ في الليل على المزروعات والأشجار، تلتهم منها كميات كبيرة تعينها على استئناف الهجرة في الصباح التالي.

وتحرّك أسراب الجراد بانضباط شديد تحت قيادة صارمة، فتتحرك مقدمة السرب قبل مؤخرته باستمرار، وتحطّ قبلها، حتى تحدّد اتجاه السرب، ومواقع الهبوط، ولحظات الانطلاق في كلّ يوم. وتبدأ دورة حياة الجراد بوضع البيض في أماكن محددة، ورعايته حتى يفقس في حدود شهر مايو من كلّ سنة. وعند الفقس تخرج «الحوريات» التي تقوم بعملية الانسلاخ من جلدها عدّة مرّات حتى تصل إلى حجم الحشرة البالغة التي تحيا في بادئ الأمر حياة فردية. ثم تمرّ الحشرة بعد ذلك بمرحلة انتقالية لتكوين جماعة، وتنتهي بمرحلة الهجرة الجماعية. وفي هذه الهجرة الجماعية تقطع أسراب الجراد المهاجر مسافات شاسعة تمرّ خلالها بمناطق التكاثر الفصلي على مدار السنة (الصيفي، والشتوي، والربيعي، والخريفي) حتى تعود إلى مناطق تكاثرها الأولى التي انطلقت منها. وهذه الحشرات تصل إلى مرحلة البلوغ عادة في الفترة من منتصف شهر يوليو إلى منتصف شهر سبتمبر من كلّ سنة. وعلى الرّغم من علمنا بدورة حياة الجراد، إلّا أنّ غاراته لا يمكن التنبؤ بها قبل بدئها. فالجراد قد يبقى في منابته الأصليّة، ويقوم بتكاثر محدود دون هجرة لفترات طويلة، ودون الخروج في أسرابه المعتادة. وفجأة يعاود الجراد الكامن تسارع تكاثره بشكل ملحوظ، وتنظيم أسرابه للبدء بالهجرة الجماعية.

ومنابت الجراد ليست دائمة باستمرار، بل تتغير من فترة إلى أخرى، وإن كانت هناك أحزمة معروفة لغزوات الجراد تشبه إلى حد ما أحزمة الزلازل، (وهي أحزمة محدّدة على سطح الأرض تكثر فيها الهزّات الأرضية).

وللجرادة قدرة فائقة على الطيران لمسافات طويلة تصل إلى مائة كيلومتر في اليوم، وذلك بما حباها الخالق ﷻ به من قوّة عضلية فائقة بالنسبة إلى حجمها. وتمكّنها هذه القوة العضليّة غير العاديّة من خفق جناحيها لفترات متّصلة تتراوح بين الست ساعات والستة عشر ساعة مما يعينها على اجتياز كل العوائق المائيّة والتضاريسيّة التي يمكن أن تعترض طريق هجرتها. والطاقة اللازمة لهذا الجهد الخارق للعادة تستمد من تمثيل كلّ من المواد الكربوهيدراتيّة التي تحصل عليها ممّا تلتهمه من غذاء أوّلاً، ثم ممّا تختزنه في جسمها الناحل من دهون.

ويقوم الجراد بهضم المواد النباتيّة التي يقرضها من كلّ من الزروع والأشجار بنهم شديد، ويستخلص ما بها من مواد سكريّة، ونشويّة، وسيلولوزيّة، وزيتيّة، ودهنيّة. ثم يقوم بتحليل ما يقرضه من هذه المركبات النباتية إلى مكوناتها الأساسيّة في عمليّات من الهضم والأبيض المعقّدة. ومن أمثلة ذلك أنّ الله - تعالى - قد أعطى للجراد القدرة على استخراج غاز الإيدروجين من الدهون المخترنة في جسده، وعندما يصل ذلك إلى دمه تتمّ عمليّة احتراقه بواسطة الأكسجين الجوي فيتكوّن الماء في داخل جسم الجراد بالقدر الذي تحتاج إليه خلال رحلة طيرانها الطويلة دون الحاجة للنزول إلى الأرض من أجل الارتواء. وذلك لأنّ الجراد يستهلك كميات كبيرة من الماء أثناء طيرانه لا يكفيه فيها ما يأخذه من النباتات الغضة التي يلتقمها بشراهة كبيرة.

من هذا الاستعراض الموجز للجراد يتّضح أنّ هذه الحشرة الصغيرة هي من جند الله التي يسخرها ﷻ على من يشاء من عباده: عقاباً للمجرمين من العصاة الفاجرين، وابتلاء للصالحين، وعبرة للناجين (فاعتبروا يا أولي الأبصار...).

وإذا علمنا أنه إذا نزل البلاء بأسراب الجراد فإنه يصبح من المستحيل تقريباً مقاومته، على الرغم من محاولة المقاومين في زماننا تدمير تجمعات بيض الجراد، أو رشه بمختلف أنواع المبيدات الحشرية.

من هنا يتضح حجم العذاب الذي أنزله الله - تعالى - بفرعون وقومه بتسليط أسراب الجراد عليهم. فإذا كنا في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه لا يستطيع الإنسان مقاومة أسراب الجراد، فماذا كان ممكناً لفرعون وملئه لمقاومة ذلك؟

ثالثاً: العقاب بتسليط جماعات القمل (Lice):

«القمل» من الحشرات غير المجنحة التي تجمع في طويئفة تسمى باسم طويئفة الحشرات غير المجنحة (Subclass Apterygota) أو طويئفة غير المجنحات. وتضم هذه الطويئفة حشرات صغيرة الحجم، عديمة التحول (بمعنى أن الحشرة في مراحلها الأولية تشبه الحشرة البالغة إلى حد كبير على الرغم من ضآلة حجمها، وعدم اكتمال أعضائها التناسلية). ويقع القمل من هذه الطويئفة في رتبة خاصة تتميز بعدم وجود قرون شرجية، ولذا تسمى باسم رتبة عديمة الذنب (Anoplura). وتضم هذه الرتبة أنواعاً كثيرة من القمل مثل قمل الإنسان، قمل الطيور، قمل النحل، قمل النبات، قمل الحبوب أو السوس، قمل الخشب، قمل الكتب، وغيرها)، وكلها حشرات ضئيلة الحجم، بنية غامقة أو مصفرة اللون، يصل طول الحشرة البالغة منها إلى ثلاث ملليمترات في المتوسط.

ومن القمل أنواع ماصة للدماء كالتي تحيا على أجساد الثدييات، وأنواع قارضة كالتي تحيا على أجساد الطيور، ولكل حيوان ثديي نوعه الخاص من القمل. ولقمل الإنسان (وهو من النوع الماص للدماء) سلالتان: قمل الرأس، وقمل الجسم. وهذا النوع الأخير من القمل يمثل آفة شديدة الضراوة في إيذاء الإنسان، وشديدة الضرر به لأنها تنقل إليه العديد من مسببات الأمراض التي من أخطرها مرض التيفوس البوابي. أما قمل الرأس فيكثر في الصغار من بني آدم عنه

في البالغين، وفي رؤوس الفتيات عنه في رؤوس الفتيان.

ويلتصق بيض القمل القارض إماً في الشعر الخاص بكلّ من الإنسان والحيوان، وإماً في ريش الطيور. ويموت القمل بسرعة إذا أزيل عن عائلته، ولكن نظراً لجلده السميك، وأرجله القويّة، وفكوكه القارضة، ومخالبه الكبيرة التي يستخدمها في التعلق بجسد عائلته أو بشعره فإنّ إزالته عن جسم العائل تستلزم جهداً غير قليل.

والقمل القارض (Mallophaga) لا يمتصّ الدم بل يتغذى على نتاج الجلد من القشور، وأجزاء الشعر أو الريش، ونتيجة لاغتذائه بهذه الطريقة فإنّه يسبب تهيجاً شديداً للعائل الذي يتعيش على جسده أو رأسه، وبفعل الاحتكاك الناشئ عن مخالبه فإنّه يسقط بعض الشعر من رأس من يتطفل على رؤوسهم من البشر، ويسقط بعض الريش عن جسم الطائر الذي يتطفل عليه.

والقمل الماصّ للدماء (Siphuncularta) يعيش على أجساد كلّ من الإنسان والحيوان، خاصة الحيوانات الثديية، ولكلّ نوع من أنواع الحيوانات الثديية نوعه الخاص به من القمل الماص.

والقمل كغيره من المخلوقات هو جند من جند الله، يسلمه ربّنا - تبارك وتعالى - على من يشاء من عباده، (عقاباً للظالمين من الكفرة والمشرّكين، والغلاة المفسدين في الأرض، والمتجبرين على الخلق، وابتلاءً للصالحين، واختباراً لصبرهم ولرضائهم بقضاء الله وقدره، واعتباراً للنّاجين الذين رأوا ذلك رأي العين ولكن لم يصيبهم من أذاه شيء). وهنا يتضح حجم العقاب الذي أنزله الله - تعالى - بالفرعون وقومه بتسخير هذه الحشرة الضئيلة، تزعجهم، وتكدر عليهم معيشتهم بالإضافة إلى ما كانت تنقله إليهم من أمراض.

رابعاً: العقاب بتسخير الضفادع (Frog, Toad, Rana):

الضفادع من البرمائيات عديمة الذيل التي تجمع في طويئفة تحمل نفس الاسم: «طويئفة البرمائيات عديمة الذيل» أو للاختصار «طويئفة عديمات الذيل»

(Subclass Anura-Salientia). وتتميز الضفادع بأرجلها الخلفية الطويلة القوية المهيأة للقفز، والأرجل الأمامية القصيرة، والأقدام الجلدية المعدة للسباحة. وبعض الضفادع تحيا حياة مائية وإن استطاعت العيش على اليابسة، والبعض الآخر يحيا أساساً على اليابسة مع إمكانية العيش في الماء. والذي يعيش من الضفادع على اليابسة يحيا على الأشجار أو يدفن بدنه في أحوال الأرض. والضفدع، له لسان طويل، لزج، ومرتبط بمقدمة الفم ليصطاد به فريسته من الحشرات، والديدان وغيرها بمفاجأة شديدة وبسهولة ويسر مهما كانت الفريسة بعيدة عنه. ومعظم الضفادع لها أسنان في فكها العلوي. وتبدأ دورة حياة الضفدع بوضع البيض المخصب في الماء، ورعايته حتى يفقس، وتخرج اليرقات التي تتنفس أولاً بالخياشيم، وهذه اليرقات ليس لها أقدام، ومع نموها تأخذ شكل الضفدع الكامل، وتبدأ في التنفس بواسطة الرئتين، وتحصل على الأوكسجين اللازم لعملية التنفس من الماء عبر كل من الجلد الرطب وبطانة الفم الرطبة.

ونقيق الضفادع من الأصوات المزعجة للإنسان، لأنه يُسْمَعُ عبر مسافات طويلة تقدر بالأميال. والكيس الصوتي المتضخم للذكر في بعض أنواع الضفادع قد يزيد في طوله على بقية الجسم، ممّا يضاعف من شدة نبرات نقيقه. ليس هذا فقط، بل إن بعض الضفادع قد يحمل للإنسان عدداً من الفيروسات التي تصيب كلاً من الكبد والكلية، ولذلك كان من الأخطار التي تهدد حياة الإنسان، خاصة وأن الضفادع كانت - ولا تزال - تؤكل كما هو الحال في بعض الدول مثل فرنسا. ومن هنا يتضح حجم العذاب الذي سلطه الله - تعالى - على الفرعون وملئه بكثرة الضفادع التي هاجمتهم، وأقضت مضاجعهم بنقيقها المتواصل طوال الليل.

خامساً: العقاب بالدم (Blood):

الدم سائل أحمر اللون، غليظ القوام، سريع التخثر، يتكوّن أساساً من كرات الدم الحمراء والبيضاء بالإضافة إلى العديد من الصفيحات، والجسيمات الأخرى، ويعوم ذلك كله في سائل أصفر باهت يعرف باسم البلازما. ويقوم الدم بنقل كل

من الغذاء، والأوكسجين، والهرمونات إلى مختلف أجزاء الجسم، ويجمع منها الفضلات، كما يقوم بمحاربة كلّ الجراثيم التي تدخل إلى الجسم، ويساعد على اندمال الجروح وفي المحافظة على درجة حرارة الجسم.

والدم إذا سال خارج الجسم سرعان ما يتعفن وينتن بسبب ما يحمله من فضلات وجراثيم، ولذلك حرم الشرع الإسلامي طعامه. ومن هنا كان تسليطه على فرعون وملئه، كعقاب من الله - تعالى - لأنهم لم يؤمنوا برسالة الله إليهم.

ولسنا ندري ماهية هذا الدم الذي عُقبوا به، ولكن في رواية عن سعيد بن جبير جاء فيها: «... لَمَّا أتى موسى فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان - وهو المطر - فصبّ عليهم منه شيئاً، فخافوا أن يكون عذاباً، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه حتى أوقف الطوفان، فلم يؤمنوا، ولم يُرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبت قبل ذلك من الزرع والتمر والكلأ. فقالوا: هذا ما كنّا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فسلبه على الكلأ، فلمّا رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا ولم يُرسلوا معه بني إسرائيل. فداسوا (أي درسوا) وأحرزوا في البيوت. فقالوا: قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل - وهو السوس الذي يخرج من الحبوب المخزونة - فكان الرجل يخرج عشرة أجرية أي أربعين قفيزاً إلى الرحي فلا يرد منها ثلاثة أقفزة (والجريب والقفيز مكيالان للحبوب، والجريب أربعة أقفزة). فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق الضفدع، فقال موسى للفرعون: ما تلقي أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهم أن يتكلم

فتثب الضفادع في فيه. فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فكشف عنهم فلم يؤمنوا. فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا ما استقوا من الأنهار أو الآبار، أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دمًا عبيطاً (طرياً). فشكوا إلى فرعون فقالوا: إننا قد ابتلينا بالدم، وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم! فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دمًا عبيطاً (طرياً)؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

ومع إيماننا الكامل بقدرة الله - تعالى - على كل شيء، ومع وقوفنا أمام هذا الحديث بإجلال كبير، إلا أننا لا نقول فيه شيئاً توقيراً لرسول الله ﷺ على الرغم من أن الحديث غير مرفوع إليه.

وهذه الآيات اشتملت على العقاب بالطوفان الذي أدى إلى الهدم والغرق، ثم بالجراد الذي أكل الأخضر واليابس من النباتات والثمار والمحاصيل الغضة، ثم بالقمل الذي قضى على المخزون من الحبوب والمحاصيل ونقل العديد من الأمراض، ثم بالضفادع التي أزالت النوم من الجفون بنقيقتها المزعج وقدرتها كذلك على نقل العديد من مسببات الأمراض، وبعد ذلك كله بالدم التتن المليء بالنفايات والفيروسات والجراثيم التي جعلت حياة الفرعون وصحبه حقاً مستحيلة. كل ذلك من صور العذاب الإلهي الشامل للفرعون وملئه، وقد كانوا من الكفرة والمشركين، والغلاة المتجبرين في الأرض. وهذه الصور تعرضها الآية الكريمة رقم (133) من سورة «الأعراف» بروعة التسلسل المنطقي، والشمول والإحاطة بأحداث تاريخية وقعت قبل بعثة المصطفى ﷺ، بأكثر من ألفي سنة، وهذا مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله رب العالمين.

والمتحف الوطني بمدينة ليدن (هولندا) يقطنني بردية باسم «بردية إيبور»

(The Papyrus Ipuwer). ويدعي هذا المتحف أنه اشترى تلك البردية سنة 1828م، من مجهول، وذلك بعد اكتشافها في منطقة «منف» أو «ممفيس»، قرب أهرامات سقارة. وتتكون هذه البردية من 17 صفحة، تَمَّت ترجمتها من اللّغة الفرعونية القديمة سنة 1908م. وقد أوردت هذه البردية كل صور العقاب التي لحقت بأرض مصر زمن فرعون موسى بما يتطابق مع الوصف القرآني الذي جاء في الآية رقم (133) من سورة «الأعراف».

وفي كتاب «آثار مصر القديمة» لمؤلفه جيمس بيكي جاء ما ترجمته أن من أعظم مكتشفات عالم الآثار «بترى» في أثناء تنقيبه سنة 1905/1906م في تلّ الرطابة، وجود سلطانية رائعة الشكل مصنوعة من الخزف الأزرق، تحيط بها 19 ضفدعة، في حين تتسلق ضفادع أخرى عديدة الجوانب الداخلية للسلطانية مكوّنة حشداً ضخماً عند فوهتها. وتتوسط هذه السلطانية (صفحة أو وعاء للأكل) وتجلس فيه ضفدعة كبيرة، متوجّهة إلى قاعدة السلطانية التي تعتبر تحفة فريدة في صناعة الخزف المصري، وتشير إلى عقاب قوم فرعون بالضفادع.

وجاء في «كتاب الخروج» من «سفر التكوين» أن من وعيد الربّ لفرعون موسى كانت الضربة الأولى هي «ضربة الدم»، والضربة الثانية هي «صعود الضفادع»، والضربة الثالثة هي «غزو البعوض»، والضربة الرابعة هي «أسراب الذباب»، والضربة الخامسة هي «إهلاك المواشي»، والضربة السادسة هي «الدمامل المتقيحة»، والضربة السابعة هي «سقوط البرد»، والضربة الثامنة هي «غزو الجراد»، والضربة التاسعة هي «الظلام الكثيف»، وكانت الضربة العاشرة والأخيرة هي «موت الأبقار».

والتشابه في القصة بين ما سجّله القرآن الكريم وما جاء في «العهد القديم» يمثل وحدة المصدر، والاختلاف في التفاصيل يمثل الفارق بين كلام الله وابتداع البشر. وعلى ذلك فإن الوصف القرآني في الآية (133) من سورة «الأعراف» يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنّه لم يكن لأحد في مكّة إمام بتلك الوقائع في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من قبل ذلك.

56 - ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس : 92].

تروي لنا كتب التاريخ القديم أنه بعد تحرير مصر من الهكسوس في أوائل عهد الأسرة الثامنة عشر انتهى حكم هذه الأسرة بموت الملك «حور محب». وبعد ذلك جاءت الأسرة التاسعة عشر بدءاً بالملك رمسيس الأول (1308ق.م - 1306ق.م) الذي حكم لفترة قصيرة (حوالي سنتين). وبعد موته خلفه من بعده ابنه سيتي الأول (1306ق.م - 1290) ثم من بعده حفيده رمسيس الثاني ابن سيتي الأول. وقد عرف رمسيس الثاني باسم «فرعون الاضطهاد» لأنه حكم مصر لفترة طويلة تقدّر بنحو (67) سنة (1290ق.م - 1223ق.م)، وطوال مدّة حكمه بلغ اضطهاده لبني إسرائيل مبلغه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [٤٩].
[البقرة: 49].

2 - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [٦].
[إبراهيم: 6].

3 - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٤].
[القصص: 4].

هذا، وقد سبق أن أشرنا إلى أن موسى ﷺ وُلِدَ في زمن حكم رمسيس الثاني، وتربّى في بيته من بعد أن تمّ فطامه في بيت أمّه، وبقي في قصر فرعون إلى أن بلغ أشده (ثلاثين سنة). وفي يوم من الأيام دخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما من شيعته، والآخر من عدوّه، فاستنجد به الذي من شيعته فوكز موسى الذي من عدوّه وكزة أدّت إلى وفاته، فاستغفر موسى ربّه لأنّه ما كان يقصد قتل المصري. ولمّا شاع الخبر، طلب الفرعون رأس موسى الذي فرّ إلى أرض

مدين، حيث عاش عشر سنوات في كنف نبي من أنبياء الله هو شعيب عليه السلام الذي صاهره موسى بزواج إحدى ابنتيه، وعمل لديه للمدة التي اتفقا عليها ثم استأذنه في العودة إلى مصر فأذن له.

وفي أثناء الارتحال من أرض مدين إلى مصر، تلقى موسى الاصطفاء الإلهي بالنبوة، والأمر بتبليغ رسالة الله إلى فرعون وملئه، ومنها العودة إلى دين الله، والسماح للإسرائيليين بالخروج من أرض مصر. وأعطى الله تعالى عبده ونبيه موسى من المعجزات الحسيّة ما يشهد له بصدق نبوّته.

وبعد الوصول إلى أرض مصر تبين أنّ «رمسيس الثاني» كان قد هلك أثناء إقامة موسى في أرض مدين. وبعد هلاكه خلفه من بعده ابنه مرنبتاح (أو منفتاح) الأول. ولما علم موسى بذلك ذهب مع أخيه هارون إلى الفرعون الجديد «مرنبتاح» يدعوانه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، ويطلبان منه السماح لبني إسرائيل بالخروج معهما من أرض مصر إلى بلاد الشام. وكان ذلك غايتهم من الاضطهاد الذي كان قد استذلّهم به رمسيس الثاني بأكثر ممّا استذلّهم به أسلافه. وكان من أسباب ذلك أن قوم موسى كانوا على التوحيد وسط بحر من الوثنيّات القديمة، كما أنهم كانوا يتعاونون سرّاً مع الهكسوس من أجل عودتهم إلى احتلال أرض مصر، وكانوا قد خانوا عهد الفرعون سيتي الأوّل (والد رمسيس الثاني) وتعاونوا مع أهل الشام ضده، وخانوا عهود رمسيس الثاني، وعرضوه لخدعة كلّفته فيلقاً كاملاً من جنده، وكادت أن تودي بحياته في معركة قادش [(أو تل نبي مند) وهي قرية في سورية على نهر العاصي عندها هرم لرمسيس الثاني ومسلة لوالده سيتي الأوّل]، ولذلك اضطهدهم رمسيس الثاني، واستمرّ ابنه مرنبتاح من بعده في اضطهادهم.

جاء موسى وهارون إلى فرعون مصر «مرنبتاح الأوّل» يبلغانه رسالة ربّه، وأطلعاه على ما يشهد لهما بالنبوة من المعجزات الحسيّة فردّ فرعون بأنّه السحر، وتحداهما بسحرته. وعند اللقاء ألقى السحرة سجداً عندما شاهدوا معجزة موسى وتأكدوا أنّها ليست من السحر في شيء، وقالوا: ﴿ءَأَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70].

استشاط «مرنبتاح» غيظاً، وتهدد سحرته بما يسجله القرآن الكريم في الآيات التالية: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لِمَ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنُعَلِّمَنَّ أَيُّنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ٧٣﴾ [ظه: 71 - 73].

ومع هذا التهديد والوعيد استعدّ الفرعون «مرنبتاح الأول» لمقاتلة موسى وقومه، ولكن الله - تعالى - ابتلى هذا الفرعون وملاه بعدد من الأرزاء والكوارث التي شغلته عنهم، بل ألجأته أحياناً إلى أن يطلب من موسى الدعاء ليكشف الله - تعالى - الضرّ عن البلاد.

وفي النهاية لم يؤمن مع موسى إلا عدد قليل جداً من أهل مصر، وعند يأسه من إمكانية هداية فرعون وملئه، أمره الله - تعالى - بالخروج من مصر ببني إسرائيل وبالذين آمنوا معه من المصريين. خطط موسى للخروج من مصر سرّاً بليل، ولما حانت له الفرصة المناسبة تحرك بمن كان معه شرقاً من مصر، قاصداً بلاد الشام. ولما علم الفرعون بخروجهم سارع هو وجنده إلى مطاردتهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِتَّكِرَ مُتَّبِعُونَ ٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ حَشِيرِينَ ٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْثَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَعْمَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَصْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ٦٣﴾ وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ٦٦﴾ [الشعراء: 52 - 66].

ويقول: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ٢٣﴾ وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ٢٤﴾ [الدخان: 23، 24].

فنجّى الله - تعالى - موسى ومن كان معه بعدد من المعجزات الخارقة التي كان من أعظمها عبورهم خليج السويس وسط الماء الذي شقّه الله - تعالى - لهم، وأغرق

«مرنبتاح» وجنوده فيه. ثم نجى الله ﷺ مرنبتاح ببدنه ليكون آية لجميع من يأتي من بعده إلى يوم القيامة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۗ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ ۗ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۗ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: 77 - 79].

ويقول رب العالمين ﷺ:

﴿وَجَوْرَانَا بِنْتِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعِيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۗ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۗ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَاتِنَا لَكٰفِرُونَ ۗ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90 - 92].

وتحت سلسلة من الضغوط التي قام دهاقنة الحركة الصهيونية العالمية من أجل إغراء الإدارة المصرية زمن حكم الرئيس السادات بإخراج بعض آثار قدماء المصريين لعرضها في متاحف العالم، تعرضت بعض هذه الآثار للتلف. وقد رأيت بنفسي في سنة 1977م طوابير المصطفين من الأمريكيين أمام أحد تلك المتاحف في مدينة «لوس أنجيلوس» من قبل صلاة الفجر، حاملين مظلاتهم تحت وابل من الأمطار كي يلحقوا فرصة لمشاهدة تلك الآثار النادرة. وبالفعل تعرضت بعض المومياءات المصرية القديمة لرطوبة الجو التي أدت إلى تعفن أجزاء منها، وكان من المومياءات التي تعرضت لشيء من التعفن مومياء الفرعون «مرنبتاح الأول».

تم نقل هذه المومياء إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي لعلاج ما أصابها من العفن، وكان من بين الدارسين والمعالجين لتلك المومياء الطبيب الفرنسي الشهير «موريس بوكاي» (Maurice Bucaille). وقد فوجئ دكتور «بوكاي» وزملاؤه عند فكّ أربطة المومياء باليد اليسرى لهذا الجسد المحنّط تندفع فجأة إلى الأمام، وفهم من ذلك أنّ المحنّطين كانوا قد أجبروا تلك اليد على الانضمام إلى الصدر عنوة. كذلك ظهرت بقايا ملحّية عديدة على جسد المومياء، وتبيّن أنّ عظامها مكسّورة في أكثر من موضع بدون تمزّق للجلد الذي يكسوها. ومن تلك

الملاحظات استنتج الدارسون أنّ صاحب تلك المومياء لا بدّ وأنّه كان قد مات غارقاً في بحر مالخ، وأنّ تكسّر عظامه دون تمزّق الجلد مرده إلى قوة ضغط الماء على جسده بعد غرقه، وأنّ أمواج البحر ألقت بجثته على الشاطئ بعد غرقه مباشرة، أو أنّ فريقاً من الغواصين قد استخرجها بعد واقعة الغرق في الحال.

وفسرت الوضعية الغربية ليد المومياء اليسرى بتسنجها لحظة الغرق وهو يدفع الماء بدرعه التي كان يحملها بها، بينما كان يحمل لجام فرسه أو سيفه باليد اليمنى، فتيبّست اليد اليسرى على هذا الوضع واستحالت عودتها إلى سيرتها الأولى.

وبينما كان الدكتور «موريس بوكاي» يعدّ تقريره عن تلك المومياء ظاناً أنّه قد توصل إلى كشف حقيقة لم يعرفها أحد قبله جاء إلى علمه أنّ القرآن الكريم - وهو كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة - يسجّل تلك الواقعة بدقّة فائقة كما جاء في الآيات [البقرة: (50)، الأنفال: (54)، يونس (90 - 92)، طه: (77 - 79) وغيرها]. واستغرب الدكتور «بوكاي» سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى نجاة تلك الجثة بعد غرقها، لأنّ تلك المومياء لم تكتشف إلّا في سنة (1898م).

أعيدت المومياء إلى مصر بعد علاجها، وبعد أن طبعت في ذاكرة الدكتور «بوكاي» فضولاً شديداً لدراسة الإشارات الكونية في القرآن الكريم. وبعد عشر سنوات أمضاها في تلك الدراسة أذهله التطابق الشديد بين تلك الإشارات القرآنية وحقائق العلم في أعلى مراتبه الحاليّة. سجّل الدكتور «موريس بوكاي» شهادته تلك في واحد من أهم الكتب التي صدرت في القرن العشرين وسماه: **الإنجيل والقرآن والعلم: دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة (La Bible, Le Qur'an et La Science)**، وكانت هذه الآية الكريمة رقم (92) من سورة «يونس» هي مدخل الدكتور «بوكاي» لمعرفة حقيقة الإسلام. وهذه الآية وحدها تكفي للشهادة على وجه من أوجه الإعجاز في كتاب الله، ألا وهو «الإعجاز الإنبائي والتاريخي» الذي من أجله جاء كتابنا الحالي. ويتضح وجه الإعجاز في الآية رقم (92) من سورة

«يونس» في حقيقه أن «العهد القديم» الذي أسهب في الحديث عن موسى وأخيه هارون ﷺ لم يشر إلى نجاة بدن الفرعون بعد غرقه في مياه الخليج. وجاءت القصة في «العهد القديم» (سفر الخروج) مضطربة اضطراباً شديداً، وملئة بالأخطاء التاريخية والعلمية، وإن كانت الواقعة لها أصل واحد جاء في التوراة الأصلية، كما جاء في القرآن الكريم. ولكن التوراة فُقدت، وبقيت القصة عالقة في أذهان اليهود، تنقل شفاهاً من الأجداد للأحفاد، ومن الآباء للأبناء، يضاف إليها ويحذف منها حتى تمّ تدوينها في سفر الخروج بهذا التشويه الذي تحكم به رواية القرآن الكريم عن هذه الواقعة في سيرة كل من عبد الله ﷺ ونبيه موسى بن عمران وشقيقه هارون ﷺ .

57- ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ [البقرة: 57].

هذا النص القرآني الكريم موجه إلى الضالين من قوم موسى ﷺ، وهم في التيه الذي عاشوا فيه أربعين سنة في قلب شبه جزيرة سيناء، لا يجدون لهم منها مخرجاً. وربنا ﷻ يخاطبهم في هذه الآية الكريمة ممتناً عليهم بِنِعْمِهِ - وهم العصاة المتمردون على أوامره - ومن تلك النعم التي أنزلها عليهم ابتلاءً لهم، واختباراً لقدر استجابتهم لأوامره ﷻ كان: الغمام، والمن، والسلوى.

فقد جعل ربنا ﷻ الغمام ظلّة لهم من أشعة الشمس، ووهجها، وحرّها، وهم في هذا التيه الذي استمرّ أربعين سنة في شعاب شبه جزيرة سيناء الوعرة القاحلة، الشديدة الحرارة في الصيف. وأنزل الله - تعالى - عليهم (المنّ والسلوى) رحمة منه بهم - وهم الخارجون على دينه، العاصون لأوامر نبيّه ورسوله، المتذمّرون، المتمردون، الجاحدون -. وقد حدث منهم كل ذلك بعدما أفاء الله - تعالى - عليهم من النعم، وأكرمهم بالمعجزات، منذ لحظة خروجهم من مصر.

وكان إنزال كل من المن والسلوى هو من طيبات رزق الله الذي أفاء به على موسى وقومه، ابتلاءً لهم. ولكن هؤلاء العصاة الجاحدين من قوم موسى سقطوا في هذا الاختبار الإلهي لكفرهم بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ورفضهم لها، ومطالبتهم لنبيّهم باستبدال تلك النعم بما تعودوا عليه من محاصيل أرض مصر.

وتؤكد الآية الكريمة أنّ هذا التمرد والعصيان والكفر من بني إسرائيل لن يضر الله - تعالى - بشيء، لأنّه قادر على إفنائهم وإبادتهم، وعلى الإتيان بخلق أفضل منهم، ولكنّهم كانوا يظلمون أنفسهم. وذلك لأنّ عاقبة تمردهم وعصيانهم وكفرهم واقعة عليهم لا محالة - تدميراً في الدنيا، وعذاباً شديداً في الآخرة إن شاء الله. وهذا لهم ولأمثالهم من العصاة الفاجرين الذين أغرقوا الأرض في بحار من الدماء

والأشلاء والدمار والخراب في كل عصر وفي كل حين - ولا يزالون - خاصة في زمن الفتن الذي نعيشه في أيامنا الراهنة الحزينة...!!

ومع تسليمنا بأن الله ﷻ قادر على كل شيء، وأنَّ إنزال (المنّ والسلوى) على العصاة من قوم موسى ﷺ كان معجزة من معجزات الله، وأنَّ العلم البشري المكتسب لا يستطيع تفسير المعجزات، لأنَّها تخرق السنن، إلَّا أنَّ محاولة فهم النص القرآني الكريم الذي نحن بصدده في إطار المتاح من المعارف المكتسبة، لا تشكّل أدنى قدر من الحرج الشرعي. ومن ذلك الجمع بين (المنّ والسلوى) كغذاء متكامل للإنسان في صحراء شبه جزيرة سيناء يشكّل شهادة صدق على أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه. لأنَّ وصف هذه الحادثة في البقايا المتناثرة من الكتابات المتوافرة عند أهل الكتاب قد شابهها ما توصف به كل الكتابات البشرية من النقص، والاضطراب، والبعد عن الكمال.

(المن) في المعارف المكتسبة:

(المنّ) المعروف للإنسان هو مادة صمغية حلوة المذاق، لزجة، تتجمّع على الأجزاء المختلفة من بعض الأشجار (مثل أشجار الأثل والطرفة) المنتشرة في الصحارى العربية، أو على الشجيرات والنباتات العشبية، وذلك من طلوع الفجر إلى بزوغ الشمس، ثم تجف فتتحول إلى مادة بيضاء على هيئة الدقيق أو الرقائق الدقيقة. وهذه الرقائق تكشط من فوق جذوع الأشجار، وفروعها، وأوراقها، وتؤكل مباشرة، أو تذاب في الماء لتكون شراباً حلو المذاق، عالٍ في قيمته الغذائية.

وقد يتكوّن (المن) نتيجة لعملية نَزّ العصارة الغذائية للنبات إلى أسطحه الخارجية، ثم جفافها بتبخّر جزء كبير من محتواها المائي. وقد يكون هذا النزيف للعصارة الغذائية ذاتياً أو ناتجاً عن جروح في جسم النبات تحدثها مجموعات من الحشرات التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائية لتلك النباتات.

كذلك قد تتكوّن هذه المادّة الصمغيّة الحلوة المذاق نتيجة إخراج بعض هذه الحشرات (التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة لبعض النباتات) فتأخذ منها حاجتها وتفرز الباقي على هيئة ما يعرف باسم (البراز العسلي) أو (براز حشرة المن) أو (الندوة العسليّة)، ويجفاهه يتحوّل إلى هذه المادّة الصمغيّة الحلوة المذاق والمعروفة باسم «مَنّ السماء» (Manna from Heaven).

وهناك أعداد كبيرة من الحشرات التي تتغذّى على العصارات الغذائيّة للنباتات، وذلك باختراق أنسجة تلك النباتات، وامتصاص أقدار مختلفة من عصاراتها الغذائيّة. وتتبع معظم هذه الحشرات رتبة تعرف باسم (رتبة نصفية الأجنحة) أو (بق النبات) التي منها حشرة المَنّ (Aphid)، وهي حشرة دقيقة الحجم، طرية الملمس، تعيش في أسراب تقدّر أعدادها بالآلاف. ويتراوح طول الحشرة البالغة منها بين 3 و5 ميليمترات، ويقدر عدد حشرات المَنّ في المتر المربّع الواحد من الأرض بنحو مائة ألف حشرة.

وقد زوّد الله الخالق ﷻ هذه الحشرات (التي تعيش على امتصاص العصارات الغذائيّة للنباتات) بزوائد فمية ثاقبة/ ماصّة، تتناسب مع طريقة تغذيتها التي تعتمد أساساً على اختراق أنسجة النباتات وامتصاص قدر من عصاراتها الغذائيّة. وهذه الزوائد الفمية الثاقبة/ الماصّة تتكوّن من أربعة فكوك مزوّدة بخناجر إبريّة دقيقة جداً يستقر كلّ منها في ميزاب خاص به، ولا يبرز منه إلّا عند الاستعمال في ثقب أنسجة النباتات.

وتعيش أسراب حشرة المَنّ عادة على الأسطح السفلي لأوراق وأفرع النباتات التي تتطفّل عليها. وتتركز هذه الأسراب عادة عند القمّة النامية للنبات حيث تكون غضة وسهلة الاختراق. وتقوم حشرة المن بإرسال الإبر الثاقبة الدقيقة في فكّيها العلويين للقيام بعملية الثقب والاختراق، ثم ترسل الإبر الماصّة الدقيقة في فكّيها السفليين عبر الثقوب المتكوّنة للقيام بعملية الامتصاص من العصارة الغذائيّة للنبات، ويتم ذلك بكفاءة ملفتة للأنظار.

وتنتقل الحشرة بعمليات الثقب والامتصاص من نقطة إلى أخرى على أسطح أوراق، وأفرع، وسيقان النباتات وعلى قممها النامية مما قد يتسبب في أضرار بالغة لها. وفي هذه الحالة تسترخي أوراق النبات، ثم تتجعّد، ويتحوّل لونها إلى الاصفرار، ثم إلى السواد، وتبدأ بالتساقط. وقد تؤدي هذه العملية إلى ذبول النبتة، ووقف نموها بالكامل حتى تموت. ويحدث ذلك عادة في حالة النباتات الصغيرة، أمّا الأشجار فقد لا تتأثر بعملية التطفّل تلك إلّا في بعض الحالات الاستثنائية.

وموت النبات في حالة تعرضه لتطفّل الحشرات الماصة لعصارته الغذائية مثل حشرة المن ليس مقصوداً على سحب قدر من تلك العصارة ولكن قد يسببه عدد من الفيروسات التي يمكن أن تنقلها تلك الحشرات من نبات إلى آخر أثناء قيامها بعملية التطفّل. وذلك لأن هذه الحشرات المتطفلة تنفث جزءاً من لعابها على العصارة الغذائية للنبات بهدف هضمها قبل امتصاصها. فإذا كانت قطرات اللعاب للحشرة حاملة لعدد من فيروسات الأمراض فإنّها تغرسها في الحزم الوعائية الحاملة للعصارة الغذائية في النبات، وتتحركّ منها إلى بقية أجزائه فتدمّره.

وقد أدّت هذه الفيروسات التي تحملها الحشرات الماصة للعصارات الغذائية للنبات - ولا تزال تؤدي - إلى تدمير العديد من المحاصيل الزراعية المهمة مثل قصب السكر، البنجر، البطاطس، وغيرها مما تتهم حشرة المنّ بنقل فيروسات الأمراض إليها.

وبعد سحب كميات كبيرة من العصارات الغذائية للنبات تقوم حشرة المن باستهلاك جزء مما مصّته من تلك العصارات، ثم تفرز ما يزيد عن حاجتها على هيئة تلك المادة البيضاء اللزجة، الحلوة المذاق والمعروفة باسم (مَنّ السماء) أو الندوة العسلية. وتقوم حشرة المن بإسقاط إفرازاتها تلك على أوراق وفروع وجذوع الأشجار والنباتات الأخرى التي تتطفّل عليها بالليل، وذلك على هيئة قطرات من سائل شمعي أو صمغي رائق، سرعان ما يفقد ما به من ماء فيتجمّد، ويبدو في الصباح الدافئ الساكن على هيئة دقيق أو رقائق المَنّ الجافّة. وقد تتساقط قطرات من هذا السائل الحلو على الأرض المحيطة بالنبات (الذي يتعرّض لتطفّل حشرة

المنّ) فيشكّل ذلك مصدراً من مصادر الغذاء الميسر للعديد من الحشرات الأخرى مثل النمل، والنحل، والذباب، ويجعل ذلك تلك الحشرات تتأخى مع حشرة المنّ لكي تنال جزءاً من إفرازها العسلي. ويمكن أن ينمو على هذا السائل العسلي عدد من الفطريات والطحالب فيتغيّر لونه إلى ظلال داكنة حتى السواد. وقد يؤدي تقاطر العصارة الغذائية للنبات على الأرض إلى خصوبة التربة، وذلك لاحتوائها على نسب عالية من السكريات مثل سكر العنب (الجلوكوز)، وسكر الفواكه (الفركتوز) بالإضافة إلى سكر خاص يعرف باسم سكر المنّ (المأنوز) وعدد من الكربوهيدرات الأخرى. وكلّ ذلك مستساغ الطعم، وسهل الهضم والامتصاص، وله قيمة غذائية كبيرة مما يجعل منه غذاءً جيداً للإنسان، كما يصلح لعدد من الأغراض الطبية العلاجية، أو لبعض الصناعات الغذائية الخاصة.

ولسنا ندري إن كان هذا هو المنّ الذي أنزله ربنا - تبارك وتعالى - على عبده ونبيه موسى ﷺ وقومه، فكانوا يجمعونه من فوق شجر الأثل المنتشر في شبه جزيرة سيناء أم غيره. خاصة وأنّ رسول الله ﷺ وصف الكمأة في أحد أحاديثه الشريفة على أنّها من المنّ فقال ﷺ: «الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين»⁽¹⁾. و(الكمأة) واحدها (كمء) وهي درنة من الفطريات الجذرية التي تنمو تحت الأرض بالتكافل مع جذور عدد من النباتات الخاصة التي تتعايش معها إلى عمق يصل إلى ثلاثين سنتيمتراً تحت سطح الأرض. وتنمو الكمأة في جماعات مكوّنة من عشر إلى عشرين درنة في الموقع الواحد من التربة. وهذه الدرنة كروية أو شبه كروية، لحمية الملمس، رخوة، ويتدرّج لونها من الأبيض إلى الأسود مروراً بكل من اللون الرمادي والبني. وتتميّز الكمأة برائححتها النفاذة، وقيمتها الغذائية العالية، وقد سميت بهذا الاسم لاستتارها بالتربة حتى تنفطر عنها. ومن معاني لفظة (كمأة) أي: (المكونة) لأنّ العرب تقول (كمأ) فلان الشهادة إذا كتّمها. وتنمو (الكمأة) في صحارى الوطن العربي والإسلامي من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً في بيئات تتراوح بين الرملية،

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، حديث رقم (5310).

والحصوية، والحجرية، ويزدهر نموها عادة بعد مواسم العواصف الرعدية. من هنا أطلق البدو على الكمأة اسم «بنات الرعد». وللكمأة أنواعها المتعددة التي تختلف في أشكال، وألوان درناتها، وفي طبيعة الأرض التي تنمو عليها، وأنواع جذور النباتات التي تتعايش معها، والأعماق التي تتواجد فيها، وأكثر أنواعها انتشاراً ينمو في الطبقة السطحية من التربة، ويدرك عن طريق تشققاتها في اتجاهين عموديين وقت نضج الدرنات، فيبادر أهل الصحراء بجمعها. ولكن إذا لم تجمع فإن هذه الدرنات سرعان ما يتكون بداخلها أبواغ (واحدتها بوع أو بوعاء) على هيئة الدقائق الترابية الناعمة جداً والتي تتطاير في الجو إذا مسّت لتناهي مكوناتها في الدقة. وبانفجار كيس الأبواغ تنتشر محتوياته في التربة وتكمن فيها إلى موسم المطر التالي (في حدود أواخر شهر أكتوبر الذي يتميز بالأمطار الرعدية المصاحبة للسحب الركامية). وعند سقوط هذه الأمطار الرعدية الغنية بأكاسيد النيتروجين على التربة فإنها تُكوّن العديد من المخصلات للترربة من النترات. وتتغذى الأبواغ على هذه المخصلات بعد أن تستيقظ من سباتها الطويل، وتتحوّل إلى خيوط فطرية دقيقة تتحرك إلى جذور النباتات الممتدة في داخل التربة فتخترقها وتنفذ إلى داخل أنسجتها، متطفلة عليها في غذائها حتى يكتمل نموها على هيئة الدرنات الكاملة.

والكمأة مصدر مهم للبروتينات النباتية وتحتوي درناتها على 77% من وزنها ماء، 23% مواد صلبة منها: 13.8% كربوهيدرات، 5.75% دهون ومواد بروتينية أخرى والباقي (3.45%) يبقى على هيئة رماد بعد حرق درنة الكمأة. ويحتوي هذا الرماد على العديد من عناصر الأرض الفلزية واللافلزية. وقد تمّ التعرف على سبعة عشر حمضاً من الأحماض الأمينية المهمة في بروتينات الكمأة، وعلى عدد من الفيتامينات أهمها «فيتامين أ».

وفي وصف رسول الله ﷺ للكمأة بأنها من المنّ، تعبير عن أنها تنبت بفضل من الله ومنه، لأنها لا تزرع، ولا تستزرع، ولا تحتاج من الإنسان إلى شيء من الرعاية أو التعب والنصب سوى ما يبذل في جمعها ثمرة غضة ناضجة.

وسواء كان المقصود بالمنّ الذي أنزله الله - تعالى - على عبده موسى ومن كان معه من قومه هو تلك الإفرازات الصمغية/ السكرية الحلوة المذاق التي تفرزها بعض النباتات الصحراوية مثل الأثل، والطفرة، أو أن المقصود بذلك هو (الكفاءة) وما يشبهها من أنواع الرزق الذي يسوقه الله ﷻ إلى من يشاء من عباده على غير جهد منهم، سوى جمعه فإن الأمر واحد، لأنّ (المنّ) هو اسم للعطاء الربّاني بصفة عامة. وعلى ذلك فإنّ الجمع بين (المنّ والسلوى) في النصّ القرآني الكريم الذي نحن بصدده قد يرجح المعنى الأوّل، على أنّه رزق ساقه الخالق ﷻ لقوم موسى وهم في التيه بشبه جزيرة سيناء أقرب إلى الهلاك والضياع من النّجاة إلى برّ الأمان - وهم الجاحدون لنعمة، المرتدّون عن عبادته إلى عبادة العجل، والمنكرون لأفضاله ومعجزاته، والمتمردّون على رسوله إليهم.

أما (السلوى) فهي الطائر المعروف باسم السمان (أو السماني)، وهو من طيور الصيد (أي القنص) التي تمّ استئناس بعضها من مثل الدجاج، والدجاج الرومي. ولكن طائر السلوى أصغر كثيراً في الحجم، ولم يتم استئناسه بعد، وبقي من الطيور المهاجرة التي تتحرك في مواسم محددة من السنة عبر مساحات شاسعة من سطح الأرض.

والجمع بين (المنّ والسلوى) هو جمع بين الكربوهيدرات النباتية (بما فيها من سكريّات ونشويّات وغيرها، ممثلة في المنّ) وبين البروتينات الحيوانية (ممثلة في السلوى)، وكلاهما لازم لإنتاج الطاقة ولبناء خلايا جسم الإنسان. هذا بالإضافة إلى أنّ البروتينات المستمّدة من لحوم الطيور مثل السلوى (طير السمان أو السماني) هي أيسر في الهضم، وأفضل لجسم الإنسان، من تلك المستمّدة من لحوم الأنعام. وهي أيضاً أفضل في ذلك من بروتينات البقول النباتية من حيث سهولة هضمها وتمثيلها واستفادة جسم الإنسان منها. ولذلك جاء في الآية التالية قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِهِ وَجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَحْبَبُوا وَمَضُّوا فَبَصُرُوا لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ

بَغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾
 وواضح المعنى أن (الأدنى) في هذه الآية الكريمة هو ما طلبه قوم موسى من (البقل، والقثاء، والفوم والعدس والبصل)، وأن الذي هو خير هو (المنّ والسلوى). والبقل يشمل عدداً من نباتات المحاصيل (مثل الفول، البازلاء، الفاصوليا، اللوبيا، الحمص، الفول السوداني، فول الصويا، الحلبة، الترمس، وغيرها). أما القثاء فهي ثمرة من العائلة اليقطينية القرعية (التي تشمل الخيار، القثاء، الدباء، الكوسا، القرع العسلي، البطيخ، الشمام، القاوون، وغيرها). وأما (الفوم) فقد قبل فيه أنه الحنطة (وتشمل غيرها من الحبوب التي تخبز من مثل الذرة والشعير) أو أنه الثوم (والقول الأول أصح). والعدس من البقول، وخصص بالاسم لقيمته الغذائية وأهميته الخصوصية، والبصل من العائلة الزنبقية (وتشمل - بالإضافة إلى البصل - الثوم، والكراث البلدي، والكراث أبو شوشة وغيرها).

وفُضِّل البروتينات المستمدة من لحوم الطيور على تلك المستمدة من كلٍّ من لحوم الأنعام والبقول، وفضل السكريات وغيرها من الكربوهيدرات الموجودة في من السماء على تلك المستمدة من المحاصيل النباتية، هي من الأمور التي لم تدرك إلا في القرن العشرين. والإشارة إليها في كتاب الله الذي أنزل من قبل أربعة عشر قرناً على نبي أمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين يعتبر من الأدلة العلمية على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق الوحي الذي تلقاه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى صدق نبوته ورسالته. هذا فضلاً عن أن الإنباء بدقة بالغة عن حدث تاريخي وقع قبل حوالي عشرين قرناً من بعثة المصطفى ﷺ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. فلم يكن لأحد من الأميين ولا القادرين على القراءة والكتابة في الجزيرة العربية إمام بتلك الواقعة، خاصة وأن من كان لديهم إمام بشيء من أخبارها من اليهود تضاربت أقوالهم في وصف تلك الواقعة تضارباً كبيراً، ولا يزال هذا التضارب واضحاً فيما بقي بين أيديهم من آثار إلى يومنا الرّاهن (انظر «كتاب الخروج» من «سفر التكوين» وهو أول أسفار «العهد القديم»، خاصة ما جاء تحت عنوان «المنّ والسلوى»).

ثاني عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي
في ذكر القرآن الكريم لقصة موسى والخضر

58 - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ
مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي
مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: 65، 66].

على عادة القرآن الكريم في استعراضه للقصص، فإنه يصل مباشرة إلى الدروس المستفادة من القصة، دون الدخول في تفاصيل الأسماء، والأنساب، والأماكن، والأزمنة، إلا في حدود ما يخدم الهدف من استعراض القصة، وما يظهر جانباً من جوانب الإعجاز فيها.

وتبدأ رواية القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه موسى مع الخضر يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا آتِبُحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَةٌ لِّقَوْمٍ مِّنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَانَارِهِمَا فَصَصَا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِّن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٥﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: 60 - 70].

والسبب في هذا الموقف من قصة عبد الله ونبية موسى ﷺ يشرحه لنا حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه. وأوحى الله إليه: إن لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب! كيف لي به قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فأخذ حوتاً فجعله بمكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فأتخذ سبيله في البحر سرباً. وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿إِنَّا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62].

ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فأجابه فتاه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63].

«قال: فكان للحوت سرباً. ولموسى وفتاه عجباً، فقال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَازْتَدَا عَلَيَّ آثَارُهَا قِصَصًا﴾ [الكهف: 64].

«قال: فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأتي بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني ممّا علمت رشداً قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 67].

«يا موسى! إنني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69].

«قال له الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70].

«فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلما هم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير نول. فلما ركبا في السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول فعدمت إلى سفيتهم فخرقتها لتغرق أهلها! لقد جئت شيئاً إمرأاً».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «فكانت الأولى من موسى نسياناً، ثم قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه، فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا رَزَقْتَهُ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف: 74، 75].

قال: وهذا أشد من الأولى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: 76، 77]. أي مائلاً، فقال الخضر بيده (فأقامه)، قال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا ﴿... لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: 77 - 78].

«فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»⁽¹⁾.

وجاء تفسير تلك الأحداث الثلاثة في القرآن الكريم على لسان الخضر ﷺ بما يلي: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْغُلَّةُ فَكَانَ آبَاؤُهُمْ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، حديث رقم (4725).

لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

[الكهف: 79 - 82].

وهذا هو تفسير ما أشكل فهمه على عبد الله ونبیه موسى بن عمران في مواقفه الثلاثة مع العبد الصالح، والذي كان الله - تعالى - قد أعطاه علماً لم يتوافر للنبي موسى بن عمران عليه السلام. فالسفينة إنما خرقها الخضر ليعيها لأنهم كانوا يمرّون على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة جيّدة صالحة غصباً، فأراد الخضر أن يصيها بعيب مؤقت لردّ ذلك الملك الغاصب عنها. وأمّا الغلام الذي قتله الخضر فكان سيدعو في كبره إلى الكفر بالله، وأبواه كانا مؤمنين، فأراد الله - تعالى - أن يبدلها بغلام أتقى لله وأبرّ بهما منه، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْضِي لِمُؤْمِنٍ قِضَاءَ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ»⁽¹⁾.

وأما الجدار المتهاك الذي أقامه الخضر، فقد كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته مال مدفون لهما، حفظه الله - تعالى - لهما ببركة صلاح أبيهما. وفي ذلك دليل على أنّ صلاح الآباء يصل للأبناء ولو بعد عدد من الأجيال. وفي الآية الكريمة دليل على إمكان إطلاق مسمى القرية على المدينة والعكس.

ويضيف الخضر عليه السلام قائلاً: إنّ هذا الذي فعلته في تلك المواقف الثلاثة إنّما هو من رحمة الله - تعالى - بعباده، وما فعلته عن أمري، لأنّ الله - تعالى - أمرني به، ووقفت عليه. وفي ذلك دلالة لمن قال بنبوّة الخضر عليه السلام، ويدعم ذلك قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65]. وإن كان البعض قد ذهب إلى الاعتقاد بأنّ الخضر كان ولياً من الصالحين، والله - تعالى - أعلى وأعلم.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّما

(1) أخرجه الإمام أحمد حديث رقم (13244).

سُمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من تحته خضراء»⁽¹⁾، والمراد بالفروة هنا هو الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات، وقيل المراد بذلك وجه الأرض.

وفي التأكيد على حقيقة الغيب، وعلى العلم الذي وهبه الله - تعالى - لهذا العبد الصالح المسمّى باسم (الخضر) ما نقله ابن جرير عن أبي بن كعب، عن ابن عباس - رضي الله عنهم أجمعين - قال: كان النبي ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب، لكنه قال: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا﴾»⁽²⁾ [الكهف: 76].

وهذه الواقعة من سيرة عبد الله ونبيه موسى بن عمران، جاءت في سورة «الكهف» فقط من بين كل سور القرآن الكريم، وفي الآيات (60 - 82) من هذه السورة المباركة. والقرآن الكريم لم يحدّد المكان الذي وقعت فيه تلك الواقعة إلا بوصف أنه كان عند مجمع البحرين. كذلك فإن القرآن لم يحدّد تاريخ وقوعها، هل كان قبل خروج موسى من مصر؟ أم كان في شبه جزيرة سيناء؟ أم في شرق الأردن؟ وفي كل تلك المناطق مجامع للبحرين منها التقاء فرعي النيل (رشيد ودمياط) ببعضهما عند رأس الدلتا، أو عند مصبيهما في البحر المتوسط حيث يلتقي كل منهما بمياه ذلك البحر. وفي شبه جزيرة سيناء هناك التقاء كل من خليج السويس وخليج العقبة عند مدينة رأس محمّد. وفي الأردن هناك التقاء نهر الأردن بالبحر الميت. وأغلب الظن أن الواقعة تمّت في شبه جزيرة سيناء حول خليج العقبة، وذلك لأنّ فتى موسى «يوشع بن نون» لم يرد له ذكر في جميع أحداث موسى مع فرعون مصر، ولكنّه قاد بني إسرائيل بعد وفاة كل من هارون وموسى

(1) أخرجه البخاري حديث رقم (3402).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الحروف، حديث رقم (16/3984).

ﷺ في غزو أرض فلسطين. ويبدو أن الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غضباً كان في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية لأنه لم يكن هناك ملوك في مصر بجوار الفرعون، ولم يكن هناك ملوك كذلك في شبه جزيرة سيناء، ولا في شرق الأردن. كذلك لم يذكر القرآن الكريم اسم العبد الصالح الذي لقيه النبي موسى ﷺ وطلب منه أن يتبعه لعله أن يعلمه ممّا علم رُشدًا، ولولا أن رسولنا ﷺ قد سمّاه لنا كما سمى لنا فتى موسى ﷺ ما كان أماننا من وسيلة إلى معرفة ذلك.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة موسى والعبد الصالح:

هناك عدد من الدروس الأخلاقية والسلوكية التي يمكن استنتاجها من قصة عبد الله ونبيه موسى بن عمران مع العبد الصالح المسمى باسم (الخضر) والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- 1 - ضرورة التواضع وعدم الاعتزاز بما يحصل الإنسان من العلم، لأن علم الإنسان - مهما اتسعت دوائره - هو علم جزئي، محدود بحدود قدرات الإنسان الذهنية والحسية، وبحدود مكانه من الكون، وحدود زمانه (أي عمره)، ومن ثم فإنه لا يشكل ذرة في علم الله المحيط بكل شيء.
- 2 - ضرورة التفريق بين «المعارف المكتسبة» بواسطة حواس الإنسان وقدرات عقله، والعلم الذي يهبه الله ﷻ لعبده والذي يعرف باسم (العلم الموهوب). وهذا العلم هو جزء من علم الله، يختص به من يشاء من عباده فيطلع على شيء منه، بالقدر الذي يشاء، لحكمة يعلمها هو ﷻ. من هنا فإن تصرفات من يوهبون شيئاً من هذا العلم قد تبدو في ظاهرها متعارضة مع المنطق العقلي للإنسان نظراً لمحدودية قدراته، لأن مثل هذه التصرفات لا تفهم إلا بعد إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة عتاً.
- 3 - ضرورة الاستفهام عن الأمور الغائبة عتاً بشيء من التواضع والأدب الذي لا جزم فيه، حتى لو كان ذلك في طلب العلم الراشد من أهله.

- 4 - ضرورة الإيمان بالغيب - وهو من حقائق الوجود - وضرورة التفريق بين «الغيب المرحلي» الذي يمكن للإنسان الوصول إليه بشيء من البحث والمجاهدة، وبين «الغيوب المطلقة» التي لا يعلمها إلا الله - تعالى - الذي يطلع على قدر منها من يرتضي من أنبيائه وأوليائه الصالحين.
- 5 - ضرورة الرضا بقضاء الله وقدره، لأن الله - تعالى - لا يقضي لعباده المؤمنين إلا بخير، حتى لو بدا ظاهر القضاء أو القدر في غير مصلحة الإنسان، فإن باطنه بالقطع هو في صالحه. والإيمان بقضاء الله وقدره هو تسليم لحكم الله وإرادته، انطلاقاً من الإيمان بأنه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله. فكل شيء يجري بتقديره، وحسب إرادته ومشيئته وتدبيره، فالله - تعالى - لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. وإذا آمن العبد مناً بذلك عاش قريح العين على هذه الأرض، وإن كان أفقر الناس، وأرقهم حالاً. وعلى النقيض من ذلك فإن الإنسان إذا لم يسلم بقضاء الله وقدره كان أتعس الناس، وإن كان أكثرهم مالاً وولداً، وأصحهم بنية، وأعزهم سلطاناً. من هنا تتضح ومضة الإعجاز التشريعي في الأمر بالرضا بقضاء الله وقدره، كما جاء في قصة موسى والعبد الصالح، وفي غيرها من قصص القرآن الكريم.
- 6 - ضرورة التسليم بأن الله - تعالى - قادر على كل شيء، وأن إرادته نافذة في كل شيء، وأنه لا راد لقضائه، ومن هنا كانت ضرورة رد الأمر في كل شيء إلى الله، فهو - تعالى - رب هذا الكون ومليكه، ومدبر أمره.
- 7 - إن من واجبات العبد المؤمن تنفيذ أوامر الله - تعالى - مهما كلفه ذلك من وقت وجهد.
- 8 - التسليم بأن الإنسان معرض للنسيان، وبأن من الواجب إكرام الصالحين من عباد الله قدر الاستطاعة.
- 9 - اليقين بأن صلاح الوالدين يصل إلى ذريتهما إلى عدد من الأجيال المتتالية.

وعرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيّه موسى بن عمران مع العبد الصالح، تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، خاصة وأنّ هذه الواقعة لم يرد لها ذكر في أي من «العهدين القديم أو الجديد».

ثالث عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي
في ذكر القرآن الكريم للثري المسمى «قارون» والذي أبطرته النعمة

59 - ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَعَٰيِنَهُ مِنَ الْكٰفِرِ
مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا
تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: 76].

جاء ذكر «قارون» أربع مرّات في ثلاث من سور القرآن الكريم، منها مرّتان في سورة «القصص» (76، 79)، ومرّة واحدة في كلٍّ من سورتي «العنكبوت» (39)، و«غافر» (24). وهذه الآيات جمعت بين قارون وكلّ من فرعون وهامان، مؤكّدةً معاصرته لهما، ووقوفه إلى جانب كلٍّ منهما، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَعَٰيِنَهُ مِنَ الْكٰفِرِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا
ءَاتٰنَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ
يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا يَلِيتُ
لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرُونَ ۖ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظِيظٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: 76 - 79].

2 - ﴿وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي

[العنكبوت: 39].

الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

3 - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَجَنَ وَقَدْرُونَ فَقَالُوا سَدَجْرٌ كَذَابٌ ﴿١٣٤﴾﴾

[غافر: 23، 24].

وتؤكد الآيات في سورة «القصص» أن «قارون» كان من قوم موسى (أي من بني إسرائيل)، وأنه بغى على قومه بمنافقته لفرعون ومناصرته إياه، ووقوفه بجانبه، برغم طغيان الفرعون وتجبره على بني إسرائيل. كذلك يفهم من هذه الآيات أن الله - تعالى - قد ابتلى «قارون» بفيض من الأموال ممّا جعل ثروته مضرب الأمثال. وقد أغراه هذا المال الوفير بالتكبر على قومه، وبالتفاخر عليهم بأنفس الثياب وأغلى الزينة، وبالتجبر والطغيان، فحسب الله به وبداره الأرض، وجعله عبرة لكلّ مختال بماله، مغرور بسلطانه، مستغلّ لما أعطاه الله من خير في البطش بالخلق، وما أكثرهم عبر التاريخ!

وما أكثر تشوّق الناس إلى الثراء والغنى، وما أكثر فتنهم بالمال! ولذلك تستمرّ الآيات في سورة «القصص» بقول ربنا - تبارك تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا وَلَا يُلْقٰهَا إِلَّا الصّٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتَةٍ يَضْرُوبُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانُهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

[القصص: 80 - 82].

وكما أسلفنا فإنّ منهج القرآن الكريم في استعراض قصص الأولين يركّز على الدروس والعبر المستفادة من القصة، دون تحديد لمكانها، ولا لزمانها، إلّا لضرورة، ودون تفصيل لأنساب الأفراد المذكورين فيها إلّا بالقدر اللازم لاستخلاص العبرة.

وفي استعراض هذا الكتاب العزيز لقصة «قارون»، اكتفى بذكر أنه كان من قوم موسى ﷺ فبغى عليهم، دون الدخول في تفاصيل درجة قرابته من موسى ﷺ، ولا في أشكال البغي الذي اقترفه في حقّ قومه. ولكن الآيات تؤكد أنه عاش في زمن هذا النبي، وأنه كان مقرباً من كل من فرعون وهامان (العنكبوت: 39، وغافر: 24)، وأنه كان متكبراً متغترساً متجبراً بماله، فخوراً بكنوزه، مفسداً في الأرض.

والقصة كما أوردتها سورة «القصص» أدت الهدف من استعراض القرآن الكريم لها، وقررت المبادئ، والقيم، والقواعد التي جاءت لتقريرها. وكان من أهم تلك المبادئ النهي عن البطر، وعن سوء استخدام النعم، وعن الاستعلاء والكبر، وعن الطغيان والبغي، وعن الخيلاء والفخر عند إفاضة الله ﷻ بالمال على عبد من عباده، ففي كل هذه الممارسات جحود بالنعمة، وعدم أداء لحقتها بدوام الشكر عليها، مما يستلزم زوالها، ويحتم البوار والخسران في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وسورة «القصص» حدت شخص «قارون»، كما حدت قومه بأنهم كانوا من «بني إسرائيل»، وأكدت بأنه بغى عليهم بثرائه كما يبغى غير المؤمنين من الأثرياء في كل زمان ومكان. وأوردت الآيات أن قارون تكبر على قومه بجاهه وسلطانه، وأنه عاون كلاً من فرعون وهامان في إذلالهم واستعبادهم وتسخيرهم، نفاقاً ورياءً. وكان كل ذلك من أجل المحافظة على ثروته التي وصفت بأنها كانت كنوزاً (والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول) ووصف ضخامة تلك الكنوز بأن حمل مفاتيحها كان يُعجزُ المجموعة من أشداء الرجال.

وكطبيعة الفطرة الطيبة التي فطر الله عباده عليها، وانطلاقاً من حتمية الصراع بين الحق والباطل وجد «قارون» من عقلاء قومه من حاول رده عن بغيه، وإفهامه حقيقة رسالته في هذه الحياة الدنيا، وحتمية خروجه منها، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْتَنَاهُ مِنْ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَكِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص: 76، 77].

والفرح المنهي عنه هنا هو الفرح المطغي، والاستعلاء الكاذب الذي يغري صاحب المال بالتكبر على الخلق، وبالتنكر للخالق. وعادة ما يغري الإحساس بقوة المال ضعاف النفوس بسوء استغلالها. فلا يعطي للمال حقّه، ولا يحسن توظيفه، بل يستخره في الإفساد دون الإصلاح، وفي التكبر والاعتزاز بالنعمة

والرُّهُو بها، بدلاً من شكر المنعم عليها؛ وفي الشعور الكاذب بأنه قد اكتسب المال بعلمه وذكائه وقدرته، حتى ينسيه فضل المنعم عليه، كما ينسيه واجب الشكر له. ويبقى الكافر صاحب المال في بطر وأشر بالغبين، ويخل مذل، أو إسراف مخل، مما يشقيه في الدنيا ويهيئه بالعذاب في الآخرة.

ودين الله لا يُحَرِّم الاستمتاع الحلال بالمال الحلال، في شيء من التوسط والاعتدال. ولكن «قارون» لم يعترف بأن ما كان يرفل فيه من نعمة هي من فضل ربه عليه، فنسب الفضل زوراً لنفسه، ويسجل القرآن الكريم ذلك على لسان قارون بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[الفصص: 78].

وتعرض الآيات في سورة «الفصص» إلى جانب من طبائع النفس الإنسانية التي تنبهر في غالبيتها بماديات هذه الحياة الدنيا، حتى تشغل بها انشغالاً كاملاً. وإلى جوار ذلك تبقى للصالحين من خلق الله نفوس قانعة بما رزقها الله لأنها آمنت أن الدنيا هي مجرد قنطرة إلى الآخرة، ورحلة قصيرة إليها، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

[الفصص: 79، 80].

ولما لم يُجِد قارون نُصْحَ الناصحين، بل زاده طغياناً وتجبُّراً، وغروراً، شاءت إرادة الله - تعالى - أن يضع حداً لغروره، وأن يجعل من سيرته عبرة للناس في زمانه، ولمن بعده إلى قيام الساعة، فخشف به وبداره الأرض، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿حَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِّنْ فَتَةٍ يَصُّورُهُ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ [الفصص: 81، 82].

وتأتي العبرة من استعراض قصة «قارون» مع قومه في التأكيد على أن ما يمنَّ الله - تعالى - به من رزق على عبد من عباده ليس دليل الرضا عنه، ولا أن التضييق في الرزق على عبد من عباد الله هو دليل عدم الرضا عنه. وذلك لأنَّ الله - تعالى - يقسّم الرزق بين عباده بعلمه وحكمته وقدرته، وبمعايير قد لا يستطيع البشر إدراكها. ولو كانت السعة في الرزق تعبر عن رضا الله - تعالى - على العبد ما كان مصير قارون بالصورة المدمّرة التي أجراها ربنا - تبارك وتعالى - عليه، علماً بأنه لم يعلن كلمة الكفر. ولكن اغتراره الشديد بماله إلى حدّ البطر، ونسبته ذلك إلى ما عنده هو من العلم، يعتبر تنكراً لفضل المنعم. ولذلك فإن الذين شاهدوا عملية الخسف به وبداره يضعونه في صفوف الكافرين بأنعم الله.

ونختتم قصة قارون في سورة «الفصص» بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿تِلْكَ
الَّذَارُ الْآخِرَةُ بَعَثَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا مَتَّهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ [الفصص: 83، 84].

وهذه حقيقة من أهم حقائق الوجود كلّ. ومؤدى هذه الحقيقة أنَّ الله - تعالى - قد أوجدنا في هذه الحياة الدنيا للابتلاء والامتحان والاختبار، وهو ﷻ أعلم بنا من علم كلّ فرد منا بنفسه. ولكن الله - تعالى - أوجدنا في هذه الحياة ليقيم الحجة على كل واحد من عباده المكلّفين بعمله في الأرض، حتى يُشهِدَهُ في الآخرة على نفسه بعمله، ويثبت له استحقاقه الخلود في الجنة أو في النار، ولذلك قال ﷻ: ﴿تِلْكَ الَذَارُ الْآخِرَةُ بَعَثَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [الفصص: 83].

ومن معاني هذه الآية الكريمة أنَّ على الإنسان - ذلك المخلوق العاقل،

الحر، المكلف - أن يدرك حقيقة وجوده في الحياة الدنيا والتي تتلخّص في كونه عبداً لخالق عظيم، خلقه بقدرته، وحدّد له رسالته في مجالين: أوّلهما عبادة الله - تعالى - بما أمر، وثانيهما وهو حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض بعمارته وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها.

ومن عرض القرآن الكريم لقصة «قارون» الذي آتاه الله - تعالى - ثروة طائلة من المال فلم يؤدّ حقها، وكان من قوم موسى فبغى عليهم، وداهن كلاً من فرعون وهامان، نستخلص الدروس التالية:

- 1 - إنّ البغي على الخلق والإفساد في الأرض من الأمور المحرّمة في دين الله.
- 2 - إنّ الغرور بوفرة المال، أو الجاه، أو السلطان هو من وساوس الشيطان. وعليه فإنّه يجب على كلّ من وهبه الله نصيباً من الثراء والملك أن يكون حذراً كل الحذر من الوقوع في حبال الشيطان الذي يغريه بالتكبّر الكاذب على الخلق، وبالاستعلاء المكروه من كل من العباد، وربّ العباد.
- 3 - على كلّ عاقل أن يوظف ما أعطاه الله - تعالى - من إمكانيات في تحقيق مكاسب له في الآخرة. وليس معنى ذلك إهمال الدنيا، فإنّ النجاح الصالح في الدنيا هو من مفاتيح الجنّة. والمتع الحلال بما وهب الله عبده من مال هي حلال كلّها، ما لم يكن في ذلك شيء من المبالغة المفسدة. والحرص على إخراج حقّ الله في المال، وإنفاقه في مصارفه الصحيحة، بغير تقدير ولا إتلاف هو الصون الحقيقي له.
- 4 - إنّ الإفساد في الأرض هو من المعاصي التي لا يرضاها الله - تعالى - من عباده الذين استخلفهم فيها، وسوف يسألهم عن كلّ ما فعلوه في حياتهم عليها.

- 5 - إنّ البشريّة - عبر تاريخها الطويل - انقسمت بين مؤمنين وكافرين، موحدين ومشركين، مستقيمين على منهج الله وخارجين عنه، وعلى الذين أكرمهم الله

- تعالى - بالعلم والإيمان والاستقامة أن يجتهدوا في نصيحة التائبين الضالّين من بني آدم، وما أكثرهم اليوم!
- 6 - إنَّ عاقبة الخروج على منهج الله هي الدمار في الدنيا، والعذاب في الآخرة.
- 7 - إنَّ فتنة النَّاسِ ببهجة الحياة الدنيا هي من أسلحة الشيطان في إغوائه للإنسان، ولكن العقلاء من بني آدم يدركون أنَّ ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً.
- 8 - إنَّ التكبر بالمال أو الجاه أو السلطان عقابه في الدنيا شديد، وفي الآخرة أشدّ، وليس له من دون الله من دافع.
- 9 - لا بدّ من الإيمان بأنَّ الله - تعالى - هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وأنَّ بسط الرزق ليس معناه دوماً رضاء الله، ولا أنَّ قبض الرزق معناه دوماً سخط الله.
- 10 - إنَّ الدنيا الفانية هي دار ابتلاء واختبار وامتحان، وإنَّ الآخرة الباقية هي دار مكافأة وجزاء وعطاء للمتقين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.
- 11 - إنَّ من كرم الله - تعالى - وعدله أنَّ العبد الذي يأتي بالحسنة (من الإيمان والعمل الصالح) له من ربّه ثواب مضاعف أضعافاً كثيرة، والذي يأتي بالسيئة (من المعاصي) فلا يجزى إلاّ بمثل ما عمل من سوء.
- وذكر القرآن الكريم لقصة «قارون» يبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وذلك لقدم القصة في التاريخ (الألفية الثانية قبل الميلاد)، ولعدم وجود آية إشارة إلى «قارون» في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، وإن أشار «العهد القديم» إلى رجل باسم «قورح» على أنه كان من أثرياء العبرانيين على عهد موسى، دون تفصيل، على الرّغم من إفاضته في استعراض قصة عبد الله ونبيه موسى بن عمران عليه السلام، وإن جاء ذلك بكثير من التخبط، والخلط، والأخطاء العقديّة والتاريخية.

رابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي
في ذكر القرآن الكريم لليهودي الفاسد المسمى باسم السامري

60 - ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [٩٥] ﴿ظَه: 95﴾.

جاءت قصة «السامري» مع قوم موسى ﷺ مفصلة في سورة «طه» التي
أوردت ذكر اسمه ثلاث مرات، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [٨٣] قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي
لِتَرْضَى [٨٤] قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن دُونِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ [٨٥] فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى
قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لِمَ يَبْعَدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ
أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي [٨٦] قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا
وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِن زِينَةِ الْقُورِ فَفَدَقْنَاهَا فكَذَلِكَ الْقَى السَّارِيُّ [٨٧] فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا
جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسِي [٨٨] أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ
قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا [٨٩] وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقُولُؤُا إِنَّمَا فِتْنَتُهُمْ
بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي [٩٠] قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْكَ عِدَاكِي حَتَّى يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَى [٩١] قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا [٩٢] أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي [٩٣]
قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِي [٩٤] قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ [٩٥] قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي [٩٦] قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ
لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي
ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا [٩٧] إِنَّكَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[ظه: 83 - 98].

وجاءت القصة في سورة «الأعراف» دون ذكر اسم «السامري»، وذلك بالنص التالي:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتِهِمْ غَضِبْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

[الأعراف: 148 - 154].

وواضح من هذه الآيات أن الله - تعالى - كان قد دعى موسى ﷺ لميقات على جبل الطور ليتلقى رسالة الله إلى بني إسرائيل. فصعد موسى إلى الجبل، تاركاً قومه في أسفله، بعد أن وكل بهم أخاه هارون ﷺ. وبعد أن تلقى موسى الألواح من ربه، أخبره ﷺ أن قومه قد تعرّضوا للفتنة من بعده. فما كاد موسى أن يتركهم في رعاية أخيه هارون حتى فتنهم «السامري» عن عبادة الله - تعالى - إلى عبادة عجل له خوار، صنعه من ذهب كانت نساء بني إسرائيل قد سرقنه من جاراتهنّ المصريات بعد أن أخذنه على سبيل الاستعارة. ولم يكن لموسى علم بذلك، حتى لقي ربه، وتلقى الألواح، وبها ركائز الإسلام الذي لا يرتضي ربنا

- تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه.

ويعود عبد الله ورسوله «موسى بن عمران» إلى قومه غضبان أسفاً لعودة قطاع منهم إلى الشرك بالله وعبادة الأصنام. وكان الله - تعالى - قد أنقذهم من الاستعباد والذلّ والمهانة التي كانوا يعيشون تحتها في ظلّ حكم وثني جاهلي ظالم على أرض مصر. ثم نجّاهم بمعجزة خارقة للعادة عند عبورهم خليج السويس، وأغرق أعداءهم المطاردين لهم، وعلى رأسهم فرعون وجنوده أمام أنظارهم. وبعد نجاتهم إلى شبه جزيرة سيناء فجّر الأرض عيوناً بالماء العذب من تحت أقدامهم بمجرد عبورهم لمياه الخليج، وأنزل عليهم المنّ والسلوى وظلّهم بالغمام رحمة من عنده. ثم حذّرهم من مخالفة أوامره فيحلّ عليهم غضبه، وينزل عليهم سخطه. وبعد ذلك كله منّ عليهم بمواعدة موسى ﷺ على جبل الطور، بعد أربعين ليلة من الصلاة والصيام والقيام لله - تعالى - كي يكون متهيئاً لهذا اللقاء النادر الذي يتلقّى فيه الوحي من الله - تعالى - مسموعاً ومدوناً في الألواح.

وتنزيل المنّ، وهو من المواد السكرية التي تتجمّع على سيقان الأشجار كنتيجة لنزّ العصارة الغذائية من الأوعية الخشبية للأشجار، ثم جفافها على تلك السيقان الشجرية، وإرسال أفواج السلوى (وهو طائر السمانى) يشكّل وجبة غذائية كاملة من الكربوهيدرات والبروتينات الشهية والمغذية في قلب الصحراء الجرداء من أرض سيناء، وهي من المعجزات الإلهية الحقّة. ويذكرهم الله - تعالى - بتلك النعم التي أفاض بها عليهم كما ذكرهم بها موسى حين رجع إليهم غضبان أسفاً، لمقابلتهم تلك النعم بالانحدار من التوحيد إلى الشرك، ومن تنزيه الله - تعالى - عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله إلى الانحطاط بمدلول الألوهية إلى تمثال عجل من ذهب مسروق له خوار، وإلى الاستخفاف الأبله الذي يصفون به ذلك العجل الذهبي بأنّه إلههم وإله موسى الذي نسيه

عندهم وذهب لملاقاته على الجبل، يطلبه هنالك...!

راح موسى يعتف قومه ويوبخهم على ما اقترفوه من شرك بالله، ويلوم أخاه هارون، ويؤنبه على تساهله مع الذين أشركوا من قومه، على الرغم من تعهدهم له بالبقاء على التوحيد الخالص لله - تعالى - بغير ابتداع. وعلى الرغم من ذلك كله، ومن تحذير موسى لهم من محاولة تقليد عبدة الأصنام حينما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطالبوا موسى أن يتخذ لهم صنماً يعبدونه من دون الله، فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجَاهِلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، على الرغم من كل ذلك ضلّ قوم موسى وعبدوا العجل.

وفي الردّ على تقرير موسى للذين أشركوا من قومه أجابوا بردّ أسوأ من فعلتهم النكراء قائلين: لقد حملنا أكداساً من حلي المصريات كانت مستعارة منهنّ بواسطة نساءنا اللآئي خرجن بها قبل المطالبة بردها. ونظراً لحرمة السرقة، فإن نساء بني إسرائيل ألقين بالحلي المختلصة وتخلّصن منها، فالتقطها السامري. ثم سؤل له شيطانه أن يصوغ منها عاجلاً أجوفاً، جعل له عدداً من المنافذ التي إذا دارت فيها الرياح أخرجت صوتاً كصوت الخوار. فما كاد ضعاف النفوس من بني إسرائيل أن يروا ذلك العجل الذي لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً حتى خرّوا له ساجدين، ونسوا ربّهم الذي خلقهم، ونجّاهم ورزقهم...! فقال لهم نبيّهم هارون إنّ ما فعلوه هو الشرك الذي يخرجهم عن الملة، ونصحهم بالرجوع عمّا وقعوا فيه من معاصي، وأن يستغفروا الله - تعالى - من سوء أعمالهم ويتوبوا إليه. ولكن الإسرائيليين لم يستمعوا إلى نصح هارون، وطالبوه بالانتظار حتى يرجع إليهم موسى. وذلك لأنّ الشيطان كان قد صوّر لهم أنّ هذا العجل الجسد الذي له خوار هو إلههم وإله موسى الذي راح ليلاقيه على الجبل، متخيّلين أنّه نسي الطريق إلى ربّه وتاه عنه. وكانوا كلّما نهاهم هارون عن عبادة العجل

هاجوا عليه متكاثرين وضاعطين، ومهددينه بالقتل.

وعندما رجع موسى إليهم غضبان أسفاً، واستمع إلى حجّتهم التافهة، التفت إلى أخيه هارون مؤنباً إياه على ترك هؤلاء المشركين من قومه سادرين في غيهم. حاول هارون إطفاء غضب أخيه مستجيشاً عاطفة الرحم بينهما، معترداً بأنه لم يشأ معالجة الأمر بشيء من العنف انتظاراً لعودته من لقاء ربّه، خشية أن يتفرّق بنو إسرائيل شيعاً، خاصة وأنه كان قد سبق وأن أمره موسى بالمحافظة على قومه وبألا يحدث فيهم أمراً حتى يرجع إليهم. ورجا هارون أخاه موسى ألا يشمت به هؤلاء الضالين من قومه قائلاً له: ﴿إِنَّ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتِ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150]. ولمّا تأكّد موسى من براءة أخيه توجه بالدعاء إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

عندئذ اتّجه موسى ﷺ بحديثه إلى «السامري» صاحب الفتنة والغواية في بني إسرائيل، متسائلاً عن مبررات غوايته لقومه، فأجاب متعللاً بأنه رأى جبريل ﷺ في صورته الذي ينزل بها على الأرض، فقبض قبضة من التراب الذي داس هذا الملاك الطاهر عليه أو داس فرسه عليه فألقاه على العجل الذي كان قد صاغه من الذهب المسروق، فصار له حوار.

والقرآن الكريم لا يُفصّل حقيقة ما حدث، ولكنه يسجّل ردّ «السامري» الذي قاله في محاولة للتملّص من المسؤولية، ولتبرير جريمته، ولذلك قال: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِي نَفْسِي﴾ [ظه: 96].

ولكن موسى ﷺ أعلنه بالطرد من جماعته طيلة حياته، ووكل أمره بعد ذلك إلى الله - تعالى - يحاسبه بعدله المطلق. وقال موسى للسامري: اذهب مطروداً، ملعوناً، معزولاً، لا يمسك أحد، ولا تستطيع أن تمسّ أحداً من عباد

الله إلا وأصابتك وأصابته الأمراض، وأن لك موعد مع خالقك في يوم الحساب لتلقى جزاءك على ما اقترفت من جرائم، ولن تخلف ذلك الموعد أبداً فإنه واقع لا محالة. وأضاف موسى قائلاً «للسامري»: أمّا عجلك الذي عبّده لنفر من قومك فما أنذا أحرقه وأنسفه وألقيه في البحر، لأثبت لك سخافة ما سولت لك نفسك الخبيثة بعبادته، وهو لا يستحق من ذلك شيئاً. فلو كانت له أية قدرة لدافع ذلك التمثال الأبرص الأخرس الذي لا يضر ولا ينفع عن ذاته أو عنك. فكان «السامري» يمشي وهو يصرخ بأعلى صوته قائلاً: لا مساس، لا مساس، فيتحاشاه الناس ويجتنبوه حتى كره حياته الدنيا. ويُفصّل القرآن الكريم ذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان موسى للسامري: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [97].

وفي تلك اللحظة الحاسمة يؤكّد موسى لقومه وللناس أجمعين حقيقة الألوهية الجديرة بإفرادها بالعبادة فيقول: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [98].

وأصدر موسى الحكم على الذين أشركوا قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وِذْلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [102] وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ [103] وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [104]. [الأعراف: 152 - 154].

والقصة لها أصل في كتب الأولين فقد جاءت في «العهد القديم» (خروج 32/1 - 35) تحت عنوان «العجل الذهبي»، ولكنها تنسب صناعة العجل لهارون عليه السلام، وهارون نبي، والأنبياء معصومون في أمر التبليغ عن الله، ومن ثم فلا يمكن أن تكون صناعة العجل الذهبي الذي عبده نفر من بني إسرائيل من دون

اللَّهِ منسوبة إلى النبيِّ هارون، لأنَّ أنبياءَ الله جميعاً قد جاءوا بكلمة التوحيد ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وفي رواية «العهد القديم» لقصة «العجل الذهبي» جاء كلام عن الله - تعالى - لا يليق بمقام الألوهية أبداً، وذلك من مثل قول موسى لجلال الله: «ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشرِّ بشعبك...» (خروج 13/32)، ومثل قولهم: «فندم الربُّ على الشرِّ الذي قال أنه يفعله بشعبه» (خروج 14/32).

ويأتي ختام هذه الواقعة بمشهد رهيب ترويه لنا سورة «البقرة» بقول ربِّنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا تَظَلَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: 51 - 54].

وقف بنو إسرائيل واجمين بعد أن حطَّم موسى العجل الذهبي ونسفه في اليم نسفاً. وتبيَّن للجميع ضلال الذين أشركوا من بينهم بعبادة العجل، وتقصير الذين لم يأخذوا على أيديهم من الباقيين. وقف الجميع وجلين، ينتظرون حكم الله فيهم الذي سرعان ما نزل بضرورة قتل الذين أشركوا، بمعنى أن يقوم الذي لم يشرك بقتل الذي أشرك، وتمَّ ذلك بالفعل عقاباً للذين أشركوا بعد إيمانهم، وتطهيراً وتزكية للذين لم يأخذوا على أيدي عبدة العجل من أوَّل الأمر.

ثم قام كلٌّ من موسى وهارون بالتضرُّع إلى الله - تعالى - أن يغفر للذين نفذ فيهم حكم الله فقتلوا، وأن يعفو عن الذين بقوا أحياء، فاستجاب الله ﷻ لتضرُّع عبديه موسى وهارون قائلاً: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54].

ويذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه «أخبار الزمان» أن موسى ﷺ سار ببني إسرائيل بعد وفاة أخيه هارون - سلام الله عليه - إلى أرض أولاد العيص، وهي التي تعرف بـ«جبل الشراة»، جنب «جبل الشوبك»، ثم مرّ فيها إلى «آيلة»، وتوجه بعد أيام إلى «برية باب» حيث «بلاد الكرك»، وحارب تلك الأمم، وكان إلى جانب «آيلة» مدينة يقال لها «عصيون» جليلة عظيمة.

ويشير «العهد القديم» (سفر أعداد) إلى أن موسى ﷺ حاول المرور عبر أراضي الأدوميين أثناء خروجه من مصر متوجهاً إلى الأراضي الفلسطينية. فاستأذن من ملك الأدوميين إلا أن الملك رفض طلبه، فما كان منه إلا أن يعبر بمحاذاة الشاطيء عبر آيلة (العقبة حالياً) إلى وادي التيم متوجهاً شمالاً بعيداً عن الحدود الأدومية. وفي نفس الوقت يذكر (سفر التثنية) أن الأدوميين سمحوا لموسى بالمرور من خلال أرضهم علماً بأن الطريق الذي سلكه موسى ﷺ أثناء خروجه من مصر وتاريخ هذا الخروج لا يزال موضع خلاف بين المؤرخين.

ويذكر فلنكشتاين أنه لا توجد أية أدلة أثرية على هذه الرواية التوراتية، ويضيف أنه خلال عشر سنوات من الأبحاث الأثرية لم يتم اكتشاف طريق خروج موسى ببني إسرائيل من مصر، رغم المسح الدقيق لشبه جزيرة سيناء.

من هنا فإن رواية القرآن الكريم لحادثة «السامري» بعد أن ذهب النبي موسى بن عمران للقاء ربه تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وتشهد القصة للنص القرآني بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، ولا يمكن أن يكون قد نقل عن «العهد القديم» فالفارق كبير بين الروایتين (والأصل واحد). وهذا النص يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا

الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين. بينما رواية «العهد القديم» تؤكد أن القصة ظلت تنقل مشافهة فأضيف إليها ما أضيف، وحذف ما حذف، ونُسي ما نُسي، ولذلك جاء تدوينها في «العهد القديم» محرّفاً ومشوّهاً ومختلاً باختلافاً كبيراً!!

خامس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن
الكريم لقصة عبد الله ونبية ذو الكفل عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبية «ذو الكفل» في القرآن الكريم مرتين فقط، على النحو

التالي:

1 - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

[الأنبياء: 85، 86].

2 - ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

[ص: 48].

61 - ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[الأنبياء: 85].

يذكر أنّ ذا الكفل كان من نسل عبد الله ونبية أيوب عليه السلام. «وذو الكفل» هو من أقل الشخصيات ذكراً في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وقد اختلف في أمره: هل كان من أنبياء الله، أم كان أحد الصالحين الذين أحسن الله عليهم الشاء، ووصفهم بالصبر وبأن الله - تعالى - أدخلهم في رحمته. وقيل: إنه كان نبياً من أنبياء الله، لذكره في زمرة عدد منهم، وخاصة وأنه قد ذكر عنه أنه تكفل لبني قومه أن يقضي بينهم بالعدل، ويكفيهم أمورهم، وقد وفى بذلك ومن هنا سُمي باسم «ذي الكفل». ونحن لا نعرف قومه، ولا زمان بعثته، ولا كيف كان ردّ قومه عليه وعلى دعوته، مع قول البعض أنه بعث لأهل الشام، كما قيل أنه عاش على أرض العراق، (والله - تعالى - أعلم).

وذكر بعض المؤرخين إمكانية أن يكون (ذو الكفل) هو [حزقيل أو حزقيال

(Ezekiel) الذي ورد اسمه في «العهد القديم»، ولكن حديث رسول الله ﷺ يشير إلى أنّ (حزقيل) هو مؤمن آل فرعون الذي أسرع إلى موسى بن عمران محدراً من فرعون وجنده، عندما أمر فرعون بقتل موسى، وجاء (حزقيل) ناصحاً موسى بالخروج من أرض مصر حتى يمكنه النجاة بنفسه. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «سباقو الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار صاحب (يس)، وعلي بن أبي طالب»⁽¹⁾.

وقال بعض المؤرخين أنّ (ذا الكفل) هو أحد أبناء أيوب عليه السلام، وقالوا إنّ اسمه في الأصل هو (بشر)، وأنّ الله - تعالى - بعثه بعد أيوب، وسماه (ذا الكفل) لأنّه تكفل بعدد من الطاعات غير المفروضة فوقى بها. وقالوا إنّ مقامه كان ببلاد الشام، وإن ادعى آخرون أنّ إقامته كانت في بابل من أرض العراق. وأهل دمشق يتناقلون أنّه مدفون في «جبل قاسيون» المطل على مدينتهم العامرة، دون دليل ثابت على ذلك.

وعلى كل حال فإنّ مجرد ورود اسم (ذي الكفل) في القرآن الكريم يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في كتاب الله، وعلى علماء الآثار أن يجدوا في البحث عن آثار هذا النبي الصالح.

(1) تقدم تخريجه.

سادس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر
القرآن الكريم لعبد الله ونبيه إلياس (أو إل ياسين) ﷺ

جاء ذكر عبد الله ونبيه إلياس ﷺ ثلاث مرّات في القرآن الكريم وذلك على
التّحو التالي:

1 - ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: 85].

2 - ﴿وَإِنَّ إِلَیَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِیْنَ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: 123].

3 - ﴿سَلِّمْ عَلَیْ إِلَیَّاسِیْنَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: 130].

ويذكر ابن كثير أنّ «إلياس» و«إل ياسين» هما اسمان لشخص واحد هو النّبي
«إلياس» ﷺ، وذلك انطلاقاً من حقيقة أنّ العرب يلحقون حرف النون بعدد من
أسماء الأشخاص، أو يبدّلونه بأحد أحرف الاسم.

ووصف القرآن الكريم النبي «إلياس» بأنه من الصالحين، ومن المرسلين، ومن
المخلصين، ومن المؤمنين، وأنه دعا قومه إلى نبذ الشرك، وعبادة الله - تعالى -
وحده، وهو أحسن الخالقين.

ويقول عدد من المؤرّخين أنّ عبد الله ونبيه «إلياس» كان من ذرية النّبي
هارون بن عمران، أخي النّبي موسى بن عمران ﷺ. ويقال أنّه كان قد بعث
بعد عبد الله ونبيه ذي الكفل، وأرسل إلى أهل بعلبك. وبعلبك هي مدينة قديمة،
تعود إلى العهد الفينيقي، واشتهرت في زمن السلوقيين باسم مدينة الشمس
(هيلوبوليس). وهذه المدينة التي شيدت في إقليم البقاع، في وسط أرض لبنان،
استعمرها الرومان في القرن الميلادي الأول، زمن أوغسطس (كايوس يوليوس
أوكتافيوس) الذي عاش في الفترة من (63ق.م.) إلى (14م)، وأشرك فيها عبادة

چوبيتر. وقد ترك الرومان في مدينة بعلبك العديد من الآثار الشركية، من أمثال معبد باخوس، والأعمدة الستة، التي يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين.

وكان أهل بعلبك قد أشركوا بالله، وعبدوا صنماً سَمَّوه «بعلاً»، ومن اسمه اشتق اسم مدينتهم. ولمَّا بعث اللهُ - تعالى - إليهم رسوله «إلياس» يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده، فإنَّ غالبيتهم كذبوا نبوتَه، فأصابهم العقاب في الدنيا، ولهم في الآخرة العذاب المهين. فقد حبس اللهُ - تعالى - عنهم المطر حتى هلكت مواشيهم ودوابهم، ثم قضى عليهم بذنوبهم. وأمَّا القلَّة التي آمنت مع إلياس فكانت من عباد الله المخلصين الذين ثبتهم اللهُ في الدنيا على دينه، ووعدهم بجنَّة الخلد في الآخرة. وجعل اللهُ - تعالى - لنبية إلياس الذكر الحسن على السنة مَنْ جاؤوا بعده، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاتِمُّوا لِمُحْضَرُونًا ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلِّمْ عَلَيَّ إِيَّا يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 123 - 132].

وأوجه الآراء أنَّ إلياس هو النبي المسمَّى باسم إيليا (Elijah) في «العهد القديم» «سفر ملوك الأول» (21 - 16)، والذي يقال أنه عاش (بين 880، 850 ق.م.). وقد ورد ذكره في «العهد القديم» محاطاً بسلسلة من الإسرائيليات التي لا سند لها، ومنها أنه رفع إلى السماء في مركبة نارية. ويقال أن إيليا - بحكم نبوته - قاوم عبادة الأصنام والأوثان، بين قومه، فاضطهده «إيزابيل» (Jezebel) زوجة الملك آحاب (Ahab) الذي حكم في الفترة (من 874 ق.م. إلى 853 ق.م.). وعلى الرغم من ذلك أمر «إيليا» بقتل الكهنة المشركين في معبد «باعال» أو «بعل» الذي سميت باسمه المدينة، فاضطهده «إيزابيل» هو وأتباعه اضطهاداً شديداً. وإشارة القرآن الكريم إلى نبيِّ قديم مثل إلياس ﷺ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

سابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه اليسع عليه السلام

جاء ذكر عبد الله ونبيه اليسع عليه السلام مرتين في القرآن الكريم وسط أسماء مجموعة من الأنبياء على النحو التالي:

1- ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمُوذًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 86].

2- ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: 48].

يذكر عدد من المفسرين أن «اليسع» هو ابن عم «إلياس» عليه السلام، وأنه بعث لأهل الشام بعد وفاة إلياس. وقيل إنه عاش في بعلبك، أو في بانياس بالقرب من اللاذقية. وكذلك قيل أن قومه كان قد شاع بينهم الشرك والإلحاد وعبادة الأصنام، وانتشرت في مجتمعاتهم الخطايا والآثام والمظالم، فبعث الله عليه السلام إليهم «اليسع» لهديتهم. بدأ نبيهم يدعوهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وأن ينزهوه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وأن يلتزموا بشرعه، وذكرهم بحساب الآخرة، فلم يؤمن معه إلا أقل القليل من قومه. وأما غالبيتهم فلم يستمعوا لنصحه، ولم يأبهوا بدعوته، فعاقبهم الله - تعالى - في الدنيا، وتوعدهم بعذاب الآخرة، وهو أشد وأنكى.

وأرجح الأقوال أن «اليسع» هو النبي الذي جاء ذكره في «العهد القديم» تحت مسمى إيلشع (Elisha)، وأنه كان خادماً للنبي إلياس، وإن كانت قصته في «العهد القديم» قد أحيطت بالإسرائيليات الخارجة عن حدود المنطق [سفر ملوك الأول (21 - 19/19)].

والإشارة إلى نبي قديم من أنبياء الله في القرآن الكريم مثل «اليسع» عليه السلام تبقى وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي الذي يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

ثامن عشر: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ورسوله داود عليه السلام

كان عبد الله ورسوله داود عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام،
وورد اسمه في ستة عشر (16) موضعاً من القرآن الكريم، وهو أحد الرُّسل الذين
بلغنا خبرهم من بعد موسى عليه السلام فقد أنزل الله - تعالى - عليه الرُّبُور، وقال فيه:

1 - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 163].

2 - ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا
دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: 55].

وقد جمع الله ﷻ لعبده ونبيه داود بين الملك والرسالة، وذلك بقوله - عزَّ
من قائل -: ﴿وَسَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: 20].

وكان داود عليه السلام مجتهداً في العبادة، كثير التضرع إلى الله، وفي ذلك يقول
ربنا - تبارك وتعالى - موجهاً الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿أَصِدْرٌ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: 17].

وقال ﷺ عن عبد الله ونبيه داود:

1 - «ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله
داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، حديث رقم (2072).

2 - «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»⁽¹⁾.

وقد وهب ربنا - تبارك وتعالى - عبده ونبيه داود كثيراً من النعم التي كان منها:

1 - ابناً ملكاً نبياً من بعده، هو سليمان عليه السلام، وحفيداً من نسله كان من أولي العزم من الرسل هو عيسى عليه السلام.

2 - تسخير كل من الجبال والطير للتسييح معه لقول الله - تعالى -: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾

وقوله عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ^(٨٧) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَأَعْبُدَكَ

أَوَّابٌ ^(١٩) [ص: 18، 19].

3 - إلانة الحديد له، وذلك بقول الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيهِ أُوِّي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ^(١٠) **وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ^(١١) [سبأ: 10، 11]

4 - وعلمه الله - تعالى - صنع الدروع المركبة من حلق الحديد وهي أخف من الدروع المصمطة المصقحة وأسهل للحركة، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُنْجِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ^(٨٠) [الأنبياء: 80].

5 - وأعطاه الله - تعالى - من حسن الصوت ما جعل كلاً من الطيور والوحوش تتجمع حوله وهو يقرأ الزبور بصوت جميل لم يسمع من قبل مثله. وقد أكد ذلك رسولنا عليه السلام حين سمع تلاوة أبي موسى الأشعري للقرآن الكريم فقال: «يا أبا موسى، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3420).

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (5048)، ومسلم في كتاب المسافرين، حديث رقم (1849).

وقد شوّه كفّار اليهود صورة عبد الله ﷺ ونبیه داود ﷺ تشويهاً كاملاً، فوصفه «العهد القديم» بأنه كان سقاًكاً للدماء، ظالماً متجبراً في الأرض إلى الحدّ الذي جعله يمنع بأمر من الله ﷻ من بناء بيت الله ﷻ - تعالى -، وفي ذلك تقول «أخبار الأيام الأوّل (8/22)» في «العهد القديم» افتراءً على الله ﷻ - تعالى - أنه قال لداود: «فلا تبني بيتاً لاسمي لأنك سفكت دماءً كثيرة على الأرض أمامي».

وتصف أسفار «العهد القديم» عبد الله ﷺ ونبیه داود بأنه «رجل الله ورجل دماء». وأفاضت هذه الأسفار بسرد حروب الإبادة التي تدعي أنّ عبد الله ﷺ ونبیه داود ﷺ قد قاداها بنفسه، وقام فيها بالتقتيل لأعدائه، والتمثيل بهم، وحرقتهم أحياء، وحرقت قراهم ومدنهم كاملة. وفي ذلك يقول سفر «صموئيل الثاني»: «فجمع داود كل الشعب من القبائل (الفلسطينية) وحاربها وأخذها، وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد، وقطعهم بالسكاكين، وأمرهم في آتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بن عمون، - وهي بالعشرات، وسكانها بعشرات إلى مئات الألوف - ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم» (صموئيل الثاني/ 129).

وكثيراً ما جاء في «العهد القديم» التعبير عن داود ﷺ أنه: «... لم يستبق فيها (أي: في عشرات المدن) رجلاً ولا امرأة...».

ويدّعي «العهد القديم» أنّ داود - شرّفه الله - ينتسب بنسب زنى المحارم إلى إحدى ابنتي لوط ﷻ التي يدّعون عليها كذباً أنّها أنجبت «مؤاب» من الزنا بأبيها، ومنه جاءت راعوث جدّة داود ﷺ من جهة أبيه.

ويدّعي «العهد القديم» على عبد الله ﷺ ورسوله داود ﷺ كذلك أنه زنى بزوجة جاره الجندي «أوريا»، واسمها «بتشيع» أو «بتشابع» بينما كان زوجها في ساحات القتال، يزود عن ملك داود. وبعد أن حملت سفاهاً منه أمر داود بقتل زوجها بتقديمه إلى صفوف القتال الأولى ثم التخلي عنه، فقتل، كما جاء في سفر «صموئيل الثاني». وعاشت المرأة المغتصبة بعد حدادها على زوجها في قصر داود، وتدعى القصة الفاجرة أنّها ولدت له سليمان النبي بعد ذلك.

ويدعى «العهد القديم» كذباً على عبد الله ونبيه داود ﷺ أنه أخذ زوجة أحد رعاياه واسمه «فلطيل بن لايش» عنوة عنه، وأن ابنه «أمنون» زنى بأخته «ثامار» وأن ابنه (إبشالوم) كان يزني بنساء أبيه (وبينهم أمه) أمامه، وأمام بني إسرائيل، جزاء زناه بزوجه (أوريا الحثي) حسب القصة المفتراة عليه كما جاء في سفر «صموئيل الثاني».

لذلك قال - تعالى - : ﴿لَوْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78، 79].

وقال البرهان البقاعي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: «وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، وأضاف: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود ﷺ لأن عيسى ﷺ من ذريته ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه».

وعلى النقيض من ذلك فإن القرآن الكريم يمتدح عبد الله ونبيه داود ﷺ في عشرات الآيات، كما تمتدحه أحاديث رسول الله ﷺ التي منها قوله الشريف: «أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي بيكائه كل شيء، وكان يشفي بصوته المهموم والمحموم»⁽¹⁾.

نبوة داود ﷺ :

بعد وفاة كل من هارون وموسى ﷺ تولى «يوشع بن نون» أمر بني يعقوب، ودخل بهم أرض فلسطين، وبعد وفاة يوشع بن نون تولى أمرهم عدد من قضاتهم ولذلك يسمى زمانهم باسم (عهد القضاة). وفي هذه الفترة ارتد بنو يعقوب

(1) ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء (2/279).

وتذكر كتب التاريخ القديم أن داود ﷺ قام في القرن العاشر قبل الميلاد بضم ميناء آيلة (العقبة) إلى مملكته.

إلى الوثنية، وضيّعوا الدين، وفشت بينهم المعاصي والمنكرات، ودبّ فيهم الوهن فسلط الله - تعالى - عليهم الأمم من حولهم فغزاهم كل من العمالقة، والآراميين والمصريين وغيرهم، وأذلّوهم إذلالاً شديداً.

ثم أرسل الله - تعالى - إليهم نبياً يدعوهم إلى الحق واختار نبيهم رجلاً من بينهم اسمه «طالوت» ليكون ملكاً عليهم لأنه كان أعلم بني يعقوب في زمانه. جهّز طالوت جيشاً لمقاتلة العماليق الذين حاربوه تحت قيادة جالوت. ولكن بني يعقوب لم يثبتوا على أمر القتال فتولّوا إلا قليلاً منهم. كذلك لم يثبت الإسرائيليون في الابتلاء الذي ابتلاههم به الله - تعالى - وذلك بالتزام أمر الله بعدم الشرب من نهر الأردن الذي كان في طريقهم، فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم، وهالهم أمر جالوت وجيشه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأِذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: 249 - 251].

وفي الأثر أن داود عليه السلام عاش في أواخر الألفية الثانية وأوائل الألفية الأولى قبل الميلاد (في حدود 1012 - 912 ق.م.)، وتولّى الملك على جزء من أرض فلسطين، وتوفي في حدود سنة (912 ق.م.). وذكر القرآن الكريم لعبد الله ونبيه داود، يعتبر من المعجزات الإنبائية والتاريخية في كتاب الله، وذلك لأنّ هذا الكتاب المجيد أنزل بعد وفاة داود عليه السلام بأكثر من (1500) سنة. ويتأكد هذا الوجه من أوجه الإعجاز في أنّ كتب الأولين التي أشارت إلى هذا العبد الصالح ومنها «العهد القديم» لم

تعتبره نبياً، بل مجرد ملك من الملوك، ولم تذكر شيئاً من الوقائع التي أوردتها القرآن الكريم عنه، بل أثار حوله من الإسرائيليات الموضوعة المريبة ما شوّه صورته تشويهاً شديداً، وهو الذي امتدحه القرآن الكريم في العديد من آياته، وامتدحه المصطفى ﷺ في عدد من أحاديثه الشريفة.

ولقد جاء ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم ستة عشر (16) مرة على النحو

التالي:

1 - منها ما وصف المعركة التي انتصر فيها داود على جالوت (Goliath) وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آهَبْتْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَمَقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّادُنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَّادُنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفْسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾
[البقرة: 246 - 252].

2 - ومنها ما يؤكد أن داود ﷺ كان نبياً رسولاً، آتاه الله - تعالى - كتاباً اسمه (الزبور) وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ ﴾
[النساء: 163].

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾
[الإسراء: 55].

3 - ومنها ما جاء عن أن داود ﷺ قد لعن الذين كفروا من بني إسرائيل وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾
[المائدة: 78 - 79].

4 - ومنها ما يؤكد أن داود كان من ذرية نوح ﷺ ، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرَبْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾
[الأنعام: 83 - 86].

5 - ومنها ما تحدّث عن واقعة تحكيم بين رجلين من قومه قضى فيها داود برأيه،

ثم استأذنه ابنه سليمان في قضاء آخر، فأيدّه القرآن الكريم على قضاء أبيه ووصفه بالحكمة، كما قبل أبوه حكمه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 78، 79].

6 - ومنها ما يشهد بأنّ الجبال والطير كانت تسبح مع تسييح داود ﷺ وأنّ الله - تعالى - قد ألان له الحديد وعلمه كما علم ابنه سليمان منطق الطير، وآتاهما من لدنه علماً، كما علمه صناعة الدروع من رقائق متداخلة متعرجة لا تحدّ حركة الجسم، وتحميه. وكان ذلك من أسباب انتصاراته العسكريّة العديدة وفي ذلك يقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

- ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 79].

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْتَئِهَا النَّاسُ عُلمَنَا مَطَوقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٦٦﴾﴾ [النمل: 15، 16].

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِبَالُ أُوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ءَأَنَّا لَهُ الْعَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَبِغَاتٍ وَفِدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: 10، 11].

- ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْآيَةِ إِنَّهُ ءَأَوَّابٌ ﴿٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ ءَأَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَسَدَدْنَا مُلْكُهُ وَعَآئِنَتُهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْكُتَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: 17 - 20].

7 - ومنها ما يروى أنّ الله - تعالى - علم داود ﷺ ألاّ يُصدر حكماً إلّا بعد الاستماع إلى الطرفين المتخاصمين وذلك في واقعة ابتلاء تربوية يرويها القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِيَ نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نَجْمِكَ إِلَيْنِ نَعَايَهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ يُبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَأُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: 21 - 26].

وكل واحدة من هذه الوقائع السبع هي معجزة إنبائية وتاريخية في ذاتها، ومعجزة تربوية وعلمية في آن واحد، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إنَّ معظم هذه الوقائع لم تذكرها أسفار «العهد القديم».

ثانياً: إنَّ في كل واقعة من هذه الوقائع عدد من الدروس والعبر المستفادة

التي لها دورها التربوي الواضح في سلوك كل من يقرأها أو يستمع إليها.

ثالثاً: إنَّ العلم التجريبي يثبت اليوم أنَّ كلَّ شيء في الوجود من الخلق

المكلّف (الإنس والجن)، وغير المكلّف (من الجمادات، والنباتات والحيوانات) له

قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك والشعور والانفعال والتعبير. وإشارة القرآن

الكريم إلى أنَّ كلاً من الجبال والطيور كان يسبح مع تسبيح داود ﷺ يسجّل سبقاً

واضحاً على جميع المعارف المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، كما يثبت

معجزة علمية واضحة لا ينكرها إلا جاحد. وداود ﷺ كان الله - تعالى - قد منَّ

عليه بصوت فائق العذوبة والجمال، وكان يزيده جمالاً مسحة من الوقار والجلال،

كما روى ذلك رسول الله ﷺ.

وإسماع الخلق غير المكلّف هو درجة من الصفاء الروحي، والإشراق

القلبي، والسمو العقلي، لا يبلغها أحد إلا بفضل من الله ﷻ. وفي هذا السياق

تأتي «إلانة الحديد» لعبد الله داود ﷺ خارقة من تلك الخوارق التي وهبها الله

- تعالى - لهذا العبد الصالح والرسول الصادق داود ﷺ.

كذلك فإنَّ إلهام داود ﷺ بصناعة الدروع من رقائِق وحلقات متداخلة تحمي الجسم دون أن تثقله أو أن تحول دون حرّية حركته، وهو ما وصفه القرآن الكريم بتعبير (التقدير في السرد)، يأتي فضلاً من الله - تعالى - ونعمة.

ولم يرد في «العهد القديم» شيء عن أغلب الوقائع التي أوردتها القرآن الكريم عن عبد الله ورسوله «داود ﷺ»، على الرّغم من إيراد عشرات الصفحات من الشبهات التي تسيئ إليه، ومن هنا ينتفي الادعاء الباطل بأن «العهد القديم» هو كلام ربّ العالمين، وكذلك ينتفي الادعاء الأكثر بطلاناً بأن قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم»؛ لأنَّ الفارق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار.

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه داود ﷺ:

- 1 - الإيمان بحقيقة النبوة والرّسالة، وبأنَّ الله - تعالى - فضّل بعض النبيّين على بعض.
- 2 - التصديق بأنَّ الله - تعالى - يعطي المُلِك لمن يشاء، وينزعه ممّن يشاء، وأنّه يُعلّم من يشاء من علمه، ويؤتي من يشاء الحكمة وفصل الخطاب.
- 3 - إنّ للإنسان في الحياة الدنيا رسالة ذات وجهين أوّلهما عبادة الله - تعالى - بما أمر، وثانيهما حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها، وأنّ تقصير الإنسان في تحقيق تلك الرسالة يستوجب غضب الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة.
- 4 - اليقين بأنّ لكلّ شيء في الوجود قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك، والشعور، والانفعال، والتعبير. ومن ذلك الجبال، والطيور، والشجر، والحجر، وبقية أنواع الخلق، ومن هنا كان تسبيح الكون مع تسبيح داود ﷺ، ومع تسبيح كل مخلص في تسبيحه، هو من حقائق الوجود التي سجلها القرآن الكريم، والتي يغفل كثير من الناس.

- 5 - التسليم بأنَّ الله - تعالى - قادر على كلِّ شيءٍ ومن ذلك «إلانة الحديد» في أيدي عبده ونبيِّه داود ﷺ.
- 6 - الإيمان بحقيقة النصِّ القرآني الذي يقول فيه ربُّنا - تبارك وتعالى -: ﴿...وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: 282]. فهذا داود ﷺ علَّمه الله - تعالى - منطق الطير، كما علمه صنع الدروع المركبة من حلق الحديد، وعلَّمه الحكمة وفصل الخطاب، لتقواه وعبادته وكثرة تضرَّعه لله - تعالى -.
- 7 - التسليم بأنَّ الابتلاءات والفتن هي وسيلة من وسائل التربية، وبأنَّ المرء لا يجوز له الحكم في قضيةٍ إلَّا بعد استماعه لطرفيها. فهذه فتنة داود ﷺ حين جاءه خصمان من فوق سور المحراب، فخاف منهم واضطرب، فقالوا: لا تخف نحن متخاصمان ظلم بعضنا بعضاً، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تتجاوزوه، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى. ثم قال أحد الخصمين: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلبها مني قائلاً: اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي من نعاج، وغلبني في المخاطبة بيني وبينه. وقبل أن يسمع داود كلام الطرف الآخر قال: لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إل نعاجه، وإن كثيراً من الخلطاء يجور بعضهم على بعض، إلا مَنْ آمن وعمل صالحاً منهم، وقليل ما هم. وفجأة أدرك داود أن القضية كلها امتحان من الله ﷻ، فانحنى راکعاً لله طالباً منه المغفرة.
- 8 - اليقين بأنَّ الإنسان المستخلف في الأرض مطالب دوماً بالحكم بين الناس بالحق، وبإلَّا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله وذلك لقول ربِّنا - تبارك وتعالى -: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: 26].

وفاة داود عليه السلام:

حَدَّث الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ دَاوُدَ عليه السلام فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَتِ الْأَبْوَابَ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ. فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغَلَقَتِ الدَّارَ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مَنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالِدَّارُ مَغْلُوقَةٌ؟ بِاللَّهِ لَتَفْتَضِحَنَ بِدَاوُدَ. فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا أَمْنَعُ مِنَ الْحِجَابِ، فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتِ بِاللَّهِ إِذْنُ مَلِكِ الْمَوْتِ، مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ مَكَثَتْ حَتَّى قُبِضَتْ رُوحَهُ، فَلَمَّا غُسِّلَ وَكُفِّنَ وَفُرِّغَ مِنْ شَأْنِهِ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَقَالَ سَلِيمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظَلَّيْ عَلَى دَاوُدَ، فَأَظَلَّتْهُ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ سَلِيمَانُ لِلطَّيْرِ: اقْبِضِي، (فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ يُرِي الصَّحَابَةَ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ) وَغَلِبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَضْرِحِيَّةُ (أَي الصَّقُورُ)، وَأَتَمَّ اللَّهُ عَمْرَهُ مِائَةَ سَنَةٍ»⁽¹⁾.

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (9672).

قصة داود ﷺ في العهد القديم:

Israel, they made peace with the Israelites and became subject to them. So the Arameans were afraid to help the Ammonites anymore.

David and Bathsheba

11 In the spring, at the time when kings go off to war, David sent Joab out with the king's men and the whole Israelite army. They destroyed the Ammonites and besieged Rabbah. But David remained in Jerusalem.

²One evening David got up from his bed and walked around on the roof of the palace. From the roof he saw a woman bathing. The woman was very beautiful, and David sent someone to find out about her. The man said, "Isn't this Bathsheba, the daughter of Eliam and the wife of Uriah the Hittite?" ³Then David sent messengers to get her. She came to him, and he slept with her. (She had purified herself from her uncleanness.) Then she went back home. ⁴The woman conceived and sent word to David, saying, "I am pregnant." ⁵So David sent this word to Joab: "Send me Uriah the Hittite." And Joab sent him to David. ⁶When Uriah came to him, David asked him how Joab was, how the soldiers were and how the war was going. ⁷Then David said to Uriah, "Go down to your house and wash your feet." So Uriah left the palace, and a gift from the king was sent after him. ⁸But Uriah slept at the entrance to the palace with all his master's servants and did not go down to his house. ⁹When David was told, "Uriah did not go home," he asked him, "Haven't you just come from a distance? Why didn't you go home?"

¹¹Uriah said to David, "The ark and Israel and Judah are staying in tents, and my master Joab and my lord's men are camped in the open fields. How could I go to my house to eat and drink and lie with my wife? As surely as you live, I will not do such a thing!"

¹²Then David said to him, "Stay here one more day, and tomorrow I will send you back." So Uriah remained in Jerusalem that day and the next. ¹³At David's invitation, he ate and drank with him, and David made him drunk. But in the evening Uriah went out to sleep on his mat among his master's servants; he did not go home.

The Murder of Uriah

¹⁴In the morning David wrote a letter to Joab and

عظمو صلحا منهم وادخلتمو تيوبن لهم وتم يمزروا على تجلدو بني عمون بعد ذلك.

سخطه داود وبعثه

11 وفي ربيع العام التالي، في النوبس الذي اعتاد فيه الملوك الخروج للحرب، أرسل داود فوجد جديده نواب على راس فؤيدو حيث حاجبوا بني عمون وقهرهم. وحاصروا مدينة ربة، اما داود فمكث في اورشليم. وفي إحدى الايام نهن داود عن سيره واخذ يتمشى على سطح قصره، فشاهد امرأة ذات جمال الحار تسبح. فاسئل داود من يتمشى عليها. فابلقه احدكم، فهدم تشبع بنت اليعازر زوجة اوريا الحثي. فبعث داود يستعلمها، فالتفت ايو وضاعفها لدا كانت قد تطهرت من طهرها، لم رجعت الى بيتها. وعلمت المرأة فتلغ داود بذلك. فوجه داود الى نواب قايلا، ارسل ايو اوريا الحثي. فبعث به نواب الى داود، وحين نكل ايو داود استخبرته عن سلامة نواب والجنس وعن ابناء الحرب. ثم قال داود لاوريا، انهض ايو بيتك والحميل ورجلك. فخرج اوريا من تحت الملك، وارسل له هدية ايو تتيو. فخر ان اوريا لم يتوجه ايو تتيو، بل نام مع رجال الملك عند باب القصر. فالتفت داود قايلا، لم يتوجه اوريا ايو تتيو. فسئل داود، ألم تخرج من سفر؟ فاما لم انهض ايو بيتك؟ فاجابه، الكفوت وعنتن اسرائيل وكفوتنا تمسكون في الجنان، وملكك سعيو نواب، وتيرة فؤاب الملك كتمون في القراء، هل انا ايو تتيو لاكل والحرب واضاع زيجتي؟ ليس بمجانة، لن القل هذا الازور. فقال داود لاوريا، مكث لنا الازور وغنا لملكك. فمكث اوريا في اورشليم ذلك الازور حتى صباح الضم الكلي. ورضى كفرة الملك، فاكل في خضرته وضرب حتى اشكره داود. ثم خرج بعد المساء يركض في مشجده ايو جوار رجال سعيو، وتم يتوجه ايو تتيو اهما.

مقتل اوريا

¹⁴وفي الصباح كتب داود رسالة الى نواب، بعث بها مع

2 Samuel 11,12

518 / ٥١٨

صموئيل الثاني ١٢:١١

sent it with Uriah. ¹⁵In it he wrote, "Put Uriah in the front line where the fighting is fiercest. Then withdraw from him so he will be struck down and die." ¹⁶So while Joab had the city under siege, he put Uriah at a place where he knew the strongest defenders were. ¹⁷When the men of the city came out and fought against Joab, some of the men in David's army fell; moreover, Uriah the Hittite died. ¹⁸Joab sent David a full account of the battle. ¹⁹He instructed the messenger: "When you have finished giving the king this account of the battle, ²⁰the king's anger may flare up, and he may ask you, 'Why did you get so close to the city to fight? Didn't you know they would shoot arrows from the wall?' ²¹Who killed Abimelech son of Jerub-Besheth? Didn't a woman throw an upper millstone on him from the wall, so that he died in Thebez? Why did you get so close to the wall?' If he asks you this, then say to him, 'Also, your servant Uriah the Hittite is dead.' "

David Learns of Uriah's Death

²²The messenger set out, and when he arrived he told David everything Joab had sent him to say. ²³The messenger said to David, "The men overpowered us and came out against us in the open, but we drove them back to the entrance to the city gate. ²⁴Then the archers shot arrows at your servants from the wall, and some of the king's men died. Moreover, your servant Uriah the Hittite is dead." ²⁵David told the messenger, "Say this to Joab: 'Don't let this upset you; the sword devours one as well as another. Press the attack against the city and destroy it.' Say this to encourage Joab."

David Marries Bathsheba

²⁶When Uriah's wife heard that her husband was dead, she mourned for him. ²⁷After the time of mourning was over, David had her brought to his house, and she became his wife and bore him a son. But the thing David had done displeased the LORD.

Nathan Rebukes David

12 The LORD sent Nathan to David. When he came to him, he said, "There were two men in a certain town, one rich and the other poor. ²The rich man had a very large number of sheep and

أورياه. ^{١٥}جملد فيها، وأجعلوا أورياه في الخطوط الأولى حيث يشتب القتال الشرس، ثم تراجعوا من ورائه ليفنى حقه. ^{١٦}فبينما نواب أورياه في أثناء محاصرة المدينة، في أشد جهنم القتلى ضراوة، حيث احتشد أبطال الأعداء. ^{١٧}فالتفح رجال المدينة لمقاتلة نواب فمات بعض رجال داود وبمهم أورياه الحثي. ^{١٨}فبعث نواب زشولا ليطلع داود على آتياه الحروب. ^{١٩}وأمره قائلا، إن زومت أن الملك بعد لإبلاغ آتياه الحروب "أعد ذر غضبه وقال لك، لماذا أفرقت من سير المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يزومون بالشهام من فوق السور؟ ^{٢٠}من سرح أبتليك بن بزوشة؟ ألم تزيم امرأة ببحر زسى من على السور فمات في نحص؟ ^{٢١}لماذا أفرقت من السور؟ قل له، قد مات عنك أورياه الحثي أيضا.

تليخ داود بمقتل أورياه

^{٢٢}فانطلق الرسول إلى داود وأطلع على إجر آتياه الحروب التي كلفها بيا نواب. ^{٢٣}وقال، لقد قوي علينا القوم وخرجوا لينا في الفراء، ولكننا انتقمنا عنهم وطردهم حتى نوبة المدينة. ^{٢٤}الزسى الرماة على عبيك بالشهام، فمات بعض ضباط الملك، ومات عنك أورياه الحثي. ^{٢٥}قل داود للرسول، هذا ما تخبر به نواب، لا تسوقك هذا الأمر، فإن الشيف بلتهم هذا وفلك. سلذ حصرك على المدينة وقمرها. قل هذا لتشجيع نواب.

زواج داود من بشبع

^{٢٦}وعلمنا علمت زوجة أورياه أن زوجها قد قتل فماتت عليه. ^{٢٧}وبين انقضت فترة الجنازة، أرسل داود وأحضرها إلى القصر وتزوجها وولدت ابنا ولكن الرب استه من هذا الأمر الذي ارتكبه داود.

مثل ناثان النبي

١٢ وأرسل الرب ناثان إلى داود. وعلمنا وقد عليه **١٢** قل له، هناك رجلان في مدينة واحدة، أحدهما ثري والآخر فقير. وكان الثري يمتلك غنما بقر وغنم

2 Samuel 12

519 / 419

صموئيل الثاني ١٢

cattle,³ but the poor man had nothing except one little ewe lamb he had bought. He raised it, and it grew up with him and his children. It shared his food, drank from his cup and even slept in his arms. It was like a daughter to him.⁴ Now a traveler came to the rich man, but the rich man refrained from taking one of his own sheep or cattle to prepare a meal for the traveler who had come to him. Instead, he took the ewe lamb that belonged to the poor man and prepared it for the one who had come to him.⁵ David burned with anger against the man and said to Nathan, "As surely as the LORD lives, the man who did this deserves to die! He must pay for that lamb four times over, because he did such a thing and had no pity."

David Repents

⁷Then Nathan said to David, "You are the man! This is what the LORD, the God of Israel, says: 'I anointed you king over Israel, and I delivered you from the hand of Saul. ⁸I gave your master's house to you, and your master's wives into your arms. I gave you the house of Israel and Judah. And if all this had been too little, I would have given you even more. ⁹Why did you despise the word of the LORD by doing what is evil in his eyes? You struck down Uriah the Hittite with the sword and took his wife to be your own. You killed him with the sword of the Ammonites. ¹⁰Now, therefore, the sword will never depart from your house, because you despised me and took the wife of Uriah the Hittite to be your own.'

¹¹"This is what the LORD says: 'Out of your own household I am going to bring calamity upon you. Before your very eyes I will take your wives and give them to one who is close to you, and he will lie with your wives in broad daylight. ¹²You did it in secret, but I will do this thing in broad daylight before all Israel.' ¹³Then David said to Nathan, 'I have sinned against the LORD.' Nathan replied, 'The LORD has taken away your sin. You are not going to die. ¹⁴But because by doing this you have made the enemies of the LORD show utter contempt, the son born to you will die.'

The Death of David's Child

¹⁵After Nathan had gone home, the LORD struck the child that Uriah's wife had borne to David, and he became ill. ¹⁶David pleaded with God for the

كثيراً. ^٣وأما الفقير فلم يكن له سوى نعجة واحدة ضئيلة، اشترىها وزرعها فكبرت معه وتمع ألبانها، ثم يأكل وتشرّب من كأسه وتنام في حضنه كأنها ابنة. ^٤ثم نزل ضيف على الرجل الغني، فلتفتح أن يذبح من غنمه، ومن يقره ليعد طعاماً لضيفه، بل سخط على نعجة الفقير وهياها له. ^٥فجذب أخذته غضب داود على الرجل الغني وقال لبئان، ^٥خبي هو الرب، إن أخطي بشيء الموت، أعلم أن يرد للرجل الفقير أرملة أضعاف لأنه ارتكب هذا القلب ولم يشفق.

توبة داود

^٧قال لبئان لبداود، ^٧هئت هو الرجل، وهذا ما يقوله الرب، ^٧إنه إسرائيلي، لقد اخترتك لتكون ملكاً على إسرائيل، ^٨وأخذت من قبضة ساؤل، ^٨ووهبتك بيت سيك وزوجيه، ^٩وأنبتك على نبي إسرائيل وهولاً، ولو كان ذلك قليلاً لوهدتكم المرهبة، ^٩فليماذا أخفرت كلام الرب إذ عرف الشراً أمناً؟ قلت أوبيا الغني يسته الغميرين وتزوجت امرأته، ^{١٠}البلد لن يذوق السيف بينك إلى الأبد، لأنك أخفرتني واغضبت امرأة أوبيا الغني، ^{١٠}ولن تظرد، وهذا ما يقوله الرب، ساؤل عليك من أهل بيتك من منزل بك الألبان، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطوهن لغيرك، ^{١١}فهاجفهم في وضع النهار، ^{١١}أنت ارتكبت خطيتك في السر، وأنا أفعل هذا الأمر على مرأى جميع نبي إسرائيل وفي وضع النهار، ^{١٢}قال داود لبئان، قد أخطأت إلى الرب، ^{١٢}قال لبئان، والرب قد نقل عنك خطيتك، فلن تموت، ^{١٣}ولكن لأنك جعلت أعداء الرب يمشون من جراء هذا الأمر، فإن الابن المولود لك يموت.

موت الطفل

^{١٥}وأضرت لبئان إلى بيتي، ^{١٥}وما لبث أن أصاب الرب الطفل الذي أنجبته أرملة أوبيا الغني لبداود بمرض، ^{١٦}فأبتهل داود

child. He fasted and went into his house and spent the nights lying on the ground.¹⁷ The elders of his household stood beside him to get him up from the ground, but he refused, and he would not eat any food with them.¹⁸ On the seventh day the child died. David's servants were afraid to tell him that the child was dead, for they thought, "While the child was still living, we spoke to David but he would not listen to us. How can we tell him the child is dead? He may do something desperate."

¹⁹David noticed that his servants were whispering among themselves and he realized the child was dead. "Is the child dead?" he asked. "Yes," they replied, "he is dead."²⁰ Then David got up from the ground. After he had washed, put on lotions and changed his clothes, he went into the house of the LORD and worshiped. Then he went to his own house, and at his request they served him food, and he ate.²¹ His servants asked him, "Why are you acting this way? While the child was alive, you fasted and wept, but now that the child is dead, you get up and eat!"²² He answered, "While the child was still alive, I fasted and wept. I thought, 'Who knows? The LORD may be gracious to me and let the child live.'²³ But now that he is dead, why should I fast? Can I bring him back again? I will go to him, but he will not return to me."

The Birth of Solomon

²⁴Then David comforted his wife Bathsheba, and he went to her and lay with her. She gave birth to a son, and they named him Solomon. The LORD loved him;²⁵ and because the LORD loved him, he sent word through Nathan the prophet to name him Jedidiah.

١٤...

Victory over Rabbah

²⁶Meanwhile Joab fought against Rabbah of the Ammonites and captured the royal citadel.²⁷ Joab then sent messengers to David, saying, "I have fought against Rabbah and taken its water supply.

²⁸Now muster the rest of the troops and besiege the city and capture it. Otherwise I will take the city, and it will be named after me."

²⁹So David mustered the entire army and went to Rabbah, and attacked and captured it.³⁰ He took the crown from the head of their king—its weight was a talent of gold, and it was set with precious stones—and it was placed on David's head. He took

إلى الله من أجله. وأطاع الصيام وأغتصم بمخذه وبمخدرته والقرن الأرض. ^{١٧}فراح وجهه أهل بيته يجارولون إقتاعة إبتهن عن الأرض. فمى ولم يأكل منهم طعاماً. ^{١٨}غيز أن الطفل مات في اليوم السابع. فعلم رجال حاشية داود أن يجروه. وقفوا. بعلمنا كان الولد حياً وخالوتنا تغريته لم نضع إبتنا. فكيف نقول له إن الولد مات؟ قد يؤذي نفسه. ^{١٩}وإذ شاهد داود رجال حاشية يتهاشون. أذك أن الولد قد مات. فسألهم: هل تؤذي الولد؟ فاجابوا: نعم. ^{٢٠}عندئذ تم داود عن الأرض وأقتسل وتطيب وتدل بيته ودخل إلى بيت الرب وصلى ساجداً. ثم عاد إلى قصره وتلب طعاماً فاكل. ^{٢١}فسأله رجال حاشية: كيف تضررت هكذا؟ بعلمنا كان الضي حياً صمت وتكثت. ولكن ما إن مات حتى صمت وتناولت طعاماً؟ فاجاب: وجين كان الطفل حياً صمت وتكثت لأني حثلت نفسي: من تعلم؟ زبنا تزخني الرب وبخنا الولد. ^{٢٢}أما الآن وقد مات. فلبنا أسوم؟ هل نستطيع أن نرده إلى الحيا؟ أنا ماضي إليه. أما هو فلن يرجع إلي.

مولد سليمان

^{٢٤}ثم توجه داود إلى بثشبع وواساها وواساها. فولدت له ابناً دعاة سليمان. وأحب الرب الولد. ^{٢٥}وأمر الرب ناثان أن ينسئ الولد بجديا (ومعناه محبوب الرب) لأن الرب أحبه.

الاستيلاء على ربة صمون

^{٢٦}وهاجم ثواب ربة صمون واستولى على عاصمة المنلكتة. ^{٢٧}ثم بعث برسول إلى داود قبيلاً: لقد حاربت ربة واستوليت على مضاير مائها. ^{٢٨}فالآن أحشد بقية الجيش وتعال هاجم المدينة واكتبها. لئلا أهزها أنا صليلون أسمي عليها. ^{٢٩}فحشد داود كل الجيش وأطلق إلى ربة وهاجمها واقتتها. ^{٣٠}وأخذ تاج ملكهم عن رأسه. ووزنه وزنة (نحو أربعة وثلاثين كيلو غراماً) من الذهب والأحجار الكريمة.

١٤...

2 Samuel 12,13

521 / ٥٢١

سوراب الثاني ١٣، ١٢

a great quantity of plunder from the city³¹ and brought out the people who were there, consigning them to labor with saws and with iron picks and axes, and he made them work at brickmaking. He did this to all the Ammonite towns. Then David and his entire army returned to Jerusalem.

Amnon and Tamar

13 In the course of time, Amnon son of David fell in love with Tamar, the beautiful sister of Absalom son of David.² Amnon became frustrated to the point of illness on account of his sister Tamar, for she was a virgin, and it seemed impossible for him to do anything to her.³ Now Amnon had a friend named Jonadab son of Shimeah, David's brother. Jonadab was a very shrewd man. He asked Amnon, "Why do you, the king's son, look so haggard morning after morning? Won't you tell me?" Amnon said to him, "I'm in love with Tamar, my brother Absalom's sister."⁴ "Go to bed and pretend to be ill," Jonadab said. "When your father comes to see you, say to him, 'I would like my sister Tamar to come and give me something to eat. Let her prepare the food in my sight so I may watch her and then eat it from her hand.'"⁵ "So Amnon lay down and pretended to be ill. When the king came to see him, Amnon said to him, "I would like my sister Tamar to come and make some special bread in my sight, so I may eat from her hand."

⁷David sent word to Tamar at the palace: "Go to the house of your brother Amnon and prepare some food for him."⁸ So Tamar went to the house of her brother Amnon, who was lying down. She took some dough, kneaded it, made the bread in his sight and baked it.⁹ Then she took the pan and served him the bread, but he refused to eat.

"Send everyone out of here," Amnon said. So everyone left him.¹⁰ Then Amnon said to Tamar, "Bring the food here into my bedroom so I may eat from your hand." And Tamar took the bread she had prepared and brought it to her brother Amnon in his bedroom.¹¹ But when she took it to him to eat, he grabbed her and said, "Come to bed with me, my sister."¹² "Don't, my brother!" she said to him. "Don't force me. Such a thing should not be done in Israel! Don't do this wicked thing.¹³ What about me? Where could I get rid of my disgrace? And what about you? You would be like one of the

وتتزوج به. فَمَا اسْتَوَلَى عَلَى عَتَمَةٍ وَوَيْمَةٍ.^٢ وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَهَا وَكَرَّضَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمَنَابِرِ وَالْفُلُوسِ وَالْأَزْرَانِ الطُّوبِيِّ. وَعَمَلَتُ جَمِيعَ أَهْلِ مَدْيَنَ الْعَمُورِيِّينَ بِجِثْلٍ خَلْبٍ الْمُعْتَلَّةِ. ثُمَّ عَادَ دَاوُدُ وَسَائِرُ جُنُودِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

أمنون يتعصب لثامر أخت أبسالوم

وَكَانَ لِأَبْسَالُومَ بِنِ دَاوُدَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ تُدْعَى ثَامِرَ. **١٣** فَحَبَّبَهَا لَهَا بِرَأْفَةٍ الشَّيْخُ جُونَادَابُ ابْنُ شِمِيءَ. وَكَانَ أَمْنُونُ مِنْ سَفَمِ الْخَمْرِ، لِأَنَّهُ لَمَّا لَحِقَتْ كَثُرَتْ عَظْرَاتُهُ وَعَقَلَتْ عَلَيْهِ تَحْقِيقَ مَنَابِرِهِ وَبَنَانِهَا. وَكَانَ لِأَمْنُونِ صَبِيحٌ رَاجِحُ الْعَقْلِ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ، يُونَادَابُ بْنُ شِمِيءَ. فَسَأَلَهُ: «مَالِي أَرَأَيْتَ صَبِيحًا يَأْتِيكَ الْمَلِكُ نَوْمًا بَعْدَ نَوْمٍ؟ أَلَا تَحْقِرِيهِ؟» فَجَابَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ ثَامِرَ أُخْتِ أَبْسَالُومَ أُحِبُّ». فَقَالَ يُونَادَابُ: «تَتَرَضَّنُ فِي سَهْوِكَ. وَعَلَيْمًا بِحَيٍّ، أَمَّا أَنْ تَبْرُوكَ قُلْ لَهُ: «فَعِثْ ثَامِرَ أُخْتِي فَتَأْتِي بِطَعْمِي.» فَعِنْدَ لَوْ أَنَّهَا أَطْعَمَتِ أَمَامِي فَارَى مَا تَفْعَلُ» وَكَانَ مِنْ بَدْعِهِ. فَاسْتَطَاعَ أَمْنُونُ وَتَرَضَّنَ وَقَالَ لِأَيْدِي عَيْنَيْهَا جَاهِدَ لِتَبْرُوكَ، «فَعِثْ ثَامِرَ فَتَأْتِي بِطَعْمِي أَمَامِي كَمَا تَكُونِي، فَأَكُلُ مِنْ بَدْعِهِ.» فَارْسَلُ دَاوُدَ مَنْ يَدْعُو ثَامِرَ مِنْ بَنَاتِهَا قَوْلًا: «أَلْعَمِي إِلَى تَدْتِ أُخِيكَ أَمْنُونُ وَاطْعَمِي لَهُ طَعْمًا.» فَخَضَّتْ ثَامِرَ إِلَى تَدْتِ أُخِيكَ أَمْنُونُ الرَّزَائِقِ فِي سَهْوِهِ، فَجَعَلَتْ أَمَامَهُ الْعَجِينُ وَصَنَعَتْ كَفَكًا وَخَبَزَتْهُ. لَمَّا أَخَذَتِ الْبُقْلَةَ وَتَكَبَّتِ الطَّعَامَ أَمَامَهُ، لَيْكَلَهُ لَيْسَ لَنْ يَأْكُلَ قَوْلًا: «الْحَرِيحُوا كُلَّ مَنْ هُنَا.» فَانْحَرَفَتْ جَمِيعٌ مِنْ عِنْدِهِ. «لَمَّا قَالَ أَمْنُونُ لِثَامِرَ: «أُخِيرِي الطَّعَامَ إِلَى الشُّهُورِ وَالطُّوبِيِّ.» فَانْحَرَفَتْ ثَامِرَ الْكُفْلُوكَ الَّتِي صَنَعَتْهُ إِلَى أَمْنُونِ أُخِيكَ الرَّزَائِقِ فِي سَهْوِهِ. «وَمَا إِنْ لَمَسْتَهُ لَهُ حَتَّى اسْتَكْبَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَطْعَمِي أَطْعَمِي مَعِي بِأَلْحَمِي.»» فَجَابَتْهُ: «لَا يَا حَيُّ. لَا تُلْزِمْنِي. لِأَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ الشَّيْخِ فِي إِسْرَائِيلَ. أَرْتَجُونَ لَا تَزَكِيَتُ هَلِوَةَ الْقَبَاخَةِ.» إِذْ تَبِعَتْهُ أَوْرَبِي عَمْرِي! أَمَا أَنْتِ تَتَكُونُ بِصَفْوَتِكَ هَذَا تُوَجِدِينَ مِنَ الشُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ. خَالِصُ الْمَلِكِ بِشَأْمِي لِأَنَّهُ لَنْ

wicked fools in Israel. Please speak to the king; he will not keep me from being married to you.”¹⁴ But he refused to listen to her, and since he was stronger than she, he raped her.

¹⁵Then Amnon hated her with intense hatred. In fact, he hated her more than he had loved her. Amnon said to her, “Get up and get out!”

¹⁶“No!” she said to him. “Sending me away would be a greater wrong than what you have already done to me.” But he refused to listen to her. ¹⁷He called his personal servant and said, “Get this woman out of here and bolt the door after her.”

Absalom Kills Amnon

¹⁸So his servant put her out and bolted the door after her. She was wearing a richly ornamented robe, for this was the kind of garment the virgin daughters of the king wore. ¹⁹Tamar put ashes on her head and tore the ornamented robe she was wearing. She put her hand on her head and went away, weeping aloud as she went. ²⁰Her brother Absalom said to her, “Has that Amnon, your brother, been with you? Be quiet now, my sister; he is your brother. Don’t take this thing to heart.” And Tamar lived in her brother Absalom’s house, a desolate woman. ²¹When King David heard all this, he was furious. ²²Absalom never said a word to Amnon, either good or bad; he hated Amnon because he had disgraced his sister Tamar.

²³Two years later, when Absalom’s sheepshearers were at Baal Hazor near the border of Ephraim, he invited all the king’s sons to come there. ²⁴Absalom went to the king and said, “Your servant has had shearers come. Will the king and his officials please join me?” ²⁵“No, my son,” the king replied. “All of us should not go; we would only be a burden to you.” Although Absalom urged him, he still refused to go, but gave him his blessing. ²⁶Then Absalom said, “If not, please let my brother Amnon come with us.” The king asked him, “Why should he go with you?” ²⁷But Absalom urged him, so he sent with him Amnon and the rest of the king’s sons.

²⁸Absalom ordered his men, “Listen! When Amnon is in high spirits from drinking wine and I say to you, ‘Strike Amnon down,’ then kill him. Don’t be afraid. Have not I given you this order? Be strong and brave.” ²⁹So Absalom’s men did to Amnon what Absalom had ordered. Then all the

ينتفضي من الزواج بك. ¹⁴قلتي أن أسمع ليرسلها، بل تغلب عليها وأقتضيتها. ¹⁵لكن لم تحول حُب أمنون ليلاسر إلى بُغض شديد فإني تحبته لها. وقال لها، قومى اأطلقيني. ¹⁶فأجابته، ألا إن طردك إليّ جريمة أشنع من الجريمة التي أقررتكها. لئلا أنس أن أسمع لها. ¹⁷وأستدعى خايمته أخاص وقال، اطرزوا هذه المرأة خارجا، وأغلق الباب وراءها.

اغتيال أمنون

¹⁸طرزتها الخادم وأغلق الباب خلفها. وكانت تمار ترتدي ثوبا ملوئا زخماة بنات الملوك القلدي في تلك الأيام. ¹⁹فمزقت الثوب الملوّن وعظرت رأسها بالرماد ووضعت عليه يدها ونصت باكية. ²⁰وعندما رآها الحوفا أشالوم سألها، هل اغتصبك أمنون؟ أنت كفي الآن بأختي، فإني أخوك ولا تحملي يده هذا الأمر في قلبك. فقامت تمار في بيت أختها أشالوم في عزلة وحزن. ²¹وتما أخرجت إلى الملك نازة فاعتاظ جدا. ²²أما أشالوم فلم يحاطب أمنون بخير أو شر، لئلا أضمر له بغضا شديدا لأنه أنتهك حرمة أختي تمار.

²³وتند ذلك بعامين، وجّه أشالوم دعوة لجميع أبناء الملك ليحضروا جز غنم في بعل حاضور عند أفرابم. ²⁴وعندما مثل أشالوم في حضرة أبيه قال له، هذا موسىم جز غنم عندي، فليذهب الملك مع رجال حاشيته بروقة عبيده. ²⁵فأجاب الملك أشالوم، لا تأنبي. لا نذهب كلنا لئلا نكون عبئا عليك. وزعم إلحاح أشالوم، اعتذر أمون وتركه. ²⁶فقال أشالوم، إذا دع أخي أمنون نذهب معًا، قال الملك، ولماذا نذهب أمنون معك؟ ²⁷قال أشالوم حتى زعمي أن نذهب أمنون وأبناء الملك مع أشالوم.

²⁸وأوصى أشالوم رجاله، متى فقتبتم أخصر بعقل أمنون وقتلت لكم أضربوا أمنون وأقتلوه، فلا تخافوا. أنست أنا الذي أمرتكم بذلك؟ تضجعوا وتضربوا كالمال. ²⁹فقّد رجال أشالوم أوزيرة وقتلوا أمنون، فهب جميع أبناء الملك

Absalom Returns to Jerusalem

14 Joab son of Zeruah knew that the king's heart longed for Absalom. ²So Joab sent someone to Tekoa and had a wise woman brought from there. He said to her, "Pretend you are in mourning. Dress in mourning clothes, and don't use any cosmetic lotions. Act like a woman who has spent many days grieving for the dead. ³Then go to the king and speak these words to him." And Joab put the words in her mouth.

"When the woman from Tekoa went to the king, she fell with her face to the ground to pay him honor, and she said, "Help me, O king!" ⁴The king asked her, "What is troubling you?" She said, "I am indeed a widow; my husband is dead. ⁵I your servant had two sons. They got into a fight with

يوأب يتوسط لإعادة أبسالوم
 وَعَلِمَ يُوأبُ بْنُ زَرُؤِيَةَ أَنَّ قَلْبَ الْمَلِكِ مُتَشَوِّقٌ
١٤ لِأَبْسَالُومَ. فَاسْتَدْعَى يُوأبُ مِنْ تَعْوَاةٍ امْرَأَةً حَكِيمَةً
 وَقَالَ لَهَا: «تَظَاهِرِي بِالْحُزْنِ، وَأَرْتَدِي ثِيَابَ الْجَدَالِ، وَلَا تَطْبِئِي،
 وَتَصْرُفِي كَأَمْرَأَةٍ قَضَتْ أَلَمًا طَوِيلَةً غَارِقَةً فِي أَحْزَانِهَا عَلَى
 قَبِيلٍ.» وَأَدْخَلِي لِمَقْتَلَةِ الْمَلِكِ، وَكَلِّمِي بِمَا أُسْرَةُ إِلَيْكَ.
 وَقَلَّتْهَا يُوأبُ مَا تَقُولُ.
 وَأَمَلَتْ امْرَأَةُ التَّعْوَابِيَّةِ أَمَامَ الْمَلِكِ، وَخَرَّتْ عَلَى رُجُومِهَا
 إِلَى الْأَرْضِ وَتَحَدَّثَتْ قَبِيلَةً، «أَعِظْنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَسَأَلَهَا
 الْمَلِكُ: «مَا شَأْنُكَ؟ فَأَجَابَتْ: «أَنَا أَرْمَلَةٌ، مَاتَ رَجُلِي
 فَكَلَّمَا لِي ابْنَيْنِ، فَتَخَاضَمَا فِي الْحَطْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونِ

تاسع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر
القرآن الكريم لواقعة «أصحاب السبت»

62 - ﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47].

جاء ذكر «أصحاب السبت» في خمس من سور القرآن الكريم على النحو التالي:

1 - في سورة البقرة يأتي خطاب الله - تعالى - إلى بني إسرائيل مذكراً بعذاب الخارجين منهم على شرع الله ﷻ فيقول لهم: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آخَذُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّانَهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: 65، 66].

2 - وجاء في سورة «النساء» قول - ربنا تبارك وتعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكُذِّبَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ آدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: 47].

3 - وقال - عز من قائل - في نفس السورة: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: 154].

4 - وجاء في سورة «المائدة» قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّن ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعًا عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَضَّ عَلَىٰ عَنَقِهِ ذِكْرَهُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأُسْطُوخُ عَنِ السَّمَاءِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة: 60].

5 - وجاء في سورة «الأعراف» خطاب موجّه من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يأمره فيه أن يسأل غلاة اليهود في زمانه عن حادثة وقعت لأسلافهم، وحرصوا على إخفائها والتستر عليها، لما فيها من إهانة لهم، وقد بيّنها

اللَّهُ القادر لسيدنا محمد - صلوات ربِّي وسلامه عليه - حتى تكون شهادة له بالنبوة على الذين أنكروها من هؤلاء الغلاة فقال - تعالى -: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبِّكَزُ وَاللَّهُمْ يَعْتَدُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

[الأعراف: 163 - 166].

6 - وجاء في سورة «النحل» قول ربِّنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

[النحل: 124].

وفي تفسير هذه الآيات قال السدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ هُم أَهْلُ «أَيْلَةَ»؛ وَهِيَ مَرْفَأٌ عَلَى خَلِيجِ الْعُقْبَةِ قَامَ عَلَى قَرْيَةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ قَرْيِ «الْأَدُومِيِّينَ» كَانَتْ تَحْمِلُ هَذَا الْاسْمَ، ثُمَّ سُمِّيَتْ بِاسْمِ «أُمِّ الرَّشْرَاشِ» فِي ظِلِّ الْحَكْمِ الْمِصْرِيِّ. وَهِيَ أَرْضٌ مِصْرِيَّةٌ صَمِيمَةٌ، وَلَكِنْ تَغْيِيرُ اسْمِهَا مُؤَخَّرًا إِلَى «إَيْلَاتٍ» تَحْتَ الْاِحْتِلَالِ الصَّهْيُونِيِّ الَّذِي نَدَعُو اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَعِينَنَا عَلَى تَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْ دَنْسِهِ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَحِينَئِذٍ يَعُودُ اسْمُ «أُمِّ الرَّشْرَاشِ» لَهَا مِنْ جَدِيدٍ.

وكان عبد الله ونبيه سليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد وصل إلى تلك القرية التي ورد ذكرها مرّات في سيرته كما جاء في عدد من أسفار «العهد القديم» (الثنية: 2/8، الملوك الثاني: 9/26، أخبار الأيام الثاني: 8/17، حزقيال: 8/22).

وأهل قرية «أَيْلَةَ» كانوا يتحايلون على اصطياد الأسماك من البحر في يوم السبت الذي كانوا يعظّمونه بعدم العمل فيه. ومن أجل تحقيق ذلك كانوا يحفرون الحفر العميقة على طول الشاطئ، ويجعلون لها قنوات ضحلة إلى البحر. فإذا جاء

يوم السبت فتحوا تلك القنوات على البحر، فأقبل الموج بالأسماك ليلقي بها في عمق الحفر، فلا تستطيع الأسماك العودة إلى البحر مرة أخرى لقلّة الماء في القنوات الموصلة إليه، فتبقى في الحفر حتى يأتوا لجمعها في يوم الأحد. فقام المؤمنون من بين أهل «آيلة» بنصح المنافقين من بينهم بالتوقف عن تلك المخادعات الظاهرية لأنّهم بعملهم هذا كانوا كأنهم يصطادون فعلاً في يوم السبت، وحذّروهم من نزول عقاب الله - تعالى - بهم إن لم يرتدوا عن غيِّهم. ولكن المنافقين، الشرهين، الطامعين، من يهود «آيلة» لم يستمعوا إلى النصيحة، فأبى المؤمنون أن يساكنوهم في قرية واحدة. وكانت القرية محاطة بسور، فقام المؤمنون بقسمة القرية بجدار وسطي، وفتحوا لهم باباً في سور القرية، وأصبح للمعتدين في السبت بابهم الخاص بهم. وذات يوم خرج المؤمنون من بابهم، ولم يفتح الكافرون بابهم، فلمّا طال عدم خروج الكافرين تسوروا عليهم الحائط الفاصل بينهم، فإذا بالمعتدين في السبت قد مسخوا قرده وخنازير، وبقيت قصّتهم عبرة لمن لا يعتبر.

وانطلاقاً من رواية القرآن الكريم لهذه الواقعة الموغلة في القدم، فإن ربّنا - تبارك وتعالى - يأمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ الذي فيه تصديق لكلّ ما سبق نزوله من أمر الدين انطلاقاً من وحدة رسالة السماء. وتتهدهم الآيات إن لم يستجيبوا لأوامر الله، ولأوامر رسوله أن يطمس الله وجوههم، فلا يبقى لهم سمعاً، ولا بصراً، ولا شماً، أو أن يلعنهم كما لعن الذين اعتدوا في يوم السبت بالتحايل على اصطياد السمك فيه، وقد مسخوا قرده وخنازير.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القرده والخنازير أهي ممّا مسخ الله؟ فقال: «إنّ الله لم يهلك قوماً - أو قال لم يمسح قوماً - فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإنّ القرده والخنازير كانت قبل ذلك»⁽¹⁾. وعنه أنّه قال: سألنا رسول الله ﷺ عن القرده والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: «لا، إنّ الله لم

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر، حديث رقم (6714).

يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلماً غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم»⁽¹⁾.

ويأمر الله ﷻ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأن يسأل اليهود الذين كانوا بحضرته عن قصة الذين خالفوا أمر الله، ففاجأتهم نقمته على سوء صنيعهم بالاحتيال على صيد السمك في يوم السبت وكانوا قد حرّموا على أنفسهم العمل فيه.

قال محمّد بن إسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ابتدعوا السبت، فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل. فإذا جاء السبت جاءت شرعاً، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخرم أنفه ثم ضرب له وتدأ في الساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله، وفعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون، ولا ينهأ منهم أحد إلا عصبة منهم نهوه، حتى ظهر ذلك في الأسواق ففعل علانية...» وأضاف ابن عباس قوله: «كانوا أثلاثاً، ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: 164]. وثلث كانوا أصحاب الخطيئة...»⁽²⁾.

وكان الله - تعالى - قد شرع لبني إسرائيل يوم الجمعة للعبادة على لسان نبيّه موسى عليه السلام، فعدلوا عنه واختاروا السبت، فألزمهم الله - تعالى - به في شريعة التوراة، وأمرهم أن يتمسكوا بما اختاروا، وأن يحافظوا عليه، ولذلك قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [١٧٤]

[النحل: 124].

ومن معاني اختلافوا فيه هنا: اتبعوه وتركوا الجمعة، كما قال مجاهد رضي الله عنه، لأنه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (4078).

(2) ذكره البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (20690).

السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً، والنصارى بعد غد»⁽¹⁾.

واليهود توارثوا قصّة المسخ هذه ولكنهم أزالوها من كتبهم تماماً لما فيها من تحقير وامتهان لهم. ولكن شاء الله أن يبقى فيما بين أيديهم من كتابات ما يدمغهم بها. ففي الشريعة اليهودية إلى اليوم جدل حول إمكانية السماح بنشر مصائد لكل من الوحوش البرية والطيور المهاجرة والأسماك أم لا؟ ويرى «بت شمائي» (Beth Shammai) إمكانية ذلك في وضع النهار، بينما يرى «بت هليل» (Beth Hillel) جواز ذلك ليلاً ونهاراً. وهلل هذا كان يشغل منصب رئيس محكمة العدل اليهودية قبل ميلاد السيد المسيح ﷺ مباشرة. وكان يقول إنَّ وضع الشباك قبل يوم السبت لاصطياد الأسماك لا حرمة فيه، لأنَّ واضعها لم يعمل في يوم السبت (مشنا السبت 17 - ب = Mishnah of shabbath 17b). والمشنا هي الجزء الأوّل من التلمود (Talmud)، وتمثل مجموعة التقاليد الشفهية أو النصّ المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي. وتُلحق الفقرات القصيرة من «المشنا» بشروح مستفيضة جداً، وتكون هذه الشروح مجتمعة ما يسمى باسم «الجمارا» (Gemara)، وهي شروح المشنا وتمثل الجزء الثاني من «التلمود» أي مجموع المأثورات الشفوية اليهودية الدينية والمدنية. والتلمود كتاب موضوع، لا علاقة له بالتوراة المنزلة على موسى ﷺ. وكانت الطائفة اليهودية الوحيدة التي حرمت نشر شباك الصيد للسّمك وغيره قبل يوم السبت، ثم أخذه في اليوم التالي هي طائفة القرائين.

من هذا العرض نتّضح ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصّة «أصحاب السبت» التي كان اليهود قد أخفوها من الكتب التي ظلت متداولة بين أيديهم، وجاء كتاب الله - تعالى - يشتها عليهم من جديد.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، حديث رقم (876).

63 - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا

وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ [المائدة: 60].

من الدلالات الإنبائية والتاريخية والعلمية للآية الكريمة:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ...﴾ [المائدة: 60]:

جاءت الإشارة إلى مسخ العصاة من بني إسرائيل إلى قردة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم يقول فيها الحق - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾

[البقرة: 65].

2 - ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾

[المائدة: 60].

3 - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

[الأعراف: 166].

والقردة (Monkeys) من الثدييات المشيمية التي تنسب إلى رتبة الرئيسيات (Order Primates)، وتعيش القردة عادة متسلقة على الأشجار، وإن كان بعضها يحيا على الأرض. وتتميز القردة بكبر نسبي لحجم الجمجمة، وبتسطح الوجه، وبأقدامها ذات الأصابع الطويلة، وبالقدرة على التسلق بالتشبث بالأطراف. كما تمتاز هذه المجموعة من الحيوانات بزواج من الأعين القوية الإبصار والموجودة في مقدمة الرأس. وأبسط الرئيسيات تركيباً وجدت بقاياها في صخور عهد «الباليوسين» أو الفجر القديم للحياة الحديثة (Paleocene Period) - منذ نحو ستين مليون سنة مضت - وتعرف باسم البروسيمات (Porsimii)، وهي حيوانات صغيرة الحجم تشبه القردة إلا في استطالة وجهها. ثم وجدت بقايا الكوبلديات (Tarsiers) في عهد

«الأيوسين» أو فجر الحياة الحديثة (Eocene Period) - منذ نحو خمسين مليون سنة مضت - ثم فصيلة الليموريات (Lemurs)، ثم فصيلة زيبات الشجر (Tree Shrews)، ثم فصيلة «السعادين» أو قردة العالم القديم (Old World Monkeys)، وفصيلة «القردة مسترخية الذنب» أو قردة العالم الجديد (The New World Monkeys)، التي تتميز بصغر حجمها وطول ذنبها؛ وفصيلة «القردة الكبيرة الحجم» (Apes)، [ومنها الجبون (Gibbon)، والشامبانزي (Chimpanzee)، والغوريلا (Gorilla) والأورانج أوتان (Orangutan)]، وتتميز بكبر الحجم، وقصر الذنب.

والقردة تسير عادة على أربعة أرجل، ولكن البعض منها يستطيع أحياناً السير بشكل شبه معتدل على رجلين فقط، ممّا يعطي الطرفين الأماميين شيئاً من الحرية في الحركة في أثناء التسلق على الأشجار، وفي التقاط الطعام وتناوله. والقردة من الرئيسيات آكلة الأعشاب واللحوم (Omnivorous Primates)؛ وتحيا غالباً فوق الأشجار في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية. وهي حيوانات تتمتع بقدر من الذكاء، وبقدرة على التعلم؛ ولكن القرد حيوان حاد المزاج، يتسم بالأنانية الشديدة، وبالخيانة والغدر، والميل إلى الاستغلال، وحب التملق، وعدم الوفاء، وحب الرشوة واستمراءها. ولذلك كان المسخ من مرحلة الإنسانية إلى مرحلة القردة يعتبر امتهاناً وإذلالاً للعصاة من بني إسرائيل، وعقاباً من الله - تعالى - لهم. ولكن هؤلاء العصاة الذين مسخوا، لم يظل بهم العيش ولم ينسلوا، كما سبق وأن ذكرنا، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لم يعش مسخ من الخلق فوق ثلاثة أيام أبداً، ولم يأكل، ولم يشرب ولم ينسل»⁽¹⁾. ويروي الإمام أحمد عن أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - أنه قال: «سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ قال: «لا، فإن الله عز وجل لم يلعن قوماً قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب

(1) تهذيب الآثار للطبري رقم (448).

الله ﷻ على اليهود مسخهم فجعلهم مثلهم»⁽¹⁾.

ويروي الإمام مسلم عن سفيان الثوري عن ابن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي ممّا مسخ الله؟ فقال: «إنَّ الله لم يهلك قوماً - أو قال: لم يمسخ قوماً - فجعل لهم نسلًا ولا عقبًا، وإنَّ القردة والخنازير كانت قبل ذلك»⁽²⁾.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿...وَالْخَنَازِيرَ...﴾ [المائدة: 60]:

وصف القرآن الكريم حيوان الخنزير بأنّه رجس، وحرّم الله - تعالى - أكله في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم: (البقرة: 173، المائدة: 3، الأنعام: 145، النحل: 115). وجاءت الإشارة إلى مسخ عصاة اليهود إلى كل من القردة والخنازير معاً في آية واحدة (المائدة: 60).

ولفظه (رجس) هي لفظة جامعة لكلّ معاني القذارة والقبح، والنجاسة، والإثم. والخنزير حيوان ضخم الجثة، كتلي الشكل، كريح المنظر، مكتنز اللحم والشحم، قصير الأرجل، طويل البوز، قوي الأنياب، له جلد سميك مغطى بشعر خشن، وهو حيوان جشع، كسول، رمام، يأكل النبات والحيوان والقمامة والجيف، كما يأكل فضلاته وفضلات غيره من الحيوانات. وهذا من أسباب قيام الخنازير بدور كبير في نقل العديد من الأمراض الخطيرة للإنسان الذي يربّيه أو الذي يأكل لحمه وشحمه، خاصة وأن كلاً من الخنزير والإنسان الذي يأكل لحمه وشحمه يصنّف في مجموعة واحدة - حسب نظام الأكل - هي مجموعة «آكلي كل من الخضروات واللحوم» (Omnivorous) وهذا مما يسهّل اكتمال دورة مسببات الأمراض بينهما.

والخنازير من الحيوانات الثديية السريّة (Placental Mammals) التي تلد

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

وترضع صغارها، ولها حافر مشقوق يحمل عدداً زوجياً من الأصابع (أربعة أصابع)، ولذلك يضمّ في مجموعة من الثدييات المشيمية تعرف باسم (الحافريات زوجية الأصابع)، وقد عمرت الأرض خلال الخمسين مليون سنة الماضية من بدايات عهد «الإيوسين» أو فجر الحياة الحديثة (The Eocene Period) إلى اليوم. ولكن الخنازير تفصل عن هذه المجموعة من الحيوانات بكونها رمامة، وغير مجترّة، وقدرة، وناقلة للعديد من الأمراض.

وتضم الخنازير عدداً من الأنواع البرية والمستأنسة، والتي تجمع كلها في فصيلة واحدة تعرف باسم «فصيلة الخنازير» (Family Suidae). ويسمى الذكر منها باسم «العفر» (Boar)، وتسمى الأنثى باسم «الخنزيرة» (Sow) وهي من النوع الولود. والخنزير المخصي يعرف باسم «الحلوف» (Hog)، ويستعار اللفظ في اللغة الإنجليزية لوصف كل قدر، شره، أناني من البشر. وتستخدم لفظه (Swine) الإنجليزية للتعبير عن الخنزير بصفة عامة، سواء كان ذكراً أو أنثى، مخصياً أو غير مخصي، مستأنساً أو غير مستأنس. وتستعار هذه الكلمة كذلك لوصف كل إنسان حقير النفس، بخيل اليد، قدر المأكّل والملبس، متصف بالخيانة، والجبن، والغدر، وبغير ذلك من أحقر الصفات. لذلك فإن هذه اللفظة إذا أُطلقت على الأنثى كان لها من الحقارة حظ وافر، بالإضافة إلى وصفها بالمرأة الساقطة المجردة من كل فضيلة. لذلك مُسَخَّ العصاة من بني إسرائيل من مستوى الآدمية المكرمة إلى مستوى الخنازير القذرة المهانة. وكان ذلك عقاباً من الله - تعالى - لهم على فجرهم وانغماسهم في المعاصي إلى آذانهم، وحرهم المعلنة على كلّ ما هو غير يهودي (الأغيار، أو الأمميّين، أو الأميين أو الجويم) وذلك بالمؤامرات، والخيانة، والغدر، والظلم، والقهر، والمذابح عبر تاريخهم الأسود الذي يشهد عليهم بذلك.

ومن أقوال رسول الله ﷺ في أحاديث المسخ لليهود قرده وخنازير تأكيد على وقوع ذلك، وإثبات لتوقف حياة الممسوخ وعدم إنساله، وفصل للممسوخين عن القرده وخنازير التي خلقت على هيئاتها الحيوانية، وهذا كله من المعجزات

العلمية في أحاديثه ﷺ، لأنه لم يكن ممكناً لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده أن يعلم بأن خلق كل من القردة والخنازير كان سابقاً لخلق الإنسان، ثم بدأت دراسات بقايا الحياة في صخور القشرة الأرضية تثبت ذلك بالتدريج خلال القرنين الماضيين.

ثالثاً: في قوله - تعالى - ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: 60]:

والمقصود بالتعبير القرآني (عبد الطاغوت) أي عبده وخدامه. والطاغوت لغة هو كل مجاوز للحد، ومبالغ في العصيان لله - تعالى - وذلك من مثل من يقوم بعبادة الشيطان، أو الكاهن، أو عبادة كل رأس في الضلال (مفرداً كان أو جمعاً) والكلمة تجمع على (طاوغيت). وكل حكم لا يبنى على أساس من شريعة الله هو طاغوت (أي كفر). وسواء كان هذا الكفر في حق الله - تعالى - (بانكار ألوهيته، أو حاكميته، أو وحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه)، أو كان في حق العباد (بالتأمر عليهم، أو الغدر بهم، أو خيانة أماناتهم، أو الاعتداء على حرياتهم وحقوقهم، أو على دمائهم أو أعراضهم، أو أموالهم، أو ممتلكاتهم، أو مقدساتهم أو أراضيهم)، فكل ذلك من صور الطاغوت الذي حرّمه الله - تعالى -.

ويهود اليوم يمثلون ركازة الكفر عبر التاريخ، ولذلك فإنهم يجسدون عبادة الطاغوت في أقبح صورها. ويهود الماضي البعيد ما كانوا يتبعون أحد أنبيائهم لفترة من الفترات حتى يكفروا به، ويعودوا إلى الشرك بالله، وإلى عبادة الطاغوت. ولذلك فإن اليهود حاربوا كل نبيّ بعث إليهم، وحرّفوا كل رسالة أنزلت عليهم، ولذلك لعنهم القرآن الكريم، كما لعنهم من قبل كل من أنبياء الله موسى، وداود، وعيسى ابن مريم ﷺ. وركازة الكفر هذه من غلاة اليهود والمتهودين اتخذت من محاربة قضية الإيمان بالله - تعالى - غاية لها في الحياة الدنيا، وجعلت من تحريف الدين وسيلة من وسائل الاستعلاء في الأرض. كما جعلت من كل من الجريمة، والرذيلة، وسوء الاستغلال، حرفاً احترفوها عبر التاريخ،

فكرهتهم كل المجتمعات الإنسانيّة وأبغضتهم، ونبذتهم، واضطهدتهم، واعتبرتهم جنوداً للشيطان وعبدة للطاغوت في الأرض.

ولو لم ينزل في القرآن الكريم سوى هذه الآية لكانت كافية للشهادة له بأنّه كلام الله الخالق. وذلك لأن عبادة الطاغوت كانت ولا تزال السبب الرئيس لإفساد الحياة على الأرض، وإشقاء أهلها جميعاً.

رابعاً: في قوله - تعالى - ﴿...أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۖ﴾ [60]

[المائدة: 60].

في هذا النصّ القرآني الكريم يخبرنا ربّنا - تبارك وتعالى - من قبل ألف وأربعمائة سنة عن طبيعة النفسية اليهوديّة المريضة، التي تكره كل ما هو غير يهودي، وتحقد عليه، وتسعى لتدميره بكل وسيلة ممكنة. وقد كان هذا هو دينهم عبر تاريخهم الأسود إلى اليوم، وسيبقون كذلك إلى قيام الساعة. وكمثال واحد على كراهية اليهود لغيرهم من البشر نذكر أنه في الفترة (من 12 يوليو إلى منتصف أغسطس 2006) أغارت الطائرات الإسرائيليّة القيادة (والأمريكيّة الصنع) في أسراب متلاحقة على مدار الساعة، ولمدّة تجاوزت ثلاثين يوماً لتضرب كل شيء في كلّ من قطاع غزّة، والضفّة الغربيّة، والأراضي اللبنانيّة بالصواريخ والقنابل الثقيلة، المنضّبة منها وغير المنضّبة، والفوسفورية، والعنقوديّة، والذكيّة منها والغبيّة، وغيرها من الأسلحة المحرّمة دولياً والتي زوّدتها بها الإدارة الأمريكيّة. وهذه الغارات الوحشية لم تدع شبراً من تلك الأرض دون تدمير، وحرائق، ومذابح بشريّة (بين المدنيين العزل من الأطفال، والنساء، والشباب والشيوخ، وبين كل من الأصحاء والمرضى، والعجزة، والأطباء والمرمّضين، وحتى بين كل من رجال ونساء الإعلام، وجنود وضباط هيئة الأمم المتحدّة). وكان هذا التدمير يندفع من ارتفاع عدّة كيلومترات، ثم تنسحب الطائرات كاللّص المتسلل ليل. أمّا على الأرض فكان الجنود الصهائنة ينسحبون من أي مواجهة مع المقاومة كالجرذان المدعورة لأنّهم كما يصفهم ربّ العالمين:

﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾

[البقرة: 96].

وقد نتج عن هذا القصف الوحشي، الهمجي، غير الإنساني، من الطائرات، والدبابات، وبطاريات الصواريخ، والبوارج البحرية، والمدفعية الثقيلة قتل أكثر من ألف من المدنيين، وجرح أضعاف هذا العدد، وتهجير أكثر من مليون نفس، وتدمير البنية الأساسية في كل من فلسطين ولبنان تدميراً كاملاً (الطرق والجسور، والمطارات والموانئ البحرية محطات المياه والكهرباء، مخازن كل من الغذاء والدواء، والنفط، ومساكن المدنيين، والمستشفيات والمستوصفات، ورياض الأطفال، والمدارس، والمعاهد، والكلية، والمساجد والكنائس، والملاجئ، والمصانع والمزارع). حتى منشآت الأمم المتحدة وقواعدها وقواتها. ولم يسلم من هذا العدوان الغاشم الحاقد المتآمر على كل ما هو غير يهودي شيء.

وكان هذا هو دأب الصهانية في المنطقة العربية منذ أن ابتليت بهم، وذلك انطلاقاً من ادّعائهم الباطل بانقسام البشرية إلى يهود وأميين (أو أميين، أو أغيار، وهم جميع من هم غير اليهود). واليهود - في نظرهم العنصرية الضيقة تلك - يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وأبناءه وأحبّاءه، وصفوة الخلق المميزين فوق جميع البشر لأنهم شعب مقدّس. وفي نفس الوقت فإن الصهانية اليهود يعتبرون كل من هم سواهم من بني آدم، مجرد حيوانات خلقت في هيئة الآدميين حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. وما دامت العلاقة كذلك، أصبح لليهود الحق في إبادة الأميين، والاعتداء عليهم، وعلى دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، ومقدّساتهم، وأراضيهم. وهذا الأسلوب الخاطئ ظلّ اليهود يمارسونه منذ أن ابتليت البشرية بهم إلى اليوم. وقرأوا إن شتم ما زوّروه على الله في أسفارهم حتى يبرّروا جرائمهم ضد الإنسانية (من أمثال: سفر «الثنية» 19/1 - 20)، سفر «صموئيل الأول» 9، 3/10، 15/27، وسفر «صموئيل الثاني» 11/1 - 27، سفر «الأعداد» 3/17 - 11، سفر «يوشع» 6/8 - 16/24، 13/24، 28، سفر «أخبار الأمم الأوّل» 8/22، سفر «اللاويين» 25/44 - 46) حتى تروا العجب العجاب، وتروا صدق قول

رَبَّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِيهِمْ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
[المائدة: 60].

والإخبار الإنبائي في هذا النص القرآني الكريم يثبت لكل ذي بصيرة أن هذا الكتاب الخالد هو كلام الله الخالق، ويشهد للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

64 - ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: 163].

يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَعَلَّاهُمْ يَنْتَقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ يَوْمَ كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 163 - 166].

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ...﴾ والأمر موجّه إلى رسول الله ﷺ ليسأل غلاة اليهود في زمانه سؤالاً بصيغة التوبيخ والتقرير والاستنكار عن واقعة اليهود في «آيلة» والتي كانوا قد طمسوها من كتبهم، في محاولة لإنكارها لما فيها من الإهانة لأسلافهم، والتحقير لهم.

وهناك إجماع على أن القرية المقصودة في هذه الآية الكريمة هي «آيلة»، التي سميت بأمر الرشراش، ثم باسم «العقبة» بعد القرن الخامس عشر الميلادي نسبة إلى جبل العقبة الموجود بالقرب منها، والذي كان يعرف باسم «عقبة آيلة». ومدينة العقبة الحالية أنشئت على أنقاض مدينة «آيلة» التي سكنت منذ ما قبل التاريخ، وقد عمرها كل من الأدوميين، والآشوريين، والعبرانيين، والبابليين، والفرس، واليونان، والأنباط، والرومان، والعرب. وأهل «آيلة» اعتنوا بتربية الماشية، والزراعة، والملاحة، والصيد، وفي صناعة الأدوات المعدنية خاصة بعد

استخراج النحاس من «وادي عربية» القريب منهم. وفي سنوات الجفاف كانوا يتوجهون إلى مصر طلباً للطعام، وقد ذكرهم قدماء المصريين باسم «الشاسو» أو المحاربين الأشداء، وذكروا أرضهم باسم «كوشو». وقد قام داود ﷺ بفتح «آيلة» وضمها إلى مملكته في حدود القرن العاشر الميلادي. ثم استقام الأمر من بعده لابنه سليمان ﷺ في «آيلة»، واستخدم ميناءها الذي أصبح البوابة الجنوبية لمملكته، حتى قيل أن «بلقيس» ملكة سبأ قدمت إلى مملكة سليمان عن طريق ميناء «آيلة». ولكن بعد وفاة سليمان ﷺ قام الأدوميون بطرد اليهود من «آيلة» بالكامل.

ولم يرد اسم «آيلة» صريحاً في القرآن الكريم الذي أورد قصة «أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر». وهناك إجماع من كل من ابن عباس، وعكرمة، والسدي ﷺ على أن هذه القرية هي «آيلة»، وأن هذه الواقعة حدثت في زمن داود ﷺ في حدود القرن العاشر قبل الميلاد.

ولفظه (القرية) تعني البلدة الجامعة للناس، أي المدينة، مما يؤكد أن «آيلة» كانت مدينة عامرة في زمن الواقعة التي تتحدث عنها هذه الآية الكريمة. ويذكر لفظ «القرية» في القرآن الكريم عادة مع أهل المعاصي، مما يشير إلى أن هذه القرية قد ضمت عدداً من العصاة، وهو ما تؤكد الآية الكريمة. و(حاضرة البحر) أي القريبة منه، المشرفة على شاطئه. وفي ذلك إشارة إلى أنها كانت مدينة متحضرة، لأن كلمة (حاضرة) هي عكس بادية.

وتؤكد الآية الكريمة أن جماعة من أهل هذه القرية من اليهود كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد في يوم السبت، وكان محرّم عليهم العمل فيه. وكانت حيتان الأسماك تأتيهم ظاهرة من كل ناحية على وجه الماء في يوم السبت، دانية من الشاطئ، لأن من معاني (شرعاً) شارع أي: ظاهرة على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق، (جمع شارع، من شرع عليه إذا دنا منه وأشرف عليه. وكل شيء دنا من شيء آخر فهو شارع، ولذلك يقال دار شارع، إذا دنت من الطريق)، ودانية من الساحل، أي: قريبة منه. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي في يوم لا يعظمونه كتعظيم يوم السبت، أي: في سائر أيام

الأسبوع غير يوم السبت. يقال: (سبت فلان) إذا عظم يوم السبت؛ وقد اختبرهم الله بإظهار الحيتان لهم على ظهر الماء يوم السبت، وإخفائها عنهم في غيره من أيام الأسبوع.

ثانياً: في قوله - تعالى -:

﴿كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: كذلك نمتحنهم ونختبرهم بالشدائد كمثل ذلك الابتلاء بظهور الحيتان على وجه الماء، دانية من الشاطئ في يوم السبت، وإخفائها في غيره، لننظر هل سيثبتون على تعظيم يوم السبت الذي اختاروه أم لا يثبتون؟ وذلك بسبب فسق غالبيتهم ليظهر منهم المحسن من المسيء.

وكان أهل آيلة قد افترقوا إلى ثلاث فرق: فرقة اعتدت على أوامر الله بالصيد في يوم السبت، وفرقة نهت عن هذا الاعتداء، وفرقة ثالثة سكتت فلم تفعل ولم تنه عن هذا الفعل، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأجابت بأنها فعلت ذلك معذرة إلى الله لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات كل مؤمن. والمعذرة هي التنصل من الذنب ﴿مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي اعتذار إلى الله، وأملاً أن ينتفعوا بموعظتنا لهم. ولما لم يستجيبوا لناصحيهم، أخذهم الله بالعذاب الشديد، ونجى الفرقة الناهية عن المعصية. أما الفرقة الصامته فقبل أنها نجت، وقيل أنها هلكت مع الهالكين، والله - تعالى - أعلم بهم. لذلك قال - وقوله الحق -: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ﴾ (١٦٥) أي: فلما ترك هؤلاء الظالمين ما وعظوا به من رفاقهم، أنجينا هؤلاء الذين نهوا عن الأعمال السيئة من العذاب، وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء على حرمة يوم السبت بعذاب شديد، بسبب استمرارهم في معاصي الله، والخروج عن طاعته. و(العذاب البئيس) هو الشديد الإيلام والوجع.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه، وأبوا الرجوع عن معصية الله، وتجاوزوا الحد في ذلك: ﴿فَلَمَّا هُمْ كَافِرُونَ قَرَدَةً حَسِيبَاتٍ﴾ أي: مسخهم

الله - تعالى - على هيئة القردة، وهم صاغرون أذلاء، محرومون من كل خير، وهؤلاء العصاة الممسوخين كانوا من يهود مدينة «آيلة».

عن عكرمة رضي الله عنه قال: «جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو منه، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس - جعلني الله فداك؟ - فقال: هؤلاء الوراقات. قال عكرمة: وإذا هو في سورة «الأعراف». ثم قال: تعرف «آيلة»؟ قلت: نعم. قال: كان بها حي من اليهود...» وذكر القصة.

وفي كتابه المعنون «آثار البلاد وأخبار العباد» ذكر القزويني قصة القرية حاضرة البحر فقال: «آيلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. كانت مدينة جليلة زمن داود، والآن يجتمع فيها حجيج الشام ومصر ومن جاء بطريق البحر، وهي القرية التي ذكرها الله - تعالى - حاضرة البحر. كان أهلها يهوداً حرم الله - تعالى - عليهم صيد السمك في يوم السبت، وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاء سمناً كأنها الماخض حتى لا يرى وجه الماء لكثرتها، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم. فكانوا على ذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان وسوس إليهم قائلاً: إنما نهيتم من صيدها يوم السبت، فاتخذوا حياً حول البحر وسوقوا إليها الحيتان يوم السبت فتبقى محصورة، واصطادوها يوم الأحد. ففعلوا ما أمرهم به الشيطان خائفين، فلما رأوا العذاب لا يعاجلهم أخذوا، وأكلوا، وملحوا، وباعوا. وكان أهل القرية نحواً من سبعين ألفاً، فصاروا أثلاثاً: ثلث ينهون القوم عن الذنب، وثلث قالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم، وثلث يباشرون الخطيئة. فلما تنبهوا قال الناهون: نحن لا نساكنكم، فقسموا القرية، وجعلوا للناهين باب وللمعتدين باب، ولعنهم داود. وأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم لم يروا من المعتدين أحداً، قالوا: إن للقوم شأن ولعل الخمر غلبتهم، فعلوا الجدار ونظروا فإذا هم قردة، فدخلوا عليهم، والقردة تعرف أنسابها، والناس لا يعرفونها، فجعلت القردة تأتي أنسابها من الإنس فتشم ثيابهم وتذرف الدمع، فيقول

نسيبها: ألم أنك عن سوء؟ فتشير القردة برأسها نعم، ثم ماتت بعد ثلاثة أيام». وقال قتادة: «صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم».

ومن أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآيات الكريمة [الأعراف: 163 - 166] أن سورة «الأعراف» نزلت بمكة قبل ملاقة رسول الله ﷺ لأي من اليهود. وهنا لا يمكن لمدّع أن يدّعي بأن رسول الله ﷺ قد سمع القصة من يهود المدينة، خاصة وأن «العهد القديم» لم يورد هذه القصة، وأن اليهود ينكرونها إنكاراً كاملاً لما فيها من إساءة إلى أسلافهم. لذلك استهلّت الآيات الموجهة إلى رسول الله ﷺ بقول ربنا - تبارك وتعالى - له: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ مما يشير إلى أن اليهود كانوا يعرفون القصة ولكن ظلوا يحاولون إنكارها وطمسها. وفي قوله - تعالى -: ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إشارة إلى قرية لم تعد قائمة، والآثار التاريخية تشير إلى أن مدينة «آيلة» قد تعرضت لزلزال عظيم قضى عليها ومحاهها من الوجود.

وهذه القصة عن أهل «آيلة» تثبت لكل ذي بصيرة وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي فيها مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام ربّ العالمين، وتشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

عشرون: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه سليمان ﷺ

هو عبد الله ونبيه سليمان بن داود ﷺ وقد جاء ذكره في القرآن الكريم سبعة عشر مرة، يشرح كل منها موقفاً من المواقف الهامة في سيرة هذا النبي الصالح على النحو التالي:

1 - ما يؤكد أن كلا من داود وسليمان من أنبياء الله، وأنهما من نسل كل من إبراهيم ونوح - عليهم جميعاً من الله السلام -، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 83، 84].

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 163].

2 - ما يمدح عبد الله ونبيه سليمان ﷺ بكثرة التوبة والإنابة إلى الله - تعالى -:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: 30].

3 - ما يؤكد ميراث سليمان لأبيه داود في الملك والنبوة، وليس في المال والممتلكات فقط، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»⁽¹⁾، وفي ذلك يقول الله - تعالى -:

(1) أخرجه البخاري في كتاب الخمس حديث، رقم (3093).

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنَظِقَ الظَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 15، 16].

4 - ما يشير إلى واقعة تفوّقت فيها حكمة سليمان على حكمة أبيه، وفي ذلك يسجل القرآن الكريم قول ربنا - سبحانه -:

- ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 78، 79].

5 - ما يصف حب سليمان للخيل، وابتلاء الله - تعالى - له بفتنة المرض، ودعاء هذا العبد الصالح لله الوهاب أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر الله ﷻ له كلاً من الريح والجن، والطير، وأسأل له عين القطر (أي النحاس المصهور)، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

- ﴿وَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِينَتِ لِيُجَادِ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَالْآخِرِينَ مُفْرَقِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزُومٌ مِّمَّا يَخْتَفُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: 30 - 40].

6 - ما يصف تسخير الريح لسليمان ﷻ، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

- ﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَكِيمِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء: 81، 82].

7 - ما يصف تسخير كل من الجن والإنس والطير لسليمان ﷺ وتعليمه لغة النمل، وفي ذلك يقول الله - تعالى -:

- ﴿وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَهُ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

[النمل: 17 - 19].

8 - ما يصف إسالة عين القطر (وهو النحاس المصهور) مع تسخير كل من الريح والجن بأمره وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

- ﴿وَلَسْلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَوْحَهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

[سبا: 12، 13].

وقد ثبت وجود أعمال قديمة لاستخراج النحاس في شمال وادي عربة، وقد كانت خامات النحاس تُجلب من أماكن استخراجها إلى منطقة «تل المقص» بالقرب من مطار العقبة الحالي، ويبعد حوالي 4 كم شمال ميناء العقبة، حيث كانت تُصنع لاستخراج النحاس منها، وتصديره خاماً ومُصنَّعاً إلى البلاد المجاورة عبر موانئ خليج العقبة (آيلة، وعصيون جابر).

9 - ما يصف واقعة الهدهد مع عبد الله ﷺ ونبيه سليمان ﷺ، وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه:

- ﴿وَتَقَدَّ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَكَ عَيْرٍ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِشْتُكَ مِنْ سَلِيمٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ

الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعَلِّمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي
هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [النمل: 20 - 28].

10 - ما يصف واقعة ملكة سبأ مع عبد الله ونبيه سليمان عليهما السلام، وفي ذلك نقراً في
القرآن الكريم ما نصه:

- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيَّى إِلَهِیْ إِيَّكَ كَتَبْتُ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَاؤُا قُوَّةٍ وَأُولَاؤُا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي
مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آدِلَةً وَكَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
أَتِيدُونَنِي بِعَالٍ مِمَّا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَتَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا يَبْلُغُونَ لَهَا بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آدِلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ [النمل: 29 - 37].

11 - ما يصف واقعة نقل عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى القدس الشريف عبر
طرفة عين بمعجزة خارقة للعادة، ثم محاولة التغيير في بعض ملامحه، وفي
ذلك يسجل القرآن الكريم ما نصه:

- ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيُّ مَنِ الْيَمِينِ
أَنَا وَإِيَّكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَنَا وَإِيَّكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرُّوا
لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ [النمل: 38 - 41].

12 - ما يصف وصول بلقيس ملكة سبأ إلى قصر سليمان بالقدس، وإعلانها بقبول
الإسلام ديناً معه، وفي ذلك ينطق القرآن الكريم بما نصه:

- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا أَلَعَلَّ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمِ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا
 رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل: 42 - 44].

13 - ما يصف افتراء اليهود على عبد الله ونبيه سليمان بأنه لم يكن نبياً، ولكن ساحراً يستمد العون من السحرة:

- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ
 كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِأَيْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ
 أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
 وَرَوْحِهِ وَمَا هُم بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ أُشْرِبَهُ مَا لَمْ يَكُن فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ
 لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ [البقرة: 102، 103].

14 - ما يصف وفاة هذا النبي الصالح سليمان بن داود عليه السلام، وفي ذلك يقول الحق - تبارك اسمه -:

- ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا
 خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [سبا: 14].

ومعظم هذه الوقائع لم يرد عنها شيء في «العهد القديم»، مما يجعل كل واحدة منها معجزة إنبائية وتاريخية حقيقية بذاتها. وهذه الوقائع تُصَحِّح التشويه الذي ساد ذكر عبد الله ونبيه سليمان في «العهد القديم» الذي مُلِئَتْ صفحات عديدة منه بأساطير نزعَت عن هذا النبي الصالح النبوة، وقصرت عليه الملك، واتَّهَمته بأنه تزوّج من سبعمئة امرأة، بالإضافة إلى أنه كانت له ثلاثمئة مَحْظِيَّة. وزاد اتِّهامهم لشخصه الكريم بالافتراء الكاذب عليه بأنَّ جميع نساءه كُنَّ من عبدة الأصنام، وبأنَّ تلك النسوة قد حوَّلْنَ قلبه من عبادة الله إلى عبادة

الأصنام، وأغرينه ببناء تماثيل لها، وبتقديم القرابين والبخور إليها حتى خسر رضاء الله بالكامل، وهو النبي الصادق الموصول بالوحي، والذي يقول عنه القرآن الكريم:

- ﴿وَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَنَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: 30].

- ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ داوُدَ وَقَالَ يَتَّيُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: 16].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: 76].

هذا النبي العابد الأواب «سليمان» ابن النبي العابد الأواب «داود» ﷺ، وقد أفاض القرآن الكريم في مدحهما، نجد «العهد القديم» قد شوّه صورة كل منهما تشويهاً بالغاً. فالعهد القديم يدعي على سليمان ﷺ بأنه حفيد زنى المحارم، وأنه ابن زنى، بدعوى أن أباه اغتصب أمه من زوجها الذي كان أحد جنوده. كما ادعى كُتّاب «العهد القديم» على عبد الله ونبيه سليمان بأنه تزوّج من سبعمئة امرأة، واتخذ لنفسه ثلاثمئة سرية، فكان عنده ألف امرأة عدا ابنة فرعون المشركة عابدة الأوثان، وعدا غيرها من بنات الترفيه حسب ما جاء في سفر «ملوك الأول». هذا بالإضافة إلى ما جاء عن هذا النبي الصالح، الحكيم، الموصول القلب بالله في سفر «نشيد الأنشاد» من «العهد القديم» بمضامين وأساليب لا تليق بأكثر الناس فسقاً وانحطاطاً اليوم.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه سليمان ﷺ:

- 1 - ضرورة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
- 2 - إنَّ بيت الصلاح والإيمان ينبت المؤمنين الصالحين، والعكس صحيح.
- 3 - إنَّ اكتساب كل من العلم النافع، والحكمة، وفصل الخطاب، مع حسن الفهم، هي من وسائل التفاضل بين الناس.

4 - إنَّ كل ما في الوجود من جمادات، ونباتات، وحيوانات، وأناسي، وجن (ما عدا عصاة كل من الإنس والجن) له قدر من الذاكرة، والوعي، والإدراك، والشعور، والانفعال، والتعبير، وله لغة، وله تسييح، وعبادة لله - تعالى - وإن لم نفهم نحن معاصر البشر العاديين لغات غيرنا من خلق الله.

5 - إنَّ الأنبياء لا يورثون، وأنَّ ما يتركوه هو صدقة.

6 - إنَّ المسجد الأقصى بناء مبارك، مقام على بقعة مباركة من اليابسة، وقد بنته الملائكة لعباد الله الصالحين بعد بناء الكعبة المشرفة بأربعين سنة. لذلك باركه الله يوم خلق السماوات والأرض كما حرّم مكة المكرمة. وكان الأقصى مسجداً لسليمان، كما كان لغيره من أنبياء الله الموحدين من قبله ومن بعده، ولم يكن في يوم من الأيام هيكلًا خاصاً بسليمان (كما يدعي اليهود)، ومن ثم فلا حقّ فيه لأحد من غير المسلمين.

7 - إنَّ الدِّعاء هو مَحَّ العبادة كما مارسه كل من داود وسليمان وقال به رسول الله ﷺ.

8 - إنَّ الله - تعالى - قادر على تسخير كل قوى الكون لعباده الصالحين، كما سخَّرها لعبديه داود وسليمان ﷺ.

9 - إنَّ الدعوة إلى دين الله ﷻ هي واجب كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان، ولا يجوز أن يقعه عن ذلك قوّة الكفّار والمشركين مهما تعاضمت.

وقد امتدح رسول الله ﷺ أخاه في النبوة سليمان بن داود ﷺ فقال: «إنَّ سليمان بن داود سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلّا الصلاة في هذا المسجد

خرج من خطيبته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها»⁽¹⁾.

وكان سليمان عليه السلام قد جدّد بناء المسجد الأقصى تنفيذاً لوصية أبيه داود عليه السلام، وأقام سوراً عظيماً حول مدينة القدس. والمسجد الأقصى كانت الملائكة قد بنته بعد أن بنت الكعبة المشرفة بأربعين عاماً، وذلك انطلاقاً ممّا أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد، فصله، فإنّ الفضل فيه»⁽²⁾.

وكان عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام قد دعا ربّه بالنص القرآني التالي:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

[ص: 35].

فوهب الله - تعالى - له ملكاً امتدّ من بيت المقدس إلى بلاد اليمن، وسخّر له الجن والإنس والطير، وجعل الرياح رهن أمره، وأسأل له عين القطر (وهو النحاس). وأعطاه من النعم ما لم يعط كثيراً من الناس.

وقد أخبر خاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام أنّ أم سليمان أوصته قائلة: «يا بني لا تكثر النوم بالليل فإنّ كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة»⁽³⁾.

وفي الأثر أنّ عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام عاش في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد، وأنّه حكم جزءاً من أرض فلسطين في حدود السنوات (970 - 933 ق.م). ولما كان القرآن الكريم قد نزل في الفترة من (610م) إلى (633م)، فإنّ الفارق الزمني بين موت عبد الله ونبيه سليمان وتنزل القرآن المجيد يزيد على

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (6644).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3366).

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، حديث رقم (1332).

ألف وخمسمائة سنة قمرية. ومن هنا فإن استعراض القرآن الكريم لعدد من المواقف من سيرة هذا النبي الكريم لأجل استخلاص الدروس والعبر منها يأتي وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله. كذلك فإننا نجد سبقاً علمياً في الإشارة إلى أن كلاً من عبد الله ونبية سليمان، وأبوه النبي داود ﷺ كانا قد علّما منطق الطير؛ ومعرفة الإنسان بأن الطيور لها لغات خاصة بها هو كشف علمي مستحدث في مجال «علم سلوك الحيوان» لم يكن يعلم به أحد من أصحاب العلوم المكتسبة قبل القرن الميلادي العشرين. وإشارة القرآن الكريم إلى أن للطيور لغة من قبل ألف وأربعمائة سنة يُعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله.

وهذه الأوجه من الإعجاز الإنبائي، والتاريخي، والتربوي، والعلمي في استعراض القرآن الكريم لعدد من المواقف التي عاشها نبي الله سليمان تتضح بجلاء إذا ما قورنت بما جاء عن هذا النبي الصالح من أخبار في أسفار «العهد القديم».

فقد نَزَعَتْ عنه هذه الأسفار منزلة النبوة، كما نزعها عن أبيه، واعتبرتهما مجرد حاكمين ملكيين على جزء من أرض فلسطين، وأحاطتهما بكم هائل من الخرافات والأساطير، والسلوكيات المعيبة التي شوّهت صورتها، وأساءت إلى شخصيتهما إساءات بالغة، لا تليق بأراذل الخلق، فضلاً عن نبين كريمين من أنبياء الله.

وفي المقابل فإننا نرى أن كلاً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يذكر عبد الله ونبية سليمان، كما يذكر أباه داود ﷺ بما يليق بمقام النبوة من راحة في العقل، وسمو في السلوك، ونبل في الأخلاق، وكرم في المعاملات، زود الله - تعالى - كلاً منهما به، ورفع إليه حتى يكون كلّ منهما - كما كان جميع أنبياء الله - في كل زمان ومكان مثلاً عالياً لأقوامهم يقتدون بهم ويتأسون.

وفيما يلي بعض ما ذكره سفر ملوك الأول عن عبد الله ونبية سليمان ﷺ.

1 Kings

كِتَابُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ

David in Old Age

1 When King David was old and well advanced in years, he could not keep warm even when they put covers over him. ²So his servants said to him, "Let us look for a young virgin to attend the king and take care of him. She can lie beside him so that our lord the king may keep warm." ³Then they searched throughout Israel for a beautiful girl and found Abishag, a Shunammite, and brought her to the king. ⁴The girl was very beautiful; she took care of the king and waited on him, but the king had no intimate relations with her.

Adonijah Proclaims Himself King

⁵Now Adonijah, whose mother was Haggith, put himself forward and said, "I will be king." So he got chariots and horses ready, with fifty men to run ahead of him. ⁶(His father had never interfered with him by asking, "Why do you behave as you do?") He was also very handsome and was born next after Absalom.)

⁷Adonijah conferred with Joab son of Zeruiah and with Abiathar the priest, and they gave him their support. ⁸But Zadok the priest, Benaiah son of Jehoiada, Nathan the prophet, Shimei and Rei and David's special guard did not join Adonijah. ⁹Adonijah then sacrificed sheep, cattle and fattened calves at the Stone of Zohemoth near En Rogel. He invited all his brothers, the king's sons, and all the men of Judah who were royal officials, ¹⁰but he did not invite Nathan the prophet or Benaiah or the special guard or his brother Solomon. ¹¹Then Nathan asked Bathsheba, Solomon's mother, "Have you not heard that Adonijah, the son of Haggith, has become king without our lord David's knowing it?" ¹²Now then, let me advise you how you can save your own life and the life of your son Solomon. ¹³Go in to King David and say to him, 'My lord the king, did you not swear to me your servant: "Surely Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne"? Why then has Adonijah become king?' ¹⁴While you are still there talking to the king, I will come in and confirm what you have said."

شيخوخة داود

وَشَاحَ الْمَلِكُ دَاوُدَ وَطَعَنَ فِي الشَّرِّ، فَكَفُّوا بِمَكْرُورَةٍ بِالْأَعْلَاقِ فَلَا يَشْعُرُ بِكَتْفِهِ. أَقَالَ لَهُ عِبِيدُهُ: يَا لَيْتَسِن سَيِّدُنَا الْمَلِكُ فَتَّةً عَذْرَاءَ تَحْفَظُنَا، وَتَقْتَنِي بِكَ وَتَضَلِّجُنِي فِي جَنْبِكَ، فَتُبْقِي فِيكَ الدَّمَاءَ. فَجَبَلُوا لَهُ عَن فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ، فَجَدُّوا عَلَى أَبِيشَاحِ الشُّونَمِيَّةِ فَأَخْضَرُوهَا إِلَى الْمَلِكِ. وَكَتَبَتْ الْفَتَاةُ بَارِعَةً الْجَمَالَ، فَصَارَتْ لَهُ حَاضِنَةً، فَوَدَّ عَلَى جَنْبِهِ، وَلَكِنْ الْمَلِكُ لَمْ يَمَازِجَهَا.

أدونيا يعلن نفسه ملكاً

وَعَظَّمَ أَدُونِيَا أُنْثَى حَبِيبَتِهِ نَحْشَةَ قَائِلًا: أَنَا أَمَلِكُ، وَجَهَّزَ لِنَفْسِهِ مَرْكَبَاتٍ وَفَرَسَاتٍ وَاسْتَلْجَزَ خَمْسِينَ رَجُلًا يَجْرُونَ أَمَامَ مَرْكَبِهِ. وَلَمْ يَعْضِبْ أَبُوهُ قَطُّ بِسُؤْلِهِ، لِإِنَّمَا قَالَتْ هَكَذَا، وَكَانَ أَدُونِيَا وَسِيمًا وَأَطْلَعًا، وَقَدْ اتَّجِنَتْ أُمُّهُ بِعَدِّ آبِسَالُومَ. وَتَتَلَوَّنَ الْأَمْرَ مَعَ نَوَابِئِ صُرِيوَّةٍ وَيَأَيَّاكَرَ الْكَاهِنِ فَاعْتَمَدَ، وَأَمَّا ضَادُوقُ الْكَاهِنِ وَتَتَلَهُو نُونُ يَهُوِيَادَاعَ وَتَلَانُ الثِّيَبِيِّ وَشِمِي وَيُوَاجِي وَسِيوَاهُمُ مِنَ الْأَطْلَالِ مِنْ رِجَالِ دَاوُدَ فَلَمْ يَتَشَافِقُوا مَعَهُ. وَتَوَجَّهَ أَدُونِيَا إِلَى عِيْنِ رُوجَلٍ حَيْثُ ذَبَحَ غَنَمًا وَقَرَأَ وَسَمَّنَاتٍ عِنْدَ حَجَرِ الرَّجِيفَةِ، وَدَعَا جَمِيعَ إِخْوَتِهِ ابْنَاءِ الْمَلِكِ، وَجَمِيعَ رِجَالِ يَهُوَدَا مِنْ حَاضِنَةِ دَاوُدَ، وَكَيْفَاةً لَمْ تَدْعُ تَلَانُ الثِّيَبِيِّ وَلَا تَتَلَهُو، وَلَا الرِّجَالَ الْأَطْلَالَ وَلَا سَلْتِمَانَ أَخِيَاهُ. فَالْقَبْلَ تَلَانُ الثِّيَبِيِّ إِلَى تَشْتَبِعَ أُمَّ سَلْتِمَانَ قَائِلًا: أَلَمْ تَقُلِي لِي أَنْ أَدُونِيَا أُنْثَى حَبِيبَتِكَ قَدْ مَلَكَ، وَسَيِّدُنَا دَاوُدَ لَمْ يَتَّعْرِفْ بِالْأَمْرِ تَعْدَى؟ فَالآنَ تَقَالِي أَيْسُرَ عَلَيْكَ بِمَا يَتَوَلَّدُكَ وَيَتَلَوَّدُ أَتَبُكَ سَلْتِمَانَ. أَأَمْسِي وَأَدْخُلِي إِلَى الْمَلِكِ دَاوُدَ وَقُولِي لَهُ: أَلَمْ تَقُلِي تَسْمِيئِي الْمَلِكُ لِجَلَدِيَّتِكَ أَنْ أَنِّي سَلْتِمَانَ يَكُونُ الْمَلِكُ مِنْ تَلَدِي وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِي؟ فَلِإِنَّمَا مَلَكَ أَدُونِيَا بِهَذَا؟ وَفِيضًا أَنْتِ تَحْفَظِينَ الْمَلِكَ أَنْدُخُلَ رِزَاكِ، وَأَهْؤُدُ كَلِمَاتِكَ.

The Plan of Bathsheba and Nathan

¹⁵So Bathsheba went to see the aged king in his room, where Abishag the Shunammite was attending him. ¹⁶Bathsheba bowed low and knelt before the king. "What is it you want?" the king asked. ¹⁷She said to him, "My lord, you yourself swore to me your servant by the LORD your God: 'Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne.' ¹⁸But now Adonijah has become king, and you, my lord the king, do not know about it. ¹⁹He has sacrificed great numbers of cattle, fattened calves, and sheep, and has invited all the king's sons, Abiathar the priest and Joab the commander of the army, but he has not invited Solomon your servant. ²⁰My lord the king, the eyes of all Israel are on you, to learn from you who will sit on the throne of my lord the king after him. ²¹Otherwise, as soon as my lord the king is laid to rest with his fathers, I and my son Solomon will be treated as criminals." ²²While she was still speaking with the king, Nathan the prophet arrived. ²³And they told the king, "Nathan the prophet is here." So he went before the king and bowed with his face to the ground. ²⁴Nathan said, "Have you, my lord the king, declared that Adonijah shall be king after you, and that he will sit on your throne? ²⁵Today he has gone down and sacrificed great numbers of cattle, fattened calves, and sheep. He has invited all the king's sons, the commanders of the army and Abiathar the priest. Right now they are eating and drinking with him and saying, 'Long live King Adonijah!' ²⁶But me your servant, and Zadok the priest, and Benaiah son of Jehoiada, and your servant Solomon he did not invite. ²⁷Is this something my lord the king has done without letting his servants know who should sit on the throne of my lord the king after him?"

David Makes Solomon His Successor

²⁸Then King David said, "Call in Bathsheba." So she came into the king's presence and stood before him. ²⁹The king then took an oath: "As surely as the LORD lives, who has delivered me out of every trouble, ³⁰I will surely carry out today what I swore to you by the LORD, the God of Israel: Solomon your son shall be king after me, and he will sit on my throne in my place." ³¹Then Bathsheba bowed low with her face to the ground and, kneeling before the king, said, "May my lord King David live forever!"

خطة بثشبع ونathan
¹⁵فتمثلت بثشبع أمام الملك الشيخ في مخدعو. وكانت ابشع الشونامية قادمة على خدمتي. ¹⁶فانحنت بثشبع على وجهها وسجدت للملك. فسألها الملك: مالك؟ ¹⁷فاجابته: لقد حلفت لي يا كزب الرب باسمي الرب قائلا: ان سليمان انبي نضج ملكا من بعدي ويخيلس على عوشي. ¹⁸ولكن ها هو ادونيا قد ملك من غير علمي يا سيدي الملك. ¹⁹وقد فتح يونا وشمشات وغنما وولوة. ودعا جميع ابناء الملك. وابيثار الكاهن. ووابت ريس الجيش. ولكن لم يدع سليمان عندك. ²⁰ان جميع اعيان شعب اسرائيل يا سيدي الملك. تنظر افعالك من خلف سدي الملك على عوشي. ²¹ولا خالما يضم سدي الملك الى ابيه لعلنا انا وابني سليمان معاملة المملين. ²²ولينا هي تخاطب الملك جده ناثان النبي. ²³فقال للملك: قد جاء ناثان النبي. ²⁴فمثل في حضرة الملك وسجد له. ²⁵وتسأل ناثان: هل قلت يا سيدي الملك: ان ادونيا نملك من بعدي ويخلفني على عوشي؟ ²⁶الا انه قد مضى اليوم ونكب يونا وشمشات وغنما وولوة. ودعا جميع ابناء الملك ورؤساء الجيش وابيثار الكاهن. وما هم يتكلمون اكلين شايين اشارة هابين. ²⁷ليني الملك ادونيا. وانما انا وضادون الكاهن وتلامي هو بن هويامخ وسليمان فلم ندعنا. ²⁸هل صنع هذا الامر عن سيدي الملك من غير ان نطلع عندك عن نكلك على عوشي؟

داود يجار سليمان خلفا له
²⁸فاجاب الملك: امدفع لي بثشبع. ²⁹فتمثلت أمام الملك. ³⁰فحلفت الملك: حري هو الرب الذي انا نفسي من كل ضيق. ³¹فانما اتمنت لك يا كزب الرب انه اسرائيل ان اترك سليمان نملك بعدي ويخلفني على عوشي. ³²فكلنا اقول هذا اليوم. ³³فدوت بثشبع على وجهها الى الارض ساجدة للملك وقالت: ليني سيدي الملك كادو الى الابد.

Solomon Is Anointed as King

³²King David said, "Call in Zadok the priest, Nathan the prophet and Benaiah son of Jehoiada." When they came before the king, ³³he said to them: "Take your lord's servants with you and set Solomon my son on my own mule and take him down to Gihon. ³⁴There have Zadok the priest and Nathan the prophet anoint him king over Israel. Blow the trumpet and shout, 'Long live King Solomon!'" ³⁵Then you are to go up with him, and he is to come and sit on my throne and reign in my place. I have appointed him ruler over Israel and Judah." ³⁶Benaiah son of Jehoiada answered the king, "Amen! May the LORD, the God of my lord the king, so declare it. ³⁷As the LORD was with my lord the king, so may he be with Solomon to make his throne even greater than the throne of my lord King David!" ³⁸So Zadok the priest, Nathan the prophet, Benaiah son of Jehoiada, the Kerethites and the Pelethites went down and put Solomon on King David's mule and escorted him to Gihon. ³⁹Zadok the priest took the horn of oil from the sacred tent and anointed Solomon. Then they sounded the trumpet and all the people shouted, "Long live King Solomon!" ⁴⁰And all the people went up after him, playing flutes and rejoicing greatly, so that the ground shook with the sound. ⁴¹Adonijah and all the guests who were with him heard it as they were finishing their feast. On hearing the sound of the trumpet, Joab asked, "What's the meaning of all the noise in the city?" ⁴²Even as he was speaking, Jonathan son of Abiathar the priest arrived. Adonijah said, "Come in. A worthy man like you must be bringing good news." ⁴³"Not at all!" Jonathan answered. "Our lord King David has made Solomon king. ⁴⁴The king has sent with him Zadok the priest, Nathan the prophet, Benaiah son of Jehoiada, the Kerethites and the Pelethites, and they have put him on the king's mule, ⁴⁵and Zadok the priest and Nathan the prophet have anointed him king at Gihon. From there they have gone up, cheering, and the city resounds with it. That's the noise you hear. ⁴⁶Moreover, Solomon has taken his seat on the royal throne. ⁴⁷Also, the royal officials have come to congratulate our lord King David, saying, 'May your God make Solomon's name more famous than yours and his throne greater than yours!' And the king bowed in

مسح سليمان ملكاً
^{٣٢}وقال الملك داود، أشتدع لي صادق الكاهن وتانان النبي وتبناهو بن يهوئاداع. فدخلوا إلى حضرة الملك
^{٣٣}فقال الملك لهم، دخلوا معكم رجال حاشية سدركم، وأركبوا سليمان ابني على بغلي الخاطبة، وأطلقوا به إلى جيحون.
^{٣٤}وأبشسحه هناك صادق الكاهن وتانان النبي ملكاً على إسرائيل، وأنفخوا بالنبوق هاتيين، ليحيي الملك سليمان.
^{٣٥}ثم أضعفوا وزاءه حتى تجيئ فيجلس على عرشي، فهو الذي اختارته ليخلفني على عرش إسرائيل ويهوذا.
^{٣٦}فقال تبناهو بن يهوئاداع للملك، آمين! ليكن هذا ما يعلفه الرب إله سيدي الملك! وكما كان الرب مع سيدي الملك ليكن مع سليمان، ويحمل عرشه أعظم من عرش سيدي الملك داود.
^{٣٧}وأقضى صادق الكاهن وتانان النبي وتبناهو بن يهوئاداع وضباط حرس الملك، وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود، وأطلقوا به إلى جيحون.
^{٣٨}فأخذ صادق الكاهن قرن الذهب من الختمرة وتسح سليمان، ونفخوا بالنبوق وتغص جميع الشعب، ليحيي الملك سليمان.
^{٣٩}وأضوي جميع الشعب وزاء سليمان وهم يفرحون على النبي هاتيين فرحاً، حتى ارتجبت الأرض من أضوايهم.
^{٤٠}وسمع أدونيا ومدعووه جميعاً أضوات الهتاف بعد أن فرغوا من الأكل، وبلغ فيم النبوق مسامع يواب فتساءل: ما معنى هذا الضجيج في المدينة؟ وفيما هو يتساءل جاء يوتانان بن ابياثار الكاهن، فقال أدونيا، فقال: أنت رجل كريم تجمل بشاير خير.
^{٤١}فأجاب يوتانان أدونيا، لا إن سويتنا الملك داود قد نصب سليمان ملكاً، وتغص معه صادق الكاهن وتانان النبي وتبناهو بن يهوئاداع وضباط حرسه، فركبوه على بغلة الملك، وتسح صادق الكاهن وتانان النبي ملكاً في جيحون، ثم ضعدوا من هناك فرجين هاتيين، حتى ملا ضجيجهم المدينة. وهذا هو سدر الضووت الذي سيعشموه.
^{٤٢}وقد جلس سليمان على يسي المملكتة.
^{٤٣}وتواهد رجال الملك داود ليهتيتيه لين، لييجعل إلهك أسم سليمان أكثر شهرة من جك، وعرشه أعظم من عرشك. فتسجد الملك على سريره

1 Kings 1,2

552 / ٥٥٢

ملوك الأول ٢٠١

worship on his bed⁴⁸ and said, 'Praise be to the LORD, the God of Israel, who has allowed my eyes to see a successor on my throne today.' "

Adonijah Flees to the Altar

⁴⁹At this, all Adonijah's guests rose in alarm and dispersed. ⁵⁰But Adonijah, in fear of Solomon, went and took hold of the horns of the altar. ⁵¹Then Solomon was told, "Adonijah is afraid of King Solomon and is clinging to the horns of the altar. He says, 'Let King Solomon swear to me today that he will not put his servant to death with the sword.' " ⁵²Solomon replied, "If he shows himself to be a worthy man, not a hair of his head will fall to the ground; but if evil is found in him, he will die." ⁵³Then King Solomon sent men, and they brought him down from the altar. And Adonijah came and bowed down to King Solomon, and Solomon said, "Go to your home."

David's Charge to Solomon

2 When the time drew near for David to die, he gave a charge to Solomon his son. ²"I am about to go the way of all the earth," he said. "So be strong, show yourself a man,³ and observe what the LORD your God requires: Walk in his ways, and keep his decrees and commands, his laws and requirements, as written in the Law of Moses, so that you may prosper in all you do and wherever you go,⁴ and that the LORD may keep his promise to me: 'If your descendants watch how they live, and if they walk faithfully before me with all their heart and soul, you will never fail to have a man on the throne of Israel.' ⁵Now you yourself know what Joab son of Zeruiah did to me—what he did to the two commanders of Israel's armies, Abner son of Ner and Amasa son of Jether. He killed them, shedding their blood in peacetime as if in battle, and with that blood stained the belt around his waist and the sandals on his feet. ⁶Deal with him according to your wisdom, but do not let his gray head go down to the grave in peace. ⁷But show kindness to the sons of Barzillai of Gilead and let them be among those who eat at your table. They stood by me when I fled from your brother Absalom. ⁸And remember, you have with you Shimei son of Gera, the Benjamite from Bahurim, who called down bitter curses on me the day I went

٤٨ فاجلأ، وتبارك الرب إله إسرائيل الذي ألقى عليّ بمن يتخلطني على عرشى وأنا متزلزل على قيد الحياة.

لجوه أدونيا إلى المذبح
٤٩ فاعتزبت الراهبة جميع مذهبوي أدونيا، فقاموا وتفرقوا كل في سبيله. ^{٥٠}وتلا أذونيا من شلنمان، فانطلق مشرعاً وتمسك بزواجر المذبح. ^{٥١}وقيل لشلنمان: «ها هو أدونيا قد تلا أذونيا منك، وقد لجأ إلى المذبح متمسك بزواجره ويقول: ليخلف لي اليوم شلنمان أنه لا يقتل عبيدك بكسيفه». ^{٥٢}فقال شلنمان: «إن أثبت صدق زواجره فإن شفرت واجدة من رأسه لن تشط إلى الأرض، ولكن إن أضررت الجنة والكسوف فله حتماً موت». ^{٥٣}فأرسل الملك شلنمان من أخضره من عند المذبح، فأتى وسجد للملك شلنمان، فقال له شلنمان: «اذهب إلى بيتك».

وصايا داود لسليمان وموته
٢ وعندما أحسن داود بنتو أجله، أوصى شلنمان أنه قديلاً: «أنا ماضي إلى مصير كل أهل الأرض، فتشجع وتكن رجلاً. ^٢أحفظ شرايع الرب، سز في شلته وأطيع فواضله ووصاياه وأحكامه وشهادته، كما هي مكتوبة في شريعة موسى، ليخالفك الجحاح في كل ما فعلت وحطمتنا تنزعج، أتحقق الرب وعهده التي وعظمتي بنا قديلاً، إذا حيفت بتوك طريقهم وصلحوا أماسي بالملاصي من كل قومهم وأقربهم، فله أن يتطعم لك زجلاً عن أعياه عرش إسرائيل. ^٣أنت تعلم ما جناه عليّ يواي أنن ضريرة حين قتل قديني عوفش إسرائيل، أننن من نفر وعملنا من نجر فسفك دما في وقت السلم، وكأنة في جسم حارس، فلطخ بذلك الدم جزاء حقه وتعلمي رجليته، فلفس بما فلفس عليك جحمتك، ولا تدع زامة الأشميت موت في سلام. ^٤وأضع مذهبوا ليني بزواي الجلعادي، فحكوا نين الأكلين الدليويين على مديك، لأنهم ولقوا إلى جاتي عند هروبي من وجوه أشلوم أجيك، ^٥وفنك أيضاً شيمي ن جيرا ألبوايني من بحوريم، قد صب عليّ أشد اللعنات يوم أنطلقت إلى تخليهم، وكيلة اتحنر لقلبي عند نهر الأردن

to Mahanaim. When he came down to meet me at the Jordan, I swore to him by the LORD: 'I will not put you to death by the sword.'⁹ But now, do not consider him innocent. You are a man of wisdom; you will know what to do to him. Bring his gray head down to the grave in blood."¹⁰ Then David rested with his fathers and was buried in the City of David.¹¹ He had reigned forty years over Israel—seven years in Hebron and thirty-three in Jerusalem.¹² So Solomon sat on the throne of his father David, and his rule was firmly established.

The Execution of Adonijah

¹³Now Adonijah, the son of Haggith, went to Bathsheba, Solomon's mother. Bathsheba asked him, "Do you come peacefully?" He answered, "Yes, peacefully."¹⁴ Then he added, "I have something to say to you." "You may say it," she replied.¹⁵ "As you know," he said, "the kingdom was mine. All Israel looked to me as their king. But things changed, and the kingdom has gone to my brother; for it has come to him from the LORD.¹⁶ Now I have one request to make of you. Do not refuse me." "You may make it," she said.¹⁷ So he continued, "Please ask King Solomon—he will not refuse you—to give me Abishag the Shunammite as my wife."¹⁸ "Very well," Bathsheba replied, "I will speak to the king for you."¹⁹ When Bathsheba went to King Solomon to speak to him for Adonijah, the king stood up to meet her, bowed down to her and sat down on his throne. He had a throne brought for the king's mother, and she sat down at his right hand.²⁰ "I have one small request to make of you," she said. "Do not refuse me." The king replied, "Make it, my mother; I will not refuse you."²¹ So she said, "Let Abishag the Shunammite be given in marriage to your brother Adonijah."²² King Solomon answered his mother, "Why do you request Abishag the Shunammite for Adonijah? You might as well request the kingdom for him—after all, he is my older brother—yes, for him and for Abiathar the priest and Joab son of Zeruiah!"

²³Then King Solomon swore by the LORD: "May God deal with me, be it ever so severely, if Adonijah does not pay with his life for this request!"²⁴ And now, as surely as the LORD lives—he who has established me securely on the throne of my father David and has founded a

مستغفراً، فحلفت له بالرب أنني لن أبعثه بكشف، أما أنت فلا تبرأه من ذنوبه، وأنت رجل حكيم، فأنظر ما تفعله به. أخير شيبته إلى القبر مطحونة بالدم. "لَمْ مات داود ودفن في اورشليم." "وكلفت فترة حكم داود أربعين سنة، ملك سبع سنين في حبرون وثلاثين سنة في اورشليم." "وأصبح سليمان ملكاً على إسرائيل خلفاً لوالده داود، وتثبيت دعائم مملكته.

مقتل أدونيا

¹³وجاء أدونيا بن حجيث إلى بيشبا، أم سليمان فسألتها: "أجئت مسالماً؟" فأجابها: "بسلامة." "وأضاف: "وأنتي ما أطلبه منك." فقالت: "تكلم، فقال: "أنت تعلمين أن الملك كان من حقي، وأن جميع الإسرائيليين قد انظروا حذلي لأكون ملكاً عليهم، ولكن تحولت الأمور، وصار الملك لأخي بمقتضى أمر الرب." "ولي الآن مطلب واحد، فلا تخفني أصلي فيه، "أطلبني من سليمان الملك أن يرزقني من أيشاغ الشونميتة فهو لا يرد لك سؤالاً." فأجابته بيشبا: "أنا أخاطب الملك في الأمر نيابة عنك." "وقد حلت بيشبا إلى سليمان لترفع إليه مطلب أدونيا، فهب الملك لاشيغالها وسجد لها، ثم جلس على العرش، وأعد لها مقعداً ملكياً آخر فجلست عن يمينه." "وقالت: "جئت أطلب منك أمراً واحداً بسيطاً، فلا تردني خيبة." فأجابها: "سألي تأملي، لأني لن أخيب لك رجاءاً." "فقلت: "رزوج أدونيا أخاك من أيشاغ الشونميتة." "فأجابها الملك: "لماذا تطلبين أيشاغ الشونميتة فقط لأدونيا؟ أطلبني له الملك أمها، فهو أخي الأكبر، فخصم الملك له ولا يفتقر الكاهن وتواب أمن ضرورية.

²³وحلف سليمان بالرب قديلاً، ولتعليني الرب أشد عقاباً وترد إن لم تدفع أدونيا حقة غنا لهذا المطلب. "حي هو الرب الذي كتبت وأجستني على عرش داود أبي

dynasty for me as he promised—Adonijah shall be put to death today!”²⁵ So King Solomon gave orders to Benaiah son of Jehoiada, and he struck down Adonijah and he died.

Abiathar Dismissed and Joab Killed

²⁶To Abiathar the priest the king said, “Go back to your fields in Anathoth. You deserve to die, but I will not put you to death now, because you carried the ark of the Sovereign LORD before my father David and shared all my father’s hardships.”²⁷ So Solomon removed Abiathar from the priesthood of the LORD, fulfilling the word the LORD had spoken at Shiloh about the house of Eli.²⁸ When the news reached Joab, who had conspired with Adonijah though not with Absalom, he fled to the tent of the LORD and took hold of the horns of the altar.²⁹ King Solomon was told that Joab had fled to the tent of the LORD and was beside the altar. Then Solomon ordered Benaiah son of Jehoiada, “Go, strike him down!”³⁰ So Benaiah entered the tent of the LORD and said to Joab, “The king says, ‘Come out!’” But he answered, “No, I will die here.” Benaiah reported to the king, “This is how Joab answered me.”³¹ Then the king commanded Benaiah, “Do as he says. Strike him down and bury him, and so clear me and my father’s house of the guilt of the innocent blood that Joab shed.³² The LORD will repay him for the blood he shed, because without the knowledge of my father David he attacked two men and killed them with the sword. Both of them—Abner son of Ner, commander of Israel’s army, and Amasa son of Jether, commander of Judah’s army—were better men and more upright than he.³³ May the guilt of their blood rest on the head of Joab and his descendants forever. But on David and his descendants, his house and his throne, may there be the LORD’s peace forever.”³⁴ So Benaiah son of Jehoiada went up and struck down Joab and killed him, and he was buried on his own land in the desert.³⁵ The king put Benaiah son of Jehoiada over the army in Joab’s position and replaced Abiathar with Zadok the priest.

Shimei’s Punishment

³⁶Then the king sent for Shimei and said to him, “Build yourself a house in Jerusalem and live there, but do not go anywhere else.”³⁷The day you leave

والطليبي ملكاً كما وعدت. اليوم تموت أدونياه. ^{٢٥} وأرسل الملك سليمان بئنايه بن يهوئادع فقتل أدونياه.

طرد أبياتار ومصرح يواب ^{٢٦} وقال الملك لأبياتار الكاهن، اأطلق إلى حقولك في عثوث وأنتك هناك، فإنت اليوم مستوجب الموت، ولكنني لن أقتلك، لأنك حملت تابوت سيدي الرب أمام داود أبي ولأنتك قضيت بين كل ما قاسى به أباء. ^{٢٧} وطرد سليمان أبياتار من وظيفة الكهنة، لإيمت كلام الرب الذي حكتم به على نسل علي في شيلوه. ^{٢٨} فبلغ الخبر يواب الذي كان قد قاسى مع أدونيا وأحسن مع أشغالوم، فهرب إلى خيمة الرب وكشبت بشرون المذبح، ^{٢٩} فقبل للملك سليمان إن يواب قد لجأ إلى خيمة الرب، وما هو مقيد إلى مجوار المذبح، فامر سليمان بئنايه بن يهوئادع أن يذهب ويقتله. ^{٣٠} فقبل بئنايه إلى خيمة الرب وقال ليواب، أالملك بالربك بالخروج، فأجاب، لا، لن أخرج بل أموت هنا، فلبث بئنايه للملك جواب يواب ^{٣١} فقال له الملك، اعمل ما قل، وأقطع وأذنه وأزل عني وعن بيت أبي ذنب النساء الزواني التي سقها يواب. ^{٣٢} فمحقلة الرب وخنة ولد أبي، لأنه اغتال بالسيف وجلبت برهين، بما أفضل منه، من غير علم داود أبي، وما أتت من نير زئس جيش إسرائيل وعماسا بن نير زئس جيش يهوذا. ^{٣٣} فلو قد كتمها على رأس يواب ورأس نسبه إلى الأبد، تتسأ سلام الرب داود وتتسأ وثيقه وعرقته إلى مدى الدهر. ^{٣٤} فأنطلق بئنايه بن يهوئادع وقتل يواب، وقفن في مجوار تبة في الصحراء. ^{٣٥} وعمر الملك بئنايه بن يهوئادع مكانة قائدا للجيش، وأقام صادق الكاهن مكان أبياتار.

بمعاينة شيمي ^{٣٦} ثم أبعثني الملك شيمي بن جيرا وقال له، إن لك بيتاً في أورشليم وأنتك هناك، فهناك أن تغتفر المدينة. ^{٣٧} وأعلم

1 Kings 2,3

555 / ...

ملوك الأول ٣:٢

and cross the Kidron Valley, you can be sure you will die; your blood will be on your own head."³⁸Shimei answered the king, "What you say is good. Your servant will do as my lord the king has said." And Shimei stayed in Jerusalem for a long time.³⁹But three years later, two of Shimei's slaves ran off to Achish son of Maacah, king of Gath, and Shimei was told, "Your slaves are in Gath."⁴⁰At this, he saddled his donkey and went to Achish at Gath in search of his slaves. So Shimei went away and brought the slaves back from Gath.⁴¹When Solomon was told that Shimei had gone from Jerusalem to Gath and had returned,⁴²the king summoned Shimei and said to him, "Did I not make you swear by the LORD and warn you, 'On the day you leave to go anywhere else, you can be sure you will die'? At that time you said to me, 'What you say is good. I will obey.'⁴³Why then did you not keep your oath to the LORD and obey the command I gave you?"⁴⁴The king also said to Shimei, "You know in your heart all the wrong you did to my father David. Now the LORD will repay you for your wrongdoing."⁴⁵But King Solomon will be blessed, and David's throne will remain secure before the LORD forever."⁴⁶Then the king gave the order to Benaiah son of Jehoiada, and he went out and struck Shimei down and killed him. The kingdom was now firmly established in Solomon's hands.

Solomon's Alliance With Pharaoh

3 Solomon made an alliance with Pharaoh king of Egypt and married his daughter. He brought her to the City of David until he finished building his palace and the temple of the LORD, and the wall around Jerusalem.²The people, however, were still sacrificing at the high places, because a temple had not yet been built for the Name of the LORD.

Solomon Asks for Wisdom

³Solomon showed his love for the LORD by walking according to the statutes of his father David, except that he offered sacrifices and burned incense on the high places.⁴The king went to Gibeon to offer sacrifices, for that was the most important high place, and Solomon offered a thousand burnt offerings on that altar.⁵At Gibeon the LORD appeared to Solomon during

أَنَّكَ نَوْمٌ تَتَخَطَّى وَادِي قَدْرُونَ فُؤُوكَ حَتْمًا تَمُوتُ وَتَكُونُ ذَمَكَ عَلَى رَأْسِكَ.^{٣٨} فَأَجَابَ شَيْمِي الْمَلِكَ، حَسَنًا، فَإِنَّ عَيْنَكَ يَنْقُذُ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ سَيِّدِي الْمَلِكُ. فَأَقَامَ شَيْمِي فِي أُورُشَلِيمَ أَيْامًا كَثِيرَةً.^{٣٩} وَفِي عِشْرَةِ لِيَالٍ سَرَقَتَا عِبْدَ عَيْنَانِ لِيَشْمِي إِلَى أَجِيشَ بْنِ مَعَكَةَ مَلِكِ جَثَ، فَيُقِيلُ لِيَشْمِي هَوْنًا عَيْنَانِكَ فِي جَثَ.^{٤٠} فَظَمَّ وَأَسْرَجَ جِذَاءَهُ وَأَزْتَهَلَّ إِلَى جَثَ إِلَى أَجِيشَ لِيَنْخِذَ عَنْ عِبْدَيْهِ. وَلَمَّا وَجَدَهُمَا عَادَ بِهَيْمَا بَيْنَ جَثَ.^{٤١} فَخَبَّرَ سُلَيْمَانَ أَنَّ شَيْمِي قَدْ غَادَرَ أُورُشَلِيمَ إِلَى جَثَ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا.^{٤٢} فَاسْتَدْعَاهُ وَقَالَ لَهُ، أَمَا اسْتَحْلَفْتُكَ بِالرَّبِّ وَأَشْهَدْتُ عَلَيْكَ أَنَّ نَوْمَ نَهَارِي أَلْمَدِينَةَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ حَتْمًا تَمُوتُ. فَأَجِبْتَنِي، حَسَنًا، وَسَمِعًا وَطَاعَةً.^{٤٣} كَيْفَإِنَّمَا تَقَضَّتْ يَمِينُ الرَّبِّ وَتَكَلَّمْتَ مَا أُضِيتُكَ بِهِ؟^{٤٤} لِمَ قَالَ الْمَلِكُ لَهُ، أَلَيْتَ تُدْرِكُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِكَ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي أَرْتَكِبْتَهُ فِي حَقِّ أَبِي، فَلْيُعَاقِبَنَّ الرَّبُّ بِمَا جَنَنْتَهُ بِذَلِكَ.^{٤٥} أَمَّا الْمَلِكُ فَلْيُجِزْ عَلَيْهِمُ الرَّبُّ بِتَرْكِهِمْ، وَلْيَكُنْ عِزُّهُ دَائِدَ وَرَاسِحًا أَيْامَ الرَّبِّ إِلَى الْأَبَدِ.^{٤٦} وَأَمَرَ الْمَلِكُ بَنِيَاهُو بْنُ يَهُوئَادَاعَ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْمِي وَيَقْتُلَهُ، وَكَهَكَذَا قَتَلَ الْمَلِكُ بَشَيْمَانَ.

مصاهرة سليمان لفرعون

٣ وَتَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ ابْنَةً فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَأَحْضَرَهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ نَهْمًا بِسَمِّ إِسْمَائِيلَ بِنَاهُ قَضِرُهُ وَتَبَتِ الرَّبُّ وَالشُّعُورَ الْمُجِطِ بِأُورُشَلِيمَ. وَكَانَ الشُّعْبُ أَتِيذًا يَحْتَمُونَ لِمَا يَحْبُ عَلَى الْمَرْفَعَاتِ، لِأَنَّ بَيْتَ الرَّبِّ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَبِيَ بَعْدَ.

عجلى الرب لسليمان

^٣ وَأَحَبَّ سُلَيْمَانُ الرَّبَّ وَسَارَ فِي فُرُوضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَاطَبَ عَلَى تَقْدِيمِ قَبَائِحَ وَيَقَادَ بِخُورٍ عَلَى الْمَرْفَعَاتِ. وَتَضَى سُلَيْمَانُ إِلَى جِبْعُونَ، الْمَرْفَعَةُ الْقَطْعِي، وَأَضْعَدَ هُنَاكَ أَلْفَ حَمْرَقَةٍ عَلَى ذَلِكَ الصَّنِيعِ.^٤ وَفِي جِبْعُونَ نَزَّاهَى الرَّبُّ لَهُ لَيْلًا فِي حُلْمِهِ، وَقَالَ لَهُ، أَسْأَلْتُ مَنَّا أَعْطَيْكَ؟

the night in a dream, and God said, "Ask for whatever you want me to give you." Solomon answered, "You have shown great kindness to your servant, my father David, because he was faithful to you and righteous and upright in heart. You have continued this great kindness to him and have given him a son to sit on his throne this very day. Now, O LORD my God, you have made your servant king in place of my father David. But I am only a little child and do not know how to carry out my duties. Your servant is here among the people you have chosen, a great people, too numerous to count or number. So give your servant a discerning heart to govern your people and to distinguish between right and wrong. For who is able to govern this great people of yours?" The Lord was pleased that Solomon had asked for this. So God said to him, "Since you have asked for this and not for long life or wealth for yourself, nor have asked for the death of your enemies but for discernment in administering justice, I will do what you have asked. I will give you a wise and discerning heart, so that there will never have been anyone like you, nor will there ever be. Moreover, I will give you what you have not asked for—both riches and honor—so that in your lifetime you will have no equal among kings. And if you walk in my ways and obey my statutes and commands as David your father did, I will give you a long life." Then Solomon awoke—and he realized it had been a dream. He returned to Jerusalem, stood before the ark of the Lord's covenant and sacrificed burnt offerings and fellowship offerings. Then he gave a feast for all his court.

A Wise Ruling

Now two prostitutes came to the king and stood before him. One of them said, "My lord, this woman and I live in the same house. I had a baby while she was there with me. The third day after my child was born, this woman also had a baby. We were alone; there was no one in the house but the two of us. During the night this woman's son died because she lay on him. So she got up in the middle of the night and took my son from my side while I your servant was asleep. She put him by her breast and put her dead son by my breast. The next morning, I got up to nurse my son—and he was dead! But when I looked at him closely in the

أفاجب، لقد صنعت لى عبدك داود أبى رحمة واسعة لأنه سلك أمامك بامانة وصلح واستقامة قلبه، فلم تحرمه من الزمان العظيم. وذكرك أننا نجلقه على عزيزه في هذا اليوم. وأن ابنا الرب إلهي، لقد جعلت عبدك ملكا خلفا لداود أبى، وأنا ما نرحض قى صغيرا غير متمرس بشؤون الحكم. وعينك تتولى حكم عبدك الذي اخترته، وهو شعب أعظم من أن تعد أو يحصى بكموتيه. فهب عندك قلبا هيبا لأقبي بنى شعبك، وأميز بين الخير والشر؛ لأنه من يستطيع أن يحكم شعبك العظيم هذا، فسز الرب بقلب سليمان هذا. وقال له، لأنك قد طلبت هذا الأمر، ولم تطلب حياة طويلة، ولا غنى، ولا اتظاما من أعدائك، بل سألت حكمة لتسوس شؤون الحكم. فأقبي سألني طلبك، فأعطيت قلبا حكيمًا تميزًا، فلا تصابيك أحد من قبل ولا من بعد. وقد أعتنت عليك أيضا بما لم تسأله، من غنى وتجد، حتى لا تكون لك نظير بين الملوك في أيامك. فإن سلكت في طريقي وأطعت فرائضي ووصاياي، كما سلك أبوك، فإني أجيل أيامك. وبعينما اشتغظ سليمان من تويبه أذكرك أن ذلك كان حُلما. فعاد إلى أورشليم ووقف أمام قدوس عهد الرب وتقرَّب تحرقابا وتكباب سلام، وأقام وليمة لكل رجالي.

حكمة سليمان في قضائه

بعد ذلك حضرت امرأتان غيرتان إلى الملك ليحضي بينهما. فقالت إحداهما، أمتعن بتسديي، وربي وهدي المرأة مؤمنتان في نبي واجبر ذكرك بطفل، لذركت هي بطفل أيضا بتدي بخلاف أيام، وكنا معًا، لا نومن بتسا غيرت في البيت. وكنا ونحننا قط في البيت. قامت طفل هدي المرأة حينما انقلبت عليه في أثناء تويها. فكتهضت في ملتصق اللبل وأنا مستغرقة في النوم، وأخذت طفلي من جالبي وأضجته في حضنها، وأضجعت ابنتها المنبت في حضني. فلما تممت بوضع أنني في الصباح وجدته ميتا، وجن

1 Kings 3,4

557 / ٥٥٧

ملوك الأول ٤،٣

morning light, I saw that it wasn't the son I had borne." ²²The other woman said, "No! The living one is my son; the dead one is yours." But the first one insisted, "No! The dead one is yours; the living one is mine." And so they argued before the king. ²³The king said, "This one says, 'My son is alive and your son is dead,' while that one says, 'No! Your son is dead and mine is alive.'" ²⁴Then the king said, "Bring me a sword." So they brought a sword for the king. ²⁵He then gave an order: "Cut the living child in two and give half to one and half to the other." ²⁶The woman whose son was alive was filled with compassion for her son and said to the king, "Please, my lord, give her the living baby! Don't kill him!" But the other said, "Neither I nor you shall have him. Cut him in two!" ²⁷Then the king gave his ruling: "Give the living baby to the first woman. Do not kill him; she is his mother." ²⁸When all Israel heard the verdict the king had given, they held the king in awe, because they saw that he had wisdom from God to administer justice.

Solomon's Officials and Governors

So King Solomon ruled over all Israel. ²And these were his chief officials: Azariah son of Zadok—the priest; ³Elihoreph and Ahijah, sons of Shisha—secretaries; Jehoshaphat son of Ahilud—recorder; ⁴Benaiah son of Jehoiada—commander in chief; Zadok and Abiathar—priests; ⁵Azariah son of Nathan—in charge of the district officers; Zabud son of Nathan—a priest and personal adviser to the king; ⁶Ahishar—in charge of the palace; Adoniram son of Abda—in charge of forced labor. ⁷Solomon also had twelve district governors over all Israel, who supplied provisions for the king and the royal household. Each one had to provide supplies for one month in the year. ⁸These are their names: Ben-Hur—in the hill country of Ephraim; ⁹Ben-Deker—in Makaz, Shaalvim, Beth Shemesh and Elon Bethhanan; ¹⁰Ben-Hesed—in Arubboth (Socoh and all the land of Hephher were his); ¹¹Ben-Abinadab—in Naphtali Dor (he was married to Taphath daughter of Solomon); ¹²Baana son of Ahilud—in Taanach and Megiddo, and in all of Beth Shan next to Zarethan below Jezreel, from Beth Shan to Abel Meholah across to Jokmeam; ¹³Ben-Geber—in Ramoth

تأملت فيه في ضوء النهار تبئت أنه ليس طفلي الذي أنجبته. ^{٢٢}وقضعت المرأة الأخرى طفلها قتيلاً، وقالت: إن ابني هو الحي، وأنتك هو الميت. فترد عليها الأخرى: مهل أنتك هو الميت وأبني هو الحي. وهكذا أشد الجدل أمام الملك. ^{٢٣}قال الملك: كل منكما تدعي أن الابن الحي هو ابنتها وأن الابن الميت هو ابن الأخرى. ^{٢٤}لذلك أتوني بسيف، فأحضروا لي سيفاً. ^{٢٥}قال الملك: انقطعوا للطفل الحي إلى شطرين، واحصوا كل ما بينهما شطراً. ^{٢٦}فالتفتت متعازية الأم الحقيقية وقالت للملك: اصنع بتسبيبي، أعطها الطفل ولا تمسه. أما المرأة الأخرى فكفت تقول: لن تكون لك ولا لي، انقطعوه. ^{٢٧}عندئذ قال الملك: أعطوا الطفل للمرأة التي أرادت له الحياة، فهي أمه. ^{٢٨}ولما سري تبأ هذا الحكم الذي صدر عن الملك بين شعب إسرائيل، امتلأوا توقيراً له، لأنهم رأوا فيه حكمة الله لإجراز العدل.

تعيين كبار موظفي الدولة

وَمَلَكَ سُلَيْمَانٌ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. ^٢وَأَسْمَاءُ كِبَارٍ مَعَاوِينِهِ: عَزْرِيَاهُ بْنُ صَادُوقَ الْكَاهِنِ، وَابْنُحُورَفَ وَأَحِيَاهُ ابْنَا شِيصَا كَاتِبِي الْبَلَدِ، وَيَهُشَافَاتُ بْنُ أَبِيحِيلُودَ الْمَسْجُودِ عَنِ الشَّجَلَاتِ، ^٤وَبَنِيَاهُ بْنُ يَهُوِيَادَا قَائِدَ الْجَيْشِ، وَصَادُوقَ وَابِيَاثَرَ كَاهِنَيْنِ، ^٥وَعَزْرِيَاهُ بْنُ نَثَانِ مَسْجُودٍ عَنِ وَكَلَاءِ الْمَنَاطِقِ، وَذَابُودُ بْنُ نَثَانِ كَاهِنٌ وَتَلِيمُ الْمَلِكِ، وَأَحِيْشَارَ مُمَيَّرَ سُورِي الْقَصْرِ، وَأَدُونِيرَامَ بْنَ عَبْدَا مَسْجُودٍ عَنِ الْأَشْخَالِ السَّاقَةِ، ^٧وَعَيْنَ سُلَيْمَانَ اثْنَيْ عَشَرَ وَكَيْلًا مُؤَدِّعِينَ عَلَى أَسْطَلِ إِسْرَائِيلَ، عَهْدٌ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِشَهْرٍ الْقَصْرِ وَأَهْلِيهِ بِالْمُدُنِ شَهْرًا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ. ^٨وَهَلْوِي هِيَ أَسْمَاؤُهُمْ: ابْنُ حُورَ فِي جَبَلِ إِفْرَايِمَ، ابْنُ دَكَرَ فِي مَلْقَسَ وَشَعْلِيمَ وَبَيْتَ شَمْسِي وَاللُّوْبِيْنَ بَيْتَ حَقَانَ، ابْنُ حَسَدَ فِي إِثْرِيوتَ، وَكَانَ مَسْجُودًا عَنِ سُرْكُوتَ وَسَائِرِ أَرْضِ حَافَرَ أَيْضًا. ^{١١}ابْنُ ابِينَادَابَ، ذُوْجُ طَالِفَةَ ابْنَتِ سُلَيْمَانَ، فِي كُلِّ مَرْقَعَاتِ دُورٍ. ^{١٢}بَعْنَا بْنُ أَبِيحِيلُودَ فِي فَعْنَاكَ وَبَحْلُو وَكُلِّ بَيْتِ شَانِ الْمَجَلِيَّةِ إِسْرَائِيلَ اسْقَلَ بَرَزِيلَ، فَضَلًا عَنِ كُلِّ الْأَرْضِ الْوَابِعَةِ مَا بَيْنَ بَيْتِ شَانِ وَبَيْتِ عَزْرَةَ حَتَّى يَتَمَعَمَ. ^{١٣}ابْنُ جَعْبَرِ

Gilead (the settlements of Jair son of Manasseh in Gilead were his, as well as the district of Argob in Bashan and its sixty large walled cities with bronze gate bars); ¹⁴Ahinadab son of Iddo—in Mahanaim; ¹⁵Ahimaaz—in Naphtali (he had married Basemath daughter of Solomon); ¹⁶Baana son of Hushai—in Asher and in Aloth; ¹⁷Jehoshaphat son of Paruah—in Issachar; ¹⁸Shimei son of Ela—in Benjamin; ¹⁹Geber son of Uri—in Gilead (the country of Sihon king of the Amorites and the country of Og king of Bashan). He was the only governor over the district. ²⁰The people of Judah and Israel were as numerous as the sand on the seashore; they ate, they drank and they were happy.

²¹And Solomon ruled over all the kingdoms from the River to the land of the Philistines, as far as the border of Egypt. These countries brought tribute and were Solomon's subjects all his life.

Solomon's Daily Provisions

²²Solomon's daily provisions were thirty cors of fine flour and sixty cors of meal, ²³ten head of stall-fed cattle, twenty of pasture-fed cattle and a hundred sheep and goats, as well as deer, gazelles, roebucks and choice fowl. ²⁴For he ruled over all the kingdoms west of the River, from Tiphseh to Gaza, and had peace on all sides. ²⁵During Solomon's lifetime Judah and Israel, from Dan to Beersheba, lived in safety, each man under his own vine and fig tree. ²⁶Solomon had four thousand stalls for chariot horses, and twelve thousand horses. ²⁷The district officers, each in his month, supplied provisions for King Solomon and all who came to the king's table. They saw to it that nothing was lacking. ²⁸They also brought to the proper place their quotas of barley and straw for the chariot horses and the other horses.

Solomon's Great Wisdom

²⁹God gave Solomon wisdom and very great insight, and a breadth of understanding as measureless as the sand on the seashore. ³⁰Solomon's wisdom was greater than the wisdom of all the men of the East, and greater than all the

في زاموت جلعاد. وما في تلك قرى باقي بن منسى في جلعاد، وتلويث أرجوب في باشان، وهي ستون مدينة ذات أسوار وتوابل لها أرتاج نحاسية. ¹⁴أحيناداب بن عديو في نפתليم. ¹⁵أحيماص في نفتالي، وهو أيضاً تزوج من باسمة ابنة سليمان. ¹⁶بانا بن حوشاي في أشير وتعلوث. ¹⁷يهوشافاط بن فاريح في شاكلر. ¹⁸شمعي بن إيلأ في بنيامين. ¹⁹جابر بن أوري في أرض جلعاد التي كانت لسيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان، وكان يشرف على هؤلاء الوكلاء من أجل علمه. ²⁰وكان عدد يهوذا وإسرائيل كرمحل البحر في الكثرة لا يحصى، وكثروا يأكلون ويشربون ويتمتعون بالسعادة.

²¹وانتد سلطان سليمان على جميع المملكة الواقعة ما بين نهر الفرات إلى أرض الفيلسطين وحتى نهر مصر، فكانت هذه المملكة تقدم له الجزية وتضع له كل أثم حبيبه.

مؤونة سليمان اليومية

²²وكانت مخصصات القصر اليومية من الطعام ثلاثين كرسوبيل (نحو سنعة الابل وصنق لثرا) وسبعون كور دقيق، ²³وعشرة فيران مستتب، وبعشرين كورا من التمراي، ومئة خروف، فضلاً عن الأبقال والبزلاء والخامير والإوز المسنن، ²⁴لأن سلطانه كان تمتد على كل الأراضي الواقعة غربي نهر الفرات من نسطح إلى غزة وعلى ملوكها، فكان السلام يحيط به من كل جهتيه. ²⁵وتنعم إسرائيل وصوفا بالأمن طول حياة سليمان، فكان كل واحد يستمتع بالطموس تحت ظلال كرميه ويتبر من دان إلى يثر سبع ²⁶وكان لسليمان أربعون ألف مذبذب لخلل مركبته، وألفا عشر ألف فارس. ²⁷وكان وكلاء المناطق، كل في شوره، يمدون الملك سليمان وكل من يأكل على مدينته بالمدونة، فلم يفتيروا إلى شيء. ²⁸وكل ذلك جلبوا السعي والثلث لخلل المركبات ويولفا من الجند إلى التواضع المعتد لخلل وكل.

حكمة سليمان العظيمة

²⁹وذهب الله لسليمان حكمة وقهما فليقين، ورحمة ضدو غير متناهية. ³⁰وتقولت حكمة سليمان على جميع أبناء المشرق

wisdom of Egypt. ³¹He was wiser than any other man, including Ethan the Ezrahite-wiser than Heman, Calcol and Darda, the sons of Mahol. And his fame spread to all the surrounding nations. ³²He spoke three thousand proverbs and his songs numbered a thousand and five. ³³He described plant life, from the cedar of Lebanon to the hyssop that grows out of walls. He also taught about animals and birds, reptiles and fish. ³⁴Men of all nations came to listen to Solomon's wisdom, sent by all the kings of the world, who had heard of his wisdom.

وَكُلُّ حِكْمَةِ الْبُحْرَيْنِ. ^{٣١}فَكَانَ أَكْثَرَ حِكْمَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
يَسَلُّ إِثَانَ الْأُزْرَائِيَّ وَهِيْمَانَ وَتَمْلُكُولَ وَكَرَدَغَ أَبْنَاءَ مَاحُولَ.
وَوَلَّغَ صِبْغَهُ نَجْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمُسْجَاوِرَةِ. ^{٣٢}وَتَنَلَّقَفُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ
مَثَلًا، وَتَلَفَّتْ أُنَابِجُهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَاثِدَ. ^{٣٣}وَوَصَفَ الْحَيَاةَ
الْتَّبَائِيَّةَ بِمَا فِي ذَلِكَ الشَّجَرِ الْأَنْزِي فِي لُبْنَانَ، وَالرُّوْفَا الْتَلْبِيَّتِ
فِي الْحَائِطِ، كَمَا وَصَفَ الْهَيْلِيمَ وَالطُّيْرَ وَالرُّوَابِجَ وَكَسَمَكَ.
^{٣٤}فَاتَّقَبَلُ النَّاسُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ لِيَسْتَعِيْمُوا إِلَى حِكْمَةِ
سَلْمَانَ، مُؤَلَّيْنِ مِنْ بَنِي مَلُوكِ الْأَرْضِ الَّذِينَ تَلَفَّتَهُمُ الْحَيَاةُ
حِكْمَتِي.

65 - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل: 18].

هذه الآية الكريمة جاءت في الخمس الأول من سورة «النمل» وهي سورة مكيّة، وعدد آياتها (93) بعد البسملة. وقد سُميت السورة بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى وادي النمل الذي مرّ به سليمان ﷺ وجنوده، فنطقت نملة - بلغتها الخاصّة بها - محدّرة رفاقها من إمكانيّة أن يطأهم سليمان وجنوده بأقدامهم أو بحوافر خيلهم فيحطّمونهم وهم لا يشعرون، ولذلك أمرتهم بدخول مساكنهم. وفي هذه الواقعة من الدلالة على وجود قدر من الوعي، والإدراك، والنطق، واللّغة الخاصّة عند أمة النمل، كإحدى مجموعات الحياة التي خلقها الله ﷻ، وهذه من الحقائق التي أكّدها الدراسات العلميّة في أواخر القرن العشرين في مجال علم «سلوك الحيوان».

وسورة «النمل» هي إحدى سور قرآنية ثلاث، نزلت متتالية بنفس ترتيبها في المصحف الشريف وهي: «الشعراء»، «النمل»، «القصص»، وهذه السور الثلاث تستعرض قصص عدد من الأمم السابقة من أجل استخلاص الدروس والعبر منها، ومن أجل التدبّر في سنن الله الواقعة بعباده دون تغيير، أو تحوّل، أو توقّف. كما تقارن هذه السور الثلاث بين مواقف مشركي قريش من خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ومواقف أعداد من الكفّار والمشرّكين من رسل الله السابقين، تأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى تقارب الطبيعة البشرية.

وقد جاء ذكر كل من النّبیین الصادقين داود وولده سليمان ﷺ في سورة «النمل» بقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْإِنسَانُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ

إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِسَلِيمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ بِكَيْفِكُمْ أَنْتُمْ لِمَ أَذَلُّوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سَلِيمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَا ضَاحِكًا مِنَ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

[النمل: 15 - 19].

من الدلالات الإنبائية والتاريخية والعلمية للآية الكريمة:

أولاً: أن هذه الواقعة من تاريخ عبد الله ونبيه سليمان لم يرد لها ذكر في «العهد القديم» الذي يصف سليمان بالحكمة وبالحماسة في آن واحد، وبالمبالغة في البذخ وفي تعدد الزوجات إلى سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظية؛ وفي تملك اثني عشر ألف حصان (سفر ملوك 11/1)، وهو ما لا يقبله عقل عاقل.

ثانياً: الإشارة إلى أن النمل يحيا في جماعات منظمة:

ويشير إلى هذه الحقيقة كل من اسم السورة «النمل»، والآية التي نحن بصدددها. فاسم السورة جاء بصيغة الجمع (النمل)، ولم يأت بصيغة الأفراد التي سميت بها سور قرآنية كريمة أخرى مثل سورة «العنكبوت»، والعنكبوت يحيا حياة فردية، والنمل لا يحيا إلا في جماعات. ومن الملاحظ أنه إذا ضلّت نملة عن جماعتها، أو انفصلت عنها بسبب من الأسباب، فإنها إما أن تنضم إلى جماعة أخرى أو أن تموت.

كذلك استخدمت الآية الكريمة رقم (18) من سورة «النمل» تعبير (وادي النمل)، وقد ثبت أن النمل يحيا في جماعات يتفاوت عدد أفرادها بين بضع عشرات، وعشرات الملايين. وهذه الجماعات من النمل يحكمها تنظيم دقيق، تتنوع فيه المسؤوليات والوظائف والأعمال، التي تُؤدّي كلها بمستويات مبهرة من الإتقان في الأداء، والتفاني في العطاء، والاجتهاد، والمثابرة التي يفتقر إليها كثير من الناس.

وتبدأ جماعة النمل بالملكة المخضبة التي تضع بيضها في مكان آمن ترعاه فيه حتى يفقس، وتخرج منه اليرقات التي تتعهدها الملكة حتى يتم نموها إلى الحشرة الكاملة. والملكات هي الإناث الخصبة من النمل التي أعطاها الله - تعالى - القدرة على التكاثر، ووضع البيض، ورعاية صغارها حتى تصبح قادرة على العمل. وعند تمام نمو الشغالات فإنها تبدأ في القيام بمسؤولية مستعمرة النمل قياماً كاملاً حتى تأتي ملكة جديدة. وتستغرق هذه الدورة عدة سنوات يتفاوت طولها بتفاوت نوع النمل من نوع إلى نوع آخر.

والشغالات التي تشكّل أعدادها الغالبية الساحقة في مستعمرة النمل هي إناث النمل العاقرة (العواقر) التي لا دور لها في عملية التكاثر، ولكنها تقوم بمسؤوليات الجماعة كاملة. أمّا ذكور النمل فيتحدد دورها في إخصاب الملكات. وكلّ من الملكات وذكور النمل لها أجنحة تطير بها بعد نضجها مباشرة في أسراب تتم خلالها عملية التزاوج وإخصاب الملكات، وبعد ذلك تموت الذكور مباشرة. وتعود الملكة المخضبة إلى عشّ النمل لتضع بيضها، وتقصف أجنحتها حتى لا تتكرر عملية الإخصاب لها. وتستمر الملكة في إدارة أمور جماعة النمل طيلة حياتها التي قد تمتد إلى خمس عشرة سنة، بينما تعيش الشغالات لفترات تتراوح بين الأربع والسبع سنوات فقط ثم تموت. ولذلك تقوم على مستعمرة النمل ملكة واحدة، أو عدة ملكات، بحسب حجم المستعمرة. وتقوم الشغالات ببناء المستعمرة (عش واحد أو عدة أعشاش النمل)، وبشقّ الطرقات المؤدية إليها، وعلى كل من نظافتها، وصيانتها، وحراستها، والدفاع عنها، كما تقوم بجمع الطعام، وتجهيزه وتخزينه، وبغير ذلك من الأعمال.

وقد يحتوي عشّ النمل على كائنات أخرى تتعايش مع النمل في تكافل عجيب، وذلك من مثل حشرة المنّ وبعض الخنافس.

وأمة النمل هي من أكثر الأمم الحيّة عدداً، وأوسعها انتشاراً إذ يعرف منها اليوم أكثر من ثمانية عشر ألف نوع، يمثل كلّ نوع منها ببلابين الأفراد التي تنتشر

في جميع مناطق الأرض ما عدا المناطق القطبية. ويزدهر انتشار النمل في المناطق الحارة بمتوسط 150 نملة في المتر المربع. وهذه الأسراب من النمل تبني ملايين البيوت (الأعشاش)، وتقضي على بلايين الحشرات والآفات سنوياً، ولو تركت هذه الحشرات والآفات حيّة لدمّرت الكساء الخضري للأرض. وعلى ذلك فإنّ أسراب النمل تلعب دوراً رئيساً في عمليّة الاتزان البيئي للأرض، وتمثّل حلقة هامة من حلقاتها. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ النمل بحفره المستمر في الأرض فإنه يقوم بدور هام في تهوية التربة، وتسميدها، وتعقيمها، وتطهيرها من العديد من الآفات. وبحركته وسط النباتات فإن النمل قد يقوم بدور في تلقيح بعض الزهور، وفي نشر عدد من البذور عبر مساحات متباعدة من الأرض.

ثالثاً: الإخبار: بأنّ لأمة النمل لغات خاصة بها:

سمع سليمان ﷺ نصيحة النملة لرفاقها، وفهم لغتها، وكان ذلك بنعمة من الله وفضله. وقد ظلّ عدد من علماء الحشرات يحاولون فكّ رموز لغات النمل لعشرات من السنين دون جدوى. وقد وظفوا في ذلك كل وسائل المنهج العلمي وتقنياته المتطورة، حتى أثبتوا أنّ للنمل لغات يتخاطب أفرادها بها، دون أن يتمكنوا من فك رموز تلك اللغات. واليوم أصبحت لغات التخاطب ووسائل الاتصال عند الحيوان علماً من العلوم المستحدثة في زماننا، ينطوي تحت ما يعرف باسم «علم سلوك الحيوان». إلا أنّ هذا المنهج البشري في استقراء لغات الحيوان وفهم سلوكه يبقى منهجاً جزئياً، استنتاجياً، تجريبياً، يحتمل الصواب والخطأ. لكن العلم الذي تلقاه سليمان عن ربّه هو علم يقيني، علم به سليمان لغات عدد من الحيوانات كالطير والنمل، وهي معجزة من المعجزات الحسيّة التي خصّه الله - تعالى - بها، وجعلها خارقة من الخوارق تخالف المألوف عند الناس. وكانت هذه هي أوّل إشارة مؤكّدة إلى وجود لغات محدّدة لكلّ أمة من المخلوقات العديدة التي أوجدها الخالق العظيم، بعلمه، وحكمته، وقدرته.

وأحدث ما كتب عن النمل يؤكّد أنّ هذه الحشرة العجيبة (التي يتراوح طول

الفرد من أفرادها بين المليمتر الواحد والسبعة مليمترات، ولا يتعدى حجم مخّه حجم حبة الملح المسحوق الناعم) لها قدرة هائلة على التخاطب بأكثر من لغة واحدة. فلكلّ مستعمرة من مستعمرات النمل لغتها الخاصّة بها، التي يتحدّث ويتفاهم أفرادها بها مع بعضهم بعضاً، ولها لغة أخرى تتفاهم بها مع النمل من غير مجموعتها، ومع غيرها من الحشرات والحيوانات الأخرى.

ولم يستطع العلم بكلّ تقنيّاته المتطوّرة الراهنة أن يستشف من لغات النمل إلّا بعض الظواهر والحركات والأصوات المصاحبة للكلام والتي تمّ تلخيصها فيما يلي:

1 - **اللغة الكيميائية:** والتي تتمثّل في إفراز عدد من المركبات الكيميائية الطيارة من جسم النملة، لتعبّر بكلّ مركب منها عن معنى محدد. وذلك من مثل إصدار الأوامر والتعليمات، أو التوجيهات والتحذيرات، أو غير ذلك من عمليّات الاتصال، وتبادل المعلومات والرسائل من أجل الإرشاد إلى بعض الأمور من مثل مواقع الغذاء أو مواد البناء التي تريد أن توجّه أنظار الشغالات إليها.

وقد ثبت أنّ هذه الإفرازات الكيميائية تختلف في أنواع النمل المختلفة، وتُعرف عند علماء الحشرات باسم «الإفرازات الدالّة على الأثر». ومن هذه الإفرازات الكيميائية ما يستخدم للإنذار في حالات الأخطار وتُعرف باسم «إفرازات الإنذار».

2 - **اللغة الحركيّة:** وتتم بواسطة تحريك كلّ من الأرجل والبطن والملامسة بواسطة قرون الاستشعار، وقد رصدت هذه الحركات بدقة شديدة في محاولة لإيجاد تفسير لها.

3 - **اللغة الصوتيّة:** وهذه لم يفهم منها علماء السلوك الحيواني سوى ذبذبات صوتيّة متردّدة كالصرير، تلتقطها خلايا سمعيّة في أرجل كلّ واحدة من النمل. وهذه الذبذبات الصوتيّة - وإن أكّدت أنّ للنمل قدرة على التخاطب - إلّا أنّها تبقى دون اللّغة التي سمعها سليمان ﷺ وفهم دلالاتها.

رابعاً: الإشارة إلى أن للنمل قدراً من الذكاء والوعي والإدراك والشعور:

وهذه حقيقة أكّدها الآية الكريمة بتعرف النملة على شخص عبد الله ونبية سليمان ومن معه من الجنود، وبتحذير بقية النمل من إمكانية أن يطأ جند سليمان النمل بأقدامهم أو بحوافر خيلهم، وبنصيحتها لأقرانها أن يدخلوا مساكنهم، نجاة من تلك المخاطر. ويزيد من قدرات تلك النملة تعظيماً قولها: ﴿... لَا يَحِطُّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18]. بمعنى أنها تدرك أن من صفات المؤمنين الرفق بالخلق، فإن حدث غير ذلك فإنما يكون عفواً بغير قصد منهم ولا شعور.

وقد أكّدت الدراسات المتخصصة في «علم سلوك الحيوان» كل هذه الحقائق باكتشاف أن النمل - كغيره من المخلوقات - له من الغرائز الفطرية ما يعطيه قدراً من الذكاء، والوعي، والإدراك، والشعور، الذي يمكّنه من معرفة الأشياء، والأماكن، والاتجاهات، والأوقات، والأشخاص. وهذه الغرائز الفطرية تعين كل واحدة من النمل على التمييز بين الحق والباطل، وعلى توقّي المخاطر وتجنّبها، وفي الإقدام على المغانم واقتناص فرصها، وفي ترتيب وتنظيم وضبط حياتها الاجتماعية بعدد من القواعد الدقيقة. وفوق ذلك كلّه فإنّ الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة تؤكد أنّ أمة النمل - كغيرها من الأمم غير المكلفة - هي أمة مفطورة على الإيمان بالله - تعالى - وحده ربّاً، إلهاً، خالقاً، ورازقاً، وعلى عبادته وتقديسه، والتسبيح بحمده، عبادة وتقديساً وتسييحاً تسخيرياً، لا إرادة لها في شيء منه، ولكنها تدركه وتعيشه.

وهذا يفسّر تعرف النملة على عبد الله ونبية سليمان، والإشارة بهذا الأدب الجمّ إلى مقام النبوة الذي أفاء الله - تعالى - به على هذا العبد الصالح. وهذا العلم الوهبي الذي منّ الله - تعالى - بقدر منه على جميع مخلوقاته، تتفاوت أقداره بتفاوت الأدوار المطلوبة من كلّ منها في هذه الحياة الدنيا، وفي الحدود التي وضعها الله - تعالى - لكلّ أمة من أمم هذا الوجود.

ولذلك تبسم عبد الله ﷻ ونبیه سليمان عند سماعه مقولة النملة، وقد فهمها بما وهبه الله - تعالى - من علم. ولقد أعجب سليمان بقدرة الله البالغة التي أعطت النملة (تلك الحشرة الضئيلة في الحجم هذا القدر من الوعي، والإدراك والأدب والحكمة، وأعطت رفاقها قدرة الفهم عليها، والانصياع لأوامرها، وأعطته هو القدرة على إدراك ذلك، فتوجّه إلى الله - تعالى - بالدعاء أن يلهمه شكر النعم العديدة التي أسبغها عليه وعلى والديه، وأن يوفقه إلى عمل الخير الذي يرتضيه، وأن يدخله الجنة مع عباده الصالحين، وفي ذلك تقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿فَبَسَّرَ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 19].

ومن الأدلة المجتمعة على ذكاء النمل، ووعيه، وإدراكه دقة تنظيم مجتمعاته، وضبط توزيع العمل بين أفرادها، وإحكام بناء أعشاشه وبيوته، وتنظيم المخارج منها والمداخل إليها، والمهارة في اصطيد وجمع طعامه، وحسن تجهيز ذلك الطعام، وتخزينه وصيافته ورعايته. ويضاف إلى ذلك قدرة النمل على زراعة بعض النباتات (مثل الفطر)، وحمائتها من الميكروبات بإفراز العديد من المضادات الحيويّة حولها، وقدرته كذلك على التعايش في توازن وتكافل تامّين مع العديد من الحشرات الأخرى مثل المنّ والخنافس.

خامساً: التأكيد على أنّ إدراك عبد الله ﷻ ونبیه سليمان ﷺ للغات عدد من الطيور والحشرات ولغات غيرها من الحيوانات كان هبة من الله - تعالى -:

وذلك لأنّ كلاً من سليمان وأبيه داود ﷺ لم يبذلا جهداً في تعلم منق الطير ولا لغة النمل، ولم يعلمهما ذلك إلا الله ﷻ. وتبقى هذه المنحة الإلهية معجزة تشهد لكلّ منهما بالنبوة، وذلك بين منكري الوحي من المشركين الذين كانوا يملأون جنبات الأرض في زمان كل منهما. ولا يزالون ملاحدة اليوم في هذا الإنكار إلى يومنا هذا، وسيظلون كذلك إلى قيام الساعة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان سليمان ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16]

وإثبات «علم سلوك الحيوان» في زماننا الراهن أنّ لكلّ مجموعة من المخلوقات لغتها الخاصّة بها، والتي يحاول العلماء في هذا الفرع من أفرع المعارف المكتسبة استقراء شيء منها، فيه ما يشهد لهذه النصوص القرآنيّة الكريمة بأنّها لا يمكن أن تكون صناعة بشريّة. وذلك لأنّه لو قال قائل بذلك قبل تنزل الوحي بالقرآن الكريم ما صدقه أحد من الخلق. وهذا يشير إلى لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في الآية الثامنة عشر من سورة «النمل»، ويؤكد على نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى أنه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً بعلم من لدن رب العالمين، فصلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

66 - ﴿وَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20].

هذه الآية القرآنيّة الكريمة جاءت في مقام الإنباء بإحدى النعم التي منّ الله - تعالى - بها على عبده ونبیہ سليمان بن داود ﷺ ألا وهي نعمة علم منطق الطير. وكانت هذه النعمة العظيمة هي إحدى النعم العديدة التي أفاء الله - تعالى - بها على عبده سليمان وعلى أبيه داود من قبل. وهذه النعم لم يبذل أي من سليمان أو داود جهداً شخصياً من أجل اكتسابها، بل كانت من المعجزات التي أكرمهما الله - تعالى - بها شهادة لكلّ منهما بالنبوة. وكانت إحدى هذه المعجزات هي هدهد سليمان، ذلك الطائر الصغير الذي أدرك من أحوال «ملكة سبأ» وقومها ما لم يدركه كثير من الناس في زمانه، ولا في زمن الفتن التي عمت الأرض اليوم.

(الطائر) في اللّغة: هو كل حيوان من ذوات الفقار، له جناحان يمكّنه من السبح في الهواء وإن لم يفعل ذلك، وجمعه (طير)، وإن أطلق هذا اللفظ على المفرد أيضاً؛ وجمع طير (طيور) و(أطيّار).

يقال: (طار) (يطير) (طيرورة) و(طيراناً)، و(أطاره) غيره أو (طيّره) أو (طايّره) بمعنى واحد. و(الطيّار) هو الذي يطير أو يقود طائرة، وأرض (مطار) أي: كثيرة الطير، و(المطار) مكان انطلاق عمليّات الطيران ويقال: (تطير) الشيء بمعنى تفرّق أو طال، و(استطار) بمعنى انتشر، و(استطير) بمعنى طيّر. و(طائر) الإنسان هو عمله الذي قلّده، أو طار عنه من خير أو شرّ. ويقال: «كأنّ على رؤوسهم (الطير)» إذا سكتوا من هيبة أو خوف. كما يقال: (تطيّر) فلان و(طيّر) بمعنى تشاءم، وإن كان أصله التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كلّ ما يتفاءل به ويتشاءم، وإن غلب استعماله في التشاؤم، و(الطير) و(الطيّرة) اسم من التطيّر أي التشاؤم. وفي الحديث: «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب الفأل

الحسن ويكره الطيرة»⁽¹⁾.

ولفظه (الطير) جاءت في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، وجاء الفعل (يطير) مرّة واحدة، وجاءت لفظه (طائر) بمعناها الحيواني مرّة واحدة كذلك، ولفظة (طيراً) جاءت ثلاث مرّات، وجاء الفعل (تطير) و(أطير) و(يطير) بمعنى تشاءم، مرّة واحدة لكلّ، وجاء الاسم (طائرکم) بمعنى شؤمکم في مرّتين. وجاء لفظ (طائر) بمعنى العمل مرّتين كذلك، وجاءت الصفة (مستطيراً) بمعنى فاشياً منتشرأ مرّة واحدة.

وجاء اسم طائر (الهدهد) مرّة واحدة في القرآن الكريم. والهدهد طائر أنيق، يتّسم بالذكاء، واليقظة، والحذر، وسرعة الملاحظة، وقوّة الذاكرة، وسعة الحيلة، والقدرة على التعبير، والإيمان الفطري، والتسبيح غير الإرادي، وتوحيد الله - تعالى - بصورة تكاد تكون متّصلة، والدعوة إلى الخير بلا توقّف، وإلى عبادة الله ﷻ وحده. لذلك نهى رسول الله ﷺ عن قتل الهدهد، وذلك بما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: «نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد»⁽²⁾.

والهدهد اسمه العلمي (Upupa epops) واسمه الدارج باللّغة الإنجليزيّة (Hoopoe) ويُنسب إلى فصيلة الهداهد (Family Upupidae)، وهي من فصائل الطيور ذات المنقار العظمي (Horn bill)، ولا يعرف منها أكثر من سبعة أنواع من الهداهد التي تعتبر من الطيور النادرة في كل من أوروبا والأمريكيتين، وإن انتشرت في كلّ من المناطق الاستوائية والمعتدلة من القارّتين الأفريقيّة والآسيويّة.

والهدهد طائر صغير الحجم، يبلغ طوله حوالي 30 سنتيمتراً، ويتميّز بأرجله

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، حديث رقم (3536).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، حديث رقم (5267)، وابن ماجه في كتاب الصيد، حديث رقم (3224)، و(الصرد) طائر ضخّم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر.

القصيرة وأقدامه العريضة، ومخالبه القويّة، وتاجه الريشي الجميل، المنتصب، وذيله المرتع، وريشه متعدد الألوان المبهجة، ومنقاره الطويل، الرقيق، المعقوف قليلاً إلى الأسفل، وجناحاه العريضان المدوران، وصوته الموسيقي الناعم الذي يتردد مرّة كل ثانيتين تقريباً.

والهدهد يمشي على الأرض بخطى سريعة، ويجري بسرعة ملحوظة، ويعيش عادة في المناطق المفتوحة، المكسوّة بالخضرة، والنائية عن السكان. والهدهد عادة يُرى أفراداً، وفي بعض الأحيان يُرى أزواجاً، وفي البعض النادر يُرى في جماعات. ويظير الهدهد بقوة وبمباشرة فيها شيء من الفجائية، ويحظ على الأرض باندفاع وفجائية كذلك. وهذا الطائر الجميل يعتبر من الجوارح لأنه يتغذى أساساً على الحشرات ويرقاتها، وعلى بعض اللافقاريات الصغيرة من مثل العناكب، وذوات المائة قدم، وديدان الأرض، وغيرها، ومن هنا كانت حكمة تحريم أكل لحمه.

والهدهد يستطيع بما وهبه الله (تعالى) من الذكاء الفطري أن يخلص فريسته ممّا لا يفيد كطعام من مثل الأصداف، والأجنحة، والأرجل، والزوائد الأخرى، وذلك بضرب الفريسة في الأرض عدّة مرّات حتى تنفصل تلك الأجزاء التي لا تفيده، ثم يمزق الفريسة المنظّفة بواسطة منقاره، ويأكلها جزءاً جزءاً.

والهدهد يستخدم الفتحات والفراغات الموجودة في أي من الأشجار أو الصخور أو أسقف وجدران المباني لاستعمالها عشّاً له ولفراخه بعد فرشها بالقش، أو الأعشاب، أو أوراق الشجر. وفي هذه الأعشاش تضع الأنثى بيضها وتحتضنه لمدة (16) إلى (19) يوماً ولا تغادره حتى يفقس، وعلى الذكر أن يوافيها بالطعام طوال هذه المدة. وبعد أن يفقس البيض، وتخرج منه الفراخ الصغار، تحتضن الأم صغارها لمدة ثمانية أيام أخرى في المتوسط. وصغار الهداهد تعتبر من أكثر الطيور وفاء لأمهاتها، والأمهات تعتبر من أكثر الطيور حناناً على صغارها.

والعلوم المكتسبة، وإن أدركت مؤخراً قوّة الملاحظة، والتمييز، والقدرة على التعبير في العديد من الحيوانات - ومنها الطيور - إلا أنها لا تستطيع أن

تفسر ذلك. فعلماء السلوك الحيواني لا يعرفون قدرات كل كائن حي على إدراك الأحداث التي تمرّ أمام ناظره، ولا يستطيعون تفسير كيفية انفعاله بها، أو تفاعله معها. ولا يعرفون كيفيات عمل المخّ في كلّ واحد من هذه الكائنات الحيّة، وإن تحقّقوا من قدرات تلك الكائنات على السمع والإبصار، والإدراك، والتعرف على الأشياء، وتخزين المعلومات، واجترارها، وتمييزها، وتبويبها، والتعبير عن ذلك بوسائلها المختلفة. والاكتشافات الأخيرة في «علم سلوك الحيوان» تؤكد ذلك وتدعو إليه. وقد صدرت مؤلّفات عديدة بعناوين مثل «ذكاء الحيوان وقدرته على كلّ من التفكير والسلوك» (Animal Intelligence, Thinking and Behaviour)، و«عندما تبكي الفيلة» (When Elephants Weep)، وغيرها.

وهذا كله في جانب، وفي الجانب الآخر أن يستطيع طائر صغير مثل هدهد سليمان أن يدرك خطأ عبادة الشمس التي كان يمارسها «قوم سبأ»، وأنها شرك بالله، وأنّ ذلك من تزيين الشيطان لهم، ومن صده عن صراط الله المستقيم يعتبر شيئاً محيراً لعقل الإنسان المعاصر الذي ضلّ غالبية أفراده عن حقيقة توحيد الله وتنزيهه عن جميع صفات خلقه. ويأتي فوق ذلك إدراك هذا الطائر الصغير أنّ الله - تعالى - الذي يخرج المخبوء في السموات والأرض هو الأجدر بالعبادة من كل ما سواه، وهو قمة التوحيد لله، يعتبر مستوى من الفهم يفتقر إليه الكثيرون من بني آدم. وعلم الهدد أنّ الله - تعالى - لا إله إلا هو، وأنه - سبحانه - هو ربّ العرش العظيم، يأتي بما لا تستطيع كلّ المعارف المكتسبة إدراكه، وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الموقف من سيرة عبد الله ونبيه سليمان بن داود عليه السلام لم يرد عنه شيء في كتب الأولين الموجودة بين أيدي بعض أهل اليوم.

وفي سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى مثل هذه الوقائع والحقائق من قبل أن يصل إليها علم الإنسان بأكثر من ألف وأربعمائة سنة لمما يقطع بأنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق.

ويزيد هذا الموقف إعجازاً تسجيل الآيات في سورة «النمل» لموقف عبد الله ونبيه سليمان عليه السلام الذي لم يتسرّع في تصديق الهدد أو تكذيبه، ولم تستخفه

الأخبار التي نقلها إليه عن قوم سبأ وملكتهم، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْدَبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَفِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفِيهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

[النمل: 20 - 28].

وعندما وصل الكتاب إلى ملكة سبأ فتحته وقرأت محتواه، ثم توجهت إلى الملاء من حاشيتها تستشيرهم في هذا الأمر الخطير، وفي ذلك تقول الآيات:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوْا عَلَىٰ وَأُتُوْا مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفَتُونِي فِيْ أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةٍ وَأُولُوْا بِأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذَانًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[النمل: 29 - 35].

وتؤكد هذه الآيات أن ملكة سبأ لم تعلم كيف ألقى إليها الكتاب؟ ولا من ألقاه؟ ولكنها علمت أنه من سليمان، ووصفته بأنه كتاب كريم، لأنه مبدوء بأنه من سليمان، وأنه باسم الله الرحمن الرحيم. والكتاب مطلوب فيه من أهل مملكة سبأ أمر واحد: ألا يستكبروا على هذا النبي الملك، ولا يعصوا أمره، وأن يأتوا إليه مسلمين لله - تعالى - الذي خاطبهم باسمه سليمان في الكتاب. وواضح أن الملكة أخذت بهذا الكتاب منذ اللحظة الأولى لاستلامها إياه وقراءة محتواه، لأنه يتضح فيه حزم سليمان في دعوتهم إلى دين الله (وهو الإسلام). وقررت الملكة

مواجهة ذلك بالحيلة والملاينة لأنها تعرف أن الملوك إذا دخلوا قرية فإنهم في العادة يستبيحون كل شيء فيها، ويتهكون حرمانها، ويقضون على حكامها، وعلى أهل الرأي والمشورة من أبنائها، فقررت إرسال هدية إلى سليمان لعلها ترقق قلبه، وترفع غائلة الإصرار على القتال معها عن ذهنه.

وعندما وصل رسل ملكة سبأ إلى سليمان وقدموا إليه هديتها، رفضها سليمان، وأعلن إصراره على قتالهم إن لم يأتوه مسلمين وفي ذلك تقول الآيات:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ فَرِحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل: 36، 37].

وتشير الآيات بعد ذلك إلى أن عبد الله ونبيه سليمان قد علم عن طريق رسل ملكة سبأ أو عن طريق الوحي أن الملكة قد قررت القدوم لزيارته، فتذاكر مع حاشيته في إحضار عرشها الذي تركته من ورائها بينما هي في طريقها إليه من أجل إشعارها بالمعجزات التي أيدها الله - تعالى - بها؛ وفي ذلك تقول الآيات:

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَآئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ نَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النمل: 38 - 41].

ومن معاني هذه الآيات أن عفرية من الجن الذين كان الله - تعالى - قد سخرهم تحت إمرة سليمان عرض عليه أن يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل انقضاء جلسته التي كان يجلس فيها، والتي كانت عادة تمتد من الصباح إلى الظهر فيما يروى عنه. فاستبطأ سليمان ذلك، فإذا برجل مؤمن من جلسائه يعرض عليه أن يأتيه بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه (أي في أقل من طرفة عين). وقد كان هذا الرجل ممن من الله - تعالى - عليهم بشيء من العلوم اللدنية فحقق لسليمان مطلبه. لمست هذه المفاجأة قلب سليمان الذي انطلق لسانه بالشكر لله - تعالى -

على نعمائه، وبالاستعاذة من ابتلائه، وبدأ في إعداد المفاجئات للملكة القادمة عليه، فأمر بتغيير معالم عرشها المميزة له، وذلك من أجل اختبار فراسة الملكة هل ستعرفه أم لا؟ فلما وصلت ملكة سبأ إلى قصر سليمان فوجئت بعرش يشبه عرشها أمام ناظريها، فسئلت عن العرش حتى قالت: كأنه هو، وقد هزتها المفاجأة فأعربت عن رغبتها في قبول الإسلام ديناً وفي ذلك تقول الآيات:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا
 رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 42 - 44].

هذا وقد أورد «العهد القديم» جانباً من قصة عبد الله ونبية سليمان ﷺ في سفر «الملوك الأول» الذي جاء فيه أن سليمان بنى المعبد، [إشارة إلى إعادة بناء المسجد الأقصى الذي عبد الله - تعالى - فيه هو وأبوه وأسلافه من قبل (سفر الملوك الأول/6)]. وادعى هذا السفر أن الله - تعالى - قد ظهر لسليمان (سفر الملوك الأول/9) ولعل المقصود بذلك هو تلقيه الوحي من الله - تعالى - . وجاء في هذا السفر نفسه (الملوك الأول/10) إشارة إلى زيارة ملكة سبأ لسليمان ﷺ دون أدنى إشارة إلى قصة الهدهد، ولا إلى الرسالة التي ألقيت إلى الملكة، ولا إلى مشاورتها مع حاشيتها، ولا إلى رد سليمان لهديتها، ولا إلى حادثة إحضار عرش ملكة سبأ إلى أرض فلسطين بخارقة من الخوارق من قبل وصول الملكة إليها، ولا إلى واقعة تنكير عرشها، ولا إلى ظنها أن ساحة القصر البلورية قد أقيمت فوق بركة من الماء فظنت أنها لجة من الماء فكشفت عن ساقها، ولا إلى وقوفها مشدوهة أمام ما رأت من العجائب التي أذهلتها في قصر سليمان. ولم يشر سفر «الملوك الأول» كذلك إلى اعتراف ملكة سبأ بما ظلمت به نفسها وقومها من قبل بعبادة الشمس من دون الله، فأعلنت إسلامها مع سليمان لله رب العالمين.

هذه الفوارق الفاصلة تثبت لكل ذي بصيرة أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي

والعلمي في استعراض القرآن الكريم لواقعة عبد الله ونبيه سليمان مع ملكة سبأ، كما تثبت الفارق بين كلام الله - تعالى - وإخبار البشر عن الواقعة الواحدة، وتنفي كل دعاوى المدّعين الباطلة التي زعموا فيها كذباً وبهتاناً أن قصص القرآن الكريم منقول عن العهد القديم.

وتذكر كتب التاريخ القديم أن سليمان ﷺ بعد توليته الحكم عقب وفاة أبيه قام بالاهتمام الزائد بكل من ميناء «آيلة» و«عصيون جابر» المظلين على خليج العقبة ليفتح بذلك الطريق لسفنه إلى كل من سواحل البحر الأحمر، وسواحل كل من شرق أفريقيا وشرق وجنوب آسيا.

وقد استقام الأمر لسليمان ﷺ في ميناء «آيلة» (العقبة) الذي أصبح البوابة الجنوبية لمملكته، حتى قيل أن بلقيس ملكة سبأ كانت قد قدمت إليه عن طريق ذلك الميناء.

والشبه في بعض ملامح الروايتين (القرآنية وما جاء عنها في «العهد القديم») يؤكد الأصل الواحد لهما، كما يوضح أنّ التحريف جاء في تناقل رواية «العهد القديم» شفاهاً على ألسنة الناس قبل تدوينها بأيدي مجهولين ممّن هم ليسوا بأنبياء، ولا بمرسلين، ومن ثم فلا عصمة لهم على الإطلاق. كذلك فإن رواية «العهد القديم» قد دونت في لغات غير لغة الوحي بها، وظلت تتناقل مشافهة من الأجداد والآباء إلى كل من الأحفاد والأبناء على مدى عدة قرون قبل تدوينها. وواضح ما يمكن أن تكون له هذه الروايات المنقولة شفاهاً قد تعرضت لأقدار من الحذف والإضافة، والتحريف والتغيير والنسيان والابتداع مما يخرجها عن إطارها الرباني ويفسدها إفساداً كبيراً كما يتضح مما أوردنا من نصوص «العهد القديم» عن عبد الله ونبيه سليمان بن داود ﷺ.

67 - ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتُ الْجِيَادُ﴾ [ص: 31].

يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه عن عبده ونبيه سليمان ﷺ:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفَةً وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ (٤٠)﴾ [ص: 30 - 40].

ويسجل القرآن الكريم في هذه الآيات واقعة من الوقائع الهامة في سيرة عبد الله ﷺ ونبيه سليمان بن داود ﷺ. وهذه الواقعة وحدها يعتبر تسجيلها في كتاب الله دليلاً كافياً لإثبات ربانية القرآن الكريم، ونبوة الرسول الخاتم الذي تلقاه ﷺ. وذلك لأن هذه الواقعة لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، ولا في أي من كتب الأولين المتوافرة بأيدي الناس اليوم.

من الإعجاز اللغوي في هذا النص القرآني الكريم:

(عُرِضَ) عليه بمعنى: أبرزت له حتى نظر إليها، من (عرض) يعرض (عرضاً) أي أظهر يظهر ظهوراً، والفعل في الآية الكريمة مبني للمجهول.

(العشي) هو الفترة الزمنية من زوال الشمس إلى غروبها [وصلاتا العشي هما الظهر والعصر، فإذا غابت الشمس فهو العشاء الأول وثم العشاء الآخر، وإن قال بعض اللغويين أن (العشي)، و(العشية) من صلاة المغرب إلى العتمة، و(العشاء) مثل (العشي)، و(العشاءان) المغرب والعتمة]. وزعم البعض أن (العشاء) من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، وهو تعريف مبالغ فيه. و(العشا) مقصور مصدر (الأعشى)

وهو الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، والمرأة (عشواء)، ويقال (أعشاه) الله (فعشي). ومعنى (العشي) في الآية الكريمة التي نحن بصدددها هو الفترة من بعد الزوال إلى غروب الشمس.

والصافنات: هي جمع (الصافن)، والصافن من الخيل هو القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر تعبيراً عن الزهو والاعتزاز بالذات. ويقال: (صفن) الفرس (يصفن) (صفوناً) أي: صف أقدامه، وجمعه (صُفُون) وذلك لأنّ (الصفن) هو الجمع بين الشئين ضاماً بعضهما إلى بعض، و(الصفون) صفة دالة على فضيلة متميزة من الخيل، مما يشير إلى تميز خيل عبد الله ونبيه سليمان بن داود عليهما السلام.

والجواد: جمع (جواد)، وهو الفرس السريع، الجيد الركض، السابق في العدو (ذكراً كان أو أنثى)؛ يقال: فرس (جواد) أي وجود بمدخر عدوه؛ ويقال: (جواد) الفرس (يجود) (جودة) فهو (جواد) إذا أسرع في جريه وعدوه، والجمع (جواد). و(الجواد) في الأصل منسوب إلى (الجود) وهو بذل الكثير من المقتنيات مالا كان أو علماً أو جهداً، ولذلك يقال: رجل جواد، وفرس جواد. وكان يقال: فرس (حصان) لكونه حصناً لراكبه، ويطلق لفظ (حصان) على كل ذكر من الخيل، وجمع الحصان (أحصنة). واسم (الخيل) مستمد من الخيلاء لأنّ (الخيل) تتخيل في سكونها، وفي حركاتها لما تستشعره من فضل الله - تعالى - عليها من الجمال، والقوة والذكاء، والقدرة على إدراك الكثير من الأشياء التي قد لا يدركها غيرها من الحيوانات. ولفظ (الخيل) كما يطلق على الأفراس فإنه يطلق مجازاً على الفرسان، وذلك تأولاً لما قيل إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه شيئاً من الخيلاء والزهو والشجاعة والنخوة. وفي قولهم: يا خيل الله اركبي، إشارة إلى الفرسان الذين يركبون الخيل للجهاد في سبيل الله. وفي قول المصطفى صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل إشارة إلى الأفراس. و(الخيالة) هم أصحاب الخيول الكثيرة العدد. وواضح من دقة التعبير في كل لفظ من ألفاظ هذه الآيات الكريمة أن صياغتها تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز البياني والعلمي في كتاب الله.

ويقول - عز من قائل -: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨)

[النحل: 8].

ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلَمُونَ﴾ (١٠)

[الأنفال: 60].

ويقول - وقوله الحق -: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إذ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَتُ الْإِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)

[ص: 30 - 33].

من الدلالات الإنبائية التاريخية والعلمية للآيات الكريمة:

أولاً: في قوله - تعالى - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) [ص: 30]: يخبر الله - تعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأنه ﷺ كان قد رزق عبده ونبيه داود ﷺ بالولد الصالح المسمى سليمان، وأن سليمان هذا كان كثير الرجوع إلى الله - تعالى - بالتوبة والإنابة فوصفه الله - تعالى - بوصف ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾. (وأواب) صيغة مبالغة من (آب) إلى الله بمعنى تاب إليه. يقال: (آب) (أوبا) (ومتابا) أي: عاد عودا وعبادة، أو تاب توبة ومتابا.

والمراد (بالهبة) هنا هي الذرية والنبوة والعلم، والملك، ولذلك قال

- تعالى -:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّابِئُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُو الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

[النمل: 15، 16].

وقد اختص ربنا - تبارك وتعالى - عبده سليمان بالنبوة لعلمه - جل شأنه - بما في هذا العبد من خير. وإذا قارنا وصف ربنا - تبارك اسمه - لسليمان بوصف ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ بما جاء عن هذا العبد الصالح في «سفر الملوك الأول/

11 من «العهد القديم» تحت عنوان «زوجات سليمان» لأدركننا الفارق الكبير بين كلام الله - تعالى - وروايات البشر.

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾

[ص: 31].

في هذه الآية القرآنية الكريمة وصفت خيل عبد الله ونبيه سليمان بوصفين هما: (الصافنات الجياد) وهو مدح لها بأنها واقفة (الصافنات)، وجارية (الجياد). فإذا وقفت كان ذلك على ثلاثة قوائم، وعلى طرف حافر القوائم الرابع، وذلك من علامات السكون، والاطمئنان، والثقة في النفس، والخيل بما أفاء الله - تعالى - عليها من قوة في البنية، وجمال في المظهر، وقدرات على الحس والإدراك. وإذا جرت، كانت في عدوها سبابة بسرعة، راکضة كأحسن ما تكون الجياد. ولذلك فإن عبد الله ونبيه سليمان أعجب بخيله إعجاباً شديداً، وانبهر بجمالها وحسن مظهرها، فلم يدرك مرور الوقت طيلة استعراضه لها حتى فات عليه ذكر خاص له كان يؤدبه في ذلك الوقت، أو عبادة خاصة فاتته حتى غابت الشمس، واختفت الخيل عن الأنظار. فتأسف سليمان على ذلك أسفاً شديداً يرويه القرآن الكريم على لسانه فيقول: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: 32]. أي: أنني آثرت حب الخيل حتى شغلتنني عن ذكر الله، ولم أتذكره حتى توارت الخيل عني باحتجابها، أو توارت الشمس بغروبها، أو حتى حدث الأمران معاً.

والخيل أو الأحصنة أو الفرس (Horses) هي من الحيوانات الثديية المشيمية ذات الحافر (Ungulate Placental Mammals)، وتجمع في رتبة خاصة بها تعرف باسم رتبة فردية أصابع الحافر (Order Perissodactyla = Odd-toed Ungulates) وذلك لتمييزها بإصبع عامل واحد كبير في كل قدم، وهو مغطى بالحافر الواقي له من الصدمات من أجل حمايته. والحيوان الحافري إما أن يكون فردي الأصابع من مثل الخيل، والبغال، والحمير، والحمير الوحشية وأشباهاها، وإما أن يكون زوجي الأصابع (Order Artiodactyla = Even-toed Ungulates) من مثل مختلف الأنعام

(الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، والغزلان، والزرافات، وأشباهاها).

والخيل من الحيوانات آكلة الأعشاب (Herbivorous) كما تأكل الحبوب، ولذلك تتميز بأسنانها الكبيرة، ذات السطوح العريضة، المزودة بعدد من البروزات المناسبة لجرش وطحن هذا النوع من الغذاء (مثل الحشائش، التبن، الدريس، الردة، الفول، الشعير، الشوفان وغيرها من الحبوب).

وتكثر البروزات على أسطح تيجان طواحين الخيل كي تتمكن من طحن ما تأكل. ويتبع الحصان (horse = Equus) فصيلة الأحصنة وأشباهاها (Family Equidae) التي تشمل كلاً من الحصان، والحمار، والحمار الوحشي (المخطط)، وهي جزء من رتبة الأفراس المعروفة باسم (Suborder Hippomorpha) والتي تشمل - بالإضافة إلى فصيلة الأحصنة - عدداً من الفصائل المنقرضة التي عمرت الأرض منذ حوالي خمسين مليون سنة مضت في (عهد الإيوسين = Eocene Epoch). أمّا الحصان الذي نعرفه اليوم فلم يعرف قبل المليونين الأخيرين من سني عمر الأرض (المقدر بحوالي خمسة آلاف مليون سنة على أقل تقدير). وكان هذا الحصان يحيا في قطعان برية، وذلك من قبل استئناسه بواسطة الإنسان. وقد تم استئناس الأحصنة منذ حوالي خمسة آلاف سنة مضت وذلك لاستخدامها في الركوب، وحمل الأثقال، وجرّ العربات، وفي غير ذلك من أعمال الانتقال، والزراعة، والحروب، والرياضة، وغيرها.

والحصان حيوان قويّ البنية، شديد الذكاء بصفة عامّة، نبيل الطباع، قوي الذاكرة. ومن علامات قوة ذاكرة الحصان أن له قدرة هائلة في التعرف على الأشخاص، وفي الحكم على المواقف، كما أنّ له قدرات فائقة. على الشّم، والسمع، وعلى معرفة كل من الاتجاهات، والطرق، والأماكن، وتذكرها حتى ولو كان ذلك بالليل، أو بعد فترات زمنيّة طويلة من مغادرتها.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الحصان حيوان هادئ الطبع، رصين، ليست له طبيعة عدوانيّة إلا إذا هوجم بشيء من القسوة. وهو يهرب عادة من المواجهة التي

يخافها، ويقلق لأقل سبب من أسبابها، وذلك لما له من طبيعة رقيقة، ويظهر ذلك عليه بشيء من الوجوم وعدم الحركة. ولكن إذا جوبه الحصان بالخطر، أو إذا سيئت معاملته فإنَّه يستطيع ضرب عدوّه برجليه الأماميتين وبرقبته حتى يطرحه أرضاً. والحصان له رأس مستطيل، تحمل أكبر عينين لحيوان معاصر، مقارنة إلى حجمه، ولذلك فإنَّ الذاكرة البصريّة عنده عالية جدًّا ممّا يجعله يجفل عند رؤيته لمكان أو شيء أفزعه من قبل. كذلك فإنَّ ذاكرته السمعية لا تقل حدّة عن ذاكرته البصريّة، ممّا يدفع بالمدرّبين للجياد إلى استخدام نفس الجُمْل، ونفس نبرات الصوت في توجيهها. وبعض الجياد يمكنها استقراء رغبات راكبيها حتى قبل أن ينطق الراكب بها. والجواد فوق ذلك يستشعر الحالة النفسيّة لراكبه من قلق واضطراب، أو ثقة واطمئنان، ويتصرّف على أساس من ذلك. فإذا أساء الراكب معاملته فإنَّ الجواد يستطيع الانتقام منه بطرق متعددة. ويمكن للحصان أن يعبر عن طاعته لصاحبه، وعن وفائه له، وثقته به، وعاطفته تجاهه، وذلك بتعبيرات وجهه، وحركات أذنيه، وإيماءات رأسه، أو إظهار أسنانه، أو العضّ عليها. كما يمكنه التعبير عن ذلك بصوته، وبمختلف نبرات صهيله، أو بالركل بأرجله الخلفية في تناغم دقيق. والحصان يمكنه الإتيان بالعديد من الأعمال التي تعبّر عن ذكائه من مثل فتح غطاء صندوق العلف المغلق أمامه، أو فتح باب الإسطبل الذي يحتجز فيه إذا أراد الخروج منه. وتتفاوت قدرات الخيل في ذلك تفاوتاً كبيراً، حتى ليكاد أن يكون لكل فرد منها شخصيّة الخاصّة به، وصفاته المميّزة له.

وللخيل قدرات فائقة على التلقّي والإدراك، وعلى التعاطف مع مَنْ يعنون بها، أو مع أفراد معينين من أسرة مالكيها، كما أنّ له القدرة على كراهية أفراد آخرين والنفور منهم دون سبب واضح.

ولشدّة الحاسّة السمعية عند الخيل فإنَّها تستشعر الهزّات الأرضية عند بدء انبثاقها فتهرب بعيداً عنها، وذلك قبل أن يدركها الإنسان بعدّة ساعات. وللحصان ثماني عشرة عضلة لتحريك الأذن في (180) درجة، ولذلك فهو شديد الانتباه إلّا

في حالات النوم العميق، وهذا لا يحدث إلا على فترات قصيرة جداً في كل يوم.

وبالإضافة إلى ذاكرتها البصريّة والسمعيّة، فإنّ للخيل حاسة شمّ قويّة يتعرّف بها كلّ فرد منها على رفاقه، وعلى أصحابه، كما يميّز بها بين طعام صالح أو فاسد، وماء عذب أو آسن، ووسط نظيف أو قذر، وذلك لأنّ الخيل تأنف من الروائح الكريهة. وهذه الصفات كلّها (وغيرها كثير) تشير إلى فضائل الخيل بصفة عامّة وإلى فضائل الخيل التي كان يقننها عبد الله ﷺ ونبوه سليمان ﷺ بصفة خاصّة.

وتثبت الدراسات المتأخرة في «علم سلوك الحيوان» أنّ الخيل حيوانات اجتماعيّة بطبيعتها الفطريّة، تحيا منطلقة في البراري في قطعان من أربعة إلى عشرة أفراد في المتوسط، وإن كانت بعض قطعانها قد يصل إلى أكثر من عشرين في العدد. وتعتمد كل واحدة من هذه الجماعات على العائلة التي تضم مهرة واحدة أو مهرتين وأنسالهما حتى أعمار سنتين إلى ثلاث سنوات، وعلى مهر أو أكثر من مهر واحد في المجموعة.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿الْصَّافِنَاتُ الْيَافِئُ﴾ [ص: 31]:

الإناث في جماعة الخيل هي الأمرة الحاكمة، صاحبة القرار على باقي أفراد القطيع. والمهر الذي يصحب القطيع (أو المهران أو الأمهار إذا كانوا أكثر من اثنين) له دوره في حراسة القطيع، دون أن يكون له دور في القيادة. من هنا كانت ومضة الإعجاز العلمي بالإشارة في الآية رقم (31) من سورة «ص» إلى الجياد بالتأنيث ﴿الْصَّافِنَاتُ الْيَافِئُ﴾. ومن العجيب أن تتبادل الإناث في القطيع الواحد قيادة القطيع، الواحدة تلو الأخرى بطريقة دورية، حتى لا تكون السيادة مطلقة لواحدة منهم، بينما في عالم الأناسي من يصل إلى كرسي السلطة لا يريد أن يغادره أبداً، حتى لو أراق في سبيل ذلك دماء الأبرياء بعشرات الآلاف، وخرب البلاد وحرّمها من كل شيء كما يفعل آل الأسد في سوريا الحبيبة اليوم، وكما فعل القذافي في شعب ليبيا العزيزة من قبل.

وأثنى الخيل هي الموجّهة الفعلية والمريّة الحقيقية لصغارها، فإذا أخطأ أحد الصغار نهرته وعاقبته. وقد يصل هذا العقاب إلى حدّ الطرد من مرافقة القطيع لفترات تطول بنسبة تتوافق مع حجم الجرم المقترف. فإذا انتهت مدّة العقاب عاد المعاقب إلى حدود أرض القطيع مستأذناً بالانضمام إليه، فإذا واجهته رئيسة القطيع بأنفها كان في ذلك إذن بعودته للانضمام إلى القطيع، وإن قابلته بمؤخّرتها كان ذلك رمزاً لرفض طلبه، واستمراراً للعقوبة عليه فعاد من حيث أتى.

رابعاً: في قوله - تعالى - ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: 32، 33].

في هاتين الآيتين الكريمتين اعتراف من سليمان بأنّه آثر حبّ الخيل في تلك المناسبة حتى شغله ذلك عن ذكر الله، وعن عبادة كان يؤدّيها في ذلك الوقت بالذات، فمن شدّة إعجابه بالخييل وانبهاره بجمالها، لم يدرك مرور الوقت طيلة استعراضه لها حتى فات عليه هذا الذكر الخاص الذي كان يؤدّيه في ذلك الوقت، أو العبادة الخاصّة التي فاتته حتى غابت الشمس، واختفت الخيل عن الأنظار، ونتيجة لذلك تأسّف سليمان أسفاً شديداً، وقال للمسؤولين عن الخيل في حاشيته: رُدُّوا هذه الخيل عليّ ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: «جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبّاً لها وتكرمة»، وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

والدراسات المتأخّرة في «علم سلوك الحيوان» تؤكّد أنّ لمس الإنسان لأعناق الخيل وسيقانها يلعب دوراً مهماً في تطمينها، وإشعارها بالودّ والمحبة. فجلد الخيل من أكثر أجزاء جسده حساسية للمس، لدرجة أنّها تشعر بالذبابة تحط عليه، وتعمل على طردها بحركة عضلاتها القويّة التي تنقبض وتنشط بسرعة فائقة فتهدّش الذبابة عن جسمها. وأكثر مناطق جسم الحصان حساسية للمس هي عنقه، وسيقانه، وما حول رأسه، لأنّ لكلّ حصان نقطة توازن في مركز رأسه وخلف كتفيه. من هنا كانت ومضة الإعجاز العلمي في الإشارة القرآنيّة إلى فعل سليمان

بخيله والتي يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿...فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْيَاقِ﴾ [ص: 33].

ومن مناطق الحسّ المرهف للحصان كذلك العينان والأذنان، ولذلك فالحصان لا يحبّ أن تشد أذنه، ولا يحب أن ينظر إلى عينه مباشرة أحد غير صاحبه، لأنّه يشعر أنّ في ذلك نوعاً من التهديد له. ولكلّ عين من عيني الحصان جهاز خاصّ لتضخيم كمّ الضوء الواصل إليها بإعادة عكسه لعدّة مرّات على شبكيّة العين، مما يعينها على وضوح الرؤية مهما كان الضوء ضعيفاً. لذلك فإن الخيل تنزعج من العتمة الكاملة وتنشط في الفجر وعند الغسق، وتقلق لرؤية أي عارض ولو من بعيد. والخيل تدرك أبسط الحركات أثراً من حولها، لأنّها تستطيع الرؤية بكلّ عين منفردة، كما أنّ لها رؤية مزدوجة بالعينين معاً في حدود (60) إلى (70) درجة من الأفق أمامها، وبذلك تكاد تغطّي الأفق كاملاً بالعينين معاً وبكلّ عين منفردة من جهتها.

ويمكن لراكب الفرس أن يعبر له أو لها بما يشاء عن طريق اللّمس، كذلك يمكن للفرس أن يتفاهم مع غيره من الأفراد عن طريق لمس جسديهما ببعض.

هذه الإشارات القرآنية الكريمة تؤكد فضائل الخيل في كلّ من السكون والحركة، وخيلائها بما حباها الله - تعالى - من الذكاء والفطنة والجمال والقدرة على الإدراك، وإحساسها المرهف للّمس (خاصّة حول رأسها وعنقها وسيقانها) كما تؤكد دور الأنثى في قطعانها. وهذه كلّها من الحقائق التي لم تصل إلى علم الإنسان إلّا بعد اهتمامه في القرنين الماضيين بعلم سلوك الحيوان. من هنا كان عرض هذه الحقائق بهذه الدقّة والوضوح في القرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيّ أمّي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيّتها الساحقة من الأميين لمما يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق ﷻ، ويشهد للنبيّ الخاتم الذي تلقّاه بالنبوة وبالرسالة.

68 - ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

سورة «النمل» - كغيرها من سور القرآن الكريم من مثل سورة «الشعراء» السابقة عليها، وسورة «القصص» اللاحقة بها (في ترتيب سور المصحف الشريف) - تستعرض قصص عدد من الأمم السابقة، وذلك من أجل استخلاص الدروس والعبر من مواقف الظالمين من أبناء تلك الأمم تجاه أنبيائهم. ومن خلال تلك الدروس والعبر، يمكن أن نفهم مواقف الكفار والمشركين من الرسالة الخاتمة، منذ بدايات زمن الوحي وإلى وقتنا الحالي، وحتى قيام الساعة. كما يمكن أن نفهم موقف أهل الباطل من الحق وأهله، فتتعلم كيفية التعامل مع الباطل وجنده في كل زمان ومكان.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبية سليمان بن داود عليه السلام مع إحدى ملكات مملكة «سبأ»:

يشير القرآن الكريم إلى أن الله - تعالى - سخر الطير لعبده ونبية سليمان بن داود عليه السلام فيما سخر له من الخلق. وكان من تلك الطيور المسخرة للنبي سليمان، طائر الهدهد. وفي يوم من الأيام تفقد سليمان ذلك الهدهد فلم يجده، فتوعده بعقاب منه إن لم يأت به بعدر مقبول عن تغييره، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَتَقَدَّ الْأَطِيرَ فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَحِثُّكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَذَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: 20 - 26].

وهذه الواقعة ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، لأن فترة حكم سليمان يقال أنها امتدت بين (961 - 922 ق.م)، وتاريخ مملكة «سبأ» يعود إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (إلى حدود 2500 ق.م) لأنهم عاصروا كلاً من ملوك «أور»، ثم الآشوريين. وامتد حكم خلفائهم من ملوك سبأ («بني حمير» «بني ريدان») من القرن الثاني قبل الميلاد إلى ما بعد ميلاد المسيح ﷺ ووصول دعوته إلى اليمن. وفي تلك الفترة بدأ الصراع بين بقايا اليهودية (التي كان عدد من حكام «حمير» قد اعتنقها) والنصرانية (التي كانت قد بدأت تنتشر بين أهل اليمن) وخاصة في منطقة «نجران». وفي هذه المنطقة وقعت قصة «أصحاب الأخدود»، الذين عذبوا بالنار لأنهم كانوا قد آمنوا بالإسلام الذي جاء به عيسى ﷺ. وتم هذا التعذيب بواسطة «ذي نواس» مما أدى إلى تدخل الأحباش. وتلي ذلك قصة سيف بن ذي يزن الحميري الذي حارب الأحباش بمساعدة الفرس حتى طردهم من اليمن.

وكان الفيلسوف اليوناني «ثيوفراستس» (Theophrastus) - الذي عاش في حوالي سنة 287 ق.م - أول من كتب عن قوم «سبأ» - فيما نعلم -، ووصفهم في تاريخه بأنهم من سكان المنطقة الجبلية في جنوب غرب الجزيرة العربية، والتي كانت تنتج كلاً من الطيب، واللبان، والمر، والقرفة، وتصدرها إلى مختلف بلدان العالم. وكتب «ثيوفراستس» فيما كتب عن «معبد الشمس» الذي كان مقدساً في أرض مملكة «سبأ»، وقد اكتشف حديثاً في منطقة «مأرب» آثار وصفت بأنها من عجائب الدنيا، ومن ضمنها معبد كبير لعبادة الشمس. ومن المعروف أن كلاً من الشمس، والقمر، والزهرة (عشروت) كانت تعبد في أزمنة الجاهلية في اليمن وفي غيرها من البلاد المجاورة.

وإثبات الكشوف الأثرية لأكثر من معبد من معابد الشمس في أرض مملكة سبأ مما يؤكد صدق خبر طائر الهدهد الذي أوردته الآيات الكريمة في سورة «النمل» بقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسانه: ﴿وَمَدَّتْهَا وَفَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ

دُونَ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ السَّمٰوٰتِ اَعْمٰلُهُمْ فَصَدَّوْهُمۡ عَنِ السَّبِيْلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُوْنَ ﴿٢٤﴾ اَلَّا يَسْجُدُوْا
لِلّٰهِ الَّذِيۡ يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَعَلِّمُ مَا تُحْفَوْنَ وَمَا تُعْلَمُوْنَ ﴿٢٥﴾ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ ﴿٢٦﴾ [النمل: 24 - 26].

وتؤكد هذه الآيات أيضاً إيمان الهدهد بالله - تعالى - وتوحيده التوحيد الخالص، ومعرفة شيء من صفات هذا الخالق العظيم الذي أحاط علمه بكل شيء، فلا يخفى على علمه شيء في الأرض ولا في السماء. وهذا الإيمان الفطري بالله الذي لا شريك له في ملكه، ولا شبهه له من خلقه، ولا منازع له في سلطانه، مما يثبت أن لجميع المخلوقات غير المكلفة قدر من الوعي والإدراك والذكاء، وقدر من الشعور والتأثر والانفعال. كما يثبت ذلك لطائر الهدهد - ولغيره من الخلق غير المكلف - إيماناً راسخاً بالله - تعالى - قد يعجز عن الوصول إلى مثله كثير من الخلق المكلفين. وغالبية الخلق المكلفين قد وگكولوا إلى إرادتهم الحرّة فاستدلّتهم الشياطين، وأخرجتهم من دائرة الإيمان إلى الكفر، ومن دائرة التوحيد إلى الشرك، ومن دائرة الاستقامة على منهج الله إلى دوائر الانفلات والضياع والخروج على أوامر الله. وقد حدث ذلك في القديم مع غالبية قوم «سبأ»، كما حدث مع غيرهم من الأمم التي كفرت بأنعم الله، ولا يزال يحدث إلى اليوم من غالبية أهل الأرض للأسف الشديد.

وقد انزعج النبيّ الصالح سليمان عليه السلام من شرك أهل «سبأ»، وهو حامل لواء الدّعوة إلى الإسلام (القائم على التوحيد الخالص لله - تعالى -) فأجاب الهدهد بالنصّ التالي:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ اَصَدَقْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ ﴿٢٧﴾ اَذْهَبْ بِكِتٰبِيْ هٰذَا فَاَلْقِهٖ اِلَيْهِمْ ثُمَّ
تَوَلَّ عَنْهُمْ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُوْنَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: 27، 28].

وأطاع الهدهد أمر سيده سليمان، وطار إلى بلاد اليمن، وألقى ما حمله من كتاب إلى ملكة «سبأ»، فتعجّبت الملكة من ذلك الخطاب الذي ألقى إليها والذي يقول:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ

﴿٣١﴾

[النمل: 30، 31].

وتستمر الآيات في سورة «النمل» واصفة تفاعل ملكة «سبأ» مع خطاب سليمان ﷺ وقد دعت أهل الحلّ والعقد في بلادها للتشاور معهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ﴿٣٢﴾ قَالُوْا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأُولُوْا بَأْسٍ شَدِيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْبَةً أَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْا أَعْرَظَهَا أَهْلَهَا آدِلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ﴿٣٥﴾

[النمل: 32 - 35].

وهذا الكتاب العزيز لم يذكر اسم هذه الملكة، ولكنها اشتهرت لدى المؤرخين باسم «بلقيس» وهو اسم أطلق على إحدى ملكات التبابعة (330 - 345 ق.م)، بينما عاشت ملكة سبأ التي عاصرت نبي الله سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، وقد يكون اسماً على مسمى، وقد لا يكون.

ويذكر القرآن الكريم ردّ عبد الله ونبیه سليمان على وفد ملكة «سبأ» القادم عليه، والحامل إليه هدايا الملكة بالنصّ التالي: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّوْنَ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنَا اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُمُ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ أَفْرَحُوْنَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُبُوْدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آدِلَةً وَهُمْ صَٰغِرُوْنَ ﴿٣٧﴾

[النمل: 36، 37].

وبعد رجوع موفدو ملكة «سبأ» إلى ملكتهم، وعلمها برد سليمان لهديتها، قررت السفر إلى بيت المقدس لملاقاة سليمان ﷺ، وتحركت في اتجاه الشمال مع وفد كبير من أهل الحلّ والعقد في مملكتها وذلك للتفاوض مع سليمان ﷺ. وقبل وصولها أراد هذا النبيّ الصالح أن يعد لها مفاجأة فناشد الملأ من حاشيته إحضار عرش ملكة «سبأ» إلى قصر سليمان قبل وصول الملكة إليه، كما سبق وأن أشرنا. ويسجل القرآن الكريم ذلك في الآيات التالية:

﴿قَالَ يَتَابُئُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

[النمل: 38 - 40].

وبعد وصول عرش ملكة «سبأ» إلى القدس أمر النبي سليمان صنّاعه المهرة أن يغيروا شيئاً من ملامح ذلك العرش ليرى هل ستتهدي الملكة إلى عرشها الذي تركته وراءها في مملكة «سبأ» أم لا؟ وهل ستفزع إذا تأكدت أنه هو من سرعة نقله إلى القدس أم لا؟ وهل ستدرك شيئاً من النعم التي من الله - تعالى - بها على عبده ونبيه سليمان فتؤمن معه أم لا؟ وفي ذلك يسجل القرآن الكريم ما يلي:

﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِينِ أَمْ نَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْنَا أَلْعَلِمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾

[النمل: 41 - 43].

وجملة «وَأُوَيْنَا أَلْعَلِمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» هي من قول عبد الله ونبيه سليمان، وقالها ثناءً على الله - تعالى - وتحديثاً بنعمه وأولها نعمة الإسلام. والكلام يوحى بأن ملكة «سبأ» كانت قد أسلمت في هذا الموقف لأن من معاني هذا النص الكريم: أنها وإن هديت إلى دين الله الحق، لكن سليمان وقومه كانوا قد أوتوا العلم من قبلها وكانوا مسلمين من قبل أن تعلن هي إسلامها. ويؤكد النص أن ما كانت تعبد ملكة سبأ من دون الله قبل إسلامها هو الذي صدّها عن دين الله، لأنها كانت من قوم كافرين، يعبدون الشمس من دون الله.

ومع انبهارها بمعجزة الإتيان بعرشها من أرض «سبأ» إلى القدس في زمن قياسي، أراد سليمان أن يبرهن لها على نبوته، وكان قد أعدّ لاستقبالها ساحة خاصة لقصره، صنعت أرضيتها من الزجاج الأملس الصافي كالبلور، والذي كان يغطي بركة من ماء يرى من تحت تلك الأرضية الزجاجية، وفي

ذلك تقول الآيات: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: 44].

و(الصرح) هو الصحن والساحة، وهو مقدّمة القصر؛ و(ممرّد) أي أملس؛ و(القوارير) هنا معناها الزجاج الصافي كالبلور الذي يشف عما تحته؛ و(اللجة) هي الماء الغزير العميق كماء البحر.

وبذلك يختتم هذا الموقف بين النبي الصالح سليمان بن داود ﷺ وملكة «سبأ» في زمانه، دون أن يدخل القرآن الكريم في تفاصيل اسمها، أو فيما زوجته الإسرائيليّات عن زواجه منها، وهل أنجب منها أم لا؟ لأنّ العبرة من هذا الموقف كله هو إرشادنا إلى ضرورة الدّعوة إلى دين الله بكلّ أسلوب ممكن، وهو واجب المسلم في كل زمان ومكان أيّ ما كان شأنه ومقامه، وأيّ ما كانت إمكاناته.

واستعراض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبیہ سليمان مع ملكة «سبأ» في زمانه يمثّل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وذلك لأنّ كتب «العهد القديم» تحوي كلاماً تحت عنوان «ملكة سبأ تزور سليمان» فيه من الأخطاء التاريخيّة والاعتقاديّة العديدة ما ينفي صحتها بالكامل ومن ذلك ما يلي:

- 1 - أنّ ملكة سبأ هي التي بادرت بزيارة سليمان لاختباره بعدد من الأسئلة الصعبة، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم.
- 2 - أن ملكة سبأ حملت إلى سليمان ﷺ من الهدايا: البهارات، وكميّات كبيرة من الذهب والأحجار الكريمة، التي حملت في قافلة هائلة من الجمال.
- 3 - أن ملكة سبأ اعتبرت عبد الله ونبیہ سليمان ﷺ مجرد ملك، وجردته عن النبوة بالرغم من وصفها إياه بالحكمة التي وهبه الله إياها فأقام العدل والاستقامة على الأرض.
- 4 - أن عبد الله ونبیہ سليمان ﷺ دعم المعبد (الهيكل) بالخشب الذي أهدي إليه، في إشارة إلى إعادة بناء المسجد الأقصى.

- 5 - أن سليمان عاش في بدخ منقطع النظير، وأنه كان يملك ألفاً وأربعمائة من عربات الخيل، واثنى عشر ألفاً من الخيل، وأنه كان يتلقى (666) وزنة من الذهب سنوياً، وجعل الفضة بعدد أحجار مدينة القدس، وهو كلام لا يقبله عاقل.
- 6 - أنه كان لسليمان سبعمائة زوجة بالإضافة إلى ابنة فرعون الكافرة، وثلاثمائة محظية، وهذا أيضاً من مبالغات كتبة «العهد القديم».
- 7 - عبد الله ونبيه سليمان عليهما السلام خالف أوامر الله في الزواج من مشركات صرفن قلبه عن الإيمان بالله، فعبد أصنامهم (من مثل «عشتروط، وموليش، وشيموش، وغيرها)، وأنه بنى لها معابد، مما أدى إلى غضب الله - تعالى - عليه» وهذا الوصف لا يليق بعبد من عباد الله الصالحين، فضلاً عن نبي من سلالة بيت عريق في النبوة.
- 8 - الادعاء بأن الله تعالى ظهر لسليمان مرتين، وعلى الرغم من ذلك فإن سليمان لم ينفذ أوامر الله، ولذلك غضب الله عليه وتوعدده بانتزاع الملك منه وإعطائه لأحد أتباعه والله - تعالى - يصف ذاته العلية بأنه «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ﴿١٣﴾ [الأنعام: 103].
- 9 - الادعاء بأن الله - جلّ جلاله - قال لسليمان أنه إكراماً لداود فإنه لن يمزق مملكة سليمان في حياته، ولكن بعد وفاته، فسوف ينتزع الملك من ابنه، ويعطيه قبيلة واحدة يحكمها لأجل خاطر داود، ومن أجل مدينة القدس (انظر سفر ملوك الأول: 1/10 - 29، 1/11 - 13).

سليمان ﷺ في العهد القديم:

1 Kings 9,10

573 / ٥٧٣

ملوك الأول ١٠،٩

men. ²⁸They sailed to Ophir and brought back 420 talents of gold, which they delivered to King Solomon.

مع بَعَاة شَلْتَمَانَ. ²⁸فَتَلَفُوا أَوْفِرَ حَيْثُ جَلَسُوا مِنْ هَهُنَا أَنْعَ مِثْرَ وَعِشْرِينَ زَوْزَةَ (نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ لَافًا) وَمِثْرَ وَعِشْرِينَ كِيلُوغَرَامًا) مِنَ الذَّهَبِ. حَمَلُوهَا إِلَى الْمَلِكِ شَلْتَمَانَ.

The Queen of Sheba Visits Solomon

10 When the queen of Sheba heard about the fame of Solomon and his relation to the name of the LORD, she came to test him with hard questions. ²Arriving at Jerusalem with a very great caravan—with camels carrying spices, large quantities of gold, and precious stones—she came to Solomon and talked with him about all that she had on her mind. ³Solomon answered all her questions; nothing was too hard for the king to explain to her. ⁴When the queen of Sheba saw all the wisdom of Solomon and the palace he had built, ⁵the food on his table, the seating of his officials, the attending servants in their robes, his cupbearers, and the burnt offerings he made at the temple of the LORD, she was overwhelmed. ⁶She said to the king, "The report I heard in my own country about your achievements and your wisdom is true. ⁷But I did not believe these things until I came and saw with my own eyes. Indeed, not even half was told me; in wisdom and wealth you have far exceeded the report I heard. ⁸How happy your men must be! How happy your officials, who continually stand before you and hear your wisdom!" ⁹Praise be to the LORD your God, who has delighted in you and placed you on the throne of Israel. Because of the LORD's eternal love for Israel, he has made you king, to maintain justice and righteousness." ¹⁰And she gave the king 120 talents of gold, large quantities of spices, and precious stones. Never again were so many spices brought in as those the queen of Sheba gave to King Solomon. ¹¹(Hiram's ships brought gold from Ophir; and from there they brought great cargoes of almagwood and precious stones. ¹²The king used the almagwood to make supports for the temple of the LORD and for the royal palace, and to make harps and lyres for the musicians. So much almagwood has never been imported or seen since that day.) ¹³King Solomon gave the queen of Sheba all she desired and asked for, besides what he had given her out of his royal bounty. Then she left and returned with her retinue to her own country.

زيارة ملكة سبأ

وَعِنْدَمَا بَلَغَتْ الْخَبِيرَ شَلْتَمَانَ وَفَقَلَّاهِ لِاسْمِ الرَّبِّ ١٠
سَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَأَ، فَبَيَّتْ لِتَفْتِي عَلَيْهِ لِسَبْطَةِ
عَسِيْرَةٍ. ^٢فَوَصَلَتْ أَوْشَلِيمَ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ جَمًّا، وَجَمَلٌ مَحْمَلَةٌ
بِالْمُهَيَّبِ وَالذَّهَبِ وَفِيهِ وَجِبَارَةُ كَثِيرَةٌ. وَأَسْرَبَتْ إِلَيْهِ بِكُلِّ
مَا فِي نَفْسِهَا. ^٣فَأَجَابَتْ شَلْتَمَانَ عَنْ كُلِّ اسْتِشْغَالٍ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَتَجَدَّ عَنْ شَرَحِ شَيْءٍ. ^٤وَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةُ سَبَأَ كُلَّ حِكْمَةِ
شَلْتَمَانَ، وَشَاهَدَتْ أَقْضَى الَّذِي شَاهَدَتْهُ، وَمَا يَتَقَدَّمُ عَلَى
مَائِدَتِهِ مِنْ طَعَامٍ، وَيَجْلِسُ رِجَالُ دَوْلَتِهِ، وَمُزَوِّفٌ حُلِيِّهِ
وَمُتَلَابِسُهُمْ، وَسَفَافَةٌ وَتَحْرِيقُهُ الَّذِي كَانَ يَفْرُقُهَا فِي نَسْتِ
الرَّبِّ، أَغْرَبَهَا الْكُلُّونَ الْعَمِيقَ. ^٥فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: يَا الْأَخِيْرَ
الَّذِي بَلَغْتَنِي فِي أَرْضِي عَنْ أَسْمُوكَ وَحِكْمَتِكَ هِيَ حَقًّا
صَحِيحَةٌ. ^٦وَلَمْ أُصَدِّقْهَا فِي بَدْوِي الْأَمْرَ حَتَّى جِئْتُ
وَشَاهَدْتُ. فَوَعَدْتُ أَنْ مَا بَلَغْتَنِي لَا يَجَاوِزُ نِصْفَ الْحَقِيقَةِ.
قَدْ رَأَيْتُ أَنْ حِكْمَتَكَ وَصَلَاحَتَكَ تَهْدِيَانِ عَمَّا حَفِيفَةٌ مِنْ
أَخْبَارِكَ. ^٧طَوَسِي لِرِجَالِكَ وَطَوَسِي لِخُدَمَائِكَ الْمَتَلَابِسِينَ ذِيْمَا
فِي حَضْرَتِكَ يَسْمَعُونَ حِكْمَتَكَ. ^٨فَلْيَبْتَهِرِكَ الرَّبُّ فِي هَذَا
الَّذِي سُرِّبَكَ، وَأَجْلِسْكَ عَلَى عَرْشِي إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّهُ يَفْضَلُ
تَحِيَّتِيهِ الْأَبَدِيَّةَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَقْنَمَكَ مِثْلًا لِجُزْئِي الْمَدِينِ
وَالْبَيْرِ. ^٩وَأَعْطَيْتُ الْمَلِكَ مِثْرَ وَعِشْرِينَ زَوْزَةَ (نَحْوُ أَرْبَعَةِ أَلْفِ
وَقَلَدِ مِثْرَ وَعِشْرِينَ كِيلُوغَرَامًا) مِنَ الذَّهَبِ وَالْمُهَيَّبِ كَثِيرَةً
وَجِبَارَةَ كَثِيرَةً. فَكَتَبْتُ الرُّكُوبَ الَّذِي أَهْلَيْتُمَا مَلِكَةَ سَبَأَ
لِلْمَلِكِ شَلْتَمَانَ مِنَ الزَّوْزَةِ بِحَسَبِ لَمَّ مَلِكُهَا فِي
مَا بَعُدَ. ^{١٠}وَعَلَيْتُ أَيْضًا شُرْنَ جِرَامَ الَّذِي حَمَلَتْهُ الذَّهَبُ مِنَ
أَوْفِرَ. حَشَبَ الشُّنْطَلِ بِكَمِيَّتِهِ وَبِالزَّوْزَةِ جَمًّا وَجِبَارَةَ كَثِيرَةً.
^{١١}فَصَنَعَ شَلْتَمَانَ مِنْ حَشَبِ الشُّنْطَلِ ذَرْبِيْنِيًّا لِجَنْجَلِ الرَّبِّ
وَالْقَضِي. كَمَا صَنَعَ مِثْرَةَ أَعْرَافًا وَقِيَارَاتٍ. وَأَمَّ مَرَّ وَتَمَّ يَجْلِبُ
حَتَّى الْيَوْمِ مِثْلَ حَشَبِ الشُّنْطَلِ ذَلِكَ لِكَثْرَتِهِ. ^{١٢}وَأَعْطَى الْمَلِكُ
شَلْتَمَانَ مَلِكَةَ سَبَأَ كُلَّ مَا رَغِبَتْ فِيهِ، فَضْلًا عَمَّا أَعْدَدَتْ لَهَا
وَمَا يَكْرَهُ. ثُمَّ انْصَرَفَتْ فِي وَحَايَتِهَا إِلَى أَرْضِهَا.

Solomon's Splendor

¹⁴The weight of the gold that Solomon received yearly was 666 talents, ¹⁵not including the revenues from merchants and traders and from all the Arabian kings and the governors of the land.

¹⁶King Solomon made two hundred large shields of hammered gold; six hundred bekas of gold went into each shield. ¹⁷He also made three hundred small shields of hammered gold, with three minas of gold in each shield. The king put them in the Palace of the Forest of Lebanon.

¹⁸Then the king made a great throne inlaid with ivory and overlaid with fine gold. ¹⁹The throne had six steps, and its back had a rounded top. On both sides of the seat were armrests, with a lion standing beside each of them. ²⁰Twelve lions stood on the six steps, one at either end of each step. Nothing like it had ever been made for any other kingdom. ²¹All King Solomon's goblets were gold, and all the household articles in the Palace of the Forest of Lebanon were pure gold. Nothing was made of silver, because silver was considered of little value in Solomon's days. ²²The king had a fleet of trading ships at sea along with the ships of Hiram. Once every three years it returned, carrying gold, silver and ivory, and apes and baboons.

²³King Solomon was greater in riches and wisdom than all the other kings of the earth. ²⁴The whole world sought audience with Solomon to hear the wisdom God had put in his heart. ²⁵Year after year, everyone who came brought a gift—articles of silver and gold, robes, weapons and spices, and horses and mules. ²⁶Solomon accumulated chariots and horses; he had fourteen hundred chariots and twelve thousand horses, which he kept in the chariot cities and also with him in Jerusalem. ²⁷The king made silver as common in Jerusalem as stones, and cedar as plentiful as sycamore-fig trees in the foothills. ²⁸Solomon's horses were imported from Egypt and from Kue—the royal merchants purchased them from Kue.

شراء سليمان وأجماده
¹⁴وكان وزن الذهب الذي حصل عليه سليمان في سنة واحدة ستة مئة وستة وستين وزنة ذهب (تحو ثلاثة وعشرين ألفاً وتسع مئة وستة وستون كيلوجراماً). ¹⁵فضلاً عن عوالمب ضربيب النجباء وأرتاح يجاربه مع ملوك العرب وولاة الأرض. ¹⁶وصنع سليمان مئتي قرص من الذهب المطروق، اشتعلك كل قرص منها ستة مئة شابل (تحو ثلاثة كيلوجرامات) ونصف الكيلوجرام) من الذهب. ¹⁷وثلاث مئة ذراع من ذهب مطروق، اشتعلك كل ذراع منها ثلاثة أمتاه من الذهب (تحو كيلو وثلاثي مئة جرام). ¹⁸وجعلها سليمان في قصر عتبة لبنان. ¹⁹وصنع سليمان عرشاً عظيماً من عاج، غشاه بذهب إريزي. ²⁰وكان للعرش ستة درجعات، وله رأس مستدير من الخلف، ومشدان على مجيئيه حولا موضع الجلوس، وأشدان يتفان إلى مجراو المشدنين. ²¹والهم على الدرجات الست أفا عشر أشدا، ستة على كل مجريه. فلم تكن لهذا العرش نظير في كل المملكة. ²²لما يجيع أبنية ضرب الملوك سليمان، وصار أبنية قصر عتبة لبنان، فكانت كلها مضموعة من الذهب الخالص، فالفضة لم تكن لها قيمة في أيام سليمان. ²³وكان للملك أشطول بحري مجلوي يتعمل بالمشاركة مع أشطول جيرام. فكان هذا الأشطول التجاروي يأتي مرة كل ثلاث سنوات محملاً بالذهب والفضة والعاج والقرود والطنابيس وتزرغها في إسزابل. ²⁴وتعدنا تقاطم شأن الملوك سليمان على كل ملوك الأرض من حيث ألبس والحكمة. ²⁵وتوالد الناس من جميع أرجاء الأرض للملوك في حضرة سليمان والأستماع إلى حكيمه التي أودعها الله في قلبه. ²⁶فكان كل واحد يأتي حليلاً هديها من أوبن فضة وذهبية، وحلل وسلاح وتوابل وخيل وبعال سنة بعد سنة. ²⁷وتجمع لدى سليمان مراكب وفزسان، فكانت له ألف وأربع مئة مركبة، وأفا عشر ألف فارس، فوؤعهم على مدن المركبات، وأحفظ ينهض ملهم معه في أورشليم. ²⁸وأشدت الفضة في أورشليم فالخصى يكثرت، كما صار خصب الأرض ليقربوه لا نهيد قيمة عن خصب الجمين. ²⁹وقد أشطودت خيل سليمان من مصر ومن شوع، وكان تجر الملك يتسلمونها من شوع بثمن مئتين.

1 Kings 10,11

575 / eve

ملوك الأول، ١١، ١٠

²⁹They imported a chariot from Egypt for six hundred shekels of silver, and a horse for a hundred and fifty. They also exported them to all the kings of the Hittites and of the Arameans.

وَفَرَسَ مَجْمَرُ الْمَلِكِ نَسْتَوِدُونَ الْمَرْكَبَاتِ مِنْ مِصْرَ، فَيَمْلِكُونَ بِسِتِّ مِئَةِ شَاكِلِ (نَحْوِ سِتِّمِئَةِ كَيْلُوجِرَامَاتِ) مِنْ الْبَيْضَةِ عَنْ كُلِّ مَرْكَبَةٍ، وَمِئَةً وَخَمْسِينَ شَاكِلًا (نَحْوِ كَيْلُوجِرَامَتَيْنِ) عَنْ كُلِّ فَرَسٍ. لَمْ يَصْدُرُوا بِهَا لِجَمِيعِ مُلُوكِ الْحِثِّيِّينَ وَمُلُوكِ الْأَرَامِيِّينَ.

Solomon's Wives

11 King Solomon, however, loved many foreign women besides Pharaoh's daughter—Moabites, Ammonites, Edomites, Sidonians and Hittites. ²They were from nations about which the LORD had told the Israelites, "You must not intermarry with them, because they will surely turn your hearts after their gods." Nevertheless, Solomon held fast to them in love. ³He had seven hundred wives of royal birth and three hundred concubines, and his wives led him astray. ⁴As Solomon grew old, his wives turned his heart after other gods, and his heart was not fully devoted to the LORD his God, as the heart of David his father had been. ⁵He followed Ashtoreth the goddess of the Sidonians, and Molech the detestable god of the Ammonites. ⁶So Solomon did evil in the eyes of the LORD; he did not follow the LORD completely, as David his father had done. ⁷On a hill east of Jerusalem, Solomon built a high place for Chemosh the detestable god of Moab, and for Molech the detestable god of the Ammonites. ⁸He did the same for all his foreign wives, who burned incense and offered sacrifices to their gods.

زَوَاجَاتِ سُلَيْمَانَ
وَأَتَوَعَ سُلَيْمَانُ بِنَاتِ غَرِبَاتٍ كَثِيرَاتٍ، فَضَلَّ عَنْ آيَةِ يُوعَزُونَ، فَتَزَوَّجَ بِنَاتِ مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، وَكَلَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ الْأُمَمِ الَّتِي تَمَسُّ الرَّبُّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ عَنِ الْزَّوْجَاتِ بِهِنَّ قَلِيلًا لَهُنَّ، لَا تَتَزَوَّجُوا بِهِنَّ وَلَا هُنَّ بِتُكُمُ، لِأَنَّهِنَّ يَعْزُونَ قُلُوبَكُمْ تَرَادَ الْغَضَبِ. وَلَكِنْ سُلَيْمَانُ التَّصَّقَ بَيْنَ لِقَامِ تَحْبِيهِ لَهُنَّ. لَكُنْتُ لَهٗ شَيْخٌ مِثْلَ زَوْجَةٍ، وَثَلَاثَ مِئَةِ تَحْبِيَةٍ، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ. فَانْتَصَلَفْنَ فِي زَمَنِ شَهْوَاهِهِ أَنْ يُعْبُونَ قَلْبَهُ تَرَادَ الْهَيْدِ الْهَيْدِ أُخْرَى، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُسْتَقِيمًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهُهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَمَا لَيْتَ أَنْ عَبَدَ عَشْتَرُوثَ الْهَيْدِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلَكُومَ إِلَهَ الْعَمُونِيِّينَ الْبَيْضِ. وَأَزْكَبَتِ الْكُشُرُ فِي عَيْنَيْهِ الرَّبَّ، وَلَمْ يَتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّبِّ بِكَمَالٍ كَمَا قَلْبُ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَأَقَامَ عَلَى كُلِّ شَرْعِيٍّ أَوْزَلِيمٍ مَرْفَعًا مَرْفَعًا إِلَى الْمُوَابِيَّاتِ الْقَفِيقِ، وَمَلُوكَ إِلَى نَبِيِّ عَمُونَ الْبَيْضِ. وَأَضْعَفَ مَرْفَعَاتٍ لِجَمِيعِ بَنَاتِ الْغَرِبَاتِ، الَّلَّوَاتِي زَخَنَ يُوقِدْنَ الْخَمْرَ عَلَيْهَا وَتَقْرَبْنَ الْمُنْحَرَفَاتِ لِإِلَهِهِنَّ.

The Word of God to Solomon

⁹The LORD became angry with Solomon because his heart had turned away from the LORD, the God of Israel, who had appeared to him twice. ¹⁰Although he had forbidden Solomon to follow other gods, Solomon did not keep the LORD's command. ¹¹So the LORD said to Solomon, "Since this is your attitude and you have not kept my covenant and my decrees, which I commanded you, I will most certainly tear the kingdom away from you and give it to one of your subordinates. ¹²Nevertheless, for the sake of David your father, I will not do it during your lifetime. I will tear it out of the hand of your son. ¹³Yet I will not tear the whole kingdom from him, but will give him one tribe for the sake of David my servant and for the sake of Jerusalem, which I have chosen."

وَعَبَدَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ
انْقَضِيَتْ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ ضَلَّ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهٗ مَرَّتَيْنِ، وَتَهَادَ عَنِ الْعَزِيمَةِ تَرَادَ الْهَيْدِ أُخْرَى، فَلَمْ يَطِيعْ وَصِيَّتَهُ. "إِهْلًا قَالِ اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ، لِأَنَّكَ انْحَرَفْتَ عَنِّي وَتَحَلَّيْتَ غَدِي، وَلَمْ تَطِيعْ قَرَائِصِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، لِئَنِّي حَتْمًا أَسْرِقُ أَوْصَالَ تَمَلِكِيَّتِكَ، وَأُعْطِيهَا لِأَخِي عَمِيدِكَ. "إِلَّا أَنِّي لَا أَلْعَلُّ هَذَا فِي أَيْمِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ هَذَا أَيْمِكَ أَسْرِقُهَا. "أَعْرِضْ أَلِي أَنِّي لَهٗ سَيْطًا وَاجِدًا، يَمْلِكُ عَلَيْكَ (حَتْمًا) لِدَاوُدَ غَدِي، وَمِنْ أَجْلِ أَوْزَلِيمِ الَّتِي اخْتَرْتُمُهَا..

69 - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ [سبأ: 14].

هذا النص القرآني الكريم جاء في مطلع الربع الثاني من سورة «سبأ»، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (54) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى «قوم سبأ»، وهم قبيلة من العرب سكنت اليمن وسميت باسم جدّهم (سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

تناولت هذه السورة الكريمة - فيما تناولت - قصص عدد من أنبياء الله الشاكرين لأنعمه، وعدد من الأمم التي أبطرتها النعم كقوم (سبأ) الذين عاقبهم الله - تعالى - على بطرهم بإقصاء نعمه عنهم، وتلك سنة الله في خلقه، وهي سنة لا تتوقف، ولا تتخلف أبداً، (فاعتبروا يا أولي الأبصار...!!)

من الدلالات الإنبائية والتاريخية والعلمية للنص الكريم:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ...﴾ .

ودابة الأرض التي جاء ذكرها في هذا النص القرآني الكريم هي إحدى الحشرات التي تأكل الخشب، وتحفر فيه لتتخذ منه مأوى وطعاماً في آن واحد ولذا تعرف باسم ناقرات أو ناخرات الخشب (Wood Borers) أو «القادح». ومن هذه الحشرات: الأرضة (القرضة)، العتة، زنابير الخشب، ويرقات الفراشة الماعز، ويرقات الخنافس (من مثل الخنافس ذات القرون الطويلة، خنفساء المسك اللامعة، الخنفساء الزنبورية، خنفساء الحطاب، خنافس الأثاث، خنافس أعمدة التلغراف، خنفساء قلف الأشجار، والخنفساء المعروفة باسم نذير الموت،

وغيرها). ومن ناقرات الخشب أيضاً بعض سوس الأشجار (مثل سوس شجرة الصنوبر)، ومنها ما يعرف تجاوزاً باسم نمل الخشب أو النمل الأبيض (Termites). وقد جمع القرآن الكريم ذلك كله في تعبير علمي دقيق هو «دابة الأرض». وهو وصف معجز لأنَّ أغلب هذه الحشرات تعيش تحت سطح الأرض أو في جذوع الأشجار، أو في داخل أخشاب كل من الأثاث والبناء، مختفية عن الضوء، لأنها لا تقوى على التعرّض طويلاً لأشعة الشمس، ولذا نجدها قبل غزو الخشب تتحرّك في أنفاق طينية طويلة تصنعها الشغالات.

وناخرات الخشب تشكّل أعداداً كبيرة من الحشرات التي توضع في مجموعات تصنيفية مختلفة ومتعدّدة، وتضمّها صفة أنها كلّها تعيش على أخشاب الأشجار طعاماً ومأوى. فما يعرف باسم النمل الأبيض (نمل الخشب) على سبيل المثال هو من الحشرات متساوية الأجنحة (Isoptera)، ولكنه ليس من النمل. وهو يعيش عيشة جماعية في مستعمرات شبيهة بمستعمرات النمل. ومستعمرات النمل الأبيض تقوم على الملك والملكة، والشغالات، والناسلات المتساوية العدد تماماً مع الذكور، وهم الجنود الذين لا دور لهم إلاّ حراسة المستعمرة.

وأنواع النمل الأبيض (Termites) التي تمّ التعرف عليها يصل عددها إلى قرابة الثلاثة آلاف نوع، ينتشر أغلبها في المناطق الاستوائية، والمدارية، وشبه المدارية، والمعتدلة، وتتضاءل أعدادها في اتجاه القطبين.

وتحمل هذه الحشرات في جهازها الهضمي عدداً من الطفيليات مثل البكتيريا والطلائعيات (الحيوانات الأولية وحيدة الخلية الحاملة لنواة محددة) التي تتعايش معها لتعينها على هضم المواد الخشبية من مركبات السيليلولوز (Cellulose)، واللجنين (Lignin) وتحولها إلى مواد صالحة لطعام هذه الحشرة.

أمّا الخنافس (Dung Beetles = Scarabs) ذات القرون الطويلة فإنّ أنثاها تضع حوالي خمسين بيضة في المرّة الواحدة، وتضعها في أي كسور أو شقوق أو فتحات في الخشب، سواء كان غصّاً (في جذوع وفروع الأشجار والشجيرات

الخصراء) أو كان ميتاً (أي: واقعاً منها، أو منشوراً عنها). وعندما يفسس هذا البيض تخرج منه اليرقات لتنخر في الخشب الذي تتغذى على ما تنخره منه بواسطة إنزيمات وخمائر خاصة تفرزها عليه. ومن الفراغ الناتج عن نخر الخشب تهيم هذه اليرقات لنفسها سكناً فيه، وإن حاولت أن تبقى قريبة من السطح. وتعيش اليرقات في سراديبها التي حفرتها في داخل الخشب لفترات تتراوح بين السنة والثلاث سنوات إذا كان الخشب رطباً. أما إذا كان الخشب جافاً فقد تبقى اليرقات إلى فترات تقترب من عشرين سنة، يكتمل فيها نمو اليرقة إلى الحورية، ثم إلى الحشرة الكاملة التي لا تخرج مباشرة لتعاود هذه العملية من جديد إلا في فترتي الربيع والصيف بعد أن تكون قد نخرت ثقوباً بيضاوية تتراوح أقطارها بين السنتيمتر وضعف ذلك. وقد يؤدي هذا النخر إلى أضرار كبيرة بالخشب الذي نخرته يرقات الخنافس وعاشت بداخله. وعندما تخرج الحشرة الكاملة من الأنفاق التي حفرتها في الشجرة التي تطفلت عليها (أو الخشب الجاف الذي عاشت فيه) فإنها لا تبتعد كثيراً، فإمّا أن تعيش تحت قلف الشجرة، أو في التربة المحيطة بها، أو على الأزهار المتفتحة من حولها، فتغذى على حبوب اللقاح التي تجمعها منها.

والأشجار التي تتطفل عليها يرقات الخنافس هي عادة من ذوات الأوراق العريضة مثل أشجار البلوط، والصفصاف، والحوار وأشباهها. أما زنابير الخشب فإنها تركز على الأشجار المخروطية وتعرض عن الأشجار ذات الأوراق العريضة بصفة عامة. ومن النمل الأبيض ما يعيش في داخل كل من الأخشاب الرطبة والجافة، ومنه ما يحيا في داخل التربة، مع بناء عدد من الأعشاش له فوق سطح الأرض.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿...تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ...﴾:

من حكمة الله البالغة أنه بعث خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في أرض صحراوية يندر فيها النبات إلا في بعض الواحات المحدودة، حتى تبقى آيات النبات في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة من المعجزات الشاهدة بصدق نبوته ﷺ

وبصدق الوحي الموحى به إليه (القرآن الكريم). ومن هذه الآيات قول الحق - تبارك وتعالى - عن دابة الأرض أنها كانت تأكل منسأة سليمان ﷺ (أي: عصاته التي كان يتوكل عليها)، وكانت من خشب. وسميت العصاة (منسأة) لأنها يزجر بها الحيوان ويساق، وتؤخر بها الغنم وتدفع إذا تجاوزت حدود المرعى. والكلمة مستمدة من قوله (نسأ) البعير أي زجره وساقه، أو أخره ودفعه، و(النسيء) تأخير في الوقت عن زمنه، ومثله (النسيئة)، و(النساء)؛ و(المنسأ) و(المنسأة) عصا (ينسأ) بها الشيء (أي: يؤخر، ويزجر). وعصاة سليمان كانت بالقطع من الخشب لأن الناس - في زمانه - لم يكونوا يستخدمون لصناعة العصي غير الخشب.

وربما لاحظ الناس منذ القدم نخر بعض الحشرات للخشب (خاصة في البلاد ذات الكساء الخضري الكثيف) أمّا حقيقة أن تلك الحشرات بالفعل تأكل الخشب وتحيا على مواده السيليلولوزية واللجينية الجافة بإفراز بعض الإنزيمات والخمائر الخاصة عليها فلم تدرك إلا بعد تطور علم الحشرات في القرنين الماضيين وفي هذه الفترة من الزمن بدأ الإنسان يعير هذه المخلوقات الدقيقة اهتمامه حتى وصل عدد الأنواع المعروفة من الحشرات إلى قرابة المليون نوع.

وتقسم الحشرات اليوم - كما تقسم بقية المخلوقات الحيّة - حسب طرائق اغتذائها إلى آكلات النبات، وآكلات اللّحوم (اللّواحم)، وآكلات كلّ من النباتات واللّحوم (الحشرات المتنوّعة الأكل) بالإضافة إلى ما يعرف باسم الحشرات الممرمة التي تتغذى على المواد النباتية أو الحيوانية الميتة أو المتحللة ممّا يساعد على تنظيف البيئة من آثارها المدمّرة، وذلك بإتمام عمليّات تحلل تلك الجيف وتفككها إلى مواد تخصب التربة.

ومن الحشرات آكلة النباتات ما يعيش على امتصاص العصارات الغذائية التي تجري في خلايا تلك النباتات. ومنها ما يعيش على أكل أوراق النباتات (وتعرف باسم الحشرات مجردة النباتات من أوراقها). ومنها ما يعيش داخل أوراق النباتات (الحشرات صانعة الأنفاق في أوراق النباتات). ومنها ما يعيش داخل ثمار النباتات

(أكلات الثمار). ومنها ما يعيش داخل المحاصيل النباتية المختلفة مثل الحبوب، (أكلات البذور)، وما يعيش داخل الفطور المتنوعة (أكلات الفطر)، ومنها ما يعيش داخل الدرنات النباتية وغيرها (أكلات الدرنات). وهناك الحشرات التي تحيا على قلف الأشجار (حشرات القلف)، ومنها ما يحفر في الخشب ويتغذى على ما فيه من بقايا المواد السكرية والنشوية في الخلايا الخشبية، وعلى مكونات تلك الخلايا من المواد السيلولوزية واللجينية بعد تفكيكها إلى مركباتها الأساسية، وتعرف هذه الحشرات باسم «ناخرات الأخشاب Wood Borers». وهذه الناخرات - كما سبق وأن ذكرنا - تنخر في كلّ أخشاب الأشجار، وفي الأخشاب الجافة للحصول على كلّ من الغذاء والماوى. لذلك زوّدها الله - تعالى - بالأدوات اللازمة للنخر في الخشب. كما زوّدها بالقدرة الفائقة على هضم ما بالخشب من مواد سيلولوزية ولجينية صعبة التحلل. ويتم ذلك إما بإفراز عدد من الإنزيمات والخمائر القادرة على تحليل الخشب، أو بالتعايش مع أعداد من البكتيريا والطلائعيات (الأوليات) التي تنتشر في القنوات الهضمية لتلك الحشرات والتي أعطاها الله - تعالى - القدرة على تحليل المواد السيلولوزية واللجينية، وتحويلها إلى مواد صالحة لتغذية تلك الحشرات الناخرة. وأغلب ناخرات الأخشاب هي من اليرقات التي يتحوّل الكثير منها إلى الحوريات ثم إلى الحشرات البالغة، بعد فترات متباينة لنموها في داخل الخشب تتراوح بين عام واحد، وأكثر من عشرين عاماً. وقد زوّد الله - تعالى - ناخرات الخشب بالأدوات اللازمة للنخر سواء كان ذلك من الزوائد الفمّية أو آلة وضع البيض في أنثى الحشرة، أو بهما معاً.

ففي حالة زنابير الخشب الكبيرة (التي تنخر في الأشجار المخروطية) نلاحظ أنّ الأنثى تستخدم آلة وضع بيضها القوية المسننة مثل المنشار في نشر ثقب في الخشب الصلب لكي تضع بيضها فيه. وبعد فقس البيض تقوم اليرقات بالتغذية على الخشب فتحفر أنفاقاً يزيد طول الواحد منها على ثلاثين سنتيمتراً في فترة نموها المتراوحة بين سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات. وعند تحول اليرقة إلى عذراء

تكون اليرقة قد حفرت لها طريقاً في الخشب يقرب من السطح بحوالي سنتيمتر واحد فتقوم العذراء بنخره لتخرج على هيئة زنبور الخشب، الذي تعاود أنثاه الكرة من جديد. ويلزم ليرقات ناخرات الأخشاب ابتلاع كميات كبيرة من الخشب لتحصل منها على الغذاء الكافي لنشاطها ولنموها.

ويرقات ناخرات الأخشاب تشكل جزءاً مهماً من غذاء الطيور المعروفة باسم «نقار الخشب»، الذي ينقر في أخشاب الأشجار المصابة فقط، لاحتوائها على الغض من يرقات الحشرات الناخرة للأخشاب. وتتعرف الطيور على تلك الأشجار بوجود كل من الثقوب التي تحدثها ناخرات الخشب، وتراب الخشب الذي تقذف به إلى خارج جحورها بعد أن تكون قد هضمت ما فيه من مواد غذائية.

وإشارة القرآن الكريم في هذا النص الذي يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى - :
 ﴿... مَا دَفَعْنَا عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ...﴾ هي أول إشارة إلى حقيقة أن من الحشرات ما يعيش على أكل الأخشاب، وهو سبق علمي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

والحشرات ناخرة الخشب (ومنها النمل الأبيض) تعتبر من أخطر الآفات الحشرية حيث تحدث خسائر فادحة بسبب تغذيتها على المواد السيليلولوزية واللجينية للأخشاب المكونة لجذوع الأشجار وجذورها. وأخشاب جذوع الأشجار يُصنع منها كل من الأثاث وأسقف وأبواب وشبابيك المنازل الخشبية، وأعمدة التليفونات، وغيرها. وناخرات الثمار والمحاصيل النباتية الحية من هذه الحشرات يؤدي إلى خسائر، اقتصادية كبيرة، ومنها ما تلعب دوراً مهماً في التخلص من أكاداس النفايات التي تحولها إلى سماد للتربة وتساعد على تهويتها وتحسين كل من صفاتها الكيميائية والميكانيكية وإثرائها بالمواد العضوية.

وإن كان لفظ (الدابة) يدل على كل شيء يدب وهو جمع للفظة (دأب) مثل (خائنة) جمع (خائن)، فإن (دابة) كلمة عامة تشمل جميع الحيوانات، وتشمل جمع المذكر والمؤنث معاً، إلا أن تاء التأنيث في الفعل (تأكل منسأته) تدل على أن

الذي يبدأ النخر في الخشب هي الإناث من تلك الحشرات الناخرة، وهو سبق علمي آخر لم يكن معروفاً في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده.

وهذه الواقعة (واقعة موت سليمان واقفاً على منسأته) لم يرد لها ذكر في «العهد القديم»، مما يجعل من ذكرها في كتاب الله وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، وما ينفي كل ادعاء باطل عن نقل القصص القرآني عن «العهد القديم».

ثالثاً: في قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

في هذا النص الكريم يقول ربنا - تبارك وتعالى - : أنه لما وقع سليمان عليه السلام أي: سقط على الأرض بعد ما انهارت عصاه المنخورة بواسطة «الأرضة» تحت وزنه، ظهر للجن التي كانت مسخرة للعمل بين يديه بأمر الله وتسخيره، أنه لو صح ما يزعمه بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان عليه السلام، وما لبثوا بعد موته مسخرين لجنه هامدة - وهم لا يعلمون ذلك - في العمل الذي كان سليمان قد سخرهم فيه. وفي هذا النص الكريم ما يؤكد أن الغيب لا يعلمه إلا الله - تعالى - وهذا من ركائز العقيدة الإسلامية. وهذا الخبر لم يرد له ذكر في العهد القديم، مما يجعل من تسجيل القرآن الكريم له وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، وشهادة بالنبوة لرسول الله ﷺ ونفياً قاطعاً للادعاء الكاذب بأن قصص القرآن منقول عن العهد القديم.

حادي وعشرون: من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض
القرآن الكريم لقصة عبد الله لقمان الحكيم

70 - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَّا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: 12 - 13].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان جاءتا في أوائل الثلث الثاني من سورة «لقمان»، وهي سورة مكيّة، وآياتها أربع وثلاثون (34) بعد البسملة. وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى العبد الصالح المعروف باسم (لقمان الحكيم، أو الحكيم لقمان). وهو شخصيّة لا يعرف المؤرّخون شيئاً عنها، وإن اعترفوا من وصف القرآن الكريم له في هذه السورة التي سمّيت باسمه بأنّه كان من مؤمني زمانه. وذلك لأنه دعا لدعوته إلى التوحيد الخالص لله - تعالى - ونهى عن الشرك نهياً قاطعاً، وحضّ على الالتزام بمكارم الأخلاق، ولذلك عُرف بالحكمة بين قومه.

ويدور المحور الرئيس لسورة «لقمان» حول كل من ركائز العقيدة الإسلاميّة، والضوابط الأخلاقيّة والسلوكيّات المميّزة للعبد المؤمن، وجزاء المحسنين الملتزمين بأوامر الله - تعالى - وأنهم هم الناجحون في الدنيا، والناجون في الآخرة.

كذلك سجلت سورة «لقمان» جزاء الخارجين عن أوامر الله وهداياته، وهم الضائعون في الدنيا والهالكون في الآخرة. واستشهدت السورة الكريمة في هذا السياق بعدد من الآيات الكونية الدالة على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة في

الخلق، والشاهدة للخالق ﷻ بالألوهية، والربوبية، والخالقية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وأكدت على حتمية الآخرة، وعلى ما فيها من البعث، والحشر، والحساب، والجزاء. وختمت بالإشارة إلى عدد من أمور الغيب المطلق التي لا يعلمها إلا الله.

وتتلخص لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآيتين الكريمتين (رقم 12، 13) من سورة «لقمان» في إشارتهما إلى شخص لا يعرف المؤرخون شيئاً عنه وهو «لقمان الحكيم»، الذي لم يرد له ذكر في «العهد القديم»، وإن كان قد شاع ذكره في التراث العربي القديم. فقد أورد السهيلي عن كل من ابن جرير والقتبي أن اسمه كان «لقمان بن عنقاء بن مسدون» أو «لقمان بن ثاران»، وأنه كان نوبياً سكن مدينة آيلة (العقبة) في زمن داود ﷺ، وكان رجلاً صالحاً ذا عبادة وحكمة عظيمة. وذكر ابن كثير (في البداية والنهاية) أن «لقمان» كان قاضياً في زمن داود ﷺ، بينما يذكر المسعودي أنه كان قد رحل من بلاد مدين وآيلة (العقبة) في عصر داود، وأن اسمه كان «لقمان بن عنقاء بن مريد بن صاوون»، وأنه كان نوبياً، وكان مولى للقين بن جسر، وأنه ولد على عشر سنين من مُلك داود ﷺ.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم للعبد الصالح لقمان الحكيم:

جاء ذكر «لقمان» في القرآن الكريم مرتان، وسميت باسمه إحدى سور هذا الكتاب العزيز، وهي السورة الحادية والثلاثون في ترتيب سور المصحف الشريف. وفي ست من آيات هذه السورة الكريمة جاء ذكر لقمان في موضعين على النحو التالي:

1 - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

وبعد آيات قليلة من هذه السورة المباركة يقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان لقمان لابنه:

2 - ﴿يَبْنِيْ اِيْمَانًا اِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَاتِ بِهَا اَللّٰهُ اِنَّ اَللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيْ اَقْبِرِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرْحًا اِنَّ اَللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴿١٨﴾ وَاَقْصِدْ فِي مَسِيْكٍ وَاَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَمِيْرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 16 - 19].

وكطبيعة القرآن الكريم (وهو في الأصل كتاب هداية) فإنه حين يعرض لسيرة نبي من الأنبياء، أو صالح من الصالحين، أو طالح من الطالحين من بني آدم، أو أمة من الأمم الغابرة، فإنه يركّز على الدروس والعبر المستقاة من عدد من المواقف في القصة. وذلك من أجل ألا يشغل قارئ القرآن بالتفاصيل التي لا تفيد من مثل ذكر نسب كل من الأشخاص، أو أسماء الأماكن التي عاشوا فيها، أو التواريخ التي مروا بها، لأن هذا كله خارج عن رسالة هذا الكتاب العزيز، والتي تتلخّص في الهداية الربانية للخلق المكلفين.

وتقرر الآيات في سورة «لقمان» أن هذا الشخص الذي سميت باسمه هذه السورة الكريمة كان عبداً صالحاً من عباد الله، آتاه الله الحكمة (والحكمة بصفة عامة هي إصابة الحق بالعلم والعقل). والحكمة إذا نسبت إلى الله - تعالى - كان من معانيها إيجاد الأشياء من العدم على غاية من الاتقان والإحكام، وإحاطة علم الله بكل شيء إحاطة تامة وكاملة. ولكن الحكمة إذا نسبت إلى الإنسان كان من معانيها ما يلي: (1) عمق الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدًا ﴿٤﴾﴾، (2) وتنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله، (3) وإفراده - تعالى - بالعبادة (بغير شريك ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد)، (4) والسعي وراء اكتساب المعرفة الحقة، (5) والالتزام بمكارم الأخلاق، (6) والحرص على

حسن العلاقة مع خلق الله، (7) والإكثار من فعل الخيرات. وهكذا كان لقمان كما وصفه القرآن الكريم بقول ربنا - تبارك وتعالى - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

وعلى ذلك فإن الدرس الأول المستفاد من ذكر القرآن الكريم لعبد الله الصالح «لقمان الحكيم» هو ضرورة الشكر لله. فمن سمات الحكمة البشرية أن يدرك العبد منا أن له خالقاً عظيماً خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، وزوّده بكل الأجهزة اللازمة لحياته، وهياً له الأرض والسّموات من حوله، وسخّرها له، وخلق له جميع المخلوقات من مختلف صور المادّة والطّاقة إلى مختلف أشكال النبات والحيوان. من هنا كان لزاماً على جميع أفراد الخلق المكلف أن يخضعوا لهذا الإله الواحد الأحد بالعبادة، والطاعة والشكر. فمن أوّل مفاهيم الحكمة أن يكون من أوتيتها من الخلق المكلف، شاكراً لأنعم الله، فبالشكر تدوم النعم، وبالجحود والنكران يتحتّم زوالها. وشكر العبد لله - تعالى - خيره مردود على الشاكرين، لأن الله ﷻ غنيّ بذاته عن جميع خلقه، وهو محمود بذاته وإن لم يحمده أحد من خلقه المكلف، وذلك لأنّ جميع خلقه غير المكلف لا يفتر عن ذكره، ولا عن تسبيحه وحمده وشكره، ولذلك قال - تعالى - في محكم كتابه: ﴿سُبْحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [44].

من هنا فإنّ العبد المكلف إن لم يشكر الله على نعمه العديدة كان هو الخاسر الحقيقي ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12]. وهذا هو أوّل الدروس المستفادة من استعراض القرآن الكريم لقصة لقمان الحكيم.

والدرس الثاني: المستفاد من هذه السيرة العطرة هو ضرورة التوحيد الكامل لله الخالق ﷻ ولذلك جاءت الآية التالية مباشرة بقول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

والتوحيد الكامل لله الخالق، وتنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله هو أساس العقيدة الإسلامية، وركيزة الإيمان بالله - تعالى - ولذلك حرم ربنا - تبارك وتعالى - وقوع عبد من عباده المكلفين في الشرك تحريماً قاطعاً، وحذر من المخاطر الوخيمة لذلك في مواضع كثيرة من محكم كتابه منها قوله - تعالى -:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾» [النساء: 48].

وفي الحديث القدسي يقول الحقّ - تبارك وتعالى - : «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانتابتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم...»⁽¹⁾.

ويروي لنا ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»⁽²⁾، ويفسر ابن عباس هذا الحديث بقوله: «إنّ رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى هلك أولئك، وتنسخ العلم بعبدت»⁽³⁾.

ثم جاء الدرس الثالث المستفاد من مواضع لقمان لابنه مؤكداً إحاطة علم الله بكل شيء، ومراقبته لعباده مراقبة كاملة وذلك في قوله - تعالى - على لسان لقمان لابنه: «يُبْنَىٰ إِنهَآ إِن تَكْ وَيُنْقَالُ حَبَةً مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾» [لقمان: 16].

ومن معاني ذلك أنّ أعمال الخلق - مهما تضاءلت في الصغر، أو تعاضمت في الكبر، ومهما كانت مخفية في أي مكان من السموات والأرض - فإنّ الله قادر

(1) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، حديث رقم (7136).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

على إظهارها والمحاسبة عليها لأنه - تعالى - لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك أيضاً من ركائز العقيدة الإسلامية.

ويأتي الدرس الرابع من الدروس المستفادة من وصية «لقمان» لابنه مؤكداً على إقامة الصلاة (وهي عماد الدين)، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى ضرورة الصبر في الشدائد وأن تنعكس العبادة على السلوك والمعاملات وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - على لسان لقمان لابنه: ﴿بَيْنَى أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: 17].

فالهدف من الأمر بالعبادة هو استقامة سلوك العبد المكلف من عباد الله، وتعويدته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدريبه على احتمال الصبر على ما يمكن أن يصيب الداعية إلى الله من معارضة. ولا يقوى على مقاومة ذلك إلا أصحاب العزائم من عباد الله الصالحين الذين فهموا الدين فهماً صحيحاً وباعوا أنفسهم خالصة لرب العالمين.

ويأتي الدرس الخامس من وصايا لقمان لابنه في النهي عن التعالي على الخلق أو التناول عليهم، وعن المشي على الأرض في شيء من الخيلاء والزهو، أو في شيء من البطر والكبر، لأن الله - تعالى - لا يحب كل مختال فخور (أي كل من تكبر يختال في مشيته تطاولاً على الخلق)، ولذلك جاء القرآن الكريم بهذه الوصية على لسان لقمان لابنه التي يقول فيها: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَبِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان: 18، 19].

ومن معاني ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تملُ صفحة وجهك عن الناس، ولا تعرض عنهم كما يفعل المتكبرون. يقال في اللغة: (صَعَّرَ) خده (وصاعره) أي: أماله عن النظر إلى الناس استهانة بهم وتكبراً عليهم. (والصعر) في الأصل داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، ولذلك كني به عن التكبر والاستعلاء على الناس واحتقارهم.

وبعد النهي عن هذه الخصال السيئة التي لا يرضاها الله - تعالى - من عباده، يأتي الأمر بالمشي في الأرض باعتدال وقصد وهو (الاقتصاد والعدل)، أي في شيء من التوسط بين الإسراع والبطء. كما يأتي الأمر بعدم رفع الصوت فوق الحاجة، وهو من أدب الحديث، ومن معالم ثقة المتحدث بنفسه، واطمئنانه إلى صدق حديثه. والقرآن الكريم يقبح ارتفاع الصوت بغير ضرورة وذلك بتعبير ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾. و(الغض) من الصوت هو خفضه إلى مستوى الحاجة، وكفّه عن إيذاء مسامع الآخرين، وهو من مكارم الأخلاق. وتقيض ذلك رفع الصوت إلى أعلى نبراته بغير حاجة وهو من الأمور القبيحة المذمومة. والقرآن الكريم يشبه رفع الصوت إلى أعلى درجاته دون حاجة إلى ذلك بنهيق الحمير لما فيه من العلو المفرط بين الشهيق والزفير. والحمير لا تنهق إلا من الفزع الذي ينتابها عند رؤية الشياطين، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنه رأى شيطاناً»⁽¹⁾.

ومن المعروف علمياً أن أقل تردد للصوت يمكن لأذن الإنسان أن تسمعه هو (20) هيرتز (Hertz)، وأن الحديث العادي يتراوح تردده بين (50 و60) هيرتز، وأن أعلى تردد تسمعه أذن الإنسان دون إزعاج هو (70) هيرتز. وحول تردد (120) هيرتز تبدأ أذن الإنسان في الشعور بالآلام المبرحة، وإذا تجاوز التردد (160) هيرتز يمكن أن تتمرّق طبلة أذن الإنسان بالكامل. وإذا علمنا أن تردد نهيق الحمار يصل إلى (350) هيرتز أدركنا كم هو مؤلم لأذن الإنسان، وأدركنا ومضة الإعجاز العلمي في هذا التشبيه.

وباستعراض هذه الدروس الخمسة من وصايا لقمان لابنه يتضح لنا منهج

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3303)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم (6857)، وأبو داود في كتاب الأدب، حديث رقم (5102)، والترمذي في كتاب الدعوات، حديث رقم (3459).

القرآن الكريم في استعراض سير عدد من الأنبياء والمرسلين، وعدد من عباد الله الصالحين والطلحين، وفي استعراض عدد من أمم الأولين، فالهدف من كل ذلك هو استخلاص الدروس والعبر من تجارب إنسانية مرتّ ببني البشر، ولا يهم هنا تفاصيل الأسماء والأماكن والأزمنة إلا إذا استلزم الأمر ذلك.

أمّا لقمان الحكيم الذي سمّيت باسمه إحدى سورة القرآن الكريم، فكان قد أوتي الحكمة حتى اشتهر بها بين العرب. ومن ذلك ذكر ابن هشام أن سويد بن الصامت قديم مكة المكرّمة، وكان كبيراً في قومه، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال سويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي. فقال له الرسول: «وما الذي معك؟ قال: مجلّة لقمان، فقال الرسول - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم -: «أعرضها عليّ» فعرضها عليه، فقال: «إنّ هذا كلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله على هدى ونور» وتلى عليه رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن، ودعاه إلى الإسلام⁽¹⁾.

ولمّا لم يكن قد جاء ذكر للقمان في أي من كتب «العهدين القديم أو الجديد»، فإنّ ذكره في القرآن الكريم، وذكر وصاياه لابنه يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنّه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (2/419)، والذهبي في تاريخ الإسلام (1/287).

ثاني وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه يونس

قيل عن عبد الله ونبيه يونس بن متى، أنه من نسل بنيامين بن يعقوب، وكان قد أرسل إلى أهل «نينوى» وهي الآن خربة في مقابلة مدينة الموصل. وكانت «نينوى» في يوم من الأيام عاصمة حضارة الآشوريين التي ازدهرت في القرن السابع قبل الميلاد.

أولاً: يونس في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيه يونس باسمه صراحة في أربعة مواضع من القرآن الكريم هي: (النساء: 163)، (الأنعام: 86)، (يونس: 98)، و(الصفات: 139). وجاءت الإشارة إليه بكنيتين مرة واحدة بكلٍ منهما وهما: (ذو النون) في سورة الأنبياء (87)، و(صاحب الحوت) في سورة القلم (48)، كما سميت باسمه سورة كاملة من طوال سور القرآن الكريم هي السورة العاشرة في المصحف الشريف. ونوجز ذكر هذا النبي الصالح فيما يلي:

1 - في سورة «النساء» يخاطب ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله بقوله العزيز: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّينِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِذْ هَمَّ بِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَكَرِيَّا وَرُسُلًا قَدْ فَصَّلْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 163، 164].

2 - وفي سورة «الأنعام» يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِذْ هَمَّ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] وَوَهَبْنَا لَهُ

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

[الأنعام: 83 - 86].

3 - وفي سورة «يونس» يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ
فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْغَزِيِّ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

[يونس: 98].

4 - وفي سورة «الأنبياء» جاء قول ربنا - جلَّت قدرته -: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ
مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذٰلِكَ
نُحِى الْمٰؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

[الأنبياء: 87، 88].

5 - وفي سورة «الصفات» قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ
إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْجُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدَتْهُ
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبَلَّتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ
أَوْ زَبِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

[الصفات: 139 - 148].

6 - وفي سورة «القلم» يقول الحق ﷻ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿فَأَصْرَبْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رِعْمَةً مِّنْ
رَّبِّهِ لَئِن دُبُرًا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

[القلم: 48 - 50].

وفحوى هذه الآيات القرآنية الكريمة أن الله - تعالى - بعث عبده ونبيه
يونس ﷺ إلى أهل «نينوى» بشمال العراق (وهي الآن خربة في مقابلة مدينة
الموصل على الضفة الغربية من نهر دجلة) وذلك لهدايتهم إلى دين الله الحق
(الإسلام) بعد أن كانوا قد انحرفوا عنه إلى معتقدات شركية عديدة. ولذلك لأن
الشياطين كانت قد اجتالتهم إلى الشرك وعبادة الأصنام، فرفضوا دعوة يونس ﷺ،

وكذبوا نبوتَه، وعاندوه وتمردوا عليه، حتى هددهم بنزول عقاب الله - تعالى - بهم، إن لم يستجيبوا لدعوته فطالبوه بإنزال ما توعدهم به من عذاب. وتحسباً لوقوع هذا العذاب بهم خرج يونس عليه السلام من بين ظهرائهم من قبل أن يتلقى أمراً من الله - تعالى - بذلك، والأصل في الأنبياء ألا يتخذوا قراراتهم الكبيرة دون أمر من الله، وهم مطالبون بالتبليغ عن الله - تعالى - وليسوا مطالبين بالنتائج.

ولمَّا ذهب عبد الله ونبيه يونس عليه السلام مغاضباً بسبب موقف قومه من دعوته، ارتحل بعيداً عن أرض نينوى خشية وقوع عذاب الله بأهلها، حتى وصل إلى شاطئ بحر (يظن أنه البحر الأبيض المتوسط)، ووجد سفينة محملة بالبضائع والركاب تستعد للرحيل فركبها بعد أن استأذن أصحابها. وفي عرض البحر لجت السفينة بركابها، واضطربت بهم وماجت، حتى كادت أن تغرق. تشاور أصحاب السفينة - وهم في هذه المحنة - فيما بينهم واجتمعت كلمتهم على أن يقرعوا على جميع ركاب السفينة، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة في البحر، ليتخففوا من وزنه، وليتخلصوا من ذنبه إذا كان صاحب ذنب. فلمَّا اقرعوا وقعت القرعة على عبد الله ونبيه يونس، وأعادوها ثانية ف وقعت عليه، فشمري ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه في الماء، فمنعوه حتى تتم القرعة الثالثة التي وقعت عليه كذلك، فألقى بنفسه في البحر أو ألقوه هم فيه - على حسب عرفهم في ذلك الزمان -، وحتى يتحقق أمر الله - تعالى - في نبيه الأبق (أي الهارب)، ويعطيه درساً لا ينساه.

وعند نزول نبي الله وعبد يونس بن مئى في ماء البحر سخر الله تعالى له حوتاً ضخماً فالتقمه (أي أخذه بسرعة كاللقمة في فمه). ومع هول المفاجأة، وظلمة فم الحوت، بدأ يونس في الاستغفار من ذنبه، وفي الاستغاثة بربه، والتسبيح بذكره وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات: 139 - 144].

و﴿أَبَقَ﴾ بمعنى هرب من قومه بغير إذن ربّه؛ و﴿أَلْفَكِ الْمَسْحُونِ﴾ أي المملوء بالبضائع؛ ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي قارع من كانوا معه في السفينة بالسهم؛ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي كان من المغلوبين بالقرعة، والدحض في اللّغة هو الزلق في الماء والطين. ﴿فَالْقَمَّةُ﴾ أي أخذه بسرعة كالقمة في فمه، ومن هول المفاجأة أخذ عبد الله ونبيه يونس يردد ما سجّله القرآن الكريم عنه بقول ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ أَنْتَ لِلنَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

[الأنبياء: 87].

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي مقترف ما يلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربّه.

ومع إلحاح نبيّ الله يونس عليه السلام في الاستغفار والتسبيح والدعاء استجاب الله - تعالى - لاستغاثته، وأمر الحوت أن يلفظه على الشاطئ. وكانت هذه التجربة القاسية، ليفهم العظة من الدرس الذي تلقاه، ومنه أنه كني من أنبياء الله ما كان له أن يتصرّف في شأن من شؤون الدعوة التي كلفه الله ﷻ بها بغير إذن إلهي بذلك، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَجَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

[الأنبياء: 88].

ويقول ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْأَعْرَابِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَلْقَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

[الصافات: 145 - 148].

(فبدّلناه) أي: طرحناه بمعنى أن الله - تعالى - أمر الحوت أن يقذفه من فمه على الشاطئ فذفه، وخرج يونس عليه السلام سقيماً من شدة اهتراء جلده بسبب عنف تيار الماء الداخل إلى فم الحوت والخارج من خشومه.

وتروي لنا الآيات بعد ذلك أنّ عبد الله ونبيه يونس عليه السلام بعد أن ألقى الحوت به على الساحل، وهو في حالة من الذهول والإعياء الشديدين، أنبت الله - تعالى - عليه شجرة من يقطين. وهذه اليقطينة سترته، وأظلتّه، وأطعمته وعالجت اهتراء جلده الذي

أصابه بفعل تيارات الماء المندفعة إلى فم الحوت والخارجة عبر خشومه. فعندما لامست الأوراق العريضة الناعمة لشجرة اليقطين جسد يونس عليه السلام عوفي جلده من سقمه بإرادة الله - تعالى - أولاً، ثم بواسطة ما باليقطين من مضادات حيوية أثبتتها التحاليل مؤخراً. وأغلب ثمار اليقطين غضة تؤكل نيئة، ولذلك وجد فيها يونس عليه السلام ما يرد ظمأه وجوعه.

وهذه معجزة أحدثها ربنا - تبارك وتعالى - لنبية يونس عليه السلام، والمعجزات لا تعلل، ولا تفسرها؛ المعارف المكتسبة لأنها خارقة لقوانين الدنيا. وإن كان العلم يؤكد إمكانية التقام أحد حيتان البحر العملاقة لرجل، وبقاء هذا الرجل حياً في فمه لبعض الوقت دون أن يصيبه أذى كبير، ثم يلفظه الحوت، خاصة إذا كان من نوع «الهركول» العملاق، أو الحوت الأزرق الذي يبلغ طوله نحواً من عشرين متراً، ويتميز بأنه لا أسنان له، وحلقومه (أي بلعومه) أضيق من إمكانية ابتلاع جسد الرجل البالغ.

ثم عاد عبد الله ونبية يونس عليه السلام إلى قومه الذين كانوا قد رأوا إرهابات العذاب الذي توعدهم به نبيهم فسارعوا بالتوبة إلى الله - تعالى - وبالإنابة إليه، وعادوا إلى التوحيد الخالص لله، فكشف عنهم العذاب، وسعد بهم نبيهم وسعدوا به. ثم عاش بينهم داعياً إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه حتى لقي ربه راضياً مرضياً بإذن الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآذَابَ الۡخَرۡبِ فِي الۡحَيۡوَةِ الدُّنۡيَا وَمَتَّعْنَاهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

وقد عاش أهل نينوى على الإسلام لعدة قرون بعد نبيهم يونس بن متى عليه السلام، ثم أخذ شياطين الإنس والجن ينفثون سمومهم في عقول وقلوب الناس كعادتهم حتى حرفوهم عن دين الله، فعادوا إلى وثنياتهم القديمة ضالين مضلين، وإن بقي بينهم بعض الصالحين الذين تمسكوا بالحق القديم.

ومع تفشي الشرك بالله بين أهل نينوى، وعودتهم إلى عبادة الأصنام والأوثان

والنجوم والكواكب، غضب الله - تعالى - عليهم، ودفع إليهم من دمر إمبراطوريتهم في حدود سنة 612 ق.م حتى أصبحت أثراً بعد عين إلى يومنا الرّاهن، وقد كانت عاصمة للإمبراطورية الآشورية بعد مدينة «آشور». ويرجع تاريخ نينوى إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد وصلت إلى أوج ازدهارها بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، وتمّ تدميرها بالكامل على أيدي «المديين» (The Medes) في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، وإن سكنتها بعض القبائل حتى العصور الوسطى، وبقيت أطلالها على الضفة الغربية من نهر دجلة إلى اليوم.

ثانياً: يونس عليه السلام في السنة النبوية المطهرة:

في العام العاشر من بعثة المصطفى عليه السلام أي في حدود السنة الثانية قبل الهجرة (620م) توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام، ثم مات أبو طالب. وقد أغرى ذلك كفّار قريش برسول الله عليه السلام فجاوزوا كل الحدود في إيذائه حتى اضطر إلى الخروج من مكّة إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة «ثقيف»، ولكنها خذلته. فخرج رسول الله عليه السلام من الطائف إلى مكّة، وفي الطريق توقف عند بستان لأخوين يدعيان عتبة وشيبة ابني ربيعة، واستظل بجدار بستانهما وأخذ في مناجاة ربّه. فلما رآه صاحبا البستان تحرّكت المروءة في قلبيهما فدعوا غلاماً لهما يقال له «عداس» كان من بقايا أهل الكتاب في العراق، وأمره أن يأخذ قطعاً من العنب فيضعه في طبق ليقدمه لهذا الغريب المستظلّ بجدار بستانهم. واستجابة لأمر صاحبيّ البستان ذهب «عداس» بهذا الطبق إلى رسول الله عليه السلام، وقدمه إليه، فقال عليه السلام: «باسم الله» ثم تناول شيئاً من هذا العنب. نظر (عداس) إلى رسول الله عليه السلام متعجباً وقائلاً: بالله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!! فقال له رسول الله عليه السلام: «ومن أي البلاد أنت؟ قال (عداس): من نينوى، فقال رسول الله عليه السلام: من بلد الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال (عداس): وما يدريك عن يونس بن متى؟ قال عليه السلام: ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبيّ، فأكب (عداس) على رأس ويدي رسول الله عليه السلام يقبلها. وما أن رأى صاحبا البستان ذلك حتى قال أحدهما للآخر: أمّا غلامك فقد أفسده

عليك. وعندما عاد إليهما (عداس) قالوا له: ويلك يا «عداس»! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه؟ قال «عداس»: ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. فقالوا له: ويحك يا «عداس» لا يصرفك عن دينك. ويروى عن رسول الله ﷺ قوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى» أو «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»⁽¹⁾.

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو دعوة يونس بن متى» فقلت: يا رسول الله! هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هي ليونس خاصة، ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾»⁽²⁾. [الأنبياء: 87، 88].

من هنا فإن ذكر عبد الله ونبیه یونس بن متى في القرآن الكريم، وذكر قصته مع قومه، وتفاصيل المعجزات التي أجراها الله - تعالى - له يصبح وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

هذا وقد جاء ذكر عبد الله ونبیه یونس ﷺ في «العهد القديم» في صفتين تحت مسمى «يونان» (Jonah)، وذكر أن اسمه يونان بن أمتاي (Jonah son of Amittai)، وأنه هرب من الرب بعد أن أمره بالذهاب إلى أهل مدينة نينوى العظيمة (Nineveh) وأنّ يعظّمهم لأنّ خطاياهم كانت قد زادت أمام ناظري الرب. ولكن يونس هرب من تلك

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، حديث رقم (4669).

(2) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، حدیث رقم (1865).

المهمة واتجه إلى مدينة طرطوس (Tarshish) ليهرب من الرب، وركب سفينة توصله إلى ذلك الميناء. ولكن السفينة بدأت تتعرض للغرق بسبب عاصفة هوجاء. ألقى البحارة حمولة الباخرة من البضائع في البحر للتقليل من حمولتها، ولكن ظل الغرق يتهدد السفينة، فاقترح البحارة ليكتشفوا السبب في تلك الكارثة، وطلعت القرعة على يونس، فطلب منهم أن يلقيه في البحر حتى تهدأ العاصفة فقاموا بإلقائه وهذأت العاصفة. ولكن الله أمر سمكة عظيمة بابتلاع يونس الذي بقي في جوفها لثلاثة أيام وثلاثة ليال. ومن داخل جوف السمكة بدأ يونس في الدعاء إلى الله بنثر موضوع، فأمر الله هذه السمكة العظيمة أن تتقياً يونس على الشاطئ اليابس. وجاء الأمر الإلهي إلى يونس للمرة الثانية أن يذهب إلى أهل مدينة نينوى ليبلغهم رسالة ربهم. أطاع يونس أمر الرب وعاد إلى مدينة نينوى، وتحرك داخل المدينة محذراً أهلها بأنها سوف تدمر في خلال أربعين يوماً إن لم يؤمنوا بالله، فأمنوا وأعلنوا الصيام لله، ولبسوا الخرق البالية جميعاً من أغناهم إلى أفقرهم، حتى ملكهم لبس الخرق البالية. وتوجهوا إلى الله بالدعاء فرفع الله عنهم العذاب الذي توعدهم به، ولكن يونس غضب لذلك، وطالب الرب أن يقبض روحه، ولكن الرب سأله: ألك حق في أن تغضب؟ ولكن يونس خرج إلى شرقي المدينة وصنع لنفسه ستراً جلس في ظلّه منتظراً ماذا سيحدث للمدينة، فزوده الله بشجرة عنب وجعلها تنمو فوق رأسه لتظله، وفرح يونس بذلك جداً. ولكن في فجر اليوم التالي بعث الله دودة فأكلت شجرة العنب حتى قضت عليها، وبعث شمساً حارقة ورياحاً شرقية شديدة أدت إلى إغماء يونس حتى تمنى الموت (انظر سفر يونان 1/1 إلى 4/11). وفي الترجمة الإنجليزية لسفر يونان من العهد القديم جاء ذكر أنّ الذي ابتلع يونس سمكة كبيرة، والذي أظله شجرة عنب، وفي الترجمة العربية جاء ذكر الحوت وشجرة اليقطين. لأكثر من خمس مرات. (Arabic/ English Bible, Copyright: 1999 by International Bible Society Fifth print 2006). فمَن نقل عن مَن؟ هل كتاب مترجمو العهد القديم نقلوا عن القرآن الكريم، أم أنّ القرآن الكريم نقل عن كتبهم؟! ويتضح ذلك جلياً في النصوص التالية:

يونس عليه السلام في العهد القديم:

Jonah

Jonah Flees to Tarshish

1 The word of the LORD came to Jonah son of Amittai: ²"Go to the great city of Nineveh and preach against it, because its wickedness has come up before me."

³But Jonah ran away from the LORD and headed for Tarshish. He went down to Joppa, where he found a ship bound for that port. After paying the fare, he went aboard and sailed for Tarshish to flee from the LORD.

The Storm

⁴Then the LORD sent a great wind on the sea, and such a violent storm arose that the ship threatened to break up. ⁵All the sailors were afraid and each cried out to his own god. And they threw the cargo into the sea to lighten the ship. But Jonah had gone below deck, where he lay down and fell into a deep sleep. ⁶The captain went to him and said, "How can you sleep? Get up and call on your god! Maybe he will take notice of us, and we will not perish."

Casting Lots

⁷Then the sailors said to each other, "Come, let us cast lots to find out who is responsible for this calamity." They cast lots and the lot fell on Jonah. ⁸So they asked him, "Tell us, who is responsible for making all this trouble for us? What do you do? Where do you come from? What is your country? From what people are you?" ⁹He answered, "I am a Hebrew and I worship the LORD, the God of heaven, who made the sea and the land." ¹⁰This terrified them and they asked, "What have you done?" (They knew he was running away from the LORD, because he had already told them so.) ¹¹The sea was getting rougher and rougher. So they asked him, "What should we do to you to make the sea calm down for us?" ¹²"Pick me up and throw me into the sea," he replied, "and it will become calm. I know that it is my fault that this great storm has come upon you."

Jonah Is Thrown Into the Sea

¹³Instead, the men did their best to row back to land. But they could not, for the sea grew even

كِتَابُ يُونَانَ

يونان يهرب إلى تارشيش

1 وَأَمَرَ الرَّبُّ يُونَانَ بْنَ أَمَيْتَائِ، ²«هَذَا أَنْصُرْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَتَلِّغْ لَهَا قَضَائِي، لِأَنَّ إِثْمَهُمْ قَدْ صَدَدَ إِلَيَّ.»

³فَعَصَى أَنْ يُونَانَ فَارْتَجَبَ لِيَهْرَبَ مِنَ الرَّبِّ إِلَى تَرْشِيشَ. فَانْحَدَرَ إِلَى مَلْبِيَّةٍ نَحْوًا حَيْثُ عَثَرَ عَلَى عَيْفَةٍ مُنْجِرَةٍ إِلَى تَرْشِيشَ، فَتَلَقَّ أَهْرَافَهَا وَصَجِدَ فِيهَا لِئَتَوَجَّهَ مَعَ بَحَارَتِهَا إِلَى تَرْشِيشَ خِيفًا مِنَ الرَّبِّ.

العاصفة

⁴فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا عَاصِفَةً عَلَى الْبَحْرِ فَارْتَوَتْ إِضْرَابًا بَحْرِيًّا، حَتَّى ائْتَرَفَتِ الْكَلْبَةُ عَلَى الْأَنْجُسَاءِ. ⁵فَدَرَجَ السَّلَاحُونَ وَاسْتَفْتَتِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِإِلَهِهِ، وَطَرَسُوا مَا فِي السُّيُوفِ مِنْ أَمِيَّةٍ يُهَيِّقُوا مِنْ حَوْلِهَا. أَمَّا يُونَانُ فَلَجَأَ إِلَى مَجْرَبِ السُّيُوفِ وَوَقَدَ مُسْتَقْرِفًا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ. ⁶فَأَلْفَزَبَ بِنْتُ الْوَيْلِ وَقَالَتْ لَهُ: «مَا بِنَاكَ مُسْتَقْرِفًا فِي النَّوْمِ؟ لِمَ تَضْرِبُ إِلَى الْوَيْلِ لَعَلَّ اللَّهَ يَذَكِّرُنَا فَلَا تَهْلِكُ.»

اللقاء العرصة

⁷لَمَّا قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ لِزَيْجِيهِ: «هَذَا نَلْقَى كَرْعَةً لَعَلَّنَا نَعْرِفَ مَنْ جَرَّ عَلَيْنَا هَذَا الْوَيْلَ.» فَالْقُوا الْفَرْعَةَ، فَوَقَعَتْ عَلَى يُونَانَ.

⁸فَقَالُوا لَهُ: «الْحَيُّوْنَا لِمَاذَا جَرَى عَلَيْنَا هَذَا الْوَيْلَ؟ وَمَا هِيَ جِرْمَانُكَ؟ وَمَنْ أَمْرُ أَقْبَلْتَهُ؟ وَمَا هِيَ بِلَادُكَ؟ وَمَنْ هُمْ قَوْمُكَ؟» فَأَجَابَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا خَلِيفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ، صَالِحِ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ.» ⁹فَالْعَبْرِيُّ الْبَحْرَةَ خَوْفٌ عَظِيمٌ وَقَالُوا لَهُ: «بَعْدَ أَنْ لَمِزْتَهُمْ أَنَّهُ خَلِيفٌ مِنَ الرَّبِّ، لِمَاذَا صَفَعْتَ هَذَا؟» لَمَّا تَسَاءَلُوا، مَالًا لَعَلَّ بِكَ حَتَّى تَسْكُنَ الْبَحْرَ عِلْمًا، لِأَنَّ الْبَحْرَ كَمَا نَرَاهُ نَهْجًا. ¹⁰فَأَجَابَهُمْ: «مَعْلُومِي وَالْمَرْحُومِي إِلَى الْبَحْرِ لَمَسْكُنِي، لِأَنِّي مُؤَيَّنٌ أَنَّ هَذَا الْإِعْصَارَ الْمُرِيحُ قَدْ هَاجَ عَلَيَّكُمْ بِسَبَبِي.»

طرح يونان إلى البحر

¹¹وَلَكِنْ الْبَحْرَةُ شَرَّحَتْهَا لِيَهْلِكُوا لِيَجْعَلُوا إِلَى السَّلَاطِيهِ.

Jonah 1,2,3

1375 / ١٣٧٥

يونان ٢،٢،١

wilder than before. ¹⁴Then they cried to the LORD, "O LORD, please do not let us die for taking this man's life. Do not hold us accountable for killing an innocent man, for you, O LORD, have done as you pleased." ¹⁵Then they took Jonah and threw him overboard, and the raging sea grew calm. ¹⁶At this the men greatly feared the LORD, and they offered a sacrifice to the LORD and made vows to him. ¹⁷But the LORD provided a great fish to swallow Jonah, and Jonah was inside the fish three days and three nights.

Jonah's Prayer

2 From inside the fish Jonah prayed to the LORD his God. ²He said: "In my distress I called to the LORD, and he answered me. From the depths of the grave I called for help, and you listened to my cry. ³You hurled me into the deep, into the very heart of the seas, and the currents swirled about me; all your waves and breakers swept over me. ⁴I said, 'I have been banished from your sight; yet I will look again toward your holy temple.' ⁵The engulfing waters threatened me, the deep surrounded me; seaweed was wrapped around my head. ⁶To the roots of the mountains I sank down; the earth beneath barred me in forever. But you brought my life up from the pit, O LORD my God. ⁷When my life was ebbing away, I remembered you, LORD, and my prayer rose to you, to your holy temple. ⁸Those who cling to worthless idols forfeit the grace that could be theirs. ⁹But I, with a song of thanksgiving, will sacrifice to you. What I have vowed I will make good. Salvation comes from the LORD." ¹⁰And the LORD commanded the fish, and it vomited Jonah onto dry land.

Jonah Goes to Nineveh

3 Then the word of the LORD came to Jonah a second time: ²"Go to the great city of Nineveh and proclaim to it the message I give you."
³Jonah obeyed the word of the LORD and went to Nineveh. Now Nineveh was a very important city—a visit required three days. ⁴On the first day, Jonah started into the city. He proclaimed: "Forty more days and Nineveh will be overturned."
⁵The Ninevites believed God. They declared a fast, and all of them, from the greatest to the least, put

فأخفقوا لبقائهم. ^{١٤}فصرخوا إلى الرب قائلين: «أيتها الرب لا تجعلنا من أجل حياة هذا الرجل، ولا تجعلنا ذمياً نبرهناً لأنك نرتب فعلت كما شئت..» ^{١٥}لهم أخذوا يوناً وقذفوا به إلى البحر، فزاد عليه الهلوه وسكنت أمواجه. ^{١٦}فأنتدب الرجال خوف عظيم من الرب، وقربوا له ذبيحة وتبرأوا نذوراً. ^{١٧}وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ابتلع يوناً. فمكث يوناً في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ.

صلاة يونا

٢ ثم صلى يونا إلى الرب إلهه من جوف الحوت. ^٢فقال: «أنتدبت بالرب في ضيقي فاستجاب لي، ومن جوف الهاوية أبتلهت فسويت صوتي. ^٣لأنك طرختني إلى الأعرج العميقة في قلب البحار، فأكثفتني الغمر واحملت بي تياراتك وأمواجك أثقلت، قد طردت من حضرتك، ولن أعود أقدم في هيكل المقدس. ^٤قد غمرتني أوبئة وأخذت بي الأعرج، وألف عشب البحر حول رأسي. ^٥أنتدرت إلى أسس الجبل وغطت إلى اعماق الأرض حيث ألفت عليّ ترابها إلى الأبد. ^٦ولكنك نصحت ضيبي من الهاوية أيها الرب إلهي. ^٧عندما هنت نفسي في داخلي، تذكرت إلهي، فسلقت صلاتي إليك، إلى هيكل المقدس. ^٨إن الذين يتجلون الأضنام الباطلة يتخلون عن مضمر نعمتهم. ^٩أما أنا فهنتب الحمد أتبع لك، وما نذرت أوفي به، لأن للرب الخلاص..» ^{١٠}فأمر الرب الحوت فالتف يوناً إلى الشاطئ.»

يونان يتوجه إلى نينوى

٣ وأمر الرب يوناً ثانية: ^٢«اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة، وأعلن لهم الرسالة التي أبلغك بها.»
^٣فهم يوناً وتوجه إلى نينوى بموجب أمر الرب. وكانت نينوى مدينة بالغة العظمة تشتهر بأجنتها ثلاثة أيام. ^٤فدخل يوناً المدينة وأجتاز فيها مسيرة يوم واحد، وأبشأ ينادي قائلًا: «بعد أربعين يوماً تنتمر المدينة.» ^٥فآمن شعب نينوى بالرب، وأعلنوا الصيام وارتدوا المسوح

Jonah 3,4

1376 / ١٣٧٦

يونان ٤.٣

on sackcloth. ⁶When the news reached the king of Nineveh, he rose from his throne, took off his royal robes, covered himself with sackcloth and sat down in the dust. ⁷Then he issued a proclamation in Nineveh: "By the decree of the king and his nobles: Do not let any man or beast, herd or flock, taste anything; do not let them eat or drink. ⁸But let man and beast be covered with sackcloth. Let everyone call urgently on God. Let them give up their evil ways and their violence. ⁹Who knows? God may yet relent and with compassion turn from his fierce anger so that we will not perish."

The Salvation of the City

¹⁰When God saw what they did and how they turned from their evil ways, he had compassion and did not bring upon them the destruction he had threatened.

Jonah's Anger at the LORD's Compassion

4 But Jonah was greatly displeased and became angry. ²He prayed to the LORD, "O LORD, is this not what I said when I was still at home? That is why I was so quick to flee to Tarshish. I knew that you are a gracious and compassionate God, slow to anger and abounding in love, a God who relents from sending calamity. ³Now, O LORD, take away my life, for it is better for me to die than to live." ⁴But the LORD replied, "Have you any right to be angry?" ⁵Jonah went out and sat down at a place east of the city. There he made himself a shelter, sat in its shade and waited to see what would happen to the city.

The Mercy of God

⁶Then the LORD God provided a vine and made it grow up over Jonah to give shade for his head to ease his discomfort, and Jonah was very happy about the vine.

⁷But at dawn the next day God provided a worm, which chewed the vine so that it withered. ⁸When the sun rose, God provided a scorching east wind, and the sun blazed on Jonah's head so that he grew faint. He wanted to die, and said, "It would be better for me to die than to live."

⁹But God said to Jonah, "Do you have a right to be angry about the vine?"

من كبرهم إلى ضيقهم : ^١لَم يَلْعَ إِذْ ذَاكَ إِلَهِي مَلِكَ نِينَوَى، قَامَ عَنْ عَرْشِهِ وَخَلَعَ عَنْهُ حُلَّتَهُ، وَأَزْفَلَى الْوَسْجَ وَجَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ. ^٢وَأَدْلَعَ فِي كُلِّ نِينَوَى مَرْمُومًا وَرَدَّ فِيهَا: «بِلِئْلِ مِنَ الْمَلِكِ وَمَسْلُوبِهِ، يَنْتَهَبُ الْبَشَرُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَكُلِّكَ الْهَيْبَةِ وَالقَمَرِ وَالنَّجْرِ، لَا تَرُخْ وَلَا تَشْرَبْ مَاءً». ^٣وَعَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ وَالْبَهَائِمِ أَنْ يَزْلَعُوا الْمُسُوحَ، مَتَضَرِّعِينَ إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ عَنِ طَرِيقِهِمُ الشَّرِّ وَعَسَا أَرْزُقُوهُ مِنْ ظِلِّهِ. ^٤أَقَالَ الرَّبُّ تَرْجِعْ قَهْدِلٌ عَنِ أَحْبَابِكُمْ سَخِطُوا فَلَا تَيْتَلِكُ..

خلاص المدينة

^{١٠}فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ أَحْسَابَهُمْ وَتَوَابَتُهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمُ الْإِثْمِ، عَمِلَ عَنِ الْعُظَامِ إِلَهِي كَأَن مَرْمُومًا أَنْ تَرْفَعَهُ يَوْمَ وَعَسَا عَثَمَهُ.

غضب يونان لنجاة المدينة

٤ فَكَانَ ذَلِكَ غَضَبَ يُونَانَ وَغَضَبَةَ الشَّاهِدِينَ. ^٢وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «يَا إِلَهِي الرَّبُّ، أَلَيْسَ هَذَا مَا قُلْتُ؟ إِذْ كُنْتُ فِي بِلَادِي؟ لِأَنَّكَ أَسْرَعْتَ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لَأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلَهٌ رَحِيمٌ رُؤُوفٌ بَطِيءٌ الْغَضَبِ كَثِيرُ الْإِحْسَانِ، تَرْجِعُ عَنِ الْعُقَابِ. ^٣وَالآنَ دَعَيْتَنِي إِلَهِي الرَّبُّ الْفَطْرَ الْقَائِمِي لِأَنِّي خَوَّيْتُ أَنْ أَمُوتَ مِنْ أُنْ أَسْتَأْذِنُ. ^٤أَقَالَ الرَّبُّ: «أَأَنْتَ حَيٌّ فِي غَضَبِكَ؟»

^٥وَخَرَجَ يُونَانُ مِنْ نِينَوَى وَجَلَسَ فِي ظِلِّهِ الْمَدِينَةِ، يَتَدَبَّرُ أَنْ يَنْصَبَ لِيُظْمِئِهِ مِظْلَةٌ جَلَسَ تَحْتَهَا لِأَنَّهَا تَرْجُبُ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَدِينَةِ.

رحمة الله

^٦فَتَأَدَّى الرَّبُّ إِلَهِي الْوَيْلَةَ الْطُيُونَةَ نَمَتْ وَأَرْقَعَتْ حَتَّى ظَلَمَتْ رَأْسَ يُونَانَ لِجَنَبِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فَلَا يُولِيهِ، فَكَتَبَتْ يُونَانَ بِالطُيُونَةِ أَنْ يَنْجِيَهَا عَظِيمًا.

^٧وَلَكِنْ فِي فَجْرِ الْبُحْرِ الثَّلَاثِي أَعَدَّ اللَّهُ فُودَةً قَرَضَتْ الطُيُونَةَ فَجَمَّتْ. ^٨فَلَمَّا طَرَفَتْ الشَّمْسُ، أَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا شَرْيِبَةً حَارَةً لَعَنَتْ رَأْسَ يُونَانَ، فَحَارَتْهُ الْإِغْيَابُ وَتَمَشَّى لِيُظْمِئَ الْمَوْتَ قَلِيلًا، وَخَوَّيْتُ أَنْ أَمُوتَ مِنْ أُنْ أَطْلُ حَيًّا.

^٩أَقَالَ اللَّهُ لِلْيُونَانِ: «أَأَنْتَ حَيٌّ فِي غَضَبِكَ مِنْ أَجْلِ الطُيُونَةِ؟»

Jonah 4

1377 / ١٣٧٧

يونان ٤

"I do," he said. "I am angry enough to die."¹⁰ But the LORD said, "You have been concerned about this vine, though you did not tend it or make it grow. It sprang up overnight and died overnight.¹¹ But Nineveh has more than a hundred and twenty thousand people who cannot tell their right hand from their left, and many cattle as well. Should I not be concerned about that great city?"

فأجاب: «أنا محزونٌ في غضبي حتى الموت». فقال الرب: «لقد أشفتك أنت على البَقِيظَةِ التي لم تُشعبْ في تسميتها وتزويتها. علو البَقِيظَةِ التي تزعمت في ليلَةٍ وذوت في ليلَةٍ. أفلا أشفقُ أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يقيم فيها أكثر من مئةٍ وعشرين ألفَ شخصٍ، ممن لا يعرفون يمينهم وشمالهم، فضلاً عما فيها من بهائم كثيرة؟».

في هذا النص من «العهد القديم» يمكن ملاحظة ما يلي:

- 1 - في سفر يونان 17/1، جاء ما يلي:
وأما الرب فأخذ حوتاً عظيماً ابتلع يونان. فمكث يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. ولفظة حوت هنا ليست ترجمة دقيقة للنص الإنجليزي المقابل (a great fish) ولو ابتلع الحوت أو السمكة الكبيرة يونس لاختنق ومات. أما النص القرآني (فالتقمه الحوت) هو الأصح والأدق كما أوضحنا سابقاً، وسوف نوضح لاحقاً، وهذا الحديث ينطبق على النص في سفر يونان (10/2).
- 2 - أما في سفر يونان (1/4 - 5) فيعجب القارئ لهذا السفر من غضب يونس لنجاة مدينته؟
- 3 - وفي سفر يونان (6/4 - 11) جاءت ترجمة كلمة (vine) في النص الإنجليزي المقابل خمس مرات بكلمة (يقطينة) المستمدة من القرآن الكريم، لأن شجرة العنب (Vine) ليست ترجمتها إلى العربية هي كلمة (يقطينة) فمن أخذ عن مَنْ؟ هل كتاب و مترجمو العهد القديم هم الذين أخذوا عن القرآن الكريم، أم أنّ القرآن الكريم نقل عن كتبهم؟!

71 - ﴿فَالْفَمَّةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصفات: 142].

وردت لفظة (حوت) بالمفرد والجمع في القرآن الكريم خمس مرات بمعنى صيد البحر، وجاءت في أربع منها بمعنى السمكة أو السمك، وفي مرة واحدة جاءت بمعنى أضخم حيوان بحري نعرفه، وهو الحوت عديم الأسنان حتى يكون قادراً على التقام رجل بالغ دون أن يؤذيهِ، لضخامة فمه، واتعدام أسنانه، وضيق حلقومه عن مرور شيء بهذا الحجم إلى جوفه.

والتعبير (حوت) في اللغة العربية يطلق على ما عظم وما قل من صيد البحر، لأن الكلمة مشتقة من الفعل (حاوت) بمعنى راوغ. وأغلب الحيوانات البحرية تجيد المراوغة في محاولة للنجاة بنفسها من الافتراس أو الصيد، ولذلك أطلق لفظ (الحوت) على أغلب أنواع الحياة المتحركة في الأوساط المائية، ومنها الأسماك والحيتان والدلافين وأشباهاها.

والحيتان (Whales) هي حيوانات بحرية، ثديية، ذات دم حار، لكل فرد منها رتتان يتنفس بهما الهواء مباشرة، وليست لها خياشيم كالأسماك. وأنثى الحيتان تلد وترضع صغارها. وتُضَمُّ الحيتان بمختلف أنواعها، والدلافين (Dolphins) تحت مسمى رتبة الجوفيات أو الحوتيات (Order Cetacea). ومن الحيتان ما له أسنان، ومنها ما هو عديم الأسنان. وتتميز الحيتان عموماً بأجسامها الانسيابية التي ترق في اتجاه الذيل، وبذلك تشبه أجسام الأسماك حتى تتواءم مع طبيعة حياتها البحرية، وإن كانت أحجامها تفوق أكبر الأسماك حجماً بأضعاف كثيرة. ويساعد على حركة أجسام هذه الحيتان العملاقة ذيل على هيئة زعنفة أفقية (بينما زعانف الأسماك رأسية). ويغطي أجساد الحيتان طبقة سميكة من الدهن (5سم - 30سم في السمك) تعمل على حماية جسم الحوت من البرد، وتحفظ له درجة حرارة ثابتة. وجسم الحوت نظيف من الطفيليات بصفة عامة، وإن وجدت، فإنها تحيا

حياة خارجية فقط، على الزعانف والذيل. وعلى الرغم من أن الحوت يسبح قريباً من سطح الماء للتنفس بالهواء الذي يعلوه كل (10) إلى (15) دقيقة، إلا أن الله - تعالى - قد أعطاه القدرة على الغوص إلى أعماق متوسطة من البحار والمحيطات (100 متر) وعميقة (أكثر من 500 متر). فالحيتان لها قدرة على الحركة حتى في تلك الأعماق من البحار والمحيطات، وعلى البقاء فيها من (10) إلى (15) دقيقة، وبحد أقصى (50) دقيقة، ثم تصعد إلى سطح الماء.

ومن أضخم أنواع الحيتان على الإطلاق، بل أضخم حيوان نعرفه عبر تاريخ الأرض الطويل هو نوع من أنواع الحيتان عديمة الأسنان يعرف باسم «الحوت الأزرق» وهو أضخم من أضخم حيوان نعرفه (مثل الديناصورات، والفيلة، والجمال، وغيرها). ويتبع الحوت الأزرق رتبة (تصغير رتبة) خاصة تعرف باسم رتبة الحيتان عديمة الأسنان (Suborder Mysticeti). ويتميز هذا الحوت الأزرق العملاق (The Blue Whale = *Balaenoptera musculus*) بلون جلده الأزرق المائل إلى الدكنة (أو اللون الرمادي) والمنقط بعدد من النقاط الأفتح قليلاً في اللون. والحوت الأزرق هو صاحب أضخم جثة لكائن حي عمر الأرض في القديم والحديث، وصاحب أعلى نبرة صوت لكائن حي. ويصدر عن هذه الحيتان أصوات عميقة ومدوية ذات شدة عالية (تصل إلى 188 ديسيبل)، وذات تردد منخفض أي: ذبذبات قليلة في عددها بالثانية، ولذلك تنتشر أصواتها إلى مسافات بعيدة في الوسط المائي مما يمكن الحيتان الزرقاء من الاتصال ببعضها بعضاً عبر مئات الأميال. ويتراوح طول الفرد البالغ من الحيتان الزرقاء بين (20) متراً و(33) متراً، ويتراوح وزنه بين (90) طناً و(180) طناً، ويكوّن رأسه ربع طول جسده؛ وجسمه الطويل يستدق في اتجاه الذنب. وهذا العملاق - الذي وهبه الله - تعالى - بسطة في الجسم لم تنهياً لمخلوق آخر نعرفه - يتميز بالهدوء الشديد، وبالحياء والخجل، وهو يسبح على سطح مياه البحار والمحيطات بسرعة تتراوح بين (20)، (50) كيلومتراً/ ساعة. ويعيش الحوت الأزرق في مجموعات صغيرة أو كبيرة،

ويتراوح عمر الفرد من أفراده بين (30 - 80) سنة. وأنثى الحوت الأزرق أكبر حجماً من الذكر، مما يعينها على حمل ورعاية صغارها. وتبدأ الإناث في الحمل من سن (5 - 10) سنوات، وتضع مولوداً واحداً كل (2 - 3) سنوات، بعد فترة حمل تطول من (10 - 12) شهراً. وعجل الحوت الأزرق يرضع من أمه أكثر من خمسين جالوناً من اللبن في اليوم الواحد، ويزداد وزنه بمعدل عشرة أرطال في الساعة (أي أكثر من 200 رطل في اليوم) وذلك في أسابيعه الأولى. وعند مولده يصل طول عجل الحوت الأزرق إلى سبعة أمتار، ووزنه إلى طنين، وبعد سنة من العمر يصل طوله إلى (18) متراً، وتواصل الأم إرضاع صغيرها ما بين (7 - 8) شهور، ويحد أقصى إلى سنة ثم يفطم.

وقد جارت شركات صيد الأسماك على «الحوت الأزرق» طوال النصف الأول من القرن العشرين حتى كادت أن تفتنيه. ويمثل صيد الحيتان الزرقاء حوالي 90% من صناعة صيد الحيتان، حتى وصل مجموع ما تم صيده في فصل واحد من فصول الصيد في سنة 1931م إلى أكثر من ثلاثين ألفاً من الحيتان الزرقاء فقط. ونتيجة لذلك أخذت أعداد هذه الحيتان الزرقاء في التناقص المستمر في مختلف البحار والمحيطات حتى أوشك هذا النوع العملاق على الانقراض. وليس أدل على ذلك من أن الأعداد المتوقعة اليوم من هذا الحيوان العملاق لا تكاد تتعدى الأحد عشر ألفاً، من أصل يزيد على المائتي ألف، وذلك بفعل كل من الصيد الجائر والتلوث البيئي.

ويتميز «الحوت الأزرق» بأنه عديم الأسنان، وعضواً عنها زوده الله تعالى بعدد من الألواح القرنية التي تتكون من مادة تعرف باسم الكيراتين (Keratin). وهذه الألواح يتراوح عددها بين الثلاثمائة والأربعمئة لوح تعرف باسم البالينات (Baleens) وتتدلى من جانبي الفك العلوي، ويحمل كل واحد من هذه الألواح شعيرات دقيقة في نهاياتها الداخلية باتجاه اللسان. وهذه الألواح يبلغ طول الواحد منها أكثر من المتر، وتتناقص أطوالها إلى حوالي نصف المتر في اتجاه مقدمة الفم. ويتسع فم

الحوت الأزرق ليحتوي خمسين طناً من الماء في الرشفة الواحدة، لأن الله - تعالى - قد زوّد جسمه بحوالي (50 - 70) طية تمتد من بداية الفك السفلي إلى منتصف أسفل الجسم (السرة) لتساعد على الانتفاخ عند أخذ هذا الكم الهائل من مياه البحار والمحيطات، وما بها من مختلف صور الحياة الهائمة (الطافية) والسابحة، وفي مقدمتها صغار القشريات الشبيهة بالجمبري والتي تعرف باسم كريل (Krill). وعند إغلاق الحوت الأزرق لفمه فإن الماء يطرد من خلال ألواح الباليينات التي تمسك بما فيها من كائنات حية من جهة اللسان من أجل ابتلاعه. ويخرج الماء الصافي من جانبي الفم لأن بوزه عريض جداً ومسطح على هيئة حرف (U) وبداخله حافة وحيدة عند مقدمة الفم. وبذلك يمكن للفرد البالغ من الحيتان الزرقاء أن يأكل ما بين (4 - 6) أطنان من أحياء البحر الهائمة والسابحة في اليوم الواحد والتي يبلغ عددها في المتوسط أربعين مليوناً من الكائنات الحيّة.

والحيتان الزرقاء تمضي فصلي الخريف والشتاء في كلّ من المناطق المعتدلة وشبه الاستوائية حيث تتكاثر، وتنتقل في كلّ من الربيع والصيف إلى المناطق الباردة والقطبية حيث الوفرة في الغذاء الذي تحتاجه. ولا يعرف أحد كيف تتوجّه الحيتان في مياه البحار والمحيطات لمثل هذه المسافات الطويلة. وربما تستخدم في ذلك المجال المغناطيسي للأرض، أو الموجات الصوتية التي تحدثها في التعرف على طبوغرافية قيعان المحيطات، وتحديد المواقع عليه بدقة بالغة.

وللحوت الأزرق منخاران في قمة الرأس، يستخدمهما للتنفس فوق سطح الماء، ويندفع منهما الماء بشدة إلى أعلى لحوالي عشرة أمتار أثناء الزفير على هيئة النافورة، ويمكن أن يسمع صوت ذلك لعدة أميال. ولبعض الحيتان منخّر واحد فقط. والعضلات القوية للحوت الأزرق التي أعطته اسمه العلمي (Balaenoptera musculus)، خاصة عضلات زعانفه الذيلية تعينه على المناورة بجثته الهائلة إلى أعلى أو إلى أسفل. وكائن بهذا الحجم العملاق لو عاش على الأرض لانسحق هيكله العظمي تحت وطأة وزنه الكبير، ومن هنا كانت حكمة الله البالغة

في جعل الحيتان كائنات بحرية حتى يحملها ضغط مياه البحار والمحيطات. ولو قدر لكائن بهذا الحجم العملاق أن يحيا على اليابسة ما كان ممكناً له أن يجد على اليابسة طعاماً يكفيه في كل وجبة.

وكل شيء في الحوت الأزرق عملاق، فمتوسط طول الفرد البالغ منه (25) متراً للذكر، (29) متراً للإنتى، ومتوسط وزنه يتراوح بين (150 - 175) طناً، مما يصل به إلى حجم الطائرة البوينج العملاقة. وقلب الحوت الأزرق الذي يزن حوالي (45) كيلوغراماً يصل إلى حجم سيارة من السيارات الصغيرة ويضخ (6400) كيلوغراماً من الدم إلى مختلف أجزاء الجسم في الثانية الواحدة. ولسانه الذي يمتد لأكثر من سبعين متراً في المتوسط يتسع لخمسين رجلاً بالغاً للوقوف عليه، وبلغ من ضخامة عروقه أن رجلاً بالغاً يمكن له أن يزحف في داخل أحد عروق الدم الرئيسة في جسمه مثل الأبههر (الأورطي) بمتهى السهولة.

من هذا العرض يتضح أن الحوت الذي سخره الله ﷻ للانتقام سيدنا يونس بن متى عليه السلام ربما كان من نوع الحوت الأزرق الذي كان يملأ بحار ومحيطات الأرض في عهده. وإن كانت هذه معجزة، والمعجزات لا تعلق، لأنها خوارق للسنن، إلا أن من رحمة الله بنا أن أبقى لنا الحيتان - بصفة عامة - والحيتان الزرقاء - بصفة خاصة - حتى تيسر على أذهاننا كيف التقم الحوت سيدنا يونس عليه السلام. وإدراكنا لضخامة أبدان تلك الحيتان، وسعة أفواهها، وانعدام أسنانها، ومطاطية حلوقها، وضيق بلاعيمها، واضطرارها للارتفاع برؤوسها فوق سطح الماء لكي تتنفس الهواء مرة كل (10 - 15) دقيقة، ونظافة أجسادها من الطفيليات بصفة عامة، وغير ذلك من الصفات التي اختص الخالق ﷻ بها الحيتان الزرقاء، يمكن أن ييسر على الإنسان فهم إمكانية حدوث تلك المعجزة. ومن الغريب أنه في الترجمة الإنجليزية للسفر المعرف باسم «سفر يونان» جاءت الإشارة إلى أن الذي ابتلع يونس بن متى سمكة كبيرة، وأن التي أظلمت شجرة عنب، وفي الترجمة العربية جاء ذكر أن الذي ابتلعه حوت، وأن الشجرة التي أظلمت شجرة يقطين (يقطينة) ولا

نجد تفسيراً لهذا الاختلاف في الترجمة إلا النقل عن القرآن الكريم في الطبعة العربية للعهدين القديم والجديد.

والإشارة في الآية الكريمة التي نحن بصدها إلى (الحوت) دون غيره من الحيوانات البحرية للقيام بهذه المعجزة، ولشجرة اليقطين دون غيرها من النباتات الأرضية في الآيات التالية لمّا يؤكد أنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهدته - الذي قطعه على ذاته العلية - في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

واستخدام كل من تعبيري (الحوت) و(اليقطينة) في الترجمة العربية للتعبيرين الإنجليزيين (a great fish) و(a Vine) يؤكد لكل ذي بصيرة أن الذين ترجموا «العهدين القديم والجديد» إلى اللغة العربية استفادوا بنصوص القرآن الكريم، ونقلوا منها الكثير. وقصة إسلام الأديب اللبناني الشهير أحمد فارس الشدياق (1804 - 1888م) وغيره من الأدباء اللبنانيين بهذا السبب ليست بعيدة عن الأذهان.

72 - ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَأَبْلَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً

مِّن يَّقِطِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات: 145، 146].

هاتان الآيتان القرآنيتان الكريمتان تسجلان موقفين من المواقف الهامة في سيرة عبد الله ونبية يونس بن متى ﷺ، وتمثلان وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله.

من الدلالات الإعجازية في الآيتين الكريمتين

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿٤٥﴾﴾ [الصافات: 145].
والنبتذ: هو الطرح والإلقاء؛ و(العراء): هو الأرض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم يمكن أن يستر المتواجد فيها؛ و(العراء) مشتق من (العري) وهو عدم وجود السترة. والتعبير يشير إلى أن الله - تعالى - أمر الحوت أن يلفظ عبد الله ونبية يونس بن متى على اليابسة، وليس وسط لحية البحر، وإلا هلك. وهو (سقيم) أي: وهو منهك القوى من شدة الإجهاد والمرض. وكان كل ما أصاب يونس طيلة بقائه في فم الحوت هو اهتراء جلده من عنف تيار الماء الداخل إلى هذا الفم العملاق للحوت، والخارج منه. ومن معاني هذه الآية الكريمة أن الله - تعالى - أمر الحوت بطرح يونس في فضاء واسع من اليابسة المفتوحة حيث لم يكن يواريه شيء، وهو منهك القوى من الفزع الذي انتابه نتيجة لفجائية الحدث الذي حبسه في ظلمة فم الحوت حيث اهتراً جلده.

ثانياً: في قوله - تعالى -: ﴿وَأَبْلَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَّقِطِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[الصافات: 146].

أي: أن الله - تعالى - أمر بشجرة من يقطين أن تنبت فوق جسد يونس لتستره، وتظله بأوراقها العريضة الناعمة، وتداويه، وتهبه ما يمكن أن يأكله.
و«اليقطين» ينتمي إلى مجموعة من النباتات العشبية، الزاحفة، التي تفرش

الأرض، ومنها ما له قدرة على التسلق بواسطة عدد من المحاليق الملتوية، التي تخرج من جوانب الساق بالقرب من أعناق الأوراق. ومن اليقطينيات: الحولي، ومنها المعمر، وتمتاز كلُّها بالسيقان العشبية الخماسية الأضلاع، وبالأوراق الكبيرة الوبرية الناعمة، الشبيهة براحة الكف (الراحية)، وهي مفصصة، ومتبادلة، ولها أعناق طويلة، بغير أذينات. وتمتاز اليقطينيات كذلك بالوبر الكثيف الذي يغطي كلاً من السيقان والأوراق، وبالزهور الأحادية الجنس (أي المؤنثة أو المذكرة) التي تخرج من آباط الأوراق، وبالثمار اللبّية/ الشحمية، المتباينة الأشكال، والأحجام، والألوان، والطعوم، والروائح، والحاوية لأعداد من البذور.

وهذه النباتات تنطوي كلّها تحت عائلة واحدة تُعرف باسم «العائلة اليقطينية أو القرعية»، وفي رتبة واحدة تعرف باسم رتبة اليقطينيات. أو القرعيات، وتضم حوالي المائة جنس يمثل كل منها بعشرة أنواع على الأقل، أي تحتوي على حوالي الألف نوع، تنتشر في المناطق المدارية، وشبه المدارية من الكرة الأرضية، ومن أمثلتها: قرع الكوسة (أو الدباء)، القرع العسلي، القثاء (أو العجور)، الخيار، الشمام، البطيخ، القاوون، قرع الأواني (أو قرع الزجاجة)، اللّيف، والحنظل.

ولمّا كانت هذه النباتات كلّها من النباتات العشبية، ومن ثم يصعب وصفها بالأشجار (لأنّه من المتعارف عليه أنّ الأشجار لها سيقان خشبية قويّة، قائمة بذاتها، واليقطينيات سيقانها طرية، وغير قائمة بذاتها) فإنه يمكن افتراض أنّ الشجرة التي أنبتها الله ﷺ على عبده ونبيّه يونس كانت شجرة خاصة تجمع بين صفات اليقطينيات وصفات الشجر. ولكن لما كان القرآن الكريم قد عبّر بالتعبيرين شجرة وأشجار عن النباتات عموماً، كما عبّر بالتعبيرين دابة ودواب عن عالم الحيوان بأكمله، لا نرى حاجة لهذا الافتراض. وإن كان في المنظور العلمي لا يوجد ما يمنع اليقطينيات من إمكانية التواجد على هيئة شجيرة، بسبب ضخامة ثمارها التي قد يصل وزن الواحدة منها إلى أكثر من عشرة كيلوجرامات. وقد أفلحت التجارب الزراعيّة بالفعل في تحقيق نمو بعض النباتات العشبية في هيئة

قائمة، إمّا بمساعدة الأسلاك بداخل الصوب النباتية، أو بالمعالجة ببعض الهرمونات، أو باستخدام بعض وسائط الهندسة الوراثية. وشجرة اليقطين التي أنبتها الله - تعالى - على عبده ونبية «يونس بن متى» سترته، وظلته، وداوت جراحه، ودفعت بالحشرات بعيداً عنه، وربما كان في ثمارها ما ردّ جوعه وظمأه بعد الفترة التي قضاها في فم الحوت.

ومن المقطوع به أنّ الشجرة التي أنبتها ربنا - تبارك وتعالى - ليظل بها على عبده ونبية «يونس»، ويستره بأوراقها الكبيرة، ويداويه من سقمه بما في أوراقها، وزهورها، وثمارها، وأغصانها، وسيقانها، وعصائرها من مركبات مفيدة، هي شجرة خاصة، أنبتها الله - تعالى - بأمره الذي لا يرد. إلا أنّ الصياغة القرآنية: (شجرة من يقطين) توحى بأنّ المقصود هو عموم اليقطين الذي نعرفه. وهنا يظهر التساؤل المنطقي: وماذا في اليقطينيات من علاج للحالات المماثلة للحالة التي مرّ بها يونس ﷺ بعد أن التقمه الحوت ثم لفظه بالعراء وهو سقيم، (أي مريض منك القوى)؟

وقد حاول الأخ الكريم الدكتور كمال فضل الخليفة (أستاذ النبات بجامعة الخرطوم) الإجابة على هذا السؤال في رسالتين جامعتين لطالبيين من طلابه تمّتا تحت إشرافه للحصول على درجة الماجستير في العلوم، وأعد موجزاً عن نتائجهما في مقال بعنوان «اليقطينيات وقاية وعلاج وغذاء» نشره في العدد الرابع عشر من مجلة «الإعجاز العلمي» الصادر بتاريخ الأول من ذي القعدة سنة 1423هـ.

وفي هذا المقال ذكر الباحث أنّه اختار أربعاً من اليقطينيات المشهورة في البلاد العربية وهي: قرع الأواني، والقرع العسلي، والعجور، والحنظل، وقام بزراعتها وتعهدها حتى أثمرت، وجني ثمارها. وفي مراحل الدراسة المختلفة قام بتحضير مستخلصات من مختلف أجزاء هذه النباتات الأربع مستخدماً كلاً من الماء، والكحول الميثانولي، والكلوروفورم في كل حالة. وتمّ اختبار تلك المستخلصات ضد أربعة أنواع مختلفة من البكتيريا فأظهرت جميعها فعالية واضحة

في مقاومتها، مع اختلاف درجة تلك المقاومة باختلاف نوع النبات، واختلاف الأجزاء المختارة منه، والسائل المستخدم في عملية تجهيز المستخلصات، ونوع البكتيريا.

وكانت أعلى درجات المقاومة للبكتيريا من المستخلصات المستمدة من الزهور بصفة عامة، ومن زهور وثمار الحنظل بصفة خاصة، ثم من أوراق القرع العسلي، وكان الكحول الميثانولي هو أفضل سوائل الاستخلاص.

كذلك أثبت الباحث الأثر الواضح لليقطينيات الأربع المدروسة في مقاومة وطرد بعض الحشرات من مثل الذبابة المنزلية، وآفات المخازن، وفي الوقاية من الأمراض التي يمكن لهذه الحشرات أن تنقلها.

وقد ثبت أن هذه المقدرة على مقاومة الحشرات مردها إلى وجود العديد من المركبات الكيميائية المهمة التي لها تأثير وقائي وطبي واضح في مقاومة وعلاج العديد من الالتهابات الجلدية وتقرحاتها، والأمراض التي يمكن أن تنتج عن ذلك. وقد ثبت بالفعل أن هذه المركبات الكيميائية لها تأثيراتها الفاعلة في علاج عدد من أمراض الجهازين الهضمي والبولي، وفي مقاومة بعض الأمراض السرطانية (عافانا الله جميعاً منها). هذا بالإضافة إلى القيمة الغذائية العالية لثمار اليقطينيات المأكولة والقيمة الطبية للثمار التي لا تؤكل مثل ثمار الحنظل.

وهنا تتضح روعة الإشارة القرآنية المبهرة في قول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَأَبَلَّتْنَا عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّنْ يَّقِطِينَ﴾ [٤٦]

[الصفات: 146].

خاصة إذا أدركنا أن القرآن الكريم كان قد أنزل منذ أكثر من ألف وأربعمائة من السنين، على نبي أمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين. فمثل وعلى ذلك فإن مثل هذه الومضات النورانية في كتاب الله تعتبر بالإضافة إلى إعجازها الإنبائي والتاريخي وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لسبقها لجميع المعارف المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة. وهذه الأوجه الإعجازية المتعددة

في القرآن الكريم تبقى شاهدة له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وتعهّد بحفظه في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) فبقي محفوظاً بحفظ الله (كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وسيبقى محفوظاً إن شاء الله إلى أن يرث الله - تعالى - الأرض ومن عليها. وهذه الإشارات التاريخية والإنبائية والعلمية في كتاب الله وأمثالها كثيرة تبقى حجة على أهل عصرنا، وشاهدة لسيدنا محمد ﷺ بالنبوة وبالرسالة، وبأنه - صلوات الله وسلامه عليه - كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض. وذكر (اليقطين) بالذات خمس مرات في «العهد القديم» (سفر يونا/ 4/ 6 - 11) كترجمة للفظة الإنجليزية (Vine) بمعنى شجرة عنب، يثبت لكل ذي بصيرة أن مترجمي «العهد القديم» إلى اللغة العربية قد نقلوا ذكر (اليقطين) عن القرآن الكريم، لأن الفارق بين شجرة العنب وشجرة اليقطين لا يخفى على عاقل. وتكفي الإشارة هنا أنه في الوقت الذي تمكنت فيه اليقطين من ستر عبد الله ونبوه يونس بن متى ﷺ ومداواته، وإطعامه، وطرد جميع الحشرات عنه، فإن شجرة العنب مليئة بمختلف أنواع الحشرات (كالنحل، والنمل، والدبابير وغيرها) والتي كان من الممكن أن تؤذي يونس ﷺ وجلده المهترئ (عقب خروجه من فم الحوت) إيذاءً شديداً، فضلاً عن أنها لا تستره. وفوق ذلك كله فإن التزييف المقصود في الترجمة الواردة في «العهد القديم» لا يمكن أن يخفى على الناقد البصير، حتى لو انظلي ذلك على القارئ العاجل وعلى بسطاء الناس.

ثالث وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبية الشهيد زكريا عليه السلام

أولاً: زكريا عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبية «زكريا» عليه السلام ثمان مرات في القرآن الكريم على النحو التالي:

1 - ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّتَهُ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾

[آل عمران: 33 - 38].

2 - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

[الأنعام: 83 - 86].

3 - ﴿كَهَيَّصَ ﴿١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ
 أُمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
 وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
 تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ
 سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ [مريم: 1 - 11].

4 - ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: 89 - 90].

ويذكر عن هذا النبي الصالح أن نسبه ينتهي إلى سليمان بن داود عليه السلام، وأن
 بعثته كانت قبل مولد عيسى عليه السلام؛ وكان ذلك في زمن كثرت فيه المعاصي بين بني
 إسرائيل، وشاع التحريف في الدين، فاستحلّت المحرمات، وفشت المنكرات،
 وفسق الناس، وسادت المظالم بينهم. وكان زكريا عليه السلام نجاراً كما أثبت ذلك حديث
 رسول الله صلى الله عليه وآله الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه والذي قال فيه: «كان زكريا نجاراً»⁽¹⁾، ثم
 اختاره الله - تعالى - نبياً لهداية قومه.

تزوج زكريا من شقيقة زوجة العبد الصالح «عمران»، والد مريم البتول
 أم عيسى عليه السلام دون أن يرزق منها بذرية. استمر زكريا عليه السلام في دعوة قومه إلى
 عبادة الله - تعالى - وحده، وإلى التوقف عن تحريف الدين حتى بلغ من الكبر
 عتياً. هنالك دعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية سالحة، يأتي منها من يتمكن من متابعة
 دعوته من بعده، بدلاً من مواليه الذين يلونه الرياسة في قومه من بعده، لما كان
 يعلم من سوء أحوالهم، وبعدهم عمّا شرع الله - تعالى - لهم. فتوجه إلى الله
 - تعالى - بالدعاء طلباً للذرية على الرغم من كبر سنه، واشتعال رأسه بالشيب،
 وعلى الرغم من أن امرأته كانت عاقراً (أي لم تسبق لها الولادة) [مريم: 1 - 6؛

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث رقم (6112).

الأنبياء: 89 - 90؛ آل عمران: 35 - 41].

كذلك كان عمران عالماً جليلاً في قومه، وكان عديلاً لعبد الله ونبيه (زكريا)، وكان كلاهما لم يرزق بذرية فدعوا الله - تعالى - أن يرزقهما الذرية، واستجاب الله - تعالى - دعاء عمران أولاً، فحملت زوجته بمريم البتول، ووضعتها بعد وفاة أبيها، فكفلها زكريا [آل عمران: 37].

تربّت مريم في بيت خالتها وزوج خالتها (عبد الله ونبيه زكريا) حتى كبرت، وبدأت تنشط في خدمة المسجد الأقصى، وكان لها مكان خاص تتعبّد الله - تعالى - فيه، وكان لها في هذا المكان محراب خاص بها كذلك. وكان عبد الله ونبيه زكريا يرضى أمرها في المسجد، وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً [آل عمران: 33 - 41].

في هذا الموقف الجليل سأل زكريا ربه أن يهبه طفلاً يرث عنه النبوة والحكمة ويستمرّ في دعوة قومه الذين كانوا قد فسدوا فساداً فاحشاً. وفجأة نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب بأنّ الله - تعالى - يبشّره ببخى الذي لم يجعل له من قبل سمياً. تساءل زكريا كيف ينجب وهو طاعن في السنّ، وامرأته عاقر، فأفهمته الملائكة أنّ الله - تعالى - على كل شيء قدير. وبالفعل رزق الله - تعالى - عبده زكريا - على الكبر بابنه يحيى الذي كان نبياً وسيداً وحضوراً. ويذكر المفسّرون أنّ زكريا ﷺ ابتلي بقتل ابنه يحيى ﷺ في حياته، ثم مات زكريا ذاته بعد ذلك مقتولاً.

ثانياً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لجانب من سيرة زكريا ﷺ:

- 1 - إنّ الدعاء هو مخّ العبادة، وهو مقام العبودية الحقّة لله - تعالى - والعبد كلما مرّت به ضائقة ولجأ إلى ربه في ضراعة وخشوع جسّد ذلك حقيقة العبودية لله، ومن هنا كان أهلاً لاستجابة الله ﷻ لدعائه كما حدث مع كل من عمران، وامرأته وزكريا ﷺ.
- 2 - إنّ وراثته الدين مختلفة عن وراثته العرق والدم، لأنها تمثل وراثته الالتزام بمنهج الله، والثبات عليه عن قناعة قلبية وعقلية كاملة، وهي قناعة لا بدّ

وأن يُصدّقها العمل الصالح. وهداية الله للبشر تتمثل فيما جاء به أنبياء الله ورسله. وكل من يلتزم بهدي الله يهتدي، وكلّ مَنْ يحيد عنه يضلّ ويزيغ. فما أرسل الله - تعالى - أنبياءه ورسله إلاّ ليطاعوا، وما أنزل رسالته إلاّ لتحكم بين الناس بالقسط. وحتى ذريات الأنبياء، إن لم يلتزموا بهدي الله فلن ينفعهم نسب العرق والدم شيئاً.

- 3 - إنَّ الله - تعالى - هو الذي جعل العاقر لا تلد، وجعل الشيخ الفاني لا ينسل، وهو قادر على إصلاح العاقر فيجعلها تلد، وقادر على إصلاح الشيخ الفاني الذي انقطع نسله فيجعله ينسل، وهو ﷺ على كلّ شيءٍ قدير.
- 4 - الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية التي لا تحدّها حدود، ولا يقف أمامها عائق، واليقين بأنَّ الله - تعالى - على كلّ شيءٍ قدير، وأنَّ أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.
- 5 - إنَّ الوفاء بالنذر هو حقٌّ لله - تعالى - لا يجوز النكوص فيه ولا التراجع عنه.
- 6 - التأكيد على وحدة رسالة السماء المنبثقة من وحدانية الله - تعالى - والمؤكّدة على الأخوة بين جميع أنبياء الله ورسله، وبين الناس جميعاً.
- 7 - إنَّ الدنيا دار ابتلاء واختبار، «وأشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل»⁽¹⁾ كما قال رسول الله ﷺ، فقد ابتليّ زكريّا بقتل ابنه الوحيد يحيى في حياته ثمّ مات زكريّا نفسه مقتولاً، دون ذنب ارتكبه.

من هذا الاستعراض لعدد من المواقف في حياة عبد الله ونبيه زكريّا ﷺ يتّضح ملمح من ملامح الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنّ هذا النّبّي الصالح عاش قبل تنزّل القرآن الكريم بأكثر من ستمائة سنة. والعرب في الجاهلية لم يكونوا أمة تدوين، وصحف الأولين لا تحتوي شيئاً من هذه الأحداث، وإن احتوت على صفحات من القصص المليء بالخرافات والأساطير المشوّهة لشخص هذا النّبّي الصالح، والشهيد المبتلى، والمجاهد الصابر في سبيل تبليغ دين الله وهدايته لقومه،

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، حديث رقم (2398).

والذي قُتل ابنه الوحيد ظلماً في حياته، ثم لحقه هو مقتولاً ظلماً كذلك.

وتتضح ملامح الإعجاز التاريخي والإنبائي والتربوي من سيرة عبد الله ونبه زكريا ﷺ في عدد من القيم النبيلة المصاحبة لتلك السيرة العطرة. كذلك تتضح ملامح الإعجاز العلمي في الإشارة إلى إمكانية إصلاح العقم، وعلاج انقطاع النسل في زمن الشيخوخة وكبر السن، وهي من القضايا التي لم تدركها المعارف المكتسبة إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

ثالثاً: زكريا ﷺ في «العهد القديم»:

ورد اسم زكريا (Zachariah) في «العهد القديم» وذلك في سفر يحمل اسمه من ست صفحات. وقد ملئت هذه الصفحات بعدد من الخرافات والأوهام والأساطير، والرؤى المنامية التي لا دليل عليها من تاريخ، أو منطق، أو دين. ومنطلق هذه الروايات هو الزعم الباطل ببركات خاصة لبني إسرائيل، ولملك صهيون، ولما أطلقوا عليه اسم أرض اليهود، أو أرض إسرائيل، وكلها من أوهام حاخامات اليهود، ومن دسهم على الله ﷻ. وقد ورد في «سفر زكريا» من «العهد القديم» أن زكريا هذا كان اسمه زكريا بن برخيا (Zechariah son of Berekiah) وأنه كان من أنبياء بني إسرائيل، وعاش في زمن الملك الفارسي «داريوس» بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (Darius, 521-485 B.C.). وهذا بالتأكيد هو غير عبد الله ونبه زكريا الذي عاش في زمن المسيح ﷺ.

وفي سفر زكريا تم تحديد زمن بعثة هذا النبي الصالح باليوم والشهر والسنة، وهذا ما لا يمكن التحقق منه. كما وردت في الكتاب أوصاف لله ﷻ لا تليق بجلال الربوبية. وجاءت خرافات عديدة لا يقبلها العقل. وذلك من مثل رؤية لفيقة طائرة في الهواء طولها ثلاثون قدماً، وعرضها خمسة عشر قدماً، ومن مثل رؤية امرأة محبوسة في سلة، تحملها امرأتان مجنحتان، يرفعانها بين السماء والأرض إلى أرض بابل!! ورؤية جبلين من البرونز!! وهذا كله من دس حاخامات اليهود على الله - تعالى -، ومن تزويرهم للتاريخ من أجل خدمة دعاويهم الباطلة [سفر زكريا (14 - 1)].

زكريا عليه السلام في العهد القديم:

Zechariah

كِتَابُ زَكَرِيَّا

A Call to Return to the LORD

1 In the eighth month of the second year of Darius, the word of the LORD came to the prophet Zechariah son of Berechiah, the son of Iddo: ²"The LORD was very angry with your forefathers. ³Therefore tell the people: This is what the LORD Almighty says: 'Return to me,' declares the LORD Almighty, 'and I will return to you,' says the LORD Almighty. ⁴"Do not be like your forefathers, to whom the earlier prophets proclaimed: This is what the LORD Almighty says: 'Turn from your evil ways and your evil practices.' But they would not listen or pay attention to me, declares the LORD. ⁵Where are your forefathers now? And the prophets, do they live forever? ⁶But did not my words and my decrees, which I commanded my servants the prophets, overtake your forefathers? ⁷"Then they repented and said, 'The LORD Almighty has done to us what our ways and practices deserve, just as he determined to do.' "

The Horseman Among the Myrtle Trees

⁷On the twenty-fourth day of the eleventh month, the month of Shebat, in the second year of Darius, the word of the LORD came to the prophet Zechariah son of Berechiah, the son of Iddo. ⁸During the night I had a vision—and there before me was a man riding a red horse! He was standing among the myrtle trees in a ravine. Behind him were red, brown and white horses. ⁹I asked, "What are these, my lord?" The angel who was talking with me answered, "I will show you what they are." ¹⁰Then the man standing among the myrtle trees explained, "They are the ones the LORD has sent to go throughout the earth." ¹¹And they reported to the angel of the LORD, who was standing among the myrtle trees, "We have gone throughout the earth and found the whole world at rest and in peace."

¹²Then the angel of the LORD said, "LORD Almighty, how long will you withhold mercy from Jerusalem and from the towns of Judah, which you have been angry with these seventy years?" ¹³So the LORD spoke kind and comforting words to the angel who talked with me. ¹⁴Then the angel who was speaking to me said, "Proclaim this word:

الدعوة لتوبة الأمة

1 في الشهر الثامن من السنة الثانية بعد نبؤوس أوزي الرب يقول الكلمة إلى النبي زكريا بن بركيا بن يهو قايلا، 'لقد غضب الرب أشد الغضب على آباءكم. ولكن قل لهم. هذا ما يقول الرب القدير، ارجعوا إلي فارجع إليكم. يقول الرب القديم. ولا تكونوا كآباءكم الذين ناداهم الأنبياء السابقون قائلين. هكذا يقول الرب القدير. ارجعوا عن طرقكم الباطلة وأعمالكم الشريرة. وليكنهم لم يسمعوا ولم ينفصوا إلي. يقول الرب. أين هم آباءكم؟ وهل يقا الأنبياء إلى الأبد؟ ولكن ألم تكون أقوالي ونفوسي التي أمرت بها عبيدي الأنبياء آباءكم قائلوا قائلين. لقد نكذ الرب القدير ما عزم أن يفعلنا بنفسنا ما ارتكبناه من أعمال باطلة؟'

الفرسان بين أشجار الأسي

⁷وفي اليوم الرابع والعشرون من الشهر الحادي عشر. أي شهر شباط العبري. من السنة الثانية بعد نبؤوس أوزي الرب يقول الكلمة إلى النبي زكريا بن بركيا بن يهو قايلا، 'شاهدت في ليلنا الليل ولا يزال يمشي فرسا أحمر اللون وقف بين أشجار الأسي المتوازية في الوادي. وظلته رجال واكبون على خلفي خمر وشعر وبضي. فسألت. من هؤلاء يمشي؟ فأجابني الملاك الذي كلمني، أنا الحوكن من هؤلاء. قال الفارس الواقف بين الأسي. هؤلاء هم الذين أودعهم الرب ليؤوبوا في الأرض. 'يبيدوا قل زكوا أجنابا للملاك الواقف بين الأسي. وقد جئنا في الأرض. هنا بنا كلها أمانة مطمئنة.'

¹²قال الملاك. وإلى متى أيها الرب القدير لا تشرق على أورشليم وتدين يهوذا التي سخطت عليها طويلا على الشعوب سنة. 'فاجبت الرب الملاك الذي كلمني. وبصايات كلمة مطمئنة. 'لم خصلتني الملاك قايلا. ناد. هذا ما يقول الرب القدير. إني قد عزت على أورشليم

Zechariah 1.2

1401 / 1101

زكريا ٢٠١

This is what the LORD Almighty says: 'I am very jealous for Jerusalem and Zion,¹⁵ but I am very angry with the nations that feel secure. I was only a little angry, but they added to the calamity.'¹⁶ Therefore, this is what the LORD says: 'I will return to Jerusalem with mercy, and there my house will be rebuilt. And the measuring line will be stretched out over Jerusalem,' declares the LORD Almighty.¹⁷ Proclaim further: This is what the LORD Almighty says: 'My towns will again overflow with prosperity, and the LORD will again comfort Zion and choose Jerusalem.'

Four Horns and Four Craftsmen

¹⁸Then I looked up—and there before me were four horns!¹⁹ I asked the angel who was speaking to me, "What are these?" He answered me, "These are the horns that scattered Judah, Israel and Jerusalem."²⁰ Then the LORD showed me four craftsmen.²¹ I asked, "What are these coming to do?" He answered, "These are the horns that scattered Judah so that no one could raise his head, but the craftsmen have come to terrify them and throw down these horns of the nations who lifted up their horns against the land of Judah to scatter its people."

A Man With a Measuring Line

2 Then I looked up—and there before me was a man with a measuring line in his hand!² I asked, "Where are you going?" He answered me, "To measure Jerusalem, to find out how wide and how long it is."³ Then the angel who was speaking to me left, and another angel came to meet him⁴ and said to him: "Run, tell that young man, 'Jerusalem will be a city without walls because of the great number of men and livestock in it.'⁵ And I myself will be a wall of fire around it,' declares the LORD, 'and I will be its glory within.'⁶ "Come! Come! Flee from the land of the north," declares the LORD, "for I have scattered you to the four winds of heaven," declares the LORD.⁷ "Come, O Zion! Escape, you who live in the Daughter of Babylon!"⁸ For this is what the LORD Almighty says: "After he has honored me and has sent me against the nations that have plundered you—for whoever touches you touches the apple of his eye—⁹I will surely raise my hand against them so that their slaves will plunder them. Then you will know that the LORD Almighty has sent me.

وعلى جهنم غير عظيمة. ^{١٥} ولكن غضبي متناهي على الأمم المتكتمة. لقد اغتظت قليلاً من شعبي إلا أنهم زادوا من قواجمهم. ^{١٦} لذلك يقول الرب سأرجع إلى أورشليم بنهي من الأمم. فبني عمارتي فيها وتقدس أورشليم. يقول الرب القدير. ^{١٧} وتقيف أيضاً قليلاً. هذا ما يقوله الرب القدير. ستفيض مديني خيراً كثرة. وتزجج الرب قيعري جهنم وتضطفي أورشليم.

القرون الأربعة والصانع الأربعة
^{١٨} ثم رفعت نظري وإذا بي أرى أربعة قرون. ^{١٩} قلت للملاك، ما هؤلاء، فأجاب، هؤلاء هي القرون التي بكدت أهل يهوذا وإسرائيل وأورشليم. ^{٢٠} وأراني الرب أربعة صناع. ^{٢١} فسألت، ما الذي جاء بفعله هؤلاء الرجال، فأجاب، هؤلاء هي القرون (أي الأمم) التي بكدت أهل يهوذا حتى قلت كل نفس، أما هؤلاء الصناع فقد أبلوا يذوقوا الرعب في نفوس الأمم التي هاجمت أرض يهوذا ليطردوا أهلها.

حيط قياس أورشليم
٢ ثم رفعت عيني (في الرؤيا) وإذا بي أرى رجلاً حاملاً يديه حبل قياس. ^٢ فسألت، إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابني، لأنتسح أرض أورشليم، فأرى مقدار طولها وعرضها. ^٣ ثم خرج الملاك الذي كلمني ليقام ملاك آخر القبل إلي، فقال له، اسرع وتل لهذا الشاب، ستكون أورشليم كسفال مكشوف أجله بالكس والتهلم المظلمين فيها لأنني سأكون لها سوراً يحيط بين ناري. يقول الرب، ويبدأ في داخلها.

هنا أسرعوا هربوا من أرض الشمال. قد سببتم في أربعة أرجاء الأرض، يقول الرب. ^٤ أما الآن، هربا هربوا إلى جهنم ناسن انفسكم في أرض بابل. ^٥ قال الرب القدير يقول إنه أرسلني إلى الأمم التي سببتم إغلاء ينجيد. لأن من يمسككم يمس حنقة عيني. ^٦ أما أنا أسرعهم يدي فيصعدون ثياباً يعيدهم، فندركون أن الرب القدير قد أرسلني حقاً.

Zechariah 2,3,4

1402 / ١٤٠٢

زكريا ٤.٣.٤

¹⁰"Shout and be glad, O Daughter of Zion. For I am coming, and I will live among you," declares the LORD. ¹¹"Many nations will be joined with the LORD in that day and will become my people. I will live among you and you will know that the LORD Almighty has sent me to you. ¹²The LORD will inherit Judah as his portion in the holy land and will again choose Jerusalem. ¹³Be still before the LORD, all mankind, because he has roused himself from his holy dwelling."

Clean Garments for the High Priest

3 Then he showed me Joshua the high priest standing before the angel of the LORD, and Satan standing at his right side to accuse him. ²The LORD said to Satan, "The LORD rebuke you, Satan! The LORD, who has chosen Jerusalem, rebuke you! Is not this man a burning stick snatched from the fire?" ³Now Joshua was dressed in filthy clothes as he stood before the angel. ⁴The angel said to those who were standing before him, "Take off his filthy clothes." Then he said to Joshua, "See, I have taken away your sin, and I will put rich garments on you." ⁵Then I said, "Put a clean turban on his head." So they put a clean turban on his head and clothed him, while the angel of the LORD stood by. ⁶The angel of the LORD gave this charge to Joshua: "This is what the LORD Almighty says: 'If you will walk in my ways and keep my requirements, then you will govern my house and have charge of my courts, and I will give you a place among these standing here.' ⁸Listen, O high priest Joshua and your associates seated before you, who are men symbolic of things to come: I am going to bring my servant, the Branch. ⁹See, the stone I have set in front of Joshua! There are seven eyes on that one stone, and I will engrave an inscription on it,' says the LORD Almighty, 'and I will remove the sin of this land in a single day. ¹⁰In that day each of you will invite his neighbor to sit under his vine and fig tree,' declares the LORD Almighty."

The Gold Lampstand and the Two Olive Trees

4 Then the angel who talked with me returned and wakened me, as a man is wakened from his sleep. ²He asked me, "What do you see?" I answered, "I see a solid gold lampstand

ورؤيتي وأنتهجي نأورشليم، لأنني قادم لأقيم في وسطك، يقول الرب. ¹¹فتتضمم أمم كثيرة في ذلك اليوم إلى الرب وتكونون لي شعباً، فأقيم في وسطك، فتدركين أن الرب القديم قد أرسلني إليك. ¹²فتدرك الرب هوذا نصيباً له في الأرض المقدسة، فتزجج فضطلي لنفسه أورشليم. ¹³ليضمت كل بشر في حضرة الرب لأنه قد غب من مسكن قدسه.

ثياب رئيس الكهنة الطاهرة

٣ ثم أرايت الرب يوضح زيسن الكهنة وإيقا في حضرة ملاك الرب، وعن يمينه يتقصب الشيطان إيقاومه. ^٢أقال الرب للشيطان، إن الرب ينتهزك بنشيطان، الرب الذي أضطلي أورشليم تنتهزك، أليس هذا الرجل كخطبة مشتعلة أتشلت من النار؟ ^٣وكان يوضح أيقا وإيقا في حضرة الملاك مزيدياً إليها قنيرة. ^٤أقال الملاك للملايين في حضرته، أخلغوا عنه عليه الثياب القديزة. ^٥ثم قال ليوضح، أانظر، ها أنا قد أزلت عنك إبنك وتكونك ثوبا جديداً. ^٦ثم أضاف، وضغوا بعمامة طاهرة على رأسه، فوضغوا اليمامة الطاهرة على رأسه وتكونه إليها بيعة، وملاك الرب ما ترح وإيقا. ^٧وأشهد ملاك الرب على يوضح قديلاً، ^٨هكذا ما بقوله الرب القديم، إن سلكت في طريقي وألغت أوبيري، فالتت أهما تتولى شلون هيكلتي وتخطط على جهاري، وأنتحك تقاماً بين هؤلاء الملايين في حضرته. ^٩فألشغ تايوضح زيسن الكهنة أنت وضايق وإفليك الكهنة الجاليسن أمامك، أنتم رجال أتم وها أنا آبي بعتدي الذي يدعى القطن، ^{١٠}ها هو الحجر الذي وضفته أمام يوضح، تحزمته صنع أعين، قد سلكته تشليها وتكتبت عليه، يقول الرب القديم، وأزل لم عليه الأرض في يوم وأجدو. ^{١١}وتقول الرب القديم، هي ذلك اليوم ندعو كل بيتكم ضديقه ليشتري تحت كرمي وفي ظل بيتي.

منارة الذهب وشجرتا الزيتون

٤ وزجج ملاك الرب الذي يكلمني وأيقطني كما توقظ رجل من نومه، ^٢وسألني، ماذا ترى؟ فأجبت، أرى منارة مضيعة كلها من ذهب، على رأسها صحن

Zechariah 4:5

1403 / ١٤٠٢

زكريا ٤:٥

with a bowl at the top and seven lights on it, with seven channels to the lights.³ Also there are two olive trees by it, one on the right of the bowl and the other on its left."⁴ I asked the angel who talked with me, "What are these, my lord?"⁵ He answered, "Do you not know what these are?" "No, my lord," I replied.⁶ So he said to me, "This is the word of the LORD to Zerubbabel: 'Not by might nor by power, but by my Spirit,' says the LORD Almighty.⁷ What are you, O mighty mountain? Before Zerubbabel you will become level ground. Then he will bring out the capstone to shouts of 'God bless it! God bless it!'"

The Meaning of the Vision

⁶Then the word of the LORD came to me:⁹ "The hands of Zerubbabel have laid the foundation of this temple; his hands will also complete it. Then you will know that the LORD Almighty has sent me to you."¹⁰ Who despises the day of small things? Men will rejoice when they see the plumb line in the hand of Zerubbabel. (These seven are the eyes of the LORD, which range throughout the earth.)"¹¹ Then I asked the angel, "What are these two olive trees on the right and the left of the lampstand?"¹² Again I asked him, "What are these two olive branches beside the two gold pipes that pour out golden oil?"¹³ He replied, "Do you not know what these are?" "No, my lord," I said.¹⁴ So he said, "These are the two who are anointed to serve the Lord of all the earth."

The Flying Scroll

SI looked again—and there before me was a flying scroll!² He asked me, "What do you see?" I answered, "I see a flying scroll, thirty feet long and fifteen feet wide."³ And he said to me, "This is the curse that is going out over the whole land; for according to what it says on one side, every thief will be banished, and according to what it says on the other, everyone who swears falsely will be banished."⁴ The LORD Almighty declares, 'I will send it out, and it will enter the house of the thief and the house of him who swears falsely by my name. It will remain in his house and destroy it, both its timbers and its stones.'

The Woman in a Basket

³Then the angel who was speaking to me came

قائمه عليه سبعة شرج، متصلة بسبع أكواب من أعلى
تصب إلى جوانبها ثلثون إنشاً من يمين الضحن
والأخرى عن يساره. ثم سألت الأتلا، ما هـذا
بانتدي؟ فأجابني، ألم تعلم ما هـذا؟ فقلت،
لا يا سيدي. فقال، هـذا رسالة الرب إلى زربابل،
لا بالقوة ولا بالقوة، ولكن بروحي عليهم يقول الرب
القيوم. أي شيء أنت أيها الجبل العظيم؟ أنت سهل
أمام زربابل، وتصبح زربابل حجر الزاوية في حشم
مخالب القاطنين، يباركها، يباركها الرب.

تفسير الرؤيا

ثم ألقى الرب إليّ بكلمة قليلاً،^٩ فقد أشئت بنا زربابل
هذه الهيكل، وتلك الكفلا، فتدبرك أن الرب القيوم
قد أرسلني إليكم. من تزدري يوم الإنجازات الضمير؟
تفرح الرجال حين يشاهدون ميزان البناء في يد زربابل،
وهذا السبعة هي أعين الرب الجفيلة في كل الأرض.
ثم سألت، ما هذان الزئبقتان القويتان عن يمين
المنارة وعن يسارها؟ وما غصنا الزئبون هذان المتصبتان
إلى جوانب آيينهم الذهب، اللذان يضمان الزيت اللهب؟
فأجابني، ألم تعلم ما هذان؟ فقلت، لا يا سيدي.
فقال، هذان غصنا المنسرحان بالزيت اللذان يتلان لدى
رب الأرض كلها.

رؤيا الدرج الطائر

وعدت ووجدت عشرين وثلاثين ذراعاً طويلاً.
فسألني الأتلا، ماذا ترى؟ فأجبت، أرى ذراعاً
طويلاً طوله عشرون ذراعاً (تحو عشرة أمتار) وعرضه عشر
أذرع (تحو خمسة أمتار). فقال لي، هـذا هو اللعنة
المنصبة على وجه الأرض كلها. كل من يسرق يستأصل
بمفغض ما هو متدن فيها وكل حليم ذر يهلق بزوجي
ما هو منصوص فيها. ويقول الرب القيوم، أي اذهب
هذه اللعنة على بيت كل سارق أو حليم باسمي ذواً فتحل
في وسط بيته ويهتد مع خشبه وحجره.

رؤيا المرأة في السلة

ثم قال لي الأتلا الذي كلمني، اذرع عينك وانظر إلى

Zechariah 5,6

1404 / 11.1

زكريا ٥.٦

forward and said to me, "Look up and see what this is that is appearing." ⁶I asked, "What is it?" He replied, "It is a measuring basket." And he added, "This is the iniquity of the people throughout the land." ⁷Then the cover of lead was raised, and there in the basket sat a woman! ⁸He said, "This is wickedness," and he pushed her back into the basket and pushed the lead cover down over its mouth. ⁹Then I looked up—and there before me were two women, with the wind in their wings! They had wings like those of a stork, and they lifted up the basket between heaven and earth. ¹⁰"Where are they taking the basket?" I asked the angel who was speaking to me. ¹¹He replied, "To the country of Babylonia to build a house for it. When it is ready, the basket will be set there in its place."

Four Chariots

6 I looked up again—and there before me were four chariots coming out from between two mountains—mountains of bronze! ²The first chariot had red horses, the second black, ³the third white, and the fourth dappled—all of them powerful. ⁴I asked the angel who was speaking to me, "What are these, my lord?" ⁵The angel answered me, "These are the four spirits of heaven, going out from standing in the presence of the Lord of the whole world. ⁶The one with the black horses is going toward the north country, the one with the white horses toward the west, and the one with the dappled horses toward the south." ⁷When the powerful horses went out, they were straining to go throughout the earth. And he said, "Go throughout the earth!" So they went throughout the earth. ⁸Then he called to me, "Look, those going toward the north country have given my Spirit rest in the land of the north."

A Crown of Joshua

⁹The word of the LORD came to me: ¹⁰"Take silver and gold from the exiles Heldai, Tobijah and Jedaiah, who have arrived from Babylon. Go the same day to the house of Josiah son of Zephaniah. ¹¹Take the silver and gold and make a crown, and set it on the head of the high priest, Joshua son of Jehozadak. ¹²Tell him this is what the LORD Almighty says: 'Here is the man whose

هَذَا الشَّيْءُ الْمُنْفَجِلُ.. أَتَسَأَلْتِ، مَا هَذَا، فَأَجَابَ، وَهُوَ يَكْتَلِبُ، وَهُوَ زَمْرٌ لِجُوهٍ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا.. وَمَا لَيْتَ أَنْ رُفِعَ الْخِطَاءُ الرُّضَائِيُّ مِنْ عَلَيَّ، قُوَّهِتِ، وَإِذَا بِأَمْرًا: جَالِسَةً فِي دَاخِلِ الْيَكْتَلِ. أَقَالَ لِي، هَلِدُو هِيَ زَمْرُ الشُّرِّ، وَالْقَى بِنَا إِلَى دَاخِلِ الْيَكْتَلِ، وَالْقَى الْخِطَاءَ الْكَمِيلَ عَلَى قُوَّهِتِ. كَيْفَ نَظَرْتُ مَرَّةً الْخَرَى فَرَأَيْتُ أَمْرًا مَقْبَلَتَيْنِ لَهُمَا أُجْبِحَةٌ كَأَجْبِحَةِ اللَّفْلَقِ، تَحْمُولَتَيْنِ عَلَى أَسْنَانِ الرِّيحِ، فَرَفَعْنَا الْيَكْتَلِ وَخَلَقْنَا بِهِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. أَتَسَأَلْتِ الْمَلَكَ الَّذِي كَلَّمْتِي: «إِلَى أَيْنَ مَضَيْنَا بِالْيَكْتَلِ؟» فَأَجَابْتِي: «إِلَى أَرْضِ بَيْلَنْغَارِ لِنَشْفِئَا لَهُ هَيْكَلًا حَتَّى إِذَا تَمَّ بِنَاؤُهُ نَسْتَعْرِضُ الْيَكْتَلِ فِيهِ عَلَى قَاعِنِيهِ».

رؤية المركبات الأربع

٦ ثُمَّ رَفَعْتُ عَيْنِي مَرَّةً الْخَرَى وَإِذَا بِي أَرْبَعُ مَرْكَبَاتٍ مُتَخَفِّضَاتٍ مِنْ بَيْنِ جِبَلَيْنِ نَحْسَائِيَّيْنِ، وَكَانَتْ تَجْرُ الْمَرْكَبَةُ الْأُولَى جَيْدًا حُمْرًا، وَالْمَرْكَبَةُ الثَّانِيَةُ جَيْدًا سُودًا، وَالْمَرْكَبَةُ الثَّلَاثَةُ جَيْدًا بِيضًا، وَالْمَرْكَبَةُ الرَّابِعَةُ جَيْدًا مُرَقَّلَةً. أَتَسَأَلْتِ الْمَلَكَ الَّذِي كَلَّمْتِي، «مَا هَلِدُو بِأَسْمَائِي؟» فَأَجَابْتِي: «هَلِدُو أَرْوَاحُ الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ خَارِجَةٌ بَعْدَ مُرُورِهَا فِي حَضْرَةِ رَبِّ الْأَرْضِ كُلِّهَا. أَفَالْمَرْكَبَةُ الَّتِي تَجْرُهَا الْجَيْدُ السُّودُ تَتَوَجَّهُةٌ نَحْوَ بِلَادِ الشَّمَالِ، وَالْمَرْكَبَةُ الَّتِي تَجْرُهَا الْجَيْدُ الْبَيْضَاءُ تَتَوَجَّهُةٌ إِلَى هُنَاكَ، أَمَّا الْمَرْكَبَةُ ذَاتُ الْجَيْدِ الْمُرَقَّلِ فَمُتَوَجَّهُةٌ نَحْوَ أَرْضِ الْجَنُوبِ. أَمَّا الْجَيْدُ الْقَوِيُّ الْحُمْرَاءُ فَهِيَ مُتَوَجَّهُةٌ لِلشُّجُورِ فِي الْأَرْضِ. وَمَا إِنْ قَالَ لَهَا الرَّبُّ، أَنْطَلِقِي وَتَجُولِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى أَنْتَلِعْتِ تَلُوفَ فِي أَرْجَائِيهَا. كَيْفَ هَضَبَ بِي، مَا نَظَرْتُ إِنْ الَّتِي قَضَدْتُ أَرْضَ الشَّمَالِ قَدْ نَفَذْتُ قَضَائِي، فَأَخَذْتُ سُوْرَةَ عَضِي هُنَاكَ».

تنويج يهوشع

كَيْفَ أَوْحَى الرَّبُّ إِلَيَّ بِكَلِمَتِهِ هَلِدُو: «أَخُذْ مِنْ أَهْلِ الشُّهْرِ، كُفْلًا مِنْ خَلْدَائِي وَطُوبِيَا وَتَدَغْنَةَ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ بَابِلَ، وَتَعَالَ أَيْتٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَدْخَلَ نَبِيَّ يَوْشِيَا بْنَ صَفْنِيَا. «أَخُذْ (مِنْهُمْ) فِصَّةً وَهَبْهَا وَضَعْ مِنْهَا يَجْدَانًا، كُلُّنَا بِأَحْدِيهَا رَأْسًا يَهْشَعُ بْنُ يَهُوَصَادِقَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ.» وَقَالَ لَهُ، هَكَذَا يَقُولُ

Zechariah 6,7

1405 / ١٤٠٥

زكريا ٦،٦

name is the Branch, and he will branch out from his place and build the temple of the LORD. ¹³It is he who will build the temple of the LORD, and he will be clothed with majesty and will sit and rule on his throne. And he will be a priest on his throne. And there will be harmony between the two.' ¹⁴The crown will be given to Heldai, Tobijah, Jedaiah and Hen son of Zephaniah as a memorial in the temple of the LORD. ¹⁵Those who are far away will come and help to build the temple of the LORD, and you will know that the LORD Almighty has sent me to you. This will happen if you diligently obey the LORD your God."

Justice and Mercy, Not Fasting

7 In the fourth year of King Darius, the word of the LORD came to Zechariah on the fourth day of the ninth month, the month of Kislev. ²The people of Bethel had sent Sharezer and Regem-Melech, together with their men, to entreat the LORD ³by asking the priests of the house of the LORD Almighty and the prophets, "Should I mourn and fast in the fifth month, as I have done for so many years?"

⁴Then the word of the LORD Almighty came to me: ⁵"Ask all the people of the land and the priests, 'When you fasted and mourned in the fifth and seventh months for the past seventy years, was it really for me that you fasted?' ⁶And when you were eating and drinking, were you not just feasting for yourselves?' ⁷Are these not the words the LORD proclaimed through the earlier prophets when Jerusalem and its surrounding towns were at rest and prosperous; and the Negev and the western foothills were settled?"

The Exile As a Result of Sin

⁸And the word of the LORD came again to Zechariah: ⁹"This is what the LORD Almighty says: 'Administer true justice; show mercy and compassion to one another. ¹⁰Do not oppress the widow or the fatherless, the alien or the poor. In your hearts do not think evil of each other.' ¹¹But they refused to pay attention; stubbornly they turned their backs and stopped up their ears. ¹²They made their hearts as hard as flint and

الرَّبُّ الْقَدِيمُ، مَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي أُسْمِيَ الْخُصْبُ، الَّذِي تَبْتُ مِنْ ذِيهِ وَتَبْتُ هَيْكَلَ الرَّبِّ. "هُوَ الَّذِي تَبْتُ هَيْكَلَ الرَّبِّ وَتَجَلَّلَ بِالْمَجْدِ وَيَكُونُ نَسْمَةً مَلِكًا وَكَوْنًا فِي أَنْ وَاجِدِ قَهْلِسَ وَيَحْكُمُ عَلَى عَزِيهِ وَيَتَمَلَّ بِقَضَلِ مَشُورَةِ زَبْتِيهِ عَلَى إِشَاعَةِ السَّلَامِ بَيْنَ قَوْمِهِ. "أَمَّا بِيَّةُ الْهَيْجَانِ، فَتَكُونُ مِنْ نَسِيبِ خَلْكَايَ وَطُوبِيَا وَدَعْمَا وَتُوبِيَا مِنْ صَفْتِيَا، وَضَمَّهَا تَذَكْرًا فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ. "وَتَتَوَلَّدُ قَوْمٌ مِنْ تَبْتِي لِتَبْتُ هَيْكَلَ الرَّبِّ، فَتَدْرِكُونَ أَنَّ الرَّبَّ الْقَدِيمَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، وَتَدْرِكُونَ هَذَا كُلَّهُ إِنْ اطَّعْتُمْ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ طَاعَةً كَامِلَةً.

العدل والرحمة خير من الصوم
وفي النظم الرابع من الشهر السابع أي شهر كسلو
V (تشرين الثاني - نوفمبر)، من السنة الرابعة لحكم
الملك داريوس، أوحى الربُّ بعبده الكلمة إلى زكريا، حينئذ
أرسل أهلُ بيتِ ليلِ شرازير، ودعهم ملك، ورجلهم ليصلوا أمام
الربِّ، ليسئَلُوا كَهَنَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الْقَدِيمِ وَالنَّبِيَّاءِ قَائِلِينَ:
هل نوحُ ونصومُ في الشهر الخامس (آب - أوتونستس) كما
اعتدنا طوالَ هذه السنين الكثيرة؟

فأوحى الربُّ القديمُ إليَّ بعبده الرصاصة: "هل لجميع شعبي
الأرضِ والكهنة: 'حينئذ كنتم تصومون وتترحمون في الشهر
الخامس والشهر السابع (أي تشرين - الأول أكتوبر) في غضون
سنوات المئتي السبعين، هل كان صيامكم حقًا لي؟ أوجبن
تأكلون وتشربون، ألم تكن ذلك لإشباع نفوسكم وإقواء أنفسكم؟
وعندما كانت أورشليمُ هيلةً ناعمٌ بالخضاه، تحاطةً بغربي
عابرة، والناصُ يقيمون في جلوبها وسهلها، ألم تكن هلبة هي
كلمات الربِّ التي أفلتها على السنة الأثنياء السبعين؟"

السي نتيجة خطايا الأمة
كَمْ قَالَ الرَّبُّ لِرُكْبَا، "هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيمُ، أَفْضُوا
بِالْعَدْلِ، وَتَبْتُوا كُلَّ مَيْتَكُمْ إِحْسَانًا وَرَحْمَةً لِأَخِيهِ. "وَلَا تَحْمُرُوا
عَلَى الْأَرْثَلَةِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَرْبِ وَالْمِسْكِينِ، وَلَا تَضْمُرُوا أَحَدَكُمْ
شَرًّا فِي قَلْبِهِ لِأَخِيهِ. "وَلْيَكَلِّمْهُمُ أَبْنَاءُ أَنْ يَضْمُرُوا، وَأَقْبَضُوا بِمَنَابِقِهِمْ
عَنْ عَابِيهِمْ، وَأَضْمُرُوا أَلْقَامَهُمْ إِثْلًا يَسْمَعُوا. "وَقَبَضُوا قُلُوبَهُمْ
كَحَاثِرَاتٍ إِثْلًا يَسْمَعُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَرْسَلَهَا الرَّبُّ الْقَدِيمُ

Zechariah 7,8

1406 / ١٤٠٦

زكريا ٨.٧

would not listen to the law or to the words that the LORD Almighty had sent by his Spirit through the earlier prophets. So the LORD Almighty was very angry. ¹³When I called, they did not listen; so when they called, I would not listen," says the LORD Almighty. ¹⁴I scattered them with a whirlwind among all the nations, where they were strangers. The land was left so desolate behind them that no one could come or go. This is how they made the pleasant land desolate."

The LORD Promises to Bless Jerusalem

8 Again the word of the LORD Almighty came to me. ²This is what the LORD Almighty says: "I am very jealous for Zion; I am burning with jealousy for her." ³This is what the LORD says: "I will return to Zion and dwell in Jerusalem. Then Jerusalem will be called the City of Truth, and the mountain of the LORD Almighty will be called the Holy Mountain."

⁴This is what the LORD Almighty says: "Once again men and women of ripe old age will sit in the streets of Jerusalem, each with cane in hand because of his age. ⁵The city streets will be filled with boys and girls playing there."

⁶This is what the LORD Almighty says: "It may seem marvelous to the remnant of this people at that time, but will it seem marvelous to me?" declares the LORD Almighty.

⁷This is what the LORD Almighty says: "I will save my people from the countries of the east and the west. ⁸I will bring them back to live in Jerusalem; they will be my people, and I will be faithful and righteous to them as their God."

⁹This is what the LORD Almighty says: "You who now hear these words spoken by the prophets who were there when the foundation was laid for the house of the LORD Almighty, let your hands be strong so that the temple may be built. ¹⁰Before that time there were no wages for man or beast. No one could go about his business safely because of his enemy, for I had turned every man against his neighbor. ¹¹But now I will not deal with the remnant of this people as I did in the past," declares the LORD Almighty. ¹²"The seed will grow well, the vine will yield its fruit, the ground will produce its crops, and the heavens will drop their dew. I will give all these things as an inheritance to the remnant of this people. ¹³As you have been an

بزوجي على لسان أنبيائه السابقيين. فَأَنْصَبُ غَضَبَ عَظِيمٍ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ. ^{١٣}وَكَمَا نَادَيْتُ فَلَمْ يَسْمَعُوا فَإِنِّي أَنَا أَيْضًا لَا أَسْمَعُ. يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. ^{١٤}فَبَدَّدْتُهُمْ بِالزُّبُوعَةِ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّتِي لَمْ يَعْرِفُوهَا مِنْ قَبْلُ. فَصَارَتِ الْأَرْضُ الَّتِي نَقُوا مِنْهَا خَرَابًا لَا يَجْتَازُهَا ذَاهِبٌ أَوْ رَاجِعٌ. وَأَضْحَتِ الْأَرْضُ الْمُنْهَجَةُ قَفْرًا.

وعدود الرب بمباركة اورشليم

وَأَوْحَى الرَّبُّ الْقَدِيمُ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ. ^٢هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ الْقَدِيمُ: إِنِّي أَعَارُ عَلَى صِهْيُونَ غَيْرَةً عَظِيمَةً مُقَمَّةً بِغَضَبٍ شَدِيدٍ عَلَى أَعْدَائِهَا. ^٣إِهَذَا يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيمُ: هَا أَنَا عَائِدٌ إِلَى صِهْيُونَ لِأَقِيمَ فِي أُورُشَلِيمَ. فَتَدْعَى اتِّبْنُ مَدِينَةَ الْحَقِّ. كَمَا يُدْعَى جَبَلُ الرَّبِّ الْقَدِيمِ الْجَبَلُ الْمُقَدَّسُ.

^٤وَيَعُودُ الشُّبُوحُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ. مِمَّنْ يَتَّكِنُونَ عَلَى عَصِيهِمْ لِقِرْطُ كَبِيرٍ أَعْمَارِهِمْ. فَيَجْلِسُونَ فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ. وَتَكْتَفُطُ طُرُقُهَا بِالْأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ اللَّاعِبِينَ فِيهَا.

^٥إِن كَانَ هَذَا الْأَمْرُ عَجِيبًا فِي أَعْيُنِ الْبَاقِيَةِ النَّاجِيَةِ مِنْ هَذَا الشُّعْبِ. أَيْكُونُ عَجِيبًا فِي عَيْنِي الرَّبِّ؟

^٦هَا أَنَا أَتَقَدُّ شُعْبِي الْمُنْتَفِي فِي أَرْضِ الْمَشْرِقِ أَوْ فِي الْمَغْرِبِ. ^٧وَأُرِدُّهُمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْكُنُوا فِيهَا. وَيَكُونُونَ لِي شُعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًُا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

^٨وَلَتَسْتَدِّدْ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ بِأَمْنٍ تَسْمَعُونَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَقَلَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ كَانُوا خَاصِمِينَ عِنْدَ إِرْسَاءِ أَسَاسِ هَيْكَلِ الرَّبِّ الْقَدِيمِ لِإِعَادَةِ بِنَائِهِ. ^٩فَقِيلَ قَبْلَ ذَلِكَ الْأَيَّامِ لَمْ تَدْفَعْ أَجْرَةَ لِرَجُلٍ أَوْ نَهْمِيَّةٍ. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي ذَهَابِهِ وَتَلَابِهِ. لِأَنِّي انْتَرْتُ كُلَّ وَاحِدٍ ضِدَّ صَاحِبِهِ. ^{١٠}أَمَّا الْآنَ فَلَنْ أَتَعَامَلَ مَعَ بَقِيَّةِ شُعْبِي النَّاجِيَةِ كَمَا تَعَامَلْتُ مَعَهُ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِفَةِ. يَقُولُ الرَّبُّ الْقَدِيمُ. ^{١١}بَلْ يَبْزِعُونَ فِي سَلَامٍ. فَتُغْطِي الْكُرُومُ ثَمَرَهَا وَالْأَرْضُ غُلَابَهَا. وَيَجُودُ السَّمَاءُ بِأَمْطَارِهَا. وَأَوْرَثَ بَقِيَّةَ هَذَا الشُّعْبِ النَّاجِيَةِ كُلِّ هَذِهِ. ^{١٢}وَكَمَا كُنْتُمْ لَعْنَةً بَيْنَ الْأُمَمِ بِإِثْنَاءِ يَهُودَا وَإِسْرَائِيلَ. فَإِنِّي أَخْلَصُكُمْ فَتَضِيحُونَ

Zechariah 8,9

1407 / ١٤٠٧

زكريا ٩،٨

object of cursing among the nations, O Judah and Israel, so will I save you, and you will be a blessing. Do not be afraid, but let your hands be strong."¹⁴This is what the LORD Almighty says: "Just as I had determined to bring disaster upon you and showed no pity when your fathers angered me," says the LORD Almighty,¹⁵"so now I have determined to do good again to Jerusalem and Judah. Do not be afraid."¹⁶These are the things you are to do: Speak the truth to each other, and render true and sound judgment in your courts;¹⁷do not plot evil against your neighbor, and do not love to swear falsely. I hate all this," declares the LORD.

The Nations Seek the LORD in Jerusalem

¹⁸Again the word of the LORD Almighty came to me. ¹⁹This is what the LORD Almighty says: "The fasts of the fourth, fifth, seventh and tenth months will become joyful and glad occasions and happy festivals for Judah. Therefore love truth and peace."²⁰This is what the LORD Almighty says: "Many peoples and the inhabitants of many cities will yet come, ²¹and the inhabitants of one city will go to another and say, 'Let us go at once to entreat the LORD and seek the LORD Almighty. I myself am going.'²²And many peoples and powerful nations will come to Jerusalem to seek the LORD Almighty and to entreat him."

²³This is what the LORD Almighty says: "In those days ten men from all languages and nations will take firm hold of one Jew by the hem of his robe and say, 'Let us go with you, because we have heard that God is with you.'"

The Judgment of the LORD

9 The word of the LORD is against the land of Hadrach and will rest upon Damascus—for the eyes of men and all the tribes of Israel are on the LORD—²and upon Hamath too, which borders on it, and upon Tyre and Sidon, though they are very skillful. ³Tyre has built herself a stronghold; she has heaped up silver like dust, and gold like the dirt of the streets. ⁴But the Lord will take away her possessions and destroy her power on the sea, and she will be consumed by fire. ⁵Ashkelon will see it and fear; Gaza will writhe in agony, and Ekron too, for her hope will wither. Gaza will lose her king and Ashkelon will be

بركة. لا تجزئوهوا، بل تشجعوهوا. ^{١٤}لأنه هكذا يقول الرب القديم، كما وطلدت العزم أن أعاقبكم ولكني عندما أكرهكم سخطي، ولم أرجع عن عزمي، يقول الرب القديم، ^{١٥}لأنني عدت أيضا قنصيت في عدو الألبم أن أحسن إلى اورشليم وإلى شعب يهوذا. فلا تجزئوهوا. ^{١٦}وهذا ما عليكم أن تفعلوه، لا تكذبوا بعضهم على بعضي، واحكموا في ساحتهم فديتكم بالعدل واحكموا السلام. ^{١٧}لا تضمر احدكم شرا في قلبه لقرينه، ولا تحلفوا تبين زور، فإن عدو جميعها متقته، يقول الرب.

الأمم تطلب الرب في اورشليم. ^{١٨}لأن أوتى الرب فيي بكلمتي قبلا، ^{١٩}وهذا ما يقول الرب القديم، إن لسوانتكم في الشهر الرابع والخامس والسابع والعاشر ستكون مزامير وأنياب وزبح وأغصان سيدة تمتع بها شعب يهوذا، لهذا اجروا الحق والسلام. ^{٢٠}وستجي شعوب أيضا والواجب من سكان مدن كثيرة إلى اورشليم، ^{٢١}فتنهي أهل المدينة الواحدة إلى المدينة الأخرى قائلين، ها نذهب على الفور لتطلب ربي وعبه الرب القديم وتلقين بركة، لأننا على أي حال نطلبون إلى هناك. ^{٢٢}فتتوالد لهم كثيرة وشعوب قويتا يلبسوا زينة الرب القديم في اورشليم ويتخطوا برضا، ^{٢٣}في تلك الأيام تمشي عشرة رجال من أبناء الأمم يمسك رجل يهودي بقميصه، قلنا نذهب معكم، لأننا سمعنا أن الرب معكم.

قضاء الرب

٩ وحق قضاء الرب بقلب ارض حدرخ ويمشوق، لأن أعين الناس وصغير أشباط اسرائيل نحو الرب. ^٢وكذلك قضاء الرب على حمة المتعاصمة ليمشوق، وعلى صور وصينون المتصفتان بالحمق، ^٣وقد بنت صور جينا لثيها وأخزيت البضة كالكواب والذهب كطين الشوارع. ^٤ولكن ها الرب يبرونها من يمتلاكها، وتلحق جرافها إلى البحر، وتلعونها الثوران. ^٥فتشهد مدينة أشقلون هذا فتلحق، وتلحق غزة أما. ^٦تتجمع غزون أيضا لأن زهادها قد تبند. ^٧بهلك ملك غزة وتضيق أشقلون

Zechariah 9,10

1408 / ١٤٠٨

زكريا ٩،١٠

deserted. ⁶Foreigners will occupy Ashdod, and I will cut off the pride of the Philistines. ⁷I will take the blood from their mouths, the forbidden food from between their teeth. Those who are left will belong to our God and become leaders in Judah, and Ekron will be like the Jebusites. ⁸But I will defend my house against marauding forces. Never again will an oppressor overrun my people, for now I am keeping watch.

The Coming of the King

⁹Rejoice greatly, O Daughter of Zion! Shout, Daughter of Jerusalem! See, your king comes to you, righteous and having salvation, gentle and riding on a donkey, on a colt, the foal of a donkey.

¹⁰I will take away the chariots from Ephraim and the war-horses from Jerusalem, and the battle bow will be broken. He will proclaim peace to the nations. His rule will extend from sea to sea and from the River to the ends of the earth. ¹¹As for you, because of the blood of my covenant with you, I will free your prisoners from the waterless pit. ¹²Return to your fortress, O prisoners of hope; even now I announce that I will restore twice as much to you.

¹³I will bend Judah as I bend my bow and fill it with Ephraim. I will rouse your sons, O Zion, against your sons, O Greece, and make you like a warrior's sword. ¹⁴Then the LORD will appear over them; his arrow will flash like lightning. The Sovereign LORD will sound the trumpet; he will march in the storms of the south, ¹⁵and the LORD Almighty will shield them. They will destroy and overcome with slingstones. They will drink and roar as with wine; they will be full like a bowl used for sprinkling the corners of the altar. ¹⁶The LORD their God will save them on that day as the flock of his people. They will sparkle in his land like jewels in a crown. ¹⁷How attractive and beautiful they will be! Grain will make the young men thrive, and new wine the young women.

Redemption of God's People

10 Ask the LORD for rain in the springtime; it is the LORD who makes the storm louds. He gives showers of rain to men, and plants out the field to everyone. ²The idols speak deceit,

مُوحِشَةً. ^٦تَسْتَوِطِنُ الْفِيلِسْتِينِ فِي أَشْدُودَ، وَتَسْتَأْمِلُ الْفِيلِسْتِينِ الْفِيلِسْتِينِ. ^٧لَا تَخُونُونَ تَأْكُلُونَ لَحْمًا بِيَدَيْهِمْ أَوْ طَعَامًا نَجِسًا وَتَضِيحُونَ هَمَّ أَيْضًا بِنُفْسِ نَاجِيَةِ لِلرَّبِّ، يَصِيرُونَ كَعَشِيرَةِ فِي سَبَطِ يَهُوذَا، وَتَكُونُ عَشْرُونَ نَظِيرَ الْيَبُوسِيِّينَ. ^٨لَمْ أَصْنَعْ حَوْلَ شَعْبِي لِأَحْفَظَهُ مِنْ غُرُوبَاتِ الْجَبُوشِ فِي ذَهَابِهَا وَتَهَابِهَا، فَلَا يَهْلِكُهُمْ مُسْتَعْمِرٌ، لِأَنِّي زَائِتٌ الْآنَ بِعَيْنِي مُعَاقِبَاتِهِمْ.

جمي الملك

^٩أَتَبْهِجِي جِدًّا تَائِبَةً صِهْيُونُ وَأَهْتَفِي تَائِبَةً أُورُشَلِيمَ، لِأَنَّ مَوْجِدًا مَلِكًا مَقْبُولٌ إِلَيْكَ. هُوَ عَائِلٌ ظَاهِرٌ، وَلِكَيْتَهُ وَبِيحٌ زَاكِبٌ عَلَى اثْنَانِ، عَلَى جَحْشٍ أَوْ عَلَى فِئْتَانِ. ^{١٠}وَأَسْتَأْمِلُ الْمَرْكَبَاتِ الْخَرَبِيَّةَ مِنَ الْفَرَايِمِ، وَالْخَطْلَ مِنَ أُورُشَلِيمَ، وَبِيحُ الْقَوَاسِ الْقَيْغَالِ، وَتَشِيحُ السَّلَامَ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتَمْتَدُّ مَلِكُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنْ نَهْرِ الْفَرَاتِ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ. ^{١١}أَمَّا أَنْتُمْ فَيُفْضَلُ نَمَّ عَهْدِي مَعَكُمْ أَطْلِقُوا أَسْرَائِلَكُمْ مِنَ الْحَبْأِ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ. ^{١٢}ارْجِعُوا إِلَى الْحِصْنِ بِأَسْرَى الرَّجَاءِ، فَإِنَّا أَعْلِنُ لَكُمْ أَنِّي أَضَاعَفُ لَكُمْ الْأَجْرَ لِهَاءِ مَا عَقَبْتُمْ مِنْ وَتَلَاتِ.

^{١٣}هَا أَنَا أَوْتَرُ يَهُوذَا كَقَوْسٍ وَأَجْعَلُ الْفَرَايِمَ كَسَهْمٍ وَأُؤَيِّرُ رِجَالِ صِهْيُونِ عَلَى أَيْتَانِ الْيُونَانِ فَتَكُونِينَ كَسَيْفِ جَبَّارٍ. ^{١٤}لَمْ تَجَلِي الرَّبِّ، وَتَبْذُ شَهْمَةً كَأَلْبَرِقِ، يَنْفُخُ السَّيْفُ الرَّبِّ بِالْبُوقِ وَتَقْجُمُ فِي زَوَاجِ الْجَبُوشِ. ^{١٥}يَقِيهُمُ الرَّبُّ الْقَدِيمُ فَلَا تَنَالُهُمْ جِبَارَةُ الْإِسْفَلَاخِ، بَلْ تَضْرِبُ عَنْهُمْ وَتَقْلُوبُهُمْ، وَتَشْرَبُونَ (مِنْ دِمَاءِ أَغْدَابِهِمْ) وَتَضْحَكُونَ كَأَلْسُكَارَى مِنَ الْخَمْرِ وَتَمْتَلِئُونَ كَمَنَاصِيحِ الْمَخْرَفَاتِ وَزَوَاتِ الْمُنْتَبِحِ. ^{١٦}فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَمْلَأُهُمُ الرَّبُّ إِلَهُهُمْ لِأَنَّهُمْ شَعْبُهُ قَطِيعُهُ، وَتَمَلِّقُونَ فِي أَرْضِهِ كَجِبَارَةِ كَرِيمَةٍ مَرْصُوعَةٍ فِي تَاجٍ. ^{١٧}فَمَا أَجْمَلُهُمْ وَمَا أَبْهَاتُهُمَا الْجَنَّةُ تَجْمَلُ الْفَيْثَانِ أَكْثَرَ أَرْجَمَارًا، وَالْخَمْرَةُ تَجْمَلُ الْفَتَيَاتِ أَكْثَرَ نَضْرَةً.

افتداء شعب الله

١٠ اطلبوا من الرب أن يُمْطِرَ في موسم الربيع، لأن الرب هو الذي ينسحب بوقوق، وتسكب على الناس زابلاً هطلاً، وتزرق كل واحد عشباً في الحقل. أما

diviners see visions that lie; they tell dreams that are false, they give comfort in vain. Therefore the people wander like sheep oppressed for lack of a shepherd. ³My anger burns against the shepherds, and I will punish the leaders; for the LORD Almighty will care for his flock, the house of Judah, and make them like a proud horse in battle. ⁴From Judah will come the cornerstone, from him the tent peg, from him the battle bow, from him every ruler. ⁵Together they will be like mighty men trampling the muddy streets in battle. Because the LORD is with them, they will fight and overthrow the horsemen. ⁶I will strengthen the house of Judah and save the house of Joseph. I will restore them because I have compassion on them. They will be as though I had not rejected them, for I am the LORD their God and I will answer them. ⁷The Ephraimites will become like mighty men, and their hearts will be glad as with wine. Their children will see it and be joyful; their hearts will rejoice in the LORD. ⁸I will signal for them and gather them in. Surely I will redeem them; they will be as numerous as before. ⁹Though I scatter them among the peoples, yet in distant lands they will remember me. They and their children will survive, and they will return. ¹⁰I will bring them back from Egypt and gather them from Assyria. I will bring them to Gilead and Lebanon, and there will not be room enough for them. ¹¹They will pass through the sea of trouble; the surging sea will be subdued and all the depths of the Nile will dry up. Assyria's pride will be brought down and Egypt's scepter will pass away. ¹²I will strengthen them in the LORD and in his name they will walk," declares the LORD.

A Prophecy of Affliction

11 Open your doors, O Lebanon, so that fire may devour your cedars! ²Wail, O pine tree, for the cedar has fallen; the stately trees are ruined! Wail, oaks of Bashan; the dense forest has been cut down! ³Listen to the wail of the shepherds; their rich pastures are destroyed! Listen to the roar of the lions; the lush thicket of the Jordan is ruined!

⁴This is what the LORD my God says: "Pasture the flock marked for slaughter. ⁵Their buyers slaughter them and go unpunished. Those who sell

الأوثان فإنيما تطلق بالباطل، وترى الرؤى ترى كاذبة، ويتنبئون بأخلام زور، وعيننا مغرورن، لذلك سرت الناس كذبتهم، وقلسوا نشفة لإلغارهم إلى راع، إن غضبي محتدم على الرعاة، وسأعذب الرؤساء، لأن الرب القدير يغني ببطييه شعب يهوذا، ويضعلهم كقرص المرأمو في القتال، منهم يخرج حجر الزاوية والرتد وقوس القتال وكل حاكم منسلط، وتدوسون الأعداء معاً كما تدوس الجبيرة الطين في الشوارع، ويخربون لأن الرب معهم فيلجئون الصار يترسان الأعداء، إني أشد شعب يهوذا وأخلص ذرية يوسف وأردتهم إلى أرضهم لأنني أكره لهم الرخمة، فيكونون كماي لم أنيلهم لأني أنا الرب إلههم فاستجبهم، ويصيح شعب إسرائيل كجبابرة الحزب، وتتبسي قلوبهم كمن شرب خمر، وتشهد أبنائهم هذا وتفرحون، وتنتج نفوسهم بكروب، أسيدي إسرائي لهم فاجمع شفتهم لأني اقتنيتهم، وتكثرون كما في الجذب الأولى، مع أي مدلتهم بن الأسم، فإنهم يطلون بذكروني في المتالي النبوة، ويحبون مع أولادهم وترجعون، أسركم إلى موطنهم من بلاد مصر، واجمع شفتهم من أسور، وإني يوم إلى أرض جلعاد ولبنان حتى لا تنق منسح لهم بعد، فيجاءون عبر بحر المشقات، فتجسر الأنواج وتختلج لبح الأليل، تليل كبرها أسود تعزل صولجان مصر، وأسندتهم بكروب فيسلكون بمقتضى أسمو، يقول الرب.

نبوة الهلاك بالويلات

١١ افتح أبوابك يا لبنان حتى تلتهم النار أركانك، أنتحب أيما السور لأن الأرز قد تهادى، وألغظاه قد هلكوا، أنتحب مملوط باشان لأن الغابات الكثيفة تدمرت، استجبوا إلى نواح الرعاة (أي الحكام) لأن مرابعهم البرية قد تلتفت، أئصوا إلى زجرة الأسود لأن أجماع وادي الأردن قد صارت حزاب.

وأخذوا قان الرب إلهي، أزع العنم المعد للذبح، الذين يظلمون مأكولهم وتلينون من العقاب، وكل من يبيعهم يقول،

Zechariah 11,12

1410 / ١٤١٠

زكريا ١١، ١١

they say, 'Praise the LORD, I am rich!' Their own shepherds do not spare them. ⁶For I will no longer have pity on the people of the land," declares the LORD. "I will hand everyone over to his neighbor and his king. They will oppress the land, and I will not rescue them from their hands."

⁷So I pastured the flock marked for slaughter, particularly the oppressed of the flock. Then I took two staffs and called one Favor and the other Union, and I pastured the flock. ⁸In one month I got rid of the three shepherds. The flock detested me, and I grew weary of them ⁹and said, "I will not be your shepherd. Let the dying die, and the perishing perish. Let those who are left eat one another's flesh."

¹⁰Then I took my staff called Favor and broke it, revoking the covenant I had made with all the nations. ¹¹It was revoked on that day, and so the afflicted of the flock who were watching me knew it was the word of the LORD. ¹²I told them, "If you think it best, give me my pay; but if not, keep it." So they paid me thirty pieces of silver. ¹³And the LORD said to me, "Throw it to the potter"—the handsome price at which they priced me! So I took the thirty pieces of silver and threw them into the house of the LORD to the potter. ¹⁴Then I broke my second staff called Union, breaking the brotherhood between Judah and Israel.

¹⁵Then the LORD said to me, "Take again the equipment of a foolish shepherd. ¹⁶For I am going to raise up a shepherd over the land who will not care for the lost, or seek the young, or heal the injured, or feed the healthy, but will eat the meat of the choice sheep, tearing off their hoofs. ¹⁷Woe to the worthless shepherd, who deserts the flock! May the sword strike his arm and his right eye! May his arm be completely withered, his right eye totally blinded!"

تَبَارَكَ الرَّبُّ فَإِنِّي قَدْ التَّهْتُ. أَمَا زَعَفَهُمْ فَلَا يُضَيِّرُونَ لَهُمْ شَقَّةً. ^٦ يَقُولُ الرَّبُّ، «بِذَلِكَ لَا أَشْفِقُ بَعْدَ عَلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ، بَلْ أَنَا أَسْلَمْتُ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى قَرِيبِهِ أَوْ مَلِكِهِ، فَهَيَّاكَوْنِ النَّاسُ وَلَا أَتَيْدُ أَحَدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ.»

^٧ وَكَفَّنَا صِرْتٌ زَائِجًا لِأَهْرَافِ الْعَتَمِ الْمَعْدُ لِلنَّبِيحِ، وَأَخَذْتُ لِطَيْبِي عَصِيَّتَيْنِ دَعَوْتُ إِسْدَلْهُنَا نِفْمَةً وَالْأُخْرَى وَحْدَةً، وَقَسَمْتُ بِرِعْقَةِ الْعَتَمِ. ^٨ وَفِي لِحْصِينَ شَهْرٍ وَاجِدُ اثْنَتَيْ الرُّعَاةِ الثَّلَاثَةِ. وَكَيِّنَ صَبْرِي نَقْدًا عَلَى الْإِهْتَامِ، كَمَا أَسْمَرُوا هُمْ أَنفُسًا لِي فِي الْكِرَامِيَّةِ. ^٩ لِذَلِكَ فَلَمَسْتُ، «لَنْ أَكُونُ لَكُمْ زَائِجًا. مَنْ نَمِتَ مِنْكُمْ فَلْيَمُتْ، وَمَنْ يَهْلِكْ فَلْيَهْلِكْ، وَلْيَأْكُلْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَحْمَ بَعِيضِكُمْ بَعْضًا.»

^{١٠} وَتَنَارَلْتُ عَصَايَ نِفْمَةً، وَكَسَرْتُهَا نَافِصًا بِذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي أُبْرِئُهُ مَعَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. ^{١١} وَكَفَّنَا بِكُلِّ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ النَّوْمِ، وَأَذْرَكَ أَهْرَافَ الْعَتَمِ الَّذِي كَفَرُوا بِرَفِيقَتَيْنِي أَنْ مَا يَجْرِي كَانَ بِقَضَاءِ الرَّبِّ. ^{١٢} «لَمْ قُلْتُ لَهُمْ، «إِنْ طَابَ لَكُمْ فَاعْمَلُونِي أُجْرَتِي، وَإِلَّا فَاسْتَعْمَلُوا بِنَاءً. فَوَرُوْا أُجْرَتِي ثَلَاثِينَ شِقْلًا مِنْ الْفِضَّةِ.» قَطَّلَ الرَّبُّ لِي، «أَعْطِ هَذَا الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي تَمْتَنِي بِهِ إِلَى الْفَخَّارِيِّ.» فَأَخَذْتُ الثَّلَاثِينَ فِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ وَوَقَعْتُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ إِلَى الْفَخَّارِيِّ. ^{١٣} وَخَطَمْتُ عَصَايَ الْأُخْرَى وَوَحْدَةً، لِأَنْقَضَ الْإِحْيَاءَ نَفْسَ يَهُوْدَا وَإِسْرَائِيلِ.»

^{١٤} لَمْ قُلْ لِي الرَّبُّ، «أَلْقَبْ وَتَقَهَّرْ قَبِيَّةً بِأَدْوَاتِ رَاعٍ أَسْمَقٍ.» ^{١٥} «هِيَ أَنَا مُزِيغٌ أَنْ أَقِيمَ فِي الْأَرْضِ زَائِجًا لَا يَفْعَلُ بِالْعَتَمِ الشَّرِيفَةِ، وَلَا يَتَقَهَّرُ الْخُنْطَانَ أَوْ يَجْمَعُ الْمَكْسُورِينَ، وَلَا يَهْدِي الصَّحِيحَ. وَلَكِنَّهُ يَفْتَرِسُ السَّمَانَ مِنْهُمْ وَيَنْزِعُ أَطْلَاقَهَا.» ^{١٦} «قَتَلَ لِلرَّاعِي الْأَسْمَقِ الَّذِي يَهْجُرُ الْقَطِيعَ، لِيَنْتَرِ الشَّهْفُ ذِرَاعَهُ وَيَقْفَأَ عَيْنَهُ الْبَعِيضَ، فَتَبْتَسُ ذِرَاعُهُ وَتَكْتَفُ عَيْنُهُ الْبَعِيضَ عَنِ الْبَصْرِ.»

Jerusalem's Enemies to Be Destroyed an Oracle

12

This is the word of the LORD concerning Israel. The LORD, who stretches out the heavens, who lays the foundation of the earth, and who forms the spirit of man within him, declares:

¹²"I am going to make Jerusalem a cup that sends all the surrounding peoples reeling. Judah will be besieged as well as Jerusalem. ¹³On that day, when

مَصِيرُ أَعْدَاءِ أُورُشَلِيمَ

وَحَيُّ كَلِمَةُ الرَّبِّ بِشَأْنِ إِسْرَائِيلَ. يَقُولُ الرَّبُّ ^{١٢} تَبْسِطُ السَّمَاوَاتِ وَمُزِيغِي الْأَرْضِ، وَجَاعِلُ نَوْحِ الْإِنْسَانِ فِيهِ، «هِيَ أَنَا مُزِيغٌ أَنْ أَجْعَلَ أُورُشَلِيمَ كَأَنَّ خَرَّ تَنْزَعُ مِنْهَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ الْمُحِيطَةِ بِهَا، فَتَصَابِرُ يَهُوْدَا أَنفُسًا فِي أَقْيَامِ جَسَارِهَا لِأُورُشَلِيمَ.» فِي ذَلِكَ النَّوْمِ أَجْعَلُ

Zechariah 12,13

1411 / 1411

١٣، ١٢ / ١٣، ١٢

all the nations of the earth are gathered against her, I will make Jerusalem an immovable rock for all the nations. All who try to move it will injure themselves. ⁴On that day I will strike every horse with panic and its rider with madness," declares the LORD. "I will keep a watchful eye over the house of Judah, but I will blind all the horses of the nations. ⁵Then the leaders of Judah will say in their hearts, 'The people of Jerusalem are strong, because the LORD Almighty is their God.' ⁶On that day I will make the leaders of Judah like a firepot in a woodpile, like a flaming torch among sheaves. They will consume right and left all the surrounding peoples, but Jerusalem will remain intact in her place. ⁷The LORD will save the dwellings of Judah first, so that the honor of the house of David and of Jerusalem's inhabitants may not be greater than that of Judah. ⁸On that day the LORD will shield those who live in Jerusalem, so that the feeblest among them will be like David, and the house of David will be like God, like the Angel of the LORD going before them. ⁹On that day I will set out to destroy all the nations that attack Jerusalem.

Mourning for the One They Pierced

¹⁰And I will pour out on the house of David and the inhabitants of Jerusalem a spirit of grace and supplication. They will look on me, the one they have pierced, and they will mourn for him as one mourns for an only child, and grieve bitterly for him as one grieves for a firstborn son. ¹¹On that day the weeping in Jerusalem will be great, like the weeping of Hadad Rimmon in the plain of Megiddo. ¹²The land will mourn, each clan by itself, with their wives by themselves: the clan of the house of David and their wives, the clan of the house of Nathan and their wives, ¹³the clan of the house of Levi and their wives, the clan of Shimei and their wives, ¹⁴and all the rest of the clans and their wives.

Cleansing from Sin

13 "On that day a fountain will be opened to the house of David and the inhabitants of Jerusalem, to cleanse them from sin and impurity.

أورشليم كحصن صخرى لا يزلها عن محلها جميع الشعوب. وكل من يجاوب عليها يتشوق شقا، وتتألم عليها جميع شعوب الأرض. ^٤ في ذلك اليوم، يقول الرب: أصيب كل فرس من جنوس الأغنام والحمير، والفرس بالجنون، وأرض يوشافع شعبت يهودا، وأبكمي جميع خيول الأمم بالعمس. ^٥ يقول اتباد رؤساء يهودا في قلوبهم: إن سكان أورشليم أمراء ويفضل قوؤ الرب القدير إلههم. ^٦ في ذلك اليوم اجعل عشائر يهودا كمشوق ناري بين الخشب، أو كمشعل موقد بين أكفاس الحنطة، فيأخذون الشعوب من حليلهم من عن يمينهم وعن يسارهم، بينما تظل أورشليم مشحونة أمانة آمنة في موضعها. ^٧ ويخلص الرب أولاً عظام يهودا لئلا يتعظم أفعالهم بيتاً كاذباً والعمل أورشليم على سائر يهودا. ^٨ في ذلك اليوم يحفظ الرب سكان أورشليم، فيكون أضعفهم قوتاً قديراً مثل كاذب، وتتولى بيت كاذب يدايتهم في الضلعة، تماماً كما كان الله أن ملأ الرب بقدسهم. ^٩ في ذلك اليوم اجعل على إغلاك جميع الشعوب الراجيون على أورشليم.

الروح على الطمعون واليهن على ذؤنة كاذب وعلى سكان أورشليم روح التعمد والانهال، حتى إذا نظروا إلي أنا الذي طعنوه يترعون عليهم كما يترع والد على ولده الوحيد، متفجعين عليه كتفجوعهم على موت بكرهم. ^{١١} في ذلك اليوم تكون التوايح في أورشليم تزيلاً للشوايح في همدون في سهل مجدو (حيث قيل الملك نوبينا). ^{١٢} فتبضع العجب بين أهل البلاد، فتتوخ كل عشيرة على جدته، فتبكي رجال عشيرة كاذب متفجعين عن النساء والنساء عن الرجال، ورجال عشيرة ذؤنة تكلان متفجعين عن النساء والنساء عن الرجال. ^{١٣} وتكلمك يترع رجال ويساء عشيرة لآري كل على جدته، ورجال ويساء عشيرة لشيمي كل على جدته. ^{١٤} وأيضا يترع رجال ويساء سائر العشائر التي تبهت كل على جدته.

التطهير من الخطية

في ذلك اليوم يتفجر ينبوع ليعلم ذؤنة كاذب وسكان أورشليم من إلههم ويتجاسمهم.

١٣

Zechariah 13,14

1412 / 1412

زكريا ١٤، ١٣

²On that day, I will banish the names of the idols from the land, and they will be remembered no more," declares the LORD Almighty. "I will remove both the prophets and the spirit of impurity from the land. ³And if anyone still prophesies, his father and mother, to whom he was born, will say to him, 'You must die, because you have told lies in the LORD's name.' When he prophesies, his own parents will stab him. ⁴On that day every prophet will be ashamed of his prophetic vision. He will not put on a prophet's garment of hair in order to deceive. ⁵He will say, 'I am not a prophet. I am a farmer; the land has been my livelihood since my youth.' ⁶If someone asks him, 'What are these wounds on your body?' he will answer, 'The wounds I was given at the house of my friends.'

Israel's Punishment

⁷"Awake, O sword, against my shepherd, against the man who is close to me!" declares the LORD Almighty. "Strike the shepherd, and the sheep will be scattered, and I will turn my hand against the little ones. ⁸In the whole land," declares the LORD, "two-thirds will be struck down and perish; yet one-third will be left in it. ⁹This third I will bring into the fire; I will refine them like silver and test them like gold. They will call on my name and I will answer them; I will say, 'They are my people,' and they will say, 'The LORD is our God.'"

The LORD Rescues Jerusalem

14 A day of the LORD is coming when your plunder will be divided among you. ²I will gather all the nations to Jerusalem to fight against it; the city will be captured, the houses ransacked, and the women raped. Half of the city will go into exile, but the rest of the people will not be taken from the city. ³Then the LORD will go out and fight against those nations, as he fights in the day of battle. ⁴On that day his feet will stand on the Mount of Olives, east of Jerusalem, and the Mount of Olives will be split in two from east to west, forming a great valley, with half of the mountain moving north and half moving south. ⁵You will flee by my mountain valley, for it will extend to

^٢وتقول الرب القدير، في ذلك اليوم استخلص أسماء الأوثان من الأرض فلا يعود لها ذكر، والآسي الأوثان الكذبة والكرواح النجس من الأرض. ^٣وإن نبتاً أخذ فيما بعد، يقطعن أبوه وأمه اللذان أنجبناه قائلين، لابد أن تموت لأنك نطقت بكرواح باسم الرب. ^٤وفي ذلك اليوم يغزى الجزئ كل نبي كذاب يتنبأ من رؤيته، ولا يزيد مسوح أشعر ليكذب. ^٥إمّا يقول، إمّا تست نبياً. أنا رجل فلاح أخزت الأرض منذ صباي. ^٦وعندما يسأله أحد، ما هذه الجروح في بدنك؟ يجيبه، هي التي جرحت بها في بيت أجدائي.

تأديب بني إسرائيل
^٧وتقول الرب القدير، استيقظ أيها السيف وهاجم راعي ورجل رقتي. أضرب الراعي فتتبدد الجراف. وتكفي أردى يدي عن الضفار (أي القيلة الموثية). ^٨يقول الرب فهتس لنا شعب أرضي وتبقى لهم حياً فقط. ^٩فاجمع هذا الثلث في النار لأنهم تتبينة القضة. وانحصه كما نحصن اللهب. هو يدعو باسمي وأنا استجيبه. أنا أقول، هو شعبي. وهو يقول، الرب هو إلهي.

الرب ينجذ أورشليم
أنظروا ها هو يوم مقبل للرب. ينسم فيه ما سلبت منكم في وسطكم. **١٤** لأنني أجمع جميع الأمم على أورشليم ليحاربها، فتؤخذ المدينة وتذهب الثبوت وتقتضب النساء وتشتى نصف أهلها إلى العنق. إمّا لا تقترض تقيّة الشعب من المدينة.
^٢ولا تلبث أن يهت أئرب ليحارب تلك الأمم. كما كان يحارب في يوم القتال. ^٣وتقف قدماء في ذلك اليوم على جبل الزيتون الممتد أمام أورشليم بأجبال الشرق، فينشق جبل الزيتون إلى شطرين من الشرق إلى الغرب عن وادٍ عظيم جداً، فيتراجع نصف الجبل إلى الشمال والنصف الآخر نحو الجنوب. ^٤وتهربون من جلال وادي جبالي

Zechariah 14

1413 / 1413

وغيرها 14

Azel. You will flee as you fled from the earthquake in the days of Uzziah king of Judah. Then the LORD my God will come, and all the holy ones with him.

⁶On that day there will be no light, no cold or frost.

⁷It will be a unique day, without daytime or nighttime—a day known to the LORD. When evening comes, there will be light. ⁸On that day living water will flow out from Jerusalem, half to the eastern sea and half to the western sea, in summer and in winter. ⁹The LORD will be king over the whole earth. On that day there will be one LORD, and his name the only name.

The Authority of God over the Nations

¹⁰The whole land, from Geba to Rimmon, south of Jerusalem, will become like the Arabah. But Jerusalem will be raised up and remain in its place, from the Benjamin Gate to the site of the First Gate, to the Corner Gate, and from the Tower of Hananel to the royal winepresses. ¹¹It will be inhabited; never again will it be destroyed. Jerusalem will be secure.

¹²This is the plague with which the LORD will strike all the nations that fought against Jerusalem: Their flesh will rot while they are still standing on their feet, their eyes will rot in their sockets, and their tongues will rot in their mouths. ¹³On that day men will be stricken by the LORD with great panic. Each man will seize the hand of another, and they will attack each other. ¹⁴Judah too will fight at Jerusalem. The wealth of all the surrounding nations will be collected—great quantities of gold and silver and clothing. ¹⁵A similar plague will strike the horses and mules, the camels and donkeys, and all the animals in those camps.

¹⁶Then the survivors from all the nations that have attacked Jerusalem will go up year after year to worship the King, the LORD Almighty, and to celebrate the Feast of Tabernacles. ¹⁷If any of the peoples of the earth do not go up to Jerusalem to worship the King, the LORD Almighty, they will have no rain. ¹⁸If the Egyptian people do not go up and take part, they will have no rain. The LORD will bring on them the plague he inflicts on the nations that do not go up to celebrate the

المنشد إلى أصل. فهربون كما هربتم من الزلزلة في أيام حكم عزريا ملك يهوذا، وتأتي الرب إلهي في مؤسس من جميع القديسين.

إلهي ذلك اليوم يتعاضد نود (الكواكب) ولا يكون برد ولا ضيق. ⁷لأنه يوم متواصل معروف عند الرب، لا نهار فيه ولا ليل، إذ يمسر النهار ساعات المساء. ⁸في ذلك اليوم تجري مياه حية من أورشليم، نصفها في النهر الشرقي (النهر الممتد)، ونصفها الآخر في النهر الغربي (النهر الأيمن المتوسط) طوال الصيف والخريف. ⁹وتتلك الرب على الأرض كلها، فيكون في ذلك اليوم رب واحد لا يذكر سوى اسمه.

سيادة الرب على العالم

¹⁰وتتحوّل الأرض كلها من جنح شحالا إلى زئور، إلى سهل كسهل عربة. أما أورشليم فلا تفرج شايعة في موقعها المنشد من بوابة بنيامين حتى البوابة الأولى وإلى بوابة الأوثان، ومن برج ختليل إلى معاشر خمر الملك. ¹¹وتضح أمة إذ لن يحل بها خطر كتيبة، وتكون أورشليم آمنة. ¹²وهذا هو الأتلاء الذي يعاقب به الرب جميع الشعوب الذين اجتمعوا على أورشليم، تتعاضد لحمهم وهم يقفون على أرجلهم، وتتاكل عيونهم في أوتابها، وتلفف ألسنتهم في ألويهم. ¹³في ذلك اليوم تأتي الرب الرعب في قلوبهم حتى تفرقع يد الرجل ضد يد رفيقه في أن واجبه ويهلكوا معا. ¹⁴ويجرب أبناء يهوذا أيضا دفاعا عن أورشليم، وتتقاتلون كزوات من الأمم المهيطة بها من دهم وفسف ووالزوا، وبولمة عظيمة. ¹⁵وتصيب بلاء الخيل والبغال والحمير والجمال والحمير وتسير الهيمر المتوجهة داخل هذه المعسكرات.

¹⁶الضعد الكاهن من الأمم التي تآلت على أورشليم سنة بعد سنة يمشون إلى الرب القدير ويحترقوا بدم المظلم. ¹⁷وإن تعاضدت أمة عشيرة من عشيرة اسم الأرض عن الشعوب إلى أورشليم لينسجد للرب القدير، تمنح المطر عن السحاب على يديهم. ¹⁸وإن أي أهل مصر الشعوب لإسرائيل في الأضداد، يحل بهم الأتلاء الذي

Zechariah 14

1414 / ١٤١٤

زكريا ١٤

Feast of Tabernacles. ¹⁹This will be the punishment of Egypt and the punishment of all the nations that do not go up to celebrate the Feast of Tabernacles.

²⁰On that day HOLY TO THE LORD will be inscribed on the bells of the horses, and the cooking pots in the LORD's house will be like the sacred bowls in front of the altar. ²¹Every pot in Jerusalem and Judah will be holy to the LORD Almighty, and all who come to sacrifice will take some of the pots and cook in them. And on that day there will no longer be a Canaanite in the house of the LORD Almighty.

يُعاقِبُ بِهِ الرَّبُّ الْأُمَمَ الَّتِي لَا تَجِيءُ لِإِحْتِفَالِ يَوْمِ الْمَظَلِّ.
«هَذَا هُوَ عِقَابُ مِصْرَ وَعِقَابُ سَائِرِ الشُّعُوبِ الَّتِي تَأْتِي
الْمَجِيءُ لِإِحْتِفَالِ يَوْمِ الْمَظَلِّ.»

«وَيُكْتَبُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى أَجْرَسِ الْخَيْلِ: «قُدْسٌ
لِلرَّبِّ». وَتَكُونُ الْقِدُورُ فِي الْهَيْكَلِ مَقْلُوسَةً كَالْمَنَاضِحِ
الَّتِي أَمَامَ الْمَذْبُوحِ. «بَلْ تَكُونُ كُلُّ إِنْدِرٍ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي
يَهُودَا مَقْلُوسَةً لِلرَّبِّ الْقَدِيمِ. فَيَضْحِكُ فِي وَسْعِ الْمُقْرَبِينَ أَنْ
يَأْتُوا وَيَسْتَحْدِثُوا مَا يَسْأَلُونَ مِنْهَا. لِيَطْبَخُوا فِيهَا لَحْمَ
الدَّبْحَةِ. وَلَا يَبْقَى فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ الْقَدِيمِ حِجَارٌ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ.»

-١٤-

وواضح من هذا العرض المسهب الذي لم يذكر شيئاً ذا بال عن عبد الله
ونبيه زكريا ﷺ أنه مختلف عن عرض القرآن الكريم لذكر هذا النبي الصالح.
وبالإضافة إلى ما رافق ذلك من إغراق في الخرافات الموضوعية، فإن ينفي تماماً
الادعاء الباطل بأن قصص القرآن الكريم منقول عن «العهد القديم».

73 - ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا

وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنبياء: 89].

تشير الآثار إلى أن عبد الله ونبیه زكريا (Zechariah) = (Zacharias) كان قد بُعث في الفترة التي سبقت ميلاد السيد المسيح مباشرة، وكلاهما ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود ﷺ. وكانت بعثة زكريا ﷺ في زمن كان الدين قد ضاع، وكثرت المعاصي في بني إسرائيل، واستحلّت المحرّمات، وفشت المنكرات، وسادت المظالم، وفسدت المجتمعات فساداً كبيراً، فبعث الله - تعالى - عبده زكريّا نبياً إلى قومه يرُدّهم إلى الدين الصحيح، ويدعوهم إلى عبادة الله ﷻ وحده، وإلى الالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه.

وكان زكريّا ﷺ نجاراً كما أخرج كلّ من الإمامين أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. ولما بلغ زكريّا سنّ الزواج تزوّج من شقيقة زوجة عمران، الذي كان من علماء زمانه. وعندما بُعث زكريّا بدأ في دعوة قومه إلى دين الله (الإسلام)، فلم يستجب له من قومه إلا القليل، وظلّ كذلك حتى بلغ من الكبر عتياً.

وكان كلّ من النّبّي زكريّا ﷺ وعديله العالم الجليل عمران قد حرم الولد، فتمنّى كلّ منهما (كما تمنّت زوجتهما) على الله - تعالى - أن يرزق كل زوجين منهما الذرية الصالحة، وألحوا على الله الوهاب بذلك حتى استجاب لدعائهم.

وكان أكثر الأختين (زوجتا كلّ من زكريّا وعمران) إلحاحاً على الله بالدعاء بالذرية هي زوجة عمران فحملت أولاً، ونذرت ما في بطنها محرراً لله - تعالى - (أي: تهبه خادماً للمسجد الأقصى، يعمره ويقوم على إصلاحه ويتفرّغ للعبادة فيه). ولكن لما جاءت ساعة الوضع فوجئت زوجة عمران بأنّ المولود أنثى، وعلى الرّغم من إقرارها بأنّ الأنثى ليست كالذكر، إلا أنّها قرّرت أن تفي بنذرها لله،

ودعت الله - تعالى - أن يحفظ هذه الفتاة التي سمّتها «مريم»، ويحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم. واستجاب الله ﷻ لدعائها فتقبل منها تلك المولودة بقبول حسن. وشاءت إرادته - تعالى - أن يطهر هذه المولودة المباركة، وأن يصطفيها على نساء العالمين، وأن يجعل منها أمًا لنبيّ يجيء ميلاده بمعجزة لا تقل عن معجزة خلق آدم من تراب (بلا أب ولا أم) فيجيء ميلاد عيسى ابن مريم ﷺ دون أن يمسسها بشر (من أم بلا أب) وهي البتول، الطاهرة، العابدة، العفيفة.

وكان العالم الربّاني «عمران» قد توفاه الله - تعالى - قبل ولادة ابنته «مريم»، واختلف شيوخ القوم وعلماءه على من يكفل مريم، واقتروا على ذلك مراراً حتى فاز بهذا الشرف زوج خالتها عبد الله ونبية زكريا ﷺ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأْتُ عَمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَآمَرَأْتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِيِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا اقْنَتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَنْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

وخشي زكريا عليه السلام على قومه من ضياع الدين، وخراب الدم، وتحلل المجتمع من جميع القيم، ولم يكن له ولد يخلفه فيهم، فدعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً يحسن القيام على وراثته خط النبوة، وبالمحافظة عليه، والمتابعة لدعوة أبيه من بعده، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿كَهَيْعَصَ ۙ ١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكَرِيَّا ۙ ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۙ ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۙ ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۙ ٥﴾ يَرْزُقْنِي وَرِثُيَ مِنْ آلٍ يَتَّقُونَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۙ ٦﴾ [مريم: 1 - 6].

فاستجاب الله - تعالى - دعاء عبده زكريا، وبشّره بغلام اسمه (يحيى) لم يتسم باسمه أحد من قبل، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿يٰٓزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۙ ٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۙ ٨﴾ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذِهِۦ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۙ ٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيٰتُكَ أَلَّا نُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْسَالٍ سَوِيًّا ۙ ١٠﴾ فَفَرَجْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۙ ١١﴾ [مريم: 7 - 11].

ويقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿وَرَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۙ ٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ۙ ٩٠﴾ [الأنبياء: 89، 90].

ويمتدح ربنا - تبارك وتعالى - سلسلة الأنبياء التي جاء منها كل من عبده زكريا وولده يحيى عليهما السلام فيقول:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِذْهَبْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِۦ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۙ ٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۙ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۙ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَأَجْنِبَتَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَوَالًا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لِّيَسُؤُوا بِهَا كُفْرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[الأنعام: 83 - 90].

وقد أمر الله - تعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن ينقل للمسلمين من حوله، ولجميع المؤمنين برسالته من بعده قصة عبد الله ونبيه زكريا، وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر، وكانت امرأته عاقراً، وذلك حتى لا ييأس أحد من رحمة الله وفضله. والآية بها وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي، كما أن فيها إعجازاً عقائدياً مفاده أن الله - تعالى - على كل شيء قدير وهذه الأوجه الإعجازية لم يرد عنها شيء في أي من «العهدين القديم أو الجديد»، مما يؤكد لكل ذي بصيرة أن القرآن الكريم هو كلام الله، في صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، وأن الرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض. كما يؤكد ذلك كذب الفرية التي تدعي نقل القصص القرآني عن العهدين القديم والجديد.

رابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم لقصة عبد الله ونبيه الشهيد ابن الشهيد يحيى بن زكريا عليهما السلام

أولاً: ذكر عبد الله ونبيه يحيى بن زكريا في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ونبيه يحيى بن زكريا في القرآن الكريم خمس مرات في أربع مواضع من هذا الكتاب العزيز على النحو التالي:

1 - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدَقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْرَةِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: 38 - 41].

2 - ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83 - 86].

3 - ﴿كَهَيِّضَ ﴿١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ سَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا

﴿ ٥ ﴾ يَرْثِي وَيَرِيثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿ ٦ ﴾ يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ
 اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿ ٧ ﴾ قَالَ رَبِّ أِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي
 آمُرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿ ٨ ﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
 وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿ ٩ ﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
 تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿ ١٠ ﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ
 سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿ ١١ ﴾ يَبْعَثِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَاتُنَا لَكُمْ صَيِّبًا ﴿ ١٢ ﴾ وَحَنَانًا مِّنْ
 لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿ ١٣ ﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿ ١٤ ﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ
 وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿ ١٥ ﴾ [مریم: 1 - 15].

4 - ﴿ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ﴿ ٨٩ ﴾
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَمْ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي
 الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: 89، 90].

والنبي يحيى هو ابن عبد الله ونيته زكريا ﷺ ، وكلاهما استشهد في سبيل
 الله، ودفاعاً عن شرعه الحنيف. ويحيى هو كذلك ابن خالة عبد الله ورسوله عيسى
 ابن مريم - عليهما من الله السلام - وكان قد وُلد بمعجزة، بعد أن كان أبواه قد
 بلغا من الكبر عتياً.

ولقد مات يحيى ﷺ مقتولاً، قتله فساق اليهود، وهو النبي الصالح، الزاهد
 في الدنيا، العابد الناسك، النائح الباكي على فساد بني إسرائيل. وكان الله
 - تعالى - قد بعثه لهدايتهم، فرفضوه وأتهموه بأنَّ به مساً من الشياطين، حتى قتلوه
 ظلماً وعدواناً لرفضه حكماً أرادوه يخالف شرع الله، وأرادوا فتواه فيه بما يرضي
 أهواءهم، فلم يوافقهم على طلبهم فقطعوا رأسه.

ثانياً: يحيى بن زكريا في أحاديث رسول الله ﷺ:

امتدح رسول الله ﷺ عبد الله ونيته يحيى بن زكريا ﷺ بقوله الشريف:
 «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِي

إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ؛ وَكَادَ أَنْ يَبْطِئَ فَقَالَ لَهُ عِيسَى ﷺ: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِنَّمَا أَنْ تَبْلُغَهُنَّ وَإِنَّمَا أَنْ أُبْلِغَهُنَّ!! فَقَالَ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ أَوْ يَخْسِفَ بِي؛ قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَمَرَكُمُ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ﷻ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ مَنْ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بَوْرُقٍ أَوْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلْتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسِرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَهُ كَذَلِكَ؟ وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً؛ وَأَمَرَكُمُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْصِبُ وَجْهَهُ قَبْلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا؛ وَأَمَرَكُمُ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ مَعَ صِرَّةٍ مِنْ مَسْكَ فِي عَصَابَةِ كُلِّهِمْ يَجِدُ رِيحَ الْمَسْكِ، وَإِنْ خَوَّافٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ؛ وَأَمَرَكُمُ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ؛ وَأَمَرَكُمُ بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ كَثِيراً فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ طَلَبُوهُ وَسَارَعُوا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حَصَنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ. وَأَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِلًا: «وَأَنَا أَمَرَكُمُ بِخَمْسِ اللَّهِ ﷻ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ حِثِّ جَهَنَّمَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷻ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، ادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ، بِمَا سَمَاهُمُ اللَّهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ ﷻ» (1).

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال، حديث رقم (2863)، والإمام أحمد حديث رقم (17833).

ثالثاً: تحليل وصف القرآن الكريم لعبد الله ونبيه يحيى بن زكريا:

جاء ذكر النبي الصالح يحيى بن زكريا عليه السلام في خمس من آيات القرآن الكريم يمكن تصنيفها على النحو التالي:

(أ) منها ما جاء يبشر بميلاده [آل عمران: 38، 39؛ مريم: 7؛ الأنبياء:

89، 90].

(ب) ومنها ما وضعه ضمن كوكبة الأنبياء [الأنعام: 83 - 90].

(ج) ومنها ما يؤكّد منزلة عبد الله ونبيه يحيى الذي فقّه الله في الدين، وعلمه التأويل، وفهمه أحكام رب العالمين وهو في طور الصبا، وأمره بأن يعمل بما جاء في «التوراة» بجد وعزم، وطبّعه على سمو النفس، وعلى تقوى الله - تعالى - في السرّ والعلن، وعلى تزكية النفس، وعلى الرفق والحنان بالمخلوقين، والعطف عليهم، كما جعله كثير البرّ بوالديه، والإحسان إليهما، ولم يجعله مُتَجَبِّراً على الخلق ولا عاصياً للخالق في شيء، ولذلك جعل الله - تعالى - له سلاماً وأمناً وحفظاً من الأذى لحظة ولادته، ويوم وفاته، ويوم بعثه حيّاً [مريم: 13 - 15].

ويقول المصطفى صلى الله عليه وآله عن العبد الصالح، والفتى العابد يحيى بن زكريا عليه السلام ما يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بالنص التالي: «ما من أحد يلقى الله صلى الله عليه وآله إلا قد همّ بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهّم ولم يعمل»⁽¹⁾.

وقال صلى الله عليه وآله: «من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كل ابن آدم يلقى الله بذنوب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيّداً

(1) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (4/207).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/327، رقم 10474) وإسناده ضعيف.

وحضوراً ونبیاً من الصالحین، ثم أوماً النَّبِيِّ ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: وكان ذكره مثل هذه القذاة»⁽¹⁾.

وتعددت الروايات عن استشهاد يحيى بن زكريا، ولكن الثابت أنه قُتِلَ دفاعاً عن شرع الله وما يدعو إليه من التزام بمكارم الأخلاق.

وعن رسول الله ﷺ أنه خرج على أصحابه يوماً فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء: قال قائل: موسى كليم الله، وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته، وقال قائل: إبراهيم خليل الله، ومضى الصحابة يتحدثون عن الأنبياء، فتدخل الرسول - عليه الصلاة والسلام - حين رآهم لا يذكرون يحيى قائلاً: «أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر، ويأكل الشجر مخافة الذنب، أين يحيى بن زكريا»⁽²⁾.

رابعاً: يحيى بن زكريا في العهد الجديد:

جاءت سيرة عبد الله ونبیہ يحيى بن زكريا في عدد من كتب «العهد الجديد» من أمثال أناجيل كل من «متى»، و«مرقص»، و«يوحنا». ويقال أن إشارات إليه قد جاءت في سفر «إشعيا» دون ذكر اسمه.

وفي إنجيل متى «1/14 - 12» جاء أن «هيرودس أنتيباس» (Herod Antipas) (4 B.C-39 CE). كان أحد أربعة حكام رومان على أرض فلسطين في ذلك الوقت، وكان قد أراد الزواج بابنة أخيه، وكانت بارعة الجمال. وكانت البنت وأمها تريدان إتمام ذلك الزواج، طمعاً في السلطة، واستفتيا عبد الله ونبیہ يحيى بن زكريا (يحيى المعمدان John the Baptist) فلم يقرهما على ذلك الزواج لحرمة في الشريعة اليهودية، فحبسه هيرودس، وأراد قتله، ولكنه خشي من غضب الناس، فبقي النبي الصابر يحيى بن زكريا بالسجن لفترة من الزمن. وفي يوم عيد ميلاد هيرودس، رقصت ابنة أخيه، وأدخلت السرور على قلبه حتى أقسم أن يجيبها إلى جميع

(1) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم (1123).

(2) أخرجه ابن عساکر (190/64).

طلبتها. وعلى الفور طلبت البنت أن يقدم لها هيرودس رأس يوحنا المعمدان في طبق كما لقتها أمها بذلك، فأجابها عمها إلى طلبها، وأمر بقطع رأس عبد الله ونبية يحيى بن زكريا وهو في السجن، ثم إحضار رأسه وتقديمه لابنة أخيه في طبق كما طلبت. وقامت الابنة بدورها بتقديم رأس النبي الشهيد يحيى بن زكريا إلى أمها. وجاء تلامذة يحيى وأخذوا جسده من السجن لدفنه، وأخبروا ابن خالته المسيح عيسى ابن مريم بذلك فحزن عليه حزناً شديداً. واليهود - في انحرافهم عن منهج الله - أباحت طائفة منهم تعرف باسم «الربانيين» (The Rabbinitis) الزواج بكل من بنت الأخ وبنت الأخت، في الوقت الذي أبقى «القراءون» على تحريم ذلك السلوك الشائن.

خامساً: من الدروس المستفادة من الإشارات القرآنية الكريمة إلى بعض الأحداث في سيرة عبد الله ونبية يحيى بن زكريا ﷺ :

- 1 - إن الله - تعالى - لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هنا كان التَّقَرُّب إلى الله بالدَّعاء هو مفتاح كل خير.
- 2 - إن الاستقامة على أوامر الله هي طوق النجاة للعبد في الدنيا والآخرة.
- 3 - إن الهدف من عبادة الله ﷻ هو تربية النفس الإنسانية وإشعارها بمراقبة الله، وتأكيد كل من حقيقة عبودية العبد لله الخالق البارئ المصور، وحقيقة ألوهية الله وربوبيته ووحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه في قلب وعقل الإنسان العابد. وهذا من أعظم وسائل التربية للإنسان، ومن أيسر العوامل الفاعلة في ضبط سلوكه وسط معركة صراعه مع الشيطان، ووسط التضارب بين أهل الحق وأهل الباطل على طول الزمان.
- 4 - إن تقوى الله وحسن الخلق والعمل الدؤوب على تزكية النفس، وحب الخلق، والعطف عليهم هي من أعظم القربات إلى الله - تعالى - ومن مفاتيح القلوب عند المخلوقين.

- 5 - إنَّ الثبات على الحقِّ والتمسك به والاستعداد للتَّضحية من أجله هو من منازل الشهادة في سبيل الله. فقد أُهدِر دم عبد الله ونبیه یحیی بن زکریا ﷺ بسبب كلمة حقَّ قالها في بلاط حاكم فاجر، فاسق ظالم، يقال أنَّ اسمه كان «هيروود» أو «هيروودوس» (Herod Antipas). وقد بقي ذلك الموقف النبيل من عبد الله ونبیه یحیی بن زکریا مثلاً يحتذى لأهل العلم والدين والالتزام على مرَّ الزمان.
- 6 - إنَّ إنجاب طفل من أبوين طاعنين في السنّ، يائسين من إمكانيّة النسل، يفتح الباب واسعاً أمام إمكانيّة علاج أمثال تلك الحالات. مع تسليمنا بأن العمليّة في حالة یحیی بن زکریا قد تمّت بمعجزة خاصة، والمعجزات خوارق للسنن، ولا يقوى على إجرائها إلَّا ربُّ العالمين.
- 7 - إنَّ تدوين القرآن الكريم لسيرة هذا العبد الصالح والنبي الصالح يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي في كتاب الله، خاصة وأن هذا التدوين القرآني يختلف عما جاء في «العهد الجديد» عن هذا النبي الصالح یحیی المعمدان والذي لخص «إنجيل متى» قصة قتله فيما يلي:

John the Baptist

14 At that time Herod the tetrarch heard the reports about Jesus, and he said to his attendants, "This is John the Baptist; he has risen from the dead! That is why miraculous powers are at work in him."

²Now Herod had arrested John and bound him and put him in prison because of Herodias, his brother Philip's wife, for John had been saying to him: "It is not lawful for you to have her." Herod wanted to kill John, but he was afraid of the people, because they considered him a prophet. ³On Herod's birthday the daughter of Herodias danced for them and pleased Herod so much that he promised with an oath to give her whatever she asked. Prompted by her mother, she said, "Give me here on a platter the head of John the Baptist."

مقتل يوحنا المعمدان

١٤ في ذلك الوقت سمع هيروودس حاكم اللاتين بالمشهور
تسوع. فقال لخدمته: «هذا هو يوحنا المعمدان،
وقد قام من بين الأموات. وتلك العجزة على تدبير
المسيحيات».

كأن يوحنا المعمدان كان قد ألقى القبض على يوحنا وتخلته بالقيود،
وأودعه السجن من أجل هيرووديا زوجة فيليب أخيه. لأن
يوحنا كان يقول له: «لمن حلالاً لك أن تتزوج بها». ولما
كان يوحنا يهدد أن يثقل يوحنا، خاف من الشعب. لأنهم
كانوا يعتبرون يوحنا نبياً. وفي أثناء الإضطراب بالقرى ميلاد
هيروودس، رقصت ابنة هيرووديا في التمام فسرحت يوحنا.
لأنهم لما واعدوا بأن يعطونها أي شيء تطلبن. فخذت
أشيئاً رقصتها، وقالت: «اعطيني هنا على طبق رأس يوحنا

خامس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

بعد موت موسى عليه السلام انحرف بنو إسرائيل عن دعوته (الإسلام)، وابتدعوا في الدين، وتقوّلوا على رب العالمين، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. ومن أجل هدايتهم أرسل الله - تعالى - إليهم سلسلة من أنبيائه فقاتلوهم وقتلوهم. وكان آخر المبعوئين إليهم خاصة هو المسيح عيسى ابن مريم - عليه وعلى أمه من الله السلام - فلم يستجيبوا لدعوته، وناصبوه وأصحابه العداة .

بعثَ عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم بالإسلام العظيم، القائم على التوحيد الخالص لله الخالق، وعلى عبادته - تعالى - بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وكان المسيح عليه السلام قد بعث إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، فجاءهم مؤيداً بالإنجيل وبعده من المعجزات الحسية الدالة على صدق نبوته فرفضته غالبيتهم، وتآمروا على قتله، وأسأؤوا إليه وإلى والدته، وأثاروا حقد المحتلين الرومان عليه. وكان من ضمن وسائل تأليب الحاكم الروماني «بيلاطس» على المسيح عليه السلام الافتراء عليه بأنه يدعو نفسه ملكاً على أرض فلسطين، ويفرض دفع الجزية لقيصر الرومان، ويؤلب الشعب الفلسطيني من أجل المطالبة بالاستقلال عن الامبراطورية الرومانية. دفعت هذه الافتراءات الحاكم الروماني «بيلاطس» إلى إصدار أمر بالقبض على المسيح لتنفيذ حكم بالإعدام كان قد أصدره بحقه. وهرباً من هذا الحكم الجائر اختفى المسيح عليه السلام وأصحابه عن أعين جند «بيلاطس»، إلا أن أحد الذين كانوا مرافقين له خانته، ودل الجند الرومان على مكانه. وعندما ذهبوا لاعتقاله ألقى الله - تعالى - شبه عيسى على الذي خانته فتم تنفيذ صلبه، ونجى الله عليه السلام عبده ورسوله عيسى برفعه إليه.

وفي غيبة المسيح ﷺ جاء أحد غلاة اليهود - وكان اسمه «شاؤول الطرسوسي» مدعياً أن السيد المسيح تراءى له في المنام معاتباً على اضطهاد أتباعه، وداعياً له باتباع دعوته، وأمرأً له بنشر تعاليمه في الأمم، فصدقه الحواريون وقبلوه بينهم وتسمى باسم «بولس»، مدعياً بأنه رسول موفد من قبل عيسى ﷺ لهداية الأمم. في الفترة من (51 - 55م) بدأ الانحراف عن دعوة المسيح ﷺ في مؤتمر عقد في القدس تحت رئاسة يعقوب بن يوسف النجار، حيث أبيحت المسكرات، وأُجِلَّ أكل لحم الخنزير والتعامل بالربا، وكل ذلك كان محرماً في التوراة. ولكن بولس كان قد أعلن نسخ أحكام التوراة، واستعار من الفلسفة اليونانية كلاً من عقيدة التثليث، وفكرة الخطيئة والكفارة، والادعاء بالألوهية للسيد المسيح. وعلى الرغم من هيمنة «بولس» إلا أن المخلصين من أتباع المسيح ﷺ استمروا في مقاومة دعواه حتى تنصر الإمبراطور قسطنطين الأول في مطلع القرن الرابع الميلادي، حين أخذت رسالة المسيح ﷺ طابعاً رومانياً صرفاً بعيداً كل البعد عن دعوته الأساسية.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ﷺ بقدر هائل من الدقة المتناهية، بعد أن كانت كل من سيرته الشريفة، ودعوته الكريمة قد شابها الكثير من التحريف والتشويه. ويعتبر ذلك بحق وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا الكتاب العزيز، يشهد له بأنه كلام الله الخالق، ويشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

أولاً: عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم:

جاء ذكر عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم خمساً وثلاثين (35) مرةً بست صيغ مختلفة على النحو التالي:

1 - المسيح (3 مرّات) [في كل من (سورة «النساء»: 172)؛ («المائدة»: 72)؛ («التوبة»: 30)].

2 - عيسى (9 مرّات) [في كل من (سورة «البقرة»: 136)؛ («آل عمران»:

52، 55، 59، 84؛ («النساء»: 163)؛ («الأنعام»: 85)؛ («الشورى»:
13)؛ («الزخرف»: 63)].

3 - ابن مريم (مرّتان) [«المؤمنون»: 50)؛ («الزخرف»: 57)].

4 - عيسى ابن مريم (13 مرّة) («البقرة»: 87، 253)؛ («المائدة»: 46، 78،
110، 112، 114، 116)؛ «مريم»: 34؛ «الأحزاب»: 7؛ «الحديد»:
27؛ و«الصف»: 6، 14).

5 - المسيح ابن مريم (5 مرّات) «المائدة»: 17 (مرّتان)، 72، 75؛ و«التوبة»:
31).

6 - المسيح عيسى ابن مريم (3 مرّات) في سورتي («آل عمران»: 45؛
و«النساء»: 157، 171).

وجاء ذكر أمّه السيدة مريم البتول في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين (34) مرّة،
منها عشر (10) مرّات منفردة بذاتها (مريم)، وأربع وعشرين (24) مرّة مرتبطة باسم
ابنها (ابن مريم).

وهذه الآيات القرآنيّة الكريمة تلخّص لنا جانباً من سيرة عبد الله ونبية عيسى
ابن مريم وسيرة أمّه في النقاط التالية:

1 - أنّه قبل ميلاد عيسى ﷺ كان المجتمع الإسرائيلي قد انحرف إلى
الشرك بالله، وإلى الإغراق في الخطيئة، وتربى على الكذب والنفاق والرياء،
وعلى الماديّة القتالة، والمظالم المتبادلة، وعلى الرضوخ لهيمنة الكهنة
والأحبار. وكان يعيش في القدس كل من عبد الله ونبية زكريّا والعالم الورع
عمران، وكانا من العلماء المجاهدين من أجل إصلاح فساد الإسرائيليين، وكانا
متزوّجين من أختين عاقرتين لم تنجبا، فألحّا على الله بالدعاء أن يرزقهما الذرية
الصالحة، فاستجاب الله - تعالى - لدعائهما.

2 - ونتيجة للإخلاص في الدعاء حملت زوجة عمران أولاً، ثم توفي عمران قبل أن يرى وليده، ونذرت زوجته ما في بطنها محرراً لله - تعالى - يخدم بيته (المسجد الأقصى)، ويقوم على سدائه طيلة حياته. ولكن حين جاء وقت وضعها فوجئت بأن ما كان في بطنها أنثى، سمّتها «مريم»، وعلى الرغم من ذلك فإنها قررت أن تفي بنذرها ودعت الله - تعالى - أن يعيدها وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً؛ ونظراً لأن مريم ولدت يتيمة الأب فقد كفلها زوج خالتها عبد الله ونبه زكرياً عليه السلام، وكان من الصالحين.

3 - كبرت «مريم» ابنة عمران في بيت خالتها وزوج خالتها النبي الصالح زكريا، واجتهدت في عبادة الله، ثم انتقلت إلى المسجد الأقصى حيث خصص لها زكريا مكاناً تقيم وتتعبّد فيه. وكان زكرياً كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، ويسألها: من أين جاءها هذا الرزق؟ فتجيبه: «مريم» بأنّه من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ أُمْرَأْتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَأَهَا نَبَأًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

[آل عمران: 33 - 37].

4 - في هذا الموقف الكريم الذي يؤكد لكل ذي بصيرة أن الله - تعالى - على كل شيء قدير، دعا زكرياً ربّه في عزلة عن الناس، وسأله أن يهبه ولياً يرث دعوته، ويستمرّ بها من بعده خاصّة وأن الذين كانوا يلونه في إدارة أمر بني إسرائيل كانوا قد فسدوا فساداً كبيراً، وأنه كان قد بلغ من الشيخوخة والضعف ما يمكن أن يحول بينه وبين تحقيق أمله، وأن زوجته كانت عاقراً لم تنجب من قبل. ولكن ثقة هذا النبي الصالح زكريا في قدرة الله جعلته يلجّ في الدعاء،

بضراعة، خاصّة وأنَّ الله - تعالى - كان قد عوّده من قبل على استجابة دعائه وذلك لإخلاصه وتجردّه طيلة حياته، فما أحوجه إلى استجابة الدّعاء في شيخوخته، وضعف قوّته، ووحدته.

استجاب الله - القادر - لدعاء عبده ونيّه زكريّا، ووعدّه بـغلام «اسمه يحيى»، وكان اسماً غير مسبوق. ومع ثقته في طلاقة القدرة الإلهية بلا أدنى حدود إلا أنَّ النبيّ الصالح زكريّا فاق إلى واقعه في شيخوخته وهرمه، وفي كون امرأته عاقراً لم تلد له من قبل، فطلب من الله - تعالى - أن يعطيه آية على تحقيق بشرائه. أخبر الله ﷻ عبده زكريّا أن آيته أن ينقطع عن دنيا الناس، ويحيا مع الله ﷻ ثلاث ليال ينطلق فيها لسانه بالذكر والتسبيح والحمد والتمجيد لله - تعالى -، وأن يحتبس عن الكلام إذا حاول مخاطبة أحد من الناس، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨﴾

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَىٰ تَكْوِيْمُ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَآذُنًا زَبَقًا كَثِيرًا وَسَمِيعًا بِالْعَيْشِيِّ وَالْإِبْرَكِيِّ ۝٤١﴾

[آل عمران: 38 - 41].

5 - أمّا عن مريم العذراء البتول التي وهبتها أمّها لخدمة وسدانة المسجد الأقصى، والتي تنحدر من بيت اشتهر بالعلم والصلاح، وبالطهر والعفاف، فقد اجتهدت في عبادة الله حتى نادتها الملائكة باصطفاء الله - تعالى - لها على نساء العالمين، وبتطهيره إيّاها. ثم فوجئت مريم في إحدى خلواتها التبعديّة برجل يقطع عليها خلوتها مع ربّها، فتتنفض مستنجدة بتقواه لله، ومستثيرة لمشاعر الرحمة في قلبه، ولكنه سرعان ما أخبرها هذا الزائر المفاجئ بأنّه رسول من ربّ العالمين ليهب لها غلاماً زكياً (أي: طاهراً غير مدنّس المولد ولا مدنّس السيرة). فتعجّبت مريم كيف يكون ذلك وهي عذراء لم يمسه بشراً؟ ولم تكن بغياً؟! فأجابها الزائر المفاجيء بأنّ ذلك أمر من الله - تعالى - الذي يقول للشيء كُن فيكون، وهو أمر

هيّن على الله القادر على كل شيء، والذي أراد أن يجعل من هذا الوليد آية للناس، ورحمة للأمم، التي سوف يبعث فيها. وأخبرها الملاك بأن الله يبشرها بكلمة منه (اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين). وبالفعل تمّ حمل مريم العذراء البتول، ووضعت غلاماً زكياً، ولم تدر ماذا تقول لأهلها، ولشياطين اليهود المتربّصين بها، فتمنّت لو أنّ الموت قد طالها قبل هذا الابتلاء الشديد، والموقف الصعب الذي لم تكن تعرف كيف تواجهه. وفي غمرة هذه الحيرة فوجئت بالوليد لتوه يناديها من تحتها، مطمئناً لها، ومرشداً إياها إلى ما يناسبها في حالتها من طعام وشراب، ودالاً لها على الحجّة التي تثبت براءتها وطهرها، وترد بها على أهلها وعشيرتها وعلى الأعداء من قومها.

6 - عادت مريم البتول إلى قومها تحمل وليدها، وتعرّضت منهم لهجوم لاذع شديد، على ما تصوّروه هم من جريمة أخلاقيّة وسلوكيّة فظيعة مستنكرة، من فتاة عابدة زاهدة، وسليبة بيت من بيوت النبوة، اشتهر بالعلم والحكمة والصلاح. وللدرد عليهم أشارت إلى رضيعها كما أعلمها، فتعجّبوا من ذلك. ولكن هذا الرضيع فاجأهم وهو يتكلّم في المهد كلاماً عجباً يصفه القرآن الكريم بالنصّ التالي الموجه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ قائلاً له: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْهُ مِنْ دُونِهِمْ جِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ بَلِّغْتِي مِثْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٤﴾ فَادَّابَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْرَبِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحَارَكِ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَرَبَى إِلَيْكَ يُجْزِعُ النَّخْلَةَ لِيَأْخُذَ بِعِصْمِكَ لَسُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٦﴾ فَكَلِمَةَ أَشْرَى وَقَفَى عَيْنًا فَاِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٧﴾ فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٨﴾ يَتَأَخَذَتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ

بِعِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

[مريم: 16 - 33].

وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ لِرَبِّكَ وَأَصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِمُ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

[آل عمران: 42 - 48].

7 - لم يكد هذا الطفل الرضيع أن ينتهي من كلامه وهو في المهد حتى كانت وجوه المتهمين لمريم الطاهرة البتول ممتعة شاحبة مذهولة. وكان في مقدمة هؤلاء المتهمين كهنة اليهود وأخبارهم، الذين كانوا قد حرفوا دينهم، وابتدعوا فيه ما لم ينزل به الله سلطاناً، وتظاهروا بالتدين والورع وهم أفسق الناس، وأخبثهم طوية. فجاء هذا الرضيع الذي وُلد بغير أب، والذي كلّمهم وهو في المهد، يشهد لله الخالق ﷻ بالألوهية، ويشهد لنفسه بالعبودية لهذا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد. وأخبرهم هذا الرضيع وهو في المهد بأن الله - تعالى - قد آناه الكتاب وجعله نبياً، وجعله مباركاً أينما كان، وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حياً، كما أوصاه ببر أمه، وبالتواضع مع عشيرته، وبالرحمة مع خلق الله جميعاً، وأكد له أن له حياة محدودة، ثم له من بعدها الموت ثم البعث، والحساب والجزاء، وقد قدر الله - تعالى - له السلام والأمان والطمأنينة يوم وُلد، ويوم يموت، ويوم يُبعث حياً.

8 - ولم يكذب هذا الرضيع المعجزة ينهي حديثه حتى اسودت وجوه كهنة وأحبار اليهود، لكشف زيفهم، وكذبهم على الله. وكان في ذلك المبرر الكافي لانهاية سلطتهم، وسقوط دعواهم العقديّة الفاسدة. وقد أسقطتها دعوة عبد الله ونيّه عيسى ابن مريم الذي دعا إلى عبادة الله - تعالى - وحده. ولمقاومة هذا التهديد المباشر، كذب كهنة وأحبار اليهود معجزة ميلاد عيسى وكلامه في المهد، واتهموا مريم العذراء بالتول بالزنا، وهي سيّدة نساء أهل الأرض في زمانها، والتي اصطفاه الله وطهرها واصطفاه على نساء العالمين. وقد وقع هذا الإنكار من أحبار اليهود رغم أنّهم قد استمعوا بأذانهم إلى تبرئة عيسى ابن مريم لأمه وهو في المهد، كما استمعوا إلى تأكيد عبوديته لله - تعالى - ونبوّته، وحمله رسالة الله الواحد الأحد إلى قومه، وهي رسالة ممتدّة من جميع رسالات السماء السابقة إلى التوراة من جهة، ثم إلى القرآن الكريم من جهة أخرى، ومبشرة بمقدم الرّسول الخاتم: محمّد بن عبد الله ﷺ، فاتهموه بالسحر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

9 - كبر عيسى وبلغ مبلغ الشباب، وشاهد مقتل النبيّين الكريمين يحيى ثم أبوه زكريّا ﷺ بدون ذنب جناه أي منهما. شاهدهما يقتلان ظلماً وعدواناً بيد السلطة الرومانيّة الحاكمة وسط الخراف الضالّة من بني إسرائيل وبيعاز منهم. وكان هؤلاء الضالون من ذرية يعقوب قد فتنوا بالدنيا ومادياتها فتنة كبيرة، فعبدوا المال، واشتهوا الجاه والسلطان والسطوة على خلق الله. وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً. فقد امتلأت قلوبهم بالقسوة والغلظة على كل من كان سواهم، كما طفحت نفوسهم بالجشع والطمع، والأنايّة القاتلة والتعصّب العرقي الكاذب، وبالنفاق والرياء، والكذب على الخلق، وبالكرهية الشديدة لكل ما هو غير يهودي. كما امتلأت عقولهم بالخرافات والأساطير، وبالأكاذيب الموضوعية، التي خدعوا بها أنفسهم، وكان منها أنهم شعب الله المختار وأبناءؤه وأحباؤه، وأن غيرهم من البشر هم حيوانات خلقت في هيئة آدميين حتى يكونوا لائقين بالقيام على خدمة اليهود.

وكان من أكاذيبهم إنكار الروح، وإنكار البعث والحساب والجزاء. وهي من الحقائق التي جاءت بها كل رسالات السماء. وجاءت دعوة عيسى ابن مريم، وجاء الإنجيل الذي أنزل إليه نقضاً لابتداعات اليهود التي أدخلوها على رسالة نبيهم موسى ﷺ في ظل ضياع التوراة. وكان في ابتداع حاخاماتهم، وتقولهم كذباً على الله - تعالى - ما شوّه معتقداتهم تشويهاً كبيراً. وحاول عبد الله ورسوله عيسى ﷺ ردهم إلى الدين الصحيح فاتهموه بالسحر والدجل، وبخرق شريعة موسى، وحرصوا عليه الطعنة المحتلة من الرومان بدعوى أنه يدبر مؤامرة ضدّهم، فتركوا اليهود يحاولون قتله وصلبه ولكن الله - تعالى - رفعه إليه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَا نَقَّضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بَيَّاتٍ اللَّهُ وَقَلِيلٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِعَمْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥﴾ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءٌ الْأَطْلُقُ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩﴾

[النساء: 155 - 159].

ثانياً: الاختلافات على طبيعة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ :

بعد رفعه إلى الله - تعالى - اختلف أتباع المسيح على طبيعته، نتيجة لدس اليهود، وظلّت اختلافاتهم كامنة في زمن الاضطهاد الروماني والذي انتهى بتنصر الإمبراطور الوثني قسطنطين الأول (Constantine I) (280 - 337م) ابن قسطنطوس كلورس الأول (Constance) من خليلته هيلانة. وبعد تنصره فوجئ قسطنطين الأول باختلافات الشديدة بين مختلف الكنائس فدعا إلى أول مؤتمر للمسيحيين عقد في مدينة نيقية سنة 325م، واجتمع له أكثر من ألفين من البطارقة والأساقفة. وكان هؤلاء على مذاهب متفرقة، فكان منهم من نادى ببشرية المسيح، وباستنكار فكرة التثليث، وبالدعوة إلى توحيد الله - تعالى - . وكان من أبرز هؤلاء الموحدين القس (أريوس = Arius) الذي تبعته كنيسة أسيوط ورئيسها (ميليتوس)، وأيده في ذلك

العديد من الحضور مثل (أوسابيوس) بطريرك القسطنطينية والعديد من أساقفتها، وبطارقة وأساقفة كل من أنطاكية، وبابل، ومقدونية، وفلسطين، ووافق على ذلك أكثر من ثلث عدد الحضور. وحازت الآريوسية على أعلى نسبة حازتها نحلة من النحل التي عرضت على المؤتمرين في مؤتمر نيقية. وقد انحاز الإمبراطور الروماني قسطنطيوس الثاني (317 - 361م) إلى الآريوسية، وأرسل منهم وفداً إلى جنوبي الجزيرة العربية حيث أنشأوا كنائس موحدة في كل من عدن وأرض حُمير سنة 356م.

وفي مؤتمر نيقية عارض التوحيد نفر من الحضور كان على رأسهم (بطرس) بطريرك الإسكندرية، ونادى بالتثليث وبإدعاء الألوهية أو نصف الألوهية للسيد المسيح. وعلى الرغم من أن هذا الرأي لم ينل سوى (318) صوتاً من مجموع الـ 2048 صوتاً للحضور (أي في حدود 15% فقط من أصوات الحضور) إلا أن قسطنطين بخلفيته الوثنية مال إلى التثليث، وأقر مجمع نيقية الأناجيل الأربعة المتداولة بأيدي نصارى اليوم (متى، لوقا، بطرس، يوحنا) من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً عرضت على المؤتمرين، واعتبر قسطنطين باقي الأناجيل من أعمال التحريف، وأمر بحرقها.

ولم يتم هذا الاختيار وفق منهج محدد، على أساسه تم قبول ما تم قبوله، ورفض ما تم رفضه، وإنما كان الحاكم الوحيد في ذلك هو ما ظنه رعاة المجمع هو عدم معارضة ما كانوا قد تبناه مسبقاً من عقائد. لذلك حسمت قوة سيف الرومان وبتطههم الخلاف الذي احتدم في مؤتمر نيقية لصالح من ذهب إلى الادعاء الباطل بألوهية المسيح عيسى ابن مريم، انطلاقاً من سيادة الفكر الوثني في كل من الحضارتين اليونانية والرومانية.

وهكذا قضت سلطة الرومان الغاشمة على جميع الذين كانوا مخالفين لهم وخاصة الموحدين منهم لجلال الله. وظل الرومان يطاردون الموحدين، ويعاقبونهم بالملاحقة والتشريد حتى اضمحل التوحيد بين أتباع المسيح، على الرغم من

مقاومة العديد من فرق النصارى القديمة لفكرة التثليث، وحكمهم على الكتب التي أُفِرَّت في مؤتمر نيقية بالتحريف والتزوير، وكان من بين هذه الفرق ما يلي:

(أ) الفرقة الإيبونية (The Ebonite Sect): وهي فرقة يهودية/ مسيحية قديمة ظهرت في القرن الميلادي الأول، وعاصرت «بولس» (أو شاؤول الطرسوسي) اليهودي الذي لم يقابل المسيح أبداً، والذي اندسَّ بين أتباعه من بعد رفعه بهدف إفساد عقائدهم، فأنكر عليه «الأيبونيون» كل دعاواه إنكاراً شديداً، وعدوه مرتداً عن تعاليم المسيح. ونادوا بأن المسيح ﷺ هو مجرد إنسان مختار، أعطاه الله - تعالى - النبوة، وآمنوا بنبوته وعبوديته لله - تعالى - كما آمنوا بضرورة تطبيق الشريعة الموسوية على أتباع المسيح.

(ب) الفرقة المارسيونية: وهي من فرق النصارى القديمة كذلك، وكانت تنكر جميع كتب «العهد القديم»، وتعتبرها كتابات بشرية محضة. وبالمثل أنكرت غالبية «كتب العهد الجديد».

(ج) فرقة ماني كيز: وكان من زعامات هذه الفرقة كل من القس «فاستس» والقس «إكستين»، وكلاهما عاش في القرن الرابع الميلادي. وفي تفسيره «للعهدين القديم والجديد» نقل لاردنر عن «إكستين» قول «فاستس»: «أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في «العهد الجديد» أبائكم وأجدادكم بالمكر، فغيبوا صورته الحسنة وأفضلته، لأنَّ هذا الأمر محقق. إنَّ هذا العهد الجديد لم يصنّفه المسيح ولا الحواريون، بل صنّفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين وإلى رفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنَّه غير واقف على الحالات التي كتبها. وقد آذى ذلك الكاتب المجهول جميع المريدين للمسيح عيسى ابن مريم إيذاءً بليغاً بأن أَلَفَ الكتب المليئة بالأخطاء والتناقضات».

والطعن في مصداقية الأناجيل الأربعة المتداولة بين مسيحيي اليوم لم يقتصر على فرق عدتها الكنائس شاذة ومبتدعة، واتهمتها بالهرطقة، بل إنَّه تجاوز ذلك

ليشكل قناعات لدى أعداد كبيرة من المؤرّخين للمسيحية، والمفسّرين «للعهدين القديم والجديد» وذلك من أمثال (القس آدم كلارك) الذي كتب في تفسيره للعهدين القديم والجديد ما ترجمته: «إنَّ أغلب البيانات التي كتبها المؤرخون عن المسيح عيسى ابن مريم هي غير صحيحة، لأنَّهم كتبوا الأشياء التي لم تقع بأنَّها وقعت يقيناً، وأخطأوا في الحالات الأخرى عمداً وسهواً. وهذا الأمر محقق بأنَّ الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت راتجة في القرون المسيحية الأولى، وبلغت هذه الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً. وكان (فاريسيوس) قد جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلّدات». وأضاف قائلاً: «كانت هناك ترجمات كثيرة باللّغة اللاتينية من مترجمين مختلفين موجودة قبل ترجمة - (جيروم)، وكان بعضها غاية في التحريف، وبعض مواضعها مناقضة للمواضيع الأخرى، كما صرّح به (جيروم)».

وكان من هؤلاء القس «لاردنر» الذي ذكر في تفسيره «للعهدين القديم والجديد» ما ترجمته: «لقد حكم على الأناجيل بسبب جهالة مصنفها بأنَّها ليست حسنة وذلك بأمر الملك (أناسطيوس) الذي حكم في الفترة ما بين (491 - 518م) فصحت مرة أخرى. فلو كان للأناجيل أصل ثابت في عهد ذلك الملك، ما أمر بتصحيحها، ولكن لأنَّ مصنفها كانوا مجهولين أمر بتصحيحها، والمصحّحون إنّما صحّحوا الأغلط والتناقضات على قدر الإمكان، فثبت التحريف فيها يقيناً من جميع الوجوه، وثبت أنّها فاقدة الإسناد».

وكان من هؤلاء القس «واتسون» الذي كتب ما ترجمته: «إنَّ (أوريجن) كان يشكو من الاختلافات في نصوص «العهدين القديم والجديد»، وكان ينسب ذلك إلى أسباب متعدّدة، مثل غفلة الكاتبين وعدم مبالاتهم، ولمّا أراد (جيروم) ترجمة (العهد الجديد) قابل النسخ التي كانت عنده فوجد بينها اختلافاً عظيماً». وقد اعترف «جيروم» بذلك في مقدمته لتلك الترجمة التي تضمنت خطاباً إلى البابا بهذا المعنى.

ومسألة تحريف «العهدين القديم والجديد» خاض فيها كثير من المفكرين الأجانب من أمثال الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير (Voltaire)، ونظيره الفرنسي البارون هولباخ (Holbach, 1723-1789)، ومن قدامى القساوسة (جان ميليه)، و(ثيرو، 1765م) وإرنست رينان (Ernest Renan) (1823 - 1892م)، وشتراوس (David Fredrich Strauss 1808-1874) وهو كنسي ألماني قام بشرح «العهدين القديم والجديد» ورأى أن الأناجيل هي مجرد مواظ، وليس لعناصرها الروائية سوى دور رمزي فقط. وكان من الذين تكلموا عن تحريف «العهدين القديم والجديد» الكاهن الفرنسي ألفرد لوازى (Alfred Loisy, 1857-1940) أستاذ تاريخ الديانات في المعهد الفرنسي الذي أحدثت مؤلفاته في نقد «العهدين القديم والجديد» صدًى بعيداً فحرمته الكنيسة الكاثوليكية في سنة (1908م) من الانتماء للمسيحية؛ وغير هؤلاء كثيرون جداً.

وفي ظلّ الاحتلال الروماني الوثني لأرض فلسطين عانى أتباع المسيح ﷺ الاضطهاد والنفي والتشريد، حتى اعتنق الإمبراطور قسطنطين الأول الديانة المسيحية في بدايات القرن الرابع الميلادي إرضاءً لوالدته التي كانت قد سبقته إلى المسيحية ودانت بها، فأصبحت المسيحية بذاتها أداة للاضطهاد والقتل والتشريد، بعد أن كانت مطاردة ومضطهدة.

ومع كثرة الاختلافات بين الزعامات المسيحية انقسمت هذه الملة الواحدة إلى العديد من الملل والنحل المتعارضة والمتصارعة والتي منها ما يلي:

1 - المسيحية الأرثوذكسية أو اليعقوبية (Orthodoxism or Jacobism): واليعاقبة (Jacobites) هم أتباع يعقوب البرادعي (Jacobus Baradocus) أسقف الرها (Edessa) (541-578 C.E.) وهم السريان الأرثوذكس. ويعقوب البرادعي هذا كان راهباً في كنيسة القسطنطينية، ونادى بالطبيعة المزدوجة للمسيح، وانتشر مذهبه في كل من مصر، والنوبة، والحبشة. وهذا المذهب كان

أيوتيكس (Eutyches) قد سبق بالدعوة إليه فيما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين (c.378-454 C.E.).

2 - **المسيحية النسطورية (Nestorism = Nestorianism):** والنساطرة (Nestorians) هم الآشوريون أتباع نسطور (Nestor 380-451 C.E.) بطريرك القسطنطينية (428-431 C.E.) الذي قال بأقنومين في المسيح ﷺ، أي أن له شخصيتان متميزتان عن بعضهما بعضاً: إحداهما بشرية، والأخرى إلهية، ومن ثم أنكر على مريم لقب (أم الإله) فحرمه مجمع أفسس (Ephesus) سنة (431 C.E.) ثم مجمع خلقدونية (Calcedon, 451). وانتشر فكره في كل من شمال العراق وإيران. والآشوريون سكنوا كلاً من الموصل وأرمينيا، ثم انضم قسم منهم إلى الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، وهم الكلدان الذين تشتتوا بعد حرب سنة (1914 C.E.).

3 - **المسيحية الكاثوليكية (Catholicism) أو الملكية (Royalism) أو الملكية:** (Malakanianism = Malakanism): وهم أتباع (ملكيون) مؤسس مدرسة المسيحية في أنطاكية. وقد انتشر فكره في كل من بلاد الشام، وشمال إفريقيا، وصقلية، وبلاد الأندلس. وإن كانت لفظة الكاثوليكية تشير إلى العالمية إلا أن الانفصال الذي تم بين الكنيستين الشرقية والغربية قد أدى إلى انحسار الكاثوليكية في كل من عدد الكنائس التي بقيت خاضعة للهيمنة الرومانية (الكاثوليكية الرومانية أو اللاتينية (The Roman Catholic or the Latin Church) والكنائس الأنجليكانية (The Anglican Church or the Church of England).

4 - **المسيحية البروتستانتية (Protestantism):** وتشمل الكنائس الغربية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي تحت تأثير كل من «لوثر» و«كلفن» ومن فروعها اللوثرية والكلفينية والإنجيلية.

5 - **المسيحية الموحدة (The Unitarianism or the Unitarian Christianity):** ويعرف أتباعها بوصف الموحدين (The Unitarians)، وهي فرقة مسيحية نشأت في

بولنדה في القرن السادس عشر الميلادي على يد القس فوستوس سوسينوس (Faustus Socinus, 1539-1604 C.E.)، ولذلك عرفت باسم السوسينية (Socinianism) ونادت بوحدانية الله ﷻ، وبأن المسيح عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله، وبأنه لا يمكن له أن يكون غير ذلك. وهذه الطائفة ترفض القول بالتثليث، وتنكر الادعاء بألوهية المسيح، كما ترفض فكرة الخطيئة والكفارة، وتختلف مع بقية الطوائف المسيحية في ذلك.

وفي القرن السابع عشر الميلادي تبنى عدد من الكتاب الإنجليز و- كان منهم جون بيدل (John Biddle, 1615-1662 C.E.) - الاعتقاد بالبشرية الكاملة للمسيح ﷺ. وفي القرن الثامن عشر الميلادي أُقيمت أوّل كنيسة للمسيحية الموحدة (The unitarian church) بمدينة لندن سنة (1774 C.E.) ثم انتقلت الحركة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من أشهر دعايتها وليام تشانج (William Ellery Channing 1780-1842 C.E.). وواضح أنّ هذه الحركة الموحدة هي محاولة لإحياء كل من الأريسية (الآريانية = Ariusism = Arianism)، والسوسينية (Socinianism) ولكن تحت ضغط الكنائس المختلفة تحوّلت هذه الحركة التصحيحية في القرن العشرين إلى شيء من المطالبة بحرية التدين، والدعوة إلى شيء من القيم الأخلاقية كالحرية والسلام أكثر منها دعوة إلى التوحيد الخالص لله، واتباع رسالة المسيح ﷺ كما أنزلت دون تحريف.

وعن هذه الفرق المسيحية الخمس تفرقت المسيحية إلى عدد كبير من الفرق التي منها ما يلي:

The Albigeoisism, Adventism, Arianism, Ariusism, Biblicism, Calvinism, Chamanism, Christadelphianism. Congruism, Didascalianism, Donarism, Evangelism, Gnosticism, Homoiousianism, Hutterianism, Jehovanism, Jonnesism, Lutherianism, Macedonism, Mandaeism, Maronism, Mennonism, Molinism, Mormonism, Pietism, Relagianism, Presbyterianism, Protestantism, Quietism, Sabellianism, Sophroniusism, Swedenborgianism, Unitarianism, Universalism, Zwinglianism, etc.

وفي العديد من آياته يفصل القرآن الكريم تحريف كل من اليهود والنصارى

لكتبهم، واختلافهم على طبيعة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ ونختار من هذه الآيات قول ربنا - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَيْدِيهِمْ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: 79].

2 - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ السِّنْهَةَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: 78].

3 - ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُم مَيْثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاصْفُ عَنَّهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: 13].

4 - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧٦﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: 171 - 174].

5 - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [المائدة: 17].

6 - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّكْرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[المائدة: 72 - 79].

7 - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تُعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾

[المائدة: 116 - 120].

8 - ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١٢٧﴾ فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١٢٨﴾﴾

[الزخرف: 63 - 65].

ثالثاً: من المعجزات التي أيد الله - تعالى - بها عبده ورسوله عيسى ابن مريم:

كان من المعجزات التي أعطاها الله - تعالى - لعبده ونبيّه عيسى ابن مريم شهادة له بالنبوة وبالرسالة ما يلي:

- 1 - ميلاده من أم بلا أب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].
- 2 - تأييده بروح القدس (وهو جبريل عليه السلام)، ونطقه ببيان دقيق وهو لم يزل في المهده.
- 3 - تعليمه الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل، بعد فقدان جميع الكتب السماوية السابقة وفي مقدمتها «التوراة» و«الزبور» التي كان غلاة اليهود قد قاموا بتحريفهما بعد ضياع أصولهما، كما كانوا قد أجروا العديد من الحذف والإضافة لما كان قد بقي عندهم من ذكريات عن هاتين الرسالتين.
- 4 - القدرات التي وهبه إياها الله تعالى على إحياء الموتى بإذن الله، وعلى إبراء كل من الأكمه والأبرص بإذن الله، وعلى أن يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.
- 5 - (والأكمه هو الذي ولد أعمى؛ والأبرص هو المصاب بالبرص الذي يعرف بأنه مرض جلدي يصعب شفاؤه، يحدث في الجسم البشري قشراً أبيض ويسبب للمريض حكاً مؤلماً في جلده؛ والأنثى برصاء، والجمع، برص).
- 5 - كفّ بني إسرائيل عنه، وكانوا قد اتهموه بالسحر والشعوذة، والدجل والتجديف، كراهية للحق الذي بُعث به.
- 6 - الإخبار بالعديد من الأمور الغائبة عن حسّه، والتي لم يسبق له معاينتها وذلك من مثل إخباره حواريه بما أكلوا، وبما يدخرون في بيوتهم.
- 7 - القدرة على إقناع الحواريين للإيمان به، والإسلام لله - تعالى - على يديه، اقتناعاً بالحق الذي كان يدعو إليه.

8 - معجزة إنزال المائدة من السماء استجابة لدعائه، ووفاء لطلب الحواريين ذلك منه .

9 - معجزة إنجائه من أعدائه برفعه من الأرض إلى السماء .

ويلخص القرآن الكريم تلك المعجزات بقول ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُرِيئُ الْأَكْثَمَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَكَوَنَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ [المائدة: 110 - 115].

رابعاً: الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لسيرة عبده ونبية عيسى ابن مريم ﷺ :

- 1 - الإيمان بطلاقة القدرة الإلهية التي لا تحدّها حدود .
- 2 - التسليم بالمعجزات التي أجزاها الله - تعالى - لعبده ونبية عيسى ابن مريم، ولغيره من الأنبياء والمرسلين، انطلاقاً من التسليم بأنّ قدرة الله - تعالى - لا تحدّها حدود، وأنّ الله - تعالى - على كل شيء قدير .
- 3 - اليقين بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، التي وضّحها المصطفى ﷺ بقوله الشريف: «الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمّاتهم

- شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فليس بيني وبينه نبيّ..» (1).
- 4 - التصديق بحقيقة الروح التي يهبها الله - تعالى - لكل فرد من بني آدم كما وهبها لعبده عيسى، وهو جنين في بطن أمه.
- 5 - الإيمان بحتمية البعث بعد الموت، وبالْحَسَابِ والجزاء.
- 6 - التسليم بأنَّ كلاً من الماضي والحاضر والمستقبل هو عند الله - تعالى - حاضر، وذلك لأنَّ الله ﷻ هو خالق كلِّ من الزمان والمكان، وخالق كلِّ شيء. من هنا أخبر ﷺ في القرآن الكريم عن حوار بينه وبين عبده ونبيِّه عيسى ﷺ في الآخرة، والآخرة لم تأت بعد. كما يشير ذلك الحوار إلى شمول علم الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فأُنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة حقيقة اختلاف الناس حول طبيعة عيسى ابن مريم، وموقفه هو ﷺ من ذلك الخلاف.
- 7 - اليقين بأنَّ الوفاة على ثلاثة أوجه: وفاة حين النوم (وهي الوفاة الصغرى)، ووفاة حين الموت (وهي الوفاة الكبرى)، ووفاة عند الرفع إلى السماء (وهي وفاة التكريم).
- هذا، وقد جاء ذكر عبد الله ﷻ ونبيِّه عيسى ابن مريم ﷺ خمساً وثلاثين (35) مرّة في القرآن الكريم، كما سبق وأن أشرنا. وجاء ذكر أمّه البتول مريم ابنة عمران أربعاً وثلاثين (34) مرّة، منها عشر (10) مرّات مقصودة بذاتها (مريم)، وأربع وعشرون (24) مرّة مرتبطة اسمها باسم ابنها (ابن مريم). وكل آية من هذه الآيات تعتبر معجزة إنبائية وتاريخية بذاتها، ولكن يكفي في هذا المقام اختيار آيتين من سيرة هذا العبد الصالح والنبي الصالح، واختيار حادثتين تاريخيتين كبيرتين وقعتا في زمانه، وذلك في الأسطر القليلة القادمة.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، حديث رقم (3443)، ومسلم في كتاب الفضائل، حديث رقم (6085).

76 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

يؤكد ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه أن كلاً من أبينا آدم ونبينا عيسى ابن مريم ﷺ قد تمّ خلقه من تراب الأرض؛ والتراب إذا أصابه الماء صار طيناً، والطين إذا انتزعت منه خلاصة محددة صارت سلالة من طين. وهذه السلالة من الطين إذا تركت لتخمر تصبح لاصقة ببعضها أو ما يعرف باسم (الطين اللازب)، ثم ييبس ذلك ليصبح صلصالاً أسوداً منتناً له صليل أو ما يعرف باسم (صلصال من حمأ مسنون). وهذا بعد أن يتم ييسه يصبح صلصالاً كالفخار. وهذا كله تمّ بمعجزة وبالأمر الإلهي «كن فيكون»، وفي ذلك تقول الآيات:

1 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]

[آل عمران: 59؛ الكهف: 37؛ الحج: 5؛ الروم: 20؛ فاطر: 11؛ وغافر: 67].

2 - ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47].

3 - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ

[الأنعام: 2؛ الأعراف: 12؛ السجدة: 7؛ ص: 71، 72؛ الإسراء: 61].

4 - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12].

أي: ليس من كل الطين، بل من خلاصة منتزعة من الطين برفق.

5 - ﴿فَأَسْمَفْنَاهُمْ أَهْمَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنَّا خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11].

[الصافات: 11].

أي: من هذا الطين بعد تركه ليخمر فيصبح لاصقاً بعضه ببعض.

6 - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26، 28، 33].

أي: من الطين المتخمر الذي ييبس حتى يصبح صلصلاً أسوداً منتناً، له صليل إذا تمّ طرّقه .

7 - ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿٤﴾﴾ [الرّهُمن: 14].

بعد أن يتم ييس هذا الصلصال الأسود المتتن يصبح صلصلاً يابساً كالفخار .

8 - ثم نفخ الله - تعالى - فيه من روحه فأنشأت نسمة الروح مراد الله ﷻ من خلق كل من أينا آدم، ونبينا المسيح عيسى ابن مريم ﷺ .

9 - ويُجْمَلُ القرآن الكريم هذه المراحل كلّها بالإشارة إلى خلق الإنسان من الأرض [هود: 61؛ طه: 55؛ النجم: 32؛ نوح: 17، 18].

10 - كما يشير هذا الكتاب العزيز إلى الخلق من الماء فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: 54].

أي: من الماء العادي باعتبار أن الله - تعالى - خلق كل شيء من الماء الذي يكون أغلب أجساد كل الأحياء. ومن ذلك أيضاً «ماء التناسل» الذي جعله الله مصدراً للتكاثر بعد الخلق الأوّل .

11 - ويتحدّث القرآن الكريم في أكثر من آية من آياته عن تسلسل النسل بالتكاثر بواسطة ماء التناسل، ومادة الخلق أصلاً هي تراب الأرض ونفخة الروح . ويجمل القرآن الكريم ذلك في تعبير ﴿مَنْ ذَكَرِ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: 13] كما يجمله في «الماء» ويفصله بقوله - تعالى - : من ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]، ومن ﴿مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20]، ومن ﴿سُلَّالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8]، كما يجمل ذلك في تعبير ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: 4؛ يس: 77؛ عبس: 19]، و﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النجم: 46]، و﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: 2]، و﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ [القيامة: 38؛ العلق: 2]، و﴿مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَوِّيرٍ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]، ويجمع المراحل كلّها حتى إنشاء الجنين خلقاً آخر [الحج: 5؛ المؤمنون: 12 - 14] ويضمها في تعبير ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: 6]، وفي تعبير ﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14]، وفي تعبير ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] .

12 - ويردُ القرآن الكريم الخلق كلّهُ إلى الخلق الأول لأبينا آدم ﷺ في تعبير: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأْتَفُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]. وتشير الآية الكريمة إلى خلق أمنا حواء ﷺ من هذه النفس الواحدة. وفي مقام آخر ويؤكد القرآن الكريم ذلك بقول ربنا - عزّ من قائل -: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَكْتَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189].

ويقول - جلّت قدرته -: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينًا أَرْوَجَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصِرُّونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: 6].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

وعملية الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان، هي عملية غيبية غيبية كاملة عنّا حيث لم يشهدها أي منّا، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: 51].

وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الله - تعالى - الذي قرّر هذه الحقيقة يطالبنا في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم بأن نتفكّر في كفيّة الخلق، ومن ذلك أقواله - عزّ من قائل -:

(1) أخرجه أبو داود في كتاب السنّة، حديث رقم (4693)، والترمذي في كتاب التفسير (تفسير سورة البقرة)، حديث رقم (2955).

1 - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

2 - ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١٩٠] الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: 190، 191].

3 - ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [١٩] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت: 19، 20].

4 - ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٧] [غافر: 57].

5 - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّينَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [٢٩] [الشورى: 29].

والجمع بين هذه الآيات يشير إلى أنه على الرغم من أن عملية الخلق قد تمت في غيبة الإنسان، إلا أن الله - تعالى - من رحمته بنا - قد ترك لنا في كل من صخور أرضنا، وفي أنفسنا، وفي مختلف المخلوقات من حولنا من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان - بإمكاناته المحدودة - على الوصول إلى تصور ما عن كميّات الخلق. ولكن هذه التصورات تبقى قاصرة، عاجزة، ومنقوصة في غيبة الاستهداء بالنصوص الواردة في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ عن عمليّات الخلق بأبعادها الثلاثة (خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان).

وللتدليل على ذلك نقول بأن تدرّج عمارة الأرض بالخلق عبر فترة زمنيّة طويلة تقدر بحوالي (3.8 بليون سنة) قد أغرت عدداً من الكفّار والمشرّكين، وممن

على دربهم من المنافقين، أن يدعوا إلى فكرة «التطور العضوي» التي تنادي بمادية الخلق الأول الذي نشأ نتيجة لتفاعل أشعة الشمس مع طين الأرض بعفوية كاملة، ثم التطور الذاتي العشوائي وغير الواعي لهذا الخلق الأول حتى وصل إلى الإنسان. ولكن تعقيد بناء الخلية الحية ينفي إمكانية إيجادها بغير تدبير حكيم مسبق. وتعقيد بناء العضيات المختلفة في الخلية الحية، وبناء الشيفرة الوراثية (التي تحكم جميع أنشطتها) ينفي عشوائية الخلق نفيًا مطلقاً. وكذلك فإن كل نشاط حيوي يؤكد حقيقة الخلق، ورعاية الخالق ﷻ لخلقه. فالشيفرة الوراثية سجل مُحكم من المعلومات والأوامر المنظمة تنظيمًا مذهلاً، والتي تنفذ بدقة مبهرة على مستوى أدق التفاصيل، مما يعطي الخلية الحية في أبسط صورها مستوى من دقة التصميم، وتعقيد البناء، والقدرة على الأداء لا يمكن أن يصل إليها أكبر المصانع التي أنشأها الإنسان، بل التي فكر في إنشائها ولم يتمكن من تحقيق ذلك بعد. فيستحيل على أكثر التقنيات تقدماً اليوم إنتاج واحدة من أبسط الخلايا الحية، على الرغم من معرفتنا بتركيبها الكيميائي الدقيق مائة بالمائة.

ليس هذا فقط، بل إنَّ لَبِنَةَ بناء الخلية الحية (وهي «الجزيء البروتيني العملاق») عبارة عن بناء معقد من جزيئات «الأحماض الأمينية المحددة» التي يبلغ عدد المعروف منها عشرين حمضاً أمينياً. وهذه الأحماض الأمينية تترتب ترتيباً معيناً، وترتبط مع بعضها البعض بروابط كيميائية محددة، في تتابعات خاصة، وينسب مقدرة بدقة فائقة. ولارتباط تلك الأحماض الأمينية برابطة واحدة هي الرابطة البيبتيدية (The Peptide Bond) فإنَّ البروتينات تُعرف باسم «عديدة البيبتيدات» (Polypeptides). وقد يشترك عدد كبير من مختلف الأحماض الأمينية في تكوين السلسلة البيبتيدية للبروتين الواحد. وهذا لا يمكن أن يتم بمحض الصدفة أبداً، وذلك لأنَّ جميع البروتينات في أجساد كل الكائنات الحية مبنية من العشرين نوعاً المحددة من أنواع الأحماض الأمينية، وكلها من أنموذج واحد من نماذج هذه الأحماض الأمينية يعرف باسم أنموذج الألف (Alpha Type)، وكلها

مرتبط ببعضه البعض برابطة محددة هي الرابطة البيبتيدية. وأبسط جزيء بروتيني معروف يتكوّن من خمسين جزيئاً من جزيئات الأحماض الأمينية العشرين المحددة. وبعض البروتينات يتكوّن الجزيء الواحد منها من آلاف الجزيئات من الأحماض الأمينية. وجميع هذه الضوابط والقيود - وغيرها كثير - تجعل احتمال تكوّن جزيء بروتيني واحد بمحض الصدفة من أكبر المستحيلات.

فإذا أضفنا إلى ذلك تعقيد بناء جزيء الحمض الأميني نفسه من ستة عناصر أساسية هي: الكربون، الإيدروجين، الأوكسجين، النيتروجين، الكبريت، والفوسفور. وإذا علمنا أنّ مجرد اختيار تلك العناصر الستة من بين أكثر من مائة عنصر معروفة لنا بمحض الصدفة يجعل الأمر أشد استحالة. ويزيد الأمر تعقيداً أنّ الذرات تترتب في الأحماض الأمينية حول ذرة الكربون إمّا ترتيباً يسارياً أو ترتيباً يمينياً، وهي في أجساد جميع الكائنات الحية مرتبة ترتيباً يسارياً. ولكن بمجرد موت الكائن الحي فإن الأحماض الأمينية المكونة لبروتينات جسده تعيد ترتيب ذراتها ترتيباً يمينياً بمعدلات ثابتة، ممّا يعين على تحديد لحظة وفاة الكائن الحي بحساب نسبة الترتيب اليميني إلى اليساري للذرات حول ذرة الكربون في جزيئات الأحماض الأمينية الموجودة في أية فضلة تبقى عن ذلك الكائن الحي.

ليس هذا فقط بل إنّ جزيئات الأحماض الأمينية تترتب في داخل الجزيئات البروتينية العملاقة المكوّنة للخليّة الحية ترتيباً يسارياً كذلك في جميع الأحياء، بينما تترتب الذرات في النويدات (Nucleotids) ترتيباً يمينياً، والنويدات هي الحروف التي تكتب بها الشيفرة الوراثية للكائن الحي (DNA coudon).

وإذا أضفنا إلى كلّ ذلك: إحكام بناء الخلية الحية على ضالة أبعادها، فإنّ آية إمكانية للعشوائية أو الصدفة في إيجادها تنتفي تماماً. فالخلية الحية لها جدار رقيق من غشاء حي في كلّ من الإنسان والحيوان. وهذا الجدار الرقيق يتبادل الغذاء والنفايات والأوكسجين مع الخلايا المجاورة (والخلية الحية لها جدار من غشاء سميك غير حي في النباتات). والخلية الحية بها السائل الخلوي الذي يتكوّن

أساساً من البروتينات، والدهنيّات، والسكريّات، والعديد من العناصر الذاتيّة. ويسبح في هذا السائل الخلوي العديد من العضيات (Organelles) بالإضافة إلى النواة التي لها جدار حي كذلك، وتحتوي على الشيفرة الوراثيّة المحمولة على عدد من الصبغيات (Chromosomes). وعدد الصبغيات في نواة الخلية هو عدد محدّد لكلّ نوع من أنواع الحياة. وتتكوّن الصبغيات من جزيئات الحمض النووي الريبي المنقوص الأوكسجين (Deoxyribonucleic Acid)، وهو بناء غاية في التعقيد ودقّة البناء. وبالنواة يوجد كذلك ما يعرف باسم الحمض النووي الريبي المراسل (Messenger DNA)، وأعداد من البروتينات (ومنها الهرمونات والإنزيمات)، بالإضافة إلى أعداد أخرى من الكربوهيدرات، والدهون (Lipids)، والفيتامينات، والإليكتروليّات، وغيرها من المركبات الكيميائيّة المرتبة ترتيباً محكماً، وينسب محدّدة باختيار دقيق، وتناسق عجيب ليقوم كل منها بدوره على أكمل وجه.

وللخلية الحيّة مصانعها المختلفة لإنتاج الطاقة، وأجهزتها المتعددة، ومحطّات التكرير الخاصّة بكلّ منتج تنتجه، ووسائل الانتقال المحددة بداخلها. وأعظم وأخطر وأعقد ما في الخلية الحيّة هي شيفرتها الوراثيّة، وهي بناء شديد التعقيد يضم الصبغي الواحد (من بين 46 صبغياً في الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان) (18.6) بليون جزيء كيميائي موزّعة بالتساوي على السكر، والفوسفات، والقواعد النيتروجينيّة. ولو اختل وضع ذرة واحدة من ذرات أي من هذه الجزيئات عن مكانه المحدّد له، فإنّ الخلية إمّا أن تشوّه أو لا تكون. وكل ذلك ينفي الصدفة، ويؤكّد الخلق المُتقن، والتدبير المحكم الذي لا يقوى عليهما إلّا ربّ العالمين.

وإذا استحالت الصدفة على إيجاد خلية حيّة واحدة، فالأمر أشد استحالة بالنسبة للكائن الحي الكامل، وهو أبلغ بالنسبة إلى الإنسان الذي يتكوّن جسده في المتوسط من ألف مليون مليون خلية، تتنظمها أنسجة متخصصة، في أعضاء محدّدة، وفي أجهزة منظمة، تعمل كلها في توافق عجيب يخدم هذا الجسد المُكرّم. وقد أكّد

ربنا - تبارك وتعالى - ذلك في آيات عديدة من محكم كتابه منها ما يلي:

1 - ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 102].

2 - ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُوا الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١٦﴾﴾ [الرعد: 16].

3 - ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِن تُوَفَّكُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [غافر: 62].

4 - ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 24].

إذا قال الخالق البارئ المصور أنه خلق الإنسان في مراحل من تراب، ثم من طين، ثم من سلاله من طين، ثم من طين لازب، ثم من صلصال من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفتحار فلا يملك المؤمن بالله - تعالى - إلا أن يقول: آمين، لأن هذا هو الخالق يتحدث عن خلقه، ومن أدري بالخلق من خالقه!!

وإذا خلق الله - تعالى - عبده ورسوله عيسى ابن مريم من أم بلا أب فهو نفس الأمر الإلهي الذي خلق به آدم من تراب (بدون أب أو أم)، ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: 47].

وإذا كان الإنسان - في ضعفه - قد استطاع استنساخ عدد من الحيوانات من أم بلا أب، فهل يُعجز ذلك خالق الإنسان؟.

والخلق من تراب ينطبق في الحالين: حال أبينا آدم ﷺ الذي بدأ الله - تعالى - خلقه من تراب الأرض، كما ينطبق على جميع نسله - ومنهم عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم. وقد كان بنو آدم جميعاً في صلب أبيهم آدم ﷺ لحظة

خلقه. وينطبق الخلق من تراب على المسيح عيسى ابن مريم نفسه، كما ينطبق على كل إنسان غيره، لأنه نشأ من بيضة أمه الموروثة عن أبونا آدم وحواء ﷺ. والمخلوقان من تراب الأرض. ثم تغذى عيسى وهو جنين على دماء أمه، ودماؤها مستمدة من غذائها، وهو مستمد من عناصر الأرض. ثم تغذى عيسى وهو رضيع على لبن أمه، وهو مستمد من نفس المصدر، وتغذى بعد ذلك على نباتات الأرض، وعلى لحوم ومنتجات المباح من حيواناتها، وكل ذلك مستمد أصلاً من عناصر كل من تراب الأرض ومائها، ولذلك قال ربنا - وهو أحكم القائلين -:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

[آل عمران: 59].

ولا يملك عاقل أن يقول في الخلق قولاً بعد كلام الله الخالق البارئ المصور...!!

ولعل في ذلك ما يردُّ نفراً من أبناء المسلمين الذين فتنوا بالغرب ومنجزاته، وانبهروا بمعطياته المادية البحتة (وهي منطلقة من بوتقة الكفر والشرك والإلحاد) فتحدثوا عن التطور العضوي، بوصفه من حقائق العلم، وزينوه في عقول نفر من المنهزمين نفسياً أمام الحضارة المادية المزيفة. ولذلك انطلقوا بخيال جامح يؤولون كلام الله تأويلاً مرفوضاً، أو ينكرون نصوصاً قرآنية كريمة، وأحاديثاً نبوية شريفة، وهي قطعية الثبوت، قطعية الدلالة. ويفعلون ذلك وهم يعلمون جيداً حكم من ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، فافترضوا - دون أدنى دليل علمي أو منطقي - وجود بشر قبل آدم، والنصوص القرآنية الكريمة والنبوية الشريفة لا تفرق بين الآدمية والبشرية، بل تصف أشرف الخلق أجمعين بالبشرية فتقول أمرة إياه: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌ مِّنْ ذُرِّيِّهِ أَوْ تَرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

[الإسراء: 93].

ويبقى في ذلك سبق علمي حقيقي أثبتته الدراسات المتأخرة في علم الوراثة

والتي أكدت أن انقسام الصبغيات الحاملة للشيفرة الوراثية ينتهي بنسب جميع بني آدم إلى أب واحد وأم واحدة. فبلايين الأفراد الذين يعمرن مختلف جنات الأرض اليوم، والبلايين الذين جاؤوا من قبلنا ثم ماتوا، والذين سوف يأتون من بعدنا إلى قيام الساعة، ينتهي نسبهم جميعاً إلى أبونا آدم وحواء عليهما السلام. ولما كان عيسى عليه السلام من نسل آدم، (المخلوق أصلاً من تراب الأرض)، فإن جسد عيسى ابن مريم يحوي بالقطع جزءاً من التراب الموروث عن أبويه آدم وحواء عليهما السلام. ثم غُذي عيسى بدم أمه وبعد ذلك غذي بلبنها، وكلاهما مستمد من عناصر تراب الأرض، وعلى ذلك فإن عيسى ابن مريم عليه السلام مخلوق من تراب الأرض كما خلق أبوه آدم من قبل من ترابها. ولذلك قال - تعالى - في محكم كتابه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

وتبقى هذه الآية الكريمة وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله، لأن اليهود وأعداد من متحيري النصارى والملحدون شككوا، ولا يزالون يشككون في معجزة ميلاد المسيح عليه السلام من أم بغير أب، وتطاولوا ولا يزالون يتطاولون على شرف أمه - وهي سيدة نساء العالمين في زمانها - وقد شرفها الله تعالى بقوله العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَي نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: 42].

وبالإضافة إلى ما فيها من إعجاز إنبائي وتاريخي فإن الآية (رقم 59) من سورة «آل عمران» تبقى كذلك وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لأن محاولات الاستنساخ في كل من عالمي النبات والحيوان أثبتت إمكانية إنتاج جنين حي من أم بلا أب، وإذا استطاع الإنسان - على ضعفه - تحقيق ذلك فإنه لا يعجز خالق الإنسان...!!

75 - ﴿وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: 27].

جاء ذكر المسيح عيسى ابن مريم ﷺ في كتاب الله خمساً وعشرين (25) مرة باسم عيسى، وإحدى عشرة (11) مرة باسم المسيح؛ كما جاء ذكر أمه - شرفها الله - أربعاً وثلاثين (34) مرة، ويمكن تصنيف هذه الآيات على النحو التالي:

أولاً: آيات تتعلق بمعجزة ميلاد عيسى ابن مريم ﷺ:

1 - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: 45، 46].

2 - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

ثانياً: آيات تتعلق ببعثته الشريفة والكتاب الذي أنزل إليه:

1 - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: 87].

2 - ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: 253].

3 - ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: 46].

4 - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِدِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحديد: 27].

ثالثاً: آيات تؤكد أن المسيح هو عبد من عباد الله ونبى في سلسلة النبوة الطويلة التي تؤكد وحدة رسالة السماء والأخوة بين الأنبياء:

1 - ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِذْهَبْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: 136].

2 - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: 84].

3 - ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: 163].

4 - ﴿وَرَكْرَكِيَا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: 85].

5 - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: 7].

6 - ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

7 - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمَا خَبَرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

رابعاً: آيات تثبت حقيقة المسيح وتنفي اختلاف الناس حول تلك الحقيقة.
وتنكر إدعاء التثليث إنكاراً كاملاً:

1 - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٢﴾

2 - ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٧٣﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٥﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٧٦﴾

3 - ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٧﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٨﴾

4 - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَسَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْسَارَهُمْ رُءُوسَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

[التوبة: 30، 31].

5 - ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

[آل عمران: 34 - 38].

6 - ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا صُوبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلْهَتَنَا حَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِئِكَ فِي الْأَرْضِ مَخْلُوفًا ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعَالِمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُمْ لَكُوفٌ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنْ اللَّهُ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

[الزخرف: 56 - 65].

7 - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾

[الصف: 6].

خامساً: آيات تصف عدداً من المعجزات التي أجزاها الله - تعالى - على يديه :

1 - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنشِئُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

[آل عمران: 45 - 52].

2 - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نَفَعَنِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَإِلَيْكَ إِذْ أَيْدَتَكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ يَلْعَسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ فُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسُلُهُ عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

[المائدة: 110 - 115].

سادساً: آيات تتعلق بافتراءات اليهود على كل من عيسى ابن مريم وأمه:

1 - ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْتَاعَ الظُّلَمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾

[النساء: 156، 157].

2 - ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
هُمُ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ [المائدة: 78 - 80].

سابعاً: آيات تتعلق بخاتمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام:

1 - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَارْفُكُ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: 55].

2 - ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 158].

وهذه الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى الحقيقة التاريخية والدينية لرسول من أولي العزم من الرسل هو المسيح عيسى ابن مريم - عليه وعلى أمه السلام - . وتؤكد الآيات أن والذي السيدة مريم ابنة عمران رزقا بها على الكبر إثر دعاء عريض منهما إلى الله - تعالى - ، فكانت مريم ابنة لأبوين صالحين، وكان أبوها من بيت النبوة حيث ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليه السلام . وعندما بلغ بالأبوين الصالحين الكبر دون أن يرزقا بذرية، توجَّهت زوجة عمران إلى الله - تعالى - بالدعاء أن يرزقها ولداً تهبه لخدمة المسجد الأقصى، والقيام على سدنته، ومع إلحاحها في الدعاء، وإخلاصها، وخشوعها، استجاب الله تعالى دعاءها فحملت، وقبل أن تضع حملها فارق زوجها العبد الصالح «عمران» دنيا الناس، وترك زوجته الحامل أرملة، ليس لها إلا الله.

ثامناً: آيات تصف أرملة «عمران» عندما وضعت حملها بأنها فوجئت بأنها وضعت أنثى، فسَمَّتها «مريم» وعرفت باسم «مريم ابنة عمران»، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّتًا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

[آل عمران: 33 - 36].

تاسعاً: آيات تصف تنازع الصالحين المعاصرين فيما بينهم من يكفل «مريم»، ولكن الله - تعالى - كفلها زوج خالتها، الذي كان نبي ذلك الزمان في قومه، وهو العبد الصالح والنبي الصالح «زكريا» ﷺ الذي رعاها حتى كبرت، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 - ﴿فَنَقَلْنَاهَا رِبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

[آل عمران: 37].

2 - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيئُ أَفْتَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهْمُ أَهْمُ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[آل عمران: 42 - 46].

عاشراً: آيات تصف اجتهاد مريم في العبادة والتسك والزهد في الدنيا، والتبتل في الطاعة حتى فوجئت في يوم من الأيام بالملائكة تبشروها بأن الله - تعالى - سوف يهب لها ولداً زكياً دون أن يمسها بشر، وأن هذا الولد سيكون نبياً كريماً مؤيداً بالمعجزات، فتعجبت من قضاء الله، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

1 - ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

[آل عمران: 45 - 47].

2 - ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَلَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٤﴾ فَوَدَّعْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَزَيْتُكَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَجَنَعَ النَّخْلَةَ سُقِطًا عَلَيْكَ رَطْبًا حِينًا ﴿٢٦﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٧﴾ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٨﴾ يَتَّخِذَ هُنُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٩﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٢﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٣﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٤﴾

[مریم: 16 - 33].

3 - ﴿وَاللَّيْلِ أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

[الأنبياء: 91].

حادي عشر: آيات تصف نبوة عيسى عليه السلام: عند بلوغ عيسى ابن مريم سن الثلاثين جاءه وحى السماء بالنبوة والرسالة، وأنزل عليه «الإنجيل». وفيه أمر الله - تعالى - بدعوة بني إسرائيل إلى دين الله الحق (الإسلام) بعد أن كانوا قد انحرفوا عنه، وأشركوا بالله، وعبدوا الأصنام والأوثان، وطففوا المكيال والميزان، وأقبلوا على ماديات الحياة بشراهة منقطعة النظير. ليس هذا فقط، بل كان اليهود قد حرفوا التوراة، وزوروا تعاليم الله، وأفسدوا في الأرض إفساداً كبيراً، وأشاعوا فيها مختلف صور النفاق، والرياء، والكذب، والطمع، والشره. فنفشت المظالم، والمفاسد، والتجاوزات، التي انحطت بهم وبمجتمعاتهم انحطاطاً كبيراً.

مضى عبد الله ﷺ ورسوله عيسى ابن مريم في دعوته لليهود من أجل أن يعودوا إلى دين الله (الإسلام) الذي كان قد بُعثَ به إليهم رسولهم موسى ﷺ، ولكن لم يؤمن معه إلا أقل القليل من فقراء اليهود وضعفائهم. لذلك بدأ كفار اليهود في شن حملاتهم على المسيح وعلى الذين اتبعوه فاتهموا أمه بالزنا - شرفها الله - واتهموه هو بالسحر، والهرطقة، والكذب، والاتصال بالشياطين، وهو الرسول الموصول بالوحي والمؤيد بجبريل ﷺ.

أخذ اليهود في الكيد لعبد الله ﷺ ونبية عيسى ابن مريم ﷺ عند الرومان الذين كانوا يحتلون أرض فلسطين في ذلك الوقت. واستطاعوا بخبثهم إقناع الوالي الروماني أن عبد الله ﷺ ورسوله عيسى يُكْتَلُّ الناس من حوله للقيام بعصيان مدني أو ثورة شعبية ضد الرومان المحتلين، فحاولوا القبض عليه وصلبه حيًّا، ولكن الله - تعالى - رفعه إليه ونجّاه من كيدهم. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءُ الظُّلُمَاتِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: 157، 158].

من هذا الاستعراض السريع تتضح أوجه من الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتربوي والعلمي في سرد القرآن الكريم لعدد من المواقف المحددة في سيرة عبد الله ﷺ ونبية عيسى ابن مريم ﷺ. وهذه المواقف تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما تشهد لرسول الله ﷺ بأنه لا يمكن أن يكون قد استقى هذه الحقائق من كتب «العهدين القديم والجديد»، وذلك للاختلاف الكبير بين ما جاء عن حقيقة هذا العبد الصالح في تلك المصادر. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن هناك من الوقائع القرآنية ما لم يرد له ذكر في أي من كتب «العهدين القديم والجديد»! وذلك من مثل معجزة كلام عيسى ﷺ وهو في المهد، ونطقه بالعبودية الكاملة لله - تعالى -، وبتنزيه الخالق العظيم عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله؛ ومعجزة المائدة

التي أنزلها الله - تعالى - على الحواريين من السماء استجابة لطلبهم، ولدعاء المسيح ﷺ بذلك، ثم معجزة إنقاذه هو من بين أيدي اليهود الذين لم يمكنهم الله - تعالى - من تعذيبه أو إهانته أو إذلاله وإهدار كرامته كما تصف الأناجيل المتداولة بأيدي نصارى اليوم. فالقرآن الكريم يؤكد أن الله - تعالى - رفع عبده عيسى إليه إلى حين عودته الثانية إلى الأرض ليكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويصلي وراء إمام المسلمين كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ⁽¹⁾، وهذا وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لا نجده في كتاب غيره.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم ﷺ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم، فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل، ينزل بين مخصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويهل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً، ويقا تل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال، وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً، ثم يلبث في الأرض أربعين سنة، ويتزوج ويولد له، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفونونه في المدينة بجنب عمر، اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]. أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاثة مرّات⁽²⁾.

(1) ذكره البخاري في كتاب المظالم، حديث رقم (2476)، والترمذي في كتاب الفتن، حديث رقم (2233).

(2) أخرجه الإمام أحمد، حديث رقم (9729).

وبعد رفع المسيح ﷺ، اختلف الناس فيما بينهم عليه اختلافاً كبيراً، وظلّت اختلافاتهم كامنة زمن الاضطهاد الرومانيّة، ولكن عندما تنصر الإمبراطور قسطنطين أدرك وجود الاختلافات الشديدة على حقيقة المسيح بين الكنائس فدعا إلى مؤتمر نيقية سنة 325م، من أجل استجلاء هذا الأمر. وفي هذا المؤتمر ظهر من نادى بتوحيد الله الخالق، منكرًا فكرة التثليث، ومن نادى بالشرك بالله، وادعى ألوهية المسيح، ونادى بالتثليث. وكان على رأس الموحدين «أريوس» (Arius) الذي تبعته كنيسة أسبوط برئاسة «ميليتوس»، وكنيسة القسطنطينيّة برئاسة «أوسايوس»، وكنيسة كل من أنطاكية، ومقدونية، وبابل، وفلسطين، وغيرها. ولم يعارض الإيمان بوحديّة الله إلا بطرس بطريرك الإسكندريّة ومن وقف إلى جانبه من مشركي النصارى.

وكان عدد المجتمعين من البطارقة والأساقفة في مؤتمر نيقية أكثر من ألفين (2048) وكانوا على مذاهب متفرّقة، وعجب الإمبراطور قسطنطين ممّا رأى وسمع، ثم جنح إلى الادعاء بألوهية المسيح لخلفيته الوثنيّة، على الرّغم من أنّ هذا الرأي لم ينل سوى (318) صوتاً، بينما وافق غالبية الحضور على دعوة أريوس إلى بشريّة المسيح ونبوّته (وذلك بأغلبية سبعمائة صوت من أصوات الأساقفة الحضور) وكانت الأريوسية هي أعلى نسبة حازتها نحلة من النحل التي عرضت في مؤتمر نيقية على كثرة النحل التي عرضت.

وانطلاقاً من ذلك أقرّ المجمع الأناجيل الأربعة المتداولة بين أيدي نصارى اليوم من بين سبعين إنجيلًا مختلفًا عرضت على المؤتمرين، واعتبر الباقي من تلك الأناجيل نسخاً محرّفة وتمّ الأمر بإحراقها.

وهذا الاختلاف الذي استمرّ إلى اليوم، وتعدّدت بسببه فرق النصارى، ويصفه القرآن الكريم بقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

1 - ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْحِزَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ [مريم: 34 - 40].

2 - ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: 63 - 65].

وهذه الآيات تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في عرض القرآن الكريم لعدد من المواقف الهامة في سيرة عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ . وهذه المواقف يناقش كل ما جاء عن هذا العبد الصالح في العهد الجديد. أمّا الإعجاز العلمي فيتجسد فيما أعطى ربنا - وتبارك وتعالى - عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم من قدرة على إبراء كل من الأكمه والأبرص، وكلاهما من الأمراض التي أعيت الأطباء وأعجزتهم، كما يتجسد في معجزة ولادته من أمّ بغير أب، وهو ما أثبتته عمليات الاستنساخ في أواخر القرن العشرين من إمكانية إنتاج وليد من أمّ بلا أب، مع التأكيد على الفرق الهائل بين فعل الله وعبث البشر!! .

وأما الإعجاز التربوي فيتضح في التأكيد على فضل التوجه إلى الله - تعالى - بالدعاء والرجاء، مع اليقين بقدرة الله المطلقة على الإجابة، ويتجلى ذلك في ميلاد كل من مريم ابنة عمران، وكانت أمها عاقراً، وأبوها شيخ كبير، وكان ميلادها استجابة لدعاء أمها الذي لم يتوقف. ويتضح فضل الإيمان بالله، وجميل التوكل عليه كذلك في التسليم بأن الدنيا هي دار ابتلاء واختبار وامتحان، وأن الصراع بين الحق والباطل هو ستة من سنن الوجود في هذه الحياة، وأن الحق لا ينتصر لمجرد كونه حقاً، ولكنه يحتاج إلى رجال ونساء يؤمنون به، ويجاهدون من أجل نصرته، ويبدلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق ذلك. وهكذا كانت حياة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ وحياة كل من أمه والذين آمنوا به واتبعوه على الإسلام العظيم.

76 - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في سياق خمس من آيات هذا الكتاب العزيز، هي الآيات (5 - 9) من سورة «الصف». تخبر عن عدد من الأحداث الغيبية التي لا سبيل لنا في الوصول إليها إلا ببيان من الله - تعالى - . ولذلك فإن هذه الآيات الخمس تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنها تؤكد وحدة رسالة السماء، والأخوة بين الأنبياء، انطلاقاً من وحدانية الخالق ﷻ. كما تؤكد علم جميع أنبياء الله بتكامل الإسلام في بعثة الرسول الخاتم ﷺ. وهذه الآيات يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِآيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

[الصف: 5 - 9].

ومن معاني هذه الآيات أيضاً أن الله - تعالى - قد تكفل بإظهار دينه الذي أكمله وأتمه وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. ولذلك طالبت المؤمنين بالجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس من أجل نصرة هذا الدين. وللتأكيد على دور المؤمنين في تحقيق هذا النصر لدين الله ذكرت الآيات برسالة عبد الله ونبیہ موسى بن

عمران الذي آذاه قومه الذين خالفوا عهده وحرّفوا رسالته فضلوا وأضلوا. كما تذكر برسالة عبد الله ونبيّه عيسى ابن مريم الذي بعثه الله - تعالى - امتداداً لرسالة موسى، مصداقاً لما بين يديه من التوراة، ومبشّراً ببعثة الرسول الخاتم الذي جعل الله - تعالى - نبوته خاتمة النبوات، ورسالته خاتمة رسالات السماء ولذلك تعهد بحفظها تعهداً مطلقاً حتى يتحقق عدله الذي قطعه على ذاته العلية بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15].

ولذلك قال - تعالى - : ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

من الإعجاز الإنبائي والتاريخي في النصّ الكريم:

هذا النصّ القرآني الكريم يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى - على لسان عبده ونبيّه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام «أَنَّ التوراة قد بشرت بمقدمه، وأنّ بعثته بالإنجيل هي مصداق ما بشرت به التوراة، وهو بشر ببعثة الرسول الخاتم من بعده، وهو النبيّ العربي، الذي سمّاه باسمه «أحمد»، وهذا الاسم هو من أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله القائل: «إنّ لي خمسة أسماء: أنا محمّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب (ومعنى العاقب: الذي لا نبي بعده)⁽¹⁾».

وذكر محمّد بن إسحاق، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمّي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3532)، ومسلم في كتاب الفضائل، حديث رقم (6058)، والترمذي في كتاب الأدب، حديث رقم (2840).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (22315).

وقال رسول الله ﷺ: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأيت، وكذلك أمّهات النبيين يرين»⁽¹⁾.

وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضواء له قصور الشام»⁽²⁾.

وتأكيداً على بشرى عيسى ابن مريم ببعثة الرسول الخاتم ﷺ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما نصّه: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحواً من ثمانين رجلاً... وبعثت قريش (عمرو بن العاص) و(عمارة بن الوليد) بهدية للنجاشي، فلما دخلا سجداً له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نَفراً من بني عمّنا نزلوا أرضك، ورجعوا عنّا، وعن ملّتنا، قال النجاشي: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم على النجاشي ولم يسجد له، فقال له الحضور: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنّنا لا نسجد إلا لله ﷻ، قال: وما ذاك؟ قال: إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص للنجاشي: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال النجاشي: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال جعفر: نقول كما قال الله ﷻ: هو كلمة الله، وروح منه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسه بشراً، ولم يعترضها ولد، قال: فرفع النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان! بالله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (17614).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، بالله لولا ما أنا فيه من الملك لأنتيه حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضئه. وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما»⁽¹⁾.

وفي شهادة النجاشي أن محمداً رسول الله، وأنه هو الذي بشر به عيسى ابن مريم إثبات لوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصدها [رقم (6) من سورة «الصف»].

ومن الثابت أن جميع أنبياء الله ﷺ قد آمنوا ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وبشروا بمقدمه، وأمروا باتباعه وبنصرته ومؤازرته إذا كان أحد من أتباعهم حياً عند بعثته الشريفة. وكان أول ما اشتهر أمر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ في أهل الأرض على لسان أبي الأنبياء، عبد الله ورسوله الخليل إبراهيم ﷺ حين دعا الله - تعالى - لأهل مكة أن يبعث فيهم رسولاً منهم. وكذلك جاء على لسان عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ﷺ أنه كان يبشر بقرب بعثة خاتم المرسلين ﷺ وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ منسوب إلى عبد الله ونبيه عيسى ﷺ الذي أيده الله - تعالى - بعدد من المعجزات الواضحات من مثل إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغيرها من المعجزات الدالة على صدق نبوته. وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ منسوب إلى بني إسرائيل الذين قالوا عن المعجزات التي أجراها الله - تعالى - على أيدي عبده ونبيه عيسى ابن مريم (شهادة له بالنبوة وبالرسالة) أنها ضرب من السحر والشعوذة.

وقال المفسرون: بشر كل نبي قومه ببعثة الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ

(1) ذكره البيهقي في دلائل النبوة، رقم (593).

وإنما أفرد الله ﷻ ذكر عيسى بالبشارة في هذه الآية الكريمة لأنه هو آخر نبي قبل بعثة خاتم النبيين جميعاً. وسبق أن بين الله - تعالى - أن البشارة ببعثة الرسول الخاتم ﷻ عمت جميع أنبياء الله حتى انتهت إلى عبده ونبیه عيسى ابن مريم، فكانت بشارته بخاتم الأنبياء والمرسلين هي آخر تلك البشارات.

وبشارة المسيح عيسى ابن مريم برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد» لا تزال موجودة في «إنجيل برنابا» بنفس هذا النص القرآني، وعلى ذلك فهي ثابتة سواء تضمنت الأناجيل المتداولة بأيدي نصارى اليوم هذه البشارة أم لم تتضمنها. لأن الطريقة التي كتبت بها تلك الأناجيل، والظروف التي أحاطت بكتابتها لا تجعل منها مرجعاً مقبولاً لرسالة عبد الله ونبیه عيسى ﷻ.

وقد قرئ على مسامع اليهود والنصارى في الجزيرة العربية قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157].

وقد أقر عدد من اليهود الذين من الله - تعالى - عليهم بالإسلام من أمثال «عبد الله بن سلام» بهذه الحقيقة التي كانوا يتواصلون بكتماناها. وثابت من الروايات التاريخية أن جموع اليهود في الجزيرة العربية كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلمهم زمانه، وكذلك كان عدد من الموحدين من كل من الأحناف، وأحبار اليهود، وأساقفة النصارى. ولكن اليهود كانوا يتوقعون أن يبعث الرسول الخاتم من بينهم، فلمّا كان من ذرية إسماعيل - عليه وعلى نبينا من الله السلام -، فإنهم عارضوا نبوته، وقاوموا دعوته، ونقضوا جميع عهودهم ومواثيقهم معه، وألبوا عليه القبائل الوثنية، وحاولوا ستمه وقتله، ولكن الله - تعالى - حفظه من كيدهم، ونصره عليهم.

وعلى الرغم من ذلك كله فقد بقي عدد من الإشارات إلى سيدنا محمد ﷺ في الكتب المتداولة اليوم بأيدي كل من اليهود والنصارى، على الرغم مما تعرّضت له من الحذف والإضافة، ومن التحرير تلو التحرير، ومن التحريف

والتزوير، حتى أصبح تطابق طبعتين متاليتين للكتاب الواحد في أية لغة من اللغات التي نقلت إليها أمراً صعباً للغاية.

ومن هذه الإشارات في كتب الأولين إلى بعثة الرسول الخاتم ﷺ ما يلي:

1 - جاء في سفر «التكوين» (الإصحاح 10/49) ما ترجمته: «لا يزول صولجان من يهوذا أو مشترع من قدميه حتى يأتي (شيلوه) ويكون له خضوع الشعوب». وفي ترجمة أخرى يقول هذا النص: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجله حتى يأتي (شيلون) وله يكون خضوع شعوب».

وقد قام القس المهتدى البروفيسور «عبد الأحد داود» (أستاذ اللاهوت، والرئيس السابق لكنيسة إرميا في إيران) بتفسير هذا النص وذلك في كتابه المعنون: «محمّد في الكتاب المقدّس» بفكّته مؤكداً أنّ: «محمّداً هو الشيلوه» لأنّ من معاني هذه الكلمة العبرية (Shiloh) هو صاحب الصولجان والملك، ومن معانيها: الهادئ المسالم، الوديع، الأمين؛ والصيغة الآرامية للكلمة هي [Shilya = شيليا] بمعنى الأمين؛ ورسولنا ﷺ عرف قبل بعثته الشريفة بلقب (الصادق الأمين).

2 - في سفر «تثنية» (18/15 - 20) جاء في خطاب منسوب إلى الله - تعالى - وموجه إلى عبده ورسوله موسى ﷺ ما ترجمته: «... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلّ ما أوصيه به. ويكون أنّ الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطلبه...».

3 - وجاء في نفس السفر (1/33) ما ترجمته: «... جاء الربّ من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم». وجبل (فاران) أو (پاران Paran) كما جاء في سفر «التكوين» (12/21) هو البرية التي هاجر إليها إسماعيل وأمّه، وإن أخطأ كتاب «العهد القديم» في نسبة تلك البرية إلى عدد من الأماكن المختلفة التي منها جنوب سيناء. كذلك جاء في شروح «العهد القديم» أنّ الاسم (فاران) أو (پاران) هو تعبير عن جبال مكّة. ومن من الأنبياء خرج من جبال مكّة إلّا سيّدنا محمّد ﷺ؟

4 - وجاء في المزمور الرابع والثمانون (84) من العهد القديم (1 - 6) على لسان داود ﷺ ما ترجمته: «طوبى لأناس عزَّهم بك، حَجَّ بيتك في قلوبهم عابرين في وادي بَكَّة يصيرونه ينبوعاً...» ولكن في الترجمة العربية للنص الإنجليزي تمَّ استبدال تعبير (حَجَّ بيتك) بتعبير (طرق بابك)، كما استبدل اسم (وادي بَكَّة) بـ(وادي البكاء) والفرق بين النَّصِّين لا يحتاج إلى تعليق، والهدف من التحريف غني عن التعليق!!

5 - وجاء في سفر (إشعيا: 4/11) وصف للرَّسول الخاتم بأنَّه «إنَّما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه أي: بلسانه) ويميت المناقق بنفخة شفثيه، لأنَّه سيرتدي البر، ويتمنطق بالأمانة». وهذه كلُّها من الصفات الثابتة لسيدنا محمَّد ﷺ في بعثته ومن قبل البعثة، خاصَّة وأنَّ سفر (إشعيا: 11) يصف هذا الرَّسول المنتظر بأنَّه من نسل «كدار» (Kedar) أو «قيدار» وهو الابن الثاني لإسماعيل كما جاء في سفر التكوين (13/25)، وقد سميت باسمه إحدى القبائل من سلالة إسماعيل ﷺ (A Clan of Ishmailites).

6 - كذلك تنبأ سفر «إشعيا» (13/21 - 17) بهجرة المصطفى ﷺ وجاء ذلك في النصِّ التالي: «وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر من بلاد العرب، تبيتين يا قوافل الددانيين. هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سَكَّان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنَّهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيوف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدَّة الحرب، فإنَّه هكذا قال لي السيد في مدَّة سنة كسنة الأجير يفني كلَّ مجد قيدار، وبقية عدد في أبطال بني «قيدار» لا تقل شيئاً لأنَّ الرِّب قد تكلم».

7 - وجاء في كتاب إدريس (أخنوخ) وصف للرَّسول الخاتم بأنَّه (الصادق).

8 - وجاء في سفر «رؤيا» من «العهد الجديد» (11/19، 15) ما ترجمته:

«ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمى راكبه باسم (الأمين الصادق)» وهو وصف المصطفى ﷺ من قبل بعثته الشريفة ومن بعدها.

9 - كذلك جاء في إنجيل «يوحنا» (276)، (14 - 1216) ما ترجمته: «لا تسعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية، والذي يعطيكم إياه ابن الإنسان، لأن هذا قد وضع الله ختمه عليه». ومن الثابت تاريخياً أن رسول الله ﷺ كان يحمل خاتم النبوة بين كتفيه، ولا نعلم نبياً آخر حمل مثل هذا الخاتم المعروف باسم «خاتم النبوة».

10 - كذلك جاء في إنجيل «يوحنا» الذي كتب باللغة اليونانية اسم (Paracletos) ويقول البروفسور «عبد الأحد داود» (أستاذ اللاهوت المسيحي بعد أن من الله - تعالى - عليه بالإسلام)، بأن هذه الصيغة غير معروفة في الأدب الإغريقي، ويبدو أنها حُرِّفت عن الأصل (Perialylos) التي تعني (أحمد) في معناها ومغزاها، وهي موافقة للفظة (حمدة) باللغة الآرامية والتي تحمل نفس المعنى.

ويضيف البروفيسور عبد الأحد داود في كتابه المعنون «محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى» ما نصّه: «ولو حافظ القديس جيروم، ومترجمو النسخة السبعينية قبله، على الصيغة العبرية لكلمة (حم ده) بدلاً من استخدام الكلمة اللاتينية (Cupiditas)، أو الكلمة الإغريقية (Euthymia)، لكان من المحتمل أن يحتفظ بها أيضاً مترجمو طبعة الملك جيمس الأوّل (للعهدين القديم والجديد) الذين أنجزوا الترجمة المجازة (Authorized Version)، ولاحتفظت بها أيضاً جمعية الإنجيل في الترجمات إلى اللغات الإسلامية».

من هذا الاستعراض الموجز يتّضح وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

ويتّضح هذا الوجه من أوجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة بصورة أشمل إذا علمنا بأنّ أصول كل ما نعلم من صور الوحي السابقة من أمثال (صحف إبراهيم)، (التوراة)، (الزبور)، و(الإنجيل) قد ضاعت بالكامل، فلا يدّعي أحد اليوم أنّه يملك أصول صحف إبراهيم، أو أصول أي من التوراة أو الزبور أو الإنجيل.

فأصول التوراة فقدت في زمن السبي البابلي، والأسفار الخمسة الموجودة اليوم في مقدمة «العهد القديم» قد أعيدت كتابتها من الذاكرة في زمن عزرا في حدود سنة 398 ق.م. (أي بعد حوالي ثمانية قرون من موت موسى ﷺ المقدر وقوعه في حدود سنة 1184 ق.م.). ثم بواسطة مجهولين أُضيفت أسفار كلّ من يشوع، والقضاة، والملوك، ثم أُضيفت أسفار كل من إشعيا، وإرميا، وحزقيال، بالإضافة إلى اثني عشر سفرًا من الأسفار الأخرى، ثم أُضيفت مجموعة تسمى باسم «المزامير»، وهي بالقطع محرّفة عند مزامير داود ﷺ التي ثبت فقدانها بالكامل.

وفي سنة 333 ق.م. غزت جيوش الإسكندر المقدوني أرض فلسطين وقضت الوثنيّات اليونانيّة القديمة على معتقدات الفلسطينيين. وفي حدود سنة 285 ق.م. تمّت الترجمة السبعينيّة للعهد القديم إلى اللّغة اليونانيّة، وهي لغة لم يتحدّثها موسى ﷺ ولا أي من أتباعه. وهذه الترجمة شابها الكثير من الأخطاء، والتحريف، والتزوير، والإضافة والحذف المقصود وغير المقصود، لأنّ كلّاً من المترجمين والنسّاخ كانوا يعتقدون أنّهم يدوّنون تراثاً شعبياً، وليس وحياً سماوياً.

وقد انتقد الآباء اليسوعيون ذلك في تقدمتهم للترجمة اليسوعيّة للعهد القديم والجديد (انظر كتاب دلائل التحريف للدكتور شريف سالم). وفي الفترة من 165 ق.م. إلى 135م تعرّضت مدينة القدس للغزو الروماني وللتدمير عدّة مرّات، وقام المحتلّون الرومان بإجبار اليهود على التحوّل إلى عدد من معتقداتهم الوثنيّة.

وبالنسبة «للعهد الجديد» فإنّه من الثابت تاريخياً أنّ مجمع نيقية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين (Constantine, 274-337 C.E) سنة 325م بعد تسعة عشر عاماً من تولّيه حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة (سنة 306م) هو الذي اختار الأناجيل الأربعة

المعتمدة اليوم عند المسيحيين من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً قدمت للمؤتمرين. ولم يتم هذا الاختيار وفق منهج علمي محدد، وإنما كان الضابط الوحيد في ذلك هو عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبناه القائمون على المجمع من عقائد اختلف عليها غالبية المؤتمرين. وبذلك كانت قوة سيف الرومان هي التي حسمت الخلاف لصالح من ذهب إلى الادعاء الخاطيء بألوهية المسيح ﷺ انطلاقاً من سيادة الفكر الوثني في كل من الحضارتين اليونانية والرومانية.

وقد كشف القرآن الكريم حقيقة تحريف كل من اليهود والنصارى لكتبهم، وكانت ردة الفعل عندهم إزالة كل إشارة تبشّر بمقدم الرسول الخاتم ﷺ من كتبهم، ولكن بقي الكثير الذي لم يفتنوا إليه، والذي أوردنا شيئاً منه في الأسطر السابقة.

بعض المقتطفات من العهدين القديم والجديد

dares to rouse him?

¹⁰The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

كَلْبَةٌ، فَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى إِثْرِهِ؟ "لَا يَزُولُ سَوْجَانُ الْمَلِكِ مِنْ بَنِي يَهُوذَا وَلَا مُشْرِعٌ مِنْ ضُلْبِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ شَيْئُهُ (وَمَمْنَتُهُ، مَنْ لَهُ الْأَمْرُ) قَطْبِيحُ الْكُفُوبِ.

سفر التكوين (10 / 49)

A Prophet Like Moses

¹⁵The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. ¹⁶For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."

¹⁷The LORD said to me: "What they say is good. ¹⁸I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him. ¹⁹If anyone does not listen to my words that the prophet speaks in my name, I myself will call him to account. ²⁰But a prophet who presumes to speak in my name anything I have not commanded him to say, or a prophet who speaks in the name of other gods, must be put to death."

الوهد بنبي بعد موسى
¹⁵سَيُزِيحُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَهُ تَسْمَعُونَ.
¹⁶الْقَدْرَ اسْتَجَبْتَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُ فِي حُورَيْبَ فِي يَوْمِ الْأَجْمَاعِ عِنْدَمَا قُلْتُمْ، لَا نَعْرِضُ نَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهُنَا، وَلَا نَرَى الْكِبْرَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا بَلْأَمْ نَمُوتُ ¹⁷قَالَ لِي الرَّبُّ، لَقَدْ أَصَلْتُمْ فِي مَا تَقُولُونَ. ¹⁸إِهْدَا أَيْمَنَ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلِكَ، وَأَضَعُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَخاطبهم بِكُلِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ. ¹⁹فَيَكُونُ أَنْ كَلَّمَ مَنْ نَفْسِي كَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي، فَإِنَّا أَحْسَبُهُ. ²⁰وَأَمَّا الْبَشِيرُ الَّذِي يَتَجَسَّرُ فَيُطِيقُ بِاسْمِي بِمَا لَمْ أَمُرْ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَوْ يَتَّبِعَ بِاسْمِ إِلَهٍ آخَرَ، فَهِنَّ حَتْمًا يَمُوتُ.

Deuteronomy 33

351 / ٣٥١

التب ٣٣

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. ²He said: "The LORD came from Sinai

موسى يبارك أسباط إسرائيل
 وَهَدِيهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى. وَجَلَّ
 ٣٣
 اللَّهُ. نَبِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ. أَقَالَ، أَقَالَ الرَّبُّ

سفر التثنية (1/33)

with his ears; ⁴but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. ⁵Righteousness will be his belt and

فَتَنَانَهُ، وَلَا يَحْكُمُ بِمُقْتَضَى مَا تَسْمَعُ اللَّذَّةُ. أَيْمًا تَقْبِي بِفِئْدِ
 فَمَسَاكِينٍ، وَيَحْكُمُ بِالْإِنْصَافِ لِجَيْبِي الْأَرْضِ. وَتَعْلَابُ الْأَرْضِ
 يَضِيبُ لِيهِ، وَجَمِيعُ الْمُنَاقِبِ بِقُوَّةِ شَفَتَيْهِ. لِأَنَّهُ سَيَرْتَدِي
 إِلَيْهِ وَيَتَمَطَّقُ بِالْأَمَانَةِ.

سفر إشعياء (4/11)

¹³An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, ¹⁴bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. ¹⁵They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. ¹⁶This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. ¹⁷The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

كَبُودَةٌ بِشَأْنِ شَيْءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، سَنِيَّتَيْنِ فِي صَحَارِي بِلَادِ
 الْعَرَبِ يَا قَوَائِلَ الدَّدَانِيِّينَ. فَأَجْلُوا يَا أَهْلَ تِمَاءَ الْمَاءِ
 الْفُطْلَانِ، وَأَسْتَقْبِلُوا الْهَارِبِينَ بِالْخُبْزِ. لِأَنَّكُمْ قَدْ فَرُّوا مِنْ
 لِسَابِ الْمَسْلُوقِ، وَالْفُوسِ الْمُنَوَّرِ، وَمِنْ وَطِيسِ الْمَعْرَكَةِ.
 لِأَنَّ هَذَا مَا قَالَهُ لِي الرَّبُّ، فِي غُضُونِ سَنَةٍ تَحَابِلَةٌ لِسَنَةِ
 الْأَجْرِ يَنْتَهِى كَمَلٌ تَجِدُ قِيدَارَ. ^{١٧} وَتَكُونُ بَقِيَّةُ الرُّمَاهِ، الْأَبْطَالِ مِنْ
 بَنِي قِيدَارَ، قَلِيلَةٌ. لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَكَلَّمَ.

سفر إشعياء (17 - 13/21)

Psalm 84,85

934 / ٩٣٤

المزامير ٨٤، ٨٥

Psalm 84

For the director of music. According to gittith.
Of the Sons of Korah.

A psalm.

How lovely is your dwelling place, O LORD Almighty! ²My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD; my heart and my flesh cry out for the living God. ³Even the sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young—a place near your altar, O LORD Almighty, my King and my God. ⁴Blessed are those who dwell in your house; they are ever praising you.

⁵Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. ⁶As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the autumn rains also cover it with pools.

⁷They go from strength to strength, till each appears before God in Zion. ⁸Hear my prayer, O LORD God Almighty; listen to me, O God of Jacob. ⁹Look upon our shield, O God; look with favor on your anointed one. ¹⁰Better is one day in your courts than a thousand elsewhere; I would rather be a doorkeeper in the house of my God than dwell in the tents of the wicked. ¹¹For the LORD God is a sun and shield; the LORD bestows favor and honor; no good thing does he withhold from those whose walk is blameless.

¹²O LORD Almighty, blessed is the man who trusts in you.

المزمور الرابع والثمانون
لقائد المنيدين على الجثث
مزمور لبني كورح

أما أحلى مساكنك تبارك الجؤودا تشوق قلبى نفسى إلى ديار الرب. قلبى وجنسى يترنجان بفرح لإله الحي. النفسون أتمسا وجد له وكرا، وألتسانة عثرت لنفسها على عش ترضع فيه فراخها. يجوار مدايحك تبارك الجؤود. ناملكي ظهوى. طوى لمن يسكنون في بيتك. فإنهم يستعجبونك كلينا.

طوى لأدمى أنت قوتهم. المظلمون ألتبع طريقك المظلمة إلى بيتك المقدس. وإذا تغردون في وادي البكاء الجمل. يخلقونه نايح ماء. وتضربكم المنظر العريرى بالبركات. يمشون من قوتى إلى قوتى. إذ ينزل كل واحد أمام الله في صهيون. تبارك إله الجؤود لتسمع صلواتي. وأضح إني نائلة بظلمة. بالله جملتك. انظر بعين الكرمذ إلى من تسحقه ملكا. إن يوما واجدا أفسوه كاجل فيبارك خبز من القوت يوم خبزها. الحقت أن أكون بؤوبا في بيت إلهي على السكني في جنام الأشرار. لأن الرب الإله شمس وتؤمن. الرب يطيح بهيمة وتجدد. لا يمنع أي خفر عن السلكين بالانطاعة. تبارك الجؤود. طوى للإنسان المتكلم عليك.

سفر المزامير: المزمور رقم 84

Capture of the Beast and the False Prophet

¹¹I saw heaven standing open and there before me was a white horse, whose rider is called Faithful and True. With justice he judges and makes war. ¹²His eyes are like blazing fire, and on his head are many crowns. He has a name written on him that no one knows but he himself. ¹³He is dressed in a robe dipped in blood, and his name is the Word of God. ¹⁴The armies of heaven were following him, riding on white horses and dressed in fine linen, white and clean. ¹⁵Out of his mouth comes a sharp sword with which to strike down the nations. "He will rule them with an iron scepter." He treads the winepress of the fury of the wrath of God Almighty. ¹⁶On his robe and on his thigh he has this name written: KING OF KINGS AND LORD OF LORDS.

القبض على الوحش والنبى الدجال

للم زانت السماء مفتوحة. وإذا حصان أبيض يسمى راكبه الأمين الصادق. الذي يقضي ويحارب بالعدل. عيناه كلهيب نار. وعلى رأسه أكابيل كثيرة. وقد كتب على جبهته اسم لا يعرفه أحد إلا هو. وكان يرتدي ثوبا مغمسا بالدم. أما اسمه فهو كلمة الله. وكان الأجناد الذين في أسمائه يتحولون راكبين خيولا بيضاء. ولايسين كقفا نقيبا ناصع البياض. وكان يخرج من فيه سيف حاد ليضرب به الأمم ويحكمهم بعضا من حينه. ويدوسهم في مضغرة سبله غضب الله القادر على كل شيء. وقد كتب على ثوبه وعلى فخذه. ملك الملوك ورب الأرباب.

سادس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الأخدود

على الرغم من الكشف الأثري للأخدود الذي قام أحد جبابرة اليمن القدماء (وكان اسمه «ذو نواس») بحرق عدد من مؤمني أهل نجران فيه وهم أحياء، وعلى الرغم من وجود بقايا هياكل المحروقين في هذا الأخدود الواقع في إحدى مناطق محافظة نجران تعرف باسم «القابل» وتقع إلى الجنوب من وادي نجران الحالي، (في الجنوب الغربي من أرض المملكة العربية السعودية)، فإن كثيراً من المؤرخين المعاصرين لا يذكرون تلك الواقعة في مدوناتهم. من هنا فإن إثبات كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لهذه الواقعة يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذين المصدرين الرئيسيين للإسلام العظيم.

77 - ﴿قِيلَ اصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: 4].

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في مطلع سورة «البروج»، وهي سورة مكية، وآياتها اثنتان وعشرون (22) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لاستهلالها بقسم من الله - تعالى - يقول فيه: ﴿وَأَلَسْنَا بِذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: 1].

ويدور المحور الرئيس لهذه السورة المباركة حول قضية العقيدة الإسلامية، شأنها في ذلك شأن كلّ السور المكية. وتركز سورة «البروج» على «حادثة أصحاب الأخدود» كنموذج لتجبر أهل الباطل على أهل الحق، ولثبات أهل الحق على إيمانهم بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد. وثبات المؤمنين بالله

لا يتزعزع مهما بلغت فتن الباطل وأهله. وذلك انطلاقاً من اليقين الراسخ بأن خالق الخلق، وموجد الوجود كله، هو ربّ هذا الكون ومليكه، وأنه لا سلطان لمخلوق بجوار سلطان الله العزيز الحميد. وقد أقسم ربنا - تبارك اسمه - بعظيم قدرته، وبطلاقة إرادته على معاينة كل من يؤذي عبداً من عباده الموحدين، وهذا القسم الإلهي المطلق يشمل كلاً من الزمان والمكان إلى قيام الساعة.

حادثة أصحاب الأخدود

أولاً: رواية رسول الله ﷺ للواقعة:

أخرج الإمام مسلم عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إنني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك (راهب) فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مرّاً بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنما ستبلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع به جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال الغلام: إنني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله - تعالى -، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن بالله، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي، قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربّي وربك الله،

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دَلَّ على الغلام. فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إنني لا أشفي أحداً، إنمَّا يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دَلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقَّاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال الغلام: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلَّا فاقدفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ماذا فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال الملك: وما هو؟ قال الغلام: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله، ربَّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الملك الناس في صعيد واحد، وصلب الغلام على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله، ربَّ الغلام، ثم رماه فوضع السهم في صدغه. وضع الغلام يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برَبِّ الغلام، آمناً برَبِّ الغلام، آمناً برَبِّ الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرايت ما كنت تحذر؟ قد، بالله! نزل بك حذرک، قد آمن الناس. فأمر الملك بالأخدود بأفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه! اصبري، فإنك

على الحق»⁽¹⁾.

ثانياً: رواية المؤرخين عن الواقعة:

تروي لنا كتب التاريخ أنه في القرن السادس الميلادي حكم بلاد اليمن أحد ملوك «حُمَيْر» وكان اسمه «ذو نواس»، وكان كافراً مشركاً، متجبّراً متغطرساً، وإن نسب نفسه إلى الديانة اليهودية. وكان من شدة عدوانيته أنه أراد إكراه الناس من حوله على اعتناق دينه المحرف، والقائم على عبادته هو من دون الله الخالق البارئ المصور. واليهودية بعد أن تمّ تحريفها بأيدي حاخاماتها قامت على العنصرية المقيتة التي لا تقبل أحداً من غير الأصول اليهودية التي يعتقدون بعلوها فوق غيرها من الأعراق، انطلاقاً من دعواهم الكاذبة بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأبناء الله وأحباؤه، وأن باقي البشر عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة آدمية حتى يكونوا لاثقين للقيام بخدمة اليهود!!

وانطلاقاً من عدوانية «ذي نواس» مدعي اليهودية، فإنه قام بشنّ عدد من الحروب على جيرانه، وكان من أبرز هؤلاء الجيران زعيم باسم «ذي الشنائر» انتصر عليه «ذو نواس» وقتله، وبالتالي وطد ملكه في صنعاء، وفرض معتقداته المحرفة على كل اليمن. وبعد فترة من الزمن بلغه أن دين التوحيد الذي دعا إليه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ﷺ قد وصل إلى أهل نجران، وأمن به غالبية الناس حتى من كان منهم من قبل على دين اليهود. وعلى إثر هذا الخبر قرر «ذو نواس» أن ينكل بالذين آمنوا تنكيلاً شديداً حتى ينفضوا عن إيمانهم بالله - تعالى - ويعودوا إلى معتقداته المحرفة. وبالفعل جهز جيشاً جراراً، وخرج على رأسه إلى (نجران) فحاصرها حصاراً شديداً حتى استسلم أهلها، فأرعبهم بقواته التي استباححت الأرض ومن عليها. ثم جمع زعماء المدينة وخيرهم بين الردة عن

(1) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، حديث رقم (7436)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (3340).

الإيمان بالله أو القتل حرقاً بالنيران. رفض غالبية المؤمنين أن يرتدوا إلى الشرك بالله - تعالى - بعد أن منَّ اللهُ - تعالى - عليهم بنعمة توحيده. عندئذ أمر «ذو نواس» بحفر أخدود عميق على هيئة حفرة مستطيلة كبيرة مُلئت بالحطب وأُضرمت فيها النيران حتى تأججت. ثم جاء هذا الطاغية الكافر، مدعي اليهودية، وزبانيته من الحاشية والجنود، وجلسوا على حافة هذا الأخدود المتأجج بالنيران، ثم نودي على كل مؤمن ومؤمنة، لِيَسْأَوْمُوا كُلَّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ، ومن يرفض يُلقى وسط النيران حياً ليموت أمام تهليل وضحكات هذا الملك الطاغية وزبانيته، وتَسْفِيهِمْ بِإِحْرَاقِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْمَاقِ الْأَخْدُودِ بِالنِّيرانِ، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ ۝٣ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

[البروج: 1 - 9].

والآيات تثبت اللعنات والطرده من رحمة الله على أصحاب الأخدود (وهم «ذو نواس» وزبانيته)، وجواب القسم محذوف وتقديره: إنَّ كَفَّارَ وَمَشْرِكِي قَرِيشٍ سَوْفَ تَلْحَقُهُمْ لَعْنَةُ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، وذلك لتشابه مواقفهم من الحق وأهله.

وبعد هذه الجريمة البشعة التي اقترفها «ذو نواس» وزبانيته سلط الله - تعالى - عليهم جيشاً حبشياً بقيادة «أبرهة الأشرم» الذي غزا اليمن انتقاماً لما تعرَّض له أهل نجران من ظلم جائر. استمرَّت الحرب بين الأحباس واليمنيين عامين كاملين، ولَمَّا يئس «ذو نواس» من تحقيق أي قدر من النصر نزل بجواده إلى البحر الأحمر منتحراً غارقاً كي لا يقع في الأسر بأيدي أعدائه، وهو يهرب من قدر الله إلى قدر الله ﷻ.

بعد انتصار «أبرهة الأشرم» على «ذي نواس» وجنده قام يحكم اليمن باسم ملك الحبشة، وبنى بها عدداً من الكنائس كان أهمها «القليس» بصنعاء، كما قام

بترميم سدّ مأرب بعد أن كان قد تصدع. كما قام بمحاولة فاشلة لغزو مكة المكرمة من أجل هدم الكعبة المشرفة على أمل تحويل أنظار العرب وأموالهم إلى الأسواق التجارية في صنعاء، وإلى الكنيسة التي بناها فيها وسماها باسم «القليس».

ثالثاً: رواية الآثاريين عن الواقعة:

يقول الآثاريون إنّ الأخدود منطقة أثرية مهمة تقع في محافظة «نجران» في قرية تعرف باسم «القابل» إلى الجنوب من وادي نجران، وإنّ عظام ورماد الذين أحرقوا على أيدي «ذي نواس» من عباد الله المؤمنين لا تزال موجودة في هذا الأخدود حتى اليوم شاهدة على صدق الواقعة. ومن الثابت أنّ الإسلام كان قد وصل إلى أهل اليمن على زمن عبد الله وبنيه سليمان عليهما السلام الذي عاش في الفترة من (985 إلى 932 ق.م) وكان حكمه في الفترة من (969 إلى 932 ق.م).

كذلك تدلّ دراسة الآثار في بقايا «مملكة سبأ» بجنوب اليمن على وجود ذكر للملكة بلقيس (1000 - 950 ق.م) التي حكمت تلك المملكة وسافرت إلى مدينة القدس عن طريق مدينة العقبة (آيلة)، وذلك للقاء عبد الله وبنيه سليمان عليهما السلام الذي أسلمت على يديه كما جاء في القرآن الكريم الذي يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى - على لسان هدهد سليمان ما نصه: ﴿فَمَكَكَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٍ إِيَّاهُ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٢﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٤﴾ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٢٥﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٦﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّهُ أُفَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ٢٧﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢٨﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَا يَسْتَلُونَ ٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ٣٠﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوؤُا قُوَّةٍ

وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ فَتَرْحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفِيْتُ مِنَ الْمَلِئِنَ أَنَا ءَايَتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايَتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِينَ أَمْ تُكُونُ مِن الدِّينِ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا أَلَعَلَّ مِن قِبَلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[النمل: 22 - 44].

وبناء على إسلام «ملكة سبأ» آمن شعبها بالله الخالق البارئ المصور، وانتشر التوحيد في أرض اليمن بعد أن كان أهلها يعبدون الشمس من دون الله. وكانت «مملكة سبأ» تمثل واحدة من أقدم الممالك العربية اليمنية. وجاء ذكر الملكة بلقيس في بعض النقوش التي خلفها الملك سرجون ملك آشور (720 - 705 ق.م)، كما جاء ذكر عاصمة ملكها «مأرب» في تلك النقوش.

وكانت صلة «ملكة سبأ» بعبد الله ونبيه سليمان ﷺ سبباً في عودة التوحيد إلى شبه الجزيرة العربية من جديد، بعد أن كان أهلها قد انحرفوا عن ملة كل من أنبياء الله «نوح» و«هود» و«صالح» و«إبراهيم» وولده «إسماعيل» ﷺ، ولذلك عبدوا الأصنام والأوثان والنجوم والكواكب وغيرها، وركز أهل اليمن على عبادة الشمس.

من هنا أيضاً شاع التوحيد الذي دعا إليه كل من أنبياء الله موسى وهارون،

وداود، وسليمان في عدد من الجيوب التي انتشرت على أطراف الجزيرة العربيّة، وكان من أهمّها كل من مصر وبلاد الشام وأرض اليمن. كذلك يذكر بأنّ اثنين من أبناء عبد الله ونبيه سليمان قد حملا دين الله إلى بلاد الحبشة، ومن هنا كانت صلة الأحباش بأهل اليمن. وكان «ملوك الدولة الحميرية» في اليمن على الإسلام، الذي جاء به كل من موسى وأخيه هارون، وكان ملوك حمير يعرفون باسم (التبابعة) لأنّ اللقب (تبع) كان يطلق على كل ملك من ملوكهم، وكان أولّ التبابعة هو حسان بن أسعد بن أبي كرب الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، وجعل كلاً من مأرب (حيث السدّ المشهور) وظفار عاصمتين لملكه، وينسب إليه أنّه كان أولّ من أمر بكسوة الكعبة المشرفة. وكطبيعة كل دعوات الأنبياء فإنّ دعوة الإسلام في اليمن مرّت بدورات من الإيمان والتوحيد، والالتزام بمنهج الله، ثم الانحراف عن هذا المنهج. فبعد اليمينيون الشمس في إحدى دورات الانحسار للتدين التي عاشوها.

هذا الاستعراض يؤكّد على صدق الإشارة القرآنيّة إلى «أصحاب الأخدود»، وثابت تاريخاً أنّ رسول الله لم يزر منطقة «نجران» أبداً، فضلاً عن أنّ أحداً من معاصريه لم يكن يعلم بتفاصيل قصة «أصحاب الأخدود»، وورودها في كلّ من كتاب الله وسنة رسوله هو صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الكتاب والسنة، تشهد بأنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشريّة، كما تشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

سابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف

هناك إشارات صريحة في التراث الإنساني إلى قصة «أهل الكهف»، وسمى القرآن الكريم إحدى سورته باسم سورة «الكهف»، وقد تم اكتشاف موقع هذا الكهف بما وصفه به القرآن الكريم في هذه السورة البارة. على الرغم من ذلك كله. فإن كثيراً من الدهريين المعاصرين ينكرون الواقعة بالكامل. ومن هنا فإن تأكيد القرآن الكريم لوقوع حادثة أهل الكهف يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

80 - ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ [الكهف: 9].

في ذكر قصة «أصحاب الكهف» يقول القرآن الكريم مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبِّئَهُمْ أَيُّ الْعَزِيزِينَ أَحْسَنُ لِمَا لَيْسُوا أَمدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ﴿١٤﴾ هُنَّوَلَاءَ قَوْمًا ءَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ءِافْتَرَى عَلَى ءِلٰهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ ءَاعَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ءِإِلَّا ءِلٰهًا فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ ءَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُّرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا

عَرَبَتْ نَفْسُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَحَسَبِهِمْ آيْفَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَقَلْبَهُمْ ذَاتَ اليمينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِهِمْ لِيَسْأَلُوهُنَّ بَيْنَهُمْ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِرِ إِي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادِّكُرْ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِئْسَ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا شَعًا ﴿٢٥﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ لَمْ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَمْ يَنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

[الكهف: 9 - 26].

ثانياً: اكتشاف كهف الفتية:

في خريف سنة 1953م تمَّ تحديد موقع كهف الفتية في قرية الرقيب (الرقيب)، بالقرب من مدينة عمان - المملكة الأردنية الهاشمية. ووجد أن باب هذا الكهف يتَّجه إلى الجنوب الشرقي في اتجاه القبلة تماماً، كما حددته الآيات في سورة الكهف، وعلى جانبيه عمودان منحوتان في الصخر يحملان نقوشاً بيزنطية. وقد بدأت عمليات الكشف عن الكهف في منتصف سنة 1963م، وتمَّت الموافقة على إعمار مسجد بجواره في سنة 1970م، ويعرف هذا المسجد اليوم باسم «مسجد الكهف».

ثالثاً: أهل الكهف في المصادر المسيحية:

ورد لقصة «أهل الكهف» ذكر في بعض المصادر المسيحية القديمة تحت عنوان «النائمون السبعة»، ولكن المصادر اليهودية لم تذكر شيئاً عن تلك لقصة.

وكان أوّل من أشار إلى تلك القصة من المسيحيين هو الكاهن العراقي «جيمس الساروغي أو الساروجي» (452م - 518م) (James of Sarus = Jacques de Saroug) الذي عاش بمقاطعة «ساروغ (ساروج)» في العراق، وكتب القصة شعراً باللّغة السريانيّة دون إشارة إلى المصدر الذي استقاها عنه. ثم قام بنقل هذه القصة عن قصيدة جيمس الساروغي إلى اللّغة اللاتينيّة «القس جريجوري» أسقف مدينة تور الفرنسية في القرن السادس الميلادي.

وكان «الساروغي» هذا قد عاصر الإمبراطور جاستين الأوّل (Justin) (452 - 527) الذي حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة في الفترة من (518 - 527م). ويعتقد الساروغي بأنّ أصحاب الكهف أفاقوا من سباتهم في زمانه، أو قبل زمانه بقليل، وأنه قد تمّ العثور عليهم، ثم ماتوا وبنيت غرفة العبادة (المسجد) فوق الكهف لوجود نقود صكت باسمه عند قواعد تلك الغرفة. ولكن الغالب أن يقظة أهل الكهف قد تمت في عهد الإمبراطور الروماني «ثيودوسيوس الثاني» (Theodosius-II) الذي حكم في الفترة من (408 - 450م) لأنه إذا كان الإمبراطور تراجان (Trajan) قد بدأ في اضطهاد النصارى سنة (112م)، وأن الفتية كانوا قد لبثوا في كهفهم (300) سنة شمسية، فهذا يعني أن الله - تعالى - قد أيقظهم في حدود سنة (412م) التي تقع في خلال حكم ثيودوسيوس الثاني. وقد تمّ نقل هذه القصة بعد ذلك من السريانيّة إلى العديد من اللّغات التي كانت منها اليونانيّة، واللاتينيّة، والحشيّة، والهنديّة، والفارسيّة، والعربيّة.

رابعاً: أهل الكهف في التراث الحديث:

في كل من موسوعته المعنونة «تاريخ انحطاط وسقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة» (The history of the decline and fall of the Roman Empire (vol.1; 176-178)، ثم في كتابه المعنون «الصراع بين الإيمان والمادية» ذكر المؤرّخ الإنجليزي «إدوارد جيبون» الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي (Edward Gibbon 1737-1794) قصة «النيام السبعة»، معتبراً إيّاها من الخرافات الإغريقيّة، ومدّعياً أنّ القرآن الكريم قد صاغها بأسلوب شيق!! وذلك وللأسف الشديد فإنّ معظم الذين تناولوا هذه

الواقعة من الكتاب الغربيين قد تابعوا «إدوارد جيون» في مزاعمه، وكان منهم المستشرق الفرنسي «ماسينيو» (L.Massignon, 1883-1962)، وقد زعموا بأن الكهف يقع في بلدة إفسوس (Ephesus) بإقليم الأناضول التركي دون أدنى أدلة تاريخية أو دينية على ذلك. كما اقترح غيرهم وجود كهف الفتية بمدينة «طرطوس» في شمال سوريا.

ويعلم هؤلاء الكتاب الغربيون أنّ واقعة «أهل الكهف» كانت بعد زمن المسيح ﷺ، وبما أنهم لم يؤمنوا ببعثة الرسول الخاتم ﷺ فإنهم لا يملكون خبر السماء عن واقعة أهل الكهف. وكل ما عندهم من أخبار تناقلها الناس شفاهاً عن هذه الواقعة بأقوال متضاربة كثيراً فيما بينها، ولذلك أخطأوا في تحديد مكان الكهف، وجعلوه في «إفسوس» باعتبار أنّها كانت مركزاً للدعوة المسيحية، بعد أن كانت من قبل مركزاً من مراكز الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام.

ومما يؤكّد صدق هذه الواقعة تاريخياً أنّ لفظتي (الكهف) و(الرقيم) كانتا تترددان على ألسنة قدامى الشعراء العرب من أمثال «أمية بن أبي الصلت». كذلك فإنّ الصحابي الجليل «عبادة بن الصامت» ذكر أنه زار «كهف الرقيم» على طريق القوافل بين الحجاز وبلاد الشام، وهو في طريقه إلى ملك الروم، من أجل دعوته إلى الإسلام في زمن الخليفة الأول سيّدنا أبي بكر الصديق ﷺ. وليس هذا فقط، بل إنّ موقع «كهف الرقيم» كان معروفاً لدى المسلمين الأوائل، فقد ذكره كلّ من «المقدسي» في كتابه المعنون «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، و«ياقوت الحموي» في كتابه المعنون «معجم البلدان»، كما زاره الأمير «أسامة بن منقذ» أحد قواد البطل «صلاح الدين الأيوبي».

كذلك كان ممن زاروا موقع «كهف الرقيم» (الرجيب) من الغربيين كلّ من المستشرق الفرنسي «تشارل كليرمونت - جانو» (C. Clermont-Ganneau) الذي عاش في الفترة من (1846 - 1923م) وكان قنصلاً لفرنسا في مدينة القدس في زمن الخلافة العثمانية. كما زاره مندوبان من الجمعية الأثرية البريطانية التي عرفت

باسم «صندوق التنقيب الفلسطيني» (Palestine Exploration Fund) والتي نشرت كتاباً في سنة 1882م بعنوان «مساحة شرق فلسطين». وزاره من الغربيين كذلك الفرنسي «إيزوبيل فيستير» (Isobel Fistere) ونشر مقالاً مفصلاً عنه في إحدى المجلات الإنجليزية ذكر فيه الدراسات العلمية التي تؤكد الوصف القرآني لأهل الكهف.

وزار «كهف الرقيم» كذلك الأمريكي «هوج نبلي» أستاذ الدين والآثار (بجامعة يانج برجهام) والذي نشر بحثاً وافياً عن موقع الكهف، وأكد أنه هو الكهف المقصود في المصادر الإسلامية والمسيحية (وليس كهف إفسوس). وذكر «هوج نبلي» أن أصحاب الكهف عاشوا في أواخر القرن الميلادي الأول وبداية القرن الثاني، وأنهم هربوا بدينهم والتجأوا إلى البلقاء في الأردن، وذلك لأن الإمبراطور الروماني «تراجان» (Trajan) الذي حكم في الفترة من (98 - 117م) كان قد أصدر في سنة (112م) مرسوماً يقضي بإدانة كل نصراني لا يقدم القرابين للأصنام التي كان يعبدها، ويقوم بالسجود لها. ولما كان هؤلاء الفتية قد رفضوا الشرك بالله فإنهم فرّوا بدينهم إلى «كهف الرقيم». ويؤكد ذلك ما عُثر عليه من النقود البيزنطية في كهف الفتية بالرقيم، والتي أكد دارسوها أنها من عهد الإمبراطور «تراجان» الذي كان قد غزا أرض الأردن في حدود سنة (106م)، وبنى المدرج الروماني الموجود بقاياها في وسط عمان إلى اليوم. وكان «تراجان» قد ملأ هذا المدرج الروماني بالأصنام التي كان هو وأتباعه يعبدونها من دون الله، وقد وجدت بقايا كثيرة لها في هذا المدرج.

وكان الإمبراطور «تراجان» يقضي بالموت على كل من يرفض عبادته الوثنية، وكان أتباع المسيح ﷺ يُلاحقون ويُقتلون طيلة فترة حكمه، وكان هؤلاء الفتية من أخلصهم إيماناً بالله - تعالى - ويقيناً في وحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه، ففروا بدينهم إلى الكهف هروباً من طغيان هذا الإمبراطور الوثني الجائر.

وقد أورد عدد من المؤرخين أن (تراجان) هذا كان طاغية مفسداً في

الأرض، وكان يصب جام غضبه على نصارى عصره الذين عدهم من الخونة المارقين من عقيدته، الخارجين على حكمه ولذلك شدّد من وطأته عليهم فخاف منه النصارى وتكتموا أمر دينهم وكان من هؤلاء فتية الكهف.

وبعد هذا الطغيان شاءت إرادة الله - تعالى - أن يخفف من مطاردة عبدة الأصنام والأوثان للمؤمنين من أتباع المسيح ﷺ، فتحول الإمبراطور الروماني «قسطنطين الأول» (Constantine-1) من الوثنية إلى المسيحية في (سنة 313م)، ودعا إلى مؤتمر نيقية سنة (325م) وتوفي سنة (337م). ثم خلفه من بعده ابنه «قسطنطين الثاني» (Constantine-2) الذي قتل في سنة (340م). وظل حكم الإمبراطورية الرومانية ينتقل من حاكم إلى آخر حتى جاء عهد الإمبراطور «ثيودوسيوس الثاني» (Theodosius) الذي حكم في الفترة من (408 - 450م) ويعتقد أنّ فتية الكهف فاقوا من نومهم في عهده. وكان في بعثهم ما يؤكد أن الله - تعالى - قادر على تحقيق البعث، وقضية البعث كانت ولا تزال محل شكوك المتشككين، ورفض الملاحدة الكافرين. وشاءت إرادة الله - تعالى - أن يفيق هؤلاء الفتية ليؤكد بذلك الحدث أيضاً على منازل المؤمنين الذين يؤثرون الهجرة بدينهم على الرضوخ لجور الحكام الظالمين.

خامساً: وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

جاء الوصف القرآني لقصّة «أصحاب الكهف» على نسق كل القصص القرآني بدون تفاصيل الأسماء، والأماكن، والتواريخ، وذلك من أجل التركيز على استخلاص الدروس والعبر المستفادة منها. وجاءت الكشوف الأثرية لتؤكد صدق القرآن الكريم في كلّ ما جاء به. فالكهف المكتشف يقع في منطقة «الرقيم» (وليس في إفسوس) ولا في غيرها من الأماكن التي تم إقترحها. والفتية كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (ولم يكونوا أكثر أو أقل)، وإنّ فترة مكثهم في الكهف كانت ثلاثمائة سنة شمسيّة (وهي تساوي ثلاثمائة وتسعاً من السنوات القمرية). كذلك فإنّ مسجداً كان قد بني فوق الكهف بعد وفاة هؤلاء الفتية ودفنهم في الكهف الذي تتجه فتحته في الاتجاه الجنوبي الشرقي (أي في اتجاه القبلة إلى الكعبة المشرفة

تماماً). وورود تلك التفاصيل في القرآن الكريم بهذه الدقة الفائقة يمثل جانباً من جوانب الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، مما يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

وانطلاقاً من التوجه المادي البحت للحضارة المعاصرة أنكر كثير من الدهريين المعاصرين واقعة «أصحاب الكهف» فيما أنكروا من معجزات جميع الأنبياء، وذلك لتصويرهم أنه ليس في الإمكان إبقاء جسد حي في حالة السبات العميق لمدة ثلاثمائة سنة شمسية ثم إيقاظه حياً. ويظل هذا الزعم أن الأطباء المعاصرون - بإمكاناتهم المحدودة - قد تمكنوا من حفظ عدد من أعضاء جسد الإنسان بالتبريد البطني (وذلك من مثل القلب، الكبد، الكلى، قرنية العين، والدم، وغيرها) وذلك بعملية تسمى عملية وقف الاستقلاب (Metabolic Inhibition). وفي هذه العملية يتم إيقاف عمليات الهدم والبناء للخلايا والأنسجة بالتبريد التدريجي. كذلك أمكن تعريض جسد الإنسان للتبريد التدريجي إلى درجات حرارة منخفضة حتى يتجمد بالكامل دون إحداث ضرر بأي من خلاياه أو أنسجته أو أجهزته فيصبح شبيهاً بالميت. ثم بتدفئة هذا الجسد المتجمد، وذلك برفع درجة حرارته بالتدريج عاد إلى حالته الحية. وقد تعلم العلماء ذلك من حالات أعداد من البشر الذين دفنوا تحت الجليد لعدة أيام، وبالتدفئة التدريجية عادوا إلى الحياة بإذن الله. وإذا كان الأمر قد أصبح اليوم بمقدور الإنسان، فهل يعجز خالق الإنسان عن تحقيقه؟

وحفظ الله - تعالى - لأجساد «أصحاب الكهف» من التحلل على مدى ثلاثمائة من السنين الشمسية (= ثلاثمائة وتسعاً من السنين القمرية)، ثم إيقاظهم من سباتهم الطويل بقدرته فيه شبه من عودة الأجساد المتجمدة إلى الحياة بواسطة التدفئة التدريجية، (مع الفارق الهائل بين قدرات المخلوقين وقدرات خالقهم). ويبقى من الدقة القرآنية الفائقة تحديد فتحة الكهف بأنها في اتجاه القبلة، حتى لا يختلط الأمر على الناس، فيرجف المرجفون باقتراح عدد من الكهوف غيره من مثل كهف «إفسوس» في تركيا، أو كهف «طرطوس» في شمال سوريا، ومن أجل ذلك قال

ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

[الكهف: 17].

وهذا الوصف القرآني الدقيق يحدد فتحة الكهف في اتجاه الجنوب الشرقي، وهو اتجاه القبلة لأهل قرية «الرقيم». ومن الدقة القرآنية الفائقة كذلك الإشارة إلى العثور على هؤلاء الفتية المؤمنين بعد بعثهم من رقادهم، ثم وفاتهم، وقد تحقق ذلك بالفعل. ثم الإشارة إلى المسجد الذي بني فوق الكهف وقد تم اكتشافه وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - :

﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

[الكهف: 21].

وقد تم اكتشاف هذا المسجد فوق الكهف مباشرة بعد إزالة الردم والأنقاض التي كانت قد تجمعت عليه، وهو مقام على سبعة أعمدة رومانية ما زالت بقاياها قائمة إلى اليوم.

هذه الحقائق منفردة ومجموعة هي من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، التي تشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما تشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومتلقياً هذا العلم من عند رب العالمين، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبع هداة ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

81 - ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ

لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ

سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ [الكهف: 10، 11].

هاتان الآيتان القرآنيّتان الكريمتان تتحدّثان عن إحدى الوقائع التاريخيّة الهامّة ألا وهي واقعة «أصحاب الكهف» الذين فروا بدينهم من أحد الحكام الجائرين فلجأوا إلى أحد الكهوف في إحدى البراري المجاورة لمدينتهم، واختبأوا فيه، فأنامهم الله - تعالى - إنامة ثقيلة، ثم أيقظهم بعد ثلاثمائة سنة شمسية (= ثلاثمائة وتسع من السنين القمرية). وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلِئَلَّا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: 25]، وقد أيقظهم الله - تعالى - من سباتهم الطويل بمعجزة تشهد له - سبحانه - بالقدرة على البعث، كما تشهد له برعايته لعباده الصالحين في كلّ زمان ومكان.

وقد اختلف المفسّرون في هوية «أصحاب الكهف»، ولكن الغالب أنّهم كانوا من أتباع عبد الله ونبيه عيسى ابن مريم ﷺ، وأنّهم عاشوا على أرض فلسطين في ظلّ احتلال الإمبراطور الروماني الطاغية «تراجان» الذي حكم الإمبراطوريّة الرومانيّة في الفترة (من 98م إلى 117م)، واحتل أرض فلسطين سنة 106م، وأجبر أهلها على عبادة الأصنام، وأصدر في سنة (112م) مرسوماً يقضي بإدانة كل نصراني لا يقدّم القرابين للأصنام التي كان يعبدها هو وحاشيته وزبانيته. لذلك طارد «تراجان» أتباع السيد المسيح ﷺ، فقتل منهم من قتل، وشرّد من شرّد. و«أصحاب الكهف» كانوا ممّن قرّب دينه من جور هذا الحاكم الطاغية فأنزل الله - تعالى - عليهم معجزة من عنده، فناموا نوماً عميقاً لثلاثمائة وتسع من السنين القمرية. ثم بعثهم الله - تعالى - من نومهم هذا في عهد الإمبراطور (ثيودوسيوس) في الفترة الواقعة بين (408م و450م)، ويؤكد ذلك النقود البيزنطيّة التي وجدت

في كهف الأردن المعروف باسم كهف «الرجيب» بالعامية، وأصلها «الرقيم» كما سمّاه القرآن الكريم، والذي اكتشف في صحراء البلقاء على بعد بضعة كيلومترات من مدينة عمان في سنة 1953م.

العلاقة بين الضرب على الأذان والاستغراق في النوم العميق:

بعد استعراضنا للذين كتبوا عن قصة أهل الكهف، بين مثبت للواقعة ومُكذّب لها، نوجز هنا توضيح العلاقة بين الضرب على الأذان والاستغراق في سبات عميق، وإن كان الأمر قد تمّ بمعجزة إلهية، والمعجزات لا تَعْلَل. ونصّ الآية القرآنية الكريمة رقم (11) في سورة «الكهف» يشير إلى علاقة ما بين الضرب على الأذان والاستغراق في النوم العميق، قال عنها بعض المفسرين القدماء أنها حالة من الإغماء الطويل، ولكن الإغماء العادي إذا طال دون عناية مركّزة يفضي حتماً إلى الوفاة.

وقال البعض الآخر: **إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى -** قد حجب عن كلّ منهم وظيفة السمع ليناموا، وإن كان الظاهر أنه ﷺ قد أوقف وظيفة السمع ضمن إيقاف جميع وظائف الجسم الأخرى. فأذانبهم لا يسمعون بها رغم كونها موجودة، وعيونهم لا يبصرون بها رغم كونها مفتوحة، وعضلاتهم لا يستعملونها رغم كونها سليمة، ولذلك قال تعالى: **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾** **﴿١٠﴾** فَضْرَبْنَا عَلَیْهِمْ ءَاذَانَهُمْ فِی الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا **﴿١١﴾** ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا **﴿١٢﴾**

[الكهف: 10 - 12].

ثم قال - عزّ من قائل -: **﴿وَحَسَبْنَاهُم مِّنْكُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾** **﴿١٨﴾**

[الكهف: 18].

النوم من ضرورات الوجود لكل كائن حي:

في شرح دلالة هذه الآيات نقول أنّ الإنسان ينفق ثلث عمره في النوم،

والنوم هو ضرورة من ضرورات الوجود للكائن الحي، لأنَّ خلاله يتعرَّض الجسم - بصفة عامَّة - والمخ - بصفة خاصَّة - إلى سلسلة من التغيرات الأساسية التي تجعله مغايراً لحالة اليقظة. والإنسان يدخل إلى النوم عبر عدد من المراحل المتدرجة، وذلك لأنَّ الشبكة العصبية للمخ تختلف في حالة المنام عنها في حالة اليقظة. كذلك يختلف معدّل تدفق الدم إلى المخ، ووفرة الأوكسجين به، ونسب توزيعه أثناء النوم، وتباًطاً عمليات الاستقلاب في المخ أثناء الاستغراق في عملية النوم، وكذلك جميع العمليّات المستقلة في جسد النائم (Autonomic Functions) ومنها التحكم في درجة حرارة الجسم، وعمل نظام الغدد الصمّاء، وغيرها.

والجهاز العصبي المركزي (Central Nervous System) يتحكّم في الدورة العادية لليقظة والمنام، فهو الذي يعين النائم على الإحساس بالوسط المحيط به. واليقظة يدعمها جهاز الحسّ، والنقص في مستوى هذا الحس أو غيابه هو الذي يؤدي إلى النوم (Bremer, 1935). هذا، وقد ثبت وجود علاقة عكسيّة بين الاستغراق في النوم ومستوى الحس (Velluti, 1997). وعلى الرّغم من أنّ قدرات المخّ على تحليل المعلومات المحسوسة تتناقص بشكل ملحوظ عند النوم، إلاّ أنها لا تتلاشى بالكامل. فجميع نظم الحس في الإنسان تتأثّر بحالة النوم أو اليقظة للمخ وتؤثّر فيه. والمخ النائم يفرض قيوداً على عمليّة تحليل المعلومات الواردة إلى الجهاز العصبي المركزي. ولو أنّنا لا نفهم بالكامل كيفيّة تحليل المخ للمعلومات الحسيّة الواردة إليه أثناء النوم، وذلك لتعقد الشبكات العصبية المستقبلية للمعلومات والموردة لها إلى الجهاز العصبي المركزي، وتلك الحاملة للأوامر الصادرة من المخّ. وهناك ملاحظات عديدة تدعم الارتباط الوثيق بين النوم وتنمية كل من الذاكرة، ووظائف السمع. وذلك لأنّ السمع هو الجهاز الوحيد للاستقبال عن بعد للإنسان الذي يبقى مفتوحاً بدرجة نسبية في أثناء فترة النوم، ليبقى راصداً للبيئة التي يوجد فيها النائم، ويبقى واعياً لمختلف المؤثّرات فيه، وذلك من مثل بكاء الأطفال الصغار الذي سرعان ما يوقظ والديه (أحدهما أو كلاهما، خاصّة الأم) (Marisa Pedemonte, 2002; Ricardo Velluti 1997).

كذلك فإنَّ العلاقة بين الضجيج وقلة النوم، وبين الهدوء والاستغراق في النوم، تؤكّد العلاقة بين الإدراك السمعي والنوم، والذي يؤكّده كذلك وجود صور سمعية في حوالي 65% من الأحلام التي يتذكّرها أصحابها. وتزايد تدفق الدماء إلى مراكز السمع بشكل ملحوظ في أثناء النوم المتقطع (Paradoxical sleep) يؤكّد العلاقة بين النوم ووظائف السمع. وهذا مما يجعل من الإشارة القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿فَصَرَيْنَا عَلَيَّ ءَأَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11]، وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله، وسبقاً علمياً في زمن لم يكن لأحد من الخلق آية إمكانية لإدراك ذلك.

وقد تأكّدت هذه العلاقة بتجربة علمية ناجحة قامت بها طالبة بالمرحلة الجامعية الأولى بجامعة جون هوبكنز الأمريكية (John Hopkins University) اسمها «سيرينا ج. جونديك» (Serena J. Gondek)، وعمرها (21) عاماً وكانت هذه الطالبة الصغيرة تدرس الهندسة الطبية الحيوية (Biomedical Engineering) في تلك الجامعة، وقد قرأت بحثها أمام أحد المؤتمرات العلمية في 28/4/1998م. وفي هذا البحث ذكرت سيرينا ج. جونديك أنّها استخدمت عدداً من الأقطاب الكهربية الموصلة مباشرة إلى المخّ في محاولة للبحث عن أجزائه التي تستثار بالأصوات في أثناء النوم، فوجدت أنّ مراكز السمع الرئيسة على جانبي المخ (فوق الأذنين مباشرة) هي التي تستقبل الأصوات في كل من حالتها اليقظة والمنام، وإن كان ذلك يتمّ بدرجة أقل في حالة المنام. كذلك وجدت هذه الطالبة أنّ الفص الجبهي يشترك من المخ الذي له دور أساسي في عملية الوعي، وفي تقرير هل يوقظ صاحبه النائم أم لا عند تلقيه بعض الإشارات العصبية من المستثيرات الصوتية.

والعلاقة بين الأذان - وهي الأبواق الخارجية لمراكز السمع (على جانبي المخ) وبين الاستغراق في النوم أو اليقظة بسبب انخفاض أو ارتفاع الموجات الصوتية الواصلة إلى الأذن لم تكن معروفة في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده. ولم تدرس هذه العلاقة دراسة مختبرية إلا في القرن العشرين، ولم تتبلور

بعض نتائجها إلا في العقود المتأخرة منه. وسبق القرآن الكريم بذكر هذه العلاقة، وهو كتاب أنزل على نبي أمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل ألف وأربعمائة سنة، لمما يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

وفي كتابه المعنون «تاريخ العرب قبل الإسلام» يذكر الدكتور جواد علي أن الإمبراطور الروماني «تراجان» كان طاغية جباراً في الأرض، وقام باضطهاد النصارى في زمانه لأنه كان وثنياً يعبد الأصنام، لذلك أصدر في سنة (112م) قانوناً بقتل كل نصراني لا يخلص للقيصر وللإمبراطورية الرومانية. وكان «تراجان» هذا يعتبر النصارى في عداد الخونة المارقين على القانون، ولذلك شدد من قبضته عليهم مما دفعهم إلى تكتم أمرهم أو الفرار بدينهم من جور هذا الطاغية، أو الانزواء بعيداً عن أعين جنده. وكان ممن انزوا فراراً بدينهم فتية الكهف.

وإذا علمنا أن الفارق الزمني بين هؤلاء الفتية وبعثة المصطفى ﷺ يصل إلى خمسمائة عام، وأن العرب لم يكونوا أمة تدوين، أدركنا وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في إيراد القرآن الكريم لقصة فتية الكهف.

ثامن وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن
الكريم للعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان
كل من داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام

كان الدين الذي جاء به عبد الله رسوله موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة إلى بني إسرائيل هو «الإسلام» القائم على التوحيد الخالص لله الخالق عليه السلام وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارته وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. ولكن بعد وفاة موسى عليه السلام فقد الإسرائيليون التوراة، وانحرفوا عن دين الله، وقاموا بتشويهه تشويهاً كبيراً، وبهذا التشويه نشأت الديانة اليهودية المعاصرة. وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد غزت جيوش البابليين أرض فلسطين (في حدود سنة 586 ق.م.) ودمروا مدينة القدس، وفي أثناء هذا التدمير فقدت التوراة.

وبعد حوالي قرنين من الزمان (في حدود 440 - 368 ق.م.) قام عدد من حاخامات اليهود بقيادة كل من نحشيا وعزرا (أو عزير) بإعادة كتابة التوراة من الذاكرة، وهم في أرض المنفى ببابل. وفي هذا المنفى فرض حاخامات اليهود على أتباعهم شرائع من وضعهم كان الهدف من ورائها تنظيم اليهود تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على العالم. ولتحقيق ذلك امتلأت تلك الشرائع بدعاوى العلوية الكاذبة لليهود، ويأنهم هم وحدهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، وأن جميع من هم سواهم من بني آدم ليسوا سوى حيوانات خلقت في الهيئة الآدمية حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. لذلك امتلأت شرائع اليهود بالحقن الشديد على كل من هو غير يهودي (والذين أطلقوا عليهم وصف «الأميين» أو «الأميين» أو «الأغيار» أو «الجويم»).

ومع فقد أصول التوراة أخذ اليهود في تحريف معتقداتهم، وفي الابتداع في الدين، والاتجار به، فأشركوا عزيراً في عبادة الله، وادعوا بنوته له - تعالى الله عن ذلك

علواً كبيراً - وانغمسوا إلى آذانهم في ماديات الحياة، وانقسموا إلى العديد من الفرق الضالة المضلة. فأصبح منهم من ينكر البعث والحساب والجنة والنار، ومنهم من أشرك بالله وأنكر التوحيد، ونادى بتعدد الآلهة، ومنهم من نادى بالتجسيم وبالتطاول على الذات الإلهية، ومن شوه سير أنبياء الله ورسوله، بل ومن ادعى النبوة لنفسه.

ومع كل هذه الانحرافات عن منهج الله، والابتداع في الدين، والإغراق في الجري وراء ماديات الحياة، والأنانية الزائفة، والعنصرية المنتنة، والاستعلاء الباطل على جميع خلق الله حفلت أعمال اليهود عبر تاريخهم الطويل بالعديد من المظالم الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية والسلوكية، والخطايا والآثام والجرائم في حق الإنسانية. ونتيجة لذلك كرهوا أهل الأرض جميعاً، ومقتهم جميع أهل الأرض واحترقوهم، حتى أصبح الوصف «باليهودي» سبة في عرف الناس.

ومع هذا الجو المشحون بالكراهية والاحتقار، أدرك دهاقنة اليهود أن لا سبيل لبقائهم في عالم يكرهونه ويحتقرهم إلا بتكتلهم، والسعي إلى تفريق العالم من حولهم وذلك بإثارة مختلف أشكال الفتن، والدسائس، والمنازعات، والحروب، وبإشاعة التحلل الأخلاقي والسلوكي بين أهل الأرض. ولكي يتحقق لهم ذلك قام منظروا «الحركة الصهيونية العالمية» بتشكيل العديد من الجمعيات والحركات السرية والمعلنة من أجل زلزلة عقائد غيرهم من أهل الأرض. وقد استطاعت هذه الجمعيات أن تتسرب إلى العديد من المنظمات الدولية ذات الصبغة الإنسانية أو الثقافية أو السياسية، حتى تتمكن الحركة الصهيونية العالمية من مباشرة مخططاتها الشيطانية الهدامة من خلال هذا الغطاء الدولي بدهاء وخفاء شديدين. وبذلك ملكوا العالم، وهيمنوا عليه هيمنة كاملة. كذلك خطط دهاقنة اليهود من أجل السيطرة الإعلامية الاقتصادية على العالم وذلك لإشاعة الفتن، والتشجيع على التعامل بالربا، والهيمنة على البنوك الربوية كي تبقى أموال أهل الأرض في قبضتهم، ولكي يتمكنوا من شراء ذمم الناس بالمال. من أجل ذلك نزل القرآن الكريم محذراً من اليهود وأخطارهم، ومسجلاً لعنة العديد من أنبياء الله لهم، وكان منهم كل من داود وعيسى ابن مريم (عليهما من الله السلام).

82 - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: 78 - 79].

من معاني هاتين الآيتين الكريمتين أَنَّ الذين كفروا من بني إسرائيل هم الذين خرجوا عن هداية الله وشرعه، فحرفوا التوراة، وابتدعوا في الدين، وقتلوا أنبياءهم وقتلوه، وملأوا تاريخهم بالمعاصي، وبالتأمر على غيرهم من الأمم، فاستحقوا لعنة الله والملائكة والأنبياء والناس أجمعين. وكان من الأنبياء الذين لعنوا الكافرين من بني إسرائيل بعد كفرهم برسالة موسى ﷺ كل من داود وعيسى ابن مريم - (على نبينا وعليهما من الله السلام). وانطلق لسان كل من هذين النبيين الكريمين بالدعاء على الذين كفروا من بني إسرائيل، واستجاب الله لدعاء كل منهما فكتب اللعنة والغضب والسخط عليهم إلى يوم الدين، وطردهم من رحمته. ولذلك قال عنهم الله - تعالى - في نفس السورة: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

والتعبير القرآني: «بنو إسرائيل» أصبح تعبيراً غير عرقي، لأن القرآن الكريم يؤكد وحدة الجنس البشري. وانطلاقاً من ذلك أصبح تعبير «بني إسرائيل» وصفاً لجماعة من الناس تربت على الأنانية المفرطة، والجشع بلا حدود، والإجرام المتناهي المنطلق من الاعتقاد الخاطيء بأنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبائوه، وأن غيرهم من الخلق (الأغيار) عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. من هنا فإن قتل الأغيار، واستباحة دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأراضيهم وممتلكاتهم، والتأمر عليهم، أصبح حقاً خالصاً

للإهود، لأنَّ الربَّ هو ربَّ إسرائيل والإسرائيليين وحدهم، وأنَّ الأُميين الأغيار لا ربَّ لهم.

وانطلاقاً من هذا الوهم الكاذب تفنن اليهود في التعصّب ضدَّ كلِّ مَنْ هو غير يهودي، وبالغوا في الحقد عليه؛ والتأمروا ضده، ودفعهم ذلك إلى الإفساد في الأرض بغير الحق. وقد تشكلت ملامح الشخصية اليهودية بانحرافات النفسية الكبيرة التي تتراوح بين تكبرها الكاذب، وغطرستها المصطنعة إذا تمكّنت من غيرها، وبين خضوعها للذليل، وضعفها المنكسر إذا أمكن غيرها من التحكم فيها. كما تباينت بين التوحش والهمجية والغدر إذا كانت لها الغلبة على غيرها، وبين البكاء والعويل إذا كانت الغلبة عليها؛ وبين التبجح بالأفضلية على غيرها والتفنن في نقض العهود والمواثيق الذي تعتبره ممّا يقربها إلى الله زلفى!!.. وتتأرجح النفسية اليهودية بين التظاهر بالتدين، والحرص على إشاعة الفواحش بين الناس، وعلى هدم كل فضيلة وكل قيمة أخلاقية عليا في المجتمعات الإنسانية. ومن أجل تحقيق ذلك حرّف كفّار بني إسرائيل التوراة وزوَّروها، وابتدعوا فيها، وقتلوا أنبياء الله وقتلوه، وأوقدوا نيران الفتن والحروب في كلِّ مكان على سطح الأرض، واستباحوا كل حرّيات غيرهم (الأغيار) ولذلك قال الله - تعالى - فيهم:

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

[المائدة: 78، 79].

وقال - عزَّ من قائل -: ﴿وَفَضَّلْنَا إِيَّاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفِئِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْثِيَّيْنِ وَلِنَعْلَمَنَّ عُلُوَّ كِبِيرِكَ ﴿٤﴾﴾

[الإسراء: 4].

وتستمر الآيات في وصف إفساد هؤلاء الشياطين حتى تقول لهم: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

[الإسراء: 8].

وكان من صور إفساد اليهود في أرضنا العربية تأمرهم من أجل الاستيلاء

على أرض فلسطين بدءاً من سنة 1649م حين خدعوا البريطانيين بإقامة «حركة صهيونية/ صليبية» موحدة تعمل على عودة شتات اليهود من مختلف بلاد العالم إلى أرض فلسطين. ومن أجل ذلك خططوا لإنهالك دولة الخلافة العثمانية في سلسلة طويلة من الحروب على عدّة جبهات حتى تمّ إسقاطها في سنة 1924م بمؤامرة خسيسة حاكتها جماعة يهود الدونمة (المتحولون ظاهرياً إلى الإسلام) بزعامة مصطفى كمال أتاتورك، وقسموا تركة دولة الخلافة وبقية العالم الإسلامي إلى أكثر من 62 دولة ودويلة، وتأمروا من أجل احتلال هذه الدول والدويلات بواسطة الدول الغربية والشرقية على حدّ سواء.

وفي سنة 1799م بدأت «الحركة الصهيونية/ الصليبية العالمية» في دعوة يهود العالم إلى هجرة سرية منظمة إلى الأراضي الفلسطينية حتى تمكّنوا بعد خمس وخمسين سنة أي في سنة 1854م من امتلاك أوّل قطعة أرض في فلسطين تحت عدد من الضغوط الدولية.

وفي سنة 1860م تمكّن عدد من اليهود الفرنسيين من إنشاء ما أسموه باسم «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» في باريس، ومن خلال القوات المحتلة للمنطقة العربية بدأ هذا الاتحاد في تنظيم الهجرة السرية لليهود إلى الأراضي الفلسطينية.

في سنة 1895م أصدر اليهودي النمساوي «تيودور هيرتزل» كتاباً بعنوان «دولة اليهود»، وبعد عامين تمّ عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأوّل في سنة 1897م، وتلتها عدّة مؤتمرات للصهاينة حتى اليوم، يتأمرون فيها على المسلمين أولاً، وعلى أهل الأرض جميعاً ثانياً، ذلك التآمر الخبيث الذي أصبح طابعاً عاماً لهذه الجماعة الفاسقة من بني آدم.

ومن خلال مؤامراتهم الدنيئة أشعل الصهاينة الحريين العالميتين الأولى والثانية واللّتين راح ضحيّتهما قرابة سبعين مليون نسمة من القتلى، وعشرات بل مئات الملايين من الجرحى، والمقعدين، والأرامل، والأيتام، والمفقودين، بالإضافة إلى خراب ودمار شاملين في العديد من دول العالم، وخسائر مادية

قدرت بآلاف الملايين من الدولارات.

وفي أعقاب هذا الدمار سعت المؤامرات الصهيونية العالمية إلى إصدار الحكومة البريطانية ما سمي باسم «وعد بلفور» المشؤوم في سنة 1917م، الذي يعطي لليهود حقاً في أرض فلسطين (دون أدنى مسوغ ديني، أو عرقي، أو قانوني، أو تاريخي) مخالفين بذلك كل الشرائع الدولية. وفي نفس السنة قامت الحركة الصهيونية العالمية بإشعال نيران الثورة الشيوعية في روسيا التي كان ظاهرها محاربة الأديان بصفة عامة، وكان باطنها محاربة دين الإسلام بصفة خاصة.

وتحت مظلة الانتداب البريطاني الذي فرض على أرض فلسطين في سنة 1917م تمّ تمكين اليهود من مساحات من هذه الأرض المقدسة بالتدرّج. وتمّ تدريب الإسرائيليين عسكرياً، وتزويدهم بالأموال والعتاد الذي استخدموه في العديد من المذابح البشعة ضدّ الفلسطينيين. وكان ذلك من أجل طرد الفلسطينيين بالقوة من أراضيهم بمعاونة القوات البريطانية المحتلة. وكان من هذه المذابح (مذابح كل من يافا، حيفا، عكا، الخليل، قبية، نحالين، القدس، قلقيلية، صفد، رام الله، الحولة، الخليل، الناصرة، نابلس، وادي الأردن، صور باهر، دير ياسين، القسطل، ناصر الدين، طبريا، بيسان، خان يونس، غزّة، كفر قاسم، الدوامة، اللد والرملة، البريج، السموع وغيرها. وفي كلّ هذه المذابح تعمد الصهاينة قتل آلاف من النساء والأطفال والشيوخ والشبان في وحشية بالغة، ودمروا كلّ ما وصلت أيديهم إليه من أجل إفزاع الباقين من أبناء الشعب الفلسطيني وترويعهم، واضطرارهم إلى ترك بلادهم وممتلكاتهم والهجرة إلى خارج أراضيهم.

في 15/5/1948م أعلنت الحكومة البريطانية رسمياً انتهاء انتدابها على فلسطين بعد أن سلّمتها لقمة سائغة للصهاينة الغرباء، بعد أن مكّنتهم من كل الأسلحة والشحنات العسكرية، ومن جميع الإدارات الحكومية، والموانئ، والمنارات، والأموال وغيرها. وعلى إثر ذلك أعلن الصهاينة قيام دولتهم الغربية غربة كاملة على المنطقة العربية، وذلك فور مغادرة المندوب السامي البريطاني

لميناء حيفا. وبقيت بعض القوات البريطانية في المناطق العربية من أجل حماية الصهاينة، وفرضت بعد ذلك هدنتان خرقتهما العصابات الصهيونية. وبمؤامرة دولية أخرى، تمّ قبول هذا الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين عضواً في الأمم المتحدة بتاريخ 11/5/1949م.

وفي 20/3/1950م أصدر الكنيست الإسرائيلي قراره الجائر بالاستيلاء على جميع ممتلكات النازحين من الأراضي الفلسطينية، وشمل ذلك كل المساكن والأثاث والمواشي والأراضي الزراعية والعقارية وغيرها، حتى تمّ الاستيلاء على أكثر من 77% من أراضي فلسطين بالقوة القهرية.

بعد ذلك بشهور قليلة صدر ما عرف زوراً باسم «قانون العودة» في 5/7/1950م. الذي يمنح كل يهود العالم الحقّ في الهجرة إلى فلسطين، والاستيلاء على أملاك أهل الأرض الأصليين، والحصول على الجنسية الإسرائيلية فور وصولهم إلى تلك الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وتوالى بعد ذلك جرائم الصهاينة والتي تراوحت بين مذابح بالجملة للمدنيين، والاستيلاء القهري على ممتلكاتهم، وعمليات التهجير القسري لمن بقي منهم. وأضاف الصهاينة إلى سلسلة جرائمهم الطويلة، الاعتقالات العشوائية للرجال والنساء والأطفال، والتعذيب الوحشي في المعتقلات والسجون، والإبعاد عن أراضي الوطن، واستخدام المعتقلين كحيوانات تجارب، واستخدام أجساد الشهداء كقطع غيار آدمية وإسقاط الطائرات المدنية، وقتل جميع من عليها. هذا بالإضافة إلى آلاف الاعتداءات على المدن العربية في كل من مصر، والأردن، وسوريا، ولبنان، والعراق، وقد اتّسعت سلسلة المذابح البشرية التي قامت بها العصابات الصهيونية لتشمل فيما تشمل كلاً من إربد، السلط، السويس، المنصورة، بحر البقر، قانا الأولى والثانية، بيروت، قرى الجنوب اللبناني، دمشق، غزة الأولى والثانية، صبرا وشاتيلا، تل الزعتر، عين الحلوة، البريج، الرشيدية، نهر البارد، البداوي، وغيرها. هذا بالإضافة إلى القمع الوحشي لانتفاضتي الأقصى الأولى

والثانية، وإلى غزو لبنان سنة 1982م، ثم الغارة المدمرة عليها سنة 2006م، والهجمة الوحشية على قطاع غزة سنة 2009م، بعد حصار دام لأكثر من ثلاث سنوات بهدف قتل مليون ونصف مليون من أهل هذا القطاع جوعاً، وعطشاً، ومرضاً...!!

وتخلل هذه المذابح البشرية سلسلة من الحروب الإجرامية الطاحنة التي استخدمت فيها أقذر الوسائل الحربية من قتل للأسرى أحياء تحت جنازير الدبابات الإسرائيلية، واستخدام للأسلحة المحرمة دولياً، وقصف جوي وأرضي لكل من المدارس والمعاهد والجامعات، والمساجد والكنائس والمستشفيات، وتجريف للأراضي الزراعية، وقطع للأشجار المثمرة، وتسميم لمياه الشرب، وضرب للمفاعل النووي العراقي، ولما اشتبه في أنه مفاعل في شمال سوريا، وغير ذلك من الجرائم المحرمة في جميع المواثيق الدولية.

هذا بالإضافة إلى إشعال أكثر من خمسة عشر حرباً مدمرة على أهل المنطقة كانت منها حروب 1948م، 1956م، 1967م، 1968م، 1972م، 1973م، 1978م، 1979م، 1981م، 1982م، 1984م، 1988م، 1989م، 2006م، 2008م، 2009م، التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، ومن كل من المقعدين، والأرامل، والأيتام، والمكلمين، بالإضافة إلى الدمار والخراب الذي أحدثوه والخسائر المادية التي أوقعوها، والتي تقدّر بمئات الملايين من الدولارات.

وفي الحرب الوحشية الأخيرة على أهل قطاع غزة سقط أكثر من ألف وأربعمائة شهيد، وأربعة آلاف جريح (معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، وبعضهم من الطواقم الطبية ومن الإعلاميين). وضربت الطائرات والصواريخ الأرضية والبحرية كل شيء في القطاع بوحشية منقطعة النظير، وتَشَفَّ لسفك الدماء لا يرضى به إلا الشياطين. وكان ذلك كله تعبيراً عن رغبة الإسرائيليين في الانتقام من أمة عزلاء، فرض عليها الحصار الجائر لتموت جوعاً أو تسلم إذعاناً بحق

هؤلاء الغرباء في أراضي غيرهم. ولما لم يستسلم أهل غزة لقسوة الحصار؛ قرر الوحوش الإسرائيليون قتلهم جميعاً بالقصف الجوي والبري والبحري الجائر بقنابل الفوسفور السامة وصواريخ اليورانيوم المقضب وبغيرها من الأسلحة المحرمة دولياً في وحشية، وعنصرية، وعنفاً فاق كل حدود الوصف، ولذلك استحقوا اللعن من الله والملائكة والناس أجمعين، وقال - تعالى - فيهم:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78، 79].

ومن هنا تتضح ومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هاتين الآيتين الكريمتين، كما يتضح أمر الله بضرورة مجاهدة هؤلاء الشياطين حتى تتطهر الأرض من دنسهم وشرورهم وأحقادهم. وذلك انطلاقاً من أن هذه النفسية الكافرة بالله، والمبتدعة في الدين، والمتألهة على الخلق بالكذب، والمستعلية عليه بالباطل، والمتآمرة عليه من منطلق الكراهية والحقد، والمتجبرة بقوة الولايات المتحدة الأمريكية، لا يمكن أن يتحقق معها سلام. كذلك لا يمكن أن يتحقق معها أي تبادل للعلاقات (الدبلوماسية، أو الاقتصادية، أو الثقافية، أو بأي شكل آخر من أشكال العلاقات بين الناس). من هنا يأتي هذا التوجيه الإلهي الذي جاء في هاتين الآيتين الكريمتين، وفي العديد غيرهما من آيات القرآن الكريم للتحذير من هذه الحالة النفسية المريضة المسماة باسم «بني إسرائيل» والتي ملأت الأرض بإفسادها، ومؤامراتها، وتخريبها، ولا تزال، لعل العقلاء من بني آدم يدركون خطرها، فيوقفونها عند حدها، والله يقول الحق، ويهدي إلى سواء السبيل، وهو - تعالى - ﴿...غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

الباب الثالث

مع خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

تاسع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض
القرآن الكريم لمواقف من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد ﷺ

أنزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات ربّي وسلامه عليه -
ولذلك فإنّ أغلب الخطاب في هذا الكتاب العزيز موجه إليه. لذلك جاء ذكره الشريف
في القرآن الكريم أربع (4) مرات باسم «محمد»، ومرّة واحدة (1) باسم «أحمد»،
وفي ثمان وثلاثين (38) مرّة بصفته النبويّة (النبّي أو يا أيها النبي)، وفي مائة وخمسة
وسبعين (175) مرّة بصفته الرسوليّة (الرسول أو يا أيها الرسول)، وسميت باسمه
الكريم إحدى سور القرآن المجيد (سورة محمد). هذا بالإضافة إلى مئات من صيغ
النداء عليه ﷺ، وذلك لأنّ الخطاب القرآني في غالبته موجه إليه أولاً، ثم إلى
المؤمنين برسالته ثانياً، ثم إلى الخلق أجمعين في المقام الثالث.

وهذه الآيات يمكن أن تجمع في مجموعات تعرض كل مجموعة منها لأحد
المواقف الهامة في تاريخ سيد المرسلين وذلك على النحو التالي:

● أولاً: آيات تلخص البشارات ببعثته الشريفة:

1 - ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: 129].

2 - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

3 - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُّجْتَمِعًا

يَتَعَوَّنَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

[الفتح : 29].

4 - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَیْ اِسْرَءِیْلَ اِنِّیْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَیْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَیْنَ يَدَیْ مِنْ
التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِیْ اَیُّوْیْ مِنْ بَعْدِیْ اَسْمِعُوْا اَحْمَدًا فَمَا جَاءَهُمْ بِالْبَیِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِیْنٌ ﴿٦﴾

[الصف : 6].

● ثانيًا: آيات تتعلق بمولده يتيمًا في عام الفيل ورعاية الله - تعالى - له :

1 - ﴿الَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

[الضحى : 6 - 8].

2 - ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ الَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فِجَعَلَهُمْ كَصَفِ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

[الفيل : 1 - 5].

● ثالثًا: آيات تؤكد نبوته ورسالته وتلقيه الوحي من رب العالمين :

1 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُنْتَلِ عَنَ أَصْحَابِ الْبَحْرِ ﴿١١٩﴾

[البقرة : 119].

2 - ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[البقرة : 252].

3 - ﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٥﴾

[المائدة : 15].

4 - ﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١٩﴾

[المائدة : 19].

5 - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

[التوبة: 33].

كِرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

6 - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

[الأحزاب: 45، 46].

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

7 - ﴿بِسْمِ ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾

[يس: 1 - 5].

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾

8 - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ

[الفتح: 28].

بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

9 - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

[الصف: 9].

﴿٩﴾

10 - ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

[الجمعة: 2].

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

11 - ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْآيَةُ

﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْآيَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

[البينة: 1 - 5].

● رابعاً: آيات تؤكد أنه ﷺ خاتم النبيين، وأنه بعث للناس أجمعين، وأن الله

- تعالى - بعثه رحمة للعالمين:

1 - ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

[الأعراف: 158].

2 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾

[الأنبياء: 107].

3 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

[الفرقان: 56].

4 - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ

[الأحزاب: 40].

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

5 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾
[سبأ: 28].

6 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾
[فاطر: 24].

7 - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿٢﴾
[محمد: 1، 2].

8 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾
[الفتح: 8، 9].

9 - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَجٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعْظَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾
[الفتح: 29].

● خامساً: آيات تصف جانباً من نبيل خلقه:

1 - ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾
[آل عمران: 159].

2 - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٧٨﴾
[التوبة: 128].

3 - ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٦١﴾
[الأحزاب: 21].

4 - ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّبِيِّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ﴿٤٦﴾
[الأحزاب: 45، 46].

5 - ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَتَىٰ بِنِعْمَةٍ رَّبِّكَ يَمْجُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

[القلم: 1 - 4].

● سادساً: آيات تدل على مكانته عند رب العالمين:

1 - ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

[النساء: 69].

2 - ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ حَفِيفًا ﴿٨٠﴾﴾

[النساء: 80].

3 - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلْتُمْ وَمَا تُلْطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

[النور: 54].

4 - ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[النور: 56].

5 - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

[الأحزاب: 36].

6 - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

[الأحزاب: 56].

7 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَسَيُجِئُوكَ بِكُرْهٍ وَاصِيلًا ﴿٩﴾﴾

[الفتح: 8، 9].

8 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

[الحجرات: 1 - 3].

9 - ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

[التغابن: 12].

● سابعاً: آيات تلخص جانباً من معاناته ﷺ من الكفار والمشركين:

1 - ﴿وَلَقَدْ آسَنَّهُمْ إِرْسَالِي مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [١٠]

[الأنعام: 10].

2 - ﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَعَايِبُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [٣٣]

[الأنعام: 33].

3 - ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦١]

[التوبة: 61].

● ثامناً: آيات تتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج:

1 - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلْيَبْهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١]

[الإسراء: 1].

2 - ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْنَمُ الْأَسَدْرَةَ مَا يَغْنَمُ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾

[النجم: 1 - 18].

● تاسعاً: آيات تتعلق بهجرته الشريفة ﷺ:

1 - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ [٣٠]

[الأنفال: 30].

2 - ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يُجْودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ

[التوبة: 40].

اللَّهُ هِيَ الْعَلِيَّةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

● عاشرًا: آيات تتحدث عن واقعة تحويل القبلة:

1 - ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدْتُمُنَا هَذَا وَكُنَّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زُرَىٰ ثَقَلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً رَضِيهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْفٰلِطِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

[البقرة: 142 - 145].

● حادي عشر: آيات تتحدث عن بعض غزواته ﷺ:

1 - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾

[آل عمران: 13].

2 - ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَرْجُونَ ۖ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكُلِّ مِثْلِهِ وَيَقْطَع دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِ بْنِ الْمُطَلِّبَةِ مَرْدِيكُم ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

مَا هَ إِطْهَرَكُمْ بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَيَلْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثِبَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلٰٓئِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَم فِدْوَةٌ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٤﴾

[الأفصال: 5 - 14].

3 - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّا تَرَوُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

[التوبة: 25، 26].

4 - ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَن يُبَدِّدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُزَلِّينَ ﴿١٣٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٢٥٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣٦﴾﴾

[آل عمران: 121 - 126].

5 - ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾

[الأحزاب: 9 - 11].

6 - ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

[الفتح: 27 - 28].

● ثاني عشر: آيات تتحدث عن لحاقه بالرفيق الأعلى:

1 - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُنْتُمْ مُؤْجَلُونَ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: 144 - 145].

2 - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

(أ) حالة العالم عند مولده المبارك:

وُلد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شبية الحمد) بن هاشم بن عبد مناف الذي ينتهي نسبه إلى كل من عبد الله ونبيه إسماعيل وأبيه إبراهيم ﷺ في وقت السحر من ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة (53) قبل الهجرة [الموافق 20/4/570م]، وكان ذلك في «عام الفيل»، وكان ميلاده في دار النابغة بمكة المكرمة. ولد يتيماً لأن والده (عبد الله بن عبد المطلب) كان قد توفي عن عمر يناهز الخامسة والعشرين وابنه جنين ابن شهرين في بطن أمه.

ويذكر المؤرخون أن النار التي كان المجوس في بلاد الفرس يقدسونها، انطفأت في تلك الليلة، وأن مياه (بحيرة ساوة) التي كانت طوائف أخرى من الفرس يعظمونها غارت حتى جفت، وزلزل إيوان كسرى، وسقط عدد من شرفاته. كذلك تم دحر أصحاب الفيل كرامة للمولود الجديد الذي أطل على عالم كان قد فقد صلته بالهداية الربانية بصورة تكاد أن تكون كاملة، إلا من رحم ربك، وهؤلاء كانوا ممن بقي على ملّة كل من إسماعيل وإبراهيم ﷺ وكانوا يعرفون باسم «الأحناف»، وكانوا قلة نادرة في شبه الجزيرة العربية.

ولد (محمد بن عبد الله) والعالم تتصدّره دولتا الفرس والروم، وكان من وراء فارس دولة الهند، ومن أمام الدولة الرومانية دولة اليونان. وكانت بلاد الفرس مرتعاً للعديد من الوثنيّات المتصارعة من أمثال «الزرادشتية»، «المزدكية»،

«المانوية»، «المجوسية»، «الصابئة»، و«الدهرية». وفي الهند سادت العقيدتان الوثنيتان «الهندوكية» و«البوذية» وسط عشرات من الوثنيات الأخرى.

وفي الإمبراطورية الرومانية التي كانت قد احتلت كلاً من الدول المحيطة بالبحرين الأبيض المتوسط والأسود، وبالإضافة إلى الجزر البريطانية، ووصلت إلى ذروة قوتها في القرن الثالث قبل الميلاد، كانت قد سادتها الوثنية لدهور طويلة حتى اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية مع بدايات القرن الرابع الميلادي. وكانت مسيحية قسطنطين قد اختلطت بكثير من الشرك ممّا أدى إلى انقسامها فيما بعد إلى عشرات الملل والنحل المتصارعة. وفي ظل هذا الانقسام فإنّ دولة الرومان كانت قد سيطرت عليها الروح العسكرية الاستعمارية البغيضة التي وفّرت تكاليف مغامراتها السياسية والعسكرية عن طريق فرض الضرائب والإتاوات الباهظة على الشعوب المغلوبة التي كانت قد احتلتها. هذا بالإضافة إلى انهماك هذه الإمبراطورية في خلافات عقدية واسعة مع نصارى كلّ من مصر وبلاد الشام، وإلى الخلافات الداخلية التي أدّت إلى انقسام هذه الإمبراطورية في سنة 395 ميلادية إلى شطرين على يد ثيودوزيس (Theodosius): الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها (روما)، والإمبراطورية الرومانية الشرقية، وعاصمتها بيزنطة (القسطنطينية أو إستنبول).

وفي الجزيرة العربية كان العرب قد نسوا دعوة كلّ من إبراهيم وإسماعيل ﷺ، باستثناء آحاد من الأحناف. ولذلك انحرف العرب - في غالبيتهم - إلى عبادة الأصنام والأوثان، والأنصاب، والنار، والقمر، والكواكب والنجوم. وكان لكلّ قبيلة من القبائل العربية صنم أو أكثر من صنم يعبدونه من دون الله، حتى بلغ عدد الأصنام المعروفة في جزيرة العرب إلى أكثر من ثلاثمائة وستين صنماً.

ولم يُجد في مقاومة ذلك المدّ الوثني الجارف وجود بعض الجيوب من اليهود والنصارى على أطراف الجزيرة العربية الشماليّة والجنوبيّة الغربيّة. وقد ركز هؤلاء اهتمامهم في توظيف اللعبة السياسيّة بين القوى الكبرى المعاصرة لهم، والمتمثلة في إمبراطوريتي الروم والفرس، وقد كانتا في صراع من أجل الاستيلاء

على جزيرة العرب. ولذلك احتضنت الدولة الساسانية الفارسية (226 - 651م) يهود شمال الجزيرة العربية، وجعلت منهم صنائع لها. وفي المقابل شجع ملوك حمير أهل اليمن على اعتناق اليهودية كي تجعل منهم سداً منيعاً أمام الزحف الصليبي الروماني القادم من الحبشة إلى جزيرة العرب. فالنصارى كانوا قد ارتموا في أحضان الدولة الرومانية بعد أن طاردتهم بجورها وظلمها حتى فرّوا من وجهها. وبدأ الرومان بعملية التنصير في جنوب الجزيرة تمهيداً للاستيلاء عليها، بعد أن جعلوا من بلاد الحبشة المقابلة لأرض اليمن ولاية رومانية نصرانية. وبالفعل نجح صنائع الرومان من الأحباش في احتلال أجزاء من مملكة حمير، وفي إقامة جالية نصرانية في منطقة نجران. ثم أرسل النجاشي حاكم الحبشة آنذاك ولاته المسيحيين ليحكموا باسمه أرض اليمن، واشتدت وطأتهم على أهل البلاد. فقد حاول النصراني «أبرهة الأشرم» مندوب «النجاشي» على اليمن أن يهدم الكعبة المشرفة سنة (570م) فأذله الله - تعالى - ودمّر جيشه في تلك السنة التي أطلق عليها اسم عام الفيل، وهو العام الذي وُلد فيه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ كما أجمع المؤرخون، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ۱) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ۚ ۲) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ ۳) تَرْمِيهِمْ بِحِجَابٍ مِن سِجِّيلٍ ۚ ۴) فَجَعَلَهُمْ كَصِفِّ مَأْكُولٍ ۚ ۵)﴾ [الفيل: 1 - 5].

وكان الصراع بين الجاليتين اليهودية والنصرانية على أطراف شبه الجزيرة العربية واجهة من واجهات الصراع بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية. وإذا أضفنا إلى هذا الصراع عدداً آخر من الصراعات الداخلية التي كانت قد مرّقت القبائل العربية، وأضعفت من مواقفها أمام التحديات الخارجية أتضح لنا جانب من جوانب البؤس الذي عاشه العرب قبل البعثة المحمّدية المباركة. وقد شارك العرب في محنتهم هذه أغلب أهل الأرض الذين كانوا قد فقدوا الصلة بالهداية الربانية بالكامل، وتاهوا في دياجير من الظلم والظلام، ففسدت العقائد، وتدنت العبادات، وانحطت الأخلاق، وساءت المعاملات، وأصبح العالم في أمس الحاجة إلى نور الهداية الربانية من جديد.

(ب) نشأته ﷺ:

وسط هذا الظلام الدامس الذي خيم على الأرض ولد خاتم الأنبياء والمرسلين في وقت السحر من ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول 12/ 53 ق.هـ. (الموافق 20/ 4/ 570م) وكان ذلك استجابة لدعوة قديمة من عبد الله ونيّه إبراهيم، وتحقيقاً لبشرى عيسى ابن مريم ﷺ. وفي ذلك يقول القرآن الكريم على لسان أبي الأنبياء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّ الْحَكِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: 129].

ويقول على لسان عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

تم إرضاع الوليد الجديد في ديار بني سعد كعادة الأسر الشريفة في مكة. وقد تمسك بنو سعد بإبقاء هذا الوليد السعيد عندهم حتى سن الخامسة لما عمهم من خير في وجوده معهم. ثم طلبته أمه «السيدة آمنة بنت وهب» فردوه إليها في مكة المكرمة. وكان حزنها على وفاة أبيه قد بلغ منها مبلغاً، ورأت وفاء لذكرى الأب الراحل أن تصحب طفله الوحيد لزيارة قبره في يثرب. وبعد إتمام الزيارة، وفي طريق العودة من يثرب إلى مكة توفيت أمه، ودُفنت في منطقة تُعرف باسم (الأبواء). وبذلك صار محمد يتيم الأبوين وهو في السادسة من العمر أو دون ذلك، وبعد أن عاش مع أمه سنة واحدة أو أقل من سنة، ذاق خلالها من حبها وحنانها، وعطفها، وحسن رعايتها ما زاد من تعلقه بها، ثم فجأة غابت عنه إلى يوم الدين.

وعاد محمد إلى مكة مع جاريتة الحبشية (أم أيمن) وحيداً، حزيناً، صابراً وصامتاً، لا يعلم ما به من حزن إلا الله - تعالى -، عاد ليعيش في كنف جدّه عبد المطلب بعد أن فقد كلاً من أبيه وأمّه، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَالْأَضْحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾

وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴿الضحى: 1 - 11﴾.

وبعد عامين توفي عبد المطلب، وحفيده محمد في الثامنة من عمره، وكان قد ارتبط بجده ارتباطاً عاطفياً هائلاً، فكفله عمه أبو طالب الذي أنزل الله تعالى محبة محمد في قلبه فكان يقدمه على أبنائه، ويبالغ في إكرامه.

لذلك كله عاش محمد بن عبد الله طفولة مليئة بالصمت، والعزلة، والانعزاد بالنفس، فكان لا يتكلم إلا إذا دعاه أحد إلى الكلام، وكان لا يشارك في اللهو مع الفتيان، ولا يخالط عبدة الأصنام والأوثان، التي لم يقترب من أي منها أبداً.

وكان هذا الطفل اليتيم، الصامت العزوف عن الناس، كلما تقدمت به السن يزداد صمته وانفراده بنفسه، ويتعاطم زهده في الحياة، وتروح سيرته العبقة تعطر أجواء مكة حتى لُقّب بالصادق الأمين.

اشتغل محمد في صباه برعي الغنم على قراريط لأهل مكة حتى سن الثانية عشرة، ثم سافر في قافلة عمه أبي طالب إلى بلاد الشام وهو في الثالثة عشر من عمره. وفي سن الخامسة والعشرين خرج في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد إلى بلاد الشام سنة (595م). وكانت هذه السيدة أرملة، ذات حسب ونسب، ومنزلة عالية، وشرف كبير بين أهل مكة. وكان زوجها قد مات عنها في سن مبكرة، فطمع فيها الطامعون لثرائها، وكانت تبحث عن رجل ذي خلق تستأمنه على الخروج بمالها للمتاجرة فيه. وكان قد وصل إلى سمعها ما اشتهر به محمد بن عبد الله من الصدق والأمانة، فأرسلت إليه ليقوم بهذه المهمة. خرج محمد بن عبد الله بتجارة السيدة خديجة إلى بلاد الشام، وبارك الله في تجارته، فعاد إليها بربح وفير مما زاد من إعجابها به لصدقه وأمانته، فعرضت عليه الزواج بها. كان محمد بن عبد الله في الخامسة والعشرين من عمره، ولم يكن قد تزوج بعد، وكانت السيدة خديجة في الأربعين من عمرها، وكانت قد تزوجت مرتين من قبل، فقبل عرضها وتمّ زواجه منها. رزق الله تعالى عبده محمداً من هذا الزواج بولدين

وأربعة من البنات هم: القاسم، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله. وقد توفي الولدان صغاراً إلى رحمة الله، وبقيت البنات الأربع. وقد أتاح له هذا الزواج فرصة هائلة للتعبّد والتأمل، فكان كثير الانفراد بنفسه في «غار حراء» الذي كان يمضي فيه أوقاتاً طويلة للتعبّد.

(ج) بعثته الشريفة ﷺ:

في سن الأربعين (أي في حدود سنة 610م) جاء وحي السماء إلى محمّد بن عبد الله وهو يتعبّد في غار حراء، ففوجئ بجبريل ﷺ يقف على باب الغار، ثم أقبل عليه واحتضنه بشدة قائلاً له: ﴿أقرأ﴾، فردّ عليه قائلاً: ما أنا بقارئ، فعاد الملاك يضمّه إليه ضمّاً شديداً ثم يطلقه وهو يقول له: ﴿أقرأ﴾، وعاد ﷺ يردّ: ما أنا بقارئ، ويعود جبريل إلى احتضانه والطلب إليه قائلاً: ﴿أقرأ﴾ ويردّ عليه محمد مستفسراً: ماذا أقرأ؟ فتلى عليه جبريل ﷺ قول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ أقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 1 - 5].

عاد رسول الله ﷺ إلى بيته فزعاً يرتجف، وقال لزوجته السيّدة خديجة: «زملوني زملوني»، فأخذت تغطيه بأغطية الصوف، وتمسح العرق عن جبينه، وحدثها بما رأى قائلاً: لقد خشيت على نفسي، فردت عليه قائلة: أبشر، فبالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر.

ثم انطلقت به السيّدة خديجة إلى ابن عمّها (ورقة بن نوفل) وكان عالماً حنيفياً على ملة إبراهيم ﷺ، وكان شيخاً طاعناً في السنّ قد كفت بصره لشيخوخته. أخذته السيّدة خديجة إلى هذا الشيخ الصالح في محاولة لاستجلاء ما وقع لزوجها في غار حراء، وطلبت منه أن يروي ما حدث معه بشيء من التفصيل. وبعد أن استمع إليه «ورقة بن نوفل» أدرك أنّه الرّسول الخاتم الذي سبق

وأن بَشَّرت بمقدمه كل الرّسالات السماويّة، فقال على الفور: «والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأُمَّة، وإنّ هذا لهو الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني كنت فيها جذعاً، يا ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك». فتساءل محمد قائلاً: «أو مخرجي هم؟» فأجاب ورقة: «نعم! لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلّا عودي، وإن يدركني يومك لأنصرتك نصراً مؤزراً».

وقد أدركه ذلك اليوم وكان من أوائل الذين أسلموا من أهل مكّة، ومات على الإسلام في السنة الرابعة للبعثة المحمّديّة الشريفة. وعلى الرغم من حقيقة ذلك إلا أن العديد من أبواق مسيحيي اليوم يحاولون إشاعة أن «ورقة بن نوفل» كان نصرانياً، وأنه هو الذي علّم محمداً القرآن الكريم وأصول الدين.

(د) الدعوة السريّة:

بعد اللّقاء الأوّل لجبريل ﷺ برسول الله ﷺ تكرّر نزول الوحي، وتثبت الرّسول ﷺ من صدق نبوّته، واصطفائه لتبليغ الرّسالة السماويّة الخاتمة إلى الناس كافّة. بدأت الدعوة إلى دين الله سرّاً، واستمرّت هكذا ثلاث سنوات. وكان أوّل من آمن برسول الله ﷺ من النساء «السيدة خديجة» - عليها رضوان الله - وتبعها من الغلمان «علي بن أبي طالب»، ومن الرجال كل من «أبي بكر»، و«عثمان بن عفان»، و«ورقة بن نوفل»، و«سعيد بن العاص»، و«زيد بن ثابت بن حارثة»، و«الزبير بن العوام»، و«طلحة بن عبيد» الله، و«عبد الرّحمن بن عوف»، و«سعد بن أبي وقاص»، و«أبي ذر الغفاري»، و«عمر بن عبسة» (عليهم رضوان الله أجمعين). وكان كل هؤلاء من أشرف قريش ومن أعلامهم نسباً. وظل رسول الله ﷺ يدعو من يأنس فيه الإجابة لدين الله سرّاً حتى بلغ عدد المسلمين قرابة الأربعين، كانوا يتعبّدون الله - تعالى - ويتعلّمون الدّين خفية في دار الأرقم.

(هـ) الدعوة الجهرية:

بعد ثلاث سنوات من الدعوة السريّة نزل الوحي أمراً رسول الله ﷺ بالدعوة

الجهرية، وذلك بقول الله ﷻ له:

1 - ﴿بَيَّأَهَا الرَّسُولُ بَلَّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

[المائدة: 67]

2 - ﴿فَأُصَدِّعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

[الحجر: 94]

3 - ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

[الشعراء: 214]

وانصياعاً لهذه الأوامر الإلهية خرج رسول الله ﷺ إلى بطحاء مكة فصعد على تلة الصفا ونادى أهل مكة بطناً بطناً، وقبيلة قبيلة بأعلى صوته حتى اجتمعوا له فسألهم قائلاً: أرايتكم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال ﷺ: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك. وكان أبو لهب هذا هو عم رسول الله ﷺ وكان اسمه «عبد العزى بن عبد المطلب»، وكان هو وأبوه من أثرياء وزعماء قريش، وكانت امرأته هي «أم جميل أروى بنت حرب بن أمية»، (أخت أبي سفيان)، وكانا كلاهما من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله - تعالى - فيهما قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَكَّالَةٌ أَلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ ﴿٥﴾﴾

[المسد: 1 - 5]

(و) اضطهاد قريش للمسلمين :

بمجرد إعلان الدعوة الجهرية إلى الإسلام بدأت المواجهة بين رسول الله ﷺ وكفار قريش الذين اشتد اضطهادهم له، وتعذيبهم لأتباعه، ومطاردتهم لهم، حتى استشهدت (سمية) والدة «عمار بن ياسر» الذي تعرض هو، ووالديه، ورفاقه لعذاب فوق الاحتمال. وسخر كفار ومشركو قريش من نبوة رسول الله ﷺ وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ رَأَوُكَ إِذْ أَنْتَ نَبِيٌّ مُّشْرِكٍ إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَرَوُكَ إِذْ أَنْتَ نَبِيٌّ مُّشْرِكٍ﴾ [الفرقان: 41، 42]

[الفرقان: 41، 42]

مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

ويصبر القرآن الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بقول ربنا - تبارك وتعالى - له: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأْتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: 33].

ولما لم يجد اضطهاد كفار قريش للمسلمين نفعاً، قامت قريش بإرسال عتبة بن ربيعة ليفاوض رسول الله ﷺ عارضاً عليه المال، والملك، والسيادة، والتطبيب والعلاج في مقابل الإقلاع عن دعوته للناس. وعلى الفور ردّ عليه رسول الله ﷺ بآيات من سورة «فصلت» أرعبت عتبة الذي أسرع منصرفاً إلى قومه مقترحاً عليهم أن يتركوا محمداً وشأنه، وفي هذه الآيات يقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿حَمْدٌ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءِ ءَاذَانِنَا وَقَدْ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ بِالْحَقِّ وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ٥ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءُتْدَادًا ٩ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ١٢ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٣ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 1 - 13].

(ز) شكوى مشركو قريش من رسول الله ﷺ إلى عمه أبي طالب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم زعيم بني مخزوم «عمرو بن هشام»، المعروف بكنيته الشهيرة «أبو جهل» فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنيهته، فبعث إليه عمه، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت، وبينه وبين أبي طالب قدر

مجلس رجل، قال: فخشي «أبو جهل» - لعنه الله - إن جلس «محمد» إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي! ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم! إنني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية» ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال: القوم: كلمة واحدة! نعم وأبيك عشراً (أي نعطيك بدل الكلمة الواحدة عشر كلمات) فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال ﷺ: «لا إله إلا الله» قاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون ما سجّله القرآن الكريم على ألسنتهم بالنص التالي: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ (1) [ص: 5].

ثم جاء وفد ثانٍ من كفّار قريش إلى أبي طالب يشكون إليه رسول الله ﷺ ويطلبون منه إمّا أن يسكته أو أن يخلي بينهم وبينه، فبعث إليه عمّه من أحضره، وقال له: يا ابن أخي! إن قومك قد جاؤوني وذكروك بما تصنع معهم فأبق على نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، فقال له ﷺ: «يا عم! بالله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه» فقال له عمّه أبو طالب: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فبالله لا أسلمك لشيء أبداً (2).

وبعد هاتين الوفادتين من كفّار ومشركي قريش إلى أبي طالب، جاؤوا إليه في محاولة ثالثة يائسة عارضين عليه أن يكف عنهم ابن أخيه، أو أن يسلمه لهم فيقتلوه، ويعطوه «عمارة بن الوليد بن المغيرة» ليتّخذه ولداً، قائلين إنّما هو رجل برجل. فردّ عليهم أبو طالب قائلاً: بالله لبئس ما تسومّني به، أنعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني لتقتلوه؟ هذا بالله ما لا يكون أبداً. فانصرف وفد

(1) مصنف ابن أبي شيبة (36564).

(2) سيرة ابن هشام (1/266).

قريش وهم عازمون على المبالغة في معاداة رسول الله ﷺ والتنكيل به وبأعوانه، متهمينه تارة بالكهانة، والسحر، وتارة بالشعر، وثالثة بالجنون والكذب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: 4، 5].

وينزهه الله - تعالى - عن ذلك بقوله العزيز: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرِصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرِصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِيعِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: 29 - 31].

وبقوله تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: 38 - 43].

(ح) هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة:

لما يئس كفار قريش من «أبي طالب» بدأوا في مناهضة رسول الله ﷺ وأصحابه، وبتعذيب بعض الذين آمنوا به من أمثال: «عمار بن ياسر» ووالدته «سمية» ووالده، و«بلال»، و«خباب بن الأرت»، وغيرهم، فأذن رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلاً لهم: «إِنَّ لَهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ»، فهاجر المسلمون إلى الحبشة في هجرتين متعاقبتين، كانت الأولى منهما في السنة الخامسة بعد نزول الوحي، وخرج فيها وفد من ستة عشر (16) مسلماً ومسلمة، ثم تلاهم ثلاثة وثمانون (83) رجلاً، وتسع عشرة (19) امرأة في الهجرة الثانية.

تعقب مشركو قريش الهجرتين، طالبين من «النجاشي» رد المهاجرين إليهم لتأديبهم بدعوى الخروج على دين آبائهم، وأرسلوا إليه بهديّة في محاولة يائسة لرشوته من أجل تحقيق طلبهم. ولكن «النجاشي» عند سؤاله المهاجرين عن دينهم وعن عقيدتهم في عيسى ابن مريم قالوا: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه. فأخذ «النجاشي» على الفور عوداً صغيراً من

الأرض وقال: لم يزد عيسى على ما قلتموه قدر هذا العود، اذهبوا فأنتم آمنون. وردّ النجاشي إلى قريش هديّتهم، فقد كان مؤمناً بشريّة المسيح ﷺ رغم مخالفة بطارقة كنيسته لذلك الإيمان الصحيح.

حصار المسلمين في شعب بني هاشم:

بعد إسلام كل من «عمر بن الخطّاب»، و«حمزة بن عبد المطلب» (وهما من صناديد قريش)، بدأ المشركون في إدراك خطر انتشار الإسلام، وتزايد قوّة وشوكة المسلمين. ولمواجهة ذلك اتفق مشركو قريش على مقاطعة المسلمين مقاطعة اقتصادية واجتماعية كاملة، فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم، ولا يزوّجونهم ولا يتزوّجون منهم، وكتبوا بذلك صحيفة علّقوها بداخل الكعبة. واستمرّ هذا الحصار لمدة ثلاث سنوات، حتى اضطرّ المسلمون إلى أكل ورق الشجر، فأثار ذلك كوامن المروءة عند بعض العرب، فقام «المطعم بن عدي» وبعض أهل المروءة باتّخاذ القرار بشق تلك الصحيفة الظالمة ونقضها. وعندما همّوا بذلك وجدوا أنّ حشرة «الأرضة» كانت قد أكلت الصحيفة كلّها إلّا جملة (باسمك اللّهم)، ففكّ هذا الحصار الظالم عن رسول الله ﷺ وعمن معه من المسلمين.

(ي) وفاة كل من زوجته وعمّه:

لم يكد رسول الله ﷺ يتنفس الصعداء بعد محنة الحصار في شعب بني هاشم الذي استمرّ لثلاث سنوات، ويستأنف نشاطه الدّعوي من جديد حتى مني بوفاة زوجته أمّ المؤمنين «السيدة خديجة» - رضي الله عنها وأرضاها - ثم وفاة عمّه أبي طالب، وذلك في العام العاشر من بعثته الشريفة (الموافق سنة 620م). ماتت السيدة خديجة بعد زواج دام أربعاً وعشرين سنة وبضعة أشهر، ومات «أبو طالب» دون أن يسلم، على الرغم من جهود رسول الله ﷺ معه لينطق بالشهادتين وهو على فراش الموت، فعرف ذلك العام في سيرة رسول الله ﷺ باسم «عام الحزن». وكان في موت كلّ من السيدة خديجة وأبي طالب إغراءً لمشركي قريش في زيادة الاضطهاد للرسول الخاتم وأصحابه الكرام. وعندما جاوز المشركون في مكة كل

الحدود في الإساءة إلى رسول الله، وإلى جميع الذين آمنوا معه، اضطرَّ ﷺ للخروج إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة «ثقيف».

(ك) الرحلة إلى الطائف:

تقع الطائف على بعد (70) كم إلى الجنوب الشرقي من مكة في صعود شاهق ومستمر، وقد سار المصطفى ﷺ هذه المسافة على قدميه ذهاباً وإياباً في طريق شاق شديد الوعورة، ولم يكن يرافقه فيها غير «زيد بن حارثة»، وكان ذلك في شهر شوال من السنة العاشرة بعد البعثة المحمّديّة الشريفة. مكث رسول الله ﷺ في الطائف عشرة أيام يتردّد على الأسواق، والبيوت، والطرقات، داعياً الناس إلى دين الله، قائلاً لهم: ﴿إِن أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: 32] فلم يؤمن به أحد. وفوق تكذيبها لرسول الله ﷺ زادت «ثقيف» تنكرها للتقاليد العربيّة الأصيلة، وللأعراف السائدة في كل الجزيرة العربيّة: من ضرورة القيام بواجب إكرام الضيف، فلم تقم له بشيء من حقّ الضيافة. وعلى النقيض من ذلك استقبله أبناء هذه القبيلة بكثير من صفات اللؤم والخسة والدناءة، فقد سخروا من دعوته، وأغروا سفهاءهم بالصياح عليه، وسبّه، وإلقاء الحجارة عليه حتى أدموا قدميه الشريفتين (وهو أحبّ خلق الله إلى الله).

خرج رسول الله ﷺ من الطائف مكسور الخاطر، مهيض الجناح، وتوقّف عند بستان في الطريق إلى مكة يعود إلى الأخوين عتبة وشيبة ابنا ربيعة. استظلّ رسول الله ﷺ بظلّ سور البستان، وطفق يناجي ربّه بمناجاة تهزّ القلب والعقل معاً قال فيها: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين إلى من تكلمي؟ إلى عدو يتجهمني؟ أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بك سخط عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تجلّ عليّ غضبك، أو أن تنزل عليّ سخطك، ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»⁽¹⁾.

(1) سيرة ابن هشام (1/420)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير.

فلما رآه صاحبا البستان تحرّكت المروءة في قلبيهما فدَعَوَا غلاماً لهما اسمه «عداس» كان من بقايا أهل الكتاب في العراق، وقال له: خُذْ قِطْفاً مِنَ الْعِنْبِ فَضَعُهُ فِي طَبَقٍ ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ وَقَدِّمَهُ إِلَيْهِ. فَعَلَّ «عِدَّاسٌ» مَا أَمَرَ بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدَّمَ طَبَقَ الْعِنْبِ إِلَيْهِ قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ» وَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْعِنْبِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ «عِدَّاسٌ» قَائِلاً: بِاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ. فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَنْ أَيُّ الْبِلَادِ أَنْتَ؟» قَالَ «عِدَّاسٌ»: مِنْ نَيْنَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بِلَدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَى؟» فَقَالَ «عِدَّاسٌ»: وَمَا يَدْرِيكَ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَتَى؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ» فَأَكَبَّ «عِدَّاسٌ» عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ. وَمَا أَنْ رَأَى صَاحِبَا الْبِسْتَانِ مَا كَانَ مِنْ «عِدَّاسٍ» تَجَاهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَمَا غَلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ. فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِمَا «عِدَّاسٌ» قَالَا لَهُ: وَيْلَكَ يَا عِدَّاسُ! مَا لَكَ تَقْبَلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ؟ قَالَ: مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ!! فَقَالَا لَهُ: وَيْحَكَ يَا «عِدَّاسُ»، لَا يَصْرَفُنكَ عَنْ دِينِكَ.

وكان يرافق رسول الله ﷺ في رحلة الطائف خادمه زيد بن حارثة، فسأله زيد متعجباً قال: يا رسول الله! كيف تعود إلى مكة وهم أخرجوك؟ فأجابه قائلاً: «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً. وإن الله ناصر دينه ومُظهر نبيه».

وتروي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ قائلة: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على «ابن عبد يا ليل بن عبد كلال» فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (قرن المنازل أو السيل) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك

الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمدا! إن الله قد بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت، فإن شئت أطبق عليهم الأخشبين) فقال النبي ﷺ: (قلت له: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)⁽¹⁾.

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة في جوار أحد المشركين هو «المطعم بن جبير»، وكفار قريش من أشد الناس شماتة به، وعداء له، فأكرمه الله - تعالى - برحلة «الإسراء والمعراج»، وهي كرامة لم ينلها أحد من الخلق من قبل ولا من بعد. وجاء ذكر تلك المعجزة في كل من سورتي «الإسراء» و«النجم» وفي العديد من أحاديث رسول الله ﷺ.

(ل) معجزة الإسراء والمعراج:

في شهر ربيع الأول من السنة السابقة على الهجرة النبوية الشريفة (في حدود سنة 620م) طاف رسول الله ﷺ حول الكعبة ليلاً وحيداً، ثم رجع إلى بيته وأوى إلى فراشه. وعند منتصف الليل جاءه جبريل عليه السلام وأخبره بأن الله - تعالى - يدعو إلى رحلة السماء. تحرّك الركب الكريم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث استقبلته الملائكة، وصلى رسول الله ﷺ ركعات في المسجد الأقصى ومعه الملائكة الكرام، ثم عرج به عبر السموات السبع حتى وصل إلى سدره المنتهى، وشاهد جنة المأوى، وراح ﷺ يصعد حتى وقف بين يدي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وسجد قائلاً: «التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله» فقال الحق ﷻ: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، وسبّحت الملائكة لهذه التحية الربانية قائلة: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». وقد جعلت هذه التحية بداية التشهد الذي يردده المسلمون في صلواتهم التي فرضها الله ﷻ عليهم في هذا الموقف العظيم. وبين يدي رحمن الدنيا والآخرة

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، حديث رقم (3231).

ورحيمهما أوحى إلى خاتم أنبيائه ورسله ما أوحى، وكانت فريضة الصلاة في مقدمة ذلك. ولقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة من آيات ربه الكبرى ما لم يفصح القرآن الكريم عنه، وإن فصلته أحاديث رسول الله ﷺ.

وبعد إتمام رحلة التكريم الإلهي تلك عاد رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس، حيث صلى إماماً بأنبياء الله ورسله، ثم عاد إلى مكة المكرمة ليجد فراشه لا يزال دافئاً، لأنَّ الله - تعالى - أوقف له الزمن، وطوى له المكان، والله ﷻ على كل شيء قدير، وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له لكن فيكون.

وفي صبيحة تلك الليلة المباركة، حَدَّث رسول الله ﷺ أهل مكة بأخبار رحلته التكريمية تلك فأمن مَنْ آمن، وكفر مَنْ كفر. وكان أول المصدقين هو «أبو بكر بن قحافة»، ومن هنا أطلق عليه لقب (الصديق). وفي ذلك يروى عن رسول الله ﷺ قوله: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قَرِيشُ قَمَتِ فِي الْحَجَرِ فَجَلَّ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

(م) بيعة العقبة الأولى :

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في كلِّ موسم من المواسم، يدعوهم إلى الإسلام، ويطلب منهم مناصرته من أجل إقامة دين الله في الأرض. وفي موسم حجِّ السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية الشريفة، خرج رسول الله ﷺ إلى المشاعر في طريقه إلى عرفات. وبينما هو في منى عند العقبة الكبرى، لقي رهطاً من ستة رجال من قبيلة الخزرج، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم شيئاً من القرآن الكريم، فأسلموا، ووعدوا أن ينقلوا خبر رسول الله ﷺ إلى قومهم، ويدعوهم إلى الإسلام.

(1) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (3886)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (427)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، حديث رقم (3133).

وفي موسم الحج التالي (في السنة الثانية عشرة من البعثة الشريفة) لقي رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً من الأوس والخزرج، وكان منهم ستة نفر الذين قابلوه في العام السابق، فبايعوه جميعاً على الإسلام، وسميت هذه البيعة باسم بيعة العقبة الأولى، وأرسل معهم رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه - سفيره إلى أهل المدينة مصعب بن عمير رضي الله عنه ليدعو أهل المدينة إلى الإسلام، ويعلمهم ركائز هذا الدين، فأسلم الكثيرون منهم على يديه لإخلاصه، وتجرده لدين الله بفقته والتزام واضحين.

وفي موسم الحج التالي (في السنة الثالثة عشر من البعثة النبوية الشريفة) عاد مصعب بن عمير إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشائر الفتح، ويقص عليه أخبار أهل المدينة، وما فيها من الخير، وما لها من القوة والمنعة، فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك سروراً كبيراً، ورأى أن بداية انتصار الإسلام قد دنت.

(ن) بيعة العقبة الثانية (الكبرى):

في السنة الثالثة عشر من البعثة النبوية الشريفة (622م) جاء إلى رسول الله ﷺ في نفس المكان (العقبة الكبرى) وفد من أهل المدينة مكوّن من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فبايعوا الرسول على الإسلام، وعلى أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم.

تسرّبت أنباء هذه البيعة إلى مشركي قريش، فزادوا من إيذائهم لرسول الله ﷺ ولصحابته الكرام. عند ذلك أمر رسول الله ﷺ مسلمي مكة بالهجرة إلى المدينة قائلاً لهم: «إنَّ الله ﷻ جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها»⁽¹⁾. وقال: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخيل بين لابتين (وهما الحرتان أي الطفحان البركانيان)⁽²⁾».

خرج أغلب المسلمين من مكة إلى المدينة، ولم يبق منهم في مكة سوى

(1) تاريخ الطبري.

(2) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، حديث رقم (3905).

رسول الله ﷺ و«أبو بكر» وعائلته، ورعلي بن أبي طالب»، وبعض من ضعاف المسلمين من كبار السن والعجزة، أو الذين ابتلوا بخطف آبائهم، أو أزواجهم، أو أبنائهم، بواسطة كفّار قريش. كذلك رجع إلى المدينة أغلب من كان قد هاجر إلى أرض الحبشة من مسلمي مكة.

(س) هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة:

لمّا رأى زعماء الكفر والشرك من قريش انتشار الإسلام، وهجرة المسلمين إلى «يثرب»، اجتمعوا في دار الندوة ليتدارسوا أمر رسول الله ﷺ وأصحابه. وكان ذلك في يوم الخميس 26 من شهر صفر في السنة الرابعة عشر من البعثة النبوية الشريفة (الموافق 622/9/12م). وفي هذا الاجتماع تكلم «أبو البحتري بن هشام»، فاقترح حبس رسول الله ﷺ قائلاً: احبسوه وأغلقوا عليه الأبواب، فقالوا: ليس هذا برأي. ثم تحدّث «الأسود بن عمرو» قائلاً: نخرجه من بين أظهرنا، ونفنيه من بلادنا، فإذا خرج فلا نبالي بعد ذلك إلى أين ذهب، ولا في أي مكان حلّ. قالوا: ليس هذا برأي، ألم تروا حسن حديثه، وقوة منطقه، فإذا حلّ عند قوم لا يلبث أن يستولي على نفوسهم، ويحلّ في سويداء قلوبهم.

بعد ذلك تحدّث «أبو جهل» (عمرو بن هشام، زعيم مخزوم من قريش) قائلاً: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى، شاباً، جليداً، نسيباً، وسيطاً فينا، ثم نعطي كلّ فتى منهم سيفاً صارماً، ويذهبون حيث محمّد، فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل كلّها، فلا يستطيع «بنو عبد مناف» قتال الجميع، فيرضوا منّا بالعقل (أي يقبلوا الدية) فعقلناهم لهم.

استحسن الحضور من كفّار ومشركي قريش هذا الرأي، وقرّروا إخراجه إلى حيز التنفيذ. وأخبر الله ﷺ رسوله بتفاصيل هذه المؤامرة، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

وفي الوقت المناسب أوحى الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ أن

يهاجر إلى «يثرب» بعد ثلاث وخمسين (53) سنة قضاها في مكة. لذلك طلب رسول الله ﷺ من «أبي بكر» ﷺ أن يجهز اللازم لرحلة الهجرة دون أن يحدّد له موعدها. وعلى الفور ابتاع أبو بكر راحلتين احتبسهما في داره واهتم بما يُمكن الراحلتين من القيام بهذه الرحلة الشاقّة الطويلة. وكان «أبو بكر» من أثرياء مكة، وكانت ثروته تقدّر بأكثر من أربعين ألف درهم أنفقها كلّها في سبيل الله.

كذلك عهد رسول الله ﷺ إلى «علي بن أبي طالب» ﷺ أن يبيت في فراشه ليلة الهجرة، وأن يتسجى ببرده، صرفاً لأفئدة المتربّصين، وحرصاً على ردّ كل ما كان عند رسول الله ﷺ من أمانات إلى أصحابها من مشركي قريش.

وفي فجر الجمعة الموافق 27 من شهر صفر من السنة الرابعة عشر من البعثة النبويّة الشريفة (الموافق 622/9/13م) خرج رسول الله ﷺ من بيته قاصداً بيت صاحبه أبي بكر الصديق. وتروي أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها ذلك فتقول: «كان رسول الله ﷺ لا يخطئ أن يأتي بيت أبي بكر أحد أطراف النهار، إمّا بكرة وإمّا عشية، حتى إذا كان ذلك اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ بالهجرة والخروج من مكة من بين ظهрани قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. فلمّا رآه «أبو بكر» قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلّا لأمر حدث. فلمّا دخل تأخّر له «أبو بكر» عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلّا أنا وأختي أسماء. فقال رسول الله ﷺ: أخرج من عندك، فقال «أبو بكر»: يا رسول الله! إنّما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة»، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله!! قال ﷺ: «الصحبة». وتضيف السيّدة عائشة رضي الله عنها قائلة: «فبالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكي من شدّة الفرح حتى رأيت «أبا بكر» يبكي يومئذ»⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق نفسه (تاريخ الطبري).

وفي عتمة ليلة الهجرة النبوية الشريفة طَوَّقَ أحد عشر شاباً من كفَّار ومشركي قريش بيت النَّبِيِّ ﷺ، وظلُّوا يرصدون رسول الله ﷺ حتى نام. وعند منتصف الليل قام الرسول ليأمر علياً بن أبي طالب بالنوم في فراشه قائلاً له: «نم على فراشي، وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فم فيه، فإنَّه لن يخلص إليك شيء تكره منهم»⁽¹⁾.

ترك رسول الله ﷺ علياً نائماً على فراشه، وخرج من داره مخترقاً صفوف المحاصرين للدار دون أن يشعروا به. وأخذ ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: 9].

ثم تحرك رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر للقاءه، وانطلقا عامدين إلى «غار ثور»، إلى الجنوب من مكة تمويهاً للكفار الذين يعلمون أنه متجه إلى «يثرب» باتجاه الشمال. وقبل الخروج من مكة وقف رسول الله ﷺ على رابية صغيرة في أحد أسواق مكة (وقد أدخلت اليوم في مسجد الحرم المكي بعد توسعته) وقف يودع مكة قائلاً: «بالله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»⁽²⁾.

وفي نفس الوقت الذي كان رسول الله ﷺ وفي صحبته «أبو بكر الصديق» ﷺ يقطعان الطريق إلى غار ثور سيراً على الأقدام لمسافة تزيد على عشرة كيلومترات، كان أبو بكر قد حمل معه كل ما بقي من ماله، دون أن يترك لأولاده شيئاً منه على الإطلاق. وكان أبو بكر خائفاً على رسول الله ﷺ طيلة الطريق من أن تلمحه عين من أعين المشركين، فكان تارة يمشي أمامه، وتارة يكون خلفه،

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 229).

(2) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم (3925)، وابن ماجه في كتاب المناسك، حديث رقم (3108).

وثالثة عن يمينه، ورابعة عن يساره. فسأله رسول الله ﷺ عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك، لا آمن عليك⁽¹⁾.

وعند وصولهما إلى «جبل ثور» إذا هو صعب المرتقى، كثير الأحجار، شامخ الارتفاع، فارتقياه بصعوبة شديدة حتى وصلا إلى باب الغار، فأراد رسول الله ﷺ دخوله، ولكن سبقه إلى ذلك أبو بكر قائلاً: لا تدخل يا رسول الله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك. دخل أبو بكر الغار أولاً، ودار على جوانبه يتفحصها فوجد فيها العديد من الجحور، فشق ثوبه ومزقه إلى قطع تناسب وحجم كل جحر من تلك الجحور التي بدأ في سدها جحراً جحراً، وبقي جحران متجاوران لم يبق لهما سداة من خرق ثوبه، فسدهما بقدميه خشية أن يكون فيهما من الهوام ما يمكن أن يؤذي رسول الله ﷺ. ثم نادى على رسول الله أن يدخل إلى داخل الغار فدخل، ومن شدة الإجهاد وضع رأسه في جحر أبي بكر واستغرق في النوم. ثم فوجئ أبو بكر ﷺ بحية في أحد الجحور اللذين سدهما بقدميه تلدغه، فلم يحرك قدميه من فوق الجحور خشية أن تخرج الحية منه فتؤذي رسول الله ﷺ. زاد الألم على أبي بكر فبدأ يبكي بكاءً مكتوماً خشية أن يوقظ النائم في حجره، ولكن قطرات من دموعه سقطت على وجه رسول الله ﷺ فأيقظته فتساءل: «ما لك يا أبا بكر» فأجاب: لدغت، فذاك أبي وأمي. عالج رسول الله ﷺ مكان اللدغة بيديه الشريفتين فشفيت، وذهب ما كان يجد أبو بكر من الألم. فلما بزغ الفجر ووصل نوره إلى داخل الغار، لاحظ رسول الله ﷺ أن أبا بكر لا يرتدي ثوبه الذي كان عليه وهما في الطريق إلى الغار، فسأله عنه فأجاب بأنه مزقه ليسد بخرقه جحور الغار خوفاً عليه من الهوام. فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء داعياً: «اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة»⁽²⁾.

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/238).

(2) حلية الأولياء (1/33).

مكث رسول الله ﷺ وصاحبه في «غار ثور» ثلاث ليال حتى يهدأ بحث كفار قريش عنهما. وفي هذه الليالي الثلاث كان «عبد الله بن أبي بكر» يأتيهما بأخبار أهل مكة في كل ليلة، ويبيت عندهما حتى السحر، وكانت أخته أسماء تأتيهما بالطعام والشراب ثم تعود معه، وكان «عامر بن فهيرة» مولى «أبي بكر» يرعى أغنامه خارج المنطقة الجنوبيّة من مكة ليعفي على آثار السائرين على الدرب الموصل إلى «جبل ثور».

في هذه الأثناء نشط كفار ومشركو قريش في تعقب رسول الله ﷺ وصاحبه، مجتدين كل إمكاناتهم في سبيل تحقيق ذلك، باذلين مائة ناقة بدل كل واحد منهما، لمن يعيدهما إلى قريش حيّين أو ميّتين كائناً ما كان. جدّ كل من الفرسان وقصاصي الأثر في طلب الرسول وصاحبه، وانتشروا في الوديان والجبال المحيطة بمكة حتى وصل بعضهم إلى باب «غار ثور» فقال أحد قصاصي الأثر: بالله ما جاز مطلوبكم هذا المكان. سمع «أبو بكر» هذا الحديث فبكى بكاءً مكتوماً، هامساً إلى رسول الله ﷺ بقوله: بالله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. لو هلك أبو بكر لهلك فرد واحد، أمّا أنت يا رسول الله لو هلكت لذهب الدّين وهلكت الأمة. بالله ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فطمأنه رسول الله ﷺ قائلاً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا» ونزل في وصف هذا الموقف قول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿إِلَّا نَصْرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

[التوبة: 40].

وكان الله ﷻ معهما حقاً، لأنه كان قد أوحى إلى شجرة قريبة من فم الغار أن تنحاز حتى تسدّه، وإلى واحدة من أنثى العنكبوت أن تنسج نسيجاً يغطي فم الغار، وإلى حمامتين أن تبيضا وتفرخا بالوصيد (أي مدخل الغار). وقد دفع ذلك

المطاردين من كفّار ومشركي قريش إلى رفض رأي مقتفي الأثر بقولهم: أنى لأحد أن يدخل هذا الغار وهذه شواهدة؟ فعادوا أدراجهم وقد صرفهم الله - تعالى - بقدرته عن النبي وصاحبه.

ولمّا هدأ الطلب في المغارات المحيطة بمكّة، اتّجهت أنظار المطاردين إلى الطريق من مكّة إلى «يثرب». وفي ظل الهدوء حول مكّة جاء «عبد الله بن أبي بكر» بالراحلتين والدليل وكان اسمه «عبد الله بن أريقط الليثي»، وكان ماهراً في معرفة الطريق إلى «يثرب»، ولم يكن مسلماً، ولكنه أعطى العهد بألا يخون الأمانة. كذلك أتت «أسماء بنت أبي بكر» بزاد للرحلة الطويلة. خرج رسول الله ﷺ وصاحبه من الغار في ليلة الاثنين غرة ربيع الأوّل في السنة الأولى للهجرة النبوية الشريفة (الموافق 622/9/16م)، وركبا الراحلتين، وانطلقا سالكين طريق ساحل البحر الأحمر، على الرّغم من أنّه أطول من الطريق الصحراوي إلى «يثرب»، وذلك لتضليل المتعقبين. وصحبهما في هذه الرحلة كلّ من الدليل «عبد الله بن أريقط» و«عامر بن فهيرة» مولى أبي بكر.

وفي الطريق لحق بركب النبي ﷺ أحد فرسان مشركي قريش وكان اسمه (سراقة بن مالك). ظل سراقة يراكم بفرسه ركضاً في محاولة للوصول إلى رسول الله ﷺ وصاحبه. ولكنه كان كلما قرب من ركبهما غاصت أقدام فرسه في الرّمال، فاستجار سراقة برسول الله ﷺ فأجاره. ثم دفعه الطمع في جائزة المائتي ناقة فعاد يسرع الخطى إلى ركب النبي فيصيبه أشدّ ممّا أصابه في المرّة الأولى، فيستجير برسول الله ﷺ فيجيره. وتكرّر ذلك عدّة مرّات حتى آمن سراقة بأنّه لا سبيل إلى تحقيق مطلبه، فعاد إلى مكّة وأخذ في صدّ المتعقبين وردّهم عن المواصلة في طلب رسول الله ﷺ وصاحبه.

في الطريق إلى «يثرب» مرّ الرّكب المبارك بخيام «لأمّ معبد الخزاعية»، فنزلوا إلى تلك الخيام طلباً للرّاحة وللتزوّد بالطعام والشراب. سألوا «أمّ معبد» أن تبيعهم تمرّاً أو لبناً أو لحماً، فقالت: بالله لو كان عندنا ما أعوزناكم القرى «أي حق

الضيافة» ولكن المنطقة تعيش في شدة من الجذب والعوز. عندئذ أبصر رسول الله ﷺ شاة عند أم معبد، فسأل: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، وقد خَلَفها عن الغنم شدة ما بها من جهد وهزال. قال ﷺ: أتأذنين لي في حلبها؟ أجابت: بالله ما ضربها من فحل قط، فشأنك إن رأيت فيها حلباً فاحلبها. قام رسول الله ﷺ إلى الشاة ومسح بيده الشريفة على ظهرها وضرعها وسمى الله، فدرت، ودعا بإناء يروي جماعة فحلب. نزل اللبن قوياً في صوته، ثرا في تدفقه، فقدم الإناء لأم معبد فشربت حتى رويت، وشرب كل من حضر حتى روي، وأخيراً شرب رسول الله ﷺ حتى روي، وكان قدومه ﷺ على أهل هذه المحلة بشير يمن وبركة، فنزل الغيث، واخضرت الأرض، ودرت الضروع، فأطلقوا على زائرهم اسم «المبارك».

(ع) وصول ركب رسول الله ﷺ إلى «يثرب»:

سمع المسلمون من المهاجرين والأنصار في «يثرب» بخروج رسول الله ﷺ وصحبه الكرام من مكة قاصدين مدينتهم، وتوقعوا زمن وصولهم، فكانوا إذا صلوا الصبح خرجوا إلى ظاهر المدينة ينتظرونهم حتى تشتد عليهم حرارة الشمس (وكان الزمن صيفاً) فيعودون إلى بيوتهم. استمر مسلمو المدينة على ذلك المنوال عدة أيام، وأخيراً وصل ركب رسول الله ﷺ وصاحبه إلى «قباء» في صباح يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول للسنة الرابعة عشر من البعثة النبوية الشريفة أو السنة الهجرية الأولى (وقد وافق ذلك 622/9/23م). استقبل أهل «قباء» الركب بالبهجة والفرحة والترحاب الشديد، وقضى رسول الله ﷺ وصحبه أياماً في «قباء» يصلون مع مسلميها في مسجدها الذي كان أول مسجد أسس على التقوى، ثم تحوّل الركب الكريم إلى «يثرب» انتزاعاً من قلوب أهل «قباء».

وفي يثرب تزاحم الناس على ركب الرسول الخاتم وصحبه الكرام، وكلهم يحاول الأخذ بزمام ناقته طمعاً في نزول رسول الله ﷺ عنده فيقول: «دعوها فإنها مأمورة». وظلت ناقة الرسول الخاتم ﷺ تمشي حتى بركت في موضع مسجده

الشريف، وكانت أرضاً خالية من المباني ملكاً ليتيمين من أهل «يثرب»، فوهاها لرسول الله ﷺ، ولكنه أصرَّ على دفع ثمنها بالكامل، وأمر ببناء مسجده عليها، وبناء مسكنه بجوار المسجد.

وكانت أقرب بيوت أهل (يثرب) إلى تلك الأرض بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وهو من «بني النجَّار» أحوال رسول الله ﷺ، ولذلك استضافه أبو أيوب حتى تمَّ بناء مسجده ومسكنه، ومنذ تلك اللحظة تغير اسم «يثرب» إلى اسم (مدينة رسول الله) أو (المدينة المنورة) أو (المدينة).

وكان من أوائل أعمال رسول الله ﷺ في المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والصلح بين «الأوس» و«الخزرج»، ووضع دستور المدينة. وكان هذا الدستور واحداً من أقدم الوثائق الدستورية في تاريخ البشرية، ومن أوفرها إنسانية وعدلاً، وذلك من أجل قيام الدولة الإسلامية النموذج التي لا بدَّ من اتخاذها مثلاً لكلِّ من أراد أن يقيم دولة الإسلام على الأرض من جديد.

وفي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قاسم الأنصار المهاجرين في كل شيء ولذلك نزل فيهم قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْذِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 9، 10].

(ف) وضع دستور المدينة:

كان من أوائل أعمال رسول الله ﷺ عندما استقر في المدينة هو وضع دستور لها، فأقر وثيقة تعتبر واحدة من أقدم الوثائق الدستورية في التاريخ من أجل قيام دولة، وتكوين جماعة جديدة، وهي وثيقة تتسم بالجدية، والموضوعية، والسياسة، والكياسة بما احتوته من توثيق للروابط بين سكان المدينة من المسلمين وغير

المسلمين تأكيداً على الأخوة الإنسانية، والمساواة بين الناس، وعلى حرية الدين، وحمية التعاون بين أصحاب المعتقدات المختلفة في الوطن الواحد. وبهذه الوثيقة بدأ رسول الله ﷺ في بناء دولة الإسلام بالمدينة، وفي بناء إنسان هذه الدولة على أسس إسلامية واضحة وسط بيئة بدوية متخلفة لا تعرف مثل هذا التنظيم.

وجاء دور التشريع وتنظيم العبادات والمعاملات في المدينة بعد أن كان دور مكة المكرمة مكرساً لتركيز العقيدة، ولتأسيس القواعد الصحيحة لمكارم الأخلاق، وبدأت في المدينة المنورة مرحلة الجهاد في سبيل الله ﷻ بمجرد قيام دولة الإسلام. وكان من التشريعات الرئيسة التي وضعها المصطفى ﷺ في المدينة المنورة التأكيد على النقاط التالية:

1 - صلة الأمة بربها أفراداً وجماعات، باعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما احتويا عليه من المبادئ، والضوابط والمقاصد والغايات هما المصدر الأساسي للتشريع، مع وجود مجموعة القواعد الأساسية التي تحدد شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، ومدى سلطاتها إزاء الأفراد والجماعات (أو ما يعرف اليوم باسم الدستور) الذي يضبط القواعد، وينظم الحقوق ويحكم العلاقات والذي جمع في صحيفة المدينة.

2 - صلة المسلم بأخيه المسلم والتي تجسدت في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

3 - صلة المسلمين بغيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى من أهل الكتاب.

4 - تأسيس الدولة على قاعدة من الشورى بأمر من الله القائل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

5 - الاهتمام ببناء الإنسان المسلم، والمجتمع المسلم.

6 - الاهتمام بفريضة الجهاد في سبيل الله.

7 - الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين.

8 - إخراج الإنسان من إطار القبلية الضيق إلى رحاب الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية، وإلغاء كل أشكال العصبية الضيقة.

9 - إبراز ذاتية الفرد، ومسئوليته في المجتمع، بعد أن كانت ذاتيته في كيان القبيلة: شرفه لها، ووزره عليها، وتبعاته مطلوبة منها، وجرائمه محسوبة عليها، فجاءت «صحيفة المدينة»؛ لتجعل فروض الكفاية الاجتماعية على الأمة، وفروض العين الفردية يحملها الفرد، فلا يأثم امرؤ بحليفه، والجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

10 - رفض الطبقة الجاهلية، عرقية كانت أو اجتماعية، وجعل الأمة متكافئة ومتضامنة في الحق، وفي نصرة المظلوم، وفي المساواة القانونية (ذمة الله واحدة، والمؤمنون يجير عليهم أذناهم)، وفي حمل الدين عن المدين حتى يرفع عن كاهله.

11 - إقرار التسوية في المواطنة وحقوقها وواجباتها بين المسلمين وغير المسلمين من رعايا دولة الإسلام.

12 - إقرار كل الفضائل التي كانت قد بقيت في المجتمعات الجاهلية والتي لا تتعارض مع روح الشريعة الإسلامية.

(ص) إسلام عبد الله بن سلام:

كان «عبد الله بن سلام» من أحبار اليهود، ثم منَّ الله - تعالى - عليه بالإسلام، وروى قصة إسلامه قائلاً: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته، واسمه، وزمانه الذي كنا نترقب له، فكانت مُسرّاً لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة. فلما نزل بقاء، في «بني عمرو بن عوف»، أقبل رجل حتى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي «خالدة بنت الحارث» تحتي جالسة. فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري:

خبيك الله، والله إنه لو كنت سمعت «بموسى بن عمران» قادمًا ما زدت. فقلت لها: أي عمّة، والله إنه أخو «موسى بن عمران»، وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، فقالت: أي ابن أخي! أهو النبي الذي كنا نخبر أنه بعث مع نفس الساعة (أي الذي بعثته علامة على قرب الساعة)؟ فقلت لها: نعم، فقالت: فذاك إذن.

قال «عبد الله بن سلام»: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي عن يهود. ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن يهود قوم بهت (أي أهل باطل أو على الباطل)، وإني أحب أن تدخلني بعض بيوتك وتغيبيني عنهم، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني، فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخل عليه وفد من رؤساء اليهود فكلموه وسألوه، ثم قال لهم ﷺ: «أي رجل عبد الله ابن سلام فيكم؟» قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبونا وعالمنا. فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به رسول الله ﷺ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأؤمن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي، فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي «خالدة بنت الحارث» فحسن إسلامها. وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَانَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: 10].

(ق) إسلام زيد بن سعة:

كان «زيد بن سعة» من أحبار اليهود فقال لعبد الله بن سلام: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً. فلما

جُهِلَ على رسول الله ﷺ وسبق حلمه غضبه، ولم يزد شدة الجهل عليه إلا حُلماً آمن به زيد بن سعدة، وصدقه، وبإيعه، وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ﷺ.

(ر) إسلام سلمان الفارسي :

يروى الصحابي الجليل «سلمان الفارسي» رضي الله عنه قصة إسلامه كما جاءت بها كتب السيرة، من مثل «الطبقات الكبرى» لابن سعد، فيقول: «كنت رجلاً من أهل أصبهان، من قرية يقال لها (جي) بفارس، وكان أبي دهقان (أي عمدة أو حاكم) بلده، وكنت من أحب عباد الله إليه. وقد اجتهدت في المجوسية، حتى كنت قاطن النار (أي موقدها)، ولا نتركها تخبو أبداً. وكان لأبي ضيعة، أرسلني إليها يوماً فمررت بكنيسة للنصارى، فسمعتهم يصلون، فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فأعجبني ما رأيت من صلاتهم، وقلت لنفسي: هذا خير من المجوسية التي نحن عليها. فما برحتهم حتى غابت الشمس، وما ذهبت إلى ضيعة أبي، ولا رجعت إليه حتى بعث في إثري. وسألت النصارى عن أصل دينهم فقالوا: في بلاد الشام، وقلت لأبي حين عدت إليه: إني مررت بقوم يصلون في كنيسة لهم فأعجبنتي صلاتهم، ورأيت أن دينهم خير من المجوسية التي نحن عليها، فحاورني وحاورته، ثم جعل في رجلي حديداً وحسني. وأرسلت إلى النصارى - وأنا في حبسي - أخبرهم أنني دخلت في دينهم، وسألتهم إذا قدم عليهم ركب من بلاد الشام أن يخبروني قبل عودتهم إليها، لأرحل إلى الشام معهم، وقد فعلوا، فحطمت قيدي الحديد وخرجت إليهم، وانطلقت مع الوفد إلى بلاد الشام.

وهناك سألت عن عالمهم، ف قيل لي هو الأسقف صاحب الكنيسة. فأتيته وأخبرته خبري، وأقمت معه أخدمه وأصلي معه وأتعلم منه، ولكن هذا الأسقف كان رجل سوء في دينه، إذ كان يجمع الصدقات من الناس ليوزعها فيكتنزها لنفسه، ثم مات. وجاؤوا بآخر وجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً على دينهم خيراً منه، ولا أعظم رغبة في الآخرة، وزهداً في الدنيا، ودأباً على العبادة، فأحببته

حِباً ما علمت أنني أحببت أحداً مثله قبله. فلما حضره قدره قلت له: إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، ففيمَ تأمرني، وإلى مَنْ توصي بي؟ قال: أي بني! ما أعرف أحداً من الناس على مثل ما أنا عليه إلا رجلاً بالموصل. فلما توفي أتيت صاحب الموصل بالعراق فأخبرته الخبر، وأقمت معه ما شاء الله أن أقيم، ثم حضرته الوفاة، فسألته، فدلني على عابد في نصيبين، فأتيته وأخبرته خبري، ثم أقمت معه ما شاء الله أن أقيم. فلما حضرته الوفاة، سألته، فأمرني أن ألحق برجل في عمورية من بلاد الروم، فرحلت إليه، وأقمت معه واصطنعت لمعاشي بقرات وغنيمات. ثم حضرته الوفاة فقلت له: إلى مَنْ توصي بي؟ فقال: يا بني ما أعرف أحداً على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث بدين إبراهيم حنيفاً، يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرّتين، فإن استطعت أن تلحق به فافعل، وإن له آيات لا تخفى، فهو لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية، وإن بين كتفيه خاتم النبوة، إذا رأته عرفته.

ومرّ بي ركب ذات يوم فسألتهم عن بلادهم، فعلمت أنهم من جزيرة العرب، فقلت لهم: أعطيكم بقراتي هذه وغنمي على أن تحملوني معكم إلى أرضكم؟ قالوا: نعم، واصطحبوني معهم حتى قدموا بي وادي القرى، وهناك ظلموني وباعوني إلى رجل من اليهود. وبصرت بنخل كثير، فطمعت أن تكون هي البلدة التي وصفت لي، والتي ستكون مهاجر النبي المنتظر، ولكنها لم تكنها. وأقمت عند الرجل الذي اشترايني، حتى قدم عليه يوماً رجل من يهود بني قريظة، فابتاعني منه، ثم خرج بي حتى قدمت المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها حتى أيقنت أنها البلدة التي وصفت لي، وأقمت معه أعمل له في نخله في بني قريظة حتى بعث الله - تعالى - رسوله ﷺ، وحتى قَدِم المدينة، ونزل بقاء في «بني عمرو بن عوف».

وإني لفي رأس نخلة يوماً، وصاحبي جالس تحتها، إذ أقبل رجل من يهود بني عمه، فقال يخاطبه: قاتل الله بني قيلة (أي الأوس والخزرج؛ لأنهم بنو أم واحدة) إنهم ليتخاصمون على رجل بقاء، قادم من مكة يزعم أنه نبي. فوالله ما

هو إلا أن قالها حتى أخذتني العدواء (أي الرعدة مع الانتفاضة)، فرجفت النخلة حتى كدت أسقط فوق صاحبي، ثم نزلت سريعاً أقول: ماذا تقول؟ ما الخبر؟ فرفع سيدي يده ولكزني لكزة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. فأقبلت على عملي، ولما أمسيت جمعت ما كان عندي، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ بقباء، فدخلت عليه ومعه نفر من أصحابه فقلت لهم: إنكم أهل حاجة وغربة، وقد كان عندي طعام نذرته للصدقة، فلما ذكر لي مكانكم رأيتمكم أحق الناس به فجئتمكم به... ثم وضعته، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «كلوا باسم الله» وأمسك هو ﷺ فلم يبسط إليه يداً، فقلت في نفسي: هذه والله واحدة: (إنه لا يأكل الصدقة).

ثم رجعت وعدت للرسول ﷺ في الغداة أحمل طعاماً، وقلت له (عليه الصلاة والسلام): إنني رأيته لا تأكل الصدقة، وقد كان عندي شيء أحب أن أكرمك به، هدية، ووضعته بين يديه ﷺ، فقال لأصحابه: «كلوا باسم الله» وأكل معهم، فقلت لنفسي: هذه والله الثانية: (إنه يأكل الهدية).

ثم رجعت فمكثت ما شاء الله، ثم أتيته ﷺ، فوجدته في البقيع قد تبع جنازة، وحوله أصحابه، وعليه شملتان مؤتزرأً بواحدة ومرتدياً الأخرى، فسلمت عليه، ثم عدلت لأنظر أعلى ظهره ﷺ، فعرف أنني أريد ذلك، فألقى برده عن كاهله، فإذا العلامة بين كتفيه: «خاتم النبوة» كما وصفه لي صاحبي، فأكبت عليه أقبله وأبكي، ثم دعاني (عليه الصلاة والسلام) فجلست بين يديه، وحدثته حديثي، كما أحدثكم الآن، ثم أسلمت، وحال الرق بيني وبين شهود (بدر وأحد).

وفي ذات يوم قال لي الرسول (عليه الصلاة والسلام): «كاتب سيدك حتى يعتقك» فكاتبتة، وأمر الرسول ﷺ الصحابة كي يعاونوني، وحرّر الله رقبتي، وعشت حرّاً مسلماً، وشهدت مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق والمشاهد كلها».

(ش) عداة اليهود للإسلام ولرسوله وللمسلمين:

على الرَّغْم من إسلام عدد من زعامات وحاخامات اليهود في المدينة من أمثال «عبد الله بن سلام وعائلته»، وعلى الرَّغْم ممَّا أعطاهم دستور المدينة من حقوق، فإنَّ يهود المدينة عادوا كلاً من رسول الله ﷺ وأصحابه والإسلام والمسلمين عداً مليئاً بالندالة والخسة والحقارة. فقد رفضوا دعوة الإسلام، وتأمروا على رسول الله ﷺ، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا عليه مع أعدائه من الكفار والمشركين (وهم يدعون أنَّهم أهل كتاب)، وألبوا عليه القبائل، وحاولوا سمّه وقلته، ولكن الله - تعالى - نجّاه من كيدهم ونصره عليهم. وفي ذلك روى «ابن إسحق» عن «عاضم بن قتادة» عن أشياخ من قومه أنَّهم قالوا في اليهود: «كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، وكانوا يقولون لنا: إنَّ نبياً يُبعث الآن نتبعه قد أطلَّ زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش فاتبعناه وكفروا هم به»⁽¹⁾ وفي ذلك نزل قوله - تعالى - في اليهود: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨٩)

[البقرة: 89].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين»⁽²⁾.

وقد كره اليهود بعثة رسول الله ﷺ لأنها كشفت تزييفهم للدين، وكذبهم

(1) سيرة ابن هشام (1/ 539).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، حديث رقم (3535).

على رب العالمين، بدأوا بالكيد له ﷺ مباشرة، وبإثارة الفتن بين أتباعه من المهاجرين والأنصار، والعمل على التفرقة بينهم وبين كل جماعة منهم. كما بدأوا بنقض كل العهود والمواثيق التي أبرموها مع رسول الله ﷺ، وتخيروا لذلك ساعات العسرة. وقد أورد القرآن الكريم هذا التآمر والكذب والنفاق الذي مارسه يهود المدينة في العديد من آياته وسوره، وبيّن كيف استطاع رسول الله ﷺ مقابلة هذا المكر اليهودي باللين والنصح أولاً، ولما لم يُجد معهم ذلك أخذهم بالشدّة والحزم حتى تحقق وعد الله ﷻ لرسوله بالنصر فقام بتطهير أرض شبه الجزيرة من دنسهم.

(ت) من خيانات اليهود في المدينة:

تكررت خيانات اليهود لعهودهم التي قطعوها لرسول الله ﷺ في المدينة وكان من ذلك:

1 - خيانة «يهود بني قينقاع» الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ فحاصروهم خمسة عشر يوماً ثم أجلاهم عن المدينة التي غادروها إلى سوريا مذمومين مدحورين.

2 - خيانة «يهود بني النضير» للعهد الذي قطعوه لرسول الله ﷺ منذ وصل إلى المدينة، عندما وسطهم للصلح بينه وبين «يهود بني عامر»، فحاولوا قتله ﷺ وهو في ضيافتهم. وكان ذلك بإلقاء رحي طاحون عليه من شرفة مطلة على مجلسه وهو جالس على بساط بسطوه له عمداً في هذا الموقع من قلعتهم الحصينة على مقربة من (قباء). وكان ﷺ جالساً في عشرة من أصحابه بينهم «أبو بكر» و«عمر» و«علي» (رضي الله عنهم أجمعين)، ولكن الله - تعالى - أعلمه بمؤامرتهم فغادر المكان غاضباً، ثم أمر بإجلائهم وتم له ذلك بعد حصار دام ستة أيام، فمنهم من هاجر إلى خيبر، ومنهم من هاجر إلى سوريا، وفيهم نزلت سورة الحشر، التي يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿سَخَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَنَافِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ [الحشر: 1 - 4].

3 - خيانة «يهود بني قريظة» لعهودهم مع رسول الله ﷺ وانضمامهم إلى الأحزاب من قريش وغطفان وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: 51، 52].

4 - خيانة «يهود خيبر» ومحاولتهم سمّ رسول الله ﷺ ولذلك حكم بإجلائهم، فخرجوا منها مذمومين مدحورين لاجئين إلى بلاد الشام.

فلما فتح المسلمون خيبر، أهدت امرأة يهودية شاة مسمومة إلى رسول الله ﷺ فقال: «اجمعوا لي مَنْ كان هاهنا من يهود» فجمعوا له، فقال ﷺ: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟» فقالوا: نعم، قال لهم ﷺ: «مَنْ أبوكم؟» قالوا: فلان، فقال: «كذبتهم، بل أبوكم فلان!!» قالوا: صدقت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت أننا كذبنا كما عرفت في أينا، فقال لهم: «من أهل النار؟» قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال ﷺ: «اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً»، ثم قال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال ﷺ - وهو يشير إلى الشاة المهداة -: «هل جعلتم في هذه سمّاً؟» قالوا: نعم، قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. وكان النبي ﷺ قد أكل من الشاة وأكل منها «بشر بن البراء بن معرور»، ثم قال ﷺ: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» (يعني الشاة) ومات من

سَمَّهَا بشر بن البراء⁽¹⁾.

5 - هذا غير خيانات كل من «يهود تيماء»، و«فدك»، و«وادي القرى»، الذين أمر رسول الله ﷺ بإخراجهم من شبه الجزيرة العربية فتم إخراجهم.

(ث) تحويل القبلة وفرض صيام شهر رمضان:

في المدينة صَلَّى رسول الله ﷺ ومعه جموع المسلمين إلى بيت المقدس سنة عشر أو سبعة عشر شهراً. وكان ﷺ يتوق دوماً إلى جعل قبلته إلى الكعبة المشرفة، وفي النصف من شعبان للسنة الثانية من الهجرة أمر الله ﷺ رسوله الخاتم ﷺ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، فانقدهم اليهود على ذلك التحول، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك اسمه -: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ قَدْ زَرَى ثَقَلْبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِن الْفٰلِطِينَ ١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٤٨﴾ وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩﴾

(1) أخرجه أبو داود، في كتاب: الديات، حديث رقم (4512).

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمِ بَغَيْتُمْ عَلَيَّ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

[البقرة: 142 - 150].

وفي نفس الشهر فرض صيام شهر رمضان المبارك وذلك بقول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿٧٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

[البقرة: 183 - 185].

غزواته وفتوحاته ﷺ :

في عشر سنوات خاض رسول الله ﷺ قرابة ثلاثين معركة، وستين سرية وبعثاً، وكان من أهم المعارك التي خاضها معركة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان سنة 2هـ (الموافق سنة 624م)، ومعركة أُحد في السنة الثالثة من الهجرة (الموافق سنة 625م) ومعركة الخندق (أو الأحزاب) في الثامن من ذي القعدة سنة 5هـ (الموافق سنة 627م)، وصلاح الحديبية (في 6/11/1هـ) (الموافق سنة 630م)، وفتح مكة (في سنة 8هـ/631م)، فصلى الله وسلم وبارك عليه صلاة رحمة وتبريك، وصلت عليه الملائكة صلاة ثناء واستغفار، وصلى عليه المؤمنون من خلق الله صلاة تكريم وتعظيم، جزاء جهاده من أجل تثبيت دين الله في الأرض، بعد أن كان أهلها قد فقدوا كل صلة بالهداية الربانية.

(ذ) حجة الوداع :

في 10/11/25هـ (الموافق سنة 632م) خرج رسول الله ﷺ لأداء فريضة الحج، وكان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض بعد أن

كانت عملية النسيء قد ضيّعت معالم الشهور القمرية. وكانت الكعبة قد طُهرت من الأصنام والأوثان والأنصاب، وكان الحرم المكي قد طُهر من أدران الكفار والمشركين. وقد عرفت هذه الحجة باسم «حجة الإسلام» أو «حجة البلاغ» أو «حجة الوداع» لأنها لم تتم إلا بعد أن عادت كل مشاعر الحج كما كانت على عهد النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل ﷺ مكاناً وزماناً. وعُرفت حجة رسول الله ﷺ باسم «حجة الإسلام» لأن أهل الجاهلية كانوا قد ابتدعوا في هذه العبادة ما لم ينزل الله به سلطاناً، فجاء رسول الله ليصحح ذلك من جديد. كذلك سُميت باسم «حجة البلاغ» لأن رسول الله ﷺ قد بلغ الحجاج بكل ما تمنى أن يوضحه لهم من أمور الدين - بصفة عامة - ومن أعمال الحج قولاً وعملاً - بصفة خاصة -. كما عرفت باسم «حجة الوداع» لأن رسول الله ﷺ ودّع فيها المسلمين بقوله: «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»⁽¹⁾. وبالفعل لم يحج رسول الله ﷺ بعد هذه الحجة، وكان الوحي قد تنزل عليه في عرفات بقوله الحق - تبارك وتعالى -: ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَهُ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمَرْدِيَّةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَنْقِسُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ يَوْمَ بَيْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ بَعْتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطَرََّ فِي مَحْضَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِيْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

أدرك «أبو بكر الصديق» ﷺ أن في الآية بلاغ من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بأن مهمته قد اكتملت فبكى لذلك بكاءً طويلاً.

(ض) وفاة رسول الله ﷺ:

بعد عودته من حجة الوداع في أوائل صفر سنة 11هـ، خرج رسول الله ﷺ

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، حديث رقم (886)، والنسائي في كتاب المناسك، حديث رقم

(3062)، وابن ماجه في كتاب المناسك، حديث رقم (3023).

إلى (جبل أحد) فصلّى على الشهداء مودّعاً. ثم ألمّ به المرض، فخرج من منزله قاصداً «البقيع» في منتصف الليل مستصحباً خادمه «أبا مويهبة» فسلم على أهل «البقيع» واستغفر لهم، ثم أقبل على خادمه قائلاً: «يا أبا مويهبة! إنني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها... ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها... ثم الجنة، فقال ﷺ: «لا بالله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»⁽¹⁾.

وبدأ رسول الله ﷺ يشكو المرض غداة تلك الليلة، واستمر في مرضه مدة أسبوعين تقريباً. وعلى الرغم من اشتداد المرض عليه إلا أنه كان يخرج للصلاة بالناس في مسجده عشرة أيام كاملة أو أحد عشر يوماً. وفي أحد الأيام اعتلى المنبر خطيباً في المصلين قائلاً: «إنّ عبداً من عباد الله خيره الله أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختار ما عند الله». فأدرك «أبو بكر» ﷺ أنّ النبي إنّما يعني بهذه العبارة نفسه الشريفة فأجهش بالبكاء قائلاً: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا»⁽²⁾.

وقبل وفاته ﷺ بأربعة أيام صلّى بالناس صلاة المغرب، ثم أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب. وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، وأوصى بالاعتصام بالكتاب والسنة، وبتنفيذ جيش أسامة لمقابلة الروم في معركة فاصلة. وكان هذا هو آخر بعث أمر به ﷺ، وكانت فيه إشارة للمسلمين أن يتجهوا بدعوتهم إلى خارج شبه الجزيرة العربية لتحرير بلاد الشام من احتلال جيوش الروم.

وفي صلاة العشاء من ذلك اليوم لم يتمكن رسول الله ﷺ من الخروج للصلاة بالناس، فأرسل إلى «أبي بكر» ﷺ وأمره أن يصلّي بالناس إماماً، فصلّى

(1) أخرجه الدارمي في المقدمة، حديث رقم (79).

(2) أخرجه البخاري، في كتاب المناقب، حديث رقم (3904).

«أبو بكر» بالناس سبع عشرة صلاة.

وقبل يوم واحد من وفاته ﷺ أعتق غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب المسلمين أسلحته.

وفي آخر يوم من حياته الشريفة، قام رسول الله ﷺ بكشف ستر حجرة السيدة عائشة، ونظر إلى المسلمين في صلاة الفجر وهم يصلون خلف «أبي بكر»، مشيراً إليهم بيده الشريفة، فرحاً بهم ومودعاً إياهم، ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر. وفي ذلك قال أنس بن مالك: «ما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه في تلك الساعة»⁽¹⁾.

ولما ارتفع الضحى دعا رسول الله ﷺ ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت. قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فسألناها عن ذلك فيما بعد فقالت: سارني أنه ﷺ يقبض في وجهه الذي هو فيه، فبكيت لفراقه، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت»⁽²⁾.

ودعا رسول الله ﷺ كلاً من «الحسن والحسين» فقبلهما، وأوصى بهما خيراً، ودعا أزواجه أمهات المؤمنين فوعظهن وذكرهن. وأوصى من حوله بقوله الشريف: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»⁽³⁾، وكررها مراراً.

وبدأت لحظات الاحتضار في بيت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فأسندته إليها، وأعطته سواكاً فاستن به. وكانت بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي (305/12).

(2) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3625 - 3626)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (6264)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1621).

(3) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1625).

في الماء فيمسح به وجهه الشريف وهو يقول: «لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات»⁽¹⁾.

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده وأشار بإصبعه الشريف، وشخص بصره إلى السقف وهو يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين»، ثم قال: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» وكرّر هذه الجملة الأخيرة ثلاثاً. لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، وكان ذلك حين اشتدَّ الضحى من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة 11هـ (الموافق سنة 633م) وقد تمَّ له ﷺ من العمر ثلاثاً وستون سنة.

وشغل هول الفاجعة كل المسلمين، فبقي جسده الطاهر على فراشه إلى صبيحة اليوم التالي حين قام كل من «العبّاس» وولديه، و«علي بن أبي طالب»، و«أسامة بن زيد»، و«أوس بن خولي»، و«شقران» مولى رسول الله ﷺ بغسله دون أن يجردوه من ثيابه. ثم كفّنوه في ثلاثة أثواب بيض، وصلّى عليه المسلمون في المسجد أرتالاً أرتالاً، ثم قال «أبو بكر» - رضي الله عنه وأرضاه - إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبيّ إلا دفن حيث يقبض»⁽²⁾.

فقام «أبو طلحة» رضي الله عنه برفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً أودع فيه جثمان خاتم الأنبياء والمرسلين، وأغلق القبر الشريف في جوف ليلة الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة 11هـ (الموافق سنة 633م)، فصلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وجزاه الله - تعالى - عنّا وعن جميع المسلمين خير الجزاء. (اللهم آمين).

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، حديث رقم (6510).

(2) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، حديث رقم (1628).

(ظ) من الدروس المستفادة من استعراض سيرة المصطفى ﷺ :

إن سيرة هذا الرسول الخاتم مليئة بالدروس والعبر التي لا بد للمسلمين من الاستفادة بها، وهذه يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1 - إنَّ على كل مَنْ يشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ بالنبوة وبالرسالة، يجب أن يعلم أن الله - تعالى - قد اصطفاه من بين جميع خلقه الذين عاشوا من قبله، والذين عايشوه في زمانه، والذين جاؤوا من بعده إلى قيام الساعة. ويجب أن يعلم كذلك أن الله - تعالى - بالإضافة إلى هذا الاصطفاء، قد تعهد خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بسلسلة من الابتلاءات؛ من أجل تهيئته للرسالة العظيمة التي كلف بها، وتمَّ إعداده لتحمل تبعاتها...! فإذا ابتلى الفرد من المسلمين فعليه أن يفهم أن في ذلك من الصقل والإعداد ما يحتاجه في مستقبل حياته.

2 - وعلى كل مَنْ يعلم ذلك أن يحرص على مدارسة السيرة العطرة لهذا النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، حتى يرى فيه صورة للكمال البشري في أعلى درجاته، فيحتذي به. ويرى فيه من النبل الإنساني في القول والفعل والإقرار والنهي، ومن أنماط السلوك والمعاملات، ما يعينه على أن يتخذ من هذا المثل الأعلى للأنبياء قدوة ومثلاً يرقى بتقليده إلى مقامات التكريم التي يرتضيها الله - تعالى - من عباده الصالحين.

3 - وبالنظر إلى الرعاية الإلهية التي تعهدت تلك النطف الطاهرة من صلب كل من أبينا آدم ﷺ، وأمنا حواء - عليها رضوان الله - إلى أصلاب كل من عبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب؛ حتى يخرج الكمال البشري في أتم صورة له، نجد في ذلك مدعاة لكل مسلم أن يتخير لنطفه، وأن يكون معيار الاختيار هو الدين قبل كل شيء.

4 - ويتأمل الحكمة الإلهية في بعث هذا الرسول الخاتم ﷺ في مكة المكرمة أشرف بقاع الأرض وأطهرها، وأحبها إلى الله - تعالى -، ولذلك جعلها

مهبط آدم ﷺ ومحج ومعتمر جميع أنبياء الله ورسله، وكل القادرين من عباد الله المؤمنين ومثوى الكثيرين منهم، كما جعلها قبلة للموحدين عبر التاريخ، وحرّمها يوم خلق السماوات والأرض، وجعلها محرّمة إلى يوم الدين، وجعل لها غير ذلك من الفضائل. ومن ذلك نرى صورة حية لوحدة رسالة السماء، بالتقاء أول النبيين بخاتمهم عند أول بيت وضع للناس في الأرض.

5 - كذلك فإن تأمل المسلم في السيرة العطرة لرسول الله ﷺ يؤكد مقولته الشريفة: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»⁽¹⁾.

فقد لاقى رسول الله ﷺ من صنوف الابتلاء ما لاقى (وهو أحب خلق الله إلى الله). فقد توفي أبوه وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه التي فقدت زوجها في الغربية، بعد زواج لم يدم إلا لشهور قليلة. وبعد ولادته زهدت فيه المرضعات ليُتمّه (وهو سليل الحسب والنسب والشرف). ثم تَعَرَّب وهو رضيع إلى سن الخامسة في مضارب بني سعد، وبعد ذلك عاد إلى أمه، فصَحِبته لزيارة قبر أبيه الذي شاء الله - تعالى - له أن يموت ويدفن بالمدينة. وفي طريق العودة توفيت والدته وهو دون السادسة. فعاد وحيداً إلى مكة ليعيش في كنف جده، ثم في كنف عمه بعد أن توفي الجد، وهو في الثامنة من عمره. ورعى الغنم لأهل مكة على قراريط حتى الثانية عشرة من العمر، ثم سافر مع عمه في تجارة إلى بلاد الشام وهو دون الثالثة عشرة، ثم في تجارة للسيدة «خديجة بنت خويلد» وهو دون الخامسة والعشرين. وعرف محمد بن عبد الله في شبابه العزلة عن قومه، والعبادة الفطرية لخالقه من قبل أن يأتيه الوحي، فلم يقترب من صنم أبداً، ولم يقترب سلوكاً يُعاب أبداً، ولا تَلَفَّظ بكلمة نابية أبداً، فقد حفظه الله - تعالى - في طفولته وشبابه من سليات تلك الأعمار، ومن شرك المشركين، وكفر الكافرين. ولم يُعرف عنه إلا كل خير، حتى لُقّب من أهل مكة بالصادق الأمين من قبل أن يُبعث، وعُرف بين قومه برجاحة

(1) رواه الترمذي في الزهد حديث رقم (2320).

العقل، وصواب الفكر حتى حَكَموه فيما شجر بينهم وهو لا يزال صبيّاً يافعاً. وكان ﷺ أجود الناس، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، كما كان أرفق الناس، وأحلم الناس. ومع ذلك كله فقد تعرض رسول الله ﷺ لسلسلة طويلة من الشدائد والابتلاءات التي لعبت دوراً كبيراً في صقله وتدريبه على تحمل المسؤوليات التي ألقيت على عاتقه. ولعل في ذلك ما يكون عوناً لكل مسلم يمر بمحنة من محن هذه الحياة أن يصبر ويحتسب كما صبر رسول الله ﷺ.

6 - وبعد بعثته الشريفة كان ﷺ أتقى الخلق لله، وأكثرهم وِضلاً به ﷺ، وكان أزهد الناس في الدنيا، ما سُئِلَ شيئاً قط فقال لا، وما عاب طعاماً قط قُدِّمَ إليه. وكان دائماً يقول: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً»⁽¹⁾، ويقول: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽²⁾. وكان ﷺ جَمَّ التواضع، يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيماناً راسخاً عميقاً، كما كان يؤمن بأخوة الأنبياء، وكان يقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويمعجبون له ويقولون: هلا وُضِعَت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»⁽³⁾. ولعل في ذلك ما يعين كل مسلم على الالتزام بمكارم الأخلاق مهما كلفه ذلك من ثمن.

وقد حوَّصر رسول الله ﷺ هو وجميع من آمن معه في شعب بني هاشم لثلاث سنوات كاملة حتى أكلوا أوراق الشجر، ولم يخرجوا من هذا الحصار القاسي إلا بمعجزة إلهية، تمثلت في أكل حشرة «الأرضة» لوثيقة الحصار إلا ما كتب في مقدمتها «باسمك اللهم». ثم لجأ رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف فردوه ردّاً غير جميل واضطر إلى العودة إلى مكة في حماية أحد المشركين. فأكرمه الله - تعالى - برحلة «الإسراء والمعراج» في تكريم لم ينله مخلوق قبله، ولن يناله أحد من بعده.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الحاكم في المستدرک.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

ولعل في ذلك ما يقنع كل مسلم بأن بعد العسر يسراً، وبعد الضيق الفرج، فلا يقنط ولا يسخط إذا مرت به بعض الشدائد، بل يصبر ويحتسب.

7 - وقد عاش رسول الله ﷺ ثلاثة وستين عاماً، منها أربعون سنة قبل البعثة الشريفة، قضاها في العبادة الفطرية والتحنُّت لله، وثلاثة وعشرون عاماً بعد البعثة قضاها في الدعوة إلى دين الله، وفي الجهاد الصادق في سبيله، وفي العمل الدؤوب لإقامة دولة الإسلام على الأرض. وقد تحمل ﷺ في سبيل ذلك الهجرة من بلده مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وخاض قرابة ثلاثين معركة، وستين سرية وبعثاً. وواجه من الحروب الفعلية والنفسية، والحصار الاقتصادي والاجتماعي ما واجه. وتعرض ﷺ لمحاولات القتل والسجن والتشريد والمطاردة. كما تعرض إلى الاتهام بالسحر، والكهانة والشعر، والشعوذة، إلى رمي بيته بفرية الإفك. كما تعرض أصحابه إلى الإيذاء والمحاصرة والمطاردة والتعذيب حتى الموت. وفي ظل هذه الشدائد تخلى أقرب الناس إليه من أهله وقبيلته عنه، وتخاذلوا عن نصرته، وغدر الكفار والمشركون برسله بعد إعطائهم الأمان (كما حدث في كل من سريتي الرجيع وبئر معونة)، وتعرض هو إلى خيانات اليهود وتآمرهم عليه، وتربصهم به، ونقض كل عهودهم معه، كما تعرض إلى نفاق المنافقين، ومغالاة كل من الكفار والمشركين وتعاونهم عليه ﷺ. وكل ذلك لم يفت في عَضِدِهِ، ولم يُلنْ من عزمه، ولم يضعف من إصراره على نصرته دين الله، بل على النقيض من ذلك زاده تصميماً على الحق الذي جاء به، وإصراراً على الدفاع عنه والدعوة إليه. وظل كذلك حتى فتح الله - تعالى - له مكة المكرمة، وأدان الجزيرة العربية لإمرته. ثم فاضت روحه الشريفة الزكية الطاهرة وهو يقول: «... مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى... اللهم الرفيق الأعلى...»⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، حديث رقم (6510).

ولعل في هذه السيرة العطرة لأشرف الخلق أجمعين ما يهوّن مصائب الدنيا على المسلمين، ويرضيهم بقضاء الله وقدره، وهم مقتنعون كل الاقتناع أن فيه الخير كل الخير، حتى ولو بدا في غير الصالح مباشرة، وذلك بعد بذل جهد الطاقة والثبات على الحق.

8 - ومن الدروس المستفادة من هذه السيرة العطرة كذلك أنه لا يجوز لأرملة مات عنها زوجها بعد شهور قليلة من الزواج أن تقنط من رحمة الله، ولا يجوز ليتيم أن يتخيل أنه قد وصل إلى حافة الهلاك بفقد أحد والديه أو كليهما، ولا يصح لإنسان أن يحتقر عملاً شريفاً يعفه عن الحاجة إلى الناس، مهما تواضع ذلك العمل. ولا يجوز لمسلم أن يبرر الانجراف إلى مزالق الفساد لشيوعه من حوله، بل لا بد من مفاصلته والعزلة عنه، والتميز عليه. ولا يصح لمسلم أن يكون فاحشاً ولا متفحشاً ولو شاع الفحش في محيطه، ولا أن يكون إمّعة إذا أحسن الناس أحسن، وإذا أساءوا أساء، ولا يجوز له أن يعيش هملاً لا يترك بصمة على مجريات الأحداث مهما تكالب عليه أهل الباطل، ولا أن يتخلى عن الدفاع عن دينه مهما ووجه في ذلك بتحديات، وقبول بمظالم واضطهادات، فالحق لا بد أن ينتصر مهما طال الزمن، وتطاول أهل الباطل، فهذه هي سنة الله في خلقه ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].

هذه هي بعض الدروس المستفادة من السيرة العطرة لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومن استعراض حياته الشريفة، وما مرّ بها من أحداث جسام. وقد أراد ربنا - تبارك وتعالى - أن تبقى هذه الأحداث على مر التاريخ، نوراً على درب الحياة يهتدي به كل مسلم ومسلمة. وتبقى سيرة هذا الرسول الخاتم دروساً وعبراً يتعلم المسلمون منها حقيقة رسالة كل واحد منهم في هذه الحياة: عبادة لله، يعبدونه - تعالى - بما أمر في إخلاص وتجرد كاملين، وينزهونه عن كل وصف لا يليق بجلاله (من مثل دعوى الشريك أو الشبيه أو المنازع أو الصاحبة أو

الولد)، وكلها من صفات المخلوقين، واللّه - تعالى - منزّه تنزيهاً كاملاً عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله..!

ويتعلم المسلمون من هذه السيرة العطرة أيضاً معنى الاستخلاف في الأرض، والمجاهدة من أجل إعمارها، وإقامة عدل اللّه وشرعه في ربوعها، والدفاع عن حرّات اللّه عليها، في فناة كاملة بمعنى كلمة التوحيد «لا إله إلا اللّه»، أي: لا سلطان في هذا الوجود لغير اللّه. والذي يؤمن بذلك لا يمكن له أن يحني رأسه لغير اللّه الذي يملك الأجل والرّزق، والعافية، والستر، والتوفيق والسعادة، وكل أمر من أمور هذا الكون. والإنسان الذي يمتلئ قلبه بحقيقة أنه لا سلطان في هذا الوجود لغير اللّه، يعيش على هذه الأرض معزّزاً مكرّماً، يحترم ذاته في تواضع، ويعتز بإسلامه وبأدميته وبصلته بربه في غير غرور، ويؤمن بوحدانية اللّه وحادانية مطلقة فوق جميع خلقه، وبالأخوة الإنسانية التي ينتهي نسبها إلى أبونا آدم وحواء ﷺ، وبالأخوة بين الأنبياء، وبوحدة رسالة السماء التي أكملها ربنا - تبارك وتعالى - في رسالته الخاتمة، التي بعث بها الرسول الخاتم ﷺ. وبما أنه ليس من بعده نبي ولا رسول فقد تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ رسالته الخاتمة في نفس لغة وحيها (اللغة العربية)، فحفظت حفظاً كاملاً على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وتعهد بحفظ دينه تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم بأنه كلام اللّه الخالق، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

والذي يؤمن بأن «محمدًا رسول اللّه» فإنه يحب هذا المثل الأعلى للأنبياء، وللإنسانية جمعاء. ومن حبه له يحاول اقتفاء أثره، والتأسي به ويخلقه الكريم فيحقق سعادة الدنيا والآخرة، وهو الهدف من الوجود في هذه الحياة..! وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

والذي يفهم سيرة رسول اللّه ﷺ يستطيع فهم الكثير من آيات القرآن الكريم التي تدور حول الأحداث التي مرت به، وفهم مواقفهم من كل واحدة منها. كما

يستطيع المُلم بهذه السيرة العطرة أن يفهم الكثير من ركائز الدين فهماً عملياً تطبيقياً كما كان يطبقه رسول الله ﷺ. كما يستطيع فهم أساليبه في تربية أصحابه، وفي التعامل مع أهل بيته، ومع الناس في مجتمعه: (العدو منهم والصديق)، بالحكمة والموعظة الحسنة. كما يمكنه أن يفهم كيف أدار ﷺ سياسة الدولة بعد أن أقامها بكفاءة وعدل وحكمة بالغة، وفي قيادة الجند في ساحات الجهاد في سبيل الله باقتدار وبسالة كاملين. لذلك أصبحت سيرته العطرة مفتاحاً مهماً لفهم كتاب الله، ونموذجاً عملياً لحسن تطبيقه أمراً واقعاً في الحياة. وكان في المنهج الدقيق الذي اتبعه علماء المسلمين في دراسة أحاديث رسول الله ﷺ أثره البالغ في خدمة سيرة رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ خدمة دراسة التاريخ بصفة عامة، والتمييز بين حقائقه وأباطيله.

(ظ) من عوامل نجاح رسول الله ﷺ في أداء رسالته :

- 1 - التدريب النفسي الشاق الذي عرَّضه الله - تعالى - له من اليتيم، والاعتراب عن الأهل في طفولته المبكرة، وفقد كل من العم والزوجة، وموت أبناؤه الذكور في حياته (وهم أطفال صغار)، ومطاردة المشركين والكافرين له ولأصحابه في كل مكان، وتدريبه ﷺ على تحمل شظف العيش.
- 2 - أنه ﷺ قد أوقف حياته، ونذر نفسه لله ﷻ من أجل إعلاء دينه، وإقامة عدله في الأرض انصياعاً لأمره - تعالى - إليه ﷺ بقوله - عزَّ من قائل -: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١١٢﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١١٣ لَا شَرِيكَ لَمْ يَزِدْكَ مِنْ رَبِّكَ أَزْوَاجًا وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١١٤﴾ [الأنعام: 161 - 163].
- 3 - وضوح الرؤية أمامه ﷺ، ومعرفة الطريق التي يجب عليه أن يسلكها معرفة دقيقة، والإلمام بأبعاد الرسالة التي حمَّلها له الله - تعالى - تكليفاً وتشريعاً وحمَّلها هو ﷺ بكل إيمان وإخلاص ووفاء وتجرد لله - تعالى - وحمَّلها هو لكل مؤمن برسالته، متبع لسنته، فاقه لدينه.

فقد حمل ﷺ أمانة التبليغ إلى كل مسلم ومسلمة من بعده، وفي ذلك يأمره الله - تعالى - بقوله العزيز: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ [يوسف: 108].

4 - تواضعه الشديد لكل الناس، فكان ﷺ يستوفقه كل من الطفل والشاب والشيخ والمرأة، وكل ذي حاجة، فيقف لكل واحد منهم، ولا ينصرف عنهم حتى ينصرفوا هم عنه. وكان ﷺ لا يسلم على أحد ويرفع يده عنه قبل أن يرفعها هو، وما طلب أحد منه شيئاً إلا وأجابه إلى طلبه ما لم يكن حراماً، وما استجار به أحد إلا وأجاره. وكان ﷺ زاهداً في الدنيا، مستعلياً على مباهجها. وعلى الرغم من ذلك كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وكان يربي أصحابه على ذلك. وكانت تأتيه الغنائم فيسعد بتوزيعها على المسلمين، وبانطلاقها من بين يديه إلى المحتاجين من الناس. وكان ﷺ في سلوكه وخُلُقِه ومعاملاته مثلاً أعلى للأنبياء، وأسوة حسنة للناس، وقدوة لهم، فما كان يطلب من الناس شيئاً إلا إذا كان هو قد قام به بنفسه، ولذلك وصفه الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4].

وبقوله - عزّ من قائل -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45، 46].

5 - وقد نجح رسول الله ﷺ نجاحاً منقطع النظير في إبلاغ رسالته للناس على أفضل وجه، وفي إقامة دولة الإسلام على أسس من الحق الثابت والعدل الذي لا يميل. كما نجح في تربية أصحابه التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على مراقبة الله في كل أمر، وخشيته وتقواه في السر والعلن. وبذلك تمكن من تخريج جيل من المسلمين المتميزين الذين شاركوه في إقامة الدولة الإسلامية بإخلاص وتجرد لله، وتبعوه على الحق إلى أن لقوا الله - تعالى - وهو راضٍ عنهم. وقد تمّ ذلك كله وسط جوٍّ من المطاردة والاضطهاد والحرب المستمرة من كل قوى الشر على وجه الأرض.

6 - نهى ﷺ عن جميع أنواع العصبية العرقية، والقبلية والجاهلية القديمة فقال - صلوات الله وسلامه عليه -: «ليس منا من دعا إلى عصبية»⁽¹⁾ وقال: «دعوها فإنها منتنة»⁽²⁾. وكان من صحابته المقربين إلى قلبه الشريف كل من «بلال الحبشي»، و«سلمان الفارسي»، و«صهيب الرومي»، وكل من «فيروز الديلمي»، و«أبي موسى الأشعري»، و«معاذ بن جبل»، و«أبي هريرة» وهم من أهل اليمن، و«منقذ بن حيان» من أهل البحرين، وكان في ذلك تأكيد على معنى الأخوة الإنسانية الذي كانت البشرية قد فقدته، ولا تزال تفتقده في أيامنا الراهنة، وكان ﷺ يعامل الجميع بالأخوة الإسلامية الكاملة فكان يأمرهم بالاصطفاف للصلاة دون أدنى تمييز؛ تأكيداً لهذا المعنى الإنساني والإسلامي الكبير.

7 - وقد أحيا رسول الله ﷺ كثيراً من القيم الإنسانية العليا التي كانت المجتمعات البشرية قد فقدتها بفقدانها الصلة برسالة السماء. وكانت رسالة السماء - في جملتها - قد ضاعت قبل بعثته الشريفة أو تعرضت للتحريف والتبديل والتغيير، باستثناء بعض بقايا الحق القديم التي احتفظت بها حفنة من الموحدين (الأحناف). ومن هذه القيم التي أحياها رسول الله ﷺ حفظ الضرورات الخمس لكل إنسان من: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال دون أدنى تفريق في هذه الحقوق لأي من بني آدم.

وقد أعاد رسول الله ﷺ هذه القيم إلى الناس من جديد، وبنى بها أمة حملت الأمانة من بعده، وأدت رسالتها على خير ما يحب ربنا ويرضى. وقد تمّ له ذلك كله في أقل من ربع قرن من الزمان (23 سنة).

واستمرت الأمة الإسلامية بهذه الدفعة المباركة لتقيم أعظم حضارة عرفتها البشرية وأكملها؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي جمعت بين الدنيا والآخرة في معادلة

(1) سنن أبي داود، في كتاب الأدب (5121).

(2) صحيح البخاري، في كتاب التفسير (4907).

واحدة، وأخذت بأسباب التقدم في كل منحى من مناحي الحياة، وقادت البشرية على مدى أحد عشر قرناً أو يزيد في توازن إنساني افتقرت إليه أغلب الحضارات السابقة واللاحقة.

8 - وقد استفاد رسول الله ﷺ في ذلك كله بهداية الله - تعالى - له، ورعايته لشخصه الكريم، وحفظه له في طفولته وشبابه، وتأديبه - تعالى - له، وتثبيته أمام ما لاقى من شدائد.

9 - وكان ﷺ يعايش صحابته الكرام في بساطة ويسر، وأخوة إسلامية تسبق رابطة الدم. وكان يشاركونهم حياتهم مهما كانت صعبة وقاسية وذلك انصياعاً لأمر الله - تعالى - الذي يأمره فيه بقوله - عزّ من قائل -: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: 28].

وقد ربّى رسول الله ﷺ صحابته على الأخوة الإسلامية القائمة على الحب في الله ولله، وعلى تحمّل المسؤولية منذ نعومة الأظافر، فأرسل «مصعب بن عمير» إلى المدينة كأول سفير للإسلام، وأرسل «أسامة بن زيد» وهو ابن العشرين عاماً على إمرة الجيش الذي أرسله لمجابهة جيش الروم.

10 - وربط رسول الله ﷺ صحابته من المهاجرين والأنصار برباط من الحب في الله والاستعداد للتضحية بالأهل والمال والنفس في سبيله، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر: 8، 9].

11 - وقد التزم رسول الله ﷺ دوماً بالصبر والمصابرة، وألزم صحابته الكرام

بهما، وفي ذلك يقول له الحق - تبارك وتعالى - : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْزِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

12 - وقد التزم ﷺ دوماً بمكارم الأخلاق، ولذلك وصفه ربه بقوله العزيز له : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4]. وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها : «كان خلقه القرآن».

13 - وكان الله - تعالى - قد منحه همة عالية، وعزيمة سامية، وإرادة قاطعة في بشريته التي يعترف بها والتي أمره الله - تعالى - أن يعلنها، وذلك بقول الحق - تبارك وتعالى - له : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَيَدُّ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: 110].

14 - وكان ربه يأمره بمجاهدة الكفار والمشركين على الدوام والاستعداد لذلك بقوله - تبارك وتعالى - : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال: 60].

15 - وكان ﷺ شديد المواظبة على عمله، دائم الحركة والمجاهدة في سبيل الله، وكان يوصي أصحابه - رضوان الله عليهم - بالمداومة على عمل الصالحات، والاستمرار في ذلك حتى يلقي الواحد منهم الله - تعالى - وهو راضٍ عنه. كان دائم التذكير لهم بأن : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»⁽¹⁾.

16 - وكان ﷺ يحرص على جمع كلمة المسلمين ولم شملهم؛ انصياعاً لأمر الله - تعالى - الذي يقول فيه : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

17 - وقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن يكون خاتم أنبيائه ورسله أمياً - لا يقرأ ولا يكتب - وهو المعلم من قبل الله ﷺ، والموصول بوحيه، والمعصوم

(1) متفق عليه.

بعصمته، والمربي بتربيته، والمؤدب بآدابه، وذلك حتى لا يدعي أحد أنه هو الذي كتب القرآن الكريم، أو نقله عن كتب السابقين كما يدعي كثير من الضالين المغرضين. وهم يفعلون ذلك من أجل أن يرتاب الناس في نبوته، وفي صدق دعوته، وفي ذلك يخاطبه الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّونَ بِمِثْلِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

﴿٤٨﴾

وقال - عز من قائل -: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

18 - وكان مسجد رسول الله ﷺ هو قلب المدينة المنورة ومنطلق كل أنشطتها. فقد كان بيتاً للعبادة ومركزاً للتعليم والتربية والتنوير، وساحة للقضاء بين الناس، ومكاناً للتشاور في مختلف أمور المجتمع، كذلك كان مسجد رسول الله ﷺ منطلقاً للجهاد في سبيل الله، وملتقى لصياغة العقول والقلوب على أساس من وحي السماء الذي يتنزل على رسول الله ﷺ، ومنتدى للوفود القادمة للتعرف على دين الله، وملجأ للفقراء والضعفاء والمحتاجين الذين حظوا برعاية خاصة من رسول الله ﷺ ومن صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - . فكان المسجد بذلك هو مقر الدولة التعبدية والإداري، والتربوي، والاقتصادي، والجهادي، حتى يكون ذلك نموذجاً للدولة الإسلامية مهما اتسعت مساحتها أرضاً، وزادت كثافتها السكانية بشراً، ومهما تعددت دوائرها وتعقدت نظمها، فعليها أن تتحلى بروح المسجد فكراً وسلوكاً.

81 - ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: 129].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل دعوة النبيين الكريمين إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ إلى الله - تعالى - أن يحفظ نعمة الإسلام التي أسبغها عليهما حتى تستمر في نسلهما إلى يوم القيامة. ولما كانا متقدمين في التاريخ فإن نسلهما يشكل قطاعاً كبيراً من أهل الأرض. وعلى ذلك فإن الرابطة هنا تبقى رابطة الدين والإيمان، وليست مجرد رابطة الدم والعرق، ولذلك يسجل القرآن الكريم دعوة هذين النبيين الكريمين على لسانيهما بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ أَلرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَتَمَّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: 124 - 129].

وكانت الاستجابة لهذه الدعوة الصادقة، والصادرة من قلبين طاهرين، هي بعثة الرسول الخاتم ﷺ من ذرية هذين النبيين الكريمين ﷺ، في مكة المكرمة، التي سبق وأن أهبط فيها أول الأنبياء: آدم ﷺ، حتى يلتقي ختام النبوة بأولها،

تأكيداً على وحدة رسالة السماء المنطلقة من وحدانية الخالق ﷻ، وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء.

وبعثُ الرسول الخاتم ﷺ بعد أكثر من ألفي سنة على إطلاق هذه الدعوة المباركة من كلِّ من النبيِّين الصالحين إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله كما جاء في هذه الآيات الكريمة.

وجاء ذلك في الوقت المناسب، بعد أن كانت البشريّة قد فقدت الصلة بالهداية الربّانيّة تماماً، وعاشت في دياجير من الظلام والضلال والتمتاهات والمظالم...!! فقد جاءت بعثة الرسول الخاتم ﷺ بالإسلام، الذي دعا إليه جميع أنبياء الله. وهو الدين الذي لا يرتضي ربّنا - تبارك وتعالى - من عباده ديناً سواه. فدين الإسلام علّمه ربّنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وأتمّه وحفظه في بعثة خاتم النبيين سيّدنا محمّد بن عبد الله ﷺ.

وإذا كان كل من أنبياء الله ورسله قد أرسل إلى قومه، فإن هذا النبي الخاتم قد بعثه الله - تعالى - للناس جميعاً ليعلّمهم الكتاب والحكمة، ويتلو عليهم آيات الله، ويظهِرهم من أدران الشرك الذي كانوا قد خاضوا فيه، وينقّيهم من أرجاسه وأدناسه. وذلك لأن الشيطان كان - ولا يزال يسعى جاهداً من أجل إخراج الناس من دائرة العبوديّة الحقّة لله - تعالى - إلى دوائر الكفر أو الشرك به، ومن الاستقامة على منهج الله إلى الانحرافات الشديدة عنه. ولذلك ملئت الأرض - ولا تزال تمتلئ بالمظالم وبمختلف صور الفساد، التي جعلت الحياة على هذا الكوكب لا تطاق.

ودعوة هذين النبيين الكريمين: إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ لم يدونها إلا القرآن الكريم، وعلى ذلك فهي من المعجزات الإنبائيّة والتاريخيّة في كتاب الله. وهذه الدّعوة المباركة لأهل الحرم المكي أن يبعث الله - تعالى - فيهم رسولاً منهم

يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّهم قد استجبت لأنها كانت صادرة من قلبي هذين النبيين المخلصين لله - تعالى -، ووافقت قدر الله السابق في اختيار خاتم النبيين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - من هذه الذرية المباركة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

جاءت هذه الآية الكريمة ضمن عدد من الآيات القرآنية التي تبشّر بمقدم خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - مؤكدة معرفة جميع أنبياء الله به، وتبشيرهم بمقدمه الكريم، وبعثته الخاتمة التي ليس من بعدها نبوة ولا رسالة. ومن هذه الآيات: (البقرة: 129؛ الأعراف: 157؛ الفتح: 29؛ والصف: 6). وفي ذلك أخرج الإمام أحمد عن العرياض بن سارية أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمّهات النبيين يرين»⁽¹⁾.

كذلك أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله! ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»⁽²⁾.

والمراد: أنه في علم الله الأزلي والمحيط بكل شيء أن بعثة خاتم النبيين ستكون من ذرية إبراهيم، وفي مكّة بعد رفع عبد الله ونبيه عيسى ابن مريم إلى السماء بحوالي ستة قرون. وكان عبد الله ورسوله إبراهيم رضي الله عنه قد سبق وأن نوه

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

بذكره ﷺ. ولم تزل صفة هذا الرسول الخاتم مذكورة في الناس حتى أفصح عن اسمه عبد الله ونبيه عيسى ابن مريم ﷺ الذي يروي عنه القرآن الكريم أنه قام في بني إسرائيل خطيباً ومبشراً بمقدم الرسول الخاتم ﷺ وفي ذلك يقول ربنا ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: 6].

ولهذا قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي ذكرناه آنفاً: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمَنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ...»⁽¹⁾ وذلك لأنَّ علم الله - تعالى - محيط بالزمان والمكان، فكلاهما من خلقه. والخالق محيط بجميع خلقه، ولا يحده أي من خلقه، فهو - تعالى - منزّه عند حدود المكان والزمان، والمادّة والطاقة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وقال ﷺ في نفس الحديث: «وبشارة عيسى بي» وهي البشارة التي جاءت في الآية السادسة من سورة «الصف».

أمّا قوله ﷺ: «ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»، قيل: كان مناماً رآته حين حملت به، وقصّته على قومها، فشاع فيهم، واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة لبعثته الشريفة. وتخصيص «الشام» بظهور نوره ﷺ إشارة إلى استقرار نور الإسلام في تلك البلاد المباركة، التي قدّر الله - تعالى - لها أن تكون معقلاً للإسلام وأهله، وأن تكون أرض رباط وجهاد إلى قيام الساعة. ومن الدلائل على ذلك ما يجري على أرضها اليوم من جهاد لم تعرف له البشرية مثيلاً. ومن الدلائل على ذلك أيضاً أن يكون النزول الثاني لعبد الله ونبيه عيسى ابن مريم ﷺ في بلاد الشام كأحد العلامات الكبرى للساعة. وسوف ينزل إن شاء الله بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ،

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

ولذلك جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»⁽¹⁾ وفي صحيح البخاري: «وهم بالشام».

وعلى ذلك فإن دعوة كل من عبد الله ونبيه إبراهيم وولده النبي الصالح إسماعيل ﷺ في الألفية الثانية قبل الميلاد قد وافقت ما قدره الله - تعالى - في الأزل من بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من ذريتهما، في مكة المكرمة، بعد منتصف الألفية الأولى بعد الميلاد بقرن من الزمان (610م).

وجاء هذا الرسول الخاتم - صلوات ربي وسلامه عليه - استجابة لدعوة هذين النبيين الصالحين: إبراهيم وولده إسماعيل، والتي عبّر عنها القرآن الكريم بقول الحق - تبارك وتعالى - على لسانيهما: «رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ» [البقرة: 129]. والمقصود بتعبير (فيهم) هم أهل الحرم المكي، وإن كانت بعثته الشريفة جاءت للناس كافة، بل للثقلين: (الإنس والجن)، وجاءت رحمة للعالمين. وذلك لأنه ﷺ بعث والناس جميعاً كانوا قد فقدوا الصلة بوحى السماء - إلا من رحم الله - وقليل كانوا -. ونتيجة لذلك شاع الكفر، والشرك، والضلال، والانحراف، بين غالبية أهل الأرض الذين انتشرت بينهم الخرافات والأساطير، والمعتقدات المبتدعة، والهواجس الظنية. ونتيجة لذلك فسدت المعتقدات، وحُرِّفَت العبادات، وساءت السلوكيات، وجارت المعاملات، وانحطَّت الأخلاق وتدنت عند غالبية أهل الأرض.

وفي قولهما: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ» أي: آيات القرآن الكريم، «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ» أي: وحي السماء كما أنزل على جميع أنبياء الله، وذلك لأن لفظة (الكتاب) جاءت (144) مرة في القرآن الكريم بمعنى الوحي السماوي المنزل من

(1) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، حديث رقم (3641)، ومسلم في كتاب الإمارة، حديث رقم

عند الله - تعالى -: (بما في ذلك القرآن الكريم وجميع ما سبق نزوله من كتب). من هنا جاءت الإشارة إلى القرآن الكريم بلفظ «الْكِتَابُ» في عدد من آياته، كما جاءت اللفظة للتعبير عما سبق نزوله من صور الوحي السماوي. والمقصود بقوله - تعالى - بكلمة «وَالْحِكْمَةُ» هو التطبيق العملي الدقيق لأوامر الله - تعالى - كما جاءت في القرآن الكريم، وكما طبّقها المصطفى ﷺ في السنّة النبويّة المطهّرة، وطبّقها صحابته الكرام تطبيقاً عملياً. والمقصود بالتعبير القرآني «وَيُرَكِّبُهُمْ» أي: ويطهّره من جميع الأرجاس الماديّة والمعنويّة، وفي مقدّمها الشرك بالله، وشرور الأقوال والأفعال، وسوء الأخلاق وفساد المعاملات.

وختمت دعوة النبيّين الصالحين إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ إلى الله - تعالى - بقولهما: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [البقرة: 129] أي: الذي لا يغلب ولا يقهر، والذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كلّ شيء، والحكيم في أقواله وأفعاله، الذي يضع كل شيء في مكانه الصحيح بعلمه، وحكمته، وعدله، ورحمته ولا يقضي أبداً إلاّ بالحق.

وفي إخبار القرآن الكريم بهذه الدعوة المباركة لأهل مكة وتحقيقها بعد أكثر من ألفي سنة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنّ أحداً من الخلق لم يكن يعلم بتلك الدّعوة المباركة سوى من أطلقاها، وهذا النّبي الخاتم الذي تحققت فيه دعوة آبائه الصالحين، والذي علم بتلك الدّعوة بوحي من الله ﷻ وذلك حين أتاه وحي السماء.

ومن هنا يتّضح زيف ادّعاء اليهود بأنّهم وحدهم هم ذريّة إبراهيم ﷺ، وأنّهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّأؤه، وأنّ غيرهم من الشعوب هم مجرد حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين لخدمة اليهود. وهذا الادّعاء اليهودي هو ادّعاء باطل لا يسنده دين، ولا منطق، ولا عقل، ولا علم، إنّما صنعته الأنانيّة القاتلة، والعنصريّة الكريهة التي جعلت كفار اليهود مكروهين من جميع أهل

الأرض في كلِّ زمان ومكان. والخالق ﷻ وهو الحكم العدل، لا يمايز بين الناس على أساس من الدم والعرق، وإنما على أساس من التقوى والعمل الصالح. وكل من عبد الله ونبيه إبراهيم وولده النبي الصالح إسماعيل يقول في ابتهاله إلى الله:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧٨)

[البقرة: 128].

وهما بذلك يؤكِّدان أنه انطلاقاً من الوحداية المطلقة للخالق ﷻ فإنَّ هدايته للبشرية لا بدَّ وأن تكون واحدة: هي «الإسلام» العظيم الذي علَّمه ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، وأنزله بعد ذلك على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أتممه وأكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات ربِّي وسلامه عليه وعليهم أجمعين - . وقد تعهَّد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظ القرآن الكريم في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) تعهداً مطلقاً إلى يوم الدين، حتى يبقى حجة الله على خلقه وشهادة لخاتم أنبيائه ورسله.

ولقد قامت السفارة الصهيونية بالقاهرة مؤخراً بتوزيع كتاب بعنوان «ذرية إبراهيم: مقدمة عن اليهودية للمسلمين»⁽¹⁾، والكتاب من وضع الحاخام «روبين فايرستون» عضو اللجنة اليهودية الأمريكية. والكتاب مليء بالمغالطات والأكاذيب وبالتحريف والتزييف والتزوير، والذي على رأسه الادعاء الكاذب بأنَّ يهود اليوم هم وحدهم ذرية إبراهيم، وعلى هؤلاء الكذابين الدجالين أن يسمعوا حكم الله - تعالى - فيهم إذ يقول لهم:

﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ

(1) فايرستون، روبن وآخرون (2005م): «ذرية إبراهيم: مقدمة عن اليهودية للمسلمين»؛ من منشورات

معهد هاريت للتفاهم الدولي بين الأديان - اللجنة اليهودية الأمريكية.

فَصَرَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[البقرة: 140، 141].

وهنا تسقط كل دعاوى اليهود الكاذبة باصطفائهم واجتبائهم لمجرد تصوّرهم أنّهم من ذريّة إبراهيم، وأنّهم خلفاؤه وورثته، وقد نسي هؤلاء المزيفون أنّ الدين لا يورث وإنما يكتسب بالعلم والالتزام، وبالتقوى والعمل الصالح، وأنّ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وهذا هو القرآن الكريم يؤكّد لنا فيه ربّنا - تبارك وتعالى - أنّ عبد الله ونبيّه إبراهيم حين طلب الوراثة والإمامة لبنيه من بعده ردّ عليه الله - تعالى - بأنّ عهده لا ينال الظالمين، وفي ذلك يسجّل القرآن الكريم قول الحقّ - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١١٢﴾﴾

[البقرة: 124].

وعندما دعا إبراهيم لأهل مكّة بالرزق والبركة، أجاهه ربّه - تعالى - بقوله الحقّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٦﴾﴾

[البقرة: 126].

وحين قام عبد الله ونبيّه إبراهيم وولده النبيّ الصالح إسماعيل برفع القواعد من البيت كانت دعوتهما أن يكونا مسلمين، وأن يجعل الله ﷻ من ذريتهما أمة مسلمة، وأن يبعث في أهل بيته رسولاّ منهم. فاستجاب الله - تعالى - دعوتهما، وبعث من ذريتهما خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أيّده الله بنصره حتى أقام دولة الإسلام. والإسلام هو دين الله الذي استعادت به الإنسانية صلتها بالهداية الربّانيّة بعد أن كانت قد انقطعت عنها بالكامل، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: 127 - 130].

وقد سبق لأحد حاخامات اليهود وكان اسمه «الحبر شموايل بن يهوذا بن أبوان» أن فَنَدَ هذه الدعوى بأن اليهود هم نسل إبراهيم ﷺ وأنهم شعب الله المختار في كتابه المعنون «إفحام اليهود». وقد أسلم هذا الحاخام وتسمى باسم «السموأل بن يحيى المغربي، ورأى الرسول ﷺ في المنام»⁽¹⁾.

وعلى ذلك فإن هذه الآيات تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لأن مجموع هذه الوقائع لم يشهد لها من خلق الله - تعالى - سوى إبراهيم وولده إسماعيل ﷺ. وقد تحققت هذه الدعوة في بعثة الرسول الخاتم ﷺ الذي أقام الله ﷻ به دولة الإسلام بعد أكثر من ألفي سنة من انطلاق لساني إبراهيم وإسماعيل ﷺ بدعوتهما. وهذا من معجزات القرآن الكريم التاريخية والإنبائية، فلولا ذكر هذا الكتاب العزيز لتلك الوقائع ما وصلنا خبر ذلك أبداً، خاصة وأن أياً من «المهدين القديم أو الجديد» لم يذكر شيئاً عن هذه الدعوة المباركة التي استجاب لها رب العالمين.

(1) المغربي، سموأل بن يحيى (ت. 570هـ):

«إفحام اليهود» وقصة إسلام سموأل ورؤياه النبي ﷺ؛ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشراوي؛ دار الهداية، مدينة نصر - القاهرة (1406هـ/ 1986م).

82 - ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

هذه الآية القرآنية الكريمة تسجل هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي صحبته سيدنا «أبو بكر الصديق» - رضي الله تعالى عنه وأرضاه -. وحدث ذلك حين ضاقت قريش ذرعاً بدعوة الإسلام، فقررت التخلص من سيدنا محمد ﷺ وممن بقي معه من المؤمنين في مكة، وعلى الفور أطلع الله - تعالى - خاتم أنبيائه ورسله على مؤامرة مشركي قريش، وأمره بالهجرة إلى «يثرب». خرج رسول الله ﷺ ومعه «أبو بكر» واختبأ في غار «ثور» حتى تهدأ نائرة المطاردين لهما الذين هالهم خروج المصطفى ﷺ سالماً من وسط الحصار الذي ضربوه حول بيته. وكان هذا الحصار قد ضرب بواسطة عدد من الشبان الأشداء المزودين بأمضى السيوف، والممثلين لأغلب بطون قريش، والمكلفين بضرب عنق المصطفى ﷺ ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه بين القبائل.

خرج صناديد قريش في محاولة للحاق برسول الله ﷺ ووظفوا مقتفي الأثر، وأعلنوا عن الجوائز السخية لمن يأتي به وبصاحبه حييين أو ميئين. واشتدت المطاردة، واشتد التعقب حتى وصل مقتفو الأثر إلى باب «غار ثور». بدأ الصديق ﷺ يجزع - لا على نفسه، ولكن - على رسول الله ﷺ الذي لو أصابه سوء لقضي على دين الله في الأرض. ورسول الله يهدئ من روع «أبي بكر»، ويطمئن قلبه بمعية الله - تعالى - لهما. وأنزل الله - تعالى - سكينة على قلب خاتم أنبيائه

ورسله ﷺ وأيده بجنود من عنده ﷺ لم يرههم أحد، يحرسون رسوله في الغار هو وصاحبه الصديق. وجعل الله - تعالى - كلمة الكافرين السفلى، وكلمة الله هي دائماً العليا لأن الله - تعالى - هو رب هذا الكون ومليكه، لا يشاركه أحد في ملكه، ولا ينازعه أحد في سلطانه، وهو - تعالى - القاهر الذي لا يغلب، والحكيم الذي لا يخطئ، ولا يأمر إلا بما فيه الخير والمصلحة دائماً أبداً.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

ذكر ابن كثير في كتابه المعنون باسم «السيرة النبوية» أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت «أبي بكر» أحد طرفي النهار، إمّا بكرة، وإمّا عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهراي قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه «أبو بكر»، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل تأخر له «أبو بكر» عن سريره. فجلس رسول الله ﷺ وليس عند «أبي بكر» إلا أنا، وأختي «أسماء بنت أبي بكر»، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني من عندك»؛ فقال أبو بكر: يا رسول الله! إنما هما ابنتاي، وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ فقال: «إنه قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة». قالت: فبالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت «أبا بكر» يبكي يومئذ. ثم قال: يا نبي الله! إن هاتين راحلتان، قد كنت أعددتهم لهذا. فاستأجرا «عبد الله بن أريقط» رجلاً من بني «الدبل بن بكر»، وكانت أمه امرأة من بني «سهم بن عمرو»، وكان مشركاً - واستأجراه كي يدلّهما على الطريق - فدفعنا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما... وأضافت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قائلة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت «ذات النطاقين». ثم لحق رسول الله ﷺ «وأبو بكر» بغار

في جبل «ثور» - فكنا فيه ثلاث ليال، ببيت عندهما «عبد الله بن أبي بكر»، وهو غلام شاب، تَقِف (أي ذو فطنة وذكاء)، لَقِن (حسن التلقي لما يسمعه)، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يُكتادان به (أي: يراد لهما فيه مكروه، من الكيد) إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام. وكان «عامر بن فهيرة» (مولى أبي بكر) يرعى عليهما منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، قيلبتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما (وهو اللبن الذي طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه)، حتى ينق بها (أي يصبح بها) «عامر بن فهيرة» بغلس (أي: عند ظلمة آخر الليل)، فعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

وعندما وصل رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق أبو بكر - عليه من الله الرضوان - إلى باب «غار ثور» هم الرسول بالدخول إلى الغار فسبقه أبو بكر قائلاً: لا تدخل يا رسول الله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك. ودخل أبو بكر إلى الغار. ثم دار على جوانبه يتفحصها، فوجد فيها جحوراً كثيرة، وخشي أن يكون بتلك الجحور من الهوام ما قد يؤذي رسول الله ﷺ ويؤذيه، فخلع ثوبه وشقه إلى خرق عديدة، وأخذ يسد بها جحور جوانب الغار حتى نفذت تلك الخرق، وبقي جحوران متجاوران لم يجد ما يسدّها به، فانبطح على أرض الغار، ووضع قدميه على الجحورين كي يسدّها ببطن قدميه، خشية أن يكون في هذين الجحورين من الهوام ما قد يؤذي رسول الله ﷺ. وبعد أن اطمأن أبو بكر أن الغار أصبح آمناً، نادى على رسول الله ﷺ بالدخول إلى الغار فدخل. ومن شدة الإعياء الذي أصابه صعوداً لجبل ثور، الشاهق الارتفاع، الصعب المرتقى، والمليء بالصخور الناتئة، وضع رسول الله ﷺ رأسه الشريف على فخذ أبي بكر ونام. ثم فوجئ أبو بكر بحيّة في أحد الجحورين تلدغ إحدى قدميه، فلم يحرك تلك القدم عن موضعها خشية خروج الحيّة من جحرها فتصيب رسول الله ﷺ بشيء من الأذى. ولكن الألم اشتدّ على «أبي بكر» فأخذ يبكي بكاءً مكتوماً خشية إيقاظ رسول الله ﷺ، ورغمما عنه سقطت قطرات من دموعه على وجه رسول الله ﷺ فاستيقظ

وسأله: ما بك يا أبا بكر، فقال: لِدِغْتَ - فذاك أبي وأمي - فبادر رسول الله ﷺ بمعالجة مكان اللدغة حتى شفيت بإذن الله، وذهب عن أبي بكر ما كان يجد من آلام. وعند بزوغ نور الفجر الصادق لاحظ رسول الله ﷺ أن أبا بكر لا يرتدي ثوبه الذي كان عليه وهما بالطريق من مكة إلى جبل ثور، فسأله عنه، فأخبره بأنه قد مرَّقه إلى عدد من الخرق التي سدَّ بها جحور جوانب الغار خوفاً على رسول الله ﷺ من الهوام التي قد تكون مختبئة فيها. وهنا رفع رسول الله ﷺ يديه الشريفتين إلى السماء وهو يقول: «اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة»⁽¹⁾، وهي دعوة لم ينلها مسلم من قبل ولا من بعد.

مكث رسول الله ﷺ وصاحبه «أبو بكر الصديق» في «غار ثور» ثلاث ليال - كما أسلفنا -، وكان ذلك اتقاء لمطاردة كفَّار قريش وأعوانهم، وتأميناً للطريق بعد ذلك إلى «يثرب». وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بأخبار كفَّار قريش ليلاً، وبيت عندهما حتى السحر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام والشراب ثم تعود مع أخيها عبد الله بن أبي بكر إلى مكة. وكان «عامر بن فهيرة» - مولى أبي بكر - يرعى غنمه إلى الجنوب من مكة - في الطريق إلى «جبل ثور» فيعفى بحركة الغنم على آثار أقدام المتحرِّكين إلى الغار، وليزود ساكني الغار بشيء من اللبن كما وصفت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. وفي هذه الأثناء كان كفَّار قريش قد جنَّ جنونهم لخروج رسول الله ﷺ وصاحبه سالمين من مكة، بعد أن كانوا قد خططوا لاغتيال رسول الله ﷺ أو سجنه أو طرده، ولكن الله - تعالى - نجَّاه من مؤامراتهم. جنَّد مشركو قريش كل إمكاناتهم الماديَّة والبشريَّة في سبيل الوصول إلى رسول الله ﷺ وصاحبه قبل بلوغه يثرب، وأعلنوا عن مكافأة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى كفَّار قريش حيَّين أو ميِّتين كائناً ما كان. وانطلاقاً من الطمع في هذه الجائزة الكبرى جدَّ كلُّ من قصاصي الأثر حتى وصلوا إلى باب «غار ثور» وقال أحدهم: بالله ما جاز مطلوبكم هذا المكان. سمع أبو بكر ما قاله

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

مقتفي الأثر فبكى بكاءً مكتوماً، هامساً إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: بالله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا، لو هلك أبو بكر لهلك فرد واحد، أما أنت يا رسول الله لو هلكت لذهب الدين، وهلكت الأمة. بالله ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فطمأنه رسول الله ﷺ قائلاً: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا»، وأنزل الله - تعالى - في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين يقول فيه ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَالِثِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

وكان نصر الله - تعالى - لخاتم أنبيائه ورسله ولصاحبه الصديق نصراً مؤزراً، وتحقق ذلك النصر بجنود لم يرها الناس؛ وكذلك تحققت الهزيمة للمشركين، وكانت هزيمة مذلة، لذلك ختمت الآية الكريمة بقوله الحق - تبارك وتعالى -:

﴿... وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

وكلمة الله - تعالى - هي دائماً العليا لأنه ﷺ هو خالق كل شيء ومبدعه، وسيّد الوجود كله. وبما أن (كلمة الله) هي العليا دائماً فإنها لا تحتاج إلى الفعل (جعل) فقال - تعالى -: ﴿... وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

فكلمة الله هي العليا أبداً وأزلاً، لا تحتاج إلى أمر متعلق بحادثة معينة، لأن الله - تعالى - هو القوي، العزيز، الحكيم، فلا يذل أولياؤه أبداً. وهو الذي يقدر النصر لمن يشاء من عباده في الوقت الذي يشاء وبالكيفية التي يشاء.

وتسجيل القرآن الكريم للحديث الذي دار بين رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق

أبو بكر رضي الله عنه في «غار ثور» يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله. وذلك لأنّ أحداً من البشر لم يشاركهما هذا الحديث، ولولا تسجيل كتاب الله لتلك الواقعة لأنكرها المنكرون، ولتطاول عليها المتطاولون في زمن وقوعها كما يتطاولون في زمن الفتن الذي نعيشه. فقد تجرّأ في زماننا كثير من السفهاء والجهلة، والضالّين الكفّار والمشرّكين، وعبدة الشياطين، على دين الله وكتابه، وعلى الذات الإلهية، وعلى شخص خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلّم وبارك عليه وعليهم أجمعين - ولذلك أنزل الله - تعالى - في محكم كتابه دفاعه عنه الذي يقول فيه:

1 - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِیَّتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: 119، 120].

2 - ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: 184].

3 - ﴿قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمُ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: 33، 34].

من هنا جاء التهديد الإلهي في مطلع الآية الكريمة رقم (40) من سورة التوبة التي يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِلَّا نُنصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ بمعنى: يا أيها المؤمنون إن لم تنصروا رسول الله ﷺ وتنصروا دعوته، والكتاب الذي أنزل إليه، والسنة التي أورثكم إياها فإن الله - تعالى - قد تكفل بنصرة دينه، وكتابه وسنة نبيه، نصراً مؤزراً مؤبداً من لحظة بعثته الشريفة إلى قيام الساعة. وكما نصره الله - تعالى - في ليلة الهجرة، وهو وصاحبه في الغار، وأيده بجنود لم يرها الناس، وهما وحيدان، أعزلان من السلاح، وأعداؤهما كثيرون، وبأيديهم كل

أسباب الغلبة المادية عدداً وعدة. **إِلَّا أَنْ اللَّهَ - تعالی - نصر كلاً من رسوله وصاحب رسوله نصراً مؤزراً، وهزم كفار ومشركي قريش هزيمة مذلة، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وأكّده أن (كلمة الله) هي دائماً العليا. وذلك لأن الله - تعالی - هو رب هذا الكون ومليكه، فلا حكم لمخلوق بجوار حكمه، ولا سلطان لعبد من عباده بجوار سلطانه. والله - تعالی - هو العزيز الحكيم الذي لا يذل أولياؤه، والذي لا يؤتى النصر إلا لمن يستحقه. وانطلاقاً من هذه الحقائق جاءت الآيات (38 - 41) من سورة «التوبة» بأمر من الله - تعالی - يحث فيه عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، ومن أجل إعلاء دينه حتى يتحقق لهم النصر.**

وقد نزلت هذه الآيات (التوبة: 38 - 41) في إعلان النفير العام لغزوة «تبوك» لأن الروم كانوا قد جمعوا جيشاً جراراً على أطراف الجزيرة بأرض الشام، وكان هرقل - تشجيعاً لجنده - قد منحهم رواتب سنة كاملة، وكان عدد من القبائل العربية قد انضم إليهم (منهم قبائل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان)، وكانت جيوش الروم قد تقدمت إلى أرض البلقاء (من أراضي الأردن الحالية) فأمر الله - تعالی - رسوله ﷺ أن يستنفر جميع المسلمين لقتال الروم فقال عز من قال :-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا بِعَدْبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

[التوبة: 38 - 41].

توجّه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانت من ديار

«قبيلة قضاعة» الخاضعة لسلطان الروم آنذاك. وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك لم يجد أثراً للحشود الرومانية، ولا للقبائل العربية المتحالفة معها. وبالرغم من أن جيش المسلمين مكث عشرين ليلة في تبوك إلا أن الجيوش الرومانية وحكام الإمارات الواقعة في شمال الجزيرة العربية إلى أطراف بلاد الشام آثروا الصلح ودفع الجزية للمسلمين، وبذلك قُضت أجنحة الروم المحتلين، وأمن رسول الله ﷺ الحدود الشماليّة للدولة الإسلاميّة تأميناً كاملاً.

وما أشبه اللّيلة بالبارحة، وما أحوج مسلمي اليوم إلى إعادة قراءة الآيات (38 - 41) من سورة «التوبة» حتى يعلموا أن النصر من الله الذي تعهد بنصرة عباده المؤمنين، فلا يتخاذلون أمام احتلال الصهاينة لأرض فلسطين وهم حثالة من حثالات الأمم، ونفاية من نفايات الشعوب. وقد احتلوا هذه الأرض العربية المسلمة بمؤامرة دولية دون أن يكون لهم في ذلك مبرر واحد من دين، أو عرق، أو لغة، أو تاريخ، أو حق. وقد احتلّ الصهاينة الأرض وأغرقوها في بحر من الدماء والأشلاء والخراب والدمار انطلاقاً من تعاليمهم الفاسدة الباطلة. وبغطرسة بالغة أرادوا تهويدها بالقوّة، وتغيير بنيتها السكانيّة باستيراد اليهود من أطراف الأرض، وإحلالهم محل أصحاب الأرض الأصليين. ومن أجل تحقيق ذلك قتلوا آلاف الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وهدموا آلاف المساجد والمسكن، والمدارس، والمستشفيات، والجامعات، وجرفوا الأراضي الزراعيّة، وبنوا الأسوار الحاجزة، وكدّسوا أسلحة الدمار الشامل، واستولوا على مقدّسات المسلمين ودنّسوها، وأصبحوا يتهدّدون المسجد الأقصى بالإزالة، وإقامة الهيكل المزعوم مكانه. ويحدث هذا الاستفزاز الوقح وقرابة المليارين من المسلمين واقفون عاجزين أمام هذا التحديّ السافر، وكأنّ الأمر لا يعينهم، ولو قرأوا سورة «التوبة» لكان لهم موقف مغاير تماماً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم!

83 - ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل : 1].

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في سورة «الفيل» تسجيل حملة «أبرهة الأشرم» من أجل هدم الكعبة المشرفة. وقد حدث ذلك في سنة 570م، أثناء فترة خضعت فيها اليمن لحكم الأحباش بعد إنهاء حكم الفرس لها، وطرد المحتلين الفارسيين منها. وتذكر الروايات التاريخية أن «أبرهة الأشرم» الحاكم الحبشي لليمن كان قد بنى كنيسة على أرض اليمن، وسماها باسم ملك الحبشة. وأنه أسرف في الإنفاق على ذلك البناء ليجعله أفخم بناء في شبه الجزيرة العربية، أملاً في صرف أنظار العرب به عن الكعبة المشرفة. وكان العرب - حتى في جاهليتهم - يعظمون الكعبة ويحافظون على حرمتها، فكان الرجل يلاقي قاتل أبيه في الحرم المكي فلا يستطيع أن يناله بسوء تعظيماً لحرمة بيت الله. وكان في اتفاق كل قبائل العرب على حرمة مكة المكرمة دليلاً كافياً على ما كانوا قد توارثوه عن أجدادهم من بقايا الحق القديم الذي دعا إليه جميع أنبياء الله ورسله (من لدن أبينا آدم ﷺ إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين). ولم تكن تلك الحرمة تحمي الإنسان فقط في أرجاء الحرم المكي الذي كانت حدوده معلومة للجميع، بل كانت تحمي كلاً من الحيوان والنبات واللقطات.

وعلى الرغم من كل إغراءات الأحباش المحتلين لأرض اليمن، فإن العرب لم ينصرفوا عن الكعبة المشرفة، وظلت قلوبهم معلقة بها - رغم شركهم - وظلت نظرتهم إلى أهل الكتاب فيها الكثير من الشك والريبة لاستهانة أولئك بتعاليم ربهم، وجرأتهم على تحريف الكتب التي كانت قد أنزلت إليهم.

ونظراً لعدم استجابة العرب لدعوة «أبرهة الأشرم» بالانصراف عن الكعبة، والحج. إلى كنيسته، فإنه صمم على هدم الكعبة المشرفة، وأعد لذلك جيشاً جراراً تصاحبه مختلف صنوف الأسلحة ووسائل النقل المتاحة وفي مقدمتها فيل

كانت له شهرة خاصة عندهم. فتسامع العرب بمخطط «أبرهة الأشرم»، وعزّ عليهم أن يتوجّه لهدم الكعبة المشرفة، فاعترض جيشه رجل من أشراف أهل اليمن يقال له «ذو نفر»، ولكن أبرهة هزمه وأخذه أسيراً. ثم اعترضه «نفيل ابن حبيب الخثعمي» في قبيلتين من قبائل العرب فهزمهم أبرهة كذلك وأسر زعيمهم، الذي قبل بعد أسره أن يكون دليلاً لأبرهة الأشرم في أرض العرب حتى أوصله إلى أرض الطائف. وهناك خرج إليه رجال من ثقيف قائلين لأبرهة: إن البيت الذي تقصده ليس بالطائف، إنّما هو في مكّة، وبعثوا معه من يدّله على الكعبة، وذلك صرفاً لأبرهة عن بيتهم الذي كانوا قد بنوه لمعبودهم «اللات».

سار أبرهة بجيشه من الطائف قاصداً مكّة، فلما كان بين هاتين المدينتين أقام معسكره، وبعث بفريق من جيشه تحت إمرة أحد قواده ليقوم بحملة سلب ونهب على البدو الذين كانوا يعيشون في ضواحي مكّة ففزعهم ونهب حلالهم. وكان ممّا نُهب مائتي بعير لسيد قريش «عبد المطلب بن هاشم». ونتيجة لذلك همّت قبائل كل من قريش، وكنانة، وهذيل، وكلّ من كان بالحرم المكي لقتال أبرهة وجيشه، ولكن نظراً للفارق الكبير في العدد والعدّة بين الجانبين، فإنّ العرب قرروا عدم القتال، واستسلموا لمصيرهم المحتوم.

وفي ظل هذا الهدوء النسبي بعث أبرهة نائباً عنه إلى مكّة يسأل عن كبير أهلها ليخبره بأنّه لم يأت لقتالهم وإنّما جاء لهدم الكعبة، فإن لم يعترضوا له سبيلاً وهو يقوم بتلك المهمة فإنّه لن يقاتلهم. ولما بلغ ذلك عبد المطلب قال لمندوب أبرهة: بالله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا هو بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام... فإن يمنعه الله منه فهو بيته وحرمة، وإن يُحلّ بينه وبين أبرهة فبالله ما عدنا دفع عنه. وعندئذ طلب مندوب أبرهة من عبد المطلب أن يذهب معه للقاء سيّده، فانطلقا حتى وصلا إليه.

وفي ذلك يذكر ابن إسحاق⁽¹⁾: أنّ عبد المطلب كان من أوّسم الناس طلعة،

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي (218/1).

وأجملهم صورة، وأعظمهم هيبة، فلما رآه أبرهة الأشرم أجله وأعظمه، ونزل عن سريره وأجلس عبد المطلب بجواره على بساط له، ثم قال أبرهة لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال عبد المطلب: حاجتي أن يرد عليّ مائتي بعير لي أصابها جنده. فلما قال ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلّمتني! أتكلّمني في مائتي بعير صبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا ربّ الإبل، وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه. ردّ أبرهة على الفور قائلاً في غطرسة وكبير: ما كان ليمنتع مني. قال له عبد المطلب: أنت وذاك! فردّ عليه أبرهة إبله، وانتهى اللقاء.

انصرف عبد المطلب إلى مكّة، وأخبر أهلها بما دار بينه وبين أبرهة، وأمرهم بالخروج من مكّة، وبالتحرّز في قمم الجبال، ثم قام فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله - تعالى - ويستنصرونه على أبرهة وجيشه.

وجّه أبرهة جيشه - وفي مقدمته الفيل الضخم الذي كان قد استصعبه معه - تجاه مكّة، ولكن الفيل برك قبل وصوله إلى حدود الحرم المكي، وأبى أن يدخله. حاول جيش أبرهة حمل الفيل على التحرك تجاه الحرم المكي ولكنه استعصى عليهم جميعاً. وقد أكّد لنا رسول الله ﷺ تلك الواقعة يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكّة، فقالوا: خلأت القصواء (أي حرّنت) فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»⁽¹⁾.

وفي هذا الموقف الرهيب خارج حدود الحرم المكي فوجئ أبرهة وجيشه بجماعات هائلة من أسراب الطير المتتابعة بلا انقطاع ترميهم بحجارة من سجّيل. وكانت تلك الحجارة كلّما أصابت فرداً منهم أو من دوابهم تركته مهترأً كأوراق الشجر الجافة الممزّقة التي أكلتها الحشرات، أو التي أكلتها الدّواب وأخرجت نفاياتها كقطع الروث المبعثرة. ونتيجة لذلك أصيب أبرهة كما أصيب النّاجون من

(1) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، حديث رقم (2731 - 2732).

جنوده بذهول شديد، وفزع وهلع. وأراد الله - تعالى - أن يجعل من هذه الواقعة عبرة لمن لا يعتبر، فأبقى أبرهة حياً حتى عاد إلى صنعاء، ولحمه يتساقط من بدنه أنملة أنملة، ولم يمض حتى انشقَّ صدره عن قلبه وأحشائه كما أثبتت الروايات عن تلك الحادثة.

وتدوين سورة «الفيل» لتلك الواقعة هو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، لأنه على الرغم من اشتهاار الحادثة في زمانها حتى أرخ العرب بها، إلا أن الأجيال المتتابعة كانت قد نسيتها. بل إن كثيراً من العقول المادية الملحدة كانت قد أنكرتها. وذلك لعدم تمكن تلك العقول الجاحدة أن تستوعب حقيقة أن الله - تعالى - على كل شيء قدير، وأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون. والمشهور أن رسول الله ﷺ كان قد ولد بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوماً. وكان هلاكهم من إرهابات ميلاده الشريف، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ۱﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ۚ ۲ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ ۳ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ۚ ۴ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۚ ۵﴾ [الفيل: 1 - 5].

من الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة أصحاب الفيل:

1 - إن الله - تعالى - هو ربّ هذا الكون ومليكه، وهو حافظه ورازق جميع من فيه من المخلوقين. وأنه لا سلطان لأحد من المخلوقين بجوار سلطان الله - تعالى -. لأن أمره (إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون). وعلى ذلك فإن كان العقل البشري لا يستطيع تفسير المعجزات التي يجريها الله ﷻ لأنبيائه ورسله، أو أن ينزلها عقاباً للكفار والمشركين من خلقه، وللطغاة المتجبرين على أرضه من أمثال «أبرهة الأشرم» وجنده، فإن على المؤمنين من خلق الله التسليم بأن الله - تعالى - على كل شيء قدير.

2 - إن الله - تعالى - حرّم مكة المكرمة يوم خلق السموات والأرض. وظلّت حرمة تلك البلدة قائمة إلى اليوم، وستبقى قائمة إن شاء الله - تعالى - إلى

قيام السّاعة. لذلك لم يكل ربنا - تبارك اسمه - حماية الكعبة المشرفة إلى المشركين من سكان الجزيرة العربية قبل البعثة المحمّديّة الشريفة - على الرّغم من اعتزازهم بها - فتولّى حماية بيته بما لا نعلم من جنده ﴿وَمَا يَعلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «إنّ مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس»⁽¹⁾.

وقال: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها»⁽²⁾.

- 3 - أنه انطلاقاً من حرمة أوّل بيت وضع للناس في الأرض (الكعبة المشرفة)، فإنّ ربّ هذا البيت لم يُمكن «أبرهة الأشرم» وجنده من هدمه، في وقت كان أهل مكّة يملأون ساحة الحرم المكي بالأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام، لأنّ سلوك المشركين الخاطئ لم ينل من حرمة هذا البيت.
- 4 - إنّ حرمة مكّة المكرّمة ظلّت مصانة حتى في زمن الجاهليّة، فقد بقي العرب يعظّمون الكعبة المشرفة، ويؤدّون شعيرة الحج مع انحرافات كثيرة في أداء تلك العبادة، وكان ذلك من بقايا الحق القديم الذي بعث به جميع الأنبياء.
- 5 - إنّ العرب لم يكن لهم كيان في يوم من الأيام إلاّ بالإسلام، ولن يكون لهم كيان بدونه. والتاريخ يؤكد على هذه الحقيقة فلقد كان العرب قبل الإسلام عبيداً للفرس أو الروم أو الأحباش، فلمّا أسلموا سادوا نصف الكرة الأرضيّة في أقل من قرن من الزمان. ويا ليت عرب اليوم يدركون هذه الحقيقة الغائبة تماماً عن أذهان الكثيرين من أبناء جلدتنا.

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم، حديث رقم (104).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الحج، حديث رقم (3289).

- 6 - تدل واقعة «أصحاب الفيل» على عظم قدرة الله - تعالى - وعزته، كما تدل على شدة انتقامه من الطغاة الجبارين المفسدين في الأرض من أمثال «أبرهة الأشرم»، وما أكثر الطغاة المتجبرين على الخلق، وما أكثر الكفار والمشركين في كل زمان ومكان!!
- 7 - في واقعة «أصحاب الفيل» تنبيه للخلق أجمعين إلى شدة أخذ الله - تعالى - للمكذبين الباغين المتجبرين من عباده الضالين، وإلى قدرته ﷻ على إنزال ما شاء من صور العذاب بهم كما فعل بأمثالهم عبر التاريخ. ومن هنا جاءت الإشارة إلى تدمير الله لأصحاب الفيل تذكرة للعباد، ووجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

84 - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: 40].

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في سياق تحريم التبني الذي كان شائعاً في المجتمعات الجاهلية كما هو شائع الآن في مختلف التجمعات غير المسلمة، وانتقلت عدواه إلى عدد من أبناء المسلمين بسبب جهلهم بأمور الدين.

والتبني بمعنى جعل الطفل يحمل اسم عائلة غير عائلته، وإدخاله في نسبه بما يحق له ذلك كل ما يمنحه النسب من حقوق مثل الإرث، وحجب غيره من الأقرباء الحقيقيين، والاختلاط مع من لا يُجيزُ له الشرع الإسلامي الاختلاط بهم من النساء أو الرجال (حسب جنس الطفل المتبني) بعد بلوغه أو بلوغها. وكل ذلك محرّم شرعاً لأنه نوع من التزوير، والكذب، والظلم للآخرين.

وقد جاء الإسلام وهذا الشكل من التبني شائع في المجتمعات الجاهلية شيوعاً كبيراً، وذلك نتيجة لعمليات السبي أثناء الحروب والغارات التي كانت تشنها القبائل العربية ضد بعضها بعضاً. وكان الرجل من القبيلة التي سبت يعجبه أحد السبايا، فيأخذه، ويعطيه اسمه ونسبه، فكان يعرف بين الناس باسم الرجل الذي تبناه، وأدخله في أسرته، ومنحه كل حقوق البنوة وواجباتها، ومنها حرمة تزوج المتبني بمطلقة من كان قد تبناه، تماماً كما تحرم مطلقة الابن الحقيقي على أبيه. وقد أدى شيوع التبني في مجتمعات الجزيرة العربية إلى شيوع اختلاط الأنساب، والاطلاع على عورات الغرباء، وما رافقه من مظالم وجرائم لا تعد ولا تحصى، ومنها احتمال وقوع زيجات محرّمة، أو إرث ما لا حق له في إرثه.

لذلك جاء القرآن الكريم بإبطال كل السلوكيات المعيبة التي شاعت في المجتمعات الجاهلية نتيجة لغيبه الدين الصحيح من مثل كل من (الظهار)،

و(التبني)، ولذلك قال - تعالى - في أوائل سورة «الأحزاب»: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَكْفُرُونَ مِنْهُمْ أَهْلِيكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب: 4، 5].

وفي قوله - تعالى -: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي أن كلاً من الظهار والتبني هو مجرد قول باللسان، لا حقيقة له في الواقع، فلا يجوز أن يترتب عليه أي حكم من الأحكام الشرعية. وعليه فإن ربكم ينبئكم بالقول الثابت المحقق الذي لا يخالطه شيء من الباطل أبداً، وهو - تعالى - يرشدكم إلى طريق النجاة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قيام العلاقات الأسرية على ما شرعه لكم من احترام روابط النسب والدم، لا على أساس من أهواء البشر ورغباتهم فقط.

وفي قوله - تعالى -: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي انسبوا هؤلاء الأولاد إلى آبائهم الحقيقيين إذا علمتموهم، لأن ذلك هو أعدل عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الذين جاؤوا من أصلابهم، فهم إخوانكم في الدين ومواليكم. و(الموالي) جمع (مولى) من الولاية، والمولى هو الإنسان الذي يربطه بغيره حقوق متبادلة، واللفظة (مواليكم) هنا تعني إخوانكم في الدين. ثم أتبع ذلك بقوله - تعالى -: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. ومن معاني ذلك: أنه لا إثم عليكم حين نسبتم هؤلاء الأطفال بالخطأ إليكم، وأعطيتموهم أسماءكم بدلاً من نسبتهم إلى آبائهم الأصليين الذين جاؤوا من أصلابهم، ولكن الإثم الحقيقي هو فيما قصدته قلوبكم عمداً بعد أن تبين لكم الأمر. والله ﷻ يغفر لكم خطاكم، ويقبل توبة التائبين عن خطأ التبني منكم، إذا كانوا صادقين في توبتهم، وقاموا بتصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها بتبني أبناء غيرهم، ونسبتهم إليهم بغير وجه حق.

لذلك كله أبطل الإسلام التبني، وجعله محرماً لأن فيه اختلاط للأنسب، وإطلاع على زينة وعورات الغرباء، واحتمال الوقوع في زواج محرّم، أو إرث من لا حق له في إرثه، ولذلك اعتبره الإسلام من الكبائر التي توجب سخط الله وغضبه على فاعله. وفي ذلك يروى عن رسول الله ﷺ أقواله التالية:

1 - «... ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»⁽¹⁾.

(والصرف) هو التوبة، و(العدل) هو الفدية.

2 - «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر»⁽²⁾.

3 - «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»⁽³⁾.

وكما أن الإسلام يرفض أن يضيف الشخص إلى نفسه من ليس من صلبه، فإنه أيضاً يرفض أن يتهرب الإنسان من نسبه بنفيه أو التنكر له كما ينفي الابن نسبه إلى أبيه، أو ينفي الأب نسب ابنه إليه، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفْرٌ»⁽⁴⁾.

ونظراً لتفشي التبني في زمن الجاهلية، فإن الإسلام العظيم جاء بالأمر الإلهي الذي يرد كل متبني معروف أبوه الذي جاء من صلبه إلى ذلك الأب. وأما الذين لم يعرف آبائهم الأصليين فإن الإسلام قرّر لهم مكاناً خاصاً في جماعة المسلمين وعرفهم باسم «الأدعياء». وهذا المكان أقامه الإسلام على أساس من الأخوة والمواولة في الدين. وهذه العلاقة هي علاقة إنسانية محضة، لا يترتب عليها

(1) مسلم (3773).

(2) البخاري (3508)، مسلم (214).

(3) البخاري (4326)، مسلم (217).

(4) البخاري (6768)، مسلم (215).

أية التزامات شرعية محددة (كالتوارث، والتكافل في دفع الديات، وغيرها) وإن حملت كل معاني التكافل، والرعاية، والرحمة الإنسانية، غير الإجبارية.

ولكي يبطل الإسلام بدعة التبني أجرى هذا الحكم أولاً على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حتى يكون قدوة لغيره من المسلمين. فقد قدر ربنا - تبارك وتعالى - أن يتبنى محمد بن عبد الله أحد السبايا قبل بعثته الشريفة، ثم يلغي بنوته بعد بعثته، حتى يصبح ذلك تشريعاً لأمة الإسلام إلى يوم الدين. وفي ذلك يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن «زيد بن حارثة» مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ فقال النبي ﷺ: «أنت (زيد بن حارثة بن شرحبيل)».

وتتلخص قصة تبني رسول الله ﷺ لزيد في أن «زيداً» كان طفلاً صغيراً مع أمه عند أخواله من «بني طيء»، فأغارت عليهم إحدى قبائل العرب فسلبتهم أموالهم وذرايرهم. وكان «زيد» من ضمن الذين تم سبيهم في تلك الغارة، فقدم به الذين سبوه إلى مكة، وباعوه في أحد أسواقها إلى «حكيم بن خزام» الذي اشتراه لعمته «السيدة خديجة بنت خويلد»، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبت له «زيداً» الذي بقي في خدمته لعدد من السنين.

وكان والد «زيد» (حارثة بن شرحبيل) متعلقاً بابنه تعلقاً شديداً، وكان دائم البكاء على فراقه، والسؤال عنه، حتى علم بوجوده في مكة، فقدم إليها مع شقيق له. وبسؤال أهل مكة علماً أن «زيداً» عند «محمد بن عبد الله»، فاستأذنا بالدخول عليه، ولما أذن لهما قال له «حارثة»: يا «محمد»! إنكم أهل بيت الله، تكفون العاني، وتطعمون الأسير، وقد علمت أن ابني عندك فامنن علينا فيه، وأحسن إلينا في قبول فدائه، فإنك ابن سيد قومك، ولك ما أحببت من المال في فدائه. فقال

(1) البخاري (4782)، مسلم (6212).

رسول الله ﷺ: «أعطيكُم خيراً من ذلك» قالوا: ما هو؟ قال: «أخيره أمامكم، فإن اختاركم فهو لكم بدون فداء، وإن اختارني فما أنا بالذي أرضى على من اختارني فداءً» فقالوا: أحسنت، وجزاك الله خيراً. فدعا «محمد بن عبد الله» «زيداً» وقال له: «أتعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمي، فقال: «يا زيد! هذا أبوك، وهذا عمك، وأنا من عرفت، فاختر من شئت منا» فدمعت عينا «زيد»، وهو يقول: ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً، أنت مني بمنزلة الوالد والعم. قال له كل من أبيه وعمه: ويحك يا «زيد»! أتختار العبودية على الحرية؟ فقال «زيد»: لقد رأيت من هذا الرجل من الإحسان ما يجعلني لا أستطيع فراقه، وما أنا بمختار عليه أحداً أبداً. وعلى إثر ذلك أعتق «محمد بن عبد الله» «زيداً» وتبناه، ثم خرج على الناس قائلاً: «اشهدوا أن زيداً ابني، أرثه ويرثني» فطابت نفس كل من أبيه وعمه لما رأوا من كرامة «زيد» على من تبناه، وكان من أكرم الناس معه. فلم يزل زيد يدعى في الجاهلية باسم «زيد بن محمد»، حتى نزل قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فدعى «زيد بن حارثة». وبعد البعثة النبوية الشريفة كان «زيد بن حارثة» أول من آمن برسول الله ﷺ من الموالي.

ولمزيد من التأكيد على إلغاء (التبني)، وإلغاء كل ما يتعلق به من أحكام، جاء في ختام سورة الأحزاب موقف آخر يزيد من رفض الإسلام لهذا الأمر رفضاً قاطعاً. ويتلخص هذا الموقف في السماح للرجل شرعاً بالزواج من مطلقة ابنه الذي ليس من صلبه، والذي كان قد تبناه. وكان من تقاليد العرب تحريم هذا الزواج كحرمته من مطلقة الابن من النسب، سواء بسواء.

ومرة ثانية ينتدب ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في حمل مسؤولية تطبيق تلك الإباحة حتى يصبح ذلك تشريعاً ربانياً إلى يوم الدين.

وتروي لنا كتب السيرة أن رسول الله ﷺ كان قد زوج مولاه (زيد بن حارثة) من ابنة عمته «السيدة زينب بنت جحش الأسدية القرشية الهاشمية»، وكانت من كبريات أشرف قريش. وكان الهدف من هذا الزواج هو تحطيم الفوارق الطبقية

الموروثة في المجتمع العربي. ثم شاءت إرادة الله أن ينتهي هذا الزواج بالطلاق، بعد مراجعة زيد لرسول الله ﷺ في هذا الأمر عدة مرات، والرسول ينصحه بالتمسك بزوجه، على الرغم من أن الله - تعالى - كان قد أخبره بحتمية وقوع هذا الطلاق، وأنه - تعالى - قد قضى بتزويجه هو ﷺ من (السيدة زينب) بعد انقضاء عدتها. وبالفعل تم الطلاق، وتم تزويج «السيدة زينب بنت جحش» من رسول الله ﷺ وهي مطلقة مولاه (زيد بن حارثة) الذي كان قد تناه من قبل بعثته الشريفة، ثم رده إلى أبيه الحقيقي الذي جاء من صلبه، وكان من أهداف ذلك ما يلي:

1 - **التشريع بإباحة الزواج من مطلقات الأديماء، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:** ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: 37، 38].

2 - **تكريم «السيدة زينب بنت جحش» بتزويجها إلى رسول الله ﷺ بعد أن كانت قد رضخت لأمره بتزويجه لها من مولى من مواليه وهي كارهة لذلك، ثم انصاعت طاعة لأمر رسول الله ﷺ خاصة بعد نزول أمر الله بذلك في قوله تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

وكان في ذلك التأكيد على حقيقة المساواة بين الناس، وعدم التفضيل بينهم إلا على أساس من التقوى وحسن الخلق، ونفي العصبية الطبقية في المجتمع المسلم.

3 - **الرد على غلاة الكفار والمشركين الذين استغلوا هذه الحادثة في محاولة الإساءة إلى رسول الله ﷺ ولذلك جاء الرد الإلهي دفاعاً عنه بقول ربنا**

- تبارك وتعالى -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

وفي هذه الآية الكريمة نفي للتبني بقول الله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾. وفي هذا النص الكريم أيضاً إشارة إلى وفاة جميع أبناء رسول الله ﷺ الذكور جميعاً صغاراً في حياته الشريفة، وهو ما أثبتته التاريخ. وبذلك صار رسول الله ﷺ أباً للعديد من نساء المسلمين، ولكنه لم يكن أباً مباشراً لأحد من رجالاتهم.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ تأكيد على صدق نبوته ﷺ وعلى ختمه لسلسلة الأنبياء والمرسلين، فليس من بعده نبي ولا رسول، والتاريخ يؤكد كذب كل من ادعى النبوة من بعده. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان؛ وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي»⁽¹⁾.

وهنا تتجلى بعض أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والتشريعي في هذه الآية الكريمة التي تؤكد اهتمام الإسلام بموضوع النسب إلى الحد الذي دفع الفقهاء إلى اعتباره من المقاصد الشرعية الكبرى التي يجب المحافظة عليها لقول رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»⁽²⁾. كما يتضح تأكيد حقيقة أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

(1) أخرجه الترمذي حديث رقم (2219).

(2) أخرجه الترمذي حديث رقم (1979).

85 - ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: 95].

هذه الآية الكريمة جاءت في خواتيم سورة «الحجر»، وهي سورة مكية، وآياتها تسع وتسعون بعد البسمة، وقد سميت بهذا الاسم لذكر (الحجر) في الآية الثمانين منها. ومنطقة (الحجر) هي مدائن قوم عبد الله وبنيه «صالح» المعروفون باسم «قوم ثمود». وهذه المدائن منحوتة في الصخور القائمة على جانبي «وادي القرى» أو المجلوبة إلى بطن هذا الوادي، و«مدائن صالح» هي الآن خربة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة رسول الله ﷺ على الطريق القديم بينها وبين مدينة «تبوك». وقد نزلت هذه السورة قبل الهجرة المباركة، ولذلك جاءت بروح التثبيت لرسول الله ﷺ في مواجهة عناد ومكابرة كفار قريش له، وتكذيبهم لبعثته الشريفة. ولذلك فإن المحور الرئيسي للسورة يدور حول تجريم المكذبين لرسول الله ﷺ وللمدين الذي بعث به، وتحذيرهم من شدة عقاب الله - تعالى - لهم في كل زمان وكل مكان.

وتختتم سورة «الحجر» بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ في عدد من الموضوعات المتتالية التي جاء منها قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۚ ﴾ ٩٤ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۚ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ٩٦ ﴿ وَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ٩٧ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ ﴾ ٩٨ ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ٩٩ [الحجر: 94 - 99].

والخطاب إلى رسول الله ﷺ هو خطاب إلى جميع المسلمين، المؤمنين بصدق بعثته الشريفة: خاتماً لسلسلة الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله - تعالى - بالإسلام العظيم لهداية البشرية. وهذه الهداية تتركز في الأمور التي يعلم ربنا - بعلمه المحيط - أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه فيها، وذلك من مثل قضايا العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، وهي تشكل ركائز الدين.

وتشير الآيات في ختام سورة «الحجر» إلى أن أهل الكفر والشرك والضلال سوف يظلمون - أبد الدهر - يتناولون على الحق الذي أنزله الله - تعالى - لهدايتهم، وعلى دعائه. فقد تناولوا على دين الله، وكتبه ورسله في القديم، ولا يزالون يتناولون اليوم على الإسلام العظيم، وعلى القرآن الكريم، وعلى شخص سيّد المرسلين ﷺ وأحاديثه. والتحذير من هذا التناول يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله نفضل جانباً منه فيما يلي:

أولاً: حماية الله - تعالى - لرسوله من المستهزئين من كفّار ومشركي قريش:

أخرج «الحافظ البزار» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فغمز به بعضهم، فجاء جبريل - أحسبه قال فغمزهم - فوقع في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا. وفي توضيح ذلك قال «محمد بن إسحاق»: كان هؤلاء المستهزئين خمسة نفر، وكانوا ذوي مكانة في قومهم، وكان منهم: من بني أسد بن عبد العزى «أبو زمعة الأسود بن المطلب»، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: «اللهم اعمِ بصره وأثكله ولده»، وكان منهم من بني سهم «العاص بن وائل»، ومن خزاعة «الحارث بن الطلائع». فلمّا تمادوا في الشرّ، وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله - تعالى - قوله العزيز: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: 94 - 96].

وفي هذه الآيات تهديد شديد، ووعيد أكيد من الله - تعالى - لكلّ متناولٍ على مقام رسول الله ﷺ. وكان هؤلاء المستهزئين - ولا يزالون - من الملاحدة الذين تنكروا لخالقهم العظيم فكفروا به، أو من المشركين الذين جعلوا مع الله - تعالى - معبوداً آخر بافتراءات لا سند لهم فيها ولا حجة، إلّا ما انقادوا له من غمزات الشياطين، وكذبهم، وغوايتهم.

وقال «ابن إسحاق» إنّ جبريل أتى إلى رسول الله ﷺ وهؤلاء الخمسة المتناولين يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمرّ بهما

«الأسود بن المطلب» فرمى «جبريل» في وجهه بورقة خضراء، فعمي، ومرَّ به «الأسود بن عبد يغوث»، فأشار إلى بطنه، فاستسقى (بطنه) فمات منه حنباً (أي: نتيجة لانتفاخ البطن من الاستسقاء)، ومرَّ به «الوليد بن المغيرة»، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله، كان قد أصابه قبل ذلك بسنين، فانتفض به جرحه (أي تجدد بعد ما كان قد برئ) فقتله، ومرَّ به «العاص بن وائل»، فأشار إلى أخصم قدمه (أي ما لم يصب الأرض من باطن قدمه)، ثم خرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة (أو شبرقة وهي شجرة عالية ذات أشواك) فدخلت في أخصم رجله شوكة فقتلته؛ ومرَّ به «الحارث بن الطلائة»، فأشار إلى رأسه، فامتخص قيحاً، فقتله. وهكذا أهلك الله - تعالى - هؤلاء الخمسة الذين تناولوا على مقام سيّد المرسلين ﷺ.

ثانياً: حماية الله - تعالى - لرسوله من جهل أبي جهل وأمثاله:

كذلك تروي لنا كتب السيرة أنّ أبا جهل (عمرو بن هشام) تناول على رسول الله ﷺ قائلاً: واللّات والعزى لئن رأيت محمّداً يصلي لأطأن على عنقه، ولأعفرن وجهه بالتراب. فما أن اقترب قليلاً من رسول الله ﷺ وهو يصلي في الحرم المكي، ليفعل به ما حلف عليه حتى رجع يهرول، وهو يتقي وجهه بيديه، فقال له الكفار: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: رأيت بيني وبينه خندقاً من نار، ورأيت أجنحة وهولاً تكاد تتخطفني. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو دنا مني لاخطفتني الملائكة عضواً عضواً»⁽¹⁾ وفي ذلك نزل قول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۙ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۗ ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۙ ١١ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۙ ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۙ ١٣ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۙ ١٤ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ۙ ١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۙ ١٦ فليَعْنُ نَادِيَهُ ۙ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ۙ ١٨ كَلَّا لَا نُطْعَهُ وَأَسْجُدْ وَقْتَرَبْ ۙ ١٩﴾

[العلق: 9 - 19].

(1) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (6996).

وبالمثل يروي ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ مرَّ بكلِّ من «الوليد بن المغيرة»، و«أمية بن خلف»، و«أبي جهل بن هشام»، فهمزوه، واستهزأوا به، فأنزل الله - تعالى - قوله الحقّ: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٤١].

كذلك روى «ابن إسحاق» أن رجلاً من أراش (أو إراشة) قدم إلى مكة بابل له، فابتاعها منه «أبو جهل»، فمطله بأثمانها. فأقبل الأراشي ووقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال الأراشي: يا معشر قريش، من رجل يؤديني (أي يعينني على أخذ حقي) على «أبي الحكم بن هشام»، فإنني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال له أهل ذلك المجلس: أتري ذلك الرجل الجالس (يعنون رسول الله ﷺ) اذهب إليه فإنه يؤدبك عليه. (وقالوا ذلك استهزاءً برسول الله ﷺ لما يعلمون ممّا بينه وبين أبي جهل من العداوة). فأقبل الأراشي حتى وقف إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا عبد الله! إن «أبا الحكم بن هشام» قد غلبني على حقّ لي قبله، وأنا رجل غريب، ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه (أي يأخذ لي حقي منه) فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله. قال ﷺ: انطلق إليه، وقام معه، فلمّا رآه المشركون قد قام معه، قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع! قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاء بيت «أبي جهل» فضرب عليه بابه، فقال «أبو جهل»: من هذا؟ قال ﷺ: محمّد، فاخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة (أي: بقية من روح، بمعنى أنّه خرج مرتعداً خائفاً، ما في وجهه قطرة من دم) قد انتفع أو امتقع لونه (أي: تغير)، فقال له ﷺ: أعط هذا الرجل حقّه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال الراوي: فدخل ثم خرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وقال للأراشي: إلحق بشأنك، فأقبل الأراشي على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد بالله أخذ لي حقي. وعاد الرجل الذي بعثه المشركون ليراقب الموقف إليهم، فقالوا له: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً

من العجب، بالله ما هو إلا أن ضرب عليه «محمد» بابه، فخرج إليه وما معه روحه (من شدة الفزع) فقال له: اعط هذا حقّه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج له حقّه، فدخل ثم خرج إليه بحقّه، فأعطاه إيّاه. ثم لم يلبث «أبو جهل» أن جاء، فقالوا له: ويلك! ما لك؟ بالله ما رأينا مثل ما صنعت قط! قال: ويحكم، بالله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي، وسمعت صوته، فملتت رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته (أي عنقه)، ولا أنيابه لفحل قط، بالله لو أبيت لأكلني. وقد كان الله - تعالى - قد أراد أن يذل «أبا جهل بن هشام» لرسول الله ﷺ إذا رآه، وذلك - مع عداوته له، وشدته عليه - كما روى «ابن إسحاق».

ثالثاً: انتقام الله - تعالى - من أبي لهب وآل بيته وأشياعه انتصاراً لرسول الله ﷺ:

1 - تروي كتب السيرة أنه لما نزل الوحي بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝۱ مَا صَلَ صَاحِبِكُمْ وَمَا عَوَىٰ ۝۲ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝۳ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝۴ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝۵ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝۶ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝۷ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝۸ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝۹﴾

[النجم: 1 - 9].

جاء عتيبة ابن أبي لهب إلى رسول الله ﷺ قائلاً في كفر ووقاحة وتبجح بالغ: أنا أكفر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم بالغ في وقاحته، وقلة أدبه فشق قميص رسول الله ﷺ، وحاول أن يتفل في وجهه الشريف فلم يصبه. وعلى الفور دعا عليه النبي - صلوات الله وسلامه عليه - قائلاً: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فانصرف «عتيبة» ساخراً مستهزئاً.

ومرّت الأيام حتى خرج «عتيبة» مع نفر من قريش في تجارة إلى بلاد الشام، وفي الطريق نزلوا في مكان يقال له «الزرقاء» (وهي مدينة كبيرة في الأردن اليوم)، وبعد أن استراحوا وضعوا العشاء، ولما جلسوا لتناوله طاف بهم وخش من الأسود، وزأر عليهم زارة ارتعدت لها فرائص «عتيبة». فقال له أصحابه: من أي شيء ترتعد؟

فبالله ما نحن وأنت إلا سواء! قال لهم: إن «محمّداً» قد دعا عليّ، وما تُرد له دعوة، ولا أصدق منه لهجة!! ومن شدّة رعب «عتيبة» لم يُدخِل يده في الطعام. وعندما جاء وقت النوم أحاط القوم أنفسهم ومتاعهم، وجعلوا «عتيبة» في وسطهم وناموا. ثم جاء الأسد يشتم رؤوسهم رجلاً رجلاً وهم يغطّون في نوم عميق حتى انتهى إلى «عتيبة بن أبي لهب» فهشمه هشمة كانت إيّاه، وقام القوم فزعين من نومهم على صرخة «عتيبة»، فقال وهو بأخر رمق: ألم أقل لكم أنّ محمّداً أصدق الناس لهجة، يا ويلى ويلى أخي!! هو بالله أكلي كما دعا عليّ محمّداً، قتلني وهو بمكّة وأنا ببلاد الشام، وقد استجيب دعاؤه..!! ومات عتيبة.

2 - كذلك تروي لنا كتب السيرة أنّ «أبا لهب بن عبد المطلب» وامرأته «أمّ جميل بنت حرب بن أمية» كانا من أشد الناس عداءً لرسول الله ﷺ. فقد كانت «أمّ جميل» تحمل الشوك والحسك، والسعدان فتطرّحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر، فأنزل الله - تعالى - فيها، وفي زوجها قرآناً يقول فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصِلَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: 1 - 5].

ويروي «ابن إسحاق» أنّ «أمّ جميل» حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد الحرام عند الكعبة، ومعه «أبو بكر الصديق»، وفي يدها فهر من حجارة (والفهر هو حجر على مقدار ملاء الكف)، فلمّا وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلم تعد ترى إلا «أبا بكر»، فقالت: يا «أبا بكر»: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنّه يهجونى، بالله لوجدته لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت بعد أن تفوّهت بشعر بذيء، فقال «أبو بكر»: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: «ما رأيتني، لقد أخذ الله ببصرها عني».

3 - كان عدد من طغاة المشركين من قريش، منهم كل من «الوليد بن المغيرة» و«أمية بن خلف» إذا مرّ أحدهم برسول الله ﷺ همزه ولمزه فأنزل الله

- تعالى - فيهم:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: 1 - 9].

4 - وروى «ابن هشام» أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً فدعا فيه إلى الله - تعالى -، وتلا فيه شيئاً من القرآن الكريم، خلفه في مجلسه إذا قام «النضر بن الحارث» فحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول: بالله ما «محمد» بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتبها كما اكتبتها، فأنزل الله - تعالى - فيه:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ عَاقِبُهُمْ رَجِمًا ۝٣﴾ [الفرقان: 5، 6].

وأنزل ربنا - تبارك وتعالى - كذلك فيه قوله العزيز: ﴿وَيْلٌ لِّمُؤْمِنِيٍّ لِّلْمُكذِبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يَكذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١١ وَمَا يَكذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا نُتِئِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُورُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِبُونَ ۝١٧﴾ [المطففين: 10 - 17].

5 - وروى «ابن إسحاق» أن رسول الله ﷺ جلس يوماً في المسجد الحرام مع «الوليد بن المغيرة»، فجاء «النضر بن الحارث» حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من قريش، فتكلم الرسول الخاتم - صلوات الله وسلامه عليه - فعرض له النضر بن الحارث، ورد عليه الرسول حتى أفحمه، ثم قرأ عليه وعليهم قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَتْ هَتُؤَلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾ [الأنبياء: 98 - 100].

وأضاف «ابن إسحاق» قائلاً: ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل «عبد الله

ابن الزعبري السهمي» حتى جلس، فقال له «الوليد»: بالله ما قام «النضر بن الحارث» لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد (أي ما استطاع أن يقارع حجته أو يرد عليه) وقد زعم محمدٌ أننا وما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم؛ فقال «عبد الله بن الزعبري»: أما بالله لو وجدته لخصمته، فسلوا «محمدًا»: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم؛ فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس من قول «ابن الزعبري»، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم (الشياطين) بعبادته». فأنزل الله - تعالى - في ذلك قوله العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101، 102].

وتأتي هذه الوقائع وأمثالها انطلاقاً من هذا الوعد الإلهي المطلق الذي قطعه ربنا - تبارك وتعالى - على ذاته العلية فقال لخاتم أنبيائه ورسوله ﷺ:

﴿فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 94 - 99].

أي فاجهر بتبليغ أمر ربك، ولا تلتفت إلى ما يقول المشركون، فنحن قد كفيناك شر أعدائك المستهزئين بدعوتك وذلك بإهلاكهم، لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين.

وهذا الوعد الإلهي قد تحقق في حياة رسول الله ﷺ كما أسلفنا في الأحداث التي اخترناها من بين المئات، كما تحقق في مئات من الحالات بعد وفاته ﷺ، ولا يزال يتحقق في الحاضر وسوف يظل يتحقق في المستقبل إلى ما شاء الله، وفاءً لوعده الله، ووعده لا يتخلف، ولا يتوقف، ولا يتعطل أبداً.

ووفاء وعد الله في القديم هو من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي، ووفاءه في الحاضر والمستقبل هو من صور الإعجاز الإنبائي في كتاب الله. وعلى ذلك فليس من قبيل الحدس أو الأمل، بل هو من قبيل اليقين القاطع أن يتنزل عقاب الله الرادع بكل من تناول على دين الله، أو على كتابه، أو على رسوله من أمثال الشيطان «سترجورد» رسّام الكاريكاتير في صحيفة «يولاندز بوسطن» الدانماركية، وكل من حاكى صورته المسيئة من الإعلاميين الغربيين والشرقيين على حد سواء. ومن أمثال الشيطان الكندي «أندي دوناتو»، والشيطانان الأمريكيان «روبرت دورنان» و«تيري جونز»، والشيطان الهولندي «جيرت فيلدرز» صاحب فيلم «الفتنة» الذي أساء به إلى القرآن الكريم ووضعه على شبكة المعلومات الدولية، والشيطان الهولندي «ثيو فان جوخ» الذي قتل في سنة 2004م، والشيطان الإيراني «إحسان جامي» صاحب فيلم «الإساءة لأمهات المؤمنين»، والشيطانان المصريان «زكريّا بطرس» صاحب قناة الموت المسماة زوراً باسم «قناة الحياة»، و«بسنت رشاد» الصحفية بإحدى الجرائد المغمورة بالقاهرة. هذا عدا عن شياطين السجون الأمريكية في كل من «غوانتانامو»، والعراق، وأفغانستان، وشياطين الصهاينة المحتلون لأرض فلسطين الذين دّسوا المصحف الشريف، والمساجد، والمقابر الإسلامية، وشياطين حزب البعث الماسوني/ الموسادي العَلَوِيّ في سوريا الأسد وزبانيته المجرمين الذين هاجموا علماء الإسلام في المساجد ودّسوها، ومزّقوا المصاحف وداسوها، وضربوا المآذن بالمدافع والصواريخ حتى هدموها، وعذبوا المعتقلين حتى الموت لينطقوا بكلمة الكفر، وما نطقوا بها، واقترفوا من الجرائم في حق الإسلام والمسلمين ما لم يجرؤ أحد من قبل على اقترافه. ويلحق بهؤلاء المجرم «سام باسيل» (الأمريكي الإسرائيلي) والآبق «نقولا باسيل» (الأمريكي المصري)، و«القس مرقص عزيز» (الأب يوشا)، والأمريكي «ستيف كلاين» ومن تعاون معهم في إخراج الفيلم الساقط والمعنون «براءة المسلمين» من مسيحيي المصريين الهاربين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويضاف إلى هذه القائمة جيش من المتطاولين على رسول الله ﷺ وعلى أحاديثه الشريفة أمثال المارق «سيد

القمني»، والفاسل «خالد منتصر»، والمذيع غير المهذب وغير الأمين «وائل الإبراشي» وأمثالهم ممن باعوا أنفسهم للشيطان الرجيم فاستذلهم كما استذل غيرهم من قبل. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١).

وفي الخطاب القرآني إلى رسول الله ﷺ، الذي يقول له ربنا - تبارك وتعالى - فيه: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر: 97 - 99] تأكيد على بشرية رسول الله ﷺ، فهو بشر يضيق صدره بالإساءة إليه، وبالاستهزاء بدعوته، أو بالإساءة إلى الذات الإلهية بالشرك، ولذلك يأمره الله - تعالى - باللجوء إلى تسييح الله وحمده، وعبادته بما أمر، ويواظب على ذلك حتى يأتيه أجله، فيمضي إلى جوار ربه - تعالى - راضياً مرضياً.

والتأكيد في خواتيم «سورة الحجر» على أن الذين يسيئون إلى مقام رسول الله ﷺ في القديم والحديث هم المشركون، يبقى ومضة من ومضات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله الذي خاطب خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ (٩٥) ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) [الحجر: 94 - 99].

وفي قوله - تعالى -: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي أظهره واجهر به، من قولهم: (صدع) بالحجة إذا تكلم بها جهاراً، أو افرق بما تؤمر بين الحق والباطل. وقد كان رسول الله ﷺ يدعو إلى دين الله خفية في السنوات الثلاثة الأولى من تلقيه الوحي، حتى نزلت هذه الآية الكريمة فخرج هو وأصحابه معلنين بها دون خشية من مشركي قريش.

وفي قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ (٩٥) أي أن الله - تعالى - قد

أخذ على ذاته العلية العهد بإهلاك كل من يتعرض بالاستهزاء أو السخرية من رسول الله ﷺ أو من رسالته، من الكفار والمشركين، والتاريخ يؤكد تحقق هذا الوعد الإلهي باستمرار.

وفي قوله - تعالى - : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) أي: فافزع إلى الله - تعالى - كلما ضاق صدرك من عداوة الكفار والمشركين لك، وفحشهم في الخطاب إليك، أو في التحدث عنك، وذلك بالمداومة على تسبيح الله - تعالى - وتمجيده وحمده، وبالإكثار من السجود لجلاله، في عبادة متصلة حتى نهاية الأجل. والخطاب إلى رسول الله ﷺ هو خطاب إلى جميع المؤمنين برسالته إلى يوم الدين.

86 - «أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾» [القمر: 1].

رويت واقعة انشقاق القمر عن طريق عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ منهم «عبد الله بن مسعود»، و«عبد الله بن عباس»، و«عبد الله بن عمر»، و«أنس بن مالك»، و«مجاهد»، و«جبير بن مطعم» وغيرهم - رضي الله تبارك وتعالى عنّا وعنهم أجمعين -، ويمكن تلخيص تلك الروايات فيما يلي:

1 - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإنَّ محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك. وفي لفظ: انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل جهة، فقالوا: رأينا، أنزل الله ﷻ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾⁽¹⁾. [القمر: 1].

2 - وروي عنه أيضاً قوله: «انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»⁽²⁾.

3 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «إنَّ أهل مكَّة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»⁽³⁾.

4 - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «... وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال

(1) دلائل النبوة لليهقي (2/ 144)، تفسير الطبري (22/ 567).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4864).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4867)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7007)، والترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3286).

النَّبِيِّ ﷺ: «اللهم اشهد»⁽¹⁾.

5 - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: «انشق القمر في زمان النبي ﷺ»⁽²⁾. وقال: «قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيته».

6 - عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، وقال غيرهم: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم»⁽³⁾.

7 - عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: اشهد يا أبا بكر، فقال الكافرون: سحر القمر حتى انشق»⁽⁴⁾.

وفي إحدى المخطوطات الهندية القديمة والمحفوظة في مكتبة المركز الهندي بمدينة لندن (تحت رقم 173 - 2807/152) ذكر المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد حميد الله رحمته الله في كتابه المعنون «محمد رسول الله» أن أحد ملوك ماليلبار (وهي إحدى مقاطعات جنوب غربي الهند) وكان اسمه شاكاراواتي فارماس (Chakarawati Farms) شاهد انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ وأخذ يُحدِّثُ بتلك الواقعة. ثم حدث أن مرَّ عدد من التجار المسلمين بولاية ماليلبار، وهم في طريقهم إلى الصين، وسمعوا حديث هذا الملك عن انشقاق القمر فأخبروه أنهم أيضاً قد رأوا ذلك، وأفهموه أن انشقاق القمر هذا كان معجزة أجزاها ربنا - تبارك وتعالى -

(1) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7003 - 7004)، والترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3285).

(2) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (7010).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم (3289).

(4) السيرة النبوية لابن كثير (2/ 120).

تأييداً لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ في مواجهة تكذيب مشركي قريش بنبوته وبرسالته. وعقب هذا اللقاء أمر الملك بتنصيب ابنه وولي عهده قائماً بأعمال مملكة ماليبار، وتوجه إلى الجزيرة العربية لمقابلة المصطفى ﷺ. وبالفعل وصل الملك المالباري إلى مكة المكرمة وأعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ، وتعلم أركان الدين الإسلامي، وأفل راجعاً إلى بلاده. ولكن شاءت إرادة الله - تعالى - أن ينتهي أجله قبل مغادرة أرض الجزيرة العربية، فمات ودُفن في أرض ظفار. وحين وصل الخبر إلى ماليبار كان ذلك حافزاً لدخول أهلها الإسلام زرافات ووحداً.

وقد اكتشف مؤخراً وجود تشققات طويلة وغائرة في جسم القمر، تتراوح أعماقها بين عدة مئات من الأمتار وأكثر من الكيلومتر، ويتراوح عرضها بين نصف الكيلومتر وخمسة كيلومترات، وتمتد في الطول إلى مئات من الكيلومترات في خطوط مستقيمة أو متعرجة. وتمرّ هذه الشقوق الطولية الهائلة بالعديد من الحفر التي يزيد عمق الواحدة منها على تسعة كيلومترات، ويزيد قطرها على الألف كيلومتر، ومن أمثلتها الحفرة العميقة المعروفة باسم «بحر الشرق» (Mare Orientalis).

وقد فسّرت هذه الحفر العميقة باصطدام أجرام سماوية في حجم الكويكبات (Impact of Asteroid-Sized Objects) بصخور سطح القمر. أمّا الشقوق التي تعرف باسم «شقوق القمر» (Rimae or Lunar Rilles) فقد فسّرت على أنها شروخ ناتجة عن الشدّ الجانبي (Tensional Cracks) لصخور قشرة القمر.

87 - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ [الإسراء: 1].

أراد الله - تعالى - أن يعوّض رسوله ﷺ عن الشدائد التي لقيها من كفار كل من قريش وثقيف، فأكرمه بأعظم معجزة حدثت في تاريخ البشرية كلها، ألا وهي معجزة «الإسراء والمعراج». وهذه المعجزة حملت رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم من هنالك إلى سدرة المنتهى عبر السماوات السبع، ثم من الكون المدرك إلى عالم الغيب المطلق وهنالك شرف ﷺ بالمثل بين يدي الحضرة الإلهية. وفي هذا المثل التشرifi الذي لم ينله أحد من قبل ولا من بعد، تلقى رسول الله ﷺ الأمر بالصلاة، ثم عاد ليؤم أنبياء الله ورسله في صلاة بالمسجد الأقصى. وبعد ذلك رجع إلى بيته في مكة المكرمة ليجد فراشه لا تزال دافئة، لأنَّ الله - تعالى - أوقف له الزمن وطوى له المكان، وكان ذلك في شهر ربيع الأوّل من السنة السابقة على الهجرة النبوية الشريفة (أي في حدود سنة 620م).

وفي الصباح حدّث رسول الله ﷺ أهل مكة برحلته المعجزة، فصدقه من صدق، (وكان أولهم سيّدنا أبو بكر الصديق) وكذّبه من كذّب (وكان على رأسهم عدو الله وعدو رسوله المكنى بكنية «أبي لهب»).

وتروي الأحاديث النبوية الشريفة عن هذه الرحلة المباركة أنّ رسول الله ﷺ طاف حول الكعبة المشرفة ليلاً وحيداً، ثم رجع إلى بيته وأوى إلى فراشه، وعند منتصف الليل جاءه جبريل ﷺ وأخبره بأنَّ الله ﷻ يدعو إلى السماء. تحرّك الراكب الكريم على البراق من مكة المكرمة بادئاً بالمسجد الحرام ومنتهاياً بالمسجد الأقصى، تأكيداً على الرباط بين هذين الحرمين الشريفين، الذي يؤكّده ما يرويه

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: «قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فاصلهُ فهو مسجد»، وفي رواية أخرى: «فإنَّ الفضل فيه»⁽¹⁾.

وبمجرد وصول رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى، صلَّى به ركعات ومعه جبريل ومن استقبلهما من الملائكة الكرام. ثم عُرجَ به صلى الله عليه وسلم عبر السموات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى، حيث شاهد جنة المأوى، وراح يصعد حتى وقف بين يدي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. وفي هذا الموقف المهيب سجد سيدنا رسول الله ﷺ لله - تعالى - قائلاً: «التحيَّات المباركات والصلَّوات الطَّيبات لله، فقال الحق صلى الله عليه وسلم: «السَّلام عليك أيها النَّبي ورحمة الله وبركاته»، وعلى الفور سبَّحت الملائكة لهذه التحيَّة الرِّبَّانيَّة قائلة: «السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين»، وقد جعلت هذه التحيَّة بداية التشهد الذي يرده المسلمون في صلواتهم.

وفي هذا الموقف العظيم أمر الله صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائه ورسله بالصلَّاة المفروضة على المسلمين خمس صلوات في اليوم (الليل والنهار) وهي صلوات المغرب ثم العشاء ثم الفجر ثم الظهر ثم العصر، ولها أجر خمسين صلاة.

وقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة من آيات ربِّه الكبرى ما لم يفصح القرآن الكريم عنه، وإن أشارت السُّنة النبويَّة المباركة إلى شيء منه.

وبعد رحلة التكريم الإلهي تلك عاد رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس حيث صلَّى إماماً بأنبياء الله ورسله، ثم عاد إلى مكة المكرمة ليجد فراشه لا تزال دافئة. ولما كان الصباح حدَّث رسول الله ﷺ أهل مكة بما رأى في تلك الرحلة المباركة، وطفق مشركو قريش يتناقلون الخبر في تكذيب وسخرية بالغيث. وتحلَّى بعضهم رسول الله ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس فجلَّى الله صلى الله عليه وسلم لرسوله الكريم بيت المقدس

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

فطفق يصفه لهم وصفاً تفصيلياً كما يسألون. وفي ذلك أخرج كل من الإمامين البخاري ومسلم حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «لَمَّا كَذَبْتَنِي قَرِيشٌ قَمَتَ فِي الْحَجَرِ، فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفَقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

وفي صبيحة «ليلة الإسراء والمعراج» نزل جبريل ﷺ ليعلم رسول الله ﷺ أوقات الصلاة، وكيفية أدائها، وماذا يقول فيها، وأول كل وقت وآخره، وكان يصلي ركعتين صباحاً، ومثليهما مساءً، كما كان يفعل جدّه إبراهيم ﷺ؛ وذلك قبل مشروعية الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج.

وبعد أن رجع رسول الله ﷺ من رحلته المعجزة أخبر قومه بذلك في مجلس حضره من صناديد قريش كل من: «المطعم بن عدي»، و«عمرو بن هشام»، و«الوليد بن المغيرة» فقال ﷺ: «إِنِّي صَلَّيْتُ اللَّيْلَةَ الْعِشَاءَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، وَصَلَّيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ، وَأَتَيْتُ فِيهَا دُونَ ذَلِكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَنَشَرُ لِي رَهْطٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَصَلَّيْتُ بِهِمْ وَكَلَّمْتُهُمْ»⁽²⁾.

فقال «عمرو بن هشام» مستهزئاً: صفهم لي فقال ﷺ: «أَمَّا عِيسَى فَفَوْقَ الرَّبْعَةِ، وَدُونَ الطَّوْلِ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، ظَاهِرُ الدَّمِ، جَعْدُ أَشْعَرٍ، تَعْلُوهُ صَهْبَةٌ (أَيُّ بَيَاضٍ بِحَمْرَةٍ)، كَأَنَّهُ «عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ». وَأَمَّا مُوسَى فَضَخْمُ آدَمِ طَوَالٍ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، مَتْرَاكُمُ الْأَسْنَانَ، مَقْلَصُ الشَّفَةِ، خَارِجُ اللَّثَةِ، عَابَسٌ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَبِاللَّهِ إِنَّهُ لِأَشْبَهَ النَّاسَ بِي خَلْقاً وَخَلْقاً». فقالوا: يَا مُحَمَّدُ! فَصِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ ﷺ: «دَخَلْتُ لَيْلاً وَخَرَجْتُ مِنْهُ لَيْلاً»، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِصُورَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي جَنَاحِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُهُ لَهُمْ قَائِلاً: «بَابٌ مِنْهُ كَذَا، فِي مَوْضِعٍ كَذَا، وَبَابٌ مِنْهُ كَذَا، فِي مَوْضِعٍ كَذَا». ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنْ غَيْرِهِمْ (أَيُّ قَوَافِلِ إِبْلِهِمْ)، فَقَالَ لَهُمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -: «أَتَيْتُ عَلِيَّ عَيْرَ بَنِي فُلَانٍ

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) الخصائص الكبرى للسيوطي (1/305).

بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا بقدر ماء فشربت منه، فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية. وأضاف ﷺ قوله: «ثم انتهت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جُوالق (وهو العدل الذي يوضع فيه المتاع) مخطط ببياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا، فاسألوهم عن ذلك» - قالوا: هذه والإله آية. وأضاف - صلوات الله وسلامه عليه - قائلاً: «ثم انتهت إلى عير بني فلان في التنعيم، يقدمها جمل أورق (أي لونه أبيض وفيه سواد)، وها هي تطلع عليكم من الشثية»، فقال «الوليد بن المغيرة»: «ساحر»؛ فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال ﷺ. وبدلاً من أن يصدقه، رموه بالسحر - شرفه الله عن ذلك - مضيفين إلى بهتانهم هذا قولهم الباطل: «صدق الوليد بن المغيرة فيما قال». وتسارعوا إلى «أبي بكر الصديق» ﷺ قائلين: «هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس! فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك فقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال «أبو بكر»: نعم، إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة»⁽¹⁾. ولذلك لُقّب أبو بكر بلقب «الصديق».

وكل من مطلع سورة «الإسراء» وهذا الحديث الصحيح يمثلان وثيقة تاريخية على وقوع حادثة الإسراء، أمّا حادثة المعراج فقد أكّدها الآيات (12 - 18) في مطلع سورة «النجم»، وهي من خوارق المعجزات التي أخبرنا بها الله ﷻ في محكم كتابه، وهو خير الشاهدين، وعلى ذلك فهي من أروع صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

(1) المصدر السابق نفسه.

88 - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 13 - 15].

في العام العاشر من بعثة رسول الله ﷺ اشتدت وطأة كفار ومشركي قريش على رسول الله ﷺ وعلى الذين آمنوا معه، فأراد الله - تعالى - أن يُعوّض رسوله الكريم عن الشدائد التي لقيها من كفّار كل من قريش وثقيف، فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج. وقد أشارت سورة «الإسراء» في مطلعها إلى الشطر الأول من هذه المعجزة، أما المعراج فقد أشارت إليه الآيات (12 - 18) من سورة «النجم»، ثم فصلت أحاديث رسول الله ﷺ الرحلتين.

هذا، وقد سبق لنا الحديث عن رحلة «الإسراء»، ونركز هنا على معجزة المعراج. فبعد أن صلّى الرسول الخاتم ﷺ ركعات في المسجد الأقصى ومعه جبريل عليه السلام ومن استقبلهما من الملائكة الكرام، عُرِّجَ به ﷺ عبر السموات السبع حتى وصل إلى سدرة المنتهى التي رأى عندها جنة المأوى. وراح رسول الله ﷺ يصعد حتى وقف بين يدي الله ﷻ، وسجد النبي قائلاً: «التحيّات المباركات والصلّوات الطيّبات لله» فقال الله ﷻ: «السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته»، وعلى الفور جاء تسبيح الملائكة قائلين: «السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين» وقد جعلت هذه التحيّة بداية التشهد الذي يردده المسلمون في جميع صلواتهم⁽¹⁾.

وفي هذا الموقف العظيم أمر الله ﷻ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالصلاة المفروضة على عباده المسلمين: خمس صلوات في اليوم (بليله ونهاره) ولها أجر خمسين صلاة وهي: صلوات المغرب، والعشاء، ثم الفجر، والظهر، والعصر.

(1) الروض الأنف.

وقد رأى رسول الله ﷺ في هذه الرحلة المباركة الكثير من آيات ربه، وكان منها اطلاعه على عظمة الكون، وضخامة بنائه، وانتظام حركته، وقدرة الله - تعالى - على طيِّ المكان وإيقاف الزمان له. وكذلك رأى من أمور الغيب ما لا يعرفه أهل الأرض جميعاً، فقد رأى ﷺ من الملائكة، وسابق الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله ﷻ له، ومكَّنه من التَّحدُّث إليهم، ومن الاستماع إليهم، ما لم يتح لإنسان من قبل. كذلك أطلعه ربُّنا - تبارك وتعالى - على نماذج من نعيم أهل الجنَّة في الجنَّة، ومن عذاب أهل النار في النار، وكان ذلك من الآيات الكبرى التي أطلع الله ﷻ عليها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فقال - عزَّ من قائل -: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْتَرُنَّ عَلَىٰ مَا بَرَأىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: 1 - 18].

ورحلة «الإسراء والمعراج» تمثل أعظم معجزة أجراها الله ﷻ لنبيِّ من أنبيائه ﷺ لأنَّه أطلع عبده ونبيِّه محمداً بن عبد الله ﷺ على ملكوت السموات والأرض في لا زمن، بعد أن طوى له المكان، وأوقف الزمان، وأطلعه على عدد من آيات الله الكبرى. وكان في هذه الرحلة المباركة تأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء، والمنطلقة من الوحداية المطلقة لله - تعالى - ومن تنزيهه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصف لا يليق بجلاله.

وكان في هذه المعجزة أيضاً تأكيد على ارتباط مكَّة المكرمة بالقدس الشريف، وعلى ارتباط الحرم المكي بالمسجد الأقصى. وكان في إمامة سيدنا محمد ﷺ لجميع الأنبياء تأكيد على عموم رسالته وخلودها، وعلى سمو دعوته وشمولها لمصالح العباد والبلاد في كلِّ زمان ومكان من بعثته الشريفة إلى قيام

الساعة، وعلى حقيقة كونه خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين).

ولمَّا رجع رسول الله ﷺ إلى مكة المكرمة بعد تلك الرحلة المباركة وجد فراشه لا يزال دافئاً؛ ممَّا يؤكد أنَّ الله - تعالى - الذي طوى له المكان قد أوقف له الزمان.

وفي صبيحة ليلة الإسراء والمعراج دعى رسول الله ﷺ أهل مكة ليخبرهم بما أكرمه الله - تعالى - به من معجزات. وبعد أن اجتمع عليه القوم قال لهم رسول الله ﷺ: «إني صليت الليلة العشاء في هذا المسجد، وصليت به الغداة، وأتيت فيما دون ذلك بيت المقدس، فنشر لي رهنط من الأنبياء منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وصليت بهم وكلمتهم». فقال «عمرو بن هشام» كالمستهزئ به: صفهم لي، فقال ﷺ: «أمَّا عيسى، ففوق الربعة، ودون الطول، عريض الصدر، ظاهر الدم، جعد أشعر، تعلوه صهبة (أي بياض بحمرة)، كأنه «عروة بن مسعود الثقفي»، وأمَّا موسى، فضخم آدم طوال، كأنه من رجال شنوءة، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، خارج اللثة، عابس، وأمَّا إبراهيم، فبالله إنه لأشبه الناس بي، خلقاً وخلقاً» فقالوا: يا محمد فصِّف لنا بيت المقدس، قال: «دخلت ليلاً وخرجت منه ليلاً»، فأتاه جبريل بصورة من بيت المقدس في جناحه، فجعل يقول: باب منه كذا، في موضع كذا، وباب منه كذا، في موضع كذا».

ثم سأله عن غيرهم، فقال لهم: «أتيت على غير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت فاسألوهم عن ذلك» قالوا: هذه والإله آية. ثم أضاف ﷺ قوله: «ثم انتهيت إلى غير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جوالق (وهي العدل الذي يوضع فيه المتاع) مخطط بياض، لا أدري أكسر البعير، أم لا، فاسألوهم عن ذلك». قالوا: هذه والإله آية. ثم أضاف ﷺ قوله: «ثم انتهيت إلى غير بني فلان في التنعيم، يقدمها جمل أورق (أي لونه أبيض وفيه

سواد) وهاهي تطلع عليكم من الثنية». فقال «الوليد بن المغيرة»: ساحر، فانطلقوا فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال. فرموه بالسحر، وقالوا: صدق «الوليد بن المغيرة» فيما قال⁽¹⁾.

فسعى الناس بالخبر إلى أبي بكر الصديق ﷺ فقالوا: «هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس». قال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخير السماء في غدوة أو روحة؛ فلذلك سمي أبو بكر ﷺ بالصديق⁽²⁾.

من هنا يتضح وجه الإعجاز الإنبائي في مطلع سورة «النجم» حيث تثبت الآيات (12 - 18) من هذه السورة المباركة وقوع هذه المعجزة الكبرى، وإن كانت أحاديث رسول الله ﷺ قد فصلتهما، ولولا نزول هذه الآيات ما كان أمام الناس من دليل على وقوع معجزة المعراج، وهي أعظم معجزة في تاريخ البشرية كلها، وهي معجزة لا يستطيع العقل البشري استيعابها لولا وجود الإشارة إليها في كل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لمعجزة الإسراء والمعراج:

1 - التأكيد على وحده رسالة السماء المنطلقة من وحدانية الله - تعالى -، والتي صورها الربط بين المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد الأقصى في بيت المقدس، كما صورتها إمامة رسول الله ﷺ لأنبياء الله جميعاً في المسجد الأقصى.

2 - الاطلاع على شيء من قدرة الله - تعالى - التي لا تحدّها حدود، ولا يقف أمامها عائق. ومن ذلك ما مثلته هذه الرحلة المباركة من إيقاف للزمن،

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

وطي للمكان كرامة لخاتم أنبياء الله ﷺ ورسله ﷺ حتى تمكّن من السفر من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ومنه عُرجَ به إلى سدرة المنتهى عبر السماوات السبع، ثم عاد إلى بيت المقدس ليصلي فيه إماماً لأنبياء الله، ثم رجع إلى مكة المكرمة بلا زمن على الإطلاق، ولذلك وجد فراشه دافئاً كما غادره.

3 - الإيمان بالله - تعالى - وبملائكته، وكتبه، ورسله، دون أدنى تفريق أو تمييز، مع التسليم بأن جميع رسالات السماء قد احتويت في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم المرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وبذلك فإن هذه الرسالة الخاتمة قد نسخت جميع الرسالات السماوية التي أنزلت من قبلها.

4 - التسليم بعبودية جميع المخلوقات لله - تعالى -، فالخلق غير المكلف يعبد الله - تعالى - عبادة فطرية لا تتوقف ولا تتخلف. أما الخلق المكلف فهو يعبد الله - تعالى - بإرادته أو يقصر في هذا الأمر بإرادته كذلك. وبما أن الإنسان مخلوق عاقل، مكلف، فقد ترك اختيار العبادة لإرادته، إن أداها أجز على ذلك، وإلا عُوقب على إهماله لها.

5 - اليقين في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - ومعرفة شيء عن منزلته عند رب العالمين، بإمامته لأنبياء الله أجمعين في المسجد الأقصى؛ وبإكرامه بمعجزة الإسراء والمعراج.

6 - التأكيد على قيمة الصلاة التي هي عماد الدين، ولذا كان فرضها من الله - تعالى - مباشرة إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، بينما فرضت بقية العبادات عن طريق حمل جبريل ﷺ الأمر الإلهي بها إلى رسول الله ﷺ. وبذلك أصبحت الصلاة هي معراج النفوس المؤمنة التي تستشعر لذة مناجاة الله في الصلاة، كما أصبح السعي إليها في صلاتي العشاء والفجر (العتمة والصبح) يمثل مسرى رسول الله ﷺ.

7 - التسليم بأنَّ المعجزات الحسيّة هي خوارق للسنن، وبالتالي فإنَّ العقل البشري لا يستطيع تفسيرها، وهي حجّة على مَنْ رآها من الناس، فإذا جاء لها ذكر في كتاب الله - تعالى - أو في سنّة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ صارت حجّة على كل مسلم ومسلمة، وإن لم يستطع العقل البشري تفسيرها. ففوق الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ بالجسد والروح، وفي حالة من اليقظة الكاملة عبر هذه المسافات الشاسعة مما لا يستطيع العقل البشري تفسيره. وكذلك جميع المراتي التي شاهدها رسول الله ﷺ في رحلة التكريم الإلهي هذه التي أكرمها الله - تعالى - بها.

8 - الإيمان بأنَّ الله - تعالى - فضّل بعض الأماكن وبعض الأزمنة على بعض، كما فضل بعض النبيّين وبعض الرسل وبعض الأفراد العاديين على بعض. ومن ذلك فضل مكّة المكرّمة على سائر بقاع الأرض، يليها فضل مدينة رسول الله ﷺ، ثم فضل بيت المقدس الذي ندعو الله - تعالى - أن يعيننا على تطهيره من دنس الصهاينة المجرمين، المعتدين عليه وعلى أرض فلسطين من حوله إن شاء الله.

9 - التأكيد على ثقة المؤمن بمعية الله - تعالى - والتصديق بحتميّة تحقق الفرج بعد الضيق، وبحتميّة وقوع الرخاء بعد الشدّة. والتأكيد كذلك بأنّه لا يجوز للمسلم أن تصدّه الشدائد عن قولة الحق، أو أن تدفعه إلى التقاعس عن خوض ساحات الجهاد في سبيل الله. واليقين مع ذلك بأن الابتلاء من سنن الحياة الدنيا، وأنه من وسائل التربية، والتطهير، والتركية، ورفع الدرجات.

من هنا تتّضح ومضة «الإعجاز الإنبائي والتاريخي» في كل من الآية الكريمة التي استهلّت بها سورة «الإسراء»، والآيات (13 - 15) في سورة «النجم» لأنّ خبر هذه الرحلة المباركة هو من أنباء الغيب، التي لولا أنّ الله - تعالى - قد أخبرنا عنها في محكم كتابه، ولولا أنّ رسول الله ﷺ قد فضّلها لنا في أحاديثه ما كان أمام الإنسان أيّة إمكانيّة للعلم بها.

89 - ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل: 123].

في هذه الآية الكريمة إنباء من الله - تعالى - بأنه قد أوحى إلى خاتم أنبيائه ورُسُلِهِ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ. ومن معاني لفظة (الحنيف) أي: المائل عن الشُّركِ عمداً إلى التوحيد الخالص لله الخالق البارئ المصور. فقد كان إبراهيم ﷺ بريئاً من جميع صور الشُّركِ ومن جميع المشركين. ومن هنا فلا يجوز لمشركي اليوم محاولة تجميل صورتهم بادعاء النسبة إلى إبراهيم ﷺ، حتى لو كانوا من نسله - كما يدعون - لأنَّ الصلة الحقيقية بين العباد هي صلة العقيدة، لا صلة الدم والنسب، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

وفي هذا الأمر الإلهي تأكيد على وحدة رسالة السَّمَاءِ وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء، وبين النَّاسِ جميعاً. وينطلق هذا الفهم من الإيمان الجازم بأنَّ الله - تعالى - هو ربُّ هذا الكون ومليكه، خالقه، ومبدعه ومدبر أمره. وهذا الإله (الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في سلطانه، ولا شبيه له من خلقه، لأنَّه - تعالى - منزَّه عن جميع صفات خلقه، وعن كلِّ وصفٍ لا يليق بجلاله. وهذا الإله الواحد الأحد، لا بدُّ وأن تكون هدايته لخلقهِ واحدة، وإن تعددت الرسائل التي نزلت بها، وإن استحدثت بعض تفاصيل التشريع في الرِّسَالَاتِ اللاحقة زيادة على الرسائل السابقة، وذلك لمواءمة العصر.

هذا، وقد سبق أن ذكرنا أن عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ جاء ذكره في القرآن الكريم تسعاً وستين (69) مرة، وذلك للتأكيد على حقيقته التاريخية. ويمتدح ربُّنا - تبارك وتعالى - على هذه الشخصية التاريخية الرائدة بأن إبراهيم ﷺ كان أمة

بمفرده، لأنه كان إماماً يقتدى به، وكان مثالاً للإنسان الذي يحترم عقله فيوظفه توظيفاً راجحاً في التعرف على خالقه من خلال التأمل في بديع صنع الله في الكون. كذلك كان عبد الله ونبيه إبراهيم نموذجاً للإنسانية في التعرف على الله ﷻ من خلال النظر في الكون من حوله، على الرغم من إغراق أهله وقومه في الشرك بالله، وعبادة كل من الأصنام والأوثان، والنجوم والكواكب. لذلك خالفهم إبراهيم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، فكان إماماً للتوحيد الخالص، يقتدي به في هذا المنهج الاستقرائي للكون من أجل معرفة خالقه. من هنا قال ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120].

وكان إبراهيم ﷺ في ذلك نموذجاً للهداية والطاعة، وللشكر والإنابة والخشية لله - تعالى -، لأنَّ لفظ (أمة) هنا هو تعبير عن معلم الناس الخير الذي يتركز في أعلى المراتب المتاحة للإنسان في أمر الدين. وبذلك كان إبراهيم أمة وحده لأنه كان الداعي إلى توحيد الله - تعالى - وسط قومه المشركين. و(القانت) هو الخاشع المطيع، و(الحنيف) هو المستقيم على طريق الله، المائل قصداً عن الشرك إلى التوحيد الخالص لله الخالق البارئ المصور.

ومن هنا فلا يجوز أن يتمكك المشركون بمحاولة الانتساب إلى شخص عبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ كما هو حادث في أيامنا هذه تحت عنوان ما يسمى زوراً باسم «العقيدة الإبراهيمية» (The Abrahamic Faith). وذلك لأن الذين يحاولون الانضواء تحت هذه الراية هم من عتاة الكفار والمشركين، لأن منهم من ينكر البعث والحساب، والجنة والنار. ومنهم من أشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ومن نادى بالتجسيم وبالتطاول على الذات الإلهية، ومنهم من ادعى النبوة...!! ولذلك قال الله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٧] إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ [١٨]. [آل عمران: 67، 68].

وانطلاقاً من نجاح إبراهيم ﷺ في التعرف على خالقه من خلال التأمل في

بديع صنع هذا الخالق العظيم في الكون فإنَّ الله - تعالى - اجتباه (أي اختاره) وهداه إلى صراط مستقيم (وهو صراط التوحيد الخالص القويم الذي نادى به الإسلام من لدن أبينا آدم ﷺ إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وإلى قيام الساعة). واصطفاه إبراهيم ﷺ للنبوّة، وجعلها في ذريته إلى خاتم هذه السلسلة الطويلة من الأنبياء والمرسلين كان من قبيل التشريف والتكريم. فجميع أنبياء الله وكلّهم قد بعثوا بالإسلام العظيم، على الرّغم من تمحّك عدد من أصحاب المعتقدات الفاسدة بادّعاء الانتساب إلى إبراهيم ﷺ، وتمسّحهم به، وهم أبعد ما يكونون عن ملّته.

وتقديرًا للدور الرائد الذي قام به إبراهيم ﷺ بعدم اتّباع والده وقومه في عبادة كلّ من الأصنام وأجرام السماء فإنَّ الله ﷻ قد أكرمه في الدنيا برفع ذكره، وبجعله إماماً للهدى، ناطقاً بالحقّ وداعياً إليه وجعله في الآخرة من الصالحين. وكذلك أكرمه ربنا ﷻ بعدد من المعجزات التي أجزاها على يديه، فنجّاه من النّار التي حاول قومه إحراقه بها، ورزقه - على الكبر - الذريّة الصالحة التي جعل فيها عدداً من الأنبياء كان أولهم ذبيح الله إسماعيل ﷺ، وكان خاتمهم أجمعين سيدنا محمد ﷺ. وكان منهم إسحاق ﷺ الذي كان من نسله كل من يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، موسى وهارون، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، وعيسى ابن مريم (عليهم جميعاً من الله السّلام). كذلك أكرم الله - تعالى - عبده ونبيّه إبراهيم ﷺ بأن بوأ له مكان البيت، وشرفه هو وابنه إسماعيل ﷺ برفعه من قواعده. كما أكرمه بالأذان بالحجّ، وهي الدعوة المستجابة منذ أربعة آلاف سنة إلى اليوم، (وإلى أن يشاء الله)، وأكرمه باستجابة دعوته لمكّة المكرّمة بأن جعلها بلدأً آمناً، ورزق أهلها من الطّيّبات.

وتأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء جاء التوجيه الإلهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين -

بالنص التالي: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [123].

[النحل: 123].

وجاء ذلك انطلاقاً من الإيمان بالإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٣] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [٤] [الإخلاص: 3، 4] وكان تأكيداً على أن هداية الله ﷻ لخلقه جميعاً واحدة انطلاقاً من وحدانية هذا الخالق العظيم فوق جميع خلقه. وهذه الهداية علمها ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، ثم أنزلها على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسوله، ثم أكملها، وأتم بها نعمته على خلقه جميعاً في بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وبما أن رسالة سيدنا محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة)، فإن ربنا - تبارك وتعالى - تعهد بحفظها فحفظت في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين. وحفظها ربنا - تبارك وتعالى - من الضياع، كما حفظها في نفس لغة الوحي بها (اللغة العربية) حتى لا تتعرض لأدنى قدر من التحريف والتبديل والتغيير الذي تعرضت له جميع الرسائل السابقة التي فقدت صلتها تماماً بلغات وحيها. وتعهد الله ﷻ بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين.

ويبقى هذا الأمر باتباع ملة إبراهيم، أمراً من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسوله (صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) تأكيداً على أن هداية الله - تعالى - لجميع خلقه واحدة، هي الإسلام العظيم. ومن هنا كان كل خروج عن هذا الدين هو خروج عن منهج الله الذي لا يرتضي من عباده ديناً سواه.

وفي هذا الأمر الإلهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باتباع ملة إبراهيم ﷺ (أي شريعته السمحة) تأكيد على أن العقيدة القائمة على أساس من الإيمان بالإله الواحد الأحد، وعلى تنزيهه ﷻ عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله، وإخلاص العبادة له دون سواه، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، هي الإسلام. وقد وصف ربنا - تبارك وتعالى - الإسلام في العديد من

آيات القرآن الكريم بوصف الصراط المستقيم، أي: الطريق الواصل بين العبد وربّه. والإسلام هو الهداية الربّانية للخلق أجمعين في القضايا التي يعلم الله - تعالى - بعلمه المحيط عجز الخلق (فردى ومجتمعين) عن الوصول إلى تصوّر صحيح لأيّ منها، وذلك من مثل قضايا العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات التي تشكّل ركائز الدين. وهذا الدين الإسلامي العظيم هو السبيل الوحيد لعون الإنسان على فهم كلّ من ذاته، ورسالته في هذه الحياة: عبداً لله الخالق، مطالباً بعبادته بما أمر، ومستخلفاً في الأرض، مطالباً بعمارته وبقامته شرع الله وعدله في ربوعها. من هنا كانت ضرورة الدين، وكانت ضرورة أن يكون الدين بياناً ربّانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية؛ وأن يكون هذا البيان الإلهي واحداً، مهما تكررت مرات نزوله، وأن تكون هناك خاتمة لهذا النزول، تحفظه إلى يوم الدين.

من هنا أيضاً كان فشل كلّ حياة دنيوية لا تقوم على أساس من هذه الهداية الربّانية، لأنها لا يمكن أن تكون حياة سوية حتى لو أمكن صاحبها من تحقيق قدر من النجاحات المادية، وذلك لأن الحياة الدنيا ليست مادة فقط، بل إن الجانب النفسي والعاطفي فيها هو أهم كثيراً من كل جوانبها المادية. والسبب في ذلك هو أن الحياة الدنيوية - مهما طالت - فإنّ نهايتها الموت، وحياة القبر وحسابه، ثم هول البعث والحشر والحساب والجزاء، ثم الخلود إمّا في الجنة أبداً وإمّا في النار أبداً. والخلود في الجنة يكون للذين اهتدوا إلى دين الله الحق فأقاموه أمراً واقعاً في حياتهم، ودعوا الناس إليه بالكلمة الطيبة والحجة البالغة أي: بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر ربنا (تبارك وتعالى). والخلود في النار يكون للذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه باختيارهم، فضلّوا وأضلّوا، أو للذين لم يحاولوا معرفة الحق أبداً فلم يعبدوا الله - تعالى - بما أمر، بل عاثوا في الأرض فساداً، وظلماً واضطهاداً لخلق الله، ولم يقوموا بشيء من واجبات الاستخلاف في الأرض يمكن أن يشفع لهم عند ربّ العالمين في يوم الحساب.

وفي مقابل هذا المقام الكريم لعبد الله ونبيه إبراهيم ﷺ في القرآن المجيد نجد أن صورته في كتب الأولين مغايرة لذلك مغايرة كاملة، فوسط سرد سلسلة طويلة من الأسماء والأعمار (سفر التكوين: 11 - 25) يأتي ذكر إبراهيم على أنه من ذرية سام بن نوح. ومن دس اليهود على الله - تعالى - ادّعاؤهم بأنه قد أعطى أرض الفلسطينيين (الكنعانيين) ملكاً أبدياً لإبراهيم ولنسله من بعده إلى يوم الدين.

وكان من دس اليهود أيضاً على الله - تعالى - ادّعاؤهم بأن إبراهيم هو الذي بنى بيت الرب (بيت إيل أو بيت الله) في القدس الشريف، وهذا تحريف واضح لأنه رفع القواعد من الكعبة المشرفة (بيت الله) في مكة المكرمة. أما الذين بنوا المسجد الأقصى في مدينة القدس الشريف فكانوا هم الملائكة الذين بنوا الكعبة في بدايات خلق الكون، ثم باشروا ببناء المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين عاماً، كما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ، وكما سبق وأن ذكرنا.

ثم تحدّثت هذه الكتب عن رحلة إبراهيم إلى مصر حيث ادّعت عليه أنه أمر زوجته السيّدة سارة أن تكذب بالقول بأنها أخته، وذلك بادّعاء آخر افتروه على عبد الله ونبيه إبراهيم بأنه قال لها: (ليكون لي خير بسببك. وتحيا نفسي من أجلك). وتروي الكتب قصّتها مع فرعون مصر. ثم تروي انفصال إبراهيم عن ابن أخيه «لوط»، وذهابه إلى موقع بلدة الخليل الحاليّة، وذهاب «لوط» إلى قرية «سدوم» في جنوب البحر الميت من غور الأردن. ثم تروي خبراً عن أسر لوط وإنقاذ إبراهيم له من الأسر، وتكرّر الادّعاء بأن الله - تعالى - أعطى عهداً لإبراهيم يجعل به الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات ملكاً أبدياً لنسله من بعده (وواضح أن هذا من كذب اليهود وافترائهم على ربّ العالمين).

ثم يتطرّق «العهد القديم» لقصة هاجر وإسماعيل، ولعهد الختان، ومرة ثالثة للعهد المفترى على الله - تعالى - بإعطاء أرض الكنعانيين (الفلسطينيين) لنسل إبراهيم ﷺ ملكاً أبدياً إلى قيام الساعة. وتعرض كتب «العهد القديم» لمعجزة حمل سارة وهي عجوز عقيم، ولصلاة إبراهيم من أجل سدوم، ولخراب كل من

سدوم وعمورة، ولقصة مفتراة على عبد الله ونبيه لوط وبنتيه (من سكر وزنا محارم) بما لا يليق بأحظ الناس قدراً في هذه الحياة، فضلاً عن نبي من أنبياء الله!!!

وبعد ذلك جاء ذكر كل من اللقاء المشين بين إبراهيم وأبي مالك، وميلاد إسحاق، وطرد كل من هاجر وإسماعيل من أرض فلسطين، وما سمي باسم «ميثاق بئر السبع»، وامتحان إبراهيم (في الأمر بذبح ابنه إسماعيل الذي حرّفه اليهود على أنه كان أمراً بذبح إسحاق)، وأبناء ناحور، وموت سارة، ثم ما كان من أمر إسحاق ورفقه إلى موت إبراهيم.

وفي كل هذا القصص الإسرائيلي لا نجد درساً واحداً يمكن أن يستفاد به من سيرة هذا النبي الصالح، ولا عبرة تستخلص. هذا، فضلاً عن ركافة الأسلوب، والتكرار المخلّ والممل. من هنا لا يمكن لعاقل أن يتقبل الادّعاء الباطل الذي أثاره نفر من أعداء الله بأنّ القصص القرآني منقول عن العهد القديم، وذلك لأنّ الفرق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار. والتشابه (إن كان هناك قدر منه) مرده إلى أن أصل القصة واحد، رواها الناس فأسأؤوا وأخطأوا، وسجلها رب العالمين في محكم كتابه فجاء بالحق اليقين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

من هنا كان في الأمر الإلهي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باتباع ملة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ لمحة من لمحات الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله - تعالى - لأن هذا الأمر لم يشر إليه أي من العهدين القديم والجديد، على الرغم من منطقيته وجدواه في إثبات وحدة رسالة السماء، والأخوة بين الأنبياء جميعاً.

90 - ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ

أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾ [الأنعام: 92].

هذا النص القرآني الكريم فيه إشارة ضمنية إلى توسط مكة المكرمة من اليابسة، وذلك انطلاقاً من حقيقة أنّ الرسول الخاتم ﷺ بُعث للناس كافة لأنه ليس من بعده نبي ولا رسول. ومن هنا كان في التعبير القرآني: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، تأكيد على أنّ ما حول أم القرى هو اليابسة كلها، العامرة بأهل الأرض جميعاً، لا ينقص منها شبر واحد، ولا ينقص منهم فرد واحد، حتى يصل إليه البلاغ برسالة الله الخاتمة التي ستظلّ شاهدة على الخلق إلى يوم الدين. وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت مكة المكرمة في وسط اليابسة، بمعنى أننا إذا قمنا برسم دائرة مركزها مكة المكرمة فإنّ هذه الدائرة تحيط باليابسة إحاطة كاملة. وعلى الرغم من ذلك فإن عدداً من المستشرقين قال بأن ما حول أم القرى لا يتعدى أن يكون عدداً من قرى جنوب الحجاز. وبالتالي استنكر هؤلاء المستشرقون وصف القرآن الكريم لرسول الله ﷺ بأنه رحمة للعالمين، وبأنه ما أرسل إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً.

وإذا علمنا أن حركة الاستشراق في جذورها التاريخية كانت حركة استخباراتية، تجسسية، معادية للإسلام والمسلمين، حريصة على تصيد كلّ فرصة لمهاجمة دين الله بدون وجه حق، فهمنا لماذا حاربوا فهم أن تعبير (ما حول أم القرى) يشمل كل العالم. ومن القضايا التي أثارها المستشرقون - زوراً - اقتطاع هذا النص الكريم الذي نحن بصدهه ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من سياقه، وقصره على أهل مكة وبعض القرى من حولها، واعتباره معارضاً للعديد من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد عالمية الرسالة الخاتمة، وذلك من مثل قول الحق - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَتَّيْبَهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: 158]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنبياء: 107]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبا: 28].

ومن مثل قول المصطفى ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي»، وذكر منهم «وكان النبيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»⁽¹⁾.

وفي محاولة علمية لتحديد الاتجاهات الدقيقة إلى القبلة - أي إلى الكعبة المشرفة - من المدن الرئيسية في العالم باستخدام الحاسوب (الكمبيوتر) أثبت الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تمركز مكة المكرمة في قلب دائرة تمرُّ بأطراف جميع القارات. ومن معاني ذلك أنَّ اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً، وأنَّ هذه المدينة المقدسة تعتبر مركزاً لليابسة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحٰنَا اِلَيْكَ قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ اُمَّ الْفُرٰسٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وُنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِیْهِ فَرِیْقٌ فِی الْجَنَّةِ وَفَرِیْقٌ فِی السَّعِیْرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: 7].

وقد ثبت علمياً أنَّ القارات السبع التي تكوّن اليابسة على أرضنا الحالية كانت في الأصل قارة واحدة، يسميها العلماء باسم «القارة الأم»، أو «أم القارات» أو «قارة بانجيا» (Pangea) ثم تفتتت هذه القارة الأم بفعل الصدوع والخسوف الأرضية إلى القارات السبع الحالية التي أخذت في التباعد عن بعضها بعضاً حتى وصلت إلى مواقعها الحالية، ولا تزال هذه القارات تتباعد إلى اليوم. وبمتابعة جهود الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجدت أنه في كل حالات اليابسة: وهي قطعة واحدة، وبعد تفتتها إلى القارات السبع الحالية مع قرب تلك القارات من بعضها بعضاً، وفي كل مراحل زحف هذه القارات ببطء شديد متباعدة عن

(1) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، حديث رقم (335)، ومسلم في كتاب المساجد، حديث رقم

بعضها بعضاً حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية، في كل هذه الحالات كانت مكة المكرمة دائماً في وسط اليابسة.

وقد ثبت علمياً أيضاً أن أرضنا في مرحلة من مراحلها الابتدائية كانت مغمورة غمراً كاملاً بالماء، ثم فجّر الله - تعالى - قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانية عارمة عن طريق تصدّع وخسف هذا القاع، وأخذت الثورة البركانية تلقي بحمها فوق قاع هذا المحيط الغامر لتبني سلسلة من سلاسل الجبال في وسط هذا المحيط الغامر. ومع ارتفاع أعلى قمة في تلك السلسلة فوق مستوى سطح ماء هذا المحيط الغامر تكوّنت أوّل مساحة من اليابسة على هيئة جزيرة بركانية تشبه العديد من الجزر البركانية المتكوّنة في أواسط محيطات اليوم (كجزر اليابان، الفليبين، إندونيسيا، هاواي، وغيرها). وكانت هذه الجزيرة البركانية هي أرض مكة المكرمة، وكانت أوّل جزء من اليابسة أوجده الله - تعالى - . ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«دحيت الأرض من مكة، فمدها الله ﷻ من تحتها فسميت أم القرى» (مسند الإمام أحمد). وأخرج كل من الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه (أي: البيت الحرام) كان أوّل ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبده (بفتح الزاي) أي: كتلة من الزبد بيضاء، فدحيت الأرض من تحته.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله الشريف: «كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض» وهذا الحديث ذكره الهروي في غريب الحديث (3/362)، وذكره الزمخشري في الفائق في غريب الحديث (1/371)؛ وذلك لأنّ مدلوله العلمي سابق لزمانه بألف وأربعمائة سنة. والخشعة هي الأكمة المتواضعة، وعلى ذلك فإن أرض الكعبة المشرفة كانت هي أوّل جزء من اليابسة ظهر فوق سطح المحيط الذي غمر الأرض في مراحلها الأولى غمراً كاملاً. ويشير إلى ذلك توسط أرض الحرم المكي من اليابسة حيث تبعد عن أبعد أطراف القارات السبع بمسافة واحدة تقدر بستة عشر ألف كيلومتر من مكة إلى أبعد أطراف القارات السبع، بمعنى أننا إذا رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فإنها تحيط باليابسة إحاطة كاملة.

وفي شرح هذين الحديثين الشريفين ذكر كل من ابن عباس رضي الله عنهما وابن قتيبة رضي الله عنه أن مكة المكرمة سميت باسم «أم القرى» لأن الأرض دحيت من تحتها لكونها أقدم الأرض». و(الدحو) في اللغة هو المد والبسط والإلقاء، وهي كلمة جامعة في التعبير عن ثورة البركان الذي يوسع بامتداد طفوحه البركانية من مساحة مخروطة كلما تجدد نشاطه البركاني بإلقاء المزيد من تلك الطفوح عبر فوهته.

خصوصية تفرد خط طول مكة المكرمة بالاتجاه إلى الشمال الحقيقي:

في بحثه القيم المعنون «إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة» أضاف الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رحمته الله أن الأماكن التي تشترك مع مكة المكرمة في نفس خط الطول (39 817 شرقاً)، تقع جميعها في هذا الإسقاط على خط مستقيم، هو خط الشمال الجنوب الجغرافي المار بها. ومن معاني ذلك أن المدن التي تشترك مع مدينة مكة المكرمة في خط الطول يكون اتجاه القبلة فيها إلى الشمال أو إلى الجنوب الجغرافي تماماً، والمدن التي تتجه في الصلاة إلى الجنوب الجغرافي تبدأ من القطب الشمالي للأرض إلى خط عرض مكة المكرمة (437 و21 شمالاً)، وأمّا المدن التي تقع على خط طول مكة ممتدة من القطب الجنوبي إلى مكة المكرمة فإن اتجاه القبلة فيها يكون ناحية الشمال الجغرافي تماماً.

وكذلك الحال على خط الطول المقابل لخط طول مكة المكرمة - وهو خط الطول المرقم (140 183 غرباً) - فإن المدن الواقعة عليه تصح القبلة فيها نحو الشمال الجغرافي أو الجنوب الجغرافي تماماً حسب موقع خط عرض كل منها بالنسبة إلى خط عرض مكة المكرمة. فالمدن الواقعة إلى الجنوب من خط عرض مكة المكرمة (21 437 جنوباً) إلى القطب الجنوبي - تتجه في صلاتها إلى الشمال الجغرافي تماماً، والمدن الواقعة شمالاً من خط العرض ذلك إلى القطب الشمالي تتجه في صلاتها إلى الجنوب الجغرافي تماماً.

أمّا المدينة الواقعة على خط الطول المقابل لخط طول مكّة المكرّمة تماماً وعلى خطّ عرضها تماماً فإنّ الصلاة تجوز فيها نحو أي من الشمال أو الجنوب الجغرافيين تماماً، كما تجوز في كلّ الاتجاهات الأخرى شرقاً وغرباً، وذلك لوقوع تلك المدينة على امتداد قطر الكرة الأرضية المارّ بمكّة المكرّمة.

واتجاه خط طول مكة المكرمة إلى النجم القطبي أي: إلى الشمال الجغرافي (أو الحقيقي) يؤكد توسط مكة من اليابسة، ونمو اليابسة كلها من هذه البقعة المباركة، كما أشارت إلى هذه الحقيقة أحاديث رسول الله ﷺ. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإنه يجب اتخاذ خط طول مكة المكرمة خط طول الأساس (The Prime Meridian) بدلاً من خط طول جرينتش كما نادى بذلك الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين. فقد اختار هذا العالم الجليل ﷺ لخطّ طول مكّة المكرّمة كخط طول أساسي للكرة الأرضية، (The Makkah Meridian) ومن هنا كانت مطالبته بإعادة إسقاط خطوط طول الكرة الأرضية بدءاً منه - أي بالنسبة إلى مكّة المكرّمة - لتمائل خطوط الطول حول خطّ طول تلك المدينة المقدّسة تماثلاً مذهباً، بحيث أنّ خطوط الطول الواقعة إلى الشرق من خط طول مكّة المكرّمة تأخذ قيمها شرقاً، وما يقع إلى الغرب من خطّ طول مكّة المكرّمة تأخذ قيمها غرباً؛ وبذلك تنتظم أشكال خرائط الأرض. ويمكن المطالبة بذلك في أحد المؤتمرات الدولية للفيزياء الأرضية (The International Geophysical Conference).

ومن الثابت تاريخياً أنّ خطّ طول جرينتش (The Greenwich Meridian) قد فرضته بريطانيا بالقوة إبان هيمنتها على العالم في سنة 1884م. وكان ذلك أثناء مؤتمر عقد في واشنطن/كولومبيا لتحديد خطّ طول الأساس (The Prime Meridian). وكان اختيار خط طول جرينتش اختياراً سيئاً فرضته الهيمنة البريطانية الغاشمة في العقود المتأخّرة من القرن التاسع عشر الميلادي. وامتداد خط طول جرينتش في الناحية الأخرى من الأرض، والذي يعتبر «خط زمن الصفر»، بمعنى أن الذي يعبره بخطوة واحدة ينتقل من اليوم إلى الذي يليه. وهذا الخط يمرّ

بمساحات من اليابسة ولذلك عرجوه لتحاشي اليابسة ولتمريره في الماء. وعلى النقيض من ذلك فإن امتداد خط طول مكة المكرمة يقع في غالبية في الماء فلا يواجه مثل هذه المشكلة.

مكة المكرمة مركز الكون:

من تدبر آيات القرآن الكريم ومن مدارسة أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يتضح بجلاء توسط مكة المكرمة بين السموات السبع والأرضين السبع، وهي حقيقة قرآنية لا يمكن للعلم المكتسب أن يصل إليها. وذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يرى من فوق سطح الأرض إلا شريحة صغيرة من السماء الدنيا، ووسيلته في ذلك هي النجوم التي تزين تلك السماء الدنيا وحدها لقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

[الملك: 5].

ومن مبررات ذلك ما يلي:

1 - ورود ذكر الأرض في مقابل السماء في عشرات الآيات القرآنية على ضالة حجم الأرض إذا ما قورنت بالسماء، مما يشير إلى تمييز موقع الأرض بالنسبة إلى السماء.

2 - إشارة القرآن الكريم إلى البنية الفاصلة للسماء أو للسموات عن الأرض في عشرين آية قرآنية صريحة منها قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

وقوله - سبحانه -: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مریم: 65].

وهذه البنية لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت الأرض في المركز من السموات السبع،

وذلك نظراً لتناهي تلك السموات في اتساعها، وتناهي الأرض في ضآلتها النسبية.

3 - إشارة القرآن الكريم في سورة الرَّحْمَنِ إلى أقطار السموات والأرض وذلك بقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿يَمَعَشَرِ الْمَجِينَ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: 33].

وقطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفين من أطرافه مروراً بمركزه. وإذا انطبقت أقطار السموات - مع ضخامة أبعادها - على أقطار الأرض - مع ضآلتها النسبية - كانت أقطار السموات والأرض شيئاً واحداً، ومعنى ذلك أنه لا بدّ وأن تكون أرضنا في المركز من السموات السبع.

4 - حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه مجاهد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه بقوله: «إِنَّ الْحَرَمَ حَرَمٌ مِنْ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ»⁽¹⁾، ولفظة (مناء) معناها القصد في الاتجاه والاستقامة مع كلّ من السموات السبع والأرضين السبع - أي التواجد بينهما - وعلى استقامة مراكزها. وتأكّد ذلك بإثبات توسط الكعبة المشرفة للأرض الأولى (أي الغلاف الصخري للأرض)، وبوجود ستة نطق متطابقة مع هذا الغلاف الصخري في داخله.

5 - حديث رسول الله ﷺ المرروي عنه بقوله: «البيت المعمور منا مَكَّة»⁽²⁾ ووصف ذلك البيت المعمور في حديث آخر يروي عنه ﷺ بقوله: «هو بيت في السماء السابعة على حيال الكعبة تماماً حتى لو خرّ لخرّ فوقها»⁽³⁾.

من ذلك كلّهُ تتّضح ومضة الإعجاز القرآني في قول الحق - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: 92].

(1) نظم الدرر البقاعي (6/ 375).

(2) انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (4/ 804).

(3) البيهقي في شعب الإيمان (3831)، والهندي في كنز العمال (38083).

ومن هذه الآية الكريمة تتضح وسطية أم القرى ليااسة الأرض، ومن هنا يكون المنذرُونَ هم جميع أهل الأرض بلا استثناء. ويتضح وضع الكعبة المشرفة في وسط الأرض الأولى (الغلاف الصخري للأرض) ومن دونها ست أراضي، ويحيط بذلك كله سبع سموات، وفي السماء السابعة يقع البيت المعمور (كعبة الملائكة) ويقع فوق الكعبة المشرفة تماماً لحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «البيت المعمور بيت في السماء يقال له (الضراح) وهو على منا الكعبة»⁽¹⁾.

ولقوله ﷺ: «يا معشر أهل مكة إنكم بحذاء وسط السماء»⁽²⁾.

ومن هذا العرض يتضح وجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في خطاب ربنا - تبارك وتعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92].

[الأحزاب: 4].

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

(1) المصدر نفسه.

(2) أخرجه كل من الدليمي (8232)، والفاكهي في أخبار مكة.

91 - ﴿وَإِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

في التعليق على هذه الآية الكريمة أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «تشاورت قريش ليلة بمكة. فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبته بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات علي ﷺ على فراش رسول الله ﷺ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار. وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه؛ فلما رأوا علياً ردَّ الله - تعالى - عليهم مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري! فاقصصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط الأمر عليهم، حتى سعدوا في الجبل، فمروا بالغار، ورأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه... فمكث فيه ثلاث ليالٍ.

ويذكر الإمام البخاري أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن قومه سوف يخرجوه من مكة حين لقي «ورقة بن نوفل» في صبيحة تلقية الوحي لأول مرة؛ فقال له ورقة فيما قال: (يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِيَّ هَمْ؟» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا⁽¹⁾).

ولذلك فإن رسول الله ﷺ بعد أن خذله أهل الطائف، وبالغ كُفَّار ومشركو مكة في اضطهاده واضطهاد أصحابه، عاد إلى مكة في أمان أحد المشركين وبدأ يعرض نفسه على القبائل في مواسم التجارة والحجّ يشرح لهم دين الله (الإسلام)

(1) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، حديث رقم (3)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم

ويدعوهم إلى التوحيد الخالص لله، وإلى الالتزام بمكارم الأخلاق، ويطلب منهم الإيواء والنصرة حتى يبلغ الناس بهداية رب العالمين لهم قائلاً: «من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني، حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي». وحينما سئل ﷺ: إلام تدعوننا؟ قال: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»، ثم تلى على السائل قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَئِكَ كَانَ سَعْيَكُمْ سُدًّا وَقُلْ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ﴾ (1)

[الأنعام: 151].

ويقول «جابر بن عبد الله الأنصاري» عن ذلك ما نصّه: «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع الناس في منازلهم، بعكاظ ومجّنة، وفي المواسم بمنى، يقول: «من يؤويني؟ من ينصرتني، حتى أبلغ رسالة ربي، وله الجنة؟» والمقاومة ضده شديدة، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو مصر، - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. وكان ﷺ يمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فأويناه وصدّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام» (2).

وقد أثمرت الاتصالات الأولى بأهل «يثرب» في إسلام رجلين أوّل الأمر، وتلى ذلك إسلام ستة من الرجال من الخزرج، ثم كانت بيعة العقبة الأولى مع اثني عشر رجلاً (عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس). وبعث رسول الله ﷺ مع

(1) جامع الأحاديث للسيوطي (30/275).

(2) خلاصة سيرة سيد البشر للطبري (8/1).

المبايعين سفيره إلى أهل يثرب وهو «مصعب بن عمير» ﷺ الذي دعا أهل هذه المدينة إلى الإسلام، وكان يعلمهم الدين، ويقرئهم ما حفظ من كتاب الله، وكان يؤم مسلميهم في الصلاة. وكان من نبل خلق هذا الصحابي الجليل، وحسن إسلامه، أن تمكّن من نشر الإسلام بين أهل «يثرب» خاصّة بين زعماء قبائلها وكبار شخصياتها الذين أسلم بإسلامهم كثير من أهل هذه المدينة.

ثم كانت بيعة العقبة الثانية التي أسلم فيها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من أهل «يثرب». ويصف «جابر بن عبد الله الأنصاري» تلك البيعة بكلام طويل نختار منه قوله: (... فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطارد في جبال مكّة ويخاف، فرحل إليه ممّا سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله كلمة الحق، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني، إذا قدمت عليكم، ممّا تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة» قال جابر: فقمنا إليه فبايعناه⁽¹⁾.

وفي رواية «لكعب بن مالك الأنصاري» أنّ رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم»⁽²⁾، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وعندما علم كفّار ومشركو قريش بأخبار تلك البيعة ثارت نائرتهم على المسلمين في مكّة، وازداد إيذاؤهم لكل من آمن، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى «يثرب»، فأخذوا في ذلك حتى لم يبق في المدينة إلّا رسول الله ﷺ

(1) السيرة النبوية لابن كثير (2/195).

(2) سبل الهدى والرشاد، (3/204).

وأبو بكر وعلي ﷺ وقليل من المرضى، والضعفاء، أو الذين فتنتهم قريش بالاختطاف، أو بالسجن، أو بالتفريق بين المرء وزوجه وولده، أو بنهب الأموال والثروات.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر علياً بن أبي طالب أن يخلفه في فراشه تمويهاً للذين كانوا يحاصرون بيته من مشركي قريش، حتى يخرج سالماً من بينهم وحتى يؤدي علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

وعند خروجه من مكة، وقف رسول الله ﷺ بالحزورة في سوق مكة وقال: «اللَّهُ إِنَّكَ لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت»⁽¹⁾.

وعلى الرغم من أن سورة «الأنفال» مدنية، والآية رقم (30) منها نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة النبوية الشريفة بعامين، إلا أنها تذكر بما كان في مكة، من ظلم لرسول الله ﷺ، ولصحابته الكرام، من قبل كفار ومشركي قريش. كما تذكر بفضل الله - تعالى - الذي نصر المسلمين نصراً مؤزراً في معركة بدر الكبرى على هؤلاء الكفار والمشركين. والآية توحى بوجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله ﷻ وذلك بتسجيل ما أخبر به الوحي رسول الله ﷺ عن خطة زعماء الكفر من قريش أن يوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت، أو يقتلوه ويتخلصوا منه ومن دعوته، أو يخرجوه من مكة منفياً مطروداً. ثم استقر رأيهم بعد مداوات طويلة في دار الندوة أن يقتلوا رسول الله ﷺ، على أن يتولى إثم ذلك فتية أشداء يمثلون أغلب بطون مكة، حتى يتفرق دمه في القبائل. وظنوا أن ذلك ممّا يعجز بني هاشم عن قتالهم جميعاً، فيرضوا بالدية، وينتهي الصراع بين دعوة الحق التي يحملها رسول الله ﷺ، ودعاوى الباطل العديدة التي يتحمس لها مشركو قريش عن جهل فاضح.

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

هذا ما تمتته قريش، ولكن الله - تعالى - كان لهم بالمرصاد، فأخبر رسوله بمخططهم الشيطاني، وبموعد تنفيذه، وأمره بالهجرة إلى المدينة، فرتب رسول الله ﷺ أمر هجرته الشريفة مع أبي بكر، وكتب الله - تعالى - لهما النجاة من مخطط الكفار والمشركين.

وتبقى هذه الآية الكريمة شاهدة على هذه المعجزة الإنبائية من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ. وقد أكدتها روايات الثقة من أهل بيت النبوة، وروايات من عاش هذه المعجزة من الصحابة الكرام، وحتى روايات بعض زعماء الكفر الذين اعترفوا بمخططهم الشيطاني بعد نجاته رسول الله ﷺ وصحبه الكرام. وقد تطابقت هذه الروايات تماماً مع ما بينته هذه الآية القرآنية المجيدة التي يخبر فيها ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالمؤامرة التي كان مشركو قريش قد حاكوها ضده، قائلاً له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: 30].

وفي قوله - تعالى -: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليسجنوك، بمعنى ليجعلوك ثابتاً في مكان محدد كالسجن، وذلك إما بشدك بالوثاق، أو بإثخانك بالجراح حتى لا تستطيع حراكاً من محبسك. وفي قوله - تعالى -: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أن المشركين يدبرون لك التدبير السيئ، والله - تعالى - يرد مكرهم عنك، ويحبط كيدهم لك، ويدبر لك النجاة من شرهم، والخروج سالماً من بينهم. وتدبير الله أقوى من كل تدبير، وحفظه أعظم من كل حفظ، وقدرته على رد كيد الماكرين في نحورهم، وعلى حفظ نبيه الخاتم من شرورهم تفوق كل قدرة.

92 - ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
 سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
 ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُمْ فَتَارَهُ
 فَاسْتَعَاظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
 وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
 وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: 29].

هذه الآية القرآنية الكريمة تثبت النبوة والرسالة لخاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وذلك بشهادة رب العالمين الذي بعثه بالرسالة الخاتمة. كما تثبت التكريم الإلهي لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين - بوصفهم بأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾. وكان من بين الكفار آباء هؤلاء الصحابة الكرام، وإخوانهم، وذوو قرابتهم وأرحامهم، وأصدقاءهم، مما يؤكد على حقيقة أن الأخوة في الله - تعالى - تسبق أوامر الرحم والعرق والدم، (على حرمة تلك العلاقات، وصون الإسلام العظيم لها جميعاً).

والآية الكريمة التي نحن بصددتها تثبت كذلك الوجه الأول لرسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا والذي يتلخص في عبادة الله - تعالى - بما أمر، فوصف صحابة رسول الله ﷺ بهذا الوصف الكريم: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. وأثر السجود هنا يقصد به أثر العبادة على كل من يؤديها بإخلاص وتجرد لله - تعالى - من النور والوضاءة، والإشراق والصفاء، والشفافية والرضى الذي تضيفه العبادة الخالصة لله - تعالى - على ملامح وجه العبد المؤمن.

ثم تأتي لمحة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذه الآية القرآنية الكريمة بالتأكيد على وجود ذكر هذا الرسول الخاتم، ووصف المؤمنين الصادقين من صحابته الكرام في كل من التوراة والإنجيل. والتوراة سبق وأن أنزلت على عبد الله ونبيه «موسى بن عمران» ﷺ من قبل بعثة المصطفى ﷺ بأكثر من ألف وسبعمائة سنة. كذلك الإنجيل كان قد أنزل على عبد الله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم ﷺ من قبل بعثة الرسول الخاتم بأكثر من ستمائة سنة. وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّجٍ أَخْرَجَ سَطَطَهُمْ فَآزَرَهُمْ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِمْ...﴾ [الفتح: 29]. وهذا من أجمل صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

ففي السنة السادسة من الهجرة رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم: «أنه يدخل الكعبة المشرفة ومعه جمع من المسلمين محلقين رؤوسهم ومقصرين، لا يخافون...». ورؤيا الأنبياء حق. فخرج مع هلال شهر ذي القعدة من نفس السنة معتمراً، لا يريد قتالاً مع المشركين. وخرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، واستنفر من حوله من أهل البادية ليخرجوا معه حتى وصل إلى موقع يعرف باسم «ثنية المرار» بركت فيه ناقته، فقال الناس: خلأت الناقة (أي حرنت) فقال ﷺ: «ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خظة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها». وفي رواية للبخاري جاء قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خظة يعظمون فيها حرمان الله تعالى إلا أعطيتهم إياها»⁽¹⁾.

ثم واصل المصطفى ﷺ ومن معه المسير في طريقهم حتى وصلوا إلى الحديبية، ولكن قريشاً أبت السماح لهم بدخول مكة عليهم. فبعث إليهم رسول الله ﷺ «عثمان بن عفان» ﷺ برسالة منه أنه لا يريد قتالاً، ولكن يريد أداء العمرة، فاعتقلت قريش «عثمان بن عفان» بعد أن بلغ رسالة الرسول الكريم. وبعد

(1) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، حديث رقم (2731 - 2732)، وأبو داود في كتاب الجهاد، حديث رقم (2765).

ذلك قال له زعماء قريش: إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل، فردّ عليهم قائلاً: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. وشاع بين الصحابة أن عثمان بن عفان قد قتل، فقال المصطفى ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»⁽¹⁾. ثم دعا رسول الله الناس إلى البيعة على قتال مشركي قريش تحت الشجرة، فكانت البيعة التي عرفت باسم «بيعة الرضوان». ولكن جاء ما يؤكّد أن إشاعة مقتل عثمان بن عفان باطلة، واصطلح المسلمون والمشركون على وضع الحرب، واشترطوا شروطاً لذلك في وثيقة سُميت باسم «وثيقة صلح الحديبية»، تنازل فيها رسول الله ﷺ عن عدد من حقوقه حقناً لدماء الناس، ويقيناً من الله أنه ﷺ سوف يجعل من وراء هذا الصلح فتحاً قريباً. واشترط الصلح على أن من أراد الدخول في حلف رسول الله ﷺ فهو آمن، ومن أراد الدخول في حلف قريش فهو آمن، فدخلت قبيلة خزاعة في حلف المصطفى - عليه الصلاة والسلام -، ودخلت قبيلة بكر في حلف مشركي قريش.

فتح مكة:

احترم المسلمون نصوص «صلح الحديبية»، والتزموا بجميع بنوده، ولكن قريشاً نقضته بعد فترة من توقيعه. وتجسد نقضها للوثيقة في نصرتها قبيلة بكر الموالية لها على قبيلة خزاعة الموالية لرسول الله ﷺ. وقد دعا ذلك إلى اتّخاذ قراره التاريخي بفتح مكة المكرمة. تحرّك جيش المسلمين في حدود الثامن إلى العاشر من رمضان من السنة الثامنة للهجرة من المدينة المنورة قاصداً مكة المكرمة، وقد بلغ عدد جنوده عشرة آلاف مقاتل، وأمر رسول الله ﷺ جنده ألا يقاتلوا أو يسفكوا دمماً إلا إذا أكرهوا على ذلك إكراهاً، وذلك توقيراً لحرمة مكة المكرمة.

دخل الرسول الخاتم ﷺ مكة المكرمة، ومعه لواء أبيض، وعلى رأسه

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/315).

الشريف عمامة سوداء، وهو راكب على ناقته القصواء، يقرأ سورة الفتح، خافض الرأس تواضعاً لله - تعالى - وشكراً له - سبحانه - أن فتح الله عليه أم القرى، مهبط الوحي، وأرض البيت الحرام ليدخلها والمسلمون معه آمنين مطمئنين، لا يخافون. وعلى الفور قام المسلمون بتطهير البيت الحرام من الأصنام، وطافوا به، والرسول ﷺ يردد قوله الشريف: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وحزب الأحزاب وحده» ثم تلا الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

[الحجرات: 13].

سورة الفتح تستعرض صلح الحديبية إلى فتح مكة:

نزلت «سورة الفتح» في السنة السادسة من الهجرة، عقب «صلح الحديبية» مباشرة، ورسول الله ﷺ عائد من الحديبية إلى المدينة المنورة مع صحابته الكرام. لذلك تناولت هذه السورة الكريمة تفاصيل الصلح بكلّ ملبساته، ويروى عن رسول الله ﷺ قوله صبيحة نزول هذه السورة المباركة: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾⁽¹⁾.

وتبدأ «سورة الفتح» بتوجيه الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ مطمئنة نفسه الشريفة على صدق ما ألهمه ربّه - تبارك وتعالى - به من فتح، وعلى حتمية تحقق ذلك الفتح في أقرب وقت. وكان ذلك مغايراً لرأي جميع الحضور تقريباً لخطورة ما قدّموا من تنازلات لمشركي قريش، مع استفزازاتهم العديدة للمسلمين. ولكن اليقين الذي ملأ قلب المصطفى - عليه أفضل الصلوة وأزكى التسليم - بحتمية تحقق وعد ربّه جعله لا يستفز. فبقي ﷺ رابط الجأش متفائلاً رغم كل التجاوزات التي اقترفها مشركو قريش، وكل الاشتراطات التي اشترطوها انطلاقاً من استكبارهم

(1) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، حديث رقم (4833)، والترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم

في الأرض، وعقليتهم الجاهلية، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ في مطلع «سورة الفتح»:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح: 1 - 3].

ثم تستمر الآيات في تأكيد حقيقة أن الله - تعالى - هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم، وأنه ﷺ يبشّر المؤمنين بالمغفرة والثواب، وبالعون بجنود من عنده، وأنّ لله جنود السموات والأرض، (وما يعلم جنود ربك إلا هو)، وأنه - تعالى - هو العليم الحكيم، وأنه هو العزيز الحكيم.

وبعد ذلك تتحدّث الآيات في «سورة الفتح» عن جزاء كل من المؤمنين والمؤمنات، وعمّا أعدّ الله ﷻ من عذاب وعقاب لكل من المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر. وتؤكد الآيات في نفس السورة أن الله - تعالى - قد أنزل في قلوب عباده المؤمنين الطمأنينة إلى الحق ليزدادوا إيماناً، وأنّ جزاء ذلك جنّات النعيم، بعد التكفير عن سيئاتهم، بينما جزاء النفاق والشرك وسوء الظنّ بالله، هو صبّ غضبه ﷻ ولعناته عليهم، ثم عذاب جهنّم وساءت مصيراً.

ومرّة أخرى تعاود السورة الكريمة توجيه الخطاب إلى النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ وذلك بقول الحق - تبارك وتعالى - له:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح: 8].

أي شاهداً على أمته وعلى الخلائق أجمعين، ومبشّراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، والمشركين، والمنافقين، وتنقل الآيات في سورة الفتح الخطاب مباشرة إلى المؤمنين بقول الحق ﷻ:

﴿ اتُّمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُصِرُوا وَتَوَقَّروْهُ وَسَخِّجُوْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: 9].

ويرجع الخطاب بسرعة مرّة أخرى إلى رسول الله ﷺ ليشيد بيعة الرضوان، ويبيّر الموفين بها بعظيم الأجر من الله، ويحذّر من نقضها، لأنّ الآيات تعتبرها بيعة لله - تعالى - الذي يقول فيها - عزّ من قائل -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: 10].

وتنعي الآيات في سورة «الفتح» على المنافقين من الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ، واعتذروا بأعذار كاذبة، ظناً منهم بأنّه لن يكون من المنتصرين. وعلى الرّغم من ذلك فإنّ هؤلاء المنافقين يطلبون من رسول الله ﷺ الاستغفار لهم، ويرجون نصيباً من الغنائم التي حققها، والله خير بما يعملون، وقد أعدّ الله ﷻ نار جهنم لكلّ من الكافرين والمشركين والمنافقين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وفي ذلك يقول الحقّ - تبارك وتعالى -: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح: 14].

وتخاطب الآيات القرآنيّة الكريمة في سورة «الفتح» هؤلاء المخلفين بأنهم سيدعون إلى الجهاد في سبيل الله مرّة أخرى فإن تخلفوا فسوف يعذبهم الله عذاباً أليماً، وفي ذلك يقول الحقّ ﷻ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ آوِيٍّ شَدِيدِ النَّفْلِ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح: 16].

ثم تقرر الآيات أنّه لا حرج على المعذورين إذا تخلفوا عن الجهاد في سبيل الله من أمثال كلّ من الأعمى، والأعرج، والمريض فتقول:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: 17].

ثم أثنت الآيات على المؤمنين من أهل «بيعة الرضوان»، مؤكّدة أنّ الله - تعالى - قد رضي عنهم، وأنزل السكينة في قلوبهم، وتجلّى عليهم بالذود عن

حياضهم، وبثيبته إياهم، وببشرياته لهم بفتح قريب لمكة المكرمة، وبالفيء عليهم بمغانم كثيرة يأخذونها لأنه هو العزيز الحكيم. ومن هذه المغانم كفت أيدي الكافرين عنهم، وجعل ذلك آية لهم، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم والله ﷻ على كل شيء قدير.

وتؤكد الآيات أن الكافرين لو قاتلوا المؤمنين فلن يجدوا لهم ولياً ولا نصيراً. وهذه هي سنة من سنن الله - تعالى - التي أجراها على الأمم من قبل، وسنن الله ﷻ لا تبدل ولا تتغير أبداً إلا بإذنه. وقد تحققت بشائر الله للمؤمنين في سورة «الفتح» بدخولهم مكة المكرمة بعد ذلك بعامين دون قتال، وبسيادة الإسلام للجزيرة العربية كلها بعد ذلك، وهيمنة هذا الدين الخاتم على الدين كله بأمر الله وتدبيره، وكان في ذلك تكريم من الله - تعالى - لرسوله الخاتم ﷺ، وللذين أسلموا معه واتبعوه على صراط مستقيم، وهو - سبحانه - البصير بأعمال العباد، المطلع على قلوبهم، والعارف بنواياهم.

وفي نفس الوقت فإن نصر عباد الله المؤمنين كان انتقاماً من مشركي قريش الذين صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام قبل ذلك بعامين اثنين في يوم الحديبية، وفي ذلك ينطق التنزيل بقول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالنِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ لَأَسَفْنَا أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْكٰفِرِينَ لَكِنَّا جَعَلْنَا لَكَ الْفَتْحَ وَأَلَمْ نَجْعَلِ لَكَ الْفَتْحَ إِلَّا لِنُرِيكَ بِمَا تُرِيدُ وَنَكْفُرُ بِمَا تَكْفُرُ إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَسْجُودٍ﴾ [الفتح: 25 - 26].

والآيات تتحدث عن «حمية الجاهلية» التي دفعت كفار ومشركي قريش إلى منع رسول الله ﷺ ومن كان معه من المؤمنين من دخول مكة المكرمة لأداء العمرة. وقد غضب المؤمنون لذلك واثارت نائرتهم لولا أن الله - تعالى - قد أنزل سكينته على رسوله ﷺ وعلى الذين آمنوا معه، وألزمهم كلمة التقوى.

وقد صدق الله رؤيا رسوله ﷺ فقال - عزّ من قائل :-

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ
مُحَلِّفِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا
قَرِيبًا﴾ (٧٧)

[الفتح: 27].

وتختتم «سورة الفتح» بالتأكيد على نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ والتي أنكرها كثير من الكفار والمشركين والمنافقين عبر التاريخ. وسوف يظلل الضالون من البشر ينكرون هذه النبوة الخاتمة إلى يوم الدين، ولكن يؤكدنا الله - تعالى - بشهادة منه - وهو خير الشاهدين -، يقول فيها - وهو أحكم القائلين :-

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا﴾ (٧٨)

[الفتح: 28].

ويؤكد ربنا - تبارك وتعالى - شهادته الإلهية بأنه - سبحانه - سبق وأن أنزل صفة خاتم أنبيائه ورسوله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين -، وصفة الذين آمنوا معه فيما أنزل من كتب ومنها كل من «التوراة» و«الإنجيل» فقال - عزّ من قائل :-

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٩)

[الفتح: 29].

وقد أثبت كثير من المنصفين ممن درسوا الترجمات المتوافرة لما يقال له التوراة (أو الكتب الخمسة) والإنجيل (ومنها الآثار التي اكتشفت في مكتبة نجع حمادي) وجود تلك الإشارات إلى بعثة الرسول الخاتم وصحبه الكرام على الرغم من تعرّض تلك الكتب للكثير من التحريف بعد فقد أصولها القديمة.

من الإعجاز الإنبائي والعلمي في قوله - تعالى - :

﴿... وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْزَجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَتَازَرُهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ...﴾
[الفتح: 29].

هذا النص القرآني الكريم يشير إلى ما بقي من ذكريات من الإنجيل الذي أنزل على عبد الله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم ﷺ من صفات الرسول الخاتم ﷺ وصفات الذين آمنوا معه. ويأتي ذلك بتشبيه قلة عدد المسلمين في بدء الدعوة المحمدية المباركة، ثم إلى تزايد تلك الأعداد بالتدرج بإحدى طرق التكاثر في النبات وهو التكاثر بالأشطاء كما يتم في العديد من النباتات الاقتصادية مثل القمح، والشعير، والأرز، والذرة الرفيعة، وقصب السكر، وغيرها من نباتات العائلة النجيلية. والأشطاء هي براعم تنمو عند المنطقة الفاصلة بين الجذر والساق. وعملية تكاثر النبات بالأشطاء لم تعرف في مجال علم النبات إلا في القرن العشرين، والتشبيه بها في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة، على نبي أمي، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي أرض صحراوية قاحلة يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي والإنبائي في كتاب الله.

وتخرج (الأشطاء) متلاحقة، شطناً تلو الآخر، ومن هنا فإن التعبير في الآية الكريمة (رقم 29 من سورة الفتح) بالإفراد ﴿كَرْزَجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾ يعتبر وجهاً من أوجه الدقة العلمية الفائقة في كتاب الله. كذلك فإن وصف تتابع الأحداث في التكاثر بالأشطاء بحرف الفاء ﴿فَتَازَرُهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ يعتبر وجهاً آخر من أوجه الإعجاز الإنبائي والعلمي في كتاب الله وذلك لتسارع وقوع الأحداث في عملية النمو بالأشطاء، وحرف الفاء يدل على الترتيب مع التعقيب.

وتتكاثر الأشطاء فإن الساق الأصلي للنبات يحاط بعدد من السيقان الثانوية (الأشطاء) التي تنمو حوله. ويكون ذلك حزمة من الأعواد القائمة التي تزيد من سمك النبتة الأصلية، وتؤدي إلى تغلظ قطرها، وإلى تمكينها من البقاء منتصبه فوق

مجموعها الجذري (خاصة إذا هبت عليها الريح). كذلك تقوم الأشطاء بإبعاد الأعشاب الضارة عن الساق الأصلية، وتضاعف من غلتها، وتحول دون سباتها في أثناء تكون السنابل.

والآية الكريمة جاءت في تشبيه قوة الترابط بين رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، والتي تجسدت في قدر من الحب، والاحترام، والإعجاب، والتقدير، والرغبة في التلقي لم يسبق له مثل في علاقات الناس بإمامهم أو قائدهم. وتشبيه ذلك بعلاقة أشطاء النبات بالنبتة الأساسية هو تشبيه فائق الدقة العلمية، والبيانية، والمعنوية، وذلك لأن الأشطاء حول الأصل يشد بعضها بعضاً، ويدعم بعضها بعضاً، في حماية النبتة الأصلية. وتتلقى الأشطاء الغذاء من هذا الأصل الواحد، كما كان صحابة رسول الله ﷺ يتلقون الدين الحق عنه. وتتضح روعة التشبيه ودقته باختيار الأشطاء دون الفسائل أو الفروع، لاختلاف علاقة كل منها بالأصل الذي انبثقت عنه. والتشبيه يصور رسول الله ﷺ قائماً وحده بالدعوة إلى دين الله، ثم يبدأ المؤمنون برسالته في الالتفاف حوله، والتلقي عنه، والارتواء من أنوار الوحي الذي أفاء الله - تعالى - بها عليه.

وعلى الرغم من التحريف الشديد الذي تعرضت له تراجم الإنجيل العديدة الموجودة بأيدي نصارى اليوم فإنها لا تزال تحمل أمثالاً مشابهة لهذا المثل القرآني. ففي ما يعرف باسم «إنجيل لوقا» تسمى الرسالة الخاتمة باسم «ملكوت الله» حيث يقول هذا الإنجيل: «وقال الرب: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ إنه يشبه بذرة خردل أخذها إنسان وألقاها في بستانه، فنبتت وصارت شجرة عظيمة، وأوت طيور السماء في أغصانها» (لوقا: 13/18، 19).

وبعد اكتشاف «مخطوطات نجع حمادي» (في سنة 1945م)، وجد من بينها ما يعرف باسم «إنجيل توماس» الذي يحوي تشبيهاً تقول ترجمته: «لا تسمحوا لمملكة السماء بالذبول؛ لأنها مثل فسيلة النخل التي سقطت ثمارها على الأرض من حولها، فأنبتت وأخرجت أوراقاً، وبعد إنباتها تسببت في

جفاف الأصل الذي جاءت منه، وعلى ذلك فإنها مع الثمار التي نمت من هذا الجذر الواحد...».

وهذا الكلام المليء بالأخطاء العلمية مترجم عن النص الإنجليزي المنقول عن نص يوناني قديم كتبت به «مخطوطات نجع حمادي»، وهذا النص الإنجليزي يقول:

«Do not allow the kingdom of Heaven to wither, for it is like a palm shoot whose fruit has dropped down around it. They (i.e. the fallen fruits) put forth leaves, and after they had sprouted, they caused their womb to dry up. So it is also with the fruit which had grown from this single root...» [J.M. Robinson (1988): «The Naga Hammadi Library»; E.J. Brill, Leiden, 1988].

والفرق بين التشبيه القرآني وهذا التشبيه الموضوع هو الفرق بين كلام الله وكلام البشر، خاصة إذا علمنا أن الأشطاء تختلف اختلافاً كلياً عن الفسائل، وعن الأفرع، وعن غير ذلك من الخلفات النباتية الأخرى. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الأشطاء لا تنفصل طيلة حياتها عن نباتها الأصلي، بينما تنفصل الفسائل وغيرها من أنواع الخلفات النباتية عن أصولها، (كما يحدث في حالة نخيل البلح).

واختيار القرآن الكريم للفظه (الشطاً) معجزة علمية رائعة الدقة، وتأكيد على أن هذا هو وصف الرسول الخاتم في إنجيل عيسى هو معجزة إنبائية تشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهدته الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام الله، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه عن ربه بالنبوة والرسالة.

93 - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 157].

هذه الآية القرآنية الكريمة تؤكد أن عدداً من اليهود والنصارى قد أسلم في زمن رسول الله ﷺ، وأتبع الهدى المحمدي الشريف وذلك من أمثال كل من «عداس» مولى ابني ربيعة، و«سلمان الفارسي»، و«ثعلبة بن سعيد» وأخيه «أسد»، و«أسد بن عبيد الله»، و«عبد الله بن سلام» ﷺ وقد تحقق ذلك لأن الله - تعالى - سبق وأن بشر ببعثة هذا الرسول الخاتم، وذكره باسمه وصفته في كل من التوراة والإنجيل. كما بشر ربنا - تبارك وتعالى - في هذين الوحيين السابقين بأن هذا الرسول الخاتم سوف يأمر من يتبعونه بكل خير: من سلامة العقيدة، وصحة العبادة، ومكارم الأخلاق، والنبيل في المعاملات، وسوف ينهاهم عن كل ما هو نقيض ذلك. كما أن هذا الرسول الخاتم سوف يحلّ لهم كل ما تستطيه الفطرة الصحيحة، ويحرم عليهم كل ما يستخبثه الذوق السليم، وسوف يخفف عنهم ما كانوا قد كلفوا به من التكاليف الشاقة بسبب ظلمهم وكثرة خطاياهم ومعاصيهم. فالذين آمنوا منهم بهذا الرسول الخاتم ﷺ ووقروا شخصه الكريم، ونصروا دعوته، واتبعوا الدين الذي بعث به، فإن أولئك هم الفائزون في الدنيا والنَّاجون في الآخرة. فعن عطاء بن يسار أنه قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: «أجل! بالله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً

للأميين، لا! أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً».

وعلى الرّغم من حرص المتأخرين من غلاة اليهود والنصارى على حذف كلّ نبوءة عندهم بمقدم الرسول الخاتم ﷺ، وعلى إلغاء كلّ إشارة إليه في كتبهم إلا أنّ بقاء العديد من الإشارات التي عمّيت عليهم إلى يومنا هذا والتي ستبقى إن شاء الله - تعالى - إلى قيام الساعة تمثل تحقيقاً للنصّ القرآني الكريم الذي نتعامل معه في الآية رقم (157) من سورة «الأعراف». وعلى ذلك فإنّ هذا النصّ يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله، كما يتّضح من البيان التالي:

من النبوءات ببعثة الرسول الخاتم ﷺ في كلّ من العهدين القديم والجديد:

أولاً: في العهد القديم:

1 - في سفر «التكوين» (الإصحاح 10/49) جاء ما ترجمته:

«لا يزول صولجان من يهوذا أو مشترع من قدميه حتى يأتي (شيلوه)، وله يكون خضوع الشعوب». وفي ترجمة أخرى للنصّ ذاته جاء ما يلي: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجليه حتى يأتي (شيلوه)، وله يكون خضوع الشعوب».

وفي تفسير هذا النصّ ذكر القسّ المهتدي عبد الأحد داود رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه المعنون: (محمّد في الكتاب المقدّس) تحت عنوان: «محمّد هو الشيلوه» بأنّ هذه النبوءة تشير بوضوح إلى النّبي المنتظر لأنّ [شيلوه = Shiloh] في اللّغة العبريّة تعني صاحب الصولجان والملك؛ ومن معانيها الهادئ المسالم، الأمين، الوديع. والصيغة الأرامية (السريانيّة) للكلمة هي [شيليا = Shilya] بمعنى الأمين، والرّسول الخاتم ﷺ

عرف من قبل بعثته الشريفة بلقب (الصادق الأمين)، كما سبق وأن أشرنا .

2 - في سفر «التثنية»:

جاء على لسان عبد الله ونبىه موسى ﷺ مخاطباً قومه [«تثنية» (18/15 - 20)] ما ترجمته: «يقيم لك الرب إلهك: نبياً من وسطك، من إخوتك، مثلي، له تسمعون، حسب كل ما اطلعت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لثلاث أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه، وأمّا النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي».

والنبي الذي أقامه الله - تعالى - لهداية الناس من وسط إخوة اليهود (وهم العرب)، وهو يشبه موسى - على نبينا وعليه من الله السلام - هو سيدنا محمد ﷺ.

كذلك جاء في مطلع الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر «تثنية» (تث: 33/1) ما ترجمته: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى - رجل الله - بني إسرائيل قبل موته فقال: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم».

وجبال (فاران) أو (باران) كما جاء في سفر «التكوين» (تك 12/21) هي البرية التي هاجر إليها إسماعيل ﷺ وأمه هاجر ﷺ. وجاء في أغلب شروح العهد القديم أن الاسم (فاران) أو (باران) هو تعبير عن جبال مكة المكرمة. وتلألأ الله - تعالى - من جبال فاران هو إشارة إلى بدء تنزل هذا الوحي الخاتم في غار حراء فوق جبال مكة المكرمة. ومجيء الله تعالى من ربوات القدس وعن

يمينه نار شريعة لهم - هو إنباء عن رحلة (الإسراء والمعراج) التي أكرم الله تعالى - بها خاتم أنبيائه ورسله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - كما استنتجه القس المهدي عبد الأحمد داود رَحِمَهُ اللهُ.

3 - في سفر أشعيا:

جاء في سفر «أشعيا» (أش 4/11) وصف للرسول الخاتم بأته: «إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، (أي بلسانه) ويميت المنافق بنفخة شفثيه، لأنه سيرتدي البر، ويتمنطق بالأمانة». وهذه كلها من صفات سيدنا محمد ﷺ الذي وصفه قومه بوصف «الصادق الأمين» من قبل بعثته الشريفة.

وجاء في سفر «أشعيا» كذلك (أش 13/21 - 17) نبوءة بهجرة المصطفى ﷺ وجاء ذلك بما ترجمته: «وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر من بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين. هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وأوفوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدود، ومن أمام شدة الحرب، فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد (قيدار)، وبقية عدد من أبطال (بني قيدار) تقل لأن الرب قد تكلم».

والتبّي الوحيد الذي هاجر من جبال مكة إلى قرب «تيماء» هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، و(قيدار) و(بنو قيدار) هم قريش».

4 - في «سفر حبقوق» (حبق 3/3) جاء ما ترجمته:

«الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران (سلاه = صلاة) جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسييحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع وهناك استتارت قدرته». وإذا كان جبل فاران هو جبل مكة المكرمة، فمن من أنبياء الله غير سيدنا محمد ﷺ هاجر من مكة إلى قرب تيماء (وهي في شمال المدينة المنورة).

5 - وفي «المزامير» المنسوبة إلى داود ﷺ:

جاء في المزمور الرابع والثمانين (1 - 6) ما ترجمته: «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود، نشاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب، قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي، العصفور أيضاً وجد بيتاً، والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع فراخها، مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي، طوبى للساكين في بيتك أبداً يسبحونك، (سلاه = صلاة)».

«طوبى لأناس عزّهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء (وادي بكة) يصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركات يغطون مور».

وفي الترجمة الإنجليزية لما يعرف باسم سلسلة ثومبسن للإنجيل المرجعي: (The Thempson Chain Reference Bible)، والمطبوع في كل من ولايتي إنديانا وميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1983م جاء النص المشار إليه آنفاً على النحو التالي:

(How lovely is your dwelling place, O Lord Almighty, My soul yearns, Even faints for the courts of the Lord.. O Lord Almighty, my' king and my God, Blessed are those who dwell in your house they are ever praising you. Selah (? = Salah). Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on **Pilgrimage, as they pass through the Valley of Baca, they make it a place of spring, the autumn rains also cover it with pools of blessing**).

كذلك جاء النص التالي للمزمور رقم (1 / 84 - 6) في الترجمة الإنجليزية لما يعرف باسم:

«New International Version».

والمنشور في السنوات 1973م، 1979م، 1984م، 1985م بواسطة:

(International Bible Society)

(First published in Great Britain, 1979); Fifth impression, August, 1985:

How lovely is your dwelling-place,

O Lord Almighty

My soul yearns, even Faints, for the courts of the Lord;

My heart and my flesh cry out for the living God.

Even the sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young a place near your altar.

O Lord Almighty, my king and my God.

Blessed are those who dwell in your house; they are ever praising you.

(Selah) Blessed are those whose strength is in you, **who have set their hearts on pilgrimage.**

As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs; the Autumn rains also cover it with pools».

والفرق بين الترجمتين العربيّة والإنجليزيّة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، ودليل على التحريف المتعمّد الذي لا يخفى على عاقل.

ثانياً: في العهد الجديد:

1 - في إنجيل يوحنا:

(يو: 27/6) جاءت إشارة إلى أنّ نبيّ آخر الزمان يحمل خاتم النبوة بين كتفيه، وذلك فيما ترجمته: «لا تسعوا وراء الطعام الفاني بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية، والذي يعطيكم إياه ابن الإنسان لأنّ هذا قد وضع الله ختمه عليه». ومن الثابت تاريخياً أنّ رسول الله ﷺ كان يحمل خاتم النبوة بين كتفيه.

2 - في إنجيل يوحنا (يو 12/16 - 14) جاء ما ترجمته:

«إنّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لم يتكلّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمر آتية، ذاك يمجدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويخبركم». وهذا الوصف شديد الانطباق على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي بشر بمقدمه عيسى ابن مريم، لأنّ رسول الله ﷺ يصفه القرآن الكريم بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ﴾ [4]

[النجم: 3، 4].

وكأنّ النصّين السابقين من إنجيل يوحنا (يو 27/6)، (يو 12/16 - 14)

ترجمة لمدلول هاتين الآيتين القرآنيتين الكريمتين (النجم: 3، 4) ولآية أخرى كريمة يقول فيها ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾

[الصف: 6].

3 - في سفر رؤيا (رؤ 11/19) جاء ما ترجمته:

«ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمى راكبه باسم (الصادق الأمين) الذي يقضي ويحارب بالعدل...».

ووصف (الصادق الأمين) ينطبق على سيدنا محمد ﷺ لأن أهل مكة المكرمة كانوا قد أطلقوا عليه هذا الوصف بالضبط من قبل بعثته الشريفة بوقت طويل.

وبقاء هذه الإشارات في كتب كل من «العهدين القديم والجديد»، (على الرغم مما تعرّضت له هذه الكتب من ضياع لأصولها السماوية والاستمرار في تحريف المنقول شفاهاة عنها لقرون عديدة) تؤكد صدق هذا القرآن الكريم، وصدق نبوة الرسول الخاتم الذي تلقاه، وتجعل من الآية الكريمة رقم (157) من سورة «الأعراف» وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

نصوص من العهدين القديم والجديد

¹⁰The scepter will not depart from Judah, nor the ruler's staff from between his feet, until he comes to whom it belongs and the obedience of the nations is his.

كنبوة. فمن يجزؤ على إشارته؟ لا يزول ضولجان الملك من يهوذا ولا مشرع من ظله حتى يأتي شيلوه (وتغناه: من له الأمر) فطليعه الشعوب.

سفر التكوين (10/49)

A Prophet Like Moses

¹⁵The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. ¹⁶For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."

¹⁷The LORD said to me: "What they say is good. ¹⁸I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him. ¹⁹If anyone does not listen to my words that the prophet speaks in my name, I myself will call him to account. ²⁰But a prophet who presumes to speak in my name anything I have not commanded him to say, or a prophet who speaks in the name of other gods, must be put to death."

الوحيد يثني بعد موسى
¹⁵ستقوم الرب فيكم نبيا مثلي من بني إسرائيل. لئلا تشتمون.
¹⁶لقد استجاب الرب لطلبكم ما طلبتم له في حوريب في يوم الاجتماع عندنا قلتم. لا نسمع نسمع صوت الرب إلهنا. ولا نرى النار العظيمة انبعاثا لنا. فقال لي الرب. لقد اذعنتموا في ما تكلمتموا. ¹⁷لهذا اقيم لهم نبيا من بين اخوتهم مثلكم. واضع كلامي في فمه. ففخاطبتهم بكلمة ما امرت به. ¹⁸فيكون ان كل من تكلم بكلامي الذي اوتيت بكلمته به باسمي. فانا اخيبه. ¹⁹وانما النبي الذي يتخبر فليطو بلساني بما لم امر ان تكلم به. او يفتن باسم الهة اخرى. فلهذا كلما تشتم.

سفر التثنية (20 - 15 / 18)

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. ²He said: "The LORD came from Sinai

موسى يبارك أسباط إسرائيل
 وهذه هي البركة التي نطق بها موسى. ورجل الله. نبي إسرائيل قبل موته. فقال. اقبل الرب

سفر التثنية (1 / 33)

with his ears; but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. ³Righteousness will be his belt and

عنه. ولا يتكلم بشفقة ما تشمخ الفناء. إنما يحيى بهنوا للساكنين. ويتكلم بالإنصاف لبائسي الأرض. وتغالب الأرض فضيب فمه. وتحيي المقاتل بتخذه شفقه. لأنه سيرقي إلى ويمنطق بالأمينة.

سفر إشعياء (4 / 11)

back yet again."

¹³An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, ¹⁴bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. ¹⁵They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. ¹⁶This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. ¹⁷The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية، سحبيين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين. ¹⁴فاحملوا ما أهل تيماء الماء ليطشاهن. واستقبلوا الهاربين بالخبز. ¹⁵لأنهم قد فرّوا من كسب المشلول. والقوس الممتددة. ومن وطيس المفركة. ¹⁶إله هذا ما قاله لي الرب. في غضون سنة تجارة سنة الأجر تبقى كل تجارة قيدار. ¹⁷وتكون بقية الرماة. الأبطال من أبناء قيدار. قلته. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

سفر إشعياء (17 - 13 / 21)

³God came from Teman, the Holy One from Mount Paran. His glory covered the heavens and his praise filled the earth. ⁴His splendor was like

لقد اقبل الله من آدم، وجاء القدوس من جبل فاران. عظم جلالة الشماوات وانتعاش الأرض من شهبه. ⁴إن مجده

سفر حبقوق (3 / 3)

A Prophet Like Moses

¹⁵The LORD your God will raise up for you a prophet like me from among your own brothers. You must listen to him. ¹⁶For this is what you asked of the LORD your God at Horeb on the day of the assembly when you said, "Let us not hear the voice of the LORD our God nor see this great fire anymore, or we will die."
¹⁷The LORD said to me: "What they say is good. ¹⁸I will raise up for them a prophet like you from among their brothers; I will put my words in his mouth, and he will tell them everything I command him.

الوعد تبني بعد موسى
¹⁵تقيم الرب ليكم نبيا يطبي من بني اسرائيل، له نستمعون.
¹⁶لقد استعجبت الرب واهلكم ما طلبتم منه في حوريب في
نوم الاجتماع حينئذ قلتم، لا نسمع نسمع صوت الرب
فيها، ولا نرى اثار العظيمة الهما ابلا نموت ¹⁷قلنا لرب
الرب، لقد احسنا في ما تكلموا. ¹⁸لهذا اقيم لهم نبيا
من بني بلوتيم مثلك، واتح كلامي في فيه، فتكلمهم
بكل ما امرت به.

سفر التثنية (15 / 18 - 20)

Moses Blesses the Tribes

33 This is the blessing that Moses the man of God pronounced on the Israelites before his death. ²He said: "The LORD came from Sinai

موسى يبارك اسباط اسرائيل
وتغلب من البركة التي نزلت بنا موسى، وجعل
الله، تبني اسرائيل قتل مؤبدا. اقلنا، القتل الرب
٣٣

سفر التثنية (1 / 33)

with his ears; ⁴but with righteousness he will judge the needy, with justice he will give decisions for the poor of the earth. He will strike the earth with the rod of his mouth; with the breath of his lips he will slay the wicked. ⁵Righteousness will be his belt and

عنه، ولا يتكلم بمغضى ما نسمع اذناه، ائسا يتعجب بعذر
للمحتاجين. ويتكلم بالانصاف لبني الارض، وتغيب الارض
بفضيب فيه. وتجت اثمنا في بقعة شفيعه، لانه سيتعدي
الرب ونحن ننتظن بالانصاف.

سفر اشعيا (4 / 11)

¹³An oracle concerning Arabia: You caravans of Dedanites, who camp in the thickets of Arabia, ¹⁴bring water for the thirsty; you who live in Tema, bring food for the fugitives. ¹⁵They flee from the sword, from the drawn sword, from the bent bow and from the heat of battle. ¹⁶This is what the Lord says to me: "Within one year, as a servant bound by contract would count it, all the pomp of Kedar will come to an end. ¹⁷The survivors of the bowmen, the warriors of Kedar, will be few." The LORD, the God of Israel, has spoken.

تنبوءة بشان بني الجزيرة العربية، شعبين في صحاري بلاد
العرب تا قوايل كنعانيين، ¹⁴فاحملوا تا اهل تناء الماء
للمغضبان، واشربوا الهاربين بالخبز. ¹⁵لانهم قد فروا من
كسيف المشلول، والفرس المتوتر، ومن ولبس المتفرق.
¹⁶الاهة عدا ما قلنا لرب، في غضون سنة تزلزل بسنة
الاجير بقى كل مجد يمدو، ¹⁷وتكون بقية كرمها، الابلان من
تناء يمدو، بله. لان الرب انه اسرائيل قد تكلم.

سفر اشعيا (17 / 13 - 21)

³God came from Teman, the Holy One from Mount Paran. His glory covered the heavens and his praise filled the earth. ⁴His splendor was like

قد اقل الله من ادم، وجه القدس من جبل فلان، غمر
جلاله السموات واشتألت الارض من نسجه. ⁴ان تناء

سفر حبقوق (3 / 3)

ثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن الكريم
لبعض المعارك بين كل من الفرس والروم

94 - ﴿الَّذِينَ غَلَبَتْ الرُّومُ﴾ ٢ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ﴾ ٣ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1 - 4].

هذه الآيات الأربع التي استهلّت بها سورة «الروم» تمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي والعلمي في كتاب الله. فقد أخبرت عن أمر من أمور الغيب قبل وقوعه بتسع سنوات. ثم تحقق هذا الأمر بالفعل كما ذكرت الآيات الكريمة. كذلك فإن وصفت أرض المعركة التي انهزم فيها الروم أمام الفرس بوصف (أدنى الأرض). يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي لأن كلمة (أدنى) من المشترك اللفظي المستمد من (الدنو) بمعنى القرب، أو من (الدناءة) بمعنى الخسة، والانحطاط، والانخفاض، والتسفل والقلّة، وقد ثبت أنّ المعركة وقعت في أغوار الأردن (212 - 418 متراً تحت مستوى سطح البحر). ومنطقة الأغوار هذه تمثل أخفض منطقة على اليابسة مطلقاً، حيث يقع منسوب سطح الأرض في وادي عربة عند (355 - 400م) تحت مستوى سطح البحر، ويقع منسوب سطح الماء في البحر الميت عند 402م تحت مستوى سطح البحر، وتقع أخفض نقاط قاع البحر الميت على عمق حوالي (818) متراً تحت مستوى سطح البحر، ولا يداني هذا الانخفاض عن مستوى سطح البحر أية بقعة أخرى على اليابسة. هذا مع العلم بأن أغوار المحيطات تتعدى 11كم في العمق كما هو الحال في «غور ماريانا» القريب من جزر الفلبين. وهذه الحقيقة لم يتم إدراكها إلا في القرن العشرين، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إليها يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله.

كذلك فإن في الإخبار بعودة انتصار الروم على الفرس يعتبر وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي في هذا الكتاب العزيز، والواقعة بجملتها تقع في نطاق الإعجاز التاريخي.

أدنى الأرض في اللغة العربية:

يقال في اللغة: (دنا) (يدنو) (دنوا) بمعنى قرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان، والزمان، والمنزلة، كما يتعدى فيقال: (أدنى) (يدني) (إدناء)، ويقال: (دانيت) أو (أدنت) بين الأمرين أي قاربت بينهما، حتى صارت بينهما (دناءة) أي: قرب أو قرابة.. و(الدني) القريب، و(الدنيء) بمعنى الدون، الخسيس، وقد (دنا - يدناً)، وفيهما (دناءة)، ويقال: (دنؤ) بمعنى انحط، و(الدنيئة) هي النقيصة. ومن استعمالات القرآن الكريم لهذه اللفظة نورد ما يلي:

1 - ﴿وَمِنَ اللَّحْلِ مَن طَلَعَهَا قَتَوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: 99].

2 - ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 8 - 9].

وفي الحديث الشريف: «إذا أكلتم فادنوا أي كلوا ممّا يليكم». ويعبر بـ(الأدنى) تارة عن الأقرب في مقابلة مع (الأقصى) أي الأبعد، وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: 42].

وتارة ثانية يعبر بـ(الأدنى) عن (الأخفض) أو (الأحقر) فيقابل بالأعلى أو (الأعز) وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿يُدْرِيكَ عَلَيْهِنَّ مَن جَلَّيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾ [الأحزاب: 59].

(ويدنين) هنا بمعنى (يسدلن) و(الإدناء) هو (التقريب).

وتارة ثالثة تأتي بمعنى (الأقل) في مقابل (الأكثر)، وذلك من مثل قوله - تعالى -: ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ﴾ [المجادلة: 7].

وتارة رابعة يعبر بها عن (الأرذل) فيقابل (بالذي هو خير)، وذلك من مثل

قوله - تعالى - : ﴿ اَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ اَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: 61].

وتارة خامسة يعبر بها عن (الدنيا) في مقابلة الآخرة، وذلك من مثل قوله - تعالى - : ﴿ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: 152].

وسميت (الدنيا) بهذا الاسم لدنوها، والجمع (الدنا)، وأصله الدنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين، والنسبة إليها (دنياي)، وقيل (دنيوي) ودني، ويقال: (تدني) فلان أي (دنا) قليلاً قليلاً، و(تدني) المستوى بمعنى (هبط)، و(تدانوا) أي (دنا) بعضهم من بعض.

وفي التعليق على هذه الآيات الأربع: ذكر ابن كثير رحمته الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم كانوا من أهل الكتاب. ذكر ذلك عند أبي بكر رضي الله عنه، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فذكره أبو بكر للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أَلَا جَعَلْتَهَا إِلَىٰ دُونَ الْعَشْرِ؟»، ثم ظهرت الروم بعد ذلك، قال فذلك قوله تعالى: ﴿ اَلَمْ يَكُن لَّهُمْ اَلْآيَاتُ اَلْبُرُوجُ ﴾ [الروم: 1 - 3].

وأضاف ابن كثير عدة روايات أخرى للحديث عن كل من مسروق، وابن مسعود، وعكرمة - رضي الله عنهم أجمعين - في المعنى نفسه، وزاد قوله: وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم بنو الأصفر، وكانوا على دين اليونان؛ واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح صلى الله عليه وسلم بنحو من ثلاثمائة سنة. وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له (قيصر)؛ فكان أول من دخل في دين النصارى من الروم (قسطنطين)؛ وأمه مريم الهيلانية من أرض حران، وكانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها، واستمروا على

النصرانية. وكانوا كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم (هرقل)، فناوأه كسرى ملك الفرس، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوساً يعبدون النار. فتقدم عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال: بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره، وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه. ولم يقدر كسرى على فتح البلدة، ولا أمكنه ذلك لحصانتها، لأن نصفها من ناحية البر، ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيم الميرة والمدد من هناك. ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع، فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع.

وذكر صاحباً تفسير الجلالين - يرحمهما الله - كلاماً موجزاً في المعنى نفسه، وأضافاً تعليقاً على التعبير القرآني (في أدنى الأرض) أن المقصود به: [أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو (هم) الفرس].

وجاء في «الظلال» - رحم الله كاتبها رحمة واسعة - ما نصّه: «ثم جاءت النبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين، وأضاف رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مؤكداً أن هذا الحادث قد وردت فيه روايات كثيرة، تتفق كلها في المعنى والدلالة، وتختلف في الألفاظ وطرائق التعبير».

واستنتج كاتب «الظلال» رحم الله من هذه الآيات القرآنية الكريمة عدداً من الإيحاءات التي منها: الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان. الثقة المطلقة في وعد الله، كما تبدو في قول أبي بكر رضي الله عنه في غير تلعثم ولا تردد، والمشركون يعجبون من قول صاحبه، فما يزيد على أن يقول: صدق. ويراهنونه فيراهن وهو واثق. ثم يتحقق وعد الله، في الأجل الذي حدده (في بضع سنين). «المسارعة برد الأمر كله لله»، في هذا الحادث وفي سواه، وتقرير هذه الحقيقة الكلية، لتكون ميزان الموقف. وميزان كل موقف، فالنصر والهزيمة، وظهور الدول واندحارها، وقوتها وضعفها شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال مردّه كله إلى الله.

وجاء في «صفوة البيان لمعاني القرآن» ما نصّه: احتربت الفرس والروم «فيما بين أذرعات وبصرى» من أرض الروم يومئذ، وهما أقرب أراضيها بالنسبة إلى مكة، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بست. فظهر الفرس على الروم، فلمّا بلغ الخبر مكة شقّ على المؤمنين، لأنّ الفرس مجوس لا يدينون بكتاب، والروم أهل كتاب؛ وفرح المشركون وقالوا: أتمم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم، فنزلت الآية وفيها: أنّ الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين. والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع، و(غلبهم) يعني: كونهم مغلوبين.

وجاء في «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» ما نصّه: غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيغلبون الفرس، قبل أن تمضي تسع سنوات.. وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب.. وقد حقّق الله وعده فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سمّاه، فكان ذلك آية بيّنة على صدق محمّد ﷺ في دعواه وصحة ما جاء به.

وجاء في الهامش التعليق التالي: في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين: كان أولهما قد وقع بالفعل، وأمّا الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو إخبار عن الغيب، (وحدّد لوقوعه بضع سنين، أي: فيما بين الثلاث والتسع).

وتفصيل الحدث الأوّل أنّ الفرس والبيزنطيين كانوا قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام (خسرو أبرويز) أو (خسرو الثاني) عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى. و(هيراكليوس) الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل. ففي عام 614م استولى الفرس على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية، ثم على دمشق، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكّان وأخذوا يذبحونهم.

وتفصيل الحدث الثاني أنّ هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر، ولهذا أخذ يعدّ نفسه لمعركة تمحو عار الهزيمة، حتى إذا

كان عام 622 الميلادي (أي العام الهجري الأوّل) أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم، وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم على الفرس، فتحققت بشرى القرآن الكريم.

وثمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة 17 رمضان من العام الهجري الثاني (أي سنة 624م).

وجاء في «صفوة التفاسير» ما نصّه: ﴿عَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٧﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي هزم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ أي وهم من بعد انهزامهم وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس، وينتصرون عليهم ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ أي في فترة لا تتجاوز بضعة أعوام؛ والبضع ما بين الثلاث والتسع.

وعلق صاحب صفوة التفاسير على قوله - تعالى - : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ بما نصّه: وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب، وغلبت الروم فارس وهزمتهم، وفرح المسلمون بذلك؛ قال أبو السعود: وهذه الآيات من اليّنات الباهرة، الشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله ﷻ حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير، ووقع كما أخبر. وقال البيضاوي: والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب. وفي شرح قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: 4 - 5] قال ما نصّه: وقد صادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر؛ قال ابن عباس: كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان، وعبدة النيران. ويوم بدر وقع في السنة الثانية من الهجرة (الموافق سنة 624م)، وعلى ذلك فإن هزيمة الروم على أيدي الفرس لا بدّ وأنها كانت قد وقعت في حدود سنة 615م.

وجاء في «أطلس تاريخ الإسلام» ما نصّه: وعندما تولى هرقل عرش الروم سنة 610م (وهي سنة البعثة المحمّديّة) كان الفرس قد اجتاحتوا بلاد الشام ومصر

وهزموا البيزنطيين سنة 613م عند أنطاكية، واستولوا على فلسطين والقدس سنة 614م، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة 618م أو 619م، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة 622م، وفي سنة 627م أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوى، واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر، وفي سنة 630م استعاد بيت المقدس.

ومن استقراء كلّ هذه التواريخ السابقة يتّضح أنّ هزيمة الروم على أيدي جيوش الفرس كانت في حدود سنة 614م إلى 615م، وأنّ استعادتهم النصر على الفرس كانت في حدود سنة 624م، واستمر تقدم الروم على الفرس حتى تمّ لهم استعادة بيت المقدس في حدود سنة 630م.

وواضح من شروح المفسّرين أنّ المقصود بالتعبير القرآني (في أدنى الأرض) الذي يصف أرض المعركة التي تمّت فيها هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلى الجزيرة العربية أو إلى أرض الفرس. ولكن الدّراسات الحديثة تؤكّد أنّ منطقة حوض البحر الميت، بالإضافة إلى كونها أقرب الأراضي (التي كان الروم يحتلّونها) إلى الجزيرة العربية هي أيضاً أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمئة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر. وكانت هذه المنطقة من مناطق الصراع بين إمبراطوريتي الفرس والروم، وأنّ المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطورية روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) لا بدّ أنّها قد وقعت في حوض البحر الميت. لذلك فإن الوصف (بأدنى الأرض) هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية، يعني أيضاً أنّها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، وهذه الإشارة القرآنية تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله، لأنّ أحداً من الخلق لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعده حتى أواخر القرن العشرين.

الباب الرابع
التحذير من أخطار اليهود

حادي وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في تقرير القرآن الكريم لأبرز صفات اليهود

95 - ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً﴾ [المائدة: 13].

على الرغم من كل النبل والسماحة وكرم الخلق الذي وضعه رسول الله ﷺ في دستور المدينة، إلا أن يهودها قد عادوه عداً مليئاً بالندالة والخسة والحقارة. وذلك بسبب أنهم (أي: اليهود) كانوا قد خرجوا على دين الله، وانحرفوا عن منهجه، وحاربوا أنبياءه وأوليائه، وتحولوا إلى حالة من حالات الأمراض النفسية المليئة بالكبر الكاذب، والعلوية المصطنعة، والغرسة والإحساس الزائد بالذات، وبعقدة الاستعلاء على الخلق. وانطلاقاً من ذلك لم يكن ممكناً ليهود المدينة أن يقبلوا بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ (وهو ليس منهم)، على الرغم من وجود اسمه وصفته فيما كان قد بقي بين أيديهم من أخبار.

فقد كانت دعوة موسى ﷺ قائمة على أساس من التوحيد الخالص لله، وانحرف اليهود في حياته عن التوحيد فعبدوا العجل، وزاد انحرافهم من بعده بالانحطاط إلى صور متعددة من الشرك، وإن ادعوا أنهم أمة التوحيد، وتخليلوا أنه مزية لهم فوق شرك الوثنيين في قلب الجزيرة العربية، وتثليث المسيحيين على أطرافها الغربية والجنوبية.

وجاء رسول الله ﷺ من صميم العروبة (والعرب من الساميين) يدعو إلى التوحيد الخالص لله، وعلى الرغم من ذلك رفض اليهود دعوته، وتأمروا عليه،

ونقضوا كل عهودهم معه، وتعاونوا مع أعدائه الوثنيين، وألبوا عليه القبائل، وحاولوا سمّه وقتله، ولكن الله - تعالى - نجّاه من كيدهم، ونصره عليهم.

فقد روى ابن إسحاق عن عاصم عن قتادة عن أشياخ من قومه أنهم قالوا في اليهود: «كنا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إن نبياً يُبعث الآن نتبعه قد أطلّ زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش اتبعناه وكفروا هم به، وفي ذلك نزل قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْخِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89].

وبالفعل كان بنو إسرائيل قد خرجوا على شريعة الله التي أنزلها على نبيهم موسى ﷺ فعبدوا العجل. ولذلك جاءهم الإنذار الإلهي الذي يناسب طبيعتهم المتمردة الغليظة. وكان هذا الإنذار في هيئة رفع جبل الطور فوق رؤوسهم، يتهددهم بالوقوع فوقهم إذا هم لم يخضعوا لأوامر ربهم، ويستسلموا لما كتب عليهم من تكاليف، ويعلنوا العهد والميثاق مؤكداً غليظاً بالالتزام بذلك. وكان في هذا الميثاق أن يدخلوا سجداً إلى بيت المقدس الذي حرّمه الله - تعالى - يوم خلق السماوات والأرض كما حرّم مكة المكرمة من قبله بأربعين سنة، وأن يعظموا السبت الذي استبدلوا يوم الجمعة به، وطلبوا أن يكون لهم عيداً. أعطى بنو إسرائيل العهد والميثاق على ذلك، ولكن بمجرد إنزال الجبل من فوق رؤوسهم إلى الأرض وزوال التهديد عنهم، نقضوا كلّ عهد كانوا قد عاهدوا الله - تعالى - عليه. واستمروا بعد ذلك في هذا التمرد فنبذوا كل ميثاق أعطوه لله، وكفروا بآياته وقتلوا أنبياءه وقتلوهم بغير حق، وتعلّلوا بأنّ قلوبهم غليظة قاسية لا تقبل النصح، ولا تعرف إلى الحق سبيلاً، فمسخ الله المغالين في الكفر منهم قردة وخنازير، على عهد الله ونبيه داود ﷺ، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى - عن هؤلاء العصاة من غلاة اليهود:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ لِيَتَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الْأَصْلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخْرَجَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَقَّضْنَا الْعَهْدَ فَوْقَهُمْ كَانَهُمْ ظُلَّةٌ وَطَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

وقد عاود يهود المدينة إلى الموقف نفسه، ولذلك يوجه القرآن الكريم الخطاب إلى رسول الله ﷺ بقول ربنا - تبارك وتعالى - له:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنًا فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْأَبْابَ سِجْدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ بِمِيثَاقِهِمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾

فحين دعا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يهود المدينة إلى الإيمان بالله وحده قالوا قولتهم الميئسة، والمكذبة، والمستهزئة في آن واحد: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وهنا يرد الله ﷻ على هؤلاء الغلاة الضالين بقوله العزيز: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾. ومن معاني هذا النص الكريم أن كفرهم بالله - تعالى - وعصيانهم لأوامره هو الذي جعل قلوبهم متحجرة، قاسية جامدة، مغلفة بسواد المعاصي فلا تُجِلُّ حلالاً، ولا تُحَرِّمُ حراماً، ولا تُنكر منكرأ، ولا تستقبل أنوار الهداية الربانية أبداً، ولا تعرف لها معنى. وقد استثنى من ذلك عدد قليل يمثل النزر القليل منهم الذي عرف الحق فاتبعه، وآمن بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، واتباع الرسالة الخاتمة التي بعث بها الرسول الخاتم ﷺ.

وعَدَدت آيات القرآن الكريم بعد ذلك الأسباب التي من أجلها استحق اليهود

لعنة الله - تعالى - ولعنة ملائكته وأنبيائه ورسله والناس أجمعين، وذلك لكثرة جرائمهم عبر التاريخ والتي أورد القرآن الكريم جانباً منها في قوله - تعالى -:

﴿وَكَفَرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَاهِرُ مِنَّا الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَعَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: 156 - 161].

وفي مقامات أخرى من كتاب الله يستعرض القرآن الكريم عدداً من جرائم اليهود، توعية لرسول الله ﷺ وللمسلمين من شرورهم، ويظل هذا التحذير قائماً حتى قيام الساعة.

فلقد كان كل من يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير قد وقفوا من الإسلام والمسلمين موقف العداة الملية بالندالة والخسة والحقارة لمجرد أنهم لم يستطيعوا قبول الإيمان بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ لمجرد أنه لم يكن منهم. ولأنهم كانوا قد تربوا على وهمهم القديم بأنهم هم شعب الله المختار وأبنائه وأحبائه، فإنهم لم يتصوروا إمكانية خروج نبي من أنبياء الله من غير اليهود. ولذلك فإنهم رفضوا دعوة الرسول الخاتم، وتآمروا عليه وعلى المسلمين من حوله، ونقضوا كل عهودهم معهم، وتعاونوا مع عبدة الأوثان ضدهم، وألبوا القبائل العربية عليهم، وحاولوا سم رسول الله ﷺ وقتله. ولكن الله - تعالى - نجاه من أيديهم، وحفظه من شرورهم، ونصره عليهم حتى أجلاهم عن المدينة بالكامل ثم عن خيبر بعد ذلك، لكثرة خياناتهم التي يمكن إيجاز طرف منها فيما يلي.

أولاً: من خيانات اليهود في المدينة:

كان من خيانات اليهود للعهد التي قطعوها على أنفسهم لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ما يلي:

1 - خيانة يهود بني قينقاع:

وقد كانوا أول قبائل اليهود نقضاً لعهودهم مع رسول الله ﷺ، فحاصرتهم جيوش المسلمين خمس عشرة ليلة متتابعة، حتى اضطروا إلى التسليم، على أن يجلوا عن المدينة فتحركوا إلى «أذرعات» ببلاد الشام، وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة.

2 - خيانة يهود بني النضير:

في السنة الرابعة للهجرة نقضت جموع يهود بني النضير العهود التي كانوا قد قطعوها على أنفسهم لرسول الله ﷺ. فأووا أعداء المسلمين من كفار قريش، وأغروهم بمقاتلة رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، وكشفوا لهم عن نقاط الضعف في تحصينات المدينة، ثم حاولوا قتل رسول الله ﷺ وهو في ضيافتهم بقلعتهم الحصينة القريبة من مدينة «قبا»، فأمر بإجلالهم بعد محاصرتهم لخمس عشرة ليلة، فهاجر بعضهم إلى «خيبر»، وهاجر البعض الآخر إلى «أذرعات» بأرض الشام، وفي وصف خيانة يهود بني النضير نزلت سورة «الحشر» التي فيها يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرَوْنَ يَدِيَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ② وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهم فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④﴾

[الحشر: 1 - 4].

3 - خيانة يهود بني قريظة:

نقض يهود بني قريظة عهودهم مع رسول الله ﷺ فأعانوا كفار قريش بالسلحاح يوم بدر، ثم انضموا إلى كفار ومشركي كل من قبيلتي قريش وغطفان في غزوة الخندق (أو الأحزاب). وبعد انتهاء المعركة أمر الله - تعالى - نبيه بقتال هؤلاء

الخائنين الغادرين من بني قريظة، فحاصرتهم جيوش المسلمين في السنة الخامسة للهجرة لمدة خمس وعشرين ليلة حتى استسلموا بالكامل، وفرّ النَّاجُونَ منهم إلى خيبر. وفي وصف خيانة، وِخْسَة، وغدر، وكيد يهود بني قريظة نزل قول الله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: 51، 52].

وقال تعالى في نقضهم لعهودهم: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: 56].

4 - خيانة يهود خيبر:

كان يهود خيبر ومن فرَّ إليهم من يهود بني النضير قد قاموا بدور كبير في حشد كفّار قريش ومن ساندهم من القبائل العربيّة ضد المسلمين في «غزوة الأحزاب». كذلك قاموا بتحريض يهود بني قريظة على الغدر بالمسلمين وطعنهم في ظهورهم، وسخّروا أموالاً طائلة في سبيل تحقيق ذلك حتى أصبحت خيبر تمثل خطراً حقيقياً على دولة الإسلام في المدينة. ولذلك قرّر رسول الله ﷺ غزو خيبر بعد أن فرغ من صلح الحديبية، فسارت جيوش المسلمين إليها، وحاصروا حصونها حتى سقطت الواحد تلو الآخر وتمّ تطهيرها من دنس اليهود.

هذه الخيانات اليهودية عرضها القرآن الكريم في العديد من آياته، ولخصها في الآية الكريمة رقم (13) من سورة «المائدة» والتي يقول فيها ربّنا - تبارك وتعالى -: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13].

ومن الإعجاز الإنبائي والتاريخي في هذا النصّ القرآني الكريم ما يؤكد التاريخ من أن نقض العهود والمواثيق، والتآمر بالغدر والخيانة، وبالكثير من الحقد والندالة، والخيسة والمكر، والكيد والتشفي، والتعطش للدماء، وحب الظلم، والحرص على

إيذاء الغير أصبحت من الصفات المحضة للشخصية اليهودية. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن اليهود كانوا وراء غالبية الحروب المحلية والعالمية، ووراء غالبية القلاقل والفتن، والمجازر البشرية، وكانوا خلف كل المفاسد الاجتماعية، والمظالم الاقتصادية والسياسية، منذ أن وجدوا على وجه الأرض. وسوف يبقى اليهود كذلك إلى قيام الساعة، وبذلك استحقوا لعنة الله وملائكته، وأنبيائه ورسله، والناس أجمعين. وتاريخ اليهود الأسود، وواقعهم البشع هو خير شاهد على ذلك في القديم والحديث، وتتجسد مظالم اليهود اليوم على أرض فلسطين - بصفة عامة - وعلى قطاع غزة الصامد - بصفة خاصة - وقد صمد أهل هذا القطاع المحاصر براً وبحراً وجواً لمجازر اليهود الوحشية الرهيبة التي فاقت كل وصف ببسالة وصبر منقطععي النظر.

ثانياً: من أوجه الإعجاز العلمي في النصّ الكريم

منذ القدم استخدمت تعبيرات من مثل (رقة القلب) و(قسوة القلب) في إطارها المجازي، وما كان أحد يتخيل وجوداً حقيقياً لتلك الإشارات المجازية. ولكن ثبت أخيراً أنّ هناك صلة وثيقة بين كلّ من القلب والمخ، وأنّ القلب يستجيب للإشارات القادمة إليه من المخ، ويرسل إليه من الإشارات والأوامر أكثر ممّا يتلقّى منه. ويتم ذلك عن طريق الخلايا العصبية التي اكتشفت أخيراً في كلّ من عضلة القلب وغشائه، وأنّ القلب يتّصل بالمخ عصبياً من خلال عدد من النبضات والناقلات العصبية، كما يتّصل كيميائياً عن طريق الهرمونات، ويتّصل كهرومغناطيسياً بواسطة الموجات الكهربائية والمغناطيسية. وعلى ذلك فإنّ المعلومات تتبادل باستمرار بين المخ والقلب، وأنّ للقلب تأثيراً هائلاً على القرارات التي يتّخذها المخ. فإذا كان الإنسان ذا نفسية سوية، وتربية صحيحة انعكس ذلك على كلّ من قلبه ومخّه وقراراته، ووصف قلبه بالرقة. وعلى النقيض من ذلك فإن كان الإنسان ذا نفسية مريضة كالنفسية اليهودية (التي تتربى منذ نعومة الأظفار على الفرية الكبرى بأنّ اليهود هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّاءه، وأنّ غيرهم من البشر عبارة عن حيوانات

خلقت في هيئة آدمية حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود) فإن قلوبهم تمتلئ كراهية، واستهانة، واحتقاراً، لكل من هو غير يهودي، حقداً عليهم، ورغبة في استعبادهم واستغلالهم، وحباً في التآمر عليهم فتتحول تلك القلوب إلى قلوب متحجرة قاسية، لا تعرف الرحمة إليها سبيلاً. من هنا فإن الوصف القرآني بقول ربنا - تبارك وتعالى - عن اليهود: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾ [المائدة: 13] جاء وصفاً معجزاً، لأنه وصف حقيقي لطبيعة القلب اليهودي. ومظالم اليهود القديمة الراهنة على أرض فلسطين، ومجازرهم المتعددة عبر التاريخ، وحديثاً في المنطقة العربية - منذ أن ابتليت بغرس كيان غريب لليهود في قلبها هو خير دليل على ذلك. وهذه الخلية السرطانية الصهيونية المفسدة التي غرست في قلب العالم العربي لتدميره لا علاج لها إلا الاجتثاث الكامل من المنطقة، فلا صلح، ولا سلام، ولا معاهدات، ولا تعايش يمكن أن يتحقق معها.

من الدلالات الإنبائية والتاريخية للنص الكريم:

1 - ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة: 13]:

لقد كفر اليهود - في غالبيتهم - على زمن عبد الله ونبيه موسى ﷺ، فعبدوا العجل، وتركز الكفر من قلوبهم في أزمنة أنبيائهم العديدين، فقاتلوهم وقتلوهم عدواً بغير علم. وعاودوا الكفر بتحريف التوراة وبيعها قراطيس للناس، وازداد الكفر تمكناً من قلوبهم زمن عبد الله ونبيه المسيح عيسى ابن مريم، فأنكروا نبوته، وشوهوا كلا من سمعته وسمعة والدته - شرفها الله - وأعلنوا عليه حروب الشياطين، وحاولوا دفع الرومان إلى صلبه ولكن الله - تعالى - رفعه إليه، واندسوا بين تابعيه في محاولة لصرفهم عن دين الله، وأصروا على تزويره وتشويهه حتى أخرجوه عن إطاره الرباني بالكامل.

كذلك كفر اليهود ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وتآمروا عليه، ونقضوا جميع عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا مع الكفار والمشركين ضده، وألبوا عليه القبائل العربية لمحاربته، وحاولوا ستمه وقاتله، وأغرقوا في الدسّ عليه

بالإسرائيليات لولا أن الله - تعالى - قد تعهد بحفظ رسالته الخاتمة تعهداً مطلقاً فحفظت. من أجل ذلك كله لعن اليهود بأمر رب العالمين، كما لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة: 13] أي فسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم، وطردهم من رحمتنا لبعدهم عن الهدى ودين الحق. وتاريخ عصاة اليهود على الأرض يؤكد حقيقة طردهم من رحمة الله عقوبة لهم على نقض موثيقهم مع الله - تعالى - ومع أنبيائه، ومع غيرهم من خلق الله.

2 - في قوله - تعالى - : ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسِيَّةً﴾ [المائدة: 13].

تربى غلاة اليهود - ولا يزالون يتربون - على فرية كبيرة مؤداها أنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّأؤه، وإن من هم غير اليهود (الأميين أو الأميين أو الأغيار أو الجويم) هم - يزعمهم الباطل - حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود. ومن هنا كان الأغيار في وهم اليهود عبداً لهم، لا يجوز التعامل معهم بأي قدر من الإنسانيّة أو الرحمة. وحبّ الأغيار في كتب اليهود هو بغض لله - تعالى -، والمحسن إليهم يميته الرب، وخيانتهم والتآمر عليهم وقتلهم يعتبر من القربات إلى الله كما يدعون، ولذلك وصفهم الحق - تبارك وتعالى - بقوله العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسِيَّةً﴾، وتاريخ اليهود على الأرض - بصفة عامّة - وفي منطقتنا العربيّة - بصفة خاصّة - هو تجسيد لهذه الحقيقة القرآنيّة.

3 - في قوله - تعالى - : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [المائدة: 13].

في نهاية القرن السادس قبل الميلاد غزت جيوش البابليين أرض فلسطين (وكان ذلك في حدود سنة 586 ق.م.) ودمروا مدينة القدس، وفي أثناء ذلك التدمير فقدت التوراة. وبعد حوالي قرنين من الزمان (في حدود ما بين 440، 368 ق.م) قام عدد من حاخامات اليهود بقيادة كل من نحما وعزرا (أو عزير)

بإعادة كتابة التوراة من الذاكرة، وكان ذلك بعد وفاة عبد الله ونيه موسى بن عمران بحوالي ثمانية قرون. وفي أرض المنفى ببابل فرض حاخات اليهود على أتباعهم شريعة من تأليفهم، كانت غاياتها تنظيم اليهود تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً للسيطرة على العالم.

ومع ضياع أصول التوراة ابتدع حاخامات اليهود في دينهم، وحرّفوا معتقداتهم، وأشركوا (عزيراً) في عبادة الله، وادّعوا بنوته للخالق العظيم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - واستخدموا الدين تجارة رخيصة، وانغمسوا إلى آذانهم في ماديات الحياة، وبالغوا في الحرص عليها إلى حد البخل والشح اللذين اشتهروا بهما. ونتيجة لذلك انقسم اليهود إلى العديد من الفرق التي كان منها ما يلي:

1 - فرقة الكتبة الفريسيين أو الفريزيين (The Pharisees): وهي فرقة يهودية

متشددة ظهرت بين القرنين الأول قبل الميلاد، والميلادي الأول، وتمسكت بكل من التراث اليهودي الشفوي والمكتوب، ولكنه كان تمسكاً بحرفية النص لا بروحه، وادعت قداسة علوية كاذبة لأفرادها. لذلك لامهم المسيح بشدة على تزمته الكاذب، ونفاقهم الواضح، فكانوا في طليعة من حاربوه وقاوموا دعوته.

2 - فرقة الزادوكيين (The Zadocians = The Saducees): وهي فرقة يهودية

تنسب إلى زادوك (Zadoc) الذي أسس مذهباً يهودياً جديداً في الفترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد، والميلادي الأول. وهذا المذهب رفض التراث الشفهي، وقبل التراث المكتوب فقط، ولذلك قاوم مذهب الكتبة الفريسيين. والزادوكيون أنكروا كلا من قيامة الموتى (أي: البعث بالجسد) والحساب، كما أنكروا وجود كل من الروح والملائكة، والشياطين.

هذا بالإضافة إلى العديد من الفرق الأخرى مثل فرق «القرائين»، «السامريين»، الإسيين (الإسينيين)، الأيونيين، و«الدونمة»، و«الحسيدم»، «الحاخامية اليهودية» (Rabbinical Judaism)، «اليهودية الأرثوذكسية» (Orthodox Judaism)، «اليهودية المحافظة» (Conservative Judaism)، «اليهودية الإصلاحية» (Reformed Judaism).

(Libral Judaism) «اليهودية المتحررة» Judaism).

وعلى الرغم من ذلك فإن لتوراة موسى ﷺ في الإسلام منزلة سامية، وإن كان اليهود قد أشبعوها تحريفاً وتزويراً ودساً على الله - تعالى - . ويهود اليوم يعتبرون التوراة متجسدة في الأسفار الخمسة الأولى ممّا يعرف باسم «العهد القديم». وهذه الأسفار الخمسة لم تدون إلا في عهد عزرا، أي: بعد وفاة موسى ﷺ بأكثر من ثمانية قرون. ثم أضاف أحبار اليهود إلى الأسفار الخمسة الأولى هذه، عدّة أسفار مختلفة (39 - 42 سفرًا) ممّا جعلها محل جدل في أوساطهم الدينيّة حتى اليوم.

ويجمع دارسو «العهد القديم» على أنّ «سفر حزقيال» وضع أولاً، ثم ركبت حوله بقية الأسفار الموضوعية، ولذلك كان لليهود أكثر من توراة من مثل «التوراة البابليّة»، و«توراة القدس»، و«التوراة البيضاء»، و«التوراة السامريّة»، و«التوراة السبعينيّة»، و«التوراة العبريّة»، و«التوراة اليونانيّة» وغيرها. وبين هذه النسخ اختلافات جوهرية عديدة تشير إلى عبث الأصابع اليهوديّة بها.

والشكّ في أسفار «العهد القديم» أثارته مؤسسات ومجامع يهوديّة ومسيحيّة عديدة كانت منها الكنيسة البروتستانتية التي حذفّت أكثر من سبعة من أسفاره هي: أسفار «باروخ»، و«طوبيا»، و«يهوديت»، وسفرا «المكابيين الأوّل والثاني»، وأجزاء من سفري «أستير ودانيال».

وقد استمرّ اليهود في تحريف كتبهم على مدى يزيد على (2500) سنة، وخدعوا العالم بأنهم هم أصحاب العهود لا غيرهم، بدعوى أنّهم لا يزالون عرقاً صافياً من الساميين، وأنهم يمثلون يهود توراة موسى. وهذا محض افتراء لأنّ اليهوديّة (كغيرها من الأديان السماويّة) قبلتها أعراق متعدّدة. ومن هنا كان الادّعاء بنقاء العرق اليهودي هو ادّعاء كاذب ينكره علم الأجناس، وينكره دخول الكثير من اليهود في الديانة النصرانيّة ثم في الإسلام، كما ينكره وجود أعراق متعدّدة بين

اليهود والمتهوِّدين المعاصرين.

ويكفي لإثبات ذلك أنَّ يهود «الخزر» (The Chazar or the Khazar Jews) (وهم يهود كلِّ من روسيا وأوروبا الشرقية) يشكِّلون أكثر من (92%) من مجموع يهود اليوم. وشعب الخزر كان شعباً وثنياً قديماً (تركي - مغولي - تترى الأصل) عاش في المنطقة بين وادي الفولجا ووادي الدانوب، وبين البحرين الأسود وقزوين. وعلى ذلك فإنَّ الخزر لا علاقة لهم بالمنطقة العربيَّة، ولا بالأصول السامية. وقد أقام هذا الشعب في الفترة ما بين القرنين الثاني والعاشر الميلاديين مملكة وثنيَّة حول بحر قزوين عرفت باسم «مملكة الخزر». شكَّت طريقها إلى أوروبا الشرقية عبر سلسلة من الحروب الدميَّة استمرَّت لعدَّة قرون.

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي (سنة 750م) وصل إلى مملكة الخزر عدد من حاخامات اليهود الذين ساوموا ملك الخزر [وكان اسمه الملك بولان (Bulan)] بأساليبهم الملتوية، (والقائمة على أن الغاية تبرر الوسيلة) على قبول اليهوديَّة ديناً فتهود، وأجبر أهل مملكته على التهود بإعلان اليهوديَّة ديناً رسمياً لمملكة الخزر.

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي (في حدود سنة 969م) تمكَّنت الإمبراطوريَّة الروسيَّة من غزو مملكة الخزر وتدميرها، فهاجر معظم سكَّانها إلى دول أوروبا الشرقية، ومنها رحلوا إلى أوروبا الغربيَّة ثم إلى الأمريكتين، ومن بقي منهم مثلوا يهود الإمبراطوريَّة القيصريَّة الروسيَّة، وهؤلاء يعرفون باسم «الإشكنازيم (أو السكناج) = The Ashkenazim or the Hasidic Jews» أو يهود أوروبا الشرقية.

أمَّا غير الخزر من اليهود فيشكِّلون أقل من (8%) من مجموع يهود العالم اليوم، وهم يهود آسيا وأفريقيا وبلاد الأندلس، ويعرفون باسم «الأسفارديم» (أو السفارة أديم = The Sephardim or the Sephardic Jews). وهذا يبطل الادِّعاء الكاذب بنقاء العرق اليهودي من الاختلاط بأية أعراق أخرى.

من هنا فإنَّ التعبير القرآني «بنو إسرائيل» ليس تعبيراً عرقياً لأنَّ القرآن الكريم

يؤكد وحدة الجنس البشري، كما يرد الناس جميعاً إلى أب واحد، وأم واحدة (هما أبوانا آدم وحواء ﷺ). وبالتالي فإن الاسم «بنو إسرائيل» يأتي تعبيراً عن جماعة من الناس من أعراق مختلفة، يجمعها قدر مبالغ فيه من الأنانية شجعها على الاعتقاد الخاطيء بأنهم وحدهم هم شعب الله المختار، وأبناءؤه وأحبّاءؤه، وأنّ غيرهم من الخلق عبارة عن حيوانات في هيئة البشر حتى يكونوا لائقين على القيام بخدمة اليهود، وإنّ الربّ هو ربّ إسرائيل والإسرائيليين فقط، وإنّ الأغيار (الأميين) لا ربّ لهم، ومن هنا فإنّ استباحة دماء الأغيار، وأعراضهم، وأموالهم، وأراضيهم هي حلال عند اليهود، بل ويعتبرونها قرابة يتقربون بها إلى الله. وانطلاقاً من ذلك برع اليهود في التعصّب ضد كل من هو غير يهودي، وأسأوا إلى الإنسانية إساءات بالغة عبر التاريخ.

وقد أفاض القرآن الكريم في وصف ملامح الشخصية اليهودية، وخصائصها الذاتية، والأمراض النفسية التي صاغت تلك الشخصية اليهودية. وقد جعلت هذه الأمراض منها الشخصية المتغترسة المتجبّرة المتكبّرة، المستعلية على الخلق بالباطل، القاسية القلب، إلى حدّ الوحشية والهمجية، وإلى حدّ التفنن في الغدر بالآخرين، ونقض العهود والمواثيق، والحقد على غيرهم من البشر، والحسد لكلّ نجاح، والإصرار على الإفساد في الأرض، وعلى إشاعة الفواحش بين الناس، وعلى هدم كل قيمة أخلاقية وكل فضيلة. ولذلك قتل اليهود أنبياء الله، وأوقدوا نيران الحروب وأشعلوا الفتن على سطح الأرض، وأكثروا من الخروج على الفطرة السوية، واستباحوا كل الحرمات والمحرمات.

4 - في قوله - تعالى - ﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13].

يعترف «العهد القديم» بأنّ توراة موسى قد فقدت، ولذلك أخذ اليهود يكتبون عنها من الذاكرة ما تناقله كلّ من الأجداد والأبء إلى كل من الأحفاد والأبناء عبر أكثر من ثمانية قرون كاملة، وتمت هذه الكتابات في زمن «عزرا». وقد استغرقت كتابة التوراة الموضوععة قرابة قرن من الزمان وبذلك اكتملت كتابتها بعد أكثر من

ثمانية قرون على الأقل من موت موسى ﷺ. ولذلك قال ﷺ في اليهود: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُورَةٍ كَمَا كَفَرُوا﴾ [المائدة: 41].

وقال - عزَّ من قائل -:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: 44].

ثم فقدت كتابات «عزرا» أيام اجتياح كل من «أنطيوخس الثالث والرابع» لأرض فلسطين في الفترة (من 198 ق.م إلى 164 ق.م) ثم في أيام استباحة «هيرودوس» الروماني - الأدومي للقدس بعد ذلك في الفترة (من 38 ق.م إلى 4 ق.م).

وفي ظل ضياع أصول «التوراة» ابتدع حاخات اليهود كتاباً سمّوه باسم «التلمود» (The Talmud) كتبوه على هيئة مجموعة من القوانين المدنية والاحتفالية. وقد استغرقت كتابة «التلمود» عدة قرون، ثم قسم إلى «المشنا» أو «المشناه» (The Mishnah) و«الجمارة» (The Gemara). و«المشنا» هي مدونة للقوانين الشفهية التي وضعها الحاخام جودة هاناشي (Judah haNasi) في القرن الميلادي الثاني، وتشمل القواعد، والوصايا، والتقاليد الدينية والأدبية، وتسمى تجاوزاً باسم «الشرعية الشفهية للديانة اليهودية».

أما «الجمارة» فتشمل عدداً من التعليقات والشروح على «المشنا» باللغة الآرامية، تمت كتابتها في القرن الخامس الميلادي. وبالإضافة إلى كل من «المشنا» و«الجمارة» أضيف إلى التلمود ما يعرف باسم «المدراش» (Midrash)، وهو مجموعة من التعليقات القديمة على عدد من الكتابات في الديانة اليهودية.

وعند بعثة المسيح - على نبينا وعليه وعلى أنبياء الله جميعاً من الله السلام - قام اليهود بحرق ما كان قد بقي بأيديهم من التوراة لإخفاء البشارة بنبوته، وكرروا ذلك بعد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من أجل إخفاء البشارة ببعثته الشريفة كذلك. وقد

قام دهاقنة اليهود بصياغة عدد كبير من الكتب التي أضافوها إلى الأسفار الخمسة الأولى، وكان ذلك في القرن السابع الميلادي بأوامر من محفل الشورى اليهودي. ولم تطبع هذه الأسفار مجتمعة إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تحت مسمى «العهد القديم» وهو مسمى من وضع البشر لأنَّ الله - تعالى - لم ينزل كتاباً بهذا الاسم. وحتى هذا المؤلف ظلَّ يتعرَّض للتحريف بعد التحريف وللتعديل تلو التعديل، وللإضافة والحذف إلى يومنا الرَّاهن، ولذلك قال ربَّنَا - تبارك اسمه - في اليهود:

﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

[المائدة: 13].

5 - في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

[المائدة: 13].

الخطاب هنا من الله - تعالى - إلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ يقول له فيه: إنَّه بسبب نقض اليهود لعهودهم فقد استحقوا الطرد من رحمة الله - تعالى -، وقست قلوبهم فأصبحت كالحجارة أو أشدَّ قسوة، وأخذوا يحرفون كلام الله ويصرفونه عن معانيه إلى ما يوافق أهواءهم المريضة، فتركوا نصيباً وافياً ممَّا أمرهم الله ﷻ به. ويضيف ربَّنَا - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ستظلُّ أيُّها الرِّسول الخاتم، وستظلُّ أُمَّتُك من بعدك ترى من اليهود ألواناً من الغدر والخيانة، والمكر والوقيعه، ونقض العهود والمواثيق تفوق كل وصف، إلا نقرأ قليلاً منهم آمنوا بك فلن يخونوا ولن يغدروا.

وظلَّ هذا هو حال غالبية اليهود في العالم كله - بصفة عامة -، وفي المجتمع الإسلامي - بصفة خاصة -، وهو المجتمع الذي آواهم، ورفع عنهم اضطهاد المضطَّهدين، وعاملهم بالحسنى، ولكنَّهم كانوا دائماً يضمرون له الغدر والمكر والخيانة، حتى جازوه جزاء سنمار.

ووحشية اليهود الفائقة على أرض كل من فلسطين ولبنان، وعلى جميع الأراضي العربيَّة المحيطة بكيانهم الغريب على المنطقة غربة كاملة، - والذي زرعه بمؤامرة دولية - ظلَّ على مدى أكثر من نصف قرن يمثل أبشع شاهد على خيانة

اليهود وغدرهم، لتبقى خياناتهم علامة عليهم، إلا قليلاً ممَّن آمن منهم ببعثة الرسول الخاتم.

وهذا النصّ القرآني الكريم يجسّد لنا صورة من صور الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنّه لم يكن ممكناً لأحد من الخلق أن يتخيّل إمكانية وجود هذا الكّم من الحق في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبيّ أمّي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين.

96 - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ

فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: 74].

من الدلالات الإنبائية والتاريخية والعلمية في الآية الكريمة ما يلي:

أولاً: كشف دخائل النفس اليهودية المريضة:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الخطاب الإلهي إلى العصاة من بني إسرائيل، وقد قست قلوبهم قسوة لا تدانيها قسوة. وكانت هذه القسوة الشديدة منهم على الرغم من كل صور الهداية الربانية التي أنزلت إليهم فرفضوها، وكل النعم التي أفاء الله - تعالى - بها عليهم فكفروا بها، ولم يشكروها. وعلى الرغم كذلك من كل الآيات والمعجزات المبهرة التي شاهدها ووجدتها نفوسهم المريضة، ولم تتحرك بها قلوبهم القاسية، التي تصفها الآية الكريمة بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، وتضيف:

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

ومن قبل، رأى العصاة من بني إسرائيل كيف ضرب نبي الله موسى الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً. ورأوا كيف اندك الجبل لما تجلّى الله - تعالى - له، وخرّ موسى ﷺ صعقاً. وعلى الرغم من ذلك كله لم تلتن قلوبهم، لأنها قلوب كافرة، قاسية، جاحدة، فجاء ختام الآية الكريمة بهذا التهديد والوعيد الإلهي: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

ويهود اليوم فاقوا في قسوة قلوبهم يهود الأُمس بكثير، وذلك لتراكم خبراتهم في الشرِّ. والتآمر ضد البشر، والكيد لهم عبر آلاف السنين التي مضت بين زمن موسى ﷺ واليوم. وعلى ذلك فإنَّ الآية تنطبق عليهم بأشد ما انطبقت به على العصاة من بني إسرائيل لأن جميع مشاكل عالم اليوم هي من تخطيط وتنفيذ اليهود - على قلتهم - خاصة الذين انخرطوا منهم تحت مظلة الحركة الصهيونية العالمية...!!

ومن ذلك يتَّضح أن اليهودية الحالية ليست ديناً من الأديان، بقدر ما هي حالة مرضية تعتري الفطرة السوية، فتخرجها عن إطارها الإنساني إلى دائرة الشياطين. فكما كفر شياطين بني إسرائيل على عهد موسى ﷺ فعبدوا العجل، فإنهم كفروا على عهد أنبيائهم فقاتلوهم وقتلوهم. وكما تجرَّأوا على دين الله فحرَّفوه، وابتدعوا فيه، وكذبوا على ربِّ العالمين، وضللوا الملايين؛ فإنهم نقضوا كل العهود والمواثيق التي أبرموها، وكتبوا ما أنزل الله - تعالى - عليهم من كتاب، واشتروا به ثمناً قليلاً. وكما تآمروا على خيانة خلق الله، وإفسادهم، وإشاعة الفاحشة بينهم، من أجل ابتزازهم وسرقة أموالهم، فإنهم كفروا بالله على عهد عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ، فكذبوه، وطاردوه، وحرصوا عليه كفر الرومان، وأسأؤوا إلى سمعته وحاولوا تلطيف شرف أمه (شرفها الله)، كما حاولوا قتله وصلبه وتشويه رسالته. وكما كفروا بالله على عهد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فنقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وتآمروا مع عبدة الأوثان ضده، وألبوا كل أهل الكفر عليه، فإنهم حاولوا ستمه وقاتلوه، كما حاولوا الدسَّ على رسالته لولا أن الله - تعالى - قد تعهد بحفظها فحفظت.

وتكفي في ذلك الإشارة إلى دور الحركات الصهيونية العالمية وأذرعها المتعددة والمنتشرة في العالم كله من أجل تخريبه، وذلك من أمثال الحركة الماسونية العالمية (أو حركة البنائين الأحرار). ومن هذه الأذرع الصهيونية نوادي الروتاري، والليونز، والإنرهويل، الروتراكت، حيروت، الإنتراكلت، نبي برت (أو أبناء العهد) وغيرها من مخططات المشروع التلمودي التدميري للعالم الذي كان وراء الحربين العالميتين

الأولى والثانية، ولا يزال يقف من وراء كل حرب، ومفسدة، وفتنة في العالم.

والدليل على أن اليهودية هي حالة من حالات الأمراض النفسية المستعصية، أن متهودي اليوم (وهم ليسوا في غالبيتهم الساحقة من سلالات بني إسرائيل) لهم القلوب القاسية نفسها التي تفوق الحجارة قسوة. فقد اشتهروا بالكفر والشرك، والفسوق والعصيان، والكذب والتحايل، واللجاجة والمناورة، والالتواء والتآمر، والفساد والخديعة، والخيانة والغدر. وصاحب ذلك في السلوك اليهودي كل صور الظلم والإرهاب، ونقض العهود والمواثيق، والتزوير والتزييف، وأكل أموال الناس بالباطل، وخيانة الأمانات، والقسوة البالغة في التعامل، والغلظة المتناهية إذا كان بيدهم شيء من القوة، والتظاهر بالاستكانة والذلة والضعف حتى يتمكنوا إذا كانوا أمام من هو أقوى منهم. لذلك لعب اليهود عبر التاريخ دور شياطين الإنس في كل عصر وفي كل مصر؛ كذلك أتقن اليهود التآمر في الظلام حتى ملكوا زمام العالم وأصبحوا يديرونه في الخفاء حسب أهدافهم الشريرة، ومطامعهم الكثيرة، ونفسياتهم المريضة، في غفلة من المسلمين بعد أن نجح اليهود في صرفهم عن دينهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...!!

وليس أدل على قسوة قلوب اليهود من جرائمهم التي ارتكبوها في حق كل الأمم التي احتضنتهم وآوئتهم بدءاً من دولة الخلافة الإسلامية التي أسقطوها، إلى ألمانيا التي تآمروا على خرابها، والاتحاد السوفييتي الذي دمّره، إلى الولايات المتحدة ودول أوروبا الشرقية والغربية التي حطّموها كل قيمة إنسانية فيها!!.

ويتعاضم إجرام متهودي اليوم على أرض فلسطين (الدولة العربية الإسلامية لأكثر من أربعة عشر قرناً) والتي سرقها اليهود من أهلها، واغتصبوها من بين أيدي أبنائها بمؤامرة دولية حقيرة، حاكتها الحركة الصهيونية العالمية برعاية كل من بريطانيا وفرنسا، ثم تبنت إثمها الولايات المتحدة الأمريكية ودول الوحدة الأوروبية. واليهود المحتلون للأراضي الفلسطينية فجروا في معاملة المدنيين العزل، الذين يقاتلونهم اليوم بشراسة لم تعرف لها البشرية مثيلاً في غلظتها

وقسوتها، وتجبرها، واستعلائها. وهم يوظفون في ذلك أحدث الآلات العسكرية الأمريكية تطوراً: من الأسلحة المحرّمة دولياً، وغير المحرّمة. وتستخدم هذه الأسلحة في كل يوم لهدم المنازل، والمدارس، والمستشفيات، والمساجد، وغيرها من دور العبادة، كما توظّف في تجريف الأراضي الزراعية وحرق كل ما عليها من الأشجار والثمار والمحاصيل، وفي حصار المدن وتدمير جميع بنياتها الأساسية، والخدمات الواصلة إليها. وليس هذا فقط بل برع الإسرائيليون في الحيلولة دون إسعاف المصابين، وتركهم ينزفون حتى الموت، وفي منع علاج الحوامل والمرضى المزمنين، وحرمانهم من الإسعافات الأولية، والعلاجات الضرورية لهم. بل تفننوا في قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والشبان، وفي اعتقال مَنْ لا يقتلون منهم لتعذيبهم بوحشية بشعة في سجونهم ومعتقلاتهم!! وإن يَنسَ المجتمع الدولي كل هذه الجرائم غير الإنسانية، وغير الأخلاقية، فلن ينسى اغتيال الطفل (محمّد الدرة) بدم بارد وهو يحتمي بحضن أبيه الفزع المفجوع!! ولن ينسى تجريد الأسرى من ملابسهم، واقتيادهم إلى ساحات التعذيب معصوبي الأعين، ومقيدي الأيدي والأرجل كما فعل الأمريكان المتهودون من قبل في سجون كل من أفغانستان، والعراق، وجوانتانامو وغيرها من السجون...!! ولن ينسى كل حر في العالم مذابح دير ياسين، وقيبة، وصبرا وشاتيلا، وبحر البقر، وأبي زعبل، وبيروت، وجنين، وغزة، وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم...!!

ثانياً: إثبات العلاقة بين القسوة المادية للحجارة والقسوة المعنوية لقلوب

اليهود:

في هذه الآية الكريمة يعقد ربّنا - تبارك وتعالى - وهو العليم الخبير - مقارنة بين القسوة المادية للحجارة، والقسوة المعنوية لقلوب الفسقة العصاة من الصهاينة المتهودين. والآية الكريمة تؤكد أن قلوب اليهود - المليئة بالكراهية لجميع مَنْ غيرهم من البشر، وبالحدق والغلّ عليهم، والرغبة الدفينة في خيانتهم،

وإذائهم والغدر بهم - هي أشدّ قسوة من الحجارة لأنها لا تلين أبداً، بينما من الحجارة ما يلين فتتفجّر منه الأنهار، أو يتشقق فيخرج منه الماء، أو يهبط من خشية الله...!!

وبقدر دقّة هذا الوصف الإلهي للنفسية اليهودية المريضة، والخارجة على منهج الله وهدايته، والمليئة بالأسقام والعلل، جاء هذا الوصف العلمي الدقيق للحجارة، وتفاوتها في درجات القساوة على قدر كبير من الدقّة العلمية والشمول والإحاطة على الرّغم من ورود ذلك في مقام التشبيه.

ثالثاً: قسوة الحجارة:

تعتبر قسوة الحجارة (Stiffness of Stones) واحدة من أهم خصائصها الميكانيكية، وتعتمد على نشأة الحجر، وتركيبه الكيميائي والمعدني، وبنيته، ونسيجه، كما تعتمد على تاريخه في الأرض، وعلى التغيرات التي تعرّض لها عبر ذلك التاريخ. وهذه العوامل منفردة أو مجتمعة تؤثر في شدة تماسك مكونات الصخر، وقدرته على مقاومة العديد من العمليات الأرضية من مثل الانضغاط (Compressibility or Compaction)، والإجهاد القصي (Tenacity, Resistance, or Shear Stress or Stress Stain)، وهي أبعاد لا بدّ من قياسها عند تقويم درجة متانة الحجر، وقدرته على تحمّل المنشآت عليه، أو الحفر فيه (للتعدين أو شقّ الترع والخنادق وغيرها).

وانضغاطية الحجر (أو قابليته للانضغاط = Compaction) تعني قابليته للهبوط تحت تأثير الأحمال الواقعة عليه، ويعتمد ذلك - فيما يعتمد من عوامل عديدة - على مسامية الحجر، وقدرته على إنفاذ الموانع (نفاذيته)، وتركيبه البنيوي، ووزن الأحمال المسلطة عليه. وفي ذلك تقسم الأحجار إلى: قليلة، ومتوسطة، وشديدة الانضغاط.

وبالنسبة لمتانة الأحجار (أو قدرتها على مقاومة الإجهاد القصي أو الاستجابة له ممّا يؤدي إلى إعادة توزيع القوى الداخلية للحجارة) فإنّها تقاس بمعاملي القدرة

على مقاومة الاحتكاك، وشدة تلاصق المكونات، وكلاهما يعتمد كذلك على نشأة الحجر، وتركيبه المعدني والحبيبي أي: على صفاته الميكانيكية، والروابط بين مكوناته، ودرجة الرطوبة فيه.

وتتعرض الحجارة في الغلاف الصخري للأرض لأنواع مختلفة من الإجهاد الخارجي والداخلي، ويتم ذلك في الحالة الأولى نتيجة للضغط الخارجي عليها بواسطة وزن كتلة الصخور التي تعلوها، أو بواسطة الضغوط الجانبية الناتجة عن تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض في اتجاه التصادم والتضاغط، أو في اتجاه الشد والتباعد. وينتج عن ذلك العديد من البنيات الأرضية من مثل خطوط التصدع، والفواصل، والتشققات الأرضية التي تؤدي إلى تفجر الماء المخزون تحت سطح الأرض. وفي حالة الضغوط الداخلية فإن ذلك يتم بواسطة الموائع المختزنة في الحجارة (من مثل الماء، أو النفط، أو الغاز).

وكل من الإجهاد الخارجي، والإجهاد الداخلي للأحجار قد يكون قوياً أو ضعيفاً، وقد يكون سريعاً أو بطيئاً، وقد يكون في اتجاه واحد أو في أكثر من اتجاه. والنتيجة النهائية تعتمد على شدة ذلك الإجهاد، وعلى نوع الحجارة، وعلى الظروف المحيطة بها من الضغط ودرجة الحرارة. وتتمثل استجابة الحجارة للإجهاد في عدد من التغيرات الملحوظة في الحجم والهيئة قد تنتهي بتقليل قسوتها، وتكثفها بالتصدع أو الشقق أو التكسر، وحيث يفيض منها الماء.

وكل من الجبال والمرتفعات الناتجة عن العمليات الأرضية المختلفة يتم بريها بواسطة عمليات التعرية المختلفة، ومنها عمليات النحر الرأسي للمجري المائية، وتكوين كل من المساقط والشرف النهرية، والفتاح العميقة التي تعين على تفجير الماء المخزون تحت سطح الأرض.

رابعاً: الخصائص المائية للحجارة ودورها في تليين قسوتها:

ينزل على الأرض سنوياً ما مجموعه 380,000 كيلومتر مكعب من ماء

المطر، الذي يتبخّر أصلاً من بحارها ومحيطاتها، ومن المسطحات والمجاري المائية على اليابسة، ومن الأنشطة الحيائية المختلفة كتنج النباتات وتنفس وإخراج كل من الإنسان والحيوان.

ويتسرّب جزء من ماء المطر إلى ما تحت سطح الأرض عن طريق كل من التربة، والطبقات المسامية، والحجارة والصخور الممزقة المنفذة للماء.

ويتحرّك الماء المتّجه إلى ما تحت سطح الأرض أولاً في الاتجاه الرأسي بفعل الجاذبية حتى يصل إلى المخزون المائي، ثم يتبع ميل الطبقات المنفذة الحاملة للماء إذا كانت مائلة فيتحرك الماء أفقياً مع هذه الميول حتى يظهر على سطح الأرض مرّة أخرى على هيئة تدفق مائي بشكل من الأشكال التي منها العيون والينابيع، والمجاري المائية المختلفة، والبرك، والبحيرات، والرطوبة الأرضية، والآبار الارتوازية.

ويعتمد ذلك أساساً على معدّل سقوط الأمطار (أو انصهار الجليد في المناطق المكسوة بالجليد)، وعلى نوعية كلّ من التربة والصخور السطحية، وعلى حجم الكساء الخضري في المنطقة، وعلى معدّلات البخر، وعلى غير ذلك من عوامل. وذلك لأنّ أكثر من ثلث ماء المطر النازل على مناطق الكساء الخضري يقع على أوراق الأشجار فيتعرّض للبخر قبل أن يصل إلى سطح الأرض. ويصل نحو الربع من ماء المطر إلى سطح الأرض ولكنّه إمّا يتبخّر، أو يحتبس على هيئة بحيرة داخلية أو سمك من الجليد، أو يتحرّك على هيئة مجرى مائي يفيض في النهاية إلى البحار والمحيطات. وبأقي ماء المطر يتسرّب إلى ما تحت سطح الأرض إذا كانت نوعية كل من التربة والحجارة المكوّنة لسطح الأرض تسمح بذلك. وتلعب جذور النباتات دوراً مهمّاً في المساعدة على تشقق كل من التربة والصخور السطحية، وبالتالي تزيد من قدرتها على خزن الماء.

كذلك تلعب تضاريس سطح الأرض دوراً مهمّاً في خزن الماء تحته. فكلّما كانت التضاريس لطيفة الانحدار، سمح ذلك ببقاء ماء المطر لفترة أطول فوق

سطح أرض المنطقة ممّا يساعد على تشيع كل من التربة والصخور بماء المطر. وعلى العكس من ذلك فإنّه كلما زاد انحدار سطح الأرض قلّت الفرص لتحقيق ذلك.

ويتحرّك الماء المخزون تحت سطح الأرض بفعل الجاذبيّة من المناطق المرتفعة إلى المنخفضات من الأرض، تماماً كما يجري الماء في مختلف مجاريه السطحيّة. أمّا الماء المخزون تحت سطح الأرض فإنه يتأثر بفروق الضغط الداخلي عليه من وزن كمّ الماء الذي يعلوه، ومن ضغوط الصخور المحيطة به. وبزيادة تلك الضغوط قد يتحرّك هذا الماء ضد الجاذبيّة فيفيض مكوّناً عدداً من العيون أو الينابيع أو البحيرات في مستويات عليا من سطح الأرض، أو يتحرّك ليغذي الأنهار. وعلى ذلك فإنّ تحرّك الماء تحت سطح الأرض تحكمه قوانين الجاذبيّة بين نقطتين مختلفتين في المنسوب، وقوانين الأواني المستطرقة بين نقطتين بينهما فارق كبير في الضغط.

وفي الصخور متوسطة النفاذيّة يتحرّك الماء المخزون تحت سطح الأرض ببطء شديد يتراوح بين نصف السنتيمتر، والسنتيمتر ونصف في اليوم الكامل. ويرتفع ذلك المعدل إلى مائة متر في اليوم وسط صخور عالية المسامية والنفاذيّة من مثل الحصي، والصخور الرملية الخشنة الحبيبات، والبازلت الممزق بالشروخ والشقوق. وقد تتدنى حركة الماء وسط الصخور المتبلورة إلى عشرات قليلة من السنتيمترات في السنة، بينما تبلغ سرعة تحرّك الماء الجاري على سطح الأرض إلى مترين في الثانية الواحدة، وذلك في أبطأ المجاري المائية المعروفة.

وبطء حركة الماء المخزون تحت سطح الأرض يمثّل صورة من صور الحكمة الإلهيّة في إبداع الخلق، وذلك لكي يبقى هذا الماء المخزون لأطول مدّة ممكنة في المنطقة التي خزن فيها (وقد يصل ذلك إلى عشرات الآلاف من السنين). وهذا الماء خزن تحت سطح الأرض في وقت كان المطر فيه غزيراً، وكانت المجاري المائية السطحيّة كافية لسدّ حاجات السكان. ولكن بعد تغير

المناخ، وندرة المطر في بعض مناطق الأرض، يبقى المخزون من الماء تحت سطح الأرض هو مصدر الماء الرئيس لساكني المنطقة. ويتغير المناطق المناخية، يبقى المخزون المائي تحت سطح الأرض شاهداً لله - تعالى - بتدبير أمر الكون بعلمه وحكمته وقدرته أبلغ تدبير، وبأعظم تقدير، فسبحان الذي خزنه حتى يحين الأوان لاستخدامه...!!

خامساً: تباين الصفات المائية لتربة الأرض ولحجارتها:

تتباين الصفات المائية لتربة الأرض ولحجارتها بتباين صفاتها الطبيعية، والكيميائية، والميكانيكية. ويشمل ذلك كلاً من المسامية والنفاذية، والخاصية الشعرية، وقدرة حبيباتها على الاحتفاظ بالماء حول كل حبة منها على هيئة أغشية تحيط بها. كما يشمل قدرة كل من حبيبات التربة أو الصخر على التوصيل الحراري، والكهربي، وعلى توصيل الموجات الصوتية، والاهتزازية، وعلى احتواء نسب معينة من الأملاح القابلة للذوبان في الماء أو القادرة على التفاعل معه. ومن ذلك أيضاً درجة اللدونة أو المرونة (Plasticity) لحبيبات التربة أو الصخر، والقدرة على الانتفاخ (Inflation Capacity)، وعلى التشرّب بالماء (Soaking Capacity)، وعلى الانكماش (Shrinking Capacity)، وعلى الهبوط (Subsidence Capacity).

فالحجارة الصلصالية على سبيل المثال يتغير شكلها بتغير كمية الماء المخزون فيها، لأنها تتحوّل من صخور صلبة أو شبه صلبة إلى الحالة المائعة تماماً بزيادة كمية الماء فيها. وبذلك يمكن الحكم على إمكان مقاومتها للأحمال الخارجية، وعلى قدرتها على الثبات فوق المنحدرات أو هبوطها منها.

وتمتدّد المسام الدقيقة لكل من الحجر أو التربة التي تغطيه بعد تشرب كل منهما بالماء يمكن أن ينفخ حجمه، وأن يتغير شكله. فإذا سحب منه الماء انكمش، وتصاحب عملية الانكماش في الحجم عادة بتشقق الحجارة وانفلاقها، فيخرج منها الماء إذا كانت خازنة له بكميات كبيرة.

ويشاهد هبوط كل من التربة والحجارة المكوّنة لسطح الأرض بصفة خاصّة في المناطق التي يضحّ من مخزونها المائي (تحت سطح الأرض) بكميّات مبالغ فيها. ويحدث ذلك في كل من حوض لندن الذي يهبط بمعدّل يتراوح بين ربع المتر ونصف المتر في السنة، وأرض المكسيك التي وصل الهبوط فيها إلى أكثر من عشرة أمتار خلال السنوات القليلة الماضية.

سادساً: تباين زاوية الانحدار للتربة أو للحجارة:

تعتبر قيمة زاوية الانحدار الطبيعي للتربة أو للحجارة المكوّنة لسطح الأرض عاملاً أساسياً لثباتها فوق المنحدرات. ولكلّ نوع من أنواع التربة والصخور زاوية انحدار قصوى إذا تعدّتها فإنّه ينهار فوراً. وتعتمد قيمة هذه الزاوية على نوع التربة أو الحجارة، وعلى كل من تركيبها الكيميائي والمعدني والميكانيكي، وعلى درجة تشبعها بالماء. وتقل قيمة هذه الزاوية بزيادة كل من الرطوبة، وكميّة الماء المخزون في أي من التربة أو الصخر. وإذا وصل أي جزء من التربة أو الحجر إلى زاوية انحداره فإنّه ينهار في الحال، هابطاً من أعلى مناسب سفوح الجبال إلى أخفض مستوياتها.

سابعاً: أنواع الماء المخزون تحت سطح الأرض:

يقسم الماء المخزون تحت سطح الأرض من أعلى إلى أسفل إلى النطق التالية:

1 - نطاق الارتشاح (Vadose Water Zone):

وهو نطاق سطحي رقيق يتراوح سمكه بين نصف متر وعشرة أمتار، ويتسرّب عبره كل من الماء السطحي وماء المطر إلى المخزون المائي تحت سطح الأرض، والماء في «نطاق الارتشاح» طليق، أي: ليس مقيداً، ولكنّه غير ثابت، فيظهر في مواسم الأمطار والفياضانات والرشح الشديد، ويختفي في مواسم الجفاف. والجزء الأكبر من مسام هذا النطاق مشغول بالهواء، ولذا يعرف باسم نطاق التهوية (Aeriation Zone).

2 - نطاق الماء الشعري (Capillary Water Zone):

ويوجد بين نطاق الارتشاح إلى أعلى، ونطاق التشبع إلى أسفل، وتمتلئ مسامه الشعريّة الدقيقة بالماء، والكبيرة بالهواء.

3 - نطاق التشبع (Saturation Zone):

ويتكوّن عادة في الصخور عالية المساميّة والنفاذيّة أو عالية التشقق، وفيها يكون الماء حرّاً غير حبيس، ولكنه قد يكون محصوراً حصراً محلياً (أي في أجزاء من الخزان الصخري). ويمتاز النظام المائي هنا بأنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمستويات الأحواض والمجاري المائية المفتوحة (من مثل الأنهار، والبحيرات، والمستنقعات) المحيطة به، وبأنه موصول بالعوامل الجويّة المحيطة به كذلك. وتوجد أسفل نطاق التشبع عادة صخور غير منفذة أو ضعيفة النفاذيّة للماء تعرف باسم «الصخور الصادّة للماء»، وهي صخور تقل نفاذيتها مئات إلى آلاف المرّات عن نفاذيّة الصخور الحاملة للماء، وذلك لأنّه لا يوجد في صخور الأرض وحجارتها وتربتها ما تنعدم فيه النفاذيّة انعداماً تاماً.

وتتمّ تغذية مخزون الماء في «نطاق التشبع» من كلّ من الأمطار، والأنهار، ومن غير ذلك من المجاري والمسطّحات المائيّة العذبة على سطح اليابسة. وقد يتكوّن النهر ابتداءً من تفجّر الماء من نطاق التشبع، وفي هذه الحالة يقع الخزان المائي في مسار مجرى النهر قريباً من منابعه. وكما يعطي نطاق التشبع الماء للنهر، فإنّه قد يتغذى من مائه، فيصل معدّل التغير في مستوى الماء المخزون بين ثلاثة وأربعة أمتار في فترة فيضان الأنهار الكبيرة الجارية بالقرب من الخزان المائي. والماء في «نطاق التشبع» يتغيّر تركيبه الكيميائي، وكميّاته، ومعدّلات تدفّقه مع الزمن.

4 - الماء الارتوازي (Artesian Water):

وهو ماء حبيس، محصور، يوجد على أعماق كبيرة نسبياً في صخور ذات

أعمار متباينة، عالية المسامية والنفاذية، أو شديدة التشقق. وتحفظ هذه الصخور الحاملة للماء الارتوازي بين نطاقين من الصخور الصادة للماء. وهذه إما يُحفر عليها، أو تظهرها الحركات الأرضية على هيئة أعداد من العيون والينابيع، وقد تتفجر منها الأنهار كذلك. وهذه كلها من الحقائق التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة إلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبدايات القرن العشرين.

من أوجه الإعجاز في الآية الكريمة:

في هذا النصّ القرآني المعجز، يتّضح لنا جانب من جوانب الإعجاز العلمي، والنفسي، والإنبائي/ التاريخي في كتاب الله. وتتّضح روعة التعبير فيه بهذه الدقة العلمية الفائقة، والشمول للحقائق الكونية والإحاطة بها، مع التشخيص الدقيق لدخائل النفس اليهودية المريضة، وفضح قسوة قلوب أصحابها. وفي ذلك يخاطب القرآن الكريم هذه الشرذمة الظالمة الباغية، والمجرمة المعتدية من اليهود القدامى، والمتهودين الجدد قائلاً لهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

[البقرة: 74].

وذلك لأنّ الصخور الخازنة للماء قد تتفجر منها الأنهار كما سبق وأن وضحنا، وذلك بفعل الضغوط الداخلية الهائلة عليها (ومنها ضغط الماء المخزون فيها)، أو بفعل الضغوط الخارجية عليها، أو بهما معاً (ومن أهم الضغوط الخارجية ما يحدثه تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض). لذلك فقد تلبس تلك الحجارة وتتشقق فيخرج منها الماء على هيئة الينابيع، والعيون، والنافورات الطبيعية، والآبار الارتوازية. أمّا قلوب شياطين الإنس من غلاة اليهود القدامى والمتهودين الجدد، وقد طبعت على الكفر والإلحاد والشرك، وعلى كراهية الخلق والحق عليهم، وعلى تحريف الدين وتزييف الحقائق، وعلى الغرور الكاذب

والعلوية المصطنعة - فإنها لم تلن ولن تلين أبداً...!! وليس أدلّ على ذلك من ممارساتهم الوحشية على أرض فلسطين التي اغتصبوها بمؤامرة دولية خسيصة، وظلّوا ينكّلون بشعبها الأعزل على مدى قرن من الزمان أو يزيد، في قسوة بالغة، وفي همجية، ووحشية واضحين...!

ولن يفلت غلاة الصهاينة اللصوص القتلة من العقاب في الدنيا قبل الآخرة، فالأيام دول، وكما تدين تدان...!! ولا بدّ من إزالة كيانتهم الغاصب إن عاجلاً أو آجلاً...!! فأمرىكا لن تبقى حامية لظلمهم وجورهم أبد الدهر، لأن نجمها قد بدأ في الأفول، وسوف تنهار بأسرع ممّا انهار به الاتحاد السوفييتي إن شاء الله - تعالى - . وحينئذ سوف يلقي هؤلاء عقابهم في الدنيا، ولعقاب الآخرة هو أشد وأنكى.

ونحن نستقرئ ذلك كلّ من هذا النصّ القرآني الموجز، والمعجز من سورة «البقرة»، والذي يشهد لكلّ ذي بصيرة بأنّ القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأنّ النّبي الخاتم الذي تلقّاه كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين... والحمد لله ربّ العالمين.

97 - ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: 8].

هذه الآية القرآنية الكريمة نزلت في وصف علاقة المشركين بالمسلمين، والشرك بالله كان ولا يزال من أخطر مداخل الشيطان إلى الإنسان. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»⁽¹⁾ ويروي ابن عباس كذلك: «أن رجلاً صالحين من قوم نوح هلكوا فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عبادت»⁽²⁾. وكانت هذه هي أول وثنية في تاريخ البشرية التي عاشت تنتقل بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الاستقامة على منهج الله والخروج عليه منذ زمن عبد الله ونبية نوحاً ﷺ إلى اليوم، وستبقى كذلك حتى قيام الساعة. والمشركون - وفي مقدمتهم كل من اليهود والنصارى - لا يدركون حقيقة الألوهية، ولا يدينون لله - تعالى - بالعبودية الخالصة، ولا يعترفون بالرسالة الخاتمة، ولا بالرسول الخاتم ﷺ.

ونتيجة لهذا الموقف السلبي للمشركين من دين الله فإن القرآن الكريم يحذر المسلمين من التعاهد مع المشركين لأنهم لا عهد لهم، والتاريخ يؤكد ذلك، وإن غفل عنه الكثيرون، وفي ذلك يقول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ أَشْتَرُوا بِإِيَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: 8 - 10].

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

وهذه الآيات تحوي العديد من ومضات الإعجاز الإنبائي والتاريخي التي يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: في قوله - تعالى - ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8].

يشير هذا النص القرآني الكريم إلى حقيقة أن المشركين إذا كانت لهم الغلبة المادية في أي زمان وأي مكان، فإنهم يفسدون في الأرض ويتجبرون على الخلق، وينشرون المظالم، ويحرّمون الحلال ويحلّون الحرام، حيث لا مانع لديهم من ضمير أو تشريع يحول بينهم وبين فعل تلك المظالم كلها، وأحداث التاريخ تؤكد ذلك وتثبتها ومنها ما يلي:

- 1 - حصار الكفار والمشركين لرسول الله ﷺ ولمن آمن معه من المسلمين في شعب بني هاشم لمدة ثلاث سنوات حتى اضطروا إلى أكل أوراق الشجر (من سنة 619 إلى سنة 622م).
- 2 - مؤامرة كفار ومشركي قريش على قتل رسول الله ﷺ، أو سجنه، أو نفيه حتى اضطروه إلى الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة (سنة 622م) بعد سلسلة طويلة من اضطهاد أصحابه وتعذيبهم بصورة وحشية.
- 3 - تكرار خيانات كل من يهود بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع لرسول الله ﷺ ونقضهم لعهودهم التي قطعوها له، والتآمر مع أعدائه من الكفار والمشركين عليه، ومحاولة قتله وسمّه (صلوات الله وسلامه عليه).
- 4 - استمرار الحملات الصليبية على العالم الإسلامي لحوالي قرنين كاملين (من 1095 إلى 1291) راح ضحيتها ملايين من القتلى والجرحى والمقعدين والأرامل والأيتام، وخسائر مادية لا تقدر بثمن. فقد تمّ خلال هذه الحملات تدمير آلاف من مدن وقرى المسلمين، وكففي في ذلك الإشارة إلى قتل الصليبيين أكثر من ثمانين ألف نفس في ليلة واحدة حين استسلمت مدينة القدس لهم رافعة الرايات البيضاء.

ولا تزال الحروب الصليبيّة مستمرّة إلى اليوم، في موجات متلاحقة من المدّ والجزر، تحت العديد من الأقنعة المستترة والمكشوفة، واستخدمت فيها أقذر الأساليب وأحقر الممارسات. وكانت تلك الحروب هي المقدمات الأولى للاستعمار الغربي لغالبية أراضي المسلمين، ولما تعرّضوا في ظلّه لأبشع صور القمع الوحشي وغير الإنساني الذي يرفضه كل إنسان شريف.

5 - كان الغرب من وراء غارة المغول على بلاد المسلمين، تلك الغارة التي اجتاحوا فيها كلّاً من بلاد خوارزم، وبخارى، وسمرقند، وإيران، والعراق، وبلاد الشام في هجمة همجيّة تخريبيّة تمّ خلالها سقوط بغداد وتدميرها بالكامل سنة (1258م/656هـ)، ولم يوقف تلك الهجمة إلّا هزيمة التتار المغوليين في «معركة عين جالوت» أمام جيوش المسلمين، ثم دخول هؤلاء الغازين في الإسلام (1260م/658هـ).

6 - ثم اشتعلت الحروب الصليبيّة من جديد وكان ذلك بسبب وصول الإسلام إلى رومانيا سنة (1264م/661هـ) على أيدي القوات التركيّة، وبسبب توالي انتصارات دولة الخلافة العثمانيّة على مدى سبعة قرون متواصلة تقريباً (من 1258م إلى 1924م الموافق 657هـ إلى 1343هـ). ونتيجة لذلك أعلن البابا أوجانيوس الرابع قيام حرب صليبيّة جديدة ضد المسلمين في سنة (1443م/847هـ) كان من نتائجها إنهاء حكم المسلمين في الأندلس بعد ثمانية قرون كاملة من الإعمار المادي والروحي والمعنوي. وقد تمّ إخراج المسلمين من بلاد الأندلس بعد سلسلة من المذابح والجرائم المروعة والتي استمرّت إلى سنة (1492م/898هـ)، وراح ضحيّتها مئات الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان، وسجّلت تحت مسمى «جرائم محاكم التفتيش».

ولكن ما لبث السلطان مراد الثاني أن ألحق بالغربيين هزيمة ساحقة في سلسلة من المعارك المتلاحقة توجت بفتح القسطنطينيّة على يد السلطان محمّد الفاتح وجيوشه الباسلة سنة (1453م/857هـ)، ثم فتح بلاد الصرب في سنة

(1458م/863هـ)، وضمّ كل من ألبانيا وبلاد البوسنة والهرسك وضمّ كثير من دول شرق وجنوب أوروبا إلى دولة الخلافة العثمانية، ثم ضمّ بلاد التتار بعد إسلام أهلها طواعية واختياراً. وبسبب هذه الفتوحات الإسلامية المتسارعة شرع البابا (ليو) العاشر في إعداد حرب صليبية سابعة في سنة (1571م/923هـ) انتهت بهزائم منكرة للغربيين.

7 - في سنة (1662م/1073هـ) تجددت الحروب الصليبية بإعلان «نداء الواجب المشترك» الذي يلزم جميع مسيحي العالم بضرورة العمل ضد دولة الخلافة الإسلامية التي عبروا عنها بتعبير (العدو الأوّل للكنيسة). وانبثق عن هذه الدعوة تحالف صليبي يضمّ كلاً من ألمانيا وفرنسا واتحاد الراين والبنادقة. وقد عمل هذا التحالف في السرّ والعلن على إسقاط دولة الخلافة الإسلامية حتى تحقق له ذلك في سنة (1924م/1343هـ) بعد سلسلة من الحروب المتواصلة على الجبهات الشرقية (مع القوات الروسية والصينية)، وعلى الجبهات الغربية والجنوبية (مع الاتحاد الصليبي الغربي). وفي كل هذه الحروب كانت تجاوزات الصليبيين تفوق الخيال في وحشيتها.

وبعد إسقاط دولة الخلافة العثمانية بدأت حملات الاستعمار الغربي والشرقي لاحتلال مختلف أراضي المسلمين بالقوة، والعمل على تغريب المسلمين بإقصاء الإسلام محلياً عن السلطة، وعن مقامات اتخاذ القرار، وتمكين الأقليات الصغيرة والأحزاب الدهرية من كل ذلك.

8 - كانت الحرب العالمية الأولى (والتي استمرت فيما بين 1914/7/28م، 1918/11/11م) والتي راح ضحيتها قرابة العشرين مليون قتيل من العسكريين والمدنيين، وأضعاف هذا الرقم من المشوهين، من إرهابات إسقاط دولة الخلافة العثمانية، واستلاب أرض فلسطين من أيدي أصحابها وتسليمها للصهاينة الغرباء. ففي تواريخ متفرقة من شهر مايو (سنة 1916م) بدأت كل من بريطانيا وفرنسا في وضع اللمسات النهائية لاتفاقية «سايكس - بيكو» (The Sykes-Picot Agreement) التي كان ممثل بريطانيا فيها «مارك

سايكس» أحد خبراءها في الشؤون التركية، ومثل فرنسا فيها «جورج بيكو» القنصل الفرنسي في بيروت. وقد نصت هذه الاتفاقية على تقسيم المنطقة العربية المعروفة باسم «الهلال الخصيب» إلى ثلاث مناطق: تحتل فرنسا إحداها، (وتشمل كلاً من سوريا ولبنان)، وتحتل بريطانيا المنطقة الثانية (وتشمل كلاً من العراق وشرق الأردن)، بينما تخضع المنطقة الثالثة وهي الأراضي الفلسطينية لإشراف دولي خاص تمهيداً لتسليمها للصهاينة.

وبإيعاز من بريطانيا أعلن في سنة (1917م) بدء الثورة العربية في محاولة لزلزلة دولة الخلافة العثمانية التي تم إسقاطها في سنة (1924م). وعندما دخلت القوات البريطانية إلى القدس في ديسمبر سنة (1917م) قال قائد تلك القوات الجنرال «إدمون ألنبي» (Edmon Allenby) قولته المشهورة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية». وبالمثل فإن الجنرال الفرنسي «هنري جورو» (Henri Gauraud) عندما دخل إلى دمشق قام بركل ضريح البطل الإسلامي العظيم «صلاح الدين الأيوبي» بقدمه وهو يصيح قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين... فأين أحفادك منك؟!». وقد تم تعيين هذا «الجورو» مندوباً سامياً لفرنسا على كل من سوريا ولبنان في الفترة (من 1919 إلى 1923م) فأفسد فيهما إفساداً كبيراً.

وفي سنة (1917م) قامت الثورة الشيوعية في روسيا بأيدي الحركة اليهودية الماسونية العالمية التي حاربت الدين الإسلامي في ظل محاربة كل المعتقدات السماوية. وقام الشيوعيون بفضح اتفاقية «سايكس - بيكو» نكايه في كل من بريطانيا وفرنسا.

وفي 2/11/1917م أصدرت الحكومة البريطانية «وعد بلفور» اللعين الذي وجهه وزير خارجية بريطانيا آنذاك آرثر جيمس بلفور (Arthur James Belfore) إلى ليونيل روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية.

9 - بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، والتي راح ضحيتها أكثر من 55 مليون قتيل، وملايين المقعدين والمشردين والأرامل والأيتام، وبعد تدمير أهم

عواصم العالم ومدنه التي كان في مقدّمتها كل من مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين - بدأت موجة تململ الدول المحتلّة من نيران الاستعمار. ونتيجة لهذا التملل بدأت حركات التحرر الوطني التي راح فيها ملايين الضحايا، والتي انتهت بانسحاب المستعمرين الغربيين والشرقيين على مراحل من المماطلة، وذلك من غالبية الدول التي كانوا قد احتلوها بالقوة، والتي كان في مقدّمتها غالبية الدول المسلمة. وما كادت هذه الدول أن تلتقط أنفاسها حتى ظهرت المؤامرة الغربيّة بغرس الكيان الصهيونيّ الغريب في قلب المنطقة العربيّة ودعمه عسكرياً ومالياً وسياسياً بلا حدود، حتى يكون موطئ قدم للغرب في المنطقة، ووسيلة من وسائل إثارة القلاقل والفتن والحروب فيها باستمرار. وجرائم الصهاينة على مدى أكثر من نصف قرن على أرض كل من فلسطين والمنطقة العربيّة المحيطة بها والبعيدة عنها هي أكثر من أن تحصى في هذه العجالة، ولا تزال تلك الجرائم الصهيونية مستمرة إلى اليوم بشراسة لا توصف بكلمات، ومنها تقسيم كل من العراق والسودان، والصومال، والإبادة البشرية والمادية للشعب السوري، والفوضى في البحرين وغيرها.

10 - ثم تجددت الغارة الصهيونية/ الصليبيّة على المسلمين فوق أراضي البلقان حين طالب كلّ من المسلمين والكروات المسيحيين بالاستقلال عن الحكومة اليوغوسلافية التي يتحكّم فيها الصرب، وذلك في استفتاء تم في مارس 1992م. وفي أغسطس من نفس العام قامت القوات الصربيّة - بمساعدة العديد من الدول الأوروبيّة - باحتلال 70% من مساحة البوسنة والهرسك، واحتلّ الكروات 20% من مساحة هذه البلاد المسلمة، وحاصروا المسلمين في الـ 10% الباقية لهم من أراضيهم في عملية تطهير عرقيّ بشعة في قسوتها وانعدام إنسانيّتها، وذلك في قلب أوروبا التي تدّعي لنفسها أنّها قارة متحضّرة. وقد دُمّرت أراضي البوسنة والهرسك في أثناء هذه الغارة الصهيونية/ الصليبيّة الجديدة، وتم العديد من عمليات القتل والإبادة الجماعيّة، والاعتداءات الجنسيّة على أهلها بدرجة تقشعر لها الأبدان.

وبعد أن استجار العالم من ذلك الظلم البين تدخلت قوات الأمم المتحدة في أواخر سنة 1992م من أجل حفظ ماء الوجه. ولكن هذه القوات الدولية والتي كانت غالبيتها أوروبية تخلّت عن الذين دخلت لحمايتهم بعد أن جرّدتهم من سلاحهم بدعوى إعلان المناطق التي حشد فيها المسلمون في كل من «سرايفو»، و«جورازدة» و«سربرنيتسيا» مناطق واقعة تحت حماية الأمم المتحدة. وبعد ذلك مباشرة قام مجرمو الصرب بدفن قرابة عشرة آلاف شيخ وامرأة وطفل وشاب في مدينة «سربرنيتسيا» أحياء بعد سلسلة من التعذيب والاعتصاب والإرهاب فاقت كل وصف، وتمّ ذلك تحت سمع وبصر قوات الأمم المتحدة.

11 - وتجددت الحروب الصليبية/ الصهيونية مرّة أخرى في حربي الخليج العربي الأولى والثانية بمؤامرات قوى الشرّ في العالم الغربي وذلك بقيادة كلّ من الولايات المتحدة وبريطانيا وحلفائهما. فقد دفعوا إلى المنطقة العربية بأكثر من مليون ونصف المليون جندي مزوّدين بأحدث ما أنتجت مصانع السلاح التقليدي وغير التقليدي من أدوات القتال، وذلك في هيئة احتلال عسكري جديد لأراضي المسلمين. وفي هذه المؤامرة الصهيونية الصليبية الجديدة تمّ احتلال أراضي العراق سنة 2003م، وقد سبق ذلك عدد من غزوات مشابهة لأراضي كلّ من أفغانستان والصومال وجنوب السودان.

وفي كل الأحداث والمواقع التي انتصر فيها أهل الكفر والشرك والضلال على المسلمين، لم يرقبوا فيهم إلّا ولا ذمّة، تماماً كما تصف الآية الكريمة التي نحن بصددّها. وتكفي هنا الإشارة إلى ما نفّذه العسكريّون الأمريكيّون في كل من سجون «جوانتانامو»، والعراق، وأفغانستان، وغيرها من سجون الدول التي تتحكّم الولايات المتحدة الأمريكيّة في سياستها. كما تكفي الإشارة إلى ما حدث من العسكريين البريطانيين في سجون ومعتقلات البصرة، والعمارة والشعبية، وفي سجون غيرها من مدن جنوب العراق. وهذا يعكس حجم الوحشيّة التي يتّصف بها الغربيّون، وحجم الكراهيّة التي يكتّون للإسلام والمسلمين. وهذا كلّ لما يعجز

القلم عن وصفه، وما يصم الحضارة الغربية بخلوها من أبسط قواعد الدين والأخلاق والإنسانية والرحمة. وفي المقابل فإنَّ سلوك الغربيين طوال هيمنتهم على العالم يصف كل ما ورد من مسميات يتشدقون بها كذباً، من مثل حقوق الإنسان، واتفاقيّة جنيف، وقرارات محكمة العدل الدوليّة، ولجان تقصّي الحقائق في جرائم الحرب، يصف ذلك كلّه بمجرّد حبر على الورق، لا يحظى بشيء من الاحترام أو التقيد بالقوانين أو الأعراف الدولية أمام آلة الحرب الغربيّة الوحشيّة الهمجية.

وإنَّ جرائم السجون، (وفي مقدّمها جرائم سجن «أبو غريب» في العراق) والتي سرّبت إلى وسائل الإعلام سنة 2004م، هي قطرة من جرائم الغربيين، سوف تبقى وصمة عار على جبين كل غربي إلى يوم الدين. ويزيد هذا العار الغربي عاراً بعد اعتراف المجرمين الذين قاموا بالتعذيب بأنهم قاموا بذلك تنفيذاً لأوامر عليا من قياداتهم العسكريّة والسياسيّة. وبعد أن كشف مدير عمليّات اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر الدولي عن وجود عمليّات تعذيب واسعة النطاق متجاوزة حدّ البشاعة في كل السجون التي تديرها قوات الاحتلال الأمريكيّة والبريطانيّة في الأراضي العراقيّة لم تتوقف هذه الممارسات. ولم تكن هذه الانتهاكات لكرامة الإنسان مقصورة على سجون «أبو غريب» و«البصرة» و«الشعيبة» التي تسرّبت إلى وسائل الإعلام بعض صور التعذيب الوحشي فيها بعد عام واحد من اجتياح القوات الأمريكيّة وقوات المتحالفين معها للأراضي العراقيّة، بل كان هذا السلوك المقرّر للأبدان هو السمّ العام لسلوك الغزاة الغربيين في كلّ مكان احتلّوه. ويؤكّد ذلك ما أوضحه مسؤول اللّجنة الدوليّة للصليب الأحمر خلال مؤتمر صحفي عقد في جنيف حيث قال: إنَّ عمليّات التعذيب الوحشي للسجناء العراقيين ليست حالات محدودة، بل هي أسلوب منهجي ينفذ على نطاق واسع بأساليب غير إنسانيّة، مذلة ومهينة لكرامة الإنسان، وبتعليمات عليا من القيادات العسكريّة والسياسيّة للدول الغازية.

وكان في قيام جنود وضباط أمريكيين بتدنيس المصحف الشريف في سجون

جوانتانامو، وفي كل من الولايات المتحدة وأفغانستان، وبالاعتداء على الأعراض في سجون كل من هاتين الدولتين، وبطباعة كتاب مزيف يسمونه باسم «الفرقان الحق» كذبوا فيه على الله، وزيفوا الحق على المسلمين، وقاموا بتوزيعه في الدول المسلمة، ثم قاموا بمحاولات عديدة للنيل من شخص رسول الله ﷺ في كل وسائل الإعلام الغربية، كان في كل ذلك ما يؤكد أنّ الحملة هي ضد الإسلام كدين، وضد المسلمين كأمّة في مختلف أنحاء العالم، ويوضّح ذلك كله وجه الإعجاز الإنبائي في قوله - تعالى - : ﴿لَا يَرْفُؤُا فَيْكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ﴾ [التوبة: 8].

ثانياً: في قوله - تعالى - : ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَأَبْنَى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: 8]:

على الرّغم من هذا التاريخ الطويل من تعديت الغربيين على المسلمين، وهو التاريخ المليء بالمصادمات الدموية، والعلاقات غير الإنسانية من قبل هؤلاء المشركين تجاه المسلمين، فإنّ زعماء الغرب وكتّابه ومفكره ظلّوا يرددون الدعوة الباطلة بأنهم لم يحتلوا العالم الإسلامي إلا من أجل تحديثه، وفرض قيم جديدة للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان فيه، وإقامة نظم جديدة في الاقتصاد وسلوكيات جديدة للإنسان المسلم.

والمتملّ في هذا المخطط الغربي الشيطاني يدرك بغير عناء أنّ الهدف الحقيقي من ورائه كان إخراج أمة الإسلام من دينها، وتغريبها عن أصلاتها وحضارتها وقيمها، وإخضاعها الكامل للثقافة الغربية، وإذابتها في بوتقة تلك الثقافة - التي على الرّغم من تقدّمها العلمي والتقني المذهل - فإنها قد تحللت أخلاقياً، ودينياً، وسلوكياً بشكل يجعلها تتأكل اليوم من داخلها. وكان من وراء المخطط الغربي في محاولاته لفرض القيم الغربية على العالم الإسلامي هو جرّ هذا العالم إلى هوة السقوط الديني والأخلاقي والسلوكي التي انهارت مجتمعات الغرب في أحوالها، حتى لا تكون أمه هي أربي من أمه.

وكذلك كان الهدف من وراء إكراه المسلمين على نظم اقتصادية محددة محورها الربا المحرم هو حماية مصالح الغرب المادية على حساب مصالح

المسلمين، وابتزازهم، واستنفاد ثرواتهم بغير حق. ومن تلك الأهداف الغربية الخبيثة أيضاً كان العمل على مزيد من تفتيت العالم الإسلامي حتى يسهل إضعاف المسلمين في ظلّ عالم التكتلات الذي نعيشه فلا تقوم لهم قائمة. وفي ظل فرقة المسلمين، وتغريبهم، وتخلفهم، تبقى الغلبة الماديّة في المنطقة العربية بيد الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، والذي زرعه الغرب في قلب العالم العربي بالقوّة، ودون أدنى سند شرعي أو قانوني أو عرقي أو ديني أو لغوي. ويفعل الغرب ذلك انتقاماً لهزيمته في الحروب الصليبية، مع ادّعاءات عديدة بمحاولة إقامة العدل في المنطقة. وصدق الله العظيم الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق: ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: 8]، وهو وجه من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله.

ثالثاً: قوله - تعالى - ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِئُونَ﴾ [التوبة: 8]:

تشير الإحصائيات إلى انهيار مؤسسة الأسرة في كثير من المجتمعات الغربية، وحلّ محلّها ما يعرف باسم المعاشرة المشتركة (Co-habitation)، وهي علاقة جنسيّة بغير أية روابط أو ضوابط دينيّة، أو قانونيّة، أو إنسانيّة، أو أخلاقيّة، وهي زنا معلن تحت مسمى الحرية الشخصية. وفي ظل هذه العلاقة المحرّمة يحرص الطرفان على عدم الإنجاب بسبب عدم استقرار تلك العلاقة. وإذا حدث إنجاب فإنّ غالبية الأبناء لا يعرفون لهم أباً، وفي ظلّ هذه العلاقات المضطربة انتشر الشذوذ الجنسي، وشرّعت له الحكومات الغربية كلها، وبلا استثناء، فسمحت بزواج الأمثال، كما سمحت بالتبني لمثل هذه البيوت المنحرفة عن الفطرة السويّة، ولهذه الأوساط العفنة الشقيّة. وبالطبع لا يمكن وصف نفسيّة الطفل الذي ينشأ في بيت سوء كهذا الوسط الشاذ. وفي غياب الأسرة انتشرت كل الفواحش، والفتن، والجريمة، والإدمان على كل من الخمر والمخدرات. كذلك انتشر القمار والرّبا، وسادت أخلاقيات المصلحة الماديّة البحتة، والعيش بالمبادئ الشخصية أيّاً كانت مستوياتها. وساد أيضاً اقتراف كل الأخطاء بدعوى الحرية الشخصية حتى لو أدى

ذلك إلى الإساءة إلى الآخرين، فانتشرت المظالم، وأبيحت المحرمات، وسادت التجاوزات، وتعددت المعاصي التي تستوجب غضب الخالق ﷻ ونزول عقابه... وفي وصف هذه المجتمعات المتحللة من كل قيمة أخلاقية جاء قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِئُونَ﴾ [التوبة: 8].

ولا أجد وصفاً أبلغ من هذا الوصف الإلهي الذي ينطبق على أهل المجتمعات غير المسلمة المعاصرة انطباقاً دقيقاً، والسبق بالإشارة إلى ذلك هو من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِئُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة: 8].

وبيّن القرآن الكريم أنّ العبد من بني آدم إذا استسلم لغواية الشيطان فأشرك بالله، وتاه عن حقيقة التوحيد الخالص لله الخالق، فإنه يفقد إنسانيته، كما يفقد إمكانية تحقيق رسالته في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله الذي خلقه لرسالة محددة، وهي رسالة ذات وجهين: أولهما: عبادة الله - تعالى - بما أمر، وثانيهما: حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض بعمارته وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وإذا فقد الإنسان ذلك صار وحشاً كاسراً، ومخلوقاً فاسقاً، منافقاً، تائهاً، لا يعرف لحياته هدفاً، ولا لوجوده رسالة إلا الإفساد في الأرض، والبطش بالخلق، وخيانة العهود والمواثيق معهم، وهو ما تؤكده الآيات في سورة «التوبة» التي تستمر محذرة المؤمنين من المشركين فتقول:

﴿أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ [التوبة: 9، 10].

وهذه الآيات الثلاث من سورة «التوبة» (8 - 10) تلخص علاقة المشركين بالمؤمنين عبر التاريخ، في ومضات من الإعجاز الإنبائي والتاريخي تؤكد لكل ذي بصيرة بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

98 - ﴿لَا يُقْبَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْىٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ

شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ سَنَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: 14].

تكشف هذه الآية الكريمة عن طبيعة النفسية اليهودية المريضة التي سبق وأن أشرنا إلى شيء من أمراضها، فقد برع اليهود في التعصب الأعمى ضد كل من هم سواهم بصفة عامة، كما برعوا في تدبير المؤامرات، ونقض المعاهدات، وتزييف التاريخ، وتحريف الدين، والافتراء على رب العالمين، وعلى كتبه وأنبيائه ورسله. كذلك برع اليهود في تربية ناشئتهم على كراهية الأغيار، والاستعلاء الكاذب عليهم، والتأمر على مصالحتهم، والخوف الدائم منهم، ولذلك عاشوا مكروهين، محترقين عبر تاريخهم الطويل. وقد أفاض القرآن الكريم في وصف أساليب السلوك اليهودي الذي صاغ تلك الشخصية المتأمرة، الخفية عبر التاريخ. ولذلك كان خوفهم من الأمم المحيطة بهم شعوراً مسيطراً دوماً عليهم، فعاشوا وراء القرى المحصنة، والجدر المرتفعة، والموانع والعوائق المتعددة، أو في حوار وأزقة معزولة، وأحياء مغلقة [عُرفت باسم الجيتوات اليهودية (مفردها جيتو = Ghetto) أو باسم حارات اليهود (مفردها حارة)] كأقليات منبوذة مكروهة، محترقة من جميع أبناء الأمم التي عاشوا بينها.

وقد يتخيل البعض أن في تكدس اليهود في أحياء أو حارات منفصلة عن مساكن غيرهم من البشر ما يوحي بشيء من الود أو التراحم بينهم، ولكن الحقيقة أن اليهود فرّق متناحرة، متباغضة ومتخاصمة فيما بينها، ولا يجمعها ظاهرياً إلا كراهية أهل الأرض جميعاً لليهود بصفة عامة.

من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في الآية الكريمة:

أولاً: - قرى اليهود المحصنة وجدرهم العالية في القديم:

في قوله - تعالى - ﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...﴾ ما يؤكد في القديم والحديث. فقد جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر «أشعيا» وهو أحد أسفار «العهد القديم» إشارات عديدة إلى نقب الأسوار، وإلى هدم البيوت لتحسينها، ووضع خنادق بين سورين وملئها بمياه البركة العتيقة، وهذا هو نفس ما يقوم به المحتلون الصهاينة لأرض فلسطين اليوم.

وجاء في الإصحاح السابع والثلاثين من السفر نفسه إشارات إلى تخريب مدن محصنة حتى تصير روابي خربة.

وجاءت أحداث كل من يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر، وأحداث غيرهم من هؤلاء اللصوص المدعورين مؤكدة هذا الوصف القرآني المعجز للنفسية اليهودية المريضة. وقد اشتهر اليهود عبر التاريخ بالبخل الشديد، وبالحرص الزائد عن الحد في حب التملك والهيمنة على الدنيا، وبالإغراق في التعامل بالربا، والبراعة في الخداع والغدر والمساومة، وبالخوف المرتعد من الموت. ولذلك اهتموا بتحسين قراهم وبناء الحصون المنيعة. ومن أسباب ذلك كثرة ذنوبهم، وآثامهم، ومؤامراتهم، وخياناتهم، ومبارزتهم الخلق بمختلف صنوف المعاصي، وعدم إيمان غالبيتهم بالبعث والحساب والجزاء، لذلك فإن اليهود لا يقاتلون أعداءهم أبداً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر. ولذلك أيضاً وصفهم القرآن الكريم بالمبالغة في الحرص على الحياة، وقد مثل اليهود ركازة الكفر عبر التاريخ، فقد كفروا بالله على عهد موسى ﷺ فعبدوا العجل، وكفروا بأنبيائهم من بعد موسى فقاتلوهم وقتلوهم، وكفروا بعبد الله، ورسوله عيسى فأغروا الرومان، به، وشوهوا صورته، ونالوا من شرفه ومن عرض أمه الصديقة (شرقها الله) وحرّفوا رسالته. كذلك كفرت غالبية اليهود برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - فحاولوا قتله وسّمه (كما سبق وأن أشرنا)، ولكن الله - تعالى - حفظه، وآلّبوا عليه أهل الكفر

والشرك والضلال، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وحاولوا الدسّ عليه وعلى رسالته ولكن الله - تعالى - قد تعهّد بحفظها فحُفظت.

ثانياً: - قرى اليهود المحصّنة وجدرهم العالية في العصر الحديث:

1 - قبل نكسة يونيو 1967م:

- بتاريخ (29 - 31) أغسطس سنة 1897م عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأوّل في مدينة بازل بسويسرا، وقرّر إنشاء المنظّمة الصهيونيّة العالميّة، والمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين العربيّة المسلمة.
- وبتاريخ 2/11/1917م، أصدرت الحكومة البريطانيّة وعد بلفور اللّعين.
- وبتاريخ 24/7/1922م أقرّ مجلس عصبة الأمم المتّحدة مشروع صكّ الانتداب البريطاني على أرض فلسطين من أجل تسهيل هجرة اليهود والمتهودين من جميع دول العالم إلى هذه الأرض المباركة. وقد قامت القوات البريطانيّة المحتلّة لأرض فلسطين بتمكين المهاجرين اليهود من تلك البلاد، دون وجه حق.
- وبعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية بستتين (أي في سنة 1947م) أصدرت الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرارها الجائر (رقم 181) والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة عربيّة وأخرى يهوديّة.
- في 15/5/1948م أعلنت الحكومة البريطانيّة انتهاء انتدابها على أرض فلسطين وانسحابها منها، إلّا أنّها لم تنسحب عملياً إلّا من المناطق التي سلّمتها إلى اليهود والمتهودين، وكان فيها: جميع المعسكرات البريطانيّة بكامل معدّاتها وأسلحتها وقواعدها الإستراتيجيّة. كذلك قام البريطانيون بتسليم كل أجهزة الدولة إلى اليهود المستوردين، بالإضافة إلى المستعمرات المحصّنة تحصيناً رهيباً بالأسوار، والجدر، والخنادق، والأسلك الشائكة، وحقول الألغام، فأعلن الصهاينة قيام دولة لهم على أرض فلسطين فور مغادرة المندوب السامي البريطاني لميناء حيفا. وعلى الفور تسابقت الدول

الكبرى على الاعتراف بدولة الصهاينة غير الشرعية، وكان في مقدمة المعترفين بها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي.

2 - بعد نكسة يونيو 1967م:

- في صباح الخميس الخامس من يونيو 1967م، وبموافقة الولايات المتحدة الأمريكية، قام سلاح الجو الصهيوني بهجوم مباغت على جميع المطارات العسكرية والمدنية في كل من مصر وسوريا والأردن. ووسط هول المفاجأة، تم احتلال كل فلسطين، وشبه جزيرة سيناء بأكملها، والمرتفعات السورية، ومساحات كبيرة من غرب الأردن.

- وبتاريخ 27/6/1967م صدر قرار من الكنيست بضمّ النصف الشرقي من مدينة القدس (القدس الشرقية) إلى الكيان الصهيوني، واعتبارها عاصمة موحدة لهذا الكيان الغريب.

وعلى الرغم من وقوف أغلب دول العالم من وراء هذه المظالم، ووجود قناة السويس كمانع مائي يصعب عبوره إلا أنّ نفسية اللص السارق للأرض، وطبيعة الجبان الخائف من الموت دفعتهم إلى إقامة «خط بارليف» على طول الضفة الشرقية لقناة السويس كمانع حصين ليس له مثل في العالم. وأقيم هذا الخط في قلب سائر ترابي يتراوح ارتفاعه من ستة إلى ثمانية عشر متراً بطول الضفة الشرقية للقناة. ومن وراء ذلك إلى الشرق يوجد خط المضائق الجبلية، وكل من «هضبة العجمة» وخليج السويس إلى الجنوب، كما يوجد البحر الأبيض المتوسط إلى الشمال. وعلى الرغم من كل ذلك قام الصهاينة بإقامة عدّة نقاط حصينة في جوف هذا السائر الترابي الضخم يبلغ عددها 22 موقعاً حصيناً، تضم 31 نقطة عسكرية قوية تبلغ مساحة كل منها أكثر من أربعة آلاف متر مربع على هيئة منشأة هندسية معقدة وغائرة في الأرض، وترتفع حتى تصل إلى قمة السائر الترابي. وتتكوّن كل واحدة من تلك المنشآت العسكرية من عدّة طوابق خرسانية مسلّحة بقضبان السكك الحديدية وألواح الحديد الصلب. وكل طابق مفصول عن الذي يليه بطبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلّحة، والأتربة والأحجار، وشكائر الرمال،

وسبعة صفوف من البلاطات الخرسانية فوق بعضها البعض، ثم طبقة أخيرة من الردم السميك، وسور من الأسلاك الشائكة وصناديق معبأة بالحجارة.

ويصف ثلاثة من قادة حرب رمضان المجيدة، هم اللواءان حسن البدري وطه المجذوب، والعميد أركان حرب ضياء الدين زهدي، في كتابهم المعنون «حرب رمضان وصفاً موجزاً لأحد هذه الحصون، وهو المعروف باسم «موقع الكيلومتر 10» جنوب بورفؤاد جاء فيه ما يلي:

«يلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقاً من الأسلاك الشائكة التي تفصل بينها حقول ألغام كثيفة، أما من الغرب فتوجد ثمانية نطق من تلك الأسلاك الشائكة المفصولة بحقول الألغام، والحصن مزود بأجهزة الإنذار، والشراك الخداعية، ويرتفع الساتر الترابي أمام الحصن إلى (18) متراً، ويحيط به من جميع الاتجاهات، ويقع بداخل الحصن الكثير من الدشم والملاجئ والأسلحة الصغيرة، والرشاشات المتوسطة والثقيلة المبنية في جسم الساتر الترابي على طول محيط الحصن».

«ويصل عدد الملاجئ للأفراد والمعدات الثقيلة إلى (24)، ودشم الرشاشات إلى (26)، ودشم الأسلحة المضادة للطائرات إلى (4) بالإضافة إلى عدد من مصاطب الدبابات، والأسلحة المضادة للدبابات».

«وملاجئ الأفراد مصممة لمقاومة جميع الأسلحة دون الذرية منها، وبها كل وسائل التهوية والتدفئة والإضاءة، والاتصال التليفوني، والتطبيب والتمريض والإسعافات اللازمة، والإعاشة، والترفيه، والتخزينات التي تكفي المدافعين عنها لأشهر طويلة من الحصار إذا حوصرت».

«وترتبط جميع الدشم والملاجئ بخنادق عميقة. وهذه الملاجئ مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية، وغازات الحرب».

«ويخرج من الحصن مواسير ضخمة تتصل بخزانات وقود خاصة في الخلف

وتخترق الساتر الترابي لتلامس صفحة الماء في قناة السويس لتحويلها إلى كتلة من نار تصل درجة حرارتها إلى 700 درجة مئوية لا تبقى ولا تذر».

ويذكر الكتاب أن هذا وصف موجز لحصن واحد من اثنين وعشرين حصناً امتدّت على طول القناة أي: لمسافة (175 كيلومتراً).

ولم تكتفِ عصابات الجيش اليهودي الجبان بجدار خط بارليف، ويخط المضايق الجبلية إلى الشرق منه، فأقامت بينهما خطّين دفاعيين آخرين يقع الأوّل على مسافة (300 - 500م) ويقع الثاني على بعد (3 - 5 كم) من القناة، وقد أنشئ هذان الخطان بنفس مواصفات الخط الأول.

وقد استطاع جيش مصر الباسل تدمير كل تلك التحصينات المنيعة في ساعات معدودة، وفرّ الجبناء كالجرذان المذعورة، ولم تنفعهم حصونهم المنيعة.

3 - إنشاء جدار أمني إسرائيلي على أرض فلسطين المحتلة:

- في شهر مايو 2001م قامت القوات الإسرائيلية المحتلة لأرض فلسطين باجتياح الضفة الغربية، وأصدرت حكومة هذا الكيان الغاصب قرارها الغاشم بإقامة منطقة عسكرية عازلة بينها وبين الفلسطينيين، سميت باسم «الجدار الأمني الإسرائيلي». وقد صمّمت هذه المنطقة العسكرية العازلة بتحصينات بالغة لتمتد على طول الخط الأخضر مع تعديلات عديدة يتلح بها اللص الصهيوني أكثر من 58% من مساحة الضفة الغربية. وبهذه المنطقة المسروقة مائة وثمانون ألف دونم من أجود الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى مناطق عديدة تتميز بوفرة المياه تحت سطح الأرض، وعشرات القرى الفلسطينية. وقد تم تصميم هذا الجدار بغض النظر عما سوف يسببه من تمزيق للمدن الفلسطينية وتحويلها إلى كتونات معزولة محاصرة، ومن تدمير النسيج الاجتماعي لشعب فلسطين. ثم قام المستعمر المحتل بإنشاء عدد من المستعمرات على أراضي الضفة الغربية المغتصبة ليزيد من تمزيق الأراضي الفلسطينية بواسطة الجدار الأمني، محولاً الأراضي المغتصبة إلى

8 مناطق معزولة، ومحاصرة، 14 جيتو يهودي محاطاً بأكثر من 46 حاجزاً عسكرياً، 126 طريقاً مغلقاً. وكان كل ذلك الكيد من أجل الحيلولة دون إقامة أية دولة فلسطينية في المستقبل القريب.

- وفي 23/6/2002م بدأ الصهاينة المحتلون لأرض فلسطين في بناء هذا الجدار الإسمتي بارتفاع ثمانية أمتار، ويعد من الأبراج المرتفعة التي تعلوه على مسافات متقاربة، والمزودة بآلات تصوير للمراقبة. وأحاطوا هذا الجدار بمنطقة عازلة يتراوح عرضها بين (50 و60م) تضم في الجانب الفلسطيني حاجزاً من الأسلاك الشائكة، وخندقاً يصل عمقه إلى أربعة أمتار، ثم طريقاً غير معبد لدوريات الجيش المحتل. ويشرف على هذا الطريق سياج من الأسلاك الشائكة بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف المتر مزود بأجهزة رادار كاشفة. وعلى الجانب الآخر من الجدار أقيم حاجز من الأسلاك المزودة كذلك بآلات تصوير للمراقبة. ويقدر أن يصل طول الجدار بتعرجاته المختلفة إلى ألف كيلومتر، وقد تم حتى اليوم بناء 128 كيلومتراً فقط منه.

وكما انهار جدار «خط بارليف» في ساعات محدودة تحت أقدام أبطال الجيش المصري فسوف يهدم أبطال الانتفاضة الفلسطينية هذا الجدار إن شاء الله - تعالى - في القريب العاجل. ولن يكون في بناء هذا الجدار حماية للغاصب المحتل كما لم يغن عنه «خط بارليف» ففرّ منه جنوده كالجرذان المدعورة بعد ساعات محدودة من اقتحامه في سنة 1973م.

وهنا يتضح وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في التعبير القرآني الذي يصف النفسية اليهودية والتمهودة الجبانة بقول الحق - تبارك وتعالى - عنها مخاطباً عباده المؤمنين:

﴿لَا يُقِيلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].

ثالثاً: في قوله - تعالى - : ﴿بِأَسْمِهِمْ يُبْنَهُمْ شَدِيدًا تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ :

يتخيل كثير من الناس أن يهود العالم شيء واحد، والحقيقة أنهم فرق متعارضة، متباغضة، متناحرة، ومتخاصمة فيما بينها، ولا يجمعها ظاهرياً إلا كراهيتهم لكل من هو غير يهودي، وكراهية أهل الأرض جميعاً لهم لعلويتهم الكاذبة وتآمرهم الخسيس على غيرهم من بني آدم، الذين يسمونهم باسم الأميين أو الأميين، أو الأغيار أو الجويم.

وفيما يلي نذكر عدداً من فرق اليهود والاختلافات بينهم في العقائد والعبادات :

1 - السامريون (The Samaritans) :

وهؤلاء هم يهود السامرة (نابلس) الذين لم يرحلوا عنها بعد تدمير مملكتهم سنة (722 ق.م.)، يكفرون كل من داود وسليمان عليهما السلام، ويعتبرون جبل صهيون قاعدة للكفر، ولذلك هم ليسوا بصهاينة، ولا يعظمون بيت المقدس، ولا حرمة له عندهم. وقد انقسم السامريون إلى فرقتين هما: «الدوستانية» (الكاذبة) و«الكوستانية» (الصادقة). والسامريون يلقون من الصهاينة ما يلقاه الفلسطينيون من الاضطهاد، وهم لا يمثلون اليوم سوى فرقة صغيرة من فرق اليهود، يبلغ عدد أفرادها أقل من ألف، يعيش منهم في نابلس حوالي (325) فرداً.

والسامريون قبلتهم جبل مجاور لنابلس اسمه جبل «جرزيم»، ويعتقدون في قدسية نابلس، ولا يعترفون لمدينة القدس بأية قدسية، كما لا يعترفون بالتوراة التي يحملها غيرهم من يهود اليوم لأن لهم توراتهم الخاصة بهم. وتوراة السامريين مكتوبة باللغة العبرية القديمة، وتشمل الأسفار الخمسة الأولى فقط من العهد القديم، وتختلف عنها في نحو ستة آلاف (6000) موضع، وبعض السامريين يضيف إلى الأسفار الخمسة «سفر يوشع بن نون».

و«السامريون» لا يعترفون بما يسمى باسم أنبياء بني إسرائيل، ولا يقرون إلا بنبوة كل من موسى، وهارون، ويوشع بن نون، ونبوة نبي واحد يأتي من بعد موسى، يحكم بالتوراة ولا يخالفها (ولعل المقصود بذلك هو سيدنا محمد ﷺ). وهم يؤمنون بعودة المسيح المنتظر (ويسمونه الماشيح)، ولكن لا يؤمنون بالبعث، ويسمون إلههم باسم «إل» خلافاً لسائر اليهود. ولغة العبادة عند السامريين هي العبرية السامرية. والسامريون لا يأكلون من طعام غيرهم، ويعظمون يوم السبت (والصلاة فيه للرجال دون النساء)، ويحرمون الحناء، ويلزمون النساء بغطاء للرأس عند الكبر. والمرأة عندهم تعزل طوال مدة دورتها الشهرية، وعندما تنجب تعزل (42) يوماً إذا كان مولودها ذكراً، (80) يوماً إذا كان مولودها أنثى. والصيام عند السامريين يوم كامل (24 ساعة) ويجب حتى على كل من المريض والطفل المفطوم عن الرضاعة.

2 - الزادوكيون (الصدقيون أو العزيرثيون = The Zadocians or the Saducees):

وهم فرقة يهودية تنسب إلى زادوك (Zadoc)، ارتبطت عقائدهم بالثقافة اليونانية القديمة، ونشبت حروب طاحنة بينهم وبين اليهود الفريسيين مما أدى إلى القضاء التام عليهم تقريباً. والزادوكيون لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ولا بالجنة ولا بالنار، وينكرون وجود أي من الروح أو الملائكة أو الشياطين، كما ينكرون كلاً من تعاليم التلمود، وظهور المسيح. والزادوكيون (أو العزيرثيون) لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة الأولى من «العهد القديم» مضافاً إليها «سفر يوشع» فقط، ويدعون أن «عزيراً» هو ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

3 - الكتبة الفريسيون (أو الفريزيون = The Pharisees):

وهي فرقة يهودية متشددة ومتعصبة تعصباً أعمى، وتمثل أكبر فرق اليهود في القديم والحديث. وهذه الفرقة تؤمن بجميع أسفار «العهد القديم» بالإضافة إلى «التلمود» الذي قام أفراد منها بالتعاون على كتابته. والفريسيون يؤمنون بأن حاخاماتهم معصومون من الخطأ، وأن أقوالهم كالشريعة. وأفراد هذه الطائفة برعوا

في التحايل على تعاليم شريعتهم، مع أنهم يؤمنون بكل من الملائكة والشياطين والبعث - لا كما يؤمن به المسلمون - ولكن بالمشاركة في مُلك المسيح المنتظر، وأن الصالحين منهم فقط هم الذين سوف يبعثون وينشرون في الأرض. وأفراد الفريسيين يفضلون العزلة عن غير اليهود، ولا يتعاملون معهم إلا في أضيق الحدود. وقد لامهم المسيح ﷺ بشدة على تزمتهم الكاذب، ونفاقهم الواضح، وعلويتهم المصطنعة ولذلك كانوا في طليعة الذين حاربوه وقاوموا دعوته، وشوهوا صورته، ولو ثوا شرف أمه (رفعها الله). لذلك قيل أن الفريسيين هم الذين دبّروا محاولة قتل المسيح ﷺ وصلبه، ولكن الله - تعالى - نجاه من كيدهم ورفعهم إليه. وقيل أيضاً أن «شاؤول الطرسوسي» الذي تسمى بعد ذلك باسم «بولس» كان من الفريسيين، واندس بين حواربي المسيح بعد رفعه ليفسد عليهم دينهم. ونظراً للتعصب الأعمى للفريسيين فإن معارك طاحنة نشبت بينهم وبين الزادوكيين حتى قضا عليهم تقريباً.

4 - القناؤون (المتعصبون الغيرون):

قيل عن هذه الفرقة أنها شعبة من شعب الفريسيين، أو جناح عسكري لهم، لأن أفرادها كانوا أشد تعصباً من الفريسيين، فاشتهروا بعدم التسامح مع أعدائهم. ولقد قام «القناؤون» بعدة ثورات في مطلع القرن الميلادي الأول، مما دفع بالرومان إلى إبادتهم.

5 - الأسينيون (الأسيين = The Essenes):

هم فرقة يهودية ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد، تتسم بالغموض، ويقال أن لفائف البحر الميت التي اكتشفت في سنة (1947م) هي من آثارهم، وقد انقرضت هذه الفرقة بالكامل بعد تدمير بيت المقدس.

والأسينيون يحرّمون كلاً من الزواج، والملكية الفردية، والذبح حتى في طقوس عباداتهم، ويؤمنون بمجيء مسيح غير عيسى ابن مريم، كما يؤمنون بالقضاء

والقدر، ويختلفون في شعائهم عن سائر اليهود.

6 - الأبيونيون (The Ebionites):

فرقة من اليهود امتد وجودها من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الميلادي الثاني، آمن أفرادها بالله الله وبعبدته ونبيه عيسى عليه السلام على أنه عبد لله ورسول من رسله، وأنه لم يُصلب بل رفعه الله تعالى إليه. ولكن عندما دخل الإمبراطور الروماني قسطنطين إلى المسيحية وأدخل معه العديد من الطقوس الرومانية الوثنية، وقع الأبيونيون بين عدوين ضارين كانا: اليهودية على شريعة التلمود من جهة، والنصرانية التي حرّفها بولس من جهة أخرى، فكان في ذلك فناؤهم واندثار معتقداتهم، في نهاية القرن الرابع الميلادي. وقد بقيت هذه الفرقة تعظم يوم السبت، وترفض تعاليم بولس وتعتبرها من الهرطقة، وتنكر كافة عقائد النصارى.

7 - المقاربة واليودعانية:

وهذه الفرقة نهت عن كل من أكل اللحوم وشرب الأنبذة، ونادت بأن للتوراة ظاهراً وباطناً، وأثبتت نبوة المصطفى عليه السلام.

8 - القراؤون:

هذه الفرقة اليهودية ظهرت في العراق، في زمن أبي جعفر المنصور، وتأثرت أفكارها بعلم الكلام عند المسلمين. والقراؤون يخالفون سائر اليهود في أعيادهم، ويؤمنون بالأسفار الخمسة فقط من «العهد القديم». ويؤمنون كذلك بمسيح غير عيسى ابن مريم الذي لا يؤمنون بنبوته، ولا بالأناجيل التي تروي سيرة حياته.

9 - يهود الدونمة:

وهذه الفرقة تعيش في تركيا وتنسب إلى اليهودي «شبتاي زيفي» الذي ادعى بأنه هو المسيح المنتظر، لذلك في القرن السابع عشر الميلادي، إثر رواج الشائعات بأن المسيح سوف يظهر في سنة (1648م) ليقود اليهود، ويحكم العالم من القدس الشريف. التفت اليهود حول «شبتاي زيفي» هذا، ولكن سرعان ما تمّ

القبض عليه بواسطة السلطات التركية، وقدم للمحاكمة فتظاهر بقبول الإسلام ديناً حتى عُفي عنه ثم شكل هذه الفرقة التي عرفت بيهوديتها على الرغم من تظاهرها بالإسلام وحمل أتباعها أسماءً إسلامية. وهذه الفرقة تحرم تعدد الزوجات، كما تحرم الزواج إلا من بين أبناء الطائفة، وتفرض الختان.

10 - اليهودية الإصلاحية (Reformed Judaism):

هذه الحركة نشأت على يد اليهودي «موسى مندلسون» في ألمانيا، وكان ذلك في القرن الثامن الميلادي، في محاولة للانفلات من تشدد حاخامات اليهود وتسلطهم. ولذلك طالبت هذه الحركة بالخروج من العزلة والعنصرية التي فرضها الحاخامات على اليهود، وطالبت بالاندماج في المجتمعات التي كان أفرادها يعيشون فيها. كما طالبت باعتبار اليهودية ديناً وليست جنسية، وحاربت دعوى التمييز العرقي لليهود، وطالبتهم بضرورة تغيير العديد من الطقوس والعبادات التي تعزلهم عن مجتمعاتهم. وأنكرت هذه الحركة الوحي والبعث، وأسطورة أرض الميعاد، وعقيدة بناء دولة يهودية عليها. وكما أنكرت انتظار المخلص، واعتبرت كل معبد يهودي هيكلاً لرواده، وأباحت اختلاط الجنسين في تلك المعابد، كما أباحت استعمال الآلات الموسيقية والإنشاد في الصلاة. وهذه الحركة انتشرت من ألمانيا إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وأوكرانيا.

11 - اليهودية المحافظة (Conservative Judaism):

وهي فرقة يهودية نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي كرد فعل للحركة اليهودية الإصلاحية، وللتوسط بينها وبين اليهودية الأرثوذكسية المتشددة في تعصبها لما يسمونه باسم «الموروث الديني». وهذه الفرقة كانت أول الفرق اليهودية في تعيين امرأة في وظيفة حاخام بعد أن كان ممنوعاً على النساء الدخول إلى معابد اليهود. وهذه الفرقة مرفوضة من اليهود المحتلين للأراضي الفلسطينية على الرغم من دعمها المادي للحركة الصهيونية العالمية. وأفراد هذه الفرقة يؤمنون بالأسفار الخمسة في «العهد القديم»، ويعتبرون

«التلمود» إنتاجاً بشرياً خالصاً، ولا يؤمنون بعودة المسيح، ويحافظون على كل من قوانين الطعام، والختان، وعلى فكرة العودة إلى أرض فلسطين.

12 - اليهودية الأرثوذكسية (Orthodox Judaism):

هذه الفرقة ظهرت في بابل في حدود القرن السادس قبل الميلاد، وتقوم على أساس من تشكيل قوة قتالية عنصرية مستعلية على الخلق، غير قابلة للاندماج مع الغير، بل حريصة على الانعزال عنه، والتأمر عليه. وهي فرقة متشددة تؤمن بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأبناؤه، وأحباؤه، وتمسك بالتراث الشفهي كما تمسك بالتراث المكتوب، وترفض التجديد أو التغيير في أي منهما باعتبارهما وحياً من الله، وتقوم بتفسيرهما تفسيراً حرفياً. وأفراد هذه الفرقة لا يسمحون باختلاط الجنسيتين في العبادات، وهم يؤمنون بعودة المسيح، وبالعودة إلى أرض فلسطين.

13 - العيسوية:

نسبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وهذه الفرقة تقول بنبوة كل من عيسى ابن مريم ومحمد - صلى الله عليه وسلم وبارك عليهما - وهم يخالفون اليهود في كثير من أحكام الشريعة.

14 - فرقة الحسيديم (Hasidic Jews):

هذه الفرقة أسسها اليهودي «إسراييل بن إيعازر» في القرن الثاني قبل الميلاد، وعقيدتها حلولية، حيث يؤمنون بتناسخ الأرواح، وبأن العبادة تتم بأية طريقة ممكنة، وأن فلسطين محور الكون، وأن الشر داعم للخير، وهم يحرمون كلاً من الزواج، والملكية الفردية، والأضاحي، والقرايين.

15 - اليهودية المتحررة أو التجديدية (Liberal Judaism = Reconstructurism):

وهي حركة تعتبر أكثر تحراً من بقية الجماعات اليهودية الأخرى، وإن كانت اتجاهاتها غير واضحة. وهناك فرق وحركات يهودية أخرى عديدة مثل البودجانية، والمارانوسية، والسبئية، والتي ادعى بعض منشئها النبوة، وانحرفوا بمعتقداتهم انحرفاً شديداً.

كذلك انقسم اليهود عرقياً إلى يهود السفارديمي وهم يهود بلاد الأندلس (Sephardim or Sephardic Jews) وإلى يهود السكناج أو الأشكنازيم (Ashkenazim or Ashkenaz Jews). والسكناج هم يهود كل من أوروبا الشرقية وألمانيا، وهم من سلالة المتهودين الخزر (The Chazar or the Khazar Jews) الذين هاجروا من مملكة الخزر القديمة إلى بولنדה، وكوّنوا كياناً لهم هنالك في القرن الثامن عشر الميلادي. ومن بولنדה انتشروا إلى بقية دول أوروبا الشرقية.

رابعاً: في قوله - تعالى - : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾:

من كل ما سبق يتضح لنا بجلاء أن اليهود الذين يصرون على أنهم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، بينما بقية البشر هم مجرد حيوانات خلقت على هيئة الادميين حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود، هم أناس لا عقل لهم. وذلك لأن جميع المعارف الحديثة - وفي مقدمتها علم الوراثة - تدحض دعواهم من أساسها. كذلك يدحض دعواهم كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهما مصدرا الوحي السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم في نفس لغة الوحي بهما.

من هذا الاستعراض يتضح الاضطراب في معتقدات اليهود عبر التاريخ، ومن هنا تتضح لمحة الإعجاز القرآني في وصفهم بأنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ حتى لو كانوا يحملون أعلى الدرجات في المعارف الدنيوية، لأن فساد العقيدة يُفقد الإنسان توازنه وقدرته على الحكم في الأمور غير المادية، ومن أهمها وأخطرها قضية الدين.

99 - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82].

في هذا النص القرآني الكريم إعجاز إنبائي وتاريخي عظيم، وذلك لأنه منذ أن عقد رسول الله ﷺ معاهدة تعايش مع يهود المدينة المنورة، فإنهم لم يفوا بهذا العهد أبداً ولم يكن ذلك بالأمر المتغرب منهم لأنهم كانوا من نسل أناس لم يحفظوا عهودهم لله - تعالى - ولأنبيائه ورسله الذين أرسلوا لهديتهم من قبل. لذلك نزل حكم الله ﷻ في يهود المدينة حيث يقول مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا
عَلَهُدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: 99 - 101].

فبعد أن دخلت قبيلتنا «الأوس والخزرج» في دين الإسلام، فقد اليهود دورهم الخبيث الذي كانوا قد تعوّدوا عليه في إثارة الفتنة بينهما. لذلك أضمر يهود المدينة العدا للسلام ولرسوله، وللمؤمنين به. ثم زاد حقدهم على دين الله حين خلصت قيادة المدينة بالكامل إلى رسول الله ﷺ وصحبه الكرام من المهاجرين والأنصار فتلاشى تسلط اليهود على أهل المدينة، كما تلاشت كل وسائلهم لإثارة الفتنة بين كل من «الأوس والخزرج»، والأنصار والمهاجرين، على الرغم من استخدامهم لكل ما كان قد تجمع لدى اليهود عبر التاريخ من وسائل الخداع والمكر، وحبك صناعة الدسائس والفتن.

وحينما استعصت حصافة المسلمين في المدينة على كل دسائس وفتن اليهود، اتّجهوا إلى تأليب قوى الكفر والشرك والضلال في الجزيرة العربية على دولة

الإسلام في المدينة، وفي ذلك يخاطبهم القرآن بقول ربنا - سبحانه - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ الْكُفْرَ بِكُمْ مَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَىٰ آذَانِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبُوتَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

[النساء: 47 - 51].

وبعد قيام دولة الإسلام وامتدادها من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً في أقل من قرن من الزمان، لم يجد كفار اليهود أمامهم من وسيلة لمحاربة دين الله سوى الدسّ عليه بمفترياتهم الكاذبة التي استمرت على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد. ثم تزايدت مفتريات اليهود على دين الله، وكتابه، وخاتم رسله في الأزمنة المتأخرة بشكل رهيب. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أنّ اليهود كانوا من وراء كلّ حروب العالم وفتنه، خاصّة تلك الحروب والفتن التي تعرّض لها العالم الإسلامي من مثل الحروب الصليبيّة، غارة التتار، إخراج المسلمين من الأندلس، الاحتلال العسكري لغالبية أراضي المسلمين، إسقاط دولة الخلافة العثمانيّة، وفرض الوصاية البريطانيّة على أرض فلسطين من أجل تيسير هجرة اليهود غير المشروعة إليها. وللتمهيد لذلك سعوا إلى تبديل اسم «المشرق العربي» بمسمى «الشرق الأوسط» من أجل إيجاد مكان لليهود في هذه المنطقة العربيّة، ورفعوا العديد من الرايات الغربية في قلب العالمين العربي والإسلامي من مثل الليبرالية، والعلمانية، والاشتراكية، والشيوعية، والبعث العربي الاشتراكي، والقومية العربية، وذلك من أجل إقصاء الإسلام عن مقامات اتخاذ القرار. ولخوف اليهود من إمكانية إعادة توحيد المسلمين خططوا ببحث شديد للحيلولة دون إمكانية تحقيق ذلك، فمنذ اللحظة الأولى لدخولهم إلى المنطقة العربيّة نجحوا في إغراقها

في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار كما يتضح في النقاط التالية:

1 - الهجمة الإجرامية الوحشية الشرسة على قطاع غزة في 1908/1909م، بعد حصار لأكثر من ثلاث سنوات، ومنع وصول أي من مقومات الحياة إلى أهل ذلك القطاع كي يموتوا جوعاً وعطشاً ومرضاً، فيستسلموا للمخطط الصهيوني الشيطاني من أجل ابتلاع المنطقة العربية بالكامل. ولمّا لم يستسلم شعب غزة البطل كانت هذه الهجمة الشرسة التي سقط من خلالها أكثر من ألف وأربعمائة شهيد، وآلاف الجرحى من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وتمّ تدمير كل شيء على وجه الأرض من المساكن والمدارس، والمساجد، والمستشفيات، والمكاتب، والدواوين الإدارية، والمحال التجارية، والورش الصناعية، والمزارع النباتية والحيوانية. وقد تمّت تسوية ذلك كلّه بوجه الأرض في وحشية منقطعة النظير، وبقصف بمختلف أنواع الأسلحة من الجو والأرض والبحر، ومنها الأسلحة المحرّمة دولياً.

2 - الهجمة الإسرائيلية الإجرامية الشرسة على دولة لبنان في يونيو 2006م، والتي راح ضحيتها مئات الشهداء وآلاف الجرحى، وتمّت تسوية العديد من المنشآت المدنية بالأرض، ومنها الجسور، والطرق، والمدارس، والمستشفيات، والمنازل والمصانع، وغير ذلك من المنشآت، وحدث خلال هذه الهجمة الإسرائيلية الشرسة الكثير من المذابح ومنها «مذبحة قانا الثانية».

3 - في فجر 22/3/2004م قامت طائرات العدو الإسرائيلي المروحية باغتيال الشيخ أحمد ياس رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وذلك بتسديد صواريخ مضادة للدروع على موكبه وهو خارج من المسجد عقب صلاة الفجر، وهو شيخ مقعد، وكان حوله عدد من المرافقين الذين قتل منهم من قتل، وأصيب من أُصيب في وحشية منقطعة النظير.

4 - في صبيحة الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001م رتبت المخابرات

الإسرائيلية (الموساد) مع المخابرات الأمريكية (C.I.A) مسرحية ضرب كل من برجى مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). وكان الهدف من وراء ذلك هو تحجيم المد الإسلامي في العالم الغربي، وإعطاء الضوء الأخضر للكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين لإنهاء القضية الفلسطينية. وكان من وراء ذلك أيضاً إعطاء المبرر السوري للولايات المتحدة الأمريكية وحلفاتها لغزو دولتين عضوين في الأمم المتحدة (هما كل من أفغانستان والعراق) متجاوزين في ذلك كل القوانين الدولية. وفي هذين البلدين المسلمين تمّ قتل وإصابة آلاف المسلمين من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان، وتمّ تدمير البلدين تدميراً كاملاً، كما تمّ اعتقال الآلاف من الرجال والشبان والنساء وتمّ تعريضهم لأبشع أساليب التعذيب. وكان من أهداف هذا الاحتلال إثارة الفتن الطائفية والعرقية والدينية في المنطقة من أجل مزيد من تفتيت العالمين العربي والإسلامي، حتى تبقى اليد العليا في المنطقة لشراذم الصهاينة، وحتى يعاود الاستعمار الغربي احتلاله لديار المسلمين.

5 - في 28/9/2000م قامت القوات الإسرائيلية بهجمة شرسة بشعة على شباب الانتفاضة الثانية التي تحركت بها جموع الفلسطينيين واستمرت لأكثر من أربع سنوات، تعرّض خلالها الأطفال والشبان والفتيات إلى «حملة إسحاق رابين» لتحطيم العظام تحت مرأى ومسمع من العالم كله دون حراك.

6 - في فجر الجمعة 15 من رمضان 1414هـ (1994م) قام أحد الصهاينة المجرمين باسم (جولد شتاين) بالتسلل إلى داخل المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل وفاجأ جموع المصلين الصائمين الساجدين لله - تعالى - في صلاة الفجر بهجومه الوحشي عليهم بزخات رشاشة، فقتل وجرح المئات من المصلين ولم يوقف تلك المذبحة إلا من نجا من المصلين الذين تكاثروا على هذا المجرم ضرباً بالتعال حتى نفق، وهلك إلى الجحيم إن شاء الله.

7 - عقب «مؤتمر مدريد» الذي عقد في (30/10/1991م) توالى الاتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين من

أجل الوصول إلى ما يسمى بالتسوية السلمية. وبعد جدل طال تحللت العصابات الصهيونية من كل ما قطعه على نفسها من الوعود والعهود، وبدأت في اجتياح الأراضي الفلسطينية في هجمات وحشية سافرة أغرقت البلاد في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار.

8 - في 8/10/1990م قتلت الشرطة الصهيونية بدم بارد سبعة عشر فلسطينياً وجرحت أكثر من مائة وخمسين آخرين في ساحة حرم المسجد الأقصى الشريف.

9 - بتاريخ 16/5/1990م قام الصندوق السويدي لإنقاذ الأطفال بنشر تقرير اتهم فيه القوات الإسرائيلية المحتلة لأرض فلسطين باستخدام أساليب شديدة القسوة، وغير مميزة، ومتكررة من العنف ضد الأطفال الفلسطينيين. وقد أدت هذه الأساليب العنيفة إلى قتل (159) طفلاً بمتوسط عمر عشر سنوات، وجرح ستة آلاف وخمسمائة (6500) طفل دون السادسة عشر من العمر بقذائف عسكرية. كذلك أدت إلى إصابة أكثر من ثمانية وأربعين ألف (48,000) طفل آخرين أكثر من (40%) منهم دون سن العاشرة بإصابات متفرقة، وذلك خلال السنتين الأولتين من انتفاضة الأقصى الأولى (1987 - 1993م).

هذه قطرة من بحر جرائم الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، تلك الخلية السرطانية التي غرسها الغرب الصهيوني/ الصليبي الحاقد في قلب المنطقة العربية بمؤامرة حقيرة. وإذا أضفنا إلى قائمة الجرائم الإسرائيلية تلك المذابح الوحشية البشعة التي اقترفها الصهاينة المحتلون في كل من (يافا، حيفا، الجليل، قبية، نحالين، القدس، قلقيلية، صفد، رام الله، الحولة، الخليل، الناصرة، نابلس، وادي الأردن، صور باهر، دير ياسين، القسطل، ناصر الدين، طبريا، بيسان، خان يونس، غزة، كفر قاسم، الدوايمة، اللد والرملة، البريج، السموع)، وغيرها من المذابح التي قام بها جنود الصهاينة ضد المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ والشبان الذين ذبحوهم وهم أحياء وسرقوا مساكنهم ومزارعهم وجميع

ممتلكاتهم، اتضح الهدف من زرع هذا الكيان الغريب في قلب المنطقة العربية. وفي خلال هذه المجازر الوحشية جربت عصابات الصهاينة المحتلة لأرض فلسطين أحقر وسائل الاغتيالات السياسية للقادة الفلسطينيين، وللعلماء العرب والمسلمين، وحتى للأجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية ومع غيرها من القضايا العربية. لذلك قاموا بإرسال الرسائل المفخخة للعلماء الألمان الذين تعاونوا مع المصريين في تطوير صناعة الصواريخ، وجربوا القتل الجبان للآمنين في مساكنهم، في مئات الحالات. جربوه في لبنان (باغتيال أبو يوسف النجار ورفاقه)، وجربوه في تونس (باغتيال أبو جهاد وأبو إياد ورفاقهما)، كما نفذوه في العشرات من المجاهدين على أرض فلسطين (من أمثال يحيى عيَّاش، وفتحي الشقاقي، وأبو علي مصطفى، وجمال منصور، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، وإبراهيم المقادمة، وعبد العزيز الرنتيسي، وغيرهم كثير كثير)، وإن ننس لا ننسى العملية الحقيرة التي قاموا فيها بدسّ السم لياسر عرفات، على مرأى ومسمع من العالم كله. وسجل الجرائم التي اقترفتها الصهاينة المجرمون في حقّ الإسلام والمسلمين، وفي حقّ البشر أجمعين من الأغيار أو الأمميين يحتاج إلى مجلّدات تنوء بحملها الجبال، وتعجز عن تسجيلها أعظم الحواسيب العملاقة مهما بلغت قدراتها، وكل ذلك ينطق بومضة الإعجاز الإنبائي والتاريخي في قول ربّنا - تبارك وتعالى - وقوله الحق: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]. وهذه الآية القرآنيّة الكريمة تنبّه الغافلين من الزعماء العرب إلى استحالة تحقيق إمكانيّة التعايش بسلام، أو التبادل الدبلوماسي، أو التجاري، أو السياحي، أو فتح الحدود، مع هذه العصابة من اللصوص، السارقين، المغتصبين، المفسدين في الأرض، والمتجبرين على الخلق وقتلة الآلاف من الأبرياء العزّل من السلاح، وتذكرهم بقول ربّنا - تبارك وتعالى -:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

100 - ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4].

هذه الآية القرآنية الكريمة تخبرنا بأن «بني إسرائيل» سوف يفسدون إفساداً كبيراً في الأرض مرتين، وسوف يعلنون علواً كبيراً، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [4] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿5﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿6﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَلَٰئِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عُلَّوْا نَنبِرًا ﴿7﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿8﴾ [الإسراء: 4 - 8].

وواضح من هذه الآيات الكريمات أن الإفساد الكبير الأول لبني إسرائيل في الأرض كان في المدينة المنورة، وانتهى بإجلائهم عن أرض الجزيرة العربية بالكامل. أمّا إفسادهم الكبير الثاني فهو الواقع الآن على أرض فلسطين، والذي ينتظر القائد المسلم الشجاع الذي سوف يسوء وجوه هؤلاء المفسدين في الأرض فيطهرها من دنسهم، وينقذ المسجد الأقصى من بين أيديهم القدرة عاجلاً غير آجل بإذنه - تعالى - وبتأييده ونصره.

من الدلالات الإنبائية والتاريخية في الآية الكريمة:

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿وَقَضَيْنَا﴾: نجد أن لفظة (القضاء) في اللغة العربية تعني الحكم، وجمعه (الأفضية)، و(قضى)، (يقضي)، (قضاء) أي: حكم

وأمر وأعلم بالحكم والفصل فيه، ومعناه فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً. وقد يكون (القضاء) بمعنى الصنع والتقدير والإبداع والفراغ من كل ذلك. و(قضى) الدَّيْنَ بمعنى فصل الأمر فيه برده، و(الاقضاء) المطالبة بقضائه. و(القضاء) من الله - تعالى - أخصّ من القدر لأنَّه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، و(القضاء) هو الفصل والقطع فيما قدر؛ وكل ما لم يكن (قضاء) فمرجو أن يدفعه الله، ولكن إذا (قضى) فلا دافع له، ولا يمكن تلافيه.

والفعل (قضينا) في الآية الكريمة التي نحن بصددنا هو بمعنى الإخبار، وليس بمعنى الإخبار، فهو من علم الله - تعالى - وهو علم شمولي محيط بكلّ شيء (الماضي والحاضر والمستقبل، فكلّ ذلك عنده ﷻ حاضر)، وذلك لأنّ الزمن من خلقه، والخالق محيط بخلقه، والمخلوق لا يحدّ خالقه أبداً. فالمستقبل بالنسبة للإنسان لم يكن بعد، وهو في علم الله الخالق البارئ المصور كائن قائم مشهود. ولذلك علم الله - تعالى - بعلمه المحيط أنّ بني إسرائيل سوف يفسدون في الأرض مرّتين، وأنّهم سوف يعلنون علواً كبيراً، وسوف يتجبرون على أهل الأرض. وأنهم كلّما بالغوا في تجاوزاتهم سلّط الله ﷻ عليهم من عباده من يذيقهم سوء العذاب بقهرهم وإذلالهم، وتدميرهم، واستباحة جميع حرّماتهم.

وكان هذا القضاء الإلهي في «التوراة» التي آتاها الله - تعالى - عبده ورسوله موسى بن عمران ﷺ وإن رأى بعض المفسرين أنّ المقصود بالكتاب في هذه الآية الكريمة هو اللّوح المحفوظ، وكلاهما يشير إلى علم الله المحيط بكلّ شيء.

ثانياً: في قوله - تعالى -: ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: 4].

(إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، ومعنى الاسم «إسرائيل» هو عبد الله. ولا نعرف من تاريخ يعقوب ﷺ سوى أنّه ولد في زمن جدّه الخليل، وكانت وفاته بمصر عند ولده يوسف ﷺ، وأنّه أبو الأسباط، ومن هنا سمي نسله باسم «بني إسرائيل». وقد أقام يعقوب ﷺ بمصر أربعاً وعشرين سنة، فلما حضرته

الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يدفنه عند أبيه إسحاق في أرض فلسطين. وبالفعل نفَّذ يوسف ﷺ الوصية بذلك، ونقل جثمان أبيه في تابوت من مصر إلى أرض فلسطين.

ويخطئ من يتصوّر أنّ يهود اليوم هم كلّهم من نسل يعقوب ﷺ، وذلك لأنّ اليهودية كإحدى الأديان السماوية قبلها أفراد من أعراق متعددة وعلى ذلك فإنّ الادّعاء بنقاء العرق اليهودي هو ادّعاء كاذب ينكره علم الأجناس، كما ينكره وجود أعراق يهودية متعدّدة اليوم [يهود الخزر أو (الإشكنازيم)، يهود أسبانيا أو (السفارديم)، يهود الحبشة أو (الفلاشا)، واليهود العرب (يهود كل من شمالي إفريقيا، واليمن، والعراق) ويهود كل من بلاد فارس والهند والصين].

ويشكّل «يهود الخزر» (وهم يهود روسيا وأوروبا الشرقية) أكثر من 92% من مجموع يهود اليوم. والخزر كانوا شعباً وثنياً قديماً (تركي/ مغولي/ تترى الأصل) عاش في المنطقة بين كل من وادي الفولجا ووادي الدانوب، وبين كل من البحرين الأسود وقزوين، ولا علاقة لهم بالمنطقة العربية ولا بالأصول السامية من قريب أو بعيد. وهذا الشعب الخزري أقام في الفترة ما بين القرنين الثاني والعاشر الميلاديين مملكة وثنية حول بحر قزوين عرفت باسم «مملكة الخزر». شكّت طريقها إلى أوروبا الشرقية عبر سلسلة من الحروب الدموية التي استمرّت لعدّة قرون.

وفي منتصف القرن الثامن الميلادي (سنة 740م) وصل إلى مملكة الخزر عدد من حاخامات اليهود الذين ساوموا ملك الخزر وكان اسمه الملك «بولان» (Bulan) على قبول اليهودية ديناً فتهوّد، وأجبر أهل مملكته على التهوّد بإعلان اليهودية ديناً رسمياً لمملكة الخزر.

وفي القرن العاشر الميلادي تمكّنت الإمبراطورية الروسية من غزو مملكة الخزر والقضاء عليها، فهاجر النّاجون من سكانها إلى دول أوروبا الشرقية، ومنها رحلوا إلى أوروبا الغربية ثم إلى الأمريكتين. ومن بقي من متهودي الخزرين مثلوا يهود الإمبراطورية القيصرية الروسية، وهؤلاء يعرفون باسم «الأشكنازيم» (أو السكناج) أو يهود أوروبا الشرقية وهذا مفصل في المرجعين التاليين:

- 1 - Dunlop, D.M. (1954): The History of the Jewish Khazars, Princeton University Press.
- 2 - Koestler, Arthur (1965): The Khazars: The Thirteenth Tribe, Its Heritage and its Empire.

أمّا اليهود من غير الخزر فيشكّلون أقل من (8%) من مجموع يهود اليوم، وهم يهود كل من آسيا وأفريقيا، وبلاد الأندلس، ويعرفون باسم الأسفارديم - أو السفاراديم -. وهذا يبطل الادّعاء الكاذب بنقاء العرق اليهودي من الاختلاط بأيّة أعراق أخرى، وينسبته إلى عبد الله ونبيه يعقوب (إسرائيل) ﷺ. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الادعاء يبطله كل من علم الوراثة، وعلم الأجناس، كما يبطله التاريخ، ويؤكد على بطلانه نفي الإسلام للعصبيات المنتنة.

من هنا كان التعبير القرآني «بنو إسرائيل» ليس تعبيراً عرقياً، لأنّ القرآن الكريم يؤكّد وحدة الجنس البشري (الذي يرده إلى أب واحد وأم واحدة)، بل هو وصف لجماعة من الناس مبالغة في أنانيتهم. وقد وصلت الأنانيّة المفرطة في أفرادها إلى ما دفعهم إلى الاعتقاد الخاطئ بأنهم وحدهم هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحبّأؤه، وأنّ غيرهم من الخلق عبارة عن حيوانات خلقت في هيئة البشر حتى يكونوا لاثقين للقيام على خدمة اليهود. وانطلاقاً من أنانيتهم المفرطة فإن هذه الجماعة المستعلية بالباطل أقنعت أتباعها بأنّ الربّ هو ربّ إسرائيل والإسرائيليين فقط، وأنّ الأغيار (الأمميين) لا ربّ لهم. من هنا استحل اليهود استباحة دماء الأغيار، وأموالهم، وأراضيهم، وأعراضهم، ويعتبرون ذلك قرابة إلى الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وانطلاقاً من هذه العقيدة الفاسدة برع اليهود - عبر التاريخ - في التعصب ضد كل من هو غير يهودي. وقد أفاض القرآن الكريم في وصف ملامح الشخصية اليهوديّة، وخصائصها الذاتيّة، والدوافع النفسيّة التي صاغت تلك الشخصية. وهي شخصية متغطرسة، متجبّرة، متكبرّة، قاسية، مستعلية على الأغيار بالباطل. ولذلك فهي تكره كل ما هو غير يهودي، وتتفنن في الغدر به، ونقض العهود والمواثيق

معه، والمبالغة في الحقد عليه، والحسد له، ومن هنا كان إصرار اليهود على إشاعة الفواحش بين الناس، وعلى هدم كل قيمة أخلاقية وكل فضيلة في مجتمعاتهم. وقد دفع ذلك غالبية أهل الأرض إلى الكراهية الشديدة لسلوكيات اليهود التي نتجت عن عبثهم بالدين وابتداعهم فيه، وكانت دافعاً لتعصبهم ضد الإنسانية كلها. فاليهود قاتلوا أنبياء الله وقتلوا بعضهم، وأوقدوا نيران الحروب والفتن على سطح الأرض، واستباحوا كل حرمة الآخرين بدعوى أنهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحبّاءه وهي دعوى باطلة ولا أساس لها من الصحة.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿لنفسدُنَّ في الأرضِ مرَّتَيْنِ ولنعلَنَ علوًا كبيرًا﴾ [الإسراء: 4].

اختلف المفسرون في تحديد مرّتي الإفساد الكبير الذي قام به بنو إسرائيل في الأرض، ولكن الرّاجح أنّ هاتين المرّتين هما من أبشع ما قاموا به من إفساد، لأنّ الإفساد في الأرض أصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم النفسي والعقدي.

والرّاجح عند المفسرين أنّ المرّة الأولى من الإفساد الكبير لبني إسرائيل في الأرض قامت به فلول اليهود كانت في المدينة المنورة حين عادوا رسول الله ﷺ ورفضوا دعوته، وتأمروا عليه، ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم معه، وتعاونوا مع الوثنيين من أعدائه، وألبوا القبائل عليه، وحاولوا سمّه وقتله. ولكن الله - تعالى - نجّاهم من كيدهم، ونصره عليهم بعد أن تكررت خيانات يهود كل من «بني قينقاع»، و«بني النضير»، و«بني قريظة»، و«خير»، فأمر رسول الله ﷺ بإجلائهم عن جزيرة العرب إجملاً كاملاً فطهرت الأرض من أرجاسهم.

وكان الإفساد الكبير الثاني لليهود في الأرض هو هيمنتهم على عالم اليوم، هذه الهيمنة التي مكنتهم من التآمر على أرض فلسطين بدءاً من سنة (1649م) حين أقاموا في بريطانيا حركة صليبية - صهيونية تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسطين بعد طردهم منها قبل ألف وستمئة سنة. ومن أجل تحقيق ذلك خططت الحركة الصهيونية العالمية بأذرعها المتعددة لإسقاط دولة الخلافة الإسلامية بعد إنهاكها في

سلسلة طويلة من المعارك التي لم تتوقف لعدة قرون، وبعد إسقاطها قسموا العالم الإسلامي إلى أكثر من (62) دولة ودويلة، وخططوا لاحتلال هذه الدول والدويلات بواسطة الدول الغربية المختلفة. ثم دعوا في سنة (1799م) للهجرة إلى فلسطين وتمكنوا من امتلاك أوّل قطعة أرض في تلك البلد المباركة سنة (1854م) بواسطة الضغوط الدوليّة. وبعد ذلك أنشأوا «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» في فرنسا سنة (1860م). ومن خلال القوى المحتلّة لغالبية دول العالم العربي وعلى رأسها بريطانيا بدأت هجرة اليهود سرّاً إلى أرض فلسطين.

في سنة (1895م) أصدر النمساوي اليهودي «هيرتزل» كتاباً بعنوان دولة اليهود، وعقد «المؤتمر الصهيوني العالمي الأول» في سنة (1897م)، ثم تلاه عدّة مؤتمرات إلى اليوم. ومن خلال هذه المؤتمرات أشعل اليهود الحريين العالميتين الأولى والثانية، وسعوا إلى إعلان بريطانيا «وعد بلفور» في سنة (1917م)، وأنسوا الثورة الشيوعيّة في روسيا في السنة نفسها. فلينين (Lenin) الذي قاد الثورة البلشفية (The Bolshevik Revolution) في سنة (1917م) كان من أصول يهودية، وكانت زوجته يهودية، كما كان من رموز الحركة الماسونية العالمية. وكان المجلس الثوري الأول الذي شكله لينين يتكون من (384) عضواً، كانت غالبيتهم الساحقة من اليهود، فكان من بينهم (13) روسي فقط، (15) صيني، 356 يهودي. وكان من بين هؤلاء اليهود (264) قدموا من الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما شكل لينين اللجنة الحكومية البلشفية الأولى سنة (1918م) كانت تتألف من إثني عشر (12) عضواً كلهم من قيادات الحركة الماسونية العالمية، وكانت غالبيتهم من اليهود. وكان المجلس الحاكم مع السيد/ لينين يضم (59) عضواً، من بينهم (56) يهودي، وثلاثة من غير اليهود ولكن متزوجين من يهوديات، وكان على رأسهم ستالين (Stalin, 1879-1953).

كذلك كان كارل ماركس [Karl Marx 1818-1883] الألماني الذي حمل كلاً من المشروع اليهودي التلمودي، ولواء الشيوعية، وحرر البيان الشيوعي (The

Communist Manifesto) في سنة (1848م) بالتعاون مع الألماني فريدريك إنجلز (Friedrich Engels, 1820-1895)، كان يهودياً من عائلة تلمودية، وتربى على أيدي الأب الروحي للصهيونية العالمية هيس (Hesse).

والمآسي والمجازر التي عانى منها غالبية أهل الأرض - بصفة عامة - والمسلمون - بصفة خاصة - بسبب المد الشيوعي أكبر من أن تحصى هنا. وهذه المآسي تمتلئ بها كتب التاريخ، خاصة ما كتب عن الخراب والدمار الذي سببه الاتحاد السوفييتي في الجمهوريات الإسلامية التي احتلها عنوة.

ومن قبل كانت الحركات التلمودية المستترة من وراء قيام الثورة الفرنسية (1789 - 1799م)، التي لا تزال تحكم فرنسا إلى اليوم. وكان حكام فرنسا التلموديون من وراء احتلال هذه الدولة الأوروبية لكل من الجزائر (1830 - 1962م)، وتونس (1881 - 1956م)، والمغرب (1901 - 1955م)، ولكل من سوريا ولبنان (1919 - 1945م). والأثر التدميري الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي في العالمين العربي والإسلامي لا زلنا نعاني منه إلى اليوم.

كذلك لا يخفى على عاقل ما أحدثته كتابات الإنكليزي المسمى تشارلس داروين (Charles Robert Darwin 1809-1882)، وكتابه المعنون «عن أصل الأنواع» (On the Origin of Species, 1859)، في تغريب العالم عن الدين. وبالمثل لا يمكن أن ننسى أثر اليهودي النمساوي سيجموند فرويد (Sigmund Freud, 1856-1939) الذي نقل كل نظرياته الشاذة في علم النفس عن كتاب القبالة (Cabala = Cabala) وهو كتاب تلمودي موضوع. وهذان نموذجان من سيل كتابات غيرهما من قيادات الحركات الماسونية أو الصهيونية العالمية من تدمير وتغريب في العالم - بصفة عامة -، وفي عالمنا الإسلامي - بصفة خاصة -.

ولم تكتفِ الحركات اليهودية العالمية بكل هذه المؤامرات بل خطت بدهاء شديد لغرس العديد من الرايات الغربية التي زرعت في عالمنا العربي من أجل إقصاء الإسلام بالكامل عن مقامات اتخاذ القرار، وذلك من مثل: الليبرالية،

العلمانية، الاشتراكية، الشيوعية، القومية العربية، والبعث العربي الاشتراكي. وقد رأينا كيف دمرت هذه الرايات الفاسدة عالمنا المسلم.

وتحت مظلة الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، تمّ التخطيط لتمكين يهود العالم من هذه الأرض المباركة، التي اغتصبوها بمؤامرة تلمودية/ صليبية حقيرة. وبذلك ملأ الصهاينة المنطقة العربية فساداً ومؤامرات خفية ومعلنة كان منها إسقاط دولة الخلافة الإسلاميّة في سنة (1924م)، وإعلان دولة للصهاينة في سنة (1948م)، وسلسلة من الانقلابات العسكرية التي دمرت المنطقة بالكامل. ثم قام هذا الكيان السرطاني الغريب بشنّ ستة حروب طاحنة في المنطقة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء، ونتج عنها من الخراب والدمار ما دفع بالمنطقة إلى الورا لبعشرات السنين.

وظلّ الضغط الدولي مستمراً على حكومات المنطقة حتى سلّمت بالأمر الواقع، وقبلت بوجود كيان صهيوني غريب في قلب المنطقة العربيّة. ثم قامت الحركات الصهيونية التلمودية العالمية بدعم هذا الكيان الغريب مادياً وتقنياً حتى نما عسكرياً فوق حجمه وحاجته، وأصبح خلية سرطانية مدمرة تهدّد المنطقة بأسرها بالدمار الشامل. وما حدث في المنطقة على أرض فلسطين بصفة عامة طوال القرن الماضي، هو تجسيد لقول ربّنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه:

﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسُدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤا مَا عُلُوًّا تَبَيَّرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

[الإسراء: 4 - 8].

هذه الآيات نزلت من قبل ألف وأربعمائة سنة، والهمجية الإسرائيليّة في قلب المنطقة العربيّة اليوم، والاستعلاء والكبر الممارسان بلا حدود، والغطرسة

العسكرية، والإحساس بالعلوية الكاذبة، والقيام بالتدمير الشامل للبنية الأساسية في كل من فلسطين ومصر وسوريا والأردن والعراق ولبنان وغيرها من دول المنطقة العربية خير شاهد على صدق القرآن الكريم، وعلى أن الوعد الحق قد قرب. ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّؤُا مَا عَلَوُا تَبَرُّؤًا﴾ [الإسراء: 7].

الباب الخامس
بعض الشخصيات والوقائع الأخرى

ثاني وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لكل من ذي القرنين وقوم يأجوج ومأجوج

101 - ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94].

يتلخّص وجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي، في هذه الآية القرآنية الكريمة في الإشارة إلى كلٍّ من «ذي القرنين»، وإلى الأمتين المعروفتين باسم «يأجوج ومأجوج» (Gog and Magog = Gogmagog)، وهما أمتان قديمتان من الأشرار. وذكر القرآن الكريم لهاتين الأمتين، وربطهما بشخص «ذي القرنين» الذي جاء ذكره ثلاث مرّات في سورة «الكهف» (83، 86، 94) يعتبر من المعجزات الإنبائية والتاريخية في كتاب الله لأنّ المؤرّخين لا يعرفون شيئاً عن هذا العبد الصالح، ولا عن هاتين الأمتين الموغلتين في تاريخ العالم القديم، واللّتين جاء ذكرهما في سورتين من سور القرآن الكريم هما «الكهف» (94) و«الأنبياء» (96)، وإن كانت قد وردت الإشارة إليهما في «سفر رؤيا» (10/20 - 8).

و«يأجوج ومأجوج» أمتان من قدامى البشر، تميّزتا بالكثرة في العدد، وبالعدوانية في الطبع، وبالرغبة في الإفساد في الأرض. والاسمان: «يأجوج ومأجوج» أعجميان، قال فيهما الدكتور حمدي بن حمزة الجهني: إنّ معناهما في اللّغة الصينية (سكان قارة آسيا وسكان قارة الخيل). وهاتان الأمتان دوّن خبرهما كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونوجز ما جاء عنهما في هذين المصدرين من مصادر الوحي السماوي فيما يلي:

أولاً: يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم:

جاء ذكر «يأجوج ومأجوج» في موضعين من كتاب الله وذلك على النحو التالي:

1 - ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْنَآ الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: 93، 94].

وتذكر كتب التفسير أنَّ السدَّين كانا عبارة عن حاجزين صناعيين، أو طبيعيين (على هيئة سلاسل من الجبال المتواصلة يمنة ويسرة حتى تصل البحر). وهذان السدان كانا موجودين قبل مجيء ذي القرنين لأولئك القوم، ولكن كانت بينهما فجوة يمرّ منها «يأجوج ومأجوج» إلى ما جاورهم من الناس، فيعدّون عليهم قتلاً، وسلباً، ونهباً، وتخريباً وتدميراً وإفساداً في الأرض. ثم شاءت إرادة الله أن يصل ذو القرنين إلى هؤلاء القوم البسطاء. ولما كان الله (تعالى) قد يسّر له من أسباب القوة والمنعة، ووهبه من أسباب العلم والحكمة ما وهبه، فإن هؤلاء القوم البسطاء (الذين لا يكادون يفقهون قولاً غير لسانهم إلاّ بمشقة وعسر لغرابة لغتهم، وبطء فهمهم للغات الآخرين نظراً لبعدهم عن مخالطة غيرهم من الأمم المحيطة بأرضهم) قد طلبوا مساعدته. فقاموا إلى ذي القرنين وشكوا إليه ما يلقون من هاتين الأمتين المفسدتين في الأرض من مظالم، وطلبوا منه أن يجعل بينهما سدّاً، على أن يجعلوا له جزءاً من أموالهم كخراج أو ضريبة. وجاء ردّ ذي القرنين على النحو التالي: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۗ ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ۗ ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿٩٨﴾﴾

[الكهف: 95 - 98].

2 - ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۗ ﴿٩٦﴾﴾

[الأنبياء: 96].

ومن معاني هذه الآيات أنَّ «ذي القرنين» قال لهؤلاء الذين لا يكادون يفقهون قولاً أنَّ ما وهبه الله - تعالى - من العلم والقوة والحكمة هو خير ممَّا يبذلونه له هم من المال. ولذلك طلب منهم فقط أن يعينوه بالرجال الذين يعملون تحت إمرته لكي يجعل بينهم وبين «باجوج وماجوج» سدًّا منيعاً. وطلب منهم توفير قطع من الحديد ووضعها في الفتحة التي يرغبون في إغلاقها بين الحاجزين. ولما ساوى البناء بين جانبي الحاجزين أمرهم أن يوقدوا النيران على الحديد وأن ينفخوا فيها بالمنافخ والكيران حتى صار الحديد كالنار من شدة الاحمرار، ثم طلب منهم أن يأتوه بالنحاس المصهور الذي صبه فوق قطع الحديد المحمّاة فتشكل من هذا الخليط (المكوّن من الحديد والنحاس) واحدة من أصلب وأملس السبائك المعروفة في علم المعادن. ولما تم ذلك لم يستطع المفسدون من قوم «باجوج وماجوج» أن يتسوروا هذا السدّ لعلّوه وملاسته. وما استطاعوا أن يثقبوه لصلابته وثخانتته. وبهذا السدّ المنيع أغلق ذو القرنين الطريق أمام «باجوج وماجوج» للاعتداء على هؤلاء القوم البسطاء، ولذلك قال: هذا السدّ نعمة من نعم الله، ورحمة على هؤلاء القوم المساكين الذين لا يكادون يفقهون قولاً. وأكد لهم ذو القرنين أن السدّ سيظلّ يحميهم من غارات «باجوج وماجوج» حتى يأتي أمر الله - تعالى - بخروجهم. وخروجهم من العلامات الكبرى للساعة، لأن الله - تعالى - سيّدك السدّ بأمر منه حتى يجعله مستويّاً بسطح الأرض، فيخرج باجوج وماجوج من كل حذب ينسلون، وهو وعد الله الذي لا يتخلف أبداً، وهو وعد نافذ لا محالة.

ومن معاني هذه الآيات الكريمة أنَّ القوم الأشرار المفسدون في الأرض الذين عرفوا باسم «باجوج وماجوج» سوف يظّلون محجوزين خلف السدّ الذي بناه «ذو القرنين» إلى وقت الساعة، حين يندك السدّ وينهدم فيتسارع هؤلاء الذين كانوا محجوزين خلفه من كل مرتفع من الأرض إلى حيث قدر لهم أن يصلوا، فيشيعون في الأرض الفساد والهلع والذعر إلى أن يشاء الله - تعالى - بقيام الساعة. وحينئذ يدمر الكون الحالي، ثم يخلق الله - تعالى - كوناً آخر، فيه تبدل الأرض بأرض

غير أرضنا هذه، وتبدل السماوات بسماوات غير السماوات المحيطة بنا. ثم يبعث الخلق جميعاً من الأرض الجديدة، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم: 48].

ويقول: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْوَلُونَ قَدَّ كُنَّا فِي عَقَلِهِمْ مِنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: 97].

ثانياً: يأجوج ومأجوج في أحاديث رسول الله ﷺ:

جاء ذكر «يأجوج ومأجوج» في أقوال رسول الله ﷺ وذلك في الأحاديث

التالية:

1 - أخرج كل من الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، إن شاء الله - تعالى - واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم أجفط، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها (والنغف هو الدود الصغير). قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنَّ دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم»⁽¹⁾.

2 - كذلك أخرج الإمام ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذكروا الساعة، فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى، فلم يكن عنده منها علم، فردّ الحديث إلى عيسى ابن مريم فقال: قد عهد إليّ فيما دون وجبتها، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله. فذكر خروج

(1) ابن ماجه، حديث رقم (4080).

الدَّجَال، قال: فأنزل فأقتله، فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم «ياجوج وماجوج» وهم من كلِّ حدب ينسلون، فلا يمرّون بماء إلاَّ شربوه، ولا بشيء إلاَّ أفسدوه، فيجأرون إلى الله، فأدعو الله أن يميّتهم، ففتنن الأرض من ريحهم، فيجأرون إلى الله، فأدعو الله، فيرسل السماء بالماء، فيحملهم فيلقيهم في البحر. ثم تنسف الجبال، وتمدّ الأرض مدّ الأديم، فعهد إليّ: متى كان ذلك، كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تفجّوهم بولادتها»⁽¹⁾.

قال العوام: ووجد تصديق ذلك في كتاب الله - تعالى - حيث يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّجَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

3 - أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن حرمة بن يحيى... عن أم المؤمنين السيّدة زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: لا إله إلاَّ الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها، قالت فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبيث»⁽²⁾.

وقد كانت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وقد وقعت غارات التتار بعدها بأكثر من ستة قرون، ودُمّرت دولة الخلافة العبّاسيّة على يد (هولاكو) في خلافة المعتصم آخر ملوك العبّاسيين (وكان ذلك في سنة 656هـ/1258م)، وقد يكون في ذلك تعبير لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أمكن تجاوز ردم ذي القرنين فإذا رأى الناس ياجوج وماجوج عرفوا أنّ الردم قد اندك.

(1) أخرجه ابن ماجه، حديث رقم (4081).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3346)، مسلم في كتاب: الفتن،

حديث رقم (7166)، والترمذي في كتاب: الفتن، حديث رقم (2187).

4 - عن حذيفة بن أسيد الغفاري أن رسول الله ﷺ قال: «لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: وذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، وفتح يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف (خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب)، ونار تخرج من قعر عدن»⁽¹⁾، وفي رواية مسلم: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»⁽²⁾.

ثالثاً: يأجوج ومأجوج في كتابات المفسرين:

1 - في شرحه لصحيح البخاري ذكر الفقيه الشيخ محمد أنور الكشميري رَحِمَهُ اللهُ (ت 1352هـ/1933م) ما نصّه: إنَّ سدَّ ذي القرنين قد اندكَّ اليوم، وليس في القرآن الكريم وعد ببقائه إلى يوم خروج يأجوج ومأجوج، ولا خبر بكونه مانعاً لخروجهم، ولكنّه من تبادر الأوهام فقط، فإنَّ الله - تعالى - قال: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾.

وقال: ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ إلخ، فلم يمنع ذلك من خروج يأجوج ومأجوج مرّة بعد مرّة، وقد خرجوا قبل ذلك أيضاً، وأفسدوا في الأرض بما يستعاض منه؛ نعم يكون لهم الخروج الموعود في آخر الزمان، وذلك أشده، وليس في القرآن الكريم أنَّ هذا الخروج يكون عقب الاندكك، متصلاً، بل فيه وعد باندكاهه فقط، فقد اندكَّ كما وعد، أمّا أنَّ خروجهم موعود بعد اندكاهه، بدون فصل فلا حرف فيه (فيض الباري على صحيح البخاري: 4/23).

وقال الشيخ الكشميري رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر من كتابه ما نصّه: ولم يذكر في القرآن الكريم لفظ الخروج من هذا السدِّ قط، ولمَّا ذكر في سورة «الأنبياء» قول ربِّنا - تبارك وتعالى -: ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ لم يذكر السدَّ أو

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، حديث رقم (2183)، وأبو داود في كتاب الملاحم، حديث رقم (4311)، وابن ماجه في كتاب الفتن، حديث رقم (4041).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، حديث رقم (7214).

الردم، فكان الخروج لعومهم (فيض الباري على صحيح البخاري: 4/26).

2 - في كتابه المعنون «حاضر العالم الإسلامي» ذكر الأمير شكيب أرسلان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (1871 - 1946م) أنَّ «ياجوج وماجوج» هم المجرار وهم المغول واعتمد في ذلك الاستنتاج على غزواتهم المتكررة لبلاد الإفرنج، واندفاعهم إليها حتى وصلوا إلى فرنسا، وملأوا أراضيها تدميراً وفساداً وخراباً. واعتمد هذا الأمير الأديب في استنتاجه أيضاً على غارة التتار المغول (الذين اعتبرهم من نسل ياجوج وماجوج) على العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وما أحدثوه من خراب ودمار، ونهب وقتل وسبي وغير ذلك من صور الإفساد في الأرض. واستعراض إفسادهم ذلك في الأرض يسهل تصوّر إمكانية حصوله منهم مرّة أخرى قبل مجيء الساعة. ويصف القرآن الكريم هذا الخروج بقول ربنا - تبارك وتعالى -:

﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

3 - وفي التعليق على قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كَلَّ حَدَبٍ يَنْسُونَ﴾ [٩٦] وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [٩٧] [الأنبياء: 96 - 97].

يذكر صاحب الظلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما نصه: إنَّ هذا النص لا يحدّد زماناً معيناً لخروج ياجوج وماجوج، فاقتراب الوعد الحقّ بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن الكريم قول ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [١] والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر، فقد تمرّ بين اقتراب الساعة ووقوعها السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة، وإذن فمن الجائز أن يكون السدّ قد فتح في الفترة ما بين اقتراب الساعة ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي صورة من صور انسياح «ياجوج وماجوج».

4 - وترى مجموعة من الكتاب المعاصرين أنَّ تعبير «يأجوج ومأجوج» هو اسم على كلِّ كافر بالله أو مشرك به، من دُعاة الماديّة والدهريّة الذين يمثلون غالبية أهل الأرض اليوم. ويبدو أنَّ هذا الاتجاه المادي الملحد أو المشرك أو الضال سوف يظل سائداً حتى قيام الساعة. ويعتمد أصحاب هذا التصرُّور في ذلك على حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنه قال: «يقول الله - تعالى -: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول الله - تعالى -: أخرج بعث النار، قال آدم: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (الحج: 2)؛ قالوا: يا رسول الله! وأينا ذاك الواحد؟ قال: أبشروا فإنَّ منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج بقية ألف، ثم قال: «والذي نفسي بيده إنني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»⁽¹⁾.

وواضح من هذا الحديث الشريف أنَّ جمهور بعث النار هم من يأجوج ومأجوج، وهذا هو الذي دفع فريقاً من الكتاب المعاصرين إلى الاستنتاج بأنَّ هؤلاء الأشرار المفسدون في الأرض ليسوا عرقاً معيَّناً من البشر، ولكن هي حالة نفسيّة، من الأنانيّة، والعنف، والكبر والاستعلاء على الخلق قد تصيب أيّاً من بني آدم، كما أصابت كفّار ومشركي العالم في زماننا ومن قبل زماننا.

وجاء في «الظلال» - رحم الله كاتبها - إنَّ سداً تمَّ الكشف عنه على مقربة

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3348)، ومسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم (531 - 532).

من مدينة (ترمذ) عُرف باسم «باب الحديد»، وقد مرَّ به في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي العالم الألماني (سيلد برجر) وسجَّله في كتابه، وكذلك ذكره المؤرخ الإسباني (كلافيجو) في رحلته (سنة 1403م)، وقال أن سدَّ مدينة باب الحديد على الطريق بين سمرقند والهند وقد يكون هو السدَّ الذي بناه (ذو القرنين).

وعلى أيِّ حال فإنَّ الجدل حول شخصيَّة (ذي القرنين) وزمانه ومكانه، وموضع الردم الذي بناه سيبقى دائراً حتى يحسمه الكشف الأثري الدقيق. وكذلك سيبقى الجدل حول حقيقة (ياجوج وماجوج). وتبقى إشارة القرآن الكريم إلى قصَّة (ذي القرنين) مع القوم الذين بنى لهم الردم الفاصل بينهم وبين (ياجوج وماجوج) يبقى ذلك وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنَّه لا يمكن أن يكون صناعة بشريَّة. وذلك لأنَّ أحداً من أهل الجزيرة العربيَّة في زمن الوحي لم يكن يعرف شيئاً عن (ذي القرنين) أو عن الردم الذي بناه هذا العبد الصالح، أو عن (ياجوج وماجوج)، فمن أين لرسول الله ﷺ هذا العلم لو لم يكن موصولاً بالوحي، ومعلماً من قِبَل خالق السموات والأرض؟ وصدق الله العظيم إذ يقول في وصف هذا الرسول الخاتم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ۝٣﴾ [النجم: 3، 4].

﴿٤﴾

ثالث وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة أصحاب الجنة

102 - ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾﴾

[القلم: 17].

جاءت هذه الآية الكريمة والآيات التي تليها في سورة «القلم» (القلم: 17 - 33) في الردّ على أبي جهل (عمرو بن هشام) الذي رفض الإسلام عصبيةً وتكبراً وتجبراً، وانطلاقاً من كونه هو زعيم بني مخزوم من قريش، وكون المصطفى ﷺ من بني عبد مناف. وكان ذلك كما ورد من قصته مع كلٍّ من «الأخنس بن شريق» و«أبي سفيان بن حرب» حين خرج ثلاثتهم منفردين يستمعون القرآن خفية من تلاوة رسول الله ﷺ على مدار ثلاث ليال، وهم في كلِّ ليلة يتواعدون على عدم العودة خشية أن يراهم الناس فيقع في نفوسهم شيء من الميل إلى قبولهم الإسلام ديناً.

فلَمَّا سأل الأخنس بن شريق أبا جهل رأيه فيما سمع من القرآن الكريم كان جوابه: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجائنا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: متاً نبيّ يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك مثل هذا؟ بالله لا نؤمن به ولا نصدّقه!

وكان من دوافع رفض مشركي قريش دين الإسلام أنّ التوحيد الذي جاء به هذا الدّين السماوي يهدم كلّ صور الشرك التي كانوا هم وأهل الأرض - في غالبيتهم الساحقة - قد وقعوا فيها إلى آذانهم حتى ضلُّوا وأضلُّوا، وملأوا الأرض انحرافاً وفساداً.

كذلك كان من دوافع مقاومة كفّار ومشركي قريش لدعوة رسول الله ﷺ عدد من الاعتبارات الاجتماعية التي كان في مقدمتها الخوف من انتزاع الزعامة من بين مشايخهم، في بيئة قبلية تجعل للزعامة الاجتماعية كل الاعتبار. وذلك لأنّ رسول الله - مع علو قدره، وشرف نسبه في قريش - حتى من قبل أن يأتيه الوحي - لم تكن له زعامة اجتماعية فيهم. فقد كانت الزعامات الاجتماعية موزعة بين مشايخ كل من مكّة والطائف، وكانوا يخشون من انتزاع تلك الزعامات من أيديهم بانتشار الإسلام، ولذلك قال ربّنا - تبارك وتعالى - على لسانهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31].

والقرآن كان يتنزل بالدعوة إلى التوحيد الخالص لله - تعالى - وبتسفيه كل صور الشرك وكل الطقوس المبتدعة المرافقة لذلك (من عبادة أي من الأصنام، أو الأوثان، أو القمر، أو النجوم، أو الكواكب، أو الملائكة أو الجن). من هنا بدأ الكفّار والمشركون في مقاومة الدعوة الإسلامية، وفي التطاول على شخص النبي الكريم ﷺ، وفي تعريض القلّة التي آمنت معه إلى أشد ألوان التعذيب. وقد أغرى كلاً من الكفّار والمشركين بذلك كثرة أموالهم وأولادهم، فسوا أنّ ذلك كلّه من نعم الله عليهم، وما أشنع أن تقابل نعم الله - تعالى - بالكفر به، وبالتطاول على رسوله الكريم، وعلى أوليائه الصالحين!!

وللردّ على هؤلاء المشركين يضرب القرآن الكريم مثلاً بقصّة أصحاب الجنة، وهي قصّة تُذكّر بعواقب مانع زكاة الزروع. وكان ذلك من دوافع البطر بالنعمة، ومقابلتها بالاستعلاء والكبر، بدلاً من الحمد والشكر. وتؤكد الآيات أنّ كلّ ما وهب الله - تعالى - الإنسان من أموال وبينين هو من ضرور الابتلاء لهم، كما ابتلى أصحاب هذه القصّة التي تكشف أحداثها عمّا وراءها من تدبير الله وحكمته، وإحاطة علمه وطلاقة قدرته، ونفاذ حكمه في جميع خلقه.

وتبدأ القصّة بشيخ صالح كانت له جنة في الأرض، عبارة عن بستان ذي شجر يستر الأرض لكثرتة (وقد تسمى الأشجار الساترة نفسها باسم «جنة أرضية»).

وكان هذا الشيخ الصالح يخرج زكاة ثمار جنته بانتظام حتى وافاه الأجل المحتوم. وجاء أولاده من بعده فأغراهم الشيطان بالامتناع عن إخراج زكاة زروعهم، وأغواهم بذلك، وزينه في قلوبهم، فبيتوا الاستئثار بثمار تلك الحديقة عند تمام نضجها.

وعندما قرب موعد جني الثمار اجتمعوا بليل وقرروا الخروج إلى حديقتهم في الصباح الباكر ليقطفوا ثمارها، ولا يتركوا منها شيئاً لمستحقي الزكاة، على عكس ما كان يفعل أبوهم من قبل. وتعاهدوا على تنفيذ ذلك وأقسموا عليه، وباتوا ليلتهم وقد عقدوا النية على تنفيذ مخططهم الشيطاني، ولكن القرار الإلهي كان قد سبقهم إلى جنتهم الأرضية، فأمر الله - تعالى - بتدمير جميع ثمار ذلك البستان قبل وصولهم إليه. وبالفعل نزل ببستانهم بلاء محيط وهم نائمون، فأصبح البستان كالذي قد صرمت (أي: قطعت) ثماره فلم يبق منها شيء، وفي ذلك يقول القرآن الكريم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتُنُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا حَفَّتْ جَانِبُهُمْ آيَةُ رَبِّكَ تَوَدَّ لو كَانُوا يَرَوْنَ كَمَا تَرَاهُمْ أَسْفَهَاءُ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا عَلَىٰ آلِهَتِنَا فَاصْبِرْ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: 17 - 20].

وفي الصباح الباكر تنادى الإخوة المتآمرون من أجل البدء في تنفيذ المخطط الذي كانوا قد أجمعوا كلمتهم عليه بالأمس. ثم تحركوا في تستر وصمت كاملين حتى لا يدركهم أحد من الفقراء أو المساكين (الذين كان أبوهم يوزع زكاة البستان عليهم وقت جمع ثماره)، فيتبعهم إلى البستان، أملاً في الحصول على شيء مما يجمع هؤلاء الأبناء، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ آتِدُوا عَلَيَّ حَرْبَكُمْ إِنَّكُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْبٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم: 21 - 25].

(والحرد) هو القصد أو التنحي، ومعنى ذلك أنهم في الصباح الباكر ساروا إلى بستانهم سراً، متنحيين عن قومهم، عازمين على تنفيذ المخطط الذي رسموه، وأجمعوا أمرهم عليه، وهم واثقون من قدرتهم على تنفيذه، قاصدين ذلك،

ومصممين عليه، (ألا وهو جمع ثمار البستان منفردين لا يراهم أحد من الناس، حتى لا يعطوا المساكين من قومهم شيئاً من تلك الثمار). لكنهم عندما وصلوا إلى بستانهم لم يعرفوه لأنهم وجدوا ثماره قد قطعت بالكامل حتى لم يبق منها ثمرة واحدة على فرع من فروعه أو على الأرض من حول أشجاره، فظنوا أنهم قد ضلوا الطريق إلى بستانهم الذي لم يعرفوه لأنه كان قد جرد من ثماره تجريداً كاملاً. ولكن بالنظر فيما حولهم من معالم أدركوا أنه بستانهم. وحينئذ تنبهوا إلى أنهم قد حرموا ثمار بستانهم جزاء تأمرهم الشيطاني من أجل حرمان المساكين من حولهم من زكاة تلك الثمار، وزكاة الزروع حق شرعه الله ﷻ، لا يمكن الهروب من أدائه وإلا نزل بالمتهربين منه عقاب الله الذي لا يرد. لذلك قال أرجحهم عقلاً، وأعدلهم رأياً: هلا ذكرتكم الله وتبتم إليه، وتضرعتم له أن يغفر لكم خطاياكم بما يبثم من نوايا سيئة، قررتم بها حرمان مساكين قومكم من حقهم في ثمار بستانكم!! وهذا الحق شرعه الله ﷻ لهم، وبإغفاله نالنا من العقاب الإلهي ما نالنا!

وكان أخوهم هذا قد نصحهم من قبل ألا يفعلوا ذلك فعصوه. وفي الحال أخذ بعضهم يلوم البعض الآخر على ما كانوا قد خططوا له، وأقسموا عليه، بقصد حرمان المساكين من حقهم الذي فرضه الله - تعالى - لهم. وبعد أن أفاقوا من غفلتهم تابوا إلى بارئهم، واستغفروه، وأنابوا إليه، وفي ذلك تقول الآيات: ﴿فَمَا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ (٢٦) ﴿بَلْ عَجَبْتَ وَمَنْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا مُسِيحُونَ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) ﴿عَنَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢) ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

[الفلم: 26 - 33].

هذه الواقعة التي ختمت بتوبة أصحاب الجنة إلى الله - تعالى - بعد أن رأوا بأعينهم العقاب الفوري الرادع لمانع زكاة الزروع، يجب أن تبقى تذكرة لكل صاحب مال بضرورة إخراج زكاة ماله فور استحقاقها. وتعلق الآيات بأنه إذا كان العقاب الذي نزل بأصحاب الجنة، فأهلك ثمار بستانهم وهم نائمون، بينما كانوا في قمة

الثقة بقدرتهم على جمع ثمار جنتهم دون أن يراهم أحد من المساكين، فإنَّ إهلاك كفّار ومشركي قريش ليس بالأمر المستبعد، خاصّة وأنَّ هؤلاء المشركين كانوا قد فجروا في كفرهم وشركهم، وبالغوا في معارضة الإسلام، وفي إيذاء خاتم أنبياء الله ورسله، وفي تعذيب القلّة التي آمنت به في بدء دعوته بدون أدنى حق.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى تأمل هاتين القصتين للاعتبار بهما: قصة أصحاب الجنة وقصة كفار قريش. والأولون كانوا قد قرّروا عدم إخراج زكاة ثمار جنتهم، فعاقبهم الله - تعالى - بحرمانهم منها حرماناً كاملاً، ثم تابوا إلى الله، واستغفروه، وعادوا من غيهم إلى صحوة حقيقية راشدة. وكفّار ومشركو قريش كانوا قد أغرتهم وفرة أموالهم وكثرة أولادهم على رفض الحقّ الذي جاء به نبيّهم الصادق المصدوق، والأمين المؤتمن عندهم. ولذلك تهددهم ربّهم بسوق قصّة أصحاب الجنة إليهم. وفي هذه القصة إنذار واضح من الله - تعالى - إلى كفار ومشركي قريش بأن ما يملكون من مال وعيال قابل للزوال في لمح البصر، أو في أقل من ذلك. وفي الوقت ذاته يطمئن ربّنا - تبارك وتعالى - عباده المسلمين بأنّ كل ما يرونه على الكفّار والمشركين من آثار النعم في المال والعيال إنّما هو ابتلاء من الله - تعالى - له عواقبه في الدنيا إذا لم تؤد حقوقه. وإذا لم يتب هؤلاء الكفّار والمشركون إلى بارئهم وينيبوا إليه، ويتطهّروا من دنس الكفر والشرك، فإن عذاب الدنيا ينتظرهم، ثم إن عذاب الآخرة هو أشد وأنكى لهم، وفي ذلك يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَلَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

[القلم: 33].

من الدروس المستفادة من قصة أصحاب الجنة:

- 1 - ضرورة محاربة الإنسان لأمراض شخّ النفس، والبخل في ذاته، لأنّ في المال حقّ معلوم للسائل والمحروم، وأنّ الذي لا يخرج هذا الحقّ الشرعي معرض للعقاب الإلهي العاجل أو الآجل، أو بهما معاً إن لم يبادر بالتوبة إلى الله.

- 2 - إنَّ عدم إخراج الحق الشرعي من الزكاة في حينه هو صورة من صور غمط الحق، وبطر النعمة، وربنا - تبارك وتعالى - لا يرتضي ذلك من عباده أبداً. وكما يكون الانحراف عن أداء حق الله في إخراج الزكاة على وقتها مرضاً في الأفراد، يكون في المجتمعات التي إن ضلَّت عن منهج الله - تعالى - وانحرفت عنه فإنَّ الله يبتليها بالحرمان من نعمه حتى تفتيق من غيِّها، وتصحح من أخطائها، وتعود إلى كنف الله وطاعته ومرضاته.
- 3 - إنَّ ابتلاءات الناس في الدنيا قد تعين على إيقاظهم من غفلتهم، وعلى إحياء ضمائرهم من أجل تصحيح مسار حياتهم، وفي هذه الحالة يكون الابتلاء خيراً كبيراً من الله ﷻ.
- 4 - إنَّ الابتلاء كما يكون بالشدة والضيقة، فإنَّه قد يكون بالرخاء والسعة، فليست إفاضة المال والجاه والسلطان هي دوماً من علامات رضى الله، وليس الفقر والمرض وغيرهما من الابتلاءات هي دوماً من علامات سخط الله وغبه على عباده.
- 5 - إنَّ من الواجب على كلِّ إنسان عاقل أن يدرك أخطائه في هذه الحياة الدنيا، وأن يقوم بتصحيحها فور اكتشافها، وأن يسارع بالتوبة إلى الله - تعالى - لأنَّ باب التوبة مفتوح لكلِّ تائب إلى أن يغرغر، ومن هنا كان واجب العقلاء من عباد الله أن يداوموا على الاستغفار، وعلى التوبة والإنابة إلى الله.
- 6 - إنَّ تكافل المجتمع الإسلامي هو فريضة من الله - تعالى - على كلِّ مسلم أن يقوم بها، وأن يساعد على إحيائها بكلِّ ما يستطيع من جهد ومال، لأنَّ الدنيا هي مزرعة الآخرة.
- 7 - إنَّ ما يخفى على العباد لا يخفى على ربِّ العباد الذي يكافئ المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، والله سريع الحساب.
- 8 - أنَّ معصية أوامر الله، أو التقصير في تنفيذها يتسبب في الحرمان من ثواب

الله لأن ذلك يتنافى مع حقيقة الخضوع بالعبودية لله.

9 - إنَّ الرزق كله من الله ﷻ، وكل ما هو من الله لا يمكن أن يطلب بمعصية، بل لا بدَّ أن يطلب بتقديم الطاعات له ﷻ عبودية خالصة لجلاله.

واستعراض القرآن الكريم لقصة أصحاب الجنة يمثل وجهاً من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله لأنه لم يرد لهذه القصة ذكر في أي من كتب «العهدين القديم أو الجديد». ولو أنها جاءت على - عادة القرآن الكريم - من أجل الاستفادة بما فيها من دروس وعبر، دون الدخول في تفاصيل الأسماء، والأنساب، والأماكن والأزمنة. إلا أنها جاءت بعدد من الدروس المفيدة التي استعرضناها آنفاً ونوجزها في النقاط التالية:

- 1 - إن من واجبات المسلم أداء حق الله - تعالى - في المال، حتى لا يتعرض للابتلاء، الذي هو من سنن الله في خلقه.
- 2 - وإن من حق المسلم في مجتمعه أن يجد من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويذكره بتحقيق التكافل في مجتمعه.
- 3 - التحذير من التعاون على الظلم أو الوقوع فيه.
- 4 - التأكيد على ضرورة شكر نعم الله تعالى بالقول والعمل.
- 5 - التأكيد على حق الفقراء والمحتاجين في المال.
- 6 - ضرورة الحرص على تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة حتى لا يغتالهم الشيطان.
- 7 - التحذير من البخل والشح لأنه مدخل من مداخل الشيطان.

الخاتمة

في هذين المجلدين تمت مناقشة أكثر من مائة نص قرآني كريم، أدركنا في كل واحد منها وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص تعرض لجوانب من سير خمسة وعشرين نبياً من أنبياء الله، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد عليه السلام، الذي ختم الله تعالى ببعثته سلسلة النبوات، وبرسالته جميع رسالات السماء. وبما أنه ليس من بعد هذا النبي الخاتم نبي ولا رسول، فإن الله تعالى تعهد بحفظ رسالته الخاتمة في نفس لغة وحيها (اللغة العربية) فحفظت على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً دون أن يضاف إليها أو أن يحذف منها حرف واحد. وكان عهد الله بحفظ رسالته الخاتمة عهداً مطلقاً، حتى يتحقق العدل الإلهي الذي قرره ربنا - تبارك وتعالى - بقوله العزيز:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 15].

وحتى يتحقق وعده الذي قطعه على ذاته العلية بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9].

وبقاء القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله في (نفس لغة وحيه) فيه تجسيد لبقاء الهداية الربانية (التي بعث بها جميع أنبياء الله ورسله) قائمة بين الناس، تأمرهم بأوامر الله، وتنهاهم عن نواهيهم، وفي ذلك يقول الحق - تبارك اسمه -:

﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 165].

وقال مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله عليه السلام قائلاً له: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3].

وفي ذلك أيضاً يروي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله! أي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم، قلت: يا رسول الله! ونبيي كان؟ قال: نعم، نبي مكرم. قلت: يا رسول الله! كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً»⁽¹⁾.

وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال أبو ذر: «... قلت: يا رسول الله! كم وقي عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً»⁽²⁾.

ويخاطب ربنا - تبارك وتعالى - خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم قائلاً له: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

وتشمل النصوص القرآنية الكريمة التي استعرضناها كذلك نماذج من سير عدد من الصالحين (أمثال كل من الخضر، لقمان، ذو القرنين وأصحاب الكهف)، ومن سير عدد من الطالحين (أمثال كل من فرعون وهامان، قارون، السامري، أصحاب الرس، أصحاب الأيكة، أصحاب مدين، أصحاب السبت، أصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل) وذلك لاستخلاص الدروس والعبر من بعض مواقف هؤلاء وأولئك.

في المجلد الأول تمت مناقشة خمسين نصاً قرآنياً كريماً، وتم عرض ما في كل نص منها من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص عرضت لعدد من الدروس والعبر المستقاة من سير أربعة عشر نبياً من أنبياء الله: بدءاً بأبينا آدم عليه السلام، ووصولاً إلى عبد الله ونبيه أيوب عليهما السلام.

وفي المجلد الثاني تمت مناقشة اثنتين وخمسين نصاً قرآنياً كريماً، وما جاء بكل منها من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص

(1)، (2) مسند الإمام أحمد.

عرضت لعدد من المواقف في سير إحدى عشر نبياً من أنبياء الله، بدءاً بكل من الأخوين موسى وهارون عليهما السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا، وسيد الأولين والآخرين من ولد آدم، محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا الاستعراض لمن نعرف من سلسلة الأنبياء يؤكد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين جميع الأنبياء، وبين الناس جميعاً. وهذه الوحدة منبثقة من وحدانية الخالق صلى الله عليه وسلم الذي شهد لذاته العلية بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، وشهد له بها كل من الملائكة وأولي العلم، ولذلك قال - جل شأنه -:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: 18].

وجاء توحيد الله صلى الله عليه وسلم في عشرات الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة من أجل التأكيد على هذه الحقيقة التي تمثل ركيزة الدين. كذلك جاء التأكيد على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء في العديد من الآيات والأحاديث، وفي ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»⁽¹⁾.

ويقول: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب»⁽²⁾.

ويقول: «يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟»⁽³⁾.

وهذا الموقف الإسلامي، الأصولي، المنطقي، النبيل يختلف اختلافاً كلياً

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

عن مواقف أصحاب الكفر والشرك والضلال، الذين أذلهم الشيطان حتى أخرجهم من دائرة الإيمان إلى دوائر الكفر، ومن دائرة التوحيد إلى دوائر الشرك بالله، ومزقهم إلى العديد من الفرق والشيوع، المتربصة ببعضها، والمتوجسة خيفة من كل قائم حولها.

والكافرون لا حجة لهم في كفرهم، وذلك لأن كل شيء في الوجود يشهد بأن الكون المادي الذي نعيش فيه هو كون شاسع الاتساع، دقيق البناء، منضبط الحركات والعلاقات، ومحكم إحكاماً شديداً في كل جزئية من جزئياته. وهذا مما يؤكد أن كوننا المادي لا يمكن أن يكون قد أوجد ذاته بذاته، ولا أن يكون من نتاج العشوائية أو الصدفة، بل لا بد له من موجد عظيم، له من صفات الربوبية والألوهية ما يتجلى في القدرة الفائقة، والدقة البالغة التي أبدع بها جميع خلقه.

وبالمثل فإنه لا حجة للمشركين الذين عبدوا الحجر، أو الشجر، أو البشر، كما عبدوا مختلف الحيوانات، أو النجوم والكواكب، وعبدوا الشيطان، بدعوى أن هذه المخلوقات تقربهم إلى الله زلفى، أو بدعوى المشركين أنهم يتقون شرورها بإشراكها في عبادتهم لله، أو بإخلاص العبادة لها.

وهذا موقف ضال كل الضلال، لأن كل شيء في الوجود يؤكد وحدانية الخالق ﷻ، ويشهد بضرورة تنزهه فوق جميع صفات خلقه، وفوق كل وصف لا يليق بجلاله. وتكفي في ذلك الإشارة إلى وحدة بناء الكون من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته، وإلى بنائه من لبنة واحدة (هي غاز الإيدروجين)، ومن تكرار اندماج نوى ذرات ذلك الغاز في داخل النجوم بعملية الاندماج النووي). ومن هنا يؤكد القرآن الكريم أن الله - تعالى - لم يخلق الخلق المكلف إلا لعبادته وحده بما أمر فقال - تعالى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

أما الخلق غير المكلف (من الحيوانات، والنباتات، والجمادات) فكل منها يعبد الله - تعالى - عبادة فطرية، فطره الله - تعالى - عليها، ولا اختيار له فيها،

وفي حقه يقول - تعالى -:

﴿سُبْحٰنَ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّۗۤ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّاۤ اَسْبٰغُۙ بِحَمْدِهِۦۗ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْۙ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًاۙ عَفُوْرًاۙ﴾ [الإسراء: 44].

والمعركة بين الشيطان والإنسان بدأت مع أبونا آدم وحواء عليهما السلام منذ اللحظة الأولى لخلقهما، ثم استعرت في زمن قوم نوح، واستمرت إلى اليوم، وستبقى إلى قيام الساعة. لذلك حذر الله - تعالى - أبونا آدم وحواء من الشيطان، وأنزل تحذيره هذا في جميع رسالاته السماوية، كما حذر من مصيبة الشرك، فقال - وهو أصدق القائلين -:

﴿اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَۙ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُۗۤ وَمَنْ يُشْرِكْۙ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَرٰٓىۙ اِثْمًاۙ عَظِيْمًاۙ﴾ [النساء: 48].

وفي الحديث القدسي يقول الله - تعالى -: «واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانتابتهم الشياطين، واجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم»⁽¹⁾.

وقال عليه السلام: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق»⁽²⁾.

ويروي ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجالاً صالحين من قوم نوح هلكوا، فوسوس الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت»⁽³⁾. وكانت وثنية قوم نوح هي أول وثنية في تاريخ البشرية كلها.

وجاء تحذير القرآن الكريم للإنسان من الشيطان وجنوده وأعدائه في عشرات

(1) الطبراني.

(2) الحاكم.

(3) تقدم تخريجه سابقاً.

الآيات القرآنية الكريمة، كما تكرر ذلك كثيراً في أحاديث رسول الله ﷺ.

وعلى ذلك فإن تاريخ الإنسان على الأرض (أفراداً، وجماعات، وأمماً) يتلخص في صراعه مع الشيطان، وعلى نتيجة هذا الصراع من الانتصارات والهزائم وعلى انعكاسات ذلك على الإنسان وعلاقته بأخيه الإنسان. والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم من العروق، ولذلك كان حصنه الواقى، ودرعه الوحيد في صراعه مع الشيطان هو احتماؤه بجناب الله وشرعه.

من هنا كانت ضرورة الدين، وضرورة بعث الأنبياء والمرسلين، وحثمية أن يكون الدين ربانياً خالصاً، لا يداخله أدنى قدر من الابتداعات البشرية، وإلا أفسدته. والدين عند الله - تعالى - هو «الإسلام» الذي علمه لأبينا آدم لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم النبيين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - لذلك قال - تعالى - :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

[آل عمران: 19].

وفي نفس السورة يؤكد ربنا ﷻ هذه الحقيقة بقوله العزيز:

﴿وَمَنْ يَبْغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٨٥)

[آل عمران: 85].

من هنا فإن منهج المسلمين في الحياة يختلف عن مناهج غيرهم في كل شيء، ومن ذلك كتابة التاريخ ولما كان غير المسلمين لا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه، ولا برسله، ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر خيره وشره، جاءت كتاباتهم متسمة بالنقص في الفهم والإدراك، وفي التصور والتفسير، وفي التحليل والاستنتاج، وبالتالي في التقويم والحكم، وذلك لأنهم يكتبون من منطلقات مادية محضة لا تؤمن بما فوق المادة. وكل ما هو فوق المادة يعتبر من

المعتقدات الموضوعية في إدارة شؤون حياتهم فانصرفوا عنها، فإن هذا الوضع الشاذ لا نظير له في الإسلام الذي تعهد الله - تعالى - بحفظ أصوله فحفظت في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين ﷺ.

من هنا فإن منكري الغيب من فاقد الدين لا يمكن أن تأتي أحكامهم في أية قضية من القضايا الكلية إلا قاصرة، عاجزة، منقوصة مهما اجتهدوا في تحقيقها، ومهما توافر لديهم من المعلومات والقراءات والإحصاءات عنها. وذلك لأن منكر الغيب مثله كمثل الذي يدفن رأسه في الرمال فلا يرى شيئاً من حقائق الوجود الكثيرة من حوله.

من هذا المنطلق فإن فلسفة التاريخ من المنظور الإسلامي تختلف اختلافاً كلياً عنها من المنظور المادي، الذي ينطلق من إنكار كل ما هو غيبي. فالماديون يعتبرون التاريخ مجرد انعكاس للظروف الاجتماعية كما تحددها المادية الجدلية (الماركسية) أو الحرية المنطلقة بلا حدود ولا قيود (الليبرالية) أو الدنيوية الدهرية التي سميت خطأ باسم (العلمانية) التي تنكر الآخرة، بينما ينطلق المسلم - في تعامله مع التاريخ - ينطلق من القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وعلى ذلك فإن الماديين لا يعترفون بالوحي ولا بالأنبياء، ولا بالمعجزات التي أجزاها الله - تعالى - على أيديهم. وإن تصادف وأشار هؤلاء الماديون إلى أحد من أنبياء الله، اعتبروه من زمرة المصلحين الاجتماعيين، واعتبروا المعجزات التي أجزاها الله - تعالى - على يديه ضرباً من الخرافات والأساطير، ومن هنا يأتي تشويهم للتاريخ. وكان من دوافع ذلك أيضاً هذا القدر الكبير من التشويه الذي تعرض له قصص الأنبياء والمرسلين في كل من «العهدين القديم والجديد».

وفصل المعارف المكتسبة - ومنها التاريخ - عن مصدر الهداية الربانية يكشف عن زيف الفكر الوضعي، لأن إلغاء كل من البيان الإلهي، والإرادة الإلهية من التاريخ يجعل من المعارف المكتسبة - وهي كلها معارف جزئية - الحاكم

الوحيد على العباد، والأصل في الحاكمية أنها لا تكون إلا لله - تعالى - وحده.

وفصل التاريخ - كأحد المعارف المكتسبة - عن الإيمان بالله - تعالى - يحول الأمور النسبية إلى أمور مطلقة، ومن أخطار ذلك ذبوع الاتجاه الخاطئ الداعي إلى تأليه الإنسان لذاته، وهو المخلوق الضعيف المحدود القدرات، المحكوم عليه بالموت مهما طال أجله. وتأليه الإنسان لذاته هو من مآسي الحضارة المادية المعاصرة، ومن أسباب فشلها في تحقيق الأمن والسلام لأهل الأرض، في ظل تقدم علمي وتقني مذهل، يرافقه انحسار ديني وأخلاقي مذهل كذلك. وكان هذا التقدم العلمي والتقني هو السبب الرئيس في غرور الإنسان واستعلائه، بما توافر لديه من تقنيات متقدمة أذل بها أخاه الإنسان في دول العالم الثالث التي امتص الأقوياء ثرواتها وأغرقوا أراضيها في بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار. وكان التفوق العلمي والتقني الذي حققه الإنسان من أسباب تأليهه على الأرض، وتجبره على الخلق. ونسي هذا المغرور أن نتائج العلوم التجريبية كلها - على أهميتها - هي نتائج جزئية، لا يمكن أن توصل الإنسان إلى ما يحتاجه من معارف شاملة تجيب على عدد من الأسئلة الكلية التي تتردد في ذهنه من مثل: من أنا؟ من الذي خلقتني وأوجدني في هذه الحياة؟ ما هي رسالتي فيها؟ كيف يمكن لي تحقيق هذه الرسالة بنجاح؟ وما هو مصيري من بعد هذه الحياة؟

هذه الأسئلة الكلية تتردد في ذهن كل إنسان عاقل، بغض النظر عن مستوى ثقافته، ووضعه الاجتماعي، وإذا لم يجد الإجابات الشافية عليها فإنه لا يمكن له أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، أو أن يحقق شيئاً من رسالته فيها، أو أن يفارقها بشيء من النجاح.

وهذه الأسئلة الكلية لا يجيب عليها إلا وحي السماء الذي علمه ربنا - تبارك وتعالى - لأبينا آدم ﷺ لحظة خلقه، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبياء الله ورسله، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين

- صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - ولذلك تعهد ربنا ﷺ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى يوم الدين.

والإيمان بوحى السماء يؤكد وجود العديد من السنن الكونية والعلاقات السببية التي تؤثر في كل من الكون والإنسان (أفراداً وجماعات)، كما تؤثر في الأحداث التاريخية. وإخضاع الأحداث التاريخية للسنن الكونية هو ربط لعالم الشهادة بعالم الغيب، مما يعين على حسن فهم تلك الأحداث التاريخية عند ربطها ببعضها، ويسنن الله الحاكمة للكون بكل ما فيه ومن فيه (من اللبنة الأولية للمادة إلى الإنسان ومجتمعاته وتاريخه). وعزل كتابة التاريخ عن حقيقة وجود الله، وعن هيمنة سننه الحاكمة للكون هو عزل للإنسان عن رؤية الحقيقة.

فالإنسان هو عبد لخالق عظيم، خلقه لرسالة محددة هي عبادة الله - تعالى - بما أمر، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة عدل الله وشرعه في ربوعها. لذلك جعل الخالق ﷺ من الإنسان مخلوقاً عاقلاً، حرّاً، مختاراً، مكلفاً، ومكرمّاً. وبالتالي جعله مسؤولاً عن تصرفاته، وعن تحقيق التسامي في ذاته، وعن إحداث التغيير في المجتمع من حوله. من هنا كان الإنسان ذلك المخلوق العاقل صاحب الإرادة الحرة يملك آفاقاً لا حدود لها في النمو بذاته. وانطلاقاً من ذلك فإن الإنسان لا يخضع خضوعاً كلياً لما يسمى خطأ باسم «الحتمية الاجتماعية والتاريخية» التي يدعيها الماديون من أهل عصرنا. فالتاريخ ليس حتمية اجتماعية، بل دراسة لنشاط بني آدم على الأرض من لحظة خلق الإنسان الأول إلى اليوم، وحتى قيام الساعة. وهذا النشاط يجسد حقيقة استخلاف الإنسان على الأرض، ويجعل منه صانعاً للتاريخ وليس مصنوعاً به وبوقائعه التي هي أصلاً من صنع يديه.

وحركة الإنسان على الأرض تتم في إطار كل من عبادة الله - تعالى - بما أمر، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض، مع الاستفادة بكل ما سخر الله - تعالى - له فيها من مختلف صور المادة والطاقة والأحياء. والتاريخ يسجل

نشاط الإنسان في هذه المجالات، ويرصد مقدار نجاحه أو فشله في كل دائرة من دوائرها، وما يترتب على ذلك من نتائج. فالكون خاضع لقوانين مطرده، لا تتخلف، ولا تتوقف، ولا تتبدل إلى ما شاء الله. وقوانين الكون سخرها الله - تعالى - للإنسان، فهي تقع في دائرة التسخير له، وفي متناول الإرادة الحرة التي وهبها الله - تعالى - إياه، في إطار تكليفه بالاستخلاف في الأرض. وانطلاقاً من ذلك كله فإن الإنسان لا يخضع خضوعاً كلياً لما يسميه الماديون باسم «الاحتمية الاجتماعية والتاريخية» والتي يعتبرونها من الحتميات المطلقة، والقاهرة لإرادة الإنسان.

وانطلاقاً من إنكارها لكل ما هو فوق المادة، فإن العقلانية المادية تعتبر العقل البشري هو المرجع الوحيد لتفسير كل شيء في الوجود. وعلى العكس من ذلك فإن العقلانية الإسلامية هي عقلانية إيمانية، توظف العقل الإنساني في كل المحسوسات المدركة من أمور الكون، وترد جميع الغيوب المطلقة إلى الله - تعالى - ومنها ركائز الدين (من العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات). وهنا يفترق العقلان: المسلم وغير المسلم. وتتجسد أزمة العقل المادي في توقفه عند حدود التسليم بالمحسوس المدرك فقط من أمور الكون، وتجاهل أو إنكار كل ما فوق ذلك، علماً بأن المعارف المكتسبة هي كلها معارف جزئية لا توصل إلى حقيقة كلية أبداً. والمعارف الكلية لا تستمد إلا من وحي السماء. وتجاهل الهداية الربانية أدى بالماديين إلى تأليه العقل البشري على الرغم من الاعتراف بمحدودية قدراته، بينما العقل في الإسلام هو وسيلة الإنسان في الوصول إلى المعارف المكتسبة، وهي وسيلة حررها الإسلام من الغلو في تقديس العقل، أو المبالغة في إهماله وعدم استخدامه لأقصى طاقاته، أو أسره وشل حركته بالإغراق في الأوهام الظنية وهي من الخرافات والأساطير، أو في غير ذلك من وساوس الشيطان.

ومع مغالاة الماديين في تقدير العقل البشري إلى حد التقديس شوهدت المعارف المكتسبة تشويهاً كبيراً، خاصة في مجال الدراسات الإنسانية، وفي

مقدمتها علم التاريخ.

من هنا وجب أن يكون للمؤرخ المسلم موقفاً من كتابة التاريخ مختلفاً تماماً عن مواقف غير المسلمين الذين ينطلقون من منطلقات مادية بحتة، منكراً أو متجاهلة لكل ما هو فوق المادة، ومن ذلك إنكار الدين، والتنكر لرب العالمين، وإغفال سير الأنبياء والمرسلين. فالماديون لا يذكرون الأنبياء في كتاباتهم التاريخية، ولا يتعرضون لدعوتهم ولا لما أجراه الله - تعالى - من معجزات على أيديهم، ولا لما نزل من عقاب بالكفار والمشركين من أقوامهم، وهذا كله يمثل جزءاً هاماً من تاريخ الإنسان على الأرض، وتجاهله يمثل إهمال قاعدة التاريخ وأساسه بالكامل.

انطلاقاً من ذلك فإن «الشهيد سيد قطب» في رسالته المعنونة «في التاريخ.. فكرة ومنهج» نادى بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بأيدي صفوة من أبناء الإسلام، الذين فهموا هذا الدين فهماً صحيحاً من مصادره الرئيسة: الكتاب والسنة، وعاشوه واقعاً حياً في حياة كل واحد منهم.

ثم تبعه في ذلك شقيقه الأستاذ محمد قطب - حفظه الله - بتكرار الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وذلك في كتابه المعنون: «حول التفسير الإسلامي للتاريخ»، والذي يقول فيه «وحين يكتب المؤرخ المسلم تاريخ البشرية من زاوية الرصد الإسلامي فلن تتغير على يديه وقائع التاريخ... إنما الذي سيتغير هو تفسير التاريخ، وتقويم الإنجاز البشري، وهما العبرة الحقيقية من دراسة التاريخ». ويضيف قائلاً: «... كذلك يجد المسلم مصداق الموضوعية والعلمية في الآيات التي تتحدث عن سنن الله في الحياة البشرية، وهي محور التفسير الإسلامي للتاريخ». ثم يزيد الأمر توضيحاً بقوله: «... الواقع الغربي يشهد تفسيرين اثنين للتاريخ لا تفسيراً واحداً... أحدهما هو التفسير الغربي (الليبرالي) للتاريخ، والثاني هو التفسير المادي للتاريخ» (أي التفسير الماركسي). ويختتم كتابه بقوله: «ومنهج التاريخ في مقدمة المناهج التي تحتاج إلى إعادة البناء، سواء منها ما

يختص بالتاريخ الإسلامي، وما يتعلق بالتاريخ البشري كله... لأن درس التاريخ... هو درس في التربية في ذات الوقت».

وتبع هذين الكاتبين الكبيرين في الدعوة إلى التأصيل الإسلامي لكتابة التاريخ كل من الأستاذين الكريمين: الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، وذلك بكتابهما المعنون: «أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ». وقد استهل هذان الكاتبان الكريمان مقدمة كتابهما بالقول بأن: «... من حق البشرية الضالة اليوم أن تحصل على صورة صحيحة لتاريخ البشر على الأرض، ومن الإجرام في حقها تزوير ذلك التاريخ، وإعطائها معلومات مضللة...، ومن الأمانة العلمية أن يمتنع العلماء - خاصة الذين يرسمون للناس صورة القرون الخوالي - عن تقديم كتابات يعلمون أنها غير صحيحة... لأنه ليس من مصلحة الإنسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة لا تكشف عن كل جوانبها، أو أن تسودها فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها، أو أن تجهل الدوافع الكامنة لسيرها وتحركها، والقيم الأساسية لحياتها وحضارتها، لأن هذا الجهل ينشئ أخطاء عميقة الأثر - لا في التصور والتفكير فحسب، ولكن في علاقات الأمم بعضها ببعض - كما ينشئ أخطاء بعيدة المدى في تكييف سياسة كل أمة وتوجهها. هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشري، وعن سوء تقدير الدور الذي قام به الإسلام، والذي يمثله العالم الإسلامي اليوم، هذا العالم الذي يمثل وحدة إنسانية شاملة، لها كل خصائصها المستقلة، ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها العسكري الطارئ إلا تأثيراً عارضاً في وزنها الحقيقي».

وأضاف هذان الكاتبان الكريمان قولهما: «فالمؤلفات التاريخية المعاصرة تفتقد العرض الذي يقوم على أساس العقيدة الإسلامية... ونظرة سريعة على إنتاجهم (أي على إنتاج المؤرخين والماديين المعاصرين) - الذي يسمونه علمياً - نجد أنهم قد أَرَّخُوا لبداية تاريخ الإنسانية، فجعلوه تاريخ مجموعة من الحيوانات

تطورت عن الخلية الحية التي نشأت في البرك والمستنقعات. كما حولوه إلى تاريخ وثني جاهلي محض، لا وجود فيه لدين هو الإسلام الذي أوجب الله على البشرية اعتناقه، ولا وجود لرسول، ولا أنبياء، ولا لوحى، ولا لإله واجب على الإنسان التعبد له».

وبعد استعراض العديد من أساليب التشويه للتاريخ الإسلامي بأيدي كل من المستشرقين، وأعداء الدين، وبأيدي من تأثر بهم من أبناء المسلمين، يختم الكاتبان كتابهما بالتصحيح التالي قائلين: «... ويصبح عمر التاريخ الإسلامي بضعة آلاف عام أو يزيد، فتاريخ الإسلام يبدأ بخلق الكون مسلماً منقاداً طائعاً لله رب العالمين، وتاريخ الأمة الإسلامية يبدأ بخلق آدم ﷺ وزوجه وبنيه - مستسلمين لله ﷻ - ويصبح الدين الإسلامي، وهو الدين الذي دعا إليه جميع الرسل ﷺ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين ديناً غيره - يصبح حقيقة بارزة في تاريخ الأمة المسلمة. وفي ظل هذا التصور تبرز ملامح الأمة الإسلامية، ودورها على مدار تاريخ البشرية، وتبرز ملامح الجاهلية، ودورها في اجتيال الناس عن دين الله ﷻ... وتتضح أيضاً الحقيقة الكبرى التي من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وقام الصراع بين الحق والباطل... وتتضح حقيقة الكيد الشيطاني والتآمر العالمي على الأمة المسلمة، وكيف تستطيع أن تتقي شرهم، وتواجه كيدهم».

وتكفي في التدليل على فساد رؤية الماديين للتاريخ البشري الإشارة إلى ما جاء في «العهد القديم» من كذب على الله - تعالى - وعلى كافة أنبيائه والذي نورد فيما يلي نماذج منه:

1 - **التطاول على الذات الإلهية**، ووصف الله الخالق بما لا يليق بجلاله من النعوت من مثل الادعاء الباطل بأن الله - تعالى - خلق الإنسان على صورته، والله منزّه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. فقد جاء في ترجمة «سفر التكوين» (الإصحاح الأول تكوين 1/

(27) ما نصه: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم». وجاء في الإصحاح الثاني (تكوين 1/2 - 3) ما نصه: «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فارتاح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله في اليوم السابع وقده. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً». وفي هذا الخيال الجامح قياس لقدرات الله - تعالى - بقدرات البشر، وهو قياس خاطئ تماماً. ولذلك فإن القرآن الكريم يؤكد أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى زمن فيقول: عن الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: 82]. ويكذب فرية العهد القديم بقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [۲۸] [ق: 38].

كذلك صور «العهد القديم» الله - تعالى - بهيئة الإنسان الذي يمشي بين أشجار الجنة، باحثاً عن آدم وحواء، كأن علام الغيوب لم يكن يعلم مكان كل منهما، ولم يكن يعلم أنهما قد أكلا من الشجرة المحرمة، وهذا كله مما لا يليق بجلال الله.

2 - الكذب على آدم وحواء ﷻ بأنهما منعا من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر (سفر التكوين: 17، 16/2) لأن الله - تعالى - علم آدم الفرق بين كل من الخير والشر، ثم أرسل الرسل، وأنزل الكتب من أجل تعريف الإنسان بكل من الخير والشر. وليس صحيحاً أن الله - تعالى - قال لآدم إنه في اليوم الذي يأكل فيه من الشجرة فإنه يموت موتاً، لأنه أكل ولم يمت.

كذلك ادعى «العهد القديم» أن الحية هي التي أغوت أمنا حواء بالأكل من الشجرة التي حرم الله - تعالى - عليها وعلى زوجها الأكل منها (سفر التكوين 24 - 1/3) والحقيقة أن الشيطان هو الذي أغواهما بذلك.

3 - وادعى كاتبو «العهد القديم» على عبد الله ونبيه نوحاً ﷻ بادعاءات باطلة

عديدة منها أنهم اتهموه بالسكر والتعري، وجاء ذلك في ترجمة «العهد القديم» - سفر التكوين - الإصحاح التاسع (20/9 - 27). وحين ذكروا أن الطوفان حدث ونوح عمره ستمائة عام، بينما يذكر القرآن الكريم أن نوح عليه السلام ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم جاء الطوفان. وكذلك ادعوا أن الطوفان قد عم الأرض جميعاً بارتفاع عدة أقدام فوق قمم الجبال، وأنه قضى على جميع أحياء الأرض. وذلك تكذبه الكشوف الأثرية التي حددت منطقة الطوفان بحدود المرتفعات المحيطة بكل من نهري دجلة والفرات، والممتدة من أقصى جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي. وادعوا كذلك أن سفينة نوح كانت قد رست على «جبل أراراط»، بينما اكتشفت بقاياها على «جبل الجودي» كما ذكر القرآن الكريم، والمسافة بينهما أكثر من مائتي ميل. ثم إن «جبل أراراط» هو جبل بركاني ثار أكثر من مرة في التاريخ الحديث، ولو كانت سفينة نوح قد رست عليه لاحتقرت وضاع أثرها، بينما «جبل الجودي» هو جبل رسوبي، وجدت بقايا السفينة على أحد سفوحه مطمورة في رسوبيات للماء العذب.

4 - كذلك ادعى كاتبو «العهد القديم» على عبد الله ونبيه إبراهيم عليهما السلام أنه سلم زوجته التي قال أنها أخته لفرعون مصر من أجل نجاته، ولكي ينال من ورائها خيراً كثيراً (سفر التكوين - الإصحاح الثاني عشر / 11 - 19)، كما سلمها بعد ذلك إلى «أبيمالك» ملك «جرار» (سفر التكوين / 1/20 - 18). وإن كانت واحدة من القصتين لها أصل عندنا، ولكن ليست بالصورة البشعة التي جاءت في العهد القديم والتي لا تليق بنبي من أنبياء الله.

5 - وزاد كذب كاتب «العهد القديم» عن كل الحدود حين ادعوا على عبد الله ونبيه لوطاً عليه السلام أنه زنى بابنتيه (الواحدة تلو الأخرى) وهو سكران، وأن ابنتي لوط حملتا سفاحاً من أبيهما، وجاء من زنى المحارم هذا كل من «موآب» أبو «المؤابيين»، و«بن عمي» أبو: «بني عمون» (سفر التكوين) (38 - 19/30). وهذا افتراء واضح لأن الأنبياء معصومون عن السكر والزنى،

وعن غير ذلك من الفواحش .

وادعى كاتبو «العهد القديم» أيضاً أن الملائكة أكلوا طعام لوط عليه السلام، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون .

6 - وصفوا عبد الله عليه السلام ونبيه إسماعيل عليه السلام بأنه إنسان وحشي «سفر التكوين» (12، 16/11)، ونفوا عنه النبوة، وأعطوها لأخيه إسحق «سفر التكوين» (27 - 17/18)، وادعوا أن الذبيح كان إسحق وليس إسماعيل «سفر التكوين» (21 - 21/19). وادعى كاتبوا «العهد القديم» كذلك أن هاجر خرجت وتاهت في «برية بئر سبع» حيث وجدت بئر ماء سقت منه غلامها الذي سكن في «برية فاران» «سفر التكوين» (21 - 21/19). وفي قاموس العهدين القديم والجديد «برية فاران» هي جبال مكة، وأين جبال مكة من بئر سبع؟ والآثار التاريخية أثبتت بطلان ذلك كله، فالبئر هي «بئر زمزم»، والبرية هي جبال مكة .

7 - كذلك ادعى كتاب «العهد القديم» على عبد الله عليه السلام ونبيه إسحق عليه السلام أنه كذب على «أبيمالك» ملك «جرار» (ملك الفلسطينيين) وعلى قومه، وذلك بادعاء أن زوجته هي أخته «سفر التكوين» (11 - 26/1) كما سبق وأن ادعوا هذه الفرية على أبيه إبراهيم عليه السلام .

8 - وادعوا على عبد الله عليه السلام ونبيه يعقوب عليه السلام بأن جعلوه كاذباً مدلساً على أبيه، ومدعياً أنه هو ابنه الأكبر ليأخذ بركته، وكذبوا على أبيه إسحق بأنه شرب خمراً «سفر التكوين» (46 - 27/1). كما كذبوا على يعقوب بأنه صارع ملاك الرب لمدة ليلة كاملة، ولم يقدر عليه هذا الملاك، فخلع حق فخذ يعقوب، وعلى الرغم من ذلك فإن يعقوب رفض إطلاق ملاك الرب حتى يباركه، وهذه هي أسطورة لا أساس لها من الصحة «سفر التكوين» (32 - 33/24).

9 - وكذبوا على عبد الله عليه السلام ونبيه يوسف عليه السلام إذ زعموا أنه ألقى في البئر وهو ابن سبعة عشر عاماً، وأنه أخبر إخوته بالحلم الذي رآه، وأن أباه هو الذي

أمره بالخروج إلى إخوته حيث كانوا يرعون غنمهم في البرية «سفر التكوين» (35 - 37/1). وكذلك كذبوا على يوسف بالادعاء الباطل عليه بأنه خلع ثوبه بجوار زوجة العزيز، وهرب خارجاً من البيت «سفر التكوين» 18 - 39/7.

10 - وكذلك ادعى كتبة «العهد القديم» على «يهوذا بن يعقوب عليه السلام» أنه زنى بأرملة ابنه «سفر التكوين» (29 - 38/1).

11 - وادعوا على عبد الله ونبيه أيوب بأنه كان دائم السخط والتبرم، رافضاً لقضاء الله وقدره «سفر أيوب» (26 - 3/1).

12 - وكذبوا أيضاً على الله - تعالى - حين ادعوا أنه أمر موسى بأن يأمر شعبه باقتراض ذهب وفضة المصريين وثيابهم ثم الهرب من أجل استلابه خلسة «سفر خروج» (12 - 11/1، 26، 3/25). كذلك ادعوا أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر كانوا نحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد «سفر الخروج» (12/37) علماً بأن مجموع تعداد شعب مصر في ذلك التاريخ لم يكن يصل إلى ستمائة ألف نسمة.

13 - وكذبوا على عبد الله ونبيه موسى عليه السلام بأن ادعوا عليه أنه خاطب ربه بجفوة واضحة. وليس ذلك من شيم الأنبياء أبداً «خروج» (14 - 32/12). وادعوا عليه أنه غفر لقومه خطيئتهم، ونحن نعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله «خروج» (33 - 32/30). كذلك لم يرد في «العهد القديم» ذكر لقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح المعروف باسم الخضر.

14 - وادعى كاتبو «العهد القديم» على عبد الله ونبيه هارون أنه هو الذي صنع العجل من الذهب الذي اختلسه الإسرائيليون من شعب مصر، وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. وأن بني إسرائيل عبدوا ذلك العجل الذهبي أثناء غياب موسى للقاء ربه «خروج» (6 - 32/1) وهذا لا يمكن أن يكون قد صدر عن هارون النبي، لأن الأنبياء معصومون عن الوقوع في مثل هذه الخطايا.

15 - وادعوا أن «مريم» أخت «هارون» كانت نبية، وأنها حملت الدف بيدها ورقصت «خروج» (21، 20/15) وليس ذلك من شيم الأنبياء ولا من شيم بنات أسر النبوة.

16 - وادعوا على عبد الله ونبيه داود عليه السلام أنه زنى بزوجة أحد جنوده (أوريا الحثي) بينما كان هذا الجندي في ميدان القتال دفاعاً عنه، فحملت المرأة سفاحاً منه ثم مات الولد. وبعد ذلك استدعى داود زوجها من ساحة القتال وحمله خطاباً إلى قائد جنده ليضعه في مقدمة المقاتلين، فإذا احتدم القتال تخلوا عنه ليقتل، فلما فعلوا ما أمرهم به داود سقط (أوريا) صريعاً. تزوج داود أرملة (أوريا)، وجاء لداود من هذه المرأة التي زنى بها ابنه سليمان - شرفهما الله - «سفر صموئيل الثاني» (27 - 3/11) وداود عليه السلام يصفه القرآن الكريم بأنه أواب (أي كان تواباً إلى الله في جميع أحواله) وأنه كان قوياً في تدينه، وفي طاعته لرب العالمين.

ويذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النبي الصالح بقوله الشريف: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه؛ وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»⁽¹⁾. وكان داود في زمانه مثال التفاني في العبادة، والعدل - وكثرة القربات إلى الله - تعالى - وخشيته. فهل يمكن لنبي من أنبياء الله، ونبي خصه الله - تعالى - في محكم كتابه بأنبل الصفات، كما خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبطل في العبادة أن يأتي بالجرائم التي ألحقه بها كتبة «العهد القديم»؟ كذلك أنكر هؤلاء الكتبة الكذبة نبوة داود عليه السلام كما أنكروا نبوة ابنه سليمان عليه السلام على الرغم من ادعائهم بأن الله - تعالى - تراءى لكل منهما في العديد من المرات، والله لا يخاطب إلا أنبياءه. كذلك فإن ما جاء في «العهد القديم» بأن أحد أبناء داود عليه السلام زنى بأخته من أبيه هو من الكذب الصراح على عبد الله ونبيه داود، وعلى آل بيته الأطهار.

(1) أخرجه كل من البخاري حديث رقم (3420)، ومسلم حديث رقم (1159).

17 - وقد ادعى كتاب «العهد القديم» على عبد الله ونبيه سليمان ﷺ بالردة عن دينه، وبالزواج من سبعمائة زوجة، بالإضافة إلى ثلاثمائة من السراري. وادعوا أنهم كن جميعاً (الزوجات والسراري) من عبدة الأصنام فأملن قلب سليمان في شيخوخته فعبد أصنامهم، وبنى لتلك الأصنام بيوتاً على مرتفعات من الأرض، حتى غضب عليه الرب الذي ادعوا أنه تراءى له مرتين «سفر الملوك الأول»، (13 - 11/1).

والقرآن الكريم يصف النبي الصالح سليمان بقول ربنا - تبارك وتعالى - عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30]. ويؤكد القرآن الكريم أن سليمان ورث عن أبيه داود كلاً من النبوة والملك ومكارم الأخلاق، ويمتدحهما كتاب الله في العديد من آياته. فهل يمكن لنبي موصول بالوحي، معصوم في التبليغ عن ربه أن ينحرف مثل هذا الانحراف؟

18 - كذلك ادعى كُتَّاب «العهد القديم» على عبد الله ونبيه يونس بن متى ﷺ بأنه رفض أمر الله إليه بالمسير إلى «نينوى»، وليس من أخلاق الأنبياء معصية أوامر الله. ويذكر هؤلاء الكتبة أن يونس ابتلعه سمكة كبيرة وذلك في الترجمة الإنجليزية، وفي الترجمة العربية المقابلة جاء «أن الرب أعد حوتاً عظيماً ليلتلع يونان، فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال» «سفر يونان» (1/17) ولو ابتلعه الحوت لاختنق ومات.

كذلك جاء في الترجمة الإنجليزية أن الله أظلم يونان بشجرة عنب، بينما جاء في الترجمة العربية المقابلة أن «الرب الإله أعد يقطينة فارتفعت فوق يونان...» والنقل عن القرآن الكريم هنا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.

وهكذا كان تعامل كُتَّاب «العهد القديم» مع جميع أنبياء الله ورسله، فحاولوا تشويه صورة كل واحد منهم، واتهامه بالعديد من السلوكيات والصفات التي لا تليق حتى بأراذل الناس، وعوامهم، وجهالهم. وهذا يؤكد على كذب هؤلاء الكتبة وافترائهم على الله - تعالى - وعلى خيرة خلقه. وذلك لأن الأصل في الأنبياء أنهم هم الصفوة من الخلق، وأن الله - تعالى - اختارهم بعلمه المحيط بكل شيء لتبليغ

هدايته لأقوامهم. ولتحقيق ذلك كان الله - تعالى - ينزههم بأعلى قدر من مكارم الأخلاق، ويثبتهم على الالتزام بالحق والعدل، ويعصمهم من الزلل حتى يكون في سلوك كل واحد منهم القدوة الصالحة لقومه؛ كما يعصمهم من نزغات الشياطين حتى لا يحددوا عن الحق في تبليغ رسالة ربهم إلى خلقه.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تمتلئ به أسفار «العهد القديم» من الأخطاء اللغوية؛ والعقائدية؛ والتعبدية؛ والأخلاقية؛ والتشريعية؛ والتاريخية؛ والعلمية، وغيرها، زيادة على التحيز الواضح لبني إسرائيل فإن دور اليد البشرية اليهودية في صياغة «العهد القديم» تبدو جلية لكل عين بصيرة. وذلك لأن الأصل في كلام الله أنه يتصف دوماً بالكمال المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ كما يتصف بالعدل المطلق الذي لا ينحاز لعرق من أعراق عبادته، أو للون من ألوانهم على حساب عرق أو لون آخر.

كذلك كتب دهاقنة اليهود كتاب «العهد الجديد» افتراءً على الله - تعالى - وتحريفاً لرسالة وتعاليم وسيرة المسيح عيسى ابن مريم ﷺ بعد ضياع الإنجيل الذي أنزله الله ﷻ هداية للخراف الضالة من بين إسرائيل، الذين كانوا قد ضلوا ضلالاً بعيداً. ومن أمثلة الافتراءات في «العهد الجديد» ابتداء دعاوى مثل الخطيئة والكفارة، والتثليث، والقول الباطل بألوهية المسيح، أو ببنته لله، أو بألوهية أمه، أو بقتله وصلبه. والاختلاف بين الأناجيل الأربعة في عشرات القضايا (التي منها نسب المسيح نفسه) تشهد بأنه كتاب موضوع، لا علاقة له بالوحي الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم ﷺ وإن حاول التحدث عنه.

والتسمية باسم «العهد» في كل من «العهد القديم والجديد» هي مؤامرة يهودية في الادعاء على الله - تعالى - بأنه أعطى لإبراهيم ﷺ ولنسله من بعده عهداً بتملك أرض فلسطين ملكاً أبدياً. وكان اليهود هم أول من كتب هذين العهدين، وأول من جمعهما في مجلد واحد، وأول من فسرها للنصارى بالدس

اليهودي الواضح في معظم فقرات هذين العهدين.

ومع كثرة الباطل الذي يمتلئ به «العهدان القديم والجديد» فإنه لا يزال يتردد بين ثناياهما بعض بقايا الحق القديم الذي أنزله الله - تعالى - في أصول كل من «التوراة» و«الزبور» و«الإنجيل». وبقايا هذا الحق القديم يصححه ويكمله ما جاء في القرآن الكريم.

والتشابه بين قصص القرآن الكريم وبعض ما جاء في «العهدين القديم والجديد» دفع بغلاة اليهود والنصارى إلى الادعاء الباطل بأن سيدنا محمداً ﷺ قد نقل القصص القرآني عن هذين العهدين، والفرق بين كلام الله وكلام البشر أوضح من الشمس في رابعة النهار. وقد عرضنا لذلك بشيء من التفصيل في هذين المجلدين. ويكفي لنفي هذه الفرية أن «العهد القديم» لم يشر إلى أي من النبيين الصالحين «هود» و«صالح ﷺ»، ولا إلى العديد من الأمم التي ذكرها القرآن الكريم مثل «أصحاب الرس»، و«أصحاب الأيكة»، و«قوم تبع»، و«أصحاب الأخدود»، و«أصحاب الجنة»، وغيرهم. وقد فصل القرآن الكريم قصة كل من هذين النبيين (هود وصالح) مع قومهما، وجاءت الكشوف الأثرية متوافقة تماماً مع ما أورده القرآن الكريم بشأن كل منهما.

كذلك صحح القرآن الكريم الأخطاء العديدة التي أوردها كُتَّاب «العهد القديم» في عرضهم لقصص عدد من أنبياء الله ورسله، وأخبار من وافق زمان كل واحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين من الصالحين والظالمين. والمتأمل للطبعات المتتالية «للعهدين القديم والجديد»، ولما أدخل ولا يزال يدخل عليهما من تعديلات باستمرار، وللتناقض بين ترجمتهما إلى العديد من لغات أهل الأرض، (خاصة بين النص العربي وما يقابله من ترجمات أجنبية)، يتضح له بجلاء أن كُتَّاب «العهدين القديم والجديد» و مترجميهما إلى اللغة العربية هم الذين أخذوا عن القرآن الكريم، وليس العكس. وقد أشرنا إلى شيء من ذلك بالتفصيل في هذين المجلدين.

وابتداع اليهود في «العهد القديم» بالذات يصفه النبي المصطفى ﷺ بقوله الشريف: «إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة»، ولذلك قال - تعالى - في تزكيته للقرآن الكريم ما نصه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَمُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: 76]. ويخاطب ﷺ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ قائلاً له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]. فالقرآن الكريم يهيمن على كل ما سواه من بقايا الرسائل السماوية السابقة، وذلك بما نزل فيه من الحق، خاصة وأنه هو الصورة الوحيدة من وحي السماء الموجود بين أيدي أهل الأرض اليوم، محفوظاً بنفس لغة وحيه (اللغة العربية) دون أن يضاف إليه أو أن ينتقص منه حرف واحد، وذلك تحقيقاً للوعد الإلهي الذي قطعه ربنا - تبارك وتعالى - على ذاته العلية - ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً.

من هنا كان اهتمامي بقضية «الإعجاز الإنبائي والتاريخي في القرآن الكريم» من أجل توضيح هذا الجانب من جوانب الإعجاز في كتاب الله، خاصة وأن هذا الوجه من أوجه الإعجاز لم يتعرض له من قبل إلا نفر قليل من الكتاب المسلمين. وهذا الوجه كغيره من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم - وهي عديدة - يشهد لهذا الكتاب الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهد الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه حفظاً كاملاً على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً. وبهذا الحفظ الإلهي للقرآن الكريم يبقى هذا الكتاب العزيز شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، كما يبقى الحجة البالغة على الناس جميعاً إلى أن يشاء الله رب العالمين.

ومن خلال استعراض آيات «الإعجاز الإنبائي والتاريخي في كتاب الله» يمكن تصحيح العديد من المغالطات التي ملأت كتب التاريخ، والتي دفعت بغالبية أهل الأرض إلى التوجه المادي، الدهري (العلماني) البحت الذي عانت منه البشرية طويلاً ولا تزال تعاني حتى اليوم.

وكان من أسباب هذه الانحرافات هو ضياع أصول الرسالات السماوية السابقة على تنزل القرآن الكريم، ثم إعادة كتابة ما بقي عن بعضها من ذكريات كانت قد حملت مشافهة من الأجداد والآباء لكل من الأبناء والأحفاد لعشرات العقود إن لم يكن لعشرات القرون. وفي خلال هذا النقل الشفهي تعرضت تلك الكتب للعديد من الحذف والإضافة، والتبديل والتغيير، الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية متبعيها. وعندما فكر أتباع هذه المعتقدات في تدوينها تم ذلك من الذاكرة، وبواسطة العديد من الأيدي المتفرقة، التي لم يكن أصحابها من الأنبياء ولا بالمرسلين، ومن ثم لم يكونوا معصومين من الخطأ. وكان هؤلاء الكتاب في أماكن متفرقة، وفي أزمنة متباعدة، فتضاربت الآراء واختلفت. ونتيجة لذلك تعددت الفرق، وتنوعت واختلفت، وتطاحت واقتلت، لابتعادها عن وحي السماء الذي أنزله ربنا - تبارك وتعالى - على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، ثم أكمله وحفظه في القرآن الكريم وفي سنة خاتم النبيين.

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله - تعالى - الذي أنزل كلاً من «صحف إبراهيم» و«التوراة» و«الزبور» و«الإنجيل» و«القرآن الكريم» - فيما نعلم من أسماء وحي السماء - لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد»، فكلاهما صناعة بشرية خالصة، لا علاقة لأي منهما بوحي السماء، وإن تحدثنا عنه حديثاً مشوهاً مبتوراً في غالبيته.

والتحريف في هذين الكتابين، وفي أمثالهما من الكتب الموضوعية كان من الأسباب الرئيسة في صرف غالبية شعوب الأرض عن دين الله، وقد دفعهم ذلك إلى التنكر لرب العالمين، وإلى العيش بأحكام البشر القاصرة المحدودة، وبالمقاييس المادية المحضنة التي لا تغني شيئاً في أمور الدين ولا في تأصيل دوره في تنشئة الإنسان الصالح. وهذه المقاييس المادية - وإن أفلحت في تناول المحسوس المدرك من أمور الكون - إلا أنها شغلت الإنسان بالدنيا، وأنسته الآخرة، وملاأت رأسه بالإيمان بذاته وبقدرات عقله فقط، فألّه الذات والعقل

والمادة، ونسي الموت والبعث والحشر والحساب، والجزاء كما نسي الخلود في الآخرة إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً.

ويمثل ذلك واحداً من مآسي عصرنا، ذلك العصر الذي تميز بتقدم علمي وتقني مذهل، رافقه انحسار ديني وأخلاقي وسلوكي مذهل كذلك. وهذا التوجه المادي البحت للإنسان المعاصر أغرق الأرض في بحار من المظالم، والدماء، والأشلاء، والخراب، والدمار، بسبب نسيان الإنسان لحقيقة رسالته في هذه الحياة، ولحتمية مصيره من بعدها. وتبقى هذه من القضايا التي يحتاج الإنسان فيها دوماً إلى بيان من الله، لأنها فوق طاقة القدرات البشرية. لذلك علم ربنا - تبارك وتعالى - أبانا آدم ﷺ لحظة خلقه التفاصيل الكلية لهذه القضايا المصيرية، وأنزلها على سلسلة طويلة من الأنبياء والمرسلين، ثم أكملها وحفظها في القرآن الكريم، وفي سنة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) - . ولو لم يبصرنا ربنا - تبارك اسمه - بهذه القضايا عن طريق الوحي إلى أنبيائه ورسله، ما كان أمام الإنسان من وسيلة للتعرف عليها، وهي من حقائق الوجود التي لا تستقيم حياته على الأرض بدونها. والذين لا يدركون ذلك لا يمكنهم أن يعرفوا الحكمة من وراء خلق الإنسان، ولا أن يدركوا حقيقة رسالته في هذه الحياة، ولا أن يتحققوا من مصيره من بعدها.

وفاقد ذلك لا يستطيع أن يحقق صحة التحليل، أو دقة الاستنتاج، أو صواب الحكم في أية قضية من القضايا، مهما كان حجم ما لديه فيها من وقائع وبيانات وإحصاءات. ويتضح هذا الفشل الناتج عن جهل الإنسان برسالته في هذه الحياة وبمصيره من بعدها أكبر ما يتضح في مجالات الدراسات الإنسانية، وفي مقدمتها دراسة التاريخ. ومن هنا كانت أهمية الدعوة إلى التأصيل الإسلامي لجميع المعارف المكتسبة، وضرورة إعادة كتابة التاريخ بالضوابط الإسلامية الصحيحة. ومن أجل المساهمة في ذلك كان هذان المجلدان اللذان أدعو الله - تعالى - أن يجعل فيهما شيئاً من النفع، وأن يغفر ما جاء فيهما من تقصير، والله يقول الحق،

ويهدي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أنبياء الله ورسله أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونخص منهم بأفضل الصلاة وأزكى التسليم خاتمهم أجمعين سيدنا محمد النبي العربي الأمين وآله وصحبه ومن تبع هداة، ودعى بدعوته إلى يوم الدين (اللهم آمين).

قائمة بالمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- 1 - الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت855هـ/1463م): «أخبار مكة وما جاء فيها من آثار»؛ تحقيق: رشدي الصالح، مطابع دار الثقافة، مكة 1385هـ/1965م الطبعة الثانية.
- 2 - الأشقر، عمر سليمان (1422هـ/2001م): «صحيح القصص النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة السادسة.
- 3 - الأشقر، عمر سليمان (1423هـ/2002م): «الرسل والرسالات»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الثانية عشر.
- 4 - الأشقر، عمر سليمان (1427هـ/2007م): «قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- 5 - الأشقر، عمر سليمان (1427هـ/2007م): «قصص الغيب في صحيح الحديث النبوي»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- 6 - الأشقر، عمر سليمان (1432هـ/2011م): «قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة»؛ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- 7 - الأميري، أحمد البراء (1420هـ/2000م): «فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم»؛ دار القلم، دمشق - سوريا.
- 8 - الأنصاري، عبد الرحمن حسن الطيب، حسين بن علي أبو الحسن (1425هـ/2005م): «العلا ومدائن صالح (الحجر) حضارة مدينتين»؛ دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض.
- 9 - ابن الأثير الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1234م): «الكامل في التاريخ» (تاريخ ابن الأثير)؛ أعيدت طباعته بواسطة دار صادر، بيروت لبنان (1383هـ/1963م).
- 10 - ابن إسحاق، أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي (ت151هـ/773م): «السير والمغازي»؛ أعادت طباعته دار الفكر، بيروت - لبنان (1398هـ/1977م).

- 11 - ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ/1328م): «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»؛ أعادت طباعته دار العاصمة - الرياض (1414هـ/1994م).
- 12 - ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت852هـ/1460م): «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» (المسمى تاريخ ابن خلدون)؛ أعادت نشره دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (1400هـ/1900م).
- 13 - ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري القرشي (ت230هـ/845م): «الطبقات الكبرى»؛ تحقيق: إحسان عباس؛ نشر: دار صادر، بيروت - لبنان (1380هـ/1960م).
- 14 - ابن عبد القادر، فوزي بن عبد المنصف بن عثمان (ت1426هـ/2005م): «القصص الحق؛ تقديم: عصري جديد لقصص القرآن المجيد»؛ غراس للنشر والتوزيع - الكويت.
- 15 - ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م): «قصص الأنبياء»؛ تحقيق: عبد المجيد طعمة حلي؛ دار المعرفة، بيروت - لبنان (1427هـ/2006م).
- 16 - ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م): «البدية والنهاية» (تاريخ ابن كثير)؛ أعادت نشره مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1410هـ/1990م)، الطبعة الثانية (1417هـ/1997م).
- 17 - ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م): «صحيح قصص الأنبياء»؛ صححه أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري؛ مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية (1422هـ/2002م).
- 18 - أبو خليل، شوقي (1422هـ/2001م): «أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام»؛ دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان؛ ودار الفكر، دمشق - سوريا.
- 19 - أبو زيد، حمدي بن حمزة (1425هـ/2004م): «فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم، زمانهم، أوطانهم»؛ الناشر: هو المؤلف، الرياض.
- 20 - أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم (1431هـ/2010م): «الأمكن الماثورة المتواترة في مكة المكرمة - عرض وتحليل»؛ مؤسسة الفرقان الإسلامي - جدة.
- 21 - البار، محمد علي (1427هـ/2007م): «إضاءات قرآنية ونبوية في تاريخ اليمن»؛ العصر الحديث للنشر والتوزيع، ودار المنهل، بيروت - لبنان.

- 22 - البلادي، عاتق بن غيث (1412هـ/1992م): «أخبار الأمم المباداة في القرآن»؛ دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- 23 - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشافعي (ت427هـ/1035م): «عرائس المجالس في بيان قصص الأنبياء»؛ أعادت نشره مطبعة الأمة - القاهرة (1321هـ/1912م).
- 24 - جاد المولى، محمد أحمد؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، والسيد شحاته (1407هـ/1987م): «قصص القرآن»؛ دار الجيل، بيروت - لبنان (الطبعة الرابعة عشر).
- 25 - الحمصي، نهدي صبح (1423هـ/2003م): «علم الآثار عبر العصور»؛ بيروت - لبنان (بدون ناشر).
- 26 - خليل، عماد الدين (1401هـ/1981م): «في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل»؛ المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
- 27 - خليل، محمد رشاد (1404هـ/1984م): «المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره»؛ دار المنار - القاهرة.
- 28 - داود، عبد الأحد (1431هـ/2010م): «محمد ﷺ كما ورد ذكره في كتاب اليهود والنصارى»؛ نقله إلى العربية محمد فاروق الزين؛ العيكان، الرياض.
- 29 - دروزة، محمد عزة (1384هـ/1964م): «عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة»؛ دار اليقظة العربية، بيروت - لبنان، (الطبعة الثانية).
- 30 - رشيد، حكمت إبراهيم (1424هـ/2004م): «سير الأنبياء في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم: دراسة مقارنة»؛ مطبعة العراب، عمان - الأردن.
- 31 - رضوان، أحمد حسن (1204هـ/1990م): «من الكهف إلى الكون: تأملات في سورة الكهف»؛ دار الغد العربي للصحافة والنشر والإعلان، 3 شارع دانق - العباسية - القاهرة.
- 32 - الزير، محمد بن حسن (1405هـ/1985م): «في سبيل أدب إسلامي: القصص في الحديث النبوي: دراسة فنية وموضوعية»؛ بدون ناشر، الرياض، (الطبعة الثالثة).
- 33 - سالم، السيد عبد العزيز (1391هـ/1971م): «تاريخ العرب في عصر الجاهلية»؛ دار النهضة العربية، بيروت - لبنان.
- 34 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله (1307هـ/1976م): «رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج»؛ تحقيق وتعليق: د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دار ابن الجوزي - الدمام - المملكة العربية السعودية.

- 35 - شعبان، حلمي علي (1209هـ/1995م): «شعيب عليه السلام»؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 36 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت310هـ/923م): «تاريخ الأمم والملوك» (تاريخ الطبري)؛ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت - لبنان (1387هـ/1967م).
- 37 - الطويل، هدى حسن (1427هـ/2006م): «فاعتبروا يا أولي الأبصار: أنبياء في القرآن تركوا آثاراً (تفسير موضوعي لآيات القرآن الكريم المتعلقة بآثار الأمم السابقة)»؛ دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- 38 - ظبيان، محمد تيسير (1398هـ/1978م): «أعظم اكتشاف تاريخي وأثري في القرن العشرين: أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى»؛ دار الاعتصام - القاهرة.
- 39 - علي، جواد (1400هـ/1980م): «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»؛ دار العلم للملايين (الطبعة الثالثة)، بيروت - لبنان.
- 40 - علي، جواد (1403هـ/1983م): «تاريخ العرب في الإسلام: السيرة النبوية»؛ مكتبة النهضة العربية - بغداد.
- 41 - عمارة، محمد (بدون تاريخ): «بين العصمة والازدراء: الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس»؛ إعداد موقع الإسلام والعالم، نشر صحيفة «المصريون» موقع على الشبكة العنكبوتية (<http://www.almesryoon.com>).
- 42 - عوف، أحمد محمد (1211هـ/1997م): «عبقرية الحضارة المصرية»؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 43 - الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (ت889هـ/1497م): «أخبار مكة المكرمة في قديم الدهر وحديثه»؛ دراسة وتحقيق: عبد الملك بن دهيش (1407هـ/1987م).
- 44 - الفقير، بدر بن عادل (1426هـ/2006م): «السياحة في منطقة العلا: موارد الجذب ومعوقات التنمية: دراسة في الجغرافيا السياحية»؛ جامعة الملك سعود - الرياض.
- 45 - قطب، سيد (1392هـ/1972م): «في التاريخ... فكرة ومنهاج»؛ منشورات العصر الحديث، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت - لبنان.
- 46 - قطب، محمد (1409هـ/1989م): «حول التفسير الإسلامي للتاريخ»؛ المجموعة الإعلامية، جدة - المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية).
- 47 - الكتاب المقدس (1999م): كتاب الحياة، عربي/إنكليزي، الطبعة الخامسة، International Biblesociety.

- 48 - الكبيسي، أحمد (1429هـ/2008م): «أحسن القصص: قصص القرآن الكريم»؛ دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- 49 - كتب العهدين القديم والجديد - طبعات متعددة، ترجمة: فان دايك (1963، 2000، 2003)، بيروت، القاهرة، دار الكتاب المقدس - القاهرة - الإصدار الخامس (2003م).
- 50 - الماوردي، أبو الحسن علي محمد (ت450هـ/1058م): «أعلام النبوة»؛ أعادت طباعته مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (1391هـ/1971م).
- 51 - المجذوب، محمد (1391هـ/1971م): «نظرات تحليلية في القصة القرآنية»؛ مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، (الطبعة الثانية).
- 52 - مسعود، جمال عبد الهادي محمد، وفاء محمد رفعت جمعة (1414هـ/1994م): «نحو تأصيل إسلامي للتاريخ: المنهج، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي: لماذا؟ وكيف؟»؛ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر.
- 53 - مسعود، جمال عبد الهادي محمد (1410هـ/1990م): «جزيرة العرب»؛ دار الوفاء، المنصورة - مصر، (الطبعة الثانية).
- 54 - مؤنس، حسين (1407هـ/1987م): «أطلس تاريخ الإسلام»؛ الزهراء للإعلام العربي، القاهرة - مصر.
- 55 - النجار، زغلول راغب محمد (1421 - 1432هـ/2001 - 2011م): «من أسرار القرآن»؛ مجموعة مقالات بجريدة الأهرام القاهرية - مصر.
- 56 - النجار، زغلول راغب محمد (1429هـ/2009م): «خواطر في معية خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ»؛ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، (الطبعة الرابعة).
- 57 - النجار، عبد الوهاب (1406هـ/1986م): «قصص الأنبياء: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (الطبعة السابعة).
- 58 - النجار، محمد الطيب (1399هـ/1979م): «تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية»؛ دار الطباعة المحمدية - القاهرة، (الطبعة الثانية).
- 59 - النشرتي، حمزة، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى (1420هـ/1999م): «موسوعة القصص القرآني» (في مجلدين)؛ الناشر: حمزة النشرتي - المنوفية - مصر.
- 60 - وائل، أحمد عبد القادر (1408هـ/1998م): «الأصل العربي للحضارات»؛ مكتبة الحرمين للعلوم النافعة؛ القاهرة - مصر.

61 - ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1229م): «معجم البلدان»؛ أعادت طباعته دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (1399هـ/1979م)، الطبعة الثانية (1417هـ/1997م).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1 - Bermants, Chain & Michael Witzman (1979): «Ebla, An Archeological Enigma»; Weidenfeld & Nicholson, London.
- 2 - Bermants, Chain & Michael Weitzman (1979): «Ebla A Revelation in Archaeology»; Times Books, N.Y. NewYork. U.S.A.
- 3 - Blake, Everett C. & Anna G.Edmonds (1977): «Biblical Sites in Turkey»; Red House Prss, Istanbul, Turkey.
- 4 - Bucaille, Maurice (1976): «The Bible, The Quran and Science»; Seghers, Paris.
- 5 - Bucaille, Maurice (1987): «Mummies of the Pharoos: Modren Medical Investigations»; NewYork, Saint Martin's Press.
- 6 - Bucaille, Maurice (1995): «Moses and Pharaoh, the Hebrews in Egypt»; Seghers, Paris.
- 7 - Clapp, Nicholas (1999): «The Road to Ubar: Finding the Atlantis of the Sands»; Mariner Books.
- 8 - Corbalis, Michael C. (2002): «From Hand to Mouth: The Origin of languages»; Princeton University Press.
- 9 - Crabb, Charlene (1993): «Frankincense»; Discover, January, 1993.
- 10 - Doe, Brian (1971): «Southern Arabia»; Thames & Hudson, London.
- 11 - Dunlop, D. M. (1954): «The History of the jewish khazars»; Princeton University Press.
- 12 - Evedy, Mc., C. (1983): «The Penguin Atlas of Ancient History»; Sheck Wah Tong Printing Press Ltd., Hongkong.
- 13 - Fay, La, Howard (1978): «Ebla, Splendor of an unknown Empire»; National Geographic Magazine, v.154, No.6, pp.730-759, December, 1978.
- 14 - Fiennes, Ranulph (1990): «Atlantis of the Sands (The Search for the Lost City of Ubar)»; Penguin Books, Canada, Ltd.
- 15 - Groom, Nigel (1981): «Frankincense and Myrrh»; Longman; London.
- 16 - Mallowan, Max (1964): «Nuh's Flood Reconsidered», Iraq vol.xxvi-2.
- 17 - Mallowan, Max (1971): «Early Dynastic Period in Mesopotamia»; Cambridge Ancient History 1-2, Cambridge, England, U.K.

- 18 - Maugh II, Thomas H. (1992): «Ubar, Fabled Lost City, Found by LA Team», in The Los Angeles Times, 5 February, 1992.
- 19 - Ostling, R.N. (1992): «Arabia's Lost Sand Castle»; in Time International. No.7, 17 February, 1992.
- 20 - Pettinatio, G. & Dahood, M. (1981): «The Archives of Ebla, an Empire Inscribed in Clay»; Doubleday & Co, Inc., NewYork, U.S.A.
- 21 - Reinhold. R. (1986): «Unearthing Arabia's Past»; in Reader's Digest, August, 1986.
- 22 - Ryan, William & Walter Pitman (1980): «Noah's flood: the new scientific discoveries about the event that changed the history»; Simon Schuster, New-York, NY 10020.
- 23 - Thomas, Bertram (1932): «Arabia Felix: Across the Empty Quarter of Arabia»; Schriebr's Sons, NewYork, U.S.A.
- 24 - Robinson, James M. (General Editor, 1988): «The Nag'a Hammadi Library in English», Third Completely Revised Edition; E.J.Brill, Leiden, NewYork, Kobenhaven, Koln.
- 25 - Thompson, Frank Charles (1983): «The Thompson Chain - Reference Bible, New International Version», B.B.Kirkbride Bible Co. Inc. (Indianapolis - Indiana) and Zondervan Bible Publishers (Grand Rapids, Michigan).
- 26 - Yahya, Harun (1420 A.H./ 1999 C.E.): «Perished Nations», Ta-Ha Publishers Ltd., London, England.

فهرس الموضوعات

- 559 حادي عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم
لقصة النبيين موسى وهارون
- 659 ثاني عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم
لقصة موسى والخضر
- 667 ثالث عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
للثري المسمى «قارون»
- 675 رابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
لليهودي المسمى باسم السامري
- 685 خامس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه ذو الكفل ﷺ
- 687 سادس عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه إلياس (أو إل ياسين)
- 689 سابع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم
لقصة عبد الله ونبيه اليسع ﷺ
- 691 ثامن عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة
عبد الله ورسوله داود ﷺ
- 711 تاسع عشر: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لواقعة
أصحاب السبت
- 729 عشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم لقصة
عبد الله ونبيه سليمان ﷺ
- 791 حادي وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن
الكريم لقصة عبد الله لقمان الحكيم

- ثاني وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 799 لقصة عبد الله ونبيه يونس عليه السلام .
- ثالث وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 823 لقصة عبد الله ونبيه الشهيد زكريا عليه السلام .
- رابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في عرض القرآن الكريم
 847 لقصة عبد الله ونبيه الشهيد ابن الشهيد يحيى بن زكريا عليه السلام .
- خامس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 855 لقصة عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .
- سادس وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 911 لقصة أصحاب الأخدود .
- سابع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 919 لقصة أصحاب الكهف .
- ثامن وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم
 933 لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان كل من داود وعيسى ابن مريم

الباب الثالث

- 943 مع خاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام
- تاسع وعشرون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في استعراض القرآن
 945 الكريم لمواقف من سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه السلام .
- ثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في وصف القرآن الكريم لبعض
 1099 المعارك بين كل من الفرس والروم

الباب الرابع

- 1107 التحذير من أخطار اليهود
- حادي وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في تقرير القرآن الكريم

1109 لأبرز صفات اليهود

الباب الخامس

1179 بعض الشخصيات والوقائع الأخرى

ثاني وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم

1181 لكل من ذي القرنين وقوم «يأجوج ومأجوج»

ثالث وثلاثون: من أوجه الإعجاز الإنبائي والتاريخي في ذكر القرآن الكريم

1191 لقصة أصحاب الجنة

1199 الخاتمة

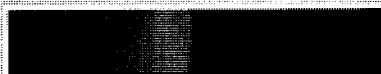
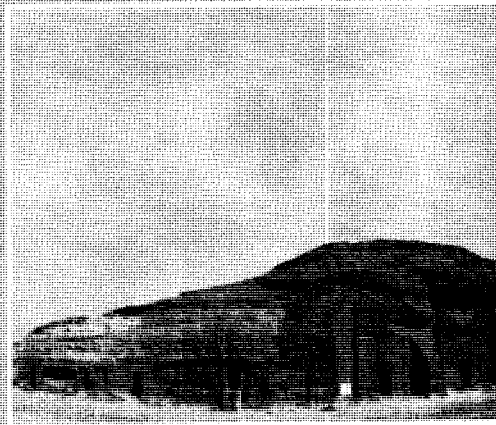
1225 قائمة بالمراجع

1233 فهرس الموضوعات



ملحق

الخرائط والصور
للمواقع الواردة في الكتاب



570 م	محمد بن عبد الله ﷺ
4 ق م	عيسى بن مريم ﷺ
30 ق م	يحيى ﷺ
100 ق م	زكريا ﷺ
800 ق م	يونس ﷺ
900 ق م	اليسع ﷺ
900 ق م	الياس ﷺ
985 ق م	سليمان ﷺ
1043 ق م	داود ﷺ
1439 ق م	هارون ﷺ
1436 ق م	موسى ﷺ
1450 ق م	شعيب ﷺ
1450 ق م	ذو الكفل ﷺ
1400 ق م	أيوب ﷺ
1610 ق م	يوسف ﷺ
؟؟؟	يعقوب ﷺ
1764 ق م	إسحاق ﷺ
1780 ق م	إسماعيل ﷺ
1840 ق م	لوط ﷺ
1866 ق م	إبراهيم ﷺ
2000 ق م	صالح ﷺ
2500 ق م	هود ﷺ
30000 ق م	نوح ﷺ

أسماء الرسل
والأنبياء الذين
ذكرهم
القرآن الكريم

البحر الاسود

البحر الاسود



Google

خريطة توضح الفرق بين موقع جبل آرارت وموقع جبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام

موقع البركان لعمارة التي انكسرت بالقرن العشرين



صورة جوية لمنطقة إرم بواسطة الأقمار الصناعية



مدائن النبي صالح عليه السلام



مدائن النبي صالح عليه السلام

nes, Spot Image
DataXIO, NOAA, U.S. Navy, MGA, GEBCO
Image U.S. Geological Survey

Streaming 1100%

27 14 31.13° N 32 27 40.31° E





موقع قري قوم لوط عليه السلام

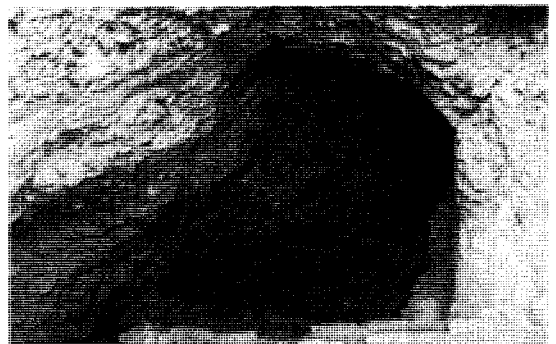
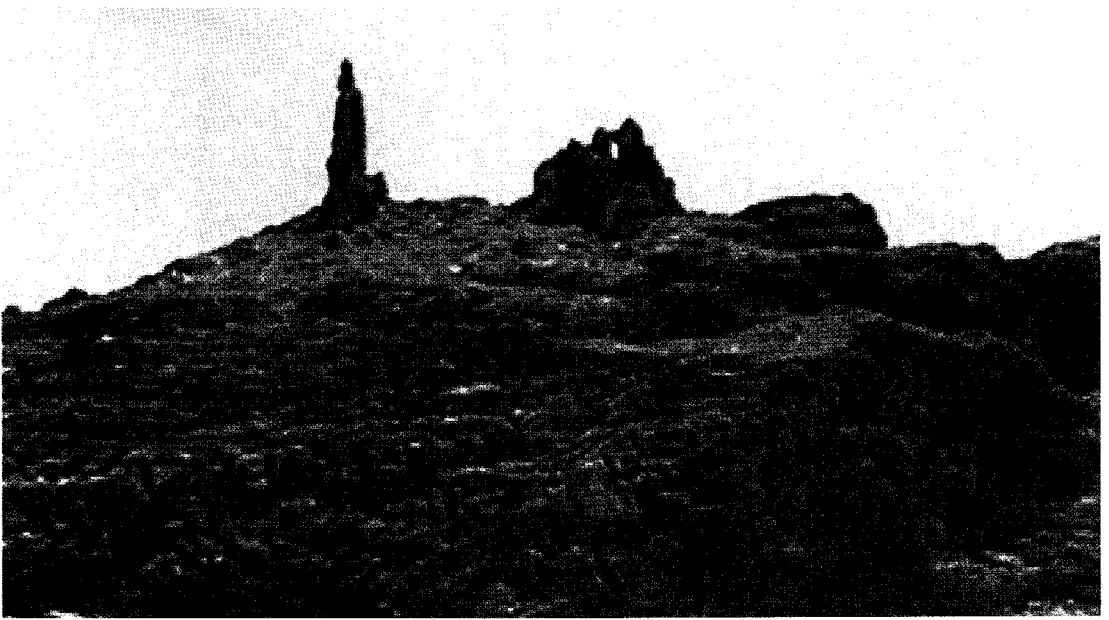


قري قوم لوط

بئر السبع

كهف النبي لوط عليه السلام





بهدية النهر يوسف عليه السلام



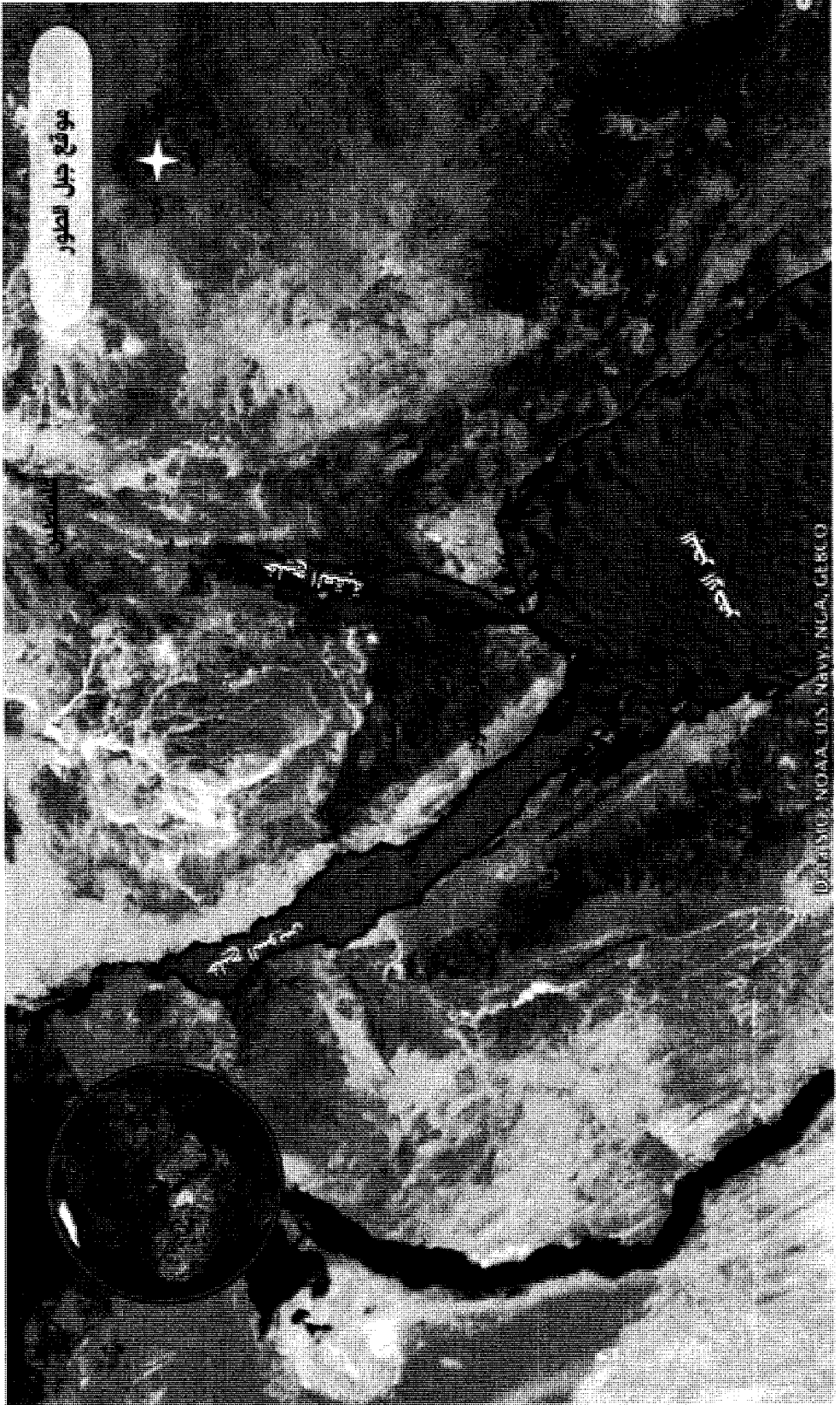
النهر الأحمر

1957

1957



توزيع جبال الطور



DEFENSE NOVA, U.S. NAVY, NEA, GEBCO

قارون الذي ذكر في القرآن الكريم

المكان الذي كان يجلس به قارون



طريق هجرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

طريق هجرة

طريق القوافل

يثرب جبل أحد

وادي ملل

حزة رهط

بطن ريم

وادي قيد الحفأة

بئر الطوب

جبال قدس

المدالج

ثنية هرشي

وادي حيا

وادي مر

عدير خم

منازل بني مداح

بحر الأحمر

وادي مر

بطن مر

الحديبية

مكة المكرمة

منى

عرفات

جبل الثور

وادي إبراهيم

مدونات الرسول ﷺ

- مدونة ٨ هـ
- تذكرة ٩ هـ
- خبر ٧ هـ
- أحد ٢ هـ
- الأحزاب ٥ هـ
- بدر ٢ هـ
- الحدبية ٦ هـ
- فتح مكة ٨ هـ
- حنين ٨ هـ

Data: M.D. Meade, U.S. Navy, M.D. F. R. ...
Image: U.S. Geological Survey



الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم

الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم يشمل الدقة الفائقة في استعراض عدد من المواقف التاريخية الهامة التي أنبأنا بها الله تعالى في القرآن الكريم بعد حدوثها لأزمان طويلة في سير عدد من أنبياء الله ورسله، وفي تفاعل أممهم معهم سلباً أو إيجاباً، وسير عدد من الصالحين، وعدد من الطالحين من بني آدم (رجالاً ونساء).

الإعجاز الإنبائي يتضح بمقارنة القصص القرآني مع ما جاء في التراث الإنساني الموجود بأيدي الناس اليوم، ومع ما أثبتته الكشوف الأثرية والتاريخية المتعددة لأمر لم تكن قد حدثت حين نزول القرآن الكريم.

وفي هذا الكتاب تمت مناقشة أكثر من مائة نص قرآني كريم، أدركنا في كل واحد منها وجهاً أو أكثر من أوجه الإعجاز الإنبائي أو التاريخي، أو منهما معاً. وهذه النصوص تعرض جوانب من سير خمسة وعشرين نبياً من أنبياء الله، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ختم الله بهيئته سلسلة النبوات، وبرساته جميع رسالات السماء.



دار المعرفة

للطباعة والنشر

MAREFAH.COM